

تاريخ الأدب العربي

تأليف

الدكتور عمر فروخ

الجزء الرابع

الأدب في المغرب والأندلس

منذ الفتح الإسلامي

إلى آخر عصر ملوك الطوائف

(أواخر القرن الخامس للهجرة - المئدي من الميلاد)

دار العالم للمالسة

تاريخ الأدب العربي

الجزء الرابع

الأدب في المغرب والأندلس

منذ الفتح الإسلامي

إلى آخر عصر ملوك الطوائف

(أواخر القرن الخامس للهجرة - الحادي عشر للميلاد)

تأليف

مؤلف

شبكة كتب الشيعة

مؤلف: مجمع اللغة العربية في القاهرة
مؤلف: المجمع العلمي العربي في دمشق
مؤلف: جمعية البحوث الإسلامية في ليبيا

تعداد

ملاحظات

العدد

دار العلم للملايين

ص. ١٠٨٥ - بيروت
تأليف: ٢٣١٦٦ - بيروت

shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

الكلمة الأولى

هذا هو الجزء الرابع من سلسلة « تاريخ الأدب العربي ». إنه يبدأ تاريخ الأدب العربي في المغرب (الشمال الغربي من قارة إفريقيا) والأندلس (الجنوب الغربي من قارة أوروبا). ثم هو يتناول الحقبة الممتدة من الفتح الإسلامي (القرن الأول للهجرة = أواخر القرن السابع للميلاد) إلى انتهاء عصر دُولِ ملوك الطوائف في الأندلس، ثم يستمر إلى مُنتهى القرن الخامس للهجرة (مطلع القرن الثاني عشر للميلاد). ذلك لأن نقرأ من الذين شهدوا عصر ملوك الطوائف طالت حياتهم بعد ذلك قليلاً أو كثيراً.

ثم يلي هذا الجزء :

الجزء الخامس، ويتناول تاريخ الأدب في عصر المرابطين والموحدين، في القرن السادس وبعض القرن السابع للهجرة، إلى نحو سنة ٦٤٠ (١٢٤٢ م).

الجزء السادس، ويتناول تاريخ الأدب في عصر بني نصر وينتهي بالفتح العثماني في المغرب (للجزائر) نحو ٩٣٢ للهجرة (١٥٢٥ م)، وإن لم يُنتهِ الفتح العثماني في المغرب ما كان من الفتح العثماني في المشرق.

وغني عن البيان أن أقول هنا إنَّ الأعصر الحضارية (والأعصر الأدبية) لا تنطبق في العادة على الأعصر السياسية.

وأنا لم أفصل تاريخ الأدب في المشرق من تاريخ الأدب في المغرب لأنَّ الأدبيين مُختلفان، ولكنَّ عَمَلِي هذا كان في سبيل التسهيل على نفسي في مُعالجة الموضوع. وعسى أن يُقيضَ الله لي فَحَةً أَسْتَطِيعُ أن أجمع في أثنائها تاريخ الأدب العربي (في المشرق وفي المغرب) في سِلْكٍ واحد.

يجب ألا يستغرب القارئ إذا قلْتُ له إِنَّ الأدب الأندلسي (وخصوصاً في النثر) كان تقليدياً واضحاً للأدب الشرقي، إذ كان الأدب الشرقي هو المثال الذي اقتدى به المغاربة في إنشاء أدبهم. لا شك في أَنَّ المَوْشَحَ فنٌّ مغربي (أندلسي)، ولكنَّ خصائصَ مغربية كثيرةً اجتمعت في المَوْشَحَاتِ كانتَ مَشْرِيقِيَّةً في أصولها. ثم لا نستطيع أن نُنْكِرَ أن السهولة في التركيب (إلى جانب ضَعْفِ كثيرٍ فيه) كانت أكثرَ في المغرب منها في المشرق. وكذلك لم يُرْزَقِ المَغْرِبُ أدباً كبيراً من نَجْرِ البَحْرَيْنِ والجاحظِ والمُتَنَسِّيِ وأبي العلاء المَعْرِيِّ وأمثالهم. ومعَ أَنَّا لا نَدْفَعُ ابنَ هاني الأندلسيَّ وابنَ دُرَّاجِ القُسْطَلِيِّ وابنَ زيدونٍ عن مكان الصدارة في الشعر، فإنَّ المُعْجَبِينَ هؤلاء الشعراء قد لَقَّبُوهم ألقاباً منها بُحْتَرِيُّ القَرْبِ أو مُتَنَبِّي القَرْبِ. أما في الفلسفة فلا شك في أن التقدم كان للمغاربة على المشرقية.

ثم إِنَّ أهل المغرب كانوا أكثرَ اهتماماً بأدب المشرقية من أهل المشرق بأدب المغاربة. ولقد استمرَّ ذلك إلى انتصاف القرن الحاضر الهجري. ولكنَّ أهل المشرق الآن يُكَفِّرُونَ عن ذلك الإهمال للتاريخ المغربي في أيامهم الماضية.

ولي في ختام هذه الكلمة الأولى من هذا الجزء رجاء إلى اخواننا في المغرب، هو أن يُدْرِكُوا تقصيرَ المشرقية في الإحاطة بتاريخ المغرب وبالذِّقَّة في معرفة الأماكن وضبط الأعلام المغربية (فإنَّ هذه الأسس لأعلام الأماكن والأشخاص كانت غريبةً عن المشرقية مدَّةً طويلةً، بخلاف الأسس لأعلام الأشخاص والأماكن في المشرق فإنَّها كانت دائماً جزءاً من ثقافة المغاربة). وأنا واثق من أَنَّ في هذا الجزء أيضاً أخطاءً أو أوهاماً يسيرةً أو غيرَ يسيرة. فإذا وَقَعَ نَظَرُهم على شيء مما ذكرتُ ثم غَفَرُوا ذلك لنا أو كتبوا إليَّ به كُنتُ لهم من الشاكرين.

ع. ف.

بيروت في خامس ربيع الأول ١٤٠١

. ١٩٨١/١/١١

فهرس هذا الجزء

صفحة	سنة الوفاة بالمجري
الكلمة الأولى	
فهرست الموضوعات	
مقدمة	
تاريخ الأدب العربي في المغرب: المغرب والمشرق - البربر -	
الفتح في المغرب وفي الأندلس - طبقات الناس -	
الأدب في هذه الفترة - عصر الولاة: معركة بلاط	
الشهداء - أحداث المغرب - العصبية في الأندلس - سقوط	
الدولة الأموية في المشرق	٣٣
المظاهر الأدبية في عصر الولاة	٤٦
أبو الأجر الكلاي	١٣٨
عبد الرحمن بن زباد	١٦٢
بنو أمية في قرطبة: عصر الأمراء المتوارثين -	
عبد الرحمن الداخل - الخوارج في أقطار	
المغرب - الولاة المتوارثون - الحياة السياسية في	
المغرب كله: إفريقية - ليبيا - المغرب الأوسط - المغرب	
الأقصى - الدولة الإدريسية - خصائص الأدب وأعلامه في	
عصر الأمراء المتوارثين - زرياب	٥٤
عبد الرحمن الداخل	١٧٢
حريش الكندي	١٨٦

٨٤.....	محمد بن بشير المعافري	١٩٨
٨٥.....	جودي بن عثمان	١٩٨
٨٦.....	الغازي بن قيس	١٩٩
٨٧.....	أبو الحشّي	
٨٨.....	الحكم الرضّي	٢٠٦
٩٢.....	غريب الطليطلي	٢٠٧
٩٣.....	شبطون	٢١٢
٩٤.....	إدريس الأصفر	٢١٣
٩٧.....	حسانة التميمية	٢٣٠
٩٨.....	يحيى بن يحيى الليثي	٢٣٤
٩٩.....	عبد الرحمن الأوسط	٢٣٨
١٠٢.....	عبد الله بن الشمر	
١٠٤.....	عبد الملك بن حبيب	٢٣٨
١٠٦.....	عباس بن ناصح	٢٣٨
١٠٨.....	أفلح بن عبد الوهاب	٢٤٠
١١٢.....	سحنون	٢٤٠
١١٤.....	عبيد الله بن قارلمان	٢٥٠
١١٥.....	يحيى بن حكم الغزال	٢٥٠
١٢١.....	ابن قطن المهري القيرواني	٢٥٦
١٢٢.....	مؤمن بن سعيد	٢٦٧
١٢٢.....	العتبي الشاعر	٢٧٠
١٢٦.....	وليد بن غانم	٢٧٢
١٢٩.....	عثمان بن المثني	٢٧٣
١٣٠.....	الرازي المؤرخ	٢٧٣
١٣١.....	هاشم بن عبد العزيز	٢٧٣
١٣٥.....	عباس بن فرناس	٢٧٤
١٣٩.....	محمد البريدي	٢٧٦
١٤٠.....	بقي بن مخلد	٢٧٦

٢٨١	عبد الجبار السرفي	١٤٢.....
٢٨٣	نّام بن عامر	١٤٣.....
٢٨٤	سعيد بن جودي	١٤٤.....
٢٨٥	مجير بن سفيان	١٤٦.....
٢٨٦	ابن عبد السلام الحشني	١٤٧.....
٢٩٥	عيسى بن مسكين	١٤٩.....
٢٩٥	مهرية الأغلبية	١٥٠.....
٢٩٦	بكر بن حنّاد	١٥١.....
٢٩٨	أبو اليسر الشيباني	١٥٤.....
٢٩٩	مقدم بن المعافى	١٥٥.....
٣٠٠	الأمير عبد الله بن محمد	١٥٦.....
٣٠٧	محمد بن عاصم النحوي	١٥٩.....
٣٠٨	عبد الله بن المكفوف النحوي	١٦٠.....
٣١٨	أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي	١٦٠.....
٣٢٠	أبو الأصيح موسى بن محمد	١٦٢.....
٣٢٠	يزيد الفصيح	١٦٣.....

عصر الخلافة الأموية في قرطبة: رجال الدولة:

غالب السب والمصحفي وابن أبي عامر - هشام بن الحكم

وبدء الفتنة - خلفاء الفتنة - الدولة الفاطمية: الشيعة

الفاطميون الاسماعيليون - المغرب الأوسط - ليبيا -

الزهراء (في قرطبة) - الفقه - المذاهب الأخرى - أبو علي

القالي - الجغرافية والتاريخ - علوم التعاليم - مظاهر

الأدب وأعلامه في عصر الخلافة - النتاج الأدبي: الشعر - النثر

النقد ١٦٥

٣٢٨ ابن عبد ربه ٢١٠

القلفاط ٢٢٠

٣٣١ الحكم القرطبي النحوي ٢٢٢

٢٢٤.....	خليل بن إسحاق	٣٣٢
٢٢٦.....	أبو العرب القيسي	٣٣٣
٢٢٩.....	عبد الله بن الناصر	٣٣٩
٢٣٢.....	قاسم بن أصبغ البياضي	٣٤٠
٢٣٣.....	حفصة الحجازية	
٢٣٣.....	أبو الحزم جهور بن أبي عبدة	
٢٣٥.....	سعيد ابن عبد ربه	٣٤٢
٢٣٧.....	الداروني	٣٤٣
٢٣٨.....	الرازي المؤرخ أبو بكر أحمد بن محمد	٣٤٤
٢٤٢.....	أبو وهب العبّاسي	٣٤٤
٢٤٤.....	أحمد بن محمد بن أضحي	٣٤٥
٢٤٦.....	أبو القاسم الفزاري	٣٤٥
٢٤٨.....	ابن الوزان القيرواني النحوي	٣٤٦
٢٥٠.....	إسماعيل بن بدر	٣٥١
٢٥٣.....	ابن مغيث الأنصاري	٣٥٢
٢٥٤.....	وليد بن عيسى الطبيخي	٣٥٢
٢٥٧.....	منذر بن سعيد البلوطي	٣٥٥
٢٦١.....	محمد بن يحيى الرياحي	٣٥٨
٢٦٣.....	الحشفي المؤرخ (محمد بن الحارث)	
٢٦٦.....	ابن هاني الأندلسي	٣٦٢
٢٧٧.....	أبو حنيفة النعمان المغربي	٣٦٣
٢٧٩.....	علي بن محمد الإيادي	٣٦٥
٢٨٣.....	ابن فرج الجياني	٣٦٦
٢٨٥.....	ابن القوطية	٣٦٧
٢٨٩.....	عريب بن سعد القرطي	٣٧٠
٢٩٤.....	جعفر المصحفي	٣٧٢
٢٩٧.....	ابن أبي حنيفة النعمان المغربي	٣٧٤
٢٩٩.....	أحمد بن قرطلان	٣٧٧

٣٧٩	أبو بكر الزبيدي	٣٠٠
٣٨٥	ابن جلجل	٣٠٤
٣٨٦	ابن أبي زيد القيرواني	٣٠٧
٣٨٩	يحيى بن هذيل الكفيف	٣٠٩
٣٩٠	أبو القاسم بن العريف النحوي	٣١٢
٣٩٢	المنصور بن أبي عامر	٣١٣
٣٩٣	عبد الملك بن شهيد	٣١٨
٣٩٣	عبد الملك بن جهور	٣٢١
٣٩٤	محمد بن الحسين الطبري	٣٢٢
٣٩٤	أبو مروان الجزيري	٣٢٤
٣٩٩	ابن أبي زمنين	٣٢٦
٤٠٠	ابن القزّاز البربري	٣٢٨
٤٠٠	ابن شخيص	٣٢٩
٤٠٠	الطليق المرواني	٣٣١
٤٠٠	عائشة بن أحمد القرطبية	٣٣٤
	السرقسطي المعافري	٣٣٥
٤٠٢	محمد بن مغيث المغربي	٣٣٦
٤٠٣	ابن الغرضي	٣٣٧
٤٠٣	يوسف بن هرون الرمادي	٣٣٩
٤٠٥	عبد الكريم النهشلي	٣٤٢
٤٠٦	عبد العزيز الحنّفي القيرواني	٣٤٥
٤٠٧	سليمان المستمين	٣٤٦
٤٠٨	أبو الحسن الكاتب المغربي	٣٤٨
	مريم الشلبية	٣٥٠
٤١٢	القزّاز النحوي القيرواني	٣٥١
	(الحصري صاحب زهر الآداب) (٣٧٥)	
٤١٣	محرز بن خلف	٣٥٤
٤١٤	المستظهر المرواني	٣٥٧

٣٦٠.....	خلف بن أحمد السعدي	٤١٤
٣٦٠.....	زيادة الله الطيني	٤١٥
٣٦٢.....	صاعد البغدادي	٤١٧
٣٦٥.....	أحمد بن برد (الأكبر)	٤١٨
٣٦٧.....	حسن بن مالك	٤٢١
٣٧٠.....	إبراهيم بن غانم الكاتب	٤٢١
٣٧٢.....	أبو عبد الله بن الكتّاني	٤٢٠
٣٧٣.....	إسحاق بن إبراهيم	٤٢٠
٣٧٥.....	الحصري (صاحب زهر الآداب)	(٤١٣)
٣٧٧.....	ابن درّاج القسطلّي	٤٢١

عصر ملوك الطوائف: ديولات الأندلس -
في الشمال الافريقي - أوجّه الحضارة - الثقافة
في الأندلس - الثقافة في المغرب الافريقي - الخصائص
الفنيّة عموماً - أغراض الشعر وفنونّه -

النثر - النقد الأدبي ٣٨٥

نشأة الموشح وتعريفه: النظريات في نشأته -
فنّ التوشيح - نسق الموشحات - أجزاء الموشحة
وأسمائها - أعاريمض الموشحة - المخرجة خاصّة -
الخصائص الأدبية في الموشح - أوائل الوشّاحين -

ضعف الموشح لقبوا - موقف النقاد من الموشح ٤١٠

٤٢٢..... عبادة بن ماء السماء ٤٢٢

٤٢٥..... الرقيق القيرواني ٤٢٥

٤٢٦..... أبو عامر بن شهيد ٤٢٦

٤٢٧..... ابن مغلّس البلنسي ٤٢٧

٤٢٦..... ابن أبي الرجال ٤٢٦

٤٣٠..... ابن خلوف الحروري ٤٣٠

١٦٥.....	ابن الربيب القيرواني	١٣٠
١٦٩.....	أبو الفتوح المجراني	١٣١
١٧٠.....	آل عباد	
١٧٠.....	أبو القاسم بن عباد	١٣٣
١٧٢.....	ابن الأتبار الحنولاني	١٣٣
١٧٣.....	أبو الحزم جهور	١٣٥
١٧٥.....	تمام بن غالب بن النيكاني	١٣٦
١٧٦.....	مكي بن أبي طالب	١٣٧
١٨٢.....	ابن الحنّاط الأعمى	١٣٧
١٨٧.....	أبو المغيرة بن حزم	١٣٨
١٩١.....	الأسعد بن بليطة	١٤٠
١٩٤.....	أبو الوليد إسماعيل بن محمد	١٤٠
١٩٧.....	أبو القاسم الأغلبي	١٤١
١٩٨.....	أبو عمرو الداني	١٤٤
٥٠٥.....	ابن الحنّاط الأندلسي	١٤٧
٥٠٦.....	أمّ العلاء الحجازية	
٥٠٧.....	ابن البزلياني	١٤٨
٥١٠.....	أحمد بن برد (الأصغر)	١٥٠
٥١٤.....	ابن حصن الاشبيلي	١٥٠
٥١٧.....	إسماعيل بن أحمد التجيبي البرقي	١٥٠
٥٢١.....	ابن الحنّاط الربيعي الصقلّي	
٥٢٤.....	محمد بن الحسين المغربي	١٥٣
٥٢٦.....	عبد الملك بن غصن الحجازي	١٥٤
٥٢٨.....	محمد بن عبد الواحد البغدادي	١٥٥
٥٣٣.....	الحسن التجيبي القرطبي	١٥٦

٥٣٤.....	ابن حزم الكبير	٤٥٦
٥٤٣.....	المرابطون في المغرب	
٥٥١.....	ابن رشيقي	(٤٥٦)
٥٥٩.....	عبد الملك الطنجي	٤٥٧
٥٦٠.....	ابن سيده	٤٥٨
٥٦٤.....	ابن شرف القيرواني أبو عبد الله	٤٦٠
٥٧٠.....	أبو حفص الهوزني	٤٦٠
٥٧٢.....	أبو إسحاق الألبيري	
٥٧٨.....	ابن مقانا	
٥٨١.....	المظفر بن الأفطس	٤٦٠
٥٨٢.....	صاعد الطليطلي	٤٦٢
٥٨٤.....	ابن عبد البر الكبير	٤٦٣
٥٨٨.....	ابن زيدون	٤٦٣
٦٠٢.....	غانم الخزومي	
٦٠٥.....	أبو جعفر اللبائي	٤٦٥
٦٠٧.....	أبو الحسن البلقوني	٤٦٥
٦١٠.....	الشرطاطيسي	٤٦٦
٦١٥.....	ابن حيّان المؤرخ	٤٦٩
٦١٨.....	محمد بن خلصة	٤٧٠
٦٢٠.....	ابن الأجدادي	
٦٢٢.....	إدريس بن البان	٤٧٠
٦٢٦.....	ابن عبد البر الصغير	٤٧٤
٦٣١.....	أبو الوليد الباجي	٤٦٤
٦٣٤.....	ابن خلّوف المغربي	٤٧٥
٦٣٦.....	الأعلم الشنتمري	٤٧٦

٤٧٧	ابن عمار	٦٣٨
	ابن ارفع رأسه	٦٤٦
٤٧٩	ابن فضال عليّ	٦٥٠
٤٨٠	ابن جاج البطليوسي	٦٥٢
٤٨٠	ابن الحدّاد الوادي آشي	٦٥٥
٤٨٠	ابن الدبّاغ	٦٥٩
٤٨٣	ابن وهبون	٦٦٣
٤٨٤	المعتصم بن صلاح	٦٦٦
	عبد العزيز بن أرقم	٦٧٠
٤٨٤	الراضي العبّادي	٦٧٦
	السميسر الالبيري	٦٨٠
	ابن غرسية	٦٨٣
٤٨٤	ولادة المروانية	٦٩٩
٤٨٧	أبو عبيد البكري	٧٠٢
٤٨٧	ابن العسال	٧٠٦
٤٨٨	أبو الحسن الحضري الضرير	٧٠٧
٤٨٨	المعتمد بن عبّاد	٧١٣
٤٨٨	الحميدي	٧٢٣
	(محمّد بن عبادة القرّاز)	(٧٤٤)
	ابن عبد الصمد	٧٢٥
٤٨٩	أبو مروان بن سراج	٧٣١
٤٨٩	أبو الوليد الوقّشي	٧٣٣
٤٩٠	ابن البين البطليوسي	٧٣٥
	أبو عيسى بن لبّون	٧٣٦
٤٩٦	عبد الملك بن هذيل بن رزين	٧٣٨
	أبو إسحاق الودّانيّ	٧٤٢

مقدمة

هذا الجزء الرابع من « تاريخ الأدب العربي » (منذ الجاهلية إلى مطلع العصر العثماني في الشرق والغرب) يبدأ به تاريخ الأدب عندنا في المغرب (من قارة إفريقية وقارة أوروية). إنَّ هذا التفريق في الأجزاء بين أدب الشرق (في الأجزاء الثلاثة الأولى التي صدرت) وأدب المغرب (والأندلس) في الأجزاء الثلاثة الباقية - وهذا الجزء الرابع أولها - أمرٌ آليٌ بَحَثَ حَمَلَتْ عليه محاولةُ السهولةِ في التأليف.

ولا شكَّ في أنني لم أعان في كتابٍ وضعته من قبلُ ما عانيته من المشاقِّ في وضع هذا الجزء الرابع.

فمن المصاعب الأساسية قضيتان:

- تقليد المغاربة للمشاركة.

- كثرة اهتمام المغاربة بأدب المشاركة في مقابل اهتمام من المشاركة غير كافٍ بأدب المغاربة.

والمشهورُ في تاريخ الأدب أن الأندلسيين كانوا يُقلِّدون المشاركةَ (كما ترى الإشارات إليه في أماكن مختلفة من هذا الكتاب - كما تجد نقرأ من الأندلسيين يروون أن المشاركة كانوا مُقصرين عن الأندلسيين في ميادين كثيرة، وخصوصاً في الأدب). ولكنَّ الواضحَ الجليُّ أن الأدبَ الأندلسي كان أحياناً أغنى في الأغراض (لاختلاف البيئة الطبيعية بين المغرب والشرق) وأعذب في اللفظ. ولكنَّ الأدبَ المغربي (وفيه أدبُ الأندلس أيضاً) كان نازلاً عن مستوى الأدب الشرقي في ناحيتين: في عُمق التفكير وفي متانة الأسلوب. نحنُ لا نجدُ في الأدب الأندلسي كاتباً كالجاحظ ولا شاعراً كأبي العلاء المغربي (في سَمَةِ المَيِّدان الذي ورَّعا فيه جهودهما). وكذلك في

الأسلوب لا نرى تلك المتانة التي نعرفها للغزدي، أو لجرير مع العذوبة أو لا نرى مثل أسلوب المتنبّي والشريف الرضي. وذلك لبعد المغرب (الإفريقي) والأندلس (في المكان والزمان) عن بيئة اللسان العربي الأولى - في الدرجة الأولى - ثم لقرب الأندلس خاصة من لغات أعجمية وحضارات مختلفة، أكثر مما كنا نرى في الشرق. وكذلك لا يجوز أن ننسى أن سلطة الخلافة في المشرق كانت أكثر رسوخاً وأوسع أثراً فيما حولها من السلطة السياسية في الأندلس خاصة.

ثم تأتي المفضلة الثانية:

لا شك في أن المغاربة كانوا دائماً أكثر عناية بتاريخ المشرق وأدبه من المشاركة بتاريخ المغرب وأدبه. فلما أردت أن أقدم على هذا الخضمّ الواسع - ذلك الذي ترى جانباً منه في هذا الجزء من عدد التراجم وسعيتها واختارات الملحق بها - دعك من دراسة العصور - وقفت في كثير من الأحيان أمام جدار غفلي (لا منفذ فيه): الأسماء الغريبة، وقد ألفتها في أثناء تلك المدة. ولكن بقي في الأسماء أشياء تزهق القويّ الجليد: أسماء كثيرة مثل: أبي عبد الله محمد وأبي محمد عبد الله - عشرات ومئات من مثل هذه الأسماء المكرورة في النسب الواحد وفي الأنساب المختلفة. أقول هذا وأنا واثق من أن إخواني في المغرب سيقيمون على عدد من تلك الأخطاء، فأرجو ألا يضيئوا عليّ بالإشارة إليها، وأنا لم شاكر على كلّ تصحيح أو تنقيح يقرحونه. وأما المشاكل العارضة - وفي هذا الجزء الرابع خاصة - فكان منها:

بدأت جمع المادّة لهذه الأجزاء الثلاثة (من الرابع إلى السادس) منذ ثلاثين عاماً (منذ سنة ١٣٧١ للهجرة: عام ١٩٥١ م). ولقد اعتمدت في ذلك الحين (فيما كنت قد اعتمدته) «نفع الطيب» (طبع ليدن) و«النخبة» و«وقيات الأعيان» (طبع مصر)، إلى جانب عدد كبير من المصادر والمراجع. يجد القارئ جانباً منها (ذلك الجانب العام في جميع أصحاب التراجم - لا المصادر والمراجع الخاصة بأديب أديب) في قائمة ملحقة بهذه المقدمة.

في تلك الأثناء (١٣٧١ - ١٤٠١ هـ = ١٩٥١ - ١٩٨١ م) ظهرت طبعتان

جديدة لَكُتُبٍ كانت قد طُبعت من قبلُ وظهرت كُتُبٌ جديدةٌ (مصادر ومراجع) فكنْتُ مُضطرباً في مُعظم الأحيان إلى أن أُعيدَ النظرُ في عددٍ كبيرٍ من الصفحات التي كنتُ قد أنشأتها من قبلُ، بحسبِ ما كنتُ أرى من المادّة الجديدة أو القراءات الجديدة (ما أمكن) في تلك الطبعات الجديدة أو الدراسات الجديدة. ويقضي الحقُّ أن نشيرُ هنا إلى جهود الدكتور إحسان عباس بالعناية بتاريخ الأندلس خاصّة، فإنّه قد سهّل الوصولَ إلى ذخائر هذا التاريخ (في الأدب والفكر) سهلاً ظاهراً.

غيرَ أن في الأدب الأندلسي ثغرةً واسعة هي تلك الأساليب المتداخلة المتشابكة المتكررة، وقد أشرتُ إلى هذه المُشكلة قبلُ أسطر قليلة.

ولكن يبدو أنّي لم أكن وحدي في مُعاناة هذه المُشكلة. إن الرجوع إلى فهرسٍ عددٍ من الكُتُبِ يُلقيكَ أحياناً أمام أسماء مفرّقة في الفهارس في غير مواضعها أو مجموعة في غير مواضعها. وربّما بحثتَ عن اسم في فهرس كتاب فلم تجده، مع أنّه واردٌ في عدد من صفحات ذلك الكتاب. وربّما كشفت عن اسم فرأيتهُ مُبتتباً في الفهرس مُشاراً إلى أنّه واقع في عدد من الصفحات ثمّ تقلّب تلك الصفحات فلا تجدُ لذلك الاسم أثراً. وفي اعتقادي أنّ هذا راجعٌ إلى أن نفرّاً من المؤلّفين أو من الناشرين يَعهّدون إلى طلابهم أو إلى أصدقائهم بجزء من العمل الواجب عليهم هم أو يعهّدون إلى هؤلاء بذلك العمل كلّهُ.

ولعلّك واجد في كتابي هذا شيئاً قليلاً ممّا أشكو أنا الآن منه، ولكنّ مثل هذا الخطأ سيكون مِنّي أنا ولن يكون بطبيعة الحال مقصوداً. ولعلّي أكون على صواب إذا أنا قلت إنّ جميع الكتب الكبيرة لا تخلو من مثل ذلك.

وهناك مشكلة مزعجة في عمل الفهارس أحرص أنا على ألاّ أفرضا على قرّائي. يكتفي نفر كثيرون من ناشري الكتب الكبيرة بأن يذكر الصفحات التي ترد فيها أسماء الأعلام وُروداً صريحاً: محمد بن عبد الله الغلاني ٨، ١٦، ٤٧، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٤٥٠، ٥٠٥، الخ (بلا تفريق بين الصفحات التي يرد فيها ذلك الاسم وُروداً عارضاً أو وُروداً مقصوداً). وربّما وجدت أنّ الصفحات ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١ الخ تتكلّم على ذلك الاسم الذي ذكر أنّه وارد في الصفحة ٤٧ صراحة أو أنّها

صفحات ورد لصاحب ذلك الاسم نصّ من آثاره . لا شك في أنّ هذا المنهج يسهّل العمل على مرتّب الفهارس - وخصوصاً إذا لم يكن مرتّب الفهارس هو ناشر الكتاب نفسه - وإليك المثلّ التالي :

في أثناء إعداد ترجمة الحِجاري صاحب السُّهْب رجعتُ إلى فهرس كتاب « المُقَرَّب » فوجدت أنّ اسم الحِجاري هذا واردٌ في مائتي صفحة أو تزيد . نقلت هذه الصفحات على ثلاث بطاقات ثم مررتُ في تلك الصفحات واحدةً واحدةً فوجدتُ أنّ اسم الحِجاري قد ورد في معظم هذه الصفحات وروداً عارضاً لا يوجب حُكماً ولا يُفيد بحثاً . وبعد تلك الرحلة الطويلة الشاقّة وجدتُ نحوَ عشرِ صفحاتٍ فيها شيء من النقد ثمّ بضعة صفحاتٍ أخرى تتعلّق بحال الحِجاري .

وكذلك كان العملُ الآليُّ الذي قُمتُ به في هذا الجزء مُرهقاً جداً . إنّ تنضيدَ الحروف بالعقل الإلكتروني (الكومبيوتر) - وخصوصاً في النصوص المشكولة - أمرٌ معقّدٌ من ناحيةٍ ثمّ هو مُتعبٌ في تصحيح « الملزم » من ناحيةٍ ثانية . كان المؤلّف من قبلُ يأتي إليّ في اليوم بعد اليوم أو في الأسبوع بعد الأسبوع ، ملزماً واحدةً (ستُ عشرةً صفحةً) أو ثلاث ملزَم أو أربع في الأكثر فيصحّحها على مهلٍ وبالتّائي ، كلّ ذلك مع الحرّية في التبدّل الضروريّ والتعديل والتذييل . أمّا الآن ، وفي الوقت الذي أكتب فيه هذه الأسطر ، فقد جاءني من ثلاث مطابع خمسون ملزمةً (ثمانيةً صفحةً) ، ثم من كلّ مطبعةٍ رجاءٌ لطيفٌ بأنّ أُسرّع في التصحيح ، لأنّ « الكومبيوتر » ينتظر .

ثم إنّ « دار العلم للملايين » عهّدت - مشكورةً - إلى الأستاذ زهير فتح الله ، وهو لي تلميذٌ قديم ، ثم كان منذ ذلك الحين صديقاً أيضاً ، بماوتني في التصحيح . ورأى الأستاذ زهير فتح الله ألاّ يقصّرَ واجبه على تصحيح الأخطاء المطبعية ، بل حرصَ أيضاً على أن ينفيّ من هذا الكتاب ما أمكن من المَنات . ولقد اقترحَ عدداً من القراءات في عدد من الأحيان ثم عدداً من تفسير الأبيات أحياناً بما كان له وجه . ولقد كرّرتُ بصري في كلّ ما اقترحَ ثم قَبِلْتُ أشياءَ مما كان قد اقترحه . فله على جُهودِهِ كلّها شكرى الجزيل .

ثم إنَّ الجزأين الباقيين من هذه السلسلة سيُثْلان للطبع قريباً: إنَّ مادَّتها كُلُّها موجودة، وقد جرى إعداد الجزء الخامس للطبع، ولكن يحتاجُ إلى أن أُمِرَّ عليه أنا ببصري مرَّةً أخرى.

والله من وراء القصد.

في السَّابع والعشرين من ربيع الأوَّل ١٤٠١

١٩٨١/٢/٢.

عمر فروخ



مصادر ومراجع:

- ابن الأثير - الكامل في التاريخ لعمّ الدين أبي الحسن علي بن محمّد الشيباني المعروف بابن الأثير، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م.
- ابن الفرضي - تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تأليف أبي الوليد عبد الله بن محمّد بن نصر الأزدي، القاهرة (عزّت الحسيني) ١٩٥٤ م.
- ابن قنفذ - وفيات ابن قنفذ أو كتاب الوفيات لأبي العبّاس أحمد بن حسن بن عليّ بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطنطيني (عادل نويهض)، بيروت (منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع) ١٩٧١ م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة للوزير لسان الدين بن الخطيب، المجلّد الأوّل (محمّد عبد الله عنان)، مصر (دار المعارف) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م. جزءان، القاهرة.
- أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر لأحمد بن محمّد السلفي (احسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٣ م.
- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها (أميليو لاغوانتي أي الكانترا)، مدريد (رفا دنييرا) ١٨٦٧ م.
- الأدب المغربي، تأليف محمّد بن تاويت ومحمّد الصادق عفيفي، بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني) ١٩٦٠ م.
- أزهار الرياض في أخبار عياض، تأليف شهاب الدين أحمد بن محمّد المقرّي التلساني (مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري - عبد الحفيظ شلي)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م.

الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تأليف سليمان الباروني، ؟ (المطبعة البارونية) ٢.

إعتاب الكتاب، تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار (صالح الأشر)، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.

الأعلام للزركلي = الأعلام: قاموس تراجم، تأليف خير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة، ؟ (٢) ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م. - الطبعة الرابعة، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٧٩ م.

أعلام من طرابلس، تأليف علي مصطفى المصري، طرابلس - ليبيا (مكتبة دار الفكر) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.

أعلام الفكر الإسلامي

أعلام ليبيا، تأليف طاهر أحد الزاوي (مكتبة الفرجاني، طرابلس - ليبيا) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م.

أعمال الأعلام في من بويج قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تأليف لسان الدين بن الخطيب السلمي (إ. ليفي بروفنسال) بيروت (دار المكشوف) ١٩٥٦ م.

أعيان الشيعة، تأليف محسن عبد الكريم الأمين، أجزاء كثيرة، دمشق وبيروت ١٩٣٦ م وما بعد.

إنباء الرواة على أنباء النحاة، تأليف جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف الفنطلي، (محمد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م.

الأغودج - شعراء القيروان من أغودج الزمان، تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (زين العابدين السنوسي)، تونس (دار المغرب العربي) ١٩٥١ م.

بالنشيا - تاريخ الفكر الأندلسي، تأليف أنخل جنثالث بالنشيا (نقله حسين مؤنس)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٥ م.

برنامج شيوخ الرعييني وهو أبو الحسن علي بن محمد الرعييني. الاشبيلي (إبراهيم

شُبوح)، دمشق (وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم، رقم ٤) ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م.

Brookman und Melchior Geschichte der Arabischen Litteratur, von Carl Brockelmann (mit Supplementbänden), Leiden (Brill) 1937-49.

بساط المقيت

البلغة

بنية المتس في تاريخ الأندلس: علمائها وأمرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها
تمن دخل إليها أو خرج عنها، ثم وثى به رياض الحميدي ونغم وألم سداء وتم
أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (فرنسيسكو قوديره إي زيدن)، مجرط
(مطبع روكس) ١٨٨٤ م.

بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،
مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ.

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (ج. س. كولان
وإ. ليفي بروفسال)، ليدن (بريل) ١٩٤٨ م، الجزء الثالث (إ. لافي
بروفسال)، باريس (بولس كتر) ١٩٣٠ م.

تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسني الزبيدي (الأجزاء
١-١٨ تحقيق علماء كثيرين)، الكويت (مطبعة حكومة الكويت)
١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م وما بعد.

تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، تأليف احسان عباس، بيروت (دار
الثقافة) ١٩٦٠ و ١٩٦٩ م.

تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين، تأليف إحسان عباس، بيروت
(دار الثقافة) ١٩٦٢ م.

تاريخ الأدب الجزائري، تأليف محمد الطمار، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر
والتوزيع) بلا تاريخ.

تاريخ الأدب العربي في صقلية، تأليف أميرتو ريزيتانو، عمان (الجامعة الأردنية) بلا تاريخ.

تاريخ افتتاح الأندلس، تأليف أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية، مصر (مطبعة التوفيق) بلا تاريخ.

تاريخ إفريقية والمغرب: قطعة منه لأبي إسحق إبراهيم بن القاسم الرقيق (المنجي الكمي)، تونس (رفيق السقطي)، ١٩٦٨ م.

تاريخ الجزائر العام، تأليف عبد الرحمن بن محمد الجيلاني، الجزائر (المطبعة العربية) ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م.

تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس = ابن الفرضي.

تاريخ الفكر الأندلسي = بالنشيا.

تاريخ آلن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أمّة وجعلهم الوارثين لعبد الملك ابن صاحب الصلاة (عبد الهادي التازي)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٥ م.

تاريخ النقد الأدبي عند العرب، تأليف إحسان عباس، بيروت (دار الأمانة) ١٩٧١ م.

تالي وفيات الأعيان، تأليف فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي (جاكلين سوبله)، دمشق (المعهد الفرنسي) ١٩٧٤ م.

تراجم أغلبية للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض (استخرجها من «مدارك القاضي عياض» محمد الطالبي)، تونس (المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية) ١٩٦٨ م.

تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، تأليف محمد عبد الله عنان، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م.

تعريف الخلف برجال السلف، تأليف أبي القاسم محمد الحفناوي، الجزائر (مطبعة بيبير فوتتانه الشرقية) ١٩٠٦ م.

التكملة لكتاب الصلاة، تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن

- الأبّار (الفريد بل واين أبي شنب) - وهو القسم المفقود من طبعة قداره زيدى (مجلد ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م) ومن طبعة فنزالش بلنسية (مجلد ١٩١٥ م)، الجزائر (المطبعة الشرقية للأخوين فونطانا) ١٣٣٧ هـ = ١٩١٩ م.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس لأبي عبد الله محمد بن فتوح الحميدى (محمد تاويت الطنجي)، القاهرة (مكتب نشر الثقافة الإسلامية) ١٩٥٢ م.
- جيش التوشيح، تصنيف لسان الدين بن الخطيب (جلال ناجي ومحمد ماضور)، تونس (مطبعة المنار) ١٩٦٧ م.
- الحلة السيرة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبّار (حسين مؤنس)، القاهرة (الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٦٣ م.
- خريدة القصر وخريدة العصر، تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد عماد الدين الكاتب الأصفهاني:
- (قسم المغرب) الجزء الأول.
 - (قسم المغرب والأندلس) (آذرتاش آذرنوش)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٧١ - ١٩٧٢ م.
 - (قسم الأندلس) (عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم)، القاهرة (دار نهضة مصر للطبع والنشر).
- دائرة المعارف الإسلامية (باللغة الانكليزية)، ليدن (بريل) ولندن (لوزاك)، الطبعة الأولى ١٩١٣ م، الطبعة الثانية ١٩٦٠ م.
- درّة المجال
- دودو = كتب وشخصيات، تأليف أبي العيد دودو، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٩٧٠ م.
- داية = تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، تأليف محمد رضوان الداية، بيروت (دار الأنوار) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م.
- الدباح المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف برهان الدين إبراهيم بن علي

بن محمد بن فرحون اليعمري، مصر (عبّاس بن عبد السلام بن شقرون) (١٣٥١ هـ -
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف أبي الحسن عليّ بن بسّام الشنتريني (إحسان
عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م.
الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تأليف محمد محسن آغا بزرك، النجف طهران
١٣٥٥ هـ.

الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك
المراكشي (إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م.
رايات الميرّزين، لأبي الحسن عليّ بن موسى بن سعيد (أميليو غارثيا غوميز)، مدريد
(معهد دون خوان الفلانسي)، ١٩٤٢ م.
الرحلة المغربية جدّو.

رحلة التجاني لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد التجاني (حسن حسني عبد الوهاب)،
تونس (المطبعة الرسمية)، ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م.
روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تأليف عليّ بن عبد الله
ابن أبي زرع الفاسيّ، فاس ١٣٠٣ هـ.

الزبيدي = طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، (محمد أبو
الفضل إبراهيم)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٣ م.
سركيس = معجم المطبوعات العربية والعربية. جمعه ورتّبه يوسف اليان سركيس،
مصر (مطبعة سركيس) ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحمي بن العواد الحنبليّ، بيروت
(المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع) بلا تاريخ (نسخة بالتصوير؟).
شهرات النساء، تأليف حسن حسني عبد الوهاب، تونس (المطبعة التونسية)
١٣٥٣ هـ.

الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (عرّت
الطّار الحسيني)، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٥٠.

صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن الزبير، بيروت (مكتبة خياط) بلا تاريخ (بالتصوير).
طبقات الأطباء = عيون الأنباء .

طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب محمد بن أحمد بن نعيم القيرواني (علي
الشافعي - نعيم حسن اليافعي)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م .
الطمار = تاريخ الأدب الجزائري .

العبر في خبر من غير شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (نفر من العلماء)،
الكويت ١٩٦٠ م .

العرب في صقلية، تأليف احسان عباس، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩ م .
العربي = مجلة العربي (الكويت) .

عنوان الأريب عما نشأ في المملكة التونسية من عالم وأديب، تأليف محمد النيفر،
تونس (المطبعة التونسية) ١٩٥١ م .

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بهجاية لأبي العباس أحمد بن
أحمد الفيريني (رابح بونار)، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع)
١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م .

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تأليف موقق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن
أبي أصيبعة، مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٩٩ هـ = ١٨٨٢ م .

الفهرست = كتاب الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم الوراق البغدادي
(فلوغل)، بيروت (خياط) ١٩٦٤ م (بالتصوير) .

فهرسة ابن خير أبي بكر محمد بن عمر بن خليفة الأموي الاشبيلي (فرنسيسكو قداره
زيدن وخليان رباره طراغو)، طبعة جديدة منقحة (زهير فتح الله) .

بيروت (المكتب التجاري) - بغداد (مكتبة المتنبي) - القاهرة (مؤسسة الخاغمي)،
١٢٨٢ هـ = ١٩٦٣ م (عن طبعة سرقسطة - إسبانية ١٨٩٣ م) .

فوات الوفيات لصالح الدين محمد بن شاكر الكتي، مصر ١٢٨٣ هـ .

القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مصر (المطبعة الحسينية المصرية) ١٣٤٤ هـ.

القدح الملقى = اختصار القدح الملقى في التاريخ الملقى لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد، اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل (إبراهيم الأبياري)، القاهرة (المهنة العامة لشؤون المطابع الأميرية) ١٩٥٩ م.

قضاة الأندلس = تاريخ قضاة الأندلس: كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا لأبي الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي (إ. لبني بروفنسال)، القاهرة (دار الكتاب المصري) ١٩٤٨ م.

القفطي = تاريخ الحكماء لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (يوليوس ليبيرت)، ليبزيغ (ديتريخ) ١٩٠٣ م.

فلاند العقيان ومحاسن الأعيان لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي (عبد سليلان الحراري)، باريس؟ ١٣٧٧ هـ.

كتب وشخصيات = دودو.

المجلد في تاريخ الأدب التونسي، تأليف حسن حسني عبد الوهاب، تونس (مكتبة النار) ١٩٦٨ م.

المحمّدون من الشعراء وأشعارهم لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (حمد الجاسر)، الرياض (دار اليمامة) ١٩٧٠ م.

مختارات نيكل = مختارات من الشعر الأندلسي (جمعها المستشرق أ. ر. نيكل)، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٤٩ م.

المراقبة العليا = قضاة الأندلس.

المسلمون في صقلية = المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، تأليف أحمد توفيق المدني، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٩٦٥ م.

المطرب من أشعار أهل المغرب لأبي الخطّاب عمر بن حسن بن دحية (إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد البدوي)، القاهرة (المطبعة الأميرية)

١٩٥٤ م - .

المطمح = مطمح الأنفس ومسرح التآس في ملح أهل الأندلس لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي، قسطنطينية (مطبعة الجوائب)، ١٣٠٢ هـ. (١٣٠٣ هـ).

معالم الإيمان.

المعجب في تلخيص أخبار المغرب لأبي محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (دوزي)، أمستردام ١٩٦٨ م (بالتصوير؟).

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق.

معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (أحمد فريد رفاعي)، القاهرة (مطبوعات دار المأمون) ١٩٣٦ م = ١٣٥٥ هـ.

معجم أعلام الجزائر.

المغرب في حلى المغرب، لنفر من المؤلفين آخرهم أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي (شوقي ضيف)، مصر (دار المعارف) ١٩٥٣ م.

المقتبس لحيّان بن خلف بن حيّان القرطبي:

- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس (ملشور م. أنطونية)، باريس (بولس كتر الكتي)، ١٩٣٧ م.

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس (عبد الرحمن علي الحجّي)، بيروت (دار الثقافة)، ١٩٦٥ م.

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (عمود علي مكّي)، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.

مقدّمة ابن خلدون، بيروت (المطبعة الأدبية)، ١٩٠٠ م - بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني) ١٩٦١ م.

الملحق = بروكلن.

م م ع ع = مجلّة مجمع اللغة العربي بدمشق.

المنّ بالإمامة = تاريخ المنّ بالإمامة.

المنتخب المدرسي، تأليف حسن حسني عبد الوهاب.

النهل العذب من تاريخ طرابلس الغرب لأحمد بك، الأستانة (مطابع جمال أفندي) ١٣١٧ هـ.

النبوغ المغربي، تأليف عبد الله كتون، بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني) ١٩٦١ م.

النثر الفني في القرن الرابع، تأليف زكي مبارك، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٣٤ م.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني (إحسان عباس)، بيروت (دار صادر) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م.

نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، لأحمد النائب الأنصاري (علي مصطفى المصراقي)، بيروت (منشورات المكتب التجاري)، ١٩٦٣ م.

نكت الحميان في نكت الحميان لصلاح الدين بن أبيك الصفيدي (أحمد زكي بك)، مصر (المطبعة الجاهلية) ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م.

نيكل = Hispano-Arabic Poetry and its Relation with the Old Provençal Troubadours, by A.R. Nykl, Baltimore 1946.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج (بهاش الديباج المذهب).

الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفيدي (علماء مختلفون)، أماكن مختلفة (مطابع مختلفة)، ١٩٣١ م وما بعد.

وفيات ابن قنفذ = ابن قنفذ.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٧٢ م.

تاريخ الأدب العربي في المغرب

المغرب هنا يُقال في مقابل المشرق: إنَّ بصرَ السودان (في قارة إفريقيا) ثم الحجازَ والنَّامَ (في قارة آسية) وما وراءَ هذه شرقاً هو المشرقُ، أما ليبيا وما وراءها غرباً (في قارة إفريقيا) ثم جزيرة سبيلية أو صقلية وشبه جزيرة إبارية - الأندلسُ - (من القارة الأوروبية) فهي المغربُ.

وسكان المغرب في إفريقية وخدة جنسية، على ذلك أجمع الدارسون. وقد عُرفَ المغربُ عندَ أهلِهِ بأَسْمِ بلادِ الأمازيغ (أي الوطن الحرّ)، كما عُرِفَ سُكَّانُهُ بِأَسْمِ الإمازيغين (أي الرجال الأحرار). غيرَ أنَّ تسميةَ سُكَّانِ المغربِ بالبربرِ تسميةٌ قديمةٌ عَرَفَها اليونانُ والرومانُ والأعرابيون^(١) وعَرَفَها العربُ وذكرَها أمرؤ القيسُ في شعرِهِ. أما وَجْهُ اشتقاقِ الكلمةِ «بربر» فقد غابَ - لِقَدِيمِهِ - عن رِوَاةِ اللُّغَةِ وَعِلْمِهَا.

والمغربُ في إفريقية وخدة جغرافيةً، ولكن هذه الوحدة خضعت لتسمياتٍ دالةٍ على أقطارها. هذه التسمياتُ التي عَرَفَها العربُ منذُ الفتحِ كانت أربعةً:

- بَرْقَةُ وَطَرابُلُسُ (وهما اللتان تُعرَفانِ اليومَ باسمِ ليبيا). على أن بَرْقَةَ كانت في الأكثرِ تابعةً في تاريخها لِبِصْرَ، بينما طَرابُلُسُ كانت في الأكثرِ تابعةً لِلْمَغْرِبِ الْأَدْنَى.

(١) الأعرابيون هم سُكَّانُ شبه جزيرة العرب الأَوَّلون - وأكثرهم البدو - وهم الذين كانوا قد خرجوا في موجات متباعدة ثم استقروا في العراق وسورية ومصر والحشة وعرفوا في مساكنهم الجديدة باسمِ الْأُمُورِيِّينَ أو الْأَرَامِيِّينَ أو الْكَنْعَانِيِّينَ أو الْبَالَيْيِّينَ أو العربِ أو غير ذلك. وكانت عادة المؤرخين المتأخرين أن يطلقوا على «الأعرابيين» اسم «ساميين»، نسبةً في ظَنِّهِمْ إلى سام بن نوح والاسم «ساميون» خطأ ليس هنا محلُّ تبيانهِ. أمَّا الاسمُ «أعرابيون» فقد اقترحه الصديق الدكتور زكي عبد الرحمن النقاش - ولد ١٣١٣هـ (١٨٩٦ م) في كتابه «دور العروبة في تراثنا اللباني» (١٩٧٤ م).

- المغرب الأدنى (وهو المعروف اليوم باسم تونس)، وكان الرومان يُطلقون عليه اسم إفريقيا .

- المغرب الأوسط (وهو الجانب الأوسط من المغرب كله، ولا تعرف له حدوداً معينة لا من الشرق ولا من الغرب).

- المغرب الأقصى، وهو الجزء الذي يقع بعد المغرب الأوسط ثم يمتد غرباً إلى البحر الأخضر (المحيط الأطلسي).

وبحسب أن نُشِيت هنا عدداً من الملاحظات تتعلق بالمغرب (في إفريقية) كله:
أ - إن هذه التسميات لا تدل على أقطار معينة، وإن كانت تشير إلى أجزائه المغرب بإضافة بعضها إلى بعض.

ب - ومع أن البربر وخذةً جنسية في الأصل، فإنه قد طرأ عليهم جاليات فامحون (كما حدثت في كل بقعة في العالم)، فإذا هم اليوم مزيج يغلب عليه العنصر البربري، إذ يبدو أن الجوالي كانت قليلة العدد بالإضافة إلى جمهور البربر، كما أن جيوش الفاتحين أيضاً لم تكن كثيرة العدد. ونحن نلاحظ اليوم أن البربر قبائل ذوو خصائص جنسية متفاوتة كما أن هذه القبائل تتكلم بضع لهجات. ويجب ألا ننسى أنه مر على المغرب كله فامحون أو جاليات من الكتانبيين الأعرابيين الذين عرفهم اليونان باسم الفينيقيين ثم من اليونان والرومان ومن الجرمان (الفندال والفوط) الآريين، وأن المغرب كان يتلقى موجات زنجية من الجنوب.

ج - والاعتقاد السائد في المغرب إلى اليوم أن البربر قحطانيون من عرب الجنوب هاجروا إلى بلادهم الحالية من جنوبي شبه جزيرة العرب - ولا تعرف حكم التاريخ في ذلك.

د - كان معظم سواحل المغرب، قبل الفتح الإسلامي، خاضعاً للروم البيزنطيين، وهم الذين كانوا مسئولين على الشام (في المشرق) قبل الفتح الإسلامي في المشرق. وقبل الروم كان الرومان يسيطرون على معظم سواحل

المغرب. فلما جاء الفتح الإسلامي كان للنصارى بمذهبيها الأرثوذكسي (الرومي الشرقي) والكاثوليكي (الروماني الغربي) شيء من الانتشار. أما معظم البربر، على الساحل وفي الداخل، فكانوا على الوثنية. ولقد كانت النزاعات الدينية ناثرة في المغرب كما كانت في ذلك الحين ناثرة في المشرق.

وسكان المغرب أهل بدو وأهل حضارة، فحياتهم من هذه الناحية شبيهة بحال العرب في شبه جزيرة العرب. على أن ظل الحضارة في المغرب أوسع فالعمران فيه أكثر وأقدم عهداً مما في شبه جزيرة العرب حيث نشأ الجنس العربي وتطورت اللغة العربية وجرى الأدب العربي على لسان أهل الأولين. وأما بدو المغرب فتختلف أيضاً من بدو المشرق في أمرين: إن البدو في المشرق دائمو الترحال ينتقلون بمواشيهم من مكان إلى مكان ينتفعون مساقط القيت، حتى إذا جف الماء التجمع في بقعة وتبدع عشبها ارتحلوا إلى مكان آخر. فيبوثهم من أجل ذلك خيام يحملونها معهم حيث ذهبوا. أما في المغرب فليبدو رحلتان: يرحلون في الشتاء إلى مكان ينزلون فيه، ثم يعودون في الصيف إلى مكانهم الأول، ولذلك تراهم في بعض الأحيان يقيمون بيوتاً من حجر. ثم هم فوق ذلك يربون الماشية ويرعون الأرض معاً.

وكثير من عادات أهل المغرب الإفريقي في الحياة الاجتماعية كان يشبه عادات أهل المشرق من البدو، ولا يزال كذلك إلى حد كبير.

الأندلس

أما شبه جزيرة إبارية (إيبيرية، الأندلس: إسبانية والبرتغال) فتقع في الطرف الجنوبي الغربي من قارة أوروبا وتقابل المغرب الأقصى.

لما جاء الفتح الإسلامي كان أهل البلاد الأصليون يعيشون في الأكثر على الزراعة عيشة تكاد. أما الحكم فكان في يد القوط الغربيين، وهم جرمان طارئون على شبه الجزيرة. وكان الحكم القوطي في دوره الأخير ضعيفاً متفككاً فاسداً. وكان أهل البلاد الأصليون يمانون منه ظناً وإرهاقاً.

وكانت النصرانية دعى شبه الجزيرة الإيبيرية: كان الحكام القوط أنفسهم أريوسيين مُنشقين عن الكنيسة الكاثوليكية وعن عقيدة الروم الأرثوذكسية. وكان للكاثوليكية أتباع في البلاد التي كانت تحت سيطرة الرومان من قبل، كما كان لعقيدة الروم الأرثوذكس أتباع حيث كان للروم البيزنطيين سيطرة (على أجزاء من سواحل الجزيرة). ولم يكن النزاع الديني في إيبيرية أقل منه في المغرب الإفريقي ولا أقل مما كان في المشرق قبل الإسلام.

الفتح في المغرب وفي الأندلس

بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر سنة ٢٢ (٦٤٣ م) وفتح بركة صُلحاً. وقبل أن تنتهي سنة ٢٣ كان العرب قد فتحوا جميع ليبيا، في أيام عمر بن الخطاب. وفي أول سنة ٢٧ (حزيران ٦٤٧ م) أذن الخليفة عثمان بن عفان لواليه على مصر عبد الله بن أبي سرح بأن يسير إلى فتح إفريقية (القطر التونسي). واستطاع العرب في عام واحد أن يفتحوا القطر التونسي.

غير أن الفتن التي حدثت في المشرق في أيام عثمان وعلي ومحاولات الروم في استرداد ما كانوا قد خسروه في المغرب - بعد أن توطد حكم العرب في المشرق - جعلت العرب يتراجعون عن إفريقية وعن أجزاء من ليبيا مرة بعد مرة.

ولم تثبت الحكم العربي في المغرب إلا بعد الفتح الرابع، سنة ٤٦ (٦٦٦ م) بقيادة عقبة بن نافع. وفي سنة ٥٠ (٦٧٠ م) بنى عقبة القيروان (ممسكراً) وخط فيه سجداً (عين اتجاهه نحو القبلة، أي نحو مكة)، فأصبح هذا المعسكر مع الأوامر مركزاً مهماً لتجميع الجيوش والسكنى. وسرعان ما أصبح هذا «القيروان» مدينة عظمى مشهورة ومركزاً من مراكز العلم والحضارة في العالم الإسلامي.

وتابع عقبة بن نافع نفسه الفتح في المغرب حتى وصل إلى ساحل البحر، على البحر الأخضر (البحر الاطلسي). غير أن عقبة ترك الحزم وعاد في عدد قليل من أتباعه، فانتهمز الروم والإفرنجية فيه الفرصة وهاجموه عند تهودة في بلاد الزاب،

جَنُوبَ جِبَالِ أَوْرَاسَ قَرِيباً مِنْ بَسْكَرَةَ (فِي الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ) فَاسْتَشْهَدَ وَمَنْ مَعَهُ فِي
أَوَاخِرِ سَنَةِ ٦٣ (آبِ ٦٨٣).

وَقَضَى الْعَرَبُ عَشْرِينَ سَنَةً أُخْرَى أَوْ تَزِيدُ حَتَّى قَضَوْا عَلَى كُلِّ نَفُوذٍ لِلرُّومِ
وَالْإِفْرَنْجَةِ فِي الْمَغْرِبِ. عِنْدَيْهِ اسْتَقَرَّ الْمَغْرِبُ إِلَى الْحُكْمِ الْعَرَبِيِّ وَبَدَأَ الْإِسْلَامُ يَنْتَشِرُ
فِيهِ.

وَفِي سَنَةِ ٨٦ (٧٠٥ م) جَاءَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْخِلَافَةِ فَفَصَّلَ إِفْرِيقِيَّةَ
وَسَائِرَ الْمَغْرِبِ عَنْ وِلَايَةِ بَصْرَ وَوَلَّى عَلَيْهَا مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ.

الفتح في الأندلس

كَانَ فَتْحُ الْأَنْدَلُسِ اسْتِمْرَاراً لِحَرَكَةِ الْفَتْحِ الْعَامَّةِ لِشَرْعِ الدَّعْوَةِ. ثُمَّ كَانَ الْعَرَبُ
يَخَافُونَ أَنْ يَتَّيَسَّرَ الْقُوطُ وَالْإِفْرَنْجَةُ - وَمِنْ وَرَائِهِمُ الرُّومُ - عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ مِنْ جَدِيدٍ.

وَيَبْدُو أَنَّ يُلْيَانَ كَانَ رَجُلًا مِنَ الْأَفَارِقةِ وَزَوْجًا لِبَنَاتِ غَيْطَشَةَ (مَلِكِ الْقُوطِ
الشَّرْعِيِّ الْمَخْلُوعِ) وَالْبَا مِنْ قَبْلِ الْقُوطِ عَلَى سَبْتَةَ. وَكَذَلِكَ كَانَ نَاقِمًا عَلَى لُذْرَيْقِ مَلِكِ
الْقُوطِ الْمُفْتَضِلِّ. وَقَامَ يُلْيَانُ بِمُفَاوَضَةِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ لِتَسْهِيلِ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ عَلَى
الْعَرَبِ. وَبَعْدَ أَنْ أُرْسِلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ حَمَلَتَيْنِ اسْتِكْشَافِيَتَيْنِ فِي عَامَيْنِ مُتَوَالِيَتَيْنِ
بِقِيَادَةِ يُلْيَانَ (٩٠ هـ) ثُمَّ بِقِيَادَةِ مَوْلَاهُ طَرِيفِ (٩١ هـ) أُرْسِلَ حَمَلَةٌ لِلْفَتْحِ (٩٢ هـ
= ٧١١ م) بِقِيَادَةِ مَوْلَاهُ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ.

نَزَلَ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ عَلَى الْبَرِّ الْإِسْبَانِيِّ ثُمَّ اخْتَارَ مَكَانَ الْمَعْرَكَةِ الْمُقْبِلَةِ فِي إِقْلِيمِ
الْبُخَيْرَةِ، عِنْدَ مَدِينَةِ لَكَّةَ مِنْ كُورَةِ شَذُونَةَ قَرِيباً مِنْ نَهْرِ لَكَّةَ. وَجَاءَ لُذْرَيْقُ بِجَيْشٍ
كَثِيفٍ لِلِقَاءِ الْعَرَبِ وَلَكِنَّهُ أَتَاهُمْ لِبَرَاعَةِ الْحِطَّةِ الَّتِي وَضَعَهَا طَارِقُ وَلِأَنَّ نَفَرًا كَثِيرِينَ
مِنْ أَنْصَارِ لُذْرَيْقٍ خَذَلُوهُ فِي إِبَانِ الْمَعْرَكَةِ. وَلَمْ يَغْشُرْ أَحَدٌ بَعْدَ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ عَلَى جُنَّةِ
لُذْرَيْقٍ.

وَقَسَمَ طَارِقُ الْجَيْشَ بَعْدَ مَعْرَكَةِ لَكَّةَ أَرْبَعَ فِرَقٍ سَارَتْ تَفْتَحُ فِي الْأَنْدَلُسِ بِسُرٍّ
وَسُهُولَةٍ لِأَنَّ الشَّعْبَ الْإِسْبَانِيَّ كَانَ يَتَلَقَّى الْعَرَبَ بِالْتَرَحُّابِ حُبًّا بِالتَّخَلُّصِ مِنْ ظُلْمِ
حُكَّامِهِ الْقُوطِ.

ووصلت أخبار الفتح هذه إلى موسى بن نصير فجمع جيشاً جديداً وسار به إلى الأندلس فالتقى بطارق عند مدينة طليطلة. وفي مدى عامين آتت استطاع طارق وموسى أن يمتا فتح شبه جزيرة الأندلس إلا جانباً يسيراً منها (في الشمال الغربي). أما غنائم العرب في الأندلس فكانت عظيمة جداً أعظمها بلا ريب بلاد منحت العروبة والإسلام حضارة وثقافة وأدياً وفناً قل أن عرفت العالم مثلاً.

ولا نعلم السبب الذي من أجله أرسل الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ) إلى موسى بن نصير يدعو إلى الرجوع إلى دمشق. استخلف موسى بن نصير ابنه عبد العزيز على الأندلس وأسكنه في إشبيلية وأمره بمتابعة الجهاد لتوطيد الفتح، ثم قتل، في أواخر سنة ٩٥ (٧١٤ م)، معه طارق بن زياد والغنائم. وجاز موسى إلى إفريقية وعين ابنه مروان على طنجة وابن عبد الله على القيروان. ثم تابع سيره إلى الشرق، في أول سنة ٩٦ (أيلول - سبتمبر ٧١٤ م). فلما وصل إلى طبرية من أرض فلسطين وافاه رسول من سليمان بن عبد الملك - وهو بعد ولي للعهد - يطلب إليه أن يترتب في المسير حتى يكون قدومه على دمشق وسليمان خليفة، لأن الوليد كان مريضاً مرض الموت. غير أن موسى أغد السير وفاء للوليد الذي كان قد وجه الفتوح إلى الأندلس فوصل إلى دمشق والوليد حي في الأغلب.

وجاء سليمان بن عبد الملك إلى الخلافة (٩٦ - ٩٩ هـ) فاتب سياسة يمنية، خلافاً على أخيه وأبيه من قبل في اتباعها سياسة قيسية، فأساء إلى القيسيين ونكس القواد الذين فتحوا الفتوح في الشرق ثم ألقى موسى بن نصير في السجن وأرسل محمد بن يزيد والياً على المغرب وأمره بأن يأخذ آل موسى بن نصير بالتمذيب والقتل وأن يفرمهم ثلاثمائة ألف دينار. وقد كان سجن موسى بن نصير ومقتل ولديه عبد الله وعبد العزيز من الوصايا التي لصقت بسليمان بن عبد الملك أبداً الدهر، ولم يكن لها تفسير أو تعليل سوى القسوة والفظاظة والحقد في قلب سليمان. وتوفي موسى بن نصير في الحجاز بائساً فقيراً ذليلاً (٩٨ = ٧١٦ م). أما طارق بن زياد فقضى بقية عمره خاملاً لا ندري كيف تقلب الدهر به. ثم توفي نحو سنة ١٠٢ (٧٢٠ م).

طبقات الناس (في الأندلس خاصة)

لَمَّا أَسْتَنْبَ الْفَتْحُ فِي الْأَنْدَلُسِ أَصْبَحَ النَّاسُ طَبَقَاتٍ (من حيث العصبية والدين):

١ - المسلمون:

(أ) العرب: الذين جاءوا إلى الأندلس من المشرق ونسلهم. فإذا كانوا قد جاءوا مَعَ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ أَوْ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ (في أول الفتح) فهم «البلديون». أمَّا إِذَا كَانُوا قَدْ جَاءُوا مَعَ بَلْجٍ بْنِ يَشْرِجٍ أَيْنَ عِيَاضِ الْقُشَيْرِيِّ عَلَى رَأْسِ جُنْدٍ أَهْلِ الشَّامِ، فِي آخِرِ عَصْرِ الْوَلَاةِ، فَهُمْ «الشاميون».

(ب) البربر: أهل المغرب الذين انتقلوا إلى الأندلس مع الفتح أو بعده.

(ج) المولدون أو الموالي: وهُم الذين اعتنقوا الإسلام من نصارى الأندلس.

٢ - غير المسلمين:

الْمُسْتَعْرَبُونَ: نصارى الأندلس الذين تعلّموا اللغة العربية فأصبحت لغتهم ينثرون فيها وينظمون.

الْعَجَم: نصارى الأندلس الذين لم يتعلّموا اللغة العربية، وكانوا يتكلّمون لغةً محلية هي مزيج تغلب عليه لاتينية متقهقرة.

الروم والإفرنج والقوط أسك تدلّ على غير المسلمين من غير أهل الأندلس (الروم البيزنطيون والإفرنج البرابرة، الخ). وكانت هذه الألفاظ تُطلقُ أيضاً على النصارى عامة.

اليهود.

الأدب في هذه الفترة

لم يُؤثّر عن عصر الفتح في المغرب والأندلس (٢٣ - ٩٤ = ٦٤٤ - ٦٩٥ م).

أدب، مع الإيقان بأن العرب كانوا في أثناء تلك الفتوح بحاجة إلى شعر وخطابة يستخدمونها في حياتهم الحربية على الأقل. أما الشعر والنثر المرويان عن طارق بن زياد ففيهما موقفان: موقف راجح هو أن خطبة طارق^(١) والأبيات المنسوبة إليه منحولة كلها. وهناك موقف مرجوح (ضعيف) هو أن هذا النثر والشعر لطارق بن زياد نفسه.

وعلى كل، فإننا إذا ألقينا شيئاً من الشعر أو النثر - في هذه الفترة - فإنه يكون قد جرى على لسان عرب من جنود الفتح فيعد حينئذ من أدب المشرق لا من أدب المغرب. من ذلك مثلاً أدب موسى بن نصير^(٢)، فموسى بن نصير كان عربياً فصيحاً بليغاً يُروى عنه شيء من الشعر والنثر.

ويبدو أن البربر في المغرب قد بدأوا يتعلمون القرآن والفقه والنحو منذ أيام (١) تسب إلى طارق بن زياد حطة شهيرة مملها: «أبها الناس، الحر من ورائك العدو من أمامك؛ وليس لكم - والله - إلا الصدق والصبر...».

طارق بن زياد بربري الأصل دخل في الإسلام وفي ولاء موسى بن نصير. ولما جاز طارق برجاله إلى الأندلس للفتح لم يكن قد مر على إسلامه وتعلمه اللغة العربية إلا سنوات لا مردن على حس، فليس من المعقول أن تكون تلك الخطبة من قوله. ثم إن في هذه الخطبة صناعة هي أقرب إلى ما عرف في العصر العباسي. ولم ترد هذه الخطبة في مصدر نعرفه قبل نفع الطيب للفقري (ت ١٠٤١ = ١٦٣١ - ١٦٣٢ م). راجع الخطبة في نفع الطيب ١: ٢٤٠ - ٢٤١، رواها عن بعض المؤرخين.

وكذلك روي لطارق شيء من الشعر منه (نفع الطيب ١: ٢٦٥، عن «المهذب» (للحجاري) و«المغرب» (للأبن السبع).

ركبنا شيئاً بالهزار مقبلاً عسى أن يكون الله مثاً قد اشترى... وهذا أيضاً شعر منحول (راجع في طارق بن زياد، نفع الطيب ٢: ١٥٠ وما بعدها متفرعاً، وراجع في النثر والنثر المرويين لطارق بن زياد، «الأدب المغربي»، ص ١٠٠ - ١٠٣) وراجع في إثبات هذا النثر وهذا الشعر لطارق بن زياد (ولأنداد طارق بن زياد): «النويع المغربي»، ص ٤١ - ٤٢ (من المقدمة)، ٤١ - ٤٢ (من متن الكتاب)، ٣٧٣ - ٣٧٤ (من الخطبة).

(٢) ولد موسى بن نصير سنة ١٩ وتولى المغرب سنة ٨٦ ثم عاد إلى المشرق سنة ٩٦. أما وفاته فكانت في الأغلب سنة ٩٩ (٧١٧ م). راجع، في الكلام على موسى بن نصير، وفيات الأعيان ٣: ١٩ - ١٢٧، نفع الطيب ٢: ١٤٦ - ١٤٩، ١٥٥ - ١٥٦، ٢١٢ - ٢١٦، ٢١٨ - ٢٢٠، ٢٢٢ - ٢٢٧ ثم فيما يتعلق ببلاغته وشعره ٢٥٠ وما بعدها.

عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ (ت ٦٣) فَقَدْ تَرَكَ عُقْبَةُ فِي الْبَرْبَرِ جَمَاعَةً مِنْهُمْ شَاكِرٌ صَاحِبُ الرِّبَاطِ يَعْلَمُونَ الْبَرْبَرَ الْقُرْآنَ وَأُمُورَ الْإِسْلَامِ. وَكَذَلِكَ فَعَلَ مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ فَإِنَّهُ لَمَّا جَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِلْعَاقِ بِطَارِقِ تَرَكَ فِي الْمَغْرِبِ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ يَعْلَمُونَ الْبَرْبَرَ الْقُرْآنَ وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ. وَقَدْ كَانَ الْمُتَنَبِّذُ الْيَافِي^(١) يُحَدِّثُ فِي إِفْرِيقِيَّةٍ بِأَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ.

عصر الولاة (٩٢ - ١٣٨ هـ)

بعد مقتل عبد العزيز بن موسى، في مطلع سنة ٩٨، بقيت الأندلس ستة أشهر بلا والٍ، ثم قدم أهل الأندلس أيوب بن حبيب اللخمي، ابن أخت موسى بن نصير - وكان رجلاً صالحاً - ليؤمهم في صلاتهم. بعدئذ ارتضوه والياً. غير أن والي إفريقية محمد بن يزيد أرسل الحر بن عبد الرحمن الثقفي ليأتي الأندلس مكان أيوب ابن حبيب، في السنة نفسها.

في أيام الحر بن عبد الرحمن تحولت العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة لأن إشبيلية كانت ميداناً واسعاً لنشاط الإسبان ضد الحكم العربي ولأن قرطبة أقرب إلى طريق القوافل. ومنذ أيام الحر بن عبد الرحمن بدأت غزوات العرب وراء جبال البرانس (في بلاد الإفرنجية - فرنسا) لأن البابوية وملوك أوروبا كانوا قد جعلوا بلاد الإفرنجية مركزاً يؤمنون منه الإسبان لقتال العرب.

وفي سنة ٩٩ (٧١٧م) توفي سليمان بن عبد الملك وخلفه عمر بن عبد العزيز. فقام عمر بعزل محمد بن يزيد عن إفريقية وولى مكانه إسماعيل بن أبي المهاجر، كما ولى على الأندلس السنج بن مالك الحولاني. وكان عمر قد قال للسنج أن ينظر في أمور الأندلس، فإذا كان فيها خطر على المسلمين فليقبلهم (يردهم) إلى إفريقية وينسحب من الأندلس. فكتب السنج إلى عمر بأن لا خطر على المسلمين وأن

(١) المنذر الأسلمي، ويعرف أيضاً باسم المنذر الإفريقي لأنه سكن إفريقية (الاستنفا ١: ٤٤) نصح الطبيب ٢: ٢٣٣) راجع استعراض أقوال المؤرخين في المنذر في «الهلل الذهب ١٠: ٤١٠ - ٤٣».

أَحْوَالُهُمْ مُسْتَقَرَّةٌ. عِنْدَئِذٍ أَمَرَ عُمَرُ بِالْبَقَاءِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَالْقِيَامِ بِعَدَدٍ مِنَ
الإصلاحات. وقام السَّيْحُ بِغَزَوَتَيْنِ إِلَى فَرَنْسَا، سَنَةَ ١٠٠ وسنة ١٠٢، فَقُتِلَ فِي
الثَّانِيَةِ مِنْهَا فَاسْتَطَاعَ أَحَدُ الْقَادَةِ فِي جَيْشِهِ - وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَافِي - أَنْ
يَنْسَجِبَ بِالْجَيْشِ بِمَهَارَةٍ فَائِغَةٍ. فَقَدَّمَهُ الْجَنْدُ وَجَمَلَوْهُ وَالْيَا مُوقَتًا عَلَى الْأَنْدَلُسِ.

وَفِي سَنَةِ ١٠١ (٧٢٠م) تُوُفِّيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَخَلَفَهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ،
فَوَلَّى يَزِيدُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ. فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ إِلَى
الْقَيْرَوَانِ (١٠٣ هـ) وَلَّى عَلَى الْأَنْدَلُسِ عُبَيْدَةَ بْنَ سُحَيْبٍ الْكَلْبِيِّ. وَغَزَا عُنَيْسَةُ
فَرَنْسَا (١٠٥ - ١٠٧ هـ) فَصَعَّدَتْ فِي حَوْضِ نَهْرِ رُودَنَةِ (الرُون) حَتَّى وَصَلَ إِلَى
لُوكْسُوِي (فِي مَقَاتِلَةِ سَاوُونِ الْعُلْيَا)، وَهِيَ أَبْعَدُ نَقْطَةٍ وَصَلَ إِلَيْهَا الْعَرَبُ فِي فَرَنْسَا.

معركة بلاط الشهداء : في فرنسا

وَمِنْ وُلَاةِ الْأَنْدَلُسِ الْمَشْهُورِينَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَافِي، تَوَلَّى الْأَنْدَلُسَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ
سَنَةَ ١١٢ (٧٣٠م). قَادَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَافِي جَيْشًا إِلَى فَرَنْسَا فَالْتَقَى بَيْنَ مَدِينَةِ تُورِ
وَمَدِينَةِ بَوَايِيَه (عَلَى نَحْوِ ٢٥٠ كِيلُو مِتْرًا مِنْ بَارِيسَ جَنُوبًا)، بِالْحَاجِزِ (كَبِيرِ الْبَلَاطِ)
قَارْلُهُ وَمَعَهُ جُمُوعٌ لَا تُحْصَى مِنْ جَمِيعِ أَقْطَارِ أَوْرُوبَةِ (مِنَ النَّصَارَى وَمِنَ الْقَبَائِلِ
الْجَرْمَانِيَةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ بَعْدُ قَدْ دَخَلَتْ فِي النَّصْرَانِيَةِ). وَكَانَ عَدَدُ الْعَرَبِ قَلِيلًا جَدًّا،
فَانْهَزَمُوا وَقُتِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَافِي وَكَثِيرُونَ مَعَهُ، فِي شَوَّالِ ١١٤ (أَوَاخِرَ ٧٣٢م).
وَتُغْرَفُ هَذِهِ الْمَعْرَكَةُ بِاسْمِ بَلَاطِ الشُّهَدَاءِ لِكَثْرَةِ مَا اسْتُشْهِدَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَبَعْدَ
هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ سُمِّيَ قَارْلُهُ « ثَارِلْ مَارْتِل » (الْمِطْرَقَةُ).

فتنة ميسرة المضفري: في المغرب الأقصى:

فِي سَنَةِ ١١٥ وَلَّى هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَبَّابِ. وَقَدْ
حَدَّثَتْ فِي أَيَّامِهِ فِتْنَةُ مَيْسَرَةِ الْمُضَفْرِيِّ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْبَربرِ تَقَبَّلَ دَعْوَةَ الصُّفَرِيَّةِ^(١)
مِنَ الْخَوَارِجِ، فَأَرْسَلَ ابْنَ الْحَبَّابِ عَلَى مِضْفَرَةٍ جَيْشًا بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ حَبِيبٍ فَانْهَزَمَ

(١) الصُّفَرِيَّةُ نَسَبٌ إِلَى رَهَادِ بْنِ الْأَصْفَرِ، وَقِيلَ نَسَبٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفَّارٍ (مُطَهِّجِ الصَّادِ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ).

مَضْرُوءَةٌ وَلَمْ يَثْبُتْ، فَقَتَلَهُ أَصْحَابُهُ لِأَنَّهُ أَنْهَزَهُمْ ثُمَّ وَلَّوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ خَالِدَ بْنَ حُبَيْدٍ الزَّنَاقِيَّ وَكَرَّوْا عَلَى جَيْشِ خَالِدِ بْنِ حُبَيْبٍ، عَلَى ضِفافِ نَهْرِ الشَّالِفِ، فَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَدَدٌ كَبِيرٌ حَتَّى عُرِفَتْ تِلْكَ الْمَعْرَكَةُ بِاسْمِ غَزْوَةِ الْأَشْرَافِ.

وَأَسْتَمَرَ الْأَصْطِرَابُ فِي الْمَغْرِبِ وَتَغَلَّبَ الْبَربرُ عَلَى الْأُمُورِ وَقَاتَلُوا الْعَرَبَ فَأَرْسَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ جَيْشًا كَبِيرًا بِقِيَادَةِ كَلْثُومِ بْنِ عِيَاضِ الْقُشَيْرِيِّ، وَعَلَى مُقَدِّمَةِ الْجَيْشِ بَلْجُ بْنُ بَشْرٍ (ابْنُ أُخْتِ كَلْثُومِ بْنِ عِيَاضٍ). وَلَكِنَّ خَالِدَ بْنَ حُبَيْدٍ الزَّنَاقِيَّ تَغَلَّبَ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ، عَلَى نَهْرِ سِجَاوٍ (أَوَاخِرُ ١٢٣ هـ = خَرِيفُ ٧٤١ م)، وَقَدْ قُتِلَ كَلْثُومُ بْنُ عِيَاضٍ فِي الْمَعْرَكَةِ. ثُمَّ إِنَّ التَّرَاخُ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبَربرِ بَدَأَ فِي الْأَنْدَلُسِ وَكَادَ يَنْشَفُجِلُ، وَكَانَ أَمِيرَ الْأَنْدَلُسِ فِي ذَلِكَ الْحِينِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَطَرٍ فَاسْتَقْدَمَ بَلْجُ بْنُ بَشْرٍ مِنَ الْمَغْرِبِ مَعَ عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ (بَعْدَ أَنْهَارِمِهِمْ أَمَامَ الْخَوَارِجِ بِقِيَادَةِ خَالِدِ الزَّنَاقِيَّ).

بَعْدَ أَنْ تَغَلَّبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَطَرٍ، بِمُعُونَةِ بَلْجِ وَأَهْلِ الشَّامِ، عَلَى الْبَربرِ طَمِعَ بَلْجُ بِالْوِلَايَةِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ. ثُمَّ حَدَثَ نِزَاعٌ طَوِيلٌ وَقِتَالٌ بَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَطَرٍ وَبَيْنَ بَلْجِ ابْنِ بَشْرٍ قُتِلَ فِيهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ثُمَّ قُتِلَ بَلْجُ أَيْضًا (نَحْوُ سَنَةِ ١٢٣ = ٧٤١ م).

وَأَضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ فِي الْأَنْدَلُسِ. ثُمَّ أَضْطَرَبَ أَمْرُ بَنِي أُمَيَّةَ فِي الْمَشْرِقِ فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ سُلْطَةٌ لَا عَلَى الْمَغْرِبِ وَلَا عَلَى الْأَنْدَلُسِ، فَأَخَذَ أَهْلُ كُلِّ قَطْرِ يَتَدَبَّرُونَ أُمُورَهُمْ بَأَنْفُسِهِمْ. وَأَنْقَسَمَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ خَاصَّةً ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ مُتَنَاجِرَةً: الْبَربرُ وَالْبَلَدِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ (رَاجِعْ، فَوْقَ، ص ٣٩).

فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ تَوَلَّى الْأَنْدَلُسَ رَجُلٌ مِنَ الْبَلَانِيَةِ (عَرَبِ الْمَجْنُوبِ) أَسَمُهُ أَبُو الْخَطَّارِ حُسَامُ بْنُ ضِرَارِ الْكَلْبِيِّ. خَافَ أَبُو الْخَطَّارُ مِنْ تَجَمُّعِ الشَّامِيِّينَ حَوْلَ قُرْطُبَةَ فَفَرَّقَهُمْ: أَنْزَلَ أَهْلَ دِمَشْقَ فِي الْبَيْرَةِ (مِقَاطَعَةُ غَرْنَاطَةَ) لَشَبِّهِ الْبَيْرَةِ بِدِمَشْقَ وَسَمَّاها «دِمَشْقُ» - وَأَنْزَلَ أَهْلَ حِمصَ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، لَشَبِّهِ مِقَاطَعَةَ إِشْبِيلِيَّةَ بِحِمصَ، وَسَمَّاها «حِمصُ» - وَأَنْزَلَ أَهْلَ الْأُرْدُنِّ فِي مِقَاطَعَةِ رَيَّةَ (فِي أَرْضِ دُونَةِ وَمَالِقَةَ) وَسَمَّاها «الْأُرْدُنُّ» - وَأَنْزَلَ أَهْلَ فِلَسْطِينَ فِي شَدُونَةَ (وَهِيَ مِقَاطَعَةُ شَرِيشَ) وَسَمَّاها «فِلَسْطِينَ» - وَأَنْزَلَ أَهْلَ

يَصْر (وكانوا كثاراً) في مكانين: في مقاطعة باجة من جنوبي غربي الأندلس، وفي مقاطعة تدمير من جنوبي شرقي الأندلس - وأنزل أهل قنسرين في مقاطعة جيان وسماها «قنسرين».

أحداث المغرب

في هذه الفترة (١٢٦ هـ = ٧٤٤ م) تولى المغرب عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عتبة بن نافع، وكان من الذين جاءوا مع بلج ثم جاز مع بلج إلى الأندلس ثم أخرجه أبو الخطار من الأندلس خوفاً منه ومن طموحه إلى السلطة. في هذه المدة اشتمل المغرب كله بين الحوارج من الصفرية والإباضية، فيما بين طرابلس الغرب والمحيط الأطلسي، ثم جعل بعض الحوارج يُقاتل بغضا. واستطاع عبد الرحمن بن حبيب أن يضبط المغرب كله وأن يُخمد تلك الفتنة إلى حين.

العصيات في الأندلس (بين القيسية واليانية)

لم تخف نية أبي الخطار في تفريق أهل الشام على الصميل بن حاتم قائد جند قنسرين، فلم يرص أن ينتقل بمن معه من قرطبة إلى جيان. جمع الصميل وجوه قومه القيسية وعرض عليهم خطته للتغلب على أبي الخطار. وقال لهم: إنا نحن القيسية قليلو العدد، بينا اليانية، قوم أبي الخطار، كثيرون ولكنهم منقسمون. والرأي أن نستميل منهم قوماً ليسوا على وفاق مع أبي الخطار ثم نُقدّم رجلاً منهم للولاية يكون له الاسم ولنا الرسم (الحكم الفعلي). فاستال الصميل بني نخم وبني جذام ثم جعل ثوابه بن سلامة الجذامي والي الأندلس. ووقعت الحرب بين الصميل وبين أبي الخطار فانهزم أبو الخطار ووقع في الأسر فحبسه الصميل. ونجا أبو الخطار من السجن ولكن لم يستطع أن يستعيد نفوذه السياسي.

توفي ثوابه بن سلامة فجاء فاتفق الصميل مع اليانية على أن تتعاقب الولاية بين اليانيين والقيسيين: يكون الوالي في عام قيسياً وفي العام الذي يليه يانياً، وهكذا دواليك. ثم إنه أقنع اليانية بأن يكون البدء بقيسي لأن قيساً هي القبيلة التي ينتمي

إِلَيْهَا الرُّسُولُ، ثُمَّ قَدِمَ لِلوَلَايَةِ يَوْسُفَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيِّ، وَكَانَ رَجُلًا مِنْ نَسْلِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ مُتَقَدِّمًا فِي السِّنِّ لَيْتَنَ الْعَرِيكَةَ لَيْسَ لَهُ أَعْدَاءٌ. فَقَبِلَ الْجَمِيعُ بِهِ وَجَعَلَ الصُّمَيْلُ يَحْكُمُ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ لَمْ يَبْغِ الصُّمَيْلُ بِمَا كَانَ قَدْ وَعَدَ الْيَابَانِيَةَ بِهِ فَظَلَّتِ الْوَلَايَةُ بَعْدَ ذَلِكَ لِيَوْسُفَ الْفَهْرِيِّ اسْمًا وَلِلصُّمَيْلِ فِعْلًا.

ثُمَّ وَقَعَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْيَابَانِيَةِ بِقِيَادَةِ يَحْيَى بْنِ حُرَيْثٍ (وَمَعَهُمْ أَبُو الْخَطَّارِ) وَالْقَيْسِيَّةَ بِقِيَادَةِ الصُّمَيْلِ (وَمَعَهُمْ يَوْسُفُ الْفَهْرِيُّ)، فِي أَوَائِلِ سَنَةِ ١٣٠ (أَوَاخِرَ ٧٤٧م) فَانْهَزَمَ الْيَابَانِيَةُ وَهَرَبَ ابْنُ حُرَيْثٍ وَأَبُو الْخَطَّارِ، وَلَكِنْ جَنَدُ الصُّمَيْلِ أَدْرَكُوهُمْ فَضَرَبَ الصُّمَيْلُ عُنُقَهُمْ وَأَعْنَاقَ نَفَرٍ آخَرِينَ مِنَ الْأَسْرَى الْيَابَانِيَةِ.

وَوَقَّعَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَ يَوْسُفَ الْفَهْرِيِّ وَالصُّمَيْلِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَانَ يَحْتَسِبُ عَلَى نَفُوذِهِ السِّيَاسِيَّ مِنَ الْآخَرِ.

سقوط الدولة الأموية في المشرق

كَانَ لِسُقُوطِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي الْمَشْرِقِ (١٣٢ = ٧٤٩م) وَقِيَامِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ أَثَرٌ فِي الْمَغْرِبِ وَفِي الْأَنْدَلُسِ: أَنْقَسَمَ أَهْلُ الْبِلَادِ فَرِيقَيْنِ، مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَرَى الْأَسْتِمْرَارَ فِي الْوَلَاةِ لِلْأُمَوِيِّينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَرَى مُنَاصَرَةَ الْعَبَّاسِيِّينَ. وَكَذَلِكَ طَمِعَ كَثِيرُونَ بِأَنْ يَسْتَبَدُّوا بِبَعْضِ الْبِقَاعِ مُسْتَفْلِينَ عَنِ الدَّوْلَتَيْنِ. فَكَثُرَتِ الشُّرُوتُ فِي الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ مَعًا. وَتَحَرَّكَ الْخَوَارِجُ فِي الْمَغْرِبِ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْبُرْبُرِ فَضَعُفَتِ سُلْطَةُ الْوَلَاةِ الْعَرَبِ عَنِ ضَبْطِ الْبِلَادِ. وَفِي الْمَغْرِبِ الْأَدْنَى خَاصَّةً (الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ) وَقَعَ النِّزَاعُ بَيْنَ آلِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ عَلَى الْحُكْمِ. وَكَذَلِكَ تَحَرَّكَ الْجَلَالِقَةُ (سُكَّانُ الْجَانِبِ الشَّمَالِيِّ الْغَرْبِيِّ مِنَ إِسْبَانِيَةِ، وَهُوَ الْبَقْعَةُ الَّتِي لَمْ يُسْتَوْلِ عَلَيْهَا الْعَرَبُ) وَجَمَلُوا يُغَيِّرُونَ عَلَى أَطْرَافِ الْأَنْدَلُسِ فِي الشَّمَالِ فَجَلًّا قَسْمٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ تِلْكَ الْأَطْرَافِ.

المظاهر الأدبية في عصر الولاة

حلَّ العربُ لُغَتَهُمْ مَعَهُمْ إلى المغرب والأندلس فكانت تنتشرُ بآنتشارِ الإسلام، غير أن الحاجةَ ظَلَّتْ مُلِحَّةً إلى من يُعَلِّمُ البربرَ في المغرب والمُؤَلِّدِينَ (المسلمين من الإسبان) في الأندلس أمورَ الدين واللغة العربية. أرسلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَشْرَةَ من التابعين (من أهل الجبل الذي تلا جيلَ أصحابِ رسول الله) إلى المغرب لِيُفَقِّهُوا أهلَ المغرب في الدين، من هؤلاء جَبَّانُ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَافِعٍ وَسَعْدُ بْنُ مَسْعُودٍ التُّجِيبِيُّ. ونشأ في المغرب والأندلس طَبَقَةٌ من المُؤَدِّبِينَ الذين كانوا يعلِّمون أبناءَ الخاصة في البيوت ويعلمون أبناءَ العامة في الجوامع والمساجد. ونحن نعرفُ أن الغازيَ بْنَ قَيْسٍ^(١) - في مطلع شبابه، قبلَ دخول عبد الرحمن بن مُعاوية إلى الأندلس (١٣٨ هـ = ٧٥٦ م) - كان مُلتزماً للتأديب (التعليم) في قرطبة. بعدئذٍ رَحَلَ إلى المشرق ولَقِيَ الإمامَ مالِكَ بْنَ أَنَسٍ ونَفَرًا من شيوخ اللغة والنحو كالأصمعيّ (الزبيدي ٢٧٦ - ٢٧٧).

أما النَّزْرُ البِشْرُ الذي وَصَلَ إلينا من النثر والشعر في عصر الولاة (٩٣ - ١٣٨ هـ) فقد قاله مشاركةً من الطارئين على المغرب والأندلس. من ذلك مثلاً أن عُبيدةَ بْنَ عبد الرحمن تَوَلَّى إفريقيةَ والمغربَ سَنَةً ١١١ (٧٢٩ م) بعدَ بِشْرِ بْنِ صَفْوَانَ فأخذَ نَفَرًا من عَمَّالِ بِشْرِ وَأَصْحَابِهِ وَأَسَاءَ إِلَيْهِمْ وَنَكَلَ بِهِمْ. وكان في هؤلاء أَبُو الْخَطَّارِ بْنُ خُبْرَاءِ الْكَلْبِيُّ^(٢) - وكان شريفاً في قومه مَعَ فصاحةٍ وبراعةٍ، وكان قد

(١) راجع ترجمته، تحت، ص ٨٦.

(٢) القاموس ٢: ١٢٢ وفي نواح العروس (الكويت) ١١: ١٩٩. هو حكام بن خزار بن سلامان بن خيم بن ربيعة بن حصن بن صصم بن عدي بن حباب شاعر ولي الأندلس (في خلافة هشام بن عبد الملك) وأظهر المعصية للبابية على المصرية وقتله الصميل (بالنصير) بن حاتم بن شمر (بفتح فكسر) بن =

وَلِيَّ فِي إِفْرِيقِيَّةِ وَبِلَايَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي أَيَّامِ بَشْرِ - فَمَزَلَهُ عُبَيْدُ وَنَكَلَ بِهِ، فَكَتَبَ أَبُو
الْخَطَّارُ إِلَى الْخَلِيفَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا^(١):

أَفَأَنْتُمْ، بَنِي مَرْوَانَ، قَيْسًا دِمَاءَنَا؛ وَفِي اللَّهِ إِنْ لَمْ تُنْصِفُوا حَكَمَ عَدْلٍ^(٢).
كَأَنْكُمْ لَمْ تَشْهَدُوا مَرْجَ رَاهِطٍ وَلَمْ تَعْلَمُوا مَنْ كَانَ تَمَّ لَهُ الْفَضْلُ^(٣).
تَغَاوَلْتُمْ عَنَّا كَأَنْ لَمْ نَكُنْ لَكُمْ صَدِيقًا؛ وَأَنْتُمْ مَا رَعَيْتُمْ لَهَا - فَعِلْ^(٤).

وَمِثْلُ ذَلِكَ خَبَرُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَنْبَابِ^(٥):

كَانَ الْحَنْبَابُ (وَالدُّ عُبَيْدُ اللَّهِ) مَوْلَى لِبْنِي سَكُولٍ، وَقَدْ أَغْتَقَهُ رَجُلٌ اسْمُهُ الْحِجَاجُ
السَّلُولِيُّ. وَنَشَأَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ الْحَنْبَابِ فَكَانَ رَئِيسًا نَبِيلًا وَأَمِيرًا جَلِيلًا بَارِعًا فِي
الْفَصَاحَةِ وَالْمُخَاطَبَةِ حَافِظًا لِأَهَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا وَوَقَائِعِهَا. ثُمَّ تَرَقَّتْ بِهِ الْحَالُ
فَأَصْبَحَ، فِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ١١٦ (٧٣٤م) وَالْيَأَى عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ وَعَلَى الْمَغْرِبِ كُلِّهِ،
وَعَلَى الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا فِيهَا بَعْدُ. وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ فِي تُونِسَ وَدَارَ الصَّنَاعَةِ
(لِبْنَاءِ السُّفُنِ) فِيهَا.

وَوَرَدَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَنْبَابِ، فِي ذَلِكَ الْعَامِ نَفْسِهِ، عُقْبَةُ بْنُ الْحِجَاجِ السَّلُولِيُّ
يُهَنِّئُهُ بِالْوِلَايَةِ فَأَكْرَمَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ. فَفِيضَ أُنْبَاءِ عُبَيْدِ اللَّهِ لِأَنَّ أَبَاهُمْ وَالِيَّ إِفْرِيقِيَّةٍ

= ذِي الْجَوْشِ (بِالْمَنْحِ) الضَّبَائِي. رَاجِعْ أَيْضًا جَدْوَةَ الْقَنْبَسِ ١١٨٨، الْحَلَّةُ السَّرَاءُ ١: ٦١-١٦٦، نَحْجُ
الطَّبِيبَ ١: ٢٣٨ (قَتَلَ أَبُو الْخَطَّارِ سَنَةَ ١٢٩)، ٢: ٢٢-٢٦، دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةُ ١:
١٣٤-١٣٥، الْأَعْلَامُ لِلزُّرْكَانِيِّ ٢: ١٨٧ (١٧٥).

(١) الْحَلَّةُ السَّرَاءُ ١: ٦٤، ١٦٥ رَاجِعِ الْبَيَانَ الْمَغْرِبَ ١: ٥٠.

(٢) - يَا بَنِي مَرْوَانَ، لَقَدْ جَعَلْتُمْ دِمَاءَنَا فَيْثًا (عَبِيَّةً لِسِي قَيْسِ أَعْدَائِنَا) سَلَطْتُمْ أَعْدَاءَنَا عَلَيْنَا.
(٣) كَأَنْكُمْ نَسِيتُمْ أَنَّنَا نَحْنُ (الْبَاهِيَّةُ مِنْ عَرَبِ الْجَوْشِ) كَمَا جَلَّاهُمْ فِي مَرْكَرَةِ مَرْجِ رَاهِطٍ (٨٦ هـ)، وَهِيَ
الْمَرْكَرَةُ الَّتِي وَغَمَتْ قُرْبَ دِمَشْقٍ وَانْتَصَرَ فِيهَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَأَحْلَاهُ الْبَاهِيَّةَ عَلَى الضَّحَاكِ بْنِ قَيْسٍ
وَقَوْمِهِ وَكَانُوا مِنْ أَتَابِعِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ مُتَأَنِّسِينَ فِي طَلَبِ الْخِلَافَةِ. فِي الْأَصْلِ: «تَمَّ». (بِالْأَثَرِ
مَنْقُطَتَيْنِ مِنْ قَوْمِهَا) وَالْأَصَحُّ أَنْ تَكُونَ «تَمَّ» (بِالْأَثَرِ الْمَنْقُوطَةُ ثَلَاثَ لَفْظٍ) هَذَا (فِي تِلْكَ الْمَرْكَرَةِ).

(٤) مَا رَعَيْتُمْ لَنَا فَعِلْ: لَمْ تَعْمَلُوا الْعَمَلَ الَّذِي تَحْسَبُ بِهِ فِي سَبِيلِكُمْ

(٥) الْبَيَانَ الْمَغْرِبَ ١: ٥١-٥٣.

والعرب يبالغ في إكرام رجلٍ من عُرضِ الناس. فجمعَ عبيدُ الله بن الحبَابِ الناسَ وقامَ فيهم خطيباً فقال:

أُثِمَّا الناسُ: إِنَّ نَبِيَّ هَؤُلَاءِ غَرَّتْهُمْ غِرَّةُ الشَّيْطَانِ لِغِرَّةِ السُّلْطَانِ^(١) فَأَرَادُوا أَمْرًا أَخْرَجَ بِهِ عَنِ الْحَقِّ، وَأَنْكَرُوا مَا رَأَوْا مِنْ بَرٍّ^(٢) لِهَذَا الرَّجُلِ. وَإِنَّا أَخْبِرُكُمْ أَنَّهُ مُؤَلَايٍ، وَأَنَّ أَبَاهُ أَغْتَقَ^(٣) أَيُّ! وَأَنَا أَكْرَهُ كِتْمَانِ أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ شَهِيدٌ عَلَيَّ بِهِ^(٤)!

وَفِي سَنَةِ ١٣٧ (٧٥٤ م) ثَارَ الْحَبَابُ مِنْ رَوَاحَةٍ وَعَامَرُ بْنُ عَمْرِو الْعَبْدَرِيُّ وَحَاصِرَا الصَّمِيلِ بْنِ حَاضِرٍ فِي سَرَقِشْطَةَ وَضَبَقَا عَلَيْهِ الْحَصَارَ. وَاجْتَمَعَ أَقْوَامٌ مِنْ أَنْصَارِ الصَّمِيلِ لِنَجْدَتِهِ وَلَكِنْ لَمْ يَجِدُوا سَبِيلًا إِلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ وَالْحَصَارُ مَضْرُوبٌ عَلَيْهِ. وَأَرَادُوا أَنْ يُبَشِّرُوهُ بِالنَّجْدَةِ وَيُسَدِّدُوا مِنْ عَزِيمَتِهِ فَاحْتَالُوا بِأَنْ رَمَوْا إِلَيْهِ، مِنْ فَوْقِ السُّورِ، بِجَارِيَةٍ جَعَلُوا مَعَ كُلِّ حَجَرٍ مِنْهَا وَرَقَةً فِيهَا هَذَا الْبَيْتَانِ^(٥):

أَلَا أَبَشِّرُ بِالسَّلَامَةِ، يَا جِدَارُ؛ أُنَاكَ الْغَوْتُ وَانْقَطَعَ الْحَصَارُ^(٦)؛
أَنْتَكَ بَنَاتُ أَعْوَجَ مُلْجَهَاتٍ عَلَيْهَا الْأَكْرَمُونَ وَهُمْ يَزَارُونَ^(٧)؛

فَقُرِئَتْ الْأَبْيَاتُ عَلَى الصَّمِيلِ - وَكَانَ أُمِّيًّا لَا يَخْطُ وَلَا يَقْرَأُ الْخَطَّ - فَقَالَ لِمَنْ حَوَّلَهُ: «أَبَشِّرُوا، يَا قَوْمُ! فَقَدْ جَاءَكُمْ الْغَوْتُ، وَرَبُّ الْكُمَيْةِ^(٨)». ثُمَّ عُرِضَ عَلَى الصَّمِيلِ أَنْ يُنَاصِرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ (الِدَاخِل) وَيَرْوِجَهُ ابْنَتَهُ (تَمَكِينًا لِلتَّحَالُفِ بَيْنَهُمَا)

(١) حذوهم الشيطان بما أصبح لهم من حركة (قوة) السلطان (الحكم).

(٢) البر: الطاعة والإحسان.

(٣) أغتق: حرّر (أخذ من العبودية).

(٤) الله شهيد عليّ به: الله يعرفه ويوجب عليّ أن أكافيه، فاعلمه.

(٥) أخبار مجموعة ٦٨.

(٦) الجدار كتابة عن الحصار. أبشر بالسّلامة، يا حدار= ثق أن المحاصرين لم يهزقوك. الغوت: النجدة،

المساعدة، الانقاذ من الأس والضييق.

(٧) بنات أعوج: الخبل. كان أعوج حصاناً أصيلاً نسب إليه الخبل الكريمة. يزار: عرب الشمال.

(٨) ربّ الكُمَيْة: أقم (بصاحب) الكُمَيْة: الله.

فقال: أَرَوَيْ^(١) في أمري. بعدئذ رَجَعَ في قوله وقال: «تَأَمَّلْتُ الأَمْرَ فوجدته صَحْبَ المُرَام؛ فبارَكَ اللهُ لَكُمَا في رَأْيِكُمَا وَمَوْلَاكُمَا! فَإِنْ أَحَبَّ غَيْرُ السُّلْطَانِ^(٢) فَلَهُ عِنْدِي أَنْ يُوَابِيَهُ يَوْسُفُ وَيَزُوجَهُ وَيَخْبُوهُ. أَنْطَلِقَا رَاشِدَيْنِ!» وَلَمَّا عَزَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْحَرْبِ قَالَ يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيُّ لِلصُّمَيْلِ: «مَا الرَّأْيُ؟» فَقَالَ لَهُ الصُّمَيْلُ: «بَادِرُهُ السَّاعَةَ، قَبْلَ أَنْ يَنْتَفِعِلَ أَمْرُهُ»^(٣).

أَبُو الْأَجْرِبِ الْكَلْبِيُّ

١ - هُوَ أَبُو الْأَجْرِبِ جَمْعُ نُونٍ الصِّبَّةِ الْكَلْبِي مِنْ الْعَرَبِ (البدو) الطَّارِثِينَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ، كَانَ يَرْحَلُ (حِينًا) وَيَحِلُّ (حِينًا) بِأَكْنَافِ قُرْطُبَةَ. وَقَدْ كَانَ فَارِسًا شُجَاعًا حَتَّى سُمِّيَ «عَنْتَرَةُ الْأَنْدَلُسِ».

لَا نَعْلَمُ مَتَى دَخَلَ أَبُو الْأَجْرِبِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، وَلَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ يَهْجُو الصُّمَيْلَ ابْنَ حَاتِمِ الْكَلْبِيِّ حِينَ ثَارَتِ الْعَصَبِيَّةُ (الْفِتْنَةُ وَالْقِتَالُ) بَيْنَ وَالِي الْأَنْدَلُسِ أَبِي الْخَطَّارِ حَاسِمِ بْنِ ضِرَارِ الْكَلْبِيِّ (وَكَانَ يَمِينِيًّا مِنْ عَرَبِ الْجَنُوبِ) وَالصُّمَيْلِ قَائِدِ جُنْدِ قَسْرِينِ (جِيَانِ)، وَكَانَ قَيْسِيًّا (مِنْ عَرَبِ الشَّالِ)، سَنَةَ ١٢٦ (٧٤٤م). وَكَانَ أَبُو الْأَجْرِبِ قَيْسِيًّا كَالصُّمَيْلِ، وَلَكِنْ الْعَصَبِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ لَمْ تَنْقَسِمَ دَائِمًا أَنْقِسَامًا وَاضِحًا، بَلْ كَانَ فِي كُلِّ فَرِيقٍ مِنَ الْمُتَنَازِعِينَ عَادَةٌ جَاعَةٌ مِنْ عَرَبِ الشَّالِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ عَرَبِ الْجَنُوبِ.

ظَفِرَ الصُّمَيْلُ بِأَبِي الْأَجْرِبِ ثُمَّ عَفَا عَنْهُ فَانْقَلَبَ أَبُو الْأَجْرِبِ يَدُوحَ الصُّمَيْلِ وَبُكَيْتَرُ حَتَّى كَانَ مُعَظَّمُ شَعْرِهِ فِي مَدْبَعِ الصُّمَيْلِ. فَأَقْسَمَ الصُّمَيْلُ أَلَّا يَرَى أَبَا الْأَجْرِبِ إِلَّا أَعْطَاهُ (مَالًا) - كَمَا كَانَ قَدْ فَعَلَ هَرْمُ بْنُ سَيَانَ مَعَ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ -.

(١) رَوَى فِي الأَمْرِ: قَلْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَتَأَمَّلَهُ بَأَنَاءً وَصَبْرًا.

(٢) السُّلْطَانُ: الْحَكْمُ. وَأَسَاءَ: عَرَّاءَ، سَاءَوا نَفْسَهُ. يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيُّ أَمِيرُ الْأَنْدَلُسِ (وَكَانَ الصُّمَيْلُ وَزِيرًا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيِّ). بِمَعْنَى: يَعْطِيهِ (مَالًا).

(٣) بَادَرَهُ: أَسْبَقَهُ (إِلَى الْقِتَالِ). اسْتَفْعَلَ الأَمْرَ (أَصْبَحَ فِعْلًا) شَدِيدًا تَصَبَّحَ سَالِجَةً.

وَكَانَتْ وَفَاةُ الصُّمَيْلِ فِي سَجْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَنَةَ ١٤٢ هـ. وَكَذَلِكَ قَتَلَ يَوْسُفُ الْفَهْرِيُّ فِي السَّجْنِ أَيْضًا سَنَةَ ١٤٢ هـ.

من أجل ذلك كان أبو الأجرِب يُعَبِّدُ لِقَاءَ الصَّمِيلِ (يَلْقَاهُ فِي فَنَرَاتِ مُتَبَاعِدَةٍ). ثم اقتصرَ على زيارته في العيدين فقط (عيد الفطر وعيد الأضحى).

وتوفي أبو الأجرِب في أعقاب عَصْرِ الْوَلَاةِ فِي الْأَنْدَلُسِ، قَبْلَ وَقْعَةِ الْمَصَارَةِ (على ثلاثة وعشرين كيلو متراً غرب قرطبة). وكانت وقعة المصارة في التاسع من ذي الحجة ١٣٨. (١٣ / ٥ / ٧٥٦م).

٢ - كان أبو الأجرِب جَمْعُونَةً من قُدَمَاءِ شُعْرِهِ الْأَنْدَلُسِ، وَكَانَ مِنْ طَبَقَةِ جَرِيمٍ وَالْفَرَزْدَقِ فِي الْمَشْرِقِ يَجْرِي عَلَى مَذَاهِبِ الْعَرَبِ (البدو) فِي الشِّعْرِ لَا عَلَى مَذَاهِبِ الْمُحَدِّثِينَ^(١). وَكَانَ أَبُو نَوَاسٍ يُعْجَبُ بِهِ^(٢).

٣ - مختارات من شعره

- يبدو أنه لم يبق لنا من شعر أبي الأجرِب إِلَّا هَذَانِ الْبَيْتَانِ، وَلَيْسَا مِنَ الْمَدِيحِ:

وَلَقَدْ أَرَانِي مِنْ هَوَايَ يَنْزِلُ عَالِي، وَرَأْسِي ذُو غَدَائِرَ أَفْرَعُ^(٣)،
وَالْعَيْشُ أَغِيدُ سَاقِطُ أَفْنَانُهُ، وَالْمَاءُ أَطْيَبُهُ لَنَا وَالْمَرْعُ^(٤)

٤ - ** جذوة المقتبس ١٧٧ - ١٧٨؛ (الدار المصرية) ١٨٩ - ١٩٠ (رقم ٣٦١)؛ بغية الملتبس ٢٤٤ - ٢٤٥؛ (رقم ٦٢٦)؛ المغرب ١: ١٣٢ - ١٣٣؛ نفع الطيب، راجع ٣: ١٧٧، ٢٢٥.

(١) راجع نفع الطيب ٣: ١٧٧.

(٢) راجع نفع الطيب ٣: ٢٢٥.

(٣) من هواي يزل عال: شاكاً أتنحى بالمهوى تنحاً كاملاً. غداير جمع غديرة: صغيرة (خصلة من الشعر). أفرع: طويل.

(٤) أغيد: جيل، ناعم. فيه سمة وطيب. ساقط أفنانه (أغصانه): أغصانه متدلية مثقلة بالفاكهة، كناية عن طيب العيش. المرع: المرعى - وأغلب المأكّل والمشرب لنا (نحن الشباب).

عبد الرحمن بن زياد

١ - هو أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الماعري الإفريقي، وُلِدَ في بَرْقَة (شرقي ليبيا اليوم)، سَنَة ٧٤ (٦٩٤م) وَهُوَ أَوَّلُ مولودٍ للمسلمين في إفريقية.

أخذ عبد الرحمن بن زياد عن جماعة من علمه القُرب وَرَحَلَ إلى المشرق مراراً: رحل مرةً في أيام هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) ومرةً في أيام مروان بن محمد (١٢٧ - ١٣٢ هـ)، وقد ولّاه مروان بن محمد قضاء القيروان. وَرَحَلَ مرةً أخرى في صدر الدولة العباسية وصحِبَ أبا جعفر المنصورَ قبل أن يَلِيَ الخِلافة.

ولمَّا سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية، سَنَة ١٣٢ (٧٤٩م) كان واليَ إفريقية، منذُ سَنَة ١٢٧، عبدُ الرحمن بن حبيب بن أبي عُبْدَةَ بن عُقْبَةَ بن نافع، فأقرّه أبو العباس السفاحُ (١٣٢ - ١٣٦) عليها ثم أقرّه المنصورُ (١٣٦ - ١٥٨) أيضاً.

ثم حَدَّثَ ما حَمَلَ عبدُ الرحمن بن حبيبٍ على خَلْع طاعة المنصور، وَجَرَتْ أحوالٌ قُتِلَ فيها عبدُ الرحمن بن حبيبٍ (١٣٧ هـ)، فاستطاعَ ابنُه حبيبٌ، في حديثٍ طويل، أن يتولَّى على إفريقية. ثم رأى، تأييداً لمركزه أن يُرَجَّع بإفريقية إلى طاعة العباسيين فأرسل، في ذي الحِجَّة من سَنَة ١٣٧ (أواخر الربيع من عام ٧٥٥م)، إلى المنصور وفداً فيه عبدُ الرحمن بن زيادٍ (ابن الأثير ٥: ٣١٤ - ٣١٥).

وَوَقَعَ عبدُ الرحمن بن زيادٍ في الأسر (لسبب لا نَعْرِفه) ففداه المنصورُ وَرَدَّهُ إلى إفريقية وولّاه القضاء في القيروان. ويبدو أن مُدَّةَه في القضاء طالتَ حتَّى جاء يزيدُ أن حاتمَ والياً على إفريقية (١٥٤ - ١٧٠) فطَلَبَ منه إنفاذَ حُكْمٍ على وجهٍ مُعَيَّن فلم يقبلْ عبدُ الرحمنَ فَمَزَلَهُ.

وكانت وفاة عبد الرحمن بن زياد سَنَة ١٦٢ (٧٧٨م) في الأغلب (ابن الأثير ٦: ١٥٩ راجع البيان المغرب ١: ٨٠) وقيل سَنَة ١٥٦ (ابن الأثير ٦: ١١٢ شذرات الذهب ١: ٢٤٠) أو سَنَة ١٥٧ (ابن الأثير ٦: ١٢).

٢ - كان عبد الرحمن بن زياد نقيّاً ورعاً وزاهداً واعظاً ومحدثاً، تولى القضاء فكان عادلاً في أحكامه صلباً في مسلكه. وكان أديباً بليغاً شاعراً.

وقد كان عبد الرحمن بن زياد بن أنعم من العلماء، روى عنه الحديث جماعة (راجع تراجم أغلبية ٩، ٢٧، ٧١، ٧٧، ١٤٤، ثم ٤٣٦؛ نفع الطيب ١: ٢٧٨، ٢: ٥٧٥، ٣: ٥٨).

٣ - مختارات من آثاره

- لما كان عبد الرحمن بن زياد في العراق اشتاق إلى القيروان فقال:

ذَكَرْتُ الْقَيْرَوَانَ فَهَاجَ شَوْقِي، وَأَيْنَ الْقَيْرَوَانُ مِنَ الْعِرَاقِ!
سِيرَةُ أَشْهُرٍ لِلْيَسْرِ نَصًّا عَلَى الْإِبِلِ الْمُضْمَرَةِ الْعِتَاقِ^(١).
فَأَبْلَغُ أَنْهًا وَبَنِي أَبِيهِ وَمَنْ يُرْجَى لَنَا وَلَهُ التَّلَاقِ:
بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ خَلَّى سَبِيلِي وَجَدَ بِنَا الْمَسِيرُ إِلَى مِرَاقِ^(٢).

- كانت لعبد الرحمن بن زياد أحاديث مرّت فيها الفقرُ التالية:

أنا أوّل مولود في الإسلام بأفريقية - إذا رأيت الهدية دخلت إلى القاضي من باب فأعلم أنّ الأمانة خرجت من كوة داره - ما أمرتُ أراه بباب هشام إلا أرى اليوم طرفاً منه بالقيروان - ما يذكرك المالُ والشرف إلا في صُحْبَتِكَ وصحة من هو مثلك وإني تركتُ عجوزاً (بالقيروان) وإني أحبُّ مُطالعتها^(٣).

(١) العباء: الناقة. النَّص: حث الدابة على السير الشديد. الْمُضْمَرَةُ = الضامرة: التحيلة المحصر القادرة على الهري بسرعة ومدّة طويلة. العتيق: الأصيل، الكريم.

(٢) خَلَّى سَبِيلِي: أخرجني من الأسر! سمح بعودتي إلى الوطن. ناقة مِراق: سريعة جداً (القاموس ٣: ٢٨٣). والملموح هنا أنّ مِراق = اسم مكان.

(٣) ما أمر (من الظلم...). بباب هشام (بن عبد الملك) أي في الدولة الأموية. اليوم (أي في أيام الدولة العباسية) طرفاً (جانباً، قمياً، شيئاً منه). عجوز (كتابة عن أمه). المطالعة: النظر إلى الشيء باستمرار.

- ومن أحاديثه قوله:

أُسرْتُ أنا وجماعةً معي. فَرَفُنَا إلى الطاغية. فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي حَبْسِهِ إِذْ غَشِيَهُ عَيْدٌ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا فِيهِ مِنَ الْحَارِّ وَالْبَارِدِ مَا يَفُوقُ الْمِقْدَارَ^(١). فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ خَطَرَتْ أَمْرًا نَفِيسَةً^(٢) عَلَى الطاغية فَأَخْبِرَتْ بِحُسْنِ صَنِيعِ الْمَلِكِ بِالْعَرَبِ. فَمَزَقَتْ ثِيَابَهَا وَنَشَرَتْ شَعْرَهَا وَسَوَّدَتْ وَجْهَهَا وَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ بِمَنْظَرٍ شَاءَ^(٣). فقال: ما لك؟ فقالت: إِنَّ الْعَرَبَ قَتَلُوا ابْنِي وَزَوْجِي وَأَخِي وَأَيَّي، وَأَنْتَ تَفْعَلُ بِهِمُ الَّذِي رَأَيْتُ؟.....

٤ - * * طبقات علماء إفريقية ونونس ٩٥-١٠٥ تراجم أغلبية - راجع الفهرست ص ١٤٣٦ ابن الأثير ٥: ٣١٥: ٦: ١٢: ٥٩: البيان المغرب ١: ١٨٠: شذرات الذهب ١: ٢٤٠: عنوان الأريب ١: ١٩ - ٢٠: مجمل الأدب التونسي ٣٢ - ١: الأعلام للزركلي ٤: ٧٨ (٣: ٣٠٧).

-
- (١) الطاغية: الطام (ملك الروم). غشيه عيد: حل عيد من أعياد قومه. من (الطعام) الحار والبارد (من أنواع الطعام). ما يفوق (يزيد على) المقدار (الضروري).
(٢) خطرت (جاءت تتبخر). نفيسة على الطاغية: عزيزة، ذات مكانة عنده.
(٣) سَوَّدَتْ وَجْهَهَا: وضعت عليه لوناً أسود (كتابة عن الحزن). شَاءَ (شَوَّهَ؟).

بنو أمية في قرطبة

تَنَقَّبُ الدولة الأموية في قرطبة جُفَيَّتَيْن: جُفَيَّةُ الأُمراء المتوارثين، مِنْ سَنَةِ ١٣٨ إلى سنة ٣١٦ (٧٥٥ - ٩٢٩ م)، وَهَمُ الأُمراء الذين حكموا الأندلس من غير أن يَتَسَمَّوْا بِأَسْمِ خَلِيفَةٍ؛ ثُمَّ جُفَيَّةُ الخلفاء، مِنْ سَنَةِ ٣١٦ إلى سنة ٤٢٢ (٩٢٩ - ١٠٣١ م).

عصر الأُمراء المتوارثين (١٣٨ - ٣١٦ هـ)

لَمَّا سَقَطَتِ الدولة الأموية في المَشْرِقِ (١٣٢ = ٧٤٩ م) تَتَبَعَ العبَّاسيون أُمراءَ البيتِ الأمويِّ المَالِكِ بالقتل. وَكَانَ مِنْ نَجَا من القتل عبدُ الرحمن بنُ معاوية بنِ هشام بن عبد الملك بن مروانَ فَأَسْتَطَاعَ أن يَصِلَ إلى الأندلس وأن يَجْمَعَ حَوْلَهُ أنصاراً مِنْهُمُ الصُّمَيْلُ بن حاتم. وَلَكِنْ قِتَالاً نَشِبَ بَيْنَ عبدِ الرحمن بنِ معاوية وَعبدِ الرحمن الفهريِّ أَنتَصَرَ فِيهِ عبدُ الرحمن بنُ معاوية فَبُوعِيَ لَهُ بالإمارة في قرطبة يَوْمَ عيدِ الأَضْحَى (العَاشِرُ من ذِي الحِجَّةِ) ١٣٨ (١٣ / ٥ / ٧٥٦ م). ثُمَّ دَخَلَ عبدُ الرحمن الفهريُّ في طَاعَةِ الأميرِ عبدِ الرحمن بنِ معاوية. وَقَدْ سُمِّيَ عبدُ الرحمن بنُ معاوية عبدَ الرحمن الداخلِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ من دَخَلَ الأندلسَ مِنَ الأمويِّينَ في أحوالِ قَاسِيَةٍ جَدًّا.

حَاوَلَ الخليفةُ العبَّاسيُّ أبو جعفر المنصورُ (١٣٦ - ١٥٨) أن يُبَيِّرَ في الأندلسِ فِتْنَةً عَلَى عبدِ الرحمن الداخلِ، وَلَكِنْ عبدُ الرحمن الداخلُ تَغَلَّبَ عَلَى تِلْكَ الْفِتْنَةِ وَشَيْكَاً. فَأَدْرَكَ أَبُو جعفر المنصورُ أَنَّ لَا فَائِدَةَ مِنْ مُقَاوَمَةِ عبدِ الرحمن الداخلِ وَسَاءَ صَفَرُ قُرَيْشٍ إِعْجَاباً بِهِ وَبِمَقْدِرَتِهِ عَلَى الدَّخُولِ إِلَى الأندلسِ وَالْأَسْتِيلَاءِ عَلَى الْمُلْكِ فِيهَا.

ثارت على عبد الرحمن الداخل فتنة كثيرة فتغلب عليها كلها، وقد قُتِلَ الصَّمِيلُ بنُ حاتمٍ وعبدُ الرحمن الفهريُّ في فتنةٍ من تلك الفتن، سنة ١٤٢ (٧٥٩ م). وقطع عبدُ الرحمن الداخلُ صلته بإفريقية وتركها للمُتَنَزِّعين فيها. ثم إنه لم يُحاول أن يُغيظَ العباسيين فلم يتَّسم بالخلافة احتراماً لحقهم فيها وتجنباً للنزاع معهم.

الحوارج في أقطار المغرب

لما جد الأمويون في المشرق في تنسُّع الحوارج، انتقلَ عددٌ من فِرَقِ الحوارج إلى المغرب كالأزارقة^(١) والصُّفْرية^(٢) والإباضية (وسياقي الكلام على النشاط السياسي للحوارج مُفرَّقا في أماكنه). ولكن لا بدُّ هنا من كلمة في «الإباضية» لأنهم كانوا أبعدَ أثرًا في تاريخ المغرب: من طرابلس (في غربي ليبيا) إلى المغرب الأقصى على شاطئ المحيط الأخضر (الاطلنطقي). وهم وحدهم الذين استطاعوا أن يؤسِّسوا دولةً بالمعنى المألوف، هي الدولة الرُّسَمِيَّة.

الإباضية أتباع عبد الله بن إِباض^(٣) التميمي. وهو من التابعين (الذين أدركوا صحابة رسول الله ولم يدركوا رسول الله نفسه). ويبدو أنه من أهل الكوفة ثم خرجَ

(١) الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق (ت نحو ٦٥) كانوا كثيري التشدد في كلِّ شيء: حكموا على مخالفهم بالشرك واستباحوا قتل المخالفين لهم مع نساءهم وأطفالهم (راجع «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي، ص ٥٠ - ٥٤). قالوا: كلُّ ذنب صاحبه مشرك.

(٢) الصفريَّة هم أتباع زياد بن الأصغر، في المشرق، يتشددون كالأزارقة، ولكن لا يقولون بقتل النساء والأطفال من مخالفهم. (الفرق بين الفرق، ص ٥٤ - وما بعد).

(٣) راجع ترجمة مبسطة لعبد الله بن إِباض: الاعلام للزركلي ٤: ١٨٤-١٨٦ (٦١-٦٢). وفي النشأة السياسية للمذهب، راجع «مختصر تاريخ الإباضية» وفي آراء الإباضية، راجع الفرق بين الفرق ٦١ وما بعد.

ويبدو أنَّ الصفريَّة كانوا ذوي النشاط الملحوظ في المغرب كلَّه منذ ظهرت دعوة الحوارج عامة، وخصوصاً في قبيلة برغواطة، سنة ١٢٢ (ابن عديري ١: ٥٢، شذرات الذهب ١: ١٦٠). واستطاع أمير إفريقية محمد بن الأشعث الحزاعي (١٤٣-١٤٨)، في مطلع إمارته أن يهزم الإباضية في معركة قتل فيها زعيمهم أبو الخطاب. فلما علم بذلك عبد الرحمن بن رستم الإباضي فرَّ إلى نواحي تيمهرت فاختطها ونزلها (١٤٤ = ٧٦١ م). وبذلك انتقل المذهب الإباضي في المغرب من حركة فقهية إلى تنظيم سياسي، ومن جماعة دينية إلى دولة.

إلى الحجاز ليشارك في قتال الجيش الأموي، فقد كان معاوية بن يزيد قد أرسل مسلماً أميناً [عقبة المُرِّي، سَنَة ٦٣، بجيش كثيف لقتال أهل المدينة الذين كانوا قد خلعوا بيعته بني أمية]. وكان عبد الله بن إباباض في أيام معاوية (٤٠ - ٦٠ هـ) ثم بقي إلى آخر أيام عبد الملك (٨٦ = ٧٠٥ م).

والإباباضية ليسوا، على الحضر، من الخوارج. ويبدو أن الذي حمل المؤرخين والفقه على عدِّهم في الخوارج أمران: عداؤهم لبني أمية ثم تشدُّدهم في عدد من مسائل الاعتقاد والعبادة. فهم يعتقدون أن عثمان بن عفان سارَّ مذبذبةً بسيرة أبي بكر وعمر ثم لأن لقومه الأمويين في إعطائهم من الدنيا أكثر مما يستحقُّون وفي جمعه الأموال وفي مخالفة عمر في بعض الأمور، ثم نفى أبا ذرَّ الغفاري عن المدينة وغير ذلك مما لا يجوز في الإسلام. ثم استمرَّ عداؤهم لجميع خلفاء بني أمية الذين كانت دولتهم دينوية ظالمة. وهم يُجلِّون الإمام علياً ويجلِّون عبد الله بن عباس. ثم إنهم يزعمون أن الخوارج كانوا أولاً على الحق ثم فارقوه. وهم يتبرأون من نافع بن الأزرق وأتباعه.

وبعد ابن إباباض رأس الحركة أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي (١٨ - ٩٣ هـ)، ولَّدَ قَرَبَ نَزَوَى في عُمان (بضم العين واهمال الميم: في الطرف الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة العرب). وكان عالماً كبيراً وفقياً مجتهداً. ويرى سليمان الباروني (مختصر تاريخ الإبابضية ٢٩) أن المذهب كان يجب أن يُنسب إليه لأن ابن إباباض نفسه كان لا يبيِّن أمراً إلا بمشورته ورضاه! ولجابر كتاب في الفقه عنوانه «ديوان جابر» فقد فيها بعد.

ومنذ هذا الحين، في أيام عبد الرحمن الداخل، كانت المذاهب الخارجية قد انتقلت إلى المغرب وأخذت تُرسَلُ جُذُورَها إلى كلِّ جهة. وقد شجَّع على ذلك تحلي عبد الرحمن الداخل عن الاهتمام بشأن المغرب لكي يتوفَّر على الاهتمام بالأندلس وحدها.

وأدركت الخلافة العبَّاسية ذلك فجعلت تُرسَلُ إلى المغرب ولادة على أقطاره.

ليملأوا الفراغ الذي أحدثه سقوط الخلافة الأموية في المشرق وانصراف عبد الرحمن الداخل عن مشاكل المغرب.

والجدير بالذكر أن الإباضية الذين كانوا يميلون إلى العباسيين - إلى رجال البيت العباسي - أخذوا الآن يُقاومون الولاة العباسيين ويثورون عليهم.

لم يُحاول الأمير عبد الرحمن أن يُحارب الإسماعيليين، ولا اتفق أن يغزا الإسماعيليين الأراضى الداخلة في حكم عبد الرحمن. ولكن لما غزا ملك الفرغجة شارلمان الأندلس (١٦١ هـ = ٧٧٨ م) تصدّى له عبد الرحمن وهزمه. ثم تقطّع جيش شارلمان في أثناء تلك الهزيمة في ممر روتشبالس (في الأفرنجية: رونسفو) عبر جبال البرانس (البيرنيه). ومن هذه الهزيمة نشأت الملحمة الفرنسية القديمة: أغنيّة رولان.

توفي عبد الرحمن الداخل (١٧٢ = ٧٨٨ م) فخلفه ابنه هشام الرضى، وقد نازعه أخواه سليمان وعبد الله الحكم ولكنه تغلب عليهما ثم أرضاهما بال دفعه إليهما فانتقلا إلى المغرب وصفا الحكم هشام. وفي سنة ١٧٦ قام ملك جيليقية برمودة الأول بمهاجمة الأندلس، ولكن هشام الرضى هزمه. ثم تابعت غزوات العرب إلى جيليقية.

وفي أيام هشام الرضى انتقل المذهب المالكي إلى الأندلس. والذي يلاحظ أن المذاهب الشيعية ومذاهب الخوارج التي كثر انتشارها كلها في المغرب لم ينتشر شيء منها في الأندلس.

وبعد هشام جاء ابنه الحكم، سنة ١٨٠ (٧٩٦ م). وأول ما اصطدم به الحكم سقوط مدينة برجلونة (برشلونة) في يد شارلمان (١٨٥ = ٨٠١ م). ثم كانت هيجتنا الربض، وذلك أن الدعوة العباسية ودعاة الفاطميين الشيعة انبثوا بين طبقات العامة في الربض (الضاحية الجنوبية من قرطبة) يثيرون النعمة على الحكم. ثم زادت النعمة على الحكم لأنه كان مندفعاً في لذاته ظالماً في فرض الضرائب وفي معاملة الناس. وقد كان اتخذ حرساً من النصارى وجعل لهم رئيساً منهم أيضاً هو ربيعة بن تيودولفو. فأجتمع الفقهاء - وأبرزهم يومذاك يحيى بن يحيى اللبني وطالوت بن

عبد الجار - مع العامة وقاموا بتهجئتين (ثورتين). فبعد الهيجة الأولى، سنة ١٨٩ (٨٠٧ م) قتل الحكم اثنين وسبعين رجلاً من رؤساء الفتنة. وبعد الهيجة الثانية، سنة ٢٠٢ (٨١٨ م)، أجلي عن الأندلس ستين ألفاً هاجروا إلى المغرب وبصر وجزيرة كريد. ومنذ ذلك الحين عُرف الحكم باسم الحكم الرضي.

وفي تلك الأثناء، سنة ١٩١ (٨٠٧ م)، قام عمرو بن يوسف والي طليطلة بالقضاء على رؤساء الفتن في وقعة عُرفت باسم وقعة الحفرة، لأنه كان يُلقب الضحايا في حفرة كبيرة وراء قصر طليطلة.

وبعد الحكم (ت ٢٠٦ = ٨٢٢ م) جاء أبنة عبد الرحمن الأوسط^(١)؛ وفي أيامه كان عام الجماعة (٢٠٧ هـ). وفي أيامه أيضاً كانت غزوة الجوس الأردمانيين (الشاليين من سكان دينافية في شمالي أروية، ومن الدفارك خاصة) فقد هاجم الجوس الأندلس بمجاعات كبيرة وعلى دفعات متلاحقة. ومع أن أهل الأندلس صدوا هؤلاء الجوس فقد قُتل من المسلمين في الأندلس عدد كبير جداً. ثم كانت حركة الاستخفاف:

هذه الحركة نظمها البابوية ودولة الإفرنجية (فرنسة) وكان رئيسها في الأندلس الراهب أولوغويس، وأما مؤولها فكان ألبارو اليهودي. وكان مدار الحركة أن يقوم راهب أو رجل نصراني من العامة قرب الجامع أو في ساحة عامة ثم يشتم محمداً. فكان عوام المسلمين يشورون إلى هذا «الاستخفاف» فيضربونه أو يقتلونه. ولكن رجال الدين المسيحي في الأندلس نفىها شجبوا هذه الحركة الطائشة؛ ثم تمكن عبد الرحمن الأوسط بحكمته من تخفيف جذتها.

وكنشرت الثروة في أيام عبد الرحمن الأوسط فانتعت الحضارة وعم الترف فأقام عبد الرحمن بلاطاً جمع فيه أسباب الترف واللهو ثم استقدم زرياب مغني العراق وتلميذ إسحاق الموصلي كما نقل طراز الحياة العباسية إلى بلاط قرطبة.

(١) يقال لعبد الرحمن بن الحكم: عبد الرحمن الأوسط (الثاني) بالإضافة إلى عبد الرحمن بن معاوية الداخل (الأول) وإلى عبد الرحمن بن محمد الناصر (الثالث).

وفي أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣) ثم الفضل على حركة الاستخفاف، ولكن ثارت فتنة أوسع مدى وأكثر خطراً هي ثورة عمر بن حفصون، وكان رجلاً يتظاهر بالإسلام فجمع حوله بأسر الدين جمعاً من العامة، ومن ذوي الاتجاهات المختلفة وآستولى على رقعة واسعة من الأندلس وشغل الأمراء بحرب طويلة شديدة. وقد كانت البابوية ودولة الفريجة وراء هذه الحركة أيضاً.

ثم جاء الأمير منذر بن محمد فبقي في الحكم سنتين. ثم خلفه أخوه الأمير عبد الله (٢٧٥ - ٣٠٠)، والأحوال مضطربة في كل مكان حتى بلغت الدولة الأموية في قرطبة ذروة ضعفها. وبدأت الأندلس تنجزاً دويلات.

تنازع آل الحجاج وآل خلدون الحكم على إشبيلية وما حولها ثم استبد بإمارة إشبيلية آل الحجاج ونزح آل خلدون إلى إفريقية (تونس)، سنة ٢٨٦ (٨٩٩ م). واستقل آل نجيب استقلالاً تاماً بسرقة وقلة أيوب وما حولها، كما استولى بنو ذي النون على طليطلة.

ثم إن أمراء الأمويين أخذوا يتنازعون في سبيل التفرد بالحكم في قرطبة نفسها. فخاف الأمير عبد الله مغبة هذا النزاع وأراد أن يوطد الملك للعرب في الأندلس فقتل آبنين من أبنائه: محمداً وطرفاً وعدداً من إخوته ثم جعل ولاية العهد لحفيد عبد الرحمن بن محمد المقتول وأحاطه بنصر من الرجال الذين كان يثق بهم.

وكانت وفاة الأمير عبد الله، سنة ٣٠٠ (٩١٢ م)، والضعف والاضطراب في ذروتها.

الحياة السياسية في المغرب كله

(في أثناء عصر الأمراء المتوارثين في قرطبة)

(١) في إفريقية: المغرب الأدنى (القطر التونسي)

أراد العباسيون أن يتسلطوا نفوذهم على المغرب فأرسل أبو جعفر المنصور، في

سنة ١٤٤، محمد بن الأشعث والياً على القيروان، فقام ابن الأشعث بقتال أبي الخطاب عبد الأعلى، رئيس الخوارج فهزمه ودخل القيروان. وفي سنة ١٤٨ جاء الأغلب بن سالي التميمي لنشر الدعوة العباسية وقاتل الخوارج الصُفْرية مدة طويلة ثم أصيب، في أثناء قتالهم، بسهم فأتى متأثراً بذلك، سنة ١٥٠ (٧٦٧ م). وقد ظل الأمر في القيروان وما حولها مضطرباً بحركات الخوارج حتى قامت الدولة الأغلبية.

في سنة ١٨٣ استنجد محمد بن مقاتل العكبي بعامل الزاب (المغرب الأوسط) إبراهيم بن الأغلب، فأمرع إبراهيم إلى القيروان واستطاع أن يُقرّر الأمن ويضبط الأمور. عندئذ أمر هرون الرشيد بعزل محمد بن مقاتل العكبي عن إفريقية وبتولية إبراهيم بن الأغلب عليها. واقترح إبراهيم بن الأغلب على هرون الرشيد أن يفوض إليه شيئاً من الاستقلال الداخلي فيتنازل عن مائة ألف دينار كانت تُرد إليه من بغداد لإدارة إفريقية ثم بيعت هو من إفريقية إلى بغداد بمائة ألف دينار في العام. فكتب الرشيد إلى إبراهيم بن الأغلب (١٨٤ = ٨٠٠ م) يُوليه إفريقية على هذا الشرط. فأقام إبراهيم بن الأغلب دولة في القيروان آتت فيما بعد حتى امتدت من برقة (على حدود مصر) إلى وُلِّي على مقرية من فاس الحاضرة.

وفي أيام إبراهيم بن الأغلب رحل الإمام أبو سعيد سَخُونُ بن سعيد إلى المشرق (١٨٨ - ١٩١). فلما عاد ثبت مذهب الإمام مالك في المغرب.

ومن أشهر الأمراء الأغلبية زبادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ) بعث القاضي أسد بن الفُرات على رأس أسطول كبير ففتح جزيرة صقلية، سنة ٢١٢ (٨٢٧ م)، وقام بإصلاحات كثيرة.

وبنى إبراهيم الأصغر (٢٦١ - ٢٩٠)، تاسع الأمراء الأغلبية، مدينة رقادة ونقل العاصمة إليها من مدينة العباسية. وفي أيامه اتسع الفتح العربي في جزيرة صقلية ثم سار هو بنفسه على رأس جيش كبير للفتح في شبه جزيرة إيطاليا، فأصيب بسهم في أثناء حصار مدينة كسنتة (كوسنترا) فأتى.

كانت ليبيا تابعة في إدارتها السياسية لإفريقية (القطر التونسي). في سنة ١٤٠ قاد عبد الملك بن أبي الجعد الورفجومي قبائل ورَفْجُومة فاستولى على القيروان وقتل وإيها حبيب بن عبد الرحمن. وفي السنة التالية جمع أبو الخطاب عبد الأعلى بن عبد الرحمن بن السَّمْع المَعافري، وكان من وجوه العرب، جُمُوعاً من العرب والبربر وقصد طرابلس الغرب وأستولى عليها. ثم إنه سار إلى القيروان وأخرج منها قبائل ورَفْجُومة وقتلهم. وفي هذا القتال سقط عبد الملك الورفجومي صريعاً.

وبلغ أبا الخطاب عبد الأعلى أن الخليفة أبا جعفر المنصور أرسل ولاية للاستيلاء على طرابلس الغرب فاستخلف على القيروان عبد الرحمن بن رُسْتَم الفارسي وعاد هو إلى طرابلس للدفاع عنها. فنشأت بذلك دولة أُمّة نفوسة الإباضيين (١٤٠ هـ) في الجانب الجبلي من الجنوب الغربي من ليبيا. (قبل قيام الدولة الإباضية في تيهرت من المغرب الأوسط: الجزائر اليوم).

وتاريخ ليبيا في هذه الحقبة ثورات متلاحقة وحروب. ومع أن الدولة الأغلبية قد استولت على ليبيا فإن قبائل هَوارة ونَفُوسة ولواتة وغيرها ظلت تَأبى الخضوع للمبَاسِين وللأغلبة.

(٣) المغرب الأوسط (الجزائر)

كان المغرب الأوسط أيضاً مضطرباً بحركات الحوارج الصُفْرية والإباضية زَمَنًا طويلاً. ثم لما قُتِلَ أبو الخطاب عبد الأعلى المَعافري في حرب الوالي المَبَاسِي مُحَمّد ابن الأشعث هَرَبَ عبد الرحمن بن رُسْتَم (خليفة أبي الخطاب على القيروان) إلى قبيلة لَمَاة في جبل سوفجج (في المغرب الأوسط) فاجتمع عليه الإباضية فانتقل بهم وبين كان مَعَهُ أيضاً إلى تِيهَرْت المعروفة اليوم باسم تاقدمت. وبعد أمدٍ طويل، في سنة ١٦٠ (٧٧٦ م) بايع الإباضية بالإمامة لعبد الرحمن بن رُسْتَم وأقاموا دولة

إباضية، وصلت حدودها شرقاً إلى طرابلس الغرب وقابس وجزيرة جربة. ولما توفيَّ عبدُ الرحمن بن رُسْتَم (١٧١ - ٢٨٧ م) بُويع بالإمامة بعده لابنُه عبد الوهاب. ثم جاء الإمام أفلح بن عبد الوهاب فحكَّم حسين سنة (١٩٠ - ٢٤٠).

والإباضية يكرهون أن يدعُوهم الناس «خوارج» لأنهم يسرون في الحكم والحياة بحسب القرآن الكريم والسنة النبوية ولكن بمفهوم الأئمة الإباضية. ومع أن الأئمة الإباضية كانوا يتوالون في الدولة الرستمية من الأب إلى ابنه، فإن هؤلاء كانوا يميثون بالانتخاب، أو على الأصح بموافقة أهل الحل والعقد، إذ كانوا لا يؤمنون بخلافة وراثية، وإن كان نظام الحكم في دولتهم - من الناحية العملية - خلافة وراثية كما كان الشأن في الدولة الأموية والدولة العباسية.

(٤) المغرب الأقصى

بعد قتل ميسرة المصغري قام بأمر قبيلة برغواطية طريف بن صالح البرغواطي فتنبأ لأتباعه، سنة ١٢٧، وأمرهم بمخراقات وبدع. وبعد مدة طويلة سافر إلى المشرق وانقطعت أخباره.

ثم اضطرب الأمر في المغرب وتداول الاستيلاء عليه عبد الرحمن بن حبيب ثم أخوه إلياس بن حبيب ثم حبيب بن عبد الرحمن. بعدئذ عاد الإباضية إلى القوة لما استولى أبو الخطاب عبد الأعلى على طرابلس والقيروان والمغرب. ثم علا أمر الصُفْرية في آل مدرار المكناسيين بناحية المغرب فنقضوا طاعة العرب وولوا على أنفسهم عيسى بن يزيد الأسود من موالي العرب ومن رؤوس الخوارج واختطوا مدينة سجلماسة، سنة ١٤٠. وكان ملك بني مدرار في سجلماسة طويلاً جداً (١٤٠ - ٣٠٩) ولكن كثير الاضطراب.

الدولة الإدريسية

بعد معركة فتح (قرية مكة، سنة ١٦٩) لجأ إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ووصل إلى المغرب ونزل في وُكيلي عند أميرها إسحق بن

عبد الحميد الأوزبي، سنة ١٧٢ (٧٨٨ م) فبايعته قبائل أوزبة على الإمارة. وغزا إدريسُ عدداً من القبائل - وكانت منها قبائل لم تكن قد دخلت في الإسلام بعدُ فأسلمت - ودخلت كلها في طاعته. ويُقال إن هرون الرشيد لما علم بأمر إدريس في المغرب أرسل إليه من سقاه سقاً فأت، سنة ١٧٧ (٧٩٣ م).

ولم يكن لإدريس ولد، بل كانت له أمة اسمها كنزة حامل في شهرها السابع. فعهد البربر بالأمر إلى مولى لإدريس اسمه راشد رثينا فصنع كنزة حملها. وولدت كنزة غلاماً سمي إدريس بأسم أبيه، وقام راشد على تربيته وتثقيفه. ولما بلغ إدريس الحادية عشرة بويع بالإمامة وأجمع عليه أهل المغرب الأقصى، وأصبح يُعرف بأسم إدريس الأزهر أو إدريس الثاني.

ولما ضاقت مدينة ولبلي بالدولة الجديدة خط إدريس الثاني مدينة فاس، سنة ١٩٢. ولما تم بناء فاس خطب إدريس خطبة قال فيها:

..... اللهم، إنك تعلم أنني ما أردتُ بينك هذه المدينة مُساهة ولا مغامرة ولا سُعة ولا مُكابرة، وإنما أردتُ أن تُعبدَ فيها ويُتلى كتابك وتقام حدودك^(١) وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم. اللهم، وفق سُكَّانها وقطَّانها للخير وأغنهم عليه، واكفهم مؤونة أعدائهم، وأذرز عليهم الرزق، وأغيد عنهم سيف الفتنه والشقاق؛ إنك على كل شيء قدير.

وبرز شيء من المنافسة والعداوة بين إدريس الثاني والأغالية (لأن الأغالية كانوا من أنصار العباسيين) ثم استقرت الأمور بين الدولتين.

وبعد وفاة إدريس الثاني، سنة ٢١٣ (٨٢٨ م) خلفه ابنه محمد، ولكن أولاد إدريس تنازعوا وهاجت بينهم الفتن وتقساموا الملك.

ومن محايين ملك الإدارة في المغرب بنك جامع القرويين، بنته أم البنين فاطمة بنت محمد الفهري من أهل القيروان. وكان البدء بينه هذا الجامع - الذي

(١) الحد: الحاجز (الفاصل) بين شيئين. حدود الله: نواحيه (الأعمال المحرمة).

أصبح أقدم الجامعات في العالم - سنة ٢٤٥ (٨٥٩ م).

ومن الدُولَات التي نشأت في المغرب الأقصى، في هذه الحقبة، دُولَةُ بني مِدرار في سِجْلَاسَة في بلاد تافيلالت، شرق مدينة مَرَّاكُش على بُعْد نحو ثلاثين وخمسين كيلومتراً، قريباً من الصحراء، وكانت دولة إِبَاضِيَّة صُفْريَّة. وأوَّلُ رُؤسِ هذه الدُولَةِ أَبُو القاسم سَمُو المِكناسِي (١٥٥ - ١٦٧). ثم خَلَفَهُ أَبْنَاهُ إِبْرَاهِيمُ وَالْيَسْعُ. وفي أيام اليَسْع (١٧٤ - ٢٠٨) اتَّسع مُلْكُ سِجْلَاسَة وَاسْتَبَحَرَ فِيهَا العُمَرَان.

خصائص الأدب وأعلامه

في عصر الأمراء المتوارثين

في هذه الفترة، في عصر الأمراء المتوارثين، من سنة ١٣٨ إلى سنة ٣١٦ (٧٥٦ - ٩٢٩ م)، تطوَّر الأدبُ في الأندلس وفي المغرب كُلِّهِ نظوراً كبيراً: ترقَّى الشِعْرُ من الحماسة الجافية في الرَّجَزِ إلى الوصف الجيِّد والأغراض الوجدانية في الأوزانِ المطَّربة. ويُقال إنَّ التوشيحَ المُتَّرفَ نشأ في هذا الدَّور على يَدَي مُقَدِّمِ بْنِ مُعَاوِي القُبَيْرِي (ت ٢٩٩ هـ) غير أنَّ الخصائصَ العامَّةَ من الفنون والأغراض والأسلوب ظَلَّتْ كُلُّهَا مِشْرِقيَّة. ثم لم يَصِلْ إِلَيْنَا مَوْسَعَاتٌ من نَظْمِ مُقَدِّمِ بْنِ مُعَاوِي.

أما في الحِقْبَةِ الأولى من هذه الفَتْرَةِ، في بَقِيَّةِ القَرْنِ الثاني للهجرة، فقد كان الجانبُ الأوفَرُ من قائلِي هذا الشِعْرِ والنَّثْرِ مِنَ المِشَارِقَةِ الذين طَرَأُوا هُمْ أَنفُسُهُمْ على المغرب والأندلس جُنوداً وولاءً أو مِن أَوْلِيكَ الذين كان أَسْلَافُهُمْ قد طَرَأُوا على المغرب والأندلس. أمَّا الذين تَعَرَّبُوا مِنَ البَرْبَرِ وَجَمَلُوا يَنْظُمُونَ وَيُنْثِرُونَ في هذه الفَتْرَةِ فكانوا لا يَزَالُونَ قَلِيلِينَ جِدًّا، وكانت خِصَائِصُهُمُ الأَدْبِيَّةُ لَا تَزَالُ ضَعِيفَةً غَيْرَ مَصْقُولَةٍ.

لأمراء البيتِ الأُمَوِيِّ في الأندلس - سواء منهم مَنْ تَوَلَّى المُلْكَ وَمَنْ لَمْ يَتَوَلَّهْ - شِعْرٌ بَعْضُهُ جَيِّدٌ. وفي هذا الجزء نَفَرٌ منهم جَمِيعاً خُصَّوا بِتَراجِمٍ مُستَقِلَّة: عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلُ (١٣٨ - ١٧٢) وأَبْنُهُ هِشَامُ (وَقَدْ وُلِدَ فِي قُرْطُبَةِ سَنَةِ ١٣٨) وَحَفِيدُهُ المَحْكَمُ

أَبْنُ هِشَامٍ (١٨٠ - ٢٠٦) وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ (٢٧٥ - ٣٠٠) آخِرُ الْأُمَرَاءِ الْمُتَوَارِثِينَ.

ثُمَّ هُنَاكَ أَثَارٌ أَدْبِيَّةٌ لِبَنَفَرٍ آخَرِينَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ جَاءُوا مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ أَوْ لَجَعُوا بِهِ بَعْدَ مُدَيَّدَةٍ مِنْهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ (ت. نَحْوَ ١٦٠) وَمِنْهُمْ حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْوَلِيدِ (ت. ١٦٠) وَمِنْهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ بَشَرَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشَرَ بْنِ مَرْوَانَ قَتَلَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمُتَنَصِّرُ الْعَبَّاسِيُّ أَبَاهُ فَجَاءَ هُوَ وَقَصَدَ الْأَنْدَلُسَ فَدَخَلَهَا فِي صَدْرِ إِمَارَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ. وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ بَشَرَ هَذَا كَانَ شَاعِرًا رَوَى لَهُ ابْنُ الْأَثَّارِ شَيْئًا مِنَ الرَّثَلِ وَالْفَخْرِ وَمِنَ الْهَجَاءِ وَالْفُزْلِ. فَبَيْنَ غَزَلِهِ: (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ٥٩):

وَبَنَفْسِي مَنْ عِنْدَهَا الْيَوْمَ قَلْبِي عَلِقَ فِي جِبَالِهَا مَغْمُودٌ^(١).
كَلِمًا قُلْتُ قَدْ تَنَاهَيْتُ عَنْهَا عَادَلِي مِنْ غَرَامِهَا مَا يَعُودُ^(٢).
فَبِقَلْبِي مِنْ لَاعِجِ الْحُبِّ مِنْهَا كُلُّ يَوْمٍ سَقَمَ وَحُزَنٌ جَدِيدٌ^(٣).

وَنَعُدُّ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ - مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْبَيْتِ الْأُمَوِيِّ - فِي الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا إِبْرَاهِيمَ ابْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَرْزُوقِ الْأَوْدِيِّ، وَهُوَ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ^(٤)، أَوْرَدَ لَهُ ابْنُ الْأَثَّارِ (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ٨٨) شَيْئًا مِنَ الْغَزَلِ الرَّقِيقِ:

بِأَيِّ أَنْتَ مِنْ غَزَالٍ مَلِيجٍ لَيْسَ فِيهِ لَعْنٌ تَأْوَلُ لَوْلَا^(٥).
رَوْضَةُ الْحُسْنِ فِيكَ تُزْهِى، وَلَكِنْ كُلُّ حَوْلٍ يَبْقَى رِيْعُكَ حَوْلًا^(٦)!

(١) مَسْجُودٌ: مَضْرُوبٌ بِالْمَسْدِ (مُعْذَبٌ).

(٢) تَنَاهَيْ: (هَذَا): تَوَقَّفَ، انْتَهَى. تَنَاهَيْتُ عَنْهَا: نَيْتُ حُبَّهَا. عَادَلِي: رَجَعَ إِلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

(٣) لَاعِجٌ: حَرِيقٌ.

(٤) الْوَلَدُ (فِي الْأَنْدَلُسِ) الْمُسْلِمُ مِنَ الْإِنْسَانِ.

(٥) تَأْوَلُ الْكَلَامَ: نَظَرَ فِي بَاطِنِهِ (أَثَارٌ إِلَى الْمَقْصُودِ مِنْهُ). لَيْسَ فِيهِ «لَوْلَا»: لَيْسَ فِيهِ مَا يَخْتَلِفُ النَّاسُ فِيهِ، لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ الْأَرَاءُ.

(٦) تُزْهِى: تَفْتَخِرُ، تَعْجِبُ (بِالْبَنَاءِ لِلْمُجْهُولِ) بِنَفْسِهَا. الْحَوْلُ: الْعَامُ، السَّنَةُ. الرِّيْعُ عِنْدَكَ (كَرْمِكَ) يَدُومُ طَوْلَ الْعَامِ.

أَلَا قَوْلُوا لِأَغْلَبَ غَيْرَ سُرٍّ مُقْلَقَةً عَنِ الْحَسَنِ بْنِ حَرْبٍ^(١)
بَأَنَّ الْمَوْتَ بَيْنَكُمْ وَيَبْنِي؛ وَكَأْسُ الْمَوْتِ أَكْرَهُ كُلِّ شُرْبٍ.
رَوَيْدُكُمْ، فَيَوْمُكُمْ وَيَوْمِي، وَإِنْ بَعْدًا، مَصِيرُهَا لِقُرْبٍ!

ثم وَقَعَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْأَغْلَبِ بْنِ سَالِمٍ وَالْحَسَنِ بْنِ حَرْبٍ فَقُتِلَ الْأَغْلَبُ، فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ فَرِثَاهُ الْحَكَمُ بْنُ ثَابِتٍ السَّعْدِيُّ، وَهُوَ شَاعِرٌ مُجِيدٌ مِنْ نَسْلِ الشَّاعِرِ الْجَاهِلِيِّ سَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ (ت ٣٢ قَبْلَ الْهِجْرَةِ) بِأَبْيَاتٍ جَيَادٍ مِنْهَا^(٢):

لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ بِأَغْلَبٍ غَدَاةٌ غَدَا لِلْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ مُغْلَا^(٣).
تَبَدَّتْ لَهُ أُمُّ الْمَنَاهَا فَأَقْصَدَتْ، إِذَا كَانَ يَلْفِي الْمَوْتَ فِي الْحَرْبِ صَمًا^(٤).
أَخَا غَزَوَاتٍ مَا تَرَاوَى جِيَادُهُ تُصَيِّحُ عَنْهُ غَارَةٌ حَيْثُ تَمَا^(٥).
أَتَتْهُ الْمَنَاهَا فِي الْقَتَا فَأَخْزَمَتْهُ وَغَاذَرَتْهُ فِي مُلْتَقَى الْحَيْلِ مُغْلَا^(٦).
كَأَنَّ عَلَى أَثْوَابِهِ مِنْ دِمَائِهِ عَبِيطًا، وَمَا لِحَدِيثِي وَالنَّحْرُ عِنْدَمَا^(٧).
فَبَاتَ شَهِيدًا نَالَ أَكْرَمَ مِيشَةٍ وَلَمْ يَتَّخِذْ عُزْرًا أَنْ يَطُولَ وَتَشَقَّا^(٨)!

(١) مغلقة: رسالة..

(٢) الحلقة السرياء ١: ٧١.

(٣) غداة = في الغداة (الصباح). غدا: خرج باكراً (كانت الحرب النبيلة تبدأ في الصباح، ولا تكون غدرًا في الليل). مغلًا: كاشفًا عن وجهه (كان الفارس الشهير بشجاعته وكثرة من قتله في الحروب يتلثم حتى لا يعرفه غرماؤه فيثأروا منه) فخرج الأغلب مغلًا لأنه لا يريد أن يتخفى عن غرماؤه ولأنه لا يهالي بالأعداء.

(٤) أم المناها: الموت الشديد. أقصد الرجل خصمه: أصاب منه مقتلًا. صم: قصد، سار إلى. ويبدو أن عجز هذا البيت جملة معترضة. والكلمات «إذا كان» قرأه شحصية في مجمل تاريخ الأدب التونسي (١). وفي الحلقة السرياء «في حين» (اجتهادًا من المحقق، لأن مكان الكلماتين معو في المخطوط).

(٥) «أخا» مفعول به من الفعل «أقصدت» (في البيت السابق). تصيح: تغزو القوم في الصباح. تم: قصد.

(٦) أتته المناها (الموت) في القتا (قتلاً بالرمح) أخزمتها (قتلته وهو في مقتبل عمره). غادرته: تركته. ملتنى الحيل: ميدان القتال. مغلًا: متروكًا (لا يدافع عنه أحد).

(٧) عبيط: دم مسفوح قريبًا (من مدة يسيرة). النحر: بين الصدر والعتق. العندم: الدم الأحمر.

(٨) لم يتأ أن يطول عمره فتكررت حينئذ أسقامه (أمراضه وأوجاعه).

ثم قُتِلَ الحسنُ بنُ حربٍ في أواخرِ شَعْبَانَ فُجِيهَ به إلى ثَوْنِ فَصْلٍ يَوْمَ السَّبْتِ
آخِرَ يَوْمٍ من شَهْرِ شَعْبَانَ نَفْسِهِ (١٥٠ هـ). ويبدو أَنَّ الحَكَمَ بنَ ثابتِ السَّعْدِيِّ لم
يَعْمُرْ بعدَ ذلك طويلاً، ولعلَّ موته كان في أواخرِ سَنَةِ ١٥٠ نَفْسِهَا^(١).

ومن هؤلاء عِبْدَوَيْهِ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الجارودِ العَبْدِيُّ، أحدُ النَّائِثِينَ في
إِفْرِيقِيَّة، قَاتَلَ الْفَضْلُ بنَ رَوْحِ بنِ حَاشِرٍ والي القَبِيروَانِ (١٧٧ - ١٧٨ هـ) وَقَتَلَهُ.
وَجَهَّزَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَالِكُ بنُ الْمُثَنِّيرِ الْكَلْبِيُّ والي مِيلَةَ جَيْشًا وَقَاتَلَ ابْنَ الجارودِ لِيَنَارَ
بِالْفَضْلِ بنِ رَوْحٍ، وَلَكِنْ مَالِكًا قُتِلَ أَيْضًا في المَعْرَكَةِ. عِنْدَئِذٍ سَارَ الْعَلَاءُ بنُ سَمِيدٍ بنِ
مَرْوَانَ الْمُهَلَّبِيَّ والي الزَابِ لِيَقْتَالَ ابْنَ الجارودِ، وَلَكِنْ يَدُّو أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ بَيْنَ الْعَلَاءِ وَبَيْنَ
ابْنِ الجارودِ قِتَالٌ لِأَنَّ هَرُونَ الرَّشِيدَ كَانَ قَدِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَشْتَمِلَ ابْنَ الجارودِ
وَيَسْتَقْدِمَهُ إِلَى بَغْدَادَ.

لَمَّا أَلْتَقَى مَالِكُ بنُ الْمُثَنِّيرِ بِابْنِ الجارودِ أَنهَزَمَ أَصْحَابُ مَالِكٍ فَتَرَجَّلَ مَالِكٌ عَنْ
فَرَسِهِ ثُمَّ هَجَمَ فِي نَفَرٍ مِمَّنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ يَقُولُ (الحلّة السراء ١:
٨٧ - ٨٨):

يَا مَوْتُ، إِنِّي مَالِكُ بنُ الْمُثَنِّيرِ أَهْنِيكَ حَتُوَ الْبَيْضِ وَالسَّوَرِ^(٢)؛
أَقْتُلْ مِنْ صَانَرٍ أَوْ لَمْ يَصْبِرْ كَأَنِّي أَفْعَلُ مَا لَمْ يُقْدِرْ^(٣).
فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ الجارودِ وَهُوَ يَقُولُ^(٤):

إِلَيَّ فَادُّنْ، مَالِكُ بنُ مُثَنِّيرٍ أَنَا الَّذِي قَتَلْتُ رَبَّ الْإِثْبَرِ^(٥)،
جَرَعْتُهُ كَأَنَّ الْجَاهِلَ الْأَحْمَرَ. فَأَصْبِرْ - سَتَلْقَاهُ - وَإِنْ لَمْ يَصْبِرْ^(٦)؛

-
- (١) الحلّة السراء ١: ١٧٦، حمل تاريخ الأدب الأندلسي ٣٠.
(٢) هناك: حَتُو، مَرَكَن، قَطَعَ. الْبَيْضَةُ: الْحُوْذَةُ (إِنَاءٌ مَعْدَنِي) بِضَمِّهَا الْحَارِبُ عَلَى رَأْسِهِ. السَّوَرُ: الدَّرْعُ.
حَتُو الْبَيْضِ: الرُّؤُوسُ. حَتُو السَّوَرِ: الْأَيْدِي.
(٣) مَا لَمْ يَقْدِرْ: مَا لَمْ يَأْتْ وَقْتُهُ يَمْدُ (أَوْ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ).
(٤) الحلّة السراء ١: ٨٧.
(٥) ادْنُ: اقْتَرَبْ (فَعَلَ أَمْرًا). رَبُّ الْإِثْبَرِ: صَاحِبُ الْعَرْشِ (الْمَلِكُ).
(٦) الْجَاهِلُ: الْمَوْتُ.

وَلَمَّا أَرَادَ الْعَلَاءُ بْنُ سَعِيدٍ أَنْ يَخْرُجَ لِقِتَالِ ابْنِ الْجَارُودِ كَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ (الحلّة
السيراء ١: ٨٧):

لَمَعْرُكَ، يَا عَبْدُؤَيٍّ، مَا كُنْتُ تَارِكاً دَمَ الْفَضْلِ أَوْ يَكْسُوْنِي التُّرْبَ ثَائِرٌ^(١).
نَذَرْتُ دَمِي فَانْظُرْ، إِذَا مَا لَقَيْتَنِي، عَلَى مَنْ يَكْأَسِيهَا تَدَوَّرُ الدَّوَائِرُ^(٢).
سَمِعْتُ، إِنْ أَنْشَبْتُ فِيكَ مَخَالِي، إِلَى أَيِّ قَرْنٍ أَسْلَفْتُكَ الْمَقَادِرُ^(٣).
فَقَالَ عَبْدُؤَيٍّ بْنُ الْجَارُودِ يَرُدُّ عَلَى الْعَلَاءِ بْنِ سَعِيدٍ^(٤):

أَيُّ كُلِّ يَوْمٍ ثَائِرٌ قَدْ قَتَلْتُهُ بِفَضْلِي، وَمَا بَنَفَكَ لِلْفَضْلِ ثَائِرٌ^(٥).
قَضَيْتُ لِنَفْسِي النَّارَ فِي قَتْلِ مَالِكٍ، وَإِنِّي لَهَا قَتَلْتُ الْعَلَاءَ لِنَاذِرٍ^(٦).
فَمَا لِلْعَلَاءِ خَيْرَةٌ فِي لِقَائِنَا، وَلَيْسَ لَهُ فِي النَّاسِ - إِنْ قَرَّ - عَاذِرٌ^(٧).

ثم هُنَالِكَ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، فِي إِفْرِيقِيَةِ وَالْمَغْرِبِ أَيْضاً^(٨)، مُحَمَّدٌ بْنُ مُقَاتِلٍ بْنُ
حَكِيمِ الْعَمَكِيِّ، وَتَمَامٌ بْنُ تَمِيمِ الدَّارِمِيِّ وَالْأَغْلَبُ بْنُ سَالِمٍ (ت ١٤٩) وَابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ
أَبْنُ الْأَغْلَبِ الْمَشْهُورُ وَيَحْيَى بْنُ الْفَضْلِ بْنِ الثُّغَّانِ التَّمِيمِيِّ وَخُرَيْشُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
وَعِمْرَانُ بْنُ مَجَالِدٍ (تُوفِّيَ قَبِيلَ ٢٠٠) وَعَامِرُ بْنُ الْمَعْمَرِ بْنِ سِنَانِ التَّمِيمِيِّ وَحَمَزَةُ بْنُ
السَّبَّالِ الْمَعْرُوفُ بِالْحَرُونَ وَغَيْرُهُمْ. ثم هُنَالِكَ بُهْلُولُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَذْغَرِيُّ

(١) مَا كُنْتُ تَارِكاً دَمَ الْفَضْلِ (بْنِ رُوحِ بْنِ حَاتِمٍ): لَنْ أَتْرَكَ الْأَخْذَ بِثَأْرِهِ. يَكْسُوْنِي التُّرْبَ ثَائِرٌ: يَهْتَلِي ثَائِرٌ
(أَخْذَ ثَأْرٍ).

(٢) نَذَرْتُ دَمِي: أَعْلَنْتُ أَنَّكَ سَتَقْتُلُنِي. الدَّوَائِرُ: الْمَصَائِبُ (الْمَوْتُ). دَارَتْ الدَّائِرَةُ بِكَأْسِهَا عَلَى النَّاسِ:
أَمَاتَتْهُمْ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ.

(٣) إِنْ أَنْشَبْتُ فِيكَ مَخَالِي (الْمَخَارِجُ): إِذَا تَمَكَّنْتُ مِنْكَ، إِذَا لَقَيْتُكَ. الْقَرْنُ: الْبَطْلُ التَّدْلِيغِيَّةُ.
- إِذَا هَضَمْتَ بِكَ يَدِي سَمِعْتُ أَتَى شَجَاعٌ قَوِيٌّ مِثْلَكَ أَوْ أَكْثَرُ.

(٤) الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ٨٦.

(٥) اِسْتِنْقَاماً لِقَتْلِ الْفَضْلِ بْنِ رُوحِ بْنِ حَاتِمٍ وَالْيَاقُوتِيُّ (أَوَّلُ ١٧٧ - أَوَاسِطُ ١٧٨ هـ).

وَسَيَبْقَى هُنَالِكَ تَذَكُّرٌ يَنْتَقِمُونَ لِقَتْلِهِ حَتَّى يَلْقَوْا جَمِيعَ الْفِتَنِ كَانُوا خُصُومَهُ.

(٦) مَالِكُ بْنُ الْمُنْذِرِ وَالْعَلَاءُ بْنُ سَعِيدٍ (رَاجِعِ الصَّفْحَةَ السَّابِقَةَ). - قَتَلْتُ مَالِكاً وَأَخَذْتُ عَلَى نَفْسِي (عَزَمْتُ)
عَلَى قَتْلِ الْعَلَاءِ.

(٧) مَا لَهُ خَيْرَةٌ (يَكْسِرُ فَتَنُجَ): اخْتِيَارٌ (لَا مَدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَجَارِبَهَا).

(٨) الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ٨٨ وَمَا بَعْدَ.

(المضغري)، وَهُوَ مِنَ الْبَرَبَرِ، وَسَيَرْدُ ذِكْرُهُ فِي تَرْجَمَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَعْلَبِ.
وَيَحْسُنُ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ دِرَاسَةَ الْفِقْهِ وَالنَّحْوِ قَدْ بَدَأَتْ فِي الْأَنْدَلُسِ فِي الْمَغْرِبِ
مِنْ هَذَا الطَّوَرِ الْبَاكِرِ.

وَكَذَلِكَ رُوِيَ لِرِجَالِ الْعُدُوَّةِ فِي إفْرِيقِيَّةَ (الْقَطَرِ التُّونِسِيِّ) وَالْمَغْرِبِ شَعْرٌ وَنَثَرٌ مِمَّنْ
تَوَلَّوْا الْإِمَارَةَ فِي أَقْطَارِهِمْ وَمِمَّنْ لَمْ يَتَوَلَّوْهَا، وَمِنْ الَّذِينَ تَرَجَّعُوا أُنْسَابُهُمْ إِلَى الْعَرَبِ أَوْ
إِلَى الْبَرَبَرِ. وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ صَحِيحٌ وَلَكِنْ يَبْدُو عَلَيْهِ أَيْضاً تَقْلِيدٌ كَثِيرٌ لِلْمَشَارِقَةِ
وَأَكْثَرُهُ فِي الْحِمَاسَةِ وَالْفَخْرِ.

ثَارَ عِمْرَانُ بْنُ مُجَالِدٍ بْنِ يَزِيدَ الرَّبْعِيِّ^(١) عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَعْلَبِ (١٤٠ - ١٩٦ هـ)
(هـ) وَهَاجَمَ الْفَيَرَوَانَ فَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّغْلِبَ. ثُمَّ هَرَبَ إِلَى نَوَاحِي الزَّوَابِ^(٢) وَطَلَّبَ
الْأَمَانَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ فَأَمَنَهُ إِبْرَاهِيمُ. ثُمَّ لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَخَلَفَهُ ابْنُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ
(١٩٧ - ٢٠١ هـ) جَدَّدَ عِمْرَانُ طَلَبَ الْأَمَانِ فَأَجَابَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى مَا طَلَّبَ وَلَكِنْ
عَادَ فَعَدَّرَ بِهِ وَقَتْلَهُ (نَحْو ١٩٨). وَلِعِمْرَانَ الرَّبْعِيُّ - وَهُوَ يُنَازِلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَعْلَبِ
حَوْلَ الْفَيَرَوَانِ - رَجَزٌ مِنْهُ:

يَا رُسُلَ الْمَوْتِ، أَنَا عِمْرَانُ، أَنَا الَّذِي أَنْتُمْ لَهُ أَغْوَانُ^(٣).
تَصْنَعُونَ مِنِّي خِيْفَتِي الْفُرَّانَ يَضْحَكُ عَنْ آيَاتِنَا الزَّمَانُ^(٤).
نَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى دَانُوا نَقْتُلُ أَهْلَ النَّكْتِ حَيْثُ كَانُوا^(٥)!

-
- (١) الْحَقْلَةُ السَّوَادُ ١: ١٠٤. كَانَ عِمْرَانُ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَعْلَبِ ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ.
(٢) الزَّوَابُ مَقَاطِعَةٌ فِي الشَّامِ الْغُرِّي مِنْ الْجَزَائِرِ الْيَوْمِ وَعَاصِمَتُهَا بِسُكْرَةَ (عَلَى نَحْوِ ثَلَاثَةِ كِيلُومِتْرٍ مِنْ
مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ جَنُوباً فِي شَرْقٍ).
(٣) رَسُولُ الْمَوْتِ هُوَ الَّذِي يَأْتِي إِلَى الْإِنْسَانِ الَّذِي انْتَهَتْ مَدَّتُهُ فِي الْأَرْضِ فَيَقْبِضُ رُوحَهُ.
وَالشَّاعِرُ يَقُولُ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ (يَقْتُلُ الْأَعْدَاءَ فِي الْمَعَارِكِ) وَإِنْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِسَاعِدِهِ فِي
مَهْمَتِهِ!
(٤) يَضْحَكُ: نَصِيحَةُ الصَّاعِقَةِ، يَسْقُطُ فَاقْدَأْ وَعِيهِ (يَمُوتُ). يَضْحَكُ عَنْ آيَاتِنَا الزَّمَانُ (يَسُرُّ بِنَجَاحِنَا فِي
الْمَعَارِكِ).
(٥) ضَرَبْنَا: قَاتَلْنَا. دَانُوا: انْهَمَوْا الدِّينَ (أَسْلَمُوا) أَطَاعُوا. النَّكْتُ: الْإِخْلَافُ بِالْوَعْدِ.

وكان حمزة بن السَّكَّال المعروف بالحرون^(١) أحد القَوَادِ الرُّسُلِ الشُّجْعَانِ فِي جُنْدِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ. وَقَدْ قُتِلَ حِمَزَةُ هَذَا فِي إِحْدَى مَعَارِكِهِ فِي تُونِسَ فِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٢٠٩ (أيار - مايو ٨٢٣ م). وَلِحِمَزَةِ رَجَزٌ جَيِّدٌ سَهْلٌ مِنْهُ (فِي نَصْرِهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ):

إِنْ غَابَ إِبْرَاهِيمَ عَنَّا أَوْ حَضَرَ
فإِنِّي أَنصُرُهُ فِيمَنْ نَصَرَهُ.
وَاللَّهِ، لَا أَرْجِيحُ إِلَّا بِظَفَرِهِ لَيْسَ بِمَوْتُ الْمَرْءِ إِلَّا بِقَدَرِهِ.
وَكُلٌّ مِنْ خَالَفَنَا فَقَدْ كَفَرَ!

وَمِنْ أَمْرَاءِ الْأَغَالِبَةِ أَبُو مُحَمَّدٍ زِيَادَةُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (٢٠١ - ٢٢٣ هـ) تَشَقَّفُ بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَقَالَ الشَّعْرُ الْجَيِّدُ^(٢).

لَمَّا اسْتَعْلَى الْجُنْدُ فِي الْقَيْرَوَانِ وَكَادَ الْأَمْرُ يُخْرُجُ مِنْ يَدِ زِيَادَةِ اللَّهِ، قَالَ زِيَادَةُ اللَّهِ يَصِفُ تِلْكَ الْحَالَةَ، كَيْفَ تَبَدَّلَتْ بَيْنَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ:

بِمَا وَجَعَ نَفْسِي حِينَ أَرْكَبُ غَادِيًا
بِالْقَيْرَوَانِ تَخَالَفَنِي مُخْتَالًا،
فِي فِتْنَةٍ مِثْلَ النُّجُومِ طَوَالِغٍ وَتَخَالَفَنِي بَيْنَ النُّجُومِ هِلَالًا!
وَالْيَوْمَ أَرْكَبُ فِي الرُّعَاعِ وَلَا أَرَى إِلَّا الْعَبِيدَ وَمَغْتَرًّا أَنْذَالَ.

وَجَاءَ إِلَى زِيَادَةِ اللَّهِ رَسُولٌ مِنَ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ يَحْمِلُ رِسَالَةً يَطْلُبُ الْمَأْمُونُ فِيهَا مِنْ زِيَادَةِ اللَّهِ أَنْ يَخْطُبَ عَلَى مَنَابِرِ إِفْرِيقِيَّةَ (تُونِسَ) لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ بْنِ الْحُسَيْنِ وَالِي خُرَّاسَانَ (أَنْ يَذْكُرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي خُطْبَتِهِ الْجُمُعَةِ) فَلَمْ يَرْضَ زِيَادَةُ اللَّهِ وَخَاطَبَ الرَّسُولَ بِقَوْلِهِ:

« قَدْ عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ طَاعَتِي لَهُ وَطَاعَةُ آبَائِي لِآبَائِهِ وَتَقَدَّمَ سَلَفِي فِي طَاعَتِهِمْ، ثُمَّ

(١) الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ١٠٧ - ١٠٩.

(٢) الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ١٦٣ - ١٧٦.

يَأْمُرُنِي الْآنَ بِالْعَمَلِ لَعِبِدِ خُرَاعَةَ^(١). هذا، والله، أُمْرٌ لَا يَكُونُ أَبَدًا..

وقال زيادةُ الله في تَفَاحَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ذَكَرْتُهُ بِحَبِيبِي:

وَلَا يَسْتَوْفَى قُتُوبَ أَصْفَرٍ إِلَّا جِسْمٌ ثُمَّ بَانَفَاسِ الْحَبِيبِ لِيُشْتَمَ^(٢)
تَجَمَّعَ مَعْتُوقٌ لَدَيْهَا وَعَاشِقٌ، فَذُو نَظَرٍ يَرِنُو إِلَيْهَا وَذُو سَمٍ^(٣)
سَأَفِيكَ أَوْ أَفَى عَلَيْكَ نَذَكْرًا لِمَنْ أَنْتَ عَظُمْتَ مِنْهُ فِي الرَّشَفِ وَاللَّثَمِ^(٤)
فَقَدْ هَجَبْتَ فِي قَلْبِي لَطْفِي لِتَذَكَّرِي، وَغُنَوَانُهُ فِي مُقْلَتِي دَمْعَةٌ تَهْمِي^(٥)
كَأَنِّي أُذْنِي - حِينَ أَدْنِيكَ - مِنْ بِهِ أَثَرَتْ اِشْتِيَاقِي فِي عِنَاقِي وَفِي حَضَمٍ^(٦)

ومن بني الأغلب الذين رَغِبُوا عَنْ الْمُلْكِ يَعْقُوبُ بْنُ الْمَضَاءِ فَقَدْ انْصَرَفَ إِلَى الزُّهْدِ وَنَزَعَ السَّوَادَ (تَرَكَ لُبْسَ الثِّيَابِ السَّوَدِ شِعَارَ الْعَبَّاسِيِّينَ وَشِعَارَ الدَّوْلَةِ). وانتقل يعقوبُ إِلَى الْعِرَاقِ وَمَاتَ هُنَاكَ. وَلِيَعْقُوبَ هَذَا شِعْرٌ فِي الشَّيْبِ وَالشَّبابِ يُخَاطَبُ فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ مِنْهُ مَنْ قَالَ لَهُ: «قَدْ شَيْتَ»:

فَإِنْ تَكُ لِمَتِي كُيِّسَتْ بِيَاضًا وَبُدِّلَ لِي الشَّيْبُ مِنَ الشَّبابِ،
فَقَدْ عُمِّرْتُ ذَا فَرْعٍ أَثْبِتْ كَأَنَّ سَوَادَهُ حَنَكُ الْغُرَابِ.
فَلَا تَعَجَّلْ، رُوَيْدَكَ، عَنْ قَرِيبٍ كَأَنَّكَ بِالْمَشِيبِ وَبِالْحِضَابِ.

ثم نَحْنُ نَشْمُ نَفْحَةً أُمُويَّةً مِنْ نَفْسِ جَرِيرٍ فِي أَبْيَاتِ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ (ت ٢٤٢ = ٨٥٦م) وَهُوَ يَفْتَخِرُ قَائِلًا (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ١٧٠):

-
- (١) عبد الله بن الحسين فارسيّ النسب من خراسان ولكن ينتسب بالولاء إِلَى بَنِي خُرَاعَةَ الْعَرَبِ.
(٢) بلا جسم، لِأَنَّ الْأَصْفَرَ فِي التَّفَاحَةِ جُزْءٌ مِنْهَا (وَلَا يُمْكِنُ تَبْدِيلُهُ كَالثَّوْبِ الْعَادِيِّ).
(٣) تَجَمَّعَ مَعْتُوقٌ لَدَيْهَا وَعَاشِقٌ (٢).
(٤) سَأَفِيكَ بِكَرَّةٍ مَا أَتَمَّ مِنْكَ... (الْأَكْ تَذَكَّرْتَنِي بِحَبِيبِي فَأَعَامَلَكُ كَمَا كُنْتُ أَوَدُ أَنْ أَعَامَلَ. أَوْ أَفَى عَلَيْكَ تَذَكَّرَا... أَوْ أَذُوبُ أَنَا) (أَمُوتَ) لِأَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصِلَ فَيْكَ إِلَى غَايَتِي مِنْ حَبِيبِي (سَيَكُونُ تَذَكُّرُكَ لِي بِالْحَبِيبِ، مَعَ حَرَمَانِي مِنْ لِقَائِهِ، سَبَبًا لِنَحْوِي أَوْ مَوْتِي).
(٥) اللَّطْفُ: لُحْبُ النَّارِ. دَمْعِي الَّذِي يَحِي (يَسَاقُطُ) عَنَوَانٌ (دَلِيلٌ) عَلَى مَا أَشْكُو مِنْ نَارِ الْبَعْدِ عَنْ الْحَبِيبِ.
(٦) حِينَ أَسْكُكُ بِيَدِي وَأَدْنِيكَ (أَقْرَبُكَ مِنْ أَنْفِي) أَلْعَبِلُ أَتَنِي أَتَمَّ حَبِيبِي.

أَبِيسَ أَبِي وَجْدِي أَوْطَانِي - وَجَدْتُ أَبِي وَعَمَّايَ - الرَّقَابَا؟
وَرِثْتُ الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ عَنْهُمْ فَصَبَرْتُ أَعَزُّ مِنْ وَطَيْءِ التُّرَابِ.
أَنَا الْمَلِكُ الَّذِي أَسْمُو بِنَفْسِي فَأَبْلُغُ بِالسُّمُو بِهَا السَّحَابِ.

ولكن التقليد والضعف باديان على هذه الأبيات بوضوح.

وإلى جانب الشعر في إفريقية (تونس) كانت الحركة العلمية في الفقه هي التي نقلت المغرب إلى المذهب المالكي وأثرت في مجرى تاريخه.

فمن أوائل الذين يُعدّون في هذا النطاق خالد بن أبي عمران التُّجِيبِي، وُلِدَ في تُونِسَ وتلقّى العلم على أبيه وآخرين ثم رَحَلَ إلى الحجاز فَرَوَى عن نَفَرٍ من التابعين منهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (٣٧ - ١٠٧ هـ) وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ١١٧) وعن سليمان بن يسار (ت ١٠٧). ثم عاد خالد إلى إفريقية في مطلع القرن الثاني للهجرة يَحْمِلُ فِهَا كثيراً وروايات (في الحديث) صحيحة. وكان ثقةً فيها يروي ويقول. وتولى خالد قضاء إفريقية، وكانت وفاته سنة ١٢٧. ولم تقتصر رواية خالد على الحديث والقراءة (قراءة القرآن الكريم) والفقه، بل كانت له روايات من التاريخ عن فتح إفريقية والمغرب نرى كثيراً منها في كتاب «فتوح الشام» للواقدي وفي كتاب «فتوح مصر والمغرب» لابن عبد الحكم.

ومن حملة العلم في تونس أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي من شيوخ أهل إفريقية وفقه القيروان. وُلِدَ سنة ١١٥ (٧٣٣ - ٧٣٤ م)، قيل في الأندلس، ثم سكن القيروان. رَحَلَ إلى المشرق فأخذ عن مالك بن أنس في الحجاز ثم انتقل إلى العراق فلقب في الكوفة أبا يحيى زكريا بن أبي زائدة (ت نحو ١٤٨ = ٧٦٥ م) وسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ (ت ١٦١) وأخذ عنها كثيراً من الحديث، كما أخذ عن أبي حنيفة كثيراً من الفقه.

وعاد عبد الله بن فروخ إلى القيروان وأقرأ بها الحديث والفقه. وكانت له أيضاً

عناية بالتفسير. وعَرَضَ عليه رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ والي إفريقية (١٧١ - ١٧٤ هـ) القضاء في القيروان فأبى. ثم إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ فَرُّوخَ ذهب إلى الحج. وفي أثناء عَوْدَتِهِ مَرَّ بِنَصْرٍ فَنَوَّقِيَّ بِهَا، سَنَةَ ١٧٥ (٧٩١ - ٧٩٢ م) وَدُفِنَ فِي سَفْحِ جَبَلِ الْمُقَطَّم^(١).

ومن هؤلاء عليُّ بْنُ رِيَادِ المِصْبِيِّ من أبْنَاهُ ثُوْنَسٌ سَمِعَ الْمُوطَأَ فِي المَدِينَةِ من الإمام مالك (ت ١٨٣). وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ الْمُوطَأَ إِلَى المَغْرِبِ.

وبحجته هنا أيضاً عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ اليَحْصِيَّيِّ من أَهْلِ القَيْرَوَانِ رَحَلَ إِلَى الحِجَازِ وَأَخَذَ الحديثَ عن مالكٍ ثُمَّ دَخَلَ البَصْرَةَ والكُوفَةَ وتَلَقَّى العَرَبِيَّةَ (النَّحْوَ) عن سَيِّبُونُو (ت ١٨٠) والكِسَائِيَّ (ت ١٨٩)، ثُمَّ عَادَ إِلَى القَيْرَوَانِ يَنْشُرُ مَا حَمَلَهُ مَعَهُ من العلم. وَكَانَتْ وَقَاتُهُ فِي سَنَةِ ٢٢٦ (٨٤٠ - ٨٤١ م).

في القرن الثالث الهجري:

وبحسبُ هنا، في استكمالِ صورةِ العصر، أن نذكرَ مُؤَرِّخَيْنِ أَحَدُهُمَا ابنُ سَلَامٍ بن عُمَرَ (أو عُمَرُو)، وَهُوَ أَوَّلُ المؤرخين الإباضيين الذين نَعْرِفُهُم في المَغْرِبِ. بَلَغَ أَشَدُّهُ بَيْنَ سَنَةِ ٢٤٠ و ٢٦٠ (٨٥٤ - ٨٧٣ م) وَكَانَ كِتَابُهُ فِي التَّارِيخِ يَتَمَلَّقُ بِانتِشَارِ الإسلامِ فِي جَبَلِ نَعُوسَةَ (جَنُوبِي غَرْبِي لِيَبْيَا) بِالإِضَافَةِ إِلَى نِزَاجِمِ نَفَرٍ من أُمَّةِ الإباضِيَّةِ الأوَّلِينَ كَأبي الحَطَّابِ عَبْدِ الأَعْلَى (يُوبَعُ سَنَةَ ١٤٠) وَأبي حَاتِمِ يَعْقُوبَ بن حَبِيبٍ (١٥٤ - ١٥٥ هـ) وبالإِضَافَةِ إِلَى شَيْءٍ من صِلَةِ الإباضِيَّةِ فِي تِهَيرَتِ (فِي الجَزَائِرِ اليَوْمَ) بِإِخْوَانِهِم فِي المَشْرِقِ. وَكَانَ ابنُ سَلَامٍ من كِبَارِ الإباضِيَّةِ فِي القَطْرِ التُّونِسِيِّ (دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٢٧).

والمُؤَرِّخُ الثَّانِي هُوَ ابنُ الصَّغِيرِ مَوْلَفُ تَارِيخٍ يَتَنَاوَلُ حَيَاةَ الأُمَّةِ الرُّسَمَائِيِّينَ فِي تَاهَرْتِ (وتَلْفُظُ أيضاً تِهَيرَتِ وَتِيَارْتِ) نَقَلَ مِنْهُ أَبُو القَاسِمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ البَرَادِي (ت بَعْدَ ٨١٠) وَأَحَدُهُنَّ سَعِيدُ الشَّمَاخِي فِي كِتَابِهِ «النَّبِير» (ت ٩٢٨). وَكِتَابُهُ فِي الأَكْثَرِ

(١) طبقات علماء إفريقية وتونس ١٠٧ - ١١١، ١١٧٣ مجلد تاريخ الأدب التونسي لعن حسي عبد الوهاب ٣٧ - ١٣٨ الأعلام للزركلي ٤: ٢٥٢.

مجموع روايات أكثر منه تاريخاً سياسياً متصلاً. ولعلّ ابن الصغير قد بقيَ على قيد الحياة إلى سنة ٣١٠ (٩٢٢ م) أو إلى ما بعد ذلك بقليل.

وفي هذا القرن نجد الأدباء الذين وُلدوا في الأندلس والمغرب ونشأوا فيها وظلّت معظم خصائص أديهم مشرقية، من هؤلاء بنو أمية في الأندلس وكان من هؤلاء جميعاً: الأمير عبد الرحمن الأوسط وابنه الأمير محمد وحفيده الأمير عبد الله (ت ٣٠٠ هـ) ثم يعقوب بن الأمير عبد الرحمن الأوسط ومطرف بن الأمير محمد. وفي صف هؤلاء كلهم نجد في المغرب نفراً من الإدارة ومن الأغالية ونفراً من أهل المغرب كسليمان بن وانوس المكناسي.

في هذا القرن نشأ نفراً من الذين يستحقون لقب شاعر. ومع أن خصائص هؤلاء الشعراء كانت لا تزال في الأكثر مشرقية، تجري في نطاق الشعر الجاهلي أو الشعر الأموي أو الشعر العباسي، فإن نفراً منهم قد خرج عن نطاق التقليد وعن شعر الحاسة إلى قدون منها الرثاء والوصف والغزل والتمجيد.

وإذا كان بعض الشعر في الأندلس قد فارق عدداً من خصائصه الشرقية، فإن النثر ظلّ أبداً مشرقياً، فإننا لم نر في النثر أجمع - في الخطابة والترسل والتأليف - ما رأيناه في الشعر كنشأة الموشح مثلاً. ثم إن الشعر عند عدّه فناً وجدانياً شخصياً أكثر من النثر في العادة - قد تأثر بالبيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية في الأندلس إلى حد بعيد. أما النثر فلم يجر عليه مثل ذلك، إلا إذا نظرنا إلى عدد من الألفاظ والتراكيب التي جدت على لسان أهل الأندلس. غير أن مثل هذه الألفاظ والتراكيب تجد في البيئة الواحدة في العصور المختلفة فلا دخل كبيراً لها هنا في خصائص اللغة والأسلوب.

كان هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٣٩ - ١٨٠ هـ) أول الأمراء الذين وُلدوا في الأندلس. أراد رجل يوماً أن يُغريه بشراء ضيعة تُباع في دين، فقال له هشام (قبل أن يتولى الخلافة):

«أنا أريدُ امرأة (الخلافة) إن بلغت غنيت عنها، وإن قطع في دونه خيرتها.

وَلَا ضُطَاعُ رَجُلٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ اكْتِسَابِ ضَيْعَةٍ... (الحلّة السراء ١: ٤٢ - ٤٣):

الْبَذَلُ - لَا الْجَمْعُ - فِطْرَةُ الْكَرَمِ ، فَلَا تُرْذِ بِي مَا لَمْ تُرْذِ شَيْئِي .
مُلْكُ الْوَرَى وَالْعِبَادِ قَاطِبَةً - لَا مُلْكُ بَعْضِ الضِّيَاعِ - مِنْ هِمَمِي !

هذا النثر وهذا الشعرُ مشرقَيَانِ في خصائصيهما .

وكان أبو القاسم المظرف بن الأمير محمد بن عبد الرحمن شاعراً مُجيداً وبارعاً في الغناء ، وهو أشعرُ أولاد الأمير محمد ، نُوقِيَ في إمارة أبيه (٢٣٨ - ٢٧٣) ، وله من العمر أربع وعشرون سنة . وفي شعره (الحلّة السراء ١: ١٢٨ - ١٣٠) جِدٌّ وهَزَلٌ .
فبين شعره يرثي أخاه عبد الرحمن :

أَخْ كَانَ ؛ إِنْ لَمْ يُنْمَرْعِ النَّاسُ أَصْبَحَتْ مَوَاجِبُهُ لِلنَّاسِ وَهِيَ مَرَايِعُ^(١) .
كَثِيرٌ عَلَيْكَ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا كَثُرَتْ مِنْ رَاحَتِكَ الصَّنَائِعُ^(٢) .
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ ، إِنَّ النَّدَى لَهُ رَوَالٌ وَإِنَّ السَّيَّ بِعَذْكَ ضَائِعُ^(٣) .
وَقَالَ فِي الشَّيْبِ :

إِنَّ شَيْباً وَصَبَوَةً لَمُحَالٌ ، قَدْ أَنَى أَنْ يَكُونَ عَنْهَا زَوَالٌ^(٤) .
رَكِبَ الشَّيْبُ لِمَتِّي خَلَّلَ الشَّعْرَ سِرٌّ لَوْ قَتَّ حَالَتُ بِهِ الْأَحْوَالُ^(٥) .
فَرَّعَ النَّفْسَ عَنْ مُزَاجِرٍ وَلَهْوٍ . تِلْكَ حَالٌ مُضَتْ وَجَاءَتْ حَالُ^(٦) .

(١) إذا لم تكن الأرض خصبة (في عام ما) وهب الناس من الأموال ما يجعل حياتهم كلها ربيعاً .

(٢) كثر حزن الناس عليه بمقدار كثرة الصنائع (أوجه المعروف والكرم) على الناس .

(٣) بعدك لن يكون ندى (كرم) ولن يبقى فائدة من السي (تقصد الكرماء للغطاء : لأنه لن يبقى بعدك كرماء مثلك) .

(٤) وصوبة - مع صوبة (حباً ، مبل إلى اللهو) . أنى : قرب ، حان ، وجب . عنها (عن الصوبة) . روال : هنا) ترك (للصوبة) .

(٥) ركب الشيب لِمَتِّي (كثر في مقدّمة رأسي) ونسرب خلال (بين) سائر شعري . لوقت حالت به الأحوال : في وقت تبدلت أحوال (من قوّة إلى ضعف ، الخ) .

(٦) زع فعل أمر من وزع بزغ (بمعنى نهي ، زجر ، منع) - يقول حسين مؤنس (محقّق كتاب الحلّة السراء ومعلّق حواشيه) أنّ هذا البيت يبدأ في الأصل (في المخطوط) بكلمة « فزع » فاختار هو أن يبدّلها ويجعلها « فدع » . ولا ريب في أنّه يدرك أن « فزع » (الفاء حرف عطف ، و « زع » فعل أمر من وزع بزغ) بمعنى فلزجر (النفس عن ...) .

وقال في الحمر واللهو:

أشهى من الكأسِ حاملُ الكاسِ أرعاهُ ما طافَ حَوْلَ جُلَاسِي.
يُنْقُلُ من أَجلِهِ الجَلِيسُ ولو كان من النُّسكِ آمَنَ الناسُ^(١)!

ومن أمرائهم المتوارثين الشعرله أيضاً محمد بن عبد الرحمن تولى الإمارة أربعاً وثلاثين سنة (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، وتمتزجُ الحماسةُ في شعره بالفضل. من ذلك قوله (الحلّة السراء ١: ١١٩ - ١٢٠):

قَفَلْتُ وَأَعْمَدْتُ السِوْفَ عِىَ الحَرْبِ، وَمَا أَغْيَدْتُ عَنِّي السِوْفَ مِنَ الحُسْبِ^(٢)
أَفْرَطَبَةً، هَلْ لِي إِلَيْكَ وَفَادَةٌ تَقَرُّ بِعَيْنِي أَوْ تُنْهَدُ مِنْ جَنِي^(٣)؟
عُدَانِي عَدُوٌّ عَنِ حَبِيبِي فَرَزْتُهُ بِحَيْشٍ تُضْبِقُ الأَرْضَ عَنِ عَرَضِيهِ الرَّحْبِ^(٤).
إِذَا اسْوَدَّ مِنْ لَبْلِ الدَّرُوعِ تَبَلَّجَتْ أَيْبَتُهُ فِيهِ عَنِ الأَنْجَمِ الشُّهْبِ^(٥).
وله في الحمر (الحلّة السراء ١: ١٢٠):

ذَكَرَ الصُّبُوحَ فَظَلَّ مُضْطَجِعاً بِتَمَعْلٍ الإِبْرِيقِ وَالْقَدْحِ^(٦).
مَا زَالَ حَيّاً وَهُوَ يَهْرُبُهُمَا حَتَّى أَمَاتَتْهُ الكُؤُوسُ ضَحَى.
في النقد والتقليد:

إِنَّ الأَحْوَالَ الاجْتِمَاعِيَّةَ وَالْخِصَائِمَ الأَدَبِيَّةَ لَا تَسْتَقِرُّ فِي الأَعَصَرِ فَجْأَةً، بَلْ عَلَى

-
- (١) يشغل في نظري كل حاضر معنا، ولو كان ناسكاً شديد السك، لأنني أغار على هذا الساني الجميل من كل إنسان.
- (٢) قفلت: رجعت (من الحرب منصوراً) وهادنت العدو، ولكن الحسب لم يهادني (لم يهدد سيوفه عني).
- (٣) تقرُّ بعيني: تقرُّ بها عيني (أصبح سروراً). نهَّد من جنبي (نهَّد الأرض لحبي) لجملي سترجماً.
- (٤) كنت سروراً مع حبيبي فاعتدى عليَّ عدوٌّ ففركت حبيبي لأقوم بغزوة على العدوِّ كبيرة تضيق عنها الأرض.
- (٥) إذا ظهر هذا الجيش وكأنه قطعة سوداء كالليل (لكثرة ما فيه من الدروع، من الجود) ظهرت فيه رؤوس الرماح (لكنرتها) كالأنجم الشهب (النجوم البيضاء) فأصبح كالنهار.
- (٦) الصبوح: شرب الحمر صباحاً. وكان سروراً يشرب الحمر، فلما استمرَّ شره إلى الضحى (بعد أن تملو الشمس فوق الأفق الشرقي) مات (غاب عن الوعي).

التدريب قليلاً قليلاً وشيئاً بعد شيء. ثم يحسن أن نلاحظ أن أحوال الاجتماع وخصائص الأدب لا تغيب، عند الانتقال من عصر إلى عصر، مرة واحدة، بل تبقى منها بقايا راسية في المجتمع وبادية إلى جانب الأحوال والخصائص الجديدة. ويجوز لنا أن نقول: إن في كل عصر رواسب من جميع العصور التي سبقت مفرقة في نواحيه المختلفة.

ليس في ما لدينا من النتاج الأدبي في عصر الأمراء المتوارثين ما يدل على حركة للنقد، ولكن لعلنا نجد رأياً هنا ورأياً هناك، كما قال عبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨، راجع ترجمته):

والثغر لا يلس إلا على فراغ قلب وآتاع الخلق!

ومن وجوه النقد «المقياس» الذي نقيس به الشعر الجيد والشعر غير الجيد. إنه الإعجاب أول أسس النقد الفطري، في مقابل النقد العلمي الذي هو منهج ذو قواعد قائمة على الأسباب والنتائج بعد النظر في القطعة المعروضة للنقد. في النقد الفطري (في الاجتماع وفي الأدب) نعجب بالرجل فنحجب كل شيء يصدر منه. أما في النقد العلمي فإننا ننظر إلى القطعة بقطر النظر عن صاحبها. وقد تنقد قطعتين لأديب واحد، فتثبت إحداها على النقد ونسقط الثانية منها عند النظر.

والمعارضة (تقليد الشاعر لشاعر آخر) وجه من وجوه النقد الفطري. أليس هو مظهراً من مظاهر الإعجاب والحكم لشاعر بأنه أحسن؟

نجد ليحيى بن حكيم الغزالي (ت ٢٥٠) قصيدة في الخمر عارض بها أبا نواس معارضة قريبة جداً، قيل إنها خدعت أدهاء بغداد (راجع نفع الطيب ٢: ٢٦٠ - ٢٦١). من هذه القصيدة ليحيى الغزالي:

فلما أتيت الحان ناديت ربه فتار خفيف الروح نحو ندائي^(١).

(١) الحان: الحانة (دكان لبيع الخمر).

قَبِلَ هَجُوعَ الْعَيْنِ إِلَّا تَبَلَّهَ عَلَى وَجَلٍ مِنِّي رَمَى نَظْرَانِي^(١)
فَقُلْتُ: «أَذِقْنِيهَا». فَلَمَّا أَذَقَهَا طَرَحْتُ إِلَيْهِ رَتِيطِي وَرِدَانِي^(٢)
وَقُلْتُ: «أَمِرْنِي بِذَلَّةٍ أَسْتَبِيرُ بِهَا» بَذَلْتُ لَهُ فِيهَا طَلَّاقَ نَسَائِي^(٣)

إِنَّمَا لَا نُخْطِئُ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ نَفْسَ أَبِي نَوَاسٍ (ت ١٩٩ هـ) وَلَا أَلْفَاظَهُ
وَمَرَائِكِيهِ. فَمِنْ مَدِيحِ أَبِي نَوَاسٍ لِمَرْوَانَ الرَّشِيدِ قَصِيدَةٌ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْحَمْرِ مِنْهُ:

...إِلَى بَيْتِ حَبَانٍ لَا تَهْمُ كِلَابُهُ عَلَيَّ وَلَا يُنْكِرُنْ طَوْلَ ثَوَانِي^(٤)
فَإِنْ تَكَرَّرَ الصَّنْبَاءُ أَوْدَتْ بِتَالِدِي فَلَمْ تُؤَجِبْنِي أَكْرَوْمِي وَحِبَالِي^(٥)
فَمَا رَمَتْهُ حَتَّى أَتَى دُونَ مَا حَوَتْ بَيْنِي حَتَّى رَتِيطِي وَجِدَانِي^(٦)

لَمَّا أَخْرَجَ الْوَزِيرُ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ بَيْتِهِ لِيَسَاقَ إِلَى الْقَتْلِ (٢٧٣ هـ)
كَتَبَ إِلَى جَارِيَةٍ لَهُ اسْمُهَا عَاجُ يَقُولُ (الحلّة السيرة ١: ١٤٠ - ١٤١):

وَإِنِّي عِدَانِي أَنْ أَزُورَكَ مُطِيقٌ وَبَابٌ مُبِيعٌ بِالْهَدِيدِ مُضَيَّبٌ^(٧)
وَفِي النَّفْسِ أَشْيَاءٌ أُبَيْتُ بِفَمِّهَا كَأَنِّي عَلَى جَرِّ النَّفْسِ أَتَقَلَّبُ^(٨)
وَكَمْ قَاتِلٍ قَالَ: «أَنْجُ، وَبِحُكِّ سَالِمًا فِي الْأَرْضِ عَنْهُمْ مُتَرَادٌ وَمَذْهَبٌ
فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْفَرَارَ مَذَلَّةٌ وَنَفْسِي عَلَى الْأَسْوَاءِ أَحْلَى وَأَطْيَبُ^(٩)

- (١) التبلّة: (الشبه القليل)، ما يحاول الإنسان أن يكتبه به. الوجل: الخوف. النظراء: الأكفاء، المتساوون في المرتبة. (صاحب الحانة يكون غير مسلم. من أجل ذلك يخاف من المسلمين الأتني إليه لئلا يكونوا من رجال الشرطة المتخفين).
- (٢) الرهطة: رداء من قطعة واحدة رمى نسج لين نفيس غال (دفع ذلك ثمنًا للخمر).
- (٣) - أقمست بيناً أن أطلّق امرأتِي إِذَا لَمْ أَرَهُ لَهُ تِلْكَ الْبِذْلَةَ.
- (٤) هَرَّ الْكَلْبِ: نَحَجَ وَكَثَّرَ عَنْ أَنْبَاءِهِ. التواء: الكتف والبقاء.
- (٥) أَوْدَتْ بِهِ الْأَحْدَاثُ: أَهْلَكَتْهُ. التالّد: المال القديم (الموروث). وقاه الأمر: منه إيهام أو دفع الأمر عنه، حماه.
- (٦) رَمَتْ (بِكسر الراء) أَرَمَ: تَرَكْتَ (غَادَرْتَ الْمَكَانَ). أَنَى دُونَ مَا حَوَتْ بَيْنِي: أَخَذَ مِنِّي كُلَّ مَا كُنْتُ أَمْلِكُ.
- (٧) عِدَانِي: شَتْلِي، مَنَعْنِي. مُطِيقٌ: السَّجَنُ تَحْتَ الْأَرْضِ. مُضَيَّبٌ: مَقْفَلٌ بِصَفَةِ (يَفْتَحُ الصَّادَ: حَدِيدَةً عَرِيضَةً يَشُدُّ بِهَا الْبَابَ إِلَى الْمَدَارِ).
- (٨) النَّفْسُ: شَجَرٌ شَدِيدُ الْاشْتِمَالِ وَالْحَرَارَةِ.
- (٩) الْأَسْوَاءُ جَمْعُ سُوءٍ (شَرٍّ).

سَارُضِي مُحْكَمُ اللَّهِ فِي مَا يَنْوِيهِ^(١) وما من قضاء لله للمرء مهرب^(٢).

ففي هذه الأبيات نفسٌ جاهليٌّ عليه أثرُ النابغة.

وأحسنُ من أبياتِ هاشمِ بنِ عبدِ العزيزِ أبياتُ سَوارِ بنِ حَمْدَوَيْهِ القيسي:
(ت ٢٧٧) قال (الحلة السراء ١: ١٥٠):

وَلَمَّا رَأَوْنَا رَاجِعِينَ إِلَيْهِمْ تَوَلَّوْا سِرَاعًا خَوْفًا وَقَعَ الْمَناصِلِ^(٣).

لَقَدْ سَلَ سَوارٌ عَلَيْكُمْ مُهَنَّدًا يَجِدُّ بِهِ الْهَامَاتِ جَدًّا الْمَفاصلِ^(٤).

بِهِ قَتَلَ اللَّهُ الْهَنِينَ تَحَزَّبُوا عَلَيْنَا وَكَانُوا أَهْلَ إِفْكٍ وَبَاطِلٍ.

ولكنَّ النفسَ لا يزالُ جاهليًّا برُغْمِ الألفاظِ الإسلامية.

زرياب: الغناء

في سَنَةِ ٢٠٧ (٨٢٢ م)، في الأغلب، في مَطْلَعِ عَهْدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ
(٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) أَنتَقَلَ زَرْيَابٌ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى قُرْطُبَةٍ.

كان زَرْيَابٌ، وهو أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ نَافِعٍ^(١)، تَلْمِيزَ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيِّ (ت ٢٣٥)،
مَغْنِيًّا نَابِغًا وَضارِبًا عَلَى الْعُودِ قَدِيرًا، وَقَفَّتْ وَخْشَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَساتِذِهِ إِسْحَاقَ فِي خَيْرِ
طَوِيلٍ (راجع نَفْحَ الطَّيِّبِ ٣: ١٢٢ وما بعد) فَفَادَرَ بَغْدَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ. وَحَظِيَ
زَرْيَابُ عِنْدَ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ حَظًّا عَظِيمًا وَعَلَتْ مَكَانَتُهُ فِي الْجَمْعِ
الْأَنْدَلُسِيِّ وَقَلَّدَهُ النَّاسُ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَمَطِ حَيَاتِهِ.

وَفِي الْأَنْدَلُسِ زَادَ زَرْيَابُ أَوْتارَ عُودِهِ وَتَرَأَ خَاسِمًا وَسَطًا (فِي الْمَكَانِ وَفِي الْقُوَّةِ)
وَسَمَاءَ الْأَوْسَطِ وَجَمَلَهُ فِي وَسَطِ الْأَوْتارِ الْأَرْبَعَةِ تَحْتَ الثَّلَثِ وَفَوْقَ الثَّنِيِّ، وَأَتَّخَذَ

(١) ناب: أحاب.

(٢) الماثل جمع مصل (بضم الميم والصاد): السيف.

(٣) جد: قطع. الهامة: الرأس.

(٤) زرياب، تأليف محمود أحمد الحفني (في أعلام العرب، رقم ٥٤)، القاهرة (الدار المصرية للتأليف
والترجمة) بلا تاريخ، نفع الطيب ٣: ١٢٢ - ١٣٥ أعلام للزركلي ١٨٠: ١٨١ - (فيه شيء من
التحقيق). مجلة «العربي» (الكويت) ٤: ٦٢١ ص ١٠٢.

بضاربَ العمود (الريشة التي يُعزَفُ بها) من الريش الكبير في جناح النسر، بذلك قطعة الخشب المُرَهَفة (المُرَقَّعة)، لأنَّ قطعة الخشب المُرَهَفة تتشعَّت فتُحْدِثُ عند الضرب عدداً من التَّنَقَّراتِ في وقتٍ واحدٍ.

وكانت وفاة زُرْيَابَ في الثاني والعشرين من صَفَرٍ من سَنَةِ ٢٣٨ (١٣ / ٨ / ٨٥٢ م) - قبلَ وفاة عبدِ الرحمن الأوسطِ بأربعين يوماً. وقد كانت مُدَّةُ زُرْيَابَ في الأندلس قريبةً جداً من مُدَّةِ عبدِ الرحمن الأوسطِ على عَرْشِ الأندلس. وخَلَفَ زُرْيَابُ ثمانية أبناءٍ وبنتين يُعْرِفون الفناء. وكان أبردُ أبنائه في ذلك قاسمٌ. وكانت حَمْدُونَةُ أبردَ أولادِ زُرْيَابَ في الفناء، ولكنَّ عَلِيَّةَ عاشت طويلاً بعدَ حَمْدُونَةَ فأخذَ الناسُ عنها من الفناء أكثرَ مما أخذوا عن أختها وإخوتها.

ولقد كان للفناء في الأندلس تأثيرٌ كبيرٌ سَراه عند الكلام على نشأة فنِّ التوشيح.

عبد الرحمن الداخل

١ - هو أبو المَطَّرَفِ عبدُ الرحمن بنُ مُعاويةَ بنِ هشام. بن عبدِ الملك بن مروان، وأُمُّه بربرية من سَبْيِ المغرب تُسَمَّى راحَ أو رَدَاح. وكان مولدُ عبدِ الرحمن في قرية تُدعى دهر حَسَنَة قُرْبَ دِمَشْقَ، سَنَةِ ١١٣ (٧٣١ م)؛ وقد تُوُفِّيَ أبوه وتركه صغيراً.

استطاع عبدُ الرحمن الداخلُ أن يدخلَ الأندلسَ ويُعيدَ فيها مُلْكَ بني أُمَيَّةَ الذي سَقَطَ في المَشْرِقِ فبِوَجِ له بالإمارة في قُرْطُبَةَ يَوْمَ الأَضْحَى من سَنَةِ ١٣٨ (المُجْمَعَةُ عاشرَ ذي الحِجَّةِ = ١٣ / ٥ / ٧٥٦ م). وكانت وفاته في عاشرِ جُمادى الآخرة من سَنَةِ ١٧٢ (١٥ / ١١ / ٧٨٨ م) - راجع أحداث حياته السياسية، فوق، ص ٥٤.

٢ - كان عبدُ الرحمن الداخلُ عُمَرائاً جليلاً ومُهَنْدِساً بارِعاً فهو مُصمِّمُ جامعِ قُرْطُبَةَ الشهيرِ رَتَبَ أعيدته الكثيرة على شكلٍ يُمكنُ كلَّ مُصلٍّ من أن يرى الإمام. وقد كان قَلْبُ الجامع يبدو وكأنه غابة من التخيل.

لعبدِ الرحمن الداخلِ شِعْرٌ كثيرٌ مشهور (البيان المغرب ٢ : ٦٠)، ولكن الذي

وصل إلينا منه قليل جداً. وشعره الباقي لنا في الحنين إلى أرض المشرق وفي المهامة والوصف؛ وهو شعرٌ وُجداني. وله أيضاً رَجَزٌ (راجع «أخبار مجموعة»، ص ١١٧-١١٨).

٣ - مختارات من شعره

- لَمَّا نَزَلَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بُنْيَةَ الرُّصَافَةِ (بقرطبة) نَظَرَ إِلَى نَخْلَةٍ فَهَاجَتْ شَجْنَهُ (حزنه) وَتَذَكَّرَ وَطَنَهُ فَقَالَ:

نَبِذْتُ لَنَا وَسَطَ الرُّصَافَةِ نَخْلَةً تَلَاهَتْ بِأَرْضِ الْغَرْبِ عَنْ بِلَدِ النُّخْلِ^(١).
فَقُلْتُ: شَبِيهِ فِي التَّغْرُبِ وَالنَّوَى وَطُولِ النَّتَايِ عَنْ بَيْتِي وَعَنْ أَهْلِي.
نَشَأْتُ بِأَرْضٍ أَنْتَ فِيهَا غَرِيبٌ؛ فَمِثْلُكَ فِي الْإِقْصَاءِ وَالْمَتَايِ مِثْلِي.
مَقْتَلِكِ غَوَادِي الْمَزْنِ فِي الْمَتَايِ الَّذِي يَسُحُّ، وَيَسْتَمْرِي السَّاهِكِينَ بِالْوَبْلِ^(٢).
- وَقَالَ أَيْضاً فِي وَصْفِ هَذِهِ النَخْلَةِ:

بِأَنْخَلٍ، أَنْتِ فَرِيدَةٌ مِثْلِي فِي الْأَرْضِ نَائِيَةٌ عَنِ الْأَهْلِ^(٣).
نَبِكِي، وَهَلْ تَبْكِي مُكَمَّمَةً عَجَاهُ لَمْ تُجَبِّلْ عَلَى جَبَلِي^(٤)؟
وَلَوْ أَنَّهَا عَقَلَتْ إِذَا لَبَكَّتْ مَاءَ الْفُرَاتِ وَمَنْبِتَ النُّخْلِ^(٥).
لَكُنَّهَا حَرُمَتْ، وَأَخْرَجْنِي بُغْضِي بَنِي الْعَبَّاسِ عَنْ أَهْلِي^(٦).

- (١) الرُّصَافَةُ = رصافة (مرفأ للسفن على النهر) قرطبة. تَلَاهَتْ: بعدت.
(٢) غَوَادِي: غيوم تأتي في الصباح. الْمَزْن: المطر. الْمَتَاي: المكان البعيد. يَسُحُّ المطر: تساقط بكثرة واستمرار. يَسْتَمْرِي: يستحلب (يسبب خروج اللبن من صرع الناقة أو البقرة) = يسبب سقوط المطر. السَّاهِكِينَ: نجان في السماء. الْوَبْل: المطر الشديد. يَسْتَمْرِي السَّاهِكِينَ: (كتابة عن الإتيان بمطر كثير).
(٣) فَرِيدَةٌ: مفردة، موجودة وحدها.
(٤) كُنْتُ (بالبناء للمجهول) النخلة أخرجت كمامها (يكسر الكاف): العنق (يكسر الميم) الذي يكون فيه نمرها. وَكُنْتُ أَيْضاً: غَطِيتُ (بالبناء للمجهول) حَتَّى يَصْبِحَ بِلْحَا نَمْرًا. تَبْكِي (= كَانَتْ تَبْكِي). عَجَاهُ (لَا تَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ). لَمْ تُجَبِّلْ عَلَى جَبَلِي (لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ طَبِيعَتَهَا مِثْلَ طَبِيعَتِي = طَبِيعَةُ بَشَرِيَّةٍ).
(٥) لَوْ كَانَتْ تَعْقِلُ (لَوْ كَانَتْ مِنَ الْبَشَرِ)... مَاءَ (نَهْرِ الْفُرَاتِ) وَمَنْبِتَ النُّخْلِ. (بِلَادِ الشَّامِ).
(٦) حَرَمَتْ بِلَادَ الشَّامِ عَلَيَّ فَتَرَكْتُهَا.

- ٤ - صقر قریش، تألیف علی أدهم، القاهرة (مطبعة المتكطف والمكظم) ١٩٣٨ م.
- صقر قریش، تألیف عبد الرحمن كحيلة (أعلام العرب ٧٦)، القاهرة (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٨ م.
- ** أخبار مجموعة ٤٦ - ١٢٠: ابن الفرسي ١١١ جذوة المنيس ٩ - ١٠: (الدار المصرية) ٨ - ١٠: بغية المنص ٦٥: الحلة السراء ١: ٣٥ - ٤٢: نفع الطيب ١: ٢٨٢ - ٢٨٣، ٣٣٢ - ٣٣٤، ٥٤٥ - ٥٤٦، ٥٥٨ - ٥٦٣ (جامع قرطبة)، ٣: ٢٧، ٥٥ - ٥٨، ١٦٠ - ١٦١: البيان المغرب ٢: ٤٤ - ١٦٠ وسوى ذلك من كتب التاريخ العامة: نيكل ١٧ - ١٩: دائرة المعارف الإسلامية ١: ٨١ - ٨٢: الأعلام للزركلي ٤: ١١٣ - ١١٤ (٣: ٣٣٨).

خُرَيْشُ الْكِنْدِيِّ

- ١ - هو خُرَيْشُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خُرَيْشٍ الْكِنْدِيُّ، وَهُوَ مِنَ الْعَرَبِ (الْبَدْوِ) الَّذِينَ أَنْتَقَلُوا إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ (نونس) قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهَا الْمُسَوْدَةُ (دُعَاءُ بَنِي الْعَبَّاسِ). وَخَلَعَ خُرَيْشٌ طَاعَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالتَفَتَ حَوْلَهُ جُوعٌ مِنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ فَحَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِالثَّوْرَةِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَعْلَبِ وَالْيَ تُونِسَ مِنْ قَبْلِ هُرُونَ الرَّشِيدِ. فَبَعَثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَعْلَبِ إِلَيْهِ عِمْرَانَ بْنَ مُجَالِدٍ فَلَقِبَهُ عِمْرَانُ فِي سَبْعَةِ تُونِسَ وَقَاتَلَهُ. فَأَنْهَزَهُمْ خُرَيْشٌ وَقُتِلَ هُوَ وَجَمَاعَتُهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَذَلِكَ سَنَةَ ١٨٦ (٨٠٢ م).
- ٢ - لخُرَيْشِ الْكِنْدِيِّ شَعْرٌ وَنَثَرٌ يَجْرِيَانِ عَلَى الْخِصَائِصِ الْمَشْرِقِيَّةِ.

٣ - مختارات من آثاره.

لَمَّا خَلَعَ خُرَيْشٌ طَاعَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ وَثَارَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَعْلَبِ كَتَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ابْنِ الْأَعْلَبِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَقَمْتُ عَنِ الْخُرُوجِ قَبْلَ يَوْمِي هَذَا^(١) لِأَنِّي كُنْتُ أَنْتَظِرُ أَنْ تُفْنِكَمُ الْحَرْبُ^(٢). فَلَمَعْمُرِي، لَقَدْ أَرَانَا اللَّهَ فِيكُمْ مَا قَوَى بِهِ أَهْلَ دَعْوَةِ الْحَقِّ

(١) أقمت عن الخروج... تركت القيام بثورة قبل اليوم.

(٢) أن تفنيكم الحرب (بالقتال بين المصيبات، يقتال بعضهم بعضاً).

عليكم^(١). فلما وُلِّيتَ أَنْتَ وَعَلِمْتَ أَنَّهُمْ مَقْسُومُونَ بَيْنَ خَوْفِكَ مِنْكَ وَرَجَاءِ لَكَ عَرَفَتْ قَلَّةَ طَنَبِهِمْ فِيكَ^(٢). ولو كان أَحَدٌ مِمَّنْ وَلِيَ هَذَا الثَّغَرَ - مِمَّنْ لَا نَرَى طَاعَتَهُ - يَسْتَحِقُّ أَنْ نَرْضَى بِوَلَايَتِهِ لَكُنْتُ أَنْتَ..... وَلَسْتُ أَطْلُبُكَ^(٣) إِنْ خَرَجْتَ عَنِ الثَّغْرِ، فَلَا تُرَدُّ أَنْ تَصِلَى^(٤) عَجْرِي، وَلَيَكُنْ رَأْيُكَ طَلَبَ سَلَمِي. وَالسَّلَامُ.

فَارْجِعْ عَنِ الْغَرْبِ أَوْ أَلْقِ السَّلَامَ بِهِ لَا نَخْشَى نَفْسَكَ الْمَنَاهَا حِينَ تَلْقَانَا^(٥).
وَسَوْفَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ يَسْمَعُ لِي إِذَا التَّفَتُّ بِنَوَاحِي الْعَصَصِ خَيْلَانَا^(٦).

٤ - * * * الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ١٠١ - ١٠٤.

مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ الْمَعَاوِي

١ - هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ بْنِ شُرَاحِيلَ الْمَعَاوِيٍّ أَصْلُهُ مِنْ عَرَبِ بَصْرَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى الْأَنْدَلُسِ مَعَ بَلْجٍ مِنْ بَشَرٍ وَنَزَلُوا فِي تَدْمِيرٍ. وَقَدْ أَسْتَقْبَلَ سُلْطَنُهُ إِلَى بَاجَةَ (جَنُوبَ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ).

تَلَقَّى مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ الْعِلْمَ فِي قُرْطُبَةَ. ثُمَّ رَحَلَ فَسَمِعَ شَيْئاً مِنَ الْعِلْمِ فِي بَصْرَ. وَحَجَّ وَلَقِيَ مَالِكَ بْنَ أَنْسَرَ فقيهَ الْمَدِينَةِ وَسَمِعَ مِنْهُ. ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ بَاجَةَ. وَيَبْدُو أَنَّهُ جَاءَ إِلَى قُرْطُبَةَ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَصْبَحَ كَاتِباً لِلْقَاضِي الْمُصَنَّبِ بْنِ عِمْرَانَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَاجَةَ بَعْدَ وَفَاةِ الْمُصَنَّبِ.

وَأَسْتَدْعَى الْأَمِيرُ الْحَكَمُ بْنُ هَنَامٍ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) مُحَمَّدَ بْنَ بَشِيرٍ وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْقَضَاءَ فَأَبَى فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ثُمَّ عَادَ فَقَبِلَ وَتَوَلَّى الصَّلَاةَ وَالْقَضَاءَ. ثُمَّ إِنَّ الْحَكَمَ عَزَلَ

(١) أَهْلُ دَعْوَةِ الْحَقِّ: بَنُو عَلِيٍّ مِنَ (الْإِدَارَةِ؟).

(٢) عَرَفَتْ قَلَّةَ طَنَبِهِمْ فِيكَ: ضَعُفَ أَمْلُهُمْ بِمَعَارِبِكَ وَالتَّغَلُّبَ عَلَيْكَ.

(٣) وَلَسْتُ أَطْلُبُكَ: لَا أَتَقَدَّمُ وَأَبْدَأُ بِقِتَالِكَ.

(٤) تَصِلُ عَجْرِي: تَذُوقُ طَعْمِ حَرْبِي (وَعَزِيمَتِكَ).

(٥) احْتَرَسْتَ الْمَيِّتَةَ (الْمَوْتَ): مَاتَ بِأَكْرَأَ (ثَنَاءً).

(٦) الْفَحْصُ: كُلُّ مَوْضِعٍ يُسَكَّنُ (فِي مَنْحَفٍ مِنَ الْأَرْضِ؟). وَفِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ عِدَّةٌ مِنَ الْأَمَاكِنِ تُعْرَفُ بِاسْمِ الْفَحْصِ، نَحْوُ فَحْصِ الْبَلُوطِ، الْخ. خَيْلَانَا: حَيْلِي (فَرَسَائِي، جُنُودِي) وَخَيْلِكَ.

محمد بن بشير، ولكن رده بعد مدة وجيزة إلى منصبه.

وكانت وفاة محمد بن بشير سنة ١٩٨ (٨١٣ - ٨١٤ م) في قرطبة.

٢- كان محمد بن بشير من القضاة المتشددين في الحق حتى أنه رد شهادة الأمير الحكم بن هشام، كما كان قليل الاهتمام بأحوال الدنيا ثم لم يكن يبالي بنمذحه ولا بمن يذمه. وكان أديباً له أبيات فيها شيء من الشكوى والتكئة.

٣- مختارات من شعره.

إنما * أزرى بقذري أنني لست من بابة هذا البلد^(١).
ليس منهم غير ذي مقليبة لذوي الأبواب أو ذي حد^(٢).
يتحامون لِقائي مثلاً يتحامون لقاء الأسد.
مطلعي أثقل، في أغنيهم وعلى أنفسهم، من أحد^(٣).
لو رأوني وسط بحر لم يكن أحد يأخذ منهم بيدي^(٤).

•• بنية الملتس ٥١ - ٥٣ (رقم ٦٩) قضاة الأندلس ٣٧ - ١٥٣ المغرب ١: ١٤٤ - ١٤٥
التكملة ١: ١٩٠. نفع الطيب ٢: ١٤٣ - ١٤٩ الأعلام للزركلي ٦: ٢٧٧ (٥٢).

جودي بن عثمان

جودي بن عثمان العبسي الموروري، من مولدي الأندلس، وُلد في طليطلة ثم سكن موزور، وكان مولى لآل طليحة العبسين.

ذهب جودي إلى غرناطة فدرس النحو ثم رحل إلى المشرق فلقب الكيائي (ت ١٨٨) والرؤاسي (ت ١٩٠) والفراء (ت ٢٠٧) وغيرهم. وهو أول من أدخل كتاب

(٥) تروى لؤم بن سعيد (ت ٢٦٧ هـ - راجع تحت ص ١٢٣).

(١) أزرى: عاب (المحط بقذري، حمض مؤنث). بابة: نوع، صنف، مستوى (أنا أهل منهم منزلة).

(٢) مقليبة: بغص.

(٣) أحد: جبل قرب المدينة.

(٤) ما كان أحد منهم يريد انتشالي (انقاذي).

الكِسَائِيَّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَتَقَلَّ تَعْلِيمَ الْعَرَبِيَّةِ (النحو) مِنْ مَذْهَبِ الْبَصْرِيِّينَ إِلَى مَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ (رَاجِعِ الْجُزْءَ الثَّانِيَّ)، وَخُصُوصاً مَذْهَبَ سِيبَوِيهِ (ت ١٨٠). وَكَانَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مِنْ قَبْلُ يَدْرُسُونَ اللُّغَةَ وَالنَّحْوَ فِي النُّصُوصِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ كُتُبٌ ذَاتُ مَنْهَجٍ مُعَيَّنٍ (مُقَسِّمَةُ أَبْوَاباً وَمَوْضُوعَاتٍ). ثُمَّ إِنَّ جُودِيَّ آفَلَ كِتَاباً فِي النَّحْوِ.

وَكَانَ جُودِيٌّ لَمَّا عَادَ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ سَكَنَ فِي قُرْطَبَةٍ وَتَصَدَّرَ فِيهَا لِلتَّعْلِيمِ، وَكَانَ يُؤَدِّبُ أَوْلَادَ الْأَمْرَاءِ الْمُتَوَارِثِينَ.

وَنُوفِيَّ جُودِيٌّ بَنُ عُمَانَ فِي قُرْطَبَةٍ سَنَةَ ١٩٨ هـ (٨١٣ - ٨١٤ م).

★ الزُّبَيْدِيُّ ٢٧٨ - ٢٧٩؛ مَجْمَعُ الْأَدْبَاءِ ٧: ٢١٣ - ٢١٤؛ إِنْبَاءُ الرِّوَاةِ ١: ٢٧١ - ٢٧٢؛ بَغِيَّةُ الوَعَاةِ ٢١٣ - ٢١٤؛ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ (ط ١) ٢: ٥٧٤ - ٥٧٥.

الغازي بن قيس

كَانَ أَبُو عَمَّادٍ الْغَازِيُّ بَنُ قَيْسٍ مُؤَلِّداً مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ. وَلَمَّا دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيْنُ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ (سَنَةَ ١٣٨) كَانَ الْغَازِيُّ بَنُ قَيْسٍ يَشْتَغِلُ بِالتَّأْدِيبِ (التَّعْلِيمِ) فِي قُرْطَبَةٍ. ثُمَّ إِنَّهُ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فِي أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ (١٣٨ - ١٧٢ هـ).

وَأَذْرَكَ الْغَازِيُّ بَنُ قَيْسٍ - فِي رَحْلَتِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ - الْأَصْمَعِيَّ (ت ١٥٥) وَرَوَى عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ (ت ١٥٧) وَشَهْدَ مَالِكَ بَنِ أَنْسَرٍ (ت ١٧٩) وَهُوَ يُؤَلِّفُ الْمَوْطَأَ وَرَوَاهُ عَنْهُ وَحَفِظَهُ وَقَبِلَ إِنَّ الْغَازِيَّ بَنُ قَيْسٍ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ كِتَابَ الْمَوْطَأِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، كَمَا أَذْرَكَ نَافِعُ بَنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَ(ت ١٦٩) أَحَدُ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ (لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) وَقَرَأَ عَلَيْهِ وَأَدْخَلَ قِرَاءَتَهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ.

وَلَمَّا دَخَلَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ (١٣٨ هـ) وَجَدَ فِيهَا يَحْيَى بَنَ يَزِيدَ اللَّخْمِيَّ قَاضِيًا فَأَثْبَتَهُ عَلَى الْقَضَاءِ وَلَمْ يَمَزَلْهُ إِلَى أَنْ مَاتَ (النِّبَاهِي ٢١). فَيَقَالُ إِنَّ الْأَمِيرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَرَادَ أَنْ يُعَيِّنَ لِلْقَضَاءِ الْغَازِيَّ بَنُ قَيْسٍ فَأَمَى الْغَازِيَّ فَوَلَّى عَبْدَ الرَّحْمَنِ عِنْدَئِذٍ مُعَاوِيَةَ بْنَ صَالِحٍ الْحَضْرَمِيَّ الْخِمْصِيَّ (ت ١٦٨).

ثم إنَّ الأمير هشامَ بنَ عبد الرحمن (١٧٢ - ١٨٠ هـ) والأميرَ الحكمَ بنَ هشام (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) جَعَلَاهُ مُؤَدِّباً لأَوْلَادِهَا.

وكانت وفاةُ الغازي سَنَةَ ١٩٩ (٨١٤ م) وقد أَسَنَ في الغالب.

•• الزبيدي ٢٨٦ - ٢٨٧، ابن الفرضي ٣٨٧: ١ (رقم ١٠١٥) جنوة المقتبس ٣٠٥ (الدار المصرية) ٣٢٤ (رقم ٧٤٨) بغية الملئس ٣٢٥ (رقم ١٢٧٢) بغية الوعاة ١٣٧١ الأعلام للزركلي ٣٠١: ٥ (١١٣).

أبو المَخْشَى

١ - هو أبو يحيى عاصمُ بنَ زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن زيد التميمي العبادي المعروف بأبي المَخْشَى، دخل أبوه إلى الأندلس مع جُند الشام، في أواخر سنة ١٢٣ (خريف ٧٤١ م)، ثم نزل بقرية شَوْش.

ويبدو أن أبا المَخْشَى نفسه قد وُلِدَ في الأندلس فنشأه أبوه على قول الشعر، فشبَّ شاعراً وأنقطع إلى سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية، ومدحه مرّةً بقصيدة منها:

وليس كَيْشَلٍ مَنْ إِنْ سِمْ عُرْفًا يُقَلِّبُ مُقَلَّةً فِيهَا أَزْوَارًا!

ففيظَ هشامُ بن عبد الرحمن من قول أبي المَخْشَى - لَأَنَّهُ كَانَ أَحُولَ، كما كانت بينه وبين أخيه سليمانَ وَحْشَةً - فأمر بأبي المَخْشَى فُسِّلَت عيناه. فنظم أبو المَخْشَى قصيدةً جاء بها إلى الأمير عبد الرحمن، فرقَّ له عبد الرحمن وأعطاه أَلْفَيْ دِينَارٍ (ضِعْفَ دِيَةِ الْعَيْنَيْنِ).

وكانت وفاة أبي المَخْشَى في أيام الأمير الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦ هـ).

٢ - أبو المَخْشَى من فعول الشعراء المتقدمين في الأندلس مقتدرٌ على قول الشعر، بَدَوِيَّ الأسلوب واضحُ المعنى سهل الألفاظ والتراكيب. كان مداحاً كثير الفخر جَسوراً على الأعراض. وقد هاجى شاعراً اسمه أَيْنُ هُبَيْرَةَ (المغرب ٢: ١٢٤) وكان هجاءه كُلُّ واحدٍ منها لخصمه مُقْذِعاً. وهو حسنُ الوصف، وقد اشتهر بقصيدة طويلة قالها في العمى بعد أن سَمَلَ هشامُ عينيه. وله رَجَزٌ أيضاً.

مطلع القصيدة التي قالها أبو المخشى في العمى:

خَضَعْتُ أُمَّ بَنَاتِي لِلْمَدَى أَنْ قَضَى اللَّهُ قَضَاءَهُ فَمَضَى .
وَرَأْتُ أَعْمَى ضَرِيحاً إِنَّمَا مَشِيَهُ فِي الْأَرْضِ لَمْسٌ بِالْعَصَا .
فَأَسْتَكَانْتُ ثُمَّ قَالَتْ قَوْلَةً ، وَهِيَ حَرَى ، بَلَفْتُ مِنِّي الْمَدَى ^(١) .
فَفُؤَادِي قَرِحٌ مِنْ قَوْلِهِمَا : مَا مِنْ الْأَدْوَاءِ دَاءٍ كَالْعَمَى ^(٢) .
وَإِذَا نَالَ الْعَمَى ذَا بَصَرٍ كَانَ حَيًّا مِثْلَ مَيِّتٍ قَدْ تَوَى ^(٣) .
وَكَلَّ أَنْ النَّاعِمَ الْمَسْرُورَ لَمْ يَكُ مَسْرُوراً إِذَا لَاحَ الرَّدَى ^(٤) .

- وقال في مقاساة المسموم:

وَهُمْ ضَافِنِي فِي جَوْفِ يَمٍّ كِلَا مُوجَّئِهَا عِنْدِي كَبِيرٌ ^(٥) .
فَبِتْنَا وَالْقُلُوبُ مُعَلَّقَاتٌ وَأُجْنِحَةُ الرِّيحِ بِنَا تَطِيرُ ^(٦) .

١ - * * جنوة المقتبس ٣٧٧ (الدار المصرية) ١٠١ - ١٠٢ (رقم ٩٥٢ أو ٩٥٣) ١: بنية
الملتص ٥١٣ (رقم ١٥١٣) ١: المغرب ٢: ١٢٣ - ١٢٤ الذيل والتكملة ٥:
١٠٢ - ١٠٣ نفع الطب ٤: ١٦٧: نيكل ١٩ .

الحكم الربضي

١ - هو أبو العاصم الحكم الربضي بن هشام الرضي بن عبد الرحمن

- (١) استكان: خضع وذل. حرى: شديدة الحر (من الحزن). قولة بلفت شئى المدى: أثرت في (أحزنتني كثيراً). الذى: النهاية.
- (٢) قرح = مقروح (فيه قرحة بالضم) مجروح.
- (٣) توى: مكث في الأرض، هلك.
- (٤) الردى: الموت.
- (٥) ضافئ: نزل عندي ضيفاً. بحر (من المسموم). كلا موجئها: موج اليم (البحر) وموج بحر المسموم (يبدو أن الشاعر كان يخاف ركوب البحر).
- (٦) بتنا: قضينا الليل (في بحر الماء). القلوب معلقات (مضطربات) بين الخوف والاطمئنان.

الداخل - وأمه أُم وَلَدِ أَسْمَا زُخْرَفُ - وَلَدَتْ سَنَةَ ١٥٤ (٧٧٠ م)، وهو الابن الثاني لهُنَّامِ الرضِي، قَدَّمَهُ أبُوهُ عَلَى أَخِيهِ الْبَكْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي وَلايَةِ الْعَهْدِ. بُويعَ بِالْحُكْمِ فِي رَابِعِ صَفَرِ ١٨٠ (١٨ / ٤ / ٧٩٦).

لَمَّا جَاءَ الْحُكْمُ إِلَى الْحُكْمِ نَارَزَهُ أَخُوَاهُ سُلَيْمَانُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَثَارَا عَلَيْهِ. أَمَّا سُلَيْمَانُ فَقُتِلَ (١٨٤ هـ). وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَلَمْ يَكُنْ صُلْبَ الْعَوْدِ كَأَخِيهِ سُلَيْمَانَ، فَلَمَّا قُتِلَ سُلَيْمَانُ طَلَّبَ عَبْدُ اللَّهِ الْأَمَانَ مِنْ أَخِيهِ الْحُكْمِ فَأَمَّنَهُ وَفَرَضَ عَلَيْهِ الْإِقَامَةَ فِي بَلَنْسِيَّةٍ، فَعُرِفَ مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ بِالْبَلَنْسِيِّ. ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ الْبَلَنْسِيُّ عَلَى الطَّاعَةِ فَكَانَ أَخُوَهُ الْحُكْمِ يُرْسِلُهُ لِإِخْضَاعِ النَّائِرِينَ أَوْ لِقَرْوِ بِلَادِ الْفِرَنْجَةِ (الإِسْبَانِ).

وَمِنْذُ مَطْلَعِ إِمَارَةِ الْحُكْمِ بَدَأَتْ عَلَيْهِ الثَّوَرَاتُ فِي سَرَقِشْطَةَ وَطَلَيْطَلَةَ وَمَارِدَةَ وَغَيْرِهَا. وَلَكِنْ أَعْظَمُ الْفِتَنِ فِي أَهْلِيهِ كَانَتْ فِي رَبَضِ قَرْطَبَةِ (الضَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا) وَفِي طَلَيْطَلَةَ:

كَانَ هِنَّامُ الرَضِيُّ (وَالِدُ الْحُكْمِ) تَقِيًّا حَلِيمًا فَكَانَ لِلْفُقَهَاءِ فِي أَهْلِيهِ نَفُوذٌ كَبِيرٌ. أَمَّا الْحُكْمُ فَكَانَ أَيْضًا تَقِيًّا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ حَازِمًا شَدِيدًا عَلَى الْخَالِفِينَ لَهُ قَاسِيًا فِي مُعَامَلَةِ خُصُومِهِ. فَأَجْتَمَعَ عَمَّاهُ سَلَمَةُ وَأُمَيَّةُ (أَبْنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ) وَالْفُقَهَاءُ بِحِمْيِ بْنِ بَحِيٍّ اللَّيْثِيِّ وَطَالُوتُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ وَأَخَذُوا يُشِيرُونَ عَلَيْهِ الْعَامَّةَ. ثُمَّ نُقِلَ إِلَيْهِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرِيدُونَ خَلْعَهُ. وَيَبْدُو أَنَّ الدُّعَاةَ الْفَاطِمِيَّينَ وَالدُّعَاةَ الْعَبَّاسِيَّينَ كَانُوا وَرَاءَ هَذِهِ الْحَرَكَةِ. فَلَمَّا حَدَّثَتْ الثَّوَرَةُ عَلَيْهِ بِرَبَضِ قَرْطَبَةِ أَخْضَعَ النَّائِرِينَ بِقَسْوَةٍ وَأَمَرَ بِقَتْلِ أَتْنَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ.

وَمِنْ أَخْطَاءِ الْحُكْمِ أَنَّهُ اتَّخَذَ بَعْدَ هَيْجَةِ الرَّبَضِ الْأُولَى حَرَسًا مِنْ نَصَارَى الْأَنْدَلُسِ وَجَعَلَ الْقَائِدَ عَلَيْهِمُ الْقَوْمَسَ رَبِيعَةَ بْنَ تَيودُولْفُو (النَّصْرَانِيَّ)، فَكَانَ هَؤُلَاءِ أَيْضًا يَكِيدُونَ لَهُ. فَحَدَّثَتْ فِي الرَّبَضِ هَيْجَةٌ ثَانِيَةٌ (فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ٢٠٢) فَكَانَ الْقَضَاءُ عَلَيْهَا أَشَدَّ قَسْوَةً إِذْ قَتَلَ الْحُكْمُ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الرَّبَضِ وَنَفَى آخَرِينَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عُرِفَ بِلَقَبِ «الرَضِي»:

وَكَذَلِكَ كَانَ أَهْلُ طَلَيْطَلَةَ كَثِيرِي الْفِتَنِ فَدَبَّرَ الْحُكْمُ لَهُمْ مَكِيدَةً ثُمَّ أَوْقَعَ بِهِمُ (١٩١)

(هـ) وَقَعَةُ عُرِفَتْ بِاسْمِ يَوْمِ الْحُقُورَةِ.

وَكَثُرَتْ غَزَوَاتُ الْحَكَمِ لِلْبِلَادِ الَّتِي كَانَتْ بَاقِيَةً فِي يَدِ الْإِسْبَانِ. إِنَّ الْبَابِيَّةَ وَالْإِفْرَنْجِيَّةَ وَصَلُوا أُنْدِيَتَهُمْ بِأَيْدِي نَصَارَى الْأَنْدَلُسِ وَأَخَذُوا يُهَاجِمُونَ الْبُلْدَانَ الْإِسْلَامِيَّةَ. وَكَانَ شَارْلَمَانُ مَلِكُ فَرَنْسَا وَإِمْبَرَاطُورُ الْغَرْبِ (ت ٨١٤ م = ١٩٩ هـ) يَقُودُ الْحَقَلَاتِ عَلَى شِمَالِي الْأَنْدَلُسِ بِنَفْسِهِ، فَكَانَ الْحَكَمُ يَرْسُلُ الْجِيُوشَ لِفَزْوِ الْبِلَادِ الْخَاضِعَةِ لِلْأَمْرَاءِ الْإِسْبَانِ أَوْ لِلْفِرَنْجِيَّةِ فِي شِمَالِي الْأَنْدَلُسِ. وَفِي سَنَةِ ١٨٥ سَقَطَتْ بَرْشَلُونَةُ فِي يَدِ شَارْلَمَانَ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ الْحَكَمِ فِي آخِرِ سَنَةِ ٢٠٦ هـ (رَبِيعِ ٨٢٢ م).

٢ - كَانَ الْحَكَمُ حَازِمًا، وَلَكِنْ حَزْمُهُ كَانَ يَبْلُغُ بِهِ أحيانًا إِلَى حَدِّ الْقَسْوَةِ. غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ عَادِلًا. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْمُرْتَزَقَةَ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ النِّصَارِيِّ وَالْوَشْيِيِّ (مِنَ الْإِسْبَانِ وَالْفِرَنْجِيَّةِ وَالْجُرْمَانِ وَسَوَاهِمِ) وَكَانَ يَسْمِيهِمْ «الْحُرُوسَ» (لِعِجْمَتِهِمْ: لِهَيْلِهِمُ اللَّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ). وَلَمْ يَقْتَصِرْ اعْتِلَاؤُهُ عَلَى الْعَرَبِ، بَلْ قَرَّبَ إِلَيْهِ الْعَرَبَ وَالْبَرْبَرِ وَالْمُؤَلَّدِينَ (الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ الْأَصْلِيِّينَ) وَالصَّقَالِبَةَ (السَّلَافَ، سَكَانَ شَرْقِي أَوْرُوبَةِ)، وَإِنْ كَانَتْ كَلِمَةُ «صَقَالِبَةُ» تُطْلَقُ فِي الْأَنْدَلُسِ عَلَى جَمِيعِ الْأَوْرُوبِيِّينَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ يَمَنْ دَخَلُوا فِي الْجَيْشِ الْأَنْدَلُسِيِّ خَاصَّةً. وَفِي أَيَّامِ الْحَكَمِ بَدَأَتْ الْعَصْبِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ تَضَعُفُ إِذْ كَثُرَ فِي أَيَّامِهِ اخْتِلَاطُ الْعَرَبِ بِالْمُؤَلَّدِينَ مِنْ طَرِيقَةِ الزَّوَاجِ.

وَكَانَ الْحَكَمُ «أَدِيبًا مُفْتَنًّا (كَثِيرَ التَّفَنُّنِ): خَطِيبًا مُفَوِّهًا وَشَاعِرًا مَجُودًا تُحْذَرُ صَوَلَاتُهُ وَتُسْتَنْدَرُ أَيْيَاتُهُ» (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ٤٣). وَمُعْظَمُ شِعْرِهِ الْهَامِزُ وَالنَّسِيبُ وَالْوَصْفُ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

لِلْحَكَمِ الرِّبْضِيُّ شَيْءٌ مِنَ النَّسِيبِ مِنْهُ:

ظِلٌّ مِنْ قَرْطَرٍ حُبِّهِ مَمْلُوكًا وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَاكَ مَلِكِيكَ.

إِنْ بَكَى أَوْ شَكَا الْمَوَى زَيْدٌ ظَلَمًا وَبُعَادًا بُدِي جِامًا وَشِكَاً^(١)
 تَرَكْنَاهُ جَاذِرُ الْقَصْرِ صَبَا مُسْتَهَامًا عَلَى الصَّعِيدِ تَرِيكَاً^(٢)
 يَجْعَلُ الْحَدَّ مَائِلًا فَوْقَ تُرْبٍ وَهُوَ لَا يَرْضَى الْحَرِيرَ أَرِيكَاً^(٣)
 هَكَذَا يَحْسُنُ التَّنْذِيلُ بِالْحَرِّ إِذَا كَانَ فِي الْمَوَى مَمْلُوكَاً

وكانت له خمسُ جِوَارٍ مُصْطَحِبَاتٍ مُتَفَقَاتٍ . وَلَعَلَّهُ أَغَارَهُنَّ يَوْمًا فَاتَّفَقْنَ عَلَى أَنْ يُظْهِرْنَ لَهُ شَيْئًا مِنَ الدَّلَالِ وَالْتِمَاعِ ، فقال :

قُضِبَ مِنَ الْيَابِ مَاسَتْ فَوْقَ كُتْبَانٍ وَلَيْنَ عَنِي وَقَدْ أَرْمَتْنِ هِجْرَانِي^(١)
 نَاشِدُهُنَّ بِحَقِّي فَاعْتَزَمْنَ عَلَى الْـ حِصْبَانِ حَتَّى حَلَا مِنْهُنَّ عِصْبَانِي^(٢)
 مَلَكْنِي مُلْكٌ مَن ذَلَّتْ عِزَاتُهُ لِلْحُبِّ ذُلٌّ أَسِيرٌ مُوَقَّتِي عَانِ^(٣)
 مَن لِي بِمُغْتَصِبَاتِ الرُّوحِ مِنْ بَدَنِي يَفْصِيصُنِي فِي الْمَوَى عِزِّي وَسُلْطَانِي!

- وقال بعد أن قضى على الفتنة في الرُبض :

رَأَيْتُ صُدُوعَ الْأَرْضِ بِالسَّيْفِ رَاقِعًا ، وَقَدْ مَا لَأَمْتُ الثَّنْبُ مَذْ كُنْتُ يَابِغًا^(١)
 فَائِلٌ تُعْورِي هَلْ بِهَا الْيَوْمَ ثُقْرَةً أَبَادُوهَا مُنْتَضِي السَّيْفِ دَارِعًا^(٢)

(١) الهام: الموت . وشيك: قريب .

(٢) الجُودَر (بضم فسكون فصحى): الغزال الصغير (الفتاة الجميلة) . الصَّب: الحب . السْتَهَام: الذي كاد يجر من شدة الحب . الصَّعِيد: الأرض . التَرِيك: عتفود (الغضب) أو عتق (بكسر العين) التخل إذا جرّ من ثَمَره (نهي متروك لا قيمة له) .

(٣) المائل (الواقف - الموضوع) . الأريكة: الكرسي الفاخر ، العرش .

(٤) القطيب (كتابة عن القامة الجميلة) : البان: شجر أغصانه تامة الاستقامة . ماس: تقابل . الكتيب: ثلّة الرمل (كتابة عن عجيبة المرأة أو ردقها) . وَلَى: ذهب ، انصرف ، مال . أَرْمَع: قصد .

(٥) حَلَا مِنْهُنَّ عِصْبَانِي: أحببت عصباتي لي .

(٦) مَوَقَّتِي: مقيد . العالي: الذليل ، الأسير .

(٧) الصدع (بالفتح): الشق . رَأَب (أصلح الشق بالجمع بين جزئيه) . لَأَم: رَأَب . الثنب (بالفتح) الانفراج بين جبلين (الشق) . اليافع: الذي لم يبلغ الحلم بعد .

(٨) الثغر: المكان الذي يخشى به العدو منه . ثُقْرَة: انفراج في سياج ونحوه . نَضَا السيف: أخرجه من قراحه . الدارع لابس الدرع .

تُبْنُكَ أَيْ لَمْ أَكُنْ فِي قِرَاعِهِمْ يَوَانٍ، وَقَدْ مَا كُنْتُ بِالسَّيْفِ قَارِعاً^(١)
وَأَيْ إِذَا حَادُوا جَذَاراً مِنَ الرَّدَى قُلْتُ أَخَا حَبِيدٍ عَنِ الْمَوْتِ جَارِعاً^(٢)
حَنَيْتُ ذِمَارِي فَأَنْتَهَكْتُ ذِمَارَهُمْ وَمَنْ لَا يُحَامِ ظِلَّ غَزْيَانَ ضَارِعاً^(٣)
وَلَا شَاقِيَا بِيحَالٍ حُرُونَنَا نَقَيْتُهُمْ سَجْلاً مِنَ الْمَوْتِ نَاقِعاً^(٤)
وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَقَيْتُهُمْ صَاعَ قَرْضِهِمْ فَلَاقُوا مَنَاهَا قُدْرَتُ وَمَصَارِعاً^(٥)
فَهَاكَ بِلَادِي، إِنْسِي قَدْ تَرَكْتُهَا مِهَاداً وَلَمْ أَتْرُكْ عَلَيْهَا مَازِعاً^(٦)

٤ - * أخبار مجموعة ١٣٢ - ١٣٣ ابن الفرضي ١: ١١٢ جذوة المفتيس ١١ (الدار
الصرية) ١٠، الحلة السراء ١: ٤٣ - ١٥٠ المغرب ١: ٣٨ - ٤٥ البيان المغرب
٢: ٦٨ - ١٨٠ فوات الوفيات ١: ١٨٧ - ١٨٨ نفع الطب ١: ٣٣٨ - ٣٤٤
دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣ - ١٧٤ نيكل ١٩ - ٢١، مختارات ١١ - ١١٢
الأعلام للزركلي ٢: ٢٩٧ (٢٦٧ - ٢٦٨).

غريب الطليطي

- ١ - هو أبو عبد الله غريب بن عبد الله الثَّقَفِي المعروف بِالْقُرْطَبِيِّ (نفع
الطبيب ٤: ٣٣٢) والمَشْهُور بِالطُّلَيْطِيِّ، كَانَ ذَا طُغْيَانٍ وَذَا اسْتِخْفَافٍ بِالْعُمَالِ (وَلَاةُ
الْبُلْدَانِ) أَسَدًا إِلَيْهِ أَهْلُ طُلَيْطَلَةَ أَمْرَهُمْ. ثُمَّ إِنَّهُ ثَارَ فِي قُرْطَبَةَ وَاسْتَفْعَلَ أَمْرَهُ.
وَكَانَتْ وَقَاتُهُ (المفتيس ٧٦) سَنَةَ ٢٠٧ (٨٣٢ م).
- ٢ - غَرِيبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ شَاعِرٌ قَدِيمٌ مَشْهُورٌ الطَّرِيقَةُ فِي الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ وَالزُّهْدِ.
وَكَانَ النَّاسُ يَتَدَاوَلُونَ شَيْئاً مِنْ شِعْرِهِ.

-
- (١) القراع: الضرب بالسيف. الواي: الضيف.
 - (٢) (إذا اللوك) حادوا (مالوا) حذار (حذر: خوف) الردى (الموت).
 - (٣) الذمار: ما تجب على الإنسان حايته. الصارع: الضيف.
 - (٤) السجل: الدلو المطع. الناقع: (سم) شديد قاتل.
 - (٥) وقيتهم صاع قرضهم (دينهم - بفتح الدال): قاتلتهم قتالاً مثل ثنائهم لي.
 - (٦) مهادا: مستوية، مستقرة، هادئة.

- جاء في نفع الطيب (٤ : ٣٣٢) من شعر غريب الطليطي:

أَيُّهَا الْأَيْلُ مَا لَيْسَ لَكَ طَالَمَا غَرَّ جَهْلًا أَمْلَسَ.
رُبَّ مَنْ بَاتَ يُنْسِي نَفْسَهُ خَانَهُ، دُونَ مُنَاهُ، أَجْلَهُ.
وَفَتَى بَكَرَ فِي حَاجَاتِهِ عَاجِلًا، أَغْفَبَ رَيْنًا عَجَلَهُ!
قُلْ لِمَنْ مَثَلٌ فِي أَشْعَارِهِ: يَذْهَبُ الْمَرْءُ وَيَبْقَى مَثَلُهُ:
نَافِسُ الْمُخْبِنِ فِي إِحْسَانِهِ، فَتَكْنِفُكَ مُبِينًا عَمَلُهُ!

١- ٢ - ٣ * المغرب ٢ : ٢٣ - ٢٤ : جذوة المقتبس ١٣٠٧ بنية الملتبس ٤٢٨ (رقم ١٢٨١)
الذيل والتكملة ٥ : ٩٩٥ (ص ٥٢٢) : نفع الطيب ٤ : ٣٣٢ : مجمل تاريخ الأدب
التوسي ٤٢ .

شبطون

هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ اللَّخْمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِشَبْطُونٍ، مِنْ أَهْلِ قَرْطُبَةٍ، سَمِعَ مِنْ حَبِيبِ مَعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ الْخِمْصِيِّ (ت ١٥٨) ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَسَمِعَ الْمَوْطَأَ مِنَ الْإِمَامِ مَالِكٍ (ت ١٧٨) فِي الْمَدِينَةِ كَمَا سَمِعَ مِنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ (ت ١٩٨) فِي مَكَّةَ. وَسَمِعَ فِي بَصْرَ مِنَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ (ت ١٧٥).

وَشَبْطُونٌ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَ الْمَوْطَأَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ مُكَمَّلًا مُتَقَنًّا وَنَشَرَ فِيهَا الْمَذْهَبَ الْمَالِكِيَّ - وَقِيلَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ (ص ٨٦) الْغَازِي بْنُ قَيْسٍ (ت ١٩٩) - وَكَانَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ يَتَفَقَّهُونَ مِنْ قَبْلُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي عَمْرٍو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْزَاعِيِّ (٨٨ - ١٥٧ هـ)، أَوْ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي الْأَصَحِّ.

وَأُمِّي شَبْطُونٌ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ - فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (ت ١٨٠) - أَنْ يَتَوَلَّى الْقَضَاءَ ثُمَّ تَوَلَّى - فِيهَا يَبْدُو - قَضَاءَ مَدِينَةِ طُلَيْطَلَةَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٢١٢ (٨٢٧ م) فِي الْأَغْلَبِ.

♦♦ جذوة المفتبس ٢١١ (الدار المصرية) ٢٣٨ (رقم ٥٠٤) بغية اللئس ٣٠٤ (رقم ٨٤٤)
الدينار المذهب ١١٢٧ نفخ الطيب ٢: ٤٥ - ٤٦. شذرات الذهب ١: ٣٣٩ - ٣٤٠.

إدريس الأصغر

١ - في سنة ١٤٥ (٧٦٣ م) ثار محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب (وكان محمد يُلقب: النفس الزكية) في المدينة (الحجاز) على أبي جعفر المنصور العباسي وتسمى «محمدًا المهدي». ولكنه قُتل وشيكًا. ثار أخوه إبراهيم في البصرة (العراق) في أواخر ١٤٥ (أوائل ٧٦٣ م) فقتل أيضاً.

وفي سنة ١٦٩ (٧٨٦ م) ثار الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب في المدينة في جماعة من أهله وأنصاره ولكنه انهزم في وقعة فتح (على ثلاثة أميال من مكة) في تاسع ذي الحجة من سنة ١٦٩ (١٢ / ٦ / ٧٨٦ م) وقتل. وكان ثمة نجا من القتل في تلك المعركة إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى فهرب إلى المغرب الأقصى فنصرة البربر واجتمعوا عليه وبايعوه في مدينة وكيلي وهي قاعدة جبل زهرون (ولعلها المساة اليوم «قصر فرعون»)، وذلك في ربيع رمضان من سنة ١٧٢ (٦ / ٢ / ٧٨٩ م). واتخذ مستناراً مولى له اسمه راشد.

ولما اتسع ملك إدريس في المغرب غيظ العباسيون فأرسلوا إليه سليمان بن جرير المعروف بالشماخ. فأتصل سليمان بإدريس ونال عنده مكانة ثم احتال في سبه بكارورة من طيب. وكانت وفاة إدريس في فاتح (أول) ربيع الآخر من سنة ١٧٧ (١٥ / ٧ / ٧٩٣).

وكان للمولى (الإمام الخليفة) إدريس جارية بربرية اسمها كنزة مات عنها وهي حُبلى. فقام راشد بتدبير أمر البلاد. وفي ثالث رجب من سنة ١٧٧ (١٤ / ١٠ / ٧٩٣ م) وضعت كنزة غلاماً سُمي إدريس وعُرف بإدريس الأصغر (أو الأزهر)، وقام راشد بتدبير أمر إدريس الأصغر. ويبدو أن العباسيين قد استطاعوا أن يدسوا إلى راشد من يقتله، سنة ١٨٦ هـ (٨٠٢ م) فقام بكفالة إدريس عندئذ أبو خالد يزيد ابن الياس العبدي.

ولما بَلَغَ إدريسُ الأصغرُ الحاديةَ عَشْرَةَ بَایمه البربرُ خَليفةَ لأبيه، في غُمرَةِ ربيعِ
الأوَّلِ من سنة ١٨٨ (١٨ / ٢ / ٨٠٣ م).

وضاقتُ مَدينَةُ وِليّی بالناسِ فشرعَ إدريسُ الأصغرُ بِنِشاءِ مَدينَةٍ فاسَ في سنة
١٩٢ (٨٠٨ هـ) وجَعَلَهَا عُدُوَّتَيْنِ (جانِبَینِ): عُدوةَ الأندلسِیِّینِ نَزَلَ فيها من وَقَدَ عليه
من الأندلسِ وعدوةَ القُرُوْبِیِّینِ نَزَلَ فيها من جاءَ إليه من مَدينَةِ القَیروانِ، وبَنی في
كُلِّ عُدوةٍ جَامِعاً.

وما زال إدريسُ الأصغرُ جاداً في توسيعِ رُقعةِ مملكه وفي نشرِ العُمرانِ حتّى
كانت وفاته في ثَاني جُمادى الآخِرَةِ من سَنَةِ ٢١٣ (١٨ / ٨ / ٨٢٨ م) في إِبَّانِ شِبابه.

٢ - يبدو أن إدريسَ الأصغرَ كان كثيرَ الذكاءِ حتّى استطاعَ أن يَتَشَقَّفَ
ويحُطِّبَ الحُطْبَ البليغةَ ويقولَ الشمرَ المتينَ في الحاديةَ عَشْرَةَ من العُمُرِ (ولعلَّ بعضَ
ذلك منسوبٌ إليه). ثم إنّه كان قديراً جَواداً ومُصلِحاً عُمَرائياً. وأكثرُ شِعرِ إدريسَ
الأصغرِ يدورُ على الحماسةِ والفخرِ والأدبِ (الحكمة). وأما نثرُه فخطبٌ فيها التأكيدُ
على حقِّ أَسْرَتِه في المُلْكِ لِصِلَتِها برسولِ الله، وفيها أشباهُ من النُصحِ الدينيِّ والسياسةِ
الإدارية.

٣ - مختارات من آثاره

- لما قَرَعَ إدريسُ من بِناءِ مَدينَةِ فاسَ وحَضَرَ الجُمُعَةَ الأولى، خطبَ حُطْبَةً
قال في آخرِها:

اللَّهُمَّ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي ما أَرَدْتُ بَيْنَهُ هَذِهِ المَدينَةُ مُبَاهَاةً ولا مُفَاخَرَةً ولا رِياكاً ولا
سِنَعَةً ولا مُكابَرَةً، وَإِنِّما أَرَدْتُ أَنْ تُعَبِّدَ بِها وَيُتَلَى بِها كِتابُكَ وتُقَامَ بِها حُدُودُكَ
وَشَرائِعُ دِينِكَ وَسُنَّةُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بَقِيََتِ الدُنيا. اللَّهُمَّ، وَقَفْ
سُكَّانَها وَقُطَّانَها لِلخَيْرِ وَأَعِزَّهُمْ عَلَيْهِ وَأَكْفِهِمْ مَوَوْتَةَ أَعْدائِهِمْ وَأَذْرِزْ عَلَيْهِمُ الأَرزاقَ
وَأَغِيْذْ عَنْهُمْ سِيفَ الفِتْنَةِ وَالشَّقَاقِ. إِنَّكَ على كُلِّ شَئٍ قَدِيرٌ.

- قَبيلَ ما يُوبِغُ إدريسُ الأصغرُ بِالخِلافةِ خَطَبَ الناسَ فقال:

الحمد لله أَحْمَدُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَعِينُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ^(١) بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَبِرَاجَأ مُنِيرًا^(٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا^(٣). أَتُيَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ وَكَلْنَا هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي يُضَاعَفُ فِيهِ لِلْمُحْسِنِ الْأَجْرُ وَ(يُضَاعَفُ) عَلَى الْمُسِيءِ الْوِزْرُ. وَلَحْنُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، عَلَى قَصْدِ^(٤)، فَلَا تَمْدُوا الْأَعْنَاقَ^(٥) إِلَى غَيْرِنَا فَإِنَّ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ إِنَّا نَجِدُونَهُ عِنْدَنَا.

- وقال إدريس الأصغرُ مخاطبَ الْبُهْلُولِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَذْغَرِيِّ وَيُحَذِّرُهُ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الطَّاعَةِ وَمِنْ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ:

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِمَكْرِ ابْنِ أَغْلَبٍ وَمَا قَدْ رَمَى بِالْكَيْدِ كُلَّ بِلَادٍ.
وَمِنْ دُونِ مَا مَنَّكَ نَفْسُكَ خَالِبًا وَمَنَّاكَ إِبْرَاهِيمُ خَرَطُ قَتَادٍ^(٦)!

- وكتب إلى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ يَدْعُوهُ إِلَى الطَّاعَةِ:

أَذْكُرُّ إِبْرَاهِيمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَعِشْرَتِهِ، وَالْحَقُّ خَيْرٌ مَقُولٍ^(٧).
وَأُذْعُوهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ رُشْدُهُ، وَمَا هُوَ - لَوْلَا رَأْيُهُ - بِجَهْلٍ.
فَإِنَّ آثَرَ الدُّنْيَا فَإِنَّ أَمَامَهُ زَلَّازِلَ يَوْمٍ لِلْعِقَابِ طَوِيلٍ!

(١) الثَّقَلَانِ: الْأَبْنَاءُ (بِكسر الميم) وَالْحَسَنُ.

(٢) الْفَرَقَانِ الْكَرِيمِ ٣٣: ٤٦، سُورَةُ الْأَحْزَابِ.

(٣) الْفَرَقَانِ الْكَرِيمِ ٣٣: ٣٣، سُورَةُ الْأَحْزَابِ.

(٤) قَصْدٌ: اعْتِدَالٌ.

(٥) مَدَّ عُنُقَهُ: نَظَرَ إِلَى مَا عِنْدَ الْآخَرِينَ، طَمَعٌ، تَارَ.

(٦) الْقَتَادُ: نَبَاتٌ لَهُ شَوْكٌ قَاسٍ، الْخَرَطُ: نَزَعَ الْوَرَقَ مِنَ النَّصْنِ بِأَنْ تَمْسَكَ أَعْلَى النَّصْنِ بِيَدِكَ فَتَحَاوِلَ أَنْ تَجَرِدَ وَرَقَهُ بِالْمُرُورِ بِقَبْضَتِكَ عَلَيْهِ، دُونَ ذَلِكَ خَرَطَ الْقَتَادُ (أَيَّ شَقَّةٍ عَظِيمَةٍ).

(٧) الْعِشْرَةُ: يَوْمُ الرَّجُلِ وَعَشِيرَتُهُ.

٤ - * * كتب التاريخ عامة. وتحسن مراجعة تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير (يُتدى بفهرسيها). ثم أنظر مقدمة ابن خلدون ٣٨ وما بعد، ٤٠٢ س، الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى ١: ٧٠-١٧١ الوافي بالوفيات ٨: ٣١٤-٣١٥، ٣١٨-٣١٩ الحلقة السيرة ١: ٥٠-١٥٦ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٠٣١-١٠٣٢ الأعلام للزركلي ١: ٢٦٦ (٢٧٨).

حَسَّانَةُ التَّمِيمِيَّةُ

١ - هِيَ حَسَّانَةُ بِنْتُ أَبِي الْهَثْثِيِّ الشَّاعِرِ (أَنْظُرْ، فَوْقَ، ص ٨٧)، مَاتَ أَبُوهَا فِي أَيَّامِ الْحَكْمِ الرَّبِيعِيِّ (١٨٠-٢٠٦ هـ) فَوَفَّدَتْ عَلَى الْحَكْمِ مُسْتَمِيعَةً لِفَضْلِهِ فَكُتِبَ الْحَكْمُ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى الْبِيرَةِ بِأَنْ يُجِيرَ عَلَيْهَا رَاتِباً وَيُخَيَّرَ إِلَيْهَا. وَكَانَتْ حَسَّانَةُ فِي ذَلِكَ الْحِينِ بِكَرّاً لَمَّا تَتَزَوَّجُ بَعْدُ.

وَلَمَّا جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكْمِ (٢٠٦-٢٣٨ هـ) كَانَ الْعَامِلُ عَلَى الْبِيرَةِ جَاهِرُ بْنُ لَبِيدٍ، وَكَانَتْ حَسَّانَةُ فِيهَا يَدُو قَدْ تَزَوَّجَتْ قَبْلَ مَدَّةٍ وَوُزِّعَتْ أَوْلَادُهَا ثُمَّ مَاتَ زَوْجُهَا. وَقَطَعَ جَاهِرُ بْنُ لَبِيدٍ الرَّاتِبَ الَّذِي كَانَ جَارِياً عَلَى حَسَّانَةَ فَجَاءَتْ حَسَّانَةُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكْمِ تَشْكُو إِلَيْهِ جَاهِرَاً فَعَزَّلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَرَدَّ عَلَى حَسَّانَةَ مَا كَانَ جَارِياً عَلَيْهَا فِي أَيَّامِ أَبِيهِ الْحَكْمِ.

وَلَمَلَ وَفَاةَ حَسَّانَةَ كَانَتْ نَحْوَ سَنَةِ ٢٣٠ (٨٤٤-٨٤٥ م).

٢ - كَانَتْ حَسَّانَةُ التَّمِيمِيَّةُ قَدْ تَأَدَّبَتْ وَتَعَلَّمَتْ الشَّعْرَ، وَشِعْرُهَا الْبَاقِي لَنَا مَشْرِقِي النَّهْجِ مَتْنِ الْأُسْلُوبِ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ الرُّقَّةِ بَرُّغَمٍ أَنْ مَا بَقِيَ مِنْهُ يَدُورُ حَوْلَ الْمَدِيحِ وَالْعِتَابِ وَالِاسْتِعْطَافِ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهَا

- لَمَّا وَفَّدَتْ حَسَّانَةُ التَّمِيمِيَّةُ عَلَى الْحَكْمِ أُنْشِدَتْهُ:

إِنِّي إِلَيْكَ، أبا العاصي مُوجَّعَةٌ - أبا الْهَثْثِيِّ سَفَتُهُ الْوَائِكُفُ الدَّيْمُ-^(١)

(١) سَفَتُ الدَّيْمِ (جَمْعُ دَيْمَةٍ): السَّحَابَةُ الْمَطْرَةُ) أبا الْهَثْثِيِّ وَائِكُفًا: (مَطْرًا غَمِيراً).

قد كنت أرتعُ في ثَماء عاكفةً فاليومَ آويَ إلى نَمَأكِ، يَا حَكَمُ!
أنتَ الإمامُ الذي أنقَذا الأنامَ له ومَلَكته مِقاليدُ النُهي الأُمِّ^(١).
- ولها تُخاطِبُ الحَكَمَ أيضاً تشكو إليه جابراً عاملَ البيرة:

إلى ذي النُدَى والمجدِ سارتِ رِكاثي على شَحَطِ تَصَلَّى بنارِ المِواجِرِ^(٢)
لِجَبَرِ صَدْعِي، إِنَّهُ حَيْرٌ جَابِرٌ، وَيَنْتَمِي من ذي الظُلَمَةِ جَابِرٌ^(٣).
فإنِّي وأُطْغالي بِقَبْضَةٍ كَتَبَ كَذِي الرِيشِ أَضْحَى في مِغَالِبِ كاسِرِ^(٤).
جَدِيرٌ لِيُثْلِي أن يُقالَ مَرْوَعَةٌ لَمُوتِ أُمِّي العاصي الذي كان ناصري.
سَفاهَ الحِيا! لو كان حَيًّا لَمَّا أَعْتَدَى عَلَيَّ زَمَانٌ باطِشٌ بِطِشٍّ قَادِرِ^(٥).

٤ - * * نفع الطيب ٤: ١٦٧ - ١٦٨.

يحيى بن يحيى اللبثي

هو أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاح بن شمال بن منفايا اللبثي، من قبيلة مصمودة البربرية (في المغرب). أما نسبته إلى بني الليث فهي بالولاء.
دخل يحيى بن يحيى إلى الأندلس في مَطْلَعِ شِبابِهِ فَسَمِعَ من يحيى بن مُضَرَّ القَيْسِيِّ الأندلسيِّ (ت ١٩٠) ومن شَبْطُونٍ (ت ٢١٢). ثم إِنَّهُ رَحَلَ إلى المشرق - وكان عُمُرُهُ آنذاك ثَمَانِيًا وَعِشْرِينَ سَنَةً - فسمع في بَصْرَ من الليث بن سعدٍ (ت ١٧٥) وسمع في مَكَّةَ من سَفِيانَ بنِ عُبَيْنَةَ (ت ١٩٨)، كما سمع في المدينة من الإمام مالك (ت ١٧٩).

ولمَّا عاد يحيى بن يحيى اللبثي إلى الأندلس، بعدَ وَفاةِ الإمام مالك، صارت إليه

(١) مقاليد (معانيح) النهي (المغل).

(٢) الندى: الكرم. الركائب جمع ركوب: الجمل أو الناقة يسافر الناس عليها. الشحط: البعد. المِواجِر: نصف النهار. صلي بالنار يصل: تمرّض لحرقها.

(٣) لجبر صدعي: ليصلح أسري (جبر الصدع: جمع بين الثقبين). جابر الأول: المصلح. جابر الثانية (في القافية): حاكم البيرة الذي تشكو حسنة من سوء معاملته.

(٤) ذو الريش: الطير الصغير. الكاسر: الطير الكاسر الذي يسطاد الطيور الصغيرة.

(٥) الحيا: المظر.

رئاسة المذهب في الفقه فانتشر المذهب المالكي على يديه انتشاراً واسعاً وتفرقه عليه جماعة لا يُحصَوْنَ عدداً، وكان فقيه الأندلس غير مُتَنَازِعٍ .

وكانت وفاة يحيى بن يحيى الليثي في ٢٢ من رَجَبِ ٢٣٤، وقيل ٢٣٣ (٨٤٨ م)، ودُفِنَ في مقبرة بني عامر في طاهر قرطبة.

* * ابن الغرضي ١٧٦-١٧٨ (رقم ١٥٥٦) جذوة المفتيس ٢٥٩-٢٦١ (الدار المصرية) ٣٨٢-٣٨٤ (رقم ٩٠٩) بغية الملتبس ٤٩٥-٤٩٨ (رقم ١٤٩٧) المغرب ١: ١٦٣-١٦٥ وفيات الأعيان ٦: ١٤٣-١٤٤ الديباج المذهب ١٣٥٠ ابن قنفذ ١١٧٢ شذرات الذهب ١: ٣٣٩-٣٤٠ نفع الطيب ٢: ٩-١١٢ بروكلمن ١: ١٧٦، الملحق ١: ٣٠٠-٣٠١ دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٤: الأعلام للزركلي ٩: ٢٢٣-٢٢٤ (٨: ١٧٦).

عبد الرحمن الأوسط

١ - هو أبو المَظَرَفِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاهِلِي، وأمه اسمها حَلَاوَةُ، وَلِدَتْ سَنَةَ ١٧٦ (٨٩٢ م) وَبُويعَ بِالْإِمَارَةِ سَنَةَ ٢٠٦ هـ (٨٥٢ م).

وكانت أيامه أياماً ازدهار وترفٍ: «لم يَلْقَ المُسلمون مَعَهُ بُؤْساً ولم يَرَوْا يوماً عَيْوَساً» وهو أول من جرى على سُنَنِ الخُلَفَاءِ فِي الزِينَةِ وَالشَّكْلِ وَتَرْتِيبِ الخِدْمَةِ. ثم كما الخلافة^(١) أَثْبَتَهُ الجَلَالَةُ. وفي أيامه دخل الأندلسُ نَفِيسُ الْفِطَاءِ وَغَرَائِبُ الْأَشْيَاءِ، وَبِيقَ إِلَيْهَا ذَلِكَ مِنْ بَغْدَادٍ. وفي أيامه أَسْتَبَحَرَتِ الْحَضَارَةُ فِي الْأَنْدَلُسِ فَأَنْصَرَفَ هُوَ إِلَى الْمَلْدَاتِ وَأَحْتَجَبَ عَنِ النَّاسِ وَمَلَأَ قَصْرَهُ بِأَسْبَابِ اللَّهْوِ وَبِالْجَوَارِي وَبِالْمَغَنِيِّينَ وَالمَغَنِيَّاتِ. وهو الذي استدعى زُرْهَابَ مَغَنِيَّ الْعِرَاقِ، مِنْ بَغْدَادٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ.

وكانت لعبد الرحمن الأوسط جارية تُسَمَّى طَرُوبَ، وكان بها دَنِفًا، فَصَدَّتْ عَنْهُ وَأَغْلَقَتْ عَلَى نَفْسِهَا بَيْتًا فَأَمَرَ بِأَنْ تُجْعَلَ عَلَى الْبَابِ خِرَاطُ (أَوْعِيَّةٌ) مَلُوءَةٌ بِالدَّرَاهِمِ

(١) في أيام عبد الرحمن الأوسط لم يكن الأمويون قد تلقَّبوا بالخلافة بعد. والنص هنا يذكر الخلافة على سبيل التمجيز والتشبيه.

حَتَّى سَتَرَتْ تِلْكَ الْخَرَائِطُ الْبَابَ اسْتَرْضَاهَا وَأَسْتَعْطَفَا. فَلَمَّا فَتَحَتْ طَرُوبُ
الْبَابِ وَأَخَذَتْ الْخَرَائِطُ وَجَدَتْ فِيهَا نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا. ثُمَّ أَمَرَ لَهَا أَيْضًا بِمِقْدَرِ
قِيمَتِهِ عَشْرَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ.

وَتُوَفِّيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ فِي الثَّلَاثِ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٢٣٨ (٨٥٢ م)
فَجَاءَهُ.

٢ - جَمَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ فِي بَلَاطِهِ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ وَكَانَ
يُكْرِمُهُمْ وَيُخَيِّنُ إِلَيْهِمْ. وَكَانَ هُوَ نَفْسُهُ شَاعِرًا مُكْتَبِرًا وَصَاحِبَ بَدِيعَةٍ. وَشِعْرُهُ
وُجْدَانِيٌّ يَدُورُ عَلَى الْوَصْفِ وَالغَزْلِ. وَكَانَتْ لَهُ أَيْضًا تَوَاقِيعٌ بَلِيفَةٌ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ تَوَاقِيعٌ بَلِيفَةٌ مِنْهَا:

مَنْ لَمْ يَعْرِفْ وَجَةَ مَطْلَبِهِ كَانَ الْجِرْمَانُ أَوَّلَى بِهِ.

- وَوَصَفَ مَرَّةً جَارِبَتَهُ طَرُوبًا^(١) وَقَدْ لَبِسَتْ عِبْقَدًا أَهْدَاهَا إِيَّاهُ فَاسْتَكْتَرَ بَعْضُ
الْحَاضِرِينَ ثَمَنَهُ (عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ) فَقَالَ:

«إِنْ لَا يَسَةُ أَنْفُسُ مِنْهُ خَطَرًا وَأَرْفَعُ قَدْرًا. وَلَيْتَنِي رَاقٍ مِنْ هَذِهِ الْحَصْبَاءِ مَنَظَرُهَا
وَرُصِفَتْ فِي النَّفْسِ جَوْهَرُهَا، فَلَقَدْ بَرَأَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ جَوْهَرًا يُغْنِي الْأَبْصَارَ وَيَذْهَبُ
بِالْأَلْبَابِ. وَهَلْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ زَبَرْجَدٍهَا وَجَوْهَرِهَا أَقْرُ لِعَيْنٍ وَأَجْمَعُ لَزِينٍ مِنْ
وَجْهِ أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ الْحُسْنَ وَنُضْرَتَهُ وَأَلْقَى عَلَيْهِ الْجَمَالَ وَبَهْجَتَهُ!..»

ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى الشَّاعِرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّمْرِ، وَكَانَ حَاضِرًا، فَقَالَ لَهُ: هَلْ بِمَحْضَرِكَ
شَيْءٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى؟ فَأَنْشَدَ عَبْدُ اللَّهِ أَيْيَاتَهُ: أَتَقَرْنَ حَصْبَاءُ الْيَوَاقِيتِ وَالشُّذُرِ...

فَأَعْجَبَتْ هَذِهِ الْأَيْيَاتُ الْأَمِيرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطَ وَطَرِبَ لَهَا طَرِبًا شَدِيدًا ثُمَّ
أَنْشَدَ مُرْتَجِلًا:

(١) رَاجِعْ، فَوْقَ، ص ٩٩.

قريضك يا آبن الشمر عني على الشعر
إذا شافهته الأذن أذى بحره
وهل برا الرحمن من كل ما برا
تري الوردة فوق الياسمين بخدها
فلو أنني ملكت قلبي وناظري
نظمتها منها على الجيد والنجرا

- وخرج إلى القزو فطالت غيبته عن قرطبة وتذكر طروب، وكانت أعظم جواربه مكانة عنده ونفوذاً في بلاطه، وقيل إنها كانت قليلة الوفاء له حتى إنها شاركت في مؤامرة على خلعه. ومع ذلك فقد قال فيها:

فقدت الهوى منذ فقدت الحبيبا، فما أقطع الليل إلا نحيبا.
وإما بدت لي شمس النها ر طالمة ذكرتني طروبا.
فيا طول شوقي إلى وجهها، وبا كبدأ أوزنتها ندوبا^(١)،
وبا أحسن الخلق في مقلي وأوفرهم في فؤادي نصيبا،
لئن حال دونك بعد المزا ر من بعد أن كتبت مني قريبا
لقد أوزت الشوق مني الضنى وأضرمت في القلب مني لهيبا،
عدائي عنك مزار العبدى وقودي إليهم لهما مهيبا^(٢)،
كأن تخطئت من سبب وجاوزت بعد دروب دروبا^(٣)،
ألاقي بوجهي حر المجير إذا كاد منه الحصا أن يدوبا^(٤)،
أريد بذاك ثواب الآله، ومن غيره أبتغيه مئيبا!

(١) قوف: لون. التفويف: اجتماع الألوان متجاورة. المنور (بفتح الواو المشددة وكسرها): التفتح بالأزهار.

(٢) التدوب: جع ندبة: أثر المرح البالي.

(٣) اللهام: الجيش العظيم. مهيبا: يباه الناس.

(٤) السبب: الأرض الفاحشة الواسعة. الدرب: المر في الجبل.

(٥) المجير: نصف النهار.

أَنَا ابْنُ الْهَثَامِيِّنِ مِنْ غَالِبٍ أَشْبُ حُرُوباً وَأُطْفِئُ حُرُوباً^(١)
سَمَوْتُ إِلَى الشَّرِكِ فِي جَحْفَلٍ مَلَأْتُ الْحُرُونَ بِهِ وَالسُّهَوبُ^(٢).

٤ - * * * المقتبس (راجع الفهرس فيه) جذوة المقتبس ١١ (الدار المصرية) ١٠: الحلة
السيرام ١: ١١٣ - ١١١٩ المغرب ١: ٤٥ - ٥١ البيان المغرب ... أعمال
الأعلام ٢٢: نفح الطيب ١: ٣٤٤ - ٣٥٠ دائرة المعارف الإسلامية ١:
٨٢ - ٨٣ نيكل ٢١ - ٢٢ مختارات نيكل ١١٤ الأعلام للزركلي ٤: ٧٦
(٣: ٣٠٥).

عبد الله بن الشمر

١ - هو عبدُ اللهِ بنُ الشَّمرِ بنِ نعيمِ القُرطبي، كان أبوه الشَّمرُ من موالي بني
أُمَيَّةَ ومن أهل العلم بالعربية.

نشأ عبدُ اللهِ بنُ الشَّمرِ جامعاً لكثير من الخصال التي تُحِبُّهُ إلى الناس: لطيفاً
المعاشرة جامعاً لفنون من العلم والأدب. وقد صَحِبَ عبدُ الرحمن بنَ الحَكَمِ قبلَ أن
يَلِيَ عبدُ الرحمنُ الإمارةَ (سنة ٢٠٦ = ٨٢٢ م) ثم بعدَ أن تَوَلَّى الإمارة. وقد كان في
كلِّ هذه الحِقْبَةِ نديماً لعبدِ الرحمنِ ومُنَجِّماً له وشاعره (راجع نفح الطيب ٣: ٦١٣).

ولمَّا غزا عبدُ الرحمنُ بنُ الحَكَمِ أرضَ جيليقيةَ^(٣)، سَنَ ٢٢٥ (٨٤٠ م)، كان
عبدُ اللهِ بنُ الشَّمرِ مَعَهُ. ثم تَوَفَّى أبْنُ الشَّمرِ بَعْدَ ذلك.

٢ - كان عبدُ اللهِ بنُ الشَّمرِ مُتَفَنِّئاً في عددٍ من العلوم بارِعاً في التنجيم خاصَّةً
جَيِّدَ الشَّعرِ مطبوعاً. وفنونُ شِعْرِهِ، فبا يبدو، المديحُ والعِتابُ والوصفُ والمجاء.

(١) الهثاميين: هاشم بن عبد شمس (في الجاهليين) وهشام بن عبد الملك الأموي.
وفي نسب قريش (والأُمويُّون منهم) أجداد هم: لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وَجَدَهُ أيضاً هشام بن
عبد الرحمن الداخل.

(٢) الجحفل: الجيش العظيم: الحزن (يفتح الماء وسكون الزاي): الأرض القاسية التي يصعب السير
فيها. السهب: الأرض المستوية التي يسهل السير فيها.

(٣) جيليقية: الطرف الشمالي الغربي من شبه جزيرة الأندلس.

- خرج عبد الرحمن بن الحكم مرة لصيد الفرائق (والفرونق طائر مائي يُشبه الكركي)، وكان البرد شديداً، فقال أين الشمر، وكان معه:

ليست يغرني أين حديد خلقتنا أم نجثنا من صخرة صلالة ؟
كل عام في الصيف نحن غزاة، والفرائق صيدنا في الشتاء
إذ ترى الأرض - والجلبد عليها واقص - مثل شقة بيضاء .
وكان الأنوف تجدع منا بالمواصي لزغزع ورخاء (١).
نطلب الموت والهلاك يلحسا حر، كأننا نشاق وقت الغناء .

- جرى ذات يوم حديث طويل بين عبد الرحمن بن محمد ووزيره في الموازنة بين جارية وعقيد من الجوهر (اللؤلؤ) كانت تلبسه، فطلب عبد الرحمن من أين الشمر أن يقول شيئاً في هذا المعنى فقال:

أنتنر حصبه اليواقيت والتذر إلى من تعالى عن سنا الشمس والبدر (٢)
إلى من برت قدماً به الله خلقه، ولم يك شيئاً غيره أبداً يبري (٣)
فأكرم به من صيفه الله جوهرأ تضاهل عنه جوهر البر والبحر (٤)

٤ - * * أخبار مجموعة ١٣٦-١٣٨، ابن الفرضي ٢٦٨ رقم (٦٩١)، المقتبس ٦٥-٦٦، راجع الفهرست أيضاً، الحلة السراء ١: ١١٦-١١٨ المغرب ١: ١٢٤-١٢٧، البيان المغرب ٢: ٨٥-٩٢ نفع الطيب - راجع الفهرس ١ نيكل ٢١ مختارات ١٣-١٤ .

- (١) تجمع: تقطع. المواصي: جمع موسى: سكين حادة. الزغزع: الريح الشديدة. الرخاء: الريح اللينة.
- إذا اشتد البرد وتجمدت الأعضاء (كالأذن والأنف) يسهل انفصالها.
(٢) قرن: جمع، (شبه، وازن بين شيئين). الحصاء: الحصاة الصغيرة. الثفرة: القطة الصغيرة من الذهب، الخرزة الصغيرة يوصل بها بين الحبتين من اللؤلؤ في العقد. السنا: ضوء البرق.
(٣) برت - برأت: خلقت. ولم يكن غيره (أي الله) يبري (يرأ) شيئاً.
(٤) الجوهر: اللؤلؤ.

عبد الملك بن حبيب

١ - هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب^(١) السلمي المزداسي الإلبيري القرطبي الأندلسي، من موالى بني سليم، وُلِدَ في حصن واط قرب غرناطة (في كورة إلبيرة) بُعيد سنة ١٨٠ (٧٩٦ م).

عاش عبد الملك بن حبيب في صدر حياته مُدَّةً في إلبيرة وقرطبة وتَفَقَّه فيها ثم رَحَلَ إلى المشرق فحجَّ ولَقِيَ نفراً من أصحاب مالك بن أنس ومن غيرهم: سَمِعَ من عبد الملك بن الماجشون (ت ٢١٢) وأسد السنة أسد بن موسى الأموي (ت ٢١٢) وأصبع بن الفرّج (ت ٢٢٥) ومن إسماعيل بن أبي أُوَيس وعبيد الله بن موسى الكوفي وسواهم. ولا يُمكنُ أن يكون عبد الملك بن حبيب، الذي وُلِدَ سنة ١٨٠، قد لَقِيَ مالك بن أنس الذي تُوُفِّيَ سنة ١٧٩، كما زعم نفراً من الذين ترجّوا لعبد الملك بن حبيباً.

ولمّا عاد عبد الملك بن حبيب إلى الأندلس سَكَنَ قرطبة إلى أن تُوُفِّيَ في رابع رَمَضانَ من سنة ٢٣٨ (١٨ / ٢ / ٨٥٣ م) في الأغلب. وكان قبل وفاته قد وَقَفَ جميعَ أملاكه على جامع قرطبة.

٢ - كان عبد الملك بن حبيب عالماً مشهوراً مُتَصَرِّفاً في عددٍ من فُنُونِ العلم من التفسير والحديث والفقّه والتاريخ والشعر والطب والفلك. وقد عُرِفَ بلقب «عالم الأندلس» ومنهم من يجمّله صينواً لشبطين (راجع، فوق، ص ٩٣) فلقد كان له أثرٌ في انتقالِ أهلِ المَغْرِبِ والأندلس من مذهبِ أهلِ الحديث إلى مذهبِ الإمام مالك.

وعبد الملك بن حبيب مُصَنِّفٌ مُكثِرٌ، فمن كتبه: كتاب مكارم الأخلاق - أصول الفرائض (إرث) - كتاب الورع - غريب الحديث - طبقات الفقهاء - تفسير موطأ مالك - الواضحة (شرح على موطأ الإمام مالك) - «التاريخ»

(١) في البيان المغرب لابن عذاري (٢: ١١٠): «هو عبد الملك بن سليمان بن مروان بن جبيلة بن عيسى بن مرداس السلمي، يكنى أبا هارون».

(وعنوانه طويل يُوجزُ محتوياته. كتابٌ في ابتداء خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها من ابتداء خلق السموات وخلق البحار والجبال والجنة والنار وخلق آدم وحواء وما كان من شأنها مع إبليس وعدة الأنبياء نبياً نبياً إلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعدة الكتب المنزلة وعدة الخلفاء إلى حين استفتاح الأندلس... وفي آخر الكتاب فصولٌ في الفقه والأخلاق والآداب وطائفة من الأشعار ثم فصل عن قضاة الأندلس).

والذي يبدو أن النسخة التي وصلت إلينا من هذا الكتاب الكبير هي من صنع ابن أبي الرقاع تلميذ عبد الملك بن حبيب أضاف فيها إلى ما كان قد رواه عن ابن حبيب أشياء كثيرة، من ذلك أنه استمر في سلسلة أمره الأندلس إلى سنة ٢٧٤ هـ (٨٨٨ م)، بينما كانت وفاة عبد الملك بن حبيب سنة ٢٣٨ هـ (راجع بروكلمان ١: ١٥٦).

٣ - مختارات من شعره

- قال عبد الملك بن حبيب يشكو الدهر:

صَلَحُ أُمْرِي وَالَّذِي أَهْتَفِي هَيِّنْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي قُدْرَتِهِ.
أَلْفٌ مِنَ الْبَيْضِ وَأَقْلَلُ بِهَا لَعَالِي أَرَى عَلَى بُغْيَتِهِ^(١).
زُرْبَابُ يَأْخُذُهَا قَفْلَةً وَصَنَعَتِي أَشْرَفُ مِنْ صُنْعَتِهِ^(٢).

- وَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الزَّجَّالِي رِسَالَةً خَتَمَهَا بِهَذِهِ الْآيَاتِ، وَهِيَ أَيْضاً فِي الشُّكُوى:

كَيْفَ يُطِيقُ الشَّعْرَ مَنْ أَصْبَحَتْ حَالَتُهُ الْيَوْمَ كَحَالِ الْفَرَقِ.
إِذَا قَرَضْتُ الشَّعْرَ أَوْ رُمْتُ حَالَتُ هُمُومِي دُونَهُ فَاغْفَلْتُ.

(١) ألف من البيض: ألف درهم (من اللغظة).

(٢) زُرْبَابُ الْفَتَى (راجع ص ٨٠). يَأْخُذُهَا قَفْلَةً (يَأْخُذُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ فِي غَنَاءٍ قَفْلَةً - نحو شطرين في آخر الأغنية).

والشعرُ لا يَمَلُسُ إِلَّا على فَرَاغِ قَلْبٍ واتَّسَاعِ الخُلُقِ.

- ٤ - * * ابن الفرضي ١: ٣١٢ - ٣١٥ رقم (٨١٦) الزبيدي ٢٨٢ - ٢٨٣ جذوة
المقتبس ٢٦٣ - ٢٦٥ (الدار المصرية) ٢٨٢ - ٢٨٤ (رقم ٦٢٨) بقية الملتص
٣٦٤ (رقم ١٠٦٣)؛ انباه الرواة ٢: ٢٠٦ - ٢٠٧ المغرب ٢: ١٩٦؛ الديباج
١٥٤؛ بقية الوعاة ٣١٢؛ شذرات الذهب ٢: ٩٠؛ نفع الطيب ١: ٤٦؛ ٢: ٢
٥ - ١٨ بروكلمن ١: ١٥٦، اللحق ١: ٢٣١؛ ابن قنفذ ١٧١؛ الطمع
٣٦ - ٣٧؛ بالنيشأ ١٩٤ - ١٩٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣:
١٧٧٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٢ (١٥٧).

عبّاس بن ناصح

١- هو أبو القلاء عبّاسُ بنُ ناصِحِ الثَّقَفِيِّ الجَزِيرِيِّ، نَسَبُهُ إلى الجزيرة الخضراء
(جَنُوبِ الأندلس). وقيل إِنَّ أباه ناصحاً كان عبداً لمُزاحِمَةَ بنتِ مُزاحِرِ الثَّقَفِيِّ
الجزيريّ (المغرب ١: ٣٢٤).

وُلِدَ عبّاسُ بنُ ناصِحٍ في الجزيرة الخضراء ونشأ فيها. ثمَّ إنَّه جعل يتردّد على
قُرطُبَةٍ ويتصلُّ بالحكَمِ بنِ هشامِ الرَبَضِيِّ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) ويمدّحه. فولّاه الحكمُ
القضاء على الجزيرة الخضراء^(١).

وَرَحَلَ عبّاسٌ إلى المشرق، قيل ذهب لِيَرَى أبا نُواسٍ وغيره من شعراء
العراق^(٢). وقيل أرسَلَه عبدُ الرحمنِ بنُ الحكمِ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) إلى العراقِ في
التَّيَّاسِ الكُتُبِ القديمة، فأُتاه بالسندِ هِنْدُ^(٣) وغيره.

- (١) نقل السيوطي (بقية الوعاة ٢٧٦) عن الزبيدي وابن الفرضي أن عباس بن ناصح ولي قضاء (القضاء
في) بلده و(في مدينة) شذونة. وفي المغرب (١: ٣٢٤): أَنَّ الزبيدي قال في كتابه «طبقات العلماء»
إن عباس بن ناصح «ولي قضاء بلده مع شذونة»؛
(٢) ابن الفرضي ١: ٣٤١. ويذكر ابن الفرضي أيضاً (١: ٣٤٠ - ٣٤١) أن ناصحاً رحل باهنة عباس،
وهو صغير، إلى المشرق، فنشأ عباس في مصر وتردّد في الحجاز طالباً لُفَّة العرب؛ ثمَّ رحل به إلى
العراق فلقى الأصمعيّ (ت ٣١٦ هـ). ورجع عباس إلى الأندلس، فلما سمع يذكر أبي نواس رحل
إلى المشرق ثانية. ولا أرى هذه الروايات تتفق اتِّساقاً معقولاً.
(٣) السند عند كتاب في الفلك والحساب (راجع تاريخ العلوم عند العرب، للمؤلف، ص ١٢٣ - ١٢٦).

وكانت وفاة عباس بن ناصح سنة ٢٣٨ (٨٥٢ - ٨٥٣ م) في الأغلب.

٢- كان عباس بن ناصح من ذوي الفصاحة علماً باللغة^(١) والنحو والفقه والحديث والتعاليم (العلوم المندئية: الرياضيات وما يتصل بها)، ولكن غلب عليه الشعر، وكان شعره جزلاً متيناً يشبه ما ألفه قدماء الشعراء في المشرق.

٣- مختارات من آثاره

في الحلة السراء (١: ٤٨):

قال عثمان بن المثنى النخوي المؤدب: قديم بعد الوقعة علينا عباس بن ناصح قرطبة، أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم، فاستشدي شعر الأمير الحكم في الحج (راجع، ص ٥٧)، فأنشدته إياه. فلما بلغت إلى قوله:

وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم فلاقوا منايا فذرت ومصارعا،

- قال عباس (بن ناصح):

.... لو أن الحكم يخشى الخصومة (يوم القيامة) بينه وبين أهل الربض لقام بعنبره فيهم هذا البيت. وفي رواية: إذا كانت (تلك) الخصومة بينه وبين أهل الربض (عندي) جبرته (عطفت عليه)، فإن هذا البيت ليحاجج عنه يوم القيامة (لأنه نسب مقتل خصومه إلى انتهاء آجالهم لا إلى محاربتهم هو لهم).

- قال عباس بن ناصح في طول الحياة (بغية الوعاة ٢٧٦):

ما خير مدة عيش المرء لو جعلت كمدة الدهر، والأيام تغنيها^(٢)؟
فارغب بنفسك أن ترضى بغير رضا^(٣) وابتنع نجاتك بالدنيا وما فيها.

(١) ذكره الفيروزآبادي في «البليغة في تاريخ أئمة اللغة» (ص ١٠٣).

(٢) هذا البيت يعنى على معنيين: لا خير في مدة، مما تكن طويلاً، ما دامت في آخر الأمر ستنتهي.

- لا خير في طول الحياة، ولو كانت طول الدهر (بلا نهاية)، إذا غلبت (إذا أصبح الإنسان عاجزاً عن التمتع بما فيها).

(٣) بغير رضا (وإن لم يكن في الحياة ما ليس يدعو إلى الرضا).

- وفي نفع الطيب (١: ٣٤٣) أَنَّ عَبَّاسَ الشَّاعِرِ سَمِعَ امْرَأَةً فِي مَدِينَةِ وَادِي
الْحِجَارَةِ تَسْتَفِيتُ بِالْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ لِكَثْرَةِ اعْتِدَاءِ الْإِسْبَانِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. فَلَمَّا عَادَ
عَبَّاسٌ إِلَى قُرْبَةِ دَخَلَ عَلَى الْحَكَمِ وَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً كَانَ قَدْ نَظَّمَهَا فِي ذَلِكَ، مَطْلَعُهَا:

تَمَلَّكْتُ فِي وَادِي الْحِجَارَةِ مُنْهَرًا أُرَاعِي نَجُومًا مَا يُرَدَّنْ تَغُورًا^(١).
إِلَيْكَ، أبا العاصي، نَضَيْتُ مَطِيَّتِي نَسِيرُ بِهِمْ سَارِبًا وَمُهْجَرًا^(٢).
تَسْدَارُكَ نَسَاءُ الْعَالَمِينَ بِنُصْرَةٍ، فَإِنَّكَ أُخْرَى أَنْ تُغَيِّثَ وَتُنْصُرَا!

- وفي طبقات الزبيدي (ص ٢٨٦) أَنَّ أَبَا نَوَاسٍ سَأَلَ عَبَّاسَ بْنَ نَاصِحٍ إِشَادَ
قَصِيدَةٍ فَأَنْشَدَهُ: فَأَدَّتُ الْقَرِيضَ، مِنْ ذَا فَادٍ^(٣)!

٤ - * * الزبيدي ٢٨٤ - ٢٨٦: ابن الغرضي ١: ٣٤٠ - ٣٤١ (رقم ٨٨١) المغرب ١:
٤٥، ٣٢٤ - ٣٢٥: إنباء الرواة ٢: ٣٦٥ - ٣٦٧: بغية الوعاة ٢٧٦: نفع
الطيب ١: ٣٤٣، ٢: ٢٦١ - ٢٦٢، ٣: ٤٢٤ (الرقم في الفهرست يبدو أَنَّهُ
خطأ)، دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٢.

أَفْلَحُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ

١ - هو أبو سميدٍ أَفْلَحُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رُسْتَمِ الْإِمَامِ الثَّالِثِ
فِي الدَّوْلَةِ الْإِبَاضِيَّةِ فِي تَيَهَّرَتْ بُوَيْعٌ لَهُ بِالْإِمَامَةِ (سَنَةَ ١٩٠) يَوْمَ وَفَاةِ أَبِيهِ. وَمَعَ أَنَّهُ
كَانَ ذَا عِزٍّ وَحِزْمٍ ضَاطِحًا لِأُمُورِهِ فَقَدْ كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْفِتَنُ وَالْحُرُوبُ. مِنْ أَشْهُرِ
حُرُوبِهِ وَأَكْبَرِهَا حَرْبُهُ مَعَ خَلْفِ بْنِ السَّمْحِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ عَبْدِ الْأَعْلَى (وَكَانَ السَّمْحُ
هُوَ الْإِمَامُ الْأَوَّلُ بِطَرَابُلُسَ وَوَزِيرًا لِأَفْلَحَ ثُمَّ وَالِيَهُ عَلَى جَبَلِ نَفُوسَةَ). وَلَكِنْ خَلَفَا
طَمَعٌ فِي الْإِمَامَةِ (الْعَامَّةِ) وَنَصَبَ الْحَرْبَ لِأَفْلَحَ. فَوَلَّى أَفْلَحُ عَلَى جَبَلِ نَفُوسَةَ أَبَا

(١) سَهْرًا: مَصَابِيحُ يَمُّ يَذْهَبُ نَوَاسِي. تَنَوَّرَتْ النُّجُومُ = غَارَتْ: غَابَتْ.

(٢) أَبُو الْعَاصِي كَتَبَ الْحَكَمُ بْنُ هِشَامِ الرَّيْضِيِّ نَضِيتُ الثَّوْبَ وَأَنْصَيْتُهُ: أَهْلَيْتُهُ. الْمَطِيَّةُ: الدَّابَّةُ. نَضِيتُ
مَطِيَّتِي: أَنْصَيْتُ مَطِيَّتِي بِطُولِ الطَّرِيقِ وَوَعُورَتِهِ.

(٣) السَّارِي: الْمَافِرُ فِي اللَّيْلِ. الْمَهْجَرُ: السَّائِرُ فِي الْمَهْجَرِ (نِصْفِ النَّهَارِ، فِي وَقْتِ الْحَرِّ الشَّدِيدِ).
لَمْ يَذْكُرِ الزُّبَيْدِيُّ غَيْرَ هَذَا التَّطَرُّعِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ. فَادٌ فَلَانٌ: أَصَابَ فُؤَادَهُ. فَأَدَّتُ
الْقَرِيضَ (الشَّمْرَ): بَرَعَتْ فِيهِ، بَلَقَتْ فِيهِ الْفَائِزَةَ.

الحسن أيوب بن العباس. ويبدو أن أبا الحسن هذا تُوُفِّيَ وشبَّكَا فَوَلَّى أفلح بعده أبا عبيدة عبد الحميد الجنائوي (الأزهار الرياضية ٢: ١٥٢) فحارب أبو عبيدة خلفاً وتغلب عليه في ثالث عشر رجب من سنة ٢٢١. وقد نصب الحرب أيضاً لأفلح رجل يُعرف بأبن فنعين، كما كان عددٌ من القبائل يخرجُ عن طاعته مرةً بعد مرةً.

وكانت لأفلح صلاتٌ حسنةٌ بملوك السودان (الغربي) وبلوك الأندلس الذين عاصرَ منهم ثلاثةٌ هم الحكم الأول (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) وعبد الرحمن الأوسط ومحمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). ولما بنى محمد بن إبراهيم بن الأغلب قُربَ مدينة تيهرتَ مدينةً سماها «العباسية» سارَ إليها أفلح وأحرقها، سنة ٢٢٧^(١) وكتبَ بذلك إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط فأرسلَ إليه عبد الرحمن يائة ألف درهم^(٢).

وكانت وفاة أفلح سنة ٢٤٠ (٨٥٥ م) بعد أن بقيَ في الإمامة خمسين سنةً.

٢ - كان أفلح بن عبد الوهاب فقيهاً، كما كان أديباً له نشرٌ ونظم. ولم يكن في نثره ونظمه ابتكارٌ، بل كانت آثاره مجموعاً من الآراء العامة المعروفة السائدة، إلا أن سبكه لهذه الآراء والأقوال المعروفة كان سبكاً سائفاً جليلاً ذا أثرٍ في النفوس. وتكاد تكونُ جميعُ آرائه وتعاييره اقتباساً من القرآن والحديث. ولآثاره قيمةٌ واضحةٌ هي أنها تمثلُ رأيَ الإباضية في الدين والأخلاق وفي المسلك العملي في الحياة.

٣ - مختارات من آثاره

- النصيحة العامة:

من أفلح بن عبد الوهاب إلى من بلغته كتابنا هذا من المسلمين. أما بعدُ، فالحمدُ

(١) في تاريخ ابن الأثير (٦: ٥١٩) أن هذه الحادثة كانت في سنة ٢٢٩ (تقلاً عن فتوح البلدان للبلاذري، ص ٢٣٤)، فتكون الحادثة حينئذٍ في أيام الأمير محمد.

(٢) يقول البلازوي (الأزهار الرياضية ١٨٦ - ١٨٧) أن أفلح كان يهادي ملوك الأندلس بالمال، وأن أفلح لم ينتقرب بإحراق العباسية تقريباً لملوك الأندلس، بل كان ملك الأندلس هو الذي تقرب من أفلح بالمال.

له الذي هدانا للإسلام وأكرمنا بمحمدٍ عليه السلام. وأبقانا بعد تناسخ^(١) الأمم حتى أخرجنا في الأمة المكرمة التي جعلها أمةً وسطاً شاهدةً لنبيها بالتبليغ ومُصدقةً لجميع الأنبياء وشاهدةً على جميع الأمم بالبلاغ من الأنبياء عليهم^(٢) السلام منّا من الله ورحمة. أرسل إلينا نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ووعدّه بالنصر على الأعداء وضمن له الفلج والفتنة ووعدّه بالعصمة^(٣) وقال له عز وجل: «يا أيها الرسول، بلغ ما أنزل إليك من ربك. وإن لم تفعل فإيّا بلغت رسالتي». والله يَمُصِّيك من الناس^(٤). فأدى ما أمره الله به ونصح لأمرته ودعا إلى سبيل ربه وجاهد عدوه وغلظ على الكفار ولان للمؤمنين، فكان لهم كما وصفه الله تعالى رؤوفاً رحيماً. حتى انقضت مدته وفيت أيامه واختار له ربه ما عنده فقبضه^(٥) إليه محمود السعي مشكور العمل صلى الله عليه وسلم. فلم تبق خصلة من خصال الخير الدالة على الرشد إلا دعا إليها وسنها أو فرضها أو أوجبها، ولم تبق خصلة من خصال الشر الداعية إلى الهلكة إلا زجر عنها وأمر باجتنابها رحمةً من الله لعباده. فله الحمد على ذلك كثيراً. ثم أمر تعالى بالجهاد في سبيله والقيام بحقه والأخذ بأمره والانتهاز عما نهى عنه، وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف والقيام مع المظلوم والقمع^(٦) للظالمين لكيلاً تقوم للشيطان دعوة ولا تثبت لأهل حربه قدم ولا ينفذ لهم حكم....

(١) تناسخ الأمم (ها) تطور بعض الأمم من بعض وترقيها في سلم الحضارة.

(٢) هذه الجملة مقتبسة من ثلاث آيات: من سورة البقرة (١٤٣: ٢) «وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً». ثم من سورة آل عمران (١١٠: ٣) «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر». ثم من سورة النساء (٤١: ٤) «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً؟». - هذا مثال واحد، ومنظم جل ألق تشبه ذلك.

(٣) العصمة (هنا): الحماية من الناس (دفع ضرر الناس عن الرسول)، راجع الآية المستشهد بها. الفلج الظفر.

(٤) راجع سورة المائدة (٦٧: ٥).

(٥) اختار له ربه ما عنده (عند ربه): فضل له الحياة الأخرى على هذه الحياة الدنيا. قبضه إليه: توفاه (نقله من الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى).

(٦) الملهوف: المظلوم الذي يطلب من الناس مساعدتهم. القمع: الإذلال.

حَاحْذَرُكُمْ أَهْلَ الْبِدْعِ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا حَقًّا فَيَتَّبِعُوهُ وَلَمْ يَلْقُوا أَهْلَ الْعِلْمِ
فَيَقْتَسِبُوا مِنْهُمْ الدِّينَ. عَاشُوا مَعَ أَهْلِ الْجَهْلِ فَخَلَا بِهِمُ الشَّيْطَانُ وَنَفَّخَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْكِبْرَ وَأَوْرَثَهُمُ الْمُحِبَّ فَاسْتَحَبُّوا^(١) أَنْ يَقُولُوا فَيَا لَا يَعْلَمُونَ « لَا تَعْلَمُ ». فَأَقْتَرُوا
بِرَأْيِهِمْ^(٢) أَقْوَامًا جَهْلَةً لَا يَعْرِفُونَ مَا يُقَالُ لَهُمْ: قَلَّدُوهُمْ^(٣) دِينَهُمْ وَأَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمْ
الرَّأْيَ فَاتَّبَعُوهُمْ عَلَى بِذَعَتِهِمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ...
فَاخْذَرُوا، مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَمَنْ حَلَّ بِهِ هَذِهِ الْمَزَلَّةُ وَرَضِيَهَا
لِنَفْسِهِ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ كَانَ كَهَذَا فَقَدْ صَارَ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ وَأَوْلِيَائِهِ....

هذا، وقد بَالَفْتُ إِلَيْكُمْ فِي النَّصِيحَةِ وَشَرَحْتُ لَكُمْ الْمَوْعِظَةَ وَرَضَيْتُ لَكُمْ بِمَا رَضَيْتُ
بِهِ لِنَفْسِي وَنَهَيْتُكُمْ عَمَّا أَنْهَى عَنْهُ نَفْسِي نَصِيحَةً لَهُ وَأَجْتِهَاداً فِي طَلَبِ رِضَائِهِ....

- فضلُ العلم. قال من قصيدة له:

هُوَ عُصْبَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّ لَهُ	فَضْلًا عَلَى النَّاسِ عُقَابًا وَحُصَارًا ^(١)
الْعِلْمُ عِلْمٌ، كَفَى بِالْعِلْمِ مَكْرُمَةً.	وَالْجَهْلُ جَهْلٌ، كَفَى بِالْجَهْلِ إِذْ بَارًا ^(٢)
لِلْعِلْمِ فَضْلٌ عَلَى الْأَعْمَالِ قَاطِبَةً؛	عَنِ النَّبِيِّ رَوَيْنَا فِيهِ أَخْبَارًا ^(٣)
يَقُولُ: طَالِبُ عِلْمٍ بَاتَ لَيْلَتُهُ	فِي الْعِلْمِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَارًا
مَنْ عَابَدَ سَنَةً لِلَّهِ مُجْتَهِدًا	صَامَ النَّهَارَ وَأَحْبَا اللَّيْلَ إِسْهَارًا.
وَقَالَ: إِنَّ مِدَادَ الطَّالِبِينَ عَلَى	نِيَابِهِمْ وَعَلَى الْقُرْطَاسِ أَطَارًا ^(٤)

(١) الكبر: الجبر والتعاطف على الناس. العجب: الزهو (الافتخار) بالنفس. استحبوا: غلبه الحياء أو الحجل.

(٢) أتى برأيه: فسر أمور الدين بمفله هو من غير رجوع إلى القرآن أو الحديث أو أعمال الصحابة.

(٣) المصوح هنا أن العامة من الناس تابعوا الفقهاء في الاعتقاد والعبادات. ويمكن أن تعني أن الفقهاء قلدوا العامة الذين (غرضوه عليهم - جعلوه كالقلادة في أعناقهم).

(٤) إنك تستفيد من العالم إذا حضرت عليه شخصياً أو إذا قرأت في كتبه (ولو بعد موته).

(٥) الإدبار: تولي (ذهاب) النجاح والتوفيق عن الإنسان.

(٦) وصل إلينا عن النبي أحاديث في فضل العلم.

(٧) المداد: الحبر. الطالبون: طالبو العلم (التلاميذ). القرطاس: الورق. الأسطار: السطور.

- إن الحبر سواء أكتسبت به سطوراً من العلم أو سقط على الثياب غطاً...

مثل^(١) دم الشهداء المكرمين: لهم
أكرمهم بهم من ذوي الفضل المبين، لهم
ولا تكن جامعا للصحف نخزنها
فأطلب من العلم ما تقضى القروض به
وأجعل لله، لا تجعله منفعة،
مولك يعلم ما تخفي الصدور، فلا
ولا تداين إذا ما قلت مسألة،
وعاشر الناس - وانظر من نعاشره -
فرب كثير صخب لا يزال يرى

فضل: فأكرم بأهل العلم أعيار.
إرث النبوة في أيديهم صار^(٢).
كالعير يحمل بين العير أسفارا^(٣).
وأعمل بعلمك مضطرا وعشارا^(٤).
ولا ترائي به بدوا وأخضارا^(٥).
يكن لك الخلق من مولك غرارا^(٦).
أضررت بالدين - إن دأبت - إضرارا^(٧).
قصدًا، ولا تكثرن الصحف إكثارا^(٨).
لنفسه قرأه السوء أضرارا.

٤ - * * - الأزهار الرياضية ٢: ١٦٦ - ١٢٢٢ معجم أعلام الجزائر ١: ٣٤٢ (٢: ٥)؛
تاريخ الجزائر العام ١: ١٩٨ الطهار ٣١.

سحنون

١ - هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، المعروف باسم
سحنون (بفتح السين أو بضمها)، ولد في القيروان في أول رمضان من سنة ١٦٠
(١١ / ٦ / ٧٧٧ م).

- (١) «مثل» فيها عيب (ينقص فيها مد): يجب أن يكون مكانها كلمة على وزن معنى أو رمي.
- (٢) في الحديث: العلماء ورثة الأنبياء.
- (٢) العير: الحمار. في القرآن الكريم: «كمثل الحمار يحمل أسفارا» (٥: ٦٢). سورة الجمعة. يحمل كتاباً ولا ينتفع بها فيها. العير (بالكسر): القافلة.
- (٤) ما تقضى القروض به: ما يملك أمور الدين (أو: ما تقرأه في صلاتك، مثلاً). اعمل بعلمك مضطراً وعشاراً (في كل حال) في أمور الدين وفي غير أمور الدين.
- (٥) أحضار (المقصود جمع حضر ضد البدو).
- (٦) - إذا لم يعافبك ربك اليوم على ذنب اقترفته فلا تتشرب بذلك وتعني في اعتراف ذلك الذنب تكراراً، فقد تعاقب على ذلك كله غداً.
- (٧) المداينة: المصانة: (موافقة الناس على رأي أنت تعتقد في نفسك خلافه).
- (٨) عاشر الناس قصدًا (باعتدال) لا تستكثر من الأصدقاء ولا تتدفع في صداقة أحد بلا ضابط.

بدأ سحنونُ دراسته في تونس ثم رَحَلَ (١٨٨ هـ) إلى القاهرة فدرس على الفقيه المالكي أبي عبد الله عبد الرحمن بن خالد المُتَّقِي (١٣٢ - ١٩١ هـ). وهو صاحبُ المَدُونَةِ (في الفقه المالكي) أخذها عن مالك بن أنس، ثم أخذها عنه سحنون. ودَرَسَ سحنونُ على نفرٍ كثيرين أيضاً. وزار سحنونُ الشامَ ثم عاد إلى القيروان (١٩١ هـ = ٨٠٧ م) وبدأ نشرَ مذهبِ مالكٍ في المغرب.

وتولَّى سحنون قضاء القيروان في رَمَضان من سَنَةِ ٢٣٤ (نيسان - أبريل ٨٤٩ م) في أيام أبي العبَّاس محمد بن الأغلب (٢٣٦ - ٢٤٢ هـ). وكانت وفاة سحنون في التاسع من رَمَضان من سَنَةِ ٢٤٠ (٧ / ٣ / ٨٥٥ م)، وقيل في رَجَب.

٢ - كان سحنونُ حافظاً للعلم ثقةً زاهداً في الدنيا مُتَوَاضِعاً سَلِيمَ الصدرِ ولكن شديداً على أهلِ البدع. ولسحنون أثرٌ كبيرٌ في انتشار مذهبِ مالكٍ في المغرب. وكان سحنونُ مُصَنِّفاً، له: المَدُونَةُ في مذهبِ الإمام مالك - كتاب الأُجوبة - كتاب آداب المُعَلِّمين (بروكلمن، الملحق ١ : ٣٠٠).

في وفيات الأعيان (١ : ٥٢٣) أن القائد القاضي أسد بن الفُرات (توفي في بَلَرَمَ عاصمة صِيقَلِيَّة سَنَةِ ٢١٣ هـ) وكان قد رَحَلَ إلى مصر وسع من عبد الرحمن بن القاسم وبدأ تأليف كتابٍ في مذهب الإمام مالك. وكان هذا الكتابُ يُعرَفُ بِاسْمِ «الأسدية». ثم إن سحنوناً حرَّرَ هذا الكتاب ونقَّحه وزاد فيه فأصبح عندنا يعرف اليوم باسم «المَدُونَةُ».

وذكر ابنُ خلدونٍ (المقدمة ٨٠٧) أن الناسَ اتَّبَعُوا «مَدُونَةَ سحنونٍ، على ما فيها من اختلاطِ المسائلِ في الأبواب، فكانت تُسمَّى المَدُونَةُ والمُخَلَّطَةُ».

٣ - مختارات من آثاره

- لسحنون أقوالٌ حكيمةٌ منها:

أشقى الناسَ من باعَ آخرته بِدُنْيَاهُ، وأشقى منه من باعَ آخرته بِدُنْيَا غَيْرِهِ

- أجزأ الناس على الفتيا أقلهم علماً، يكون عند الرجل باب واحد من العلم فيظن أن الحق كله فيه - من فقه الرجل مطعمه وملبسه ومدخله ومخرجه وصحبته لأهل الخير، وليست العبادة ببطاطاة الرأس.

٤ - المدونة الكبرى، القاهرة ١٣٢٤ - ١٣٢٥ هـ، القاهرة ١٩٠٥ - ١٩٠٦ م.

كتاب آداب المعلمين (تحرير حسن حسني عبد الوهاب)، تونس ١٩٣١ م.

★ ★ تراجع أغلبية ٨٦ - ١٣٦ علماء إفريقية وتونس ١٨٤ - ١٨٧ وفيات الأعيان ٣:

١٨٠ - ١٨٢ ابن قنفذ ١١٧٤ الديباج المذهب ١١٦٠ بروكلمن ١: ١٨٦، الملحق ١:

٢٩٩ - ١٣٠٠ دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ١: ٦٤ - ١٦٥ مجلة العربي (٨/ ٦٥،

ص ١١١)، الأعلام للزركلي ١: ١٢٩ (٤: ٥).

عبيد الله بن قرطبان^(١)

١ - هو عبيد الله بن قرطبان بن بدر، كان مولى للأمير عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) ومن نُدمايه. ولعل وفاته كانت قبل انتصاف القرن الثالث (قبل ٨٤٦ م).

٢ - عبيد الله بن قرطبان من الشعراء المتقدمين، وكان مُقلداً فيما يبدو، ولم يكن من فحول الشعراء.

٣ - مختارات من شعره

- جلس الأمير عبد الرحمن بن الحكم يوماً للفَصْدِ^(٢) وفرق على من حضره من موالبيه ونُدمايه مبالغ من المال. وكان ابن قرطبان غائباً في باديته (في ضيعة له قرب قرطبة)، فلما علم بذلك أسرع إلى قرطبة رجاء أن ينال ما ناله غيره لهذه المناسبة، وأنفذ إلى الأمير عبد الرحمن رُقعة فيها الأبيات التالية:

(١) راجع في تجميع الأسماء قرطبان، تحت: أحمد بن قرطبان (ت ٣٧٧ هـ).

(٢) الفصد من وسائل الطب القديم: استخراج شيء من الدم من جسم الإنسان (في الربيع) تحفيظاً.

يا مَلِكاً حَلَّ ذُرَى الْمَجْدِ وَعَمَّ بِالْإِنْعَامِ وَالرِّفْدِ^(١)،
 طَوْبَى لِمَنْ أَسْمَعْتَهُ دَعْوَةَ فِي يَوْمٍ إِجْمَاعِكَ لِلْفُسْدِ
 فَظُلُّ ذَاكَ الْيَوْمِ مِنْ قَصْفِهِ مُسْتَوْطِناً فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ^(٢)،
 وَقَدْ عَدَانِي أَنْ أَرَى حَاضِراً، جَدُّ مَتَى يُحْظِرُ الْوَرَى يُكْدِ^(٣)،
 فَأَنْتَعِشِ الْعَثْرَةَ مِنْ عَائِرٍ عَدَّتْ عَلَيْهِ أَنْجُمُ الْفُرْدِ^(٤)،
 وَأَمْنُنْ بِإِصْفَادِي مَطْأً لَمْ يَزَلْ يَسْمَلُ أَهْلَ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ^(٥)،

فَوَقَعَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي أَسْفَلِ رُقْعَةٍ ابْنِ قَرْظَانَ: « مِنْ آثَرِ (فَضَّلَ) التَّصَجُّعِ
 قَلْبُ رَضَ بِحُظِّهِ مِنَ النَّوْمِ ».

فَعَاوَدَهُ ابْنُ قَرْظَانَ بِرُقْعَةٍ أُخْرَى فِيهَا أَيْبَاتٌ مَطْلَعُهَا:

لَا يَنْفَتُ إِنْ كُنْتُ، يَا مَوْلَايَ، مَخْرُوماً.

فَأَمَرَ لَهُ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِصَلَةِ.

٤ - * * * أَخْبَارُ مَجْمُوعَةِ ١٣٩ - ١٤١ هـ الْحَلَّةِ السَّيْرَاءِ ١: ١١٨ - ١١٩.

يحيى بن حكم الفزال

١ - هو يحيى بن حَكَمِ الْبَكْرِيِّ الْجَيَّانِي، أَصْلُهُ مِنْ جَيَّانَ، وَقَدْ كَانَ مَوْلَدُهُ فِي
 نَحْوِ سَنَةِ ١٥٤ (٧٧١ م)، وَقَبِيلٌ فِي سَنَةِ ١٥٦: وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ فِي قَرْطَبَةِ.

كَانَ يَحْيَى بْنُ حَكَمٍ رَجُلًا فَارِعًا الطَّوْلِ قَوِيَّ الْبُنْيَةِ جَمَّ النَّشَاطِ جَبِيلًا، وَلَقَدْ

(١) الرِّفْدُ: الْمَطَاءُ - عَمَّ بِالرِّفْدِ: أَعْطَى جَمِيعَ النَّاسِ. فِي هَذِهِ الْأَيْبَاتِ رَوَايَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ لِقَلِيلٍ أَوْ كَثِيرًا.

(٢) الْفُسْدُ: اللَّهْوُ.

(٣) عَدَا: مَرَّ بِهِ، فَاتَهُ. جَدُّ: حَظٌّ. يَحْظِرُ: يَجْعَلُ (لِلنَّاسِ) حَظًّا. يَكْدِي: يَبْخُلُ، وَأَكْدَى فَلَانٌ فَلَاتًا عَنْ
 التَّنْهِيدِ: رَدَّهُ عَنْهُ (يَحْظِرُ وَيَكْدِي مَجْزُومَتَانِ بِاسْمِ الشَّرْطِ «مَتَى»).

(٤) أَنْهَضَنِي مِنْ عَثْرَتِي (عَلَطَنِي). عَدَّتْ عَلَيْهِ: اعْتَدَتْ عَلَيْهِ، ظَلَمَتْهُ. أَهْمُ الْفُرْدِ (بِضَمِّ الْهَاءِ) الْأَهْمُ الَّتِي
 تَبْدُو وَحْدَهَا مُتَفَرِّقَةً فِي أَطْرَافِ السَّيْلِ (رَاجِعُ تَاجِ الْعُرُوسِ - الْكُوَيْتِ ٨: ٤٨٣، ٤٨٧).

(٥) الْأَصْفَادُ: الْمَطَاءُ.

أَحْتَفَظَ بِنَشَاطِهِ وَجَمَالِهِ إِلَى زَمَنِ شَيْخُوخَتِهِ، فَلَقَّبَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالْغَزَالِ.

من أشهر الأحداث في حياة يحيى بن حكيم أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطَ أَرْسَلَهُ سَفِيرًا إِلَى بِلَادِ الْمَجُوسِ فِي (إحدى جُزُرِ الدَاغَارِك)، نحو سنة ٢٠٥ (٨٢٠ - ٨٢١ م) فَأَظْهَرَ إِعْجَابًا بِالْمَلِكَةِ «تود». ويبدو أيضاً أَنَّهُ سَفَرَ إِلَى بِلَاطِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ^(١). وقيل إِنَّ زُرْيَابَ لَمَّا جَاءَ إِلَى قَرْطَبَةِ، سَنَةَ ٢١٧ (٨٣٢ م) نَشَأَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَحْيَى بْنِ حَكِيمٍ نُفْرَةٌ فَهَجَاهُ يَحْيَى وَأَفْذَعَ فِي هِجَايِهِ. فَغَضِبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ وَنَفَى يَحْيَى عَنْ بِلَاطِهِ (وزعموا عن الأندلس) فَذَهَبَ يَحْيَى إِلَى الْعِرَاقِ بُعِيدَ وَفَاةٍ أَبِي نُوَاسٍ (ت ١٩٩ = ٨١٤ م) وَبَقِيَ هُنَاكَ نَحْوَ عَشْرِ سَنَاتٍ. وَلَكِنْ زَمَنُ إِقَامَتِهِ فِي الْعِرَاقِ وَزَمَنُ سَفَارَتِهِ إِلَى بِلَادِ الْمَجُوسِ يَتَدَاخَلَانِ تَدَاخُلًا شَدِيدًا.

وَتَوَفَّى يَحْيَى بْنُ حَكِيمٍ الْغَزَالُ فِي مَطْلَعِ ٢٥٠ (٨٦٤ م).

٢ - كان يحيى بن حكيم الغزال متعدد نواحي الشخصية. وكان مشاركاً في عدد من العلوم منها الفلسفة والفلك. وكذلك كان لبقاً حسن التحديث بما جمعه ناهجاً في الحياة السياسية وفي السفارة.

وكذلك كان أديباً وشاعراً مطبوعاً صاحب بديهة وأبتكار في المعاني، وإن كان في أسلوبه يَطْبَعُ عَلَى غِرَارِ الْمَشَارِقَةِ مَعَ قِلَّةِ عِنَايَةٍ بِالِدِيَّاجَةِ، إِذَا كَانَتْ الدِّيَّاجَةُ تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كِهَالِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَعْنَى (كما كان شأنُ ابن الرومي). وفنون شعره المدحُ والهجاء والغزل والمُجُونُ والخمرِيَّاتُ (وإن لم يكن يَشْرَبُ الخمر) والحكمة مع

(١) صدر في سفارة الغزال هذه كتاب هو

The Poet and the Spae-Wife

An attempt to reconstruct al-Ghazal's embassy to the Vikings,

by W. E. D. Allen.

Dublin (Allen Figgis and Co. Ltd), 1960.

ومؤلفه لا يوافق المشرق الفرنسي ليفي بروفنسال على رأيه في أن سفارة الغزال كانت إلى القسطنطينية، بل يرى أنها كانت إلى جزيرة إيرلندة، (غرب جزيرة اسكتلندة) حينما كانت إيرلندة تحت حكم الغالينغ السالبيين، وأن هذه السفارة كانت بين الشهر الأول من عام ٨١٥ للميلاد (شوال ٢١٤) ومنتهى الصيف من ذلك العام (ص ٥٤).

شيء من الشاؤم. وله أيضاً قصصٌ، فقد نظم أرجوزةً طويلة في فتح الأندلس وفي الوقائع التي دارت بين المسلمين وملوك النصارى. وشاعت هذه الأرجوزة بين الناس. (نفع الطيب ١: ٢٨٢)، ولكنها ضاعت فيها بعد^(١).

٣ - مختارات من شعره

- كان بعضُ أمرائه الأندلس قد ولّى يحيى الغزال قبضَ الأعشار (نصيب الدولة من المواسم) وخزنها. وبدأ قحطٌ في البلاد فباع يحيى الغزالُ الحبوبَ التي في الأهراء بالثمن الرائج فتفقت بسرعة. فغضب الأمير وطالب يحيى بثمان المثل (بعد ارتفاع الأسعار) فلم يستطع يحيى ذلك لأنَّ الفرق بين الثمن الذي باع به يحيى الحبوبَ والثمن الذي غلا كان ثلاثين ألفَ (درهم). فأمر الأميرُ بسجنَ يحيى الغزال وتقييده. فنظم يحيى الغزالُ في سجنه قصيدةً يسطُرُ فيها القضية من وجهة نظره هو، فرضي الأميرُ وأطلق سراحَ يحيى.

وفي المطرب أن الأميرَ الذي وقعت في أيامه هذه الحادثة هو عبدُ الرحمن ابنُ الحكم (٢٠٦-٢٣٨ هـ). لكن مطلعَ القصيدة يدلُّ على أن شاعرَها كان في الخمسين من العمر (ويحيى الغزالُ كان في أيام عبد الرحمن بن الحكم في صدر شبابه)، إلا إذا قلنا أن يكونَ المطلعُ تقليدياً عامّاً وليس تجريداً (خطابَ الشاعر نفسه). وفي ما يلي عددٌ من أبياتِ القصيدة المذكورة:

بعضَ تصايبك على زنبب. لا خيرَ في الصبوة للأشيب^(٢).
أبمدَ خمسينَ تقضيتها وافيةً تصبو إلى الرثرب^(٣)
من مُبلغٍ عني إمامَ الهدى الوارثَ المجدَ أباً عن أب

(١) في جذوة المختص (ص ١٨٦) وبنية المختص (ص ١٢٥٨) راجع الأعلام للزركلي ٢: ١٧٠. أن حبيب بن أحمد الشطجوري (ت نحو ٤٣٠ هـ)، وهو أديب شاعر من أهل قرطبة جمع ديوان يحيى بن الحكم الغزال ورتبه على الحروف.

(٢) الصبوة: جهلة الشباب. التصابي: تكلف ذلك، التظاهر بالشباب.

(٣) الرثرب: الغزال الصغير.

أَنِّي إِذَا أَطْلَبَ مُدَاحَهُ قَصَدْتُ فِي الْقَوْلِ فَلَمْ أَطْلُبْ^(١).
 لَا فَكَّ عَنِّي اللَّهُ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَذْكَرْتَنَا مِنْ عُمْرِ الطَّيِّبِ^(٢)،
 وَأَصْبَحَ الْمَشْرِقُ مِنْ شَوْقِهِ إِلَيْكَ قَدْ حَنَّ إِلَى الْمَرْبِ:
 مِنبَرُهُ يَهْتَفُ مِنْ شَوْقِهِ إِلَيْكَ بِالسَّهْلِ وَبِالْمَرْحَبِ.
 أَطْرَبُهُ الْوَقْتُ الَّذِي قَدْ دَنَا، وَكَانَ مِنْ قَبْلِكَ لَمْ يَطْرَبِ.
 هَذَا بِهِ الْوَجْدُ، فُلُو مِنبَرُ طَارَ لَوَاعِي خَطْفَةَ الْكُوكَبِ^(٣)
 إِلَى جَبَلِ الْوَجْهِ ذِي هَيِّبَةٍ لَيْسَ لِحَامِي الْغَايَةِ الْمُغْضَبِ^(٤).
 لَا يُمَكِّنُ النَّاطِرُ مِنْ رُؤْيِي إِلَّا السَّحَابَ الْخَائِفِ الْمَذْنِبِ^(٥).
 إِنْ تُرِيدُ الْمَالَ فَلَا تَأْتِي أَمْرُو لَمْ أَجْمَعْ الْمَالَ وَلَمْ أَكُتِبِ^(٦).
 إِذَا أَخَذْتَ الْحَقَّ مِنِّي فَلَا تَلْمِزِ الرِّيحَ وَلَا تَرْغَبِ^(٧).
 قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْنَا مَعَا إِنْ كَانَ رَأْسُ الْمَالِ لَمْ يَذْهَبِ^(٨)

- لَمَّا كَانَ يَجِيئُ مِنْ حَكْرِ الْغَزَالِ فِي بِلَادِ الْمَجُوسِ لَفَتَ نَظَرَ الْمَلِكَةِ «تَوْذ» فَسَأَلَتْهُ
 يَوْمًا: كَمْ عُمْرُكَ؟ فَقَالَ لَهَا: عَشْرُونَ عَامًا فَقَالَتْ لَهُ: وَلَكِنْ فِي رَأْسِكَ شَعْرًا أَيْضًا
 فَأَنشَدَ مُرْتَجِلًا:

- (١) أطلب: بالغ، زاد على الحد المطلوب. قصد: اعتدل (جاء بالتصدد: بالغدر المطلوب المفعول الكافي).
- (٢) لا فكَّ الله قيدي ولا أخرجني من السجن إن لم يكن فيك شيء من صفات عمر من الخطاب.
- (٣) واني: جاء إلى جوارك. خطفة (لمعة) الكوكب: بسرعة.
- (٤) حامي الغاية: الأسد. المغضب: الغضبان (في الحق).
- (٥) لا يستطيع أحد أن يطيل النظر إليه لمهيبته.
- (٦) إذا كنت تريد مالاً فلا تطلبه مني، لأنني رجل لم أجمع في حياتي مالاً ولم أستطع أن أكسب من المال ما يبقى منه شيء للخرن.
- (٧) أنا أعطيتك جميع الثمن الذي بيعت به الحبوب فلا تحاول أن تحصل مني على ربح (لأنني لا أملك مالاً).
- (٨) من حسن حظي وحظك أنني دفعت إليك ثمن الحبوب (كان يجيئ الغزال معروفاً بالانهاك في الشهوات وبالإسراف وكان من الممكن أن يتصرف بالثمن الأصلي فيضيع المال كله).

كَلَّفْتَ، يَا قَلْبِي، هَوَى مُتَعِبَا
إِنِّي تَعَلَّقْتُ بِمَجْوِيَّةٍ
أَقْصَى بِلَادِ اللَّهِ فِي حَيْثُ لَا
يَا تَوَدُّ، يَا رُودَ الشَّبَابِ الَّتِي
يَا بِأَيِّ الشَّخْصِ الَّذِي لَا أَرَى
إِنْ قُلْتُ يَوْمًا إِنْ عَيْنِي رَأَتْ
قَالَتْ: «أَرَى قُوذِيهِ قَدْ نَوَّرَا»،
قُلْتُ لَهَا: «مَا بِالْه؟ إِنَّهُ
فَأَسْتَضْحَكْتُ عَجَبًا بِقَوْلِي لَهَا -
وَقَالَ فِي النَّسَاءِ:

قَالَتْ: «أُحِبُّكَ!» قُلْتُ: «كَاذِبَةٌ»
هَذَا كَلَامٌ لَسْتُ أَقْبَلُهُ: غُرِّي بِذَا مِنْ لَيْسَ يُنْتَقَدُ.
الْشَيْخُ لَيْسَ يُجِيبُهُ أَحَدٌ.

- وَقَالَ فِي الْخَمْرِ (وَنَجِدُ عَلَى قَوْلِهِ شَيْئًا مِنْ مَنْحَى أَبِي نَوَاسٍ):

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّرْبَ أَكَدْتُ بِمَاؤُهُمْ
فَلَمَّا أَتَيْتُ الْحَانَ نَادَيْتُ رَبِّي
تَأَبَّطْتُ زَمِّي وَأَحْتَسِبْتُ عَنَافِي^(١)
فَتَابَ خَفِيفَ الرُّوحِ لِحَوْنَدَائِي^(٢)

(١) الضيفم: الأسد.

(٢) تَعَلَّقْتُ (أَحْبَبْتُ) بِمَجْوِيَّةٍ (امْرَأَةٍ عَلَى دَسِ الْجَوْسِ - بِقَصْدِ تَوَدِّ الدَّغَارِكِيَّةِ. وَمَعَ أَنَّ سَكَانَ الدَّغَارِكِ فِي ذَلِكَ الْحَيْنِ كَانُوا نَصَارَى، فَإِنَّ تَمَسُّدًا مِنْ سَكَانِ شَمَالِي أَوْ رُومِيَّةٍ كَانُوا لَا يَزَالُونَ فِي ذَلِكَ الْحَيْنِ عَلَى الْوُثْيَةِ. وَكَانَ الْعَرَبُ يَسْمَوْنَهُمْ كُلَّهُمْ «مَجْوسًا».)

(٣) الرُّودُ: الرَّادُّ، الرُّودُ (الْمَرْأَةُ الشَّابَّةُ، اللَّيْثَةُ). الْأَزْوَارُ: مَدْعَلُ الْعُنُقِ مِنَ الثَّوبِ.

(٤) لَمْ أَعُدْ: لَمْ أَجَاوِزْ. لَمْ أَعُدْ أَنْ أَكْذِبَ: مَا عُدْتُ (تَجَاوَزْتُ) الْكَذِبَ (فِي قَوْلِي): كَذَبْتُ.

(٥) الْفُودُ: الشَّعْرُ عِنْدَ الْأُذُنِ. نَوَّرَ (الزَّهْرُ) تَفَتَّحَ، كَانَ أَبْيَضَ.

(٦) نَجَّ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) الْمَهْرَ (الْحَصَانَ الصَّغِيرَ): وَلَدَ، وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

(٧) أَكَدْتُ سَلَّوْهُمْ: قَلَّ مَطَرُهَا (اِقْتَفَرُوا، اِحْتَاجُوا). الزَّقُّ: وَعَاءٌ لِلْخَمْرِ. النَّسَاءُ: التَّمَبُّ.

اِحْتَسِبْتُ عَنَافِي: جَعَلْتُ تَعْمِي احْتِسَابًا (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) - هُنَا: فِي سَبِيلِ إِخْوَانِي.

(٨) الْحَانَةُ مَحَلٌّ يَبِيعُ الْخَمْرَ، جَمْعُهَا حَانَ. وَالتَّشَاعُرُ يَسْتَعْمَلُ «الْحَانَ» هَا مَكَانَ الْحَانَةِ. تَابَ: أَقْبَلَ.

قليلَ هجوعِ العَيْنِ إِلَّا تَعْلَهُ على وجلٍ مِنِّي ومنْ نُظْرَائِي^(١)
فقلتُ: «أَذْقِيهَا»، فلمَّا أذاقها طرحتُ إليه رِيْطِي ورَدَائِي^(٢)
وقلتُ: أَعِزِّي بِذِلَّةٍ أُسْتِيزُهَا بذلتُ له فيها طَلاقَ نَسَائِي^(٣)
فوالله ما بَرَّتْ يَمِينِي وَلَا وَقْتُ له، غيرَ أَنِّي ضامنٌ يوفائي^(٤)
فَأَنْبَتُ إِلَى صَحْصَحِي وَلَمْ أَكُ أَبِياً فكلُّ يَفْدِينِي وَحَقُّ فِدَائِي^(٥)
تَدَارَكْتُ فِي شَرْبِ النَّبِيدِ خَطَائِي وفارقتُ فيه شِمِيتِي وَحِيَائِي^(٦)

- وقال يحيى بن الحكم الغزالي يصف أهوالَ بحر الشمال، ويخاطب رفيقاً له
اسمه يحيى (أو هو يخاطب نفسه):

قالَ لي يحيى، وصيرُ لنا بينَ مَوْجِ كالجبالِ،
وتولَّفتنا رِيَّاحُ من دَبُورٍ وشَالِ^(٧)
شَقَبَتِ القَلَمَيْنِ وَأَزْ بَتَّتْ عُرَى تِلْكَ الجِبَالِ^(٨)

(١) التعلُّة = ما يتعلَّل به الإنسان عن شيء يحتاج إليه: يَمْنَعُ عَيْنَهُ ولكن لا ينام حتَّى ينوِّمَ فقط أَنَّهُ
نائمٌ فَيُدْخِلُ على نفسه شيئاً من الراحة. وجل: خوف. نظراء: أنداد، أمثال، أشباه، (كان يبيع
الحمر ممنوعاً، ولذلك كان الحمارون يخافون من الذين يأتون إليهم لشراء الحمر لئلا يكونوا من رجال
الشرطة. فكان إذا طرق أحد باب الحانة - وكانت الحانات سرية - تناوم صاحب الحانة حتَّى يقوم
القادم بمركات ويقول أقوالاً تدلُّ قطعاً على أَنَّهُ زبون وليس رجل شرطة).

(٢) فلمَّا ذقت خمره وأعجبني أعطيتُه رِيْطِي (ثوبي الحرير) ورَدَائِي (ثوبي الساج: الذي أُلِسه فوق ثيابي
الأخرى) ليعطيني بقيمتها خمرأ.

(٣) طلبت منه ثوباً رخيصاً أشتر به وحلفت له بالطلاق أَنِّي سأردُّه إليه.

(٤) إلى الآن لم أَرِدْ إليه ذلك الثوب، ولكنِّي عازم على ردِّه. ما بَرَّتْ يَمِينِي: ما وفيت بيمينِي (بقسمي،
بلفظي بالطلاق).

(٥) فأبت: فرجعت (إلى أصحابي ببحر). ولم أَكُ أَبِياً = ما كنت أَطُنُّ أَنِّي أستطيع أن أرجع إلى أصحابي
شيء من الحمر. يَفْدِينِي: يقول لي: فداك نفسي (بمدحتي). وَحَقُّ فِدَائِي: كنت مستحقاً ذلك.

(٦) أدركت: فطقت الأمر دراكاً (مركات متوالية). فارقت: خالمت (فعلت غير ما تحجز الأخلاق).

(٧) الدبور: الريح الغربية (والمنفصود هنا أَنَّها شديدة). الشال (بفتح الشين): الريح الشمالية (المنفصود:
باردة وشديدة).

(٨) الفلج (بكسر الفاف): شراع (بكسر الشين) السفينة. انبَتَّتْ: تقطعت. العرى (جمع عروة بضم العين):
(هنا) المكان الذي تربط به أشعة السفينة بالسارية أو بمجانب المركب.

وتطلى ملك المو ت إلينا عن حال^(١).
 فرأينا الموت رأيي ال حين حالاً بعد حال:
 «لم يكن للقوم فينسا، يا رفيقي، رأس مال^(٢)».
 - وقال في تأمل الناس والنظر إلى حقيقتهم:

ومن أنعام خالقنا علينا بأن ذنوبنا ليست تفوح.
 فلو فاحت لأصبحنا هروبا فرادى بالقلا ما نتريح^(٣)،
 وضاق بكل منتجل صلاحاً - لنش ذنوبه - البلد الفسيح^(٤).

٤- يحيى بن الحكم الغزال، تأليف محمد صالح البنداق (ت أوائل ١٩٨٠ م)، بيروت (دار الآفاق الجديدة) ١٩٧٩ م.

** القنيس ١١-١٣، ٦٤، ٦٦، ٦٩-٧٠، ١٣٤، ١٨١-١٨٢، ١٨٥، ١٨٦-١٩٤، ١٩٤
 جذوة القنيس ٣٥١-٣٥٣ (الدار المصرية) ٣٧٤-٣٧٥ (رقم ٨٨٧ أو ٨٨٨) بغية
 اللئس ٤٨٥-٤٨٦: (رقم ١٤٦٧) الغرب ١: ٣٢٤-٣٢٥ البيان المغرب ٢: ٩٣
 نفع الطب ٢: ٢٥٤-٢٦٢ نيكل ٢٤-٢٧، مختارات نيكل ٢٥-٢٦ بروكلين،
 الملحق ١: ١٤٨: دائرة المعارف الإسلامية ٢: ١١٠٣٨ الاعلام للزركلي ٩: ١٧٣ (٨):
 (١٤٣).

ابن قطن المهري القيرواني

هو أبو الوليد عبد الملك بن قطن المهري القيرواني^(٥) لقي جماعة من علماء اللغة
 والنحو منهم أبو مالك أمان بن الصمصامة بن الطرماح الأعرابي وأبو المنيع
 الأعرابي ثم أصبح شيخ أهل اللغة والعربية (النحو) في بلده وزمانه. له من الكتب:

- (١) تلى: متى وهو مبتخر ومحرك يده (يلفت - بفتح الياء وكسر الهمزة - انتباهنا: ليعيننا). ملك الموت: عزرائيل. حيال: جانت.
- (٢) القوم (ها): أصحاب السفينة - لم تكن أنا وأنت عند أصحاب السفينة «رأس مال» (شيئاً قتيلاً) يحافظون عليه.
- (٣) هروياً فرادى: هاربين متفرقين (يهرب بعضنا من بعض).
- (٤) منتجل صلاحاً: ذلك الذي يدعي أنه صالح وينتظر بذلك.
- (٥) هو غير عبد الملك بن قطن المهري (ت ١٢٣) الذي كان والياً على الأندلس.

تفسير تمازي الواقدي - الألفاظ - اشتقاق الأسماء (زاد فيه على ما كان قد جاء به **قُطْرُب**)^(١). وكذلك كان خطيباً بليغاً وشاعراً عادياً وكاتباً مقتدرًا: كَتَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يَوْمًا كِتَابًا وَأَطَالَ فِيهِ عَلَى غَيْرِ فَائِدَةٍ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ الْمَهْرِيُّ يَقُولُ: « خَيْرٌ مِنَ الْإِطَالَةِ السُّكُوتُ، وَفِي الْقَصْدِ إِلَى الْحَاجَةِ قَطْعٌ لِمَسَافَةِ الْإِطَالَةِ ».

وَعُمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قُطْرِبِ الْمَهْرِيُّ طَوِيلًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لِعَشْرِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٢٥٦ (٨/١١/٨٧٠ م).

** الزبيدي ٢٤٩-٢٥٣: إنباء الرواة ٢: ٢٠٨-١١٢: الواقفي بالوفيات ١٩٤: ٦ بنية الوعاة ١٣١٤: دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٧٦: الأعلام للزركلي ٣٠٩: ٤ (١٦٢) ١: يحمل تاريخ الأدب التونسي ٦٠.

مؤمن بن سعيد

١- هو مؤمن بن سعيد بن إبراهيم بن قيس، كان جدّه إبراهيم مولى للأمير عبد الرحمن الداخل. رَحَلَ مُؤْمِنُ بْنُ سَعِيدٍ إِلَى الْمَشْرِقِ فَلَقِيَ أَبَا تَمَّامٍ (ت ٢٣٢) وَرَوَى عَنْهُ شِعْرَهُ. فَلَمَّا عَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ جَعَلَ النَّاسُ يَقْرَأُونَ عَلَيْهِ شِعْرَ أَبِي تَمَّامٍ.

وَكَانَ مُؤْمِنُ بْنُ سَعِيدٍ مُؤَدِّبًا لِأَوْلَادِ أَمْرَلِهِ قُرَظْبَةَ. وَكَذَلِكَ اتَّصَلَ بِهَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَبِغَيْرِهِ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ. وَلَكِنْ فَلَّتَا لِسَانَهُ أَوْقَعَتِ الْوَحْشَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ.

فِي سَنَةِ ٢٦٢ خَرَجَ الْقَائِدُ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِقِتَالِ الثَّائِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَرْوَانَ الْجَلِيلِيِّ (وَكَانَ مِنَ الَّذِينَ يَتَطَاهَرُونَ فِي الْأَنْدَلُسِ بِالْإِسْلَامِ) عَلَى غَيْرِ أَهْبَةٍ صَحِيحَةٍ ثُمَّ أَوْغَلَ فِي اللَّحَاقِ بَابِ مَرْوَانَ فَقُتِلَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ رِجَالِهِ وَوَقَعَ هُوَ أَسِيرًا فِي يَدِ ابْنِ مَرْوَانَ الْجَلِيلِيِّ. فَتَمَيَّتْ بِهِ مُؤْمِنُ بْنُ سَعِيدٍ وَهَجَاهُ (مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ تَوْجِبُ ذَلِكَ سِوَى فُخْصِ لِسَانِهِ). فَلَمَّا خَرَجَ هَاشِمٌ مِنَ الْأَسْرِ، بَعَثَ عَامِلَيْنِ، أَوْغَرَ صَدْرَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ عَلَى مُؤْمِنِ بْنِ سَعِيدٍ فَغَضِبَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ عَلَى مُؤْمِنِ بْنِ سَعِيدٍ وَحَبَسَهُ.

(١) راجع الجزء الثاني.

وظلَّ مؤمنٌ بن سعيدٍ في السجنِ حتَّى تُوَفِّيَ في الرابعِ من رَجَبِ ٢٦٧
(٨٨١/٢/٩ م).

٢- كان مؤمنٌ بن سعيدٍ شاعراً مشهوراً كثيراً مُحبباً مطبوعاً، وكان فَعَلَ
شعره قرطبةً في زمانه. ولكنَّ شعره ضاع ولم يبقَ منه سوى تَفَنٍّ أَكْثَرُها في الهجاء.
وكان مؤمن بن سعيد يُهاجِي ثمانيةَ عَشَرَ شاعراً فيَعْلُوهم. من هؤلاء عَبَّاسُ بنُ
فِرْناسٍ وديكُ تيسرِ الجِنِّ (أحدُ بن محمد الكتاني) والعُني. ولقد كان كثيرَ التَهْكِمِ
بالناسِ شديدَ الهجومِ على أغراضِهِم لا يهابُ سَوْفَةً ولا وزيراً حتَّى ساءَ الحِجاري
دِغْبَلُ الأندلسِ، لِثِدَّةِ هِجائِهِ (راجع نفح ٣: ٥٣٨).

٣- المختار من شعره

- قال مؤمنٌ بن سعيدٍ في الشكوى والنسب:

حُرْمَتُكَ ما عدا نظراً مُضِيراً بقلبي بين أضلاعي مُقْمِر:
فَقَبِني منك في جَنَاتِ عَدْنٍ مُخَلَّدَةً وقلبي في الجحيمِ !

- وقال شاعراً بهاشم بن عبد العزيز، عند أسره، يُخاطبُ أبا حَفْصِر (ابن عمِّ
هاشم وعدوه):

تَصَبَّحَ، أبا حَفْصِر، على أسْرِ هاشم ثلاثُ زُجاجاتٍ وخسَ رَواطِمُ^(١)،
وُبُحَ بالذي قد كَتَّ تُغْبِيهِ خِفْيَةٌ، فقد نَطَعَ الرحمنُ دولةَ هاشم.

- ولما صنع عَبَّاسُ بن فِرْناسٍ لنفسه جَنَاحينَ وطارَ بها قال فيه مؤمن بن سعيد:
يَطُمُّ على العَنَقاءِ في طَيَرانِها إذا ما كسا جِثَّانَهُ ريشَ قَنَمٍ^(٢).

(١) تَصَبَّحَ: اشرب الخمر صباحاً. ثلاث زجاجات (من خر). خس رواطم (لا نفهم في هذا البيت إلا إذا كانت كتابة عن السكاج): مع خس رواطم (٢ الرطوم: المرأة الضيقة....).

(٢) طَمَّ الطائرُ الشجرة: علاها (يَطُمُّ على العنقاء في طيرانها: يزود عليها في الطيران). القنم: النسر المسن (التام العمر القوي). العنقاء: طائر خرافي كبير قوي.

- وقال يشكو من أهل بلده. (تروى لـ محمد بن بشير المعافري - ت ١٩٨ هـ - فوق، ص ٨٥):

إِنَّا أَزْرَى بِقَدْرِي أَنِّي لَسْتُ مِنْ بَابَةِ هَذَا الْبَلَدِ^(١).
لَيْسَ مِنْهُمْ غَيْرُ ذِي مَقْلَبَةٍ لِدَوِي الْأَلْبَابِ أَوْ ذِي حَدٍّ^(٢).
يَتَحَامَوْنَ لِقَائِي بِثَلَا يَتَحَامَوْنَ لِقَاءَهُ الْأَسَدِ.
ظَلَمَنِي أَنْتَقَلُ فِي أَعْيُنِهِمْ وَعَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَحَدٍ^(٣).
لَوْ رَأَوْنِي قَعَرَ بَحْرٍ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَأْخُذُ مِنْهُمْ بِيَدِي^(٤).

٤ - * * * المقتبس ١٢٢ وما بعد، ١٦٦ وما بعد؛ جذوة المقتبس ٣٣٠ (الدار المصرية) ٣٥١ (رقم ٨٢٦) بغية اللئس ٤٥٦ - ٤٥٧ (رقم ١٣٧٦) الوافي بالوفيات ٦: ١٩٩ بغية الوعاة ١١٨٥ بروكلن، الملحق ١: ٧٣٧ الأعلام للزركلي ٨: ٢٩١ (٧: ٣٣٤).

العتبي الشاعر^(٥)

١ - هو محمد بن عبد العزيز العتبي من شعراء دولة الأمير محمد (٢٣٨ - ٣٧٣ هـ) كان منقطعاً إلى الأمير القاسم بن محمد. فلما تولى الأمير عبد الله بن محمد الحكم (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) اتهم أخاه قاسماً بأنه يعمل على خلعهم فأمر بسجنه. ومات الأمير القاسم في سجنه مسموماً. ولعل وفاة العتبي الشاعر كانت نحو ٢٧٠ (٨٨٣ م).

(١) أزرى به الشيء: نقص من قدره، عابه. الباية: النوع، المنوى

(٢) مقلبة: بفس، كره.

(٣) أحد: جبل (غرب المدينة).

(٤) قعر بحر: في قعر بحر.

(٥) محمد بن عبد العزيز العتبي الشاعر غير محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي (ت ٢٥١ أو ٢٥٥) العقبه

(نفع الطيب ١٠٢: ٥١٠، ٢١٥، ٣١٦، ١٦٢٧ شذرات الذهب ٢: ١٢٩ بروكلن ١: ١٨٦، الملحق

٣٠٠ - ١٣: ١٠١ الأعلام للزركلي ٦: ١٩٧. وفي الوافي بالوفيات (٣: ٣٠): محمد بن أحمد بن عبد العزيز

العتبي التوفي في عشر السنين بعد المائتين. وهناك نفر آخرون أسلّوهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز

العتبي (الذيل والتمكلة ٤: ٦٨٣ - ٦٨٥) كلهم محدثون.

٢ - كان العنبي الشاعر من نُسْله الشعراء مُنقطعاً إلى الأمير القاسم كما كان الشاعر مؤمنٌ بنُ سعيد (ت ٤٣٦٧ هـ راجع، ص ١٢٢) منقطعاً إلى أخيه الأمير سلمة. وكان بين الشاعرين مُهاجاةٌ. وللعنبي، نثرٌ وشعر. ومن فنون شعره فخرٌ ومديحٌ وهجاءٌ ومجونٌ ووصفٌ وخر. ثم إنَّ ألفاظه جَزَلَةٌ وتراكيبه متينة ونَفْسَه مُشرقي. وفي شعره شيءٌ من الصنعة.

٣ - مختارات من شعره

- قال محمد بن عبد العزيز العنبي يمدح الأمير قاسم بن محمد^(١):

... في جَنَّةٍ بلِزاءِ النجمِ ساميةٍ أهدتْ لها طيِّبها جَنَّتْ رِضوان^(٢).
وأوجِهْ كنجومَ الليلِ زاهرةٍ حَفَّتْ بيدِ دُجَى من آلِ مروان^(٣).
أعلى قريشٍ محلًّا في أرومتِها، وجُودُه لِمَرْجِي حوْدِه دان^(٤).
غَمَرُ النّوَالِ له كَفَانٌ قد حَوَّنَا مِن المكارمِ ما لم تُحِ كَفَان^(٥).
أغرُّ أشبهَ آباءَ له سَلَفُوا: جُوداً بِجودِ وإحساناً بإحسان^(٦).
فَأَشْرَبَ على جِدَّةِ الدنيا وزَهْرَتِها وجُودَ العيشِ ما كَرُّ الجدهدان^(٧).

- وقال يمدح الأمير محمدًا (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، وذلك سنة ٢٦٤ هـ:

سائِلٌ بِماردةٍ سيوفَ محمدٍ خَلَّيْنِ ماردةَ كأنَّ لم تَمُرْ^(٨).

(١) قاسم بن محمد أخو الأمير عبد الله (٢٧٥٠ - ٣٠٠ هـ) اتهمه أخوه بأنه يكيد له فجنه. ومات القاسم في السجن مسموماً.

(٢) رِضوان: خازن الجنة.

(٣) حَفَّتْ: أحيطت. دُجَى (هلام الليل).

(٤) الأرومة: الأصل. دان: قريب.

(٥) غَمَر: (الأم) الكثير. النوال: المطاء.

(٦) أغرُّ: أبيض (كتابة عن شرف الأهل).

(٧) الجدهدان: الليل والنهار.

(٨) مرد، يمدح (بفتح الراء وضمتها): طلى وجاوز حده. يجانس الشاعر بين ماردة وتمرد.

عَمَطْتُ مَالَةَ الْأَمِيرِ وَهَبْتُ حَرْبًا أَبَاحَتْهَا لِكُلِّ مُهَنْدٍ^(١).
يَتَرَكْنَ أَبْنَاءَ النِّفَاقِ كَانَهُم بِالْقَاعِ صَرَغَى قَهْوَةً أَوْ مَرْقَدٍ^(٢).
وَكَأَنَّ عَاكِفَةَ النُّسُورِ عَلَيْهِمُ أَبْنَاءَ حَامٍ يَتَكَيَّفُونَ بِمَجْدٍ^(٣).
قَصَّتِ الصَّوَارِمُ بِالْحُتُوفِ عَلَيْهِمُ وَإِذَا قُضِيَ بِقَضِيَّةٍ لَمْ يُرَدِّدْ^(٤).
كَمْ خَائِنٍ مِنْهُمْ تَعْنَى - إِذْ رَأَى بَيْضَ الصَّوَارِمِ - أَنَّهُ لَمْ يُؤَلِّدْ!

١ - * * - المقتبس ١٥٧ - ١٥٨ ، ٢٠١ - ٢١١ ، ٣٢٣ - ٣٢٤ ، ٣٣٦ ، ٣٥٩ - ٣٦٠
المغرب ١ : ١٣٤ ، الحلة السراء ١ : ١٢٨ ، ١٤٧ ، البيان المغرب ٢ : ١١٢ ،
١١٣

وليد بن غانم

١ - هو وليدُ بنُ عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم ، كان جدُّه عبد الحميد من موالى عبد الرحمن الداخل ومن قوادِهِ . وأمَّا أبوه عبد الرحمن فقد تولَّى الوزارة والحِجَابَةَ لِلْحَكَمِ بْنِ هَاشِمٍ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) ثم لابنِهِ وخليفَتِهِ عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) . وكانت وفاةُ عبد الرحمن بن عبد الحميد في الحِيسِ سَنَةَ ٢١٠ هـ^(٥) .

ويبدو أَنَّ أَسْرَةَ وَلِيدِ بْنِ غَانِمٍ كَانَتْ قَدْ آتَتْغَلَتْ إِلَى كُورَةِ الْمُوسَطَةِ^(٦) ، وَكَانَ قَوْمُهُ مِنْ أَجْنَادِ الدَّوْلَةِ .

-
- (١) غمط النعمة : كفرها ولم يشكرها . الأمير محمد مسح أهل ماردة سلماً (عطواً وحسن معاملة) فلم يتألموا ذلك بالطاعة .
(٢) القاع : الأرض المنخفضة . قهوة : خمر . المرقد : الحدر .
(٣) النُسُور السود (كأنهم من أبناء حام) تطيل المكث على جنتهم .
(٤) الحُتُوف : الهلاك . وإذا قضى (الأمير محمد) .
(٥) راجع تطليقاً لمسود على مكي (المقتبس ١٥٠) . فلي هذا يجب أن يكون وليد بن غانم قد بلغ نحو سبعين سنة من العمر .
(٦) المقتبس ١٤١ . الموسطة : كورة قريبة من كورة ربة (المقتبس ٣٩٣) . وه كورة ربة التي منها مائة و نفع الطيب ١ : ٢٦٣) في جنوب الأندلس .

لا نَعْرِفُ شَيْئاً من أخبار وليد بن غانم قبل أن يتولَّى مُنْصِبَ صاحبِ المدينة
للأمير محمد (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). ثم رُفِعَ إلى مُنْصِبِ الوزارة. وفي سَنَةِ ٢٦٣ هـ خرج
تحت إمرة الأمير مُنْذِر^(١) لقتال عبد الرحمن بن مروان الجَلِيقِي^(٢). أمّا وفاته
فكانت في شعبان من سَنَةِ ٢٧٢ (مطلع عام ٨٨٦ م)^(٣).

٢ - كان وليد بن غانم « من المحكوم لهم بالتَّبريز في العقل والفضل وجودة
الرأي وحسن السيرة وسداد المذهب » وفيّاً لأصدقائه. وكان أديباً مُزَسَّلاً وبليغاً،
وقيل إنَّ له شعراً. وثَرَهُ ينكشف عن متانة وفهم للغة مع إحاطة بعدد من وجوه
المعرفة.

٣ - مختارات من آثاره

- خرج الوزير هاشم بن عبد العزيز في حملة على الناصر عبد الرحمن بن مروان
الجَلِيقِي فهزَّمه عبد الرحمن وأسرَه. ووصل الخبر إلى الأمير محمد فلام هاشماً ورماء
بالعُزَّ والطَّيْش. وكان الوليد بن غانم في المجلس فداغ عن هاشم، وكان صديقاً له،
فقال (المفتس - مكّي - ص ١٧٨):

أصلح الله الأمير. إنه لم يكن على هاشم التَّخْيِيرُ في الأمر ولا الخروج على
القَدَرِ^(١)، بل استفرغ نصحَهُ وأعملَ جُهدَهُ وحامى استِطاعَتَهُ، فأسلمه الله بحِذْلانٍ
منَّه ونُكولٍ من أطاف به^(٢). فجُوزِي عن نفسه ولُطِئَ خيراً! أصلح الله
الأمير. إننا كان هاشم عبدك ونشركَ صَنِيعَكَ وسيفاً من سُيوفك وسهماً من سهامك،

(١) قبل أن يتولَّى الحكم.

(٢) عبد الرحمن بن مروان الجَلِيقِي من أهل ماردة (شمال غربي قرطبة بنحو مائة وستين كيلومتراً) تار
سنة ٣٥٤ هـ. وطالت فتنة ابن مروان الجَلِيقِي ووصل يده بالفتوس الثالث ملك قشتالة. وطلق ابن
مروان الجَلِيقِي تائراً إلى أبيهم عبد الرحمن الناصر.

(٣) في المفتس أن وفاته كانت ٢٩٢، ويبدو أنه خطأ.

(٤) ما كان يستطيع أن يتدك القضاء والقدر.

(٥) الحِذْلان ترك نصرة الذي ينتظر منك النصرة. النكول: الرجوع عما يعد به الإنسان.

نَفَذَ أَمْرُكَ فِيهِ وَأَسْتَقْدِمَ لِلدِّفَاعِ عَنْ سُلْطَانِكَ حَتَّى قُلْتُ^(١) فِي مَرْضَانِكَ. فَأَلَاؤِي بِكَرَمِ الْأَمِيرِ وَشَرَفِ خَلِيقَتِهِ أَنْ يُحْسِنَ خِلَافَةَ هَاشِمٍ فِي عَقِبِهِ وَيَحْفَظَهُ فِي سَاقِبَتِهِ^(٢) وَيُهَوِّنَ عَلَيْهِ بَلَاءَهُ بِإِمْضَاءِ وَلَدِهِ عَلَى خِدْمَتِهِ وَخِلَافَتِهِ بِحَضْرَتِهِ^(٣) حَتَّى يَمُنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِبَيْمَنِ الْأَمِيرِ فَيُطْلِقَ سَرَاحَهُ وَيُقِيلَ عَثْرَتَهُ^(٤).

- وَبَلَغَ إِلَى هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا قَالَهُ وَلَيْدٌ بْنُ غَانِمٍ فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِشُكْرِهِ عَلَى وَفَائِهِ وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ وَلَيْدٌ بَرَسَالَةً فِيهَا:

أَسْأَلُ اللَّهَ رَاغِباً إِلَيْهِ فَكَأْ أَسْرَكَ وَتَعْجِلاً تَخْلِيصَكَ وَتَيْسيراً إِطْلَاقَكَ. وَرَدَّ كِتَابُكَ، يَا سَيِّدِي، فَسَكَنْ مِنْ حُرْقِي بِكَ وَأَطْفَأَ مِنْ غُلْقِي^(٥) فِيكَ وَهَدَأَ مِنْ عَوْبِي عَلَيْكَ. فَيَا لَهْفِي عَلَى فِرَاقِ غُرْبَتِكَ وَقُفْدَانِ رُؤْيَتِكَ لَهْفاً مَا إِنْ يَنْقَطِعُ وَلَا يَنْصَرِمُ^(٦). وَلَثْنُ صَبْرَتٍ - خَلَصَكَ اللَّهُ - مِنْ حُكْمِ اللَّهِ إِلَى مَشِيتِهِ، وَمِنْ نَاقِذِ أَمْرِهِ إِلَى سَابِقِ عِلْمِهِ^(٧)، لَمَّا قَصَّرَتْ فِي الْمَحَامَاةِ عَنْ سُلْطَانِكَ وَدِينِكَ وَالتَّعَرُّضِ لِلشَّهَادَةِ بِمُجْهَدِكَ^(٨) فَمَا إِنْ تَجِدُ لِلْإِجِيكَ وَالْإِئِمَّةِ خَلَّالاً فِي عِرْضِكَ وَحَزْمِكَ^(٩) وَلَا إِضَاعَةً فِي تَذْيِيرِكَ وَضَبْطِكَ.

٤ - * * * المقتبس ١٤١، ١٧٣ - ١٧٥، ١٧٧ - ١٧٩، ٢٧١، ٣٨٨ - ٣٩٢، ٤٤٩ - ٤٥٠. الحلة السيرة ١: ١٤١، ٢: ١٣٧٤. نفع الطبيب ٣: ٣٧٢ - ٣٧٣. الأعلام للزركلي ٩: ١٤٠ (٨: ١٢٠).

(١) كسر شُبُهْمِهِ بالسيف الذي إذا غُلِّ لَمْ يَقْطَعْ.

(٢) أَنْ يَحْسَنَ خِلَافَتَهُ (الاهْتِمَامَ بِرِعَايَةِ أَهْلِهِ) فِي عَقِبِهِ (نَسْلِهِ، أَهْلَ بَيْتِهِ).

(٣) يَدْخُلُ ابْنُهُ (ابْنُ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ) فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ اعْتِرَافاً بِفَضْلِ هَاشِمٍ.

(٤) يَفْتَدِيهِ مِنَ الْأَمْرِ.

(٥) اللَّغْلُ: السُّطْحُ (حُرْقَةُ الْحَزَنِ).

(٦) «إِنْ» هُنَا وَفِيهَا عَلَى زَائِدَةٍ بَعْدَ «مَا» النَّافِيَةِ.

(٧) ... لَوْ رَجَعْتَ إِلَى مَا كُنْتَ فِيهِ (مِنَ الْحُرِّيَّةِ) ...

(٨) التَّعَرُّضُ لِلشَّهَادَةِ (لِلْمَوْتِ فِي الْمَجْهَادِ).

(٩) الْإِئِمَّةُ: الْإِمَامُ. لَمْ يَحْدِ أَحَدٌ فِيكَ نَقْصاً.

عثمان بن المثنى

١ - هو أبو عبد الملك عثمان بن المثنى القيسي القرطبي، وُلِدَ نحو سنة ١٨٠ (٧٩٦ م) وقيل عاش نِسْماً ونِسْمين سنة (فيكون مولده حينئذ سنة ١٧٤) - رَحَلَ إلى المشرق فلَقِيَ جماعة من علمه اللغة والنحو منهم ابن الأعرابي (ت ٢٣١). وقد لَقِيَ أبا تمام وقرأ عليه ديوانه، وكان أوَّلَ مَنْ أَدخل ديوان أبي تمام إلى الأندلس.

وكانت وفاة عثمان بن المثنى بعد شهر صفر من سنة ٢٧٣ (٨٨٦ م).

٢ - كان عثمان بن المثنى شجاعاً مكثراً للغزو في الثغور (شمال الأندلس عند الحدود المصافية للإمارات المسيحية). وكذلك كان مؤدباً لأولاد الأمير عبد الرحمن ابن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) ولأولاد ابنه الأمير محمد (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). وهو من أئمة النحو، وله شيء من النظم. ففي المقتبس (٢٧٤ - ٢٧٥) قصيدة مدح بها الأمير محمد، لما أسقط الأمير محمد ثلث العُشور عن الرعية، نجس فيها بنفس أبي تمام (وهذا معقول جداً لحب عثمان بن المثنى لأبي تمام) في رثله محمد بن حميد الطوسي.

٣ - مختارات من شعره:

- قال عثمان بن المثنى يمدح الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم:

غدا في أسارىم الإمام محمد	إمام الهدى بدر وفي كفّه بحر ^(١) .
تلافي رعاياه بإسقاط ثلث ما	عليهم بما استوفى... قبله العُشور ^(٢) .
وأوسعهم عدلاً ورفق سياسة	فطابت به عنه الأحاديث والذكر.

(١) الأسارىم (جمع أسرار): خطوط في الوجه. بدر (كتابة عن المعابة من حقيقة الملك). بحر (كتابة عن الكرم).

(٢) تنقص في الأصل كلمة «الذي».

لقد حَدَّثَتْ أَرْضُ الْعِرَاقِ مِنْ أَرْضِهَا عَلَى عَدْلِهِ فِينَا كَمَا حَدَّثَتْ بِضُرٍّ^(١)
 هُوَ الدَّهْرُ فِي تَصْرِيفِهِ الْغَفَرُ وَالْيَنَى، كَذَلِكَ فِي أَحْدَائِهِ النَّفْعُ وَالضَّرُّ.
 إِذَا ذَخَرَ الْأَمْلاكُ كَسْبًا فَمَا لَهُ سِوَى الْمَجْدِ وَالْمَعْرُوفِ كَسْبٍ وَلَا ذَخَرٍ^(٢)

٤ - * * الزبيدي ١٢٨٨:١ ابن الفريسي رقم ٣٤٦:١ (رقم ٨٩١)، طبعة القاهرة ١٣٠٢
 المقتبس ٢٧٤ - ٢٧٥ المغرب ١١٢:١ - ١١٣:١ الحلة السيرة ١٤٨:١ بقية
 الوعاة ١٣٢٤ البهجة ١١٤١ الأعلام للزركلي ٣٧٦:٤ (٢١٣).

الرازي المؤرخ

هو مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ (بشير بن جناد بن لقيط الكِنَافِي) الرازيُّ من أهل الري
 (خراسان - فارس) كان يَفِدُّ من المشرق على أمره بني أُمَيَّةَ في الأندلس مُتَجَرِّأً
 بِالْحُلِيِّ وَالْعَاقِبِ وَسِوَاهَا من عُرُوضِ التِّجَارَةِ الثَّمِينَةِ. ويبدو أَنَّهُ اسْتَقَرَّ في الأندلس
 سَنَةَ ٢٤٩ (٨٦٤ م) فسكن قرطبة ونال حَظْوَةً عِنْدَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)
 فَانْتَدَبَهُ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ لِلْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْمُؤَلَّدِينَ (المسلمين من أصل إسباني)،
 بِنَواحي غَرْنَاطَةِ، فِي سَنَةِ ٢٧٣. وقد تُوَفِّيَ الرَّازِيُّ فِي الْبَيْرَةِ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ هَذِهِ
 الرِّحْلَةِ، فِي رَبِيعِ الثَّانِي ٢٧٣ (أيلول - سبتمبر ٨٨٦ م)^(١)، فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ الْمُنْذِرِ
 الَّذِي جَاءَ إِلَى الْإِمَارَةِ فِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٢٧٣ (تموز - يوليو ٨٨٦ م).

كان الرازيُّ هَذَا مُتَفَنِّئًا فِي عَدِيدٍ مِنَ الْعُلُومِ وَكَانَ مُؤَرِّخًا أَلْفَ كِتَابٍ

(١) اقرأ: أَرْضَنَا.

(٢) الْأَمْلاكُ جَمْعُ مَلِكٍ مِثْلَ مَلُوكٍ.

(٣) في نفع الطيب (١١١:٣) أن مُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى الرَّازِيَّ تُوَفِّيَ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٢٧٣. وقد ذكر
 ابن الفريسي أن مَوْلَاهُ ابْنَهُ أَحْمَدَ كَانَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٢٧٤، وَنَقَلَ ذَلِكَ عَنْ السَّيْهَوِيِّ فِي بَقِيَةِ
 الْوَعَاةِ (ص ١٦٨) وَأَعْمَلُ جَنَّاتٍ بِالنَّشَا (تاريخ الفكر الأندلسي ١٩٧). وهذا محال لأنه يجعل وفاة
 أَحْمَدَ بَعْدَ مَوْلَاهُ أَبِيهِ بِعِشْرِينَ شَهْرًا. وَلَوْ أَنَّنَا قَبَّلْنَا مِنْ جَنَّاتٍ نَاشَا أَنْ تَكُونَ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ فِي
 ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م مع الإصرار على مَوْلَاهُ ابْنَهُ أَحْمَدَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ ٢٧٤ لَطَلَّ الْفَرْقُ بَيْنَ وَفَاةِ
 الْوَالِدِ وَمَوْلَاهُ ابْنَهُ أَكْثَرَ مِنْ عَامٍ. وَالْمُخْرَجُ: إِنَّمَا أَنْ تَكُونَ وَفَاةُ الْوَالِدِ فِي سَنَةِ ٢٧٤ هـ أَوْ يَكُونَ مَوْلَاهُ
 الْإِبْنُ فِي سَنَةِ ٢٧٣ هـ.

الرايات^(١) ذكرَ فيه دُخُولَ العربِ إلى الأندلس على راياتهم (أي بحَسَبِ قبائِلِهِمْ وبحَسَبِ البُعوثِ التي جاءوا فيها جيشاً بعد جيش). وكتابُ الراياتِ ضائعٌ، ولكنَّا نَجِدُ نَتَقاً منه في عددٍ من كتب التاريخ.

- ** - المنقبس ٢٦٥ - ١٢٦٩ التكملة ١: ٣٦٦ (رقم ١٠٤٨) نفع الطيب ٣: ١١١
بالشبا ١٩٣ - ١٩٦: دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٣: ١١٣٦: الأعلام للزركلي
٧: ٣٣٨ (١١٧).

هاشم بن عبد العزيز

١ - هو أبو خالد هاشمُ بنُ عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن حسن أبي جعفر بن أسلم بن أبيان بن عمرو. وكان عمرو هذا مولى لِعُمَآنَ بنِ عَفَّانَ (ت ٣٥ = ٦٥٦ م). ثم إنَّ أهلَهُ كانوا قدِ انتقلوا إلى الأندلس. وسكنوا لِبَيرةَ فأصبحَ لهم فيها رِئاسةٌ وِجَلالةٌ.

وُلِدَ هاشمُ بنُ عبد العزيز (في لبيرة) في أيامِ الأميرِ عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ)، ولَمَّا شَبَّ أصبحَ من أشياعِ الدولةِ الأمويةِ في الأندلس. مُختصاً بالأميرِ محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، فكان الأميرُ محمد بن عبد الرحمن يُقرِّبه فقدِ اتَّخَذَهُ وزيراً ثم ولاءَهُ كُورةَ جَبَّانَ.

وخاض هاشمُ بنُ عبد العزيز حروباً كثيرةً، ولكنه لم يكن كثيرَ التوفيق. في سنة ٢٦٢ (٨٧٦ م) قاد جيشاً لِقِتالِ عبد الرحمن بن مروان الجليقي بنواحي بَطْلَيْوسَ فأوغلَ بالجيشِ بلا استعدادٍ تامٍّ ولا احتياطٍ كافٍ، فقتِلَ عددٌ كبيرٌ من عسكره.

(١) المقصود بالرايات: الرايات التي كانت تحملها القبائل العربية التي دخلت إلى الأندلس (عدد القبائل التي دخلت الأندلس في زمن الفتح): رايثان لموسى بن نصير: عقد له إحداهما عبد الملك بن مروان على إفريقية وما وراءها (يكون والياً على ما يفتح في إفريقية وما وراءها من البلاد)، والثانية عقدها له الوليد بن عبد الملك على إفريقية أيضاً وما يفتحها وراءها من الغرب، ثم راية ثالثة لعبد العزيز بن موسى بن نصير (وقد دخل الأندلس مع أبيه موسى)... وذكر محمد الرازي أيضاً بيوتات العرب (الأسر العربية المشهورة) التي دخلت إلى الأندلس ولم تكن تحمل رايات (لقلَّة عددها، ولأنها تنسب إلى القبائل التي كانت تحمل رايات).

وَجُرْحَ هُوَ نَفْسُهُ وَأَسِيرٌ، ففداه الأميرُ مُحَمَّدٌ بِمِئَةِ كَبِيرٍ فُجِرَ مِنْ الْأَسْرِ سَنَةَ ٢٦٤. وفي سَنَةِ ٢٦٨ (٨٨١ م) سار بِجَيْشِهِ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ سَرْقُطَةَ - وَكَانَ مَعَهُ الْمُتَنَذِرُ بْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ - فَأَنْتَصَرَ هَاشِمٌ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ وَحَطَّمَ سَرْقُطَةَ وَفَتَحَ عِدَّةً مِنَ الْحَصُونِ حَوْلَهَا، وَلَكِنَّهُ أَسَاءَ الْأَدَبَ مَعَ الْمُتَنَذِرِ حَتَّى حَقَّقَ عَلَيْهِ التَّنْذِرُ.

وَلَمَّا جَاءَ التَّنْذِرُ إِلَى الْإِمَارَةِ، فِي ثَالِثِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٢٧٣ (٨٨٦ / ٨ / ٨) (م) - وَقِيلَ فِي ثَامِنِ رَجَبِ الْأَوَّلِ - أَوْهَمَ هَاشِمًا أَنَّهُ نَسِيَ مَا كَانَ بَيْنَهُمَا وَاسْتَحْجَبَهُ (جَعَلَهُ حَاجِبًا: رَئِيسًا لِلزَّوَارِقِ)، ثُمَّ نَكَبَهُ وَحَبَسَهُ وَعَذَّبَهُ وَقَتَلَهُ، فِي ٢٦ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٢٧٣ (٢٥ / ٣ / ٨٨٧ م).

٢ - كَانَ فِي هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عِدَّةٌ مِنَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ فَقَدْ كَانَ فَارِسًا شُجَاعًا وَرَئِيسًا كَرِيمًا مُعْظَمًا وَذَا قُوَّةٍ وَجَلَدٍ فِي الْحَرْبِ وَصَبْرٍ فِي الْمَصَائِبِ. وَلَكِنَّهُ كَانَ أَيْضًا حَقُودًا لَجُوجًا سَيِّئَ التَّصَرُّفِ فِي أُمُورِهِ مَعَ النَّاسِ. ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ كَاتِبًا بَلِيغًا وَشَاعِرًا بَارِعًا مَتِينَ الْأُسْلُوبِ وَاضِحَ التَّعْبِيرِ. وَفَنُونَ شِعْرِهِ الْفَخْرُ وَالْعِتَابُ وَالْأَدَبُ (الْحِكْمَةُ) وَالْهَجَاءُ. وَكَانَ يَرْتَجِلُ الشُّعْرَ أَيْضًا.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- كَانَ الْوَزِيرُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَانِمٍ صَدِيقًا لِهَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. فَلَمَّا أُسِرَ هَاشِمٌ جَرَى ذِكْرُهُ فِي مَجْلِسِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ، وَالْوَلِيدُ حَاضِرٌ، فَتَنَسَّبَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ إِلَى الطَّيْشِ وَالْعَجَلَةِ وَالْأَسْتِبدَادِ فِي الرَّأْيِ حَتَّى أَدَّى ذَلِكَ إِلَى أَنْهَزَامِهِ فِي الْمَعْرَكَةِ وَأَسْرِهِ. فِدَافِعُ الْوَلِيدُ عَنْ هَاشِمٍ وَتَنَسَّبَ أَنْهَزَامُهُ وَأَسْرُهُ إِلَى عَوَامِلَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا سُوءُ الْحِطِّ. فَذَهَبَ غَضَبُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ وَسَمَى فِي تَخْلِيصِ هَاشِمٍ مِنَ الْأَسْرِ بِفِدْيَةٍ كَبِيرَةٍ. وَبَلَغَ ذَلِكَ إِلَى هَاشِمٍ فَكَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ (نَفَحَ الطَّيْبُ ٣: ٣٧٣):

«الْصَدِيقُ مَنْ مِنْ صَدَقَكَ فِي الشَّدَةِ لَا فِي الرَّخَاءِ، وَالْأَخُ مِنْ ذَبَّ (١) عَنْكَ فِي الْغَيْبِ لَا فِي الشَّهَادَةِ، وَالْوَفِيُّ مَنْ وَقَى لَكَ إِذَا خَانَكَ زَمَانٌ. وَقَدْ أَتَانِي مِنْ كَلَامِكَ بَيِّنٌ

(١) ذَبَّ: دَافَعَ.

يَدَيَّ سَيِّدِنَا - جَمَلَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ سَرْمَدًا^(١) - مَا زَادَنِي بِمَوَدَّتِكَ أَغْتَابًا
وَبَصَادِقَتِكَ ارْتِبَاطًا. وَلِذَلِكَ مَا كُنْتُ أَشَدُّ بِدَيِّ عَلَى وَصْلِكَ بِإِخَائِي. وَأَنَا الْآنَ بِمَوْضِعٍ
لَا أَقْدِرُ فِيهِ عَلَى جَزَاءٍ غَيْرِ الشُّنَاءِ. وَأَنْتَ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى أَنْ تَزِيدَ مَا بَدَأْتَ بِهِ بَأَنْ
تُبَيِّنَ مَا شَرَعْتَ فِيهِ حَتَّى تَتَكَمَّلَ لَكَ الْمِنَّةُ وَيَسْتَوْثِقَ عِقْدُ الصَّدَاقَةِ... »

- وَقَالَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الْفَخْرِ بِأَحْوَالِ الْمَزَلِ وَأَحْوَالِ الْجَدِّ:

أَهْوَى مُعَانِقَةَ الْإِذَا ح وَشَرِبَ أَكْوَاسَ الطَّلِي^(٢).
وَيَسُرُّنِي حَسْنُ الرِّبَا ض وَقَدْ نَوَّشْتُ بِالْحُلِيِّ^(٣).
وَأَذُوبُ مِنْ طَرَبٍ إِذَا مَا الصَّبْحُ جَرَدَ مُنْصَلًا^(٤).
وَأَهْمُ فِي قَوْدِ الْجَبُوشِ شِ وَتَبْلُ أَسْبَابِ الْعُلَا^(٥).
وَأَهْرُ مُرْتَحَا، إِذَا سَرَتْ الْمَوَاضِي فِي الطَّلَا^(٦).
قُلْ لِلَّذِي يَبْنِي مَكَانِي: هَكَذَا أَوْ لَا فَلَا

- وَكَانَ أَحَدُ أَبْنَاءِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَدْ خَاطَبَ أَبَاهُ هَاشِمًا بِرُقْعَةٍ فِيهَا شِعْرٌ
ضَعِيفٌ، فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِ تِلْكَ الرُقْعَةِ بَدِيهَةً:

لَا تَقُلْ - إِنَّ عَزَمْتَ - إِلَّا قَرِيبُضًا رَائِقًا لَفْظُهُ ثَقِيفًا رَصِينًا^(٧)

(١) سَيِّدِنَا (بمقصد الأمير محمدًا). سرمدًا: أمدًا دائمًا.

(٢) اللّاح جمع ملبحة: المرأة ذات اللون الحسن. أكواس جمع كأس (غير قاموسية). وجمع كأس في القاموس كؤس وكؤوس وكاسات وكئاس. الطلي = الطلاء (بالكسر فيها): الأحمر.

(٣) نَوَّشْتُ: (تَطَرَّزْتُ) بِالْحُلِيِّ (بِالْأَزْهَارِ الَّتِي تُشَبِّهُ الْمَعَادِنَ الثَّمِينَةَ الَّتِي تُتَحَلَّى بِهَا النِّسَاءُ).

(٤) النصل: السيف (نصل السيف). جَرَدَ الصَّحْحُ مُنْصَلًا: بَدَأَتْ أَنْوَارُ الصَّحْحِ تَبْدُو فِي الشَّرْقِ كَأَنَّهَا سَيُوفٌ (لَأَنَّ النَّهَارَ وَقْتُ الْعَمَلِ).

(٥) قَوْدُ الْجَبُوشِ: قِيَادَةُ الْجَبُوشِ (فِي الْحَرْبِ).

(٦) أَهْرُ (بِالْبَيِّنَاءِ لِلْمَحْجُولِ؟) أَطْرَبُ. أَفْرَحُ. الْمَوَاضِي: السُّيُوفُ. الطَّلَا جمع طَلَاةٍ (بِالضَّمِّ فِيهَا): الْعَنْقُ (أَيُّ فِي الْمَارِكِ).

(٧) الْقَرِيبُضُ: الشَّعْرُ. الثَّقِيفُ: الْمَهْدَبُ (الْحَالِي مِنَ الْخَطَا).

أَوْ دَعِ الشَّعْرَ، فهو خيرٌ من الفَرْسِ - حَبْ، إذا لم تَجِدْ مقالاً نَحِيناً!
 - وكتب إلى جاريته - واسمها عَاجٌ - من سيجته أحياناً هي (وفيها شيء) من
 نفسِ النابغة ونفس أبي فراس):

وإني عدا في أن أزوركِ مطبقٌ وبابٌ منيعٌ بالحديد مُضَبَّبٌ^(١)
 فإن تَعَجَّبي، يا عَاجُ، بما أصابني ففي رَبِّ هذا الدهرِ ما يُتَعَجَّبُ^(٢)
 وفي النفسِ أشياءٌ أبيتُ بِغَمِّها كأنني على جمرِ الفُضَى أَتَقَلَّبُ^(٣)
 تَرَكْتُ رِشَادَ الأمرِ إذ كُنْتُ قادراً عليه فلا قِيتُ الذي كُنْتُ أَرْهَبُ
 وكَم قاتِلٍ قال: أَنجُ، وَنَحْكَ، سَالِياً ففي الأرضِ عنهم مُسْتَرَادٌ ومَذْهَبُ^(٤)
 فقلتُ له: إِنَّ الفِرَارَ مَذَلَّةٌ، ونفسي على الأسولِ أخلَى وأطِيبُ
 سارِضٍ بِحُكْمِ اللَّهِ فيما يَنُوبُني، وما من قضاءٍ لِلَّهِ للمرءِ مَهْرَبُ
 فمن يَكُ مسروراً بِحالي، فإنه سَيَنْهَلُ في كأسٍ وشيكاً ويشرب^(٥)!

- وقال هاشمُ بنُ عبدِ المِزِيزِ (المقتبس ١٣٤):

كان الأميرُ مُحَمَّدٌ (راجع، فوق، ص ٥٨) أَبْصَرَ الناسَ بالرأيِ وأنفَذَهُم لوجهِه،
 فكان يَجْمَعُنا لِلْمَشُورَةِ على رَاسٍ من قِبَلِهِ، فنَجْتَهُدُ ويقول كُلُّ واحدٍ مِنَّا ما يَحْضُرُهُ.
 فَإِنْ وافقَ ما قَدِ اتَّخَذَهُ هو أمْضاهُ عن تَحْصِيلِ. وإن كان في الرأْيِ خَلَلٌ ناظَرْنَا على
 خِطِّهِ وَقَلْبِ لَنَا وجوهَهُ وَعَدَلْنَا عنه بِجِجَاجٍ وَتَبَيَّانٍ لا نَكَادُ نَدْفَعُهُ فَتُصْنِي أَفْهَامُنَا
 إِلَيْهِ وَلِغَتَارِهِ.

-
- (١) عدا: فاته. مطبق: (يَضُمُّ المِعْ وكسر الباء): السجُن تحت الأرض. مضَبَّب: مقللٌ بِمَدِيدَةٍ
 تدخل من الباب في المِدارِ.
 (٢) ما يَتَعَجَّبُ (الإنسان) منه: أمورٌ عَجِيبَةٌ غَرِيبَةٌ.
 (٣) الفُضَى شجرةٌ يصنعُ منه قِعمٌ ذو نارٍ شديدةِ الحرارة (وجمعا: غُضَى).
 (٤) مُسْتَرَاد: مكانٌ بعيدٌ يَنْزِلُهُ الإنسانُ لِلنَّجاةِ من أَعْدائِهِ. انْذَهَب: مكانٌ يَذْهَبُ إِلَيْهِ
 الإنسانُ.
 (٥) سَيَنْهَلُ (يشرب) من كأسٍ: سَيُصِيبُهُ مثلُ الذي أصابني.

١ - * * المقتبس ١٣٤ وما بعد، ١٥٧ - ١٧١، ١٧٧ - ١٧٨، ٢٣٧ - ٢٣٩، ٢٤٨ - ٢٥١، ٣٤١، ٣٤٤ - ٣٤٥، ٣٦٠ - ٣٦٤، ٣٦٨ - ٣٧٨، ٣٨٦ - ٣٨٩ جذوة المقتبس ٣٤٢ - (الدار المصرية) ٣٦٤ (رقم ٨٦٤) بصة اللتس ٤٧٠ (رقم ١٤٣٣) البيان المغرب ١: ١٠٢ - ١١٠٥ وأماكن أخرى، المغرب ١: ٥٢ - ٥٣، ٢: ٩٤ - ٩٥ الحلة السراء ١: ١٣٧، ١٤٢، ١٦١ - ١٦٢، ٢: ٣٧٣ - ٣٧٦؛ نفع الطيب ٣: ١٣٠ - ١٣١، ٣٧٢ - ٣٧٣: الأعلام للزركلي ٩: ٤٨ (٨: ٦٦).

عبّاس بن فرناس

١ - هو أبو القاسم عبّاسُ بنُ فرناس^(١) بن زردوس (ورداس؟) الأندلسي، أصلُ أهلِهِ من بربرِ تَاكُرُثَا (إقليم رُنْدَة - من جنوبي الأندلس) ومن موالي بني أُمَيَّة. وُلِدَ في أعقاب القرن الثاني للهجرة (أوائل القرن التاسع للميلاد)، وقد عاش في بلاط قُرطُبَة، في أيام الحَكَمِ الرّضِيّ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) وعبد الرحمن الأوسط ومحمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). وكان سكّنه في الرّبض (الضاحية) الغربي من قرطبة. ويقال إنّه زار العراق.

اشتهر عبّاسُ بنُ فرناس بالبراعة في فنونِ نظريّة وتجريبية فَنَسِبَ إليه عددٌ من المُخترَعات منها صِياغة الرُّجَاج من الحجارة، ومنها المُنْقَالَة^(٢). وكان بارعاً في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك والموسيقى. على أنّ أشهرَ ما عُرِفَ به كان محاولته الطيران: فقد كسا جسمه بحرير مُلصَقٍ عليه ريشٌ كثيرٌ وجعل لنفسه منه جناحين متحركين ثم صعدَ إلى مكانٍ عالٍ وألقى بنفسه فطار مسافةً بعيدة، ولكنه

(١) المرتاس: رئيس الدهاقين (أصحاب الأراضي الواسعة) والأسد، والشجاع، والاسم عربى أيضاً. فإن رجلاً من بني سبط العرب كان اسمه فرناساً (راجع في ذلك كله القاموس ٢: ٢٣٦).

(٢) المنقالة (ويقال: المنقاة): آلة لحساب الوقت أو ساعة (راجع تطبيقاً في نفع الطب ٣: ٣٧٤، الحاشية ٢).

كان قد غَفَلَ عن أن يجعلَ لنفسه ذِيلاً من ريش (مثل زَيْك الطائر)^(١) فوقَ على مُؤخَّرته، ولكنَّه نجا من الموت. ويَجِبُ أن يكونَ قد فَعَلَ ذلك في أوائل كُهوْلته. وكانت وفاة عيَّاس بنِ فرناسٍ في نحو ٣٧٤ (٨٨٧ م) وقد أَسْنَى، قبلَ قد زادتْ سِنُهُ على ثمانين سَنَةً.

٢ - كان عيَّاسُ بنُ فرناسٍ فيلسوفاً حاذقاً فُتِرَفَ بحكيم الأندلس، كما كان عالماً ذا عقلٍ مُبدِع. وكذلك كان من علماء النحو^(٢) أديباً مشهوراً وشاعراً مُجيداً. وفنونه المدح (مدح جميع أمراء بني أُمَيَّة الذين عاصَرَهُم) والمُجَلَّة، وقد هاجى مُؤمِنَ أن سَعِيد^(٣) فأفحشَ كُلُّ واحدٍ منها على خصمه. وله وصفُ بارع. ومعَ إجماع الرواة على جُودة شعره وكثرتِه، فإنَّهم لم يحفظوا لنا منه إلَّا عدداً من الأبيات.

٣ - مختارات من شعره

- في المُحرَّم من سَنَةِ ٢٤٠ (نُوز - يوليو ٨٥٤ م) ثارَ أهلُ طُلَيْطَلَةَ واستنجدوا بِمَلِكٍ جَلِيَّة فجاءهم جُوعٌ كَبِيرٌ من الإِسبان. فَلَقِيَهُمُ الأميرُ مُحَمَّدٌ على وادي سَلِيطٍ (أحدِ روافدِ نهرِ تاجِه جنوبَ طُلَيْطَلَةَ) وهَزَمَهُمُ هَزِيمَةً مُكْرَةً قُبِلَ فيها من الإِسبانِ نحوُ عِشرين ألفاً. فقال عيَّاسُ بنُ فرناسٍ في ذلك (ابن عِذارى ٢ : ١١١، راجع ٩٤ - ٩٥ ونفع الطيب ١ : ٣٥٠ في معركة وادي سَلِيط):

وَمُخْتَلِفِ الأصواتِ مُؤْتَلِفِ الرُّحْفِ لَهْومِ الفِلا عَبلِ القنابلِ مُلْتَفِ^(١)
إذا أَوْتَصَتْ فيه الصَّوارمُ خِلْتها بُروءاً تُراى في الجِهامِ ونَسْخِفي^(٢)

(١) الزمك (بكسر فـ كسر قـ شديد) والزمكى (بكسر فـ كسر قـ شديد أيضاً): ذنب الطائر أو أصله ومنبته (القاموس ٣ : ٣٠٥).

(٢) بنية الوعاة، ص ٢٧٦.

(٣) راجع فوق، ص ١٢٢.

(٤) مختلف الأصوات (جيش) متعمد أنواع السلاح (فكلُّ نوع من السلاح يحدث صوتاً مميَّزاً). مؤتلف الرُحْف: موحَّد السير (لأنَّه موحَّد الهدف). لهوم: أكل. الفلا: الأرض الواسعة (يقطع المسافات الثامنة بسرعة). عبل: مكتنز، شديد المضلات. القنابل: جماعات الخيل. ملتحف: متقارب، موحَّد، منظم.

(٥) الصَّوارم جمع صارم: سيف. خلتها: ظننتها. الجِهام: السحاب الذي لا مطر فيه.

كَانَ ذُرَى الْأَعْلَامِ فِي مِيلَانِهِ
وإن طَحَنَتْ أَرْحَاؤُهَا كَانَ قُطْبُهَا
سُمِّيَ خِتَامَ الْأَنْبِيَاءِ عَمْسِدِ،
بَكَى جَبَلًا وَادِي سَلِيطٍ فَأَغْوَلَا
دَعَاهُمْ صَرِيخُ الْحَيِّ فَاَجْتَمَعُوا لَهُ
فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِتَنْغُضِهَا
كَأَنَّ سَاعِيرَ الْمَوَالِي عَلَيْهِمْ
بِنَفْسِي تَنَانِينَ الْوَعَى حِينَ صَمَّتْ
قَرَاغِيرٌ فِي يَمِّ عَجَزَنْ عَنِ الْقَذْفِ (١)
حِجَا مَلَكٍ نَذَبَ شَائِلُهُ عَفَّ (٢)
إِذَا وَصِفَ الْأَمْلَاقُ جَلُّ عَنِ الْوَصْفِ (٣)
عَلَى التَّنْفَرِ الْعُبْدَانِ وَالْعُصْبَةِ الْغُلْفِ (٤)
كَمَا أَجْتَمَعَ الْجُعْلَانُ لِلْبَرْقِ وَقَفَ (٥)
فَوَلَّوْا عَلَى أَعْقَابٍ مَهْزُولَةٍ كُنُفَ (٦)
شَوَاهِينُ جَادَتْ لِلْفَرَانِيقِ بِالسَّنَفِ (٧)
إِلَى الْجَبَلِ الشَّحُونِ صَفَا عَلَى صَفَا (٨)

- (١) الدرى جمع ذروة (بالكسر أو الضم): الرأس. القصة (بالكسر): الأعلام جمع علم: الحمل في ميلانه: تحركه في سيره. القرقور (بالضم): السبيبة الطويلة العظيمة. النج: البحر. القذف: الازدفاع والسيار - هذا الجيش كبير جداً إلى حد أن الجبال ترى كأنها سفى عاتقة فيه.
- (٢) إن طحنت أرحاؤها (الرحى: حجر الطاحون): إذا بدأت الحركة. القطب: المحور القائم الثابت في الطبقة الأسفل من الرحي يدور عليه الطبقة الأعلى. القطب (ها) سَدَ القوم. القائد. الحجى: العقل. ندب: ماض حازم في الأمور، عاقل. شائلة: أخلاته. صفاته (القباس: ندبة شائلة - والتركيب ها أعسر). العف: الغيف (عن الاعتداء).
- (٣) الأملاك جمع ملك (يفتح فكون): ملك (يفتح فكون).
- (٤) أعول: رفع صوته باليكاء. العبدان: العبيد. الأغلف: الذي لم يمتحن (كتابة عن الإسيان الصارى والعبدان كتابة عن المسلمين الذين كانوا في جيش ملك الإسيان من التائرين).
- (٥) الحين (بالفتح): الموت. الحمل (بضم ففتح): دوية سوداء كريمة الرائحة. قلبس: لإلقاء البحر (لإخراج القدر من الجسم). في وقف: في سطر أو صف واحد (٤).
- (٦) فولوا (أهربوا) على أعقاب (وراء) مهزولة (خيل مهزلة، ضعيفة). كنُف (جمع أكنُف: الحصان الذي له التواء في ذيله). والكشف أيضاً: الذين لا سلاح معهم.
- (٧) المسر (جمعها ساعر) والمسار (جمعها ساعير): الذي يوقد (يبدأ) الحرب، الشجاع. الموالى: الموالون (وهي أيضاً: المسلمون من غير العرب، في الأدلس). الشاهين: طائر قوي تصاد به الطيور. الخرنوق (بضم الفين): طائر مائي جيل ضعيف. السنف: التبدد والتفريق (الإهلاك). جادت: تكلمت، أعطت (جاءت) (٤).
- (٨) التَّنِين (يكسر التاء) نوع من الزواحف (القصود ها: الحية العظيمة، الشجاع). صَمَّ: اتَّجه إلى، سار، قصد. بنفسي (أفندي بنفسي). صفاً على صفَا (كتابة عن كثرة جيوش الأعداء).

يقول ابن بوليس لموسى وقد ولى: أرى الموت قُدَّامِي ونَحْيِي ومن خلفي (١).
قَتَلْنَا لَمْ أَلْفَاً وَالْفَاً وَمِثْلَهَا وَالْفَاً وَالْفَاً بَعْدَ أَلْفٍ إِلَى أَلْفٍ،
سوى من طَواءِ النهرِ في مُتَلَحِّبِهِ فَأَغْرَقَ فِيهِ، أَوْ تَدَاوَا مِنْ حُرْفِ (٢)

- كان محمود بن أبي جليل جَوَاداً وعاملاً للأمير عبد الرحمن بن الحكم على
كورة..... فاتفق أن عَمِلَ قُبَّةً أَدَمَ (خيمة كبيرة من جلد) ونصصها عند وادي
(نهر) لَكُّهُ وأَدَبَ فيها مَادُبَةً دعا إليها أشراف الكورة. وبعد المأدبة غنى أحد بني
زرباب:

ولو لم يُشَقِّقِي الطاعنون لَشَاقِي حَتَامٌ تَدَاعَتْ فِي الدِّيَارِ وَفُوعُ (٣)،
تَدَاعَيْنِ فَاسْتَبَكَيْنِ مَنْ كَانَ ذَا هَوًى: نَوَاحِجُ مَا تَجْرِي لَهْنٌ دَمُوعُ.

فلَمَّا تَقَضَّى غِنَاهُ ابْنُ زَرْبَابَ مَدَّ عَبَّاسُ يَدَهُ إِلَى الْعُودِ فَأَخَذَهُ وَغَنَى الْيَتِيمَ ثُمَّ
وَصَلَّاهُ (بِيتَيْنِ) مِنْ عِنْدِهِ بِدِيَّةٍ فَقَالَ:

شَدَدْتُ بِمَحْمُودٍ بَدَأَ حِينَ خَانَهَا زَمَانٌ لِأَسْبَابِ الرِّجَاءِ قَطُوعُ.
بَنَى لِسَاعِ الْمُجُودِ وَالْمُجِدِّ قُبَّةً إِلَيْهَا جَمِيعُ الْأَجْوَدِينَ رُكُوعُ.

- ولَمَّا ثَارَ أَهْلُ طُلَيْطَلَةَ غَزَاهُمُ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ ثُمَّ أَحْتَالَ فَهَدَمَ الْقَنْطَرَةَ (الجسر) الذي
على نهرها (نهر تاجه) فقال عباس بن فرناس يُسَوِّغُ (يُبْرِئُ) هَذِمَهَا:

أَضْحَكْتُ طُلَيْطَلَةَ مُعْطَلَةً مِنْ أَهْلِهَا فِي قَبْضَةِ الصُّغْرِ.
تُرَكَّتْ بِلَا أَهْلٍ تَوَهَّلَهَا مَهْجُورَةً الْأَكْنَافِ كَالْقَبْرِ.
مَا كَانَ يُنْقِي اللَّهَ قَنْطَرَةً نَصِيتُ لِحَمَلِ كَتَائِبِ الْكُفْرِ!

(١) موسى بن موسى قائد في الثغور (شمال الأندلس). ابن بوليس (اللقب القائد الإسباني). هذه الحركة
كانت في أيام أَرْدُونِ ابْنِ أَدُونَش (ألفونس) صاحب (ملك) جيليشية (الجانب الشمالي الغربي من
إسبانية). وفي: تمب.

(٢) المسلح: الطريق الطويل الممتد (والسائب الطير الكثير). تَدَاوَا: اضطرب في مثيه (سقط).
الحرف: شق الوادي، صخر فوق هاوية.

(٣) شاقه الأمر: عمله يشاق إليه، يرغب فيه. تداعت الهام: دعا بعضها بعضاً (صوتت إحداها
فصوتت الثانية بعدها وثالثة إلخ).

- وقال يَصِفُ رَوْضَةً:

تَرى وَرْدَهَا وَالْأَقْحُونَ كَانَهُ بِهَا شَفَقَ لُغَاءً^(١) ضَاكِكُهَا تَقَرُّ.

١ - * * * الزبيدي ٢٩١ - ٢٩٢؛ المقتضب ١٢٤ - ١٢٥، ٢٢٧ - ٢٢٨؛ جذوة المقتضب ١٣٠٠ (الدار المصرية) ٣١٨ (رقم ٧٣١) بغية الملتبس ١٤١٨، المغرب ١: ١٣٣٣، نفع الطيب ١: ١٦٢، ٣: ٣٧٤، ٣٧٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١١١؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٧، (٣: ٢٦٤).

مُحَمَّدُ الْبَرِيدِي

١ - هو أبو العباس محمد بن أحمد البريدي من أهل إفريقية (تونس)، جملة الأمير أبو إسحاق إبراهيم الثاني (٢٦١ - ٢٩٠ هـ) أحد بني الأغلب، كاتبة الخاص. ثم قضب عليه وسجنه. وكانت وفاته (أو مقتله في السجن، في الأغلب)، سنة ٢٧٦ (٨٨٩ م).

٢ - كان محمد البريدي من مشاهير كتّاب الدولة الأغلبية وأدبائها الطرّفة، ناثراً ومترسلاً وشاعراً. وأسلوبه في نثره وشعره سهل متين.

٣ - مختارات من آثاره

- كَتَبَ مُحَمَّدُ الْبَرِيدِيُّ مِنْ سِجْنِهِ إِلَى الْأَمِيرِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ يَسْتَعِظُهُ:

«أَعَزَّ اللَّهُ الْأَمِيرَ. مِنْ كَرَمِ الْغَفْوِ وَعُلُوِّ قَدْرِهِ وَجَلِيلِ خَطَرِهِ^(٢) أَنْ تَسْمَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فَسَمَى نَفْسَهُ الْغَفُورَ الرَّحِيمَ. وَالطَّنِيعُ الْبَشْرِيُّ مُرَكَّبٌ عَلَى النَّقْصِ مَقْرُونٌ بِالزَّكْلِ، إِلَّا مَا خَصَّنَ اللَّهُ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ، وَأَوْدَعَهُ السَّادَاتِ وَالْأَمْرَاءَ، مِنْ طَهَارَةِ الْأَخْلَاقِ وَنَزَاهَةِ الْأَنْفُسِ. وَلَسْتُ - أَيُّهَا اللَّهُ الْأَمِيرَ - بِمَنْ يَدْعِي الْعِصْمَةَ وَالْبَرَاءَةَ مِنَ الْخَفْوَةِ.

(١) الورد: الزهر الأحمر. الأقحوان: زهر بثلاثة بيضى ووسطه أصفر. اللغاء: السمراء (وكان العرب يسمون السمرة في الشفاء). ضاحكها ثمر (الصورة غير واضحة).
(٢) الخطر: المكانة الرفيعة والشرف (قيمة الغفو وحسن الاتصاف به).

ولست أمتُ إليك^(١) إلا بفضلِكَ علي وإحسانك إلي. ولا أعرفُك بل أذكُرُك أن من غرسَ غرساً غرساً فواجبٌ ألا يَحْتَنُّهُ وإن أبطأ بُسُوقُهُ^(٢)، بل يَمُدُّهُ بِدُ موارِدِهِ العَذْبَةِ حَتَّى تَمْتَدَّ حَيْطَانُهُ^(٣) وتُورِقَ أَغْصَانُهُ. أعاذك الله، بما أودعه (فيك) من معالي الأخلاق، مِن تَرْكِ العَفْوِ عن مُقِرِّ مُتَعَرِّفٍ لا يَعْرِفُ إلا فَضْلَكَ ولا يَرْجُو إلا عَدْلَكَ...

- ودخل بعضهم على محمّد البريدي في السجن وأخبره أن الأمير يريد قتلَهُ، فقال:

تَعَوُّسِي بِخُلُوقِي ضَعِيفٍ يَهَابُ مِنَ الْمَيِّتَةِ مَا أَهَابُ^(٤).
لَهُ أَجَلٌ، وَلِي أَجَلٌ. وَكُلُّ سَيَّلُغُ حَيْثُ بَلَغَهُ الْكِتَابُ^(٥).

٤ - * * * يحمل تاريخ الأدب التونسي ٦٥ - ٦٧.

بقي بن مخلد

هو أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي، وكُد في قرطبة في رمضان من سنة ٢٠١ (مطلع الربيع ٨١٧م) وسَمِعَ من أبي عبد الله محمّد بن عيسى المُعَاوَرِي القرطبي (ت ٢٢٢) ومن يحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٣٨).

وَرَحَلَ بقي بن مخلد إلى المشرق مرتين مكث في الأولى منها أربع عشرة سنة وفي الثانية نحو عشرين عاماً؛ لَقِيَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ (ت ٢٤٠ هـ) وصَحْبَهُ وَتَوَقَّعَتِ الصَّلَاةَ بَيْنَهُمَا. وأخذ أيضاً عن إبراهيم بن محمّد الشافعي (٢٣٧ هـ) وعن أبي المصنّب الزُّهْرِيّ

(١) من رجل إلى آخر: توسّل إليه بقرابة بينهما.

(٢) اجتنبت التبتة: انتزعها من الأرض بمذورها. أبطأ بسوقه: تأخّر نموه واستنائه.

(٣) يمدّه: يروّده، يمينه. الوارد: مصادر الماء. تَنَسَّعَ: الحَانَطُ (هنا): البستان (جموع الأغراس) لأن على البستان حَانَطاً (سور).

(٤) يهاب: يخاف. التبتة: الموت. - سيموت يوماً ما كما سأموت أنا الآن.

(٥) الأجل: الزمن المَعِيّن من الحياة. الكتاب (هنا): وقت نزول الموت (موعد استحقاق الدين).

(ت ٢٤٢ هـ) وغيرها. ولقد أخذ عن جميع أصحاب المذاهب ولم يقصر همه على الأخذ بمن كان يعتنق مذهبهم كما كان يفعل غيره.

إلى ذلك الحين كان الغالب على أهل الأندلس حفظ رأي الإمام مالك والاكتفاء بكتب الفروع (أبواب الفقه الجزئية: الصلاة - الزكاة - الحضانة - الشراكة، الخ)، فلما عاد بقي بن مخلد من المشرق حاول أن يحمل الفقه في الأندلس على الاستناد في آرائهم وأحكامهم إلى القرآن والحديث فانتشر الحديث في الأندلس. وكذلك حاول أن ينشر في الأندلس مذهب الإمام الشافعي في أيام الأمير محمد (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، ولكنه لقي مقاومة من نفر من خصومه أشهرهم ابن مرتيل (ت ٢٤٠ هـ) شيخ المالكية في عصره.

وكانت وفاة بقي بن مخلد في ٢٩ جُمادى الثانية من سنة ٢٧٦ (٢٩ / ١٠ / ٨٨٩ م).

كان بقي بن مخلد من المفسرين للقرآن الكريم ومن حفاظ الحديث ومن أئمة الدين والفقه على المذهب الشافعي ومن الزهاد الصالحين.

ولابن بقي من الكتب: تفسير القرآن الذي فضله ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) على كل تفسير آخر، وعلى تفسير الطبري أيضاً، وله كتاب في الحديث «المصنف الكبير» فيه الأحاديث على أسماء الصحابة، ثم رتب الأحاديث المروية عن كل صحابي على أبواب الفقه، فهذا الكتاب مُسنَد (منسوبة أحاديثه إلى روائها) ثم مُصنَّف (مرتب على أبواب الفقه).

- تاريخ خليفة بن خياط برواية بقي بن مخلد (حققه سهيل زكار)، دمشق (مشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي) ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م.

* * المتنبس ٢٦١ - ١٢٦٥ ابن الفرضي ٩١ - ٩٣ (رقم ٢٨٣) جذوة المتنبس ١٦٧ - ١٦٨ (الدار المصرية) ١٧٧ - ١٧٩ (رقم ٣٣١)؛ بقية المتنبس ٣٢٩ - ١٢٣٢ الصلة لابن بشكوال ١٢١ معجم الأدباء ٧٥: ٧ - ١٨٥ قضاة الأندلس ٦٣ - ١٦٥ نفع الطيب ٤٧ ٥١٨ - ١٥٢٠ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩٥٦ - ١٩٥٧ بروكلمان ١٧٢: الملحق ١٢٧١: ٢ ٣٣: (٦٠).

عبد الجبار السرقى

١- هو عبد الجبار بن خالد بن عمران السرقى (وسرّت مرقاً في أواسط ساحل ليبيا اليوم)، وُلِدَ سَنَةَ ١٩٤ (٨١٠م) ولازم سحنوناً (ت ٢٤٠) ما ترك مجلسَ علم له لم يحضره. وكان صديقاً لحمد بن القطان^(١) وشريكاً يعملان في القطن معاً في سوق الأحيد ثم تقاطعا بسبب كُتُبِ مُحَمَّدِ بْنِ مَهْدِيٍّ البكري^(٢): كان عبد الجبار يقرأها، وكان حمديس يريد أن يصرّفه عن قراءتها. وقد تقاطعا أربعاً وعشرين سَنَةً ولكن لم يسي أحدٌ منها إلى الآخر بفعلٍ أو بقولٍ. ولما مات عبد الجبار صلى عليه حمديس. وجلس عبد الجبار للإفادة فسمع منه جماعة كثيرة العدد.

وكانت وفاة عبد الجبار في أولِ رَجَبٍ من سَنَةِ ٣٨١ (٧/ ٩ / ٨٩٤م).

٢- كان عبد الجبار السرقى شيخاً صالحاً متعبداً يضربُ به المثلُ في الفضلِ والسنن. وكان ذا فهر لمعاني العلم، وله أقوالٌ كثيرةٌ تجري مجرى الحكمة.

٣- مختارات من أقواله

- من أقوال عبد الجبار السرقى (تراجم أغلبية ٢٩٨ - ٢٩٩):

مَنْ قَلَّ كَلَامُهُ قَلَّتْ آثَامُهُ - الصومُ عن الكلامِ أثقلُ (على النفس) من الصومِ عن الطعام - من خلا برّيه لم يندمِ النورَ من قلبه، ومن خلا بغيره لم يندمِ الزيادةَ في ذنبه - لولا الفضولُ لَصَفَّتِ العقولُ ولَأَصْبَحَ الجهولُ عندك (وهو) معقولٌ - عن وبخك فقد نفعتك، ومن نفعتك فقد رَفَعَكَ - كُنْتُ أَخْلُو (بنفسي) لأعلمَ فِصْرَتُ أَخْلُو لأغْم - من كان بالليلِ نائمًا وبالنهارِ هائمًا فمَيَّ (يصبح غافلاً)^(٣). وقال (ص ١٣٨، ٣٣٧):

(١) حمديس القطان هو أحد بن محمد الأشعري (٢٣٠ - ٢٨٩ هـ) كان على مذهب الأشاعرة الذين يفضلون الرواية الدينية على التخرّيج العقلي (في مسائل الإيمان والعبادات).

(٢) يبدو أن محمد بن مهدي البكري كان من المعتزلة الذين يقدّمون العقل على الروايات الدينية. وكان سحنون (راجع، فوق، ص ١١٢) يقول: «ابن مهدي هذا ضالٌّ مضلٌّ» (تراجم أغلبية، ص ٢٩٦) .

(٣) في الأصل: متى ينال العاصم!.

تَرَكَ الحَرَامَ أَفْضَلَ مِنْ مَلَكَةِ الْأَرْضِ إِلَى عِنَانٍ^(١) السَّهْلَ ذَهَبًا وَفِضَّةً كُتِبَتْ (مِنْ وَجْهِهَا الشَّرْعِي) وَأُنْفِقَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يُرَادُ بِهَا إِلَّا وَجْهُهُ (وَجْهَ اللَّهِ).

١- * * * تراجم أغلبية ٢٩٤-١٢٩٩ الأعلام للزركلي ٤: ٤٨ (٣: ٢٧٤).

تَمَامُ بْنُ عَامِرٍ^(٢)

١- هو أَبُو غَالِبٍ تَمَامُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ غَالِبٍ بْنِ تَمَامٍ بْنِ عُلْقَمَةَ، وَلَدَ سَنَةَ ١٨٤ هـ (٨٠١ م). وَقَدْ وَكَّلِي الْوِزَارَةَ لِلأَمِيرِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (٢٣٨-٢٧٣ هـ) وَلَوْلَدَتْهُ الْمُتَنَذِرُ وَعَبْدُ اللَّهِ (٢٧٥-٣٠٠ هـ). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ ٢٨٣ (صَيْفِ ٨٩٦ م).

٢- كَانَ تَمَامُ بْنُ عَامِرٍ عَلَّامًا وَأَدِيبًا وَإِخْبَارِيًّا، كَمَا كَانَ شَاعِرًا مُكَثِّرًا، وَلَهُ أَرْجُوزَةٌ فِي تَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ وَقْتِ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ (ت ٢٣٨) قَلَّدَ فِيهَا أَرْجُوزَةً بِحَسْبِ بْنِ الْحَكَمِ الْغَزَالِي (رَاجِعِ، فَوْقَ، ص ١١٥). وَشِعْرُهُ سَهْلٌ عَذْبٌ وَأَغْرَاضُهُ الْمَدْحُ وَالْقَصَصُ وَالنَّسِيبُ وَالْمُجَازَاةُ، وَلَهُ مَقْطُوعَةٌ فِي ذَمِّ الشُّطْرَنْجِ.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- كَانَتْ أُمُّ الْوَلِيدِ بْنِ خُلْفٍ بْنِ رُومَانَ (رُومَانِي) فَتَاةً بَارِعَةً فِي الْجَمَالِ سَبَاءَةً لِلأَلْبَابِ نَضْرَانِيَّةً، رَأَاهَا تَمَامُ فَهَامَ بِهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَكَانَ أَنَاثُ يَلُومُونَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ:

(١) عِنَانُ (بِالْكَسْرِ) السَّمَاءُ: نَوَاحِيهَا وَ(بِالْفَتْحِ): مَا بَدَأَ لَكَ مَعَهَا.

(٢) هُنَاكَ ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ بِاسْمِ تَمَامٍ مِنْ عُلْقَمَةَ: وَهَئِلِكَ نَفَرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ لِلأَدَبِ يَجْلِسُونَ بَيْنَهُمْ. إِنَّ تَمَامَ بْنَ عُلْقَمَةَ هَذَا الَّذِي أوردَتْ تَرْجُمَتَهُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٢٨٣ هـ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ تَمَامُ بْنُ عُلْقَمَةَ أَوْ تَمَامًا الَّذِي كَانَ مِنْ أَنْصَارِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلِ (ت ١٧٣ هـ)، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ الأَثَرِ فِي الْحَقْلَةِ السَّيَاءِ ١: (١٤٣)، فَإِنَّ النَّقِيبَ (الْمُنَاصِرَ) لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلِ مَاتَ سَنَةَ ١٩٨ هـ (الْمَغْرِبِ ١: ٤٤). وَبِزَادِ تَمَامُ بْنُ عُلْقَمَةَ أَحَدُ كِبَارِ النُّقَبَاءِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلِ فِي نَعْمِ الطَّبِيبِ (٣: ٣٢، ٤٥، ٤٩-٥٠ رَاجِعِ ابْنَ عَدَارِي ١: ٥٣، ٥٤). وَهَئِلِكَ تَمَامُ بْنُ عُلْقَمَةَ (ت ٤٣٦ هـ)، وَسَأَتِي تَرْجُمَتَهُ.

(٣) نَبَلُ ١٩٤ أَوْ ١٩٧ (مَطْلَعُ الْقُرُونِ التَّاسِعِ لِلْمِيلَادِ).

مُكَلِّفِي الْعُدَاةِ صَبْرًا عَلَى الَّذِي أَبِي الصَّبْرِ عَنْهَا أَنْ يَحِلَّ مَحَلُّهَا^(١).
 إِذَا مَا قَرَعَتْ النَّفْسَ يَوْمًا فَأَبْصَرَتْ سَبِيلَ الْهُدَى عَادَ الْهُوَى فَأَضَلَّهَا^(٢)
 وَكَمْ مِنْ عَزِيمَةِ النَّفْسِ لَمْ يُلَقَ ذَلَّةٌ أَقَاذَ الْهُوَى مِنْ نَفْسِهِ فَأَذَلَّهَا^(٣)
 عَجِزْتُ لِمَذُولٍ عَلَى حُبِّ نَفْسِي يُكَلِّفُهُ عُدَاةَهُ أَنْ يَمْلَأَهَا^(٤)

٤- * * * المقتبس ١٧٩-١٨٤: الحلة السراء ١٤٣:١-١٤٤: نفع الطيب ٣: ٣١، ٤٥،
 ٤٩، ٤٥٠: دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٧٠٢ بروكلمان، الملحق ١: ١٤٨
 الأعلام للزركلي ٢: ٦٩-٧٠ (٨٦).

سعيد بن جودي

١- هُوَ سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ جُودِيٍّ السَّعْدِيُّ، كَانَ بَدُوياً خَانِصاً وَفَارساً شَجَاعاً مِنْ
 نَسْلِ الطَّارِثِينَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ مَعَ جِيُوشِ الْفَتْحِ أَوْ مَعَ بُلُجٍ بْنِ بَشْرِ الَّذِي جَاءَ بِجِيُوشِ
 مِنْ أَهْلِ الشَّامِ.

لَمَّا ثَارَ عُمَرُ بْنُ حَفْصُونَ - وَكَانَ مِنَ الْمُؤَلَّدِينَ وَمِنْ النَّسَبِ يَنْتَظَاهِرُونَ بِالْإِسْلَامِ - قَاتَلَهُ
 سَعِيدُ بْنُ جُودِيٍّ. غَيْرَ أَنَّ سَعِيداً أُسِرَ ثُمَّ خُلِّصَ مِنَ الْأَسْرِ، سَنَةَ ٢٧٦.

وَكَانَ سَعِيدٌ أَمِيراً فِي كُورَةِ الْبَيْرَةِ (قُرْبَ غَرْنَاطَةِ)، فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ (٢٧٥-
 ٣٠٠ هـ)، وَلَكِنَّهُ ثَارَ عَلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا أَخَذَتْهُ الْعَصِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ (الْبُدُويَّة) عَلَى بَنِي
 مَرْوَانَ الْحَاكِمِينَ فِي قَرْطَبَةِ.

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُودِيٍّ مُحِبّاً مُنَافِراً أَحَبَّ جَارِيَةً مُغَنِّيَةً كَانَتْ لِلْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ
 (قَبْلَ أَنْ يَصِلَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الْحُكْمِ) يُكْنَى عَنْهَا بِاسْمِ جَيْحَانَ، وَقَدْ تَنَبَّأَ بِهَا وَلَمْ

(١) العَدَاةُ جمع عادِل: اللّاتِم (الَّذِي يُلَوِّمُ الْآخَرِينَ عَلَى الْخِصَّةِ حَاصَةً).

أَنْ يَحِلَّ الصَّبْرُ مَحَلَّ الْهَوَايَةِ (أَنْ أُصِرَّ عَنْهَا ثُمَّ أَسَاهَا).

(٢) - أَلُوْمُ نَفْسِي عَلَى أَتَمِّ مَحَلِّي، فِي حَتَّى لِأَنَّ الْوَلِيدَ هَذِهِ ثُمَّ مَحَلِّي حَتَّى فَاسْتَمَرَّ فِي حَتَّى.

(٣) - كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ لَمْ يَذَلَّ فِي حَيَاتِهِ أَمْدًا وَلَكِنَّهُ أَحَبَّ بَارَادَتَهُ وَأَذَلَّ نَفْسَهُ لِلْمَحْبُوبِ.

(٤) - لَا يُمْكِنُ أَنْ أُنْسِيَ حُبَّ أَمِّ الْوَلِيدِ. إِنَّمَا مِثْلُ نَفْسِي. فَهَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا يَسْمَعُ قَوْلَ الْآخَرِينَ وَيَكْرَهُ
 نَفْسَهُ.

يَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَيْهَا فَاشْتَرَى جَارِيَةً وَسَمَّاها جَيْحَانَ . غَيْرَ أَنَّ جَيْحَانَ الْجَدِيدَةَ لَمْ تُنَبِّهِ
هَوَى جَيْحَانَ الْقَدِيمَةِ .

وَوَاعَدَ سَعِيدٌ امْرَأَةً عَلَى اللَّقَاءِ فَعَلِمَ زَوْجُهَا بِذَلِكَ فَدَبَّرَ مَقْتَلَ سَعِيدٍ ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ
سَنَةِ ٢٨٤ (آخِرُ عَامِ ٨٩٧ م) . وَقِيلَ كَانَ مَقْتَلُهُ بِعَامِلٍ سِيَاسِيٍّ لِكُرْهِهِ إِيمَارَةَ بَنِي أُمَيَّةَ
فِي الْأَنْدَلُسِ . وَقَدْ رثاه الْقُدُّمُ بْنُ الْمَعَانِي (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣ : ٥٣٨) .

٢- كَانَ فِي سَعِيدٍ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ جُودِيٍّ «عَشْرُ خِصَالٍ تَفَرَّدَ بِهَا فِي زَمَانِهِ لَا يُدْفَعُ
عَنْهَا : الْجُودُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْفُرُوسِيَّةُ وَالْجَمَالُ وَالشُّعْرُ وَالْحَفَاطَةُ وَالشَّدَّةُ وَالطَّمَنُ وَالضَّرْبُ
وَالرَّمَايَةُ» . وَكَانَ أَدِيبًا خَطِيبًا وَشَاعِرًا مُجِيدًا أَكْثَرَ شِعْرِهِ الْحَمَاسَةُ وَالْفَرَكْلُ مَعَ شَيْءٍ مِنْ
الشُّكُوى فِيهَا .

٣- الْمُخْتَارُ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُودِيٍّ يُظْهِرُ الْكُرَّةَ لِبَنِي أُمَيَّةَ ، مَخَاطَبًا الْأَمِيرَ عَبْدَ اللَّهِ :

مَا بَنِي مَرَوَانَ ، شُدُّوا فِي الْمَرْبِ	نَجَمَ النَّائِرُ مِنْ وَادِي الْقَصَبِ
مَا بَنِي مَرَوَانَ ، خَلُّوا مُلْكَنَا ،	إِنَّمَا الْمُلْكُ لِأَهْلِ الْعَرَبِ ^(١)
قَرَّبُوا الْوَزْدَ الْمُحَلَّى بِالذَّهَبِ	أَسْرِجُوهُ إِنَّ نَجْمِي قَدْ غَلَبَ ^(٢)

- وَقَالَ يَتَفَرَّكُ وَيَنْسِيبُ بِجَيْحَانَ :

سَمِعِي أَيْ أَنْ يَكُونَ الرُّوحُ فِي بَدَنِي ،	فَاغْضَاخِ قَلْبِي مِنْهُ لَوَعَةِ الْحَزَنِ .
أَعْطَيْتُ جَيْحَانَ رُوحِي عَنْ تَذَكُّرِهَا ،	هَذَا ، وَلَمْ أَرَهَا يَوْمًا وَلَمْ تَرَنِي .
كَأَنِّي وَاسْتَمَّا ، وَالذَّمُّعُ مُنْكَبٍ	مِنْ مُقَلَّتِي ، رَاهِبٌ صَلَّى عَلَى وَتَنِي .

- وَقَالَ يَصِفُ مَيْلَهُ فِي الْحَيَاةِ وَالْحُبِّ :

لَا شَيْءَ أَتْلُجُ مِنْ سَائِي عَلَى عُنُقِي ^(٣) وَمِنْ مُنَاقَلَتِي كَأَنَّ عَلَى طَبَقِي

(١) الْعَرَبُ هِيَ عَمَمِي الْبَدْوِ .

(٢) الْوَزْدُ : الْحَصَانُ الْوَرْدُ (الْأَحْمَرُ) .

(٣) كِتَابَةٌ عَنِ اللَّهِو بِالتَّسَامِ .

ومن مُواصلَةٍ من بَعْدِ مُعْتَبَةٍ، ومن مراسلةِ الأحبابِ بالهدى.
جريت جَرِيٌّ جَمُوحٌ في الصَّبَا طَلَقًا وما خَرَجْتُ لَصَرْفِ الدَّهْرِ عَن طَلْقِي^(١)
ولا أَتَنَتُّ لِدَاعِي المَوْتِ يَوْمَ وَغَى كما اتَّيَنْتُ وَحِلَّ الحُبِّ في عُنْيِي^(٢)!

١- * * جذوة المقتبس ٢١٣ (الدار المصرية) ٢٢٩ (رقم ٤٦٦) ١ بغية الملتبس ٢٩٤ (رقم ٧٩٥) ١ المغرب ٣: ١٠٥-١٠٦ الحلة السراء ١٥٤: ١-١٦٠ الأعلام للزركلي ١٤٨٣ (٩٥).

مَجْبِرُ بْنُ سُفْيَانَ

١ - هو مُجْبِرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُفْيَانَ مِنَ الأُسْرَةِ الأَغْلِبِيَّةِ. تولى عِدَّةَ مُقَاطَعَاتٍ في إِمَارَةِ بَنِي الأَغْلَبِ. ثم وَلَّاهُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ الثَّانِي (٢٦١ - ٢٩٠ هـ) عَلَى جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةِ^(٣). فَلَمَّا كَانَ فِي البَحْرِ أَسْرَهُ الرُّومَ وَحَمَلُوهُ إِلَى القُسْطَنْطِينِيَّةِ فَاتَ فِيهَا أَسِيرًا.

٢ - لِمُجْبِرِ بْنِ سُفْيَانَ «رُومِيَّةٌ» (قَصِيدَةٌ قَالَهَا فِي أَسْرِهِ فِي بِلَادِ الرُّومِ) وَهِيَ طَوِيلَةٌ، تُذَكِّرُنَا بِقَصِيدَةِ أَبِي فِرَاسٍ الحَمْدَانِيِّ (ت ٣٥٧): «أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شَيْتَنُكَ الصَّبْرُ»، مَعَ العِلْمِ بَأَنَّ مُجْبِرًا تُوُفِّيَ قَبْلَ أَبِي فِرَاسٍ بِنَحْوِ سَبْعِينَ سَنَةً وَالْقَصِيدَةُ سَهْلَةٌ رَقِيقَةٌ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ.

قَالَ مُجْبِرُ بْنُ سُفْيَانَ فِي سِجْنِهِ فِي القُسْطَنْطِينِيَّةِ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، مَا الَّذِي فَعَلَ الدَّهْرُ بِإِخْوَانِنَا، مَا قَيَّرَ وَأَوْ بَا قَصْرُ^(١)
وَعَن، وَإِنْ طَحَطَحَتْنَا رَحَى النُّوَى فَلَمْ يَحْتَمِمْ شَمْلٌ لَدَيْنَا وَلَا وَفَرُ^(٢).

- (١) الجموح: الحصان النشط الباهر. طلقاً الأولى: حرّاً بلا قيد. طلق: الثانية: شاة الوجه.
- (٢) ما رجعت من المعركة مسروراً سلامتي كما تعودت أن أرجع مسروراً من مناسرات الحب.
- (٣) صقلية أو صقلية جزيرة كبيرة عند الطرف الجنوبي من شبه جزيرة إيطاليا فتحها الأغالبة على يد أسد بن الفرات، سنة ٢١٦ للهجرة.
- (٤) القيروان عاصمة الأغالبة. القصر مدينة قديمة للأغالبة بجيوب القيروان.
- (٥) طحطح الرجل الشيء: كثره وبذره (فرقة). الرحي: الطاحون. النوى: البعاد (القرية). الشمل: المجتمع. لم يجمع شملهم: لم يلتقوا (طلقوا متفرقين في الأرض). الوفر: الفنى. - أنا في الأسر بعيد عن أهلي وفقر.

رَأَيْنَا وَجْهَ الدَّهْرِ وَهِيَ عَوَاسٌ بِأَعْيُنٍ خَطْبٍ فِي مَلَا جِطْهَا شَرُّ^(١).
 لَعَلَّ الَّذِي نَجَّى مِنَ الْجُبِّ يَوْسُفًا، وَفَرَجَ عَنْ أَيُّوبَ إِذْ مَسَّهُ الضَّرُّ^(٢)؛
 وَخَلَصَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ نَارِ قَوْمِهِ، وَأَعْلَى عَصَا مُوسَى قَدْلَ لَهُ الْبَحْرُ^(٣)،
 يُصَيِّرُ أَهْلَ الْأَسْرِ فِي طَوْلِ أَسْرِهِمْ عَلَى مُفَضَّلَاتِ الْأَسْرِ لَا سَلَمَ الْأَسْرِ^(٤).

٤ - * * * مجمل تاريخ الأدب التونسي ٦٧ - ٦٨ .

أَبْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْحُشْنِيُّ

١ - هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ زَيْدٍ (بنية الوعاة ٦٧) بن الحسن بن كليب (أو كلب) الحُشْنِيُّ من أهل كُورَة جَبَّانَ، وَلِدَ سَنَةَ ٢١٧ (٨٣٢ - ٨٣٣ م).

انتقل ابنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْحُشْنِيُّ إِلَى قُرْطُبَة وَسَكَنَهَا وَأَخَذَ عَنْ ابْنِ أَبِي بَطْخَنَةَ (أبي مُحَمَّد عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّرِيحِيِّ الْمُرْسِيِّ. وَقَدْ رَحَلَ، قَبْلَ ٢٤٠ (٨٥٤ - ٨٥٥ م)، إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَطَوَّفَ فِيهِ خَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً وَأَخَذَ عَنْ نَفَرٍ كَثِيرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فِي مِصْرَ وَالْحِجَازِ وَفِي الْمَرَاقِ خَاصَّةً. ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَأَخَذَ عَنْهُ كَثِيرُونَ. وَأَرَادُوهُ أَنْ يَتَوَلَّى الْقَضَا فَلَمْ يَقْبَلْ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ٢٦ مِنْ رَمَضَانَ ٢٨٦ (٨٩٩ / ١٠ / ٥ م) فِي قُرْطُبَة.

٢ - كَانَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْحُشْنِيُّ عَالِمًا وَحَافِظًا لِلْحَدِيثِ فَصِيحَ اللِّسَانِ بَصِيرًا

- (١) الخطب: الأسر الشديد يكثر فيه التناطح (الأخذ والرد). بأعين حطب: بحبرة (بهيون حائرة) ولكن في ملاحظتها (مطراها) شرر (النظر يؤخرة العين، من الغضب).
- (٢) الجب: البئر (كان أبناء يعقوب قد أفلوا - بفتح الفاف - أغلام يوسف في بئر أو حفرة عميقة على طريق مصر). الضر: سوء حال البدن (بالمرض الشديد).
- (٣) كان قوم إبراهيم الوثنيون قد أرادوا أن يجرؤوه لأنه كان يدعوهم إلى التوحيد. ولما دعا فرعون من كان عنده من الحررة لناظرة موسى تمدهاء بمضهم بالحر. فألقى الحررة المعصي والجهال وأوهما الناس بحرهم أنها حيات تتلوى. فألقى موسى عصاه فاخضت حيات الحررة.
- (٤) المصلحة: السألة لا يهتدي أحد إلى وجه لحظها.

بكلام العرب. وقد أَدْخَلَ إلى الأندلس عِلْماً كثيراً من الحديث واللغة ومن أشعار الجاهليين. وله عددٌ من التأليف في شرح الحديث.

٣ - مختارات من شعره

- لما عادَ ابنُ عبد السلام الحُشني إلى الأندلس - بعدَ غيابٍ خمسٍ وعشرينَ سنةً - بدا له كأنه لم يَبْغِ عن الأندلس قطً، فقال:

كأن لم يكن بيني ولم نكُ فرقةً إذا كان من بعد الفراق تلاق^(١).
 كأن لم تورق بالعراقيين مقلتي، ولم تثر كف الشوق ماء ماقي^(٢)،
 ولم أزر الأعراب في خبت أريضهم بذات اللوى من رامة وبراق^(٣)،
 ولم أضطبح بالبيد من قهوة النوى سكس سقانيها الفراق دهاق^(٤).
 بلى، وكأن الموت قد زار مضجعي فحوك مني النفس بين تراق^(٥).
 أخي، إنما الدنيا محلّة فرقة ودار غرور آذنت بفراق.
 تروّد، أخي، من قبل أن تسكن الثرى وتلتف ساق للنشور باق^(٦)!

٤ - * الزبيدي ١٢٩٠ ابن الغرضي ٢: ١٦ (الدار المصرية ٢: ١٤-١٥)؛ المقتبس ٢٥٠-٢٥٨ م، ٢٦٠، ٢٦٥ جذوة المقتبس ٦٣-٦٥ (الدار المصرية) ٦٨-٧٠ (رقم ١٠٠)؛ بغية الملتبس ٩٢-٩٣ (رقم ٢٠٢)؛ بغية الوعاة ٦٧؛ نفع الطيب ٢: ٢٣٦، ٦٤٩ الأعلام للزركلي ٧٦٧-٧٧ (٢٠٥: ٦).

- (١) السين: الفراق، البعاد.
- (٢) مري يري: مسح وعصر (وحاول استخراج اللبن من الضرع). لم تجعلني أبكي الماء المالح والمزق: طرف العين.
- (٣) الحبث: الأرض الواسعة أو المنخفضة. ذات اللوى ورامة وبراق أسد لأماني.
- (٤) اضطبح: شرب الخمر صباحاً. القهوة: الخمر. اللوى: البعاد. (نضيت في البادية وقتاً طويلاً بعيداً عن أهل). الدهاق: المترع: اللآن.
- (٥) التراقي جمع ترغوة (في أعلى الصدر ترغوتان مشرفتان). بلغت الروح التراقي: أشرف صاحبها على الموت.
- (٦) الثرى: التراب. سكن الثرى: مات ودفن. التفت الساق بالساق: كناية عن الازدحام حتى تشبك أرجل نفر من الناس بأرجل نفر آخرين).

عيسى بن مسكين

١ - هو عيسى بن مسكين بن منصور بن خديج بن محمد الإفريقي، كان مولده في قرية منجد عيسى قرب المنستير (على الساحل الجنوبي الغربي من تونس) سنة ٢١٤ (٨٢٩ م).

سمع عيسى بن مسكين في المغرب جميع كتب سحنون من سحنون (ت ٢٤٠) نفسه وبين ابنه محمد بن سحنون (ت ٢٥٦)، وسمع في مصر من الحارث بن مسكين (ت ٢٥٠) ويونس بن عبد الأعلى الصدقي (ت ٢٦٤) ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٦٨) ومحمد بن إبراهيم بن زياد الموزي (ت ٢٨١)، وسمع في الشام من أبي جعفر الإيلي، كما سمع من نفر آخرين.

وأراد إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أن يولي عيسى بن مسكين القضاء فأبى عيسى حتى أجمع الناس على وجوب توليته. فهدده إبراهيم بالعقاب إن لم يفعل فقبل، بعد شروط اشترطها منها: «أهلك - في الحق - وبنو عمك وجندك وفقراء الناس وأغنيائهم سواء. ولا توجه ورائي، ولا أهنيء ولا أعزي ولا أشيع ولا أتلقي. فمق لم تق لي بشرط (منها) عزلت نفسي». فقبل إبراهيم منه ذلك ثم عرض عليه الكسوة والهيئة (التي تخلصان عادة على القضاء) فلم يقبل عيسى ذلك. وكانت وفاة عيسى بن مسكين سنة ٢٩٥ (٩٠٧ - ٩٠٨ م).

٢ - كان عيسى بن مسكين من أهل الفقه والورع ثقة متفناً في العلوم من الحديث والفقه واللغة وغيرها، كما كان فصيحاً بليغاً شاملاً.

٣ - مختارات من آثاره

- قال عيسى بن مسكين يصف نفسه في الشيخوخة:

لما كبرت أُنسي كل داهية؛ وكل ما كان مني زائداً نقصا.
أصاح الأرض إن رمت القيام، وإن مشيت تصحبي ذات اليمين عصا

- وكانت له أقوالٌ حكيمةٌ منها:

أَشْرَفُ الْفِتْنَى تَرْكُ الْمُنَى - فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ بِجَوَاهِرِ الرِّجَالِ - الْمَعَاشُ مُدْلٌ
لَأَهْلِ الْعِلْمِ - قَارِبِ النَّاسِ فِي عُقُولِهِمْ تَسَلُّمٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ - خَلُّوا لَهُمْ دُنْيَاهُمْ يُخْلُوا بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ آخِرَتِكُمْ.

٤ - * * * تراجم أغلبية ٢٣٢ - ٢٥٣، الديباج المذهب ١٧٩ - ١٨١ عنوان الأريب
٢٤ - ٢٥.

مَهْرِيَّةُ الْأَغْلِبِيَّةِ

١ - هي الأميرة مَهْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ التَّمِيمِيِّ مِنْ بَنِي الْأَغْلِبِ مُلُوكِ
الْقَيْرَوَانِ، نَشَأَتْ فِي مَدِينَةِ رَقَادَةَ فِي بَيْتِ مَجْدٍ وَشِعْرِ. وَكَانَتْ وَفَاتَهَا فِي مَكَّةَ، سَنَةَ ٢٩٥
(٩٠٨ م).

٢ - مَهْرِيَّةُ الْأَغْلِبِيَّةُ أَدِيبَةٌ شَاعِرَةٌ مُجِيدَةٌ تَمِيلُ إِلَى التَّصَوُّفِ، لَهَا رِثَاءٌ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهَا

- قَالَتْ مَهْرِيَّةُ الْأَغْلِبِيَّةُ تَرِثِي أَخَاهَا^(١) (وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْ شِعْرِهَا إِلَّا هَذِهِ
الْقِطْعَةُ):

لَيْسَتْ شِعْرِي، مَا الَّذِي عَانَيْتُهُ بَعْدَ طَوْلِ الصَّوْمِ مَعَ نَفْيِ الْوَسَنِ^(٢)؛
مَسَّ غُرُوبِ النَّفْسِ عَنْ أَوْطَانِهَا وَالتَّخَلِّيِ عَنْ حَبِيبِ وَسَكَنِ^(٣)؛
بِأَشَقِيْقِي، لَيْسَ فِي وَجْدٍ بِهِ غَلَّةٌ تَتَمَنَّى مِنْ أَنْ أَجَنَّ^(٤)؛

(١) هو أبو عقاب غلبون، كان في أوَّل حياته شاعراً ماجناً ثمَّ تاب وأقبل على العلم فدرس الحديث وبرع
في الأدب. ثمَّ إنَّه رحل إلى مَكَّةَ وجاور فيها فلحقَّت به أخته مَهْرِيَّةُ. وكانت وفاته في مَكَّةَ سنة
٢٩١ هـ (راجع الأعلام للزركلي ٥: ٣١٤).

(٢) ما الذي عَانَيْتُهُ...: ما أكثر ما قاسيته في سلوك طريق التصوُّف الصحيح من كثرة الصيام وقلة
الوسن (النوم).

(٣) السكن: الزوج.

(٤) الأصوب: يا شقيقي (سلامة الأعراب مع المحافظة على وزن النمر). أَجَنَّ: أصبح مجنونة. المقصود:
حبِّي له يعملي أَجَنَّ (حزناً عليه).

وَمَا تَبْلَسَى وَجُوهٌ فِي الثَّرَى، فَكُنَّا يَبْلَى عَلَيْهِنَ الْحَزَنُ (١)

٤ - * * معالم الإيمان ٢ : ١٤٤ - ١٤٥، شهرات النساء ١٢٥، مجمل تاريخ الأدب التونسي ٦٤، المنتخب المدرسي ١٣٢، بساط المقيت (والكتب الأربعة الأخيرة لحسن حني عبد الوهاب)، الأعلام للزركلي ٨ : ٢٦٠ (٧ : ٣١٥).

بكر بن حماد

١ - هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهر (أو سهل) بن اسماعيل الزناتي التاهري، وُلِدَ في تاهرت (الجزائر اليوم)، نحو سَنَةِ ٢٠٠ (٨١٥ - ٨١٦ م) ونشأ فيها. في سنة ٢١٧ انتقل بكر بن حماد إلى القيروان وقرأ فيها على عَوْنِ بن يوسف الخزاعي (ت ٢٣٩) وَسَمِعَ من سحنون (ت ٢٤٠)، ثم سار وشيكا إلى المشرق وقصد بغداد فأخذ عن نَفَرٍ من علمائها وَلَقِيَ نَفَرًا من أَدبَائِهَا. ويبدو أَنَّهُ تَكَسَّبَ في بغداد بالشعر.

وفي سَنَةِ ٢٧٤ (٨٨٧ م) نَجِدُ بكر بن حماد ثانية في القيروان يتصدَّرُ لتدريس العلم والأدب. ويبدو أَنَّهُ اِهْتَمَّه الأَوَّلُ كان التَكَسُّبُ بالشعر: مَدَحَ الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلي (٢٦١ - ٢٩٨ هـ)، وكان طاعية سفاكا للدماء، ومَدَحَ أحمد بن سفيان بن سودة. وكان بكر بن حماد يتردَّدُ في أثناء ذلك على بلده تاهرت، وقد اشترك في الفتن التي تَبَيَّثُ سَنَةَ ٢٨٢ (٨٩٥ م) على أبي يوسف بن محمد سادس الأئمة الرُّسُمِيِّينَ في دُوَيْلَةِ بني رُسْتَمٍ في تاهرت.

وَوَشَّى بعضهم ببكر بن حماد إلى الأمير إبراهيم بن أحمد، فغادر بكر القيروان راجعا إلى تاهرت - وكان مَعَهُ ابْنُهُ عبد الرحمن - سَنَةَ ٢٩٥ (٩٠٧ م). وفي أثناء الطريق خَرَجَ عَلَيْهِ اللصوص، قُرْبَ قلعة ابن حمة (شمال تاهرت)، فَقَتِلَ ابْنُهُ عبد الرحمن وَجُرِحَ هو جراحًا أَوْدَتْ به بُعِيدَ ذلك في شَوَّالٍ من سَنَةِ ٢٩٦ (صيف ٩٠٩ م)، ودفن في داره في آرشقول بجوفي (جنوبي) مدينة تيهرت.

(١) ولكنَّ الحزن ينفضي مع مرور الأيام.

٢ - يبدو أن بكر بن حجاج كان رجلاً متقلب الهوى مثل معظم الذين يتكسبون بالشعر: هجا عمران بن حطان الخارجي (ت ٨٤ هـ) لأن عمران كان قد أثنى على عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل الإمام علياً، وهجا المعتصم العباسي وقال فيه « فليس له دينٌ وليس له لبٌّ » (عقل). ثم عاد فمدح المعتصم وحرّضه على دغيل الخزاعي الشيعي. وثار على الإمام الإباضي أبي حاتم يوسف بن محمد الرُستمي ثم عاد فاعتذر إليه.

وكان من المشتغلين بالحديث؛ ولكن شهرته إنما هي في الشعر. وهو شاعرٌ مُجيدٌ متفننٌ في أبواب الشعر متين السبك حسن الديباجة سهل التراكيب فصيح الألفاظ يُجيد في القصائد الطوال وفي المقطعات. وفنون شعره المديحُ والعتابُ والهجاء والرثاء والوصف والفزل والزهد.

٣ - مختارات من شعره

قال بكر بن حجاج يعتذر إلى أبي حاتم يوسف بن محمد الرستمي عن اشتراكه في الفتنة التي ثارت على أبي حاتم:

ومؤنبه لي بالعراق تركتها	وغصنُ شباي في الفصون نضير.
فقلت، كما قال النواصي قبلها:	(عزيزُ علينا أن نراك تسي) (١).
فقلت: جفاني يوسف بن محمد؛	فطال عليّ الليل وهو قصير (٢).
أبا حاتم، ما كان ما كان بُغضة،	ولكن أتت بعدَ الأمور أمور (٣).
وأكرهني قومٌ خشيْتُ عقابهم	فدائرتهم، والدائراتُ تدور (٤).
وأكرم عفو يؤثر الناسُ أمره	إذا ما عفا الإنسانُ هو قديرا

(١) النواصي: أبو نواس الشاعر. الشطر المضمّن من قصيدة لأبي نواس يمدح بها الحبيب عامل مصر في أيام هرون الرشيد.

(٢) جفاني: مال عني، تركني، أهملني. طال عليّ الليل: أهمني، أحرمني.

(٣) ما الأولى حرف نفي، والثانية اسم موصول = لم يكن الذي كان (حدث). بغضة: كرها بك. أنت بعد الأمور أمور: تقلبت الأحوال كثيراً.

(٤) الدائرات تدور: الأحوال تتبدل (وتأتي بالمصائب).

- وقال في الغزل والنسيب:

خُلِقْنَ الغواني للرجالِ بَلِيَّةً، فَهُنَّ موالينا ونَحْنُ عبيدُها.
إذا ما أَرَدْنَا الوردَ في غيرِ حَبْنِهِ أَتَنَّا بِهِ في كُلِّ حينٍ خُدودُها.
- وقال بصف البرد في مدينة تاهرت:

ما أَخْشَنَ البردَ ورَبَعانَهُ وأطرفَ الشمسَ بتاهرتِ
تبدو من الغيمِ إذا ما بَدَتْ كأنَّها تُنْشَرُ من ثَخَتِ^(١).
فنحن في بحرٍ بلا نُجَجٍ تجري بنا الريح على السَمَتِ^(٢).
نفرحُ بالشمس إذا ما بَدَتْ كَفَرَحَةِ الذِّمِّيِّ بالسَّبْتِ^(٣).
- وقال يمدح أحد بن سفيان: (الحلَّة السراء ١: ١٨٣):

وقائِلِي: زارَ الملوك فلم يُفِدْ؛ فيا ليتَه زارَ ابنَ سُفيانَ أحمدا^(٤).
فَنَقَى بِنُحْطُ المَالِ الذي هو رَبُّهُ ويُرْضِي العوالي والحُسامَ المُهَنِّدا^(٥).
- وقال يرثي ابنه عبد الرحمن:

وهوَنَ وَجَدِي أَنِّي بِكَ لاحِقٌ وأن بَقائي في الحياة قليلُ،
وأن ليس يبقَى للحبيبِ حبيبُهُ، وليسَ بباقي للخليل خليلُ.
ولو أن طولَ الحُزْنِ مَما يَرُدُّه لَلازمي حزن عليك طويل^(٦).

-
- (١) التخت: صوان (صندوق) الثياب. - كأنَّ الغم ثياب جديدة (تستخرج من صندوقها لأوَّلَ مرَّةٍ): تنشر في السَّادِ.
- (٢) حيناً يظني الضباب تاهرت ويمعها نصبح كأننا في بحر هادئ (بلا أمواج) أو لا يفرق أحد فيه (بلا فجأة: معطوف الملام). تجري بنا الريح (كأننا تجري بنا الريح) على السمت: في خطٍّ مستقيم (سير دائماً في اتجاه واحد لا نستطيع أن نتَّجه يميناً أو يساراً لأننا لا نرى حولنا شيئاً نقصده أو نهتدي به).
- (٣) الذِّمِّي: غير المسلم إذا كان يعيش في الدولة الإسلامية (هنا: اليهودي).
- (٤) لم يَفِدْ: لم يستغفِر، لم يحصل على عاقبة.
- (٥) رَبُّه = ربُّ المال: صاحبه، مالكه. العوالي: الرماح (العالية نصل حديد في أعلى الفئدة أو القنصة، في أعلى الرمح). الحسام المهنَّد: السيف المصنوع في الهند (السيف الجيِّد، الذي ينتصر الحارب به).
- (٦) مَما يَرُدُّه = يردُّ المِيت (يسكون الهاء: الذي مات).

- ٤ - الدرّ الوقاد من شعر بكر بن حاد (تقديم وجمع وشرح محمد بن رمضان شادي) مستفاد بالجزائر (المطبعة العلوية) ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م.
- * * الحلقة السراء ١: ١٧٣ - ١٧٤، ١٨٣، وفيات ابن قنفذ ١٥٤ راجع فهارس * طبقات علماء أفريقيا والمغرب ١٠ ابن عذاري ١: ١٥٣ - ١٥٤ رياض النفوس ٢: ١٦ - ١١٩ معالم الإيمان للدباغ ٢: ١٩٢ الأزهار الرياضية ٧٠ وما بعد: تاريخ الأدب الأندلسي ١٧٢ تاريخ الجزائر العام ٢: ٣١ الطمار ٣٢ وما بعد: مجلة العربي، نيسان ٦٣ (ص ٧٨). الأعلام للزركلي ٢: ٣٧ (٦٣).

أبو اليسر الشيباني

هو أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني المعروف بالرياضي، كان مولده في بغداد سنة ٢٠٠ (٨١٥ - ٨١٦ م) وسمع فيها الحديث والفقه والنحو. وقد لقي في بغداد أيضاً نفراً كثيرين من أهل العلم والأدب منهم ابن قتيبة (ت ٣٢٢) وأبو ثام (ت ٢٣١) ودعبل الخزاعي (ت ٢٤٦) وعلي بن الجهم (ت ٢٤٩) وسعيد بن حميد الكاتب (ت ٢٥٠) والمجاحظ (ت ٢٥٥) وسليمان بن وهب الكاتب (ت ٢٧٢) وأحمد بن أبي طاهر طيفور المؤدب الكاتب (ت ٢٨٠) والبحري (ت ٢٨٤) ومحمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦) وثعلب إمام الكوفيين في النحو واللفظ (ت ٢٩١).

وبعد أن تطوّف أبو اليسر في المشرق كثيراً انتقل إلى المغرب في أيام أمير القيروان إبراهيم بن أحمد بن محمد الأغلب (٢٦١ - ٢٨٩ هـ) وكتب له. ثم كتب لابنه أبي العباس عبد الله (٢٨٩ - ٢٩٠). وكان في أيام زيادة الله آخر الأمراء الأغالبة (٢٩٠ - ٣٠٤ هـ) على بيت الحكمة. في هذه الأثناء كلها كثر تطوّف أبي اليسر في المغرب والأندلس. وقد كانت وفاته بالقيروان. سنة ٢٩٨ (٩١٠ - ٢٩٠ م)، وقد أسن كثيراً.

كان أبو اليسر الشيباني جيل الخلق نزية النفس، عالماً أديباً شاعراً كاتباً ومترسلاً بليغاً ومشاركاً في كثير من فنون العلم والأدب حسن الخط حسن التأليف، آلف من الكتب: سراج الهدى (في القرآن ومشكلة وإعرابه) - لقيط المرجان - المرسعة

- المَدْبِجَة - المُنْوَسة - الوحيدة - قُطِب الأدب. وهو الذي أدخل إلى أفريقيا رَسَائِلَ المُحَدِّثِينَ وَأَشْعارَهُمْ وطرائقَ أخبارِهِمْ.

* التكملة ١٧٣، نفع الطيب ٣: ١٣٤ - ١٣٥، الأعلام للزركلي ١: ٢٢ (٢٨).

مقدم بن معافى القبري

١ - هو مُقَدِّمُ بن مُعافَى القَبْرِيّ، نسبةً إلى مدينة قَبْرَة (وعبرة كورة من أعمال قُرطبة قَصَبَتْهَا أو عاصمتها قَبْرَة أيضاً). نَعْرِفُ من أحداثِ حياته أَنَّهُ كان شاعراً بَلَّاطِيّاً في أيامِ الأمير عبد الله بن مُحَمَّدٍ (٣٧٥ - ٣٠٠ هـ). ولعلَّ مَوْلَدَهُ كان سَنَةَ ٣٢٥ (٨٤٠ م). أمَّا وفاته فكانت في حُدُودِ سَنَةِ ٢٩٩ (٩١٢ م). ولعلَّه كان ضريباً^(١).

٢ - يبدو أن مُقَدِّمَ بن مُعافَى كان شاعراً مَداحاً، اتَّصل بِبَلَّاطِ قُرطبة أيامَ الأمير عبد الله، كما مدح سعيد بن سُلَيْمان بن جُودِيٍّ (ت ٣٨٤ = ٩٩٤ م)، الذي كان فارساً شاعراً. وكذلك مدح سعيد بن المُبَذَّر بن سعيد البلوطي. غير أن أهمَّ ما يتعلَّقُ بخصائص مُقَدِّمِ هذا أن مؤرخي الأدب يَنْسِبُون إليه اختراعَ الموشَح^(٢). غير أن موشحات مُقَدِّمِ لم تصل إلينا، ولا وصل إلينا من شعره إلا أبياتٌ يسيرة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال مُقَدِّمُ بن مُعافَى يرثي سَعِيدَ بن جُودِيٍّ (نفع الطيب ٣: ٥٣٨):

من ذا الذي يُطِئُ أو يَكُوءُ	وقد حَوَى حِلْفَ التَّنْدى رَمْسُ؟
لا أَخْضَرَتِ الأَرْضُ، ولا أَوْرَقَ الـ	حُودُ، ولا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ
بعدَ ابنِ جُودِيٍّ الذي لَن تَرى	أَكْرَمَ مِنْهُ الجِنُّ وَالإِنْسُ.
دموعُ عيني في سبيلِ الأُمى	على سعيدٍ أبداً حُبْسُ.

(١) بروكلمان، الملحق ١: ٤٧٧.

(٢) راجع، تحت، الكلام على الموشح. لم نفع الطيب ٧: ٥ - ٦ (عن مقدمة ابن خلدون) ينسب ابن سَلم (الذخيرة) اختراع الموشح إلى رجل ضريب من قَبْرَة اسمه مُحَمَّد بن حَمُود أو مُحَمَّد.

- وله قصيدة أوَّها :

أشجيت إن طربت حامة وادي ميادة في ناعر مباد
تلهو وما مئيت بجفوة زئيب يوماً، ولا بجبالها المغناد
لا ترج - إذ سلبت فؤادك زئيب - عيشاً، فما عيش بغير فؤاد!

- قبل لمقدم بن معاوية: أترثني سعيد بن جودي وقد ضربك؟ فقال:

والله، إنه نفعني حتى بذنوبه. ولقد نهاني ذلك الأدب (القصاص، العقاب) عن
مضار جنة كنت أقع فيها على رأسي، أفلا أرعى له ذلك؟ والله، ما ضربني إلا وأنا
ظالم له، أفتأبى على ظلمي له بعد موته؟

وقيل له: لم لا تهجو مؤمن بن سعيد؟ فقال:

لا أهجو من لو هجا النجوم ما اعتدى أحداً بها!

٤ - * * الحلقة السراء ١: ١٥٦ جذوة المنتسب ١٣٣٣ بغية المنتسب ٣٦٠ - ٣٦١ (رقم
١٣٨٦) نفع الطب ٣: ٥٣٨، ٧: ٦.

الأمير عبد الله بن محمد

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، واسم أمه بهار. كان مولده
في نصف ربيع الآخر من سنة ٢٢٩ (١٢ / ١١ / ٨٤٣ م).

بُويع عبد الله في نصف صفر من سنة ٢٧٥ (٢٩ / ٤ / ٨٨٨ م)، والأندلس في
أحلك أيامها لكثرة الفتن، فلقد بلغت فتنة ابن حفصون في عهده ذروة اشتدادها.
وكان أنصار ابن حفصون يصلون في غاراتهم إلى أخوار قرطبة. وكذلك استبد بنو
حجاج وبنو خلدون ببطنطقي إشبيلية وقرمونة كما استبد آل نجيب بـسرقسطة وما
حولها (في الشمال) وبنو ذي النون بطليطلة.

وفي أيامه نبعت الدولة الفاطمية في القيروان، وكانت دولة منوثة للأمويين في
الأندلس.

وَكثُرَتْ غَارَاتُ الْإِسْبَانِ عَلَى أَطْرَافِ الْبِلَادِ فَقَامَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بِغَزَوَاتٍ كَثِيرَةٍ إِلَى بِلَادِ الْإِسْبَانِ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْغَزَوَاتُ كَانَتْ ضَعِيفَةً الْأَثَرِ.

وكان أشد ما لقيهُ الأميرُ عبدُ الله فسادُ قلوبِ إخوته وأبنائه عليه حتَّى بَلَغَتْ المرأةُ بهم إلى أن تَأْمُرُوا عليه. فَلَمَّا عَرَفَ ذَلِكَ قَتَلَ نَفَرًا مِنْهُمْ. ثُمَّ لَمْ يَجِدِ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ أَحَدًا مِنْ إِخْوَتِهِ وَأَبْنَائِهِ الْبَاقِينَ يَصْلُحُ لِلإِمَارَةِ فَبَاعَ بِالْإِمَارَةِ الْحَفِيدَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَقْتُولِ (الَّذِي أَصْبَحَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ).

وكانت وفاة الأمير عبد الله في مُسْتَهْلَ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٣٠٠ (١١٦ / ١٠ / ٩١٢ م).

٢ - كَانَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ شَاعِرًا مَطْبُوعًا لَهُ أَشْعَارٌ حِسَانٌ فِي الْغَزْلِ وَالزُّهْدِ وَشِئْءٍ مِنَ التَّوْقِيعِ وَالرِّسَالِ.

٣ - الْخِتَارُ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي صَبَاءٍ يَتَغَزَّلُ:

وَيَلِي عَلَى شَادِنٍ كَحِيلٍ فِي مِثْلِهِ يُخْلَعُ الْعِذَارُ^(١).
كَأَنَّا وَجَنَتْ سَاءَ وَرْدُ خَالِطَةُ النَّوْرِ وَالْبَهَارِ^(٢).
قَضِيبُ بَانٍ إِذَا تَتَنَّى يُدِيرُ طَرْفًا بِهِ أَحْوَارِ^(٣).
فَصَفَوْ وَدِّي عَلَيْهِ وَقَفَ مَا أَطْرَدَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارِ^(٤).

- وَقَالَ فِي الْغَزْلِ أَيْضًا:

يَا مُهْجَةَ الْمُشْتَاكِ، مَا أَوْجَعَكَ! وَيَا أَسِيرَ الْحُبِّ، مَا أَخْشَعَكَ^(٥)!

(١) الشادن: الغزال الصغير. الكحيل: الذي تكثف رموش عينه فتبدو أطراف جفونه سوداء.

(٢) النور (يفتح النون) الزهر الأبيض. النهار: الزهر الأصفر.

(٣) البان شجر أغصانه شديدة الاستقامة والطول. تنى: قابل. الأحوار أو الحور أن يكون بياض العين شديد البياض وسوادها شديد السواد.

(٤) أطرد: تابع واستمر.

(٥) المهجة: دم القلب، القلب. نا أخشعك: ما أكثر خضوعك وطاعتك للمحبوب.

ويا رسولَ المينِ من لَحْظِهَا بالرَدِّ والتبليغِ ما أَسْرَعَكَ
تَذَقُّبُ بالسُّرِّ وتَأَنِّي به في مجلسٍ يحضِي على مَنْ مَعَكَ
كَمْ حَاجَةً أَهْجَزَتْ إِبْرَارَهَا تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ، مَا أَطْوَعَكَ
- وله في الزهد:

يَا مَنْ يُرَوِّغُهُ الْأَجَلَ، حَتَّى مَ يُلْهِيكَ الْأَمَلَ^(١)؟
حَتَّى مَ لَا تَحْشَى الرَّدَى وَكَأَنَّهُ بِكَ قَدْ نَزَلَ^(٢)؟
أَغْفَلْتَ عَنْ طَلَبِ النِّجَا، وَلَا نَجَاةَ لِمَنْ غَفَلَ؟
هِيَهَاتَ تَشْغُلُكَ النَّسَى، وَلَمْ يَدُومَ بِكَ الشُّغْلُ^(٣)؟
فَكُلَّ أَنْ يَوْمَكَ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ نَفْيَكَ لَمْ يَزَلْ^(٤).

- وأذنب بعضُ موالِي الأميرِ عبدِ الله يوماً فقال له الأميرُ عبدُ الله (ابن عذارى
٢ : ١٥٤) : إِنَّ مَخَايِلَ الْأُمُورِ لَتَنْدُلُ عَلَى خِلَافِ قَوْلِكَ وَتُنْسِي عَنْ بَاطِلِ تَنْصَلُّكَ^(٥).
ولو أَفْرَزْتَ بِذَنْبِكَ وَاسْتَغْفَرْتَ لِحُرْمَتِكَ لَكَانَ أَجَلَكَ بِكَ وَأَسَدَلُ لِسَرِّ الْعَفْوِ
عَلَيْكَ^(٦).

فقال له المذنبُ: قدِ اشتمَلَ الذنبُ عَلَيَّ وحقَّ الخطأُ بي^(٧). وإِنَّا أَنَا بَشَرٌ، وما
يقومُ لي عُذْرٌ.

فردَّ عليه الأميرُ عبدُ الله: مَهْلًا عَلَيْكَ، رُوَيْدًا بِكَ. تَقَدَّمْتَ لَكَ خِدْمَةٌ وَتَأَخَّرْتَ
لَكَ تَوْبَةٌ، وما للذنبِ بَيْنَهَا مَدْخَلٌ. وَقَدْ وَسِعَكَ الْغُفْرَانُ^(٨).

(١) رَوِّغَهُ: دَاوَرَهُ، يَدُومُ مُبْتَدَأُ عَنْكَ مَ يَقْتَرِبُ وَهَالِكُ.

(٢) الرَّدَى: المَوْتَ. وَكَأَنَّهُ قَدْ نَزَلَ: سَيَزُلُ عَمَّا قَرِيبَ جَدًّا.

(٣) إِنَّ الْأَمَانِيَّ الكَذَابَةَ تَسِيكُ المَوْتَ، فَلِهَذَا يَدُومُ اشْتِغَالُكَ بِالْأَمَانِيِّ الكَذَابَةِ؟ الشُّغْلُ (يَفْتَحُ فَتْحَ أَوْ يَضُمُّ قَضَمًا).

(٤) كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ (أَنْتَ حَيٌّ فِيهِ) لَمْ يَأْتِ، وَكَأَنَّكَ لَا تَرَاهُ مُهْدَدًا بِالمَوْتِ.

(٥) مَخَايِلُ (جَمْعُ مَخِيلَةٍ بِفَتْحِ المِ وَكسْرِ المَاءِ): دَلَالَتٌ، عِلَامَاتٌ. تَنْصَلُّ مِنَ الذَّنْبِ: أَطْهَرَ أَنَّهُ يَرِيهِ مَعَهُ

(٦) المَجْرَمُ: الذَّنْبُ الكَبِيرُ. أَجَلَ بِكَ: أَلْبَقِيَ بِكَ وَأَحْسَنَ لَكَ. أَسَدَلُ (فَعْلٌ تَفْضِيلٌ) (٧) حَاقَ: أَحَاطَ (٨)

تَقَدَّمْتَ لَكَ خِدْمَةٌ (اهْتَمَّ بِأَمُورِنَا) وَتَأَخَّرْتَ لَكَ تَوْبَةٌ (لَقَدْ تَبَّتَ آخِرُهَا): قَدْ وَسِعَكَ الْغُفْرَانُ: غَفَرْنَا لَكَ!

- وأُملي الأمير عبد الله (على بعض كُتّابه) كتاباً إلى بعض عمّاله :

أما بعد، فلو كان نَظَرُكَ فيها خَصَصْنَاكَ بهِ واحتياكَك بهِ على حَسَبِ مُوَاتَرَتِكَ^(١) بالكَتُبِ واشتغالِكَ بذلك عن مُهمِّ أَمْرِكَ لَكُنْتُ من أَحْسَنِ رِجَالِنَا غِنَاءً^(٢) وَأَتَمَّهُمْ نَظَرًا وَأَفْضَلِهِمْ حَزْمًا. فَأَقْلَلْ من الكُتُبِ فيما لا وَجْهَ له ولا نَفْعَ فيه، وَأَصْرَفْ هِمَّتَكَ وَفِكْرَتَكَ وَعِيَايَتَكَ إلى ما يَبْدُو فيه أَكْنَعَاؤُكَ وَيَظْهَرُ فيه غِنَاؤُكَ^(٣)، إِنْ شَاءَ اللهُ.

١ - * * * المقتبس ١٩٥ - ١٢٠٠ : الحلة السراء ١٦٠ : ١٢٤ - البيان المغرب ١٥٢ : ٢
نفع الطيب ١ : ٣٥٢ - ١٣٥٣ دائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٤٩ نيكل
٢١ - ١٢٢ : الأعلام للزركلي ٤ : ٢٦٢ (١١٩).

محمّد بن عاصم النحوي

هو أبو عبد الله محمد بن عاصم^(١) (وقيل محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد) القرطبي النحوي المعروف باسم الأقتنين (أو غسطين)، مولى الأمير المنذر بن محمد (ولمعه دخل الإسلام على يديّهِ).

رَحَلَ محمد بن عاصم إلى المشرق وزار الشامَ والعِراقَ وأخذ عن نَفَرٍ من عُلَمَائِهَا، وَأَنْتَسَخَ «الكتاب» (كتابَ سِيَبَوَيْهِ، في النحو) من نُسخةٍ سِيَبَوَيْهِ نَفْسِهَا وأخذ الكتابَ بالرواية عن سِيَبَوَيْهِ نَفْسَهُ. وهو نَحْوِيٌّ مشهورٌ لم يُقَصِّرْ في علم النحو عن أصحابِ محمدِ آبنِ يزيدَ المَبرِّدِ^(٢). ثم هو مُصَنِّفٌ له: طبقات الكتاب بالأندلس - شواهد الحكم - الموقّق - الرائق - فضائل المستبصرة. وكانت وفاته في رَجَبٍ من سَنَةِ ٣٠٧ (مطلع ٩٢٠ م).

(١) لو كان اهتمامك بما جعلنا الأمر فيه لك وحدك واهتمامك (إسراعك) في تنعيذه على حسب (مقدار) مواترتك (مناجيتك، مولاتك، إكثارك) من الكتب (الرسائل إلينا).....

(٢) العناية (بالعين المهملة): نصب، اهتمام.

(٣) الغناء (بفتح الغين): الدفع.

(٤) راجع نفع الطيب ٣ : ١٧٤ - ١٧٥.

(٥) راجع تاريخ الأدب العربي للمؤلف ٢ : ٣٥٤.

★ الزبيدي ١٣٠٥ ابن العريض ١٣١٢: حذوة المفتيس ٨٢٠٧٤ (الدار المصرية) ٧٩ - ٨٠
(رقم ١٢٢) بنية الملتس ١١٦١٠٧ (رقم ٢٤٣، ٢٦٨)؛ إنباه الرواة ٢١٦٣ (الوافي
بالوفيات ٩٠: ٩١ - بنية الوعاة ١٠٨ - ١٠٩).

عبد الله المكفوف النحوي

هو أبو محمد عبد الله بن محمد (وقيل: محمود) النحوي القيرواني من أهل سرت
أدرك أبا الوليد عبد الملك بن قطن المهري (ت ٢٥٦ هـ) وأخذ عنه. ثم صحب
حذونا النحوي (أبا عبد الله محمد بن إسماعيل) القيرواني المغربي الإفريقي المعروف
بالنخعة (يبدو أن وفاته كانت بعد سنة ٢٠٠ هـ). ثم عظم مكانة عبد الله
المكفوف فقصده الطلاب من أهل إفريقية (تونس) ومن المغرب. وكانت وفاته سنة
٣٠٨ (٩٢٠ - ٩٢١ م).

كان عبد الله المكفوف قوي الذاكرة جداً عالماً بغريب اللغة وبالنحو والشعر
وأخبار العرب. وله كتاب «العروض» (وهو من أفضل ما وضع في هذا الفن) ثم
كتاب آخر في «صفة أبي زيد الطائي» (ت ٦٢ هـ). وله أيضاً أشعار فساند
وأراجيز.

★ الزبيدي ٢٥٧ - ٢٥٩ نكت الحميان ١٨٤ - ١٨٥ إنباه الرواة ٢: ١٤٧ - ١٤٩
بنية الوعاة ١٢٩٠ البلغة في تاريخ أئمة اللغة ١١٢ - ١١٣.

أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي

١ - هو أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن أبي عاصم اللؤلؤي، ولد في القيروان،
سنة ٢٧٢ (٨٨٥ - ٨٨٦ م). وكان اللؤلؤي كثير الملازمة لأبي محمد المكفوف النحوي
(ت ٣٠٨) كثير الأخذ عنه. مات كهلاً سنة ٣١٨ (٩٣٠ م).

٢ - كان اللؤلؤي من نخبة القيروان ومن العلماء النقاد في اللغة والنحو
والحفظ والمقدرة في شرح دواوين العرب. وكان شاعراً مجيداً سهل القول للشعر
كثير الطبع على أشعار القدماء. ولم يمدح أحداً تكسباً، إذ كان أبوه مؤبراً (الوافي

بالبقيات ٦: ١٩٨). ثم إنه، في آخر عمره، ترك الشعر وتفرغ على الحديث والفن.
وكان مؤلفاً له كتاب الضاد والطاء.

٣- مختارات من شعره:

- قال أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي في النسيب، وعلى شعره هذا نفحة من نفس
أمرى النفس:

أيا طلل الحمر الذي تحملوا بوادي الغضا، كيف الأجة والحال؟
وكيف قضيب البان والقمر الذي بوجنته ماء الملاحه سبال؟
كان لم تدّر ما بيننا ذهبيّة عيرته الأنفاس عذراء بلسال؟
ولم أتوسّد ناعماً بطن كفه ولم يخو جفينا مع الليل يربال؟
فبانّت به عني - ولم أذر - بفتة طوارق هذا البين، والبين قتال؟
فلما استقلت طعنهم وحدوهم دعوت، ودمع العين في الحد هطال؟
سقيت نجيع السم إن كان ذا الذي تحدّته الواشون عني كما قالوا؟
- وله من النسيب الرقيق أيضاً:

لا تقتل الصبّ فما حلّ لك، يا مالكا أسرف في ما منك!

١- * * الزبيدي ٢٦٥-٢٦٦؛ إنباه الرواة ٢٧٠: ٢٧٨- الوافي بالبقيات ٦: ١٩٩؛
معجم الأدباء ٢: ٢١٨- ٢٢٤؛ بغية الوعاة ١: ١٢٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٨١ (٨٥).

- (١) الطلل: أثر الخيمة بعد تفويضها. تحملوا: رحلوا. وادي الغضا في الحجاز (وهو يستعمل مرأى عن
سكن الأحة).
- (٢) قضيب البان: كناية عن القامة الرشيدة (المرأة المسيلة). وفي رواية: يختال مكان سيال.
- (٣) ذهبيّة خمر: عيرية. طيبة الرائحة. عذراء (من وعاء للخمر فتح لأول مرة). سلسل ولسال: ماردة
سلة الحمري في الحلق.
- (٤) سربال: كساء طويل (حما الليل في لباس واحد: قريباً بعضاً من بعض).
- (٥) بان: ابتعد. البين: البعاد. الطارقة: الحادثة المفاجئة.
- (٦) الطمن: الحمولة (الثافة) تسافر عليها امرأة. الحجج: (شبه بيت لحمه الإبل. استقلّ الطمن: رحلوا).
- (٧) في الأصل: نجيع (دم) وهو خطأ. اقرأ: نقيع (ناقم، منقوع) مركّز، شديد (سم قاتل بسرعة)
وفي الوافي بالبقيات ٦: ١٩٩.

حرمت منك إن كان ذا الذي تفوكـــــــــــــــــه الواشون عني كما قالوا.

هذا البيت الأخير نضمنه للقاضي عبد الله بن محمد الملقب ابن أخت علوبة.

أبو الأصغ موسى بن محمد

١- هو أبو الأصغ موسى بن محمد بن سعيد بن موسى، لعل مولده كان نحو سنة ٢٥٠ (٨٦٤م). تولى أبو الأصغ خطه القطع (جباية الأموال من المقاطعات التي يستبد بها نفر متنفذون أو ثائرون) للأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) ثم تقلب في عدد من المناصب. ولما جاء الأمير عبد الرحمن بن محمد إلى العرش جعل أبا الأصغ وزيراً له. ثم ولّاه الحجابة، سنة ٣٠٩ (٩٢١م).

وكانت وفاة أبي الأصغ موسى بن محمد في منتصف صفر من سنة ٣٢٠ (٩٣٢/٣/٢٦م).
٢- أبو الأصغ موسى بن محمد من أهل العلم والأدب والشعر، يقول الشعر روية وبديهة. وكان حسن التحديث في الجدل والمزمل. وشعره كثير المعاني سهل عذب. وأبرز فنونه الأدب والوصف.
٣- مختارات من آثاره:

- جرى ذكر الشيب وذمه في مجلس للأمير عبد الله - وكان يكره الشيب - فسال عن أحسن ما يُروى في هذا الباب، فقال له أبو الأصغ: أحسن ما قيل فيه عندي - في رأيي - قول الأوّل [أي قول شاعر قديم]:

أقول لضيف الشيب، إذ حلّ مفروني: نصيبك مني جفوة وقطوب.
حرامّ علينا أن نتالك عندنا كرامة برّ أو يمسك طيب!

فاستحسن الأمير عبد الله البيتين وأمر أبا الأصغ أن يزيد فيها. فراد عليها أبو الأصغ في المجلس نفسه أبياتاً هي:

فيا سرّ ضيف حلّ في! وحلوله يُخبرني أن المات قريب،
وأنّ جديدي كلّ يوم إلى بلى وأنّي من ثوب الثياب سليب^(١).
فما طيب عيش المرء إلاّ تنابّه! وليس إذا ما بان عنه نطيب.
سأقرّيك، باضيف المشب، قري القلى فما لك عندي في سواه نصيب^(٢).

(١) البلى: التهرؤ، الغناء. سلب: سلب. ثوب طيب (ثوب خلعه صاحبه عنه).

(٢) القرى (بكر الفاء): الضيافة. القلى: البص. سأقرّيك (سأطمنك) قري القلى: لن أكرمك.

وأبكي على ما قد مضى من سيبتي بكاءً مُحبًّا قد جفاه حبيب.

٤ - * * الحلة السراء ٢٣٢: ١ - ٢٣٧.

يزيدُ الفصيح

١- هو أبو خالد يزيد بن طَلْحَةَ العَبْسِيُّ المعروف بالفصيح من أهل إشبيلية، أخذ عن الحنصِبِ الكَلْبِيِّ اللُّغَوِيِّ وعن مُحَمَّد بن عبد السلام الحَنَفِيِّ (ت ٢٨٦) ومُحَمَّد بن عبد الله بن الغازي (ت ٢٩٦). وزاد الغرضي أنه سَمِعَ من مُحَمَّد بن أَحَدِ العُتْبِيِّ ومُجِيبِ بن إبراهيم بن مَرْزَن (رقم ١٦٠٨) وذلك مُتَّبَعًا لِأَنَّ العُتْبِيَّ تُوُفِّيَ سَنَةَ ٢٥٥.

وكان ليزيدَ الفصيح إبراهيم بن حجاج اللُّخْمِيُّ المُتَنَبِّدُ بِحُكْمِ إشبيلية وقَرْمُونَةَ صِلَةً شَخْصِيَّةً (راجع الزبيدي ٢٩٤) ثم صِلَةً رَسْمِيَّةً فِي الْأَعْلَبِ حَتَّى يَكْتَسِبَ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ قَرْمُونَةَ (أَوْ قَرْمُونِيَّةً) يَحْضُرُهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ لِسُلْطَةِ إِبْرَاهِيمَ بنِ الْحَجَّاجِ. وكانت وفاة يزيدَ الفصيح سَنَةَ ٣٢٠ (٩٣٢ م).

٢- كان يزيدُ الفصيحُ بارعاً في اللغة والنحو والفقه ومشهوراً بالفصاحة والبلاغة والخطابة. وله نثر وشعر من الشعر.

٣- مختارات من آثاره

- قال يزيدُ بنُ طَلْحَةَ العَبْسِيُّ الفصيحُ:

إِنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ مِنْ جِهَةِ الْمُنَاقَبَةِ، وَلَكِنْ مِنْ جِهَةِ الْإِنْصَافِ وَالْحَقِيقَةِ.

- وكتب إلى أهل قَرْمُونَةَ (على لسان إبراهيم بن حجاج!) يَحْضُرُهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ:

إِنَّ أَحَقَّ مَا رَجَعَ إِلَيْهِ الْعَالُونَ وَلَحِقَ بِهِ التَّالُونَ، وَأَثَرُهُ الْمُؤْمِنُونَ وَتَعَاظَاهُ^(١) بَيْنَهُمُ الْمُسْلِمُونَ - مِمَّا ساءَ وَسَرَّ وَنَفَعَ وَضَرَّ - مَا أَصْبَحَ بِهِ الشَّمْلُ مُلْتَمِثًا وَالْأَمْرُ مُنْتَظًا، وَالسِّيفُ

(١) العالون: المغالون، المتطرفون؛ والأعْلَبُ أن معناها هنا: السابقون (الذين قبلوا). التالون: الذين يأتون بعد غيرهم. أثره: فضله. تعاطاه المسلمون: تعاملوا به فيما بينهم.

معمود ورواق الأمن معمود^(١). وليس من ذلك شيء أولى، بإحراز الثواب ولا أخرى، من الدخول في الطاعة وترك الشؤذ عن الأئمة^(٢). قال الله نَرْغَبُ الْمَعُونَةَ عَلَى أَحْسَنِ بَصَائِرِنَا فِي وَهْيِ يَرْقُمُهُ وَشَعْبٌ يَلَامُهُ وَيَلْكُ يَنْظِمُهُ^(٣)، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا حَضَضْنَاكُمْ عَلَيْهِ مِنْ اجْتِنَاعِ الْإِلْفِ وَالِدُخُولِ فِي الطَّاعَةِ اخْتِبَارًا! يَصِلُ مِنْهُ لَنَا (اقرأ: إلينا) خَيْرُ الدَّارَيْنِ^(٤) وَيُحْمَلُ عَنَّا فِيهِ حَقُّ الْخِلَافَةِ الْمَرْضِيَّةِ الَّتِي هِيَ مِنْ اللَّهِ صَلَاحٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ لِتَأْلِيفِ الشَّمْلِ وَحَقْنِ الدِّمَاءِ وَتَحْصِينِ الْفُرُوجِ وَالْأَمْوَالِ^(٥).

- وله:

فَأَلْبَسَنِي قُنَصًا مِنْ الْفَضْلِ وَالنَّدَى	وَأَلْبَسْتُهُ قُنَصَ الْبَدِيعِ مِنَ الثَّمَرِ ^(١)
رِيَاضًا وَخَلْبًا لَا يَزَالُ لِبَاسُهُ	مِنَ اللَّوْلُوهِ الْمَكْنُونِ وَالسُّنْدُسِ الْمُخْضَرِ ^(٢)
كَأَنَّ دَفِيقَتِ الْبَحْرِ بَعْضُ نَشِيدِهَا	وَلَكِنَّهَا دَقَّتْ فَجَلَّتْ عَنِ الْبَحْرِ ^(٣)
تَفَضَّلَ بِالْفَضْلِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ	وَأَذْرَكَ مَاءَ الْوَحْدِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْرِيَ ^(٤)

٤- * * الزبيدي ٢٩٤-٢٩٦ الغرضي رقم ١٦٠٨ بغية الوعاة ١٤١٧ البلغة في تاريخ أئمة اللغة ٢٨٤-٢٨٥ الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٧ (٨: ١٨٤).

- (١) والسيف معمود (الواو هنا واو الحال). عند السيف وأعمده فهو معمود ومعمود: وضعه و قرأه.
- (٢) الأئمة: أولى الأمر (الحكام).
- (٣) قال الله نَرْغَبُ... (في الحملة أحلال: كلأت مافصة). الوهي و الثوب: البغية الملهثة يرقمها (فاعلمها: اسم الحلالة: الله). الشعب: التقي. الكر: يلامه: يجمعه، يصلحه. السلك: الخط تجمع به الحرز. ينظمه: يسلط به الحرز على نظام منس. الإلف: الأليف (الواثق في المشرب والسلوك) اختاراً (٤).
- (٤) الدارين: الدنيا والآخرة.
- (٥) تحصين الفروج والأموال: حابة الأعراس والأموال.
- (٦) تفصل على مال فأعطيته بدل ذلك شراً جليلاً. هذا من قول أبي تمام: فما فاقني ما عنده من حياته ولا فاقه من فاخر الشعر ما عندي.
- (٧) السندس: نسيج رقيق من الذهب (الحرير). - ثياب (سندس) حمير.
- (٨) إنشاد هذه القصيدة يقول فعل البحر الدقيق (الحقي، البارع). ولكن هذه القصيدة كانت أرمع من البحر فجعلت أعظم وارتفعت فأصبحت بذلك أعمد فعلاً من البحر.
- (٩) أعطاني على صدره هو (أي كثيراً) قبل أن يجري ماء وجهي: قبل أن أدن نفسي بيوأله.

عصر الخلافة الأموية في قرطبة

كان الحكم الأموي في الأندلس، منذ تولى عبد الرحمن الداخل الإمارة في قرطبة سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م) إلى سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢ (١٠١٣ م)، يائسيتين وثلاثاً وعشرين سنة تنقسم أربع فترات ظاهرة:

فترة الأمراء المتوارثين (١٣٨ - ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م)

فترة ازدهار الخلافة (٣١٦ - ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م)

فترة استبداد المنصور بن أبي عامر (٣٦٦ - ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م)

فترة الفتنة (٣٩٢ - ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م)

تماقِبَ على العرش الأموي في الأندلس ثمانية أمراء من غير لَقَبٍ بالخِلافة، في مَدَى مِائَةٍ وَاثْنَيْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً ثَبَّتَ الْأُمَوِيُّونَ فِيهَا دَعَايِمَ مُلْكِهِمْ وَبَدَأَ فِي مُلْكِهِمْ هَذَا بَرُوزُ حَضَارَةٍ جَدِيدَةٍ فِي السِّيَاسَةِ وَفِي الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَةِ. وَكَانَتْ هَذِهِ الْقُوَّةُ النَّاشِئَةُ يُبْلِغُ مِنْهَا خَطَرٌ كَبِيرٌ عَلَى أَوْرُوقِيَّةٍ. فَاجْتَمَعَ الْإِفْرَنْجِيَّةُ وَالْبَابُوِيَّةُ عَلَى أَنْ يُهَيِّوُوا فِي الْأَنْدَلُسِ . حَرَكَةَ الْاسْتِخْفَافِ .، وَذَلِكَ أَنْ يَنْهَضَ شَخْصٌ نَصْرَانِيٌّ (رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ، أَوْ رَاهِبٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ) فِي مَجْمَعٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ عِنْدَ بَابٍ لِأَحَدِ الْمَسَاجِدِ فَيَشْتَمُ مُحَمَّدًا. ثَارَتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ الَّتِي كَانَ النَّصْرَانِيُّ يُسَمُّونها حَرَكَةَ الْإِسْتِشْهَادِ فِي أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ أَمَّا الْحُكْمُ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ). وَلَكِنَّ الْخَلِيفَةَ وَالْقَضَاةَ عَاجَلُوا هَذِهِ الْحَرَكَةَ بِحَكْمَةٍ فَلَمْ يَخْتَكُمُوا بِالْقَتْلِ عَلَى أَوْلَئِكَ الْمُسْتَحْقِّينَ. فَانْتَهَتْ تِلْكَ الْحَرَكَةُ لِأَنَّهَا لَمْ تُؤَدِّ إِلَى نَتِيجَةٍ عَمَلِيَّةٍ مِنَ الْفَوْضَى وَالْقَتْلِ.

ثم وَضَعَ الْإِفْرَنْجِيُّ وَالْبَابُوِيَّةُ فِي السَّاحَةِ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا يُسَمَّى نَفْسَهُ عُمَرَ بْنَ حَفْصُونِ

ويتظاهر بالإسلام فجمع حوله عدداً كبيراً من التاعمين وقاتل الدولة الأموية وكاد يصل إلى قرطبة نفسها. بدأت هذه الحركة في أيام محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) ثم استمرت في أيام المنذر ثم في أيام عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ). في هذه الحقب من الضعف والتنازع بين أمراء البيت الأموي رجع الأمير عبد الله إلى نفسه، ووجد أولاده غير صالحين لأن يخلفوه، فعهد بالأمر بعده إلى حفيد له هو عبد الرحمن بن محمد (وكان الأمير عبد الله قد قتل ابنه محمداً هذا) وهباً له مستشارين حازمين مُخلصين.

- وجاء عبد الرحمن بن محمد إلى العرش، سنة ٣٠٠ (٩١٢ م)، وعمره ثلاث وعشرون سنة، فاستطاع في مدى ست عشرة سنة أن يقضي على ثورة المسمى عمر بن حفصون وأن يعيد الأمن والنظام والهدنة إلى الأندلس. ثم رأى أن الخلافة العباسية قد ضعفت كثيراً في أيام المقتدر والمتضد والمرضى والفاهر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ). بالتنازع على العرش. ثم التفت شهلاً فإذا أوروبا تحكمها - شكلاً على الأقل - بابوية في عصر كان للحكم الديني وجهة في كل مكان. ففي أول ذي الحجة من سنة ٣١٦ (١٣ / ١ / ٩٢٩ م) نادى عبد الرحمن بن نفسه خليفة وتلقب «عبد الرحمن الناصر لدين الله»، فأصبحت إمارة الأمويين في قرطبة منذ ذلك اليوم خلافة.

وفي أيام عبد الرحمن الناصر بلغت الأندلس ذروة القوة والحضارة والوجاهة والسلطة حتى كادت تكفي نور بغداد وحتى كان الأمراء الإسبان النصارى يحتكمون إليه في خلافاتهم الداخلية (راجع، تحت: بناء الزهراء، ص ١٧٨).

- وتوفي عبد الرحمن الناصر، سنة ٣٥٠ (٩٦١ م)، بعد أن حكم حسين سنة، فخلعه ابنه الحكم المستنصر، وكان رجلاً كثير الاهتمام بالعلم والفلسفة جمع في بلاطه مكتبة قبل إنها ضمت أربعين ألف مجلد. ومع انصراف الحكم المستنصر عن شؤون الدولة فإن دولته عاشت قوة بفضل الهدنة التي كانت لها من أيام أبيه. ولكن ذلك كله فتح المجال لشيء من الاضطراب في شؤون الدولة ولشيء من الاستبداد بطمح إليه نفر من رجالها ولشيء من الجرأة، في الأعداء الداخلين والخارجيين، على

الثورة أو على الحرب.

كان للحكم المُتَنَصِّرِ مَحْظِيَّةً بُشْكِيَّةً اسْمُهَا أُرُورَا، وكان هو يُسَمِّيها صُبْحَ (ترجمة كلمة «أورورا») ويناديا «جَفَرُ» حَبِيباً. وقد رُزِقَ (٣٦٠ هـ) منها غُلاماً سَمَّاهُ هِشَاماً ثم جَعَلَهُ (سنة ٣٦٥ هـ) وَلِياً لِلْعَهْدِ.

رجال الدولة: غالب والمصحفي وأبن أبي عامر

كان غالبُ بنُ عبدِ الرحمن الصَّقْلِيِّ قائداً قديراً مُظَفَّراً حَتَّى سُمِّيَ «ذَا السِّفِينِ». وكان جعفرُ بنُ عُثْمَانَ المُصْحَفِيِّ كاتباً للحكم المُتَنَصِّرِ (حينما كان الحكم لا يزال وَلِياً للعهد) ثم أصبحَ وزيراً له. وكان مُحَمَّدُ بنُ أَبِي عامرٍ شاكِياً نَشِيطاً طَمَوحاً أَسْتَطَاعَ أن يَدْخُلَ في خِدمة الدولة باكرأ وأن يَتَّصِلَ بالبلاطِ ثم يَكُونُ ناظراً على أُملاك السيدة صُبْحَ.

هشام بن الحكم وبده الفتنة

تُوُفِيَ الحكمُ المُتَنَصِّرُ، سَنَةَ ٣٦٦ (٩٧٦ م) فَخَلَفَهُ ابْنُهُ هِشَامٌ بِاسْمِ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ، وكان لا يزالُ قاصِراً قَلِيلَ العِلْمِ والاهْتِمَامِ بِعُيُوناةِ أُمُورِ الدولة. اتَّخَذَ هِشَامُ الْمُؤَيَّدُ جَعْفَرُ المُصْحَفِيَّ حَاجِباً (رئيساً للوزارة) وَجَعَلَ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي عامرٍ وزيراً للمُصْحَفِيِّ.

اتَّفَقَ أن هَاحِمَ الإِسْبَانِ شِالِي الأندلسِ، فكان رأيُ غالبٍ والمُصْحَفِيِّ مُفاوضةَ العدوِّ لأنَّ هَزِيمَتَهُ في المَعْرَكَةِ أَمْرٌ مُسْتَبْعَدٌ. أما ابنُ أَبِي عامرٍ فقد أَكَّدَ أن العدوَّ سَيَنْهَزِمُ في المَعْرَكَةِ ثم اقترح أن يَقُودَ هُوَ الجَيْشَ بِنَفْسِهِ. وكانت صُبْحُ الوَصِيَّةِ على ابنها تَخَافُ أن يَفْقُدَ ابنُها عَرشَهُ فَاثَلَتْ إلى رأيِ ابنِ أَبِي عامرٍ. وشَاءَ القَدَرُ أن يَنْتَصِرَ ابنُ أَبِي عامرٍ على الإِسْبَانِ فَعَلَتْ مَرَلَتُهُ كَثِيراً وَتَدَنَّتْ مَرْلَةُ غَالِبٍ والمُصْحَفِيِّ كَثِيراً (مع أن غالباً كان القائد الذي خاضَ المَعْرَكَةَ فعلاً، ولكنَّ الحَمَلَةَ كانت بِقِيَادَةِ ابنِ أَبِي عامرٍ).

طَمَحَ ابنُ أَبِي عامرٍ الآنَ إلى الاستبدادِ بِالسُّلْطَةِ فَحَجَبَ هِشَاماً وَشَقَلَهُ بِالْتَرَفِ وَاللَّهْوِ ثم نَكَبَ المُصْحَفِيَّ وَغَدَرَ بِغَالِبٍ، في حديثٍ طَوِيلٍ، فأَصْبَحَتِ الدولة كُلُّهَا في

يديهِ. عندئذِ تسمّى « المنصور بن أبي عامر » وبُنِي مدينةً سماها الزاهرة (تقليداً للهراء التي بناها عبد الرحمن الناصر) وأقامَ فيها بلاطاً وأصبحَ الحاکمُ الفِعليُّ في الأندلس. وقد حاربَ المنصورُ بنُ أبي عامرَ الإسبانَ ووَسَّعَ رُفْعَةَ الأندلسِ وقامَ بخمسينَ غزوةً أَنتصرَ فيها كُلِّها. وكانت وفاته سنة ٣٩٢ (١٠٠٢ م) في مدينة سالم وهو آيبٌ من غزو بلاد الجلالقة.

خلفاء الفتنة

معنى الفتنة هنا تنازعُ الأحزابِ المختلفةِ في قرطبة على الخلافة. وقد امتدت هذه الفتنة ثلاثين سنةً، من وفاة المنصور بن أبي عامر (٣٩٢ هـ) إلى سقوط الدولة الأموية في قرطبة (٤٢٢ هـ).

بعد المنصور بن أبي عامر تولى الحِجَابَةُ في الأندلس ابنه عبد الملك المظفر، وكان قديراً شجاعاً قريبَ الصفات من أبيهِ فاستمرَّ في حَجْبِ هشامٍ وفي الاستبدادِ في تسييرِ أمورِ الخلافة.

ولما توفّي عبد الملك المظفر (٣٩٨ هـ) خلفه أخوه عبد الرحمن الملقَّبُ « شنجول »، أي شائجة الصغير (لأنَّ أمه كانت حفيدة ملك بنبلونة الفيرنجي). غير أن عبد الرحمن هذا كان ضعيفاً مُنصرفاً إلى مَلذَّاتِهِ فَأَنحَدَرَتِ الأندلسُ في أيامِهِ إلى الفتنة والفوضى. جاء عبد الرحمن شنجولُ وعلى عرش الأندلس هشامُ المؤيد (٣٩٩ - ٣٩٦ هـ) الذي كان المنصور بن أبي عامر قد حَجَبَهُ واستبَدَّ بِحُكْمِ البلادِ مكانه. ثم طمَعَ عبد الرحمن شنجول بالملك فأقنع هشاماً المؤيدَ بأن يَجْعَلَهُ ولياً للمهدى. ففاط ذلك بني مروان فعملوا على خَلْعِ هشامٍ (جُهادى الآخرة ٣٩٩) ثم نصبوا مكانه محمداً المهدي بن عبد الجبار الأموي. وما أن محمداً المهدي كان يُسَمَّلُ « الحِزْبُ » الأموي العربي، فقد غَضِبَ البربرُ فهاجوا قُرْطُبةَ وخلعوا محمداً المهدي ونصبوا مكانه سليمانَ المُستعين بن الحكم بن سليمان (وهو أيضاً من البيت المرواني المالك) في ربيع الأول من سنة ٤٠٠. ولكن المروانيين أعادوا محمداً المهدي في شوال من سنة ٤٠٠ وبعد شهرين استطاع أنصارُ هشامِ المؤيد أن يخلعوا محمداً المهدي ثانية وأن يُعيدوا هشاماً إلى العرش.

وبعد ثلاث سنوات، في شوال من سنة ٤٠٣ (١٠١٣ م)، اقتحم البربر قرطبة ونصبوا خليفتهم سليمان المستعين على عرش الخلافة مرة ثانية. وبعد أن سالت الدماء في قرطبة أنهاراً أمر سليمان المستعين بقتل هشام المؤيد. وعاش سليمان في خلافته الجديدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر. ثم إن البربر تخلّوا عن سليمان المستعين والتفتوا حول رجلٍ منهم هو علي بن حمود وجعلوه خليفة وسمّوه الناصر لدين الله. ولكن العرب عادوا فقتلوا علي بن حمود وردّوا إلى العرش المقلقل رجلاً مروانياً هو عبد الرحمن المرتضى بن محمد، في رمضان ٤٠٨ (١٠١٨ م). وبعد شهرين فقط جاء القاسم ابن حمود إلى عرش قرطبة، ثم خلفه، بعد أربع سنوات ابن أخيه يحيى بن حمود، ثم عاد القاسم ثانية إلى العرش. ثم عاد الأمر في قرطبة إلى العرب فجاء إلى عرش الخلافة المتزّرع عبد الرحمن المستظهر بن هشام؛ ثم بعد شهرين جاء محمد المستنفي. وقد كانت ابنته ولادة أشهر منه في تاريخ السياسة وتاريخ الأدب. ثم عاد البربر يحيى بن علي بن حمود؛ ثم أعاد العرب رجلاً مروانياً إلى الخلافة هو هشام المعتد بن عبد الرحمن المرتضى فحكم حكماً مُعتلاً أربع سنوات انتهت بقتله، سنة ٤٢٢ (١٠٣١ م). وبسقوط الدولة الأموية في قرطبة.

الدولة الفاطمية

ينتسب الفاطميون إلى فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وزوج علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه). وربما قيل: العبديون والدولة العبديّة (نسبة إلى عبيد الله المهدي أول أئمتهم - خلفائهم - في المغرب).

الشيعة - الفاطميون: الاسماعيليون

الشيعة هم القائلون بأن الإمامة (الخلافة) تكون بالنص والتعيين لأنها من أمور الدين (العقيدة) التي لا يجوز أن تُترك إلى نظر الناس، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أصر إلى علي بن أبي طالب بأن الخلافة ستكون فيه وفي نسله. ثم إن الأئمة الشيعة (منذ علي) كانوا يُوصي بعضهم إلى بعض. وهذا خلاف رأي أهل السنة

والجماعة الذين يَرَوْنَ أَنَّ الخلافةَ أمرٌ دُنْيَوِيٌّ وَأَنَّ الأُمَّةَ تختارُ من تشاءُ خليفةً بالانتخاب.

والشيعةُ فرقان كبيران: آلَ اثنا عَشْرَةٍ أو الإمامية الذين يُعَدُّونَ اثْنَيْ عَشَرَ إماماً، ابتداءً بعليٍّ بنِ أبي طالبٍ، هم: عليٌّ - الحسنُ - الحسينُ بنُ عليٍّ - عليٌّ زين العابدين - محمدُ الباقرُ - جعفرُ الصادقُ - موسى الكاظمُ - عليُّ الرضا - محمدُ الجوادُ - عليُّ الهادي - الحسنُ العسكريُّ - محمدُ المهديُّ المُنتظرُ (الذي غابَ وسيَرجعُ). ثم هنالك السَّبْعِيَّةُ أو الإسماعيليةُ الذين يَقِفونَ عندَ سَبْعَةِ أَئِمَّةٍ ظاهرينَ آخِرُهُم إسماعيلُ بنُ جعفرِ الصادقِ (ولا يأخنونَ بأخيه موسى الكاظمِ).

والشيعةُ الإمامية - في النظرِ إلى القرآنِ الكريمِ - من أهلِ الظاهرِ مَعَ تأويلِ الآياتِ عند الحاجةِ على مُقتضى قَوانينِ البلاغةِ وقواعدِ اللغةِ العربيةِ، فهم في ذلك كأهلِ السُّنة والجماعة.

أما الشيعة السَّبْعِيَّةُ أو الإسماعيليةُ فهم، بخلافِ أهلِ السُّنة والجماعة وبخلافِ الشيعة الإمامية، من أهلِ الباطنِ يعتقدونَ أَنَّ لآياتِ القرآنِ ظاهراً وباطناً، ثم لهم في ذلك تأويلاتٌ باطنيةٌ تخرُجُ بالقاتلِ بها عن الإسلامِ جُمْلَةً. هذا الفِرْقُ من الشيعة هو الذي يُسمي أصحابُه أنفسهم «فاطميين»، وهم أهلُ الدولة الفاطمية.

ويرى الفاطميونَ أَنَّ جعفرَ الصادقَ أَعْلَنَ أَنَّ ابنَه إسماعيلَ قد ماتَ ثم سَرَّهُ خوفاً عليه من الأمويين. ثم يأتي في سِلْسِلَةِ نَسْلِ إسماعيلَ، عندَ الفاطميين: محمدُ المكتومُ فجعفرُ المُصدِّقُ فمحمدُ الحبيبُ فعبَّيدُ الله المهديُّ. وليسَ لهذه السِّلْسِلَةِ من النَسَبِ سَنَدٌ من التاريخِ المعروف.

وبدأ الفاطميونَ دَعْوَةَ بَرِيَّةٍ في مدينةِ سَلَمِيَّةَ، شَرْقَ حِمْصَ (في الشام) ثم انتقلوا بها إلى المَغْرِبِ.

في أواخرِ القرنِ الثالثِ للهجرةِ جاء أبو عبدِ الله الصُّنْعَاتِيُّ الشيعيُّ إلى المَغْرِبِ داعياً إلى الرضا من آلِ مُحَمَّدٍ ثم تَأَلَّفَ أَقْسَاماً مِنَ البربرِ واستطاعَ أَنْ يَتَغَلَّبَ على

الأغالبة، سنة ٢٩٦ (٩٠٩ م) في معركة الأرس، إلى الشمال الغربي من القيروان قرياً من حدود الجزائر اليوم. ثم إنه دخل القيروان وأخذ البيعة فيها لعبيد الله المهدي الفاطمي (مع أن نغراً من المؤرخين لا يرون نسب عبيد الله هذا صحيحاً في أولاد فاطمة). وبما أن أهل القيروان كانوا كلهم من السنة فقد انتقل عبيد الله إلى نقطة من منتصف الساحل الشرقي (من القطر التونسي اليوم) وبني فيها مدينة المهدية واتخذها عاصمة.

وبعد عبيد الله المهدي جاء ابنه القائم (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ) ثم إسماعيل المنصور ثم أبو تميم محمد المير لدن الله (٣٤١ - ٣٦٥ هـ) فاستمرت مملكته من البحر المحيط إلى برقة (على حدود مصر). وفي سنة ٣٥٨ (٩٦٩ م) وجّه المير قائده جوهراً الصقلي إلى مصر فانتزعها من يد الإخشيديين، ثم فتح الرملة (في فلسطين) ودمشق في العام التالي. وفي رمضان من سنة ٣٦٢ (٩٧٤ م) بنى جوهراً الصقلي مدينة القاهرة فانتقل إليها المير لدن الله، كما بنى الجامع الأزهر (نسبة إلى فاطمة الزهراء: البيضاء). ومن ذلك الحين أصبحت القاهرة عاصمة للدولة الفاطمية.

ولما انتقل المير من المغرب عهد بخلافته هنالك إلى بلقين بن زيري. وجاء بعد بلقين ابنه المنصور (٣٧٣ - ٣٨٦ هـ) ثم جاء أبو مناد باديس بن المنصور فاستبهرت الحضارة، وفي أيامه بلغت إفريقية ذروة عالية من القوة والثروة. وبعد باديس جاء ابنه المير (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ). وقد سقطت الخلافة الأموية في قرطبة قبل أن يخلع المير بن باديس طاعة الفاطميين وقبل أن تشور نعمة العامة على الشيعة في القيروان.

أما في المغرب فقد انتهت دولة الإدارة سنة ٣١٣ هـ وخلفتها دولة آل أبي العافية المكناسيين الخوارج، وكان أولهم موسى بن أبي العافية (٣٠٥ - ٣٤١ هـ) فخلع طاعة الفاطميين ومال إلى بني مروان في الأندلس.

وأما في ريف المغرب فقامت دولة الإدارة الثانية فكان أول حكامها القاسم كتون (٣٢١ - ٣٣٧ هـ) ثم جاء ابنه أبو العيش أحمد ثم ابنه الآخر الحسن بن كتون (٣٤٣ - ٣٧٥ هـ). ومال الحسن بن كتون إلى طاعة الفاطميين لأن جوهراً الصقلي

كان قادماً على رأس جيش لإعادة سُلطة الفاطميين إلى المغرب. ثم لما زال خطر ذلك انقلب الحسن بن كُتُون إلى صداقة الروانبيين في الأندلس من جديد.

بهذا تكون الدولة الفاطمية التي قامت سنة ٢٩٦ (٩٠٩ م) قد حلت في المغرب محل الدولة الأغلبية بالقيروان (١٨٤ - ٢٩١ هـ) والدولة الرسّمية بتاهرت (١٦٠ - ٢٩٦ هـ) ومحل أمراء نفوسة - بجبل نفوسة إلى الجنوب الغربي من ليبيا اليوم (١٤٠ - ٣١٠ هـ) ومحل دولة الإدارة بفاس (١٧٢ - ٣٤٣ هـ) وبنى مدرار؟ ببحلب (١٥٥ - ٣٥٢ هـ) ثم - في سنة ٢٩٦ - محل الأغلبية في صقلية (٢١٢ - ٢٩٠ هـ)، كما استولوا على الجزر الثلاث مالطة ومردانية وكورسيكة. ثم حلّ الفاطميون أيضاً، سنة ٣٥٨ (٩٦٩ م) في مصر محل الدولة الإخشيدية.

الفاطميون في المغرب وصقلية

وقد عاشت الدولة الفاطمية في المغرب مُناغمةً لدولة بني أمية في الأندلس، ولكن لم تنجح لها دعوة في الأندلس. غير أن المغرب قد عانى من حكم الفاطميين شذائذ كثيرة، إذ عمد الفاطميون إلى فرض آرائهم السياسية ومذهبهم الفقهي بالحسنى وبالقهر وكانوا يحاولون القضاء على المذهب المالكي وهو المذهب السائد في أقطار المغرب وفي الأندلس أيضاً. وحاول الفاطميون أن ينشروا مذهبهم في صقلية أيضاً وفي طرابلس (ليبيا اليوم).

لم يرّض المسلمون في صقلية بحكم الفاطميين الجديد، لا لأنّ الفاطميين كانوا شيعة أعداء لبني العباس في بغداد فقط، وهوى الصقليين كان مع بني العباس فحسب، بل لأنّ الولاة الفاطميين على صقلية أيضاً كانوا قساة ظالمين غادرين فاستمرت الفتن والفلاقل في صقلية على الفاطميين وولائهم نحو جيل من الدهر (٢٩٦ - ٣٣٧ هـ). ولقد فعل ولاة الفاطميين في صقلية من المظالم ما حمل الناس على أن يستنجسوا بالروم على إزالة الحكم الفاطمي! لقد حاولوا ذلك مراراً!

ولكن التاريخ جرى مجرى أحسن عدل.

في سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٧ - ٩٤٨ م) أرسل الفاطميون إلى صقلية والياً هو الحسن بن

عليّ بن أبي الحسين الكلّبي. ومع أنّ الحسنَ هذا كان والياً للفاطميّين ومنْ أشياعهم، ومع أنّه سار في أوّل أمره بالصفّ والظلم، فإنّه أرعوى بعدَ قليلٍ عن ظلمه ومالَ إلى أن يستقلَّ بصقليةَ عن السلطة الفاطمية مع الإبقاء على السيادة الاسمية على صقلية للفاطميّين. وهكذا ظلّت صقليةَ تابعةً للعبيديّين (الفاطميّين في القيروان) ثم بقيتْ على ذلك الولاء الاسميّ لهم لما انتقلوا من القيروان إلى القاهرة، سنة ٣٥٨ هـ. والفقهاء المالكية قاوموا إرادة العبيديّين. ولم ينشأ اتّجاهٌ فقهي في صقلية إلا في أواخر القرن الرابع. في ذلك الحين (وبعد أن نقل الفاطميون دولتهم إلى مصر) بدأ نفر من الذين كانوا يميلون إلى المذهب الفاطميّ (بموايل مختلفة) يجدون شيئاً من الصعوبة في البقاء في القيروان (بين كثرة من أتباع المذهب المالكي) فهاجروا إلى صقلية علّهم يجدون تلك الجزيرة أرحب لهم. ولكن ذلك لم يزد على أن هيأ الجو لشيء من الجدال بين نفر من رجال المذهبيّين برغم ميل الولاة الفاطميّين في صقلية إلى المتقرّبين إليهم بنصرة المذهب الفاطمي.

ونحن لا نكاد نعرف شيئاً ذا أثر من التراث العلمي أو العقلي أو الأدبي في صقلية، في أيام حكم العبيديّين - ذلك الحكم الذي امتدّ في صقلية إلى سنة ٣٣٧ (٩٤٨ م) وقام مقامه حكم الأمراء الكلبيّين.

المغرب الأوسط (الجزائر).

لما قامت الدولة العبيدية (الفاطمية) في المغرب خضع لها القطر الجزائري أيضاً. ولكن سرعاناً ما ثار أهل المغرب الأوسط على العبيديّين وقتلوا ابن حبّوس عامل تاهرت الفاطميّ (٣١٢ = ٩٢٥ م) ثم استمرّ القتال بين زناتة وأحلافها من قبائل كتامة وصنهاجة وبين الشيعة حسين عاماً. ونجحت الدعوة الأموية في القطر الجزائري أيضاً فثار أبو يزيد مخلد بن كنداد الخارجي المعروف بلقب صاحب الحمار (٣٣٢ = ٩٤٣ م) على الفاطميّين فانضمّ إليه جماعات من خوارج زناتة ومن أهل السنة فاستولى أبو يزيد على كثير من بلدان القطر الجزائري. ومع أنّ الفاطميّين

تغلبوا على أبي يزيد وأتباعه وقتلوه. سنة ٣٣٦ هـ، فإن الثورة على الفاطميين في الجزائر ظلت ناشطة. وكان الناثرون على الفاطميين - في هذه الحقيبة يدعون^(١) لعبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي في الأندلس. غير أن هذا لم ينع - مع الأسف - من تنازع القبائل البربرية في المغرب الأوسط خاصة.

في ليبيا

كانت ليبيا في أيام الفاطميين في المغرب تابعة للفاطميين، فلما انتقل المير الفاطمي إلى مصر عهد إلى بلكين بن زيري بالإشراف على ليبيا كلها ما عدا منطقة طرابلس وما حولها (سرة وأجدابية) فإن المير جعلها تابعة له مباشرة. ويحسن أن نعلم أن ليبيا تقسمت في ذلك الحين بين حكام محليين: استقل بنو خطاب في زوالة (٣٦٠ هـ)، كما استقلت منطقة قرآن. وكذلك استقل الإباضية (وهم فرقة معتدلة من الخوارج) في جبل نفوسة.

وحاول باديس بن المنصور بن زيري (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ) أن يمد سلطته إلى برقة (شرقي ليبيا)، ولكن الفاطميين هزموه. وفي سنة ٣٩٦ كانت حركة أبي ركة:

في سنة ٣٩٥ جاء من الأندلس رجل اسمه الوليد بن هشام من نسل بني أمية ودعا إلى نفيه فبايعه جماعات من البربر من لواتة وزناتة وبني قرّة ثم قوي أمره في برقة وحكمها سنة كاملة (٣٩٦ هـ). ولكن الحاكم بأمر الله الفاطمي تغلب عليه وقتله. غير أن أمر برقة لم يستقر للفاطميين، فإن بني قرّة ظلوا لا يخضعون لسلطان الفاطميين.

وفي مطلع القرن الخامس كانت طرابلس (ليبيا) متنازعة بين العبيدين الفاطميين في القاهرة وبين الصنهاجيين المالكيين (خصوم الفاطميين) في القيروان. وكان الولاة المحليون ينتقلون بولاتهم من هؤلاء إلى أولئك ومن أولئك إلى هؤلاء،

(١) يدعون لعبد الرحمن الناصر: يذكرون اسمه على النبر في خطبة الجمعة: اقراراً له بالسلطة السياسية أو الرئاسة الدينية على الأقل.

بِحَسْبِ مَصَالِحِهِمُ الْآتِيَةِ. وَكَثِيرًا مَا كَانَ الْإِنْتِقَالُ بَيْنَ الْوَلَائَيْنِ يُرَافِقُهُ اقْتِتَالٌ يَهْلِكُ فِي أَثْنَائِهِ جُوعٌ غَفِيرَةٌ.

وَقَبْلَ أَنْ يَنْقَضِيَ قَرْنٌ وَاحِدٌ مِنَ الزَّمَنِ عَلَى الْحُكْمِ الْفَاطِمِيِّ فِي الْمَغْرِبِ، كَادَ الْمَذْهَبُ الْمَالِكِيُّ يَنْدَثِرُ فِي لِبْيَا، فَقَدْ كَانَ وَلَاةُ الْفَاطِمِيِّينَ قَدْ حَظَرُوا كُلَّ شَيْءٍ (فِي الْحَيَاةِ الدِّينِيَّةِ) غَيْرِ مَذْهَبِ أَسْيَادِهِمْ حَتَّى صَلَاةِ الضُّحَى وَصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ^(١) - ذَانِكَ مَظْهَرَانِ عَادِيَانِ، وَلَكِنَّهُمَا شَدِيدَا الدَّلَالَةِ عَلَى اتِّجَاهِ الْفَاطِمِيِّينَ فِي الْحُكْمِ.

وَلَقَدْ تَصَدَّقَ أَبُو الْحَسَنِ النَّمَرُ (٣٤٨ - ٤٣٢ هـ) - تَلْمِيزُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيَّرَوَانِي (ت ٣٨٦ هـ) لِلتَّيَّارِ الْفَاطِمِيِّ عَامِلًا عَلَى رَدِّ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ إِلَى مَكَانَتِهِ (فِي طَرَابُلُس - لِبْيَا). وَبَعْدَ صِرَاعٍ طَوِيلٍ فِي مَبْدَإِي الثَّقَافَةِ وَالسِّيَاسَةِ أُسِرَ وَنُفِيَ. وَلَكِنْ كَفَّاحُهُ لَمْ يَذْهَبْ سُدًى^(٢).

السودان المغربي (أو الغربي)

السودانُ فِي عُرْفِ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْجُغَرَاغَفِيِّينَ الْعَرَبِ هُوَ الْإِقْلِيمُ الْأَوَّلُ (الْمِنْطَقَةُ الْأُولَى) شَمَالِ خَطِّ الاسْتَوَاءِ (لَأَنَّ الْقَدَمَةَ اعْتَقَدُوا أَنَّ مَا يَقَعُ جَنْبَ خَطِّ الاسْتَوَاءِ غَيْرُ مَسْكُونٍ - وَلَا يَصْلُحُ لِلْمَسْكَنِ). فَالسُّودَانُ إِذَنْ، بِهَذَا النِّظَرِ، أَمَّ يَشْمَلُ الْبِلَادَ الْمُتَمَدِّدَةَ فِي أَوَاسِطِ قَارَةِ إِفْرِيقِيَّةٍ، مِنَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ شَرْقًا إِلَى الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ (الْمَحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ) غَرْبًا. هَذِهِ الْبِلَادُ كُلُّهَا كَثِيرَةٌ الْحَرِّ كَثِيرَةُ الْمَيَاءِ (بِرُغْرِ بِقَاعٍ مِنَ الصَّحَارَى) وَفِيهَا نَهْرَانِ عَظِيمَانِ سَمَّاهُمَا ابْنُ خُلْدُونٍ (الْمَقْدَمَةُ - بَيْرُوتُ: دَارُ الْكِتَابِ اللَّبْنَانِيِّ، ص ٩٢ - ٩٤) «نَهْرُ النَّيْلِ». يَعْتَقِدُ ابْنُ خُلْدُونٍ أَنَّ هُنَالِكَ نَهْرًا كَبِيرًا يَنْبُعُ مِنْ جِبَالِ الْقَمَرِ (بِفَتْحِ الْقَافِ أَوْ بِضَمِّهَا) وَرَمَاهُ (جَنْبَ خَطِّ الاسْتَوَاءِ). هَذَا النَّهْرُ هُوَ نَهْرُ النَّيْلِ.

- (١) صَلَاةُ الضُّحَى رَكَعَاتٌ (أَقَلُّهَا اثْنَتَانِ) يَتَطَوَّعُ الْمُسْلِمُ بِهَا كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ أَنْ تَعْلُو الشَّمْسُ مِقْدَارَ رَمَحٍ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ. وَالتَّرَاوِيحُ رَكَعَاتٌ وَثَر (ثَلَاثُ، خَمْسٌ... نَحْوُ سِتٍّ، وَاحِدَةٌ وَعِشْرُونَ، الْخ) تُصَلَّى فِي رَمَحَانِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ (وَتَكُونُ صَلَاةُ الْعِشَاءِ بَعْدَ اخْتِفَاءِ الشَّمْسِ) - الضُّوْءُ الْأَحْمَرُ الَّذِي يَبْدُو عَلَى الْأَفَقِ الْمَرْبِيِّ بَعْدَ غِيَابِ الشَّمْسِ - بَعْدَ نَحْوِ سَاعَةٍ وَنِصْفِ سَاعَةٍ مِنْ غِيَابِ الشَّمْسِ).
- (٢) رَاجِعْ «أَعْلَامَ» طَرَابُلُسَ، تَأَلَّفَ عَلَى مِصْطَفَى الصَّرَّافِي، ص ٣٥ وَمَا بَعْدَ.

ثم إن هذا النهر ينقسم فرعين: يمر فرعٌ منه شمالاً حتى يصبُّ في البحر الأبيض المتوسط (وهذا نيلُ مصر)، كما يَظْفِقُ الفرعُ الثاني منه غرباً حتى يصبُّ في البحر المحيط (المحيط الأطلسي)، وهذا الفرع - عند ابنِ خلدون - هو نيل السودان أو نهر السودان.

بعد هذه الصورة الخاطئة بحسُّ أن نقول:

السودانُ المغربي (أو السودان الغربي أو بلادُ السودان) هو البُقعة الواسعة التي يقع فيها حوضُ نهر صِنهاجة (السنغال) وحوضُ نهر السودان (النيجر) أو ما يُعرَفُ اليوم باسم «غربي (قارة) إفريقية» (جنوب الجزائر والمغرب).

إنَّ الفتحَ الإسلاميَّ للمغرب وللأندلس فتحَ أبوابَ السودانِ المغربيِّ لدخول الإسلام. ففي سنة ١١٦ (٧٣٤ م) غزا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي عُبَيْدَةَ الفهري أرضَ السُّوس (جبال المغرب الجنوبية) وبلادَ السودان. ولكنَّ الإسلامَ لم يدخلْ إلى السودانِ بالحرب، بل من طريقِ التجارة حيناً ومن طريقِ الدُّعاة حيناً آخر. ومع أنَّ انتشار الإسلام أخذ في الاتساع، في تلك البلاد، منذ القرنِ الرابع (العاشر للميلاد)، فإنَّ تعريبَ السودانِ المغربيِّ لم يتمَّ باكراً ولم يستقرَّ كثيراً، فلا نجدُ - من أجل ذلك - في تلك الحِقبة أدبهُ كتبوا باللغة العربية، وإن كنَّا (منذُ ذلك الحين) نجدُ علماً اهتموا بالفقه حاجة الناس إلى الفقه في عباداتهم وفي معاملاتهم التجارية والاجتماعية أيضاً.

صقلية

صِقْلِيَّةُ (القاموس المحيط ٤: ٣) جزيرةٌ كبيرةٌ مُصَاقِبَةٌ للطَّرَفِ الجنوبيِّ من البرِّ الطويل (شبه جزيرة إيطاليا) أهلُها مزيجٌ من شعوبٍ قديمة. ثم نَزَلَ فيها الكُتْمَانِيَّونَ (الفيثيقيون) ثم استعمرَها الإغريق (اليونان القدماء) وحكموها. وعظُمَ النزاعُ عليها مدَّةً بينَ الإغريق والقرطاجيين (أحفادِ الكُتْمَانِيَّينَ في قرطاجنة - تونس) ثم بين الرومان والقرطاجيين. وفي القرنِ الخامس للميلاد - في أثناء هجرات البرابرة وأنساجهم في أوروبا - نَزَلَ فيها الفاندالُ والقوطُ الشرقيون. ثم أسرتَها الرومُ

(اليونان المتأخرون: البيزنطيون) عام ٥٣٥ م (٨٧ قِيلَ الهجرة).

بدأ العربُ غزوَ صِقْلِيَّةَ منذ أيام مُعاوية (٤٠ - ٦٠ هـ) ولكن لم يَتِمَّ لهم استقرارٌ في أرضها.

وَأَتَتْ صِقْلِيَّةُ من الحُكْمِ الرومي طويلاً - خلالَ ثلاثةِ قرونٍ مُتواليَةٍ - كما كانت تَتَنَّ جميعَ البلادِ الرومية وجميعَ البلادِ التي كانت خاضعةً للروم. في هذه الأثناء أَمَحَتْ المظاهرُ العُمرانيَّةُ والحضارية في صِقْلِيَّةَ ونضالَ فيها عددُ السَّكان. وأشدَّ سوءَ الأحوالِ السياسيَّةِ رُتَّةٌ اقتصادية فثارَ فيها رجلٌ شريفٌ من أهلها، ومن أصلٍ روميٍّ، اسمُهُ فيمي (أوفيمبوس) على قُسطنطين بِطريق (قائد) صِقْلِيَّةَ وحاكميها من قِبَلِ ملكِ الروم ميخائيل الثاني الأُلُتُغ (٨٢٠ - ٨٢٩ م) وحكَمَ الجزيرةَ ثم استنجدَ بزيادةِ الله بن إبراهيم بن الأُغلب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ). وفي النِّصفِ من ربيعِ الأولِ من سَنَةِ ٢١٢ (مطلعِ الصيف من عام ٨٢٧ م) أرسلَ زيادةُ الله أسطولاً إلى صِقْلِيَّةَ بقيادة القاضي أُسدٍ بنِ الفُراتِ (١٤٢ - ٢١٣ هـ)، يُسانده أسطول فيمي، ففتحَ مازَرَ (عند الطرفِ الجنوبي الغربي) ثم انتقلَ إلى سَرَقُوسَة (عند الطرفِ الجنوبي الشرقي) - وهي عاصمةُ الجزيرة - فَجَرَّتْ عِنْدَها مَعْرَكَةٌ عظيمةٌ قُتِلَ فيها فيمي. ثم تُوفِّي أُسدُ بنُ الفُراتِ في أثناءِ حصارِ سَرَقُوسَة، سَنَةِ ٢١٣ هـ، من جِراحِ أصابته. وفي سنة ٢١٦ هـ فَتَحَ المسلمون بَلَرَمَ (على الشاطئ الشمالي من الجزيرة).

وطالَ حِصارُ سَرَقُوسَةَ حَسينَ سَنَةٍ واستمرَّتِ الحملاتُ على صِقْلِيَّةَ حتَّى فتحَ المسلمون سَرَقُوسَةَ سَنَةِ ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م). ولكنَّ الاستيلاءَ على الجزيرةِ كُلِّها لم يَتِمَّ إلَّا في سَنَةِ ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م)، في العام الذي انقرضت فيه دولةُ بني الأُغلب وقامت فيه الدولة الفاطميةُ في المغرب.

العمران:

إنَّ البِلْمَ والأمنَ يُنتِجُ منها استقرارٌ وأطمئنانٌ فتتسَّعُ الحياةُ الاقتصادية ويستبجرُ العُمران، كما يقولُ ابنُ خلدون. ويكفي في احتلاءِ صورةِ العُمرانِ في

أيام عبد الرحمن الناصر في الأندلس أن نُشير إلى « الزهراء »، وهي المقرّ الرسمي الجديد الذي بناه عبدُ الرحمن الناصر إلى الشمال الغربي من العاصمة قرطبة على جبل العروس (ويقال له اليوم بالإسبانية: سيارا مورانا - بالألف الأولى والألف الثالثة مالتين) مُطلّة على نهر الوادي الكبير.

وإذا نحن قلنا: « الزهراء » فيحسن أن نفهمها على ثلاثة أوجه: الجامع والقصر والمدينة. أما الجامع فقد عمل في بنائه من حُدائق القلعة كلَّ يوم ألف نسمة منهم ثلاثمائة نكّو ومائتا نجار وخسبائة من الأجراء وسائر (أرباب) الصنائع. فاستتمّ بناؤه وإتقانه في مُدة ثمانية وأربعين يوماً.... وطول المسجد أجمع من القبلة إلى الجوف^(١) - سبوي المحراب - سبعة وتسعون ذراعاً، وعرضه من الشرق إلى الغرب سبعة وخسون ذراعاً. وطول صومعته (بشدّته) في الهواء أربعون ذراعاً وعرضها عشرة أذرع في بثلاثها (نفع الطيب ١ : ٥٦٤). وكان الفراغ من بنائه في الثاني والعشرين من شعبان من سنة ٣٢٩.

وأما القصر فقد « أطبق الناس على أنه لم يُبنَ مثله في الإسلام البتّة. وما دخل إليه قطُّ أحدٌ من سائر البلاد النائية والنحلي المختلفة من ملكٍ وإريد ورسولي وأفدٍ وتاجر جهبذ - وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والقيطنة - إلا قطع أنه لم يَر له شيئاً، بل لم يسمع به، بل لم يتوهم مثله.... ولو لم يكن فيه إلا السطح^(٢) المرء^(٣) الشرف على الروضة المباهي بمجلس الذهب والقبّة عجيب ما تضمّنه من إتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرف^(٤) وبراعة الملبس والجلّة - ما بين مرمز

(١) القبلة (مكرر القاف) هي الست الذي يتجه فيه المصلّي السجّ نحو مكّة. والقبلة في الأندلس هي نحو الشرق الجنوبي. أما الجوف فهو الوسط من الأندلس.

(٢) بقصد: « السقف ».

(٣) المرء: الذي فيه طول (وأنشاع) مع ملاءة.

(٤) فخامة الهمة (٤): علو همة بانيه. المستشرف: النظير من مكان عال.

مسنونٍ وذهبٍ موزون^(١) وَعَمَدٌ كَأَنَّهُا أُفْرِغَتْ فِي الْقَوَالِبِ^(٢) وَنَقُوشٌ كَالرِّبَاضِ وَبِرْكٌ عَظِيمَةٌ مُحْكَمَةٌ الصَّنْعَةِ وَحِيَاضٌ وَقَائِلٌ عَجِيبٌ الْأَشْخَاصُ لَا تَهْتَدِي الْأَوْهَامُ إِلَى سَبِيلِ اسْتِقْصَاءِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا - «لِكَفَاءٍ فَخْرًا» (نفع الطيب ١ : ٥٦٥ - ٥٦٦).

وكان عبدُ الرحمن الناصرُ قد أتمَّ، في أوائلِ سَنَةِ ٣٢٩ هـ، «بُنيانَ القنَاقَةِ الغَريبةِ الصَّنْعَةِ الَّتِي جَرَى فِيهَا الْمَلِكُ الْعَذَبُ مِنْ جَبَلِ قَرْطَبَةَ إِلَى قَصْرِ النَّاعُورَةِ غَرْبَ قَرْطَبَةَ فِي الْمَنَاهِرِ الْمُهَنْدَسَةِ وَعَلَى الْحَنَائِيَا الْمَعْقُودَةِ^(٣)، يَجْرِي مَآوُهَا بِتَدْيِيرِ وَصْنَةٍ مُحْكَمَةٍ إِلَى بَرَكَةٍ عَظِيمَةٍ عَلَيْهَا أَسَدٌ عَظِيمُ الصُّورَةِ يَدْبِعُ الصَّنْعَةَ شَدِيدُ الرَّوْعَةِ.... مَطْلِيٌّ بِذَهَبٍ إِبْرِيزٍ^(٤) وَعَبْنَاهُ جَوْهَرَتَانِ لَهَا وَمِصٌّ شَدِيدٌ، يَجْرِي الْمَاءُ إِلَى عَجَزٍ هَذَا الْأَسَدِ فَيَمُجُّهُ^(٥) فِي تِلْكَ الْبَرَكَةِ مِنْ فِيهِ. فَيُبْهِرُ النَّاطِرُ بِجُسْنِهِ وَرَوْعَةِ مَنْظَرِهِ وَتَحَاجَةِ صَبِّهِ فَتُسْقَى مِنْ مَجَاجِهِ^(٦) حَنَانُ هَذَا الْقَصْرِ عَلَى سَعَتِهَا، تَفِيضُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَابَاتِهِ وَيُمَدُّ النُّهْرُ الْأَعْظَمُ^(٧) بِمَا فَضَّلَ مِنْهَا» (نفع الطيب ١ : ٥٦٤ - ٥٦٥).

وَبَدَأَ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ بُنْيَانَ (مَدِينَةِ) الزَّهْرَاءِ أَوَّلَ سَنَةِ ٣٢٥، وَكَانَ مَبْلُغٌ مَا يُنْفَقُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الصَّخَرِ الْمَنْحُوتِ الْمُنَجَّوَرِ الْمُعْدَلِ^(٨) سِتَّةَ آلَافٍ صَخْرَةً،

(١) مرمر (نوع من البلاط الجيد: الرخام) مسنون: مصقول أو ذو أشكال مختلفة. موزون: مضف (موضوع طبقات على أشياء أخرى) أو متوزن (مجموعاً أشكالاً معينة في مادة ثابتة من الخشب أو اللصق الخ).

(٢) عمد = أعمدة (جمع عمود). كَأَنَّهُا أُفْرِغَتْ فِي الْقَوَالِبِ: مشوبة وبشبه بعضها بعضاً.

(٣) النهر: شق في الحصن (في بناء) يجرى فيه الماء. المهندس: المصنوع على قواعد من أصول البناء. الحنية: القوس، الفتحة الصغيرة. المعقود من البناء: المبني بحجارة يسك بعضها بعضاً للاستئناس (من غير ملاط: طين).

(٤) الروعة: الهيئة (الجمال مع إلقاء الرعب في الناظر). الإبريز: الذهب الخالص، الصافي.

(٥) وميض: يريق. عجز: مؤخرة. مج: لفظ التثنية من فيه.

(٦) تحاجة: انصباب الماء بكثرة. مجاج: خروج الماء من فم (الأسد).

(٧) أسد: زاد في، صب في. النهر الأعظم: نهر الوادي الكبير الذي تقوم عليه قرطبة.

(٨) المنحوت: المنقوش، المنحول أو المنسج. المنجور: المنقوش أيضاً (ولكن تستعمل للخشب). المعدل: المسوى (المنحول بعضه موافقاً لبعض).

سوى الصخر المُصَرَّفِ في التبليط..... وكان يَخْدِمُ في (بناء) الزهراء كلَّ يوم ألفاً وأربعمائة بَغْلٍ... وكان يَرُدُّ (إلى) الزهراء من الجير والجص^(١) في كلِّ ثالث من الأيام ألفاً ومائة جَمَلٍ..... وقد قُدِّرَتِ النَّفَقَةُ على بناء مدينة الزهراء في كلِّ عام بثلاثمائة ألف دينار مُدَّةَ خمسة وعشرين عاماً من خلافة عبد الرحمن الناصر (نفع ١ : ٥٦٧-٥٦٨) سوى ما أُنفِقَ على بنائها في مدى خمسة عشر عاماً أخرى في خلافة الحَكَمِ المستنصر.

من مظاهر الثقافة

كان أهلُ الأندلس يقرأون القرآن الكريم بقراءة^(٢) أهلِ المشرق إلى أيام مُجاهدِ العامريِّ مؤسِّسِ الدولة العامرية في دانية (بشرق الأندلس) وجزيرة مَيُورقة وما حولها والمتوفى سنة ٤٣٦ هـ (١٠٤٤-١٠٤٥ م). وكان لِمُجاهدِ العامريِّ عنايةٌ بهذا القرآنِ كما كان مولاه المنصورُ بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) قد حرصَ على تعليمه القراءة على أَقْبَى القُرَّاء. وقد عاصَرَه أَثنان من كبار القُرَّاء : آبن حَمْوش وأبو عمرو الدابي.

وُلِدَ ابنُ حَمْوش (ت ٤٣٧ هـ - راجع ترجمته) في القَيْرَوان. وبعدَ رحلةٍ إلى المشرق عادَ إلى القَيْرَوان وأقرأ بها. ثم انتقل (٣٩٣ هـ) إلى قُرطبة وخطبَ بِجامعها وأقرأ. وأمَّا أبو عمرو عُمَانُ بنُ سَمِيدٍ بنِ عُمَانَ الدابي (٣٧١ - ٤٤٤ هـ) فهو من أهل دانية بِشرقِ الأندلس، رَحَّلَ إلى المشرق ثم عادَ يعلم كثيرَ في قراءة القرآن وتفسيره.

وكان جُمهورُ أهلِ المغرب وأهلِ الأندلس يَكْتَفُونَ بِالرِّوَايَةِ عَنِ السَّلَفِ فَلَا يَرَوْنَ

(١) الجير: الكلس قبل حرقة (قبل مرجه بالقاء). الجص: الكلس العالَج بالماء حتى يصبح ملاطاً.

(٢) قراءة القرآن: أداء أحكام لفظه بإعطاء الأحرف حقها من المخرج من الفم وإعطاء الدود حقها من الزمن (بالطول أو القصر) مع مراعاة الجمع بين عدد من الأحرف بالإدغام وغيره. وكان أهل المشرق يدخلون في القراءة شيئاً من التسميع. أمَّا القراءات (بالجمع) - أو الأحرف، على الأصح - فهي أَلْطافٌ يسيرة نزل بها الوحي بلفظ القِيائل، نحو: (١٢: ٨٧، سورة يوسف): ٥٠ يا بَنِيَّ، اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ (أو فَتَحَسَّسُوا بِالْجَمْعِ). ثم هنالك قراءات مشهورة وقراءات شاذة. فليراجع ذلك كله في مواضعه.

أَنْ يُفسَّرَ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى جَاءَ بَقِيَّةُ بْنُ مَخْلَدٍ (ت ٢٧٢).
ثمَّ لَانُوا فَاشْتَغَلَ مَكِّي بْنُ حَوْشَرٍ بِشَيْءٍ مِنَ التفسيرِ.

وبما أَنَّ المَالِكِيَّةَ أَكْثَرُ أَعْبَاداً عَلَى الروايةِ عَنِ السَّلَفِ مِنْهُمْ عَلَى التفسيرِ بالرأْيِ فَقَدْ
كَانَ مُعْظَمُ فُقَهَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ. مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ
مُحَمَّدَ بْنِ وَشَّاحٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ اللَّيَّادِ (٢٥٠ - ٣٣٣ هـ) الْقَيْرَوَانِي، كَانَ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ
المَالِكِيَّةِ وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: فَضَائِلُ مَالِكٍ بْنِ أَنَسٍ - الْأَثَارُ وَالْفَوَائِدُ - كُتُبُ الرِّوَاقِ عَنِ
صُرُوفِ الْجَامِعَةِ لِلأَوَاقِ (٢) (فِي تَقْسِيمِ الْإِرْثِ). وَكَانَ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغٍ الْبِشَافِي (ت ٣٤٠ -
لَهُ تَرْجُمَةٌ مُفْرَدَةٌ) مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ. وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُو عَثَانَ سَعِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
عَبْدِ رَبِّهِ (ت ٣٤٢) فُقَيْهًا وَطَبِيبًا وَأَدِيبًا شَاعِرًا. ثُمَّ هُنَاكَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ شُعْبَانَ،
وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْقُرْطُوبِيِّ (٢ - نَحْوُ ٢٧٣ - بِصُر ٣٥٥ هـ)، مِنْ أَكْبَارِ فُقَهَاءِ المَالِكِيَّةِ فِي
عَصْرِهِ وَأَحْفَظِهِمْ لِمَذْهَبِ مَالِكٍ.

اتَّسَعَتْ دِرَاسَةُ الْفِقْهِ فِي هَذَا الْعَصْرِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ، كَثِيرًا. فَتَمَّ أَنْ يُعَمِّدَ بَنُ
عُمَرَ بْنِ الْقُوْطَيْبَةِ الْأَنْدَلُسِيَّ (ت ٣٦٧ هـ) كَانَ مُؤَرِّخًا مَشْهُورًا، كَمَا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ أَبِي زَمَنِينَ الْقُرْطُوبِيَّ (٣٢٢ - ٣٩٩ هـ) كَانَ مِنَ الْأَدْبَاءِ الشُّعْرَاءِ، فَإِنَّهَا كُلِّيْهَا كَانَتْ
لَهَا عِنَايَةٌ كَبِيرَةٌ بِالْفِقْهِ.

وَعُرِفَ الْمَغْرِبُ، فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ، نَفَرًا مِنْ أَشْهُرِ الْفُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ. مِنْ هَؤُلَاءِ أَشْهُرُ
فُقَهَاءِ الْمَغْرِبِ فِي عَصْرِهِ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيُّ (ت نَحْوُ ٣٨٦ هـ) ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ مَوْلَفُ
«الْمُدْخَلِ إِلَى عِلْمِ الدِّينِ وَالدِّهَانَةِ» (بِرُوكْلَمِنْ: ١: ١٨٨) ثُمَّ تَلْمِيزُهُ أَيْضًا حَلْفُ بْنُ أَبِي
الْقَاسِمِ الْأَزْدِيِّ الْبِرَازَعِيِّ الَّذِي أَلَفَ (٣٧٢ هـ) كِتَابَ تَهْذِيبِ الْمُدَوَّنَةِ وَالْمُخْتَلَطَةِ. ثُمَّ
جَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْخَالِقِ بْنُ شَبْلُونٍ (ت ٣٩١ هـ)، وَلَقَدْ كَانَ الْإِعْتَادُ عَلَيْهِ فِي
الْقَيْرَوَانِ فِي الْفُتْيَا وَالتَّدْرِيسِ بَعْدَ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ. ثُمَّ هُنَاكَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ الْأَصْبَلِيِّ (ت ٣٩٢ هـ) - مِنْ أَهْلِ أَصْبَلَةَ فِي الْجَانِبِ الشَّمَالِيِّ الْغَرْبِيِّ مِنَ
الْمَغْرِبِ - كَانَ عَلَامًا بِالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْكَلَامِ. وَبَعْدَ أَنْ تَطَوَّفَ فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ
اسْتَقَرَّ نَهَائِيًّا فِي الْأَنْدَلُسِ فِي أَهَامِ الْحُكْمِ الْمُسْتَنْصَرِ (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ).

ولا بدّ من الإشارة إلى فقيهين كبيرين في أعقاب هذا العصر: أبي الحسين عليّ بن محمد القيرواني القاسي (٣٢٤ - ٤٠٣ هـ) شيخ المالكية في عصره، كان حافظاً للحديث عالماً بالفقه أصوله وفروعه ومشاركاً في علم الكلام كثير التأليف في الأصول والفروع؛ ثم موسى بن عيسى بن حاج الغفجومي - نسبة إلى غفجوم وهي فخذ من زناتة - والمشهور بأبي عمران القاسي (٣٦٨ - ٤٣٠ هـ) طاف البلاد فسمع العلم في القيروان وقرطبة وبصرى وبغداد ومكة. وكان يُقرئ القرآن بالقراءات السبع ويُجوّدها مع المعرفة بالحديث ورجاله وبالفقه. ثم كانت وفاته في القيروان وقبره في ظاهرها معروف يُزار ويُشار إليه.

ومع أنّ الفقه المالكي كان هو الغالب في المغرب والأندلس، فإنّ المغرب والأندلس كليهما قد عرّقا اتجاهات قليلة البروز أو كثيرة البروز من مذاهب أخرى. أمّا في المغرب فانتشر، في وقت من الأوقات، فقهان: الفقه الإباضي والفقه الفاطمي.

بعد انقضاء حكم الرُستُميين في تاهرت بالاستيلاء الفاطمي (٢٩٦ هـ) انسحب الإباضية إلى جبل نفوسة وأقاموا لأنفسهم حكماً محلياً وحكومةً يجب أن تكون شُروعية، كما هو معروف من قواعد المذهب. والمفروض في هذه الحكومة المحلية أن يكون أمراؤها علماء. فمن الأئمة (بالمعنى السياسي والمعنى الديني معاً) من نُفِرَ أسلافهم: أبو عمر ميمون ثم أبو الفضل سهل ثم أبو يحيى زكريا الأرجاني. وقد ثار هؤلاء على العميديين. ويرى سليمان الباروقي (مختصر تاريخ الإباضية ٥٢) أنّ هؤلاء جميعهم كانوا في المائة الرابعة من الهجرة والنصف الأول من المائة الخامسة. ولعلّ أبا زكريا يحيى بن الخير الجنّووي - وهو من جبل نفوسة أيضاً - (راجع بروكلمان، الملحق ١: ٦٩٢) كان من هؤلاء أو بُعيد عصرهم. لقد كان من علمائهم على الحصر، دَرَسَ على سليمان بن أبي هارون وعَرَفْنَا له كتابين طبعاً فيما بعد: كتاب الوضع في الفروع (القاهرة ١٣٠٥ هـ) وكتاب النكاح والطلاق (القاهرة، بلا تاريخ).

وفي هذه الحِقْبَة ألّف القاضي أبو حنيفة النُّعمان بن محمد بن منصور (ت ٣٦٣ هـ)

كتابه: «دعائم الإسلام في الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله». هذا الكتاب مصدر للفتحة الفاطمي.

أما في الأندلس فبرز، في هذا العصر أيضاً، اتجاهان فقهان: المذهب الشافعي الذي ظل قاصراً على نقر من العقهاء ثم المذهب الظاهري الذي نقي انتشاراً أوسع قليلاً.

يبدو أن أول دخول المذهب الشافعي إلى الأندلس كان على يد المحدث قاسم بن محمد بن سيار القرطبي البياضي (ت ٢٧٨) وكان يعمل في التوثيق ويُعرفُ بصاحب الوثائق. رحل قاسم بن محمد إلى الشرق في أواسط القرن الثالث للهجرة ولقي نقرأ من أصحاب الشافعي ثم عاد إلى الأندلس ووضع تأليف في هذا المذهب منها كتاب الإيضاح في الرد على المقلّمين. وقد روى عنه أيضاً أسلم بن عبد العزيز بن هاشم (ت ٣١٩) وكان من الأئمة القضاة، تولى قضاء الجماعة في أيام عبد الرحمن الناصر، وثقة من الرواة يميل إلى مذهب الشافعي. وروى عنه أحمد بن خالد بن الجبّاب (٢٤٦-٣٢٢ هـ).

ومن كبار الأندلسيين الذين أخذوا بمذهب الشافعي بقي بن مخلد (ت ٢٧٢ هـ) وله ترجمة مفردة. ويبدو أن الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٣٢٢ هـ) قد سكّنت عن نشاطه في الدعوة لهذا المذهب الذي تلقاه عنه نقرأ كثيرون. وليس ذلك بمستغرب فالأمويون الذين كانوا قد جاءوا من الشام أصبح المذهب الشافعي مذهباً لقومهم وقطرحهم. ومن أواخر الذين مالوا إلى المذهب الشافعي في عصر الأمراء المتوارئين أبو زكريا يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الحراز القرطبي (ت ٢٩٥). وقد تصدّر للتدريس في القيروان وفي قرطبة وتكلّم في الفتحة الشافعي.

كان الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الناصر فقيهاً شافعيّاً، ويبدو أن فقدان أمه في الخلافة دفعه إلى الاهتمام بالعلم وإلى شيء من العمل السياسي (وله ترجمة مفردة). وكان من أنصار المذهب الشافعي أحمد بن عبد الوهاب بن يونس المعروف بابن صلاح الله (صلى الله) المتوفى سنة ٣٦٩ (وقيل ٣٩٨)، كان يأخذ بالرأي (بتفسير المدارك

الدينية بالمعل) فَأَتَمَّهُمَ فَقَهَهُ الْمَالِكِيَّةَ بِأَنَّهُ مَعْتَزِلِي. وَالْحَكْمُ الْمُسْتَنْصَرُ نَفْسُهُ (٣٥٠-٣٦٦ هـ) كَانَ يَسْتَحْسِنُ الْمَذْهَبَ الشَّافِعِيَّ وَيُكْرِمُ أَهْلَهُ مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، وَقَدْ عَيَّنَ أَبَا عَمْرٍو يُوْسُفَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْمُنْدَلِيَّ (ت ٣٨٣) مِنْ أَهْلِ شَدُونَةَ- وَكَانَ شَافِعِيًّا- عَلَى قِضَاءِ قُلْسَانَةَ، وَعَيَّنَ أَخَاهُ عَلَى الصَّلَاةِ فِي شَرِيشَ. وَفِي نِطَاقِ الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ:

وَلَدَ أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُودُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفٍ الْأَصْغَهَائِيَّ (٢٠١-٢٧٠ هـ) فِي الْكُوفَةِ. ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ. وَكَانَ أَعْتَادُهُ فِي الْفَقْهِ عَلَى الظَّاهِرِ (بِأَخْذٍ بِمَا يُدَلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثِ الرُّسُولِ مِنْ غَيْرِ لُجُوهٍ إِلَى تَأْوِيلٍ أَوْ رَأْيٍ أَوْ قِيَاسٍ). فَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَدْ أُوْجِدَ الْمَذْهَبَ الظَّاهِرِيُّ وَعُرِفَ هُوَ بِدَاوُودَ الظَّاهِرِيِّ.

وَمَعَ أَنَّ الْمَذْهَبَ الظَّاهِرِيَّ كَانَ قَبْلَ انْتِقَالِهِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ عَلَى يَدِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ هِلَالٍ (ت ٢٩٢)، فَإِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي عَمِلَ عَنْ نَشْرِ الْمَذْهَبِ وَالِاحْتِجَاجِ لَهُ وَالِدِفَاعِ عَنْهُ كَانَ مُنْذَرُ بْنُ سَمِيدٍ الْبَلُوطِيُّ (٢٧٢-٣٥٥ هـ). غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْمَذْهَبَ ظَلَّ، فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، قَاصِرًا. وَفِي أَيَّامِ النُّصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ (٣٦٦-٣٩٢ هـ) خَفَّتِ الدَّعْوَةُ إِلَى الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ لِأَنَّ النُّصُورَ وَقَفَ إِلَى جَانِبِ فَقْهِهِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيَّ خِصُومَ الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ.

مِنْ الْمُنْتَظَرِ أَنْ تَكُونَ الْحَضَارَةُ وَالثَّقَافَةُ فِي صِقْلِيَّةٍ جَانِبًا مِنَ الْحَضَارَةِ وَالثَّقَافَةِ فِي إِفْرِيقِيَّةٍ (الْقَيْرَوَانِ) وَالْمَغْرِبِ. وَيَبْدُو أَنَّ الْحَيَاةَ فِي دَوْرِهَا الْأَوَّلِ (فِي عَهْدِ الْأَغَالِيَةِ) كَانَتْ دِينِيَّةً فِي مُجْمَلِهَا فَقَدْ أَكْثَرَ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَّلُونَ فِي صِقْلِيَّةٍ مِنْ بَنَاءِ الْمَسَاجِدِ: كَانَ الْأَخُ وَأَخُوهُ أَوْ الْأَبُ وَابْنُهُ يَبْنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَسْجِدًا قَرِيبًا أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ. وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى آتِنَاشِ الْإِسْلَامِ وَعَلَى عُمُقِ الشُّعُورِ الدِّينِيِّ فِي النَّاسِ فَحَسَبُ، بَلْ كَانَتْ الْمَسَاجِدُ مَرَكَزًا لِلْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ أَيْضًا.

وَكَذَلِكَ يَبْدُو أَنَّ الْفِقْهَ الْمَالِكِيَّ كَانَ السَّائِدَ فِي صِقْلِيَّةٍ، وَلَا غَرْوُ فَإِنَّ فَتْحَ صِقْلِيَّةٍ بِدَأَ بِأَسَدِ بْنِ الْفَرَاتِ. وَأَسَاسُ الْعِلْمِ عِنْدَ أَتْبَاعِ مَالِكِ الْيَوْمِ كِتَابُ (الْمَدُونَةِ) وَقَدْ جَمَعَهَا أَسَدُ بْنُ الْفَرَاتِ فِي «الْأَسَدِيَّةِ».... وَكَانَ أَسَدُ بْنُ الْفَرَاتِ تَلْمِيزًا لِلْإِمَامِ

مالك^(١) (فلسفة التشريع ط ٤، ص ٥٦).

ومن فقهه المالكية في صِقْلِيَّة أبو يحيى محمد بن قادم (ت ٢٤٣) تلميذ أسد بن الفرات ثم عبد الله بن حَنُونٍ (أو حَنُونِيَّة) الكلبي الصِقْلِيَّ (ت ٢٧٠ هـ) ودِعامَةُ بن محمد الفقيه (ت ٢٩٧ هـ) تلميذ سَحْنُونٍ (ت ٢٤٠ هـ). ثم هنالك أبو لُقْمَان بن يوسف الفَسَّائِي (ت ٣١٩ هـ) وقد درَّس المَدُونَةَ في بَلَرَمَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً. ولا نَعْلَمُ متى دَرَسَهَا: أي عهدِ الأغالبة أم في مَطْلَعِ عهدِ المُعَيْيِدِينَ؟

اللغة

اقتصر الأندلسيون في الاهتمام باللغة والنحو - في هذا العصر - على الاهتمام بكتِّب المشاركة. وقد أدخل كتاب العين^(٢) إلى الأندلس ثابت بن عبد العزيز السرقسطي (ربما في أواخر القرن الثالث^(٣)) كما ألف أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩) مختصراً لكتاب العين ثم كتاباً في الاستدراك (لكلمات جديدة) على كتاب العين نفسه.

والمعاجم في الأندلس بدأت مختصرات^(٤) لكتب المشاركة، ولم يكن فيها من الابتكار إلا قليلاً. حتى كتاب «نوادير اللغة» للقالي - وقد وضَّعه القالي في الأندلس - يُشبه كتاب «الكامل» للمبرِّد^(٥).

وضع محمد بن أبان بن سيدي بن أبان السرقسطي (ت ٣٥٤ هـ)^(٦) معجماً كبيراً (في نحو مائة ألف) بناءً على الأنواع لا على الحروف وسمَّاه «كتاب العالم». وذكر أنخل

(١) قاسم - ثالث من حزم من عبد الرحمن بن مطرف بن سليمان بن يحيى العموي السرقسطي عالم بالحديث والفقه واللغة والنحو والتمسرح، رحل هو وأبوه إلى المشرق ورجعاً ثم عادا إلى الأندلس. وقاسم (٢٥٥-٣٠٢ هـ) أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس. وبدأ قاسم تأليف كتاب الدلائل في شرح الحديث (يذكر ما أعفاه أبو عبيدة وابن قتيبة عن تحريف الحديث). ولكنه مات قبل أن ينشئه فأفاه أبوه ثابت (٢١٧-٣١٣ هـ).

(٢) كتاب العين أول القواميس العربية، وهو للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (١٠٠-١٧٠ هـ).

(٣) الزبيدي ٣٠٩.

(٤) راجع تاريخ الفكر الأندلسي ١٨٩.

(٥) أبو العباس المبرِّد البصري (ت ٢٨٦ هـ) من علماء اللغة والنحو.

(٦) تاريخ الفكر الأندلسي ١٨٩ بقية الوعاء ١٤ ابن الفرضي ٣٦٢.

جثالث بالنشأ (تاريخ الفكر الأندلسي ١٨٩) أَنَّ المؤلّف المشرقي سَعِيداً الرّباعي (ت ٤١٦) قد نَهَجَ في تأليفه «كتاب اللّآلي» نهجَ ابنِ سَيد الأندلسي. ولكنّ في نسبة الابتكار في هذا النوع من التّأليف إلى الأندلسيّين موضعاً للنظر.

إلاّ أَنَّ الإشارة تحسّنُ هنا إلى كتاب الرُّبَيْدِي «طَبَقَاتُ النُّحَوِيّينَ واللُّغَوِيّينَ» (في المشرق والمغرب والأندلس) للدّلالة على اهتمام المغاربة كلّهم بهذا الموضوع، كما تحسّنُ الإشارةُ إلى أبي عليّ القالي. مرّت ترجمةُ أبي عليّ إسماعيلَ بنِ القاسمِ القالي البغداديّ في الجزء الثاني. وسأقي هنا بعددٍ من الملاحظات البارزة التي تتعلّق به لأنّه يمثّلُ في الأندلس اتّحافاً مشرقياً واضحاً زاد في أثر المشاركة في المغاربة.

وُلِدَ أبو عليّ القالي سنة ٢٨٨ (٩٠١ م) في بلدةٍ مَازَكُرْدَ (مازجرد) على الفُراتِ الشرقيّ قُربَ بُحَيْرَةِ «وَأَنْ» من ديار بكر (شمالِ الشام والعراق)، في الجَنُوبِ الشرقيّ من آسية الصُغرى (تركيّة اليوم).

طافَ القالي في بَنَظِقَتِهِ ثمّ جاء إلى المَوْصِلَ، سنة ٣٠٣ هـ. بعدئذٍ دخلَ بَغْدَادَ سنة ٣٠٥ وأقامَ فيها إلى سنة ٣٢٨ وكتب فيها الحديث. ثمّ إنّه خرج من بَغْدَادَ قاصداً الأندلسَ. وكان دُخُولُهُ إلى قُرْطُبَةَ في السابع والعشرين من سنة ٣٣٠ (١٧/٥ ٩٤٢ م). وكانت وفاةُ القالي في قُرْطُبَةَ في أوائل ربيع الآخر أو جُهادي الأولى من سنة ٣٥٦ (في أواخر السنة من عام ٩٦٦ م).

أخذَ القالي الحديثَ عن جماعةٍ منهم القاضي يوسفُ بنُ يعقوبَ البَصْرِيّ (٢٠٨-٢٩٧ هـ) وأبو القاسم عبدُ الله بنُ محمّدَ البَغَوِيّ البغداديّ (٣١٣-٣١٧ هـ) المعروف بأبى بَنتِ مَنيعٍ وكان مُحدِّثَ العراقِ في عصره. ومنهم الحُسينُ بنُ إسماعيلَ المَحامِلِيّ البغدادي (٢٣٥-٣٣٠ هـ). غيرَ أَنَّ شيوخه في اللغة والنحو والأدب كانوا أَوْسَعَ شُهرةً وأَوْضَحَ نسباً. كان منهم: أبو اسحاق إبراهيمُ بنُ السَّرِيِّ الزَّجَّاجُ (٢٤١-٣١١ هـ) وأبو الحسنِ عليّ بنُ سُلَيْمَانَ المعروفُ بالأخفش الأصغر (ت ٣١٥) وأبو بكرٍ محمّدُ بنُ السَّرِيِّ بنِ السَّراج (ت ٣١٦) وأبو بكرٍ محمّدُ بنُ الحسنِ بنِ دُرَيْدٍ (٢٢٣-٣٢١ هـ) وأحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ مُسلم بنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيّ (ت ٣٢٢).

بهذا يكون القالي قد نَقَلَ إلى الأندلس زُبْدَةَ علمِ اللغة وعلم النحو.

ولمَّا وَفَدَ القالي على الأندلس حَمَلَ مَعَهُ عدداً كبيراً من الكُتُب وأقرأها بلا ريب، فكان لها تأثيرٌ كبيرٌ في اتِّجَاهِ الأندلسيين في الدراسة والثقافة. كانت هذه الكتب لِمَجَاعَةٍ من أعلام المشاركة منهم^(١): الفراء (ت ٢٠٧) والمازني (ت ٢٤٩) والمبرِّد (ت ٢٨٦) وتَمَلَّب (ت ٢٩١) والأخفش الأصغر (ت ٣١٥) وابنُ دُرَيْد (ت ٣٢١) وابنُ قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِي (ت ٣٢٢) وَنُفُطُوْنِي (ت ٣٢٣) وابنُ أَبِي الأَزهَر (ت ٣٢٥) وابنُ الأَنبَارِي (ت ٣٢٨) وابنُ دُرُسْتُوْنِي (ت ٣٤٧).

وعُني القالي بإقراء شعرٍ نَقَّرَ من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والمُحَدِّثِينَ (العبَّاسِيِّين). من هؤلاء: طَرَفَةُ بْنُ العَبْدِ والنابغةُ الذُّبْيَانِي وعُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ وَحاتَمُ الطائي وزُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلمَى وَعَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ والأعشى الكبير ثم الخنساء والمُحَطِّبَةُ وَحَسَّانُ ابْنُ ثَابِتٍ وَجَمِيلُ بُشَيْنَةَ وَعُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَذُو الرُّمَّةِ وَالطَّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ ثم أَبُو نُؤَاسٍ.

الجغرافية والتاريخ

وفي الجغرافية والتاريخ آلف المغاربة الكُتُبَ تقليداً للمشاركة. آلف أبو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسَفَ التاريخيُّ الوراقُ (٢٩١ - ٣٦٢ هـ) للحكمِ المستنصرِ كتاباً ضخماً «مسالك إفريقيا وممالكها» وآلف في أخبار ملوكها وحروبها كتاباً جَمَّةً، كما آلف كتاباً في أخبار عددٍ من المُدن مثل تِهْرَتَ وَوَهْرَانَ وَسِجِلْمَاسَةَ والبصرة. ومُحَمَّدُ بْنُ يُوْسَفَ هذا

(١) راجع «فهرسة... ابن أبي خبیر الأشبيلي» (ت ٥٧٥ هـ)، ص ٣٩٨ وما بعد. وللدكتور حسن جمال الدين دراسة هي: «أديبام بغداديون في الأندلس» (بغداد - منشورات مكتبة النهضة) ١٩٦٢ - ١٩٦٣ م، بذل فيها جهداً مشكوراً لإحصاء هذه الكتب وتنسيقها، ولكن هذا الإحصاء والتنسيق لا يزالان بحاجة إلى إعادة نظر. وقضاه أنه رأى أثر هذه الكتب في حركة العلم في الأندلس. ولأبي عليّ القالي ترجمة ناعمة في «طبقات النحويين واللغويين» (ص ٢٠٢ - ٢٠٥: أبو عليّ البغدادي) لتلميذه أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ). ولقد عدّه تلميذه الزبيدي (بضم الزاي) مع المشاركة.

أندلسي الأصل نشأ في القيروان ثم هاجر إلى قرطبة^(١).

وقد كانت الغاية من تأليف كتب الجغرافية معرفة الطرقي إلى الحج خاصة ومعرفة الطرق بين بلاد العالم الإسلامي. ولقد ألف ابن خرداذبة البغدادى (ت نحو ٢٨٠ هـ) كتاب المسالك والممالك، قبل الوراق بنحو قرنين من الزمن.

واشتهر في التأليف في التاريخ ثلاثة أجيال من آل الرازي وأصلهم من الرزي في فارس بالمشرق: محمد بن موسى (ت ٢٧٣ هـ) وابنه أحمد (٢٧٤ - ٣٢٤ هـ) ثم حفيده عيسى (ولعل وفاته كانت في الثلث الأخير من القرن الهجري الرابع).

أما محمد فينسب إليه كتاب الرهايات، وقد ضاع إلا مقاطع يسيرة مفرقة في عدد من المصادر. وأما ابنه أحمد فهو مؤرخ الأندلس ألف أربعة كتب ضاعت أيضاً. وأحد كتبه «صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان فيها» يشبه كتاب «تاريخ بغداد» لأحمد بن أبي طاهر طيفور الحراساني (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ). ولعيسى أيضاً كتابان: تاريخ الأندلس ثم حجاب خلفه الأندلس، وقد ضاعا.

ومع أن هذه الكتب كلها قد ضاعت، فإن أسماءها وما بقي من بعضها (مُفرقاً في المصادر) يدل على اتجاه أصحابها في تأليف التاريخ.

ومن الكتب المهمة في التاريخ كتاب عنوانه «أخبار مجموعة» يبدأ بفتح الأندلس وينتهي بفتح من الحوادث في أيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ). من أجل ذلك يميل نفر من الدارسين إلى الاعتقاد بأن الكتاب من هذا العصر. ولكن منهم من يرى أنه أحدث من ذلك عهداً. وبما أن الكتاب لا يظهر عليه اسم مؤلف فقد ظن نفر آخرون من الدارسين أنه من تأليف جماعة من المؤرخين المتوالين في الزمن^(٢). وهناك كتاب صغير هو «تاريخ افتتاح الأندلس» لابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ)، وهو يسرد الأخبار من لدن الفتح إلى آخر أيام الأمير عبد الله بن محمد (ت ٣٠٠) على غاية من الوجازة مع شيء من الزهو الملموح بالقوط، لأن جدّه ابن القوطية

(١) حدود القشت ١٩٠ بمئة المئتين ١١٣١ بروكلمن، الملحق ١: ٢٢٣.

كانت سارة حفيدة غَيْطَنَةَ الذي وَقَفَ يومَ الفتح إلى جانب المسلمين انتقاماً من لَذْرِيْقَ الذي كان قد أنتزع منه الملك.

وكان عَرِيبُ القرطبي (ت ٣٦٩) قد اختصر بعض تاريخ الرُّسُل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطَّبْرِي (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) ثم أضاف إليه أشياء من تاريخ الأندلس. ثم هنالك كتاب كبير في التاريخ لأحمد بن عبد الملك بن شُهَيْد (ت ٣٩٢) مَبْنِيٌّ على السِّنِّين، وهو النَّهْجُ الذي كان الطَّبْرِي قد اتَّبعه.

الرياضيات والطبيعات

تَأَخَّرَ اتِّسَاعُ النشاطِ العلمي في مَبْدَأَيْهِ الرياضيات والطبيعات في الأندلس، ثم ظَلَّ الأندلسيون خاصة يُشاركون في علوم كثيرة من الحساب والمهندسة والفلك إلى جانب الطبِّ والفيقه والفلسفة أحياناً. واقتصر نشاطُ أهل المغرب في الأكثر على الطبِّ. وإذا نحن قارنا جهودَ المغاربة والأندلسيين - حتى أواخر هذا العصر الذي نُجمل خصائصه العامة هنا - في هذه العلوم بمجهود المشاركة لم نَجِدْ للمغاربة والأندلسيين براعة تُوجِبُ عَدَّهم إلى جانب العلماء المشاركة^(١).

لعلَّ أَوَّلَ مَنْ يستحقُّ الذِّكْرَ في هذا الباب، ومن هذه الباب، ادریسُ بن ميم (٢) الإشبيلي القرطبي (ولعلَّ وفاته كانت نحو ٣٦٠ هـ)، كان نحوياً بصيراً بحدِّ المنطق حاذقاً بعلم الحساب والتنجيم شاعراً مطبوعاً ومن علماء الكلام (الزبيدي ٣٣٢). ولقد كان على شعره فَلَوةٌ. فمن شعره:

أُرجِ النفسَ بالدموعِ فَبَينَها	من جَوَى الشَّوقِ راحةٌ للنَّفوسِ ^(١) .
وقربى يَفْضُ من زَهْرِ الرِّوْ	ضٍ ويُزْري على حُلِيِّ العروسِ ^(٢) .
ظَلَّ اِدریسُ شاكراً فيه نَعْمى	أُسْدِيَّتْ أَنْفَا إلى اِدریسِ!

(١) راجع تاريخ العلوم عند العرب ١٣٦ وما بعد.

(٢) المجرى: اشتداد الحزن أو المرض من الحب.

(٣) أُررى: غاب أُررى على حُلِيِّ العروس: أظهر نفس فيبتها بالإشافة إليه نعه

ومثل إدريس هذا محمد بن عبدون الجبلي العُدري كانت له رحلة إلى المشرق (٣٤٧ - ٣٦٠ هـ) ومشاركة في عدد من العلوم (طبقات الأطباء ٢: ٤٦). ولكن لا بد من وقفة قصيرة عند مسلمة بن أحمد الجريطي (ت ٣٩٨ = ١٠٠٧ م) إمام الرياضيين في الأندلس في عصره، دخلت العلوم الرياضية إلى الأندلس على يديه وكثر تلاميذه فيها. غني مسلمة بالفلك وبريج^(١) الخوارزمي (ت ٢٣٢) خاصة وحوله من السنين الفارسية (الشمسية) إلى السنين العربية (الهجرية القمرية) ثم اختصره وأصلحه. وله كتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج البتاني (ت ٣١٧)^(٢).

ثم هنالك أبو القاسم أصبغ^(٣) بن محمد بن السمع الغرناطي (٣٦٨ - ٤٣٦ هـ) له من الكتب: المدخل إلى علم الهندسة (في تفسير كتاب الأركان لأقليدس) - كتاب الهندسة الكبير (٢ معالجة الأشكال الهندسية ذوات الخطوط المستقيمة والمقوسة والمنحنية)^(٤) - طبيعة العدد (خواص الأعداد: المتواليات)^(٥) - ثار العدد (في المعاملات: الحساب التجاري) - التعريف بالأصطلاب - العمل بالأصطلاب - زيج على مذهب الهند^(٦) يتألف من قسمين: أحدهما الجداول (وفيها مواقع النجوم وحركاتها) والثاني منها رسائل الجداول (شرح لها ٢).

- (١) الرّيج: جدول فيه مواقع النجوم ومطالعها ومطارها. والخوارزمي أكبر علماء الرياضيات في الإسلام وموجد علم الجبر.
- (٢) السّاني من كبار علماء الفلك.
- (٣) طبقات الأطباء ٢: ١٣٩ بروكلمان ١: ٦٢٣، الملحق ٨٦١.
- (٤) المقوسة (التي هي قوس): جزء من دائرة (يقال للقوس اليوم: المنحنية). والمنحنية هنا هي التي يقال لها اليوم: الخط المنكسر.
- (٥) المتواليات: سلاسل أعداد على نسق مخصوص. فبالسلسلة الحسابية الطبيعية (تبدأ بالواحد) نحو: ١، ٥٠٤، ٣٠٢... الخ أو بفرق معلوم هو اثنين مثلاً نحو ٨٠٦، ٤٠٢، ١ الخ أو ٧٠٥، ٣٠١، الخ. أو بفرق خسة نحو ٥٠١، ١٠، ٢٠، الخ. هذه كلها تسمى متواليات حسابية. أمّا المتواليات الهندسية فتكون بأن يكون كل حد (عدد) فيها ضعف الذي قبله، نحو: ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، الخ أو ثلاثة أضاعفه ١، ٣، ٩، ٢٧، ٨١، الخ.
- (٦) الرّيج جداول فيها تعيين مواقع النجوم وحركاتها (على مدار السنة) أصله هندي. وهو يتناول الفلك والانساب (المتلقات) في الأكثر.

وقريب من أصبغ هذا أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر بن الصفّار^(١) من تلاميذ مسلمة بن أحمد المرحيطي (أو المبريطي أيضاً)^(٢) كان بارعاً في علم العدد والهندسة والنجوم، وقد تصدر في قرطبة لتعليم ذلك كله. وله زيج مختصر على مذهب السند هند وكتاب العمل بالأصطرلاب حسن العبارة قريب المأخذ. وفي صدر الفتننة أنتقل من قرطبة إلى دانية ثم توفي فيها سنة ٤٢٦ هـ. وكان لابن الصفّار أخ يسمى محمداً مشهوراً بعمل الأصطرلاب لم يكن قبله في الأندلس أبرع منه في ذلك.

ولا بد من ذكر أبي الحسن علي بن أبي الرجال^(٣) الشيباني المغربي القيرواني من أهل مدينة فاس، وقد عاش مدة في بلاط المعز بن باديس الصنهاجي (٤٠٦ - ٤٥٤ هـ) في القيروان. ويبدو أنه كانت له رحلة إلى المشرق وأنه شارك في الأرصاد^(٤) التي قام بها أبو سهل وتيجان بن رستم القوهي (أو الكوهي) في بغداد سنة ٣٧٨ هـ. ولابن أبي الرجال تأليف أشهرها كتاب البارع في أحكام النجوم (في التنجيم) وقد كان له أثر كبير في أوروبا خاصة فقد نُقل إلى العبرية وطُبِعَ بها مرتين (البندقية في إيطاليا ١٤٨٥ م وباسل في سويسرة ١٥٥١ م) كما نُقل إلى اللاتينية وطُبِعَ بها خمس مرات، وإلى الإسبانية والبرتغالية. وكانت وفاة ابن أبي الرجال في سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ م) أو بعد ذلك بقليل.

عني أهل المغرب وأهل الأندلس بالطب والنبات لصلة النبات بالداواة.

في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) ورد من المشرق طبيب يُعرف بالحرّافي وكانت معه مجربات في الطب منها معجون لوجع البطن كان يبيع

(١) طبقات الأطباء ٤: ٤٠.

(٢) المبريطي: نسبة إلى مبريط (مدرية: عاصمة إسبانية اليوم) وفي الصلة لابن بشكوval (ص ٥٨٩): المرحيطي (بتقديم الراء على الجيم). وفي طبقات الأطباء (٢: ٣٩، ٤٠، ٤٥): المرحيطي (بالحاء المهملة)، ولعله خطأ مطبعي. راجع أيضاً بروكلس: ١: ٣٥٦، الملحق ١: ٤٠٦.

(٣) راجع تاريخ الفلك عند العرب تأليف فالسو ١١٦٥، بروكلس ١: ٣٥٦، الملحق ١: ٤٠٦ تاريخ العلوم عند العرب تأليف فروخ ١٧٩.

(٤) الأرصاد جمع رصد (بفتح ففتح) - مراقبة حركات النجوم لتحديد مطالعها ومغاربها وسيرها.

الشربة منه بخسين ديناراً، وكان يبعه رائجاً. فحصد جماعته من الأطباء وجاء إليه نفر منهم فيهم خمسين بن أبا وجواد الطبيب النصارى واشتروا منه شربة بخسين ديناراً وجعلوا يذوقونها ويشمونها. ثم رجعوا إليه فقالوا: قد علمنا أن في المعجون كذا وكذا من العقاقير. فقال لهم: «أصبتم العقاقير وأخطأتم مقاديرها» ثم أشرقتهم في تجارته لئلا ينفردوا بصنع المعجون. (طبقات الأطباء ٢: ٤٢، راجع ٤١).

ثم هنالك أحد وعمر ابن يونس بن أحمد الحراني - ولعلها ابن الحراني الأنبي الذكر - زار المشرق (٣٣٠ - ٣٥١ هـ) ثم عاد وأتصلا بالحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ). ولكن عمر توفي وشيكا وبقي أحمد منقطعاً إلى الحكم يطببه ويطب أهل بيته. وكان أحد بارعاً جداً في الأدوية المفردة والأدوية المركبة، وبارعاً في مداواة أمراض العيون. ويبدو أنه عاش إلى أواخر الدولة الأموية. ولغريب بن سعيد القرطبي (ت ٣٧٠ هـ) كتاب «خلق الجنين وتدبير الحبال والمولود».

ثم يأتي في هذا العصر أبو دلوود سليمان بن حسان بن جليل (ت ٣٩٩) وكان طبيباً مختصاً بهشام المؤيد (٣٦٦ - ٣٩٩ هـ، في المرة الأولى) له من الكتب: تاريخ (أو طبقات) الأطباء والفلاسفة، ويسمى أيضاً: تاريخ الحكماء (ألفه سنة ٣٧٧) - أدوية الترياق - كتاب تفسير الأدوية المفردة (الواردة في كتاب «الأدوية المفردة» تأليف ذيوسقوريدس العين زري اليوناني من أحياء القرن الأول بعد الميلاد)، ولعله كتاب الحشاش لابن حجل أيضاً.

ومن كبار الأطباء ابن الجزار القيرواني (ت ٤٠٠ هـ)، وقد كان أبوه وعمره طبيبين. كان ابن الجزار طبيباً بارعاً ومؤلفاً كثيراً في موضوعات مختلفة. فمن كتبه في الطب: زاد المسافر وقوت الحاضر (طعام الإنسان في السفر والحضر)، أوها كتابان فيكون «زاد المسافر» (في علاج الأمراض) - الاعتدال (في الأدوية المفردة) - البقية (في الأدوية المركبة) - العدة لطول المدة (كتاب كبير في الطب) - قوت المقيم (عشرين مجلداً) - طب الفقراء - البلغة (في حفظ الصحة) - كتاب في الميعة وأمراضها ومداواتها - كتاب في الفرق بين الليل التي تشتهب أسبائها وتختلف أعراضها

(عَلَمَاتُهَا) - مُجَرَّبَاتٌ فِي الطَّبِّ.

وكان ابنُ الجَرَّارِ يُنَزِّهُ نَفْسَهُ عَنْ أَنْ يَتَنَاوَلَ أَجْرًا مِنَ الْمَرِيضِ أَخْذًا بِيَدِهِ. فَجَعَلَ عَلَى بَابِ دَارِهِ سَقِيْفَةً وَأَعَدَّ فِيهَا غُلَامًا لَهُ اسْمُهُ رَشِيقٌ وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ جِيعَ الْأَدْوِيَةِ. فَكَانَ إِذَا فَحَصَ مَرِيضًا أَرْسَلَهُ إِلَى رَشِيقٍ لِيَأْخُذَ مِنْهُ الدُّوْهَ وَيُدْفِعَ إِلَيْهِ الْمَالَ. فَكَانَ بِذَلِكَ قَدْ أَسَّسَ نِظَامَ الصِّدَالَةِ بِالفصل بين الطبيب والصيدلاني.

ومن الذين درسوا على ابن الجَرَّارِ في القيروان عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ بَرْتُو أَخْذٌ عَنْ آيِنِ الْجَرَّارِ « كِتَابُ زَادِ الْمَسَافِرِ » ثُمَّ أَدْخَلَهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ.

وأشهرُ الْأَطْبَاءِ فِي الْأَنْدَلُسِ أَبُو الْقَاسِمِ خَلْفُ بْنُ عَبَّاسٍ الزَّهْرَاوِيُّ - نِسْبَةً إِلَى الزَّهْرَاءِ قُرْبَ قُرْطَبَةٍ حَيْثُ وُلِدَ - بَرَعَ فِي الْجِرَاحَةِ خَاصَّةً. لَهُ كِتَابُ « التَّصْرِيفِ لِئِنْ عَجَزَ عَنِ التَّأْلِيفِ ». وَيَذْكُرُ الزَّهْرَاوِيُّ تَعْقِيمَ الْجُرُوحِ بِالْكَيِّْ وَبِالْقَوَاضِ (الْمَوَادِّ الْمَرَّةِ وَالْجَرِيْفَةِ) وَيَتَكَلَّمُ عَلَى جِرَاحَةِ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ وَالْأَسْنَانِ وَالْفَتَقِ وَعَلَى تَقْنِيَةِ الْحَصَى فِي الْمَثَانَةِ وَعَلَى التَّوْلِيدِ وَعَلَى رِبْطِ الشَّرِيَانِ لِنَعْلِ التَّزْيِفِ. وَهُوَ يُوَكِّدُ حَاجَةَ الْمُشْتَغَلِينَ بِالطَّبِّ إِلَى تَشْرِيحِ الْأَجْسَامِ حَيَّةً وَحَيَّةً. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٤٠٤ (١٠١٣ - ١٠١٤ م).

الفلسفة

بَدَأَ التَّفَكُّيرُ الْفَلَسَفِيُّ فِي الْأَنْدَلُسِ - مُسْتَقْلًا عَنِ الْكَلَامِ فِي الْمَذَاهِبِ الدِّينِيَّةِ - مَعَ احْتِكَاكِ الْمَغَارِبَةِ فِي أَثْنَاءِ رِحْلَتِهِمْ إِلَى الْمَشْرِقِ بِأَهْلِ الرَّأْيِ الْفَلَسَفِيِّ وَأَهْلِ الْإِعْتِرَالِ (النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ وَالبَحْثِ الْمُنْطَقِيِّ فِي الْعُقَائِدِ). وَأَوَّلُ مَنْ تَحَسَّنَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّيْنَةِ (ت ٣١٥)، وَكَانَ بَصِيرًا بِالْجَسَابِ وَالنَّجُومِ وَالطَّبِّ وَالتَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَخْبَارِ (التَّارِيخِ). وَكَانَتْ لَهُ رَحْلَةٌ إِلَى الْمَشْرِقِ رَجَعَ مِنْهَا وَقَدْ تَعَلَّقَ بِأَشْيَاءَ مِنَ الْجَدَلِ الْفَلَسَفِيِّ وَأَصْبَحَ مُعْتَزَلِي الْمَذْهَبِ (طَبَقَاتُ الْأَطْبَاءِ ٢ : ٣٩).

وَأَوَّلُ الَّذِينَ اتَّجَهُوا اتِّجَاهًا فَلَسَفِيًّا عَلَى الْخَصْرِ فِي الْأَنْدَلُسِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْرَةَ (٢٦٩ - ٣١٩ هـ) عَرَفَ أَشْيَاءَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ وَمَالَ إِلَى الْإِعْتِرَالِ وَإِلَى

التأويل الباطني في الدين. من أجل ذلك كان يكتم أمره أشد الكتمان. ثم اضطر إلى أن يخرج من قرطبة فانتقل إلى القيروان. ولكنه عاد بعد ذلك إلى قرطبة ولزم فيها بيتاً نائياً عن الناس. وكانت آراء ابن مسرة خليطاً من الآراء اليونانية المتأخرة وأكثرها بدور حول تحيّل هذا العالم ووجوده من الاعتقاد بمادّة روحانية تتألف منها الكائنات (المادّية) في مقابل العالم العقلي الذي يتألف من الجواهر الخفية. وفي فلسفته أشياء كثيرة وثيقة.

وكثر أتباع ابن مسرة وخصوصاً في أيام الحكم المستنصر لما كان من تشجيع الحكم للعلم ولتساهله في أنتشار الآراء المختلفة. فلما توفي الحكم المستنصر، سنة ٣٦٦ (٩٧٦ م) حدثت حملة على آراء ابن مسرة وعلى أتباعه ثم أشتدت هذه الحملة في أيام المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ).

مظاهر الأدب وخصائصه وأعلامه

في عصر الخلافة

كان أمراء بني أمية ينظرون إلى دولتهم في قرطبة بالأندلس على أنها استمرار لدولتهم في دمشق بالشام. فهذا النظر القومي العصبي مضافاً إلى الجامع الديني الروحي جعل أهل الأندلس كلهم يرون في المشرق مثلاً أعلى وقُدوة في الحياة الاجتماعية وفي الفقه والعلم والتفكير والأدب. من أجل هذا كله لا يستغربين أحد إذا لم يختلف الأدب الأندلسي في الشعر والنثر من الأدب الشرقي - في خصائصه المعنوية وخصائصه اللفظية - اختلافاً ظاهراً. وما يروى في هذه الحال أنه لما وصل كتاب «العقد» لابن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) إلى المشرق وأطلق عليه الصاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ) قال: «هذه بضاعتنا ردت إلينا» فإن كتاب «العقد» هذا كتاب شرقي في اتجاهه وموضوعاته وأسلوبه وروحِه ومُنْتَخَباته. ولولا أن فيه فصلاً يتعلّق بأمراء الأمويين في قرطبة لما أدرك أحد أن للكتاب صلة بالأندلس.

أولاً ما يَلْتَمِزُ النظرَ في الشعر الأندلسي أن الجانبَ البكريّ فيه ضعيفٌ بالإضافة إلى ما نَعْرِفُهُ من الشعر المشرقي في طوره الجاهليّ أيضاً. إنَّ التَّنَوُّعَ والانتساعَ والمعمقَ التي نراها في شعر المشاركة لا نراها في شعر المفاخرة، فليس في شعراء المغرب والأندلس جبايرةُ فكرٍ وعلمٍ من أمثال امرئ القيس وطرفة بن العبد والفردق وبنشار بن بُزْدٍ وأي نواسر وأي قنابر والمتنبيّ والمعرّي. لقد كان من مثليهم العليا أن يقال في ابن هاني الأندلسي «متنبي الغرب» وفي ابن زيدون «بُحترى المغرب»!

النتاج الأدبي

إنَّ إعجابَ الأندلسيين والمغاربة بالمشاركة- في السياسة والاجتماع- قد برَزَ أيضاً في النتاج الأدبي وفي خصائصه المعنوية واللفظية. وإذا كانت الأغراض الأدبية قد عرّفت بعض الاختلاف والابتكار، لاختلاف البيئة العامة واختلاف عددٍ من أحوال المجتمع في الغرب الإسلامي منها في الشرق الإسلامي- قليلاً أو كثيراً- فإنَّ الخصائص اللفظية لم تختلف في العصر الذي نُعالِجه اختلافاً ظاهراً إلا في التركيب اللغوي الذي خيّر شيئاً من متانتِهِ.

في الشعر:

أما فنون الشعر فقد بقيتِ الفنون المشرقية: المدح والفخر والحماسة والرياء والهجاء والوصف والغزل والنسيب والعتاب والأدب (الحكمة). غير أنَّ الأغراض (الموضوعات الجزئية) في عددٍ من هذه الفنون قد عرّفت أشياء جديدة، وخصوصاً في الوصف الذي اتسع في الأندلس خاصة اتساعاً عظيماً، وعلى الأخص وُصف المارك البحرية ثم وُصف الرياض من عالم الطبيعة وُصف المنشآت من عالم العمران (كوصف المدن وريائتها مثلاً). ولقد رَقَّت في هذه الفنون كلها عاطفة الشاعر واتسع خياله. ولكن الشعر عامةً ظلّ- من حيث المعاني المُبتكَرة والمدارك البعيدة القوَر- أدنى طبقة من الشعر المشرقي. ثم إنَّ المدارك الفلسفية الصحيحة لم تُجدَّ طريقها إلى

الشعر الأندلسي، لأن دراسة الفلسفة نفسها قد تأخرت في الغرب الإسلامي عنها في الشرق الإسلامي، ولأن سيادة مذهب ديني واحد (هو المذهب المالكي) لم يُشجّع على إبداء الآراء المختلفة كما كان الشأن في الشرق مع تعدد المذاهب والأديان والفلسفات. ولا شك في أننا نجد في الشعر المغربي عامة، في باب الأدب (الحكمة)، خطرات من الفكر المثقف قد تبلغ إلى ما عند ابن الرومي وعند المتنبي أحياناً. ولكننا لا نجدُها تبلغ - من حيثُ القصد والمنطق والشمول والجرأة الصحيحة - إلى ما نجدُ عند أبي العلاء المبرّي.

غير أنه كان لانتشار المذهب الفاطمي (وهو مذهب باطني حُلُولي)^(١) في المغرب - ولدى تفرق قليلين من الأدباء المتكسبين - أثرٌ في تقبل عددٍ من المدارك الخارجية عن التوحيد. من أشهر هؤلاء الأدباء الشاعر ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢) فقد قال في مدح الميرزا لسن الله الفاطمي (٣٤١ - ٣٦٥ هـ):

ما شئت، لا ما شاءت الأقدار! فاحكم، فانت الواحد القهار!
وسوى ذلك مما تراه في ترجمته.

ولا شك في أن الوصف - وصف الطبيعة - كان أنهى مظاهر الشعر الأندلسي، لجمال البيئة الطبيعية في الأندلس وتتنوع مظاهرها. ومع الإيقان بأن الأندلسيين كانوا بارعين جداً في وصف الجنان والأنهار والأشجار والأزهار وفي وصف السماء وما فيها، فإنهم لم يتكفوا في ذلك نور ابن الرومي (ت ٢٨٣) وابن المعتز (ت ٢٩٦) والصنوبري (ت ٣٣٤) في ذلك الفن ولا في أغراضه. بيد أن هذا كله لا يمنع الدارس من أن يكون منصفاً فيرى للأندلسيين في وصف الطبيعة - وفي غير وصف الطبيعة - خيالاً جليلاً ولقنات كثيرة بارعة. غير أن تراحم الصور أحياناً تم محاولة الإغراب أحياناً أخرى كأننا يفقدان تلك الأخيلة كثيراً من وضائها. هذا الوصف

(١) الفاطمي، الباطني (انظر، فوق، ص ١٧). مذهب الحلول: الاعتقاد بأن الله يمكن أن يتمثل بالبشر، يحمل في جسم بشري.

البارع لظاهر الطبيعة كان في الأندلس - منذ هذا الدور الباكر - أحد مقومات الأدب الأندلسي.

ولقد رأينا في صورة العصر السابق (عصر الأمراء المتوارثين) أنكاه يحى الغزال (ت ٢٥٠) في الحمريات على أبي نواس. ويحس أن شير هنا إلى أن ابن دراج القسطلي (ت ٤٢١) - بعد الغزال بجيلين من الدهر أو يزيدان^(١) - قد أنكأ في إحدى مدائحه (والغاية هنا ضرب مثلي فقط) على قصيدة بعينها لأبي نواس نفسه، في الفن والفرص والنفس والبحر والقافية. ولم ينس ابن دراج أن يودع امرأته - قبل أن يذهب إلى المدوح - وأن يمنيها عطاه جزلاً، كما فعل أبو نواس تماماً. وهذا يتضح بأدنى نظر من مقارنة قصيدة ابن دراج «دعي غزوات المستنصر سير» بقصيدة أبي نواس «أجارة بيتينا، أبوك غيور». وفي مختارات ابن دراج جانب من قصيدته المذكورة.

ثم بالغ المغاربة والأندلسيون في محاكاة المشاركة في الأغراض، حتى في وصف الصحراء والبادية، ووصف الأطلال والنياب، مع أن الغالب على الأندلس خاصة كثرة الأنهار والرياض.

أما الأسلوب فإنه أصبح في هذا الدور - عموماً - أكثر رشاقة وأناقة، مع فصاحة الألفاظ وسهولة التراكيب ووضوح المعاني، وإن كان ذلك الأسلوب ذاته قد ركز تركيبه قليلاً أو كثيراً. غير أن الشاعر الفصيح لم يَدْخُل شيئاً من الألفاظ العامية في شعره ولا ترك الإعراب. وتلفت النظر أن الأندلسيين والمغاربة قد استعملوا ألفاظاً عربية لم تنق - منذ ذلك الحين - مألوفة في المشرق، كما اجتهدوا في اشتقاق صيغ متنوعة أو في استحداث معانٍ جديدة لصيغ قديمة بحسب ما اقتضته أحوال حياتهم. وهذا ما حمل المستشرق الهولندي رابنهارت دوزي على تصنيف قاموس لهذه الألفاظ والصيغ والمعاني^(٢). وربما لجأت أنا إلى الإشارة إلى عدد من الصيغ

(١) الجيل ثلاث وثلاثون سنة.

(٢) R. G. Dozy. (1828-1882)

والمعاني التي تردّ في النصوص الأندلسية من هذا الجزء، ثم لا تكون قد وردت في القواميس العربية المعتمدة، بأن أحصرها بين أهلية أو بأن أنصّ على أنها لم تردّ في القاموس (وتكون الإشارة عادةً إلى القاموس المحيط للفيروزبادي).

وأما في الخصائص اللفظية فإنّ الشعر الأندلسي لم تكن له في التركيب تلك المتانة التي صنّعت روعة الشعر المشرقي. ولما قصر الأندلسيون في أخراع المعاني والقوَص عليها تملّقوا بالألفاظ الجميلة وبالتنميق والزخرف. ولا يُنكر أحدٌ عليهم ألفاظهم ذات الطلاوة والرنين في التراكيب السهلة. ولقد نحا مُعظم شعراء الأندلس نحوَ البحّري (ت ٢٨٦ هـ) في الانكاء على الألفاظ الفصيحة المحلوة والتراكيب السهلة العذبة والمعاني المألوفة القريبة المأخذ. ولكنّ البحّري ظلّ في ذلك كلّه زعيمَ الشعراء الذين اختاروا أن يسلكوا سبيل الألفاظ الرائقة وينشروا لؤلؤ الديباجة الأنيفة.

وفي هذا النور بدأ الاهتمام باللاحر. قال ابنُ خلدون (المقدمة ٦٠٢): كَتَبَ النَّاسُ فِي حَدَثَانِ الدُّوَلِ مَنْظُومًا وَمَنْشُورًا وَرَجَزًا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوا. وفي أيدي الناس (أشياء كثيرة متفرقة) منها، وتُسمّى الملاحم. وبعضها في حَدَثَانِ الْمِلَّةِ عَلَى الْعُمُومِ، وبعضها في دولة (دولة) على الخصوص. وكلّها منسوبة إلى مشاهير من أهل الخليفة. وليس لها أصلٌ يُعتمدُ على روايته عن واضعِ النسوبة إليه.

وأوّل إشارة إلى الملاحر نجدها في آثار يحيى بن حَكَم الغزالي المتوفى سنة ٢٥٠ (راجع ترجمته).

ومن الملاحر النابتة المعروفة أرجوزة لابن عبد ربّه (ت ٣٢٨) تبلغُ أربعينَ وخمسين بيتاً فيها وصفٌ لحروب عبد الرحمن الناصر، من سنة ٣٠١ إلى سنة ٣٢٣ (٩١٣ - ٩٣٣ م). ولكنّ اهتمام ابن عبد ربّه في ملحمته كان يسردُ الأحداث التاريخية، ولم يُغنِ بالفنّ الملحمي، من التزيين بالخيال ومن براعة القصص ووصف البطولات وحيل المفاجئات وتدخّل القوى الخارقة للطبيعة في سبيل حلّ العقدي (كما هو معروف في الملاحم التي هي على النمط اليوناني).

ويقال إنّه كان لابن عبد ربّه مؤشحات (راجع ترجمته). ولكنّ لم يصل إلينا شيء

منها. ولم يُورد ابن عبد ربو شيئاً من مُوشحاته- ولا من مُوشحات غيره- في كتابه «المقدّم»، مع كثرة ما يُورد من شعر غيره وشعر نفسه في هذا الكتاب.

ومع كل هذا التجديد الطارئ على الأدب الأندلسي- في الشعر وفي النثر- فإن الرجز (وهو فن بنوي جاف وتاج فطري بسيط- حتى قيل فيه: إنه حمار الشعر) ظلّ معروفاً في الأندلس، لا في الألفيات الفقهية والتحوية وما شابهها فقط، بل في الإنشاد الوجداني أيضاً. وقد ظلّ الرجز مألوفاً إلى أواخر العصر الأندلسي. وفي نفح الطيب نحو مائة شاهد تطول أو تقصر من هذا البحر^(١).

فمن الراجزين في عصر الخلافة أبو المُطَرِّف عبد الله بن محمد الأصب (ت ٣٣٥)، «كان نحوياً لغوياً فصيح اللسان شاعراً مجوداً. وأكثر أشعاره على مذاهب العرب، وله أراجيز فصحة» (الزبيدي ٣٣١).

وللشاعر الرمادي (ت ٤٠٣) المشهور رجز في موضوع حَصْرِيٍّ مِنْ وصفِ الحمر ووصف الطبيعة (نفح الطيب ٤ : ٧٤):

نَوْمٌ وَغَيْثٌ مُسْبِلٌ وَفَهْوَةٌ تَنْلَلُ^(٢)؛
تَدُورُ بَيْنَ قَيْتَةٍ عُلْقَمَةٍ تُمَثِّلُ^(٣)؛
«وَالْأَفْقُ مِنْ سَحَابِهِ طَلٌّ ضَعِيفٌ يَنْزِلُ^(٤)،
كَأَنَّهُ مِنْ فِضَّةٍ مُرَادَةٌ تُغْرِسُ^(٥)».

ومرّ ابن شهيد (ت ٤٢٦) برجلٍ من معارفه بين يَدَيْهِ زَنْبِيلٍ فِيهِ حَرْشَفٌ^(٦) فَأَصْرَ

(١) راجع مع الطيب ٨ - ٤٤٨ - ٤٥٢ (قربت الرحر).

(٢) الدوّ في الأصل منزلة للجم يحدث في زمانها مطر. الصب: المطر الناعم. المسيل: الكثير (المطول). السمر: الغصن. الحمر المطبوعة بالنار. سليل - سليل - من «سلل»، صب (ال)، شفا فسنا. (حمر كانت تشرب قليلاً قليلاً).

(٣) علقمهم تمل (كاتب رقعة دمنة، لينة مثل أحلاقهم الكرم).

(٤) الطل: المطر الخفيف.

(٥) المرادة: القطع الصغيرة المعصلة من قطعه كبره من المعدن بعد حنكها معرد.

(٦) الزنبيل: وعاء كبير مصنوع من حوص الحل (عنه)، الحرف، أو الحرف، والحرف: شوكه =

عليه الرجلُ أَنْ يَصِفَ ذلكَ الحَرْشَفَ، فقال ابنُ شَهِيدٍ ارتجَالاً (نفع الطيب ٣: ٢٤٦) أَشْطَرُأَ منها:

هل أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ، يَا خَلِيلِي، قَنَافِذَا تُبَاعُ فِي زَنْبِيلٍ^(١) ؟
 من حَرْشَفٍ مُعْتَمِدٍ جَلِيلٍ ذِي إِبْرٍ تُنْفَذُ جِلْدَ فَيْلٍ^(٢).
 كَأَنَّهَا أَنْيَابُ بَنَاتِ الْغُولِ لَوْ نَخَسَتْ فِي أَسْتِ أَمْرِي، تَقِيلُ،
 لَقَفَرْتُهُ نَحْوَ أَرْضِ النَّبِيلِ^(٣)

في النثر:

إِنَّ النَثْرَ الْعَرَبِيَّ (فِي الْمَغْرِبِ وَفِي الْمَشْرِقِ أَيْضاً) لَمْ يَتَطَوَّرْ بِالسَّعَةِ الَّتِي نَطَوَّرَ بِهَا الشَّعْرُ لِسَبَبَيْنِ. أَوَّلُ ذَلِكَ السَّبَبَيْنِ أَنَّ النِّتَاجَ فِي النَثْرِ - فِي الْخَطَابَةِ وَالتَّرْسُلِ وَالتَّنْقِدِ وَالْمُنَاطَرَاتِ وَالتَّصْنِيفِ - كَانَ يَقُومُ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى عَلَى «الرَّوَايَةِ» (نَقْلُ الْأَرَاءِ عَنِ الْمُتَقَدِّمِينَ بِلَفْظِهَا مَا أُمَكَّنَ) حِرْصاً عَلَى صِحَّةِ تِلْكَ الْأَرَاءِ وَاضْفَاءً لِشَيْءٍ مِنَ النِّقَّةِ عَلَيْهَا. فَالْبُحُوثُ فِي اللُّغَةِ وَالصَّرَفِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ تَمَّ فِي الْفِقْهِ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ كَانَتْ كُلُّهَا قَائِمَةً عَلَى الرَّوَايَةِ. وَكَلَّمَا كَانَ الرَّاوِي أَقْرَبَ زَمَناً إِلَى النَّحْنِ يَزْوِي عَنْهُمْ، وَكَلَّمَا كَانَتْ أَلْفَاظُهُ أَقْرَبَ إِلَى أَلْفَاظِهِمْ، كَانَتْ النِّقَّةُ بِهِ أَكْبَرَ وَالاعْتَادُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ. وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ كَانَ لِرَّوَايَةِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ، أَثَرٌ أَكِيدُ بِالْغُفِّ فِي جَرَّيَانِ سَائِرِ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ فِي الْإِسْلَامِ هَذَا الْمَجْرَى. وَثَانِي ذَلِكَ السَّبَبَيْنِ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا - وَمَا يَزَالُونَ - مَيَّالِينَ إِلَى الْإِسْتِشْهَادِ فِي ثَنَائِهِمْ بِأَلْفَاظِ الْكَرَمَةِ

«الدَّعْنُ، أَرْضِي شَوْكِي (الْفَرْقُ تَرْكِي)»: نَبَاتٌ مَأْكُولٌ يَتَأَلَّفُ مِنْ قَرَصٍ مَقْطُوعٍ بِطَبَقَاتٍ مُتَكَثَّةٍ لِبَيْتَةِ تَنْجِيهِ بِطَرَفِ إِبْرِي.

(١) قَنَفَذُ (بَعْضُ فَسْكَونٍ مُضَمٍّ): الشَّجَرُ يَفْتَحُ فَسْكَونَ فُتْحٍ، الدَّلْدَلُ (بَعْضُ فَسْكَونٍ)، الدَّلْدُولُ (بِالضَّمِّ): حَيَوَانٌ يَشْبُهُ الْجُرَذُونَ وَلَكِنْ أَكْبَرَ حَجْماً، جَسَدُهُ مَقْطُوعٌ بِشَوْكٍ مِثْلِ الْإِبْرِ يُسْتَطِيعُ أَنْ يَطْلُقَهَا عَلَى عَدُوِّهِ دَفَاعاً عَنْ نَفْسِهِ. وَيُسْتَطِيعُ أَنْ يَخْفِيَ رَأْسَهُ فِي بَطْنِهِ فَيَتَكَوَّرُ وَيَصْبِحُ كَرَّةٍ مَقْطُوعَةٍ بِشَوْكٍ، وَلِلدَّلْدَلِ بِسْمِيَّةُ الْعَامَّةِ «كَتَاةُ الشَّوْكِ».

(٢) مُعْتَمِدٌ: مُعْتَمِدٌ (حَسَنُ النَّوْعِ، مَرْغُوبُ فِيهِ)، جَلِيلٌ: كَبِيرُ الْحَجْمِ. تَنْفَذُ: تَخْرُقُ.

(٣) نَخَسَ: شَكَّ. الْاَسْتِ: الْمَقْعَدَةُ (بِالْكَسْرِ)، مَوْخَرَةُ الْبَدَنِ. قَفَرْتُهُ (لَيْسَتْ فِي الْقَامُوسِ): جَعَلْتُهُ يَقْفِرُ.

والأحاديث النبوية الشريفة وبأقوال المتقدمين من الشعراء والأمثال، مما يدعو إلى ثبوت الخصائص الأدبية واستمرارها، (فما يتعلق ببناء الجملة) على مناهج متقاربة. وإذا نحن استعرضنا كتاب «العقد» لابن عبد ربّه (ت ٣٢٨) وكتاب «الأمال» لأبي عليّ القالي (ت ٣٥٦) وخطب منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥) وكتاب «زهر الآداب» للحصري (ت ٣١٣) ووصية ابن بُرْدِ الأكبر (ت ٤١٨) ورسائل ابن شهيد - وكلّ هذه ترجع إلى أيام الخلافة المروانية في الأندلس - لم نجد فيها كلّها ما يدلّ على اختلافها من أمثالها من نتائج المشاركة. وأنصع الأدلة على هذا أن أبا عليّ القالي - وهو مشرقيّ - انتقل إلى الأندلس سنة ٣٣٠ (٩٤٣ م) - قد أملى كتابه «الأمال» في مدينة الزهراء. ومعنى هذا أن أسلوب النثر الذي جاء به التالي من المشرق كان الأسلوب المألوف - في ميادين العلم والأدب - في الأندلس.

والنثر أنواع منها الخطابة والترسل والمحاضرات والمناظرات، ومنها النقد والتأليف. وما دام النصّان الغالبان في هذه الأنواع هما الرواية والاستشهاد، فينبغي المنتظر ألا يكون بين هذه الأنواع من النثر فروق شاسعة.

وللخطابة أغراض: تبليغ أوامر الدولة أو الموعظة والتحذير أو الحث على عقد الأحلاف والصداقات. وفي هذه كلّها يحسن أن يكون الموضوع قريباً من السامع وأن يكون الأسلوب الذي يجري فيه ذلك يشبه ما خطب به القاضي أحد بن بقي بن مخلد (ت ٣٣٤) فقال (المراقبة العليا ٦٥):

اللهم، وقد دعاك هذا نفر من عبادك الساعون لثوابك المجتمعون ببابك، فرعاً من عقابك وطمعاً في ثوابك، وقبلهم^(١) من الذنوب ما أحاط به علمك وأحشاء حفظك. فعدّ عليهم في موقفهم^(٢) هذا برحمة توجب لهم جنتك وتجيرهم من عذابك. وإذا كانت أغراض الرسائل في الغرب الإسلامي - سواء أكانت تلك الرسائل سياسية إدارية أم إخوانية شخصية - هي أغراضها في الشرق الإسلامي، فلا مفر من

(١) قبلهم: عندهم، عليهم.

(٢) عاد فلان على فلان: رجع إليه - ارجع عليهم برحمتك بعد غضبك.

أَنْ يَكُونَ أَسْلُوبُهَا فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَاحِدًا أَوْ كَأَنَّهَا وَاحِدٌ. فِي سَنَةِ ٣٩٣ (١٠٠٢ م) كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرُ بْنُ النُّصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ رِسَالَةً إِلَى الْمُعِزِّ بْنِ زَيْرِي بْنِ عَطِيَّةِ الصَّنَاجِيِّ مَلِكِ فَاسٍ يُقْرَأُ عَلَى عَمَلِهِ^(١). مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ (الاستقصا ١: ٩٤):

.... إِلَى كَافَّةِ أَهْلِ فَاسٍ وَكَافَةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ سَلَمَهُمُ اللَّهُ..... إِنَّ الْمُعِزَّ بْنَ زَيْرِي بْنِ عَطِيَّةَ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - تَابَعَ رُسُلَهُ لَدُنَّا وَكُتِبَهُ^(٢)، مُتَّصِلًا مِنْ هُنَا دَفَعْتُهُ إِلَيْهَا ضَرُورَاتٍ^(٣)، وَاسْتُغْفِرًا مِنْ سَيِّئَاتٍ حَقَّتْهَا مِنْ تَوْبَتِهِ حَسَنَاتٍ^(٤). وَالتَّوْبَةُ بِمَحَاةٍ لِلذَّنْبِ^(٥) وَالِاسْتِغْفَارُ مُنْقِذٌ مِنَ الْعَيْبِ..... وَقَدْ وَعَدَ مِنْ نَفْسِهِ اسْتِشْعَارَ الطَّاعَةِ وَلُزُومَ الْحَادَّةِ^(٦) وَأَعْتَادَ الْإِسْقَامَةَ وَحُسْنَ الْمَعُونَةِ وَخِفَةَ الْمُؤُونَةِ^(٧). فَوَلَّيْنَاهُ مَا قَبْلَكُمْ، وَعَهْدْنَا إِلَيْهِ أَنْ يَمْعَلَ بِالْعَدْلِ فِيكُمْ وَأَنْ يَرْفَعَ الْجَوْرَ عَنْكُمْ وَأَنْ يُعَمِّرَ سُبُلَكُمْ^(٨)، وَأَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُمْ، إِلَّا فِي حُدُودِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى^(٩).....

وَمِنْ النَّبَاحِ الْمُبْتَكَّرِ فِي الْأَنْدَلُسِ الْكِتَابَةُ الْخَيَالِيَّةُ الَّتِي يُسَمِّيهَا أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِينَ شُهَيْدٍ (ت ٤٣٦) فِي كِتَابِهِ «التَّوَابِعُ وَالزَّوَابِعُ»، وَفِيهِ كَلَامٌ عَلَى عَالِمِ الْجِنِّ (رَاجِعْ تَرْجُمَةُ ابْنِ شُهَيْدٍ). أَلْفَ ابْنُ شُهَيْدٍ هَذَا الْكِتَابَ سَنَةَ ٤٢١ (١٠٣٠ م) - قَبْلَ أَنْ يُؤَلَّفَ الْمَعْرِيُّ «رِسَالَةُ الْفُفْرَانِ» بَيْنَ سَنَةِ ٤٢٢ وَسَنَةِ ٤٢٤ (١٠٣١ - ١٠٣٣ م). وَمِنْ

- (١) كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَاصِرُ (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) قَدْ بَسَطَ سُلْطَانَهُ عَلَى أَسْرَاءِ الْمَغْرِبِ حَتَّى اسْتَمَرَ ذَلِكَ زَمَانًا بَعْدَهُ. أَقْرَأَهُ عَلَى عَمَلِهِ (مَنْصِبِهِ): يَتَّبِعُهُ فِيهِ.
- (٢) تَابَعَ رُسُلَهُ: أَرْسَلَهُمْ تَبَاعًا وَجَعَلَهُمْ كَثِيرِينَ.
- (٣) الْحَنَةُ (بِالْفَتْحِ): التَّيْهَةُ الْقَلِيلُ (مِنْ الْخَطَا).
- (٤) حَقَّتْهَا: (أَنْزَلَتْهَا عَنْ طَهْرِهِ، غَفَرَتْهَا) مِنْ تَوْبَتِهِ (بِحَسَنِ تَوْبَتِهِ).
- (٥) مَحَاةٌ (بِالْكَسْرِ): خَرْقَةٌ تَزَالُ بِهَا الْأَوْسَاجُ.
- (٦) لُزُومُ (الْيَقَاضُ عَلَى) الْحَادَّةِ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعَةُ السُّلُوكِ فِي الطَّاعَةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ.
- (٧) حَسَنُ الْمَعُونَةِ: الْمُسَاعَدَةُ (بِالْقِيَامِ بِمَا يَنْتَهَدُ بِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجَيْشِ وَمِنْ سِيَاسَةِ الدَّوْلَةِ). خِفَةُ (قَلَّةِ) الْمُؤُونَةِ (تَكْلِيفِ الْإِنْسَانِ مَا يَنْقُلُهُ).
- (٨) الْجَوْرُ: الظُّلْمُ. يَمْعُرُ سُبُلَكُمْ (طَرَفَكُمْ) بِمَجْلُهَا عَامِرَةً، أَهْلَةً، أَسَنَةً.
- (٩) يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ (وَيُسَبِّحُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ) وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُسِيئِكُمْ (يَنْسِي سَيِّئَاتِهِ الْيَاسِيَّةَ). حُدُودُ اللَّهِ: مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ.

الممكن، كما يقول بروكلمن (الملحق ١: ٤٥٣)، أن يكون المعري قد تأثر بـ ابن شهيد في ذلك.

ثم يأتي النقد. لا شك في أن النقد يبدأ بفهم القطعة المعروضة على النظر. من أجل ذلك كانت «الشروح» أول خطوات النقد لها فيها من محاولة الكشف عن المعاني ومن ترجيح بعض المعاني على بعض. ومع أن الشروح تبدأ محاولة بسيطة لفهم اللغوي، فإنها كثيراً ما تتسع فتتناول الفهم الأدبي (مقصد الأديب الشاعر أو الناثر من قوله) والفهم البياني (تعبير الأديب عن مقاصده) والفهم البلاغي (الصور المختلفة لتعبير الأديب عن معانيه المفردة). من ذلك كله مثلاً:

ذكر الزبيدي (ت ٣٧٩) أنه سأل ابن الوزان النحوي (ت ٣٤٠) عن اعتراض العلماء على تفسير الإمام الشافعي (ت ٢٠٤) في قوله تعالى: «ذلك أذن أن تعملوا» (٤: ٣، سورة النساء) ففسر الشافعي «تعملوا» بمعنى «يكثر عيالكم». فقال ابن الوزان (الزبيدي ٣٧٩): أخطأ الشافعي. يقال: عال (الرجل) يعمل إذا افتقر، وأعال (يعمل) إذا كثر عياله.....

وهناك ملاحظة من النقد من طريق الشرح اللغوي ذكرها الزبيدي أيضاً في معرض الكلام على «الشجي» (الذي أثقله المم) كما وردت في شعر أبي عبد الله محمد بن الحكيم الأندلسي (ت ٣٣١): أهـي شج أم شجي؟ وما القياس في ذلك وما المروي عن العرب (راجع الزبيدي ٣٠١). وكذلك ذكر الزبيدي (ص ٣٣١) أن أبا عمر أحمد بن مضاء المعروف بابن الحصار (ت في أواسط القرن الرابع) كان نحويًا ذكيًا، وكان قليل المطالعة لكثب النحاة ولأنه كان يؤمل على قيايه وتعليه، (في فهم وجوه التخريج والإعراب).

وليست بنا حاجة إلى قول هو أن المغاربة كانوا يقدمون رأي المشاركة في النقد، وفي النتاج الأدبي الأندلسي نفسه. قال أحد الأندلسيين الذين رحلوا إلى الشرق (الزبيدي ٣٠١ - ٣٠٢): «استنشدني المروج ببغداد لأهل بلدنا فأنشدته لأحد بن

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ^(١) قَصِيدَةً وَثَانِيَةً، فَلَمْ يَسْتَحْصِنْ شَيْئاً مِمَّا أَنْشَدَتْهُ. فَأَنْشَدَتْهُ لِمُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى:

بِمَا غَزَاكَ عَنْ لِي مَاءٍ خَزَّرَ قَلْبِي حَمًى وَلَّى^(٢)،
أَنْسَلْتُ مَنِي بِفُؤَادِي، بِأَمْسِي نَفْسِي، أَحْلَى!

حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِ الشَّعْرِ. فَقَالَ: هَذَا الشَّعْرُ بِحَتْمِيهِ، لَا مَا أَنْشَدْتَنِي بِهِ آتِئاً^(٣).

وَأَرَادَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ، فِي مَطْلَعِ خِلَافَتِهِ، أَنْسَاخَ شِعْرِ حَبِيبِ^(٤) فَأَخْضَرَ جَمَاعَةً فِيهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَرْقَمِ النَّخْوِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ وَالْوَزِيرُ أَبُو الْأَصْبَغِ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَاجِبِ (ت ٣٢٠) وَالشَّاعِرُ الْقَلْفَاطُ وَابْنُ قُرَجَرِ الْمَعْرُوفُ بِالْبِيسَارِيِّ أَوْ بَابِنِ الْبِيسَارِيِّ - وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعَرَبِيَّةِ (النَّخْوِ) وَمِنْ طَبَقَةِ ابْنِ الْحَكِيمِ وَالْقَلْفَاطِ. وَشَاوَرَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي أَيِّ الْقَصَائِدِ يَحْسُنُ أَنْ يُقَدَّمَ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ^(٥) فَقَالَ ابْنُ أَرْقَمٍ: «إِنَّمَا يُفَضَّلُ الشِّعْرُ وَيُقَدَّمُ لِغَرَابَتِهِ وَحُسْنِ مَعْنَاهُ. وَشِعْرُهُ (شِعْرُ أَبِي قَامٍ) الَّذِي وَصَفَ فِيهِ الْقَلَمَ^(٦) لَمْ يُقَدِّمَهُ (فِيهِ) عَلَيْهِ مُتَقَدِّمٌ وَلَا لَحِيقُهُ فِيهِ مُتَأَخِّرٌ». وَاخْتَلَفَ الْمُجْتَمِعُونَ فِي ذَلِكَ. ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ خَضَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْغَائِي^(٧) فَسُئِلَ رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ (مَنْ) غَيْرِ أَنْ يَعْرِفَ أَرْكَهُ الْمُخْتَلَفِينَ) فَقَالَ: إِنَّ أَهْلَ بَدَادٍ لَا يُفَضِّلُونَ عَلَى شِعْرِ أَبِي قَامٍ فِي الْقَلَمِ شَيْئاً لِغَرَابَةِ مَعْنَاهُ.

وَلَكِنْ بَيْنَمَا كَانَ الشُّعْرَاءُ وَالنُّقَادُ يَذْهَبُونَ فِي تَنَقُّوِ الشِّعْرِ مَذْهَبَ الْقِدَمَاءِ، مِنْ

(١) المملوح آتاه ابن عبد ربه صاحب المقدم (ت ٣٢٨).

(٢) عن: يان، طهر، ندا، مر بسرعة. انتر: سلب. ولَّى: انطلق، ذهب.

(٣) بحتمه: بصله (٢)، راجع القاموس ١: ١٠٢. آتِئاً: سابقاً، من قبل.

(٤) الزبيدي ٣٠٦ - ٣٠٧. ويوم لعبد الرحمن الناصر بالخلافة سنة ٣١٦. حبيب هو أبو قَامٍ.

(٥) في صدر الكتاب. يبدو أن المراد كان جمع عدد من مختارات شعر أبي قَامٍ.

(٦) قطعة مطلقها:

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِئَانِهِ نُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّ وَالْفَاعِلِ.

(٧) كذا في الزبيدي ٣٠٧. في انباء الرواة (٣: ٧٠): أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْغَائِي.

جَزَالَةُ اللَّفْظِ وَمَتَانَةُ الْأُسْلُوبِ وَصِحَّةُ الْمَعْنَى وَشَرَفُهُ، كَانَتْ طَبَقَةً مِنَ الْعَامَّةِ قَدْ أَصْبَحَ
أَفْرَادُهَا لَا يَفْقَهُونَ تِلْكَ الْقَوَائِنَ الْأَدَبِيَّةَ. ذَكَرَ الزُّبَيْدِيُّ (ص ٣٣٧، راجع ص ٣٣٥)
أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ بَحِيٍّ الرِّيَّاحِيَّ الْأَزْدِيَّ^(١) كَانَ يُعَافِي^(٢) الشِّعْرَ فَلَا يَتَّفِقُ لَهُ مِنْهُ
شَيْءٌ مَقْبُولٌ. ثُمَّ حَسَّنَ شِعْرَهُ وَسَلَسَ طَبْعَهُ^(٣). وَكَانَ الرِّيَّاحِيُّ صَدِيقًا لِلزُّبَيْدِيِّ وَلَعَبِدَ اللَّهِ
أَبْنِ حُمُودِ الزُّبَيْدِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ فَكَتَبَ إِلَيْهَا بِقَصِيدَتَيْنِ مَطْلَعَاهُمَا:

خَلِيلِي مِنْ فَرْعِي زَبِيدٌ وَمَذْجُجٍ قِفَاوَا سَمْعَا. قَدْ يُسَمِّدُ الشَّجِي الشَّجِي^(٤).
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي أَرَقْتُ، وَشَاقَسِي خَيَالٌ سَرَى وَهْنًا وَلَمَّا يُعْرَجُ^(٥)؟
* * يَا خَلِيلِي، عَرَّجَا بِمُحِبٍّ هَيْضَ سَمًّا فَمَا يَرِمُ الْفِرَاشَ^(٦).

وَلَمَّا تَوَفَّى أَحَدُ ابْنِ مُوسَى بْنِ حُدَيْرٍ رِثَاءَ الرِّيَّاحِيِّ بِقَصِيدَةٍ بَنَاهَا عَلَى مَذَاهِبِ
الْعَرَبِ وَخَرَجَ فِيهَا عَنْ مَذَاهِبِ الْمُحَدِّثِينَ فَلَمْ يَرْضَهَا الْعَامَّةُ.

ثُمَّ يَحْسُنُ أَنْ تُشِيرَ إِلَى أَرْبَعَةِ تَمَنُّوْا بِالنَّقْدِ وَهُمْ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ (ت ٣٢٨)
وَالطَّبِيعِي (ت ٣٥٢) وَعَبْدُ الْكَرِيمِ النَّهْشَلِي (ت ٤٠٥) وَابْنُ شَهِيدٍ (ت ٤٢٦)، وَلَمْ
كُلُّهُمْ فِي هَذَا الْجُزْءِ تَرَاجُمٌ مُسْتَقْلَلَةٌ.

وَفِي النَّقْدِ (أَوْ تَلَوِّقِ الْأَدَبِ وَالْحُكْمِ عَلَى قَائِلِيهِ) نِزَاعٌ قَدِيمٌ مَا يَزَالُ جَدِيدًا هُوَ
« الْمَيْلُ إِلَى الْقَدِيمِ أَوْ إِلَى الْحَدِيثِ »: « الْأَدَبُ الْقَدِيمُ أَفْضَلُ وَأَبْرَعُ وَأَحَقُّ بِالْحِفْظِ وَالرِّوَايَةِ

(١) راجع ترجمته (ت ٣٥٨).

(٢) كَانَ يُعَافِي الشِّعْرَ: يَحَاوِلُ نَظْمَ الشِّعْرِ.

(٣) سَلَسَ طَبْعَهُ: لِأَنَّهُ طَبِعَهُ لِلشِّعْرِ (وَأَقْنَدَ الشِّعْرَ لَهُ).

(٤) زَبِيدٌ وَمَذْجُجٌ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ. أَسَدٌ: أَعَانَ (بَعَثَ حُلَّ الْمَهْمِ). الشَّجِي. الْحَزَنُ.

الشَّجِي (يَتَّحُفُ بِفِكْرِهِ) - شَحَّ (بِكِسْرَتَيْنِ لِأَنَّهُ مُنْقَوِصٌ)، وَوَرَدَتْ يَاءُ « الشَّجِي » فِي الْفَتْحِ مُشَدَّدَةً
(الْقَامُوسُ ١: ٣٤٧). وَالتَّاعَرُ هُنَا حَذْفُ التَّنَادِ وَأَعْرَبَ إِلَيْهِ.

(٥) أَرَقُّ فُلَانٌ: ذَهَبَ نَوْمُهُ. شَاقَسَ: حَرَّكَ شَوْقَهُ إِلَى الْمَحْبُوبِ. خَيَالٌ: طَبِيفٌ (مَا يَرَى فِي الْمَنَامِ). سَرَى: سَارَ
لَيْلًا. وَهْنًا: فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ. عَرَّجَ: مَالَ إِلَى مَكَانٍ (زَارَ).

(٦) هَيْضَ (مَجْهُولٌ مِنْ هَاضَ): كَسَرَ عَظْمَهُ (يَقْصِدُ: لِأَنَّهُ عَظْمَةٌ - بَرَضٌ يَخْلُقُ بِهِ الْكَلْسُ فِي الْعِظَامِ لِيَجْعَلَ
الْمَرِيضَ حِينَئِذٍ عَنِ التَّيَاحُوسِ أَوْ الْإِسْتَوَاءِ). رَامَ: بَارَحَ، تَرَكَ.

أمر الأدب الحديث؟ ذلك النزاع الذي عرّفه المشرق قد عرّفه فيما بعد المغرب أيضاً. وحينما نرى كلمة «العرب» في النصوص المغربية عامة لا يكون العربُ هنا في مقابل العجم (في المذكر القومي)، بل يكون العربُ بمعنى «البنو» (في مقابل أهل الحضر أو أهل المدن). أمّا المُحدثون فهم الناشئون في كلِّ جيلٍ (لأن كلَّ جيلٍ بالإضافة إلى الجيل الذي سبقه مُحدثٌ، وبالإضافة إلى الذي جله بعده قديمٌ). ولكن يبدو أنّ المغرب لم يعرف ذلك النزاع الحادّ في النقد ولا ذلك الانتصار المتطرف لشاعر دون شاعر على ما عرّفنا في المشرق من أمر المُختلفين في الفرزدق وجرير أو في أيّ ثامر والبحتري أو في المتنبي ما له وما عليه. ولقد أصطحب المذهبان (طريقة العرب وطريقة المُحدثين) في المغرب فكنت ترى ذينك المذهبين في نظم الشاعر جنباً إلى جنب في ديوانه (وقد رأينا مثل ذلك أيضاً في المشرق عند أيّ نواس مثلاً).

وإبن عبد ربّه صاحب «العقد» (ت ٣٢٨) أول من تحسّن الإشارة إليه في حركة النقد في الأندلس. ولكن فضل ابن عبد ربّه لم يكن في الإتيان بجديد في هذا الموضوع، بل في نقل المدارك الأساسية في النقد من المشرق إلى المغرب. فأول ما يذهب إليه ابن عبد ربّه أنّ الشعر الجيد لا يضره تأخر صاحبه في الزمن، كما أن الشعر الرديء لا ينفعه أن يكون صاحبه معنوداً في القدماء. والإجادة في النتاج الأدبي والحذق في النقد يقتضيان طبيعة (استعداداً) وصناعة (تتقفاً بفنون الأدب وبالعلوم المختلفة) ومُداسة (اختباراً). والاختبار أرجح في الميدانين من الصناعة (التعلم). وهناك المفاضلة بين اللفظ والمعنى والحكم بأن المعنى الجيد محتاج في بروزه إلى لفظ جيد. هذه المدارك الأساسية في النقد (معرفة النتاج الجيد في الأدب) معروفة عند ابن سلام الجُمحي (ت ٢٣١) وابن قتيبة الدينوري.

ويمكن أن نُذخِلَ وليد بن عيسى الطَّبَّيحي (ت ٣٥٢) في النقاد. لقد كان في أثناء شرحه للأشعار يَرُجِّح بين المعاني المروية أو الممكنة، كما كان يَعرِّض أحياناً لأوجه البلاغة، على ما نرى في تَرْجَمَتِهِ (راجع، تحت، ص ٢٥٤).

أمّا عبد الكريم النهشلي (ت ١٠٥) فهو ناقدٌ على الحقيقة رَجَّحَ سبقَ النثر على

الشعر فأصابَ في الترجيح وأخطأ في تحليل ذلك. وجعل الشعر أربعة أنواع: المدح والهجاء والحكمة واللاهو. وعرضَ لمكانة اللفظ والمعنى في جودة الشعر، ووصل بين جودة الشعر والأخلاق. وأفضلُ الشعرَ عنده ما بقي محفوظاً على وجه الدهر. ثم هو يرى أن النظرَ إلى الشعر يختلف باختلاف الزمان والمكان (من حيث الأغراض) على «ألا يخرج عن حسن الاستواء وحد الاعتدال وجودة الصنعة».

وأما ابنُ شهيد (ت ٤٢٦) فقد أبدى رأياً فلسفياً في النقد قائماً على الجسَر الشخصي عند النظر إلى القطعة المعروضة للمعين، ولم يُحاول أن يضع بين يدي العاري آلاتَ عملية لتطبيق الأشعار (لجعل بعضها فوق بعض في درجات الجودة)، كما فعل عبدُ الكريم النهشل.

ولو لم تطالع ابنُ شهيد في فلسفة النقد أنه يريد، وهو الأديبُ البارِعُ نظماً ونثراً، أن يجعلَ عليه اللغة في مغزَلٍ عن ميدانِ النقد، لأن إصابة الناقد إنَّما تكون في طبيعته (استعداده الذاتي) أكثر مما تكون في الأدوات الخارجية (المعارف اللغوية والتاريخية وسواها). وهو يرى الاعتدال في التجنيس والقصد (الاعتدال) بين طريقة العرب (أسلوب القدماء) وطريقة المحدثين (اتجاه أبناء كل جيل جديد).

وإذا كان ابنُ شهيد لم يأت في باب النقد بأشياء جديدة - أو نستطيع الجزم بأنها جديدة - فإنه عبّر عنها تعبيراً جديداً، إذ أدخل العنصرَ الذاتي (الشخصي) في عمل الناقد. ثم هو يوافق عبدَ الكريم النهشل في أن الشعر الجيد يتصفُ بصفة الدوام ويبقى مَرَوِّباً على وجه الأبدام.

الأدب في صقلية

ومن الأمراء الكلابيين حكام صقلية نفرٌ من الشعراء الجُجدين، ولكن من الذين ظلَّ شعرهم تقليداً واضحاً للمشاركة في كل شيء حتى ليصنَّبُ جيداً أن ترى فيه لغة من صقلية. من هؤلاء مثلاً الأمير أبو القاسم عبدُ الله بن سليمان يختلف^(١) فقد تصرَّفَ

(١) راجع المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا تأليف أحد توفيق المدي (نشرته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر) - تاريخ المصنعة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٥ م) - ص ٢١٣ - ٢١٤.

في وجوه الأغراض. وأجاد الوصف والتشبيه، إلى جانب عددٍ من الكتب له في الرد على العلماء (الفقهاء ٢) وفي تطبيق الشعراء (جملهم طبقات على أزمانهم أو فنونهم أو مكانتهم). قال الأمير أبو القاسم في الخمر والغزل ووصف الطبيعة:

أَسَاقُ صُبْحِي بَصُحِ الدِّانِ وَأَصْرَفُ لَيْلِي بِصِرْفِ الْعُقَارِ (١).
 أَلَا رُبُّ يَوْمٍ لَنَا بِالْبُرُوجِ بَخِيلُ الضِّيَاءِ جَوَادُ الْقِطَارِ (٢).
 كَأَنَّ الشَّقِيقَ بِهَا وَجَنَةً بِآخِرِهَا لَمَعَةً مِنْ عِذَارِ (٣).
 كَأَنَّ الْبِنْفَجَ فِي لَوْنِهِ آخِلاً طُ الظَّلَامِ بِسُوءِ التَّنَارِ.
 وَأَتَرُجُّهَا كَحَقَاقِ التُّضَارِ تُصَفُّ أَوْ كَثِدِي الْجَوَارِي (٤).
 أَقْنَمْنَا نُسَابِقُ صَرَفِ الزَّمَانِ بِدَاراً إِلَى عَيْشِنَا الْمُتَعَارِ (٥).
 نُجِيبُ بِصَوْتِ الْقِنَانِ الْقِيَانِ إِذَا مَا أَجَابَتْ غِنَاءَ الْقَارِي.
 نَشْمُ الْخُدُودَ شَمْعَ الرِّيَاضِ وَنَجْفِي النُّهُودَ اجْتِنَاءَ النَّارِ.
 وَتُسْقَى عَلَى التَّوَرِ مِثْلَ النُّجُورِ مِثْلَ الْبُودِ اعْتَلَّتْ لِلْمَدَارِ (٦).
 نَعْمِنَا بِهَا وَكَأَنَّ النُّجُومَ دَرَاهِمُ مِنْ فِضَّةٍ فِي تِنَارِ (٧).
 إِذَا مَا لَقِيتَ اللَّيَالِي بِهَا فَأَنْتَ عَلَى صَرَفِهَا بِالْخِيَارِ (٨)!

(١) الدن (بالفتح): وعاء كبير للحسر. العقار: الخمر. صرف: خالصة (غير مزوجة).

(٢) البروج (لعله اسم مكان). النظار: الطر (يوم غائم مطر).

(٣) الشقيق (شقائق النعمان) كتابة عن الحمرة. العذار: الثمر الثابت في الوجه.

(٤) الأترج: نوع من اللبمون (يكون كبيراً وأصفر). الحقاق (بالكسر) جمع حق (بالضم): وعاء صغير. التضار: الذهب.

(٥) صرف: أحداث (مصائب). مداراً: استباقاً (محاوٍ عن أن يلتقي الصباح مثلاً قبل أن يأتي الصباح حتى لا يصيب من عمرنا دقيقة سدى).

(٦) التور (بالفتح): الزهر. مثل النجوم: الحب (يفتح ففتح) وهي نقّاحات صغيرة تطوف على وجه الخمر في الكأس. ورثها بدأ البيت: وتسقى (بالبناء للمجهول)..... فيكون المعنى: وسقينا في جنبنة مملوءة بالأزهار ندمان مثل البودور (بجهالم) حيناً اعتلت في المدار (في مدارها: ارتفعت إلى كبد السبل) مثل النجوم (خراً يطفو الحب على سطحها). حينئذ تصيح « مثل البودور » فاعلاً.

(٧) النجوم (لجم السبل أو نجوم الكأس: الحب؟) في تثار: قطع صغيرة (من ذهب) كتابة عن الخمر.

(٨) إذا دهنك مصائب الدهر فإذا شئت فاشرب الخمر (لكي تنسى تلك المصائب).

وكانَ في النِصْفِ الأوَّلِ من القَرْنِ الحامِيسِ للهجرة (النصف الأول من القرن الحادي عشر للميلاد) نفرٌ من الشعراء منهم الفقيه أبو بكر عتيق السمنطاري^(١)، نسبة إلى سامانترية إحدى قرى صقلية، وكان ينظم شعراً من شعر العلماء العاديين كقوله:

فَتَنُّ أَقْبَلْتُ وَقَوْمٌ غَفُولٌ وزمانٌ على الأنعام يَصُولُ.

- ويبدو أن من هؤلاء أيضاً أبو عبد الله بن الطوسي، وقد كان كاتب الإنشاء في صقلية. وهو شاعر متقلب الرأي في الدنيا يدعو حيناً إلى الزهد والتصوف الحقيقيين ويعجن أحياناً في الغزل المذكر خاصة. قال في التصوف والمتصوفين:

ليس التصوف بُسَّ الصوفي ترفعه، ولا بُكاهك إن غشى المَفُوناءُ،
ولا صياحٌ ولا رقصٌ ولا طربٌ ولا تغاشي كأن قد صيرت مجنوناً^(٢).
بل التصوف أن تصفو بلا كدرٍ وتنبغ الحق والقرآن والديناء،
وأن ترى خائفاً لله ذا ندمٍ على ذنوبك طول الدهر محزوناً.
وكذلك قال في الغزل المذكر:

أنظرُ إلى حَسَنِ وَحْسَنِ عِذارِهِ لَترى محابنَ تَحَرُّ الأَبصارا^(٣).
فلِذا رَأَيْتَ عِذارَهُ في حَدِّهِ أَبصرتَ ذا لَيْلٍ وذاك نَهَاراً!

غير أننا نرى في هذه الحقبة أيضاً مَنْ أدرك سوء الحال في صقلية فنفت ذلك في شعره. قال أبو محمد القاسم بن عبد الله التميمي:

(١) المسلمون في صقلية، تأليف موريثو ١٤١٣، ١٤١٤.

(٢) تغاشي (غير موجودة في القاموس) والمقصود التظاهر بأن الإنسان قد أغشى عليه (من شدة الخوف من الله).

(٣) العذار: الشعر الثابت في الوجه.

وما كنتُ أشقى الغرب لو كان لم تكن صِقْلِيَّةٌ منه، وإن لَمْ لَأَمْ^(١).
مُسِينَا بِذَاتِ النَّيْنِ حَتَّى كَأَنَّا نرى أَن مَن يَنْغِي سَوَى النَّغْيِ غَاشِمٌ^(٢).
يُغَيِّرُ الْفَتَى مِنَّا عَلَى مَالِ نَفْسِهِ، وَيَقْتُلُهُ غَضْرًا أَخُوهُ الْمَلَامُ.
وَكَانَتْ بِلَادُ الرُّومِ طَوَّعَ سَيُوفِنَا إِذَا رَامَهَا مِنَّا عَلَى التَّغْرِ رَامٌ^(٣).
فَإِنْ نَالَ مِنَّا النَّاسُ أَوْ قَلَّ كَثَرْنَا فَقَدْ تَقَتَّلُ الْحَمَى وَتُرْدِي السَّهَامُ^(٤).
أَتُونَا، وَلَكِنْ بِالْأَدْرُوعِ، أَسَاوِدَا، وَلَكِنْ أَتَيْنَا وَالسُّيُوفُ عِزَامُ^(٥).
وَطِيبُ حَيَاةِ الْمَرَّةِ فِي عِزِّ مَوْتِهِ. وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا أَنْ تَمُوتَ الْكَرَامُ.

ابن عبد ربّه

١- هو شهاب الدين أبو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ حُدَيْرٍ بْنِ سَالِمٍ
القرطبي، وكان سَالِمُ الْقُرْطُبِيُّ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ.
وُلِدَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي عَاشِرِ رَمَضَانَ ٢٤٦ (٢٩ / ١١ / ٨٦٠ م) فِي قُرْطُبَةٍ وَنَشَأَ
فِيهَا. وَتَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْهُمْ بَقِيٌّ بْنُ مَخْلَدٍ (ت ٢٧٦ هـ) وَمُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ (ت
٢٨٦) وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْحُسَيْنِيِّ (ت ٢٨٦).
وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ شَاعِرًا بَلَّاطًا لِلْأَمِيرِ الْمُتَنَبِّئِ (٢٧٣ - ٢٧٥ هـ) وَلِلْأَمِيرِ عَبْدِ
الله (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) وَلِعَبِيدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ بَعْدَهَا. وَكَذَلِكَ كَانَ صَدِيقًا لِلشَّاعِرِ

(١) و (٢) نحن أشقى في صقْلِيَّة لأن صقْلِيَّة جزء من الغرب (الأندلس) الشقي. منينا: أصنا (بالنساء
للمجهول) بذات البين (باليفضاء والساواة). بيني: يطلب. البني: الظلم. غاشم: ظالم. تمودنا الظلم:
من الناس حتى إذا رأينا رجلاً لا يظلم سبناه ظالماً. أو نظنه غشياً جاهلاً (راجع المعجم الوسيط،
ص ٦٥٩). وما كنت (٢) للمطالبة المؤنثة: أشقى الغرب (بغير منقوطة) أو (للتكلم المفرد: أشقى
الغرب (بغير مهمل ومضمومة).

(٣) رام: أراد. قصد. - كَأَنَّ نَحْنُ نَتَلَبَّ عَلَى بِلَادِ الرُّومِ....

(٤) نردى: نهلك. السوم (بالفتح): الريح الحارّة.

(٥) الروم (الناصر) يتفككون علينا لأنهم يلبسون دروعاً (عندهم وسائل كثيرة للقتال)، ونحن نقاتل
بعرافنا (بأيدينا) بحد السيف (ليس عندنا سلاح).

القلطاط (ت نحو ٣٣٣) ثم فسَدَ ما بَيْنَها وَتَهاجيا .

وفُلج ابنُ عبدِ ربِّه أَعواماً ثم تَوَفَّى في قُرطبة في ثامنَ عَشرَ جُمادى الأولى من سنة ٣٢٨ (٣ / ٣ / ٩٤٠ م) .

٢- أبو عَمَرَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ أَدِيبٌ وَاسِعُ الإحاطة بِفنونِ العِلْمِ والأدبِ . ثم هو شاعرٌ مُكثِّرٌ صَحِيحُ الأسلوبِ مَتِينُ السَبْكِ سَهْلُ التَّركيبِ يَغْلِبُ على شِعْرِه مَنطِقُ العلماءِ ، وَمَعَ ذلكَ فَنَحْنُ نَجِدُ على شِعْرِه شَيْئاً من الطَّلَاوةِ . وليس في شِعْرِه من الصِّناعةِ إلَّا ما جاء عَفْواً ، مَعَ وجودِ شيءٍ من التَّكَلُّفِ المَعنَوِيِّ فيه . وقد ضاعَ شِعْرُ ابنِ عبدِ ربِّهِ إلَّا ما أورده ابنُ عبدِ ربِّهِ نَفْسُهُ في كتابه «العقد» . أما فنونُ شِعْرِه فهي المديحُ وفيه شيءٌ من التَّكَلُّفِ والمبالغةِ ، ثم الرثاءُ وهو عنده كثيرٌ ومعظمه في أهلِهِ رقيقٌ صادقٌ العاطفةِ . وغزله كثيرٌ رائقٌ ، ولعلَّ أَحْسَنَ شِعْرِه الغزلُ والرثاءُ . وفي هجائه فُكاهةٌ ودُعابةٌ وشيءٌ من الإقذاعِ أحياناً . وله أيضاً وصفٌ للطبيعة لا يَبْلُغُ فيه مبلغُ شعراءِ الأندلسِ . أما زُهدُهُ ففيه تَكَلُّفٌ كثيرٌ لأنَّهُ حاولَ أنْ يأتيَ بِمعارضةٍ في الزهدِ لكلِّ مَقطوعةٍ في الغَزَلِ كانَ قد قالَها في شِبابِهِ . إنَّ هذا جعلَ زُهدَهُ كثيراً ولكن لم يَرَفَعَهُ إلى مَستوى عالٍ . ولابنُ عبدِ ربِّهِ أرجوزةٌ من بابِ الملاحمِ أَيْبائُها أَرْبَعُمِائَةٍ وخمسةٌ وأربعونَ قالَها في غَزَواتِ عبدِ الرَحمَنِ الناصرِ (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) وتناول فيها بطبيعةِ الحالِ الغَزَواتِ الأولى . وشعرُ ابنِ عبدِ ربِّهِ قصيدٌ وَرَجَزٌ .

كانَ ابنُ عبدِ ربِّهِ مُفَرِّمًا بِشِعْرِه يُورده في كتابه «العقد» عندَ كُلِّ مُناسبةٍ . وَمَعَ ذلكَ فلم يُورِدْ لِنَفْسِهِ (ولا لغيرِهِ) شَيْئاً من المَوْشَحاتِ . ولقد خُدِعَ نَفَرٌ من النقادِ ومُؤرِخي الأدبِ بِجَمَلَةِ ابنِ خَلَدونٍ (المقدمة ، ١١٣٨) تَنسِيبُ مَوْشَحاتٍ إلى «أبي عَمَرَ أَحْمَدَ بنِ عبدِ ربِّهِ» . وَمَعَ أنْ ابنَ خَلَدونٍ نَفْسَهُ يَدُكِّرُ أنْ ابنُ عبدِ ربِّهِ هذا هو صاحبُ «العقد» (كتابُ العقدِ الفريدِ) ، فَالحَقِيقَةُ أنْ صاحبَ المَوْشَحاتِ هو ابنُ أَخِي ابنِ عبدِ ربِّهِ هذا (وكنيته واسمُهُ كُكنيةٌ عَمَّهُ واسمُهُ أيضاً: أبو عَمَرَ أَحْمَدُ بْنُ عبدِ ربِّهِ) . وعلى كُلِّ فَإِنَّهُ لم يَصِلْ إلينا من مَوْشَحاتِ صاحبِ العقدِ (إذا كانَ صاحبُ العقدِ قد نظمَ مَوْشَحاتٍ) ولا من مَوْشَحاتِ ابنِ أَخِيهِ شيءٍ .

غير أن شهرة أبي عُمَرَ أحمد بن عبد ربّه هي في النثر - وفي كتابه «العقد» خاصة^(١). جَمَعَ ابن عبد ربّه في كتابه العقد أخباراً وأقوالاً واختيارات من النثر والشعر ينطق القسم الأوفى والأوفر منها بالمشرق حتّى قال صاحبُ بن عبّاد (ت ٣٨٥ هـ)، وقد رأى هذا الكتاب، جلّته المشهورة: «هذه بضاعتنا رُدّت إلينا، ظَنَنْتُ أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم، وإنّا هو مشتمل على أخبار بلادنا. لا حاجة لنا فيه».

جعل ابن عبد ربّه كتابه خمسة وعشرين باباً وشبّهه بعقد فيه خمسة وعشرون حَجَراً كرمياً: واسطة (في وسط العقد، وتكون أكبر حَبَاتِ العقد) ثم أربعة وعشرون حَجَراً كلُّ حَجَرَيْنِ منها مُتَالِئَانِ من جنس واحد يَحْتَلَانِ مكانَيْنِ متقابلين من طرفي العقد على جانبي الواسطة. فمن أبواب العقد: اللؤلؤة في السلطان، الفريدة في الحروب، الزبرجدة في الأجواد، الجمانة في الوفود،

وقد جمع ابن عبد ربّه مادة كتابه من مَصَادِرَ مختلفة: من الكتب السلوية، ومن دواوين الشعراء، ومن كُتُبِ ابن المقفّع والمجاحظ والمبرد ثم ألحّ بصورة خاصة على كتاب «عيون الأخبار» لابن قُتَيْبَةَ حتّى أن بعض أبواب العقد نسخ واضح من أبواب مماثلة في كتاب عيون الأخبار.

أما قيمة كتاب «العقد» فترجع إلى أنّه في الدرجة الأولى كتاب مُتَعَبٍ يقرأ الإنسان فيه أخباراً طريفة حتى بلغت الحال بالمؤلف إلى أن روى أشياء من باب الحُرَافَةِ. ثم إن المؤلف جَمَعَ موضوعات مختلفة في كتاب واحد، ولكن أحسن تصنيف هذه الموضوعات وترتيبها وعرضها. وفي الكتاب غاذج جميلة من الشعر والنثر والأقوال. ثم إن المؤلف قصّد إلى العبارة الحسنة والتعذيب الخلفي (وإن كان قد أتى أحياناً بأشياء خارجة على المؤلف) - والكتاب أيضاً «مَرَجَعٌ بثابة مصدر»: أي إن ابن عبد ربّه أخذ أخباراً وأشعاراً من كُتُبٍ ضاعت، فأصْبَحْنَا لا نَعْرِفُ هذه الأخبار إلا من كتابه.

(١) إن العنوان «العقد الفريد» نظور متأخر زاد فيه كلمة «الفريد» أحد المطالعين أو الناشرين.

وَمَعَ أَنَّ الْمَادَّةَ الَّتِي فِي كِتَابِ « الْمَقْد » مُعْظَمُهَا نَقُولُ لَا تَدُلُّ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ عَلَى
أَسْلُوبِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ، فَإِنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصِلَ فِي الْكِتَابِ إِلَى مَقَاطِعَ هِيَ بِلَا رَيْبٍ مِنْ
إِنْشَاءِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَسْلُوبَ الرَّجُلِ كَانَ مُوجِزاً وَاضِحاً قَرِيبَ الْمَعَانِي
يُرْتَبِطُ بَعْضُ جُمْلِهِ بِبَعْضِهَا الْآخَرِ ارْتِبَاطاً مَنْطِقِيّاً.

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابن عبد ربّه في الغزل والنسيب أشبه رقيقة. وقد كثر الاستشهاد بأبياته
التالية:

يَا لَوْلَوْأَ يَنْبِيِ الْعُقُولَ أُنِقَا، وَرثَا بِنَقْطِيعِ الْقُلُوبِ رَفِيقَا^(١)،
مَا إِنْ رَأَيْتُ- وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ- دُرّاً يَمُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيقَا^(٢).
وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عَاسِنٍ وَجْهِهِ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ فِي سَنَاءِ غَرِيقَا^(٣).
بِأَنَّ مِنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِذْفِهِ، مَا بِأَلِّ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَفِيقَا!

- وله الأبيات الصادقة العاطفة في رثاء ابنه:

وَكَبِدَا! قَدْ تَقَطَّعْتُ كَبِدِي! قَدْ حَرَقْتُهَا لَوَاعِجِ الْكَمَدِ^(٤).
مَا مَاتَ حَيٌّ لِمَيِّتٍ أَسْأَ أَعْذَرُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ.
بِأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ، جَاوَرِي جَدّاً دَفَنْتُ فِيهِ حُشَاشِي بِيَدِي^(٥).

(١) لَوْلُو (ها: كتابة عن انون الأبيض الجميل). أنيق: جبل يحبب العين. الرثا: الغزال الصغير
(الفتاة انتابة الجميلة). ترميق: الكثير العناية في العمل.

(٢) الدرّ: اللؤلؤ. العقيق: حجر كريم أحمر. دُرّ يَمُودُ من الحياء عقيقاً: وجهه (الأبيض كالدرّ) يَمُودُ
(يصبح) من الحياء والمجمل عقيقاً (أحمر).

(٣) السناء: النور. أبصرت وجهك في سناء غريقاً: ترى صورة وجهك في وجهه (كَأَنَّ وَجْهَهُ مِرْآةٌ).

(٤) اللامع: (الحب أو الحزن) المحرق (الشده الحرارة والألم). الكمد: الحزن.

(٥) الجدث: القبر. الحشاشه: بقية الحياة (كتابة عن ولده).

لا صبر لي بعده ولا جلدٌ، فُجِعْتُ بالصبر فيه واجلد^(١).

- وقال ابن عبد ربّه في مقدّمة كتاب العقد:

وقد نظّرتُ في بعض الكتب الموضوعَةِ فوجدتها غيرَ منفَرَقَةٍ في فنون الأخبار، ولا جامعةٍ لِجَمَلِ الآثار. فَجَعَلْتُ هذا الكتابَ كافياً جامعاً لأكثرِ المعاني التي تجري على أنواعِ العامّةِ والخاصّةِ، وتدورُ على ألبنةِ الملوكِ والسُوفَةِ. وحلّيتُ كلَّ كتابٍ (فصل) منها بشواهدٍ من الشعرِ تُجاسِسُ الأخبارَ في معانيها وتُوافِقُه (توافق الشعر) في مذاهاها.

- وقال يَصِفُ تَوَلَّى عبد الرحمن الناصر حفيدَ الأميرِ عبد الله وخليفته؛ وفي هذه القطعةِ تأتقُ ظاهرُ:

ثم وَلِيَ المَلِكُ القَمَرُ الأزهرُ الأسدَ الفَضَنفَرُ المَبْمونَ النقيبةَ الحمودُ الضريبة^(٢)، سَيِّدُ الخلفاء وأغجبُ التجباء عبدُ الرحمن بنُ محمدٍ أميرُ المؤمنين... فتَوَلَّى المَلِكُ وهو جَمْرَةٌ تحتدمُ ونارُ تَضَطُّرِّمُ وشقاقٌ ونفاق^(٣). فأخمدَ نيرانها وسكَنَ زَلالَها، وافتتَحها عوداً كما (كان قد) افتتَحها بدءاً^(٤) سميَّه عبدُ الرحمن بنُ معاويةَ رَجَمَهُ اللهُ. وقد قُلْتُ وقيلَ في غَزَواتِه كُلِّها أشعارٌ قد جالَتْ في الأمصارِ وسَرَدَتْ في البلدانِ حتّى أُنْهَسَتْ وأنجَدَتْ وأغرَقَتْ^(٥).

ولولا أَنَّ الناسَ مُكْتَفون بما في أيديهم منها لأَعَدْنَا ذِكْرَها أو ذَكَرَ بعضها. ولكنّا سنذكرُ ما سَبَقَ إلينا من مناقبِه التي لم يَتَقَدَّمْه إليها مُتَقَدِّمٌ ولا أُخْتَلَاها ولا نظيرٌ.....

(١) المجلد: القوّة واحتيال المصاعب.

(٢) الأزهر: الأبيض. الفضنفر: الأسد الغليظ الجثّة (القويّ الشديد). الميمون: المبارك. النقيبة: الطيّبة. الضريبة (كالنقيبة). النقيب: الذي له فصل على غيره وشهرة، الذي ينحِب أولاداً تابعين، الذكي.

(٣) حجرة تحتدم (تشتعل) بالنقل والثورات. شقاق: خلاف، نزاع (بين أصحاب الملك أنفسهم).

(٤) افتتَحها عوداً: فتحها (ردّها إلى حكم بني أميّة من حكم الإسبان أو التّوار من المسلمين) كما كان حدّه عبد الرحمن الداخل انتزعها (بدءاً) لبني أميّة من أنصار بني العبّاس.

(٥) انهمت: نزلت إلى نهاية (شاطئها الهجاز). أنجدت: صعدت إلى نجد (المنطقة الوسطى في شبه جزيرة العرب). أغرقت (وصلت إلى العراق) - عَسَتْ واشتهرت.

ومن مناقبه أَنْ الملوكَ لم تَزَلْ تُبْنِي على أَقدارها ويُقضى عليها بآثارها^(١). وأَنَّهُ
بَنَى في المَدَّةِ القليلةِ ما لم تُبْنِ الخلفاءُ في المَدَّةِ الطويلةِ ومن مناقبه أَنَّهُ أَوَّلُ من
سَمَّى أميرَ المؤمنين من خُلفاء بني أُمية بالأندلس.

- ولا يَنْ عبيدِ رَبِّهِ آيَاتِ رَفَاقٍ بَارِعَاتٍ، منها:

صِلْ من هَوَيْتَ وإنْ أبْدَى مُعَاتِبَةً؛	فَأَطِيبُ العَيْشِ وَصَلِّ بينِ الْفَتَنِ.
وَاقْطَعْ حَبَائِلَ خِدْنٍ لَا تُلَاقِيهِ،	فَقَلِّمَ تَسْعَ الدُّنْيَا بِغُبُصَيْنِ ^(٢) !
- اشْرَبْ عَلَى الْمَنْظَرِ الْأَنَسِيِّ،	وَأَمْرُحْ بِرَبِّقِ الْحَبِيبِ رَيْقِي؛
وَأَحْضِلْ وَشَاحَ الْكِمَابِ رَفَقًا	خَوْفًا عَلَى خَصْرِهَا الرَفِيقِ ^(٣) .
وَقُلْ لِمَنْ لَامَ فِي التَّصَايِي:	خَلِّ قَلِيلًا عَنِ الطَّرِيقِ!
- أَنْتَ دَائِي، وَفِي يَدَيْكَ دَوَائِي،	يَا شِفَائِي مِنَ الْجَوَى وَبَلَائِي ^(٤) .
إِنَّ قَلْبِي يُحِبُّ مَنْ لَا أُسْمِي	فِي عَنَاءٍ، أَعْظَمَ بِهِ مِنْ عَنَاءِ!
كَيْفَ لَا، كَيْفَ أَنْ أَلْذُّ بِعَيْشِ	مَاتَ صَبْرِي بِهِ وَمَاتَ عَزَائِي.
أَهْمَا اللَّائِمُونَ، مَاذَا عَلَيْكُمْ	أَنْ تَعِيشُوا وَأَنْ أَمُوتَ بِدَائِي؟
لَيْسَ مِنْ مَاتَ فَأَسْتَرَحَ بِمَيْتٍ،	إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ!
- وَدَعَتْنِي بِزُفْرَةٍ وَأَعْتَنَاقِ	ثُمَّ نَادَتْنِي: مَتَى يَكُونُ التَّلَاقِي؟
وَتَصَدَّتْ فَأُشْرَقَ الصُّبْحُ مِنْهَا	بَيْنَ تِلْكَ الْجَيُوبِ وَالْأَطْوَاقِ ^(٥) .
يَا سَقِيمَ الْجَفُونِ مِنْ غَيْرِ سَقَمٍ،	بَيْنَ عَيْنَيْكَ مَضْرَعُ الْعَشَاقِ.
إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ أَفْطَحُ يَوْمٍ،	لِيَتَنِي مَيِّتٌ قَبْلَ يَوْمِ الْفِرَاقِ!

(١) الملوك في العادة تعمل ما تقدر عليه ثم تحكم نحن على أعمالهم بما يكون لهذه الأعمال من نتائج

(٢) الخدن: الصديق، الأليف.

(٣) الوشاح: قطعة من السبع تجعلها المرأة على أعلى جسمها. الكعاب والكاعب: الفتاة أول صباها.

(٤) الجوى: ألم الحب.

(٥) الجيوب: مدخل الثوب في العنق. الأطواق: حلبة توضع في العنق.

- من أرجوزة ابن عبد ربه:

بُحَانَ مَنْ لَمْ تَحْوِهِ أَقْطَارُ وَلَمْ تَكُنْ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ؛
وَمَنْ عَنَتْ لَوَجْهِهِ الْوُجُوهُ، فَمَا لَهُ بِدُّ وَلَا شَبِيهِ^(١).
لَكِنَّهُ بِدْرَكَ بِالْقَرِيحَةِ وَالْعَقْلِ وَالْأَنْبِيَةَ الصَّحِيحَةَ^(٢).
مَعْرِفَةُ الْعَقْلِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ أَتَيْتُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْيَمَانِ.
وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالتَّمَجُّدِ وَبَعْدَ شُكْرِ الْمُبْدِئِ الْمُعِيدِ^(٣)،
أَقُولُ فِي أَيَّامِ خَيْرِ النَّاسِ وَمَنْ تَحَلَّى بِالنَّدَى وَالْبَاسِ^(٤)،
وَمَنْ أَبَادَ الْكُفْرَ وَالتَّفَاقَا وَشَرَدَ الْفِتْنَةَ وَالتَّشَاقَا،
وَعَنَ فِي حَنَادِسِ كَاللَّيْلِ وَفِتْنَةٍ مِثْلِ عُثَاءِ السَّيْلِ^(٥)،
حَتَّى تَوَلَّى عَابِدُ الرَّحْمَنِ ذَاكَ الْأَعْرُ مِنْ بَنِي مِرْوَانَ.
قَدْ أَشْرَقَتْ بَنُورُهُ الْبِلَادُ وَانْقَطَعَ التَّنْفِيبُ وَالْفَادُ.
خَلِيفَةُ اللَّهِ الَّذِي أَصْطَفَاهُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ وَأَجْتَبَاهُ^(٦).
أُحِبُّهُ الَّذِي قَدْ مَاتَ مِنْ مَكَارِمِ مِنْ عَهْدِ كَعْبٍ وَزَمَانِ حَاتِمِ^(٧).
هُوَ الَّذِي جَمَعَ شَمْلَ الْأُمَّةِ وَجَابَ عَنْهَا دَامَسَ الطُّلْمَةَ^(٨).

(١) عنا بمنو: خضع. التند: التَّيْل.

(٢) القرية: المقدرة على إدراك الأمور والحكم عليها. الأنبياء الصحيحة: مقدمات المنطق، خطوات التفكير المنظم.

(٣) المبدئ والمعيد: الله (هو بدأ الخلق أول مرة وهو سيعيد الناس إلى الحياة يوم القيامة).

(٤) الندى: الكرم. الباس: القوة.

(٥) الحنيس (بضم فسكون ضم): اشتداد الظلام. عُثَاء السيل: الأقدار الخفيفة التي يمر بها السيل فتطفو على سطحه. المتصو: الأصل لهذه الإشارة: الضعف والشيء لا قيمة له. والشاعر يقصد (أن الفتن) كثيرة شديدة متلاحقة.

(٦) اصطفاه: اختاره. اجتباه: قرَّبه.

(٧) كعب بن مامة وحاتم الطائي من الأجواد (من الكرماء) في الجاهلية.

(٨) الداس: الظلم. جاب ليست في القاموس بالمعنى الذي أرادته الشاعر. هو يقصد «أزاح».

وَجَدَدَ الْمَلِكَ الَّذِي قَدْ أَخْلَقَا حَتَّى رَسَتْ أَوْتَادُهُ وَأَسْتَوَقَا^(١).
 وَأَفْتَتَحَ الْحَصُونَ حِصْنًا حِصْنًا وَأَوْسَعَ النَّاسَ جَمِيعًا أَمْنًا.
 وَجَمَعَ الْعُدَّةَ وَالْمَدِيدَا وَكَشَفَ الْأَجْنَادَ وَالْحَشُودَا^(٢).
 وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَنْتَحَى جَبَانَا فَلَمْ يَدْعُ بِأَرْضِهَا شَيْطَانَا^(٣).
 فَأَصْبَحَ النَّاسُ جَمِيعًا أَمْنًا قَدْ عَقَدَ الْإِلَّ لَهُمُ وَالذَّمَّةُ^(٤).
 وَانْصَرَفَ النَّاسُ إِلَى الْقَلِيعَةِ فَصَحَّوْا الْعَدُوَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ^(٥).
 ثُمَّ التَقَى الْعِلْجَانُ فِي الطَّرِيقِ: الْبَنَبِلُوفِيُّ مَعَ الْجَلِيتِيِّ^(٦).
 فَأَعْقَدَا عَلَى أَنْتَهَابِ الْمَكْرِ وَأَنْ يَمُوتَا قَبْلَ ذَاكَ الْخَضِرِ.
 وَأَقْلَوْا بِأَعْظَمِ الطُّغْيَانِ قَدْ حَلَّلُوا الْجِبَالَ بِالْفُرْسَانِ^(٧).
 فَأَثْرَعَتْ بَيْنَهُمُ الرُّمَاحُ وَقَدْ عَلَا التَّكْبِيرُ وَالصَّبَاحُ^(٨).
 وَالتَّقَتِ الرُّجَالُ بِالرُّجَالِ وَأَنْفَعَمُوا فِي غَمَرَةِ الْقَنَالِ.
 فِي مَوْقِفٍ زَاغَتْ بِهِ الْأَبْصَارُ وَقَصُرَتْ فِي طَوْلِهِ الْأَعْيَارُ.
 حَتَّى بَدَتْ هَزِيمَةُ الْبُشْكَنْسِ كَأَنَّهُ مُخْتَضِبٌ بِالْوَرَسِ^(٩).

- (١) أخلق: نهر، ضعف. رست: ثبثت. استوق: الأمر (والكلمة في القاموس لا تأتي بهذا المعنى): أصبح موثوقاً به مضموناً وفي أمان.
- (٢) العدة: الآلات والسلاح. العديد: العدد الكثير (من الجند). الحشد (بالفتح): الناس المجموعون لأمر ما.
- (٣) انتحى: قصد. جبان: مدينة في جنوبي الأندلس... شيطان: (تأثر).
- (٤) الإلّ والذمة: العهد.
- (٥) القليعة... صبح الرجل القوم: جاءهم في الصباح.
- (٦) بنبلونة: بلدة في أقصى الشمال. البنبلوفي (أمير إسباني مسيحي) والجلتيقي (ابن مروان الجليقي): تأثر مسلم مرتد.
- (٧) جللوا: غطّوا (بفتح الطاء). جللوا الجبال بالفرسان (لكثرة عددهم).
- (٨) التكبير (قول: الله أكبر) من المسلمين. والصبح: من الإسماعيليين.
- (٩) البشكنس: أمير البشكنس أو الجلائقة (سكان الشمال الغربي من إسبانية) أو قائدهم. الورس: صباغ أصفر مائل إلى الحمرة (من الخوف أو الغضب).

لَمَّا أَتَتْهُ مَبِيتَةُ الْحَنْزِيرِ وَأَنَّهُ صَارَ إِلَى الْمِيرِ^(١)
كَاتِبُهُ أَوْلَادُهُ بِالطَّاعَةِ وَبِالدُّخُولِ مَدْخَلَ الْجَمَاعَةِ^(٢)
وَأَنْ يُقَرَّهُمْ عَلَى الْوَلَايَةِ: عَلَى دُرُورِ الْحَرْجِ وَالْجَبَابَةِ^(٣)
فَاخْتَارَ ذَا ذَاكَ الْإِمَامُ الْمُفْضِلُ، وَلَمْ يَزَكْ مِنْ رَأْيِهِ التَّفْضِيلُ.
ثُمَّ لَوَّى الشَّيْطَانُ رَأْسَ جَعْفَرٍ وَصَارَ مِنْهُ نَافِخاً فِي الْمُنْخَرِ^(٤)
فَنَقَضَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ وَاسْتَعْمَلَ التَّشْغِيبَ وَالنَّفَاقَ
فَاعْتَاقَهُ^(٥) الْخَلِيفَةُ الْمُؤَبَّدُ وَهُوَ الَّذِي يُشْقَى بِهِ وَيُسْعَدُ.
فَجَنَّدَ الْجُنُودَ وَالْكَتَائِبَ وَفَوَّذَ الْقَوَادِ وَالْمَقَاتِلَ^(٦)
ثُمَّ أَمْتَحَى مِنْ قُوَّوهِ بِيْتَتَرَا فَلَمْ يَدْعُ فِيهَا قَضِيّاً أَخْضَرَا
حَتَّى إِذَا حَلَّى عَلَى تَطِيلَةٍ بَكَتْ عَلَى دِمَائِهَا الْمَطْلُولَةُ^(٧)
وَهُمْ أَنْ يُدْبِحَ دَارَ الْحَرْبِ وَأَنْ تَكُونَ رِذَاءُ فِي الدَّرْبِ^(٨)
ثُمَّ أَسْتَشَارَ ذَا التُّهَى وَالْحَجَرَ مِنْ صَحْبِهِ وَمِنْ رِجَالِ الثُّغَرِ^(٩)

- (١) الحنزير هنا: عمر بن حفصون كان ينظأهر بالإسلام ولم يكن مسلماً (كما ظهر فيما بعد حيناً نيش قبره).
(٢) وقد شغل عمر بن حفصون بثورته الأمراء الأندلسيين مدة طويـلة، وكان يتلقى المساعدات من الإسبان ومن الأوروبيين خارج إسبانية.
(٣) بعد موت عمر بن حفصون استمر أولاده في الثورة على أمراء قرطبة. ولكنهم كانوا أحياناً- إذا ضعفوا- تظاهروا بطلب الصلأ والمغفر.
(٤) دور الحرج: تقدم ضرائب وأخية عن أراضيهم.
(٥) ثم... عاد (جعفر بن عمر بن حفصون) إلى الثورة.
(٦) اعتاقه: عاقه، سمه وحده (عن إنزال ضرر بالناس). المؤبد: الأمان (بضم الميم)، الذي يعينه الله.
(٧) قود...: عين قوداً. المغتب: (بكر الميم وفتح النون): جماعة من الفرسان دون المائة.
(٨) تطيلة بلدة إلى الشمال الشرقي من مرسطة. الطلول: الذي يذهب دمه هدراً، لا ينصره أحد ولا يأخذ بثأره أحد. بكت: لعلها: بكت (بتشديد الكاف): حملت الناس بكون عليها). وهذا أصبح في الوزن وفي المعنى.
(٩) أداخ: أخضع وأذل. دار الحرب: بلاد العدو رذأه: عون (ق) له، محطة. الدرب: الطريق في الجبل (أخضع تطيلة حتى لا تكون خطراً وراهه إذا هو قطع الجبال التي وراهها لمحاربة الإسبان).
(٩) التهي والحجر: القتل. الثغر: المكان الخوف، الغرب من بلاد المو (شمال الأندلس).

فكلهم أثار ألا يُذْرِبَا
 وشعوا أَن وراءَ الفلجِ
 فقال: لا بُدَّ من الدخولِ
 فاستنصر اللهَ وعيسى ودخلُ
 وعاد بالرغبةِ والدُّعَا
 فقدم القوادِ بالحنودِ
 فانهزم البلجُ، وكانت ملحمة
 لم يَغْزُ فيها وانتحى بُشْتِرا
 وأحتلها بالعزِّ والتمكينِ
 وعاضها الإصلاحَ من فسادهمِ
 حتى خلا ملحودٌ كلَّ قبرٍ
 عصابةً من شيمَةِ الشيطانِ
 ولا يجوزُ الجبلَ المؤسَّبا^(١)
 حينَ ألقا من رجالِ البلجِ^(٢)
 وما إلى • حاشاه • من سبيلِ^(٣)
 فكانَ فتحاً لم يكنْ له مثْلُ^(٤)
 واستنزل الصيرَ من السماءِ^(٥)
 وأتبع الدودَ بالدودِ^(٦)
 جاوزَ فيها الساقةَ المقدمةَ^(٧)
 فرمَّها بما رأى ودبراً^(٨)
 ومحو آثارَ بني حفصونِ^(٩)
 وظهرَ القبورَ من أحسادهمِ
 من كُلِّ مُرتدٍّ عظيمِ الكُفْرِ
 عدوةً لله والسُّلطانِ

٤- كتاب العقد (المطبوع باسم «العقد الفريد»)، بولاق (المطبعة الأميرية) ١٢٩٣ هـ،
 القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣٠٢ هـ، (مطبعة إبراهيم عبد الرازق) ١٣٠٢ هـ (٢)،
 (المطبعة الشرقية) ١٣٠٢ هـ (مطبعة شرف) ١٣٠٥ هـ القاهرة ١٣١٤ هـ، ١٣١٦ هـ

- (١) أدرب: جاوز (أو دخل) الدرب (المر في الجبل) ليغزو وراء: المؤسَّب (الكثير الرجال والسلاح).
- (٢) شج: (هوك) ينثر أعبار غير صحيحة أو للتخويف). الفج: الطريق الواسع (واللموح هنا): الطريق في الجبل. العلاج: الرجل الغليظ (والكافر الذي لا يعرف اللغة العربية)، ملك الإنسان.
- (٣) وما إلى • حاشاه • إلى استثنائه، إلى تركه.
- (٤) عبأ الجيش: جمعه ورتبه.
- (٥) عاد: لجأ.
- (٦) الدود: (يقصد جمع مدد- يفتح فتحح- ألف رجل ينضمون إلى جيش).
- (٧) الساقة: جماعة ملحقة بالجيش (وتكون الساقة لإعداد الطعام ونقل السلاح وإصلاحه). والمقدمة: القسم الأول المنتظم في الجيش. جاوز فيها...: هرب الجيش كله (٢).
- (٨) فيها: في سنة ٣١٦ هـ. انتهى: قصد بيشتر: حصن كان فيه عمر بن حفصون. رمَّ القلعة: أصلح ما عرج فيها وزاد في قوتها.
- (٩) بنو عمر بن حفصون الذين استمروا في الثورة بعد موته.

١- (المطبعة الأزهرية) ١٣٢١ هـ. القاهرة (المطبعة الجاهلية) ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م)
القاهرة ١٩٢٨ م (١٣٤٦-١٣٤٧ هـ) (مصطفى محمد) ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م)، (تحرير
أحمد أمين- أحمد الزين- إبراهيم الأبياري) القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)
١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) وما بعده (تحقيق محمد سعيد المرهان) القاهرة ١٩٤٩ م
(١٣٦٨ هـ)، الطبعة الثانية (١٩٥٣ م. ١٣٩٣ هـ (١٩٧٢ م)، (تحرير عبد الستار فرّاج)
القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)، الطبعة الثانية ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م.

★ ديوان ابن عبد ربّه الأندلسي - مع دراسة لحياته وشعره (نشره محمد
ألتونجي)، دمشق (منشورات مؤسسة ومكتبة الخافقين) ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧
- فهارس تحليلية لكتاب العقد الفريد، القاهرة ١٣٢١ هـ، (استخراج محمد شافع) كلكتا
١٩٣٥-١٩٣٧ م.

- ديوان ابن عبد ربّه (جمعه وحققه وشرحه محمد رضوان الداية)، بيروت (منشورات
الرسالة) ١٩٧٩.

- ابن عبد ربّه وعقده، تأليف جيراثيل جبّور، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٣ م
(دار الآفاق) ١٩٧٩ م.

- دراسة العقد الفريد، مقال لشفيق جبيري (مجلة مجمع اللغة العربية ١٧: ٢٧ و ١٦٥)،
ابن الغرضي ٤٩: ١- ١٥٠- جنوة المقتبس ٩٤- ١٩٦ بغية المتنس ١٣٧- ١٤٠ (رقم
٣٢٧) المقتبس ٢٤١- ١٢٤٣ الطبع ٥١- ١٥٣ الطرب ١٥١- ١٥٦ معجم الأدباء
٤: ٢١١- ١٢٢٤ وفيات الأعيان ١: ١٦٠- ١١١٢ الوافي بالوفيات ٨: ١٠- ١١٤
البيان المغرب ٢: ٢٢٥- ١٢٢٥ نفع الطيب ٧: ٤٩- ١٥٢ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٦-
١٦٧٧ بروكلمان ١: ١٦١، الملحق ١: ٢٥٠- ٢٥١ نيكل ٣٥- ٤٣ مختارات نيكل
١٧- ١١٨ الأعلام للزركلي ١: ١٩٧- ١٩٨ (٢٠٧) ١: ٢٧٩- ٢٩٢.

القلقاط

١- هو أبو عبد الله محمد بن يحيى القرطبي المعروف بالقلقاط، لا نعرف من حياته
الأولى إلا أنه كان أحد المعلمين. ويبدو أنه كان قديم العهد بصناعة التعليم حتى
أصبحت له جُرأة على المَيتِ بزملائه المؤدبين. وكان القلقاط يدرس النحو.
أما أحداث حياته البارزة فتكاد تتجمع في أيام الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-
٣٠٠ هـ) وأيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠ هـ). قال الحميدي (جنوة ٩٢):
«وأظنه كان في أيام الحكم المستنصر» (٣٥٠- ٣٦٦ هـ).

غير أننا إذا حسبنا أنه مدح إبراهيم بن حجاج الثائر في إشبيلية (ت فجاءه ٢٨٨) ثم هجاء، كما هجا الأمير عبد الله بن محمد (ت ٣٠٠)، وإذا علمنا أنه كان صديقاً لابن عبد ربّه (ت ٣٢٨) ثم فسّد ما بينها فهجاء، وأنه كان صديقاً لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل الحكيم (ت ٣٣١) لا نستبعد أن يكون القلقاط قد عاش ردحاً في القرن الهجري الرابع. ثم إن عبد الرحمن الناصر قد عهد إليه وإلى نفر آخرين بنسخ شعر أبي تمام وترتيبه، ولا يمكن أن يكون عبد الرحمن الناصر قد تفرّع لذلك قبل أن هدأت أحوال الأندلس وتسمّى هو بالخلافة (٣١٦ هـ). فلعلّ هذا كله يميل بنا إلى الاعتقاد بأن القلقاط ظلّ على قيد الحياة إلى نحو ٣٢٥ أو ما بعدها أيضاً.

٢- هـ القلقاط: لقب محمد بن يحيى الأديب (تاج العروس ٥: ٢١٢) من نحاة قرطبة المشهورين ومن اللغويين المقتدرين. ثم إنه كان أديباً مقتديراً في الشعر مجوّداً مطبوعاً بقصد (تنظيم القصيدة) فيحسن ويّطيل. لكن لم يصل إلينا من شعره إلا قليل. وكانت فنون شعره المديح والهجاء والغزل الرقيق السهل ووصف الطبيعة. لكن توثيقه على الناس (بالهجاء) جعله قليل المخطوطة عندهم. وشهرته بالهجاء خاصة.

٣- مختارات من شعره

- قال محمد بن يحيى القلقاط يصف الرياض:

مُرْنُ تُغْنِيهِ الصَّبَا، فإذا هَمِي لَبَسَتْ حَيَاءُ رَوْضَةٍ غَنَاءُ^(١)
فالأرض من ذاك الحيا مَوْشِيَّةٌ، والروض من تلك السماء سماء^(٢).

(١) الرن: المطر. الصبا: ريح الشرق. تغني الصبا (بصوت الرعد): أي يجعل المطر كثيراً (الرعد مرور شرارة كهربائية في العم تحيل في المادة بخار الماء الذي هو في الدم ماء). والملاحظ أن المطر يفرز بعد الرعد مباشرة. هـي: سقط بكثرة. الحيا: المطر. الروضة الغناء: الكثيرة الأزهار (أو الكثيرة الأظفار التي تألف الرياض حيناً يكون ماؤها كثيراً وأزهارها كثيرة). لبست (استجابت). حياء (ماء مطر). روضة غناء (أنيست نباتاً ناضراً كثيراً ذا أزهار مختلفة).

(٢) موشية: فيها وشي (زركشة وزخرف من كثرة أنواع النسات والأزهار). السله الأولى: المطر. السله الثانية (استعارة): مثل السماء (يشبه الأزهار التي في تلك الروضة بالنجوم التي تظهر في السماء النجوم - جمع نجم: من النبات ما لا ساق له، والأحرام السلولية).

ما إن وَشَتْ كَفَّ صَنَاعٌ ما وشى ذاك الغناء بها وذاك الماء^(١)
 زُهرٌ لها مُقَلٌّ جَوَاحِظُ تارةً ترنو، وتارات لها إغضاء^(٢)
 - وقال في النسب:

بِـمَا غَزَا لَ عَنْ لِي فَابِ حَزَّ قَلْبِي ثُمَّ وَلَسِي^(٣)
 أَنْتَ بِنِي بَغْوَادِي - بِمَا مُسَى قَلْبِي - أُولَى.

١- * * الزبيدي ٣٠١-٣٠٥ جذوة القنيس ٩١-٩٢ (الدار المصرية) ٩٨ (رقم ١٦٥) ١
 بغية المتلمس ١٣٤-١٣٥ المغرب ١: ١١١، إنباء الرواة ٣: ٢٣١، راجع
 ١٢٣٣ الوافي بالوفيات ٥: ١٩٢ (راجع ٢٠٠-) في ص ٩٢ (الحاشية ٤) أَنْ
 الصفدي خلط بين محمد بن يحيى الرباعي (ت ٣٥٨) ومحمد بن يحيى القلقاطي بغية
 الوعاة ١١١٤ نفع الطبيب ٣: ٢٩٤-١٢٩٥ البلفة ٢٤٩، ٢٥٢-٢٥٥ (ترجمتان
 موجزة ومبسطة) ١ نيكل ٣٧.

الحكيم القرطبي النحوي

١- هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المعروف بالحكيم القرطبي كان مولده في
 قرطبة نحو سنة ٢٥١ (٨٦٥ م).

أخذ الحكيم القرطبي عن المحدث محمد بن وضاح (ت ٢٨٦) وعن اللغوي والمحدث
 محمد بن عبد السلام الحشني (ت ٢٨٦ أيضاً) وأخذ المنطوق عن المتفلسف محمد بن عبد
 الله بن مسرة (٢٦٩-٣١٩ هـ)، ولكن يبدو أنه لم يتأثر بشيء من تطرف ابن مسرة
 وزندقته. وكذلك أخذ عن محمد بن الغازي (ت ٢٩٦ هـ) ما كان محمد بن الغازي قد

(١) الصنّاع: البارع في عمل ما. «إن» زائفة. وشى: زركش، زنى بالألوان. الغناء: صوت الرعد.

الماء = ماء السماء: المطر.

(٢) زهر (بضم الزاي): كل حيوان أو نبات يراق اللون الفلّ: جسم العن (يشبه الأزهار بالعيون).

جوا حظ جمع جاحظة (بارزة، بقطعة). ترنو: تنطلق (كأنها تنظر). الأغضاء: تقارب جفني العين أو

انطباقها (من التمس). المقصود: بعض الأزهار مفتحة كثيراً، وبعضها يكون قليل التفتح. ولعل

الكلمة «إغضاء» لا «إغضاء».

(٣) عَنْ: ظهر. ابتر: سلب، سرق. روي هذان البيتان (نحو ص ٢٠٤).

جَلَبَهُ مَعَهُ مِنَ الْمَشْرِقِ مِنَ الشُّعْرِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ مِنَ الْأَشْعَارِ الْمَشْرُوحَةِ رِوَايَةً عَنْهُ وَسَاعَاً عَلَيْهِ.

والحكيمُ القرطبيُّ كان مُؤَدِّباً للحكَمِ المستنصر بن عبد الرحمن الناصر. كما كان صديقاً للشاعر القلَفاط (ت ٣٢٥).

وكانت وفاة الحكيم القرطبي في عاشر ذي الحِجَّة من سَنَةِ ٣٣١ (٢٦ / ٨ / ٩٤٣ م).

٢- كان الحكيمُ القرطبيُّ بارعاً في اللغة والنحو والحساب والمنطق يُنِجُّ النظرَ في كلِّ شيءٍ، فإذا بَحَثَ في أمرٍ أثار معانيه الدقيقة. ولكنه كان عَيِّباً في المُخاطبات. ومعَ أَنَّهُ لم يُعْنَ بنظير الشعر فقد وصل إلينا منه بضعةُ أبياتٍ فيها نَفْسٌ وَلَفَاتٌ ثم سهولةٌ في التعبير.

٣- مختارات من شعره

- سَهَرَ الشاعر القلَفاط عند الحكيم القرطبي ليلةً ثم باتَ عنده وطال نومه حتَّى كادتِ الشمسُ تُشرق. فانتبه القلَفاط فقال يُخاطبه مُتَنَدِّراً به يُسمِّيه ديكاً ثم يُعَاتِبُهُ لأنَّهُ لم يَصُحَّ في الوقتِ المُناسبِ حتَّى يَنْهَضَ القلَفاط لصلاة الصُّبحِ:

يا ديكُ، ما لك لم تَصْرُخْ فَتُنْهِئَنَا؟ لقد أَسَاتَ بنا، ديكَ الدَّجَاجاتِ!

يا أَكْلاً للَقَذَى، يا سالِماً عَبَثاً على الحَصِيرِ يَهيمُ البَهِيمَاتِ !

فأجابه الحكيم القرطبي:

لقد صرختُ مراراً جَمَّةً عدداً قبلَ الصُّباحِ، وبعدَ الصُّبحِ، تاراتِ.

لكن عَلِمْتُكَ نَوَاماً وذا كَلَلٍ قَلِيلٍ ذِكْرُ لَجَبَّارِ السُّلُواتِ

- وللحكيم القرطبي أيضاً يُخاطب من أسَّه أَيْنُ تَغِي (في النسيب):

سَلْ تَغِيّاً، باللهِ، يا أَيْنُ تَغِي: هل ترى قَتْلَ مُسْتَهَامِ شَجِي ؟

كَلِّمْ جَنَّ لَيْلِهِ باتَ يَدْعَى أنجماً هائِلاً بطَرْفِ خَفِي

- يا سَمِيَّ النَّبِيِّ، حَبِيبُكَ مَا بِي؛ لَا تُزِدْنِي جَوَى، بِحَقِّ النَّبِيِّ
- ١- * * الزبيدي ٣٠٠، ابن الفرضي ١: ٣٤٩ (رقم ١٢٣٠)، معجم الأدباء ١٨: ١٣٠، الوافي بالوفيات ٢: ١٢١٠، بغية الوعاة ٢٢، البلغة ٣١٠.

خليل بن إسحاق

١- هو أبو العباس خليل بن إسحاق بن وُرْدٍ من أهل طرابلس (الغرب) ومن أبناء الجُنْد فيها. برع في عددٍ من وجوه العلم وأحاط بعددٍ من فنون الأدب. وضحيب الصوفية مدّة. ويبدو أنّه كان رجلاً صالحاً، فمن أعماله أنّه أشرف على بناء الجامع الكبير الذي تمّ بناؤه سنة ٢٩٩ (٩١٢م) ثم زاد فيه المنارة (٣٠٠هـ).

وفي سنة ٢٩٩ نار أهل طرابلس على الفاطميين، فحاصر عبيد الله المهديّ - أول خلفاء الدولة الفاطمية - مدينة طرابلس حصاراً شديداً ثم فتحها بعد مقاومة عنيفة، سنة ٣٠٣، وفرض عليها غرامة باهظة، قيل: أربعمائة ألف دينار! في هذه الأثناء كان خليل بن إسحاق قد مال إلى الدعوة الفاطمية وأعتنقها فولّاه عبيد الله المهديّ جمع تلك الغرامة، فأستطاع في جمعها وعذب الناس في تحصيلها. وتقلّب خليل ابن إسحاق في عددٍ من مناصب الدولة: تولّى جمع الضرائب كما تولّى قيادة فريق الحيّالة.

غير أنّ عبيد الله المهديّ عاد فعضب عليه وأهمله. فلما جاء القائم بأمر الله (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ) ابن عبيد الله المهديّ آمن خليل بن إسحاق وولّاه على جزيرة صقلية (٣٢٥ - ٣٢٩ هـ) فأكثر فيها من الظلم وسفك الدماء وكان يفتخر ويزعم أنّه قتل في صقلية ألف ألف (مليون) نفس.

ثم إن القائم بأمر الله صرف خليل بن إسحاق عن صقلية وولّاه على جيش لقتال أبي يزيد مخلد بن كنداد الحارجي (٣١٦ - ٣٣٦ هـ) المعروف بلقب صاحب الحمار. ولكنّ أبا يزيد حاصره في مدينة القيروان ثم أخذه فقتله، سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٣ - ٩٤٤م) وصلّته.

٢- كان خليلُ بنُ إسحاقَ شديدَ التقلبِ في حياته، وسبَّبَ انتقاله من الحَيرِ والصَّلاحِ إلى الظُّلمِ وسفكِ الدماءِ والانتقامِ بخصيِّ علينا اليومَ. ومنَّعَ ذلكَ فإنَّه كان شاعراً مُجيداً عذبَ الألفاظِ سهلَ التراكيبِ رقيقَ المعاني. وأكثرَ شعره مديحاً للفاطميين.

٣- مختارات من شعره

- قال خليلُ بنُ إسحاقَ يمدِّحُ عبیدَ اللهِ المهديِّ بقصيدةٍ منها:

نفى بالشارل وأتالّن أطلالها.	ماذا بصرُك لو أردتْ سُؤالها ^(١)
هل أنتِ أولُ من بكى في دمنه	درستَ وغيرتِ الحوادثُ حالها ^(٢)
يا دارَ رَينَب، هل تُردِّينَ البُكا	عن مُقلّةٍ سَفَحَتِ عليكِ سِجالها ^(٣)
بُدلتِ، بالأُنسِ الحرائدِ كالدمى،	وحشَ الفلاةِ طيَّابها ورثالها ^(٤) .
صلّى الآلهُ على النبیِّ مُحَمَّدٍ،	وعلى الإمامِ وزادهُ أمثالها:
إنَّ الإمامَ أفاضَ سُنّةَ حَدهُ	للمُسلمينَ كما جَدَّوتِ نِعالها ^(٥) .
وهَدَى بِهِ اللهُ البريّةَ بعدما	طلبَ الفُؤادُ الظالمونَ ضلَّالها.
إنَّ الخلافةَ، يا ابنَ بنتِ مُحَمَّدٍ،	حَطَّتْ إليك عن النبيِّ رحالها ^(٦) .

(١) الطلل: مكان الحية بعد أن يسترعا أهلها ويبرحلوا عن المكان الذي كانوا فيه.

(٢) الدسة: الطلل. درس المنزل: أنحت آثاره.

(٣) سفحت العين: سال دعمها. سفحت سجالها (السجل يفتح السين: الدلو العظيم): نكت كثيراً.

(٤) في القاموس (٢: ١٩٨): الأُنوس من الكلاب ضدَّ العفور وجمعها أنس (بضمّ قَسم). ويقصد الشاعر بقوله بالأُنس الحرائد: النساء الجميلات اللواتي بأسس بين الرجل عادة. الدمية: التمثال، الصورة (المرأة الخسيفة). الرثال جمع رأل: ولد التامة.

(٥) السُنّة: الطريقة، المنهج، نمط الحياة. جدّه: حمّد رسول الله (يعتقد الفاطميون أنَّ عبیدَ الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية من نسل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم). كما جدّوت نِعالها: كما فضلت أديم إحدى النملين على النمل الأخرى (يعني: يملك كما كان يملك رسول الله تماماً). وفي هذه الاستمارة في هذا المكان قبح ظاهر.

(٦) يا ابن بنت محمد: يا ابن فاطمة بنت محمد: يا من أنت من نسلها. حطَّت الخلافة إليك رحالها: وجدت فيه الخليفة الحقيقي (يعتقد الفاطميون أنَّ الإمام عليّاً وحده كان خليفة، بقي الناس ملا خليفة حتى جاءت الدولة الفاطمية).

ولقد عَهِدْتُ لَأَلِّ زَيْنَبَ حَبْرَةً
بِضَاءِ نَاعِمَةٍ يَجُولُ وَشَاحُهَا،
وَكَانَ فِي فِيهَا يُعِيدُ رُقَادَهَا
وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَوَازِلِي فِي حُبِّهَا.

فِيهَا وَدُنْيَا أَقْبَلْتُ إِقْبَالَهَا^(١)
وَنَهَزْتُ دِقَّةَ خَضَرِهَا أَكْفَالَهَا^(٢)
عَسَلًا أَصَابَ مِنَ السَّمَاءِ زُلَالَهَا^(٣)
وَالنَّفْسُ تَغْصِي فِي الْحَوَى عُدَّالَهَا^(٤)

٥- الحلة السراء ١: ٣.٢ - ٣.٤ + أعلام ليبيا ١٠٥.

أبو العرب التميمي

١- هو أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن قحطان بن تميم القديري المغربي الإفريقي، كان جدّه نعم بن قحطان من أمراء العرب (البدو) وأميراً على تونس.

بدأ أبو العرب التميمي^١ تلقى العلم على محمد بن يحيى بن السلام^(١) ثم سَمِعَ من جماعة منهم: أبو موسى عيسى بن مسكين الإفريقي المحدث الفقيه اللفوي (ت ٢٧٧) وحبيب أن نصر بن سهل (ت ٢٨٧) وأبو جعفر حمديس بن محمد القطان (ت ٢٨٩) ويحيى بن

- (١) الحيرة (يفتح الحاء): السرور والنعمة (النصرة والرواق، السعادة). ودنيا أقيمت: خصب ونعم وإزدهار.
- (٢) يحول وشاحها: يتحرك وشاحها على كتفيها (كتابة عن أن جسمها أبيض رقيق غير ضخم). الكفل (مفتح مفتاح): الردف (بكسر الراء). - لعلّه يقصد: ضحاة أردافها تنم حصرها التحيل الصعيف فتجعله يهتز بعمق إرادته!
- (٣) بعيد رقادها: بعد نومها بوقت قليل (عند استيقاظها). الزلال: الماء الصالح. السماء المطر.
- (٤) العذلة (بضم ففتح) والمطال (بفتح فتشديد) اللام (الذي يلوم المحب على حبه)، والجمع منها عذلة (بفتح ففتح) وعذال وعذّل (بضم فتشديد فيها). والموادل جمع عذال: عرق يخرج منه دم الاستعاضة في المرأة (القاموس ٤: ١٤). والشاعر يقصد بالموادل جمع عاذلة (الالة للمصنّ على حبه).
- (٥) في المقدمة لاثوري كتاب «طبقات علماء إفريقية وتونس». (ص ٢٤) أن أبا العرب ولد بين سنة ٢٥٠ وسنة ٢٦٠ ثم على لسان أبي العرب: «أنت وأنا حدث إلى دار محمد بن يحيى بن السلام (كندا) فرأيت عنده الطلبة. وقبل لي إن الزيّ الذي كنت ألبسه ليس ربيّ طلبة العلم. ثم جاء في الصفحة ١١٣ (من الكتاب المنشور) أن محمد بن يحيى قد مات سنة ٢٦٢ هـ. ومعنى هذا أن أبا العرب لم يكن (لما مات محمد بن يحيى) في سن من يطلب العلم. فإذا تشدّدنا وأجزنا أن يكون أبو العرب قد ولد في سنة ٢٦٠ هـ فيكون عمره يوم توفي محمد بن يحيى سنين! وإذا تساهلنا فقلنا أن يكون قد ولد سنة ٢٥٠ هـ فيكون عمره يوم وفاة محمد بن يحيى اثنتي عشرة سنة.

جعفر التونسي الحافظ (للحديث) الزاهد (ت ٢٨٩) وأبو عثمان سعيد بن إسحاق الكلبي (ت ٢٩٥) وأبو يوسف جباله بن حمود بن عبد الرحمن الصدقي الفقيه (ت ٢٩٧) أو (٢٩٩) وأبو عثمان سعيد بن الحداد الفقيه (ت ٣٠٢ هـ).

وقد احترق أبو العرب تربية أولاد العرب ونسخ الكتب. سمع منه أيضاً جماعة منهم نفر من الأعلام. من هؤلاء جميعاً ابنه تمام وتميم ثم الفقيه المشهور ابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦ هـ) ومحمد بن الحارث الحنفي (ت بعد ٣٦٦ هـ).

وفي رجب من سنة ٣٣٣ (٩٤٥ م) حضر أهالي القيروان على القتال إلى جانب أبي يزيد أحمد بن يزيد الخارجي صاحب الحارث ضد العبيديين (الفاطميّين) ولكنه أُسر وحُسن ثم مات في ٢٢ من ذي القعدة في الأغلب من سنة ٣٣٣ (٧ / ٧ / ٩٤٥ م) - وفي الديباج المذهب (ص ٢٥٠) سنة ٣٠٣.

٢- كان أبو العرب التميمي رجلاً صالحاً عارفاً بالحديث ورجاله ثقة، وكان فقيهاً حافظاً للمذهب المالكي. وقد كان كثير التأليف في الحديث والفقه والتاريخ. ويبدو أن معظم كتبه في الحديث والفقه أبواب (أي فصول وليست كتباً مستقلة). له من الكتب (الفصول) في الفقه: الوضوء والطهارة - الجنائز - في الصلاة - ذكر الموت وعذاب القبر. ثم له طبقات علماء إفريقية - (مجموع من التراجم لعلماء القيروان وتونس مبني على الرواية والإملاء) - عبّاد إفريقية - مناقب بني تميم - فضائل مالك - كتاب سحنون (ذكر مناقبه وسيرته في قضاائه، ص ١٨٥) - كتاب التاريخ في سبعة عشر جزءاً (ص ٢٧، ٣٦) وقيل في أحد عشر جزءاً (ص ٣٨)، وهو الكتاب الذي كُتِبَ له لقب «راغب لواء التاريخ في إفريقية» (ص ٢٧، راجع ٣٦) - المحن - موت العلماء (جزءان) - عوالي حديثه^(١).

(١) عوالي الحديث: الأحاديث التي جرى جمعها ونحريها في زمن متقدم. فالأحاديث الواردة مثلاً في «السنن» للنسائي (ت ٣٠٣ هـ) فإنها تعدّ في عوالي الحديث بالإضافة إلى الأحاديث الواردة في «المستدرک» للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) ولم ترد عند النسائي، فإنها لا تعدّ من عوالي الحديث بل من نوازلها. والمعروف أن الحاكم النيسابوري قد استدرك أحاديث لم ترد في «الصحيحين» في صحيح (مجموع أحاديث) البخاري (ت ٢٥٦ هـ) وصحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ). فالأحاديث الواردة»

وأسلوب أبي العرب عادي واضح، ولكنه كثير الإيجاز إلى حد الإخلال أحياناً. وكذلك كان له نظم صحيح المعنى من مثيل شعر العلماء.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو العرب التميمي في الصديق الذي يتغير:

إذا وَلَّى الصديقُ لِغَيْرِ عُنْبرٍ فزادَ اللهَ خَلَّتَه انقطاعاً^(١)
إلى يومِ التَّنَادِ بلا رجوعٍ . فإن رآه الرجوعَ فلا استطاعاً^(٢) !
إذا وَلَّى أخوكَ قَوْلَ عَنْهُ وزدّه، وراءَ ما والاك، باعاً^(٣) .
ونادٍ وراءه: «يا ربّ، ثَمَّ» ولا تحملُ لِفُرْقَتِهِ اجتماعاً .

- وقال في الضَّعْفِ من التَّقدُّمِ في السن:

ضَعُفْتُ حيلتي وقلَّ أصطباري، وإلى الله أشتكي كلَّ ما بي:
وَهَنَ العَظْمُ بعدَ أن كان صُلْباً، وفقدتُ الشَّبابَ أيَّ شَبَابٍ^(٤) .

- سحنون (طبقات علماء إفريقية وتونس ص ١٨٤ - ١٨٥)، وهو نص إنشائي لا

رواية:

قال أبو العرب: ومن شيوخ أهل إفريقية أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التَّنُوخي، من صليبة العرب^(٥)، وأصله من الشام من أهل حمص. وأبوه سعيد قديم مع الجند، وهو من أهل حمص. كان (سحنون) جامعاً للعلم فقيه البدن (٤) اجتمعت فيه

* عند البخاري ومسلم هي من عوالي الحديث بالإضافة إلى الأحداث التي استمركتها الحاكم عليها.

إن لعوالي الحديث وبوازيه درحات ليس هذا الكتاب مكاناً للتفصيل فيها.

(١) الحَقَّة (بالضَّم) الصداقة والهمة التي تتخلَّل القلب.

(٢) التناد: التناوي: يوم القيامة.

(٣) والاك (كذا في الأصل). اقرأ: ولأك (ولَّى عنك). الباع: مدى الذراعين مسوطين. أي رده بعداً جديداً فوق ما استعد عنك.

(٤) وهن: ضعف. أي شباب! ذلك الشباب القاهر الذي كان لي.

(٥) صليبة العرب: من العرب المحلّس القصر لم يتفق اختلاط في أنسابهم.

خلال^(١) ما اجتمعت في غيره: الفقه البارع والورع الصادق والصرامة في الحق والزهادة في الدنيا والتخشن في الملابس والمطعم والساحة والترك^(٢)، لا يقبل من السلطان شيئاً، وكان ربياً وصل، بعض إخوانه بالثلاثين ديناراً^(٣). وكان (سحنون) أولاً من شرّد أهل الأهواء من المسجد الجامع، وكان فيه حلقات للصغرية والإباضية (والمعتزلة يتناطرون فيه) ويظهرون زيفهم^(٤). وقد كان حافظاً للعلم، ولم يكن يهاب سلطاناً في حق يقينه... وولي القضاء سنة أربع وثلاثين ومائتين، وهو يومئذ ابن أربع وسبعين سنة، ولم يأخذ على القضاة أجراً. وتوفي، رحمه الله، يوم الثلاثاء لستة أيام مضت من رجب سنة أربعين ومائتين.

١- طبقات علماء إفريقية- ذكر علماء تونس (نشرها محمد بن أبي شنب المتوفى ١٣٤٧ هـ- ١٩٢٩ م منفصلين)، الجزائر ١٩١٤ م. تم نشرها منقولين إلى- الفرنسية، الجزائر ١٩٢٠ م- طبقات علماء إفريقية وتونس (تقديم وتحقيق علي الشامي ونعيم حسن الباي)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.

* * راجع مقدمة «طبقات علماء إفريقية وتونس» الوافي بالوفيات ٢: ١٣٩ الديباج المذهب ١٢٥٠ بروكسلن، الملحق ١: ٢٢٨ الأعلام للزركلي ٦: ٢٠٠ (٣٠٩: ٥) المجلد في تاريخ الأدب التونسي ١٨٠ عنوان الأريب ٢٨.

عبد الله بن الناصر

١- هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، سمع من جُملة من

(١) حلال جمع حلة (بالفتح): الخصلة (بالفتح)، الصفة.

(٢) الترك: الترك لا هو حق للشخص كيلا يكون في أخذه إساءة إلى غيره.

(٣) وصل... أعطى.

(٤) الصغرية من الخوارج الذين فارغوا الإمام علياً لأنه قبل بالتحكيم بينه وبين معاوية بعد معركة صفين. وهم يمدّون أصحاب الذنوب في التركيب ولكن لا يقولون مقتل ناسئهم وأطعالم. والإباضية أتباع عبد الله بن أباض، يقال فيهم إنهم خوارج، ولكنهم أغرب إلى أن يكونوا سلفية، غير أنهم يتشددون في أشياء كثيرة كالخوارج (راجع الفهرس المجالي). المعتزلة هم الذين يبرهون إقامة البراهين على صحة العقائد الإيمانية بالبرهان العقلي ولا يكتفون بالافتناع بما ورد من ذلك في الروايات الدينية. الزيف: البيل عن الحق، الباطل.

العلماء منهم المُحدثُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَثَمَانَ (٢٥٢ - ٣٣٠ هـ) والمؤرخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ^(١) والمؤرخُ المُحدثُ مُسْلِمَةُ بْنُ الْقَاسِمِ (٢٩٣ - ٣٥٣ هـ) ومُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْقُرَشِيُّ (ت ٣٦٥ هـ) وغيرهم. وقد أخذ المذهبُ الشافعيُّ عن حَسَّانِ بْنِ سَعْدٍ^(٢) وأحمدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ. وكان صديقاً لسعيدِ بْنِ فَرَجٍ الْجَبَلِيِّ (أخي أحمدَ بْنِ فَرَجٍ صاحبِ كتابِ الحقائقِ والمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٤٤).

وغيظَ عَبْدُ اللَّهِ هَذَا لِأَنَّهُ أَبَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرَ جَعَلَ وَلَايَةَ الْعَهْدِ لِأَخِيهِ الْحَكَمِ. ثُمَّ نُقِلَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ خَيْرُ مُؤَامِرَةٍ لِحُلْمِهِ وَلِقَتْلِ الْحَكَمِ، قِيلَ فِيهَا إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَطَّارِ (ت ٣٤٥ هـ). فَحُبِسُوا كُلُّهُمْ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٣٣٨. ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرَ أَمَرَ بِقَتْلِ ابْنِهِ فِي ١١ أَوْ ١٢ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٣٣٩ (٢٠ أَوْ ٢١ / ٥ / ٩٥١ م).

٢- من غرائبِ الاتِّفَاقِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ كَانَ فَقِيهاً شَافِعِيّاً وَأَنَّ أَخَاهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ كَانَ حَنَفِيّاً بَيْنَمَا الْحَكَمُ كَانَ مَالِكِيّاً. وَلَا غَرَابَةَ فِي أَنْ يَكُونَ مَقْتُلُ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ أَدَّى بِالْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ إِلَى الرُّكُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ.

وكان عَبْدُ اللَّهِ بْنُ النَّاصِرِ فَقِيهاً مُتَنَسِّكاً حَتَّى سُمِّيَ الزَّاهِدَ، كَمَا كَانَ مُحِبّاً لِلْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ بَصِيراً بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَشَاعِراً مَطْبُوعاً مُحْسِناً وَمُصَنِّفاً لِكِتَابِ الْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ. لَهُ مِنَ الْكُتُبِ: الْعَلِيلُ وَالْقَتِيلُ (فِي أَخْبَارِ بَنِي الْعَبَّاسِ بَلَغَ بِهِ إِلَى الرَّاضِي بْنِ الْمُقْتَدِرِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٢٩ هـ) - الْمُسْكِنَةُ فِي فِضَائِلِ بَنِي مُخَلِّدٍ.

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد البر من موالى بني أمية كان في حزب عبد الله بن الناصر ولم يكن بفارقه. ولما عرف عبد الرحمن الناصر بمؤامرة ابنه عبد الله وبمساعدة ابن عبد البر هذا أمر بسجنها مع رفاقها في المؤامرة. وقد توفي ابن عبد البر في السجن (٢٨ رمضان ٣٣٨). وهو من فقهاء قرطبة ومن المؤرخين له تاريخ فقهاء قرطبة (راجع ابن الفرغاني ١: ٢٧، الحلة السواء ١: ١٢٠٧، الأعلام للزركلي ١: ١٩٩).

(٢) في تاريخ الفكر الأندلسي (ص ٤٣٤): حسان بن سعد و (ص ٤٣٥): الحسن بن سعد!

- قال عبد الله بن عبد الرحمن الناصري في الشكوى من المحبوب:

أَمَا فُؤَادِي فَكَأَنَّمُ أَلَمْتُ لَوْ لَمْ يَخُحْ نَاطِرِي بِمَا كَتَمْتُ^(١).
مَا أَوْضَحَ السَّخَمَ فِي مَلَاخِظِ مَنْ يَهْوَى، وَإِنْ كَانَ كَاتِبًا سَقَمْتُ^(٢)!
ظَلَلْتُ أَبْكِي، وَظِلُّ يَنْزِلُنِي مَنْ لَمْ يُقَاسِ الْهَوَى وَلَا عَلِمْتُ^(٣).
إِلَيْكَ مِنْ عَاشِقٍ بِكَيْ أَسْفَا حَبِيبِهِ فِي الْهَوَى وَإِنْ ظَلَمْتُ^(٤).
ظَلَلْتُ جُيُوشَ الْأَسَى تُقَاتِلُهُ مِذْ نَذَرْتُ أَعْيُنُ الْمِلَاحِ دَمَةً^(٥).
- ومن نثره:

إِنَّ هَذِهِ الْوُجُوهَ الْحَسَنَةَ خَلَابَةٌ، وَلَكِنَّا لَا تَتَغَلَّغُلُ فِي نَظَرِهَا وَلَا نَدْعِي الْعِصَّةَ عَنْهَا بِالْجُمْلَةِ^(٦). وفيها اعتبارٌ وتذكُّارٌ بِالْخُورِ الْعَيْنِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى^(٧) - إِنَّ مِثْلَكَ فِي الْفُقَهَاءِ لَمَعْنُومٌ. وَمِنْ عَقْلِ الْمَرْءِ أَلَّا يُفْنِيَ عُمُرَهُ فِي مَا لَا يُنْفِقُهُ عَصْرُهُ^(٨).

١ * * جذوة القنيس ٢٤٤ (الدار المصرية) ٢٦٢ - ٢٦٣ (رقم ٥٥٥) = بنية المنس
٣٣، المغرب ١: ١٦٨٢، الحلة السراء ١: ٢٠٦١، فتح الطيب ٣: ٥٨٢ - ٥٨٣
الأعلام للزركلي ٤: ٢٣٠ (٩٦).

-
- (١) ظلي أخفى أله من حبه، ولكن عيني ظهر فيها هذا الألم.
(٢) الملاحظ جمع ملحظ: اللعظ (الرؤية) أو موضعه (العين). - مرض القلب من الحب (وكل مرض آخر) يظهر في العيون واضعاً جداً.
(٣) بعدني: يلومني.
(٤) إليك من عاشق (كذا في الأصل). آخراً: إليك عن (أبعد، ابتعد، اترك)..... وإن ظلمه حبيبه.
(٥) الأسى: الحزن. نذر دمه: أباح دمه (سمح لجميع الناس أن يقتلوه).
(٦) حلب: خدع، فتن (حلب العقل). لا تتغلغل..... لا تمن النظر (إلى الحسان) ولا تستطيع أن تردَّ بصراً عنهنَّ بالكَلْبَةِ.
(٧) في الجنة
(٨) العاقل لا يعمل صلاً لا يكون له قيمة في عصره أو لا يكون هنالك واعيون فيه.

قاسم بن أصبغ البلياني

هو أبو محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البلياني، كان جده الأعلى عطاة مولى الوليد بن عبد الملك.

وُلدَ قاسم بن أصبغ في بَيَّانَةَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ فِي الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٢٤٧ (بغية الوعاة ٣٧٥) أَوْ ٢٦/٢/٨٦٢ م، وَسَكَنَ قُرْبَةَ.

سَمِعَ فِي قُرْبَةَ نَفَرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ ابْنُ وَضَّاحٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْحُسَيْنِيُّ. ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَوَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ سَنَةَ ٢٧٦ هـ (٨٨٩ - ٨٩٠ م) فَسَمِعَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى التِّرْمِذِيِّ (ت ٢٧٩ هـ) وَالْحَارِثِ بْنِ أَبِي أَسَامَةَ التَّمِيمِيِّ (ت ٢٨٢ هـ) وَاسْمَاعِيلَ ابْنِ إِسْحَاقَ الْأَزْدِي الْقَاضِي (ت ٢٨٢ هـ). وَأَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ أَبِي دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيِّ، وَلَكِنْ لَمْ يُذَكِّرْهُ لِأَنَّ أَبَا دَاوُدَ كَانَ قَدْ تُوُفِيَ سَنَةَ ٢٧٥ هـ (٨٨٩ م)، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغٍ بَغْدَادَ بِبَعْضِ عَامٍ. وَكَانَتْ وَفَاةُ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ فِي ١٤ جَادَى الْأَوَّلَى مِنْ سَنَةِ ٣٤٠ (٩٥١/١٠/١٨ م). وَفِي شَذَرَاتِ الذَّهَبِ (٢: ٣٥٧) أَنَّهُ عَاشَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً (لَعَلَّهُ خَطَأٌ صَوَابُهُ ثَلَاثَ وَتِسْعُونَ) لِأَنَّ ذَهَبَهُ تَغَيَّرَ قَبْلَ ثَلَاثِ سِنَوَاتٍ مِنْ وَفَاتِهِ، كَمَا جَاءَ أَيْضًا فِي شَذَرَاتِ الذَّهَبِ.

كَانَ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغٍ مِنْ أَجْمَةِ الْعِلْمِ حَافِظًا لِلْحَدِيثِ ثَقَّةً كَثِيرًا مِنَ الْخِفَظِ، بَارِعًا فِي الْفِقْهِ وَفِي عِلْمِ اللُّغَةِ. وَقَدْ أَشْتَهَرَ فِي الْحَدِيثِ خَاصَّةً شُهْرَةً عَظِيمَةً حَتَّى أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَرْحَلُونَ إِلَيْهِ لِسَمَاعِ الْحَدِيثِ. وَكَانَتْ لَهُ تَصَانِيفُ مِنْهَا: أَحْكَامُ الْقُرْآنِ- النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ- الْمَصْنُفُ (فِي الْحَدِيثِ)، أَلْفَهُ عَلَى تَرْتِيبِ سَنَةِ أَبِي دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيِّ وَخَرَّجَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ: ذَكَرَ طَرُقَ رَوَايَتِهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَدْرِكْ أَبَا دَاوُدَ لِيَتَخَرَّجَ عَلَيْهِ فَتَخَرَّجَ عَلَى كِتَابِهِ- الْكَبِيرُ (فِي الْحَدِيثِ)- الْمَجْتَمِعُ (كِتَابُ حَدِيثِ مَصْنُفٍ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ، صَنَفَهُ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ، اخْتَصَرَهُ مِنْ كِتَابِهِ «الْكَبِيرِ» وَبَدَأَ اخْتِصَارَهُ فِي الْمَهْرَمِ مِنْ سَنَةِ ٣٢٤ هـ)- غَرَائِبُ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ تَمَّا لَيْسَ فِي «الْمَوْحَأِ»- فَضَائِلُ قُرَيْشٍ- كِتَابُ فِي الْإِنْسَابِ.

- ** ابن الفرضي ٤٠٦: ١ - ٤٠٨ (رقم ١٠٧٠) جذوة المغرب ٣١١ (الدار المصرية) ٣٣٠ -
 ٣٣١ (رقم ٧٦٩) بنية المنس ٤٣٣ - ٤٣٤ (١٢٩٨) ، مجمع الأدباء ١٦ : ٢٣٦ -
 ١٢٣٧ بنية الوعاة ١٣٧٥ نفع الطيب ٤٧ : ٢ - ٤٩ شذرات الذهب ٢ : ١٣٥٧ دائرة
 المعارف الإسلامية ٤ : ٧١٧ - ٧١٨ الأعلام للزركلي ٦ : ٧ (١٧٣ : ٥).

حفصة الحجازية

- ١- هي حفصة بنت حنن، من أهل وادي الحجاز، كانت على شيء من التروة
 والوجاهة تملك عبداً. وكانت وفاتها في القرن الرابع (العاشر للميلاد).
 ٢- كانت حمدونة الحجازية عالمة وأديبة شاعرة لها شعر كثير.
 ٣- مختارات من شعرها
 - قالت حمدونة الحجازية تدم عبدها:
 يا رب، إني من عبيدي على جف الغضى ما فيهم من غيب:
 إما جهول أبلة متعب، أو فطن من كئيد لا يجيب!
 - وقالت في النسيب:
 لي حبيب لا ينشني لعناب، وإذا ما تركته زاد نيبها.
 قال لي: هل رأيت لي من شبيه؟ قلت: أيضاً، وهل ترى لي شبيها!
 ٤- **. المغرب ٢ : ٣٧ - ١٣٨ نفع الطيب ٤ : ٢٨٥ - ١٢٨٦ الأعلام للزركلي ٢ : ٢٩٢
 (٢٦٤).

أبو الحزم جهوز بن أبي عبدة^(١)

- ١- هو أبو الحزم جهوز بن عبدة الله (ت ٢٩٦) بن محمد بن الغمر بن يحيى بن
 عبد الغافر بن حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر: كان عبداً لله مملوكاً للخليفة
 الأموي مروان بن الحكم (ت ٦٥ هـ). وكان حسان - وكُنيتُه أبو عبدة - هو الذي
 دخل الأندلس (سنة ١١٣)، وإليه تُنسب الأسرة). ثم إن عبدة الله، وكان يُكنى أبا
 (١) حتى هذه الترجمة أن تأتي بعد ترجمة «الرازي المؤرخ» (ص ٢٣٨ - ٢٤١).

عُثْمَان، قد تَقَلَّبَ في مناصب الدولة طويلاً، ولكنه أثر أخيراً أن يعتزل المناصب وأن يجرَّ المجتمع إلى أن تُوفِّي سنة ٢٩٦.

وأما جَهْوَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صاحبُ هذه التَرْجَمَةِ فلا نَعْرِفُ من أحداث حياته إلا ما ذكره ابنُ الأَثَرِ (ت ٦٥٨) من أَنَّهُ تَصَرَّفَ في الكُورِ (تَوَلَّى المقاطعات) والأمانات والقيادة والمدينة ومن أَنَّهُ وَزَرَ للخليفة عبد الرحمن الناصر (الحلَّة السيرة ١: ٢٤٧). وجاء في البيان المغرب (٢: ٢٢٠)، في أخبار سَنَةِ ٣٤٤، أَن الخليفة عبد الرحمن الناصر «قَلَدَ الوزيرَ جَهْوَرَ بْنَ أَبِي عَبْدِ النَّظَرِ في جميع كُتُبِ أَهْلِ الحُدُودِ». وإذا كان والدُ جَهْوَرَ قد تُوُفِّي سَنَةِ ٢٩٦، فلا يَنْتَظَرُ أن يكونَ جَهْوَرُ نفسه قد عاشَ طويلاً بعد ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م).

٢- كان أبو الحزم جهور بن عبد الله بن أبي عبدة الوزيرُ شاعراً مكثرًا، أكثر شعره الوصف والنسيب والأدب (الحكمة).

٣- مختارات من شعره

- قال أبو الحزم جهورُ بْنُ أَبِي عَبْدِ يَصِفُ الْوَرْدَ وَيُفَضِّلُهُ (على الأزهار)، ويردُّ في ذلك على ابن الرومي الذي فَصَّلَ التَّوَجُّسَ على الورد^(١). قال أبو الحزم:

الوردُ أَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ عَيْنٌ، وَأَزْ كَيْ مَا سَفَى مَاءَ السَّحَابِ الْجَائِدِ^(٢).
خَضَعْتُ نَوَاقِيرَ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ فَتَذَلَّلْتُ تَنَقَّادُ وَهْيَ شَوَارِدِ^(٣).

(١) قال ابن الرومي (٢٨٣ هـ):

للتَّوَجُّسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ لِأَنَّهُ زَهْرٌ وَنُورٌ وَهُوَ بَيْتٌ وَاحِدٌ.

- المِيزَانُ: الظاهر، الواضح. الزهر: الورق الملون (أحمر، أصفر، الخ). التور: يفتح التون: الورق الأبيض. يقول ابن الرومي: التَّوَجُّسُ أَفْضَلُ وَأَحْسَنُ لِأَنَّهُ زَهْرُهُ تَتَأَلَّفُ مِنْ لَوْنَيْنِ: أَوْرَاقُ الْوَسْطِ فِيهَا صَفْرَاءُ وَالْأَوْرَاقُ الْخِطَفَةُ بَيْضَاءُ.

(٢) أَرْكَى: أَحْسَنَ وَأَطْيَبَ وَاتَّعَدَ. الجائد: الكريم.

(٣) النواوير (جمع نوارة) يهيمُ التَّوْنُ وتشدُّه الواو، والنَّوَارُ جمع نَوَارَةٍ (يَهْمُ فَتَشْدُدُ أَبْجَا): الزهر الأبيض اللون. فتذللْتُ: اعترفت جميع الأزهار بفضل الورد مع أنها شوارِد: عاصية لا تخضع لأحد.....

وإذا بُدِيَ الوردُ في أغصانه
 وإذا أتى وَقْدُ الربيعِ مُبَشِّراً
 ليس المُبَشِّرُ كالمُبَشِّرِ بِأَسْمِهِ
 وإذا تَعَرَّى الوردُ من أوراقه
 ذَلُّوا: فذا مَيَّتَ وهذا حاسد.
 بطلوعِ صَفْحَتِهِ فَنِعَمَ الوافد^(١).
 خَبِرَ عليه من النُبُوَّةِ شاهد^(٢).
 بَقِيَّتْ عَوَارِفُهُ فَهَنَ خوالد^(٣).
 - وقال في العتاب والنسيب:

بَا عَاتِباً لِيْ بِالْصُّدُو
 أَعْلَبْتَ مِنْ قَلْبِي مَكَا
 وَأَنَا أَجِيْثُكَ، لَوْ وَتَدَ
 د، أَلَا ذَكَرْتَ قَبِيحَ غَدْرِكَ^(١)؟
 نَأْ كَانَ مَعْمُوراً بِذِكْرِكَ^(٢)،
 حَتَّ، وَأَسْتَدِيمُ طَوِيلَ عُمْرِكَ^(٣)!

٤- * جذوة المقتبس ١٧٧ (الدار المصرية) ١٨٨-١٨٩ (رقم ٣٦٠) الحلة السراء: ٢٤٥-٢٥٢ (وفيه مناقشة لتحقيق نسبة أشعار أبي الحزم جهور ومناقشة خلط نفر من أصحاب المصادر بينه وبين أبي الحزم جهور الذي استبدت بقرطبة بعد سقوط الخلافة الروانية)، راجع أيضاً نفع الطيب ١: ٢٠٣-٢٠٤ (وفيه أيضاً حاشية في الموضوع نفسه).

سعيد بن عبد ربّه

١- هو أبو عفان سعيد بن إبراهيم (عبد الرحمن) بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب ابن محمد بن سالم، وسالم هذا مولى الأمير هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل. ثم هو

- (١) الترجس يسبق الورد في الظهور (مكأنّ النرجس يشرنا بقدم الورد)....
- (٢) ... والمبشّر (بكر الشين) يكون أدنى مكانة من المبشّر (مفتح الشين) به. والدليل على ذلك أن عيسى بن مريم جاء مبشّراً بمحمد صلى الله عليه وسلم. في القرآن الكريم (٦١: ٦ سورة الصف): وإذ قال عيسى بن مريم: يا بني إسرائيل، إني رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يدي من التوراة ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد....
- (٣) الموارف جمع عارفة: الإحسان. الخالد: الباقي الذي لا يروى. - وإذا تَعَرَّى الخ: إذا ذهب أيام الورد بقي لنا ما نضعه من الورد (ماء الورد، الخ).
- (٤) أنت تلوّمني لأنني تركت لقاءك، مع أنك أنت قد حنت عهدنا.
- (٥) أنت هعزتي مع أنني لم أكن أحبّ أحداً غيرك (لم يكن في قلبي سواك).
- (٦) ومع ذلك فأنا أستدبر (أطلب دوام) حياتك، وأرجو أن تثق بقولي....

ابن أخي ابن عبد ربّه (ت ٣٢٨) صاحب كتاب «العقد». تكتب بالطبّ وعيّى في أواخر أيامه. وكانت وفاته سنة ٣٤٢ (٩٥٣ - ٩٥٤ م).

٢- كان سعيد بن عبد ربّه من أهل العلم والأدب وشاعراً محسناً. غير أنّه شغل بالطبّ والفلك. ومن آثاره: أرجوزة في الطبّ - كتاب في الأقرباذين (الأدوية) - وتعاليقٌ مُجرّباتٌ (في الطبّ).

٣- مختارات من شعره

- بَعَثَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَوْمًا إِلَى عَمِّهِ أَحْمَدَ (صاحب كتاب «العقد») يدعوه إِلَى أَنْ يَحْضُرَ إِلَيْهِ لِيُؤَانِسَهُ. فَلَمْ يُجِبْهُ عَمَّهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ مَعَانِيًا:

لَا عَدِنْتُ مُؤَانِسًا وَحَلِيًّا نَادَمْتُ بُقْرَاطًا وَجَالِينُوسًا^(١)
وَجَعَلْتُ كُتُبَهَا شِفَاءً تَقْرُدِي، وَهَا الشِّفَاءُ لِكُلِّ جُرْحٍ يُوسَى^(٢).
وَوَجَدْتُ عَلَيْهَا إِذَا حَصَلَتْهُ بُذْكِ وَيُحْيِي لِلْجُثُومِ نَفْسًا^(٣)!
- وقال في أواخر عمره:

أَمِنَ بَعْدَ غَوْصِي فِي عُلُومِ الْحَقَائِقِ وَطَوَّلَ انْبِسَاطِي فِي مَوَاهِبِ خَالِقِي^(٤)،
وَفِي حِينٍ إِشْرَافِي عَلَى مَلَكُوتِهِ، أَرَى طَالِبًا رِزْقًا إِلَى غَيْرِ خَالِقِي^(٥)،
وَأَيَّامُ عُمْرِ الْمَرَّةِ مُنْعَةً سَاعَةٍ تَحْيِيءُ حَتِيئًا بِمِثْلِ لَمْعَةِ بَارِقِي^(٦).

(١) بقراط أو أبقرط (ت ٣٦٥ ق. م.) طبيب يوناني قديم مشهور بالرعاية في المداواة. وجالينوس (ت نحو ٢٠٠ م) طبيب يوناني متأخر في الزمن ولكن بارع في التشريح والتطبيب.

(٢) يوسى = يوسى (المجهول من يأسو): يداوى

(٣) أذكى فلان النار: أوقدها. والشاعر يقصد هنا أنّ قراءة كتب بقراط وجالينوس تذكى الإنسان (تجعله ذكيًا).

(٤) في حين البيتين نزعة إلى التصوّف.

(٦) منعة: استفادة، سرور. ساعة: وقت قصير. الحثيث: الضمير (السرير).

وقد أذنت نفسي بتقويض رجليها، وأسرع - في سوفي إلى الموت - سائقي^(١).

وإنّي وإن أوغلت، أو سرت هارباً من الموت في الآفاق فالموت لاحتي^(٢)!

٤- * جذوة المقتبس ٢١٣ تم ٣٧٥ - ٣٧٦ (الدار المصرية) ٢٢٩ تم ٤٠٠ (رقم ٤٦٥ تم ١٩٤٩/١٩٤٨) بغية الملتبس ٢٩٣ (رقم ٧٩١) طبقات الأطباء ٢: ٤٤ - ٤٥ ابن جليل ١٠٤ - ١٠٦ وفيات ابن قنفذ ١٢١٤ الأعلام للزركلي ١٥٠: ٩٧).

الداروني

١- هو أبو محمد حسن بن محمد التميمي الداروني، نسبة إلى دارون - وهي منزل (محطة للتواصل قرب القيروان). وكان يعرف بابن أخت العاهة (١).

كان الداروني مُعجَباً بقومه تميم وينسبهم فيه شدة الافتخار بهم إلى درجة تخرُّج عن الحدّ المعقول. وكان كثير الحبّ للبادية بكره أهل الحضر وأهل البدو بمن يصلون في الصناعات والزراعة والتجارة. وكانت وفاة الداروني سنة ٣٤٣ (٩٥٤ - ٩٥٥ م).

٢- كان الداروني إماماً في اللغة وفي العلم بالشعر مشغوفاً بالشعراء القدماء وبذي الرمة خاصة، عارفاً بأخبار العرب وأنسابها وأيامها. وكذلك كان شاعراً مُجيداً غزير الشعر جيّد الطبع مقتدراً على المعاني.

٣- مختارات من شعره

- أملق (أعسر واقتقر) الداروني يوماً فكتب إلى أبي جعفر المروذي، وكان يخدم الشيعة (الفاطميين):

كُنْتُ إِعْصَارِي وَأَخْفَيْتُهُ خَوْفاً بَأَن أَشْكُو إِلَى مُعْصِرٍ،

(١) أذنت بالذ: قاربت. تقويض الرجل: نزع الخيمة من مكانها (استعداداً للرحيل)، كناية عن قرب الموت.

(٢) أوغل الرجل في الغابة: سار فيها بعيداً. في الآفاق: أطراف البلاد (الأماكن البعيدة عن الحضر المناطق المسورة والمناطق المهجورة: سيلحق في الموت أنها ذهبت).

وَأَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّي فَتَى لَمْ أَصُنِ الْعِرْضَ وَلَمْ أَصْبِرْ.
فَإِنْ تَكُنْ فِي حَاجَةٍ شَاكِيًا، فَأَتُكُّ إِلَى يَثَلْ أَبِي جَعْفَرٍ.
فَهَوَّ لَهَا أَمَلَتْهُ أَهْلُهُ، وَمَا أَرَاهُ الْيَوْمَ بِالْمُوسِرِ!

١- ** طبقات الزبيدي ٢٦٧-٢٦٨، بقية الوعاة ١٢٣٦، البلفة ٦٦.

الرازي المؤرخ

١- هو أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى^(١) الرازي، وُلِدَ في عَاشِرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٢٧٤ (٢٦ / ٤ / ٨٨٨ م). وقد سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِي هَذَا مِنْ أَحَدِ بْنِ خَالِدٍ^(٢) وَقَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ وَغَيْرِهِمَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ثَانِي عَشْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٣٤٤ (١١ / ١ / ٩٥٥ م).

٢- كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى الرَّازِيُّ وَاسِعَ الْخِفْظِ لِلْأَخْبَارِ فَعُرِفَ بِاسْمِ «الْمُؤَرِّخِ» وَ«بِالتَّارِيخِيِّ» لِكَثْرَةِ اسْتِغْلالِهِ بِالتَّارِيخِ. وَكَانَ أَيْضًا مَتَمِيزًا بِالجغرافية أَدْبِيًّا وَشَاعِرًا وَلُغَوِيًّا وَغَوِيًّا، وَمُؤَلِّفًا مُكْثِرًا، لَهُ: أَخْبَارُ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ وَكُتَابُهُمْ وَخِطَطُهُمْ (الوافي بالوفيات ٨: ١٣١)- كِتَابُ أَنْسَابِ مُشَاهِيرِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ (خَمْسَةُ أَجْزَاءٍ)، وَيَسْمَى الْاسْتِيعَابُ (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ٢٤٥)- كِتَابُ صِفَةِ قَرْطَبَةِ وَخِطَطِهَا وَمَنَازِلِ الْعِظَاءِ بِهَا- كِتَابُ كِبَارِ الْمَوَالِي الْأَنْدَلُسِيِّينَ أَوْ أَعْيَانِ الْمَوَالِي- أَخْبَارُ عُمَرَ بْنِ حَفْصُونَ- أَخْبَارُ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَلِّيِّ- أَخْبَارُ بَنِي قَسِيٍّ وَالتَّجِيبِيِّينَ وَبَنِي الطُّوَيْلِ وَالتَّغْرِ (وَلَعَلَّهُ كِتَابُ الْمَوَالِي) هَذِهِ الْكُتُبُ لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا، وَلَكِنَّ الْمُؤَرِّخِينَ الْمُتَأَخِّرِينَ نَقَلُوا مِنْهَا فِي كُتُبِهِمْ تَنْقُلًا كَثِيرًا.

(١) راجع تَنْمَةِ نَسَبِهِ فِي تَرْجُمَةِ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى الرَّازِي (ت ٢٧٣ هـ).

(٢) فِي «تَارِيخِ الْعُلَمَاءِ وَالرِّوَاةِ لِلْعِلْمِ فِي الْأَنْدَلُسِ» لِأَنَّ الْفَرَضِي ثَلَاثَةَ أَسَاسُهُمْ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ: أَبُو عَمْرِو أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ مِنَ الْمَجْلِبَاتِ الْقَرْطُبِيَّةِ الْقَلْبَةِ الْمَهْدَتِ (١: ٤٢)، ثُمَّ أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ يَزِيدِ الْأَسَدِيِّ مِنَ أَهْلِ بَجَانَةَ وَيَعْرِفُ بِأَبِي هَاشِمٍ، كَانَ مُحَدِّثًا، وَقَدْ تَوَفَّى فِي سَادِسِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٣٦٨ (١: ٥٩)، ثُمَّ أَبُو عَمْرِو أَحْمَدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَامِيِّ الْمَهْدَتِ التَّوَفَّى فِي ٢٦ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٣٧٨ (١: ٦٨-٦٩).

- قال أحمد بن محمد بن موسى الرازي في نسب عبيد الله الملقب بالمهدي أول ملوك الشيعة في المغرب (الحلة السراء ١: ١٩٠):

واختلف الناس في نسب عبيد الله. فقال قوم: هو عبيد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. قال: وأخبرني الثقة عن أبي القاسم أحمد بن اسماعيل الرسي الحسن أن قال: بالله الذي لا إله إلا هو، ما عبيد الله منا. ولا أقول هذا لئلا فعل، فقد فعل من لا يشك في نسبه أكثر من فعله وأشنع^(١).

- وقال في وصف الأندلس (نفع الطيب ١: ١٣٩ - ١٣١):

بلد الأندلس هو آخر الإقليم الرابع^(٢) إلى المغرب. وهو عند الحكماء بلد كرم البقعة طيب التربة خصب الجناب منبجس^(٣) بالأنهار الفزار والعيون العذاب^(٤)، قليل الهواء^(٥) ذوات السموم، معتدل الهواء والجو^(٦) والنسيم، ربيعته وخريفه ومشتاه ومضيفه على قدر من الاعتدال..... تتصل فواكه أكثر الأزمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة. أما الساحل منه ونواحيه فيبادر بياكوره^(٧). وأما الثغر^(٨) وجهاته والجبال المحصورة منه يبرد الهواء فيتأخر بالكثير من ثمره. فإذ الخيرات بالبلد متبادئة في كل أوان. وله خواص في كرم النبات يوافق في بعضها أرض الهند.... منها أن المحلب- المقدم في الأفاويه والمفضل في أنواع الأشنان^(٩) - لا يثبت بشيء من الأرض إلا بالهند

(١) لا أنهم بذلك لأفعاله الشيعة، فقد فعل غيره (من كانوا أشرف نساء) أفعالا أشنع من أفعاله.
(٢) الإقليم الرابع: المعتدل (يقع الإقليم الأول على خط الاستواء، ويقع الأقليم السابع عند القطب الشمالي).

(٣) منبجس: متفقر، سائل. الغزير: الكثير. العذاب (يكسر العين): جمع عذب (حلو).

(٤) الهواء: (المشترات الصغيرة).

(٥) الجو: التخلّص في الأرض (وهنا: حال الهواء من البرد والحر).

(٦) يبادر بياكوره: يعطي أشياء من ثمره باكراً.

(٧) الثغر: المكان الذي يجلس منه هي العدو (وهنا: شالي الأندلس المصافق لأمرام النصارى).

(٨) المحلب: نوع من الطيب المستخرج من النبات (يؤكل). الأماوية: أنواع العلف. الأشنان (ينقع المسزة أو كسرهما): أنواع من النبات يستخدم ورقه في الفسل والتنظيف (كالصابون).

والأندلس. وللأندلس المدن الحصينة والمعقل النبعة والفلاع الحريرة والمصانع الجليلة^(١)، ولها البر والبحر والسهل والوعر..... والأندلس أندلسان في اختلاف هبوب رياحها وجريان أنهارها: أندلس غربي وأندلس شرقي. فالغربي منها ما جرت أوديته إلى البحر المحيط الغربي^(٢)، ويُطرّ بالرياح الغربية. ومبتدأ هذا الحوز^(٣) من ناحية المشرق مع المغارة الخارجة من الجوف إلى بلد شنتمرية^(٤) طالماً إلى حوز اغريطة الجاورة لطليلة^(٥) مائلاً إلى الغرب ومجاوراً للبحر المتوسط الموازي لقرطاجنة الخلفاء التي من بلد لورقة^(٦)، (ثم الحوز الشرقي المعروف بالأندلس الأقصى^(٧) وتجري أوديته إلى الشرق، وهو من حدّ جبال البشكنس، هابطاً مع وادي إبرة إلى بلد شنت مرة^(٨)، ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط^(٩)، وفي القيلة^(١٠) منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج إلى بلاد الشام، وهو البحر المسمّى ببحر تيران^(١١)، ومعناه الذي يشقّ دائرة الأرض، ويسمّى البحر الكبير.

- وقال أحمد بن محمد بن موسى الرازي (المقتبس ٨٩):

كان الأمير عبد الرحمن (بن الحكم)^(١٢) مقدّم الطبقة في البلاغة مطبوعاً على الكتابة

- (١) المصنع (هنا). البناء العظيم (وفي الأصل: الجوف) تجمع فيه المياه.
- (٢) الوادي (في المغرب): النهر. المحيط الغربي (الأطلسيكي).
- (٣) الحوز: جانب من الأرض ذو حدود معينة.
- (٤) المغارة: الصحراء. شنتمرية: بلدة في أقصى الجنوب الغربي من الأندلس (البرتغال اليوم، وأسماها مارو).
- (٥) طليلة جنوب مدريد.
- (٦) قرطاجنة الخلفاء (أو الخلفاء) مرفأ في الجانب الجنوبي الشرقي من الأندلس. لورقة بلدة داخلية غرب قرطاجنة.
- (٧) الأندلس الأقصى الجانب الشمالي الشرقي.
- (٨) جبال البشكنس: في الشمال عند اتصال إسبانية بفرنسة. نهر امره يصبّ عند طرطوشة (على الشاطئ الشمالي الشرقي). شنتمرية الشرق: بلدة إلى الشرق الشمالي من مدريد.
- (٩) الجوف: الجنوب. (وسط إسبانية). المحيط (الأطلسيكي). القيلة (الجنوب الشرقي): اتجاه المصلّى في الأندلس نحو مكة.
- (١٠) يبدو أن الإشارة هنا إلى البحر الأبيض المتوسط (ولفظه في الأجنبية مديترانيوم).
- (١١) عبد الرحمن بن الحكم رابع الأمراء المتوالتين في الأندلس (٢٠٦-٢٣٨ هـ).

مُقْتَدِرًا عَلَى مَا حَاوَلَ مِنْ سَبِيّ الْمُنُورِ وَالْمَنْظُومِ مُؤَثَّرًا لِمَنْ يُحْسِنُهَا مُقَرَّبًا
بُوسَيْلَتِهَا^(١). وَكَانَ لَهُ التَّوَقُّعُ الْوَجِيزُ^(٢) وَالْفَرِيضُ الْمُسْتَحْسَنُ.

- وَقَالَ أَيْضًا (الْمُقْتَبِسُ ١٢٩ - ١٣٠):

كَانَ لِحُلَافَةِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ غَضَارَةٌ^(٣) وَأَلْيَامُهُ زَهْرَةٌ وَسُلْطَانُهُ جَلَالَةٌ
سَرَتْ إِلَى الْمَشْرِقِ مِنْ قَبْلِ مَنْ تَجَاوَزَ الْأَنْدَلُسَ مِنْ أَهْلِ الْعُدُوَّةِ^(٤)، فَأَضْحَى لَدَيْهِمْ طَيْبُ
الْخَبَرِ جَمِيلَ الْأَثَرِ اعْتَقَدَ لَهُ مِنْ أَجَلِهِ كَثِيرٌ مِنْ مُلُوكِ أَهْلِ الْعُدُوَّةِ الْوَلَايَةَ^(٥)، وَأَلْقَوْا إِلَيْهِ
بِالْمُودَةِ وَأَبْنَوْا إِلَيْهِ الْحَبَّةَ وَأَعْتَمَدُوهُ بِالشَّارَكَةِ فَيَا يُحْدِثُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مِنْ مِخْنَةٍ^(٦). فَبَلَّوْا
مِنْهُ صِيحَةً عَقْدٍ^(٧) وَنَحِيْزَةً صَنَعُوا بِهَا إِلَيْهِ فِدَامَا لَهُ عَلَى الْمُوَاصِلَةِ. وَكَانَ أَكْلَفَهُمْ بِمَا لَدَيْهِ
مِنْ أَمْلَاقٍ^(٨) أَهْلُ الْعُدُوَّةِ بَنُو مَدْرَارٍ مُلُوكُ سِجِلْمَاسَةَ وَبَنُو أَفْلَحَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ
الرُّسْتَمِيِّ أَمْرَاءُ تَاهَرْتِ^(٩) وَغَيْرُهُمْ.

٤- * الزبيدي ١٣٢٧ جذوة المقتبس ٩٧، راجع أيضاً ٩٦-٩٧
(الدار المصرية) ١٠٤ مرتين (رقم ١٧٤ و ١٧٥)، بغية الملتبس ١٤٠ (رقم
٣٣٠، راجع أيضاً رقم ٣٢٩)، ابن الفرضي ١: ٥٤-٥٥ معجم الأدباء ٤:
٢٣٥-٢٣٦ الوافي بالوفيات ٨: ١٣١ بغية الوعاة ١٦٨: نفع الطيب ٣:
١٧٣-١٧٤، دائرة المعارف الإسلامية ط ١، ٣: ١١٣٧ بروكلمن ١:
١٥٦-١٥٧، الملحق ١: ٢٣١ الأعلام للزركلي ١٩٩: ٢٠٠-٢٠٨).

- (١) يَقْرَبُ إِلَيْهِ الْبَارِعِينَ فِيهَا.
- (٢) التَّوَقُّعُ: جَمَلَةٌ يَدُونَهَا الْخَلِيفَةُ أَوْ الْوَالِي أَوْ الْقَاضِي فِي أَسْفَلِ الْقَتْعَةِ (الطَّلَبِ، الْمَعْرُوضِ الْمَقْدَمِ إِلَيْهِ) وَتَكُونُ حَكْمًا بِتَنْفِيزِ الطَّلَبِ أَوْ رِضَاهُ.
- (٣) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَاسِسُ أَسْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ (٢٣٨-٢٧٣ هـ). غَضَارَةٌ: السَّعَةُ (بِفَتْحِ السِّينِ) وَالنَّعْمَةُ.
- (٤) الْعُدُوَّةُ (بِضَمِّ الْعَيْنِ أَوْ كَسْرُهَا): الْحَاسِبُ. (هَذَا) الشَّاطِئَةُ النَّبَالِيَّةُ مِنْ قَارَةِ إِمْرِيْقِيَّةٍ. مَنْ تَجَاوَزَ (فِي رَحْلَتِهِ: أَسْفَارَهُ) الْأَنْدَلُسَ.
- (٥) اعْتَقَدَ لَهُ الْوَلَايَةَ: أَفَرَّ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَبِحَقِّهِ فِي الْحُكْمِ.
- (٦) وَاعْتَمَدُوهُ بِالشَّارَكَةِ.... سَأَلُوهُ رَأْيَهُ وَهُوَ عَلَى التَّغَلُّبِ عَلَى مَا يَبْزُلُ بِهِمْ مِنَ الْأَحْدَاثِ (اعْتَدَاهُ الْأَعْدَاءَ عَلَيْهِمْ).
- (٧) الْعَقْدُ: الْعَهْدُ، يَضْرِبُهُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ.
- (٨) أَكْلَفَهُمْ: أَثَدَّهُمْ تَغْلَافًا وَحِبَالًا لَهُ. النَّحِيْزَةُ: الطَّيْبَةُ. صُنَا: مَالٌ إِلَى... الْأَمْلَاقِ (الْمُلُوكِ).
- (٩) رَاجِعُ، فَوْقَ، ص ٦١.

أبو وهب العبّاسيُّ

١- هو أبو وهب عبد الرحمن العبّاسيُّ من بني العبّاس، مَوْلَدُهُ (في بغداد) نحو سَنَةِ ٢٥٤ (٨٦٨ م)، طرأ على الأندلس وسكن قُرطُبَةَ وأخفى نَسَبَهُ. وكانت وفاته سَنَةَ ٣٤٤ (٩٥٥ م).

٢- كان أبو وهب العبّاسيُّ زاهداً وَرِعاً قَلِيلَ الاحتفالِ بِأُمُورِ الدنيا، مَعَ أَنَّهُ كان مُتَفَنِّناً في أَطرافِ مِنَ العلوم. وله كَلَامٌ في الزُّهد والوَعظ متينُ الأُسلوب. ومثُلُ ذلك شعرُهُ مَعَ سَهولَةٍ في التَّركيب وحلاوَةٍ في اللَّفظ.

٣- مختارات من شعره

- ومَا يَنْسَبُ إلى أبي وهب العبّاسي (نفع الطيب ٤: ١١٤):

قَدْ تَخَيَّرْتُ أَنْ أَكُونَ مُخْفِئاً لَيْسَ لِي مِنْ مَطِيئِهِمْ غَيْرُ رَحْلِي^(١).
فَإِذَا كُنْتُ بَيْنَ رَكْبٍ فَقَالُوا: «قَدِّمُوا لِلرَّحِيلِ»، قَدِّمْتُ نَفْلِي^(٢).
حَيْثَا كُنْتُ لَا أَخْلَفُ رَحْلاً، مِنْ رَأَيْي فَقَدْ رَأَيْي وَرَحْلِي^(٣).
- وقال في الزهد (نفع الطيب ٣: ٢٢٦):

تَسَامُ، وَقَدْ أَعِدْتُ لَكَ السُّهَادَ؛ وَتَوَقَّنْ بِالرَّحِيلِ، وَلَيْسَ زَادُ^(٤)!
وَتُضْبِحُ مِثْلَ مَا تُمَسِّي مُضِيعاً، كَأَنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي، مَا الْمُرَادُ.
أَتَطْمَحُ أَنْ تَقْوَزَ غَدًا هَنِيئاً وَلَمْ يَكُ مِنْكَ فِي الدُّنْيَا أَجْتِهَادُ.
إِذَا فَرَطْتَ فِي تَقْدِيرِ زَرْعٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ - مِنْ عَدَمٍ - حَصَادُ!

(١) الخَفُّ: الذي لَا يَحْمِلُ مَتاعاً أَوْ أَثقالاً (لَيْسَ مَعَهُ أَشْيَاءُ يَحْمِلُهَا فِي انْتِقَالِهِ). المَطِيَّ جَمْعُ مَطِيَّةٍ: الدَّابَّةُ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي الرُّكُوبِ.

(٢) الرُّكْبُ: الحِجَابَةُ بِرُكُوبٍ (يَسْتَقِلُّونَ، يَسَافِرُونَ) مَعاً.

(٣) الرَّحْلُ (هنا): مَتَاعُ البَيْتِ، الْأَثاثُ.

(٤) السُّهَادُ: السَّهَرُ (الْحَزَنُ مِنَ التَّفَكُّيرِ فِي المَوَاقِبِ). الرَّحِيلُ: (هنا) المَوْتُ. الزَّادُ (هنا) العَمَلُ الطَّيِّبُ الَّذِي يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ فِي آخِرَتِهِ.

- كان أبو وهب العباسي إذا أصبح، ونَظَرَ إلى استيلاء النور على الظلمة، رفع يَدَيْهِ إلى السماء وقال:

اللَّهُمَّ، إِنَّكَ أَمَرْتَنَا بالدُّعَاءِ إِذَا أُسْفَرْنَا^(١) فَاسْتَجِبْ لَنَا كَمَا وَعَدْتَنَا. اللَّهُمَّ، لَا تَسَلِّطْ عَلَيْنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ مَنْ لَا يُرَاقِبُ^(٢) رِضَاكَ وَلَا سَخَطَكَ. اللَّهُمَّ، لَا تَجْعَلَ رِزْقَنَا عَلَى يَدِ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ، آمِنْ مِنْ قُلُوبِنَا الطَّمَعِ فِي هَذِهِ الْغَايَةِ^(٣) كَمَا مَحَوَتْ هَذَا النُّورَ هَذِهِ الظُّلْمَةُ. اللَّهُمَّ، إِنَّا لَا نَعْرِفُ غَيْرَكَ فَسَأَلَهُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا غِيَاثَ مَنْ لَا غِيَاثَ لَهُ:

- ومن شعره:

أَنَا فِي حَالَتِي الَّتِي قَدْ تَرَانِي أَحْسَنُ النَّاسِ إِنْ تَفَكَّرْتَ حَالًا:
مَنْزِلِي حَيْثُ نِثْتُ مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَرْضِ أَسْفَى مِنَ الْمِيَاءِ زُلَالًا^(٤)،
لَيْسَ لِي كُنُوءٌ أَخَافُ عَلَيْهَا مِنْ مُغِيرٍ، وَلَا تَرَى لِي مَالًا^(٥).
أَجْعَلُ السَّاعِدَ الْيَمِينَ وَسَادِي، ثُمَّ أَتْنِي إِذَا انْقَلَبْتُ الشَّالَا^(٦).
قَدْ تَلَذَّذْتُ حِقْبَةً بِأُمُورٍ فَتَدَبَّرْتُهَا فَكَانَتْ خَيْالًا^(٧)!

٤- * * الغرب ١: ٥٨ - ٥٩؛ تفح الطيب ٣: ٢٠٧، ٢٢٩؛ نيكل ١٢١٢ مختارات نيكل
١٤٨.

-
- (١) أسفر الرجل: سافر مأكراً (بعض من نومه). - الدعاء مطلوب في كل حين، ولا وجه بتفهيده زمن معين أو محال معينة.
(٢) رقب الشيء وارتقه انتظره. لا يراقب (لا ينتظر، لا يؤمن. لا يخشى).
(٣) السخط: الغضب. الغاية: الحياة الدنيا.
(٤) الزلال: الماء الصافي.
(٥) المغير: الماحم (اللمس).
(٦) الوسادة: الحدة. أتني (أطوي) الشمال (اليد اليسرى). مرة أجعل وسادي يدي اليمى ومرة أجعلها يدي اليسرى.
(٧) حقة: مدة طويلة. تدبّر الأمر: نظر فيه وفكر فيه.

أحمد بن محمد بن أضحى

١- هو أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن خالد الغريب بن يزيد بن الشير بن عبد شمس بن غريب الحمداني الإلبيري، من أهل همدان وهي قرية على مقربة من غرناطة. وعرف جدّه خالد بلقب الغريب لأنه كان أول مولود من العرب الشاميين (الذين جاءوا مع بلج بن بشر - راجع، فوق، ص ٣٩) في كورة إلبيرة. وكان والدّه محمد صاحب حصن الحمة من أعمال إلبيرة ومن أنصار الأمير عبد الله بن محمد.

أما أحمد بن محمد بن أضحى نفسه فلا نعرف من أحداث حياته إلا أنه كان في أيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ = ٩١٢ - ٩٦١ م). ولعل وفاته كانت في حدود سنة ٣٤٥ (٩٥٦ م)^(١).

٢- في الحلة السراء (١: ٢٢٩) أن أحمد بن محمد بن أضحى «كان من أحسن الناس وجهاً وأفصحهم لساناً وأشهيمهم نفساً وأوسعهم أدباً». وكان شاعراً مجيداً وخطيباً قديراً عارفاً بأشبه من العلم (كما نرى من خطبته)

لابن أضحى هذا بيتان من الرجز ألحقهما بخطبته بين يدي عبد الرحمن بن محمد، ها:

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد المُلحدون عوقها

(١) في الحلة السراء (١: ٢٢٩) أن أحمد بن محمد بن أضحى قدم مع أبيه في وفد من قومه على الناصر عبد الرحمن بن محمد داخلين في طاعته. إن قدومهم هذا يجب أن يكون سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) حينما جاء أبو مطرف عبد الرحمن بن محمد إلى الإمارة. أما قول ابن الأثير (الحلة السراء ١: ٢٢٩): «على الناصر عبد الرحمن بن محمد» وقول لسان الدين بن الخطيب (الإحاطة ١: ١٥٧): «قدم على الخليفة عبد الرحمن» فمن باب التجويز (لأن عبد الرحمن بن محمد لم يأخذ لنفسه التبعة بالخلافة ولا تلقب بلقب «الناصر» إلا في سنة ٣١٦ هـ. وما أن لسان الدين قال عن أهل أحمد بن محمد بن أضحى «جميعهم من أهل البلاغة والبيان والأدب والشعر البارع» (الإحاطة ١: ١٥٦)، فإن تقدم أحمد بن محمد بن أضحى لإلقاء خطبة وإنشاء قصيدة عن الوفاء يدل على أنه كان في ذلك الحين من أسهم أو من أحسنهم أدباً. ولعل الاحتمال الثاني هو الأصح هنا، وهذا أيضاً يندر أن يثق للإنسان قبل الثلاثين من عمره.

عنك، وبأبى الله إلا سَوْفَهَا إليك، حتى قَلْدوك طَوْفَهَا^(١).

فإذا هو عَنَى بقوله « التي لا فَوْفَهَا » الخِلَافَةُ فيكون وفودُه على عبد الرحمن بن محمد سَنَةَ ٣١٦ للهجرة أو بعدها بقليل.

٣- مختارات من آثاره

- قَدِمَ أَحَدُ بَنِي مُحَمَّدِ بْنِ أَضْحَى الْإِلبِيرِيِّ عَلَى أَبِي مُطَرِّفٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ فَخَطَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُحْتَجِبِ بِنُورِ عَظَمَتِهِ عَنْ أَبْصَارِ بَرِيَّتِهِ، وَالِدَالِ بِجُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَلَتِهِ... وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَاراً بِوَحْدَانِيَّتِهِ... وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ انْتَخَبَهُ مِنْ أَطْيَبِ الْبُيُوتَاتِ... ثُمَّ أَكْرَمَهُ بِرِسَالَتِهِ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ مُحْكَمَ تَنْزِيلِهِ وَاخْتَارَ لَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَشْيَاعِهِ خَلْقًا جَعَلَ مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَنْدُلُونَ^(٢). وَجَعَلَ اللَّهُ الْأَمِيرَ- أَعَزَّهُ اللَّهُ- وَارِثَ مَا خَلَقُوهُ مِنْ مَعَالِيهِمْ وَبَابِي مَا أَسْوَهِ مِنْ مَشَاهِدِهِمْ حَتَّى أَتَى الْمَسَالِكَ^(٣) وَسَكَنَ الْخَائِفَ، رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ أَلْبَسَهُ كِرَامَتَهَا وَطَوَّقَهُ قُضَيْبَتَهَا. وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ. وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

- وقال في العتاب والاعتذار:

هَوَى كَدَّرَ الْوَاشُونَ مِنْهُ الَّذِي صَفَا وَتَمَّوْا بِأَغْمَى الْإِفْكَ عَنِّي مُزْخَرَفًا^(٤).

(١) الشاعر هنا لم يجعل الشطر وحدة المعنى. ولو أردنا ترتيب هذين البيتين بحسب المعنى (كما يفعل نفر من الشعراء المعاصرين لنا بأشعارهم من باب التجميد) لكان الترتيب كما يلي:

الله أعطاك التي لا فوقها،

وقد أراد اللعدون عوقها عنك.

وبأبى الله إلا سوفها إليك،

حتى قلدوك طوفها.

(٢) راجع القرآن الكريم ٥٩:٧ (سورة الأعراف): « ومن قوم موسى أُمَّة يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَنْدُلُونَ » (يُحْكُمُونَ بِالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ بِحَسَبِ أَمْرِهِ).

(٣) المشاهد: الآثار الحضارية. المسالك: الطرق (كان عبد الرحمن بن محمد قد جاء إلى الإمارة والبلاط مضطربة جداً بالثورات، وبشورة عمر بن حفصون خاصة).

(٤) زَيْنُ الْكَلَامِ بِالْكَذِبِ وَنَقْلُهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ. الْأَفْكَ: الْإِخْلَاقُ، الْكُذْبُ. مُزْخَرَفًا: مَذْذُوقًا، مَكْذُوبًا فِيهِ.

وَوَقَوْا، وَأَصَاخَتْ أُذُنُ خَلِيٍّ، فَمَا وَقَوْا وَهَلَّا - كَمَا أَنْصَفْتُهُ فِي سَحَبَتِي -
فَلَا كَانَ وَاشِرٌ كَانَ ذَلِكَ ضَمِيرُهُ
وَلَا يَفْرَحُوا أَنْ أَوْقَدُوا الْمَجْرَ جَاحِجًا
بِخَلِيلِهِ مَا لَمْ أَقْلَهُ، وَلَا وَفَى^(١)
ثَنَاهُمْ عَلَى الْأَعْقَابِ مِنْهُمْ فَأَنْصَحَا^(٢)
هَوَانًا، فَلَمَّا أَنْ رَأَى مَجْرَنَا اشْتَنَى^(٣)
فَعَمَّا قَرِيبٍ يَنْطَلِفِي، أَوْ قَرِيبٍ أَنْطَلِفِي^(٤)

٤- الحلة السراء ١: ٢٢٨ - ٢٢٩، الإحاطة ١: ١٥٦ - ١٥٩.

أبو القاسم الفزاري

١- هو أبو القاسم محمد بن عبد الله الفزاري، وُلِدَ فِي الْقَيْرَوَانِ وَنَشَأَ فِيهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٣٤٥ (٩٥٦ - ٩٥٧ م).

٢- كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْفَزَارِيُّ رَجُلًا مُتَقَلِّبَ الْهَوَى يَتَكَسَّبُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ دَوْلَةٍ قَائِمَةٍ. لَمَّا تَغَلَّبَ مَخْلُودُ بْنُ كَيْدَادٍ^(١) عَلَى عَدِيدٍ مِنَ الْمُدُنِ التُّونِسِيَّةِ وَانْتَزَعَهَا مِنْ يَدِ الْفَاطِمِيِّينَ ثُمَّ خَضَعَتْ لَهُ الْقَيْرَوَانُ (٣٣٣ هـ) مَدَحَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْفَزَارِيُّ بِعَدِيدٍ مِنَ الْقِصَائِدِ هَجَا فِيهَا الْفَاطِمِيِّينَ وَتَعَرَّضَ لِلْمَذْهَبِ الْفَاطِمِيِّ. وَلَمَّا تَمَكَّنَ الْفَاطِمِيُّونَ مِنْ هَزِيمَةِ مَخْلُودٍ وَاسْتَرْدَادِ الْقَيْرَوَانِ، وَشَيْكَأَ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ بَذَلُوا الْأَمَانَ لِأَهْلِ الْقَيْرَوَانِ مَدَحَهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ الْفَزَارِيُّ بِقَصِيدَةٍ يَرَفَعُهُمْ فِيهَا فَوْقَ جَمِيعِ الْمَشَاهِيرِ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، وَيُشِيدُ بِالنَّصْرِ الْفَاطِمِيِّ (٣٣٤ - ٣٤١ هـ). وَالْقَصِيدَةُ مَتِينَةُ السَّبْكِ سَهْلَةُ التَّلَاوَةِ بَرُّغْمٍ اِزْدَحَامِيهَا بِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ.

(١) الوشاية حل الكلام من شخص إلى شخص بقصد الإيثار منها. أصاخ: أوصى، استمع. الحن: الصديق. ما كان هؤلاء الناس أوفياء (صادقين) في الكلام الذي نقلوه، ولا كان هو صديقاً وفيّاً لي لَمَّا صدق هذا الكلام.

(٢) ثاهم على الأعقاب: ردّهم خائبين (لم يسمع منهم).

(٣) كان هذا الواشي مبغضاً لنا وكان يرى نفسه محتفراً (حينما كان يهني ولا نسمع منه). فلما سمع منه خَلِيٍّ (صديقي) تلك الوشاية بطل شعوره بمقارعة نفسه.

(٤) المجامع: الشدید الحرارة.

(٥) راجع، فوق، ص ١٧٣.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو القاسم الفراريُّ من القصيدة التي يَرَفَعُ فيها من شأنِ الفاطميِّين:

لَعَنُوكَ، ما أَوْسُ بنُ سَعْدِي بقومه ولا سَيِّدُ الأوبار قيسُ بنُ عاصم^(١)،
ولا كان ذو الحَقْنِ بينَ كُتَّابِ هَامِسٍ من يَكْرُ وحيِّ اللِّهَازِمِ^(٢)،
وربُّ مَمْدُ والأَحَالِفِ حَوْلَهُ عِبَابُ كَمَوِجِ اللُّجَةِ التَّلَاطِمِ^(٣)،
ولا حاجِبُ ذو القوسِ يَحْطُرُ حَوْلَهُ قُرُومُ كَأَنَّهُ الْغَيْلِ من آلِ دارِمِ^(٤)،
ولا خالِدُ سُمِّ المَدَاةِ أبْنُ جَعْفَرِ ولا الحَارِثُ الشَّهْمُ الْفَوَادِ أبْنُ ظَالِمِ^(٥)،
ولا كان بَسْطَامُ بنُ قيسِ بنِ خالدِ وعَمَرُو بنُ كَلْثُومِ شِهَابُ الأَرَامِ^(٦)،
ولا عَلَمُ الأَجَوَادِ كَعْبُ بنُ مَامِةٍ عَفِيدُ الثَّلَاةِ الْخَضِ دُونَ اللُّوَامِ^(٧)،
بَأَمْنَعِ مَنِيَّ في جَوَارِ خَلِيفَةِ عَطُوفٍ على أَهْلِ البَيُوتَاتِ رَاحِمِ^(٨)،
كريمِ المَسَاعِي والأَيَادِي، سَمَتْ بِهِ أَبُوهُ صِدْقِي من ذُؤَابَةِ هَاشِمِ^(٩)....

- (١) أوس ابن حارثة الطائي من السادات الكرماء وسعدى أمته. وقس بن عاصم سيّد بني تميم قال فيه رسول الله: «هذا سيّد أهل الوبر».
- (٢) ذو الحَقْنِ (من كان جدّه لأبيه وجدهً لأُمته عظيمين)، وهو عبد الله بن عمرو بن الحارث فارس الصحباء (اسم لعدد من الحيل المنهورة). وفي «مجلد تاريخ الأدب التونسي» (ص ٨٤): ذو الحَقْنِ (بالهاء المهملة): مسعود بن بسلام، وكان شريفاً في قومه. الكتبية: قطعة من الجيش (الشاة أو العرسان). اللهامي جمع لهُوم (بضم اللام): الجيش العظيم، العدد الكبير. اللهازم: لقب بني تميم الله بن ثعلبة (القاموس ٤: ١٧٩). وفي مجلد الأدب التونسي (ص ٨٤): بطن من بني شيبان.
- (٣) رَبِّ مَمْدُ (من مجلد تاريخ الأدب التونسي): نصي من كَلَّاب لأنه جمع كلمة قومه. الأحاليف (يُنصَد الأَحلاف جمع حليف) سِتّ قِبَالٌ من قريش اجتمعوا على أن ينصر بعضهم بعضاً وأن يكونوا عوناً على غيرهم (وهم أبناء عبد مناف، وهؤلاء متأخرون عن نصي، ولكن الشاعر جعلهم حول نصي). العباب: معظم السيل، أو ارتفاعه أو موجه.
- (٤) حاجب بن زرارة رهن قومه عند كسرى حتّى لا يعتدي قومه بنو تميم على مراعي القبائل الأخرى عند الفرات، ووفت بو تميم بذلك. دارم من بني تميم.
- (٥) خالد بن جعفر الكلبي والحارث بن ظالم اللطفاقي مشهوران بالشجاعة.
- (٦) بسلام بن قيس سيّد بني بكر، وعمرو بن كَلْثُوم سيّد بني تغلب. الشهاب: اللامع، المشهور. والشهاب حجر يخرج من مداره حول كوكب فيصل مشتعلأ إلى الأرض (كتابة عن الشجاعة والندة). الأَرَام (جمع أَرَقَم: حيّة) حيّ من تغلب.
- (٧) كعب بن مامة من مشاهير الأجداد في الجاهلية.
- (٨) البيوتات: الأمر (جمع أسرة) المشهورة ذوات المكانة.
- (٩) ذُؤَابَة: أعلى الأشياء (التشريف المقدم في قومه).

- وقال يفتخرُ بالقيروانِ ويُفضِّلُها على بَغْدَادَ:

فهل للقيروانِ وساكنيها عديلاً حين يفتخرُ الفخور^(١)
بِلَادَ خَشَوِها عِلْمٌ وحِلْمٌ وإسلامٌ ومعروفٌ وخير^(٢).
عراقُ الشامِ بَغْدَادُ، وهذِي عراقُ الغُربِ بينها كثير^(٣)
ولستُ أقيسُ بَغْدَاداً إليها. وكيف تُقاسُ بالنِّسبةِ الشُّهورُ؟
بَنَاهَا كُلُّ بَدْرِيٍّ كَرِيمٍ كأنَّ مِفْصَاحَ أَوْجُوهِهِم يَدُورُ^(٤).
هم صَلُّوا بِسَجْدِها بِرَاحاً وليس لها جِدَارٌ مُتَدِيرٌ^(٥).

٤- * * - مجمل تاريخ الأدب التونسي ٨٣.

ابن الوزان القيرواني النحوي

١- هو أبو القاسم إبراهيم بن عثمان المعروف بابن الوزان القيرواني النحوي، كان كثير السَّاع (التعلُّم) من ابن عِينون قرأ عليه شرح «غريب الحديث» لأبي عُبَيْد^(١)

- (١) عديلاً: شيل.
- (٢) الخير (بالكسر) كالحير (بالفتح).
- (٣) الشام (هنا): الشرق. العراق أعظم أقطار الشرق، وتونس أعظم أقطار المغرب.
- (٤) البدري: الذي حارب مع الرسول في معركة بدر (أولى معارك الإسلام، في السنة الثانية للهجرة، ٦٢٤ م).

(٥) براحا: حيثما كانت أرضه براحاً (أرضاً لا زرع فيها ولا شجر = غير منبتة) - ليس المهم أن يكون هناك بناء يسمى مسجداً، بل المهم أن يجتمع الناس للصلاة.

- (٦) ابن عِينون (أبو عليّ القاضي، ت ٣٥٦ هـ). لم أتمر على كتاب في غريب الحديث لأبي عبيد. هنالك كتب عنوانها «غريب الحديث» للحر بن شبل (ت ٢٠٣ هـ) وقطرب (ت ٢٠٦ هـ) وأبي عبيدة مصر بن الشَّيْث (ت ٢١٠ هـ) وأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت نحو ٢٢٣ هـ) والميرد (ت ٢٨٥ هـ) وإبراهيم الهروي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ (بروكلمان ١: ١٢٩، الملحق ١: ١٨٨) وأبي العباس شبل (ت ٢٩١ هـ) ومحمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) وآخرين أحدث عهداً من ابن الوزان. ولعل المقصود هنا هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي صاحب «غريب الحديث». ويبدو أن كلمة «شرح» في طبقات الزبيدي (ص ٢٦٩) زائدة. ولعل الأصوب ما ذكره السيوطي (بنيّة الوعاة ١٨٣): «وكان (ابن الوزان) يحفظ المعين وغريب أبي عبيد المصنف (يقصد: يحفظ كتاب المعين للخليل بن أحمد وغريب الحديث لأبي عبيد بن سلام والمصنف = وفي مجمع الأدباء لياقوت الحموي ٢٠٣: ١): وكان يحفظ كتاب المعين للخليل ابن أحمد وغريب المصنف لأبي عبيد. وفي «إنباء»

وكان صديقاً لأبي محمد عبد الله بن محمود المكفوف (ت ٣٠٨ هـ). وكانت وفاته في عاشر المحرم من سنة ٣٤٦ (١٣ / ٤ / ٩٥٧ م).

٢- كان ابن الوزان القيرواني النحوي فقيهاً على مذهب أهل العراق^(١). وكذلك كان إماماً في النحو واللغة والعروض. وكان في ذلك يميل إلى مذهب البصريين مع معرفته الواسعة بمذهب الكوفيين. ثم كان يفضل المازني في النحو وابن البكيت في اللغة. وهو حسن الاستخراج يستخرج من مسائل اللغة والنحو أموراً لم يتقدمه فيها (لم يكن فيها أحسن منه) أحد. وكان غابة في استخراج المعنى^(٢). وفي أواخر أيامه نظم شيئاً من الشعر لم يرضه ولا أحب أن يؤسم به (أن ينسب ذلك الشعر إليه). وكانت له تصانيف كثيرة في اللغة والنحو.

٣- شيء من آثاره

- مما روي عن ابن الوزان (طبقات الزبيدي ٢٧٠ - ٢٧١):

... والعربُ تقول: «رَجُلٌ وَرَجُلٌ» (بضم الجيم أو بتسكينها)، وهي لغة بني تميم وبني ربيعة... وعلى هذا جاء «سُرْق» (بتسكين الراء مكان سُرُق بكسر الراء). واللام تُدغم في الراء، وقال أكثر القراء «قُرَيْي» (مكان: قُل ربي) لأنها من حافة اللسان متقاربتان. ولا تُدغم الراء في اللام (إذا جاءت الراء أولاً) لأن الراء فيها تكريم.

و «الذي» فيها خَمْسُ لغات: الذي بياض خفيفة (بلا تشديد)، والذي (بتشديد

«الرولة (١: ١٧٣): وحفظ كتاب العين للخليل بن أحمد.... وكتاب المصنف لأبي عبيد. ويبدو أن فائري المراجع المذكورة (طبقات النحويين واللغويين، ومعجم الأدباء، وبنية الوعاء) قد أخطأوا في قراءة أصولهم أو توهموا شيئاً غير موجود أو غفلوا في أثناء تصحيح الملام. ويكون تصحيح ذلك كله كما يلي: قرأ ابن الوزان القيرواني كتاب العين للخليل بن أحمد وكتاب غريب الحديث وكتاب غريب المصنف لأبي عبيد بن سلام الهروي. فغريب الحديث وغريب المصنف كتابان (راجع معجم الأدباء ١٦: ٢٥٥ الأسطر ٩٠٦، ٩٠٩، ١١، ٢٦٠، السطر ٥٤، ٥٥).

(١) مذهب أهل العراق في الفقه الأخذ بالرأي وإمامهم الأكبر أبو حنيفة.

(٢) المعنى: النامض، الأجبية (راجع طبقات الزبيدي ٢٧٠).

الياء)، والذَّ بِحذف الياء وكسر الذال؛ والذَّ يَأْكُلُ الذال وَيَرُدُّ في حالِ الرفع والجَر والنصب.

- وسُئِلَ عن تفسير قوله تعالى: «ذلك أذنِي أَلَّا تَعْمَلُوا»^(١) وَأَنَّ الإمامَ الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) قال: معنى ذلك أَلَّا يَكْثُرَ عِيَالُكُمْ. فقال ابنُ الوَرَّانِ:

أخطأ (الشافعي)، يُقال: عَالٌ يَعْمَلُ، إذا افْتَقَرَ؛ وأَعَالٌ، إذا كَثُرَ عِيَالُهُ؛ وعَالٌ يَعْمَلُ عَوْلًا، إذا جَارَ (ظَلَمَ)، ومنه قوله تعالى: «أَلَّا تَعْمَلُوا» (في هذه الآية). وعَالٌ الشيءُ يَعْمَلُ عَوْلًا، إذا زَادَ، ومنه: عَالَتِ الْفَرِيضَةُ^(٢). وعَالَتِ الشيءُ يَعْمَلُونِي إذا أَثْقَلَنِي، ومنه قولُ الحنْبلِ: «وَيَكْفِي العَشِيرَةَ ما عَالَهَا». ويُقال: عَالٌ يَعْمَلُ عَوْلًا إذا تَبَخَّرَ.

- وقال ابنُ الوَرَّانِ: وجاءَ فَعِلَ يَفْعَلُ (بكسر العين في الماضي والمضارع) في ثلاثة أحرفٍ (كَلِمَاتٍ)، قالوا: حَبَبٌ يَحْبِبُ وَيَبْسُ وَيَبْسُ وَيَبْسُ وَيَبْسُ. وجاء (ذلك) في ثمانية أحرفٍ من المعتلِّ الفاء (الفعل الذي أولُهُ حرفُ علة): وَرِمَ يَرِمُ، وَوَرِيَ الزَّيْدُ يَرِي (خرجت منه شرر من نار)، وَوَرِثَ يَرِثُ، وَوَرَعَ يَرَعُ، وَوَلَّى يَلِي، وَوَفَّقَ يَفِقُ، وَوَفَّقَ يَفِقُ، وَوَكَّهُ يَلُهُ وَيَوَلُّهُ، وَوَهَلَ يَهْلُ وَيَوَهِّلُ.

٤- * * الزبيدي ٢٥٨، ٢٦٩-٢٧١ معجم الأدياء ١: ٢٠٣-٢٠٤ البلفة ١٦ انباء الرواة ١: ١٧٢ الوالي بالوفيات ٦: ١٥٠ الديباج المذهب ١٩١ بغية الوعاة ١١٨٣ شذرات الذهب ٢: ٢٧٣.

اسماعيل بن بدر

١- هو أبو بكر إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد من أهل قُرطُبة كان مولًى لبني أمية، سَمِعَ الحديثَ من يحيى بن مخلدٍ ومن محمد بن عبد السلام الحُشَني ومحمد بن

(١) القرآن الكريم ٣: ٤، سورة النساء.

(٢) الفريضة: النصب من الإرث. عالت الفريضة: نفقت (راجع ذلك في كتب الأحوال الشخصية، و باب تفسيح الإرث).

وضَّاحٌ وَمُطَرِّفٌ بِنِ قَيْسٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بِنِ سَرَّةَ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بِنِ يَحْيَى. (ابن الفرضي، رقم ٢١٦).

وكان إسماعيل بنُ بدرٍ مُتَّصِلًا بعبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) فولَّاهُ الناصرُ الخاصَّة (إدارة أملاكه الخاصَّة) في ربيعِ الأوَّل من سنة ٣٠٠ هـ ثم وَّلاهُ إشيبيَّةً. وكذلك وَّلاهُ أحكامَ السوق (الحِشْبَة): المحافظة على الأخلاق في الأسواق ومراقبة البضائع وأسعارها).

وكانت وفاةُ إسماعيل بنِ بدرٍ سَنَةَ ٣٥١ (٩٦٢ م) وقد عُمِّرَ طويلاً.
- اشْتَغَلَ إسماعيلُ بنُ بدرٍ بالحديث، ولكنَّ الشَّيْخَ غَلَبَ عليه. وكان شاعراً مُكثِّراً مُجيداً، له مدحٌ ورناءٌ ووصفٌ وخرنابات. وفي شعرهِ مثناةٌ وِرْقَةٌ أيضاً.

٣- مختارات من آثاره

- قال إسماعيلُ بنُ بدرٍ يرثي ابنه أحمداً، وقد ماتَ صغيراً:
غَرَسْتُ قَضِيْباً زَعَزَعَتْهُ يَدُ الرَّدَى فغَلَّوْا دُمُوعَ الْعَيْنِ تَبَكُّاً عَلَى غَرَسِي.
وهذا حَمَامُ الْأَيْكِ يَبْكِي هَدِيْلَهُ، فما لَهْدِيْلِي لا تَنْوِبُ لَه نَفْسِي^(١)!
- ما حُزْنُ يَحْتَوِبُ عَلَى يَوْسُفَ أَشَدُّ مِنْ حُزْنِي عَلَى أَحْمَدَ.
أَحْمَدُ مَلْحُودٌ - وَهَلْ نَسْتَوِي؟ - وَذَاكَ لَمْ يُقْبَرْ وَلَمْ يُلْحَدْ^(٢).
وكان يَرْجُوهُ: وَهَلْ أُرْتَجِي. هذا وَقَدْ غَمَضْتُهُ بِالْيَدِ^(٣).
- وَأَهْدَى إِلَى بَعْضٍ مِنْ يَغْرِفِهِ تَوْتاً وَكَتَبَ مَعَهُ:
تَفَاءَلَسْتُ بِالتَّوْتِ التَّائِي لِزَوْرَةٍ؛ وَذَلِكَ قَالَ - مَا عَلِمْتُ - صَوْتُ^(٤).

(١) المهدبل: صوت الحمام. وهو أيضاً قرح الحمام (القاموس ٤: ٦٧، السطر الأخير).

(٢) القبر هو الحفر التي يدفن الميت فيها. واللحد شق يكون في عرض القبر.

(٣) إذا مات الإنسان جفَّتْ جِسمه. من أجل ذلك يسرع أهل الميت بمَدِّ أعضائه وتنميص عينيه كيلا تظلَّ أعضاؤه على غير طبيعتها وكيلا تظلَّ مفتوحتين.

(٤) التائي: (العله بقصد: الأمل، الرجاء، انتظار زورة).

فَأَهْدَيْتُهُ غَضًّا حَكِي حَدَقَ الْمَاءُ، لَهُ مَنْظَرٌ بِالْحُسْنِ مِنْهُ بَرُوقٌ^(١).
وَبَيْضٌ حَكِي الْيَاقُوتَ مِنْهُ أَحْمَرُهُ؛ وَمَا مَجَّهَ لِلذَّائِقِينَ رَحِيقُ^(٢).
فَذَا سَبَجٌ - فَيَا يُرَى لِأَسْوَدَادِهِ؛ وَذَا - لِأَحْمَرَارِ اللَّوْنِ مِنْهُ - عَقِيقٌ^(٣).

- قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ بَدْرِ بَصِيفُ غَزْوَةٍ قَامَ بِهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ إِلَى بِلَادِ الْإِسْبَانِ
وَيَذْكُرُ آثَارَ الْخَرَابِ الَّذِي أَتَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. لَاحِظٌ أَنَّهُ يُشَبِّهُ الْجَيْشَ بِالْبَحْرِ وَيُشَبِّهُ
الْبَيْضَ (السُّيُوفَ) بِالْبَيْضِ (النِّسَاءِ):

وَذِي لَحَبٍ كَالْبَحْرِ عَبَّ عُبَاهُ فَضَاقَ بِهِ رَحْبُ الْفَضَا وَالتَّنَاقُفِ^(٤)
فَرِيبُ الْخَطَانِ فِي الْمَدَى مَالِي السَّلَا، بِجَمْعٍ تَرَاءَ وَاقِفًا غَيْرَ وَاقِفٍ^(٥)
تَرَكْنَا بِهِ أَرْضَ الْعَدُوِّ كَأَنَّهَا مَجَاهِلٌ لِلْمُرْتَادِ غَيْرِ مَعَارِفٍ^(٦)
غَدَّتْ بَعْدَ سَحَبِ الْبَيْضِ فِيهَا ذُبُولُهَا مَجَرَّةٌ ذُبُولِ الطَّامَسَاتِ الْمَوَاصِفِ^(٧).

٤- * * أخبار مجموعة ١٦٥- ١٦٦ راجع ابن الغرضي ٨٠ (رقم ٢١٦) راجع جذوة

- (١) المصن: الطري، المنطوق حديثاً. المدقة: العين. الماء: نوع من الطيلاء أبيض اللون، كبير المصن. راق: سر الناظر.
- (٢) حكي: ثابته. عه: أخرجه من فمه. الرحيق: العسل الموجود في قلب الزهرة.
- (٣) السبج: غرز أسود (المعجم الوسيط ٤١٤؛ تاج المروس، الكويت ٦: ٢٧). العقيق: حجر كريم أحمر اللون.
- (٤) ذو لَحَبٍ: (حيش) ذو أصوات كثيرة (لكثرة عدده وسلاحه). العباب: كثرة الماء. السيل العظيم، ارتفاع الموج. عبَّ عباهه: عظم موجه وتلاطم. الرحب: الواسع. التنوفة: العلاء (الأرض الواسعة).
- (٥) قَرِيبُ الْخَطِي: الخندق يشون فيه مخططات قصيرة (لازدحامهم وضيق المكان بهم). مَالِي الْمَدَى: بعيد ما بين أوله وآخره. تَرَاءَ وَاقِفًا غَيْرَ وَاقِفٍ: هو يلاً بقعة كبيرة جداً من الأرض فلا تدرك العين أنه يتحرك.
- (٦) المجهول: الأرض لا علامات فيها (خراب). المُرْتَاد: الآتي إلى مكان يطلب شيئاً (عشاً، ماء، الخ). المرفة: العلامة في الطريق يهتدي بها السائرون.
- (٧) عدت: أصبحت. بعد سحب البيض فيها ذبولها: بعد المعركة- في البيت استعارة حيلة: يقول الشاعر إِنَّ الْبَيْضَ (السُّيُوفَ) بَعْدَ أَنْ تَنَزَّهَتْ (بِشَبِّهِ السُّيُوفِ الْبَيْضِ، الْجُلُوءَ، الْفَاقِطَةَ، بِالنِّسَاءِ الْبَيْضِ الْجَمِيلَاتِ) طَفَرَتْ بِسُرْعَةٍ وَسَهْوَةٍ كَأَنَّهَا كَانَتْ تَنْتَزِعُهُ. جَرَّرَتْ ذُبُولَهَا: سَارَتْ مَتَأَنِيَةً تَتْبَحَّرُ (سَرَنَ) مَتَأَنِيَاتٍ يَتْبَحَّرُونَ. مَجَرَّةٌ ذُبُولِ الطَّامَسَاتِ الْمَوَاصِفِ: مكان تمرُّ به الرياح اسديدة تحمل الرمال وتطمس (تنظف) بها كل أثر.

المقتبس ١٥٣، وبغية المنس ٢١٥ (رقم ٥٤٣)، الحلة السراء ١: ٢٥٤-٢٥٦،
راجع ١٩٩-١٢٠٠ في الأعلام للزركلي ١: ٣٠٥ (٣١٠).

ابن مغيث الأنصاري

١- هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن مغيث الأنصاري من أشراف قرطبة، وُلد في ربيع الأول من سنة ٢٨٥ هـ (نيسان - أبريل ٨٩٨ م).

روى ابن مغيث عن خالد بن سعد ومحمد بن أحمد الإشبيلي الزاهد وأحمد بن سعيد ابن حزم وإسماعيل بن بدر وغيرهم. ولقي خطوة ومكانة عند الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ) قبل مجيئه إلى الخلافة وبعد مجيئه إلى الخلافة. وقد زهد في أواخر أيامه، وكان جسماً قد ضعف. ثم توفى في صدر شوال من سنة ٣٥٢ (٢٢/١٠/٩٦٣ م).

٢- كان ابن مغيث الأنصاري من أهل الذكاء والمعرفة كاتباً شاعراً وأديباً ناقداً ومؤلفاً له كتاب «أشعار الخلفاء من بني أمية» (في الأندلس وفي الشرق) وضعه بطلب من الخليفة الحكم وجعله على مثال كتاب أبي بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ): «أشعار أولاد الخلفاء». وله أيضاً كتاب التوابين.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن مغيث الأنصاري في النسيب:

أَتَوْا حِسْبَةً إِذْ قِيلَ: جَدُّ نَحْوُهُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ لَحْمٍ عَلَيْهِ وَلَا عَظْمٍ ^(١)،
فَعَادُوا قَبِيصاً فِي فَرَاشٍ فَلَمْ يَرَوْا وَلَا لَمَسُوا شَيْئاً يَدُلُّ عَلَى جِسْمٍ ^(٢)،
طَوَاءَ الْهَوَى فِي ثَوْبٍ سَفَرٍ مِنَ الضَّنَى، فَلَيْسَ بِحَسُوسٍ بَعِيْنٍ وَلَا وَهْمٍ ^(٣)!

(١) في الأصل: إن جَدُّ محوله: كثر هزال (بالعم) جسده. حسبة: طاعة له (واشفاقاً علي) لا حياء ولا رجاء ينع في.

(٢) عادوا: زاروا (المريض).

(٣) الضنى: شدة البحول والمريض الذي طال مرضه.

- وقال:

أَوْثَقُ عَمَلِي فِي نَفْسِي مَلَامَةٌ صَدْرِي^(١): أَنِّي آوَيْتُ إِلَى فِرَاشِي وَلَا يَأْوِي إِلَى صَدْرِي
غَائِلَةٌ لِمُسْلِمٍ.

٤- * * جذوة المقتبس ٢٣٥-٢٣٦ (الدار المصرية) ٢٥٢-٢٥٣ (رقم ٥٣٣) بشية
المقتبس ٣١٩-٣٢٠ (رقم ٨٨٣)، الصلة ١: ٢٣٧. الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٤
(١٢٠).

وليد بن عيسى الطبيخي

١- هو أبو العباس وليد بن عيسى بن حارث بن سالم الأمويُّ بالولاء، عُرف
بالطبيخيِّ لآلِه أهدى إلى مؤدِّبه الحكيم أبي عبد الله محمد بن اسماعيل القرطبي
(٢٥١-٣٣١ هـ) طعاماً، فقال له مؤدِّبه: ما هذا؟ فقال: «طبيخٌ أجدتُ صنْعَه
لك». فلقبه مؤدِّبه الطبيخي.

وتلقَّى الطبيخيُّ العلمَ على نفرٍ منهم أبو عبد الله الغاني أخذَ عنه شعرُ أبي تمام
(الزبيدي ٣١٥). ثم إنَّه اتَّخذَ التعلِّمَ صنْعَةً واقتصر على تعلِّمِ أبناء السَّراة ولم
يتمرَّض لتعلِّمِ أبناء العامة. وكان يُحسِنُ تقريبَ قضايا العلم من الأفهام. وكانت وفاة
الطبيخيِّ في شَوَّالٍ من سنَّة ٣٥٢ (خريفَ عام ٩٦٣ م).

٢- كان الطبيخيُّ عالماً باللغة والشعر، وكان له حظٌّ من المربية (النحو): كان
واسعَ الأطلاع على كتب المِشارقة كثيرَ الاحتجاج (ضربِ الأمثلة) بالقرآن والأمثال،
كما كان جامعاً لكثير من أخبار أهل الأندلس له «شرح ديواني مسلم بن الوليد
الأنصاري». والطبيخيُّ ناقدٌ أيضاً: كان جيِّدَ التَّفطُّنِ إلى أوجه البلاغة حسنَ
الترجيح بين المعاني خاصَّة. ومَعَ أن شروحه كانت مُفَرَّدة (يشرحُ الشعرَ بيتاً بيتاً)،
فإنَّها كانت مُوجزةً ثم كانت، مع هذا الإيجاز، شاملةً للأوجه اللغوية والنحوية
والبلاغية والتاريخية، ولكنَّه قلَّ ما يشيرُ إلى وجه البلاغة- كما فعلَ لما قال (في شرح
البيت ٦٤ من القصيدة الأولى، ص ١٧): «وَجَعَلَ لِلدِّينِ دَعَاتِمَ عَلَى الاسْتِمَارَةِ».

(١) أحسن عملي أن آوَيْتُ إلى فراشي (أن ينتهي يومي) من غير أن أكون قد غصبت من مسلم أو أغصبت.

هذا مع العلم بأن ديوانَ مُسلم بن الوليد مملوء بأوجه الصناعة وبالفريب النادر الجميل منها، كقوله مثلاً (في القصيدة الأولى):

يَكُو السُّيُوفَ دِمَسَه النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِيْجَانَ الْقَنَا الذُّبُلِ.

٣- مختارات من آثاره

- من شرح ديوانِ مُسلم بن الوليد^(١): (القصيدة الأولى، البيت التاسع والخمسون، ص ١٥-١٦):

(والمَارِقُ أَيْ طَرِيفٌ قَدْ دَلَفَتْ لَهُ بِعَكْرِ اللَّعْنَايَا مُسْبِلِي هَطْلِي)^(٢)

كان ابن طريف الخارجي قد أضرَّ بهرون الرشيد إضراراً شديداً لا يقوم له أحد من قواده^(٣) فاستشار هرون فيه بني برمك فأشاروا إليه بيزيد وكانوا على بغضة^(٤) فأرادوا به إحدى حالتين إمَّا أن ينهزم فيسقط حرمة^(٥) بذلك وإمَّا أن يقتل فيستريحوا منه فأخرجه هرون إليه^(٦) فجعل يماكره ويقول له إني ابن عمك من شيبان ولا أريد بك إلا خيراً وإِنَّا أخرجت إليك رغماً فطاولة^(٧) بذلك شهراً حتَّى انكسر حدُّ أصحابه واطمأنوا فقال بنو برمك لهرون إنَّ يزيد قد حالف ابن طريف إذ هو من رهطه ودلَّس^(٨) عليك فبعث هرون إليه يقول له إمَّا أن تنأشِب^(٩) الرجل وإمَّا تقتلتك

(١) مسلم بن الوليد شاعر عباسي (ت ٢٠٨ = ٨١٣ م) مدح هذه القصيدة أحد متاهير القواد يزيد بن مرير الشيباني بعد انتصاره على الثائر الخارجي الوليد بن طريف الشيباني، سنة ١٧٩، في أيام هرون الرشيد. وقد تركت هذا النص بلا شكل ولا تنقيط. ولكن لم يكن بد من شرح عدد من الألفاظ والتراكيب.

(٢) دلف إليه: سار إليه ببطء (وخدعة). العارض: الحجاب الكثير يندد في عرض الأفق. السبل (اللفي ماء) الممثل (الكثير المطر).

(٣) لا يقوم له أحد من قواده: لم يستطع أحد أن يتغلب عليه، بل كان هو يتغلب عليهم.

(٤) بنو برمك كانوا وزراء في مطلع الخلافة العباسية. كانوا على بغضة (كره) ليزيد بن مرير.

(٥) فسقط حرمة (فانسقط حرمة).

(٦) فأخرجه هرون الرشيد إليه (بعث هرون الرشيد يزيد بن مرير لقتال الوليد بن طريف).

(٧) أخرجت (بالبناء للمجهول) طاولة: (هنا) تأخر في قتاله.

(٨) دلَّس: كتم العيب الذي في السلعة (عش، خدع).

(٩) تنأشِب (تحارب).

فجمع يزيد أصحابه إلى نفسه وقال لهم إنما هم الخوارج وإن لهم صدمة واحدة فمن صبر لها لم ينل^(١) بعدها وإنني حامل بنفسني من ذلك على الاجتهاد^(٢) فاصبروا معي ثم عيى جيوشه وترحل^(٣) هو وأصحابه ولقيه فكان بينهم قتال عظيم ووقعت الهزيمة على الخارجي ابن طريف فقتل فأصبحت أخته وقد لبست درعها في عسكرها تدعو براز يزيد فعمل عليها يزيد فضرها وأنشدت ترثي أخاها:

أيا شجر الخابور^(٤) ما لك مورقا؟ كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يريد الزاد إلا من التقى

- وقال في شرح البيت الثاني والعشرين من القصيدة الرابعة عشرة (ص ١٠٤):

(نستودع الليل أسرارَ المُموم إذا باح النعاسُ بمعجزِ الصاحبِ الوافي)
يقول: «نستودع الليل أسرار المُموم»، نكلّم في همومنا الليلَ فكأننا نُودعه إيّاها. (ويقول): «إذا باح النعاس بمعجز الصاحب الوافي» أي إذا أظهرَ النعاسُ عَجْزَ الصاحبِ الوافي، أي الفاتر^(٥) الذي قد كلّ من المشي وغلّبه النومُ فباح النعاسُ بمعجزه، كما تقول: بَحْتُ بالأمْر، أي أظهرتُه وتركْتُ كِبَانَه. ومعناه أَنه يقطع الليلَ بِجِدٍّ ونشاط إذا كلّ أصحابُه وأثقلَ النومُ بهم^(٦) على رِحالهم والنوق. تمشي بهم. وأمّا قوله: «نستودع الليل أسرار المُموم» فهو مثْلُ ما تُحدّث وتُزَل على فلان فتقول له كذا وكذا ويَصِلُنَا بكذا وكذا، فكأنّه يُخَبِّرُ الليلَ بذلك لأن أصحابَه قد سَكِرُوا من النوم.

(١) ينل (بالبناء للمجهول): لم يصب (بالبناء للمجهول)، لم يجرح أو يقتل.

(٢) على الاجتهاد: بذل علمي وطاقتي.

(٣) عيى وعيا (الجيئ) جمعه وأعدّه للقتال. ترحل: سار.

(٤) الخابور: نبت أو شجر له زهر أصفر زاهي المنظر جيّد الرائحة ترزّ به الحداثق.

(٥) الوافي: المتعب (بهم فسكون ففتح)، الذي أعجزه التعب. كلّ: تعب.

(٦) بهم: موجودة في الأصل.

١- (شرح) ديوان أبي الوليد سلم بن الوليد الأنصاري الشهير بصريح الغواني (حرره... دي خويه)، ليدن (بريل) ١٨٧٥ م (نشره سامي الدقّان)، مصر (دار المعارف) ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م.

* * الزبيدي ٣٢٩، راجع ٣٠٣ - ٣٠٤؛ ابن الفرصي ٢: ١٥٩ (رقم ١٥١٢)؛ بقية الوعاة ١٤٠٥ الأعلام للزركلي ٩: ١٤٣ (٨: ١٢٢)، الدابة ٧٩ - ٩٣.

منذر بن سعيد البلوطي

١- هو القاضي أبو الحكم مُنْذِرُ بنُ سَعِيدِ بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الملك بن نجيح، أصلُ أهلِهِ من يرابرة نَفْزَة أحدِ فروع كَرْنَة، أَنتَقَلُوا إلى الأندلس وسكنوا في فَحْصِ البلوط (قرب قرطبة).

وُلِدَ مُنْذِرُ بنُ سَعِيدٍ، سَنَةَ ٢٦٥ (ياقوت ١٩: ١٧٤) في حَمَلَةِ النّشَارِينِ بِالرَّبَضِ (الضاحية) الشرقي من قرطبة، وقيل كان مولده سنة ٢٧٣.

دَرَسَ مُنْذِرُ بنُ سَعِيدٍ في قُرْطَبَة على عبيد الله بن يحيى (ت ٢٩٧ هـ) أحدِ أئمّة الفقه وعلى ابن يحيى بن يحيى اللبني (ت ٢٣٤).

وفي سَنَةِ ٣٠٨ (٩٢٠ م) رَحَلَ مُنْذِرُ بنُ سَعِيدٍ إلى المشرق فمرَّ بِمِصْرَ فَسَمِعَ من أبي جعفر أحد بن محمد المصري المعروف بـابن النحاس (ت ٣٣٨) ومن أبي العباس أحد بن محمد المعروف بـابن ولّاد (ت ٣٣٢). ثم إنّه حجَّ وسمع في مَكَّةَ من محمد بن المنذر النيسابوري. وطالت رحلته في المشرق أربعين شهراً.

عاد مُنْذِرُ بنُ سَعِيدٍ من المشرق وسكّن في الأندلس عشرين سَنَةً أو تزيد لا نعلم شيئاً من أخباره في أثنائها. ونفهم أنه زار طرطوشة (نفع ٢: ٥١١) وفي سَنَةِ ٣٣٤ (٩٤٥ - ٩٤٦ م) جاء من القسطنطينية إلى قُرْطَبَة رُسُلُ ملك الروم قُسْطَنْطِينِ السابع (٩١٢ - ٩٥٩ م) يحملون منه رسالة؛ كما وصل إليها في ذلك الحين وفودُ ملوك الفرنجة. فاحتفل عبد الرحمن الناصر بهذه الوفود في قصر قُرْطَبَة وَسَطَ أُمَّةٍ عظيمة وأرادَ من الشعراء والمُحْطَباء أن يقوموا بين يَدَيْهِ أمامَ الوفود ويذكروا ما قام به في توطيد الخلافة وما كان له من جلائل الفتوح والأعمال. فنهض الفقيه مُحمَّد بن عبد

البر الكسبياني ليتكلم فأخذته هيبة الموقف وأزج عليه ثم سَقَطَ أرضاً مُغْبِثاً عليه .
 فقيل لأبي عليّ القالي (ت ٣٥٦ هـ) - ضيف عبد الرحمن الناصر - : « قُمْ فَأَرْقَعْ هَذَا
 الْوَهْيَ » . فقام فحَبَدَ الله وأثنى عليه وصلى على نَبِيِّهِ ، ثم انقطع به القولُ فَوَقَفَ
 ساكناً .

فلَمَّا رَأَى مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ ذَلِكَ « قام من ذاته فوصل آفتاح أبي عليّ لأَوَّلِ خُطْبَتِهِ
 بكلام عجيب وفصل مُصَيَّبٍ يَسُحُّه سَحًا كَأَنَّا يَحْفَظُهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَدَّةٍ ، وبدأ من المكان
 الذي (كان قد) وَصَلَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ الْبَغْدَادِي « القالي » (النباهي ٦٦) . فكانت تلك
 الْحُطْبَةُ سَبِيلَ حَظْوَتِهِ عِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِر .

بُعِيدَ تِلْكَ الْحَادِثَةِ ، فَمَا يَبْدُو ، عَيَّنَهُ النَّاصِرُ قَاضِيًا فِي مَدِينَةِ مَارِدَّةَ ثُمَّ جَعَلَهُ عَلَى
 قِضَاءِ الثُّغُورِ الشَّرْقِيَّةِ . وَفِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٣٣٩ (مطلع خريف ٩٥٠ م) أَصْبَحَ
 مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ قَاضِيًا الْجَمَاعَةِ فِي قُرْطَبَةٍ . وَمَعَ أَنَّ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ كَانَ مِنْ أَتْبَاعِ
 الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَقْضِي عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ . وَكَانَ عَادِلًا بَيْنَ الْحُصُومِ
 شَدِيدًا فِي الْحَقِّ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ . وَقَدْ بَقِيَ فِي الْقِضَاءِ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً إِلَى
 حِينِ وَفَاتِهِ فِي ٢٨ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٣٥٥ (١٥ / ١١ / ٩٦٦ م) . وَدُفِنَ فِي
 الرَّيْضِ الْغَرْبِيِّ مِنْ قُرْطَبَةٍ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِ .

٢- كَانَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ الْبَلُوطِيُّ فَقِيهًا مُتَفَنَّئًا فِي ضُرُوبِ الْعِلْمِ يَعْرِفُ الْمَذْهَبَ
 الظَّاهِرِيَّ وَمَذْهَبَ الْإِمَامِ مَالِكٍ قَادِرًا فِي الْجَدَلِ . وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا مَتَرَسِّلًا لَهُ أَشْعَارُ
 مَطْبُوعَةٌ وَخُطْبٌ عَجِيبَةٌ وَرِسَالٌ بَلِيفَةٌ ، كَمَا كَانَ مُؤَلِّفًا . وَمَعَ مَتَانَةِ خُلُقِهِ فَقَدْ كَانَتْ فِيهِ
 دُعَابَةٌ حَسَنَةٌ . وَشِعْرُهُ الْقَلِيلُ الْبَاقِي فِي الزَّهْدِ وَالشُّكُوى مِنَ الدَّهْرِ وَمِنَ النَّاسِ حِينًا
 وَفِي الْفَخْرِ بِالنَّفْسِ حِينًا آخَرَ . وَشِعْرُهُ صَحِيحٌ مَتِينٌ . أَمَّا خُطْبُهُ فَبَارِعَةٌ جَدًّا تُغْلِبُ
 عَلَيْهَا السَّهُولَةُ وَتَتَسَمَّى بِالتَّبَسُّطِ فِي الْقَوْلِ وَالْإِتْيَانِ بِالْمَعَانِي الْقَلِيلَةِ الْبَسِيرَةِ الْقَرِيبَةِ
 الْمُتَوَالِ بِمَا يُسَهِّلُ عَلَى السَّامِعِينَ اسْتِيعَابَهَا فَيَكُونُ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى تَأْثِيرِهَا فِيهِمْ .
 وَهَزِيدٌ فِي تَأْثِيرِهَا فِي السَّامِعِينَ بِرُوزِ الْعُنْصُرِ الدِّينِيِّ فِيهَا مِنَ الْوَعظِ بِالترغيبِ
 وَالتَّرهيبِ وَإِخْرَاجِ ذَلِكَ كُلِّهِ مَخْرَجَ الْخِطَابِ لِلْحَاضِرِينَ مَعَ كَثْرَةِ الاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ .

ولقد كان مُنذرٌ بنُ سعيدٍ عظيمَ الاستيلاء بخطبه على السامعين.

٣- مختارات من آثاره

- قال منذر بن سعيد البلوطي يذكر الموت:

الموت حَوْضٌ وَكُلُّنَا يَرُدُّ ، لَمْ يَنْجُ مِمَّا خَافُهُ أَحَدٌ^(١).
فلا تكن مُغرماً برزقي غداً ، فَلَسْتُ تَدْرِي بِمَا يَجِيءُ غَدُ.
وخذ من الدهر ما أُنَاكَ به ، وَيَسْتَلِمُ الرُّوحُ مِنْكَ وَالْجَدُ.
والخيرَ والشرَّ لا تَدْعُهُ ، فإِذَا فِي النَّاسِ إِلَّا التَّشْيِيعُ وَالْحَدُ.
- وقال يشكو من الدهر والناس (قبل إقبال الدنيا عليه):

هذا المَقَالُ الَّذِي مَا عَابَهُ قَتَدُ ، لَكِنَّ صَاحِبَهُ أَزْرَى بِهِ الْبَلَدُ^(٢).
لو كُنْتُ فِيهِمْ غَرِيباً كُنْتُ مُطْرَفَاً ، لَكُنِّي مِنْهُمْ فَأَعْتَالِي النُّكْدُ^(٣).
لولا الخِلافةُ- أَبْقَى اللهُ بَهْجَتَهَا- مَا كُنْتُ أَبْقَى بِأَرْضٍ مَا بِهَا أَحَدُ!
- تَتَفَّ من خطبته يومَ دخلت الوفودُ على عبد الرحمن الناصر:

أَمَّا بَعْدَ حَيِّ اللهِ وَالتَّوْحِيدِ عَلَيْهِ وَالتَّعْدَادِ لِأَلَائِهِ^(٤)..... فَإِنَّ لِكُلِّ حَادِثَةٍ مَقَامًا-
وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَ. وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ. وَإِنِّي قَدْ قُضْتُ فِي مَقَامٍ كَرِيمٍ، بَيْنَ يَدَيِ
مَلِكٍ عَظِيمٍ. فَاصْفُوا إِلَيَّ- مَعَشَرَ الْمَلِكِ- بِأَسْمَاعِكُمْ وَأَيُّقِنُوا عَنِّي بِأَقْنَدِكُمْ^(٥)..... وَإِنِّي
أَذْكُرُكُمْ بِأَيَّامِ اللهِ عِنْدَكُمْ وَتَلَاْفِيهِ لَكُمْ بِخِلاَفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي لَمْتُ شَعْنَكُمْ وَأَمَنْتُ

(١) يرد: يذهب إلى الماء (ليستقي أو لبثرب) جميع الناس سيموتون.

(٢) القند: ضعف الرأي من الحرم (التقدم في السن). الكذب. أزرى به (عابه، حفض منزلته). البلد (أه) من أهل البلد- أهل البلد لا يحسون النابه منهم، بل يحسون الغرب عن بلدهم.

(٣) مطرفاً: طرفاً؛ جديداً، بيجاً. غاله واغشاله: قتل، اهلكه. السكد: صعوبة العيش وضيقه، الشؤم.

(٤) الآلاء جمع إلى (بكرس المهرزة أو فتحها): النعمة.

(٥) الملأ: أشراف القوم. القواد: القلب. أيقنوا عني بأقندتكم: كونوا واليقين بما أقول.

سربكم ورفعت^(١) قوتكم: كنتم قليلاً فكثركم.... ومُستندلين فنصركم. ولأه الله رعايتكم
وأُسند إليه إمامتكم أيامَ ضَرْبِ الفِئْتَةِ سُرَادِقَهَا على الآفاق وأحاطت بكم شُعْلُ
النفاق^(٢).....

أُنْشِدُكُمْ اللهَ - معاشرَ الملأ - ألم تكن الدماءَ مَسْفُوكَةً فَحَقَّنَهَا، والسُّبُلَ مَخُوفَةً
فَأَمَّنَهَا^(٣) والأموالَ مُنْتَهَبَةً فَأَحْرَزَهَا وَحَصَّنَهَا^(٤)؟ ألم تكن البلادُ خَرَاباً فَفَتَّرَهَا وَثَنُورُ
المسلمينَ مُهْتَزَّمَةً فَجَاهَا وَنَصَرَهَا^(٥)؟ فَادْكُرُوا آلاءَ اللهِ عليكم بِخِلَافَتِهِ وَتِلَافِيَةِ جَعْفٍ
كَفَلْتِكُمْ بَعْدَ اغْتِرَاقِهَا بِإِمَامَتِهِ حَتَّى أَذْهَبَ عَنْكُمْ غَيْظُكُمْ وَشَفَى صُدُورَكُمْ وَصِرْتُمْ يَدَاً عَلَى
عِدْوِكُمْ بَعْدَ أَنْ كَانَ بِأَسْكُمْ بَيْنَكُمْ^(٦)... فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَبِلَهِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
لِشَعْيِكُمْ عَلَى أَعْدَائِهِ أَعْوَاناً حَتَّى تَوَاتَرَتْ^(٧) الدِّيمُ الْفِتُوحَاتُ، وَقَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِخِلَافَتِهِ
أَبْوَابَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ، وَصَارَتْ وَغُودُ الرُّومِ^(٨) وَافْدَةً عَلَيْهِ وَعَلَيْكُمْ، وَأَمَالَ
الْأَقْصَيْنِ وَالْأَذْنَيْنِ مُتَّجِهَةً إِلَيْهِ وَإِلَيْكُمْ: يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ فُجٍّ عَمِيقٍ وَبَلَدٍ سَحِيقٍ لِيَأْخُذُوا
بِحَبْلِ^(٩) بَيْنِكُمْ وَبَيْنَهُ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً. وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ
وَعْدَهُ؛ وَلِهَذَا الْأَمْرُ مَا بَعْدَهُ.....

٤- * * الزبيدي ٣١٩- ٣٢٠، جذوة المقتبس ٣٢٦- ٣٢٧ (الدار المصرية) ٣٤٨- ٣٤٩
(رقم ٨١١)، بغية الملتبس ٤٥٠- ٤٥٢ (رقم ١٣٥٧)، ابن الفرضي ١٤٢: ٢-
١٤٣، مطمح الأنفس ٣٧- ٤٦، تاريخ قضاء الأندلس ٦٦- ١٧٥، انباء الرواة

- (١) التلاقي: تحبب الأمور (المؤذية). في الثمت: جمع القوم ووحد أمورهم. أمس السرب (جماعة الغنم أو
الابل السارحة): نشر الأمن في بلد.
- (٢) السرايق: الحيلة الكبيرة. ضربت الفئنة سرادقها على الآفاق: انتشرت في كل مكان.
- (٣) حقن الدماء: حيا الناس من القتل مخوفة: يخاف السائرون فيها (من الاعتداء عليهم).
- (٤) أحرزها: وضعها في حوز (مكان أمين) وحصنها (أحاطها بأحفظها).
- (٥) الثفور جمع ثمر: المكان الذي يثلى منه محب المدو برأ أو يجرأ. مهتزمة: متفوضة، متفوضة
(ممندى عليها).
- (٦) البأس الشدة، الحرب - بأسكم بيسكم: كنتم في شقاق وقتال (فيا بيسكم).
- (٧) التواتر: التوالي، التتابع (أن تأتي الأشياء متتفة من كل مكان ولا انقطاع).
- (٨) الروم: النصارى عموماً من أي جنس كانوا.
- (٩) الفج: الطريق في الحبل. عميق وسحيق (ها) بمعنى بعيد. ليأخذوا بحبل بينكم: ليعقدوا بينكم
معاهدة، ميثاقاً (في سبيل حباة أنفسهم).

١٣٢٥ : ٣ مجلد الأدباء : ١٩ : ١٧٤ - ١١٨٥ ابن الأثير : ٨ : ٢٤٣ - ٢٤٤ بغية
الوعاة ١٣٩٨ نفع الطيب : ١ : ٣٦٨ ، ٣٧٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧٦ : ٢ : ١٦ - ١٢٢ شذرات
الذهب : ٣ : ١١٧ بروكلمن ، الملحق : ١ : ١٤٨٤ نيكل ٢٣ - ٣٥ ، مختارات نيكل
١٢٧ الأعلام للزركلي : ٨ : ٢٢٩ (٧ : ٢٩٤) .

محمد بن يحيى الرياحي

١- هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي الأنديسي
الرياحي^(١)، أصله من جيان ومنزله في قرطبة . « وكان يُعرف بالفلسا أيضاً » (بغية
الوعاة ١١٣) .

رحل إلى المشرق وأخذ في مصر عن أبي جعفر بن النحاس (٢٣٨ هـ) كتاب
سيبويه ، وعن ابن ولاد (ت ٣٣٢ هـ) ، وكان ابن ولاد يهتم أيضاً بسيبويه وله كتاب
« تفسير أبيات (شواهد) سبويه » .

وعاد الرياحي إلى قرطبة وتصدّر للتدريس وأقرأ كتاب سيبويه فكثر المتفنون
حول خلقه لإبراعته ولطريقته المبتكرة في إلقاء النحو .
وكانت وفاته في رمضان من سنة ٣٥٨ (صيف ٩٦٩ م) .

٢- كان الرياحي بارعاً في علم النحو مقتدياً في نظم الشعر على النهج العربي
البدوي . له أرجوزة في رثاء أحمد بن موسى بن حدير^(٢) أوغل في بنائها على مذهب
العرب وفي الخروج فيها عن مذهب المحدثين فلم يرضها العامة .

وكان الرياحي قد طالع كُتب علماء الكلام ونظر في كتب المنطق فبرع في
الاحتجاج وفي بياقة الأدلة حتى كان يجادل الفقهاء والأطباء وأهل التنجيم - وليس
ذلك كله من اختصاصه - فيجول معهم في دقائق صناعاتهم وربما غلبهم بالحجة .
واستفاد الرياحي من هذه الخاصة في نفسه فكان يفتد مجلساً للمناظرة (في النحو) في

(١) نسبة إلى طلبة رباح (نقطة واحدة تحت الباء) قرب طليطلة، وكان أبوه أو جدّه قد سكنها .

(٢) كان موسى بن محمد بن حدير من الذين ساعدوا عبد الرحمن الناصر على الوصول إلى الخلافة ثم أصبح
حاجباً (رئيساً للوزارة) (الظاهر أن المرئي ابنه) .

كُلِّ جُمُعَةٌ. «ولم يكن عند مُؤَدِّي العَرَبِيَّة ولا عند غيرهم، مِنَّ (١) عَنِّي بالنحو، كبيرُ علمٍ حتَّى وَرَدَ الرَّبَاحِيُّ عليهم. وذلك أن المؤدِّين إِنَّا كانوا يُعَانُونَ إقامة الصِّناعة في تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها، وتقريب المعاني لهم. ولم يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق العربية (النحو) وغواميضها والاعتلال لمائلها. ثم كانوا لا يَنْظُرُونَ في إمالة ولا ادغام ولا تصرف ولا أُبْنِيَّة، ولا يُجِيبُونَ في شيء منها حتَّى نَهَجَ لهم (الرباحي) سبيلَ النظر، وأَعْلَمَهُمْ بما عليه أهلُ هذا الشأن في المَشْرِقِ، مِن استقصاء الفن بوجوه واستيفائه على حُدُوده وأنهم بذلك (أي المشاركة) استحَقُّوا اسمَ الرياسة».

٣- مختارات من آثاره

- كَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الرَّبَاحِيُّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الزُّبَيْدِيِّ (ت ٣٧٩ هـ) بقصيدة في مَطْلَعِهَا:

خَلِيلِي مِنْ قَرْنِي زَيْدٌ بِنَ مَذْحِجٍ قفا واسمعا، قد يُسَعِدُ الشَّجِي الشَّجِي (٢).

ألم تعلم أنني أرقستُ، وشاقني خيالٌ سرى وهناً ولما يمرج (٣).

- ورثي الرباحيُّ أَحَدَ بْنَ مُوسَى بْنِ حَديِرٍ بأرجوزة قلَّدَ فيها مقصورة ابنِ دُرَيْدٍ (٤) أوَّلَهَا ثم أَحَدَ أُبَيَّاتِهَا اللِّدَانِ يَلِكَا:

إحدى الرِّزَايا ولا أعطي السيوى رُزْءٌ به دَهْرِي ولو عَزَّ العَزَا (٥).

(١) في الزبدي (ص ٣٣٦، السطر الثالث من أسفل) - من عني بالنحو - (المقصود أن النحاة لم يكونوا بعد قد تعمَّقوا في فقه النحو وفي طريقة تطعيه).

(٢) زبید (بضم الزاي للتصغير): قوم من مذحج (يفتح فسكون فكسر) من عرب الجنوب. الشجي الحزين. الشجي الأولى مفعول به والثانية فاعل (أو بالعكس). سعد: معين (إذا اجتمع حزنان، فرحاً تمرى كل واحد منهما إذا رأى مصيبة الآخر أشد من مصيبتة هو).

(٣) سرى: مرَّ، سار ليلاً. وهنا: بعد منتصف الليل. لم يمرج: لم يتوقَّف، لم يَل (لم يجعل طريقه) إلى مكاني.

(٤) ابن زبد (ت ٣٢١ هـ) - راجع الجزء الثاني.

(٥) إحدى الرزايَا (المعائب الكبار). السيوى (بكسر السين وضماً): العدل، النساوي (لا أعطي السيوى: لا أجعل مصيبة ساوية لها). عزَّ العزاء: قلَّ، صعب نسيان هذه المصيبة.

سائل بطش والفين قبلهم والحضر والحي الحلال من سب^(١)

٤- * * الزبيدي ٣٣٥ - ١٣٤٠ ابن الغرضي ٧١ - ٧٢ (رقم ١٢٩٣) جذوة القنيس ٩١
(الدار المصرية ٩٨ (رقم ١٦٦) بغية الملتبس ١١٣٤ الوافي بالوفيات ٥ : ١١٩٢
بغية الوعاة ١١٣ .

الحشني المؤرخ

١- هو أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسيد الحشني، ولد في القيروان ودرس فيها وفي تونس وسكن مدة في سبنة.

دخل الحشني الأندلس سنة ٣١١ أو ٣١٢ (٩٢٤ م) حدثاً، ودرس في قرطبة على قاسم بن أصبغ (ت ٣٤٠ هـ) وعلى معاصره محمد بن عبد الملك بن أيمن.

وأراد الخليفة عبد الرحمن الناصر أن يوكل الحشني القضاء في جيان فأبى الحشني إياه شديداً، ولكنه قبل، في أيام الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) أن يتولى الموارث في مدينة بجاية من أعمال المرية. وبعد وفاة الحكم عيّن الحشني بالبطارية (بيع العطور والبذور وبيع مواد لها صلة بالأدوية الخفيفة والكيمياء).

وتوفي محمد بن حارث الحشني في الثالث من صفر من سنة ٣٧١ (٩٨١/٨/٨ م) وفي تحقيق سنة وفاته اختلاف بين سنة ٣٦١ وسنة ٣٧١ هـ.

٢- محمد بن حارث الحشني محدث وفقه ومؤرخ له من الكتب: كتاب القضاء بقرطبة - كتاب علماء إفريقية (القطر التونسي) - أخبار الفقهاء والمحدثين - الاتفاق والاختلاف للملك بن أنسر وأصحابه. ويبدو أنه كان لأبي عبد الله محمد بن حارث الحشني شعر كثير مشهور يدلنا القليل الذي بقي لنا منه على شيء من التأنة وعلى أن من أغراضه الزهد والحكمة.

(١) طبع: قبيلة عربية بادت (انقرضت). الحضر: بلد (أو قصر) في العراق. الحي الحلال (سكر الحاء) الأتوم التارلون في مكان مؤقتاً. سبا: أهل سبا (أهل اليمن). - أسأل جميع الناس (من البدر والحضر، ومنذ أقدم الأرملة)...

- قال محمد بن حارث الحنفي في مقدمة كتاب «القضاء»، بعد أن ذكر اهتمام الأمير الحكيم المستنصر^(١) بالعلوم وتدوينها وأنه هو الذي أمر بتأليف هذا الكتاب:

لما كان القاضي أعظم الولاة خطراً بعد الإمام الذي جعله الله زماماً للدين وقواماً^(٢) للدنيا، لما يتقلده القاضي من تنفيذ الأحكام في الدماء والفروج والأموال والأعراض^(٣) وما يتصل بذلك من ضروب المنافع ووجوه المضار، وكانت العقبي من الله في ذلك فطبعة المقام هائلة الموقف مخوفة المطلع^(٤)، ختلفت في ذلك الهمم من عقلاء الناس وعلمائهم. فقبل كثير منهم القضية رغبة في شرف العاجلة^(٥) ورجاء لعمونة الله عليه واتكالا على سعة عفوهِ فيه، ونفراً آخرون منه رهبة من مكروه الآجلة^(٦) وجذاراً من الله فيها يكون منهم وعلى أيديهم. وقد سلف من رجال الأندلس، من أهل حاضريتها: العظمى^(٧)، رجالاً دُعوا إلى القضاء فلم يُجيبوا رهبةً..... من مُنتظرِ العاقبة^(٨). وقد رأيتُ أن أدونَ ذِكْرَهُمْ وأصيفَ مقامانِهِم بينَ يَدَيِ خُلَفاءِهِم وإشفاقاً بما دعاهم إليه أمراؤُهُم، وأن أجعلَ لذلك باباً في صدرِ الكتاب^(٩)، ثم أصيرَ

(١) الحكيم المستنصر كان ابن عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) وخليفته.

(٢) الخطر: القيمة المكانية، الشرف. زمام: رهن، قيد، ضابط. القوام: النظام، الأصل، العباد.

(٣) في الدماء: الفصاص على القتل والحروج) والفروج (الزواج والطلاق وما يتعلق بها) والأموال (الزكاة والصدقات والضرائب) والأعراض (جمع عرض بكسر العين: شرف الإنسان ثم جمع عرض بفتح ففتح: البضائع، وهي المصنوعة هنا: أي أمور التجارة من البيع والشراء الخ).

(٤) ضروب: أنواع. العقبي: النتيجة (ما يصير إليه الإنسان في الآخرة). فطبعة: شديدة، شيمة. المطلاع: الظاهر

(٥) العاجلة: الدنيا.

(٦) الآجلة: الآخرة (يوم القيامة).

(٧) سلف: مضي (عاش قبل أياناً). الحاضرة: العاصرة (قرطبة).

(٨) خوفاً من الحساب على أعمالهم يوم القيامة.

(٩) وإشفاقاً (المطف هنا غير واضح). صدر: أول.

إلى ذِكْرِ وَلَائِ القضاة قاضياً قاضياً على ما كانت عليه دَوْلُهُمْ^(١).....

- قال أبو عبد الله محمد بن حارث الحنشي في يحيى بن معمر الألهماني^(٢) (المقتبس

: (٥٤):

يحيى بن معمر بن عمران بن منير بن عبيد بن أتيغ الألهماني من العرب
الشاميين^(٣)، وكان من أهل إشبيلية، منزله منها بقرنة - قرية بقرب الحاضرة وعليها
تمر السابلة^(٤). وكان في وقته فقيه إشبيلية وفارصها^(٥). وكانت له رحلة لقي فيها
أشهب بن عبد العزيز^(٦) وسَمِعَ منه ومن غيره من أهل العلم. وكان ورعاً زاهداً فاضلاً
عفاً مقبلاً على عجارة ضيعته وترقيع^(٧) مَعِيشته. فانتهى خبره إلى الأمير عبد
الرحمن^(٨)، وقد احتاج إلى قاضٍ، فاعتماه^(٩) للقضاء واستقدمه إلى قرطبة وقلده
قضاة الجماعة بها. فصدق الظن به واغتدى من خير القضاة في قصديرته وحسن
هذيه وصلابة قناته وإنفاذ الحق على من توجّه عليه لا يحفل لومة لائم فيه.

- ومن مشهور شعر أبي عبد الله (محمد بن حارث) الحنشي (المقتبس ٢٥٧ - ٢٥٨):

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ وَلَمْ تَكُ فُرْقَةً إِذَا كَانَ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ تَلَاقٌ^(١٠)؛
كَأَنَّ لَمْ تَوْرُقْ بِالْعِرَاقِينَ مُقْلَقِي، وَلَمْ تَمُرْ كَفُ الشُّوقِ مِلْهُ مَأْمِي^(١١)،

(١) الدولة: الدور (الدة التي يقضها الإنسان بعد غيره) - دولة دولة: مرّة بعد مرّة.

(٢) توفي يحيى بن معمر قبل ٢٣٤ هـ.

(٣) راجع، فوق، ص ٣٩.

(٤) الحاضرة: العاصمة (هنا: قرطبة). تمر السابلة (السائر في السبيل: الطريق): الطريق العام (بين
مدينة ومدينة).

(٥) الفارص: الذي ينزل قسمة الارث بين أصحاب الحق (والعالم بذلك).

(٦) أشهب بن عبد العزيز فقيه مالكي من أهل مصر (ت ٢٠٤ هـ = ٨١٩ م).

(٧) الترقيع: إصلاح أمر المعيشة.

(٨) هو عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) رابع الأمراء التواريثين في الأندلس.

(٩) اعتماه: قصده (طلبه).

(١٠) البين: البعد، الفراق.

(١١) العراقان: البصرة والكوفة (الفطر العراقي). مرى اللبن من صرع البقرة: صرع الضرع يرض
ليخرج منه اللبن.

ولم أزرُ الأعرابَ في حَسْبِ أرضِهِمْ بذاتِ اللوى من راميةٍ وبُراقٍ^(١)،
ولم أَصْطَبِحْ بالبيد من قهوةِ الندى بكأسِ سقانيها الفِراقِ دِهاقٍ^(٢) .
بلى، وكانَ الموتُ قد زارَ مضجعي فحوَّلَ مِنِّي النفسَ بينَ تَراقٍ^(٣) .
أخي، إنَّما الدُّنيا محلَّةٌ فُرْقَةٍ ودارُ غُرُوبٍ آذَنَتْ بِفِراقٍ^(٤) .
تزوَّد، أخي، مِن قَبْلِ أنْ تَسْكُنَ الثرى وتلتسِفُ ساقُ النُشُورِ بِناقٍ^(٥) .

٤- كتاب القضاء بقرطبة (إربيرا)، مدريد ١٩١٤ م؛ (عزّت العطار)، القاهرة

١٣٧٢ هـ .

- كتاب علماء إفريقية (محمد أبو شنب)، الجزائر ١٩١٦، ١٩٢١ م .

* * * المكتسب (راجع فهرس)، جذوة المكتسب ٤٩ - ٥٠ (الدار المصرية) ٥٣ (رقم ٤١) ابن
الغرضي ٢: ٢١٤ - ٢١٥ (رقم ١٤٠٠)، معجم الأدباء ١٨: ١١١؛ الوافي بالوفيات ٢:
٣١٥، المغرب (٢: ٥٤)؛ بقية الوعاة ٥٢ . الديباج الذهب ٢٥٩ - ٢٦٠ بروكلمن
١: ١٥٧، الملحق ١: ١٣٢، الأعلام للزركلي ٦: ٣٠٣ (٧٥) .

ابن هاني الأندلسي

١- يَرْجِعُ نَسَبُ ابنِ هانِيهِ الأندلسيُّ إلى يزيد بن حاتم بن قُتَيْبَةَ بنِ المهلَّب بن
أبي صُفْرَةَ الأزديِّ، وقيل بل إلى أخيه رُوحِ بنِ حاتم . كان يزيدُ بنُ حاتم قد جاء
إلى إفريقية (سنة ١٤٥ هـ) لقتال عمرو بن حفص . ثم لما تَوَقَّيَ يزيدُ (سنة ١٧٠ هـ)
خَلَفَهُ عليّ إفريقية أخوه رُوحُ .

وُلِدَ أبو القاسم (وقيل: أبو الحسن) مُحَمَّدُ بنُ هانِي^(١) بنِ مُحَمَّدٍ بنِ سَعْدُونِ المعروفِ بابنِ

(١) الملب من الأرض: الشخص (الذي يكون فيه عادة ماء) الواسع .

(٢) اصطبح: شرب الخمر صباحاً . القهوة: الخمر المطبوخة بالنار . دهاق: ملوذة . قهوة الندى: (٣) .

(٣) التراقي جمع ترقوة (بطم التاء): عظم في أعلى الصدر . حوَّلَ مِنِّي الخ: قرَّبَ مِنِّي من الموت .

(٤) أدن: أوْثَقَ، اقْتَرَبَ .

(٥) النُشُور: يوم القيامة . التَّتْ الساق (العظم الأدي من رجل الإنسان): اشتكت (كتابة الارتفاع والاضطراب) .

(٦) كان هاني بن محمد بن سعدون (والد صاحب هذه الترجمة) من قرية من قرى المهديّة في إفريقية (القطر التونسي) ثم انتقل إلى الأندلس . وكان أديباً شاعراً .

هاني الأندلسي^(١) سنة ٣٢٠ (٩٣٢ م) أو ٣٢٦ في قرية سكون؟ من قرى إشبيلية. ونشأ في إشبيلية، ثم انتقلت أسرته إلى البيرة (قرب غرناطة)، ولذلك أصبح يُعرف أيضاً باسم ابن هاني الإلبيري. وقد تلقى علومه في مدينة قرطبة.

وانتقل ابن هاني الأندلسي أول ما اتصل بولاية إشبيلية، ولكن يبدو أنه لم يزل خطوة لدى رجال الدولة الروانية فانتقل إلى المغرب، وعمره إذ ذاك سبع وعشرون سنة (٣٤٧ أو ٣٥٣ هـ) ثم اتصل برجال الدولة الفاطمية. ومن المستبعد أن يكون ابن هاني قد اعتنق المذهب الفاطمي في الأندلس ثم اضطر إلى مغادرة الأندلس من أجل ذلك، فقد قبل إنه اتصل في المغرب بجوهر الصقلي ومدحه فأعطاه جوهر يائتي درهم. ثم سأل عن رجل كريم يقصده فدلوه على جعفر بن فلاح وعلى جعفر ابن علي بن حنون المعروف بابن الأندلسية - وكان جعفر بن علي وأخوه يحيى والييين على المسيلة (المحمدية) إحدى مدن الزاب (في المغرب الأوسط)، فصار إليهما ومدحهما ونال عندهما خطوة كبيرة. ثم بلغ خبر ابن هاني إلى المرء لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥ هـ) فاستقدمه المرء إلى القيروان وبالغ في إكرامه.

في أواخر شوال من سنة ٣٦١ (صيف ٩٧٢ م) انتقل المرء لدين الله إلى القاهرة فخرج ابن هاني معه مشيعاً. ثم إنه عاد وجاء بأهله وسار يريد مصر. فلما كان في برقة وجد مقتولاً، في ٢٣ من رجب من سنة ٣٦٢ (٢٩ / ٤ / ٩٧٣ م) في الأغلب. ولم يتحقق المؤرخون على سبب مقتله.

٢- يدل شعر ابن هاني الأندلسي على أن ابن هاني كان ملماً بمدى من العلوم كعلم اللغة والفقه والكلام وعلم الهيئة (الفلك)، ولكن اختصاصه كان في الأدب. وهو شاعر مكثير مجيد جعله معظم النقاد في مقدمة شعراء المغرب كلهم، والمقاربة بقرنونه بالمتنبي، وقد سموه «متنبي المغرب أو متنبي الغرب».

وابن هاني الأندلسي مفرم بالألفاظ الطنانة ذات الجلبة من غير ضرورة تدعوه إلى

(١) تمييزاً له من ابن هاني الحكمي أبي نواس ومن ابن هاني محمد بن إبراهيم بن مفضل (٥٦٠ هـ).

استعمالها حتى أفند بذلك بعض شعره، كما يذكّر ابن رشيقي^(١). وربما أكثر ابن هاني من الألفاظ القريبة وربما جاء بالصيغ التي لا ترد في القواميس، نحو: دَمَع، مُنْطَقِي، صَدَقَاء (مستقيمة)، الحَطِيء، الحَاطِيء، المُخْطِيء. غير أن بنه جملة متين. والغالب على شكل القصيدة عنده شكل المعلقة، وقد يقترب من المعلقة حتى يقتارب بالفاظه ألفاظ غنّرة وزهير بن أبي سلمى وغيرها. وكثيراً ما كان يطبع شعره على غرار شعر المتنبي في الخصائص اللفظية والخصائص المعنوية وفي الأغراض.

والغالب على الديوان الذي وصل إلينا من ابن هاني الأندلسي المديح؛ ثم فيه شيء من الرثاء وقليل من الهجاء. والوصف والفزل والحكمة أغراض بارزة في هذا الديوان. ومع أن الحكمة قليلة في ديوان ابن هاني الأندلسي فإنها بارعة جداً لما فيها من التحليل المنطقي المتسق ولما فيها أحياناً من الابتكار.

ويشتمل ديوان ابن هاني على أربعة آلاف بيت في قصائد طوال عادة، وقد بلغت إحداها مائتي بيت. فمن هذه الأبيات ١٦٣١ بيتاً في جعفر بن علي وآله و ١٧٧٤ بيتاً في المير لدن الله وخده. وليس في الديوان الذي بين أيدينا شيء من الشعر قاله ابن هاني في الأندلس قبل مجيئه إلى المغرب.

ومعظم قصائد ابن هاني الأندلسي مملوءة بالألفاظ والمُدارك الفاطمية وبالمبالغة بالمديح والرثاء بما حتى يخرج بذلك إلى الكفر^(٢). ولا ريب في أن ابن هاني كان يأتي

(١) قال ابن رشيقي في «العدة» (المكتبة التجارية، ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م): «ومنهم (من الشعراء) فرقة أصحاب حلبة وتتممة بلا طائل معنى إلا القليل النادر كأي القاسم بن هاني.... فإنه يقول في أول مديحته: أصاحت ففالت: وقع أحمد شيطم! (تبيان المعاني ٦٥٧).... وليس تحت هذا كله إلا الفساد وخلاف المراد.... وكانت عند أبي القاسم مع طبعه صنعة: فإذا أخذ في الحلاوة والرقّة وعمل بطبعه وعلى حبيته أشبه الناس ودخل في حلبة الفصلاء، وإذا تكلف الفعامة وسلك طريق الصنعة أضرب بنفسه وأنصب سامع شعره... (العدة ١: ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) من المشهور في ديوان ابن هاني الأندلسي قوله في مطلع قصيدة:

ما شئت، لا ما شاءت الأقدار. فاحكم، فأنت الواحد القهار.
فكأنك أنت النبي محمد، وكأنك أصبارك الأصهار.

ونقرأ في البيان المغرب (٢: ٢٩٢ - ٢٩٣) أن التصور من أبي عامر (ت ٢٩٣ هـ) كان =

بهذه المبالغات إرضاءً للممدوحين واستكثاراً لمعطاهم. وإيفاله في تلك المبالغات يدلُّ على أنه لم يكن ينتشيراً في نفسه ما كان يُعبّر عنه بلسانه، لأن أصحاب المذهب الفاطمي أنفسهم لم يُصرّحوا بخيل ما صرّح به هو.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن هاني يدحُ الأميرين طاهراً والحسينَ ابنيَ المنصورِ بالله الفاطمي (وهما أخوا الميمز لدين الله):

استحوا عن ناظري كُحلَّ الهاد	وانفضوا عن مضجعي شوكَ القتاد ^(١) ،
أو خُنوا مِنِّي ما أبقيتم	لا أحبَّ العيشَ سلوبَ الفؤاد ^(٢) .
هل تُجبرونَ مُحباً من هوى!	أو تفكّونَ أسيراً من صِفاذ ^(٣) !
وإذا كانتَ صلاةٌ فقلّى	هاشمَ البطحاءِ أربابِ العباد ^(٤) ،
همُ أقرّوا جانبَ الدهرِ، وهم	أصلّحوا الأيامَ من بَغدِ السّاد،
أهلُ حوضِ الله يجرى سَلّا	بالطهورِ العذبِ والصفوِ البراد ^(٥) .
أيواهمُ أبتغي يومَ النّدى؟	أم سيواهمُ أرْتجي يومَ المعاد ^(٦) ؟

= يكره الجدول والآراء الدهرية والانشغاف بشيء من التريفة. واتَّفَق أن كان في أبياته شاعر من شعرائه اسمه عبد العزيز بن الخطيب قال: «ما شئت...» (البيتين)، فصرّبه حسنة موط وجبه ثم بغاه عن الأندلس. فإذا نحن قبلنا قول ابن عذاري في البيان المغرب وجب أن يكون هذان البيتان وأمثالهما ثم الاتِّجاه الفاطمي في الأندلس أدم من ابن هاني الأندلسي.

(١) السهاد: النهر، العجز عن النوم. الفناد: نبات له شوك قالس - ساعدوني على أن أنام وعلى أن يكون نومي مريحاً.

(٢) ما أبقيتم: ما أبقى حكم من جسي. - أخذتم قلبي ونومي.... وتركتم شيئاً من جسي، فخذوه أيضاً.

(٣) هل تشفقون على محب لكم أو تطلقون سراح أسيركم؟ الصفاذ: الوثاق (رباط من جلد أو من حديد).

(٤) وإذا صلّى أحد فضلاته لتقديس بني هاشم أصحاب بطحاء مكّة - لا بني هاشم الذين كانوا يسكنون خارج مكّة - لأن هاشم البطحاء هم أرباب العباد = الذين يحكمون الناس في الأرض بوصية من الله (١).

(٥) هم يلقون يوم القيامة على الحوض ويسقون الناس (هم الذين يجرى حساب الناس يوم القيامة على أيديهم).

(٦) الندى: الكرم. المعاد: الحشر، القيامة.

هُمُ أَبَاحُوا كُلَّ مَنُوعٍ الْحَمَى وَأَذَلُّوا كُلَّ جَبَّارٍ الْعِصَادَ (١).
 - وقال يرثي والدَةَ جَعْفَرٍ وَيَحْيَى أَنَسَى عَلَيَّ:
 صَدَقَ الْفَنَاءُ وَكَذَّبَ الْعُمُرُ، العظمت وبالعِ النُّذُرُ (٢).
 إِنَّا- فِي آمَالِ أَنْفُسِنَا طُولٌ، فِي أَغَارِنَا قِصَرُ (٣).
 لَنَرَى بِأَعْيُنِنَا مَصَارِعَنَا لو كَانَتِ الْأَلْبَابُ تَغْتَبِرُ (٤).
 مِمَّا ذَهَابْنَا أَنْ حَاضِرْنَا أَجْفَانُنَا، وَالْفَائِسَ الْفِكْرُ (٥).
 فَلِذَا نَدْبَرْنَا جَوَارِحَنَا فَأَكْلَهْنَ الْعَيْنُ وَالنَّظَرُ (٦).
 لو كَانَ لِلْأَلْبَابِ مُنْجَنٌ مَا عُدَّ مِنْهَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ.
 أَيُّ الْحَيَاةِ أَلَدُّ عَيْشَتَهَا مِنْ بَعْدِ عِلْمِي أَنَّنِي نَشْرُ (٧).
 خَرَسْتُ- لَعَمْرُ اللَّهِ- أَلَسْنَا لَمَّا تَكَلَّمْ فَوْقَنَا الْقَدَرُ.
 تَفَنَّى النُّجُومُ الزُّهْرُ طَالِمَةً وَالنَّيَّارِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.
 وَلَئِنْ تَبَدَّدَتْ فِي مَطَالِبِهَا مَنَظُومَةٌ فَلَسَوْفَ تَنْتَبِرُ.
 أَغْقِلَةَ الْمَلِكِ الْمُشِيمَا، هَذَا الشَّاءُ، وَهَذِهِ الزُّمَرُ (٨).

- (١) الحمى: المكان الذي يداخ أهلك عنه، الحصن الملح.
 (٢) صدق الفناء (الموت) إذ أتى على كلِّ إنسان. وكذب العمر: خاب أمل كلِّ إنسان في أن يعيش (إلى الأبد أو طويلاً).
 (٣) جابنا أقصر من أن تكفي لتحقيق آمالنا.
 (٤) إِنَّا نَرَى مَصَارِعَنَا بِأَعْيُنِنَا: نرى غيرنا يموتون ونفوسنا أننا سنموت مثلهم. ولكن أليابا (عقولاً) لا تغتبر (لا تتعطل).
 (٥) خطأنا (في تقدير الحياة والموت) أننا نلهم في حاضرتنا بما نراه أعيننا ثم نفعل عما سألنا به المستقبل، لأنَّ المستقبل مدرك بالفكر والعقل (ولم لا نفكر كثيراً).
 (٦) نحن نتمدد الحكم في الأمور على عيوننا (على النظر إلى حاضرتنا) مع أن العين أكلت (أضعفت) حواس الإنسان.
 (٧) إذا أدرك كل واحد منا أنه بشر (أي أنه سيموت) لم يلتدَّ بشيء في هذه الحياة.
 (٨) المشيمها في متن الديوان (تبيين المعاني ٣١٥) مضبوطة بكسر العين، والصواب (كما نرى في شرح البيت نفسه أيضاً) فتحها. فيصبح نسق الكلام: يا عاقلة الملك التي بشيمها (يسير وراءها إلى قبرها) ثنائي (رتالي)، هذا (الفهم) وهذه الزمر (المجاهات الكثيرة من الناس) ... فيكون البيت كله متادى، ويكون جواب الداء في البيت التالي.

شَهِدَ الْعَامُ، وَإِنْ سَكَ حَيًّا، أُنِ الْعَامُ إِلَيْكَ مُقْتَرِ (١).
وَلَقَدْ نَزَلَتْ بَنِيَّةٌ عَلِمْتَ مَا قَدْ طَوَّنَهُ قَهْمِي تَفْتَحِر (٢)،
تَغْمُو عَلَيْهَا الشَّمْسُ بَارِغَةً فَتَحِجُّ نَاسِكَةً وَتَقْتَرِ (٣).
وَبَنُو عَلِيٍّ لَا يُقَالُ لَهُمْ: صَبْرًا! وَهَمُّ أَشَدُّ الْوَعْيِ الصَّبْرُ (٤).
أنظر تنمة القصيدة في صفحة ٢٧٦.

- وقال يمدح جعفر بن علي:

فُتِّقَتْ لَكُمْ رِيحُ الْجِلَادِ بِقَبْرِ، وَأَمَدَكُمْ فَلَقُ الصَّبَاحِ السُّبْرِ (٥)،
وَجَنَيْتُمْ ثَمَرَ الْوَقَائِعِ يَا نِمَا بِالنُّصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرِ (٦).
أَبْنَى الْعَوَالِي السَّمَوِيَّةِ وَالسُّو فِي الْمَشْرِقِيَّةِ وَالْعَدِيدِ الْأَكْثَرِ،
مَنْ بَيْنَكُمْ الْمَلِكُ الْمُطَاعُ كَأَنَّهُ نَحْتُ السَّوَابِغِ تُعِجُّ فِي حِمِيْرِ (٧)،
فِي فِتْنَةٍ صَدَأَ الْحَدِيدِ عَمِيرُهُمْ وَخَلَقُهُمْ عَلَقُ النَّجِيعِ الْأَخْمَرِ (٨).

(١) الحيا: الطر.

(٢) البنية: الساء (هنا: القبر) القبر يعلم قدومك فهو يصحح بأنه حوى صدك الساء.

(٣) تطلع الشمس كل يوم على قبرك ليحج ناسكة (مستعدة). لأن الحج إلى قبرك فرمى (ثم لا تكتمى بالحج الذي هو فرض فتعتمر (تحمج، تطوعاً نراعي. تتأمل قبرك مراراً كثيراً في اليوم الواحد).

(٤) - نزل الإمام علي لا يمزون (بالبناء للمجهول = ضم الباء، وتفتح الراء المتدوغة) عن موانع يقول الناس لهم: صبراً! لأنهم في الدرجة الأولى ليسوا بمرء عاذنين، بل هم صور مختلفة للفرع الألهة وكذلك هم في صورهم البشرية أسود نحمان من عاذنهم الصبر في الوعي (الحرب، وفي جميع البدائد). الصبر (بالضاد المعجمة) جمع صبور (كفا في من تسبي المعاني ٣١٨): الأسد الشديد (ولعل صبر بالصاد الهللة وضمّ فضمّ توافق المعنى أيضاً).

(٥) الجلاذ: الحرب، القتال. راحة: راحة. فتق: الرياح: أخرج (بالسواء للمجهول) - أنه شَمَو (يفتح الشين) راحة القتال طيبة كالصبر (مع أن راحة الحث في سدان القتال تكون كربة) = أم تحمى القتال. أمدكم: أعانكم، ساعدكم. فلق الصباح المسمر: اشتاق المعمر واصحاً (الصبح أحسن ساعات اليوم = كان حطكم في القتال عظيماً).

(٦) الوقائع: المعارك. يانعا: ماضجاً. الأخضر: الأسود. في البيت استمارة النحر للحرب، والورق للسيوف، والتمر للفتح (للنصر، للظفر) = نلتم الظفر في الحروب بمدة السيف.

(٧) نَح: لقب ملوك اليمن. حير (بن ساء): أبو قبيلة (حاجب من سكان اليمن، كبار اليمن).

نحت السوابغ (الدروع) في الحرب.

(٨) العير: الرائحة الطيبة. المخلوق (يفتح الهاء): نوع من الطيب. علق: الدم (أو الدم الحامد) أو شديد الحمرة من الدم، عنصر الدم (الكريات الحمراء). التجيع: دم الجوف، الدم المائل إلى السواد.

لا يأكلُ الرِّحَانُ يَلَوَ طَعِينِهِمْ مِمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْقَنَا التَّنَكُّرُ^(١).
 قد جاوروا أجمَ الضواري حَوْلَهُمْ، فإذا هُم زأروا بها لم تَزَارُ^(٢).
 قَوْمٌ يَبِيتُ عَلَى الْحُشَايَا غَيْرُهُمْ، وَمَبِيتُهُمْ فَوْقَ الْجِيَادِ الضُّرُّ^(٣).
 وَتَطَلُّ تَسْبَحُ فِي الدِّمَاوِ قِبَائِهِمْ فَكَأَنَّهُنَّ سَفَائِنٌ فِي أَنْجَرٍ^(٤).
 إِنَّمَا لَتَجْتَمِعُنَا وَهَذَا الْحَيِّ مِنْ بَكْرِ أَدِمَةَ سَالِفٍ لَمْ تُحْفَرُ^(٥).
 أَخْلَافُنَا فَكَأَنَّنَا مِنْ نِسْبَةٍ؛ وَكَدَانُنَا فَكَأَنَّنَا مِنْ عُنْصُرٍ^(٦).
 لِي مِنْهُمْ سَيْفٌ إِذَا جَرَدْتُهُ يَوْمًا ضَرَبْتُ بِهِ رِقَابَ الْأَعْصُرِ^(٧)!
 - وَقَالَ يَدْحُ الْخَلِيفَةِ الْمُبَرِّ لِدِينِ اللَّهِ:

مَا شِئْتُ، لَا مَا شَلَتْ الْأَقْدَارُ. فَاحْكُمْ، فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ^(٨).
 وَكَأَنَّا أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ، وَكَأَنَّا أَنْصَارُكَ الْأَنْصَارُ^(٩).

- (١) الرحان: الدب. التلو: القطعة من الجنة، العضو الملوخ من اللحم. الطعين: المقتول طعنا (بالرمح). القنا جمع قناء: الرمح.
 (٢) الاجم جمع أجمة: الشجر الكثير الثمن (الكتيف). الضواري جمع صار: الحيوان المولع بأكل اللحم - ... تحافهم الضواري في بيوتها.
 (٣) الحشية: الفراش. يبيت على الحشية: يقضي الليل نائماً (متعاً غافلاً عن الكفاح أو مهملًا للكفاح). الجياد: الجبل الأصيلة. الضر جمع ضامر (جبل الطن). - سبيتهم فوق الجياد: في الحرب.
 (٤) الفية: الحيمة من الأدم (الجلد)، وتكون للملوك. تسح في الدماء (لكنزة حروبيها).
 (٥) الدمام (بكر الدال): الحق، الحرمة (ما تحب المحافظة عليه فيكون بذلك حراماً على غير أهله). سالف: (زمن) قديم. لم تحفر، لم تنكت، لم يتدر بها.
 (٦) اللدات في الأصل: النساء اللواتي هن في سن واحدة. من عنصر: من أصل (واحد).
 (٧) لي منهم (من بني هاشم الناطقين) سيف (رجل انتصر به). إذا جردته: إذا استجرت به. صريت به رقاب الأعصر: تغلبت به على جميع الأزمات (على كل سلوى أو حسم).
 (٨) في هذا البيت كفر صريح، أو هو شطح (تصير خارج عن المألوف) قبيح. غير أن الباطنية (والإسماعيلية الفاطميين منهم) يرون أن لهذا البيت تفسيراً باطنياً فلسفياً: إِنَّ اللَّهَ لَا يَبْأَثُ الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ، بل هو يجري أحداث الحياة كلها في خلقه أو على يدي خلقه فمن يشاء منهم (راجع تبيين المعاني، المقدمة ٥٧- ٥٨).
 (٩) أنصارك: أعوانك، رجال شيعتك. الأنصار: أهل المدينة الذين نصرُوا محمداً رسول الله بعد أن هاجر من مكة.

أنت الذي كانت تُبَشِّرُنَا بِهِ فِي كُتُبِ الْأَخْبَارِ وَالْأَخْبَارِ^(١)
هَذَا الَّذِي تُجَدِّي شَفَاعَتَهُ غَدَاً حَقًّا، وَتَحْصُدُ أَنْ تَرَاهُ النَّارِ^(٢)
مَنْ أَلٍ أَخْصَدَ كُلُّ فَخْرٍ لَمْ يَكُنْ يُنْسَى إِلَيْهِمْ - لَيْسَ فِيهِ فَخَارُ^(٣)
وَالْحَيْلُ تَمْرَحُ فِي الشَّكِيمِ كَأَنهَا عِقْبَانُ صَارَةٍ شَاقَهَا الْأَوْكَارِ^(٤)
وَعَلَى مَطَاهَا فِتْنَةٌ شَبِيعَةٌ مَا إِنْ لَهَا إِلَّا الْوَلَاءُ شَمَارُ^(٥)
أَبْنَاهُ فَاطِمَ، هَلْ لَنَا فِي حَضْرَتِنَا لَجَأٌ سِوَاكُمْ عَاصِمٌ وَمُجَارُ^(٦)
أَنْتُمْ أَجِيَاءُ الْآلِهِ، وَالْأَلِهَ خُلَفَاؤُهُ فِي أَرْضِهِ الْأَبْرَارِ^(٧)
أَهْلُ التُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَالْمُدَى فِي الْبَيِّنَاتِ وَادَّةُ أَطْهَارِ،
وَالْوَحْيِ وَالتَّوْبِيلِ وَالتَّخْرِيبِ سِرِّ وَالتَّحْلِيلِ، لَا خُلْفَ وَلَا إِنْكَارِ.
إِنْ قِيلَ: مَنْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَكُنْ إِلَّاكُمْ خَلَقَ إِلَيْهِ يُشَارِ
لَوْ تَلْفِسُونَ الصَّخْرَ لَأَنْبَجَتْ بِهِ وَتَفَجَّرَتْ وَتَذَفَّقَتْ أَنْهَارُ^(٨)
أَوْ كَانَ مِنْكُمْ لِلرِّفَاتِ مُخَاطِبٌ لَبَّوْا وَظَنُّوا أَنَّهُ إِشَارُ^(٩)

- (١) الأخبار: علماء الدين. الأخبار: الروايات الدينية.
(٢) لجدي: تنفع. غداً (يوم القيامة). وتحصد أن تراه: (إذا رآته) النار (جهنم).
(٣) ينسى إليهم: ينسب إليهم، يتصل بهم.
(٤) تروح: تلعب (من النشاط). الشكيم: حديدة اللجام التي توضع معترضة في فم الحصان. العقاب (بضم العين): طير من الجوارح، التسرر: صارة: اسم جبال في بلاد بني أسد (وفي أماكن أخرى). كأنها عقبان صارة شاقها الأوكار: مسرعة إلى أوكارها (التظم أولادها بما جاءت به من العلم).
(٥) المطا: الظفر. الولاء: الطاعة والوفاء (العلي بن أبي طالب). شعار: علامة.
(٦) فاطم ترحم فاطمة (بنت محمد رسول الله). المشتري: جمع الناس يوم القيامة للحساب. لحاً: التجاء، حامية. عاصم: مانع، حام، مدافع. مجار: اسم مكان من أجار، مكان يحتمي به الإنسان (يوم القيامة من عذاب النار).
(٧) وآله (١).... أنتم خلفاءه في الأرض (تحيكمون باسمه وبعهد منه).
(٨) انجس بالصخر أنهار: انجست من الصخر أنهار: خرجت، نبعث. تفجرت: نبع بكثرة.
(٩) الرفات: المطام (بضم الميم المهمل)، الأشياء المكسرة كأنها مدقوقة (بقايا الأموات). إشار: إحياء الموتى وبعثهم من القصور - لو خاطب أحد منكم الموتى لأجابوه وقاموا من قبورهم وظنوا (أيقنوا)، وقد جاءت «ظن» بمعنى أيقن في القاموس وفي القرآن الكريم).

أُمِيرٌ دَعَى اللَّهَ، إِنَّ زَمَانَنَا
شَرَفَتْ بِكَ الْآفَاقُ، وَانْقَسَمَتْ بِكَ الدَّ
جَلَّتْ صِفَاتُكَ أَنْ تُحَدِّثَ بِقَوْلٍ!
- وَقَالَ يَدْحُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْدَلُسِيُّ:

فَتَكَاتُ طَرَفِكَ أَمْ سِيُوفُ أَبِيكَ،
أَجِلَادُ مُرْهَفَةٍ وَقَتُّكَ مَحَاجِرُ؟
يَا بِنْتَ ذَا السَّيْفِ الطَّوِيلِ نَجَادُهُ،
قَدْ كَانَ يَدْعُونِي خِيَالُكَ طَارِقاً
عَيْنَاكَ أَمْ مَفْضَاكَ مَوْعِدُنَا؟ وَفِي
مَنْعُوكَ مِنْ سِنَةِ الْكُرَى وَسُرُورَا، فَلَوْ
وَدَّعَوْكَ نَشْوَى، مَا سَقَوْكَ مُدَامَةً؛

- (١) بأو: عز، اقتضار. حل: كبر، عظم، تعال عما سواه.
- (٢) أهذا الذي يقتل الناس (ما تفعل بهم عينوك في الحسب) أم (ما تفعله في المعارك) سيوف أبيك (قومك). وهل هؤلاء الناس السكارى في الحياة. من الحمر التي يشربونها أم من الفلوات التي يجسونها من فلك (من حبك)؟
- (٣) إن قتل الناس بالسيف مرةً والفتك بهم لمعاظك (بميوك) مرةً أخرى فوق ما يحتمل الناس. لا أنت ترحم الناس ولا قومك يرحمهم!
- (٤) يا بنت ذا (هذا) السيف الطويل نجاده (يا بنت هذا الرجل الطويل القامة، وهذا الرجل النجاع). النادي المجلس (كتابة عن رؤساء القوم). - أهكذا حكمكم أبدأ في الناس: بالظلم (بقلة المال: بالهين)؟
- (٥) قد كنت أراك في المنام (فأحبتك) ثم رأيتك عياناً. القضا جمع قضاء: الرمح (كتابة عن أنه رأى التي يتفرق بها وكانت ذات قامة طويلة كالرمح، فازداد حباً لها).
- (٦) هل سيوفي حظي منك النظر من بعيد (عينك) أم سلتني (في مفاسك: في مسكك). وهل سيوفي وصلي لك في وادي الكرى (في الشام) أو سيكون في واديك (في بلدك، في البقعة).
- (٧) السنة (ببسر السين: الناس). الكرى اليوم - حرّموا عليك النوم وسروا (ساروا بك ليلاً- لثلاً تستطعين الاغواء- وحتى لا يستطيع طيفك، أي خيالك أن يروى أحد في اليوم) فلو اتفق أن شاهدوا طيفاً لظنوا أنه طيفك بمقتى به إلى أحد المحسن فمضوا ووصلوه إليهم.
- (٨) إنك في عنوان شابك ودلائك وتأودن- ناهلين- فكانوا يقولون منك إنك نشوى (كرانة) مع أنهم ما سقوك خمر قط (ولا غفلوا عن مراقبتك حتى يمكن أن تصل إليك خمر فتشربها) ومع ذلك كلّا تشنّى (اهتزّ، قابلي) عطفك طنوك (أنهموك) قد شربت خمرأ.

حَبِوَا التَّكْحَلَ فِي جُفُونِكَ حِلْيَةً. بِاللَّهِ، مَا بَأْكُفْهِمْ كَحَلُوكَ^(١).
وَجَلُوكَ لِي إِذْ نَحْنُ غُصْنَا بَانَةً، حَتَّى إِذَا اخْتَفَلَ الْهَوَى حَبِجُوكَ^(٢).
وَلَوَى مُقْبَلُكَ اللَّثَامُ، وَمَا دَرَوَا أَنْ قَدْ لُثِمَتْ بِهِ وَقَبْلُ فُوكَ^(٣).
فَضَعِي اللَّثَامَ، فَقَبْلُ خَدِّكَ ضُرِّجَتْ رَايَاتُ يَحْيَى بِالذِّمِّ الْمُسْفُوكِ^(٤).
بَا خَيْلَهُ، لَا تَسْخَطِي عَزَمَاتِهِ، وَإِذَا سَخِطْتَ فَقَلًا يُرْضِيكَ^(٥).
عُوجِي بِجَنْحِ اللَّيْلِ، فَالْمَلِكُ الَّذِي يَهْدِي النُّجُومَ إِلَى الْعُلَا هَادِيكَ^(٦).
يَدُكَ الْحَمِيدَةُ قَبْلَ جُودِكَ، إِنَّهَا يَدُ مَالِكٍ تَقْضِي عَلَى مَمْلُوكِ^(٧).

- (١) التَّكْحَلَ فِي الْقَامُوسِ اكْتِئَاءُ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ - حَسُوا (طَنُوا) التَّكْحَلَ (سَمَرَةُ نَبَاتِ الْأَشَارِ فِي أَجْفَانِ الْعَيْنِ) حِلْيَةً (زِينَةً، تَطْرِيفًا: تَلَوِينًا صَنَاعِيًّا). أَقْسَمَ بِكَ (إِنَّهُمْ لَبَسُوا هُمُ الَّذِينَ جَعَلُوا كَحَلًا فِي جُفُونِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ كَذَلِكَ).
- (٢) وَجَلُوكَ لِي (أَبْرَزُوكَ لِي فِي أَحْسَنِ زِينَتِكَ) وَعَنْ غُصَا بَانَةً (نَاعِمِينَ كَأَغْصَانِ شَجَرِ الْبَابِ - أَيْ وَغَى صَغِيرًا فِي السِّنِّ لَا يَدْرِي مَا مَعْنَى الْهَوَى)، حَتَّى إِذَا اخْتَفَلَ (أَيَّ امْتَلَأَ قَلْبَانًا) بِالْهَوَى حَبِجُوكَ (حَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَمَتَمَعُوا مِنَ الْاجْتِمَاعِ).
- (٣) الْمَغْبِلُ: الْغَمُّ. اللَّثَامُ: غَطَاءٌ يُوَضَعُ عَلَى الْوَجْهِ وَيُرَادُّ مِنْهُ سَرُّ الْغَمِّ. لَوَى مُقْبَلُكَ اللَّثَامُ: التَّوَلَّى اللَّثَامَ عَلَى مُقْبَلِكَ، كَثُرَ وَقُوعُ اللَّثَامِ عَلَى فَمِكَ (كَأَنَّ اللَّثَامَ يَقْبَلُ فَمَكَ)؛ رَاجِعٌ فِي الْقَامُوسِ (٤: ٣٨٧): «لَاوَتِ الْحَيَّةُ (فَاعِلًا) الْحَيَّةَ (مَمْعُولَ بِهِ) = انطَوَتْ (إِلْتَفَتَ) عَلَيْهَا».
- (٤) ضَمِي اللَّثَامُ: أَرْفَعِي اللَّثَامَ عَنْ فَمِكَ (عَنْ وَجْهِكَ) وَلَا تَطْشِي أَنَّكَ تَسْتَرِينَ بِهَا جِالِكَ النَّادِرَ (أَحْرَارَ خَدِّكَ) فَإِنَّ هَذِهِ الْحَمْسَةَ الَّتِي جَمَعْتَ خَدَّكَ جَمِيلًا قَدْ كَانَتْ مَوْجُودَةً مِنْ قَبْلِكَ عَلَى رَايَاتٍ يَحْيَى مِنْ عَلَيٍّ (مِنْ غَوْضِ الْمَارِكِ وَكَثْرَةِ الْقِتَالِ فِيهَا وَالْإِنْتِصَارَ عَلَى الْأَعْدَاءِ) - وَفِي هَذَا السَّبْتِ لَخْلَافٍ مِنَ الْفَرَلِ إِلَى الْمَدِيحِ بَارِعٌ جَدًّا.
- (٥) - بَا أَيْتُهَا الْخَيْلُ الَّتِي يَحُوضُ بِهَا يَحْيَى مِنْ عَلَيٍّ الْمَارِكِ الْكَثِيرَةِ وَفِي الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ، لَا تَغْضَبِي مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّكَ إِذَا غَضِبْتَ فَلَنْ يَرْضِيكَ (إِنْ يَتْرَكَ عَادَتَهُ فِي حَوْضِ الْمَارِكِ).
- (٦) عَاجَ: مَالَ إِلَى، عَطَفَ، اتَّجَمَعَ إِلَى جَانِبِ مَا - الْجَنْحُ (بُكْسَرُ الْجَمِّ، وَبِجُوزِ ضَمِّهَا): الطَّائِفَةُ (الْمَدَّةُ) مِنَ اللَّيْلِ - أَيْتُهَا الْخَيْلُ (رَاجِعِ تَفْسِيرَ الْبَيْتِ السَّابِقِ)، لَا تَصْرِي - إِنْ لَمْ يَكُنْ يَدُ مِنَ الدَّهَابِ إِلَى الْمَارِكِ - عَلَى أَنْ تَذْهَبِي فَقَطْ فِي النَّهَارِ؛ بَلْ لَا تَخْشِي (بِفَتْحِ الشَّيْنِ) أَيْضًا أَنْ تَذْهَبِي فِي اللَّيْلِ لِأَنَّ الْمَلِكَ (يَحْيَى مِنْ عَلَيٍّ) هُوَ الَّذِي يَهْدِي النُّجُومَ فِي اللَّيْلِ عَلَى مَوَاقِعِهَا فِي السَّاءِ، فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَيْضًا أَنْ يَهْدِيَكَ فِي اللَّيْلِ عَلَى طَرِيقِكَ إِلَى الْمَارِكِ.
- (٧) - قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ يَدُكَ الْجُودِ (عَلَى النَّاسِ بِالْمَلِكِ) كَانَتْ حَمِيدَةً (تَهَبُ النَّاسَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ.....)، وَلَا غُرُوبَ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ فَقَطْ بِهَذَا الْإِنْسَانِ عَادِيٍّ فَكَذَا مَا لَا فَتَنْتَكِرُ بِهِ عَلَى الْمُتَحَاجِّينَ، بَلْ هِيَ يَدٌ مِنَ يَدِ الْمَلِكِ النَّاسِ وَيَقْضِي عَلَى النَّاسِ النَّصْرَ هُمْ مَلِكُهُ (بَعْنُ الْمَلِكِ) فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

وَأَرَى الْمُلُوكَ - إِذَا رَأَيْتُكَ - سَوْفَةً، وَأَرَى عُفَاتَكَ سَوْفَةً كَمُلُوكِ^(١)
وَقَعَاتُ نَصْرِكَ فِي الْأَعَادِي حَدَّتْ عَنْ يَوْمٍ بَدُرَ قَبْلَهَا وَتَبُوكِ^(٢) .
هَلْ أَنْتَ تَارِكُ نَصْلَ سَيْفِكَ حِقْبَةً فِي غِمْدِهِ أَمْ لَيْسَ بِالْمُتْرُوكِ^(٣) !
الآبيات التالية تنمى القصيدة ص ٢٧١ .

وَلَعَبِيرُ عَيْشٍ أَنْسَتَ لَابِئُهُ عَيْشُ جَنَى ثَمَرَانِهِ الْكِبَرِ^(٤) .
وَحُدُودُ تَعْمِيرِ الْمُعْمَرِ أَنْ يَسْمُو صُعُوداً ثُمَّ يَنْخَسِرَ^(٥) .
وَالسَيْفُ يَتَلَّى وَهُوَ صَاعِقَةٌ، وَتَنَالُ مِنْهُ الْهَامُ وَالْقَصَرُ^(٦) .
وَالْمِرَّةُ كَالظِّلِّ الْمَدِيدِ ضُحَى، وَالْفَيْءُ يَخْبِرُهُ فَيَنْخَبِرُ^(٧) .
أَبَقْتُ حَدِيثاً مِنْ مَائِرِهَا يَنْقُصُ، وَتَنْقُدُ قَبْلَهُ الصُّورُ^(٨) .
قَسَمْتُ عَلَى ابْنَيْهَا مَكَارِمَهَا، إِنَّ الثَّرَاتِ الْجَمْدُ لَا الْبَدْرُ^(٩) .

- (١) إذا غارت الملوك بك كنت أنت وحدك ملكاً، وأصبح الذين يسمون (يفتح الميم) الآن ملوكاً سوف (من عامة الناس). أنا عفاك (الذين يأتون إليك فيطلبون عطاياك) والذين هم سوفة (يرجمون بعد أن تعطيتهم الأموال) وكأنهم ملوك (الفناء ووجاهتهم).
(٢) إن معاركك التي انتصرت بها على الأعداء تشبه معركة بدر (٢ هـ = ٦٢٤ م) وتبوك (سنة ٩ هـ)، وكما أن محمداً رسول الله قد ثبت الإسلام بمعاركه، فإنك أنت قد ثبتت الدعوة الفاطمية (الاسماعيلية) بمعاركك!
(٣) - أراغب أنت في أن تترك سيعك في غمده (تهادن الناس مدة ما) أم تريد أن تظل معاركك متصلة؟
(٤) أفضل أعمار البشر ما كان في آخره أحسن مما كان في أوله.
(٥) المعمر: الذي يعيش عمراً طويلاً.
(٦) والسيف يبل (يدركه البل) - بكسر الباء - : الفناء) وهو صاعقة: موت (القاموس ٣: ٢٥٤). وتنال منه (تفرغه، تشغفه) الهام (الرؤوس) والقصر (الرقاب) - السيف يسبب الموت للناس ثم هو أيضاً يموت. ومع أن السيف حديد والرؤوس والرقاب من عظم ولحم، فإن كثرة قطع السيف للرؤوس والرقاب تؤثر فيه.
(٧) الظل يكون في أول النهار. والفَيْء يكون في آخر النهار - حصره: أزاله (كما أن ظل الأشياء يقصر جداً إذا تكبدت الشمس السيل، فكذلك عمر الإنسان يقصر إذا مرَّ عليه الزمن).
(٨) المآثر: الحامد، الصفات الحميدة. تنفذ قبله الصور = يرى أهل العقيدة الفاطمية أن صور الوجود لا تنفذ (لا تنتهي) لأنها محبات للرمزة الإلهية)، ومع ذلك فإن هذه الصور تنفذ ومآثر هذه الهيئة لا تنفذ (لأن هذه الهيئة تمثل تجلياً حقيقياً له عندهم).
(٩) الإرث الحقيقي هو الجهد وليس البدر (جمع بدرة: عشرة آلاف درهم).

وإذا صَحِبْتَ الْمَيْسَ أَوَّلَهُ صَفْوٌ، فَهَيْنٌ بَعْدَهُ كَدْرٌ^(١).
وإذا انْتَهَيْتَ إِلَى مَدَى أَمَلٍ ذَرَكاً فَيَوْمٌ وَاحِدٌ عُمْرٌ^(٢)!

- ٤- ديوان ابن هاني، بولاق ١٢٧٤ هـ، القاهرة ١٢٧٦ هـ، بيروت (١٨٨٤ م) (١٣٠٢ هـ)، ١٨٨٦ م، ١٣٢٦ هـ.
- تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني (صححه وهذبه زاهد علي)، حيدر آباد ١٣٢٦ هـ، ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م، مصر ١٣٣٢ هـ، مصر (دار المعارف) ١٩٥٢ م.
- ابن هاني الأندلسي. تأليف عارف نامر، بيروت ١٩٦١ م.
- ابن هاني الأندلسي: درس وتقد، تأليف منير ناجي، بيروت (دار النشر للجامعيين) ١٩٦٢ م.
- * * مطمح الأنفس ٧٤-٧٩، المغرب ٩٧:٢-٩٩، المطرب ١٩٢-١٩٥ (الخرطوم) ١٧٥-١١٧٨ معجم الأدياء ١٩:٩٢-١١٠٥، خريدة القصر (مصر) ١:٢٤٨-٢٨٢، الوافي بالوفيات ١:٣٥٢-١٣٥٥، وفيات الأعيان ٤:٤٢١-٤٢٤، الإحاطة ٢:٢١٢-٢١٥، نفع الطبيب ٣:٤٤٣-٤٤٤، ٤:٤٤٤، ٤٠:٤٠-٨٦، ١٤٦-٨٧، شذرات الذهب ٣:٤١-٤٤، أعيان النبوة ٧:١١٢-١١٣، نيكل ٣٨، مختارات نيكل ١٥-١١٦، دائرة المعارف الإسلامية ٣:٧٨٥ وما بعده بروكلمن ١:٩١، الملحق ١:١٤٦-١٤٧، الأعلام للزركلي ٧:٣٥٤ (١٣٠)، بالنشأ ١٦، ٦٣-٦٤.

أبو حنيفة النعمان المغربي

١- هو النُّعْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَنْصُورٍ بْنِ أَحَدَ بْنِ حَيَّوْنِ التَّمِيمِيِّ الدَّاعِي الإِسْمَاعِيلِيَّ الْمَغْرِبِيَّ، لُقِّبَ أَبَا حَنِيفَةَ كَيْ يُضَاهِيَ الْفَاطِمِيَّونَ بِهِ أَبَا حَنِيفَةَ النُّعْمَانَ بْنِ ثَابِتٍ فُقَيْهَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ.

وُلِدَ أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ الْمَغْرِبِيُّ بِبَيْتِ سَنَةِ ٢٨٠ (٨٩٣ م)، فَمَا يَبْدُو، وَنَشَأَ عَلَى الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ. وَلَا نَعْلَمُ مَتَى انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ الْاِثْنِي عَشَرِيَّةِ. وَفِي نَحْوِ سَنَةِ ٣١٢ (٩٢٤ م) انْصَلَّ أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ الْمَغْرِبِيُّ بِالْإِمَامِ الْمُتَهِدِّيِّ (٢٩٧-٣٢٢ هـ)

(١) إذا عاش الإنسان مدة طويلة في سعادة ونعم هان عليه في آخر حياته شيء من الكدر (الوئ).
(٢) وإذا أدركت كل آمالك في الحياة بسرعة فيمكنك أن تعيش ذلك اليوم الواحد فقط!

أول الأئمة الفاطميين في القيروان. ثم استمر في خدمة القائم بن المهدي (٣٢٢-٣٣٤ هـ) والمنصور بن القائم (٣٣٤-٣٤١ هـ) والمُعز بن المنصور.

وفي سنة ٣٣٣ (٩٤٤-٩٤٥ م) اعتنق المذهب الفاطمي (الإسماعيلي) وعكف على دراسة التاريخ والفلسفة والفقه ثم أخذ يضع الكتب في نُصرة المذهب الإسماعيلي. وفي سنة ٣٣٥ ولأه الإمام القائم قضاء طرابلس الغرب ثم جعله قاضي المغرب. وقد بدأت مكانة أبي حنيفة المغربي ترتفع في أيام المنصور الفاطمي ثم بلغت أوجها في أيام المُعز.

ولما انتقل المُعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة، في رمضان من سنة ٣٦٢ صحبه أبو حنيفة النعمان إليها وتقلد فيها القضاء. غير أنه لم يعيش بعد ذلك طويلاً فقد توفى في القسطنطينية، في مُستهل رجب ٣٦٣ (٢٨ / ٣ / ٩٧٤ م).

كان أبو حنيفة النعمان المغربي من أهل العلم بالقرآن والفقه، وهو مؤسس الفقه الإسماعيلي. وبما أنه كان يُشهر الأئمة الفاطميين، والمُعز منهم خاصة، في كل ما يرض له عند التأليف، فقد عد كتابه دعائم الإسلام خاصة مصدراً للفقه الإسماعيلي.

ولأبي حنيفة من الكتب: كتاب الدعوة للعبّيديين- افتتاح الدعوة وابتداء الدولة- المجالس المستنصرية والمواقف والتوقيعات (ألفه للمُعز)- اختلاف أصول المذهب- أساس التأويل الباطن- تأويل الشريعة- تأويل الدعائم- النبوع- الاختصار- المستطاب- الأخبار في الفقه- شرح الأخبار- مختصر الأخبار في ما روي عن الأئمة الأطهار- المهة في آداب أتباع الأئمة.

- دعائم الإسلام (أصف علي أصغر فيضي)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥١- ١٩٦٠ م.
- المهة في آداب أتباع الأئمة (محمد كامل حسين)، القاهرة (دار الفكر العربي) بعيد ١٩٥٠ م.

- أساس التأويل (عارف تامر)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٠ م.
- كتاب الاختصار: في الفقه (محمد وحيد ميرزا)، دمشق (المعهد الفرنسي للدراسات العربية) ١٩٥٧ م.

*** - منتحات إسماعيلية (تحقيق الدكتور عادل المومّا)، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م.

*** وفيات الأعيان ٥ : ٥١٥ - ١٥٢٥ النزيمة ٣ : ١٢٥١ بروكلن ١ : ٢٠١، الملحق ١ : ٣٢٤ - ١٣٢٥ أعلام ليبيا ١٣٥٦، الأعلام للزركلي ٩ : ٨ (١١ : ٧).

علي بن محمد الأيادي

١- هو علي بن محمد الإيادي، نشأ في مدينة تونس والتحق بخدمة الدولة العبيدية (الفاطمية) في القيروان والمهديّة في أيام القائم بأمر الله (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ) وأيام إسماعيل المنصور (٣٣٤ - ٣٤١ هـ)، وكان مُعظماً لدى الملوك وعند الخاصة والعامة. وعُمر علي بن الإيادي طويلاً وكانت وفاته سنة ٣٦٥ (٩٧٦ م).

٢- كان علي بن الإيادي شاعراً سهّل الكلام عذب القول رائق النظم متين السبك يُحسِّن الوصف والفزل والمدح، وقد سار شعره في ألبامه على الألبسة.

٣- مختارات من شعره

- قال علي بن الإيادي يصف روضةً في يوم دجن (يوم غامر مطر):
نَمَ بالروضة خَفَقَ الرِّيحُ، واقتَدَحَ الشَّرْقُ زِنَادُ الصَّبَاحِ^(١).
وأَجْعَلَ الوَرْدُ شُعَاعَ الضُّحَى وَأَبْتَسَّتْ فِيهِ ثُغُورُ الْأَفَاحِ.
وقام في الدُّوحِ لِتَغْيِ الدُّجَى حَتَّى تَطْرُبُنَا بِالصِّيَاحِ^(٢).
مُذْ وَلَدَ الصُّبْحُ وَمَاتَ الدُّجَى صَاحَتْ، فلم نَذِرْ غِنَاً أَوْ نُوحِ.
ويوم دجن حُجِبَتْ شَمْسُهُ وَأَشْرَقَتْ فِي قَيْلِهِ شَمْسُ رَاحِ^(٣).

(١) ثم...: الريح دلت على مكان الروض (لأنها حلت منه رائحة الأزهار). واقتدح...: الزناد: حديد

تقدح بها النار من الحجر الصوان. طلوع الصبح أضاء الجهة الشرقية.

(٢) الدوح جمع دوحه: الشجرة الطيبة. نغي الدجى: نشر الخمر يوت (انتهاء) الليل.

(٣) يوم دجن: يوم فيه غيم (لا تظهر فيه الشمس). الراح: الحمر.

فَا ظَنَّنَا الصُّبْحَ إِلَّا دُجَى، وَلَا حَبْنَا اللَّيْلَ إِلَّا صَبَاحٌ^(١).
 - وقال يصف فرساً للأمير جعفر بن الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله:
 وَأَقْبَبُ مِنْ لَحْيِ الْجِيَادِ كَأَنَّهُ قَصْرٌ تَبَاعَدَ رُكْنُهُ عَنْ رُكْنِهِ^(٢).
 وَكَأَنَّا أَنْفَجَرْنَا الصَّبَاحَ بِوَجْهِهِ حُسْنًا، أَوْ أَحْتَسِسُ الظَّلَامَ بِمَنْتِهِ^(٣).
 حُلُوُّ الصَّهِيلِ يُخَالُ فِي لَهَوَاتِهِ حَادٍ يَصُوعُ بِدَائِمَا مِنْ لُحْنِهِ^(٤).
 قَدْ رَاحَ يَحْمِلُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَمْلَ النِّسَمِ لِوَابِلٍ مِنْ مُزْنِهِ.
 قَبْدُ الْعُيُونِ إِذَا بَصُرْنَ بِشَخْصِهِ وَرِضَا الْقُلُوبِ إِذَا أَصْطَلَقْنَ بِضِغْنِهِ^(٥).
 يَسْتَوْقِفُ اللَّحْظَاتِ فِي خُطَوَاتِهِ بِكَمَالِ خِلْفَتِهِ وَدِقَّةِ حُسْنِهِ.
 مُتَجَبِّرٌ، يُنْسِي بِعَتَقِ بِنَارِهِ إِشْرَافُ كَاهِلِهِ وَدِقَّةُ أُذُنِهِ^(٦).
 وَكَأَنَّهُ قُلُوكَ، إِذَا حَرَكْتَهُ

جَارٍ عَلَى سَهْلٍ الْبِلَادِ وَحَزَنِهِ^(٧).

- وقال يصف أسطول القائم بأمر الله الفاطمي (في عرض البحر في المهديّة

- (١) الصبح كان من نتيجة احتجاب الشمس كأنه دجى (ليل): أمّا الليل المظلم فيدا من نور النمر كأنه نهار.
 (٢) أقبب: عالي الصدر. لحى (ليست في القاموس بمعنى يوافق هذا البيت) الحياض: الحبل. لحى الجياد (بضم اللام وإعلاء) جمع لاحق (٣): سابق أو لحى الحياض (يفتح ففتح - مصدر - بمعنى ضمر بطن الفرس (وذلك محمود في الحبل). كأنه قصر (عظيم الجسم). تباعد ركنه من ركنه (لعلّ التباعد بين كنفى الفرس من محامده).
 (٣) يمد في الفرس أن يكون له غرّة (سحة كبيرة) بيضاء في مقدّمة رأسه وأن يكون جسمه أسود خالصاً (لا لون آخر فيه). اللّث: الظهر.
 (٤) الصهيل: صوت الحبل. اللهوات جمع لهاة (يفتح اللام): قطعة لم تتدلّى من أعلى مقدّم الحنجرة. الحادي: سائق الإبل (يقبى للإبل فتستمرّ في سيرها).
 (٥) جسم جميل حتّى أن العيون تطلّ تنظر إليه كأنها مثقّدة (مربوطة) به. الضغن: الحقد، والشوق إلى الوطن، وللضغن صلة بجري: تحيل (إذا ركس هذا الحصان أرضى القلوب لأنّه سريع حدّاً).
 (٦) ينسى (يكسر العين) وفتحها) غاراه (كرم أصله) إشراف (علوّ) كاهله (كنفه) ودقة (صغر) أذنيه.
 (٧) الفلك: السفينة الكبيرة. إذا حركته: إذا دفعت لهجري. جار (يستهل السور). الحزن (يفتح الحاء): الأرض الصلبة.

بمخوض معركة)، ويبدو أن الأبيات الخامس وما يليه تحتاج إلى إعادة ترتيب:

واغْصَبَ لَأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ وَلُحْنَهُ وَزَمَانِيهِ الْمُتَغَرَّبِ.
لَيْسَتْ بِهَ الْأَمْوَاجُ أُخْرَى نَظَرُ يَبْدُو لِمَنِ النَّاطِرُ الْمُتَجَسَّبِ.
مِنْ كُلِّ مُشْرِفٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُتَنَصَّبِ (١).
دَهْمٌ قَدْ لَيْسَتْ ثِيَابَ تَصْنَعُ تَسِي الْعُقُولَ عَلَى ثِيَابِ تَرْهَبِ (٢).
مِنْ كُلِّ أَيْضَ فِي الْمَوَلِهُ مُنْشَرُ مِنْهَا وَأَسْوَدَ فِي الْخَلِيجِ مُقَيَّبِ (٣).
سَجَرُوا حَوَاجِمَ نَارِهَا فَتَقَافُوا مِنْهَا بِالنَّارِ مَارِجٍ مُتَلَهَّبِ (٤).
وَتَعَثُّهَا أَيْدِي الرِّجَالِ إِذَا وَتَتْ بُصْعَدَ مِنْهَا بُعِيدَ مُصَوَّبِ (٥).
جَوْفُهُ تَحْمِلُ كَوَكِباً فِي جَوْفِهَا يَوْمَ الرِّهَانِ وَتَسْتَقِلُّ بِمَرْكَبِ (٦).
يَعْلُو بِهَا حَذْبُ الْعُبَابِ مَطَارَةٌ فِي كُلِّ لُجٍّ زَاخِرٍ مُغْلُوكِبِ (٧).
مِنْ كُلِّ مَسْجُورٍ الْحَرِيقِ إِذَا انْبَرَى مِنْ بَيْحَتِهِ أَنْصَلَتْ أَنْصَلَاتُ الْكَوَكِبِ (٨).
عُرْيَانٌ يَغْزِيْفُ بِالْأَدْخَانِ كَأَنَّهُ صُبْحٌ يَكْرَهُ عَلَى الظَّلَامِ الْغَيْبِ (٩).

(١) الأجدل: الصغر.

(٢) دهماء: سوداء اللون. ليست ثياب تصنع: لها أنواع من الثراع (لأغراض مختلفة من السير مع الريح). ثياب ترهب: ثياب سود (لأنَّ الجزء الذي ينفوس من المعينة في الماء يطل بالزفت لتج تسرب الماء بين شقوق الخشب).

(٣) أبيض في الهواء منشَر: الثراع. أسود في الخليج متَيَّب: نصف السفينة الأسفل المطلي بالنار.

(٤) سجر: أوقد (النار). جاحم: الجمر الشديد الاشتعال. المارِج: الشعلة من اللهب. تقافوا: قذف بعضهم (بالنار) بعضاً. - يصف الشاعر هنا القتال بالنار اليونانية.

(٥) إذا هدأت الريح فأبطأ سير السفينة حتَّى الرجال (باستخدام المجازيف). المصعد: الصاعد. بعيد: بعد. مصوب: هابط (يبدو أَنَّهُ قد كان للسفينة طيقتان من المجازيف). وت: تفتت.

(٦) في نفع الطيب (٤: ٥٨):... موكباً... بوكب. (بهذا يصبح المعنى أوضح): كل سفينة تحمل في جوفها عدداً كبيراً من الجنود، والسفن في الأسطول كثيرة العدد.

(٧) في نفع الطيب:... مطارة... مطلوب (ومطلوب بالمعنى المهمة ليست في القاموس ولا في الناج). ترتفع السفينة بذلك (بالمجازيف) فوق حذب العباب (الحناء الماء العظيم: الموج). مطارة... في كل لُجٍّ (المكان الواسع من البحر) زَاخِرٍ (هائج، مضطرب) مغْلُوكِبِ (بالقوى المنقولة) الكثير.

(٨) من كل مسجون الحريق (كرة من نار: من النار اليونانية: مزيج من النفط والزفت الخ) إذا انبرى (ظهر، عرض) من سجنه (من المكان الذي يحبس فيه) انصَلَّتْ (أسرع، سبق). الكوكب: (هنا): الشهاب.

(٩) عربان (كتلة خالصة من النار) يقدف بالادخان (يتفصل منه الدخان). كأنه صبح يحجم على ليل مظلم. في نفع الطيب: عربان يقدمه... غلام غيب. (وهو أصح).

شَرَجُوا جَوَانِبَهُ نَجَازِفَ أَنْتَعَتْ شَاوَ الرِّيحَ لَهَا وَلَمَّا تَنَعَبَ^(١)
وَالْبَحْرُ يَجْمَعُ بَيْنَهَا فَكَانَتْ لَيْلٌ يُعْرَبُ عَقْرَباً مِنْ عَقْرَبِ^(٢)
تَنْصَاعٍ مِنْ كُتْبٍ كَمَا تَقَرَّ الْفُطَا طَوْرًا، وَتَجْتَمِعُ أَجْتِمَاعُ الرَّيْرِبِ^(٣)
وَعَلَى مَرَاكِيبِهَا أُسُودٌ خِلَافِي تَحْتَالُ فِي عُدُوِّ الْيَلَاحِ الْمُرْهَبِ^(٤)

٤- * * نفع الطيب ٤: ٥٧- ٥٨ مجمل تاريخ الأدب الأندلسي ٩٦- ١٠١.

ابن فرج الجياني

١- هو أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج من أهل جيان ولكنه سكن قرطبة وأصبح من شعراء الحكم المستنصر (٣٥٠- ٣٦٦ هـ) فترته المستنصر. وللمستنصر ألف ابن فرج كتاب الحقائق. ثم نقل للمستنصر أن ابن فرج هجاء فأمر المستنصر به فألقي في السجن. وكانت وفاته في السجن في صفر من سنة ٣٦٦ (أيلول- سبتمبر ٩٧٦ م) بعد وفاة المستنصر بأيام (راجع الحلة السراء ١: ٢٥٠).

٢- ابن فرج الجياني معدود في الأدب والعلما، ولم يكن في القرن الرابع أحد أكثر منه اعتناءً بالتأليف في شعره الأندلس يريد إظهار فضلهم على شعره المشرق. ولابن فرج كتاب «الحدائق» عارض فيه كتاب الزهرة لابن داود الإصبهاني^(٥)، إلا أن ابن داود ذكر مائة باب في كل باب مائة بيت. وأبو عمر (ابن فرج الجياني) ذكر مائتي باب في كل باب مائتا بيت. وليس فيها باب حكرز أبو الفرج أسفه تقليداً لأبي بكر. ولم يورد (ابن فرج) فيه لغير الأندلسيين شيئاً (معجم الأدباء ٤: ٢٣٧). وكتاب الحدائق مفقود. وقد عرّفه ابن الأبار القضاعي (ت ٦٥٨ هـ) ونقل

(١) في نفع الطيب: شرعوا جوانبه... شادي الرياح... مدوا من جوانب السفن مجاذيف على نسق واحد. هذه المجاذيف تدفع السفينة قدماً إلى الإمام في وجه الرياح التي تثير الموج الذي يحاول عرقلة سیر السفن.

(٢) أصبح البحر كله كأنه ليل (لكثرة السفن المظلمة بالقطران)....

(٣) وهي جبال تسفل بسرعة (مثل طيور النطا) فتنتفخ (كما تنتفخ إدارة المراكب) ثم تعود فتتجمع مثل الربرب (القطيع من الظباء).

(٤) في نفع الطيب: السلاح المذهب (المحلى بالذهب). المرهب: الخيف.

(٥) أبو بكر محمد بن داود (٢٥٥- ٢٩٧ هـ) كان فقيهاً وأديباً وشاعراً.

منه أشباه في « الحلة السبراء ». والمقرّي (ت ١٠٤١ هـ) لم يعرف الكتاب بل ذكره
اعتاداً على الذين عرفوه من قبل. ولابن فرج أيضاً كتاب « المنتزين والغائين
بالأندلس وأخبارهم »^(١).

ثم هو شاعرٌ مُكثِّرٌ مشهور وافرُ الأدب، وشعره رقيقٌ عذبٌ عفيف وفيه حكمة.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن فرج الجبائي في النسب:

وما زالَ الهوى سَكناً لقلبي أفرُّ إليه من نُوبِ الحُطوبِ،
وألتذ الغرام المحضَ منه واشتخلي به حتّى كُروبي.
كذاك الحبُّ ضيِّفَ ليس بآني إلى غيرِ الكرامِ من القلوبِ.

- وله مقطوعة في النسب مشهورة هي:

وطائفة الإصالي عَفَقْتُ عنها، وما الشيطانُ فيها بالطاعِ^(٢).
بَدَتْ في الليلِ سافرةً فباتتُ دَياجِي الليلِ سافرةً القناعِ^(٣).
وما من لحظةٍ إلّا وفيها إلى قَتَرِ القلوبِ لها دَواعِ^(٤).
فملَّكتُ النُهيَ جَمَحاتِ شوقي لأَجريَ في العَفافِ على طِباعي^(٥).
وَبِستَ بها مَبِيتَ السُّعْبِ يظلم فيمنعُه الكِعامُ عن الرِّضاعِ^(٦).
كذاك الرِّوضُ ما فيه لِيثلي سيوى نظرمِ وشمٌ من مَناعِ.

(١) في معجم الأدباء (٤: ٢٣٧، الحاشية ٢): الأصل الذي في مكتبة أكسفورد « المنتزين الغائين » (بلا
واو). كما يدلّ على أن الكتاب موجود.

(٢) لم ألع الشيطان فأعصى الله فيها.

(٣) أصبح الليل من ضوء وجهها تاراً.

(٤) قتن القلوب: تذبذبها (أو استقلتها) لتخالف الخلق الكريم. دواع جمع داعية: سبب.

(٥) النهي: العقل. جملة الشوق: الرغبة في عبادة الطريق المستقيم.

(٦) السعْب: ولد الناقة الذكر ساعة يولد. الكعام والكمامة (كلاهما بالكسر): ما يجهل على فم الحيوان
كَيْلا يعضَ (يفتح العين) أو يأكل.

ولتُ من السوائم مُهَمَّلَاتٍ فَاتَّخَذَ الرِّيَاضُ مِنَ المِرَاعِي!

- وقال بصف الرُّمَّانِ السُّفْرِي^(١):

ولابِيةٌ صَدَفُــاً أَحْمَرَا أَتَشْكُ وَقَدْ مُلِثْتُ جَوْهَرَا^(٢)،
كَأَنَّكَ فَانِحٌ حُقُّ لَطِيفٍ تَضَمَّنَ مَرْجَانُــهُ الْأَحْمَرَا^(٣)؛
حُبُوباً كَمِثْلِ لِثَاتِ الْحَبِيبِ رُضَاباً إِذَا شِثَتْ أَوْ مَنْظَرَا^(٤)،
وَلِلسُّفْرِ تُمَزَّى وَمَا سَافَرْتُ فَتَشْكُو النَّوَى أَوْ تُقَاسِي السُّرَى^(٥)،
بِلى؛ فَارَقْتُ أَهْلَهَا نَاعِماً رَطِيباً وَأَغْصَانَهَا نُضْرَا^(٦)،
وَجَاءَتْكَ مُعْتَاضَةً إِذْ أَتَشْكُ بِأَكْرَمَ مِنْ عُوْدِهَا عُضْرَا^(٧)؛
بُعُودٌ تَرَى فِيهِ مَاءَ النَّدى، وَيُورِقُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُثْمِرَا،
هَدِيَّةٌ مَنْ لَوْ غَدَتْ نَفْسُهُ هَدِيَّتَهُ ظَنَنَّهُ قَصْرَا

- وقال في كتاب «الحدائق» يَصِفُ أَشْعَارَ الْخُلَفَاءِ (الحلَّة السِّيراء ١: ٢٠٥):

وهم يُجْلَوْنَ عَنِ الشَّعْرِ أَقْدَارَهُمْ كَمَا يَرْتَفِعُونَ عَنْ أَنْ يُرَوَّى عَنْهُمْ أَوْ يُؤْخَذَ مِنْ
أَقْوَالِهِمْ، وَإِنَّمَا يَنْبَسُطُونَ بِهِ فِي سَرَائِرِهِمْ فَلَيْسَ يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ إِلَّا الشَّادُّ الْقَلِيلُ.
وَلَعَلَّ مَا سَقَطَ (مِنْهُ) عَنَّا أَفْضَلُ مِمَّا سَقَطَ إِلَيْنَا^(٨). فَأَمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ-

(١) نسبة إلى سفر (يسكون الفاء) بن عبید الكلاعي. كان عبد الرحمن الداخل قد استقدم من الشام شيئاً
من الرُّمَّانِ الْحَيَّةِ. فلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ الرُّمَّانُ كَانَ فِي الْحَاصِرِينَ سَفَرٌ مِنْ عَبِيدٍ فَأَعْطَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ شَيْئاً
مِنْهُ. فَاعْتَنَى سَفَرٌ بِزِرَاعَةِ بَزْرِ الرُّمَّانِ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قَرْيِ رَمَّةٍ فَخَرَجَ حَسَنُ الصُّورَةِ فَمَزِيرُ الْمَاءِ طَلِيبُ
الطَّعْمِ صَغِيرُ الْبَرِّ طَرِيقُهُ.

(٢) قَسَرَهَا أَحْمَرٌ وَحَبَّهَا أَيْضاً (١).

(٣) الْحَقُّ: وَهَاءٌ صَغِيرٌ.

(٤) الثَّلَاثُ جَمْعُ لَثَةٍ (يَكْسُرُ اللَّامُ وَهَلَا شِدَّةٌ عَلَى الثَّاءِ): اللَّحْمُ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ الْأَسْنَانُ فِي الْفَمِ. الرُّضَابُ:
الرَّيْقُ مَا دَامَ فِي الْفَمِ.

(٥) النَّوَى: الْبَعْدُ وَالْفَرَاقُ. السُّرَى: السَّفَرُ لِيْلًا.

(٦) الْأَيْكُ جَمْعُ أَيْكَةٍ: الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمَتْنَفُ (الْمَنْتَعِ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ). التَّائِخَرُ: الْأَخْضَرُ الطَّرِيقُ.

(٧) اسْتَنْصَتَ عَنْ أَهْلِهَا الْأَوَّلِ (فِي الشَّامِ) وَتَبَدَّلَتْ بِهِ عَنْصَرُكَ أَنْتَ (أَصْلُكَ) لِأَنَّهُ أَكْرَمَ مِنْ أَهْلِهَا.

(٨) الَّذِي لَمْ يَحُلْ إِلَيْنَا مِنْ شَعْرِ الْمُسْتَنْصِرِ أَكْثَرَ مِنَ الَّذِي وَصَلَ مِنْهُ إِلَيْنَا.

أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ - فَهُوَ فَوْقَ أَنْ يُعْلَنَ بِهِ أَوْ يُنْشَرَ أَسْمُهُ عَلَيْهِ. وَلَعَلَّ لَهُ مِنْهُ مَا لَا نَعْرِفُهُ. فَأَمَّا الْأَدَوَاتُ الَّتِي يُقَالُ بِهَا، بَلْ الَّتِي يَخْتَاجُ إِلَيْهَا كُلُّ عِلْمٍ^(١)، فَهِيَ مَعَهُ بِأَزِيدٍ مِمَّا كَانَتْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ أَوْ تَكُونُ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ^(٢).

- وقال في كتاب «الحداثق» يَذْكُرُ الْمَرْيَّةَ (المُفَرَّب ٢: ١٩٣ - ١٩٤):

حَدَّثَ فِيهَا مِنْ صَنْعَةِ الْوُشِيِّ وَالِدِيَّاجِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ، وَمِنْ صِنَاعَةِ الْحَزِّ وَجَمِيعِ مَا يُعْمَلُ مِنَ الْحَرِيرِ، مَا لَمْ يُبْصَرَ مِثْلُهُ فِي الْمَشْرِقِ وَلَا فِي بِلَادِ النَّصَارَى. وَأَعْظَمَ مَبَانِيهَا الصُّادِجِيَّةُ الَّتِي بَنَاهَا الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَادِحٍ. وَمِنْ مَتَفَرِّجَاتِهَا مِنْى^(٣) عَبْدُوسٍ وَمَنْى غَسَّانَ، وَالتَّجَادُ وَبِرْكَةُ الصُّفَرِ وَعَيْنُ النَّطِيَّةِ. وَنَهْرُهَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَنْهَارِ.

٤- * المطمح ٧٩- ١٨٠ جذوة المقتبس ٩٧- ٩٨ (الدار المصرية) ١٠٤- ١٠٥ (رقم ١٧٦) = بنية الملتبس ١٤٠ (رقم ٣٣١) معجم الأدياء ٤: ٢٣٦- ٢٣٨ المغرب ٢: ٥٩ المطرب (الخرطوم) ٥- ١٦ الوافي بالوفيات ٨: ٧٧- ١٧٨ الحلة السراء ١: ١٢٦، ١٣٠، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢١٨، ٢٥٠ نفع الطبيب ١: ٤٦٨، ٦٠٤، ٦٠٥، ٢: ١٠١، ٣٠٥، ١٧٣، ١٩٦، ٢٦٥، ٢٦٦، ٤٣٧، ٤٦٤- ٤٤٧ الأعلام للزركلي ١: ٢٠١- ٢٠٢ (١٩٤- ١٩٥) دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٢- ٧٦٣.

ابن القوطية

١- هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم المعروف بابن القوطية نسبةً إلى جدَّة له هي سارة بنتُ أوباسَ (أسقفٍ إشبيلية) أبن غَيْطَةَ مَلِكِ الْقُوطِ. جاءت سارةُ هذه إلى دِمَشْقَ تشكو إلى هشام بن عبد الملك عَمَّهَا أَرْطَبَاسَ الَّذِي ظَلَمَهَا حَقًّا مِنْ إِرْثِ أَبِيهَا. فَأَكْرَمَهَا هِشَامٌ وَزَوَّجَهَا أَحَدَ مَوَالِي بَنِي أُمَيَّةٍ عِيسَى بْنَ مَزَاحِمٍ. وَقَدْ تَزَوَّجَهَا عِيسَى وَانْتَقَلَ بِهَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَسَكَنَ إِشْبِيلِيَّةً.

(١) القَوَامَاتُ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا كُلُّ عِلْمٍ مِنَ الشَّمْرِ أَوْ اللَّتَّةِ أَوْ الْحِسَابِ الخ.

(٢) يُلُومُ ابْنَ الْأَبَّارِ فِي «الْحَلَّةِ السَّوَاءِ» أَنْ فَرَحَ عَلَى هَذِهِ الْمَبَالِغَةِ (١: ٢٠٥).

(٣) مِنْىة (بِقَطْمِ الْيَمِّ أَوْ بِكُسْرَاهَا): ضَيْمَةٌ أَوْ حُرْمَةٌ بَعِيدَةٌ عَنِ الْمَدِينِ يَتَخَذُهَا الْأُمَرَاءُ وَالْأَغْنِيَاءُ لِلزَّهْوَةِ أَوْ لِنَفْسَاءِ فَضْلٍ مِنْ فَضُولِ السَّنَةِ.

وُلِدَ أَبُو بَكْرٍ بِنِ الْقَوْطِيَةِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ وَنَشَأَ فِيهَا وَسَمِعَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَرَقِ وَسَعِيدِ بْنِ جَابِرٍ وَحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيدِيِّ. ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى قُرْطُبَةَ وَسَمِعَ مِنْ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ (ت ٣٤٠) وَابْنِ الْأَغْبَشِ وَأَبِي الْوَلِيدِ الْأَعْرَجِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنَ مُبَيْثٍ وَمِنْ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. وَكَذَلِكَ رَوَى عَنِ الْقَاضِي أَبِي الْحَزَمِ خَلْفَ بْنِ عَيْسَى بْنِ سَعِيدِ الْحَيْرِ الْقُشَيْرِيِّ.

وَقَدْ عَرَفَ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي (ت ٣٥٦) الْحُكْمَ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) فَضَّلَ ابْنَ الْقَوْطِيَةِ وَأَنَّهُ مِنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْبَلَدِ بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ.

وَتَوَلَّى ابْنُ الْقَوْطِيَةِ الْقَضَاءَ وَخُطَّةَ الشَّرْطَةِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ الْقَوْطِيَةِ فِي ٢٣ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ٣٦٧ (٦ / ١١ / ٩٧٧ م) بِعَدِّ أَنْ طَالَ عُمُرُهُ.

٢- ابْنُ الْقَوْطِيَةِ نَحْوِيٌّ وَمُؤَرِّخٌ، وَكَانَ يَنْظِمُ الشَّعْرَ أحياناً وَيُجِيدُ فِي الْمَطَالَعِ وَالْمَقْطَعَاتِ. وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: تَصَارِيفُ الْأَفْعَالِ - الْمَقْصُورُ وَالْمَمْدُودُ - تَارِيخُ افْتِتَاحِ الْأَنْدَلُسِ (وَالْحَوَادِثُ فِيهِ مِتَخَلَّلَةٌ وَفِيهِ رَوَايَاتٌ شَعْبِيَّةٌ كَثِيرَةٌ - وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لِأَحَدِ تَلَامِيذِهِ اسْتَمْلَأَهُ عَنْهُ).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

مِنْ شَعْرِ ابْنِ الْقَوْطِيَةِ فِي الْوَصْفِ:

ضَحِكَ الشَّرَى وَبَدَأَ لَكَ أَشْيِيشَارُهُ، وَاخْضَرَ شَارِبُهُ وَطَرَّ عِذَارُهُ^(١).
وَرَبَّتْ حَدَائِقُهُ، وَأَزَرَ نَبْتُهُ، وَتَبَسَّمَتْ أَنْوَارُهُ وَثَارُهُ^(٢).

(١) الثرى: التراب (وجه الأرض). أخضر: أسود. طرّ: طهر، بدا. العذار: الشعر الثابت على جانبي الوجه. - يشبه الشاعر سطح الأرض بوجه الرجل فيقول: بدأ النبات على وجه الأرض وعلا قليلاً (مع مجيء الربيع).

(٢) في معجم الأدباء (١٨: ٢٧٦) وفي الوافي بالوفيات (٤: ٢٤٣) ربت (بالتون) والصواب: ربت (بالباء) حدائقه (كثر فيها النبات). أزَرَ النبات: التفت وكثر. الأنوار جمع نور (بفتح التون): الزهر الأبيض اللون.

واَهْتَرَزَ قَدْ النُّصْرَ لَمَّا أَنْ كَسَى وَرَقًا كَدِيحًا يَرُوقُ إِزَارَهُ^(١).
وَتَمَتَّتْ صُلُحُ الرُّبَى بِنَاتِهَا، وَتَرَنَّتْ بِلُحُونِهَا أَطْيَارَهُ^(٢).
- من كتاب «تاريخ افتتاح الأندلس»:

..... وحكى الشيخ ابن ثبابة رَحِمَهُ اللهُ، عن مَنْ أذْرَكَهُ مِنَ الشُّيُوخِ، أَنْ
أَرْطَبَاسَ^(٣) كَانَ مِنْ عَقْلِهِ الرِّجَالُ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ..... تَيْمُونُ
العابدُ- جَدُّ بَنِي حَزْمِ الْبَوَابِينَ وَهُوَ أَحَدُ مَوَالِي الشَّامِيِّينَ^(٤). فَلَمَّا رَأَى أَرْطَبَاسُ
دَاخِلًا قَامَ إِلَيْهِ وَاتَّزَمَهُ وَجَمَلَ يَقُوذَهُ إِلَى كُرْسِيِّهِ الَّذِي قَامَ مِنْهُ، وَكَانَ مُصَدِّدًا^(٥)
بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. فَأَبَى الرَّجُلُ الصَّالِحَ الْجُلُوسَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: «لَا يَجِلُّ لِي هَذَا»
وَجَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ. وَجَلَسَ (أَرْطَبَاسُ) مَعَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا جَاءَ بِمِثْلِكَ إِلَى مِثْلِي؟»
فَقَالَ لَهُ تَيْمُونُ: «قَدِمْنَا إِلَى هَذَا الْبَلَدِ وَظَنْنَا أَنَّ ثَوَانَا^(٦) لَا يَطُولُ فِيهِ، وَلَمْ نَسْتَعِدْ
لِلْمَقَامِ. فَحَدَّثَ مِنَ الْاضْطِرَابِ عَلَى مَوَالِينَا بِالْمَشْرِقِ^(٧) مَا نَتَوَهَّمُ مَعَهُ أَنَّا لَا نَعُودُ إِلَى
مَوْضِعِنَا بِهِ. وَقَدْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْكَ، فَأَرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُعْطِنِي ضَيْعَةً مِنْ ضِيَاعِكَ أَغْتَمِرُهَا
بِيَدِي، وَأُوْدِّي إِلَيْكَ الْحَقَّ مِنْهَا وَأَخْذُ الْحَقَّ». فَقَالَ لَهُ أَرْطَبَاسُ: لَا، وَاللَّهِ، مَا أَرْضَى

- (١) الديباح: نسج من حرير. يروق: يحسن في العين. الإزار: ثوب يلبسه به الجسم.
(٢) كانت الرُبَى (التلال) صلعاً (لا نبات عليها، تشبهاً لها بالرأس الذي فقد شعره) فتمتت. ليست
عامة النبات.
(٣) كان أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عمر بن ثبابة فقيهاً مالِكياً وقاضياً في البصرة (الأندلس) قرب
غرناطة. وكانت وفاته في الإسكندرية نحو سنة ٣٣٠ للهجرة. أذركه: لحق زمانه، كان في أيامه.
الشيوخ: الأساتذة، كبار رجال العلم. أرتباس (أو أرتباس أو أرتبان) هو الأمير أردبست بن
غبطشة كان من الذين انضموا إلى طارق بن زباد ضد لدرى الذي كان قد اغتصب الملك من غبطشة
(قبتيزا). وعاش أرتباس في قرطبة مكرماً ومنح شيئاً من السلطة على قومه. وكان لأرتباس بنت
هي سارة الفوطية (وكان ابن الفوطية صاحب هذا التمر من نسلها).
(٤) البوابون: الحجاب الوزراء (٤). الشاميون: العرب الذين جاءوا مع طليح بن بشر بن عياض (ت ٢١٤
هـ) من الشام (سورية) إلى الأندلس في أيام القتال بين القيسية واليبالية في أواخر عصر الولاة قبل
وصول عبد الرحمن الداخل.
(٥) التزمه: اعتنقه. مصد: مكس، ملفوف، مغطى.
(٦) ثوانا: مكثنا، بقاؤنا.
(٧) موالينا (أصهارنا وأحلفنا).

أَنْ أُعْطِيَكَ ضَيْعَةً مُنَاصَفَةً. ودعا (أرطباس) بوكيل له وقال له: «ادْفَعْ إِلَيْهِ الْمَجْشَرُ
الَّذِي عَلَى وَادِي شَوْشٍ. وما فيه من البقر والغنم والعبيد، وادْفَعْ إِلَيْهِ الْقَلْعَةَ بِجَبَّانٍ
وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِقَرِيَةِ حَرَمٍ».

- وقال في السوسن (الزنبق) والورد:

اشربْ عَلَى السَّوسَنِ النَّصْرَ الَّذِي نَمَا وبَاكِرِ الْأُنْسِ وَالْوَرْدَ الَّذِي نَجَّاهُ^(١)،
كَأَنَّا ارْتَضَعْنَا خَلْفِي سَائِلِيهَا: فَأَرْضَعْتِ لَبَنًا هَذِي، وَذَاكَ دَمًا^(٢).
خِلَانٍ: قَدْ كَفَرَ الْكَافُورُ ذَاكَ، وَقَدْ عَقَّ الْعَقِيقُ أَحْرَارًا ذَا وَمَا ظَلَمًا^(٣).
كَأَنَّ ذَا دُمِيَّةٍ نُصِتَ لِمُعْتَرِضٍ وَذَاكَ خَدُّ غَدَاةِ الْبَيْتِ قَدْ لُطِمًا^(٤)،
أَوْ لَا، فَذَاكَ أَنَابِيُّ اللَّجِينِ وَذَا جَمَرُ الْقَضَا حَرَكْتَهُ الرِّيحُ فَاضْطَرَمَا^(٥)!

٤- كتاب الأفعال (في اللغة) (شعر غويدي) لندن ١٨٩٤ م (تحقيق علي فودة)، القاهرة
(مطبعة مصر: شركة مساهمة مصرية) ١٩٥٢ م.

- تاريخ افتتاح الأندلس، باريس ١٨٦٧ م، مدريد ١٨٦٨ م (أعيد طبعه باعتناء
رييرا)، مدريد ١٩٣٦ م (نشرة هوداس) باريس ١٨٨٩ م (مطبعة التوفيق) بلا
تاريخ (شعر عبد الله الطباع)، بيروت (دار النشر للجامعيين) ١٩٥٧ م.

* * مطمح الأنفس ٥٨- ٥٩ جذوة المقتبس ٧١- ٧٢ (الدار المصرية) ٧٦- ٧٧ (رقم
١١١) بنية الملتبس ١٠٢ (رقم ٢٢٣) ١ ابن الفرضي ٢: ٧٨- ٧٩: إنباه الرواة ٣:
١٧٨، معجم الأدباء ١٨: ٢٧٢- ٢٧٧ وفيات الأعيان ٤: ٣٦٨- ٣٧١ بنية الوعاة
٨٤- ٨٥ شذرات الذهب ٣: ٦٢- ٦٣ (وفيات سنة ٣٦٧ هـ) ١ الوافي بالوفيات ٤:
٢٤٢- ٢٤٣ البلغة ٢٣٧، نفع الطبيب ٣: ٧٣- ٧٤ الديباج المذهب ٢٩٢ دائرة
المعارف الإسلامية ٣: ٨٤٧- ٨٤٨ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠١ (٦: ٣١١).

(١) نعم: لأن ملسمه، وكان طمرًا نضيرًا. نجم: نبت حديثًا (خرحت زهرة الورد من كأسها: الأورق
الحضر التي كانت تغلقها).

(٢) الخلف (بالكسر): حلة الثدي. السماء: المطر. كأن الورد (الأحمر) والسوسن (الأبيض) رخصا من ساء
واحدة (من مطر واحد) ولكن من شديين مختلفين: رضع الورد من ثدي فأصبح أحمر، وورضع السوسن
من ثدي آخر فأصبح أبيض.

(٣) الكافور: مادة شائعة تميل إلى البياض. العقيق: حجر كريم أحمر. كثر: غطى، ستر، غلف. عَقَّ: ذبح
ذبيحة.

(٤) الدُمِيَّة: الصورة، التمثال. نصن: رفع، العترض: الذي يعترضك: يلقف مقابلاً لوجهك. البين: الفراق.
قد لطم (حزناً على عراق المحبوب).

(٥) اللجين: اللثة. القضا: شجر خشبه كثيف يتقعد بشدة.

١ - هو عريب بن سعدٍ من موالي الأندلس ومن أهل قُرطبة يتصلُ نسبه ببني التركي (الذيل والتكملة ١: ٥ - ١٤١ - ١٤٢) لا نعرفُ من أحداث حياته إلا نَتَفَاء: استعمله عبد الرحمن الناصرُ على كورة أشونة، سنة ٣٣١ ثم استكتبه الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) بن الناصر. وقد كانت له مكانةٌ أثرية عند الحاجب جعفر المصحفي (قتل ٣٧٢ هـ) وبكأنه رفيعة عند المنصور بن أبي عامر (٣٩٢ هـ). ولعل وفاته كانت نحو سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م).

٢ - كان في عريب القرطبي باؤ (فخر أو تعاظم) شديد أدى إلى انخفاض منزلته عند جعفر المصحفي وعند المنصور بن أبي عامر في حديثين طويلين. ولكنه كان أديباً بارعاً وشاعراً مطبوعاً ومؤرخاً واسع المعرفة بالتاريخ جامعاً للأخبار. ثم إنه كان أيضاً ذا حظٍّ من اللغة ومن النحو، كما كان طبيباً ماهراً وذا عنايةٍ بكُتُب الأطباء القدماء والمحدثين. غير أن شهرته كانت في التاريخ خاصة، فلقد أشار إليه، في هذا الباب، علي بن موسى بن سعيد الغنسي في قصيدة له مدح بها ابن عمه أبا عبد الله بن الحسين (بن سعيد) فقال (نفع الطيب ٢: ٢٧٥): «وإن سرَدَ التاريخ قلت: عريب».

وكان عريب القرطبي مُصَنِّفاً اشتهر له كتابُ عنوانه «صلة تاريخ الطبري»^(١) بدأه سنة ٢٩١ (وهي السنة التي وقفت الطبري عندها في تاريخه). ثم استمرَّ عريب في السرد إلى سنة ٣٢٠. وفي كتاب «الذيل والتكملة»: لعريب هذا «تاريخه الذي اختصره من تاريخ أبي جعفر الطبري وأضاف إليه أخباراً إفريقية والأندلس، وهو كتابٌ مُنتع». ويبدو أن هذا الكتاب (المختصر من تاريخ الطبري) غير كتاب «صلة تاريخ الطبري» الذي طبَّعه دي خويه والذي ألحق أيضاً بالجزء الثاني عشر من «تاريخ الرسل والملوك» للطبري في طبعة القاهرة^(٢). وقد أصاب إحسان عباس لما

(١) الطبعة الحسينية ١٣٣٦ هـ.

قال^(١): «وأحسب أن هذا المنشور لا يُمثل ما يقوله ابنُ عبد الملك (المراكشي) في هذه الترجمة».

ولعربي أيضاً من الكتب: كتابُ خلق الجنين وتدريب الحبالى والمولودين (كتاب خلق الإنسان وتدريب الأطفال) - كتابُ عيون الأدوية - كتاب الأنواء^(٢)، وهو مُفيدٌ ومُستعملٌ ومُعتمدٌ (الذيل والتكملة) - تقومُ قرطبة^(٣).

٣ - مختارات من آثاره

- اتفق أن جاءَ عربيّ مرّةً إلى مجلسِ الحاجبِ جعفرِ المصنفي، وكان المجلسُ مكتظاً، فأجلسته المصنفيّ في مكانٍ قريبٍ منه ولكن كان بينها رجلٌ آخرٌ، فكتبَ عربيّ في رُقمَةٍ يَنتَهِينِ ثم ناولَ الرُقمَةَ للمصنفي. والبيتانُ هما:

حالٌ بيني وبينَ وجهك في المجد. ليس شخصٌ على القلوبِ ثَقِيلُ.
ما توقفتُ قبلها أنْ شخصاً بينَ قلبي وناظري سَيَحُولُ^(٤).

- بدأَ عربيّ صِلَةَ تاريخِ الطبري كما يلي:

(ثم دَخَلْتُ سَنَةَ ٢٩١): ذِكرُ ما دارَ في هذه السَنَةِ من أخبارِ بني العبّاس: فيها كتبَ الوزيرُ القاسمُ بنُ عبد الله إلى مُحَمَّدِ بنِ سُلَيْمانِ الكاتبِ^(٥)، وكانَ المُكتَنى^(٦) قد وُلّاهُ حَزَبُ القُرْمَطِيِّ صاحبِ الشامةِ^(٧) وصيّرَ إليه أَمَرَ القُوادِ والجِيوشِ، فأمرَهُ

(١) الذيل والتكملة ٥: ١: ١٤٢ (الحاشية الثانية).

(٢) الأنواء (أحوال الجوّ).

(٣) راجع نصّاً من مطلقه في المختارات من هذه الترجمة.

(٤) بين قلبي (المقصود: المدحج جعفر المصنفي) وناظري (عيني، بصري). حال: اعترض.

(٥) مُحَمَّد بن سُلَيْمان الكاتب الحنفي قائدٌ تدبر تولى قتال القرامطة في الشام (توفي بعد ٣٩٧ هـ).

(٦) المكتني: الخليفة العبّاسي علي بن أحمد (المتنشد) بن الموفق بن التوكل تولى الخلافة نحو ست سنوات (٣٨٩ - ٣٩٥ هـ) ومات شامياً (ولد ٣٦٣ هـ).

(٧) هو أحمد بن زكرويه القرمطي صاحب الشامة قاتل العبّاسيين في العراق والشام ثم انهزم وأخذ أسيراً فبيع به إلى المكتني بالله العبّاسي فأمر بقتله.

بمناهضة^(١) صاحب الشامة والجدي في أمره وجنح القواد والرجال على محاربتهم. فسار إليه محمد بن سليمان بجميع من كان معه وأهل النواحي التي تليه من الأغراب وغيرهم حتى قربوا من حاة^(٢) وصار بينهم وبينه نحو أثني عشر ميلاً، فلقوا أصحاب القرمطي هنالك يوم الثلاثاء ليست خلون من المحرم^(٣). وكان القرمطي قد قدم بعض أصحابه في ثلاثة آلاف فارس وكثير من الرجال في مقدمته، وغلف هو في جماعة منهم رداء لهم، وجعل السواد^(٤) ورءاء. وكان معه مئالة جمعة. فالتقى رجال السلطان بمن تقدم من القرامطة لحرّيبهم. وألتحم القتال بينهم، وصبر الفريقان، ثم أنهزم أصحاب القرمطي وأسير من رجاله بشر كثير وقتل منهم عدد عظيم وتفرق الباقون في البوادي. وتبعهم أصحاب السلطان ليلة الأربعاء^(٥) يقتلونهم ويأسرونهم.....

- وقال عريب في ترجمته أبي اليسر^(٦) إبراهيم بن أحمد الشيباني (نفع الطبيب ٣:

١٣٤ - ١٣٥):

... كان شاعراً مرسلاً حسن التأليف. وقدم الأندلس على الإمام محمد بن عبد الرحمن^(٧)، وذكر له معه قصة ذكرها ابن الأبار في كتابه «إفادة الوفاة»^(٨). وحكى أن له مستنداً في الحديث وكتاباً في القرآن سماه «سراج الهدى» والرسالة الوحيدة

(١) مناهضة: مقاومة.

(٢) حاة بلدة في الشام بين حمص وحلب.

(٣) ١٢/٦ - ١٠٠٠ م.

(٤) الرداء: المعين، الناصر (قوة احتياطية). جعل السواد (سواد العراق، القسم الجنوبي منه) وراءه. (كي يستطيع الحرب إليه إذا انهزم في الشام).

(٥) في يوم الثلاثاء نفسه (ليلة الأربعاء هي مساء يوم الثلاثاء).

(٦) هو أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني المعروف بالرياضي (٢٢٣ - ٢٩٨ هـ) من الأدباء والكتّاب. أصله من بغداد جال في البلاد ودخل الأندلس ثم انتقل إلى القيروان وتولى فيها بيت الحكمة في أيام آخر الأمراء الأغلبية زيادة الله بن عبد الله الأغلي. وكانت وفاته في القيروان.

(٧) جاء إلى إمارة الأندلس ٢٣٨ هـ ونوفاً سنة ٢٧٣ هـ.

(٨) للمرح أن ابن الأبار هذا هو محمد بن عبد الله القضاي (٥٩٥ - ٦٥٨ هـ). ولم أعثر في مصدر آخر على اسم كتابه «إفادة الوفاة». وليست التكملة لابن الأبار بين يدي الآن.

والمؤنة وقطب الأدب وغير ذلك من الأوضاع^(١). قال وكَتَبَ لِيَنِ الْأَعْلَبُ حَتَّى
 أَنْصَرَمْتُ أَيَّامُهُمْ، ثُمَّ كَتَبَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ حَتَّى مَاتَ^(٢). ومن الرواة عنه أبو سعيد عثمان
 ابن سعيد بن الصيقل^(٣) مؤلف زيادة الله بن الأغل^(٤). وأُسْنَدُ إِلَيْهِ الْحَافِظُ بْنُ الْأَبَّارِ
 جُمْلَةً مِنْهُ عَلَى غَيْرِهِ. وَنَاوَلَنِي جَمِيعَهُ وَحَدَّثَنِي بِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَرْقُونِ عَنْ^(٥)
 الْحَوَّلَانِيِّ^(٦) عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ حَاتِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٧) عَنْ أَبِي غَالِبٍ تَمَامِ بْنِ غَالِبٍ^(٨) عَنْ عُمَرَ
 الْقُفَيْ^(٩) عَنْ أَبِيهِ أَبِي تَمَامٍ^(١٠) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَذْكُورِ - يَعْنِي ابْنَ الصِّيقَلِ - عَنْ أَبِي الْيُسْرِ
 عَنْ حَبِيبٍ^(١١). وَهُوَ إِسْنَادٌ غَرِيبٌ^(١٢). انْتَهَى^(١٣).

- من مطلع «كتاب عريب في تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان» (أو تقويم
 قرطبة):

هذا كتابٌ جُمِلَ مَذْكُراً بأوقات السَّنة وفُصِّلَها وعدِدِ الشُّهُورِ وأَيَّامِها ومَجَارِي
 الشَّمْسِ فِي بُرُوجِهَا وَمَنَازِلِهَا^(١٤) وَحُدُودِ مَطَالِعِهَا وَقَدَرِ مَيَلِهَا وَارْتِفَاعِهَا^(١٥) وَأَخْتِلَافِهَا فِي

(١) راجع في أبي اليسر الشيباني ترجمة له في نفع الطيب (٣: ١٣٤ - ١٣٥).

(٢) هو الهادي العاطمي عبيد الله بن محمد مؤسس الدولة العاطمية في المغرب يبيع له سنة ٢٩٧ وتوفي سنة ٣٢٢ هـ.

(٣) زيادة الله بن الأغل هذا هو آخر أمراء الأغالية (ت ٣٠٤ هـ).

(٤) هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي - راجع ترجمته تحت (ت ٦٣٤ هـ).

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون (ت ٥٨٦ هـ) قنصل مالكي، محدث، وكان مستند الأندلس (في علم الحديث وروايته).

(٦) الحولاني - لعله أبو جعفر أحمد بن محمد بن الأبار الحولاني (ت ٤٣٣ هـ) - راجع ترجمته تحت.

(٧) حاتم بن محمد؟

(٨) تمام بن غالب التلياني (ت ٤٣٦ هـ) أديب لقوي أندلسي.

(٩) هو أبو تمام حبيب بن أوس الشاعر العبَّاسي المشهور.

(١٠) أسناد غريب (فيه رجال مجهولون؟).

(١١) «انتهى» موجودة في الأصل، ولعل في هذا النص في نفع الطيب شيئاً من التصرف.

(١٢) البرج مجموعة من النجوم تمرُّ بها الشمس في أثناء السنة. المنازل (جمع منزلة) الدد التي تقضيها الشمس في كل برج من البروج الأثني عشر.

(١٣) يختلف مطلع الشمس على الأفق الشرقي بين فصل وفصل (في الصيف يكون أبعد إلى الشمال). قدر ميل الشمس (بين فصل وفصل عن كبد السماء). استواء الشمس (أعلى نقطة ترتفع إليها الشمس في السماء - في نصف الصيف). كلما ارتفعت الشمس كان ظل الأشياء أقصر.

الظِّلَّ عند استوائها، و (في) تصرّف الأزمان وتعاوَب الأيام بالزيادة والنقصان^(١) و (في) فصل البرد والحَرَّ وما يَبْنِيها من التَّوسُّط والاعتدال^(٢) و (في) ميقات كلِّ فصلٍ وعدَدُ أيامه على مذهب أهلِ التعديل والحساب ومذهب الأوائل^(٣) من الأطباء الذين حدّوا الأزمنة والطبائع^(٤)، إذ كان يَبْنِيهم في فصل السَّنة اختلافُ سياقي عليه الاستِجلاب^(٥) ويَقَعُ في موضِيعه من هذا الكتاب، إن شاء الله، وذكر ما لا غنى عنه للناس من معرفة الزراعة وحين الفِراسة^(٦) وتعاوُد كثير من أسباب الفِلاحة وإمكان جني الثمرات وضَمُّ الدُّخْرِ والأقوات^(٧) وأبتداء نُضْجِ الفَوَاكِه ومواقيت النِّتاج^(٨) وغير ذلك من مرافقي الناس ومصالحهم، والأزمنة التي توافق تَنْقِيَةَ أجسامهم بالدواء والفَصْد^(٩) وأوقات جمع العقاقير والأشربة والمرَبِّيات في أوانها وحين إمكانها^(١٠) و (في) علم تصارُفِ الرياح ومذاهبِ العرب في الأنوال والأمطار^(١١) إذ كانتِ (العرب) تُعْنِي بها وتَحْتَاج إلى تحديد مَطالِعِ النجوم ومَسَاطِعِهَا^(١٢) والمُخَوِي^(١٣) منها تَنْقَلِبُهُمْ في الطَّلَبِ للمعاشِ والانتقال إلى مواضع المياه^(١٤).....

- (١) تزايد طول النهار في الصيف (مع قصر الليل) وتزايد طول الليل في الشتاء (مع قصر النهار).
- (٢) من التَّوسُّط والاعتدال (حيثما يتقارب الليل والنهار في الطول (في الربيع والخريف) يكون الجو معتدلاً (بين الحر والبرد).
- (٣) أهل التعديل والحساب (علماء الفلك). القدماء (من اليونانيين خاصة).

- (٤) حدُّ (الأطباء) حلة طبيعة البشر (بالقوة أو بالمرض) بحسب فصول السنة (٥).
- (٥) الاستِجلاب (سأني ذكره في هذا الكتاب).
- (٦) الزرع للحبوب والنبات السنوي. والفرس للأشجار.
- (٧) ضمُّ الدُّخْرِ والأقوات (اتِّعَازُ المحبوب وغيرها للمؤونة).
- (٨) النِّتاج: ولادة الأنعام (الغنم والأبل الخ).
- (٩) استعمال الأدوية بحسب الفصول (كالتسهل) أو الفصد أي استخراج الدم (في أول الربيع).
- (١٠) تخضير الأدوية (من النباتات التي تنضج في الفصول المختلفة) والأشربة (من سفوح النبات) والمرَبِّيات تكتيف عصير الفواكه، كلٌّ بحسب أوانه (زمانه).
- (١١) التَّوَدُّ: الزمن الذي يكون فيه سقوط المطر (وصلة ذلك بظهور عدد من النجوم في السماء).
- (١٢) مَطالِعِ النجوم (الزمن الذي تبدو النجوم فيه ظاهرة في السماء مدَّةً طويلة أو قصيرة. الماسقط: غياب النجوم من السماء).
- (١٣) المخوي: الزمن أو الشهر لا يكون فيه مطر.
- (١٤) بسبب رحلة البدو (تنقلهم في البادية وراء الماء والعشب).

٤ - صلة تاريخ الطبري (دي خويه)، ليدن (بريل) ١٨٩٧ م؛ في الجزء الثاني عشر من تاريخ الرسل والملوك للطبري (ملحق)، مصر (المطبعة الحسينية ١٣٣٦).

- تقويم قرطبة (بالعربية مع ترجمة فرنسية) (نشره دوزي)، ليدن (بريل)، الطبعة الثانية (شارل بلا)، ١٩٦١ م.

* * * الدليل والتكلمة ٥ : ١ : ١٤١ - ١٤٣ نفع الطيب ٣ : ١٣٤ ، ١٨٢ دائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٦٢٨ بروكلمس ١ : ١٤٩ (السطر الخامس)، الملحق ١ : ٢١٧ (السطر الخامس والعشرين)، بالثيا ٤٨٧ - ٤٨٨ الأعلام للزركلي (٤ : ٢٢٧).

جعفر المصحفي

١- هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة من بربر بَنِيَّة، بدأ حياته العامة بأن كان مُؤدِّباً للحكَّام بن عبد الرحمن الناصر. ثم إنَّ الناصر ولَّاه على جزيرة ميورقة. ولما جاء الحكم إلى الخلافة (٣٥٠ هـ) استوزره. لم يكن جعفر المصحفي حذراً من دهره فاستنام إلى الأهمام ونثر أهل في مرافق الدولة. ودخلَ عمد بن أبي عامر (ت ٣٩٢) في خدمة الدولة فأدرك أنه لا يستطيع الوصول إلى هدفه من الاستبداد بالدولة إلا إذا أزاح المصحفي من طريقه. فلما توفى الحكم المستنصر وخلفه أبنته هشام كان هشام وفيّاً لذكرى أبيه فرَفَعَ المصحفي إلى رُتَبَةِ الحِجَابَةِ (رئاسة الوزارة)، في عاشر صفر من سنة ٣٦٦ (٧ / ٩ / ٩٧٦ م)، بعد مجيئه إلى الخلافة ببضعة أيام.

غير أنَّ محمد بن أبي عامر - وكان قد نال حظوة عند صُحْبِ أمِّ هشام وأصبح له سلطة على هشام نفسه - ما زال بهشام القاصر حتى أمر هشام بصرف المصحفي من الحِجَابَةِ، في ثالث عشر صفر من سنة ٣٦٧ (٢٥ / ٣ / ٩٧٨ م) وبكُتِبَةِ المصحفي وأهله. وبدأ محمد بن أبي عامر - وكان قد استولى على الدولة وتسمّى المنصور - بِصَادِرِ أموال المصحفي وأموال أهله ويقتل نفراً منهم. ثم إنه ألغى جعفر المصحفي نفسه في السجن وأمر أخيراً بقتله سنة ٣٧٢ (٩٨٢ - ٩٨٣ م).

٢- كان جعفر المصحفي أحد شعراء الأندلس الحسنيين المتصرفين في أنواع الشعر من المديح والهمز والأوصاف والفزل غاية في كل ذلك في الرقة والإبداع والحسن، وكان يقول مُرتجلاً (البيان المغرب ٢: ٢٥٤) وهو شاعرٌ مُكثِرٌ.

٣- مختارات من شعره

- قال المصحفي في نكبتِه:

تأملتُ صَرَفَ الحادثاتِ فلم أزلْ	أراها تُوافي عندَ مقصيدها الحُرّاً ^(١) .
فله أياماً مضتْ لِسِيلِها،	فإنّي لا أنسى لها أبداً ذِكْراً.
تجافّتْ بها عَنّا الحوادثُ بُرْهَةً	وأبَدَتْ لنا منها الطَّلَاقَ والبِشْراً ^(٢) ؛
لياليّ لم يَدْرِ الزمانُ مكاننا،	ولا نَظَرَتْ مِنّا حَواذِئُه سَراً.
وما هذه الأياضُ إلّا سَحابٌ	على كُلِّ حالٍ تُنْطِرُ الحَيْرَ والشرّاً.
* أَجاري الزمانَ على حاله	مُجاراةً نفسي لأنفاسِها ^(٣) .
إذا نَفَسُ صاعِدٌ شَقَّها	توارَتْ به بين جَلالِها ^(٤) .
وإن عَكَفْتُ نَكْبَةً للزمانِ	عَكَفْتُ بِصَدْرِي على رَأبِها ^(٥) .
* لا تَأْمَنَنَّ مِنَ الزمانِ نَفْلاً؛	إنَّ الزمانَ بأهلِهِ يَتَغَلَّبُ.
ولقد أَراني والليوثُ تُخافُني،	فأخافُني من بَعْدِ ذاكِ التَغَلَّبِ ^(٦) .
حَسْبُ الكَرِيمِ مُدْلَةٌ ونَقِصَةٌ	ألا يَزَالُ إلى لَئيمٍ يَطْلُبُ.
وإذا أَنْتَ أَعجوبةٌ فَاضِرٌ لها،	فالدهرُ يَأْتِي- بَعْدُ- ما هو أَعْجَبُ.
* لي مُدَّةٌ لا يَدُ أَبْلُغُها؛	فإذا انقَضَتْ أياهُما مَتَّ.

(١) صرف الحادثات: المصائب.

(٢) تجافى: ابتعد، تجسّب.

(٣) أسلك مع الزمان كما ينبغي، مجازاة نفسي لأنفاسها (تماماً).

(٤) شَقَّها: أصابها فأفعلها أو أضاعها. نوارت به بين جلالها (كتمته عني حولها، عن الناس).

(٥) إذا نزلت في مصيبة قضيت على تلك المصيبة (صيرت عليها).

(٦) لعله يشير إلى التصور من أي عامر.

لو قابلتني الأسد ضاربةً - والموت لم يُقدَّر - لما جُفْتُ^(١).
فانظرُ إليَّ وكُنْ على حَذَرٍ، فَيَسْبُلُ حَالِكَ أَمْسٍ قَدْ كُنْتُ.
* صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى تَوَلَّيْتُ؛ وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتِ.
فَوَاعَجِبًا لِلْقَلْبِ، كَيْفَ اعْتَرَفَهُ، وَلِلنَّفْسِ بَعْدَ الْعَزِّ كَيْفَ اسْتَذَلَّتِ.
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَقْرُ؛ فَإِنْ طَمِعَتْ نَاقَتْ وَإِلَّا تَسَلَّتْ^(٢).
وكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً، فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتْ.
فَقُلْتُ لَهَا: يَا نَفْسُ، مَوْتِي كَرِيمَةٌ؛ فَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا حِمٌّ وَلَتْ.

- وقال المصنفُ بِمُغَرِّضٍ بِالنَّصُورِ ابْنَ أَبِي عَامِرٍ (لأنَّه هُوَ الَّذِي كَانَ قَدْ سَاعَدَ

عَلَى تَقْدِيمِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ فِي مَرَاتِبِ الدَّوْلَةِ):

غَرَسْتُ قُضِيْبًا خِلْتُهُ عُوْدَ كَرَمَةٍ وَكُنْتُ عَلَيْهِ فِي الْحَوَادِثِ قَبِيْهَا^(٣).
وَأَكْرَمُهُ دَهْرِي فَيَزِدَادُ خُبْنُهُ؛ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَصْلِي كَرِيمٍ تَكْرَمًا.
- وَقَالَ فِي كِتَابِ السَّرِّ:

يَا ذَا الَّذِي أُوْدَعَنِي سِرَّهُ، لَا تَرْجُ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي.
لَمْ أَجِرِهِ بِعَدِّكَ فِي خَاطِرِي، كَأَنَّهُ مَا مَرَّ فِي أُذُنِي.

- وَجَعَفَرُ بْنُ عُمَانَ الْمُصْحَفِيُّ فِي الْفَزْلِ وَالنَّسِيبِ:

أَمَّا، وَالْهَوَى، مَا كُنْتُ أَغْرِفُ مَا الْهَوَى وَلَا مَا دَوَاعِي الشَّوْقِ حَتَّى تَكَلَّمَ.
دَعَانِي بَلْفَظٍ لَوْ دَعَا يَذْبُلًا بِهِ لِلْبَاءِ مُشْتَقًّا وَوَأَفَاءَ مُفْرَمًا^(٤).

(١) الأسد الفاري (الجامع) لأنه يكون أكثر شراسة وأكثر جرأة.

(٢) نافت: اشتاقت، رغبت.

(٣) عود كرمه (عناب)، أي طنته غمرة كريمة نبيلة.

(٤) يذبل اسم جمل.

* إِنَّ فَاءَ أَثَرَيْتِ الضَّلُوعِ هَوَى
لا تُشْكِرُوا كَلَفَ الضَّلُوعِ بِه
* لِعَيْنَيْكَ فِي قَلْبِي عَلَيَّ عِيُونُ،
لئن كان جسمي مُخْلَقًا فِي بَدِ الْهَوَى،
نَصْبِي مِنَ الدُّنْيَا هَوَاكَ، وَإِنَّهُ
عَذَابِي، وَلَكِنِّي عَلَيْهِ ضَنِينُ.
- وَلَمَّا فِي وَصْفِ الْحَمْرِ:

صَفَرَاءُ تَطَرَّقُ فِي الرُّجَاجِ، فَإِنْ سَرَتْ
عَبَثَ الزَّمَانُ بِجِسْمِهَا فَتَسَرَّتْ
خَفِيَّتْ عَلَى شَرَابِهَا فَكَأَنَّمَا
فِي الْجِسْرِ دَبَّتْ مِثْلَ صِلٍّ لَادَغٍ^(١).
عَنْ عَيْنِهِ بِرِدَاءِ نَوْرِ سَابِغٍ.
يَجِدُونَ رِيًّا فِي إِنْسَاءٍ فَارِغٍ.

٤- * مطمح الأنفس؛ جذوة المنبس ١٧٥- ١٧٦ (الدار المصرية) ١٨٧- ١٨٨ (رقم ٣٥٣)؛ بغية اللئس ٢٤٠ (رقم ٦١٤)؛ الحلة السراء ٢٥٧ وما بعد؛ نفع الطيب ١: ٤٠٢ وما بعد؛ ٥٩٢- ٥٩٤؛ ٨٦: ٣٠٥٩٤- ٥٩٠: ٦٠٠- ٤٠٦٠٢؛ الذخيرة ١: ٤٦: ٤٦ وما بعد؛ البيان المغرب ٢: ٢٥٤ وما بعد؛ نيكل ٤٩- ٥١؛ الأعلام للزركلي ٢: ١١٩ (١٢٥).

ابن أبي حنيفة النعمان

١- هو أبو الحسن عليُّ بن أبي حنيفة النُّعْمَانِ القُبَيْرَوَانِي^(١)، وُلِدَ (في القيروان) في ربيع الأول من سنة ٣٢٩ (خريف ٨٤٣ م) ونشأ فيها. انتقل إلى القاهرة في صُحْبَةِ

-
- (١) الكلف: شدّة التعلّق بال محبوب. الوجيب: الحفنان.
(٢) الشجى (يفتح ففتح): الحزن.
(٣) غلق: متهرّج. غَضٌّ: طريّ، جديد.
(٤) صفرَاء (آخر) تطرق (٥) والملموع أن معناها: تبدأ. الصلّ: الهيئة الخبيثة، الشديدة السَمّ. لادغ (وهو بلدغ): يضرب بناه.
(٥) الملموع أنّه ابن القاضي النعمان بن محمد (ت ٣٦٣ هـ) واضع المذهب الفاطمي ومؤلف دَعَاة الإسلام - انظر أعلاه ص ٢٧٧ -

المُعزّ الفاطمي، سَنَة ٣٥٨ هـ. ثم نَوَلَى القضاء في جميع البلاد التي كانت خاضعةً للنفوذ الفاطمي. وكانت وفاته في سادسِ رَجَبٍ من سَنَة ٣٧٤ (٤ / ١٢ / ٩٨٥ م) ودُفِنَ في القَرافَة (مصر).

٢- كان ابنُ أبي حنيفةَ النعمانِ عارفاً بفنونٍ كثيرةٍ منها القضاء والفقه والنحو والأدب. وكان شاعراً وُجِدَ نائياً تَغَلَّبَ عليه الصِّناعةُ. ومن فنونه الحكمة والنسب.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ أبي حنيفةَ النعمانِ في صديق له صدوق:

ولي صديقٌ ما مَسَنِي عَدَمٌ مُدُّ وَقَمَتِ عَيْنُهُ عَلَى عَدَمِي^(١).
أَغْنَى وَأَقْنَى، وما بُكَلِّفُنِي تَقْبِيلَ كَفٍّ لَهُ وَلَا قَدَمَ^(٢).
قام بأمرِي لَمَّا قَعَدْتُ بِهِ^(٣) وَنَمْتُ عَنْ حَاجَتِي وَلَمْ يَنْمَ^(٤).

- وله في النسب مع الإشارات البارة إلى منايك الحج على سبيل الموازنة والجناس:

رُبُّ خَوْدٍ عَرَفْتُ فِي عُرْفَاتٍ سَلَبْتَنِي بِحُضْنِهَا حَنَاقِي^(١).
حَرَمْتُ، حِينَ أُحْرَمْتُ، نَوْمَ عَيْنِي وَاسْتَبَاحْتُ حَيَّيَ بِاللَّحَطَاتِ^(٢).
وَأَفَاضْتُ مَعَ الْحَجِيجِ فِافَاضْتُ مِنْ جُفُونِي سَوَائِقُ الْعَبَرَاتِ^(٣).
وَلَقَدْ أَضْرَمْتُ عَلَى الْقَلْبِ جُزْأً مُحْرِقاً إِذْ مَشَّتْ إِلَى الْجَمَرَاتِ^(٤).

(١) الصدم: القفر. مذ عرف أني فقير أعاني.

(٢) أقنى: جعل لي ما أفتنيه (أملكه، نروث). ولم يطلب مني أن أذلّل له.

(٣) قعدت بأمرِي: عجزت عن تدبير أموري.

(٤) الخود: المرأة الجسيلة. عرفات: ضفة شرق مكة يقف عليها الحجاج.

(٥) أحرمت: دخلت في الإحرام (نية القيام بالحج).

(٦) أفاض الحجاج: رجعوا من الوقوف بعرفات.

(٧) الجمرات: سبع حصي صغيرة يرمي بها كلُّ حاج في المحصب (حيث ذهبت لرمي الجمار أو الجمرات).

لم أنزل من بيني منى النفس حتى خِفْتُ بالحنيف أن تكون وفاتي^(١).

٤- * * وفیات الأعيان ٥: ٤١٧-٤١٩ عنوان الأريب ١: ٣٧-٣٨.

أحمد بن قرقان^(٢)

هُوَ أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ قَرْقَانَ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةٍ، سَمِعَ مِنْ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغَ (ت ٣٤٠ هـ) وَالْحَسَنِ بْنِ سَعْدٍ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ثَامِنَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٣٧٧ (٨ / ٤ / ٩٨٨ م).

قَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ: «كَانَ (ابْنُ قَرْقَانَ هَذَا) حَافِظًا لِلْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ، وَكَانَ يُؤَدِّبُ^(٣) بِالْقُرْآنِ. وَكَانَ مِنَ الْعُبَادِ الْمُتَبَتِّلِينَ، لَقِيَتْهُ وَلَمْ أُكْتُبْ عَنْهُ، وَلَا حَدَّثَ فِيمَا أُعْلَمُ».

٤- * * ابن الفرضي ١: ٦٧ (رقم ١٨٢)، أعمال الأعلام ٥٠.

(١) بعد الوقوف في عرفات ببيت الحجّاج ليلة في منى ثم يتابعون سيرهم إلى مكة لطواف الإفاضة. الحنيف مكان قرب منى.

(٢) للدكتور احسان عباس في «كتاب التشييعات» (ص ٣٢٥) تعليق قيم على الأبيات التالية (ص ٢١، رقم ١٠).

أرى أرجل الخوزاء غير بوارح وأبدي القرى كالسقم صحيحها.
وهمت ولم تقض السبيل كأنها من الأمن صرعي أنخنتها جروحها.
وللبدر إشراق عليها كأنه رقيب على ألا يتم جنوبها.

قال في تعريف قائلها عيسى بن قرقان: «عيسى بن عبد الله بن قرقان (بالزاي) أبو الأصم الحازن اللقب بالزبركة.... شاعر مشهور.... ويرد اسمه ابن قرقان (بالراء المهملة في بعض المصادر). وكان واحداً من الذين اعتقلهم صاحب المدينة (رئيس الشرطة) عام ٣٦١ لأنهم يجتمعون على نظم أشعار في المجهاد يتناولون بها أعراض الناس). وذكر الزبيدي من اسمه فرج أبو محمد ابن قرقان (قرقان في المطبوعة) وقال: وكان الأهل عليه علم النجوم وكان شاعراً مطبوعاً وسكن إشبيلية.... وهناك ابن قرقان آخر هو عبيد الله وكان من موالى عبد الرحمن بن الحكم (التوفي ٢٣٨ هـ) واختص به وكان شاعراً أيضاً». (انتهى تعليق احسان عباس موجزاً). وفي السخة التي بين يدي من «طبقات النحويين واللغويين» «تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مصر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م، ص ٣٣٤): قرقان (بالفاء والزاي) ثم صححت في التصويبات (ص ٤٠٨): قرقان (بالغاف وبالزاي أخت الراء). ويبدو أن ابن قرقان الذي ترجم له هنا غير هؤلاء الثلاثة (راجع المصادر والمراجع). ثم إنني أنضلت ضبط الاسم قرقان (أو على الأصح: قارلمان: قارله مانيوس أو قارل الكبير).

(٣) يؤدّب بالقرآن: يقرئ القرآن للصبيان (في بيوتهم).

أبو بكر الزبيدي

١- هو أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢٠) بن عبد الله بن مذحج بن محمد بن عبد الله بن بشر الزبيدي الإشبيلي، وُلِدَ في إشبيلية، سنة ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) ودرَسَ في قرطبة على نفرٍ منهم: قاسم بن أصبغ (ت ٣٤٠ هـ) وأبو عثمان سعيد بن فخلون (٣٥٢-٣٤٦ هـ) وأحمد بن سعيد بن حزم (ت ٣٥٠) وأبو علي القالي (ت ٣٥٦) ومحمد بن يحيى الرباحي (ت ٣٥٨).

عهدَ الحكمُ المستنصر إلى أبي بكر الزبيدي^(١) بتأديب وليّ عهده هشام (وُلِدَ سنة ٣٥٤)، فعلمه الزبيدي الحساب والعربية. ولما جاء هشامُ إلى الخلافة (٣٦٦ هـ) جعل أبا بكر الزبيدي قاضياً في إشبيلية (بروكلمان ١: ١٤٠)، ولعله في ذلك الحين تولى أيضاً خطة الشرطة. ثم ألّف أبو بكر الزبيدي كتاباً في الردّ على مذهب محمد بن عبد الله بن مسرة (٣١٩ هـ)، وكان مذهبه مزيجاً من آراء المعتزلة ومن الآراء الإشراقية والباطنية والصوفية. ولعله بدأ تأليف هذا الكتاب بعد استبداد النصور ابن أبي عامر بالحكم (٣٦٧ هـ)، لأنّ النصور كان ينصرُ مذهب أهل السنة ويكره مذهب الفلاسفة.

وكانت وفاة أبي بكر الزبيدي في إشبيلية، في أولِ جُهادي الثانية من سنة ٣٧٩ (٩٨٩ / ٩ / ٦ م).

٢- قال ابن خلكان (٤: ٣٧٢) عن أبي بكر الزبيدي: «كان أوحَدَ عصره في علم النحو وحفظ اللغة، وكان أخبَرَ أهلِ زمانه بالإعراب والمعاني والنوادر (الألفاظ القليلة الاستعمال) إلى علم السيرة والأخبار. وله كتب تدلُّ على وفور علمه». والزبيدي شاعرٌ مكثرٌ تغلّب على شعره نفعٌ من التصوّف وأكثرُ فنونه الزهد والحكمة مع شيءٍ من التعريض والتهكم. وله شيءٌ من الغزل والنسيب والشكوى. ومن كتبه: مختصرُ كتاب العين (للخليل بن أحمد) - طبقات النحويين واللغويين

(١) منتصف ذي القعدة من سنة ٣٦٢ (١٦ / ٨ / ٩٧٣ م)

(بالمشرق والأندلس من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن شيخه أبي عبد الله الرباعي النحوي) - هناك ستور الملحدين (في الرد على ابن مسرة وأتباعه) - كتاب لمن العامة (ما يلحن فيه عوام الأندلس) - كتاب الواضح (في العربية: النحو) - كتاب الأبنية (في النحو).

٣- مختارات من آثاره

- اشتاق أبو بكر الزبيدي - وهو في قرطبة - إلى إشبيلية فاستأذن أمير المؤمنين الحكم في الرجوع فلم يأذن له، فكتب أبو بكر إلى جارية له اسمها سلمى في إشبيلية:

وَنَحَاكَ، يَا سَلَمُ، لَا تُرَاعِي، لَا بُدَّ لِلْبَيْنِ مِنْ زَمَاعٍ^(١).
لَا تَحْبِيْبِي صَبْرْتُ إِلَّا كَصَبْرِ مَيْتٍ عَلَى النِّزَاعِ^(٢).
مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ عَذَابٍ أَشَدَّ مِنْ وَقْفَةِ الْوَدَاعِ.

- من مقدمة كتاب طبقات النحويين واللغويين:

..... ولم تزل العرب تنطق على سجيته في صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجا وأقبلوا إليه أرسالا^(٣)، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة ففشا الفساد في اللغة العربية، واستبان^(٤) منها الإعراب الذي هو حليها والموضح لِمعانيها..... فعظم الإشقاق من فشو ذلك وغلبته حتى دعاهم^(٥) الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم إلى أن سببوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه.

-
- (١) لا تراعي: لا تحاي، لا ترهي. البين: البعاد، البعد، الفراق. الزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه. لا بدَّ للبَيْنِ من زَمَاعٍ: لا بدَّ من أن يوطن الإنسان نفسه على البين وبصر.
- (١) النزاع (يسكون الزاي): والنزاع (وليس في القاموس): قلع الحياة، خروج الروح من البدن.
- (٣) الأرسال: الجهاعات.
- (٤) استبان: (في الأصل): وضع وظهر. ويقصد المؤلف: ذهب (منها الإعراب).
- (٥) دعا علماء اللغة.

ولم تزل الأئمة من الصحابة ومن تلاهم من التابعين يحضون على تعلم العربية وحفظها والرعاية لمعانيتها إذ هي من الدين بالمكان المعلوم: فيها أنزل الله كتابه المهين على سائر كتبه، وبها بلغ رسوله عليه السلام وظائف طاعته وشرائع نهيه. وكذلك كانوا يحضون على رواية الشعر الذي هو حكمة العرب في جاهليتها وإسلامها، وديوانها الذي أقامته مقام الكتاب^(١) لما تقدم من مآثرها وأيامها، فكانوا يتناشدونه في مجالسهم ويتذكرون به في محافلهم.....

وإن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله - رضي الله عنه - لما اختصه الله به ومنحه الفضيلة فيه من العناية بضروب العلوم والإحاطة بصنوف الفنون، أمرني بتأليف كتاب يشتمل على ذكر من سلف من النحويين واللغويين في صدر الإسلام ثم من تلاهم من بعده... إلى زماننا هذا، وأن أطبقهم^(٢) على أزمانهم وبلادهم بحسب مذاهبهم في العلم ومراتبهم، و(أن) أذكر مع ذلك موالدهم وأسنانهم ومدة أعمارهم وتاريخ وفاتهم على قدر الإمكان في ذلك، وبحسب الإدراك له، وأجلب جملة من تنفع أخبارهم والحكايات المتضمنة لفضائلهم المشتتة على محاسنهم ليكون ذلك شكرياً لجميع سعيهم وحيد مقامهم، إذ كان ذلك من حقهم على من أدوا إليه علمهم وأعملوا في صلاحه جهدهم، وكان في تنقيح أخبارهم وتحليل مآثرهم ما يبغي لهم لسان الصديق الذي هو بذل البقاء والمخلد.....

- لأبي بكر الزبيدي مقطعات فيها لفتات بارعة. من هذه المقطعات:

أبا مُسلم، إنَّ الفسق يجنَّاه ويقولُه لا بالمراكب والنَّبس^(٣)
وليس ثياب المرء تُغني قِلامةً إذا كان مقصوراً على قِصر النفس^(٤).

(١) الكتاب: الكتابة والتدوين.

(٢) أجعلهم طبقات، جماعات متقاربة في الزمن أو في المرتبة.

(٣) الجنان (بالفتح): القلب (العلم، الشجاعة، الخير الخ). القول: اللسان (حسن التمييز، الكلام الجميل).

المركب (الداية): البرذون (بكر الباء وفتح الدال): البغل، الحصان، الفخ. النبس (بالكسر): ما

يلبس، الكسوة، الثوب.

(٤) تنقي: تنقيد. قلامة: ما يطلع عادة من الظفر. قصر النفس: على مقياس الجسم لدفع الحر أو البرد (٢).

وليس يُفِيد العلمَ والحِلْمَ والحِجَا، أبا سلم، طولُ القمود على الكرسي^(١).
 * الفقر في أوطاننا غُرْبَةً، والمال في الغربة أوطانُ.
 والأرض شتَّى كلها واحد، والناس إخوان وجيران.
 * أتركِ الهمَّ إذا ما طَرَقَكَ، وكيِّل الأمرُ إلى مَنْ خَلَقَكَ^(٢).
 وإذا أَتَلَ قومٌ أحداً، فإلى رَبِّكَ فامدُّ عُنُقَكَ^(٣).
 ما طلبتُ العلومَ إلاَّ لأُنِي لم أزل من فنونها في رياضِ.
 ما سواها له بقلبي حظٌ غيرَ ما كان للعيون المِراضِ^(٤).
 * أشعرنَ قلبك يا سَا، ليس هذا الناسَ ناسًا.
 ذَهَبَ الإبريز منهم فَبَقُوا بِمُــــدُّ نُحاسا^(٥).
 سامريــــين يقولو نَ جميعاً: «لا يسامنا»^(٦).

١- كتاب الاستدراك (باعثناء كويدي)، روما ١٨٩٠ م.

- طبقات النحويين واللغويين (تحقيق محمد أي الفضل إبراهيم)، مصر (محمد سامي أمين الحانجي)، ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م.

- لحن العوام (شهر رمضان عبد التواب)، القاهرة (مكتبة دار المروية) ١٩٦٤ م (تحقيق عبد العزيز مطر)، الكويت (مكتبة الأمل) ١٩٦٨ م.

* * ابن الفرضي ٩٢: ٢ (رقم ١٣٥٥)، جذوة المقتبس ٤٣-٤٦، (الدار المصرية) ٤٦-٤٩ (رقم ٣٤) بغية الملتبس ٥٦-٥٧ (رقم ٨٠)، مطمح الأنفس ٥٣-٥٥، إنباء الرواة ٣: ١٠٨-١٠٩، المحمّدون من الشعراء (حيدر آباد) ٢٥٠-٢٥٦، معجم الأدباء ١٨: ١٧٩-١٨٤، المغرب ١: ٢٥٠-٢٥١، وفيات الأعيان ٤: ٣٧٢-٣٧٤، الوافي

(١) الجلوس على الكرسي: احتلال المناصب الرفيعة كالوزارة والقضاء. إن نيل المناصب لا يجعل الإنسان عالماً ولا حلياً ولا عاقلاً.

(٢) طرقتك الهم: أتى عليك ما يهلكك (يجهزك). كل (يكسر فسكون) فعل أمر من وكل: عهد (بالأمور) إلى، سلم، فوض.

(٣) امدد عنقك: ارفع رأسك بالدعاء.

(٤) العيون المراض (المریضة): الفاترة، الناعسة.

(٥) الإبريز: الذهب.

(٦) «لا ساس» (٢٠: ٩٧، سورة طه): لا تنسى (لا تطلب مني شيئاً).

بالموفيات ٢: ١٣٥١ الديباج المذهب ١٢٦٣ شذرات الذهب ٣: ٩٤-٩٥ بقية الوعاة
١٣٤ نفح الطيب ٤: ٦-١٨ بروكلمن ١: ١٣٩-١٤٠، الملحق ١: ١٢٠٣ نيكل ٤٦-
٤٧، مختارات نيكل ٣٤-١٣٥ الأعلام للزركلي ٦: ٣١٢ (٨٢).

ابن جليل

١- هو أبو أيوب أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جليل، يبدو أنه وُلِدَ في قرطبة سنة ٣٢٢ (٩٣٤ م).

بدأ ابن جليل تلقى العلم باكراً، قال هو في العاشرة من عمره، فسمع الحديث من أبي حنبلٍ وهب بن مسرة (ت ٣٤٦) وأبي بكرٍ أحمد بن الفضل الدينوري (ت ٣٤٩ هـ) ومحمد بن هلال وإسحاق بن إبراهيم ومن أحمد بن سعيد الصدقي النجالي (٢٧٤-٣٥٠ هـ) والأسعد بن عبد الوارث. وأخذ النحو عن محمد بن يحيى الرباحي (ت ٣٥٨ هـ) قرأ عليه كتاب سيبويه في سنة ٣٥٨ نفسها. غير أن ابن جليل عُني بالطب خاصة وبلغ منه الغاية وهو لا يزال في مطلع شبابه. إلا أن شهرته تأخرت كثيراً حتى أصبح طبيباً للخليفة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩ هـ).

ولعل وفاة ابن جليل كانت سنة ٣٨٥ (٩٩٥ م).

٢- يبدو أن ابن جليل قد عُني بعدد من فنون المعرفة. ومع أنه اهتم بعلم الطب خاصة، فالواضح أنه كان أقدر على التأليف منه على التطبيق. له من الكتب: تفسير أسئلة الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس (العين زربي)- مقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتاب صناعة الطب- مقالة في أدوية الترياق- رسالة التبيين فيها غلط فيه بعض المتطببين- طبقات الأطباء والحكام (ألفه سنة ٣٧٧).

٣- مختارات من آثاره

- مقدمة كتاب «طبقات الأطباء والحكام» لابن جليل، ثم خاتمه^(١):

سألت، أيها الشريف الأديب^(٢)، أن أكتب إليك يا تاذي إلي علمه، مما

(١) ص ٤-٥ ص ١١٦- هذه الترجمة ومعظم حواشي المختارات مأخوذة من طبعة مؤد سيد لكتاب «طبقات الأطباء والحكام».

(٢) لم يسم ابن جليل «الشريف» الذي ألف هذا الكتاب برسمه وقدمه إليه، وإن كان المسموح أنه أحد أبناء الخلفاء المرصين في الأندلس.

تَصَفَّحْتُ مِنْ كُتُبِ الْمَاضِيْنَ وَبَيَّرِ الْمُتَقَدِّمِينَ، عَنْ أَوَّلِ مَنْ وَضَعَ صِنَاعَةَ الطِّبِّ وَتَكَلَّمَ فِيهَا فِي بَنَةِ الزَّمَانِ وَقَبْلَ الطُّوفَانِ وَبَعْدَهُ، وَفِي أَيِّ زَمَانٍ كَانَ كُلُّ مَتَكَلَّمٍ فِيهِ مِمَّنْ شَنَعَ اسْمَهُ وَفَنَّا ذِكْرَهُ^(١) وَصَحَّتْ بَرَاعَتُهُ وَتَمَّتْ حِكْمَتُهُ وَخَلَدَ عِلْمًا نَافِعًا وَذُكِّرَ بَاقِيًا.

وَذَكَرْتُ أَنَّكَ لَمْ تَرَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي ذَلِكَ كِتَابًا مَرْضِيًّا وَلَا كَلَامًا مُقْنِعًا مُشَبَّعًا، فَصَادَفَتْ بَنِي نَاشِطًا إِلَى تَقْيِيدِ مَا سَأَلْتَ وَرَغِبْتَ، إِذْ كَانَ عِنْدِي مَا رَجَوْتُ أَنْ أَحْسِمَ بِهِ عَنْكَ الشُّبُهَةَ وَأُبَلِّغَكَ مِنْ ذَلِكَ الْغَايَةَ^(٢)، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَمَّا رَجَوْتُ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ مِنْ إِحْيَا ذِكْرٍ قَوْمٍ قَدْ دَرَسَ ذِكْرُهُمْ وَأَمَحَى أَثَرُهُمْ. وَلَمْ أَصِلْ، أَنِّي الشَّرِيفُ، إِلَى عِلْمٍ مَا قَيَّدْتُهُ لَكَ فِي رِسَالَتِي هَذِهِ إِلَّا بَعْدَ النَّظَرِ وَالبَحْثِ لِلْكِتَابِ الْقَدِيمَةِ كَكِتَابِ الْأُلُوفِ لِأَبِي مَغْسَرِ النُّجْمِ^(٣) وَكِتَابِ هَرُوسِيَشِ صَاحِبِ الْقِصَصِ^(٤) وَكِتَابِ التَّرَوَانَةِ لِيُروَمَ التَّرْجُمَانِ^(٥) وَكَأَخْبَارِ رَأْيَتِهَا لِحُكَمَاءِ الْيُونَانِيَةِ أَسْتَدَلَّتْ بِهَا عَلَى مَكَانٍ كُلِّ حَكِيمٍ مِنْهُمْ وَدَرَجَتِهِ وَفِي دَوْلَةٍ مِنْ كَانَ مِنَ الْمُلُوكِ.

فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى عِلْمِ ذَلِكَ - وَكَانَ السَّبَبُ فِي تَأْلِيْفِي هَذَا الْكِتَابَ تَحْرِيكًا لِي - لَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي عُذْرًا فِي التَّخَلُّفِ عَنْ إِسْعَافِكَ فِيمَا سَأَلْتَهُ وَرَغِبْتَهُ. فَقَيَّدْتُ ذَلِكَ وَوَجَّهْتُ بِهِ إِلَيْكَ. فَكُنْ بِهِ سَعِيدًا، وَمِنْ اللَّهِ مُوَفَّقًا رَشِيدًا. فَقَدْ نَحَلْتُكَ بَارِيكَ بِبَيْخَلَةٍ^(٦) مِنَ الْعُلَمَاءِ فَصَلَّيْتُ بِهَا مِنْ دَوِيِّ الْجَمْرِ النَاقِصَةِ الْمُظْلِمَةِ، كَمَا قَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِنْجِيلِ

(١) شَنَعَ (كَذَّبَ فِي الْأَصْلِ). وَالْمَقْصُودُ «شَاعَ». فَنَّا ذِكْرَهُ: ائْتَرَّ صِيَتَهُ.

(٢) حَسْمُ الشُّبُهَةِ: بَيِّنَ الْأَمْرَ الْمُخْتَلَفَ فِيهِ، رَدَّ الْبَاحِثَ إِلَى الْيَقِينِ. بَلَّغَ الْغَايَةَ: مَنَهَى مَا يَهْلِكُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ (مِنْ الصَّوَابِ).

(٣) أَبُو مَغْسَرِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَلَاسْكِيَّ (ت ٢٧٢ هـ) لَهُ كِتَابُ الْأُلُوفِ فِي بَيِّنَاتِ الْبَهَادَاتِ (فِيهِ ذِكْرُ الْهَيَاكِلِ وَالْبَنِيَانِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَحْدُثُ بَنَآؤُهَا فِي الْعَالَمِ فِي كُلِّ أَلْفِ عَامٍ).

(٤) هَرُوسِيَشِ أَوْ بَاوُلُوسُ أَوُرُوسِيُوسُ مُؤَرِّخٌ إِسْبَانِي عَاشَ فِي الْقَرْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ الْمِيلَادِيَيْنِ. وَكِتَابُ الْقِصَصِ كِتَابٌ فِي تَارِيخِ الْبُرُومِ فِي الْمَصُورِ الْقَدِيمَةِ.

(٥) الْقُدَّيسُ يَروَمَ (جِيروم) أَحَدُ عُلَمَاءِ الْكَنِيسَةِ فِي عَصَرِهِ (ت ٤٢٠ هـ) لَهُ كِتَابُ تَرُونِيضًا أَوْ «حَوَالِيَاتٍ» (كِتَابُ تَارِيخٍ مَرْتَّبٍ عَلَى السَّنِينَ).

(٦) نَحَلْتُكَ (وَهَبْتُكَ) (بَارِيكَ: خَالِقُكَ).....

الطاهر: كلَّ نَحْلَةٍ يُوهِبُهَا الشَّخْصُ مِنَ الْعَقْلِ قَبِيَّ نازِلَةً مِنْ بَابِ النُّورِ مِنَ الْعَلَاءِ^(١).
فاشكر الله على مَوْهَبَتِهِ، وَجَدَّه على نَحْلَتِهِ، واضرَعْ إليه في الاستزادة من فضله
فَالْعَوْنُ مِنْهُ وَهوَ لَا شَرِيكَ لَهُ.....

.... قد ذكرتُ، أُنْهَا الشَّرِيفُ، مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمِي وَبَلَغَهُ إدْرَاكِي مِنْ وَصْفِ
الحُكْمَاءِ وَالْأَطْبَاءِ الْمَشْهُورِينَ غَيْرِ الْمَشْكُوكِ فِيهِمْ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الزَّمَانِ
الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَهُوَ زَمَنُ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ بِحُوزَةِ الْأَنْدَلُسِ^(٢). وَذَكَرْنَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالشَّرْقِ
وَالْمَغْرِبِ. وَلَمْ نَذْكُرْ مَنْ كَانَ بِالشَّرْقِ مَشْهُورًا- مِنْ لَدُنْ دَوْلَةِ الرَّاضِي إِلَى أَهَامِ الطَّائِعِ
لَهُ^(٣)- إِذْ لَمْ تَكُنْ حُوزَتَنَا وَلَا جِهَتُنَا، وَلَا ظَهَرَ رَجُلٌ بَارِعٌ فِي تِلْكَ الدُّوَلِ فَيَكُونُ
مَعْرُوفًا بِرِثَاسَتِهِ وَمَشْهُورًا بِإِحْسَانِهِ مَعَ تَرَاحِي تِلْكَ الدُّوَلِ بِمَا دَخَلَ فِيهَا مِنْ مُلْكِ
الدِّيَلَمِ وَالْأَتْرَاقِ الَّذِينَ لَا نَفَاقَ^(٤) لَشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ. وَإِنَّا بِنَظَرِ الْحُكْمَاءِ بِظُهُورِ
دُولِ الْمُلُوكِ الطَّالِبِينَ لِلْحِكْمَةِ. وَاقْتَصَرْنَا عَلَى مَنْ عَرَفْنَا بِنَاحِيَّتِنَا بِالْأَنْدَلُسِ إِذْ كَانُوا
مَشْهُورِينَ مَعْرُوفِينَ ظَاهِرِينَ فِي دُولِ أَيْمَةِ الْعِلْمِ طَالِبِينَ وَعَنِ الْحِكْمَةِ بَاحْثِينَ، مُلُوكِ
أَهْنَاءِ مُلُوكِ^(٥). وَاقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِ الْمَشْهُورِينَ الظَّاهِرِينَ الْخَادِمِينَ، وَأَضْرَبْنَا عَنْ ذِكْرِ
مَنْ كَانَ فِي زَمَانِهِمْ يَمِينٌ لَمْ يُؤَازِرْهُمْ وَلَا حَلَّ مَحِلَّهُمْ، إِذْ لَمْ يَكُونُوا فِي اتِّسَاعِ الذِّكْرِ مِثْلَ
هَؤُلَاءِ. وَوَصَفْتُ صِفَاتِهِمْ وَأَقْدَارَهُمْ وَمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنَ النُّوَادِرِ وَالْأَخْيَارِ. وَاقْتَصَرْنَا
عَلَى قَلِيلٍ مِنْ كَثِيرٍ لِئَلَّا يَمَلُّ قَارِئُهُ وَلِيَسَهَّلَ عَلَى النَّاسِ حِفْظَهُ. وَالْكَلَامُ إِذَا طَالَ
ثَقُلَ. وَحَسَبْنَا أَنْ نَبْهِنَا وَأَنْبَانَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِأَحْسَنِ وَأَخَفِّ.....

٤- طبقات الأطباء والحكماء (بتحقيق فؤاد سيّد)، القاهرة (مطبوعات المعهد الفرنسي

-
- (١) ترد في المصادر العربية أعداد (جلى) من التوراة ومن الإنجيل مختلفة كثيراً أو قليلاً أو غير معروفة
في التوراة والأنجيل الموجودة بأيدي الناس.
(٢) المؤيد بالله: هشام الثاني بن الحكم (عاشر خلفاء الأندلس ٣٦٦-٣٩٩ هـ). حوزة الأندلس (ناحية
الأندلس، ملك الأندلس).
(٣) الراضي بالله المكي (٣٢٢-٣٢٩ هـ) والطائع لله المكي (٣٦٢-٣٨١ هـ).
(٤) النفاق (بفتح النون): الرواج، الانتشار، الاقبال على الأشياء.
(٥) ملوك أبناء ملوك (كذا في الأصل)، والأصوب «ملوكاً أبناء ملوك».

للآثار الشرقية: نصوص ونقول لثلاثين مشاورة، رقم ١٠)، القاهرة (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية) ١٩٥٥م بغداد مكتبة المنشي.

* * جذوة المقتبس ٢٠٨ (الدار المصرية) ٢٢٥ (رقم ٤٥٣)، بغية الملتبس ٢٨٥ (رقم ٧٦٧)، وفيات الأعيان ١٦٠:٥ (نقول عنه)، طبقات الأطباء ١: ٢١، ٢٧، ٢٨، ٤٩، ٥٤، ٧٧، ٨٠ (نقول عنه لا ترجمة له)، القفطي ١٩٠: دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٥٥-٧٥٦، تاريخ الفكر الأندلسي ١٤٦٥ بروكلمن ١: ٢٧٢، الملحق ١: ٤٢٢، الأعلام للزركلي (١٩٧٩) ٣: ١٢٣.

ابن أبي زيد القيرواني

١- هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني التنفزي، نسبة إلى قبيلة نَفْزَة أو نَفْزَاوَة، وكُلِّد في القيروان سنة ٣١٠ (٩٢٢-٩٢٣م) وتسلم على أبي بكر محمد بن أحمد بن اللباد (ت ٣٣٣) وعلى غيره.

رَحَلَ ابنُ أبي زيد إلى المشرق وحجَّ وسَمِعَ من جماعة من العلماء ثم عاد إلى القيروان وقضى فيها مُعْظَمَ حياته. ولقد عانى عُنَّةً شديدة من الدولة العبّيدية (الفاطمية، الإسماعيلية) التي سادت في المَغْرِبِ (٢٩٧-٣٦٢ هـ). وكانت وفاته في ٣٠ شَعْبَانَ من سنة ٣٨٦ (١٧ / ١١ / ٩٩٦م).

٢- كان ابنُ أبي زيد إمامَ علماء القيروان في زمانه، وهو الذي لَخَّصَ المذهبَ المالكيَّ فَسَهَّلَ بذلك انتشاره فأصبح هو يُعْرَفُ بِلقب «مالك الأصغر». ثم هو مُصَنَّفٌ أكثرُ له من الكتب: الرسالة (في الفقه) - كتاب النوادر (جمع فيه ما في أُمّهات كتب الفقه على المذاهب المختلفة من المسائل ومن أقوال الفقهاء واختلافهم) - مناسك الحج - السنن - العقيدة - مختصر المدونة - الأمر والاقتداء - النّهْيُ عن الشذوذ عن العلماء - إيجاب الائتمام بأهل المدينة - مسألة النكاح بغير بينة - الذَّبُّ (الدفاع) عن مذهب مالك - الدعاء - تفسير مسألة الأعيان في الخمس - أحكام المعلمين والمتعلمين - الجامع في السنن والأدب في الرق - جملة

مختصرة من واجب أوامر الدين - باكورة السد - بديعية^(١). وكان له شعر عادي،
بعضه شعر ديني (بديعيات: شعر في مدح محمد رسول الله).

٣- مختارات من آثاره

- كَتَبَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ إِلَى مُحَرَّرِ بْنِ خَلْفٍ التُّونِسِيِّ رِسَالَةً فِي تَعْلِيمِ الْوُلَدَانِ أُمُورَ
الدِّينَانِ، جَاءَ فِي مَطْلَعِهَا:

أَمَّا بَعْدُ- أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى رِعَايَةِ وَدَائِمِهِ وَحِفْظِ مَا أَوْدَعْنَا مِنْ شَرَائِعِهِ-
فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّينَانِ تَمَّا تَنْطَلِقُ بِهِ
الْأَلْسِنَةُ وَتَعْتَقِدُهُ الْقُلُوبُ وَتَعْمَلُهُ الْجَوَارِحُ (مَعَ) شَيْءٍ مِنَ الْأَدَابِ مِنْهَا وَجُمْلَةٍ مِنْ
أَصُولِ الْفِقْهِ وَفَنُونِهِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. (ذلك) لَا
رَغَبْتَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ لِلْوُلَدَانِ كَمَا تُعَلِّمُهُمْ حُرُوفَ الْقُرْآنِ لِيَسْبِقَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ
فَهْمِ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ مَا تُرْجَى لَهُمْ بَرَكَتُهُ وَتُحَمَّدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ. فَأَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ لَا
رَجَوْتُهُ لِنَفْسِي وَلَكِنْ مِنْ ثَوَابِ مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ.

وَأَعْلَمْتُ أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ أَوْعَاها لِلْخَيْرِ، وَأَرْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرَّ
إِلَيْهِ. وَأَوَّلَى مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ وَرَغِبَ فِي أَجْرِ الرَّاغِبِينَ إِيصَالُ الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ
أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْتَحَّ فِيهَا، وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَى مَعَالِمِ الدِّينَانِ وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ لِيُرَاضُوا
عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ تَعْلِيمَ الشَّيْءِ فِي الصِّغَرِ كَالنَّفْسِ فِي الْحَجَرِ. وَقَدْ مَثَلْتُ لَكَ مِنْ
ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِحِفْظِهِ، وَيَسْرُقُونَ بَعْلَمَهُ، وَيَسْتَعْدُونَ بِاعْتِقَادِهِ وَالْعَمَلِ
بِهِ.....

٤- الرسالة، فاس بلا تاريخ، القاهرة بلا تاريخ، تم القاهرة ١٣٣٨ هـ (نشرها رسل
وسهروردي مع ترجمة إلى الإنكليزية)، لندن ١٩٠٦ م، (نشرها؟ فانيان في مجموعة أشرف
عليها أستاذة مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس، مع ترجمة فرنسية)، باريس
١٩١٤ م.

(١) راجع في كتبه فهرسة ابن خبير ٢٤٦-٢٤٧، مقدمة ابن خلدون ٨٠٧-١١٠٤٣، بروكسل ١٩١٤-١٨٧
١٨٨، الملحق: ١-٣٠١-٣٠٢.

* * الديباج المذهب ١٣٦-١٣٨ وفيات ابن تقي الدين ١٢٢١ شذرات الذهب ٣: ١٣١ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٦٩٥ بروكلمن ١: ١٨٧-١٨٨، الملحق ١: ٣٠١-٣٠٢ الأعلام للزركلي ٤: ٢٣٠-٢٣١ (سقط من الطبعة الرابعة ١٩٧٩) المجلد في تاريخ الأدب التونسي ١٠٦.

يحيى بن هذيل القرطبي الكفيف

١- هو أبو بكر يحيى بن هذيل بن الحكم بن عبد الملك بن اسماعيل التميمي القرطبي الكفيف، كان مولده نحو سنة ٣٠٠ (٩١٢-٩١٣ م). سَمِعَ الحديثَ من أحمدَ ابنِ غالبٍ، وأخذَ عن ابنِ القوطية (ت ٣٦٧ هـ). وقَدِمَ يحيى بن هذيل إلى المشرق (شرق الأندلس!) فأخذَ عنه الرُّماديُّ الشاعرُ (ت ٤٠٣ هـ) وغيره (معجم الأدباء ٢٠: ٣٩). وكانت وفاة يحيى بن هذيل سنة ٣٨٩ (٩٩٩ م)^(١).

٢- كان يحيى بن هذيل من أهل العلم والأدب والشعر ذا بديهة- قيل فيه: عالم أدبه الأندلس (نفع الطب ٤: ٣٦)- ولكن غلبَ عليه الشعرُ. وشعره جيدٌ رائقٌ تكثرُ فيه المقطعاتُ الوجدانيةُ في النسيبِ والحكمة.

٣- مختارات من شعره

- لأبي بكر يحيى بن هذيل مقطعات منها:

لا تَلْهِنِي عَلَى الْوَقُوفِ بِدَارٍ أَهْلُهَا صَبَرُوا السَّقَامَ ضَجِيجِي^(٢):

جَعَلُوا لِي إِلَى هَوَاهُمْ سَبِيلاً ثُمَّ سَدَّوْا عَلَيَّ بَابَ الرُّجُوعِ!

- وقال في النسيب أيضاً:

شَاهَدْتُهُمْ وَأَنَا أَخَافُ عِناقَهُمْ شُحّاً عَلَى أَجْسامِهِمْ أَنْ تُحَرِّقَا^(٣):

فَتَرَكْتُ حَظِّي مِنْ دُنُوِّي مِنْهُمْ! وَمِنَ الْوَفَاءِ بَأَنْ تُحِبَّ وَتَصْدُقَا.

(١) من نكت الحسان ومعجم الأدباء. وفي معجم الأدباء أيضاً: وقد جاوز التسعين. وفي جذوة القنيس ووفيات الأعيان: توفي سنة ٣٥٦ أو ٣٥٨ وهو ابن ستّ وعشرين سنة.

(٢) الوقوف بدار: الوقوف في مكان كان يسكنه الأحبة.

(٣) شحاً: بخل، ضناً. - أخاف إن دنوت منهم (اقتربت إليهم) لأعاقبهم أن يهتروا من شدة نار حبي.

وأقلُّ فِطلي يومَ بانوا أنِّي قبلت أنارَ المطيِّ تشوُّعا^(١)
ولَوْ أَنَّ عُدْرَةَ شاهدتُ من مَوْفِي شيئاً لحدَرها بالآ تشفعا^(٢)

- في نفع الطيب (٣: ١٥٣ - ١٥٤): قال الحميدي: أنشد بحضرة بعض ملوك الأندلس قطعة لبعض أهل المشرق، وهي:

وماذا عليهم لو أجابوا فلتوا، وقد علموا أني المشوق النسيم^(٣)
سروا ونجوم الليل زهر طوالع، على أنهم بالليل للناس أنجم^(٤)
وأخفوا على تلك المطايا سيرهم فتم عليها في الظلام التيسم^(٥)
فأفرط بعض الحاضرين في استخسانها، وقال: هذا ما لا يقدر أندلسي على مثله،
وبالحضرة أبو بكر يحيى بن هذيل فقال بديها:

عرفت برزق الرمح أن تيموا، وأين استقل الطاعنون وخيموا^(٦)
خليلي، ردائي إلى جانب الحمى، فلت إلى غير الجسمي أتيم^(٧)
أبيت سير الفرقدن كأنها وسادي قتاد أو ضجيمي أرقم^(٨)
وأخوز وسان الجفون كأنه قضيب من الريحان لذن منم^(٩)

- (١) بأنوا: اهتمدوا، رحلوا. المطي جمع مطية: الراحة، الدابة التي يسافر الناس عليها.
(٢) عُدْرَة = بنو عُدْرَة. بنو عُدْرَة قبيلة كانت تسكن في بادية الحجاز اشتهر أفرادها بالحب، وبأن أحدهم كان إذا أحب ترك طعامه وشرابه ونومه ورتبته من شدة حبه. يقول الشاعر: لو أن بني عُدْرَة شاهدوا أثر الحب في أنا لتركوا هم الحب عوفاً من نتائجه على الحب.
(٣) المشوق: المشتاق. الحب: التيم: الذي ذلّه الحب وأضناه (أنغمه وأمرضه).
(٤) سري: سار ليلاً. زهر: لاسمت (لشدة ظلام الليل). طوالع: عاليات في كيد السوء (في نصف الليل).
(٥) المطية: الدابة التي يسافر الناس عليها - سافروا على تلك المطايا في منتصف الليل حتى يمتدوا صبرهم (سفرهم) عن الحب.
(٦) العرف: الرائحة الطيبة. تيم: قصد، اتجه. وأين استقل = ومن أين استقل (بدأ السفر، نهض من مكانه ليسير). الطاعن: المسافر. خيم: نزل، نصب خيامه ليسكن.
(٧) أبيت: أضني الليل. سير الفرقدن: سافراً مع الفرقدن. الفرقدن: النجم القلبي (وهو نجم مزدوج يتألف من نجمين) وهو لا يهيب أبداً - يقصد الشاعر أن الحب يجعله يسهر الليل كله فلا ينام أبداً.
(٨) المحور (بفتح ففتح) شدة بياض بياض العين وشدة سواد سوادها. وسان الجفون: ناعس العينين. الريحان: نبت له رائحة طيبة. لدن: طري. التيم: الذي لا يكتفاه أهله أهماً لا متعبة، ولذلك يظل جسمه ليناً ناعماً مشوقاً.

نظرتُ إلى أجناسِهِ وإلى الهوى فأهقنتُ أني لستُ مِنْهُنَّ أَسْلَمُ^(١).
- قال يحيى بن هذيل القرطبي في المباهاة ببناء القبور:

أرى أهل الثراء إذا تَوَقَّوْا بَنَوْا تلك المراسيد بالصخور^(٢).
أَبَوْا إِلَّا مُبَاهَاةً وَفَخْرًا على الفقراء حتَّى بالقبور.
عَجِبْتُ لِمَنْ تَأْتَقَى فِي بَنَاءِ أَمِينًا مِنْ تَصَاريفِ الدهور،
أَلَمْ يَبْصُرْ بِمَا قَدْ خَرَّبَتْهُ الدَّ هَوْرٌ مِنَ المَدَائِنِ والقصور^(٣)؟
وَأَقْوَامٍ مَضَوْا قَوْمًا فَقَوْمًا وَصَارَ صَغِيرُهُمْ إِنْثَرُ الكَبِيرِ^(٤)؟
لَعَنُرُ أَبِيهِمْ، لَوْ أَبْصَرُوهُمْ لَمَا عَرَفُوا الْغَنِيَّ مِنَ الْفَقِيرِ،
وَلَا عَرَفُوا الْعَبِيدَ مِنَ الْمَوَالِي، وَلَا عَرَفُوا الْإِنَاثَ مِنَ الذَّكَوْرِ^(٥).
إِذَا أَكَلَ الثَّرَى هَذَا وَهَذَا فَمَا فَضْلُ الْجَلِيلِ عَلَى الْخَفِيرِ؟

٤- * * * القتبس (الحجّي- بيروت) ٢٠٥-١٢٠٦ ابن الفرضي ٢: ١٩٣ (رقم ١٦٠٢)،
جنوة القتبس ٣٥٨-٣٥٩ (رقم ٩٠٧) (الدار المصرية) ٣٨٠-٣٨١ (رقم
٩٠٨) بغية الملتبس ٤٩٥-٤٩٦ (رقم ١٤٩٥) ١ معجم الأدياء ٢٠: ٣٩-١٤٠
نكت الميهان ٣٠٧-١٣٠٨ وفيات الأعيان ٤: ٣٦٩، ٧: ٢٢٩ نفع الطيب ٣:
٧٣-٧٤، ١٥٣، ٤: ١٣٦ نيكل ٦٠-٦١، مختارات نيكل ٤٠-١٤١ الأعلام
للزركلي ٩: ٢٢٢-٢٢٣ (٨: ١٧٥-١٧٦).

-
- (١) مِنْهُنَّ = من أجناسه.
(٢) المرصد: مكان رصد النجوم (المكان المرتفع)، يقصد: بنوا (بفتح النون) قبورهم عالية مشرفة (ليراها الناس).
(٣) بصر (بفتح ضمّ) به: علم، أدرك.
(٤) صار: انتهى إلى مصيره.
(٥) المولى: السيد.

أبو القاسم بن العريف القرطبي

١- هو أبو القاسم الحسين بن الوليد بن نصر المعروف بابن العريف النحوي. أخذ ابن العريف النحوي عن ابن القوطية (ت ٣٦٧). ثم أتته رحل إلى المشرق فأقام في بصر مدّة سَمَحَ في أثنائها من الحافظ ابن رشيقي ومن أبي طاهر الذهلي وغيرهما. بعدئذ عاد إلى الأندلس فجعله المنصور بن أبي عامر مؤدّباً لأولاده. وكان بين ابن العريف وبين أبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩) وصاعد البغدادي (ت ٤١٧ هـ) وغيرها مناظرات كان المنصور بن أبي عامر يحضرها. ولكن المناظرات بين صاعدي وابن العريف اشتدت فانتقلت منافسة فعداوة (أنظر مختارات من شعره). وكانت وفاة أبي القاسم بن العريف في طليطلة، في رَجَب من سنة ٣٩٠ (أواسط ١٠٠٠ م).

٢- كان أبو القاسم بن العريف أديباً وإماماً في العربية (النحو)، عارفاً بصنوف الآداب وشاعراً رقيقاً مقتدرًا في تقليد أساليب الشعراء (على ما ترى في المختارات، وإن كنت لم أجِدْ له في المصادر التي بين يدي شعراً أصيلاً واضح النسبة إليه). وكانت له مصنّعات منها: كتاب في النحو - كتاب شرح الجمل (للزجاج) - كتب الرد على أبي جعفر النحاس في كتابه «الكافي» - رسالة في إعراب قولهم: إن الضارب الشام والده كان زيدا (يستقصي فيها ثمانية وثلاثين وجهاً!) - معاني الحروف وأقسامها (فهرسة ابن خير ٣٢٠).

٣- مختارات من شعره

- لما قال صاعد البغدادي في مجلس المنصور بن أبي عامر يصف ورده:

أنتك، أبا عامر، وردةٌ يُذكرُكَ المِثْكَ أنفاسُها
كَمَدْرَاهُ أَبْصَرَها مُبْعِرٌ ففطنتُ بِأَكْثَمِها^(١) رأسُها

زعم ابن العريف أن صاعداً سرق الأبيات من العباس بن الأحنف ثم ادعى أنه رأى تيمّة لها في كتاب قديم في بيته. زعم ابن العريف أن الأبيات هي:

(١) أكام جمع كم (بالهمزة): الأوراق الخضراء التي تغطي الزهرة قبل أن تتفتح الزهرة.

غَسَدَتْ إِلَى قَصْرِ عَبَّاسٍ، وَقَدْ جَدَلْتُ النَّوْمَ حُرَّاسَهَا^(١)،
فَالْتَبَيْتُهَا - وَهِيَ فِي خَيْرِهَا - وَقَدْ صَدَّغَ السُّكْرُ أُنَاسَهَا^(٢)،
فَقَالَتْ: «أَسِرْتُ عَلَى هَجْعَةٍ؟» فَقُلْتُ: «بَلَى!» فَرَمَتْ كَاسَهَا^(٣)،
وَمَدَّتْ يَدَيْتَهَا إِلَى وَرْدَةٍ يُحَاكِي لَكَ الطَّيْبُ أَتْفَاسَهَا،
كَمَنْدَرَاهُ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فَطَلْتُ بِأَكْبَاسِهَا رَاسَهَا،
وَقَالَتْ: «خَفِ اللَّهَ، لَا تَفْضَحَنَّ فِي أَبْنَةِ عَمِّكَ عَبَّاسَهَا^(٤)»،
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا عَلَى خَجَلَةٍ وَمَا خِشْتُ نَاسِي وَلَا نَاسَهَا.

٤- * * ابن الغرضي ١: ١٣٤-١٣٥ (رقم ٣٥٦) ١ جذوة القنيس ١٨٢-١٨٣ (الدار المصرية) ١٩٤-١٩٥ (رقم ٣٧٧) ١ بغية الملتمس ٢٥١-٢٥٢ (رقم ٦٥٥) ١ معجم الأدياء ١٠: ١٨٢-١٩١ بغية الوعاة ٢٣٧-٢٣٨ البغية ٧١-٧٢ نفع الطيب ١: ٥٨٢-٥٨٤ ٣: ٧٧-٧٨ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٧١٣ الأعلام للزركلي ٢: ٢٨٧ (٢٦١).

المنصور بن أبي عامر

١- هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن الوليد بن يزيد ابن عبد الملك المفايري القحطاني (من عرب الجنوب)، وأمه أم عبد الله بريمة بنت يحيى بن زكريا التميمية (من عرب الشمال) من بني برطال في قرطبة. وكان عبد الملك المفايري هو الذي دَخَلَ الأندلسَ مع طارق بن زياد ثم سَكَنَ بلدة طُرُشَ في الجزيرة الخضراء (جنوبي الأندلس) حيث أقام لنفسه أسرة وجبهة قوية. وأما أبو حفص عبد الله (والد المنصور بن أبي عامر) فكان معروفاً بالتقوى والعلم وبالزهد في مناصب الدولة، وقد مات عند طرابلس الغرب، في أثناء رجوعه من الحج، في أواخر أيام عبد الرحمن الناصر (ت ٣٥٠).

وأما المنصور بن أبي عامر نفسه فقد وُلِدَ (في طُرُش) سنة ٣٢٦ (٩٣٧-٩٣٨ م).

- (١) جَدَلْتُ: صرع (ألقى بالحجم أرضاً)، قتل. غدا: ذهب في الصباح.
- (٢) صَدَّغَ: غدغ الفتاة في البيت. صَدَّغَ السُّكْرُ أُنَاسَهَا (ندامها، التي يؤانسوها): أقدمهم وعيهم.
- (٣) أَسِرْتُ على هَجْعَةٍ: هل جئت إلينا والتمس حولي نيام؟
- (٤) عَبَّاسٍ (بالفتح) جمع عَبَّاسٍ (بالفتح): عاذل، غاضب، خصم.

ولما شَبَّ قَدِيمٌ إِلَى قُرْطُبَةَ طَلَباً لِلْعِلْمِ فَتَلَقَّى اللُّغَةَ عَلَى أَيْ عِلِّيِّ الْبَغْدَادِيِّ الْقَالِي (ت ٣٥٦) وَأَيُّ بَكْرِ بْنِ الْقَوَاطِيَةِ (ت ٣٦٧)، كَمَا سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَيْ بَكْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُرَشِيِّ. ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَيْ عَامِرٍ أَصْبَحَ كَاتِباً لَدَى الْقَاضِي أَيْ بَكْرِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ السَّكِيمِ (٣٠٦ - ٣٦٧ هـ).

وَفِي سَنَةِ ٣٥٦ (٩٦٧ م) عَهَدَ الْحَكَمُ الْمُسْتَنْصِرُ إِلَى ابْنِ أَيْ عَامِرٍ بِجَمِيعِ شُؤُونِ ابْنِهِ الْأَمِيرِ هِشَامٍ وَجَعَلَهُ نَاطِراً عَلَى أَمْلَاقِ زَوْجَتِهِ صُبْحٍ^(١). وَفِي سَنَةِ ٣٥٨ أَصْبَحَ قَاضِياً لِلجُنْدِ فِي إِشْبِيلِيَّةٍ وَلَبَّلَهُ ثُمَّ (٣٦١ هـ) أَصْبَحَ صَاحِبَ الشَّرْطَةِ. وَقَدْ اسْتَطَاعَ ابْنُ أَيْ عَامِرٍ بِلِقَاقَتِهِ وَدَهَائِهِ وَكَرَمِهِ أَنْ يَنَالَ حَظَوَهُ لَدَى أَهْلِ الْبِلَاطِ جَمِيعِهِمْ.

وَلَمَّا مَاتَ الْحَكَمُ الْمُسْتَنْصِرُ بُويعَ لِهَشَامٍ بِالْخِلَافَةِ، فِي رَابِعِ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٣٦٦ (١٢ / ٩٦٧ م)، وَلُقِّبَ «الْمُؤَيَّد»، قَبْلَ أَنْ تَتِمَّ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَقَامَتْ أُمُّهُ صُبْحُ نَفْسَهَا وَصِيَّةً عَلَيْهِ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جَمَعَ هِشَامُ خِطَطَ الشَّرْطَةِ الْوُسْطَى وَالْيَكِيَّةِ وَالْمَوَارِيثِ لِابْنِ أَيْ عَامِرٍ. وَفِي عَاشِرِ صَفَرٍ جَعَلَ هِشَامُ الْحِجَابَةَ (رِئَاسَةَ الْوِزَارَةِ) لِمُجَمَّرِ بْنِ عَثَانَ الْمُصْحَفِيِّ (رَاجِعْ، فَوْقَ، ص ٢٩٤) وَجَعَلَ ابْنَ أَيْ عَامِرٍ وَزِيْراً لِلْمُصْحَفِيِّ.

وَفِي سَنَةِ ٣٦٦ نَفْسِهَا كَثُرَ الاضطرابُ فِي أَقَاصِي الْأَنْدَلُسِ وَخِيفَ مِنْ هُجُومِ النَّصَارَى عَلَى شِمَالِي الْأَنْدَلُسِ، فَعَقَدَتْ صُبْحُ مَجْلِساً ضَمَّ رِجَالَ الدَّوْلَةِ وَفِيهِمْ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّفَلِيِّ - وَكَانَ قَائِداً قَدِيراً تَوَلَّى الْجَيْشَ وَالْفَرَاقَاتِ مِنْذَ أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ - وَجَمَعُوا ابْنَ عَثَانَ الْمُصْحَفِيِّ وَابْنَ أَيْ عَامِرٍ. فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ عَلَى وَجُوبِ تَجْهِيزِ جَيْشٍ كَبِيرٍ لِلْجِهَادِ، فَلَمْ يَجْزُ أَحَدٌ عَلَى الْقِيَامِ شَخْصياً بِالْحَرْبِ. فَتَقَدَّمَ ابْنُ أَيْ عَامِرٍ لَتَوَلَّى مِثْلَ هَذِهِ الْغَزْوَةِ. وَكَانَتْ صُبْحُ حَرِيصَةً عَلَى تَثْبِيتِ مَكَانَةٍ أَيْنَهَا بِكُلِّ سَبِيلٍ فَأَعْطَتْ ابْنَ أَيْ عَامِرٍ كُلَّ مَا طَلَبَهُ مِنْ مَالٍ وَجُنْدٍ. وَكَانَ ابْنُ أَيْ

(١) السَّيِّدَةُ صَبْحُ الْبَشْكِيَّةِ (مِنْ الْبَشْكِيَّةِ): سَكَانُ الطَّرْفِ الشِّمَالِيِّ الْغَرْبِيِّ مِنْ إِسْبَانِيَّةٍ) كَانَتْ زَوْجَ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ وَأُمُّ ابْنِهِ هِشَامٍ. وَكَانَ الْحَكَمُ يَسْمِيهَا «جَمْعاً» نَحْباً. كَانَتْ أَمْرَأَةً قَدِيرَةً. وَكَانَتْ - بِلَا رَيْبٍ - ذَاتَ أَثَرٍ كَبِيرٍ فِي رَفْعِ مَكَانَةِ ابْنِ أَيْ عَامِرٍ. وَفِي الرِّوَايَاتِ كَلَامٌ كَثِيرٌ عَلَى صِلَةِ صَبْحُ بَيْنَ ابْنِ أَيْ عَامِرٍ وَاخْتِلَافٍ أَكْثَرَ.

عامر داهية فجعل غالباً القائد الأعلى للجيش (حتى إذا هزم الجيش كان اللوم على غالب) وتولى هو القيادة الفعلية. وسار الجيش في رَجَب من سنة ٣٦٦ (آذار- مارس ٩٧٨ م). وانتصر ابنُ أي عامر نصراً عظيماً فزاد ذلك في مكانته عند الناس. وعند صُبح.

وفي أواخر تلك السنة نفسها أدرك ابنُ أي عامر مدى قوته ومدى ضعف مَنْ حوله فاستبدَّ بالأمر وحجَّب هشاماً فأصبح الحاكم الفعلي في الأندلس. ثم بدأ في التفكير بالتخلص من خصومه. وفي سنة ٣٦٨ للهجرة بدأ ببنائه مدينة الزاهرة، شرق قرطبة على النهر الأعظم (نهر الوادي الكبير) وجعلها مقراً له وعاصمة للأندلس (لأن الزهراء مقرُّ عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر كانت مقراً لحصومه السياسيين). وتم بنائه الزاهرة سنة ٣٧٠ هـ فانتقل ابنُ أي عامر إليها. وفي السنة التالية تلقَّب « المنصور » فأصبح يُعرف في التاريخ باسم المنصور بن أي عامر.

وقد دبر المنصور بنُ أي عامر مقتلَ نفر كثيرين كان يخشاهم على نفوذه الشخصي أو على الدولة المرَوانية في الأندلس: دبر مقتل غالب الصقلي (٣٧٠ هـ) والمُصنفي (٣٧٢ هـ) وجعفر بن علي بن حندون (٣٧٢ هـ) والشريف الحسني الإدريسي حَسَن بن قَنُون (٣٧٥ هـ) وكان في المغرب فجهز عليه جيشاً كبيراً. ولما استسلم حَسَن بن قَنُون للجيش أمر المنصور بحمله إلى قرطبة ثم دبر مقتله.

وقاد المنصور بنُ أي عامر حَسَن غزوة بنفیه (أو: غاني وخسین) كان مُظفراً فيها كلها، وبسط سلطان العرب في الأندلس بعد أن كان ذلك السلطان قد تراجع في شمالي البلاد وشرقيها. وضبط البلاد ضبطاً مُحكماً.

وكان المنصور بنُ أي عامر مُصاباً بالنفرس^(١). وقد توفّي في مدينة سالر، وهو راجع من الغزو، ليلة الاثنين لثلاث ليالٍ بقيت من رمضان في سنة ٣٩٢ (٨ / ٨ / ٨).

(١) النفرس: داء الملوك (مرض يحدث في مفاصل القدم) ويبدو أنه ناشئ عن تجمع الرواسب في مفاصل العظام. وسُمي داء الملوك (الأغنياء) لكثرة ترف هؤلاء في مأكلم ولإغلاصهم إلى الراحة فتكثر الرواسب في أجسامهم.

١٠٠٢ هـ) مَبْطُوناً^(١). وجاء في « تاريخ العرب » (المطول) للدكتور فيليب حتي^(٢):
« أما المؤرخُ الراهبُ الذي دَوَّنَ هذه الحادثة فقد علّق عليها بإيجازٍ مُعبراً عن شعورِ
نصارى إسبانيةٍ تجاهها فَكَتَبَ: في سَنَةِ ١٠٠٢ ماتَ المنصورُ فُدِّنَ في جَهَنَّمَ ».

٢- قال ابنُ خلدون: ومن الوزراء أولئك « الذين عَظُمَت آثارُهم وعَفَّت^(٣) على
الملوك أخبارُهم كالحجاجِ وبني المُهَلَّبِ والبرامكةِ وبني سَهْلِ بنِ ثَوْبَتِ وكاغورِ
الإخشيدِ وابنِ أبي عامرٍ وأمثالهم فغيرُ كثيرٍ الإلحاحُ بأبائهم والإشارة إلى أحوالهم
لانتظامهم في عِدادِ الملوك ».

وقد كان المنصورُ بنُ أبي عامرٍ من دُهاةِ العرب والحازمين في الأمور وذوي
الشجاعة والبأس. وكذلك كان قاسياً شديدَ القسوةِ في سبيلِ الحِفاظِ على الدولة وفي
سبيلِ نفسه أحياناً كثيرة. وكان له أيضاً أشياء متفرقة من النثر الحكيمِ ومن الشعر
المتين، وإن لم يكن على شعرهِ نضارةٌ ولا عُدوبةٌ لأنّه من شعرِ العلماء والفرسان.

٣- مختارات من آثاره

- لَمَّا غَضِبَ المنصورُ بنُ أبي عامرٍ على جَمْفَرِ المُصْحَفِيِّ وألفاه في السجن كتب
جَمْفَرُ إلى المنصورِ يتذلّلُ له وَيَعْرِضُ عليه نفسه ليكونَ مُؤَدِّباً لابْنَيْهِ عبدِ اللهِ وعبدِ
الملك. فقال المنصورُ:

« أَرَادَ (جَمْفَرُ) أَنْ يَسْتَجْلِيَنِي وَيُسْقِطَنِي عِنْدَ النَّاسِ، وقد عَهِدُوا مِنِّي بِبَابِي مُؤَمَّلاً
ثَمَ يَرَوْنَهُ اليَوْمَ بِدِهْلِيَزِي مُعَلَّماً ».

- وَعَلِمَ أَنَّ امْرَأَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ أُسِيرَةً مُنْذُ زَمَنٍ فِي كَنِيسَةٍ عِنْدَ غَرَسِيهِ مَلِكِ
البُسْكُنْسِ (برَغْمِ معاهدةٍ بَيْنَها تَقْضِي بِإِطْلَاقِ جَمِيعِ الأَسْرَى) فقال:

« كانَ قد عَاهَدَنِي أَلَّا يَبْقَى فِي أَرْضِي مَأْسُورَةٌ وَلَا مَأْسُورٌ وَلَوْ حَمَلْتَنِي فِي حَوَاصِلِها

(١) المَبْطُون: الذي يَشْتَكِي بطنه (انتفاخ بطنه من ماء أو نحوه).

(٢) تاريخ العرب لحَثِي (نقله إلى العربية أدورد جرجي وجيراثيل جيتور) بيروت ١٩٥١، ٣: ٦٣٥.

(٣) المَقْدَمَةُ (بيروت، مكتبة المَرْسَة، ١٩٦١) ص ٥٢.

النور. وقد بَلَّغَنِي، بعدُ، مُقامُ فَلَانَةِ الْمُسْلِمَةِ بِنْتُكَ الْكَنِيسَةِ. وَوَاللَّهِ، لَا أَنْتَهِي عَنْ أَرْضِهِ حَتَّى أَكْتَسِحَهَا .

- وقال يوماً: « إِنَّ الْمَلِكَ لَا يَنَامُ إِذَا نَامَتِ الرَّعِيَّةُ. وَلَوْ اسْتَوْفِيَتْ نَوْمِي لَمَا كَانَ فِي دُورِ هَذَا الْبَلَدِ الْعَظِيمِ عَيْنٌ نَائِمَةٌ . »

قال المنصورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ يُعَبِّرُ عَنْ طُموحه إِلَى الاستيلاء عَلَى الْمَشْرِقِ لِكُتْفِ الظُّلَمِ عَنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ:

مَنْعَ الْعَيْنِ أَنْ تَذُوقَ الْمَنَامَا حُبُّهَا أَنْ تَرَى الصُّفَا وَالْمَقَامَا^(١)
لِي دِيُونُ بِالْمَشْرِقِ عِنْدَ أَنَاسٍ قَدْ أَحَلُّوا بِالْمُشْرِقَيْنِ الْحَرَامَا^(٢)
إِنْ قَضَوْهَا نَالُوا الْأَمَانِي، وَإِلَّا جَعَلُوا دُونَهَا رِقَاباً وَهَامَا^(٣)
عَنْ قَرِيبٍ تَرَى خِيُولَ هِنَامٍ يَبْلُغُ النِّيلَ خَطْوُهَا وَالشَّامَا^(٤)!

- وقال فِي الْمَهَابَةِ وَالْفَخْرِ:

رَمَيْتُ بِنَفْسِي هَوْلَ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَخَاطَرْتُ، وَالْحُرَّ الْكَرِيمَ مُخَاطِرُ.
وَمَا صَاحِي إِلَّا جَنَابٌ مُنْبِئٌ وَأَسْمَرُ خَطِيٌّ وَأَبْيَضُ بَاتِرُ^(٥)
وَإِنِّي لَزَجَجْتُ الْجَبُوشَ إِلَى الْوَعَى أَسوداً تُلَاقِيهَا أَسودُ خَوَادِرُ^(٦)

-
- (١) الصفا والمقام (مقام إبراهيم) فِي بَيْتِهِ مِنَ الْمَشَارِقِ (مَسَاكُ الْحَجِّ). حَيْثُ نَحَبُ أَوْ نَسْنُ الْعِبَادَةِ.
- (٢) دِيُونُ (هِنَا): ثَارُ. أَنَاسٍ (مِنَ الْحُكَّامِ). قَدْ أَحَلُّوا الْحَرَامَ: ظَلَمُوا حَتَّى أَصْبَحَ مَا يَحْرَمُ فَعَلَهُ مَسْمُوحاً (عَادَةً).
- (٣) إِنْ قَضَوْهَا (إِنْ أَصْلَحُوا هَذَا الظُّلْمَ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ). جَعَلُوا دُونَهَا رِقَاباً (أَجِيرُونِي عَلَى قَطْعِ تِلْكَ الرِّقَابِ) وَهَامَا (جَعِ عَامَةً: رَأْسِي).
- (٤) هِنَامٌ: هِنَامُ الْمُؤَيَّدِ (الْخَلِيفَةِ الْأُھَوِيِّ فِي الْأَنْدَلُسِ) وَكَانَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ قَدْ حَبَّبَهُ (اسْتَمَدَّ مَكَانَهُ فِي الْحُكْمِ). الشَّامُ وَالشَّامُ: سُورِيَّةُ.
- (٥) صَاحِي: رَقِيقِي. جَنَابٌ: قَلْبٌ. مُنْبِئٌ: شَجَاعٌ. أَسْمَرُ: رَمَحٌ. خَطِيٌّ (مِنَ بِلَادِ الْخَطِّ: الشَّاطِئَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ شِبْهِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَكَانَتْ الرِّمَاحُ، أَوْ الْقَصَبُ الْفَارِسِيُّ الَّذِي تُصَنِّعُ مِنْهُ الرِّمَاحُ تُجَلَّبُ إِلَيْهِ مِنَ الْهِنْدِ) كِتَابَةٌ عَنْ جُودَةِ تِلْكَ الرِّمَاحِ. أَبْيَضُ: سَيْفٌ. بَاتِرُ: قَاطِعٌ.
- (٦) أَرْجِي وَزَجَجْتُ: أَرْسَلْتُ. أَسودُ: أَبْطَالٌ. خَوَادِرُ جَعِ خَادِرٍ (وَهُوَ الْأَسَدُ الَّذِي يَكُونُ لِي عَدُوًّا: فِي الْأَجَةِ أَوْ النَّابَةِ الصَّغِيرَةِ) كِتَابَةٌ عَلَى الشَّعَاعَةِ فِي ذَلِكَ الْأَسَدِ وَالْمُفَاجَأَةِ.

وَسُدْتُ بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سِيَادَةٍ وَفَاخَرْتُ حَتَّى لَمْ أُجِزْ مِنْ أَفَاخِرِ .
وَمَا شِدْتُ بُنْيَانًا، وَلَكِنْ زِيَادَةً عَلَى مَا بَنَى عَبْدُ الْمَلِكِ وَعَامِرٌ^(١) .
رَقَعْنَا الْمَعَالِي بِالْعَوَالِي حَدِيثَةً، وَأَوْرَثْنَاهَا فِي الْقَدِيمِ مُعَاوِرٌ^(٢) .

*** ٤ منصور الأندلس، تأليف علي أدهم، القاهرة (الباني) بلا تاريخ (في سلسلة أعلام الإسلام).

* * راجع كتب التاريخ العامة: تم بغية الملتبس ١٠٥-١٠٧ (رقم ٧٤٢) الفخيرة ٤: ٥٦-٧٨ (راجع الفهارس أيضاً) المغرب ١: ١٩٤-١٩٨ الحلقة السراء ١: ٢٦٨-٢٧٧ المعجب ٦٢ وما بعد (مع شيء من التقطع) الوافي بالوفيات ٣: ٣-١٣ البيان المغرب ٢: ٢٥٣ وما بعد: نفع الطبيب ١: ٣٩٦-٤٢٢، ٥٧٨-٦٠٤، ٣: ٧٦-١٩٨ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٣: ٢٥٤-٢٥٦ الأعلام للزركلي ٧: ٩٩-١٠٠ (٦: ٢٢٦).

عبد الملك بن شهيد^(٣)

١- هو أبو مروان عبدُ الملك بنُ أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شهيد بن عيسى بن شهيد بن الوضاح الأشجعي الأندلسي القرطبي، وُلِدَ في قرطبة. وتلقَى الحديثَ خاصّةً على قاسم بن أصبغ (ت ٣٤٠) ووهب بن مسرة. وتولّى عبدُ الملك بنُ شهيد الوزارة للحاجب المنصور بن أبي عامر ونال حظوةً عنده، كما بقي متصلاً ببلاط الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ). وكذلك كان بينه وبين عبد الملك بن جهورٍ أحدِ وزراء عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠ هـ) مساجلةً ومنافسةً.

مرضَ عبدُ الملك بن شهيد في شيخوخته بالنقرس (ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين) فكان يُحْمَلُ في بِحْفَةٍ، ومع ذلك لم يفارقه نشاطه ولا مرحه.

(١) ما شِدْتُ (بَنَيْتُ بِنَاءً جَدِيدًا) وَلَكِنْ زِيَادَةً (زِدْتُ عَلَى الْبِنَاءِ الَّذِي كَانَ قَدْ بِنَاءَ) عَبْدُ الْمَلِكِ وَمُعَاوِرُ (مِنْ أَجْدَادِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ).

(٢) الْعَوَالِي: الرِمَاحُ (بِالْحَرْبِ، بِالْقُوَّةِ).

(٣) كَانَ ثَلَاثَةَ مِنْ آلِ شَهِيدٍ وَزُرَّاءَ وَأَدْيَاءَ، أَبُو مَرْوَانَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ أَحْمَدَ هَذَا هُوَ وَالِدُهُ أَبُو عَمْرِو أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ هُوَ أَبُو عَامِرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَحْمَدَ (ت ٤٢٦ هـ)، وَسَتَأْتِي نَرْجَعُهُ.

وكانت وفاة عبد الملك بن شهيد سنة ٣٩٣ هـ (١٠٠٢ م).

٢- كان عبد الملك بن شهيد شاعراً ناثراً كاتباً ومؤلفاً. كان في شعره مَرَحٌ وحبٌّ للخمر والنساء، كما كان له شيءٌ من الوصف والفرز والهجاء والحكمة. وكانت له معرفةٌ جيدةٌ بالبلاغة والشعر وشعره المشرق والتاريخ. وله كتابٌ «التاريخ الكبير في الأخبار» رتبهُ على السنين من سنة ٤٠ إلى أيامه.

٣- مختارات من شعره

- قال عبد الملك بن أحمد بن شهيد (جذوة المقنيس):

أَقْصَرْتُ عَنْ شَاوِي فَعَادَتْنِي. أَقْصِرْ، فَلَيْسَ الْجَهْلُ مِنْ شَانِي^(١).

إِنْ كَانَ قَدْ أَغْنَاكَ مَا تَحْتَوِي بُخْلًا، فَإِنَّ الْجُودَ أَغْنَانِي.

- خضر عبد الملك بن شهيد، وهو مريضٌ بالنقرس، بعضٌ مجالس الأُنس، عند المنصور بن أبي عامر، فاستخفَّ الطربُ، فقام- برُفْعٍ مرضيٍّ- يرقصُ. ثم قال مرتجلاً:

هَآكُ شَيْخًا قَادَهُ السُّكْرُ لَكَ قَامَ فِي رَقْصِهِ مُسْتَهْلِكًا^(٢).

لَمْ يُطِيقْ يَرْقُصُهَا مُسْتَنْبِتًا فَأَنْشَى يَرْقُصُهَا مُسْتَمَكًا^(٣).

عَاقَهُ مِنْ هَرَمِهَا مُعْتَدَلًا نَقِيسٌ أَخْنَى عَلَيْهِ فَأَتَكَ،

مِنْ وَزِيرٍ فِيهِمْ رَقَاصِيَّةٌ قَامَ لِلْكَرِ بُنَاغِي مَلِكًا^(٤).

أَنَا لَوْ كُنْتُ كَمَا تَعْرِفُنِي قُمْتُ لِجَلَالٍ عَلَى رَأْسِي لَكَ.

فَهَقَّةَ الْإِبْرَيْقُ مَنِّي ضَاحِكًا وَرَأَى رَعْنَةً رِجْلِي فَبَكَ.

- وقال في الخمر (نفع الطبيب ٣: ٢٦٠):

أَمَا تَرَى بَرْدَ يَوْمِنَا هَذَا صَيَّرَنَا لِلْكُمُونِ أَفْذَاذًا^(٥)؟

(١) أقصرت أو قصرت عن شأوي (شوطي: المدى أو المسافة التي أستطيع أنا الركض فيها).

(٢) مستهلكا: عاجزاً عن إقامة جسده.

(٣) مستنبتاً: ثابت القدمين منتصباً (معتمداً في وقوفه على نفسه).

(٤) بناغي (بلاطف في الحديث) ملكا (رجلاً عالياً ذا سلطة).

(٥) الكمون (الاختباء في البيوت). أفذاذا (منفردين).

قد فطرت صبة الكبود به حتى لكادت تعود أفلاذ^(١).
 فاذع بنا للشمول مضطلياً نفضاً سراً إليك إغذاذاً^(٢).
 واذع السى بها وصاحبه تدع نبيلاً وتدع أسناذاً^(٣).
 ولا تبال أبا العلاء زها بخر قطربلي وكلواذاً^(٤).
 ما دام من أرملاط مشربنا دغ دير عى وطيرنا باذاً^(٥).
 - وقال في الغزل يخلط الجون بالمعة:

ويلى على أحور تياو أجد فيه، وهو ي لاه^(٦).
 أقبل في بيض حكين الطيا: بيض تراق حر أفوا^(٧).
 يأمر فيهن وينهى، ولا يفضيه من أمر ناه.
 حتى إذا أمكنني أمره تركته من خشة الله!

١- * * جذوة المقتبس ٢٦١ (الدار المصرية ٢٨٠ (رقم ٦٢٢) بغية الملتبس ٣٦٢ (رقم ١٠٥٧)، الصلة ١: ٣٣٨-٣٣٩ (رقم ٧٥٩)، الحلقة السراء ١: ٢٣٩-٢٤٠، المغرب ١: ١٩٨-١٩٩، بغية الوعاة ٣١١ (وفيه وفاته ٤٩٣ بالأحرف، وهو خطأ)، نفع الطيب ١: ٤٠٠-٤٠١، ٥٨٥-٥٨٦، ٣: ١٢٦٠ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٨-٩٤٠ نيكل ٤٧-٤٩ مختارات نيكل ٣٠-١٣١ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٠ (١٥٦).

- (١) فطرت: قطعت. الكبود جمع كبد (بفتح فكس). أفلاذ جمع فلة (بالكسر): قطعة.
- (٢) الشمول: الحمر (الباردة أو المبردة). مضطلياً: تمرض جسمك للبار (في الشتاء). أدعنا إلى مكان دافئ. أغذ السير: أسرع.
- (٣) واذع معنا شخصاً اسمه «شمول» ورجلاً آخر صاحباً لشمول.
- (٤) لا تبال أبا العلاء (٤): لا تحفل (لا تهتم) برجل اسمه أبو العلاء. زها: أعجب (بضم فسكون فكس)، أفخر. قطربلي وكلواذاً قمرينان في العراق مشهورتان بالأعشاب (وبالحمر).
- (٥) المشوح أن أرملاط من الأندلس. أننا طيرنا باذاً ففي العراق، دير عى (٤).
- (٦) الأحور: شديد بياض العين وشديد سواد سواد العين. التياء: الذي يوجب بصفاته ويرى نفسه فوق أنداده.
- (٧) بيض: نساء بيض (جيلات). حكين: شابين. الطيا جمع طيبة (الغزال). الترقوة: جانب الصدر الأعلى. بيض تراق: كتابة عن الشباب والمجال.

عبد الملك بن جهور^(١)

١- هو عبدُ الملك بنُ جهور، لم أجد فيما بين يدي من المصادر، أكثر من أنه كان وزيراً في أيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ)، وأنه كان بينه وبين ابن شهيد عبد الملك بن أحمد (ت ٣٩٣) شيء من التحاسد. وكانت وفاة عبد الملك بن جهور في سنة ٣٩٣ (١٠٠٢ - ١٠٠٣ م).

٢- كان عبد الملك بن جهور وزيراً جليلاً من عليّة الرجال وسرّوات الكتّاب في فضلي آدابهم واتساع أفهامهم مع المروءة الظاهرة والبيّرة الجميلة. وكان كاتباً شاعراً، وشعره وجدانيّ يدور على الوصف والغزل والنسيب والعتاب.

٣- مختارات من شعره

- قال عبد الملك بن جهور في الغزل والعتاب^(٢):

بما أحسن الناس في عيني مبتساً وأعذب الخلق عندي منقطعاً وفياً^(٣)،
حلّت بقلبي من عينيك نازلةً من الهوى صيرتني في الورى علماً^(٤).
لم تبق جارحةً مني أقلبها إلا بعثت عليها بالهوى سقماً^(٥).
فارحهم مقام محب ما شكا وبكى تبرّماً بالذي يلقى ولا نديماً^(٦).
* أجلك أن تجعل بك الأمانى، فكيف بأن أراك وأن تراني؟^(٧)
وأكره أن يثلك التمني حذاراً أن ييوج به لاني.

- (١) آل جهور أسرتان تتداخل أسلأ أعضائهما. ويبدو أن في هذه الترجمة شيئاً من التداخل.
- (٢) من عادتي أن أعدّ كتي الطبعة منسوخة على الآلة الكاتبة. ولكنّ القاطع الثلاثة الأولى معاً، للطبع على ورقة بخط اليد نسخت بلا ريب في عام ١٩٧٦ حيناً تركت بيتي في الطريق الجديدة بسبب الأحداث المؤسفة في لبنان (أحرف ذلك من أوراق شبيهة مؤرخة)، فما يدلّ على أنني وجدت هذه الأبيات منسوبة في كتاب ما إلى عبد الملك بن جهور.
- (٣) منقطعاً: كلاماً. فما (كتابة عن جلال النسيب).
- (٤) نازلة: منسية. علماً: معروفاً، مشهوراً.
- (٥) جارحة: عضو.
- (٦) مقام (بالضم): موقف، حالة. التبرّم: الملل، الضجر.
- (٧) لا أريد أن تكون مستجيباً لكل أمنية من كل إنسان (لأن جميع الناس بميوّتك وبهمنون لفادك، ولكن كيف السبيل إلى أن نجتمع نحن الاثنين (٢))

ولو أني استطعتُ، لَفَرَطُ شَجْوِي عليك، لَمَّا رَأَى الحَافِظَانُ^(١).
وما أَشْكَو إِلَيْكَ بِغَيْرِ دَمْعِي: بَيَانُ الدَّمْعِ أَعْرَبُ مِنْ بَيَانِي^(٢)!
- وقال بين الوصف والنسيب:

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ بِالْتَّرَجِسِ النَّضْ خَضِرَ حَكْسِي لَوْنُ عَاشِقِي مَعْمُودٍ:
فِيهِ رِيحُ الْحَبِيبِ عِنْدَ التَّلَاقِي وَاصْفَرَّارُ الْمُحِبِّ عِنْدَ الصُّدُودِ.
ومن شعر أَبِي مَرْوَانَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ جَهْوَرٍ (جذوة المقتبس ٢٦٣) (٣):

أَنَا فِي كِتَابٍ مِنْكَ أَحْلَى مِنَ النَّسِي وَأَعَذِبُ مِنْ وَصْلِي مَحَا آيَةِ الصَّدَى.
فَجَدَدْتُ لِي شَوْقًا إِلَيْكَ مُذْكَرًا وَأَذَكِي الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْ لَوْنَةِ الْوَجْدِ^(٤).
وَإِنِّي عَلَى أَضَافٍ مَا قَدْ وَصَفْتَهُ لَدَيْكَ مِنَ الشَّوْقِ الْمُبْرِجِ وَالْمُجْهِدِ^(٥).
فَلَوْ أَنَّنِي أَقْوَى أَطِيرُ صَبَابَةً، جَعَلْتُ جَوَائِي نَحْوَ أَرْضِكُمْ قَصْدِي
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ مُحِبِّ مُتَيْمٍ يَرَاكَ بَعِينَ الْقَلْبِ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ^(٦).
* إِنْ كَانَتْ الْأَبْدَانُ نَائِيَةً فَنَفْسُ أَهْلِ الظَّرْفِ تَأْتَلِفُ.
يَا رَبُّ مَفْتَرِقِي قَدْ جَمَعْتَنِي قَلْبِيهَا الْأَقْلَامُ وَالصُّحُفُ.

٤- * * * جذوة المقتبس ٢٦٣ (الدار المصرية) ٢٨٢ (رقم ٦٢٦) ١ نيكل ٤٨-٤٩ بالشيا
٢٠١، ٦٣.

محمَّد بن الحسين الطنبي

١- هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّنْبِيُّ، نِسْبَةً إِلَى طُبْنَةَ عَاصِمَةٍ

(١) الشجوة: الحزن. الحافظان (الملكانيان) يكتبان على الإنسان أعماله الصالحة وأعماله الطالحة (٢).

(٢) كلام دمي أوضح من كلام لاني.

(٣) الأبيات التالية جواب على كتاب (رسالة) جاءت إليه من صديق له (أنظر البيت الأول).

(٤) أذكى: أوقد، زاد في حرارة الشيء. اللوعة: الحرقه في القلب أو الألم من حب أو مرض. الوجد: الحبة الشديد.

(٥) شوني إليك أضفاف شوقك إليّ. المبرج: الشديد (المؤلم). المجد: التعب.

(٦) المتيم: الذي ذلّه الحب وأمرضه وذهب بقطعه.

مقاطعة الزاب في المغرب الأوسط (القطر الجزائري)، الحايّ التميمي نسبة إلى زيد مناة بن عيمر.

وُلِدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الطُّبْنِيِّ نَحْوَ سَنَةِ ٣٠٠ (٩١٣ م) فِي طُبْنَةَ. ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٣٣١ (٩٤٢ م) وَاقْدَأَ عَلَى الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ. وَسَكَنَ الطُّبْنِيَّ فِي قَرْطَبَةَ وَنَالَ حَظَوَةً عِنْدَ الْمَنْصُورِ فَوَلَّاهُ الْمَنْصُورُ خُطَّةَ الشَّرْطَةِ ثُمَّ اتَّخَذَهُ نَدِيمًا.

وَكَانَتْ وَفَاةُ الطُّبْنِيِّ لثَلَاثَ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٣٩٤ (٢٧ / ١٠ / ١٠٠٣ م).

٢- كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الطُّبْنِيِّ عَالِمًا بِأَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَنَاسِيهِمْ أَدِيبًا مُتَقَنًّا وَشَاعِرًا مُكْثِرًا مُجِيدًا.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الطُّبْنِيِّ فِي الْغَزَلِ، وَهُوَ تَمَّا يَفْنَى بِهِ:

صَدَقْتَ طَبِيبَةَ الرُّصَافَةِ عَنَّا، وَهِيَ أَشْهَى مِنْ كُلِّ مَا يُتَمَنَّى.
هَجَرْتَنَا، فَمَا إِلَيْهَا سَبِيلٌ غَيْرَ أَنَا نَقُولُ: كَانَتْ وَكُنَّا!
- وَقَالَ فِي الْخَمْرِ:

وَاجْتَمَعْنَا بَعْدَ التَّفَرُّقِ دَهْرًا فَظَلَّلْنَا نَقْطَعَ الْعُمْرَ سُكْرًا.
لَا يَرَانِي إِلَّا طَرِيحًا حَيْثُ تُلْقَى الْفُصُونُ حَوْلِي زَهْرًا،
قَائِلًا كُلًّا فَتَحَتْ جَفَوْنِي مِنْ نُمَاسِ الْخُمَارِ: زِدْنِي خَمْرًا!
- وَقَالَ فِي الْمَهْجَاءِ:

وَوَعْدِي إِنْ أَرَدْتُ لَهُ عِقَابًا عَفَا عَنْ ذَنْبِي حَسِيٍّ وَدِينِي.
يُؤْتِبُنِي بِقَبِيحَةٍ مُسْتَطِيلٍ وَيَلْقَانِي بِوَجْهِ مُسْتَكِينٍ^(١).

(١) إِذَا كُنْتَ غَائِبًا عَنْ مَجْلِسِهِ أَخَذَ يُؤْتِبُنِي (يَلُومُنِي، يُوْتِيحُنِي، يَمْتَنِي) وَهُوَ مُسْتَطِيلٌ (يَذْكُرُ تَفَضُّلَهُ عَلَيَّ وَتَمَالُيَ قُوَّتِي). وَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ كُنْتُ مَعَهُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ أَقْبَلَ عَلَيَّ بِتَقَرُّبٍ إِلَيَّ بِذَلِكَ وَخُضُوعٍ.

وقالوا: « قدهجاك ». فقلت: « كلبٌ عَوَى جَهْلًا إلى ليث العَرين ».

٤- * * ابن الفرضي ١١٩: ١٢٠ (رقم ١٤٠٦) جذوة المقتبس ٤٧ (الدار المصرية) ص ٥٠ (رقم ٣٨) بنية المنس ٥٨ (رقم ٨٤) الصلة ٢: ١٥٦٢ المغرب ١: ٢٠١-٢٠٢ وفيات ابن قنفذ ١١٤٩ أعلام الجزائر ١١٤٩ نيكول ١٦١ الأعلام للزركلي ٦: ٣٢٩ (٩٨).

أبو مروان الجزيري

- ١- هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الأزديّ الجزيريّ من أهل قرطبة، ولآه المنصور بن أبي عامر الشرطة ثم ولآه ديوان الإنشاء (الوزارة). ويبدو أن أبا مروان الجزيريّ كان يتجرأ على المنصور فكان المنصور يسجنه مرّة بعد مرّة. وقد سجّنه مرّة في برج طرطوشة ومرّة في سجن الزاهرة. ثم رده بعد السجن إلى الوزارة. وبقي أبو مروان الجزيريّ في الوزارة إلى أيام المظفر بن المنصور. وغضب المظفر عليه فسجنه ثم قتله في السجن، سنة ٣٩٤ (١٠٠٣-١٠٠٤ م).
- ٢- أبو مروان الجزيريّ كاتبٌ مُترسِّلٌ وشاعرٌ كثيرٌ يشبهُ بِحمديّ بن عبد الملك الرّيات^(١) في البلاغة والعبقريّة. وفنونه المدحُ والعتابُ والوصفُ والحكمة. وأكثرُ شعره في المنصور بن أبي عامر مدحاً أو في المناسبات.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو مروان الجزيريّ يصفُ البدرَ في ليلةٍ فيها غمٌ يخجِبُ البدرَ حيناً بعد حينٍ: ويخاطب المنصور:

أرى بَدْرَ السَّهْلِ يَلُوحُ جِيناً فَيَبْدُو ثم يَلْتَجِفُ السَّحَابُ،
وذلك أَنَّهُ لَمَّا تَبَدَّى وَأَبْصَرَ وَجْهَكَ اسْتَحْيَا وَغَابَا!

(١) راجع الجزء الثاني (توفي ابن الرّيات سنة ٢٣٣).

- وقال وهو في السجن:

شَيطَ الْمَزَارُ، فَلَا مَزَارَ، وَتَأَفَّرْتُ عَيْنِ الْمَجُوعِ فَلَا خِيَالَ يَغْتَرِي^(١).
أَزْرَى بَصِيرِي وَهُوَ مَشْدُودُ الْعُرَى، وَأَلَانَ عُودِي وَهُوَ صَلْبُ الْكَثِيرِ^(٢).
وَطَوَى سُرُورِي كُلَّهُ وَتَلَذَّذِي بِالْعَيْشِ طَمَّ صَحِيفَةٍ لَمْ تُنْشَرِ.
هَإِنِّي أَنَفْسُ الْحَبِيبِ نَوْحًا بِضَمِيرِ تَذْكَارِي وَعَيْنِ تَذْكَرِي.
عَجَبًا لِقَلْبِي يَوْمَ رَاعَيْتُنِي النَّوَى وَدَنَا وَدَامِي كَيْفَ لَمْ يَنْتَقِطَرْ^(٣)!

- وقال مخاطباً المنصورَ بنَ أبي عامرٍ على لسانِ إحدى بناته وكان اسمها
بَنْفَسُجُ:

.... إِذَا تَدَاقَصَتِ الْحُصُومُ- أَهْدَى اللَّهُ مَوْلَانَا الْمَنْصُورَ- فِي مَذَاهِبِهَا وَتَنَافَرَتْ فِي
مَفَاخِرِهَا فَإِلَيْهِ مَقَرُّعُهَا. وَهُوَ الْمَقْتَعُ فِي فَصْلِ الْقَضِيَةِ بَيْنَهَا لِاسْتِيلَائِهِ عَلَى الْمَافِخِ
بِأَسْرِهَا وَعَلَيْهِ بَيْرُهَا وَجَهْرُهَا. وَقَدْ ذَهَبَ الْبَهَارُ وَالْتَرَجِسُ^(٤) فِي وَصْفِ عَاسِنِهَا
وَالْفَخْرِ بِشَايِبِهَا كُلِّ مَذْهَبٍ. وَمَا بَيْنَهَا إِلَّا ذُو فَضِيلَةٍ، غَيْرَ أَنَّ فَضْلِي عَلَيْهَا أَوْضَحُ مِنْ
الشَّمْسِ الَّتِي تَعْلُونَا وَأَعَذِبُ مِنَ النَّهَامِ الَّذِي يَسْتَعِينَا.

و (إذا) كانا قد تشبها في شعرها ببعض ما في العالم من جواهر الأرض
ومصابيح السماء ،، فَإِنِّي أَتَشَبَّهُ بِأَحْسَنِ مَا زَيَّنَ اللَّهُ بِهِ الْإِنْسَانَ وَهُوَ الْحَيَوَانُ
الْناطِقُ، مَعَ أَنِّي أَعْطَرْتُ مِنْهَا عَطْرَةً وَأَحَدُ خُبْرَاءَ، وَأَكْرَمُ لِمَتَاعِ شَاهِدٍ وَغَائِبٍ وَيَانِعٍ
وَذَابِلٍ. وَكَلَاهَا لَا يُبْعَثُ إِلَّا رَيْثُهَا يَنْبَغُ^(٥). ثُمَّ إِذَا ذَبَلَ تَسْتَكْرَهُ النَّفُوسُ شَمْعَهُ وَتَسْتَدْفِعُ
الْأَكْفُ ضَمْعَهُ. وَأَنَا أَمْتَعُ بِأَسَا وَرَطْبًا وَتَذْخِرُنِي الْمُلُوكُ فِي خَزَائِنِهَا وَسَائِرُ (اقرأ):

(١) شيط (ابتعد). المجوع: التوم. خيال: منام، طيف. يغتري (يأتي إلينا).

(٢) أزرى: غاب (أزرى بصيري: إن السجن جعل الناس يهزأون في لاني ظهرت أمامهم ضعيفاً). مشدود
المرى: قوي.

(٣) راعيتني أخافتني. النوى: البعاد. تنقطر: تقطع.

(٤) البهار: الثبت الأصفر اللون، والأزهار التي تظهر في الربيع. الترجس: زهر حقل (مري) أبيض
البتلات أصفر الوسط (غير الأصحوان).

(٥) الامتاع: إدخال السرور على النفس. اليانع (في الأصل): الثمر إذا نضج.

جميع) الأطبَّه، وأَصْرَفُ في منافع الأعضاء. فَإِنْ فَعَّرَا بِأَسْتِقْلَالِهَا عَلَى سَاقٍ هِيَ
أَعْوَى مِنْ سَاقِي، فَلَا غَرْوَ أَنَّ الْوَشْيَ ضَعِيفٌ وَالْهَوَى لَطِيفٌ وَالْمِلْكُ خَفِيفٌ. وليس
المجد يُذَرِّكُ بِالصِّرَاعِ..... (٢) لِمَوْلَانَا أُمُّ الْحَكَمِ فِي أَنْ يَفْصِلَ (بَيْنَنَا) بِحُكْمِهِ الْعَدْلُ.
وأقول:

شَهِدَتْ لِنُورِ الْبَنْفَجِ النَّسْ
مِنْ لَوْنِهِ الْأَحْوَى وَمِنْ إِبْقَاعِهِ^(١).
لِشَابِهِ الشَّمْرَ الْأَعْمَ أَعَارَهُ الـ
قَعْمُ الْمُنِيرُ الطَّلُقُ نَوْرَ شُعَاعِهِ^(٢).
مِلْكٌ جَهَلْنَا قَبْلَهُ سُبُلَ الْعُلَا
حَتَّى وَضَحْنَ يَنْهَجِهِ وَشِرَاعِهِ^(٣).
فِي سَيْبِهِ قِصْرٌ لِطُولِ نِجَادِهِ
وَتَهَامٍ سَاعِدِهِ وَفُتْحَةٍ بَاعِهِ^(٤).
ذُو هِمَّةٍ كَالْبَرْقِ فِي إِسْرَاعِهِ
وَعَزِيمَةٍ كَالْحَيَيْنِ فِي إِبْقَاعِهِ^(٥).
تَلْقَى الزَّمَانَ لَهُ مُطِيعاً سَامِعاً
وَتَرَى الْمُلُوكَ الشُّمَّ مِنْ أَتْبَاعِهِ^(٦)

١- * * جذوة المقتبس ٢٦١ (الدار المصرية) ٢٨٠ (رقم ١٦٢٤) بغية المقتبس
٣٦٢ - ٣٦٣ (رقم ١٠٥٨) الذخيرة ١٦: ٤٦ - ١٥٢ الصلة ٣٢٩ - ١٣٣٠ اعتاب
الكتاب ١٩٣ - ١٩٦ نفع الطب ١: ٥٢٩ - ٥٣٣، ٥٨٦ - ٥٨٨ الأعلام
للزركلي ٤: ٣٠١ (١٥٦).

ابن أبي زَمَنِين

١ - هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى الإلبيري، وُلِدَ في إلبيرة في ذي
الحِجَّة من سَنَةِ ٣٢٤ (تشرين الأول - أكتوبر ٩٣٦ م).

- (١) النُّور: الزهر. الأحوى: الأسمر (هنا: الأزرق الغاتم).
- (٢) مشابه جمع شبه (على غير قاعدة). الشمر الأعْم (الواغر، الكثير).....
- (٣) هذا البيت وما يليه في مدح المصور بن أبي عامر (ولا صلة لها بوصف البنفج). وضع: ظهر، بان.
النهج: الطريق الواضح، الطريقة. التراج (في القاموس) القلع (بالكسر) الذي تدير به المراكب.
(لعله يقصد: ما شرعه المدوح للناس).
- (٤) سببه قصير لأن ذراعاه طويلة يصل بها إلى العدو (ولو كان السيف نفسه قصيراً).
- (٥) التهاد: ما يحمل به السيف. لطول مجاده (كناية عن طول قامته).
- (٦) الحين: الموت. الإبقاع: إززال الأذى بالناس.
- (٦) الأشم: المالِي فضبة الأنف (وكان ذلك عندهم دليلاً عن النسب الملكي الصحيح).

درس ابنُ أبي زمنين الفقه والشعر في مدينة بيّانة. وكان فقيهاً مقدّماً وزاهداً مُتَبَتِّلاً يَلْعَنُ الخسوفَ إذا تلا القرآنَ أو سَمِعَهُ يُتْلَى فتَسِيلُ دموعُه على خَدَيْهِ.
تُوفِّي أبو عبد الله بن أبي زمنين في البيرة، في ربيع الثاني من سنة ٣٩٩ (كانون الأول - ديسمبر ١٠٠٨ م).

٢- ابنُ أبي زمنين فقيهٌ وزاهدٌ وشاعرٌ واعظٌ ثَقُلَ على شعره نَفْحَةُ دينيَّةٍ مَعَ شيءٍ من التشاؤم، ويبدو أن شعره كان كثيراً مُتداولاً بين الناس. وكانت له تاليفٌ منها: تفسير القرآن - أصول السنن - مُنتَخَبُ الأحكام - قدوة الغازي - وغير هذه في الزهد والوعظ وأخبار الصالحين - المُقَرَّبُ في اختصار المدونة - المَذْهَبُ في الفقه -

٣- مختارات من شعره

- لابن أبي زمنين هذه الأبيات في الزهد والوعظ:

الموتُ في كلِّ حينٍ ينشُرُ الكفنا،	ونحن في غفلةٍ عمّا يُرادُ بنا.
لا تَطْمِئَنَّ إلى الدنيا وبهجتها	وإن تَوَسَّختَ من أثوابها الحسنَا.
أئنَّ الأجيئةَ والجيران، ما فعلوا؟	أين الذين هُمُ كانوا لنا سَكَنًا؟
سقاَهُمُ الدهرُ كأساً غيرَ صافيةٍ	فصَبَرْتَهُمُ لأطباقِ الثرى رُهْنًا ^(١) .
تبكي المنازلُ منهم كلَّ منسجمٍ	بالمكْرُماتِ، وترثي البرَّ والمِنَنًا ^(٢) .
حَسْبُ الحِمامِ، لو أَبْقاهم وأمهلهم،	ألا يَظُنَّ على مَعْلُوَّةٍ حسنا ^(٣) .

١- * * جذوة المقتبس ٥٣ (الدار المصرية) ٥٦-٥٧ (رقم ٥٧)، بغية الملتبس ٧٧-٧٨

(١) رهن (بضمّين) جمع رهن (سكون الهاء). بين أطباق الثرى رهن: يحسبون بين طبقات الأرض (موتى).

(٢) منسجم بالمكرمات: كثير الكرم. النسجم: (الطر أو الدمع) السائل، النهمر. البر: الإحسان إلى الآخرين. المنّة: المعروف الذي يترعرع الإنسان به لغيره (من غير استحقاق).

(٣) الحمام: الموت. المَعْلُوَّة: الأرض. حسناً (في القافية) مكررة، ولعلّها خطأ.

(رقم ١٦٠) مطمح الأنفس ٤٩ - ١٥٠ الوافي بالوفيات ٣ : ١٣٢١
 الديباج المذهب ٢٦٩ - ٢٧١ : أعمال الأعلام ١٥٢ : وفيات ابن قنفذ ٢٢٤ - ٢٢٥
 شذرات الذهب ٣ : ١٥٦ : دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ١٦٩٤ : بروكلمن ١ : ٢٠٥
 الملحق ١ : ١٣٣٥ : نيكل ١٤ ، مختارات نيكل ١٤٣ : الأعلام للزركلي ٧ : ١٠١ (٣ : ٢٢٧).

ابن القَرَازِ البربري

هو سعيدُ بنُ عُثْمَانَ بنِ سعيدٍ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يوسفَ بنِ سعيدِ
 البربري، ويُعرفُ بابنِ القَرَازِ اللُّغويِّ وبلُحْيَةِ الرِّبْلِ، من أهلِ قُرطبة، وَلِدَ سَنَةَ
 ٣١٥ هـ (١١١٩ م).

رَوَى ابنُ القَرَازِ البربريُّ عن قاسمِ بنِ أصبَغَ ومُحمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ عبدِ السلامِ
 الحُسَيْنِيِّ وأحمدَ بنِ يَسْرٍ بنِ الأَغْبَسِ وابنِ عبدِ البرِّ صاحبِ التاريخِ وسعيدِ بنِ فحلونٍ
 وأخذَ عن أبي عليٍّ القاليِّ وصَحْبِهِ. وقد فُقِدَ في وَفْعَةِ قَنْتِيشَ، في نِصْفِ ربيعِ الأوَّلِ
 من سَنَةِ ٤٠٠ (٦ / ١١ / ١٠٠٩ م).

وكان ابنُ القَرَازِ البربريُّ من العُلَماءِ في الحديثِ، والفِقْهِ، ولكنَّ براعته الأولى كانت
 في اللُّغة والنحو، «ومن طريقهِ صَحَّتِ اللُّغَةُ بالأندلسِ بعدَ أبي عليٍّ (القالي) ومن
 طريقهِ ابنُ أبي الحُبَّابِ وأبي بكرِ الرُّبَيْدِيِّ» (الصلة ٢٠٦). وله كتابٌ في الرَّدِّ على
 كتابِ «الفصوص» (في النوادر والغريب) لصاعدِ البغدادي اللغوي.

* * * الصلة ٢٠٤ - ٢٠٦ (رقم ٤٦٧) : جذوة القنيس ٢١٥ (رقم ٤٧٥) : بنية الملتبس ٢٩٨
 (رقم ٨٠٩) : إنباء الرواة ٢ : ٤٤ - ٤٧ : بنية الوعاة ٢٥٦ : بروكلمن، الملحق ١ : ٥٣٩.

ابن شخيص القرطبي

١- هو أبو عبد الله محمد بن مطرف بن أهل قرطبة اتصل بالمنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) ثم بابنه المظفر من بعده وكان يجالس المظفر. ومات قبل سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م).

٢- كان ابن شخيص القرطبي « من أهل الأدب المشهورين ومن أعيان الشعراء المُقدِّمين سالكاً في أساليب الجِدِّ والهُزْلِ، وشعره كثيرٌ مشهور ». وتجد له عدداً من المختارات^(١) في كتاب التشبيهات للكتّاني (ت ٤٢٠ هـ). ولابن شخيص قصائد ومقطعات. وفنونه الوصف والفرزل والمدح والمجاء، ورياً تحراً نحواً بدوياً في مديحه ونحواً سوقيّاً في هجائه.

٣- مختارات من شعره

- قال محمد بن شخيص في الوصف:

كَأَنَّ انْتِشَارَ الطَّلِّ فِي الْوَرْدِ أَدْمَعُ تَبَدَّى عَلَى زَهْرِ الْخُدُودِ انْتِثَارُهَا^(١)
كَأَنَّ جَنِيَّ الْأَقْحَوَانِ بَرُوضِهَا تُغَوِّرُ الْمَذَارِي حِينَ رَاقَى أَثْنَارُهَا^(٢)

- وقال في الوصف أيضاً:

وَلَمَّا انْتَرَى فِي جَنَّةِ الْخَلْدِ بَعْضَهُمْ أَقَامَ لِأَبْصَارِ الْجَمِيعِ مِثَالُهَا^(٣)
فَلَقَمَيْنِ أَنْوَارِ الْبَاتِنِينَ حَوْلَهَا، وَلِلْسَمْعِ نَفْجِيرُ الْمِيَاءِ خِلَالُهَا^(٤)

(١) اثنتا عشرة قطعة تجمع سنة وأربعين بيتاً.

(٢) الطل: نقاط الماء التي تسقط في الصباح الباكر على الأغصان عادة. - كأن الورد حرد، وكأن الطل دموع.

(٣) الأقحوان زهر يتألف من دائرة صغيرة صفراء حولها بتلات بيض تشبه الأسنان الأمامية. الجني: الناصر (الزاهي اللون) الطري (المهدب). الأثفار: بدء ظهور الأسنان (الأسنان المهدبة، وتكون صحيحة بيضاء مستوية، الخ).

(٤) لما شك قوم في شكل الجنة (جهلوا صورتها ووصفها) أنشأ هو في الأرض شيئاً لها.

(٥) الأنوار جمع نور (بفتح النون): الزهر الأبيض.

كَأَنَّ يَوَاقِظَنَا أَذِيْبَتْ فَأَشْرَبَتْ سَطَوُحَ الْمَبَانِي مِنْبَهِهَا وَجِغَالَهَا^(١).

- وقال في النسيب (ويبدو أَنَّ الأبيات التالية والأبيات السابقة من قصيدة واحدة في المديح):

- وقال في تفضيل الوردِ لَأَنَّهُ نَبَتْ سَنَوِيٌّ (يَأْتِي فِي أَوَائِلِ فَصْلِ الرَّبِيعِ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ النَّفُوسُ قَدِ اشْتَاقَتْ إِلَيْهِ) وَتَصْغِيرِ شَأْنِ الْآسِ لَأَنَّهُ نَضَارٌ (دَائِمُ الْخُضْرَةِ، وَلِذَلِكَ يَمْلِكُهُ النَّاسُ):

وَمُنْتَلَبِ الْأَجْفَانِ مَا زِلْتُ مُنْفَعًا عَلَيْهَا، وَلَكِنِّي أَلَدُّ أَعْتَلَّهَا^(١).
جَفَوْنَ أَجَالَ الْحُسْنُ فِيهِنَّ قَتْرَةٌ فَحَلَّ عَرَى الْأَجَالِ مُنْذُ أَجَالِهَا^(٢).
فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ عِنْدَ لَيْلَى إِلَى الْكَرَى، لَعَلِّي إِذَا مَا نَبَتْ أَلْقَى خِيَالَهَا.
يَقُولُونَ لِي: صَبِرْ أَوْ عَلَى مُطْلٍ وَغَدَا، وَمَا وَعَدْتَ لَيْسَلٍ فَأَشْكُو بِطَالِهَا^(٣).
وَمَا كَانَ ذَنْبِي غَيْرَ حِفْظِي عُهْدَهَا طَيِّبِي هَوَاهَا وَأَحْتَالِي دَلَالَهَا^(٤).

أَرَادَ الْوَرْدُ بِالْآسِ انْتِقَاصًا فَقَالَ الْوَرْدُ: لَسْتُ أَزُورُ إِلَّا
وَأَنْتَ تُدِمُّ تَنْقَبِلًا طَوِيلًا عَلَيَّ شَوْقِي كَمَا زَارَ الْخَيَالَ^(٥).
فَتَسَاءَلُكَ الْعَيُونُ لِذَاكَ بُغْضًا تَدُومُ بِهِ كَمَا رَتَّتِ الْجِبَالَ.
فَقَالَ لَهُ^(٦): تَقِيصُتُكَ الْهَلَالَ وَتَرْقُبُنِي كَمَا رُقِبَ الْهَلَالَ^(٧)!

- وقال في الهجاء مع الهزء:

قَسْتُ بِالْثَمِيرِ مَشْرَأً فَلِذَا هُمْ صُورُ الْإِنْسِ فِي طِبَاعِ الْحَمِيرِ.

(١) انمكس لون الزهر على سطوح الابنية!!

(٢) مبتلة الأجفان: ناعمة العينين. ألد اعتلاها: أجد لذة في تمس عينها.

(٣) أجال الحسن فيهن قتره: جعل في عينها كلتيهما قتره (فتوراً، نعساً). حل عرى الأجال (الأعمار): قصّر أعمار الناس.

(٤) المطل (بالصم) والمطال (يكسر الميم): الماخلة، تأخير الوفاء بالوعد بأعذار مختلفة.

(٥) طيبي (المصدر طي) مضاعفاً إلى الضمير المتصل (الباء) هواها: إغنايني حتى لها عن الناس.

(٦) فقال الآس للورد.

(٧) الخيال: الطيف الذي يرى في المنام.

(٨) تسأم: تمل. ترقبني: تنتظرنني. كما رقب الهلال: كما ينتظر الناس هلال (العید).

كَلَّمَا جِئْتَهُمْ لِأَثْبِتَ شِعْرِي طَمَعُوا مِنْ نَوَالِهِمْ بِالْبَيْسِ^(١)،
فَكَاتَى وَضَعَتْ فَلَكَ بُوَيْ فِي نَمِي أَوْ ضَعَطَتْ أَنْبُوبَ كَبِيرٍ^(٢)!

٤- * جذوة المقتبس ٨٤ (الدار المصرية) ٩١ رقم ١١٤٤ بغية الملتبس ١١٩ (رقم ٢٧٠) نيكل ٤٣.

الطليق المرواني

١- هو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصري،
وُلِدَ فِي سَنَةِ ٣٥٠ هـ (٩٦١ م)، قُبِيلَ وَفَاةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ. وَلَحْنٌ لَا نَعْرِفُ مِنْ
أَحْدَاثِ حَيَاتِهِ إِلَّا قِصَّةَ سَجْنِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا:

كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَرْوَانَ قَدْ رَمَى مَعَ ابْنِهِ مَرْوَانَ جَارِيَةً وَوَعَدَهُ بِأَنْ يُزَوِّجَهُ
إِيَّاهَا ثُمَّ اسْتَأْثَرَ هُوَ بِهَا. وَلَحِقَتْ مَرْوَانَ غَيْرَةٌ - وَكَانَ قَدْ أَحَبَّ الْجَارِيَةَ - فَقَتَلَ أَبَاهُ.
وَكَانَتْ تِلْكَ الْحَادِثَةُ فِي أَيَّامِ حِجَابِةِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ فَسَجَنَ الْمَنْصُورُ مَرْوَانَ فِي
الْمُطْبِقِ (وَهُوَ سِجْنٌ فِي مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ قَرِبَ قَرْطَبَةِ) وَعُمُرُهُ آنَ ذَاكَ نَحْوُ سِتِّ عَشْرَةِ
سَنَةٍ. وَقَدْ مَكَثَ مَرْوَانُ فِي سِجْنِهِ سِتِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ أَيْضاً أَطْلَقَهُ فِي نِهَائِهَا الْمَنْصُورُ بْنُ
أَبِي عَامِرٍ لِأَنَّ الْمَنْصُورَ - فِيمَا قِيلَ - رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّامِ بِأَمْرِهِ أَنْ
يُطْلِقَهُ فَأَطْلَقَهُ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عُرِفَ مَرْوَانُ هَذَا بِالطَّلِيقِ الْمَرْوَانِيِّ وَالطَّلِيقِ الْقُرَشِيِّ.
وَكَانَ يُعْرَفُ أَيْضاً بِلقب الشَّرِيفِ الْمَرْوَانِيِّ وَالشَّرِيفِ الْقُرَشِيِّ (لِنَسَبِهِ فِي الْبَيْتِ الْأُمَوِيِّ)
الْمَالِكِ فِي قَرْطَبَةِ). وَتَوَفَّى الطَّلِيقُ الْمَرْوَانِيُّ نَحْوَ سَنَةِ ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ - ١٠١٠ م).

٢- كَانَ الطَّلِيقُ الْمَرْوَانِيُّ أَدِيباً وَشَاعِراً، وَهُوَ فِي بَنِي أُمَيَّةَ كَعْبِدُ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ فِي
بَنِي الْعَبَّاسِ «مَلَاةَ شِعْرٍ وَحُسْنَ تَشْبِيهِ» وَقَدْ نَظَّمَ مُعْظَمَ شِعْرِهِ وَهُوَ فِي السِّجْنِ فِي
قَتِيَّاتٍ شَفَرٍ. وَلَهُ قَصِيدَةٌ عَلَى رَوِيِّ الْقَافِ فَرِيدَةٌ فِي بَابِهَا.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ الطَّلِيقُ الْمَرْوَانِيُّ فِي الْغَزْلِ وَالْحَمْرِ وَوصف الطبيعة:

- (١) التَّوَال: الطَّاءُ. الْبَيْس: الْقَلِيلُ.
(٢) فَلَكَ (٢) الْبُوقُ: آلهُ يَزْمُرُ بِهَا. الْكَبِيرُ مَنَافَخُ الْحَفَادِ. مَدَّوْا آذَانَهُمْ (كَيْلَا يَسْمَعُوا الصَّوْتَ) وَهَرَبُوا
(كَيْلَا تَنَسَخَ أَنْوَابُهُمْ).

عُصْنٌ يَهْتَرُ فِي دِعْصٍ نَقَا يَجْتَنِي مِنْهُ فُوَادِي جُرَقَا^(١)
أَطْلَعَ الْحَسْنَ لَنَا مِنْ وَجْهِهِ قَمَرًا لَيْسَ يُرَى مُتَحِقَا^(٢)
وَرَنَا عَنْ طَرْفِ رِيحٍ أَخْوِي لَحْطُهُ سَهْمٌ لِقَلْبِي فَوْقَا^(٣)
وَتَنَاهَى الْحَسْنَ فِيهِ - إِنَّا يَحْسُنُ الْفُصْنَ إِذَا مَا أَوْرقَا^(٤)
رُبَّ كَاسٍ، قَدْ كَسَتْ جِنَحَ الدُّجَى ثَوْبًا نُورٍ مِنْ سَنَاهَا يَفْقَا^(٥)
ظِلْتُ أَتَقِيهَا رَشًا فِي طَرْفِهِ سِنَّةٌ نُورٌ عَيْنِي أَرْقَا^(٦)
فَكَأَنَّ الْكَاسَ فِي أَنْعُلِهِ صُفْرَةُ النَّرْجِسِ تَعْلُو الْوَرَقَا^(٧)
أَصْبَحْتَ شَنَا وَفُوهُ مَغْرِبًا وَيَدُ السَّاقِي الْمُحَيِّي مَشْرِقَا
فَإِذَا مَا غَرَبْتَ فِي قَمِيهِ تَرَكْتَ فِي الْخَدِّ (مِنْهَا) شَفَقَا^(٨)
وَعَامٍ حَقِيلٍ شُؤْبُوهُ نَادَمَ الرُّوضُ فَغَنَى وَسَقَى^(٩)

- (١) الدعص: قطعة من الرمل مستديرة (تلك صغيرة، أو جانب من تلك كبيرة). نقا: رمل أبيض - كتابة عن الجزء الأوسط من المصنوع!
- (٢) القمر المتحني: القمر حين لا يكون له نور (في آخر الشهر).
- (٣) رنا: تطلع وأدام النظر. الطرف: طرف العين، النظر. الرم: الغزال الأبيض. الأخور: شديد بياض بياض العين وشديد سواد سوادها. فوق النهم: صوبه.
- (٤) تناهى: (هنا) بلغ النهاية والغاية، كمل. يحسن الفصن إذا ما أورد: اكتسى بالورق (في الربيع). يقصد الشاعر أن محبوبه لما شب وظهر الشعر في وجهه أصبح أجمل من ذي قبل (تشبيهاً له بالفصن إذا أورد في الربيع).
- (٥) الجتح (بكسر الجيم): الجانب، الدجى: الظلام، الليل. السنا: اللعنان. اليقن: الأبيض - نور الحمر في الكأس ردّ الليل أبيض كأنه نهار.
- (٦) ظلت (بكسر الظاء) = ظلت (بكسر اللام الأولى): بقيت، استمرت. الرشا: الظبي الصغير إذا توي وبدأ يمشي مع أمه. الطرف: العين. السنة (بكسر السين): العناس (فتور العين دلالة على الحسن والإغراء). الارق: السهر (من شدة الحب).
- (٧) الاقل: أطراف الأصابع. «صفرة النرجس تملو الورق» يمكن أن تقرأ صورتين (أ) كقلب النرجس الأصفر بين وري (يفتح الرء) زهرة النرجس (بتلات الزهرة)، كتابة عن إمساك الساقى بالكأس، أو (ب) كزهرة النرجس الأصفر تحمله يد جيلة بيضاء كأنها من وري (بكسر الرء) أي من فضة.
- (٨) الشفق: اللون الأحمر الذي يبقى على الأفق بعد غياب الشمس.
- (٩) الشؤبوب: الدفعة (بضم الدال) من المطر. المطلق: المتتابع مرّة بعد مرّة، الكثير المطل أو التمهطال (السقوط والانهيار). - يقول: العام بنادم الروض: سقى الروض من مائه ويغني برعده.

فكَأَنَّ الرُّوضَ مِنْهُ مُطِيقٌ، وَكَأَنَّ الْمُهْضَبَ جَانِبَ أُطِيقًا^(١).
خَلَعَ السَّرِقُ عَلَى أَرْجَائِهِ ثَوْبَ وَشَرٍّ مِنْهُ لَمَّا أُبْرِقَا.
وَكَأَنَّ الْعَارِضَ الْجَوْنَ بِهِ أَذْهَمَ طَلَّ عَلَيْهِ بُلُقَا^(٢).
فِي لَيْلٍ ظَلَّ سَارِي نَجْمِهَا حَائِثِرًا لَا يَسْتَبِينُ الطَّرُقَا^(٣).
وَقَدْ السَّرِقُ لَنَا مِصْبَاحُهَا فَتَنَى حَنْجَ دُجَاهَا مُشْرِقَا^(٤).
وَشَدَا الرِّعْدُ حَيْنًا فَجَرَتْ أَكُوسُ الْمُزْنِ عَلَيْهِ غَدَقَا^(٥).
فَانْتَشَى شُرْبًا وَأَضْحَى مَائِلًا يَمْلُ ثَنَوَانٍ وَقَدْ خَرَّ لَقَى^(٦).
وَعَدَتْ نَحْنُو لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ أَلْحَفَتْهُ مِنْ سَنَاهَا نُفْرُقَا^(٧).
وَكَأَنَّ الْوَرْدَ يَعْلُوهُ النَّدَى وَجَنَّةُ الْمَعشُوقِ تَنْدَى عَرَقَا

- وقال في النسيب:

أَقُولُ وَدَمِي يَسْتَهْلُ وَيَسْفَحُ وَقَدْ هَاجَ فِي الصَّدْرِ الْقَلِيلُ الْمَرْجُ^(٨)

(١٠) (الصورة في البيت غير واضحة، والكلمات: مطيق، هضب، أطيقا ليس لها في القاموس معان ثلاث استعملها في هذا البيت). المطيق: السحن تحت الأرض. الحقيق: سحن.

(٢) (العارض: الغم القليل يحمل مطراً. الجون (هنا): الأسود (لكثرة ما فيه من المطر). أذهم (فرس؟) أسود. طلل عليه: أنزل على الروض طلاً (مطراً خفيفاً). بلقا جمع أبلق: فرس أبيض- الصورة غير واضحة. كأن القيمة السوداء فرس أذهم (أسود) أحاطت به بلق (حبل بيضاء)- غيوم بيضاء (٢).

(٣) ليلة شديدة السواد كثيرة المطر لا يستطيع فيها أحد أن يميز ولا النجوم أيضاً.

(٤) وقد: أوقد، أشعل، أضاء. ثنى: رد (حمل). ثنى حنج دجاءها مشرقاً: جعل (البرق) جانباً من الليل مضيقاً.

(٥) غدقا: كثيراً. الندى: الماء الكثير.

(٦) انتشت (سكرت) أغصان الروض (لكثرة ما سقط عليها من المطر- كأن هذا المطر خر) فالت كثيراً فأصبحت تشبه السكران الذي «خر» (سقط من كثرة الشراب) لقي (مطروحاً على الأرض) ..

(٧) ثم حنت له (حنت عليه، عطفت) الشمس فأشرقت وألحفت الروض (عطفته بلحاف) من سناها (نورها) بنسرق (بساط ملون) - في الغم الكثيف يظهر كل شيء داكناً. أما في نور الشمس فيبدو كل شيء بلونه الطبيعي.

(٨) استهل: طلع، بدأ. يسفح: أنصب، سال بكثرة. اللبل: الشوق إلى الماء، العطش، عطش الحب. المرج: الموجع، الشديد.

دعوني من الصبر الجميل فإنني رأيتُ جميلَ الصبرِ في الحبِّ يَفُتِحُ .
لقد هيجَ الأضْحى لنفسي جوى أَسَى كربةُ المناها منه للنفسِ أَرْوَحُ^(١) .
كَأَنَّ بَعِينِي حَلَقَ كُلُّ ذِيحَةٍ به ، وبصدري قلبها حين تُذْنِيعُ^(٢) .
فيا ليتَ شعري هل لمولاي عطفَةٌ يُدَاوِي بها مِنِّي فَوَادٍ مَجْرَحُ ؟
يَجِيئُ إلى البدر الذي فوق خَدَه [مكانَ سوادِ البدر] وردٌ مَفْتُحُ .
تَقْنَعُ بدرَ التِّيمَ عندَ طُلُوعه خافَةٌ أن يَسْري إليه فيُفْضَحُ^(٣) .
فقلتُ له : « يا بدرُ ، أَسْفَرُ فَعَدَّوْى عليه رقيبٌ للعدى ليسَ يَرحُ »^(٤) .
لعمري لذاك البدرُ أَجَلُ مَنْظَرًا وأَحْسَنُ من بدرِ التَّامِ وأَمْلَحُ .

١ - * * جذوة المقتبس ٣٢١ ، (الدار المصرية) ٣٤٢ - ٣٤٣ (رقم ٧٩٩) بنية المنسج
٤٤٧ (رقم ١٣٤٣) : المغرب ١ : ١٨٦ ١٨٧ المطرب ٧٢ وما بعد (وفيها
استطرد) : الذخيرة ١ : ٥٥٣ وما بعد : الحلة السراء ١ : ٢٢٠ - ٢٢٥ : المَنَ
بالإمامة ١٥٩ - ١٦٤ نفع الطيب ٣ : ٣٨٨ - ٣٨٩ ، ٥٨٦ - ٥٨٨ : الأعلام
للزركلي ٩٦ : ٨ (٧ : ٢٠٨) : نيكل ٦١ - ٦٤ ، مختارات نيكل ٣٧ - ٣٨ .

عائشة بنت أحمد

١ - هي عائشة بنتُ أحمدَ بنِ محمَّد بنِ قادمٍ من أهلِ قرطبةَ لا نَعْرِفُ من أخبارِ

- (١) الأضْحى = عيد الأضْحى . الجوى : الحرفة الشديدة . المرض المتطاوُل . الأَسَى : الحزن . جوى أَسَى (عل
الإضافة) : حزن شديد طويل الأمد . أَرْوَحُ : أكثر راحة للنفس الموت القطيع أهمل على
الإنسان من هذا الحزن الناشئ من (بماد) الحبيب .
- (٢) حيناً أرى الذبائح تذيع في عيد الأضْحى (والحبيب بعيد عَنِّي) أشعر أن السكَّين الذي ير محلقتها
(بذبحها) كأنه ير في أنا (بذبحي أنا) . كأنَّ بصدري قلبها : أنا أشعر في الحبِّ بما تشمر هي به عند
الذبح .
- (٣) بدر التِّيمَ (بكسر التاء) والتَّام (يفتح التاء) : البدر ليلة أربع عشرة . تَقْنَعُ : أرعى القناع على وجهه .
سرى : مار ليلاً . - استمر البدر بالهجوم كيلاً بخرج محبوبي (إلى الزفة في ضوء القمر) . وحينئذ يظهر
بدري (محبوبي) أَجَلُ من بدر السماء .
- (٤) أسفر : اكتشف عن وجهه . غوى عليه رقيب للعدا : وضع أعدائي على حبيبي رقيباً قد غوى (ضلَّ) ،
فهو يتشدد في منعه من الخروج ليلاً ونهاراً . يروح : يترك ، يهادر (لا يترك مراقبة الم محبوب) .

حياتها إلا أنها كانت تمدحُ الملوك (الرؤساء والأعيان) وأنها عيّنت أحد أبنائها المنصور ابن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ)، وأنها ماتت سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ - ١٠١٠ م) عذراء لم تتزوج قط.

٢- كانت عائشة بنتُ أحدٍ من أدقِّ الناس فهماً وأوسعهم علماً وكانت أديبة شاعرة ذات فصاحة، كما كانت حَسنة الخطِّ تكتبُ المصاحفَ. وربما ارتجَلَتِ الشعرَ.

٣- مختارات من شعرها

- دخلت عائشة بنتُ أحدَ على المظفر بن المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٩ هـ) وبينَ يَدَيهِ ولدٌ فارتجَلَتُ:

أراك الله فيه ما تريدُ، ولا برحاً معاليه تزيدُ.
فصوّفَ نراهُ بذراً في سلا من العلبا كواكبُه الجنودُ.
وكيفَ يجيبُ شيلٌ قد نمتُهُ إلى العلبا ضراغمةً أسودُ؟
فأنتم، آلَ عامرٍ، خيرُ آلٍ: زكا الأبناء منكم والمجدود^(١).
وليدُكم لدى رأيٍ كشيخٍ وشيخُكم لدى حربٍ وكيدٍ.

- ولها قصيدةٌ وجدّانيةٌ مطلعها:

لولا الدموعُ لآ خَشِيتُ عذولاً، فهي التي جعلتُ إليك سبيلاً^(٢).

٤- * * الصلة ١٦٥٤ نفع الطيب ٤: ٢٩٠ تاريخ الفكر الأندلسي ١٧٣ الأعلام للزركلي ٤: ٤ (٣: ٢٣٩ - ٢٤٠).

السرْقُطِيُّ المَعافِرِيُّ

١- هو أبو عثمان سعيد بن محمد المَعافِرِيُّ السَرْقُطِيُّ المعروف بابنِ الحدّادِ والملقبُ

(١) زكا: طاب، صلح (بفتح اللام).

(٢) العذول: الذي يلوم الناس على أعمالهم.

بالجمار^(١)، لعل مولده نحو ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) في سرقسطة. ثم يبدو أنه انتقل مع أهله إلى قرطبة ونشأ فيها وتلقى العلم على جماعة منهم ابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ) فلازمه وأصبح أشهر تلاميذه، كما روى عن صاعد الرقبى البغدادي (ت ٤١٧ هـ). واستشهد السرقسطي المفايري في قرطبة في أيام الفتن (بعد ٤٠٠ هـ = ١٠٠٩ م).

كان السرقسطي المفايري ذا اتجاه ديني حملته على التطوع في سبيل الله وهو في السنين من عمره. وكان نحوياً وأديباً، له «كتاب الأفعال» - على غير كتاب شيخه «كتاب الأفعال» - (ولكنه بسط له: مقدمة وتوضيح وتوسيع)، إلا أنه أقتصر فيه على الغريب من الأفعال ومن معاني الأفعال، ولكن أكثر فيه من الشواهد. وقد انتهى من تأليفه بعد وفاة ابن القوطية وقبل وفاته هو ببضع عشرة سنة. وكتاب السرقسطي المفايري أتم الكتب في موضوعه، إذ لم يقيد المؤلف فيه نفسه بمذهب معين، بل أورد آراء البصريين كأبي زيد (الأنصاري) والأصمعي وابن دُرَيْدٍ وأبي حاتم (السيستاني) وآراء الكوفيين كابن الأعرابي وابن السكيت وأبي عبيدة (مفهر) ابن المثنى إلى جانب آراء نفر آخرين من النحاة.

٤- * * الصلاة ٢٠٩ (رقم ١٤٧٨) فهرست ابن خبير ٣٥٦، ١٤٧٣ بروكلمن، بروكلمن، الملحق ١: ٢٠٣، الأعلام للزركلي (٣: ١٠١) - وفي هذه الترجمة تفاصيل أكثر مما نجد في هذه المصادر والمراجع المذكورة سقط مني مواضع أخذها.

محمد بن مغيث المغربي

١- هو محمد بن مغيث المغربي، وُلِدَ سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) وكانت وفاته سنة ٤٠٢ هـ (١٠١٢ م) بعد مرض أقعده، وقد بدا الحرَمُ عليه.

٢- محمد بن مغيث المغربي شاعر مطبوع مُرْسَلُ الكلام مَلِيحُ الطريقة يَقَعُ على

(١) أبو عثان سعيد بن محمد بن الحداد الملقب بالجمار هذا غير أبي عثان سعيد بن محمد بن الحداد من أهل الطبقة الثالثة من النحاة الأندلسيين (طبقات الزبيدي ١٢١٦ راجع بغية الوعاة ٢٥٧) وغير أبي عثان سعيد بن محمد القرطبي النحوي (راجع بغية الوعاة ٢٥٧) وغير سعيد بن فتحون السرقسطي الملقب بالجمار (راجع نفع الطيب ٢: ١٧٥، ٥٠٢).

النُكْبِ وَيُصِيبُ (مواقع) الكلامِ وَيُقِمُّ (يُنِيرُ) حَرْبَ الشُّعْرَاءِ (العداوةَ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ).
وكان مُنْهَكًا في الحَمْزِ كَثِيرَ الْهَجَاءِ مُقْدِعًا، حَسَنَ التَّعْلِيلِ فِي شِعْرِهِ.

٣- مختارات من شعره

- رَزَقَ أَحَدُ الرُّسُلِ بِنْتًا فَحَزَنَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ مُغِيثٍ:

لَا تَأْسَ إِنْ رُحْتَ أَبَا لَأْبَنَةٍ تَكْظِمُ أَشْجَانًا إِلَى كَاظِمَةٍ^(١)،
فَإِنَّ أَبْنَاهُ نَبِيُّ الْهُدَى كُلُّهُمْ مِنْ وَلَدِي فَاطِمَةٍ^(٢)!

- جاء مُحَمَّدٌ بْنُ مُغِيثٍ إِلَى عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ مُهَذَّبٍ فَجَحَبَهُ (رَفَضَ عَبْدَ الْمَجِيدِ أَنْ
يَسْتَقْبِلَهُ) فَقَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ مُغِيثٍ يَهْجُوهُ، وَكَانَ لِعَبْدِ الْمَجِيدِ قُرُوحٌ فِي رَأْسِهِ يَكْرَهُ أَنْ تَظْهَرَ
كَمَا كَانَ لَهُ عَبْدٌ اسْمُهُ سَعِيدٌ يُؤَثِّرُهُ^(٣):

زُرْتُ عَبْدَ الْمَجِيدِ زَوْزَةً مُشْتَا فِي إِلَيْهِ فَصَدَّ عَنِّي صُدُودًا،
فَكَانِي أَتَيْتُـهُ أَنْزَعُ الْعَيْنَ سَمَةً عَنْ رَأْسِهِ وَأَخْصِي سَعِيدًا.

ابن الفَرَضِيِّ

١- هُوَ أَبُو الْوَلِيدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ نَصْرِ الْأَزْدِيِّ الْقُرْطُبِيُّ، وَلَدَ فِي
قُرْطُبَةٍ، فِي ٢٣ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٣٥١ (٢٢ / ١٢ / ٩٦٢ م).
تَلَقَّى ابْنَ الْفَرَضِيَّ الْعِلْمَ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْهُمْ فِي الْأَنْدَلُسِ يَحْيَى بْنُ مَالِكٍ بْنُ عَائِثٍ (ت
٣٧٦ هـ) وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْحَرَّازِ.

وَفِي سَنَةِ ٣٨٢ هـ (٩٩٣ م) رَحَلَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ فَسَمِعَ فِي الْقَيْرُوَانِ مِنْ
ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرُوَانِيِّ (ت ٣٨٦ هـ) وَمِنْ أَبِي الْحَسَنِ الْقَاسِمِيِّ (ت ٤٠٣ هـ). وَسَمِعَ فِي
مِصْرَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمُهَنْدِسِ. وَبِمَا أَنْ رَحَلَتْهُ إِلَى الْمَشْرِقِ لَمْ

(١) لَا تَأْسَ: لَا تَحْزَنْ. تَكْظِمُ: تَرُدُّ، تَتَمَّعُ، تَحْبِسُ (تَصْبِرُ عَلَى الْغَضَبِ). الشَّجْنُ (يَفْتَحُ فَتْحًا): الْحُزْنُ.
كَاطِمَةٌ (بِلَدَةٍ فِي الْكُوَيْتِ تَسَمَّى الْيَوْمَ: الْجَهْرَةُ). تَكْظِمُ أَشْجَانًا إِلَى كَاظِمَةٍ (٢). (تَزِيدُ أَحْزَانًا نَفْسَكَ).

(٢) نَبِيُّ الْهُدَى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. فَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ تَزَوَّجَهَا الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَجَاءَهُ مِنْهَا
الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ. وَجَمِيعُ نَسْلِ رَسُولِ اللَّهِ كَانَ مِنَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنِي فَاطِمَةَ.

(٣) يُؤَثِّرُهُ: يَفْضَلُهُ عَلَى غَيْرِهِ (وَالشَّاعِرُ يَتَمَّعُ عَبْدَ الْمَجِيدِ بِالشَّاعَةِ).

بَسْمَرٌ سَوَى سَتِينٍ فَقَطْ (٣٨٢-٣٨٤ هـ) فلا بدَّ من أن يكون قد وصل إلى مَكَّة في أواخر سَنَةِ ٣٨٢ هـ (في آخر عام ٩٩٢ أو أول عام ٩٩٣ م) فحَجَّ ثم سَمِعَ من أبي يعقوب يوسف بن أحمد بن الدخيل الصيدلاني المكي.

وبعد أن عاد ابن الغرضي إلى الأندلس تَقَلَّدَ القضاء في بَلَنَسِيَّةَ، في أيام الخليفة مُحَمَّدٍ الْمُهَدِّي (٣٩٩-٤٠٠ هـ). ثم إِنَّهُ انتقل إلى قرطبة. وفي قرطبة قُتِلَ ابْنُ الغرضي في الفتنة، في السادس من شَوَّالٍ من سَنَةِ ٤٠٣ (٢٠ / ٤ / ١٠١٣ م)، لَمَّا دخل البربرُ إلى قرطبة وأعادوا سُلْطَانَ المستمِينَ إلى سُدَّةِ الْخِلَافَةِ.

٢- أبو الوليدُ بْنُ الْغُرَظِيِّ مُحَدِّثٌ بَارِعٌ في علوم الحديث وفقه وخطيب و ذو حظٍّ وافٍ من الأدب. وهو أيضاً شاعر مقلِّ - وعند ابن خَلْكَانَ (وفيات ١٠٦: ٣) شاعر مكثر- وشعره لطيف تَقَلَّبُ عليه العاطفة الدينية. غير أن شهرة ابن الغرضي إِنَّمَا هي في تَأْلِيفِهِ التَّارِيخِيَّةِ عرفنا منها: تاريخ العلماء والرُّوَاةِ للعلم في الأندلس - تاريخ شعراء الأندلس - المُوْتَلَفُ والمُخْتَلَفُ في أسماء الرجال.

٣- مختارات من آثاره

- رَوَى ابْنُ خَلْكَانٍ لِأَبِي الْوَلِيدِ بْنِ الْغُرَظِيِّ هَذِهِ الْمُنَاجَاةَ (وفيات ١: ٤٧٩):
 أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَقِفْ عَلَى وَجَلِي تَمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفٌ،
 يَخَافُ ذُنُوباً لَمْ يَشِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا وَبِرْجُوكَ فِيهَا، فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفٌ.
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي؟ وَمَا لَكَ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ مُخَالَفٌ.
 إِذَا تُثِيرْتَ - يَوْمَ الْحِسَابِ - الصَّحَائِفَ، إِذَا تُخْرِجِي فِي صَحِيفَتِي،
 وَكُنْ مُؤَنِّسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا يَصُدُّ ذَوُّ الْقُرْبَى وَيَجْفُو الْمُؤَالِفُ.
 لَيْتَ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَأْلِفُ!

- لَمَّا رَحَلَ ابْنُ الْغُرَظِيِّ عَنِ الْأَنْدَلُسِ (٣٨٢ هـ) قَالَ:

وَمَا لِي حَيَاةً بَعْدَكُمْ أَسْتَلِدُّهَا، وَلَوْ كَانَ هَذَا لَمْ أَكُنْ بَعْدَهَا حُرّاً.
 مَضَتْ لِي شُهُورٌ، مُنْذُ غَيْبَتُمْ، ثَلَاثَةٌ، وَمَا خِلْتَنِي أَبْقَى - إِذَا غَيْبْتُمْ - شَهراً.

سَأَسْتَعِيبُ الدَّهْرَ الْمَفْرُقَ بَيْنَنَا. وَهَلْ نَافِعِي إِنْ صِرْتُ أَسْتَعِيبُ الدَّهْرَ؟
 أَعْلَلُ نَفْسِي بِالنَّسَى فِي لِقَائِكُمْ، وَأَسْتَسْهِلُ الْبَرَّ الَّذِي جُبْتُ وَالْبَحْرَ.
 وَيُؤْنِسُنِي طَيُّ الْمَرَا حِلِّ بَعْدَكُمْ: أَرْوَحُ عَلَى أَرْضٍ وَأَغْدُو عَلَى أُخْرَى.
 - وقال في مقدمة كتابه « تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس »:

هذا كتابُ جمعناه في فقهه الأندلس وعلمائهم وروايتهم وأهل العناية منهم مُلَخَّصًا
 على حروفِ الْمُعْجَمِ قَصَدْنَا فِيهِ قَصْدَ الْاِخْتِصَارِ - إذ كانت نيتنا قديمًا أن نُؤَلِّفَ في
 ذلك كتابًا مُوجِبًا على المُدْنِ يشتمل على الأخبار والحكايات، ثم عاقبت عوائقُ عن
 بلوغ المراد فيه - فجمعنا هذا الكتابَ مُختصرًا.

وَعَرَّضْنَا فِيهِ ذِكْرُ أَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَكُنَاهُمْ وَأَنَسَابِهِمْ وَمَنْ كَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِ حِفْظُ
 الرَّأْيِ مِنْهُمْ، وَمَنْ كَانَ الْحَدِيثَ وَالرَّوَايَةَ أَمْلَكَ بِهِ وَأَغْلَبَ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى
 الْمَشْرِقِ رِحْلَةٌ، وَمَنْ رَوَى وَمَنْ أَجَلُّ مَنْ لَقِيَ، وَمَنْ بَلَغَ مِنْهُمْ مَبْلَغُ الْأَخِذِ عَنْهُ وَمَنْ
 كَانَ يُشَاوِرُ فِي الْأَحْكَامِ وَيُسْتَفْتَى، وَمَنْ وَلِيَ مِنْهُمْ خُطَّةَ الْقَضَاءِ، وَمِنْ الْمَوْلَدِ وَالْوَفَاةِ مَا
 أَسْكَنَتْهُ عَلَى حَسَبِ مَا قَيَّدَتْهُ.....

٤- تاريخ علماء الأندلس (كوديرا)، مدريد ١٨٩٢ م = تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس،
 (عني بشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت المطار الحسبي)، القاهرة
 ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م.

* * جذوة المقتبس ٢٣٧ - ٢٣٩ (الدار المصرية) ٢٥٤ - ٢٥٦ (رقم ٥٣٧) بغية المتنص
 ٣٢١ - ٣٢٣ (رقم ٨٨٨) المغرب ١: ١٠٣ - ١٠٤ مطمح الأنفس ٥٧ - ٥٨ الذخيرة
 ١: ٦١٤ - ٦١٦ الصلة ١: ٢٤٦ - ٢٥٠ وفيات الأعيان ٣: ١٠٥ - ١٠٦ شذرات
 الذهب ٣: ١٦٨ نفع الطيب ٢: ١٢٩ - ١٣٠ بروكلن ١: ٤١٢، الملحق ١: ٥٧٨ -
 ٥٧٩ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٢، الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٥ (١٢١).

يوسف بن هرون الرمادي

١- هو أبو عمر يوسف بن هرون الكِنْدِيُّ، وُلِدَ فِي قُرْطَبَة، سَنَة ٣١٤ هـ
 (٩٣٦ م). وَقَدْ عُرِفَ بِتَلَقُّبِ الرَّمَادِيِّ فِي مُقَابِلِ «أَبُو جَنَيْس» مِنَ الْإِسْبَانِيَةِ الدَّارِجَةِ:
 cenisa (الرماد)؛ وَيَبْدُو أَنَّهُ لَا صِلَةَ لِلْقَبْرِ هَذَا بِبِلَدَةِ الرَّمَادَةِ فِي الْمَغْرِبِ.

أخذ الرماديُّ الأدبَ عن أبي بكرٍ يحيى بن هُذيل الكنفي (ت ٣٨٦ هـ) أحدٍ عليه الأدبُ في الأندلس، ثم عُنِيَ بالفلسفة القديمة.
ولمَّا دخل أبو عليُّ القالي إلى الأندلس (٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م) مدحه الرماديُّ بقصيدةٍ بارعةٍ، برغم صغر سنِّه يومذاك.

وتكسب الرماديُّ بالشعر، وكان شاعرَ الحكمِ المُستنصِرِ (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ)، فعَلَتْ منزلته. وكذلك قصد شعره عبد الرحمن بن محمد التُّجَيْبِيُّ في سَرَقُطَّةَ وفرحون بن عبد الله في شَتْرَيْنِ الغَرْبِ. غير أن أكثرَ اتِّصَالِه كان بالحاجِبِ المنصورِ بن أبي عامرٍ (٣٦٦ - ٣٩٢ هـ) ولكن لمَّا وقعتِ المناقشةُ بينَ الحاجِبِ المنصورِ والوزير جعفر أبي عثانٍ المصْحَنِيِّ وَقَفَّ الرماديُّ في جانبِ المصْحَنِيِّ. فلَمَّا تغلبَ المنصورُ على المصْحَنِيِّ أمرَ بسجنِ الرماديِّ (٣٦٨ هـ = ٩٧٨ م) ثم عفا عنه (٣٧٦ هـ).

وكانت وفاةُ الرماديِّ في ١٢ من ذي الحِجَّةِ ٤٠٣ (٢٤ / ٦ / ١٠١٣ م).
٢- يوسفُ بنُ هرونَ الرماديُّ شاعرٌ وُجِدانيٌّ مُكثِّرٌ مشهورٌ عند الخاصةِ والعامَّةِ لأنَّه كان بارعاً في عددٍ من فنونِ الشعرِ التي تنفُقُ عندَ الفريقين. وفي شعره شيءٌ من الطَّبعِ وشيءٌ من التَّصْنِيعِ والتكَلُّفِ، وكان مُفرِّماً باستخراجِ الصورِ الشِّعريةِ المستغَرَّبةِ والمعانيِ المبتكرةِ؛ ومع ذلك فقد كان سريعَ القولِ. وفنونُ الرماديِّ المدحُ والمجاءُ والوصفُ والفُزْلانُ والمُجُونُ والخمرُ. وهو يجري في الخمرِ على أثرِ أبي نُوَاسٍ. ولعلَّ تطلُّبهَ للصُّورِ الشِّعريةِ والمعانيِ المبتكرةِ هو الذي دعا أهلَ الأندلسِ إلى أن يُسمَّوه «متنبِّي الغرب» (لقباً أطلق أيضاً على آبن هاني وابنِ درَّاجِ القسطلِيِّ). وللرمادي كتاب الطيرِ آله في السجنِ.

٣- مختارات من شعره

- يبدأ ابن دُحْيَةَ (ت ٦٣٣ هـ) كتابَ «الطُّرب من أشعار أهل المغرب» بالرماديِّ ويقول: «أَشْدَّ مُقَدِّمُ شعراءِ الأندلسِ أبو عَمَرَ يوسفُ بنُ هارونَ الرماديِّ لنفسه:

وليلة راقبت فيها الهوى على رقيب غير وسان^(١)،
والراح لا تنزل عن راحتي، وقتاً، وعن راحتي ندماني^(٢)،
وربّ يوم فينطه منضج
أبرز، في خدي، لي رشع
فتحت الجنة من جنيه
مروءة في الحب تنهى بأن
- وقال في النسيب والتمر:

بدر بدا يخيل شمساً بدت، وحدها في الحني من حدي^(٣)؛
تغرب في فيه، ولكنهما من بعد إذا تطلع في حدي^(٤)؛

- وقال في معذبه (محبوبه الذي يعذبه) يحاول أن يختار له محلاً يحفظه من كل

سوء:

في أي جارحة، أصون معدّي، سكت من التعذيب والتنكيل^(٥)؟
إن قلت في بصري فتم مداامي؛ أو قلت في كيدي فتم غليلي^(٦).
لكن جعلت له المسمع موضعاً وحجبتها عن عدل كل عدول.

- لما دخل أبو عليّ القالي إلى الأندلس (٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م). مدحه الرمادي
بقصيدة بارعة، وكان الرمادي لا يزال حديثاً. قال:

- (١) الوسنان: الذي يفاله الناس.
- (٢) الندمان (بالفتح): الندم الواحد: الذي يشارك في شرب الخمر). الندمان (بالضم): جمع ندم.
- (٣) رشعه: عرقه. الوسن: (الورد) الأبيض. الطل: الندى. - كما علا العرق وجنتيه تداخل عليها عرقه الأبيض ولونها الآخر.
- (٤) الجيب: مدخل العنق في الثوب. رضوان: خازن الجنة. - يت في دعوة رضوان (منتماً مع حبيبي) من غير مصيبة (راجع البيت التالي).
- (٥) بدر (كتابة على السامي الجميل) يحمل شمساً (كأساً من الخمر). حدها من حده (صفاتها جميلة كصفاته).
- (٦) الجارحة: العضو في الجسم (اليد، العين الخ).
- (٧) الغليل: الحر (من الحب أو الحزن).

مَنْ حَامٌّ بَيْنِي وَبَيْنَ عَذُولِي؟ الشَّجْوُ شَجْوِي وَالْعَوِيلُ عَوِيلِي^(١).

وبعد شيء من الغزل والنسيب قال الرمادي يوازنُ بين الغُربِ (الأندلس) بعد وصول أبي عليّ القالي إليه والشرق بعد أن غادره القالي (ويشبه القالي بالروض):

رَوْضٌ تَعَاهَدَهُ السَّحَابُ كَأَنَّهُ مُتَعَاهِدٌ مِنْ عَهْدِ إِسْمَاعِيلِ^(٢).
قِيَّةٌ إِلَى الْأَعْرَابِ تَعْلَمُ أَنَّه أَوَّلَى مِنَ الْأَعْرَابِ بِالْتَفْضِيلِ^(٣).
حَازَتْ قِبَائِلُهُمْ لُغَاتٍ فُرِّقَتْ فِيهِمْ وَحَازَ لُغَاتِ كُلِّ قَبِيلِ^(٤).
فَالشَّرْقُ خَالٍ بَعْدَهُ، فَكُنَّا نَزَلَ الْحَرَابُ بِرَيْعَةِ الْمَاهُولِ.
وكَأَنَّهُ شَسٌّ بَدَتْ فِي غَرْبِنَا وَتَغَيَّبَتْ عَنْ شَرْقِهِمْ بِأَفْوَلِ^(٥).

٤- * جذوة المقتبس ٣٤٦-٣٤٩ (الدار المصرية) ٣٦٩-٣٧٣ (رقم ٨٧٨) بنية
الملتص ٤٧٨-٤٨١ (رقم ١٤٥١) المغرب ١: ٣٩٢-٣٩٤ المطرب ٣-٤
وفيات الأعيان ٧: ٢٢٥-٢٢٩ معجم الأدياء ٢٠: ٦٢-٦٤ مطمح الأنفس
٦٩-١٧٤ شذرات الذهب ٣: ١٧٠-١٧٢ نفع الطيب ٣: ٧١-٧٢، ٧٥،
٣٦٤-٣٦٥، ٤: ٣٥-٤٠، ١٧٤ بروكلمن ١: ٣١٨-٣١٩، الملحق ١: ٤٧٨
دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٣: ١١١٣-١١١٤ نيكزن ٥٨-٦٠، مختارات
نيكل ٤١-٤٣، الأعلام للزركلي ٩: ٣٣٦ (٨: ٢٥٥).

عبد الكريم النهشلي

١- هو أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، وكُلف في المسيلة (المحمدية) من بلاد الزاب (في القطر الجزائري) ونشأ فيها.

- (١) العذول: الذي يلوم المحبَّ على شدَّة حبِّه للمحبوب. الشجو: الحزن. العويل: البكاء بصوت مرتفع.
- (٢) تعاهده السحاب (استمرَّ هطول المطر عليه). إسماعيل: أبو العرب. من عهد إسماعيل (منذ زمن بعيد جدًا) كان هذا المدوح يعرف اللغة العربية منذ عهد إسماعيل (هو عربي أصيل ونسبه قديم في المروبة). والمدوح (القالي) اسمه إسماعيل أهباً.
- (٣) الأعراب (البدو الذين ينطقون باللغة العربية الفصحى سليقة وسليمة صحيحة).
- (٤) كلُّ قبيلة (بدوية) تشتهر لغة واحدة (الفنجا). أمَّا المدوح (القالي) فإنه يتغن لغات جميع القبائل.
- (٥) الأفول: غياب الشمس وراء الأفق (في المساء).

في سنة ٣٤٥ هـ (٩٥٦ - ٩٥٧ م) انتقل عبد الكريم النهشلي إلى القيروان، في أيام المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١ - ٣٦٥ هـ)، ولقي فيها الشاعر ابن هاني والشاعر علي بن الأبادي وغيرهما.

ويبدو أن عبد الكريم النهشلي دخل في خدمة بني زيري الصنهاجيين، منذ أوائل عهدهم بخلع دعوة الفاطميين واستبدادهم بالحكم في المغرب، فكان كاتباً لهم في ديوان الرسائل ثم نال عندهم حظوة وصحبهم في حروبهم في المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، وكان يناديهم أيضاً. وقد صحب منهم المنصور بن بُلُقَيْن (٣٧٣ - ٣٨٦ هـ) وابنه باديس (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ).

وكانت وفاة عبد الكريم النهشلي في المهدية في الأغلب، سنة ٤٠٥ هـ (١٠١٣ - ١٠١٤ م).

٢- كان عبد الكريم النهشلي عالماً في اللغة عارفاً بأيام العرب وأشعارهم، كاتباً مُترسلاً وأديباً ناقداً قديراً وشاعراً مُحسناً، قيل يُجيدُ القصائد الطوال ولا يكادُ يصنعُ مقطوعاً. ولكن لعلّه لم يُجاوِزْ في شعره نظمَ خُسرٍ قَطَعَ (العمدة ١: ١٦٣). وهو يذهب في شعره مذهبَ التروية (التفكير) ولا يرغُلُ أو يَتَنَدَّدُ. وشعره الرثاء والوصف والخمر، ولم يقل في الهجاء آقتداءً بأستاذة علي بن الأبادي.

وله كتاب «المتع» في علم الشعر وعمله وفي النقد على نمط كتاب الشعر لإقامة ابن جعفر وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري. وعلى كتاب «المتع» اعتمد ابن رَشِيح القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) في كتابه «العمدة في صناعة الشعر ونقده»: في الموضوعات وأسماء الأبواب، كما نَقَلَ منه فصولاً كاملة. ويبدو أنه كان لعبد الكريم النهشلي كتبٌ أخرى أيضاً لم تصل إلينا أساؤها.

ويبدو أن قيمة كتاب «المتع» إنما هي في الجمع والتنظيم أكثر منها في الابتكار. قَسَمَ الشعرَ أربعة أقسام: مديحاً وهجواً وحكمةً ولهُواً (غزلاً وخمراً). ثم عاد قَسَمَهُ من وجهٍ آخر فقال: من الشعر ما هو خيرٌ كُلُّهُ (الزهد والوعظ والمثل) ثم

ما هو ظَرْفُ كُلِّهِ (النموت والتشبيه وما يُقْتَنُ فيه من المعاني والآداب) ثم ما هو شَرُّ كُلِّهِ (الهجاء) ثم شعر التَكْسَب (مخاطبة كلِّ إنسان من حيث هو والإتيان إليه من حيث قَهْمُهُ).

وعبد الكريم النهشلي يفضل المعنى على اللفظ ثم هو يؤكدُ أثرَ البيئة وأثرَ الزمن في مرتبة الشعر (يَحْسُنُ في بيئةٍ أو في زمنٍ ما لا يحسنُ في بيئةٍ أخرى أو في زمنٍ آخر).

٣- مختارات من آثاره

- قال عبد الكريم النهشلي في الشكوى:

أواجدةٌ وَجدي حَامَةٌ أَهْكَةٍ تَمِيلُ بِهَا مَيْلَ التَزْيِفِ غُصُونُهَا^(١)
 نشاوى وما مالتُ بِخَفَرٍ رِقَابُهَا، بَوَاكِ وَمَا قَاضَتْ بِدَمْعٍ عُيُونُهَا^(٢).
 أفيقي، حَامَاتِ اللَّوَى، إِنَّ عِنْدَنَا لِنَجْوَاكِ أَمْشَالًا يَمُودُ حَنِينُهَا^(٣).
 وكلُّ غريبٍ الدارِ يدعو هُمومَه غَرَائِبَ مَحْشُودًا عَلَيْهِ شُجُونُهَا^(٤)
 - وقال عبد الكريم النهشلي (العمدة ١: ١٠٧):

الكلامُ الجَزَلُ أغنى عن المعاني اللطيفة مِنَ المعاني اللطيفةِ عن الكلامِ الجَزَلِ. قال بعضُ الحُذَّاقِ: المَعْنَى مِثَالُ وَاللَّفْظُ حَنْوٌ. وَالْحَنْوُ يَتَّبِعُ الْمِثَالَ وَيَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِهِ وَبَشَبَاتِهِ.

- في اختلاف الشعر بحسب الأمكنة والأزمنة (من كتاب «المتع»):
 قد تختلفُ المَقَامَاتُ والأزمنةُ والبلادُ فيحسنُ في وقتٍ ما لا يحسنُ في آخرَ،

- (١) الوجد: شدة الحب أو الحزن: الأهكة (مكان فيه شجر ملتصق كثيف). التزيف: (هنا) السكران. الغصون تهايل هذه الهامة شدة كما يتاهل السكران الشديد السكر في شربه.
- (٢) نشاوى جمع نشوى (سكرى، سكرانة). بواك جمع باكية.
- (٣) اللوى: التلة المستديرة من الرمل (وهيكون عند سفحها ماء وشجر ؟). الشجوى ليست في القاموس. والشاعر يقصد النجو (الحزن). يمود (يرجع مرة بعد مرة) حنينها (صوتها الدال على حزنها).
- (٤) كلُّ غريب (من داره وبلاده) يعتقد أن هوموه غريبة (أعظم من هوم كلِّ شخص آخر) مع أن أشخاصاً آخرين يحدونه على تلك الهوموم اليسيرة القليلة الناهية.

وَيُسَحِّنُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدٍ مَا لَا يُسَحِّنُ عِنْدَ أَهْلِ غَيْرِهِ. وَتَجِدُ الشَّرَاءَ الْمُذَاقَ تُقَابِلُ كُلَّ زَمَانٍ بِمَا اسْتَجِيدَ فِيهِ وَكَثُرَ اسْتِمَالُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ بَعْدُ، وَإِلَّا تَخْرُجُ (أقرأ: خرجت) عَنْ حُسْنِ الْإِسْتَوَاءِ وَحَدِّ الْإِعْتِدَالِ وَجُودَةِ الصَّنْعَةِ. وَرَبَّمَا اسْتَعْمِلْتُ فِي بَلَدٍ أَلْفَاظًا لَا تُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا فِي غَيْرِهِ، كَاسْتِمَالِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ بَعْضَ كَلَامِ أَهْلِ فَارَسَ فِي أَشْعَارِهِمْ وَنَوَادِرِ حِكَايَاتِهِمْ.

وَالَّذِي اخْتَارَهُ أَنَا التَّجْرِيدُ وَالتَّحْسِينُ الَّذِي يَخْتَارُهُ عُلَمَاءُ النَّاسِ بِالشَّعْرِ، وَيَسِي غَايِرُهُ عَلَى الدَّهْرِ وَيَعُدُّ عَنِ الْوَحْشِيِّ الْمُسْتَكْرَهَ وَيَرْتَفِعُ عَنِ الْمُؤَلَّدِ الْمُتَنَحِّلِ^(١) وَيَتَضَمَّنُ الْمَثَلَ السَّائِرَ وَالتَّشْبِيهَ الْمُسَبِّبَ وَالْإِسْتِعَارَةَ الْحَسَنَةَ.....

الشَّعْرُ أَصْنَافٌ: فَشَعْرٌ هُوَ خَيْرٌ كُلُّهُ، وَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ بَابِ الزُّهْدِ وَالْمَوَاعِظِ الْحَسَنَةِ وَالْمَثَلِ الْعَانِدِ عَلَى مَنْ تَمَثَّلَ بِهِ بِالْخَيْرِ وَمَا أَشَبَّ ذَلِكَ، وَشَعْرٌ هُوَ ظَرْفٌ كُلُّهُ، وَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْأَوْصَافِ وَالنُّعُوتِ وَالتَّشْبِيهِ وَمَا يُقْتَضَى^(٢) بِهِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَدَابِ، وَشَعْرٌ هُوَ شَرٌّ كُلُّهُ، وَذَلِكَ الْمَجَاءُ وَمَا تَسَرَّعَ بِهِ الشَّاعِرُ إِلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ، وَشَعْرٌ يُكْتَسَبُ بِهِ، وَذَلِكَ أَنْ يَحْمِلَ (الشَّاعِرُ) إِلَى كُلِّ سَوْقٍ مَا يَنْفَقُ فِيهَا وَيُخَاطِبُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَيَأْتِي إِلَيْهِ مِنْ جِهَةٍ فَهَبَهُ.....

١- * * * العمدة لابن رشيق (في أماكن كثيرة مختلفة)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب لاحسان عباس ١٤٤٠-١٤٤١ مجلد تاريخ الأدب التونسي ١١١-١١٤ مجلة الفكر (تونس) تموز (جويلية) ١٩٥٩ م، ص ٥-٨.

عبد العزيز الحشني القيرواني

١- عبدُ العزيز بنُ أبي سهل الحشنيُّ الضريرُ القيروانيُّ النَّحْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَقَالِ الْضَرِيرِ مِنْ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ تَصَدَّرَ فِيهَا لِتَعْلِيمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ وَالشَّعْرِ. وَكَانَ بَادِيسُ بْنُ الْمَنْصُورِ بْنِ بُلْكَيْنَ (٣٨٦-٤٠٦ هـ) يَحْتَرِمُهُ وَيُكْرِمُهُ جَدًّا. وَقَدْ تَوَلَّى

(١) الْمَوْلَدُ الْمُتَنَحِّلُ (هنا): الْكَلَامُ الْمَأْخُذُ مِنْ لُجَاجَاتِ غَرِيبَةٍ ثُمَّ لَمْ يَهْرَ أَخْذَهُ فِي صَوْغِهِ عَلَى مَقَارِيسِ الْعَرَبِ.

(٢) اقْتَضَى الرَّجُلُ فِي الْقَوْلِ: أَنَّهُ بِأَمَانَتَيْنِ (بِأَنْوَاعٍ) مِنْهُ مُخْتَلَفَةٌ (وَفَاتِنَةٌ: جَمِيلَةٌ).

في السنة التي تُوَفِّي فيها بادي، سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥-١٠١٦ م)، وقد أسنَّ جدًّا.

٢- كان عبدُ العزيز الحُشنيُّ القيروانيُّ طيِّبَ النفسِ كثيرَ الحياءِ عالماً في اللغة والنحو والأدب، وكان شاعراً مطبوعاً سهَّلَ الكلامَ لطيفَ التركيب قريباً مأخِذ المعاني. وقنونه الوصفُ والعِتابُ والغزلُ والنسيبُ والحِكْمة.

٣- مختارات من شعره

- قال عبدُ العزيزِ الحُشنيُّ في العِتابِ:

ولستُ كَمَنْ يَهْزِي على المَهْجَرِ بِثَلَّةٍ، ولكنِّي أزدادُ وصلاً على هَجْرِي.
وما ضُرِّي إِتْلافُ عُمري كُلِّهِ إذا بَلَّتْ يوماً من لُغائِكَ في عُمري!

- أراد عبدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ الكاتبُ جرَّ عبدِ العزيزِ الحُشنيِّ إلى دَعْوَى (إلى شهادة في دَعْوَى يُجانبُ فيها العدلُ) فقال عبدُ العزيزِ يحاطبه:

لِمَ عليَّ وفاءٌ ما حَبِيتُ، ولا أَعْدُو رِضامٌ ولا أَرْضِي بِهِ أَحَدًا.
لا تَسالُونِي عن دِيني فَأُخْطِطُكُمْ، لا يَغْتِ دِيني بِدُنْيائِكَ إِذَنْ أَبَدًا!
- وقال في العِتابِ والنسيبِ:

يا غُصْنًا غَضًّا من الأَسْرِ ودُرَّةً وَهِي من النِّسَاسِ،
صَوَّرَكَ اللهُ عَلى صُورَةٍ كَانَتْ بِها أَشْبابٌ وَنِوَاسِ.
تَرْدِيدُ ذِكْري لَكَ في خَاطِري أَكْثَرُ من تَرْدِيدِ أَنفاسِ.
نَيْيَسَتْ وَدِّي وَتَاسَيْتَنِي، وَلَيْسَ قَلْبِي لَكَ بِالنَّاسِ.
وَلَيْسَ لي مِنْكَ سِوى حَرَّةٍ تَجُولُ بَيْنَ الشَّوْقِ وَالْيَاسِ.

٤- كتابُ الرِواةِ ٢: ١٧٨-١٨٠ نكتُ المِيمان ١٩٤-١٩٥ بغية الوعاة ٣٠٨.

سليمان المستعين

١- هو أبو أيوبَ سُلَيْمانُ بنُ الحَكَمِ بنِ سُلَيْمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ الناصِرِ، وَلَدَ سَنَةَ ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م). وَلَمَّا بَلَغَ سُلَيْمانُ أَشُدَّهُ كَانَتْ الأَنْدَلُسُ قد تَقَسَّمتْ بِالْفِتْنَةِ بَيْنَ العَرَبِ

والبربر خاصة. وكان البربر أنفُسَهُمْ على جانبيهِ الفِتْنَةِ مَعَ المتنازعين. فلَمَّا قُتِلَ مُحَمَّدُ الْمَهْدِيُّ بْنُ هِشَامٍ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ، فِي سَادِسِ شَوَالٍ مِنْ سَنَةِ ٣٩٩ (١ / ٦ / ١٠٠٩ م) بَاتَعَ الْبُرْبُرُ سُلَيْمَانَ بِالْخِلَافَةِ فَتَلَقَّبَ «الْمُسْتَعِين»، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ دُخُولَ قُرْطُبَةَ إِلَّا فِي رَجَبِ الْأَوَّلِ (وَقِيلَ فِي رَجَبِ الثَّانِي) مِنْ سَنَةِ ٤٠٠ (نَحْوُ ثَمَرِينَ الثَّانِي - نَوْفَمْبَرِ ١٠٠٩ م).

ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ خَرَجَ بِمَجْمُوعِ أَتْبَاعِهِ مِنَ الْبُرْبُرِ بِجَوْلٍ فِي أَقْطَارِ الْأَنْدَلُسِ لِلْقَضَاءِ عَلَى خُصُومِهِ، فَكَانَ الْبُرْبُرُ الذَّنَنَ مَعَهُ يَخْرِبُونَ وَيَقْتُلُونَ وَيُدْمِرُونَ. وَفِي شَوَالٍ مِنْ سَنَةِ ٤٠٣ (رَجَبِ ١٠١٣ م) دَخَلَ قُرْطُبَةَ ثَانِيَةً فَاتَّخَذَ لِقَبًا ثَانِيًا هُوَ «الظَّافِرُ بِجَوْلِ اللَّهِ».

وَكَانَ مَعَ الْمُسْتَعِينِ رَجُلٌ مِنْ نَسْلِ الْأَدَارِسة يُقَالُ لَهُ عَلِيُّ بْنُ حَمُودٍ فَوَلَّاهُ الْمُسْتَعِينُ عَلَى سَبْتَةَ وَطَنْجَةَ فِي الْمُنَوَّةِ الْإِفْرِيقِيَّةِ (الْمَغْرِبِ). وَلَكِنْ عَلِيُّ بْنُ حَمُودٍ كَانَ يَطْمَحُ إِلَى مَا فَوْقَ الْوَلَايَةِ فَتَارَعَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ ثُمَّ سَارَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَدَخَلَ قُرْطُبَةَ وَقَتَلَ سُلَيْمَانَ لِثَانِي لِيَالٍ (أَوْ تَسْعٍ) بَقِيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٤٠٧ (١٧ أَوْ ١٨ / ٦ / ١٠١٦ م).

٢- كَانَ سُلَيْمَانُ الْمُسْتَعِينُ أَدِيبًا فَصِيحًا وَشَاعِرًا مُكْثِرًا لَهُ رِسَالَتٌ وَقَصَائِدُ فِي فَنُونٍ كَثِيرَةٍ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ سُلَيْمَانُ الْمُسْتَعِينُ فِي الْفَخْرِ:

عَجَبًا يَهَابُ اللَّيْتُ حَدَّ سِنَانِي، وَأَهَابُ لِحْظَ فَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ^(١).
وَأَقَارِعُ الْأَهْوَالِ لَا مُتَهَيِّبًا، مِنْهَا سَوَى الْإِعْرَاضِ وَالْهِجْرَانِ^(٢).
وَتَمَلَّكْتَ نَفْسِي ثَلَاثَ كَالْدُمَى، زُهِرُ الْوَجُودِ نَوَاعِمُ الْأَبْدَانِ^(٣).

(١) السنان: حديدة جارحة في رأس الرمح. فواتر الأجفان (ناعسات العيون: من صفات الجمال) كناية عن النساء الجميلات.

(٢) أنا أكافح جميع أهوال الحياة، ولكن أضعف (أعجز - يكسر الجيم) إذا أمرضت عني (هجرتي) النساء الجميلات.

(٣) ثلاث (ثلاث نساء). الدمية: الصورة الجسدية. أزهري: أبيض.

ككواكسِ الظَّلهِ لُحْنٌ لِناظِرٍ من فوقِ أَغصانٍ على كُثبانٍ^(١).
هذي الجِلالُ ، وتلكَ بِنْتُ المُشْتَرِي حُناً ، وهذي أُخْتُ غُصْنِ البانِ^(٢).
حاكمتُ فيهنَّ السُّلُوَ إلى الصِّبا ففضى بِسُلطانٍ على سُلطانٍ^(٣).
فأَبَحَنَ مِنْ قَلبي الحِمْيى وتَنَبَّني في عِزِّ مُلكي كالأسيرِ العاني^(٤).
لا تَعْدِلُوا مِلْكَاً تَذَلُّ لِلْهُوى ، ذُلُّ الهوى عِزٌّ وَمُلْكٌ ثانٍ.
ما ضَرَّ أَنِّي عَبْدُهُنَّ صَبابةً وبنو الزمانِ وَهُنَّ من عِبداني
إن لم أُطِيعَ فيهنَّ سُلطانَ الهوى كَلْفاً بَيْنَ فَلَسْتُ من مَروانٍ^(٥)

١- * * جذوة المقتبس ١٩- ٢١ (الدار المصرية) ١٩- ٢٢ بغية الملتبس ٢١- ٢٢
المعجب ٤٢- ٤٥ :الحلّة السراء ٢: ٥- ١١٢ البيان المغرب ٣: ٩١ وما بعد إلى
١١٢٠ فوات الوفيات ١: ٢٢٣- ١٢٢٤ الذخيرة ١: ٣٥- ٤٨ الخ :نفع الطيب
١٢٨: ٤٣١- الأعلام للزركلي ٣: ١٨٤- ١٨٥ (١٢٣).

أبو الحسن الكاتب المغربي

١- هُوَ أَبُو الْحَسَنِ (أَوْ الْحَسَنِ) مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ، وَلِدَهُ فِي الْقَيْرَوَانِ سَنَةَ
٣٣٤ هـ (٩٤٥- ٩٤٦ م) فِي بَيْتِ رِثَاسَةٍ وَكِتَابَةٍ وَوِجَاهَةٍ وَشِعْرِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ
٤٠٨ هـ (١٠١٧- ١٠١٨ م).

- (١) لحن (لجاعة الإناث الغالبات من «لاح» ظهر، بدا). الفصحى كتابة عن القوام المشوق. الكتيب:
الجانب المستدير من الرمل (كتابة عن أوسط الجسم)- القمر (أو الكوكب) الأبيض الشرق فوق
الفصحى (القائمة المشوقة) فوق الكتيب (وسط الجسم المثقل) من أوصاف المرأة الجميلة.
- (٢) المشتري: كوكب يدور حول الشمس. غصن البان: غصن ستنق تشبه به القائمة المشوقة الجميلة.
- (٣) السُّلُو: النسيان. الصبا: الشباب. سلطان: بقوة (بقوة الشباب). على سلطان: ملك (خليفة).- جعلت
الصبا حكمة أستثيره في نسيان أو الاستمرار في حبّهن، فحكم الصبا عليّ (وأنا سلطان، ملك،
خليفة) بأن أستمِر في حبّهنّ.
- (٤) أباح الشيء: مكّن منه جميع الناس. الحمى: ما تجب حاميته من مسكن أو شرف الخ. شاء: ردّه.
العاني: الدليل (وتشتمل عادة للأسير).- هؤلاء النسوة الثلاث استولين على قلبي (إزداني) وجعلتني
(وأنا ملك في أوج القوة) أسيراً ذليلاً لهنّ.
- (٥) كلفاً بين: محباً لهنّ شديد التعلّق بهنّ. لست من مروان: لست من بني مروان... (١).

٢- كان أبو الحسن الكاتب المغربي حسن الشعر في الوصف والمدح والفزل مع التصنيع أحياناً.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو الحسن الكاتب المغربي يصف الموج:

انظر إلى البحر وأواجهه فقد علاها زبد مثق؛
تعالها العين إذا أقبلت خيلاً بدت في حلبة تثنق،
حمرأ ودُهما؛ فإذا ما دنت من شاطئه البحر علاها بلق^(١).

- وقال يمدح محمد بن أبي العزب (ت ٣٩٦ هـ). وكان ابن أبي العزب والياً على إفريقية (تونس) منذ سنة (٣٨٢ هـ):

شكرُ نعمك التي انبسطت بها يدي ولساني فهو بالجد ينطق؛
وأنتي لما أوليتني من صنية ومن سنية تغدو علي وتطرق^(٢)،
وكل امرئ يرجو ندادك موفق، وكل امرئ يئسني عليك مصدق.

- وقال في الفزل:

أبرق سرى أم وجهه ليلي تلبجا فشق بأيدي النور أقيصة الدجا^(٣)؛
لئن بيئت بالبين وجداً لقلبه أثار جوى هجرانها متأججا،^(٤)
فما صدعت إلا حساً متصدعاً ولا هيجت إلا فؤاداً مهيجا.
تربك الشقيق الغض منها محاجراً مكحلة منها، وخدّاً مضرجا^(٥).

(١) الأدهم: الأسود. البلق: البياض (إذا ركض الخيل تراكم على جسمها عرق أبيض). وإذا اقترت الأمواج العالية من الشاطئ بدت بياض (لاختلاط مائها بالهواء).

(٢) تطرق: تطلع علي، تأتيني.

(٣) تلبج الصبح: أضاء.

(٤) البين: الفراق، البعاد. الوجد: شدة الحب. الموى: ألم الحب.

(٥) عيناها تشبهان شقائق النعمان (من حيث السمة لا من حيث اللون). ولكنها مكحلان بسواد (يشب) البقع السوداء الموجودة على بتلات الشقائق الحمراء). مضرج: أحر (من التلطف بالدم).

وَحَسَبُ نَوَّرَ الْأَنْحَوَانَ إِذَا بَدَأَ - وَكَفَّ الْحَيَا يَهْلُوهُ - ثَمَرًا مُفْلَجًا^(١).
 كَانَ دَنَانِيرًا بِهِ وَدَرَاهِمًا نُثِرْنَ عَلَيْهَا مُفْرَدًا وَمُرْجَا.
 ٤- * * * الأَنُودُج (النُوسِي) ١١٧-١٢١ الوافي بالوفيات، ٢: ٢١٤-٢١٦.

مریم الثلبیة

١- هي الحَاجَةُ مَرِيْمُ بِنْتُ أَبِي يَعْقُوبَ الْفَصُولِي^(٢) أَصْلُهَا مِنْ ثِلْبٍ، وَلَكِنَّهَا سَكَنَتْ إِشْبِيلِيَّةَ وَكَانَتْ لَهَا فِي إِشْبِيلِيَّةَ شَهْرَةٌ. وَقَدْ كَانَتْ تُعَلِّمُ النَّسْلَ. وَأَسْتَنْتَ مَرِيْمُ كَثِيرًا وَمَاتَتْ بَعْدَ سَنَةٍ ٤٠٠ (١٠١٠ م) بِأَمْدٍ.

٢- كانت مَرِيْمُ الثِّلْبِيَّةُ أَدِيبَةً شَاعِرَةً جَزَلَةً الشِّعْرِ مَشْهُورَةً؛ وَفِي تَرَكَيبِهَا شَيْءٌ مِنَ الضَّعْفِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهَا

- بِمَثِ ابْنِ الْمُهَنْدِ^(٣) إِلَى مَرِيْمِ الثِّلْبِيَّةِ بِدَنَانِيرَ وَكُتِبَ إِلَيْهَا مَعَ هَذِهِ الدَّنَانِيرِ بَآيَاتٍ مَطْلُوعًا: «مَا لِي بِشُكْرِ الَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ قَبْلِي^(ب)»، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ:

مَنْ ذَا يُجَارِيكَ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلٍ وَقَدْ بَدَّرْتَ إِلَى فَضْلٍ وَلَمْ تُسَلِّ^(٤) ؟
 مَا لِي بِشُكْرِ الَّذِي نَظَّمْتَ فِي عُنُقِي مِنْ اللَّالِي وَمَا أَوْلَيْتَ مِنْ قَبْلِي^(٥).
 حَلَّيْنِي بِحُلَى أَصْبَحْتُ زَاهِيَةً بِهَا عَلَى كُلِّ أَنْثَى مِنْ حُلَى عَطَلِي^(٦).

(١) ثَمَرٌ مُفْلَجٌ: لَمْ أَسْتَأْذِنْ مَقْرُوقَ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ. تَرِكَ (هِيَ) التَّشْيِيقُ (مَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلٌ) مَحَاجِرُ (مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ).

(٢) فِي «بَنِيَةِ الْمُتَمَسِّ» الْفَصُولِي (بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالصَّادِ) وَفِي غَيْرِ بَعْضِ الْفَاءِ وَفَتْحِ الْعَادِ.

(٣) فِي نَسَبِ الطَّيِّبِ «الْمُهْدِي» (وَهُوَ فِي الْأَغْلَبِ خَطَا- رَاجِعُ الْبَيْتِ الْأُخْرَى).

(ب) مِنْ قَبْلِ (بِكْسَرٍ وَفَتْحٍ): طَاقَةٌ، قَهْرَةٌ.

(٤) بِدَرٍّ: سَبَقَ. لَمْ تُسَلِّ: لَمْ تُسَآلِ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ).

(٥) مِنْ قَبْلِ (بَعْضٍ نَظْمٍ) مِنْ قَبْلِ (يَبْدُو أَنَّ ابْنَ الْمُهَنْدِ كَانَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا مَرَارَةً فَعَلَّ ذَلِكَ).

(٦) الْعَطَلُ (بَعْضُ ضَمٍّ): الْعَاطِلُ (الْمَرْأَةُ الْجَسِيلَةُ جَالًا طَيِّبَةً فَتَسْتَفْنِي عَنْ التَّزَوُّجِ بِالْحُلَى).

لِلَّهِ أَخْلَاقُكَ الْفَرْهُ الَّتِي سَفِيَتْ مَاءُ الْفُرَاتِ فَرَقَتْ رِقَّةَ الْفَرْكَلِ.
 أَشْبَهَتْ فِي الشَّعْرِ مِنْ غَارَتْ بِدَائِمَةٍ وَأُنْجِدَتْ وَغَدَتْ مِنْ أَحْسَنِ الْمَثَلِ^(١).
 مِنْ كَانَ وَالِدُهُ الْقَضْبُ الْمُهَنْدُ لَمْ يَلِدْ مِنَ النَّسْلِ غَيْرَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ^(٢).
 - وَقَالَتْ لَمَّا أَسْنَتْ وَهَلَفَتْ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً:

وَمَا يُرْتَجَى مِنْ بَنِي سَبْعِينَ حِجَّةً وَسِعَ كَسَجَ الْعَنْكَبُوتِ الْمُهْلَهْلِ^(٣)
 تَذِيبُ دَبِيبِ الطِّفْلِ تَسْعَى إِلَى الْعَصَا وَتُغْنِي بِهَا مَشْيَ الْأَسِيرِ الْمُكَبَّلِ^(٤)

٤- * * جذوة المقتبس ٣٨٨ (الدار المصرية) ٤١٢-٤١٣ (رقم ٩٨٦)؛ بغية اللئس ٥٢٨-٥٢٩ (رقم ١٥٨٤)؛ الصلة ٥٦-٥٧ (رقم ١٥٣٧)؛ نفع الطيب ٤: ١٢٩١؛ الأعلام للزركلي ٨: ٩٩ (٧: ٢١٠).

الْقَرَّازُ النَحْوِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ

١- هو أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي القيرواني المشهور بالقرَّاز القيرواني^(٥)، وُلِدَ فِي الْقَيْرَوَانِ حَوْلَ سَنَةِ ٣٢١ هـ (٩٣٢ م).

رَحَلَ الْقَرَّازُ الْقَيْرَوَانِيُّ إِلَى الْمَشْرِقِ فَزَلَّ فِي مِصْرَ وَدَخَلَ فِي خِدْمَةِ الْعَزِيزِ الْعَاطِمِيِّ (٣٦٥-٣٨٦ هـ) وَأَلَّفَ لَهُ كِتَابَ «الْجَامِع» فِي اللُّغَةِ. وَحَجَّ الْقَرَّازُ الْقَيْرَوَانِيُّ ثُمَّ زَارَ الْعِرَاقَ وَلَقِيَ الْحَسَنَ بْنَ بِشْرِ الْأَمْدِيِّ (ت ٣٧٠ هـ) صَاحِبَ كِتَابِ «الْمُوازنة بين أبي تَمَّارَ وَالْبُحْتَرِيِّ». ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ وَتَصَدَّرَ فِيهَا لِلتَّعْلِيمِ. وَكَانَتْ، وَفَاتُهُ فِي

- (١) بدائمه: أبيات شعره البديعة. غارت: نزلت إلى الثغور (يفتح العين المعجمة: الأرض المنخفضة). أنجدت: صعدت إلى نجد (المكان المرتفع)- أشعاره اشتهرت في كل مكان.
- (٢) القضب: السيف القاطع. المهند: السيف من صنع الهند. البيض: السيوف. الأسل: الرماح (يلد البيض والأسل: يلد النجمان).
- (٣) المهلهل: الرقيق (الضعيف).
- (٤) المكبل: المقيد.

(٥) يرى المنجي الكمي أن لقب القرَّاز أضيف إلى اسم أبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي، وأن هذا الرجل لا يعرف إلا بالقرَّاز ولا بابن القرَّاز، ومع ذلك فقد ألف للنحوي الكمي كتاباً عن هذا الرجل وسَمَّى الْكِتَابَ «الْقَرَّازُ الْقَيْرَوَانِيُّ» (راجع المصادر والمراجع) وراجع القرَّاز القيرواني للمنجي الكمي (ص ٨-١٥).

القيروان سنة ٤١٢ هـ (١٠٢١-١٠٢٢ م).

٢- القَرَازُ النحويُّ القيروانيُّ شيخ القيروان في العربية، أي النحو (راجع نفع الطيب ٢: ١١٠) أديبٌ مشهورٌ ناثراً شاعراً مُجيدٌ مطبوعٌ مصنوعٌ (معجم الأدباء ١٨: ١٠٧)، وهو أيضاً لغويُّ نحويُّ. والشعرُ الباقي لنا من القَرَازِ القيروانيِّ مقاطعاتٌ وُجْدانيةٌ تمتازُ بالسَّلاسةِ والسَّهولةِ. ثم هو ناقدٌ أيضاً. وتصانيفُ القَرَازِ القيروانيِّ^(١) كثيرةٌ: كتابُ الحروف - إعراب (القصيد) الدرّيدية وشرحها - كتابُ المعترض - كتابُ المفرق - ما يجوزُ للشاعر في الضرورة - الجامع في اللغة (وهو كتاب واسعٌ جداً في اللغة مرتَّبٌ على حروف المعجم) - المُثَلَّث (المُثَلَّث أو المُثَلَّثات لفظة ثلاثية ساكنة الوسط يأتي أولُها مفتوحاً ومكسوراً ومضموماً ثم يختلف معنى هذه اللفظة باختلاف حركة أولها) - كتاب فيه ذكرُ شيء من الحُلَى (الصفات الجسمية كاللون والقَدَ وصفات الأعضاء وذكر العيوب الجسمية، وربما ذُكِرَ النَّسَبُ: نحو: رومي، إفرنجي، تُركي، بربري حينئذٍ تدلُّ هذه الصفاتُ على خصائصٍ جسدِيَّةٍ بارزة) - كتابُ العَشَرَات (ذكر القَرَازُ الألفاظ التي تبلغ معاني اللفظة الواحدة منها عشرةً معاني مختلفة أو تزيدُ على عشرة) - كتابُ المِثَال (وَعَدَ القَرَازُ بتأليفه، ولا نعلم إذا كان قد ألفه) - كتابُ الظَّاء أو كتابُ الضَّاد والظَّاء (الكلمات التي يستوي معناها إذا كُتِبَت مبدوءة بضادٍ أو بظاء!) - الكلمات المشاكلة الصور - كتابُ التعريض والتصريح (مجموع حكاياتٍ فيها تعريضٌ ظاهر من الأجوبة المضمرة) - شرح رسالة البلاغة (وهو كتاب كبير) - ما أُخِذَ على المتنبي من اللحن والخطأ - أبياتٌ معاني من شعر المتنبي - معاني الشعر - شرح رسالة الشيخ أبي جعفر العَدَوِيّ - أدبُ السلطان والتأدب له.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة كتاب العشرات:

.... أَمَا بَعْدُ - جَعَلَ اللهُ الشَّيْخَ الرَّئِيسَ أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَرَبِ الْكَاتِبَ، أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ وَأَدَامَ عَزَّهُ وَنَعْمَاءَهُ - فَقَدْ اتَّصَلَ بِي مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ كِتَابِ الْعَشَرَاتِ

(١) راجع «القَرَازُ القيروانيُّ للنسجي الكمي»، ص ٤٤ وما بعدها.

لأي عمر وعمرو محمد بن عبد الواحد المعروف بالزاهد فرغبت في ما رغب فيه، ومليت إلى النظر في ما مال إليه رغبة (في) أن أؤلف كتاباً في معناه أودّي به بعض ما يلزمني من حقه راجياً أن يقع في التأليف بوافقه. ورايت أبا عمرو قد أخذ في باب من العلم متسرع (ثم هو) يسلك طريقاً في التأليف غير مُنتع: يجد المؤلف فيه من المئات ما وجدّه أبو عمرو من العشرات. ولست أقصد به وجود ما ذكرناه من المئات في أبواب ما صنّفه من العشرات، غير أنا لا نذري ما السبب المانع من تكثيره، وما العائق القاصر عن تيسره. فأردنا أن نأتي في أبوابه على حد ما رسم في كتابه من المئات بأضعاف ما جئنا به من العشرات. ثم علمنا مع ذلك أننا لو تكلفناه وجئنا به على ما ذكرناه لما كان غريباً في التأليف ولا مُستظرفاً من التصنيف، إذ كان الكلام كله لا يخرج عن ثلاثة أقسام: معاني مُتفرقات يُعبّر عنها بالفاظٍ مُختلفات، كقول أي عمرو: «المتع شية قبيحة، والمنع السرطان، والمتع الطول» وأشباه ذلك.... ومعاني مُتفرقات يُعبّر عنها بالفاظٍ مُتفرقات، وهذا الباب قليل التأليف، مثله غريب، فألفنا ما وجدنا فيه من العشرات إلى ما يزيد عليها وسميّاها منها. وخشينا أن يتوهم علينا تقصير في ما ضيّاها من المئات في ما أتى به أبو عمرو من العشرات، فقدّمنا أمام ما قصّدناه باباً ندلّ به على القدرة على ما ضيّاها مُبوّباً على باب من كتاب أي عمرو موجود ليُعلم قدر الزيادة عليه ويوجد ما ضيّاها فيه. فمن قول أي عمرو: «المتع شية قبيحة، والودع المقبرة، والمنع السرطان، والسّطع الأخذ، والكّج النّقد، والقلع الكيف، والمتع الطول، والسّلع الشق، والقتع أن يطاطم (الإنسان) رأسه، والوقع الطريق في الجبل». فهذه عشرة أي عمرو.

وقلنا موصولاً بذلك: والنّخع قتل النفس أسفاً، والبذع اختراع الشيء، والبطع القطع، والبكع استقبال الرجل (رجلاً) بما يكره، والبلع كثير الصمت، والبصع ضيق مخرج الماء، والبضع قطع اللحم.... الخ.

- من مقدّمة كتاب «ضرائر الشعر»:

هذا كتاب أذكر فيه- إن شاء الله- ما يجوز للشاعر عند الضرورة من الزيادة

والنقصان و(من) الاتساع في سائر المعاني من التقديم والتأخير والقلب والإبدال وما يتصل بذلك من المجتجج عليه وتبين ما يمرُّ من معانيه فأرَّده إلى أصوله وأقيسه على نظائره. وهو بابٌ من العلم لا يسعُّ الشاعر جهله ولا (هو) يستغني عن معرفته ليكون له حجةٌ لما يقع في شعره مما يضطرُّ إليه من استقامة قافية أو وزن بيت أو إصلاح إعراب. وذلك أن كثيراً ممن يطلبُ الأدبَ - وأخذ نفسه بدراسة الكتب - إذا مرَّ به بيتٌ لشاعر من أهل عصره أو لطالبٍ من نظرائه فيه تقديم أو تأخير أو زيادة أو نقصان أو تغيير حركة عما خُفِظَ من الأصول المؤلفة له في الكتب أخذ في التشنيع عليه والطمس على علمه....

- قال القزاز القيرواني في الغزل والنسيب:

إذا كان خطي منك لحظة ناظر على رقية لا أُنْذِمُ لها لحظاً،
رَضِيتُ بها في مُدَّةِ الدهر مرةً وأُعْظِمُ بها من حُسْنِ وَجْهِكَ لي خطاً.

ولو نظرَ بعين الحقِّ لَعَلِمَ أَنَّ ذلك لا يخرجُ إلَّا من وجهين: إمَّا أن يكونَ ذلك جائزاً لِمَلَلِ تَقَبُّبَتِ عنه ولم يبلغِ النهايةَ من عليها، وهو كذلك؛ (تم) وهُـهـ الذي لَعَلَّه، إنْ نُبِّهَ عليه أو أعادَ (هو) نَظَرُهُ فيه رَجَعَ عنه إلى الصواب وتخطَّاه إلى ما لا مَطْمَنَ فيه من الكلام، إذ كان غيرَ معصومٍ من الخطأ ولا ممنوعٍ من الزلل. فليس للناظر في الأصول - مع تأخُّره عن الإحاطة بسائر الفروع - المُجَـوِّمُ على ما لَعَلَّه جائزٌ عندَ المتقدمين في العلم (من) الناظرين بعين الحق.....

- وله في النسيب (الوأي بالوفيات ٢: ١٣٠٥ معجم الادباء ١٨: ١٠٨):

أَجِـنَّ عَلِمْتَ أَنَّكَ نَوْرٌ عَيْـنِي وَأَنِّي لَا أَرَى حَتَّى أَرَاكَ،
جَعَلْتَ مَنِيْبَ شَخْصِكَ عَن عِيَانِي يُقَيِّبُ كُلَّ مَخْلُوقٍ سِوَاكَ.

للاطلاع على طبعات كتب «القزاز القيرواني» ومراجع ترجمته راجع ص ٣٧٤
محرر بن خلف

١- هو مُحَرَّرُ بنْ خَلْفِ بنِ رَزَاقِ التَّمِيسِي. يُتَّصَلُ نَسَبُهُ بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. كان من أهل إفريقية (القطر التونسي)، ومولده فيها نحو سنة ٣٤٠ (١٠٣٨ - ١٠٣٩ م). ويبدو أنه بدأ منذ مطلع حياته بتربية الصبيان وتعليمهم أمور الدين ومكارم

الأخلاق. وقد لَقِيَهُ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ نَصْرِ التَّمِيمِي الْبَخَارِيُّ^(١) وَصَحَبَهُ. وَكَانَتْ وَفَاةُ مُحَرِّزِ بْنِ خَلْفٍ سَنَةَ ٤١٣ (١٠٢٢ - ١٠٢٣ م). وَمَدْفَنُهُ مَعْرُوفٌ فِي الْمَدْرَسَةِ الَّتِي كَانَ يُعَلِّمُ فِيهَا فِي دَاخِلِ تُونِسَ الْحَاضِرَةِ.

٢- كَانَ مُحَرِّزُ بْنُ خَلْفٍ رَجُلًا صَالِحًا وَوَاعِظًا ذَا تَأَثِيرٍ وَهَيِّبَةٍ فِي النَّفُوسِ، كَمَا كَانَ وَرِعًا جَلِيلًا وَذَا مَيْلٍ إِلَى التَّصَوُّفِ. لَهُ «حِرْزُ الْأَقَامِ»، وَهِيَ قَصِيدَةٌ صُوفِيَّةٌ ذَكَرَ بَرُوكْلَمَنْ (الْمُلَحق ١: ٧٨٥) أَنَّهَا تُنْسَبُ إِلَيْهِ. أَمَّا الْمُقَرَّبِيُّ الْجَدُّ (ت ٧٥٩ هـ) فَبَعَاءٌ فِي تَأْثِيتهِ الَّتِي قَالَ إِنَّهُ تَمَّمَ بِهَا تَأْثِيَّةَ ابْنِ الْفَارَضِ (نَفْعِ الطَّيِّبِ ٥: ٣٣٥):
وَفِي حِرْزِ أَقْسَامِ الْمُؤَدَّبِ مُحَرِّزٍ وَحَزْبِ أَصِيلِ الشَّاذِلِيِّ وَبُكْرَةٍ...

وَكَذَلِكَ كَانَ عَمْرُؤُ بْنُ خَلْفٍ أَدِيبًا نَائِرًا شَاعِرًا لَهُ شَعْرٌ فِي الرَّهْدِ وَفِي الْوَصْفِ. وَشِعْرُهُ بَارِعٌ وَأُسْلُوبُهُ سَهْلٌ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ مُحَرِّزُ بْنُ خَلْفٍ يَصِفُ أَطْلَالَ مَدِينَةِ قَرْطَاجَنَةِ (قَرْطَاجَةَ قُرْبَ تُونِسَ الْحَاضِرَةِ):

خَلِيلِي، مُرَا بِالْمَدِينَةِ وَأَسْمَا مَدِينَةُ قَرْطَاجَنَةِ تَمْ وَدَّعَا^(١)
طُلُولًا بِهَا تَبْكِي لِفُقْدَانِ أَهْلِهَا، كَمَا تَدْبُ الْأَطْلَالَ كِسْرَى وَتُبْعَا^(٢).
وَقُولَا لَهَا: مَا بَالُ رَتْبِكَ دَارِسًا؟ وَمَا بَالُ وَفْدٍ قَدْ بَنَاكَ وَوَدَّعَا^(٣)

(١) هُوَ أَبُو زَكَرِيَّا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ أَحَدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَزَاحِمِ بْنِ قِبَاثِ التَّمِيمِي الْبَخَارِيُّ حَافِظٌ لِلْعَدِيثِ وَهَدَّيْتُ، أَهْلُهُ مِنْ بَخَارَى وَنَزَلَ مَدَّةً فِي مِصْرَ، جَاءَ إِلَى إِفْرِيقيَّةٍ وَصَحَبَ هَمْرُزَ بْنَ خَلْفٍ وَجَالَ فِي الْمَغْرِبِ وَدَخَلَ الْأَنْدَلُسَ. مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٣٨٢ وَوَفَاتَهُ سَنَةَ ٤٧٠ هـ.

(٢) اسْمَا (تَنْبِيهَا) إِلَى مَا يُمْكِنُ أَنْ تَحْدُثَ بِهِ هَذِهِ الْمَدِينَةُ عَنْ سَكَّانِهَا الْفَنِّ انْقِرَاضًا:

(٣) «طُلُولًا» مَنَعُولٌ بِهِ مِنْ «وَدَّعَا» فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ. كِسْرَى (لَقَبُ مُلُوكِ الْفَرَسِ) وَتُبْعٌ (لَقَبُ مُلُوكِ الْيَمَنِ). لَا وَجْهَ لِنَسَبِ «تُبْعٍ» (وَكِسْرَى طَبْعًا) إِلَّا إِذَا قُلْنَا: «كَمَا تَدْبُ الْأَطْلَالَ» (بِالْفَرْغِ: فَاعِلٌ) كِسْرَى وَتُبْعَا.

(٤) الرِّبْعُ: الْمَكَانُ الْمَأْهُولُ. دَارِسٌ: قَدْ اسْتَحْتِ مَعَالَهُ. الْوَلَدُ: الْقَوْمُ بِأَتُونِ تَمْ يَرْجَمُونَ.

وخلّاك- مِنْ بَعْدِ اجْتِنَاعٍ وَغِيْطَةٍ وَمِنْ بَعْدِ تَشْيِيدٍ- خَلَاةً وَبَلْعًا^(١)،
تُصَفِّقُ فِيكَ الرِّيحُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَفَرَّقَ مِنْكَ الدَّهْرُ مَا قَدْ تَجَمَّعَا!
ثمَّ ذَكَرَ الطَّبَاطِرَ (التياترو: المَسْرَح) الَّذِي فِيهَا فَقَالَ:

وَمِنْ بَعْدِهِ الرُّومَانُ، يَا صَاحِبَ، قَدْ بَنَى
وَأَلَّفَ مِنْ بَعْدِ الْعَرِيضَةِ فَرَضَهَا،
تَرَاهَا كَيْشِلَ الْعَقْدِ فِي الْجَيْدِ نَظَّمَتْ،
فَلَمَّا أَتَتْهُمُ بُنْيَانُهُمْ ثُمَّ أَوْصَلُوا
وَفَرَّقَهُ بَيْنَ الْقُصُورِ جَدَاوِلًا
فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ مَا بَنَوْهُ وَشَيَّدُوا
فِيهَا صَاحِبِي، إِنْ جُرْنَا بِرُبُوعِهَا،
فَلَنْ نَسْمَعَا إِلَّا الصَّدَى- بَعْدَ هَاتِفٍ-
طَبَاطِيرَهَا ثُمَّ الْقَنَاطَةَ فَأَبْدَعَا^(٢)،
وَشَدَّ بَعْضُ بَعْضَهَا فَتَجَمَّعَا^(٣).
فَلَا بَعْضُهَا يَمْلُوعُ عَلَى الْبَعْضِ إَصْبَعًا^(٤).
بِهَا مِنْ زُلَالِ الْمَاءِ مَا قَدْ تَقَرَّرَا^(٥)،
وَأَغْرَضَهُ حَتَّى أَعَمَّ وَأَشْمَعَا
وَمَا مَتَّعُوا فِي الدَّهْرِ مَعَ مَنْ عَتَمَا^(٦).
خَلِيلِي، إِلَّا نَادِيَانِي وَسَمَعَا^(٧)،
مُجِيبًا لَهَا، ثُمَّ الرِّيحَ الزَّعَازِعَا^(٨)!

- وَكُتِبَ إِلَى الْأَمِيرِ الْمُعَزِّ الصِّنْهَاجِيِّ^(٩) فِي التَّوْحِيَةِ بَعْضُ (بَقَرْدٍ مِنْ) تَلَامِيذِهِ

- (١) خَلَاة (مَنْ الدَّكَانَ) وَبَلْعًا (خَالِيَةً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ).
- (٢) يَسْتَعْمَلُ الرُّومَانُ مُفْرَدًا (بَعْضُ الشَّعْبِ الرُّومَانِيِّ). الْقَنَاطَةُ: قَنَاطَةُ لَحْرِ الْمَاءِ. فِي عُنْوَانِ الْأَرِيبِ (ص ٣٧). عَدَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّاتِ خَمْسٌ.....
- (٣) هَذَا الْبَيْتُ يَصِفُ الْمَدْرَجَ فِي الْمَسْرَحِ. الْعَرِيضَةُ (الْبَاحَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ فِي وَسْطِ الْمَسْرَحِ لِلتَّمْثِيلِ؟). الْفَرَضَةُ (بِالضَّمِّ) مِنَ التَّهَرُّ: مَشْرَبُ الْمَاءِ مِنْهُ. وَجَمْعُهَا فَرَضٌ (بَعْضُ فَتَحٍ). وَالْمَلْمُوحُ مِنَ الْبَيْتِ التَّالِيِ أَنَّ الشَّاعِرَ يَقْصِدُ الْمَقَاعِدَ فِي الْمَدْرَجِ أَوْ الصُّفُوفَ الْمَدْرَجَةَ نَفْسَهَا.
- (٤) تَرَاهَا (أَيَّ صُفُوفِ الْمَدْرَجَاتِ الَّتِي هِيَ دَوَائِرُ حَوْلِ الْمَسْرَحِ) كَأَنَّهَا عَقْدٌ مُتَعَدِّدُ الْأَسْطِاطِ وَأَنَّهُ أَيْ الْمَسْرَحِ- عَنَقٌ.
- (٥) الزُّلَالُ: الْمَاءُ الْمَذْبُوحُ الصَّافِي. تَفَرَّقَ الْمَاءُ (أَيَّ كَانَ مُشْتَبًّا فِي أَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ فَجَعَلَهُ بِهِ يَوْسَاطَةً هَذِهِ الْقَنَاطَةِ جَمْعًا إِلَى قَرطَاجَة (كَمَا يَلْفِظُهَا أَهْلُ تُونِسَ، الْيَوْمَ).
- (٦) وَمَا مَتَّعُوا بِهِ....
- (٧) الْبَيْتُ غَامِضٌ لِسُوءِ تَرْكِيبِهِ. الْمَلْمُوحُ: يَا صَاحِبِي وَخَلِيلِي، إِذَا مَرَرْنَا بِقَرطَاجَة فَتَادِيَانِي وَسَمَعَا (أَرْفَعَا الصَّوْتَ عَالِيًّا).
- (٨) الْهَاتِفُ: الْتَادِي. الزَّعَازِعُ: الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ.
- (٩) الْمُعَزِّ الصِّنْهَاجِيُّ بْنُ يَدَيْسَ (٤٠٦-٤٥٢ هـ).

بسم الله الرحمن الرحيم . حَقَّقَ اللهُ الْحَقَّ فِي قُلُوبِ الْعَارِفِينَ^(١) مِنْ عِبَادِهِ وَنَقَلَ
الْمُذْنِبِينَ إِلَى مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَتِهِ . أَنَا رَجُلٌ عَرَفْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ أَسْمِي ، وَهَذَا
مِنَ الْبَلَاءِ^(٢) . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَتَّقَمِدَنِي بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ . وَرَبِّمَا أَنَا فِي الْمُضْطَرِّ بِسْأَلِ
الْحَاجَةِ : فَإِنْ تَأَخَّرْتُ خِفْتُ ، وَإِنْ سَاعَدْتُ فَهَذَا أَشَدُّ^(٣) . وَتَمَدَّ كَتَبْتُ إِلَيْكَ فِي مَسْأَلَةِ
رَجُلٍ مِنَ الطَّلَبَةِ طُولِبَ بِدَرَاهِمٍ ظُلْمًا ، وَلَا شَيْءَ لَهُ^(٤) . وَحَامِلٌ رُقْعَتِي بِشَرَحٍ لَكَ مَا
جَرَى . فَعَامِلٌ فِيهِ مِنْ لَا بُدَّ مِنْ لِقَائِهِ ، وَاسْتَحْ تَمَنَّ بِنِعْمَتِهِ وَجَدْتُ نَعِيمَ الْعَيْشِ^(٥) .
وَاحْذَرْ بِطَانَةَ السُّوءِ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَرِيدُونَ ذَرَاهِمَكَ . وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ مِنْ بَقِيَةِ اللَّهِ : وَمَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ
يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ^(٦) . وَالسَّلَامُ .

٤- * * نفع الطيب ٣ : ٦٣ ، ٥ : ١٣٣٥ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١١٦ - ١١٩
بروكلمن ، الملحق ١ : ٧٨٥ ، ٢ : ١١٠٠٩ عنوان الأريب ٣٥ - ٣٧ .

المستظهر بالله المرواتي

١- هو أبو المطرف عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصري ،
وُلِدَ سَنَةَ ٣٩١ هـ (١٠٠١ م) وعاش في أيامِ ضَعْفِ الْخِلَافَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ وَبِخَنَةِ الْفِتْنَةِ
بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبُرْبَرِ عَلَى اقْتِسَامِ مَقَائِمِ الْحُكْمِ . فَذَمَّهُ الْعَامَّةُ عَلَيْهِمْ فَجَاجَأَ بِهِمْ غَرَنَاطَةُ
وَقُرْطُبَةُ وَأَزَالَ دُورِلَّةَ الطَّوَاتِبِ الَّتِي كَانَتْ لِبْنِي حَمُودٍ فِي الْبُلْدَيْنِ . فَتَنَصَّبَهُ الْعَامَّةُ
خَلِيفَةً فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤١٤ (أَوَاخِرُ ١٠٢٣ وَأَوَّلُ ١٠٢٤ م) وَعُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ
ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، فَتَلَقَّبَ الْمُسْتَظْهَرُ .

- (١) العارف: الصوفي المتقدم في طريق التصوف . والعارف: المطلع على بواطن الأمور .
- (٢) هذا من البلاء (التهمة التي تحمل الناس على أن يطلبوا من المشهور أموراً كثيرة تخرج عن نطاق قدرته).
- (٣) إن تأخرت من تلبية حاجته خفت أن يصيبه ضرر فأشعر بالتقصير ، وإن حاولت مساعدته خفت أن أطلب من الحاكم ما لا يجوز طلبه .
- (٤) لا شيء له (لا يملك المبلغ الذي طلب منه- لا وجه حق في طلب المبلغ منه).
- (٥) فعامل فيه من إلح (أي الله).
- (٦) راجع القرآن الكريم في هذه الآيات الثلاث (٦٥ : ٢ - ٤ ، سورة الطلاق).

بدأ المُستظهِرُ بتوزيع المناصب على الناس لمن يستحقّها ولمن لا يستحقّها، فلم يكن له ولا لهم حِيبَةٌ ولا حَقِيقَةٌ من حَقائق الحكم. ثم اتَّفَقَ أن جاء إليه رَجُلَانِ من البربر فأكرهما (ربّما دفْعاً لِشَرِّها أو شَرِّ قَوْمِها) فأساء العامة الظنَّ به وظنّوه يريدُ إعادة سُلطة البربر إلى قُرطبة فهجموا عليه وقتلوه في ٢٦ من ذي القعدة من سنة ٤١٤ نفسها (١٠ / ٣ / ١٠٣٤ م).

٢- جاء في «الذخيرة» (١ : ٤٨) أنَّ عبدَ الرحمن بن هشام (المستظهر) كان ذكياً أديباً اكتسبَ اختباراً من تقلُّبه في البلاد تُطاردهُ المخاوفُ (ولكنّه لم يستفد من هذا الاختبار فائدة تُذكر). وكان حسنَ الكلام جيّدَ الفريجةَ مليحَ البلاغة يتصرّف في الخطابة بديهةً ورويةً (ارتجالاً واستعداداً) وبصوغٍ قطعاً من الشعر مُستجادةً. ويبدو أنه كان أيضاً كريمَ النفس عفيفاً لم يَشْرَبِ الخمرَ ولا واقعَ مُحَرِّماً. وبرّع في العتاب والغزلِ والوصف وفي الفخر أيضاً.

٣- مختارات من شعره

- خطبَ عبدُ الرحمن بن هشام (المستظهر) حبيبةَ بنتِ سُلَيْمانَ المستعين (وكنيتُها أمُّ الحكم)، ولكنَّ أمّها شنف (أو مشنف) وعدّتهُ بها ثم أخلفت. واعتذرتُ إليه بعذرٍ غيرِ مقبول، فقال (الذخيرة ١ : ٥٦):

وجالبةٌ عُنْذراً لِتُصْرِفَ رَغْبتي،	وتأبى المعالي أن تُجيزَ لها عُنْذراً.
يُكَلِّفُهَا الْأَهْلُونَ رَدِّي سَفَاهَةً،	وهل حَسَنُ بالنس أن تَنَعَ البِدْرُ؟ ^(١)
وماذا على أمِّ الحبيبةِ، إذ رأتُ	جلالةَ قَدْرِي، أن أكونَ لها صِهْراً؟
تعلقتُها من عبيدِ شمسٍ غريبةٍ	مُحْدَرَةٍ من صبيدِ آبائها غُرّاً؟ ^(٢)
لقد طال صَوْمُ الحُبِّ عنك، فما الذي	يُضْرِكُ منه أن تكوني له فِطْراً؟

- (١) تنع (مبنية للمعلوم): لا يلقى بالنس (المرأة الجميلة) أن تنع (ترفض الزواج) باليدر (بالرجل الجميل الكريم). تنع (مبنية للمجهول): لا يجوز لأحد أن يمنع النسي من الاقتران باليدر.
(٢) عبيد شمس: بنو أمية. محْدَرَة (يتحدّر نسيها). الصيد (بالكسر جمع أصيد: الشريف). الفَرَّجُ جمع أفرّج: أبيض (ذو أصل ومكانة).

وإني لأستضي بمرّي بداركم
والصق أحثاني ببرد ثرابها
فلن تصرفني، يا ابنة المم، تصرفي
وإني لأزجو أن أطوق مفخري
وإني لطمان إذا الخيل أقبلت
وإني لأولى الناس من قوبها بها
وعندي ما يصي الحلبة ثيباً
جال وأداب وخلق موطلاً

- وله في الغزل الحفيف (الذخيرة ١: ٥٧ - ٥٨):

طال عمر الليل عني
يا غزالاً نقص الود
أنيبت العهد إذ بش
وأجتمنا في وشاح
وتعانقنا كثنيب
ونجوم الليل تحكي
مذ تولفت بصدي،
د ولم يوف بعهددي.
نا على مفرش ورد،
وانتظمتنا نظم عقد،
من وقدانا كقد^(٧)
ذهباً في لازورد^(٨)

(١) الهدوء: الحين أو اللذة من الليل.

(٢) ستر: في ستر (طلباً للعيش في ستر).

(٣) الملك (يفتح الميم وكسرهما وضهماً): حيازة الشيء، الزواج. - أريد بزواجك أن أزيد إلى فخري فخراً جديداً.

(٤) الجرودة: الجماعة من الخيل. حتى ترى جوبها (ذات اللون الأسود) سفراً (حراء) من الدم. (من غوض المارك).

(٥) عندي صفات تحمل الحلبة (العاقلة) الثيب (التي تزوجت من قبل قبل الي، وتحمل الفناء البكر تنسى أنها عذراء عذبة (يفتح ففتح)...

(٦) الخلق الموطلاً: الخلق الرضي (الحسن المعاشرة).

(٧) وقدانا كقد (واحد): من أبصرنا متعاقبين ظننا شخصاً واحداً.

(٨) اللازورد: لون أزرق (هنا صفة لليل).

١- * * الذخيرة ١: ٤٨-٥٩؛ الحلة السراء ٢: ١٢-١٧؛ المعجب ٣٥؛ نفع الطب ١: ١٣٥-١٣٧، ٤٨٨-٤٩٠، ٣: ٥٤٩؛ الأعلام للزركلي ٤: ١١٦ (٣: ٣٤١).

خلف بن أحمد السعدي

١ - هو خَلَفُ بْنُ أَحْمَدَ السَّعْدِيِّ، نَسَبُهُ لِلسَّعْدِيِّينَ مِنْ إِخْدَى قُرَى الْمَهْدِيَّةِ (تونس)، وَكَانَ سَنَةَ ٣١٨ هـ (٩٣٠ م). تَأَدَّبَ فِي إفْرِيقِيَّةِ (الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ) ثُمَّ دَخَلَ بِصُرَّ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي زَوِيلَةِ الْمَهْدِيَّةِ، سَنَةَ ٤١٤ هـ (١٠٢٣-١٠٢٤ م).

٢- لَخَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ السَّعْدِيِّ شِعْرٌ جَيِّدٌ.

٣- مختارات من شعره

- قال خلف بن أحمد السعدي في النسب:

هَلْ الدَّهْرُ يَوْمًا يَبْلَى بِمَجُودٍ وَأَيَّامُنَا فِي اللَّوَى سَتَعُودُ !
عُهُودٌ تَقْضَتْ وَعِيشٌ مَضَى ؛ بِنَفْسِي وَلِلَّهِ تِلْكَ الْعُهُودُ .
أَلَا قُلْ لِسُكَّانِ وَادِي الْغَضَا: هَتَيْتُ لَكُمْ فِي الْجَنَانِ الْحُلُودُ
أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَلَأِ قَيْضًا ، فَتَحْنُ عِطَاشٌ وَأَنْتُمْ وَرُودُ^(١)

١- * * الأتمودج (النوسي) ٩٧-١٩٩؛ معجم الأدباء ١١: ٦٥-٦٦.

زيادة الله الطُّبْنِيّ

١- هو أَبُو مُضَرَّ زِيَادَةُ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَسَنِ الطُّبْنِيِّ، نَسَبُهُ إِلَى طُبْنَةَ (فِي الْجَزَائِرِ)، التَّحْمِيّ، انْتَقَلَ أَهْلُهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَاسْكَنُوا قُرْطُبَةَ.

وَلَدَ زِيَادَةُ اللَّهِ فِي قُرْطُبَةَ فِي الْأَعْلَبِ، فِي شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٣٣٦ (شباط-آذار = فبراير-مارس ٩٤٨ م). وَقَدْ تَنَقَّلَ بَيْنَ بَلَاطَاتِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ انْقَطَعَ إِلَى الْمَنْصُورِ أَبِي أَبِي عَامِرٍ وَأَصْبَحَ نَدِيمًا لَهُ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢: ٤٩٦). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي عَاشِرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٤١٥ (٢٢ / ٥ / ١٠٢٤ م).

٢- كَانَ زِيَادَةُ اللَّهِ الطُّبْنِيُّ خَفِيفَ الرُّوحِ سَرِيعَ الْخَاطِرِ بَارِعَ التَّكْنِئَةِ ظَرِيفًا حَسَنَ

(١) ورود: جمع وارد (ساكن غرب الله).

المثيرة. وكان عالماً باللغة والأدب والشعر شاعراً فصيحاً الألفاظ سهل التراكيب واضح المعاني. وأكثر شعره الوصف والنسب، وله مديح. وله كتاب اسمه «الحمام» ألفه للمنصور بن أبي عامر.

٣- مختارات من شعره

- قال زبادة الله الطنجي يصف الحمام ويذكر حروب المنصور بن أبي عامر:
أذكر القلب بالنصاي فحنّا ساجع في أراكية قد أرنا^(١).
أخضلت ريشه الله بطل؛ ورأى الروض مؤنقاً فتغنى^(٢).
عرد بالسرور فازت يداه بحبيب عليه لا يتجنى^(٣).
بأبي عامر رأى الدمن في الكف بر، على رغم أهله، ما تمنى^(٤).
ملك لم يزل بركض المذاكي وجهاد العدا مشوقاً مغنى^(٥).
- وقال في النسب والعتاب:

عجباً أن يكون ساكن قلبي راتعاً منه في بساتين حبي،
يجازي على الوفاء بقدر؛ حسي الله، ثم حسي وحسي.
جازني كيف شئت، لا أترك الذر سب إذا كان فرط حبك ذنبي.

- وقال يصف حامة بحسن الصوت والبراعة في الغناء كأنها - عليه بنت زرباب المغني والعاظ المشهور^(٦) - تعلمها الألحان:

- (١) أذكر (فعل ماضٍ) القلب (مفعول به مقدم)... ساجع (فاعل «أذكر»)... النصاي: فعل أفعال الصبا (الشباب) فمن (إليها): تنى أن يفعل مثلاً (بعد أن تقدمت به السن). الأراكية شجرة في الحجاز تؤخذ من أغصانها المسويك. أرند: رن: صاح (عرد).
(٢) أخضلت: بلّغت. الطل: المطر الخفيف. مؤنق: جميل بسر العين.
(٣) يتجنى: يتهمه زوراً بالجنايات (الذنوب).
(٤) رأى الانتصار والفتة.
(٥) ملك (هو المنصور بن أبي عامر).
(٦) هو أبو الحسن علي بن نافع اللقب زرباباً

أَذْنَتْ لِي صَبَابِي مُفَرَّدَةً أَذْكِي الْجَوَى بَيْنَ أَضْلَاعِي تَرْتُمُهَا

كَأَنَّا مَكَتَسَتْ فِي عُشِّهَا زَمْنًا عَلَيْهِ بِنْتُ زُرْيَابٍ تُعَلِّمُهَا.

١- * * * الصلة ١: ١٩٢ (رقم ٤٣٧) جذوة المقتبس ٢٠٥ (الدار المصرية) ٢٢١ (رقم

٤٤٦) بغية الملتبس ٢٨٢ (رقم ٧٥٩) انباء الرواة ٢: ١٨٨ المغرب ١: ١٩٣ نفع

الطيب ٢: ٤٤٦ كتب وشخصيات ١٦- ٢٠.

صَاعِدُ الْبَغْدَادِيِّ

١- هُوَ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عِيسَى الرَّبِيعِيِّ^(١) الْوُصِلِيُّ الْبَغْدَادِيُّ

الْأَنْدَلِسِيُّ الْكُفَّوِيُّ، أَصْلُهُ مِنْ بِلَادِ الْوُصِلِ. وَلَعَلَّ مَوْلَدَهُ فِيهَا كَانَ قُبِيلَ ٣٤٠ هـ (٩٥١ م).

دَخَلَ صَاعِدُ بْنُ الْحَسَنِ بَغْدَادَ وَتَلَقَّى فِيهَا اللُّغَةَ وَالْأَدَبَ عَلَى أَبِي سَعِيدِ الْيَرِاقِيِّ (ت

٣٦٨ هـ) وَأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ (ت ٣٧٧ هـ) وَأَبِي سُلَيْمَانَ الْخَطَّاطِيِّ.

وَفِي سَنَةِ ٣٨٠ (٩٩٠ م) جَاءَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَاتَّصَلَ بِالنَّصُورِيِّ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، فَأَكْرَمَهُ

النَّصُورِيُّ ثُمَّ اسْتَوَزَرَهُ (جَعَلَهُ كَاتِبًا لَهُ). وَبَعْدَ سَقُوطِ دَوْلَةِ الْعَامِرِيِّينَ فِي قُرْطُبَةَ وَاسْتِبْدَادِ مُجَاهِدِ الْعَامِرِيِّ بِدَانِيَّةٍ (٤٠٨ هـ) انْتَقَلَ صَاعِدُ إِلَى دَانِيَّةٍ وَاتَّصَلَ بِمُجَاهِدٍ.

وَلَمَّا زَادَ الاضطرابُ فِي الْأَنْدَلُسِ (رُبَّمَا حَوْلَ ٤١٢ هـ) انْتَقَلَ صَاعِدُ إِلَى جَزِيرَةِ

صِيقَلِيَّةٍ حَيْثُ تَوَفَّى، سَنَةَ ٤١٧ (١٠٢٦ م)، وَقَدْ أَسَنَ.

٢- كَانَ صَاعِدُ الْبَغْدَادِيُّ أَدِيبًا عَالِمًا بِاللُّغَةِ وَكَاتِبًا وَشَاعِرًا. غَيْرَ أَنَّ بَرَاعَتَهُ فِي

اللُّغَةِ قَدْ غَطَّى عَلَيْهَا أَنَّهُ كَانَ يَخْتَلِقُ الرِّوَايَاتِ وَالتَّفَاسِيرَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ. وَأَمَّا شِعْرُهُ

فَكَانَ عَادِيًّا إِلَّا بَعْضَ مَا فِيهِ مِنَ اللَّفَنَاتِ. وَلَعَلَّ شُهْرَتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ تَقُومُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ

كَاتِبًا. وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ يَهْتِمُّ بِالتَّارِيخِ وَبِالْقَصَصِ.

(١) نسبة إلى أمّ الربيع وأمّ الربيعين: مدينة الموصل.

ولصاعِدٍ كُتِبَ منها: كتابُ الفُصوص (نَحَى فيه مَنَحَى القالي في «كتاب الأُمالي» .
ولكنَّهُ كان فيه لَيل الأمانة في الرواية) - كتاب الجَوَّاس بن قَمَطل المَذْجَجي مَعَ أبَةِ
عَمِّه عَفْرَاء - كتاب المَجهِف بن غيدقان اليَثْرَبي مَعَ الحِيتُون بنت مَحرمة بن أُنَيْف .

٣- مَخْتارات من آثاره

- كَتَب صاعِدُ البَغدادِي رسالةً إلى الوزير أبي جعفر الدَّب يرجوهِ فيها أن يَشْفَعَ
عند الخليفة سُلَيمانَ المستعِين بالوزير عبد الله بن مسلمة، وكان سليمان قد نَكَبَ ابنَ
مُسلمة وسجنه مَقِيداً (وكان صاعدُ لَمَّا دخل الأندلس قد اتَّصل بابن مسلمة هذا):

.... لَمَّا جَمَعَ اللهُ طوائِفَ الفضل عليك وأَذَلَّقَ بِكَ الأُنْسَ وأَزَهَقَ فَيْكَ
المُخَاطِرَ^(١)، وَرَفَّرَفَ عَلَيْكَ طَيْرَ الآمالِ وَتَفَضَّتْ إِلَيْكَ عَلائِقُ الرِجالِ^(٢) لم أَجِدْ لَابِنَ
مُسلمة - حينَ عَضَّه التَّقافُ^(٣) وضاقَ بِهِ الحِثاقُ واتَّطَعَ بِهِ الرِجاءُ وَكَبَّاهُ الدَهرُ -
مَلْجأً غَيْرَكَ . فَعَطَفَكَ عَلَى وَالِهِ نَبِيَهُمُ النَحسُ مِنْ سِنَةِ السَّعْدِ^(٤) وَأَيَقَطَّنَهُ الأَفاتُ مِنْ
رَقْدَةِ الغَفْلَةِ..... فَحَنَّاكَ عَلَيْهِ وَعَلَيَّ فِيهِ، وَاذْكُرْ تَعَلَّقَ الآمالُ بِهِ وَتَعَلَّقَ أَمْلِي بِكَ،
وَحاجَّةُ الرُّؤسِ إِلَيْهِ وَحاجَّتُهُ إِلَيْكَ....

- جِيءَ يوماً إلى المَنصورِ بنِ أبي عامرٍ بورْدَةٌ في غَيرِ أَيامِها لم يَتِمَّ تَفَتُّحُها بَعْدُ،
فقالَ فيها صاعِدُ مُرتَجِلاً (راجع، فوق، ص ٣١٢):

أَتَنَّاكَ، أبا عامر، وردةٌ يُذَكِّرُكَ بِكَ أَنْفاسُها -
كَفَذَرَاءَ أَبْصَرَها مُنْصِرٌّ فَفَطَّنتَ بِأَكْلامِها راسِها^(٥)!

(١) جَمَلَ الأُنْسَ تَكَثَّرَ النِّساءُ عَلَيْكَ وجَمَلَ المُخاطِرَ ثابِي بِالْعَالي الحِمَّةَ فَيْكَ (لَكَثَرَةُ فَضالِكَ).

(٢) تَفَضَّتْ الصَّلَاتُ بَيْنَ الرِجالِ - نَظَرَ فِي أَيْمِهِمْ أَفْضَلَ.

(٣) التَّقافُ أَداءُ تَقوُّمِها الرِماحُ: يَمْزُوجُ بِالقِناةِ (القِصَّة) المَوْجِةَ عَلَى النارِ ثُمَّ يَقوِّمُونَ اِعْوَاجَها بِالتَّقافِ . عَضَّ بِهِ التَّقافُ: اشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَمْرُ.

(٤) الوالِدُ: الحَزَنُ الخالِفُ الَّذي كادَ الحَزَنُ (أو الخَوْفُ) يَذْهَبُ بِعَظَمِهِ . السِّنَةُ (بِكَسْرِ السِّينِ): الإِغْماءُ، النُّومُ.

(٥) أَكْلامُ الوَرْدَةِ: الأَوْرَاقُ المَحْصَرُ (الكَأْسُ) الَّذي يَنْفُخُ عَرِ السِّمْلَتِ (الأَوْرَاقُ المَلَوْنَةُ).

- وطلب المنصور منه أن يُعارض قصيدة أبي نواس: «أجارة يَتَيْتِنَا، أبوكِ
غَيُورٌ». فاعتذرَ إجلالاً لأبي نواس وهيئة من ذلك فقال:

إِنِّي لَنُتَخِيحُ عُسْلاً كَ مِنْ أَرْتَجَالِ الْقَوْلِ فِيهِ:
مَنْ لَيْسَ يُدْرِكُ بِالرَّوِيَّةِ كَيْفَ يُدْرِكُ بِالْبَدِيهِ^(١)

- من عجائب الاتفاقِ أَنَّ صاعداً أَهْدَى إِلَى المنصور بن أبي عامر ذاتَ يومٍ أَمَّلاً
مُقَيِّداً بِجَبَلٍ، وقد سَمَاهُ «غرسيه»، يتفاول بذلك أَن يَأْسُرَ المنصورُ بِنُ أَبِي عامرٍ
عَدُوَّهُ غرسيه الأَوَّلَ بِنَ شَانِجِه مَلِكَ قِشْنَالَةَ، وقد كتب إِلَى المنصورِ بالأبيات التالية.
وكان ذلك في أَحَدِ أَيَّامِ ربيعِ الأَوَّلِ من سنة ٣٨٥ = نَيْسَانَ - أبريل ٩٩٥ م:

بِأَ حِرْزٍ كُلُّ مُخَوِّفٍ وَأَمَانٍ كُلُّ مُشْرِدٍ وَمُعِزٍّ كُلُّ مُدْثَلٍ،
جَذَوَاكُ إِن تَخْصُصْ بِهِ فَلَأَهْلِهِ؛ وَتَعْمُ بِالْإِحْسَانِ كُلُّ مُؤَمَّلٍ^(٢)
كَالْفَيْتِ طَبَقَ فَاشْوَى فِي وَبَلِهِ شَعْتُ الْبِلَادِ مَعَ الرَّمَادِ الْمُبْلَلِ^(٣)
اللَّهُ عَوْنُكَ، مَا أُبْرَكَ بِالْهُدَى وَأَشَدُّ وَفَعَكَ فِي الضَّلَالِ الْمُشْكَلِ
مَوْلَايَ- مُؤَنِّسَ غُرْبِي، مَتَخَطِّبِي مِنْ ظُفْرِ أَيَّامِي مُنَنِّعَ مَغْطِي-
عَبْدٌ، نَشَلْتُ بِضَيْعِهِ وَغَرَسْتَهُ فِي نِعْمَةٍ، أَهْدَيْ إِلَيْكَ بِأَمَلٍ^(٤)
سَمِيئَتُهُ غَرِييَّةً وَبَعَثْتَهُ فِي حَبْلِهِ لِيُنَاحَ فِيهِ تَقَاوُلِي.
فَاتَّفَقَ أَنَّ غرسيه هذا جِيءَ بِهِ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ، أَسِيراً إِلَى المنصور.

١- * * جذوة الغنيس ٢٢٣ - ٢٢٧ (الدار المصرية) ٣٤٠ (رقم ٥٠٩)، بغية اللئس ٣٠٦ - ٣١١

(١) الروية: التفكير والتأمل. البديهة: القول ارتجالاً.

(٢) الجدوى (يبدو من التاموس أن اللفظة مذكّرة): المطر العام، الطيبة، الكرم.

(٣) الغيث: المطر. الويل والواهل: المطر الكثير. شعت البلاد: البلاد المدبرة (لغة سقوط المطر فيها).
المراد: المقصود (الذي يقصده الناس لرعي أبقاعهم فيه، لكثرة نباته ولخصبه). المبلل: الذي يكثر فيه
المبلل (النبات).

(٤) الضبع: جانب البدن. نشلت بضيعه = أخذت بضيعه، أعنته، ساعدته، أنهضته من كبوته، أنقذته من
مشكلة. الأكل: نوع من الوعول (يشبه المعزى الجبلية (١)).

(رقم ٨٥٢)، معجم الأدياب ١١: ٢٨١ - ٢٨٦، الذخيرة ٤: ٨ - ١٥٦، انباء الرواة ٢: ٨٥ - ١٩٠، وفيات الأعيان ٢: ٤٨٨ - ٤٨٩، بغية الوعاة ٢٦٧ - ٢٦٨، شذرات الذهب ٣: ٢٠٦ - ٢٠٧، فتح الطب ٣: ٧٥ - ٨٤، ٩٥ - ٩٨، بروكلمن، الملحق ١: ٢٤٥، الأعلام للزركلي ٣: ٢٧١ (١٨٩).

أحمد بن برد الأكبر

١- هو أبو حفص أحمد بن محمد بن برد من أهل قرطبة. وُلِدَ بُعِيدَ ٣٣٨ هـ (٩٤٧ م). كان وزيراً ورثياً مُقَدِّماً في أيام المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) ووَلَدَتْهُ من بعده عبد الملك وعبد الرحمن. وكانت وفاته سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م).

٢- كان أحمد بن برد الأكبر كاتباً مُتَرَسِّلاً ذا حظٍّ وافٍ من البلاغة والأدب وشاعراً مُحَسَّناً مُجِيداً، متين السبك (في شعره ونثره) بديع الصنعة حَلَوَ القول. نَظَّمَ في الغزل والوصف، ولكن براعته كانت في الوصف.

٣- مختارات من آثاره

- قال أحمد بن برد الكاتب يَصِفُ طُلُوعَ الْفَجْرِ:

تَبَّهَ قَدْ شَقَّ النَّهَارُ مُفْلَأً كَأَيْمِهِ عَنِ نَوْرِهِ الْحَفِيزِ الْبَدِيِّ^(١)؛

مَدَاهُنُ يَنْبُرُ فِي أَنْامِلِ فِضَّةٍ عَلَى أَذْرَعٍ مَحْرُوطَةٍ مِنْ زَرْجَدٍ^(٢)؛

- وَقَالَ يَصِفُ لَيْلَةَ قَمَرَاءَ فِي جَوْهَا شَيْءٌ مِنَ الضَّبَابِ الْخَفِيفِ:

وَالْجَوْ مِنْ عَبَقِ النِّسْرِ مُعْتَبِرٌ، وَالنَّجْمُ قَدْ أَغْفَى بَغِيرَ نَعَاسٍ^(٣).

- (١) مُفْلَأً (أي لا يزال الغلس، أي سواد الليل، يخالط نوره). الكائِمُ جمع كائمة وهي (هنا) الكأس أي الأوراق الخضراء التي تكون غلافاً للزهرة (قبل أن تتفتح الزهرة). النور (بالفتح): الزهر الأبيض. الحفِيز: البشَل بالله من ندى الليل. والندى: الذي تجتمع عليه الندى.
- (٢) هذه الأنوار (الأزهار البيضاء) مداهن (أوعية صغيرة) من ثور (ذهب، لأن قلب الزهرة يكون عادة أصفر اللون) في أنامل (أصابع، أي بتلات الزهرة: أوراق الزهر التي تكون عادة ملونة) فِضَّةً (بيضاء اللون) على أَذْرَعٍ (سوق جمع ساق، أي غصن) مَحْرُوطَةٍ (مصنوعة بنسبة واحدة) من زيرجد (حجارة كريمة خضراء اللون).
- (٣) العبق: انتشار الرائحة الطيبة. معتبر: يشبه العنبر (أصفر اللون). والنجم قد أغفى بغير نعاس: أجهز نفسه على النوم من غير حاجة به إلى النوم (فهو من أجل ذلك يفتح عينيه وبضمها - كتابة عن تلاكُوم النجوم).

والبدْرُ كالمرآة غَيْرَ صَفَلَا عَبَثُ الغَوَايِ فِيهِ بِالْأَنْفَاسِ^(١)!

- من إنشاء ابنِ بردٍ الأكبر

كان عبدُ الرحمن بنُ أبي عامر حاجباً لأمير المؤمنين هشام المؤيد من الحكم في ولايته الأولى (٣٦٦-٣٩٩ هـ) والمستبد بأمور دولته. ثم طَمِعَ في أن يكونَ رسمُ الخلافة أيضاً له فأجبرَ هشاماً المؤيدَ على أن يجعلَهُ ولياً للعهد. فاضطرَّ هشامُ إلى القبول. وقد كتب ابنُ بردٍ الأكبرُ هذه الوثيقةَ في ربيعِ الأولِ من سنة ٣٩٨ (أواخر ١٠٠٧ م):

هذا ما عهدَ به هشامُ المؤيدُ بالله أميرُ المؤمنين إلى الناسِ عامةً، وعاهد الله عليه من نفسه خاصةً... بعد أن أنتمَ النظرَ وأطالَ الاستخارة وأهَمَّ ما جعلَهُ اللهُ إليه من الإمامة^(٢).... واتقَى حلولَ القدرِ بما لا يُصَرَّفُ، وخشيَ إن هَجَمَ محتومٌ ذلك عليه ونَزَلَ مقدوره به ولم يرقَ لهذه الأمةِ علماً تأوي إليه^(٣) أن يلتقى ربَّه تبارك وتعالى مُفرطاً ساهياً عن أدله الحقِّ إليها. وتقصَى عندَ ذلك من أحبلِ قُرَيْشٍ وغيرها^(٤) مَنْ يستحقُّ أن يُسندَ هذا الأمرُ إليه ويُعوَّلَ في القيامِ عليه، ممَّا يستوجبُهُ دينُهُ وأمانته وهذِهِ وصيائنه بمَدِّ أطراحِ الهوى، والتحرِّيِ للحقِّ، والتزلفِ^(٥) إلى الله جلَّ جلالُهُ بما يُرضيه - وبعد أن قطعَ الأواصرَ وأسخطَ الأقاربَ^(٦) - فلم يجدْ أحداً هو أجدرُ

(١) غير صقلها = جعل صفتها غير صافية. - لأنَّ النساءَ الجميلات يقربنَّها من وجوههن فتصل أنفاسهن إليها فينشأ حلُّ صفتها شيء من بخار الماء!

(٢) أنتم النظر: دقته (نظر في تفاصيل الأشياء). في الأصل: أمعن. الاستخارة: طلب الخير (والتفكير فيها يريد الرجل أن يفعله). وأهَمَّ: جعل يفكر في عواقب غلو الخلافة بعده من أمام عادل.

(٣) اتقى: خاف. حلول القدر (مجيء الموت). بما لا يصرف: في حال لا يمكن معها التفكير بأمره المحتوم والمقدور: الموت. علم: شيء بارز عال يهتدي الناس به، ملجأ، حصن. تأوى إليه الأمة: تلجأ إليه وتحتمي به في الشدائد.

(٤) تنصَّى: بحث بحثاً دقيقاً. أحياء قريش: قبائل العرب وبيوتانهم (في الأندلس) وغيرهم (من البربر ومن المؤمنين: المسلمين في الأندلس من أصل أسباني).

(٥) أطراح: ترك، إهمال. الهوى (ميل النفس إلى شيء) - إلى أن يكون الخليفة المقبل عربياً أمويًا. التحري: الطلب والتفتيش. التزلف: التقرب.

(٦) قطع الأواصر جمع أصرة: القراية. أسخط: أغضب.

أَنْ يُؤَلِّيهُ عَهْدَهُ وَيُقَوِّضَ إِلَيْهِ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ، لِفَضْلِ نَفْسِهِ وَكَرَمِ خِيَمِهِ^(١) وشرف مرتبته وعُلُوِّ مَنْصِبِهِ، مَعَ تَقَاءِ وَعَفَافِهِ ومعرفته وحُزْمِهِ، مِنَ الْأُمُونِ الْغَيْبِ النَّاصِحِ الْجَبِيبِ أَبِي^(٢) الْمُطَرِّفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، وَفَقَّهَ اللَّهَ؛ إِذْ كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْدَاهُ اللَّهُ قَدْ أَبْتَلَاهُ وَاخْتَبَرَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَاعْتَبَرَهُ^(٣) فَرَأَاهُ مُسَارِعاً فِي الْخَيْرَاتِ سَابِقاً فِي الْخَلَبَاتِ مُسْتَوْتِلاً عَلَى الْغَايَاتِ جَامِعاً لِلْإِثْرَاتِ^(٤). وَمَنْ كَانَ الْمَنْصُورُ أَبَاهُ وَالْمُظَفَّرُ أَخَاهُ، فَلَا غَرَوَ أَنْ يَبْلُغَ مِنْ سَبِيلِ الْبِرِّ مَدَاهُ وَيَخْوِي مِنْ خِلَالِ الْخَيْرِ مَا حَوَاهُ^(٥).....

٤- * * يمكن أن يحصل التباس في المصادر والمراجع بين أبي حفص أحمد بن برد الجذَّ هذا وأبي حفص أحمد بن برد الحفيد (ت نحو ٤٥٠ هـ- راجع تحت). جذوة القنيس ١١١ (الدار المصرية) ١١٩ (رقم ١٢٩٩) بغية المنتسب ١٦١ (رقم ٣٨٧) الذخيرة ١٠٣: ١- ١٢٣ المطمح ٢٤- ١٢٥ المغرب ٢٠٠- ٢٠١ الوافي بالوفيات ٦: ١٢٦٣ البيان المغرب ٣: ٤٤ نفع الطيب ١: ٤٢٤- ٤٢٦، ٣: ٢٩٣، ٥٤٥- ١٥٤٦ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٧٣٩ الأعلام للزركلي ١: ٩٩ (١٠٣).

حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ

١- هُوَ أَبُو عَبْدِ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ أَبِي عَبْدِ الْأَنْدَلُسِيِّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ جَلَالَةِ وَوِزَارَةِ فِي قُرْطُبَةٍ؛ رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ الزُّبَيْدِيِّ (ت ٣٧٩ هـ) وَأَبِي عُثْمَانَ الْقَرَّازِ وَأَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذَكْوَانَ الْقَاضِي (ت ٤١٣ هـ).
لَمَّا جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَظْهَرُ بْنُ هِشَامٍ إِلَى الْخِلَافَةِ اسْتَوَزَرَ حَسَّانَ بْنَ مَالِكٍ،

- (١) الحِم: الطيبة والأصل.
- (٢) الْأُمُونِ الْغَيْبِ: الذي يَخْطُ عَهْدَكَ وَلَوْ كُنْتَ غَائِباً عَنْهُ. النَّاصِحِ الْجَبِيبِ: الَّذِي لَا يَخُونُكَ فِي مَا اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ (وَالْأَلْبِقُ أَنْ تَقَالَ فِي الْمَرْأَةِ).
- (٣) ابْتَلَاهُ: اخْتَبَرَهُ. اعْتَبَرَهُ: قَرَّرَهُ، نَظَرَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ.
- (٤) مُسَارِعاً فِي عَمَلِ الْخَيْرِ، سَابِقاً (مُتَقَدِّماً عَلَى غَيْرِهِ) فِي الْخَلَبَاتِ (مَيَادِينِ السِّيَاقِ) مُسْتَوْتِلاً عَلَى الْغَايَاتِ (يَصِلُ إِلَى الْمَدْفِ قَبْلَ غَيْرِهِ مِنَ الْخَيْلِ) - بِشَبْهِهِ بِالْحِمَاةِ الَّذِي يَسْبِقُ الْخَيْلَ. الْمَأْتَرَةُ (بَضْمُ التَّاءِ): الْفَعْلُ الْحَمِيدُ الْكَرِيمُ.
- (٥) لَا غَرَوَ: لَا عَجَبَ. الْبِرُّ: التَّقْوَى، طَاعَةُ الرَّجُلِ لِقَوْمِهِ وَطَلَبُ الثَّنَةِ لَهُمْ وَلَوْ أَخَّرَ ذَلِكَ بِهِ. الْخِلَالُ: (هَذَا): الْخِصَالُ: جَمْعُ حِمْلَةٍ (بِفَتْحِ الْهَاءِ): الْمَادَّةُ وَالطَّبِيعَةُ.

ولكنَّ خلافةَ المستظهر لم تَطُلْ سوى شَهْرَيْنِ أو يزيدان مِنْ سَنَةِ ٤١٤ هـ (١٠٢٣-١٠٢٤ م). ويبدو أنَّ حَسَنًا كَانَ كَارِهًا لِلوِزَارَةِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، فَقَضَى قِسْمًا مِنْ أَيَّامِ الْفِتْنَةِ مُتَنَزِّلًا لِلْحَيَاةِ الْعَامَّةِ بَعِيدًا عَنِ الْعَاصِمَةِ. وَيَبْدُو أَنَّهُ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى قُرْبَةِ وَحْشَتِ حَالِهِ فِيهَا.

وكانت وفاة حَسَنِ بْنِ مَالِكٍ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٤١٦ هـ^(١) وَقَدْ أَسَنَ كَثِيرًا. وَرثَاه أَبُو عَامِرٍ بْنُ شُهَيْدٍ (ت ٤٢٦ هـ).

٢- كان حَسَنُ بْنُ مَالِكٍ مِنْ جِلَّةِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدَبَاءِ فُقِيهًا وَكَاتِبًا مُتَرَسِّلًا وَشَاعِرًا وَجِدَانِيًّا مُجِيدًا؛ وَمِنْ فَنُونِ شِعْرِ الشُّكْوَى وَوَصَفِ الطَّبِيعَةِ. وَكَانَ مُصَنِّفًا لِهَذَا كِتَابِ رَبِيعَةٍ وَعَقِيلٍ:

دخل^(٢) حَسَنُ بْنُ أَبِي عَبْدِ يَوْمًا عَلَى الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ (ت ٣٩٢ هـ) وَبَيْنَ يَدَيْهِ كِتَابُ أَبِي السَّرِيِّ^(٣) وَهُوَ يُعْجَبُ بِهِ. فَخَرَجَ (حَسَنُ) مِنْ عِنْدِهِ وَعَمِيلٌ (مِثْلُ) هَذَا الْكِتَابِ وَفَرَّغَ مِنْهُ تَالِفًا وَنَسْخًا وَتَصْوِيرًا، وَجَاءَ بِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَأَرَاهُ (لِلْمَنْصُورِ) فُسْرًا بِهِ وَوَصَّلَهُ عَلَيْهِ.

٣- مختارات من شعره

- لَمَّا كَثُرَ الْإِسْتِدَادُ مِنَ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَظْهِرِ، كَتَبَ إِلَيْهِ حَسَنُ بْنُ أَبِي عَبْدِ:

إِذَا كَانَ يَمْثِلِي لَا يُجَازِي بِصَبْرِهِ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يُعْذِي يُجَازِي عَلَى الصَّبْرِ؟

(١) فِي جَدْوَةِ الْمُتَنَبِّسِ (ص ١٨٤ س) وَبَلَدِيَةِ الْمُتَنَبِّسِ (ص ٢٥٦) وَمَجْمَعِ الْأَدَبَاءِ (٧: ٢٢١-٢٢٢) وَبَلَدِيَةِ الرِّوَاةِ (ص ٢٣٨) أَنَّ حَسَنَ بْنَ مَالِكٍ تَوَفَّى قَبْلَ ٣٢٠ هـ، وَهَذَا بِلا رَيْبٍ خَطَأً نَقَلَهُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ تَعَطُّيٍّ إِلَى أَنَّ حَسَنًا كَانَ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ (ت ٣٩٢). وَالتَّصْحِيحُ مِنْ كِتَابِ الصَّلَاةِ لَأَمْرِ بِشُكْوَالٍ (ص ١٣٥).

(٢) جَدْوَةُ الْمُتَنَبِّسِ ١٨٤.

(٣) هُوَ أَبُو السَّرِيِّ سَهْلُ بْنُ أَبِي غَالِبٍ الْخَزْرَجِيُّ وَضَعُ كِتَابًا ذَكَرَ فِيهِ أَمْرَ الْجَنِّ وَحِكْمَتَهُمْ وَأَسْأَلَهُمْ وَأَشَارَهُمْ وَزَعَمَ أَنَّهُ بَاهِمُهُمْ لِلْأَمِينِ بْنِ هُرُونِ الرَّشِيدِ وَلَيْلَى الْمُهَدِّ غَفَرَهُ الرَّشِيدُ وَابْنَهُ الْأَمِينُ وَزَيْبِدَةُ أُمِّ الْأَمِينِ. وَأَفَادَ مِنْهُمْ (مَالًا كَثِيرًا). وَلَهُ أَشْعَارُ حَسَنَ وَضَمَّهَا عَلَى الْجَنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَالسَّمَاءِ. وَ (قَدْ) قَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: إِنْ كُنْتَ رَأَيْتَ مَا ذَكَرْتَ، لَقَدْ رَأَيْتَ عَجَبًا. وَإِنْ كُنْتَ مَا رَأَيْتَ، لَقَدْ وَضَعْتَ أَدَبًا. (وَفِيهِاتِ الْأَعْيَانِ ٥: ٢٢١).

فكم مشهدٍ حاربتُ فيه عدوكُم
أخوضُ إلى أعدائكم لُجَجَ الوعى
وقد نامَ عنكم كلُّ مُستَبطِنِ الحشا
فما بالُ هذا الأمرِ أصبحَ ضائعاً،
- وقال في الشيب:

رأى طالماً للشيبِ بينَ ذَوائِي
وقالت: أَسِيبُ؟ قلتُ: صَبِحُ تجارِي
- وقال ينشوقُ إلى أهله:

نسى بلداً أهلي به وأقارِي
وهبتَ عليهم بالعشيِّ وبالضحى
تذكرتهمُ والنأيُ قد حالَ دونهم
ومما شجاني هاتِفٌ فوقَ أهلكِ
فقلتُ: اتَّيَّدَا بكفِّكَ أنِّي نازِحٌ،
ولي صبيَّةٌ يَمْلُ الفِراخِ بَقْفرةِ
غوايٍ بأتقالِ الحيا وروائحُ^(١)
نواسمُ يَزْدِ والظلالُ فوائِحُ^(٢)
ولم أنسِ، لكن أوقَدَ القلبَ لافِحُ^(٣)
ينوحُ ولم يعلمَ بما هو نائحُ^(٤)
وأن الذي أهواؤُ عَنِّي نازِحُ^(٥)
مضى حاضيناهَا فاطَحَتِهَا الطوائِحُ^(٦)

- (١) المشهد: المكان المشهود (الذي يكثر فيه الناس)، هنا: «المعركة الشديدة». وأملت (لكم) راحة طول الدهر من عدوكُم.
(٢) سرى: سار في الليل (في الأوقات المصيبة).
(٣) مستبطن الحشا: كبير البطن (وليست بهذا المعنى في التاموس).
(٤) «أمين الله جملة معترضة (للنداء) - جملة - تحمك - خير - أنت». أو نقول: أمين (بالرفع) خير «أنت». وجملة - تحمك - نعمت - أمين».
(٥) الغداة: الغداة التي تأتي في الصباح. الرائحة: الغداة التي تأتي في المساء. بأتقال الحيا (المطر). بطر تعيل (كثير).
(٦) نواسم (٢) بقصد «نم» (بفتح ففتح: مفردة): الريح الخفيفة. فوائِح جمع فائحة (٢) مَسْمَة. النَّأي: البعد. اللائِح واللائحة (النار أو الريح) التي تلتح (تحرق) ما قابلها.
(٧) شجاني: حزنتي، أحرزني. هاتِف: راغف صوته. الأهلكة: مجتمع من الشجر الملتف.
(٨) اتَّيَّدَا: تكلَّم، تآزر: بعيد (عن وطنه).
(٩) أطاحتها الطوائِح (٢). في التاموس: طوى: ذهب في الأرض وهلك. (بقصد: نزلت بها الشدائد).

إِذَا عَصَفَتْ رِيحٌ أَقَامَتْ رُؤُوسَهَا فَلَمْ يَلْقَهَا إِلَّا طُيُورٌ بَوَارِحٌ^(١).
فَمَنْ لِمِغَارٍ بَعْدَ فَقْدِ أَبِيهِمْ سَوَى سَانِحٍ فِي الدَّهْرِ، لَوْ عَنَّ سَانِحٌ^(٢).

١- * * جذوة المقتبس ١٨٣-١٨٤ (الدار المصرية) ١٩٦ (رقم ٣٨٠)، بغية الملتبس ٢٥٥-٢٥٦ (رقم ٦٦٢)، مطبخ الأنفس ٢٦-٢٧، الصلة ١٥٣، معجم الأدباء ٧: ٢٢١-٢٢٥، بغية الوعاة ٢٣٨، نفع الطيب ١: ٤٣٦-٤٣٧، ٣: ٥١٧-٥١٨، الأعلام للزركلي ١٩٠: ٢ (١٧٧).

ابراهيم بن غانم الكاتب

١- هو أبو إسماعيل إبراهيم بن غانم بن عبدون الكاتب المغربي، كان مولده نحو سنة ٣٦٠ (٩٧٠-٩٧١ م). وقد أنتقل إلى مصر فعاش فيها مدة ثم عاد إلى القيروان حيث توفي سنة ٤٢١ (١٠٣٠ م).

٢- كان إبراهيم بن غانم الكاتب أديباً ناثراً وشاعراً كُتِبَ الشعر (يغلب على شعره أسلوب الكتاب: صحيح المعاني والتراكيب قليل الروق). وكان يوجز في المعاني ويسلك في النظم على أسلوب واحد ويلجأ إلى الصناعة. وأبرز فنونه المدح والهجاء والمعاني الوجدانية في المواعظ خاصة. وكانت له مشاركة في الفلسفة والهندسة.

٣- مختارات من شعره

- قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ غَانِمٍ الْكَاتِبُ فِي الْبُخْلِ وَالْبُخْلِ:

قُلْ لِلْبُخْلِ: وَإِنْ أَصْبَحْتَ ذَا سَعَةٍ، لَأَنْتَ بِالْبُخْلِ فِي ضَبْقٍ وَإِقْلَاقٍ:
لَتَأْسَفَنَّ عَلَى تَرْكِ النَّدَى قَدَمًا إِذَا تَخَلَّيْتَ مِنْ أَهْلِي وَمِنْ مَالٍ^(٣).

(١) إذا عصفت ريح (حدث حركة) أقامت رؤوسها.... طيور بوارح (جمع بارح): تَرَى مِنْ بَيْنِكَ إِلَى بَارِك (وكان ذلك دليل النجوم والحرمان).

(٢) السانح: الطائر الذي يمر من يبارك إلى يبيك (دليل الخير والبركة). في التاموس (١: ٢٣٠): * من لي بالسانح بعد البارح أي بالبارك بعد النجوم *.

(٣) الندى: الكرم. إذا تركت الكرم (الإحسان إلى الناس) الآن ثم اتفق أن اغتفرت (في المستقبل) وتخلت عن أهلك (بوتهم) وعن مالك (بالفقر) فإنك لن تجد حينئذ أحداً من الناس حولك.

وَمَنْ رَأَى فِي الْعُلَى مِنْ مَالِهِ عِيَاضاً
- وقال في حُسنِ الصبر:

رَبِّهَا كَانَتْ الْحَلَاثِقُ- إِنْ ضَا
وَتَهَوُّنُ الْأَحْدَاثُ عِنْدَ مُعَانٍ
وَرَجْعُهُ الْمَسُورُ يُنِيرُ فِي الْأَدْرِ
وَالصَّبُورُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ مَخْ
فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ بِكَفِّكَ، وَالزَّمْ

- وقال يَصِفُ النِّيلَ فِي مِصْرَ:

وَالنِّيلُ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ كَأَنَّا
يَأْتِيكَ فِي كَدْرِ الزَّوَاخِرِ مَدَّةُ
فَكَأَنَّ ضَوْءَ الْبَدْرِ فِي تَمُوجِهِ
وَكَأَنَّ نُورَ السُّرُجِ مِنْ جَنَابَتِهِ
يُمِثِّلُ الرِّيَاضَ مُفْتَقاً أَنْوَارُهَا
يَبْدُو لِعَيْنٍ مُشَبِّهِ وَمُمَثِّلُ^(١)

(١) إنَّ الذي يفتق ماله في سبيل الملا (المجد) يجد عوضاً من المال وبدلاً منه (في مكانته عند الناس).

(٢) إذا ضاق خلق الإنسان أو طبعه أو صدره بمصيبة نزلت به، فإِنَّ خَلِيقَتَهُ (أو طَبِيعَتَهُ) تصيح حينئذ مصيبة دالة عليه أكبر من المصائب التي تنزل به حينئذ بعد حين.

(٣) مكان (اسم فاعل من عانى: اختبر لأمر الحياة) ومعان (اسم مفعول من أعان) كان له فؤاد (قلب) شهم (شجاع) يمينه على تلقى مصائب الدهر.

(٤) الأمل في النفس يساعد على احتلال الأحداث. من قريب: بسهولة وسرعة.

(٥) السمع الجيب (هو الله).

(٦) سطح النيل هاديء أبيض لامع كأنه صفيحة (قطعة حديد: سيف) صيقل (حَدَّاد).

(٧) الزاخر: المتلوى والضطرب. المد: (هنا) الفيضان. حينئذ يذ (ينفيض) نهر النيل وتصبح مياهه الزاخرة (الكثيرة المضطربة) مزوجة بالكدر (بالأتربة) يصبح لها رائحة طيبة كالملك والصدول.

(٨) المسل: الرعي، المدنى.

(٩) زهر الكواكب: الكواكب التي تلمع. ليل أبل (شده السواد).

(١٠) في هذه الحال يشبه الشاعر سطح نهر النيل ببستان تفتحت (تفتحت) أنواره (جمع نور يفتح النون: الزهر الأبيض).

والبدْرُ يَبْخُلُ ثم يَبْذُلُ رَغْبَةً أَنْ يَسْتَرِدَّ فَلْيَنْتَه لَمْ يَبْذُلْ^(١)

- * * - الأعمودج ٢٢- ٢٥ الوافي بالوفيات ٦: ٧٨- ١٧٩ مجمل تاريخ الأدب التونسي
١٢٧- ١٢٨.

أبو عبد الله بن الكتّاني

١- هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين المذحجي الأندلسي المعروف بابن الكتّاني، وُلِدَ بِمَيْدَ ٣٤٠ هـ (٩٥٢ م) وسكن قرطبة.

أَخَذَ ابْنُ الْكَتَّانِي صِنَاعَةَ الطِّبِّ عَنْ عَمِّهِ أَبِي الْوَلِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَأَخَذَ الْمُنْطَقَ وَعُلُومَ الْفَلَسَفَةِ وَالْفَلَكَ عَنْ نَقَرٍ مِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجَبَلِيّ الطَّبِيبُ وَعُمَرُ بْنُ يُونُسَ بْنِ أَحْمَدَ الْحَرَّاتِيّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَفْصُونَ الْفَيْلَسُوفُ وَسَلْمَةُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَجْرِيطِيّ (ت ٣٩٩ هـ)؛ وَأَخَذَ عَنْهُ ابْنُ حَزْمٍ (ت ٤٥٦ هـ).

اتَّصَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِنِ الْكَتَّانِي بِالْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ (ت ٣٩٢ هـ) وَابْنِهِ الْمُظْفَرِ (ت ٣٩٩ هـ) وَكَانَ طَبِيباً لَهُمَا. ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ فِي أَوَّلِ الْفَتْحَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ فِي قُرْطَبَةٍ عَلَى الْخِلَافَةِ، نَحْوَ ٤٠٠ هـ، إِلَى سَرَقُشْطَةَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ قَرِيباً مِنْ سَنَةِ ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م).

٢- أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْكَتَّانِي طَبِيبٌ مَاهِرٌ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ مُشَارَكَةٌ فِي الْمُنْطَقِ وَعُلُومِ الْفَلَسَفَةِ وَمَقْدَرَةٌ فِي الْأَدَبِ. وَمَعَ أَنَّ شِعْرَهُ عَادِيٌّ فِيهِ جَفَافُ شِعْرِ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّ أَطْلَاعَهُ عَلَى الشِّعْرِ وَأَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ كَانَ وَاسِعاً جَدّاً، كَمَا نَرَى مِنْ كِتَابِهِ «كِتَابُ التَّشْبِيهَاتِ» مِنْ أَشْعَارِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، وَهُوَ مَخْتَارَاتٌ مِنَ الشِّعْرِ عَلَى الْأَغْرَاضِ: السَّمَاءِ وَالْمَطَرِ، الرَّبِيعِ وَالزَّهْرِ، الْوَرْدِ، الشَّرَابِ وَأَوْصَافِ الْحُمْرِ، الشَّعْرِ وَسَوَادِهِ وَشُقْرَتِهِ، الْعِيْنِاقِ وَالْوَدَّاعِ، النِّيرَانِ، الْخَيْلِ، السِّیُوفِ، الْخُوفِ، الدَّوَاةِ وَالْقَلَمِ

(١) والبدر يبخل (يستر بالقيم) ثم يذل (يظهر من خلال القيم) رغبة أن يسترد (أن يعود إلى استناره وراء اليوم)....

والصَّحِيفَةُ، البُخْلُ، هَجُؤُ النِّسَاءِ، اللَّحَى، الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ. وَلَهُ أَيْضاً كِتَابٌ «مُحَمَّدٌ وَسُعْدَى» وَغَيْرُهُ.

٣- مختارات من آثاره

- قال مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَذْهَبِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي الْغَزَلِ وَالنَّسِيبِ وَالْخَمْرِ:

أَلَا قَدْ هَجَرْنَا الْهَجَرَ وَاتَّصَلَ الْوَصْلُ، وَبَانَتْ لِيَالِي الْبَيْنِ وَأَجْتَمَعَ الشَّمْلُ.

فَسُعْدَى نَدِيمِي وَالْمُدَامَةُ رَيْقُهَا، وَوَجَنْتُهَا رَوْضِي وَتَقْبِيلُهَا النُّقْلُ.

- وَقَالَ فِي النَّسِيبِ:

نَأَيْتُ عَنْكُمْ بِلَا صَبْرٍ وَلَا جَلَدٍ، وَصِيحْتُ: «وَكَابِدًا!» حَتَّى مَضَتْ كَيْدِي^(١).

أَضْحَى الْفِرَاقُ رَيْقًا لِي يُوَاصِلُنِي بِالْبُعْدِ وَالشَّجْوِ وَالْأَحْزَانِ وَالْكَمَدِ^(٢)،

وَبِالْوَجْهِ السَّيِّئِ تَبَدُّو فَأَتَيْدُهَا، وَقَدْ وَضَعْتُ عَلَى قَلْبِي يَدَيَّ بِيَدِي:

إِذَا رَأَيْتُ وَجْهَ الطَّيْرِ قُلْتُ لَهَا: لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْفَرَبَانِ وَالصَّرَدِ^(٣)!

٤- كِتَابُ التَّشْبِيهَاتِ (عَنِّي بِتَصْحِيحِهِ مُحَمَّدُ عَبْدِ الْمَعِينِ خَانَ)، كَمِيرُودَج (تَعْرِيفُ مَجْلَةِ الْمَجْمَعِ ٢٧: ١١٨) (تَحْقِيقُ الدُّكْتُورِ أَحْسَانِ عِيَّاسٍ)، بَيْرُوتُ (دَارُ الثَّقَافَةِ) ١٩٦٦ م.

* * جُذُوءُ الْمُقْتَبَسِ ٤٥- ٤٦ (الدَّارُ الْمِصْرِيَّةُ) ٤٩- ٥٠ (رَقْمُ ١٣٥) بَنِيَّةُ الْمُتَمَسِّ ٥٧ (رَقْمُ ٨١) التَّكْمِلَةُ ١١٨ الْمُتَمَدُّونَ ١٢١٠ الْمَغْرِبُ ١: ٢٠٦ مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ١٨: ١٨٤- ١٨٥ الْوَاقِي بِالْوَفَايَاتِ ٣: ١١٦ طَبَقَاتُ الْأَطْبَاءِ ٢: ٤٥: ١ الْأَعْلَامُ لِلزُّرْكَانِيِّ ٦: ٣١٣- ٣١٤ (٨٣).

إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

١- هُوَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفُ بِالْمُفَرِّجِي الرَّافِضِيِّ، يَبْدُو أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ

الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ، قَتَلَهُ الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيَسَ، سَنَةَ ٤٢٠ (١٠٢٩ م). لِأَنَّهُ كَانَ سَبَّابًا (لَا يَبْكُرُ وَعُمَرُ).

(١) نَأَيْتُ: بَعَدْتُ، أَيْتَمَدْتُ. الْجَلَدُ: الْإِحْتِمَالُ (الصَّبْرُ عَلَى الْبُعْدِ). حَتَّى مَضَتْ كَيْدِي: تَنَطَّطَتْ.

(٢) الشَّجْوُ: الْحُزْنُ. الْكَمَدُ: الْأَلَمُ مِنْ كِتَابَةِ الْحُزْنِ.

(٣) الصَّرَدُ (بِضَمِّ فَتْحٍ): طَائِرُ كَبِيرُ الرَّأْسِ وَالْمَنْقَارِ (جَمْعُهُ صَرَدَانُ بِكَسْرِ الصَّادِ) وَكَانُوا يَنْشَاءُونَ بِهِ كَمَا يَنْشَاءُونَ بِالْفَرَابِ.

٢- يبدو أن إسحاق بن إبراهيم كان شاعراً قديراً مُحسناً وناقداً، وكان يتمصّب لآلِ بني هاني الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ) إذ كان يجمعُ بينها الموى للدولة الفاطمية وإن لم يسلُك طريقه في المبالغات المُستهجنة والألفاظ التي تُقنعُ. وله شيء من الشعر الراجح.

٣- مختارات من شعره

- لإسحاق بن إبراهيم قصيدة في المدح منها (النائل: العطاء):

ثناؤك كالروضِ في نشره، وجودك كالقَيْث في قطره^(١).
وما أنا مِن يَتْنِي نائلاً بَدَحِكَ إذ جاء في شعره^(٢).
ولكن لِساني إذا ما أَرَدْتُ (م) مدحاً خَطَرْتُ على ذِكْره.
فغانتُ عدوك أهامه ولا قسى الحوادث من دهره.
ولا عاشَ يوماً به آمناً ولا بَلَغَ السؤل في أمره.

٤- * * * الأنموذج ٤٥- ٤٦ الوافي بالوفيات ٣٩٨- ٤٠٠.

فيما يلي، مؤخرَةً، طبعات كتب القَرَاز النحوي القيرواني ومراجع ترجمته - الواردة سابقاً ص ٣٥٤ -:

٤- كتاب فيه ذكر شيء من الحلّ (عني مجلّ ألفاظه طاهر النعاني وأحد قُدري الكيلاني) (الناشر: مكتبة عنوان النجاح- حماة)، صيدا (مطبعة المرفان) ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م.

- صرائر الشاعر: ما يجوز للشاعر عند الضرورة (تحقيق محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة)، الاسكندرية (منشأة المعارف) ١٩٧٣ م.

- كتاب العشرات في اللغة، صيدا ١٣٣٤ هـ.

* * * القَرَاز القيرواني، تأليف المتحي الكمي، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.

الأنموذج ١٢٣- ١٢٨ إنباه الرواة ٣: ٨٤- ٨٧ المحمّدون من الشعراء ١٨٥- ١٨٦

معجم الأدباء ١٨: ١٠٥- ١٠٩ الوافي بالوفيات ٢: ٣٠٤- ٣٠٥ وفيات الأعيان ٤:

٣٧٤- ٣٧٦ بنية الوعاة ١٢٩ بروكلمن، الملحق ١: ٥٣٩ الأعلام للزركلي ٦: ٢٩٩

(٧١).

(١) النشر: الرائحة الطيبة. القطر: سقوط الطر.

(٢) النائل: العطاء.

المُحْصِرِي صَاحِبُ زَهْرِ الْآدَابِ

١- هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري المعروف بالمُحْصِرِي^(١) القيرواني، كان على شيء من الواجهة في بلده وعلى كثير من العلم بالأدب، فكان شُبَّانُ القيروان يجتمعون عنده وبأخذون عنه. ويبدو أنه كان يتكسَّب بالشعر أو يرتزق بتأليفه، حتى ائتمنت عليه الصلوات من الجهات، (وفيات الأعيان ١: ٥٤). وكانت وفاته في المنصورة قُربَ القيروان سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢ م) وقد جاوز أثنه.

٢- قال ياقوت الحموي: وكان (أبو إسحاق المحصري) شاعراً نقاداً عالماً بتنزيل الكلام وتفصيل النظام يُجِبُّ المُجَانِسَةَ والمطابقة ويرغِبُ في الاستعارة، تشبُّهاً بأبي تميم في أشعاره وتتبعاً لآثاره. وعنده من الطبع ما لو أرسله على سجيته لجرى جرى الماء ورقاً رقة الهواء (معجم الأدباء ٢: ٩٥).

والمُحْصِرِي هذا^(٢) مُصَنَّفٌ تدور كُتُبُه على الأخبار الطريفة والأشعار اللطيفة. من كتبه: زهر الآداب وثمر الألباب^(٣) - ذيل زهر الآداب (أو: جمع الجواهر في الملح والنوادر) - كتاب النورين (نور الظرف ونور الطرف) - المصون والدر المكنون (المصون في سِرِّ الهوى المكنون مجموع مقطعات شعرية) - المعشرات^(٤).

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو إسحاق إبراهيم بن علي المُحْصِرِي القيرواني (معجم الأدباء ٢: ٩٣):

(١) ابن خلكان ينسب المحصري إلى صنع الحصر ويضعها (اجتهاداً). ويقول حسن حسني عبد الوهاب (جمل الأدب التونسي ١١٩) أن المحصري منسوب إلى قرية الحصر قرب القيروان.

(٢) هنالك مصادر ومراجع تخلط بين إبراهيم بن علي المحصري القيرواني صاحب كتاب «زهر الآداب» وعلي بن النفي المحصري القيرواني الضمير صاحب قصيدة «يا ليل الصب». (وقد فعل بروكلمان مثل ذلك عند الكلام على أسماء الكتب) فليفتن الدارس إلى ذلك.

(٣) ألفه لأي الفضل المباس بن سليمان.

(٤) بروكلمان ١: ٣١٥.

بَا قَلْ بَكَيْتَ كَمَا بَكَيْتَ وَرَقُ الْمَاهِمِ فِي الْقُصُونِ^(١)؛
هَتَفْتُ سَحِيرًا وَالرُّبَى لِلْقَطْرِ رَافِعَةً الْجَفُونِ^(٢).
فَكَأَنَّهُا صَاغَتْ عَلَى شَجْوِي شَجَى تِلْكَ اللَّحُونِ^(٣)؛
ذَكَرْتَنِي عَهْدًا مَضَى لِلْأَسَى مُنْقَطِعَ الْقَرْنِ^(٤).
فَتَصَرَّمْتُ أَبَاهُمَا وَكَأَنَّهُمَا رَجَعُ الْجَفُونِ^(٥).

- وقال في النسيب:

إِنِّي أَجِيكَ حُبًّا لَيْسَ يَبْلُغُهُ هَمِّي، وَلَا يَنْتَهِي فَهْمِي إِلَى صِفَتِهِ.
أَقْصَى نَهَابِهِ عَلَيَّ فِيهِ مَعْرِفِي بِالْعَجْرِ مِنِّي عَنْ إِدْرَاكِ مَعْرِفَتِهِ.

- الشعر المطبوع والشعر المصنوع (من كتاب زهر الآداب):

الشعرُ مطبوعٌ ومصنوعٌ. فالطَّبُوعُ الجَيِّدُ الطَّيْبُ مَقْبُولٌ فِي السَّعْرِ قَرِيبُ الْمَثَالِ
بَعِيدُ الْمَثَالِ، أُنِيقُ الدِّيَابِجَةِ رَقِيقُ الرُّجَاجَةِ يَدْنُو مِنْ فَهْمٍ سَامِعِهِ كَدُونُهُ مِنْ وَهْمٍ
صَانِعِهِ. وَالْمَصْنُوعُ مُتَّقَفُ الْكُعُوبِ مَعْتَدِلُ الْأَنْبُوبِ، يَطْرُدُ مَاكَ الْبَدِيعِ عَلَى جَنَابَاتِهِ
وَيَجُولُ رَوْنَقُ الْحُسْنِ فِي صَفْحَاتِهِ. وَحَمَلُ الصَّانِعِ شِعْرَهُ عَلَى الْإِكْرَاهِ فِي التَّعْمَلِ
بِتَنْقِيجِ الْمَبَانِي دُونَ إِصْلَاحِ الْمَعَانِي يُعْمَى آثَارُ الصَّنْعَةِ وَيُطْفِئُ أَنْوَارَ الصَّبِغَةِ^(١)،
وَيُخْرِجُهُ إِلَى فَسَادِ التَّعَسُّفِ وَقُبْحِ التَّكَلُّفِ. وَإِلْقَاءُ الْمَطْبُوعِ بِيَدِهِ إِلَى قَبُولِ مَا يَبْغُهُ
هَاجِسُهُ وَيَتَّقَهُ^(٢) وَسَاوِسُهُ- مِنْ غَيْرِ إِعْمَالِ النَّظَرِ وَتَدْقِيقِ الْفِكْرِ- يُخْرِجُهُ إِلَى حَدِّ
الْمُسْتَهْتَمِ الرَّثِّ وَحَيْرِ الْمُسْتَوْخِرِ الْفَتْ. وَأَحْسَنُ مَا أَجْرِي إِلَيْهِ وَعَوَّلَ عَلَيْهِ هُوَ
التَّوَسُّطُ بَيْنَ الْحَالَيْنِ وَالْمَنْزَلَةُ بَيْنَ التَّزَلُّتَيْنِ مِنَ الطَّبِيعِ وَالصَّنْعَةِ.

(١) بكيت (يفتح التاء) للتجريد (إذ يخاطب الشاعر نفسه). الورقاء: الهامة. ورق (٢) الهائم: الهام
(الرمادي اللون) (٣) البري (ولمَّه أجل صوتاً).

(٢) الجفون (كذا في الأصل)، ولمَّها العينون. (رافعة العينون) تطلب من الله سقوط المطر.

(٣) الشما (هنا) والشجو: الحزن والهم.

(٤) منقطع القرن (الثيل، الشبيه): عهد الشباب.

(٥) تصرَّم: انطقى. رجع الجفون (كتابة عن السرعة).

- ٤- زهر الآداب (على هاشم المقد)، مصر ١٣٠٢ هـ (نشره زكي مبارك)، القاهرة ١٣٤٤ هـ؛ (نشرة عليّ البجاوي)، القاهرة ١٩٢٥ م؛ (بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)؛ (بتحقيق زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد)، بيروت (دار الجليل) الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م...
- ذهل زهر الآداب أو جمع الجواهر في الملح والتوارد القاهرة (الطبعة الرحمانية) بلا تاريخ؛ (حرّره عبد العزيز البشري)، القاهرة ١٣٥٣ هـ.
- * * الأنموذج ١٧- ٢٠ بنية الملتبس ٢٠٩ (رقم ٥١٦)، معجم الأدباء ١٩٤: ٩٤-١٩٧ وفيات الأعيان ١: ٥٤- ٥٥، ٣٩٤- ٣٩٥، الوافي بالوفيات ٦: ٦١- ١٦٢ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٣٩- ٦٤٠ بروكلمن ١: ٣١٤- ٣١٥، الملحق ١: ٤٧٢- ٤٧٣، الأعلام للزركلي ١: ٤٤ (٥٠)، مجمل تاريخ الأدب التونسي ١١٩- ١٢١.

ابن دَرَّاجِ القُسْطَلِيّ

- ١- هو أبو عمرَ أحمدُ بنُ محمدَ بنِ العاصي بنِ أحمدَ بنِ سليمانَ بنِ عيسى بنِ دَرَّاجِ، أصلُ أهلِهِ من بربر صِنهاجَة جاءوا إلى الأندلس في أيام الفتح مع طارق بن زياد في الأغلب، ثم استقروا في قُسْطَلَة دَرَّاجِ التي هي عند جِيَّانَ (شرق قرطبة) فيا يبدو.
- وُلِدَ ابنُ دَرَّاجِ في المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٣٤٧ (أذار- مارس ٩٥٨ م) في جِيَّانَ في الأغلب. ونحن لا نَعْرِفُ شَيْئاً يُذَكِّرُ عن حَيَاتِهِ الأولى قبلَ أن يَتَّصِلَ بالنصور بن أبي عامر، سنة ٣٨٢ هـ (٩٩٢ م)، ويصيح شاعره. ومن الثابت أن ابنَ دَرَّاجِ قد رافقَ المنصورَ بنَ أبي عامر في عددٍ من غَزَوَاتِهِ.
- ولَمَّا تُوُفِّيَ النصورُ بنُ أبي عامر (٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م) خَلَفَهُ- في الحِجَابَةِ وفي الحِجَرِ على الخليفة هشام المُوَيْدِ- ابنُهُ عبدُ المَلِكِ فظَلَّ ابنُ دَرَّاجِ يَتَمَتَّعُ بِالْحُظُوءَةِ التي كانتَ لَهُ من قبل. ولكنْ لَمَّا تُوُفِّيَ عبدُ المَلِكِ وخَلَفَهُ أخوه عبدُ الرحمن (٣٩٨ هـ) سَقَطَتْ مَنَزَلَةُ ابنِ دَرَّاجِ في البلاطِ العَامِرِيِّ، فَصَبَرَ ابنُ دَرَّاجِ على ذلك مُكْرَهاً.
- ثم سَقَطَتِ الدَّولَةُ العَامِرِيَّةُ التي كانتَ مُسْتَبَدَّةً بِالْخُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ في قرطبة وجاءَ سُلَيْمَانُ المُسْتَعِينُ إلى الخِلافة (٤٠٠ هـ) فمدحه ابن دَرَّاجِ، ولكنْ سليمانَ لم يَحْفَظْ بِمدحِ ابن دَرَّاجِ.

وَاتَّصَلَ ابْنُ دِرَاجٍ بِالْقَاسِمِ بْنِ حَمُودٍ (وَزِيرِ سُلَيْمَانَ الْمُسْتَعِينِ فِي قُرْطُبَةٍ) وَمَدَحَهُ وَلَكِنْ لَمْ يَنْلُ مِنْهُ شَيْئاً، فَجَازَ الْبَحْرَ إِلَى سَبْتَةِ (فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى) وَمَدَحَ عَلِيَّ بْنَ حَمُودٍ (أَخَا الْقَاسِمِ بْنِ حَمُودٍ) فَلَمْ يَنْلُ مِنْهُ شَيْئاً أَيْضاً.

عِنْدَثَثُ عَادَ ابْنُ دِرَاجٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَمَدَحَ خَيْرَانَ الْعَامِرِيَّ صَاحِبَ الْمَرْيُوثِ (٤٠٥-٤١٩ هـ) فَأَثَابَهُ خَيْرَانٌ ثَوَاباً قَلِيلاً. فَجَاءَ ابْنُ دِرَاجٍ إِلَى قُرْطُبَةٍ (٤٠٧ هـ) وَمَدَحَ الْخَلِيفَةَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْمُرْتَضَى فَلَمْ يُثَبِّهْ بِشَيْءٍ. وَطَالَ تَطَوُّفُ ابْنِ دِرَاجٍ بَيْنَ بَلَاطَاتِ الْعَامِرِيِّينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْصُلَ عَلَى فَائِدَةٍ.

وَأَخِيرَآ ذَهَبَ إِلَى سَرَقُسْطَةَ وَمَدَحَ الْمُتَنَزِّلَ بْنَ يَحْيَى التَّجِيبِيَّ (٤١٠-٤١٤ هـ) فَنَالَ عِنْدَهُ حَظَوَّةً فَكَثُرَتْ مَدَائِحُهُ فِي الْمُنْدَرِ بْنِ يَحْيَى ثُمَّ فِي ابْنِهِ يَحْيَى (٤١٤-٤٢٠ هـ)؛ وَأَقْبَلَتْ الدُّنْيَا عَلَيْهِ وَاقْتَنَى الْأَرَاضِيَّ وَالضِّيَاعَ. وَيَبْدُو أَنَّ شَيْئاً مِنَ الْفُتُورِ حَدَّثَ بَيْنَ ابْنِ دِرَاجٍ وَبَيْنَ يَحْيَى فَغَادَرَ ابْنُ دِرَاجٍ سَرَقُسْطَةَ وَجَاءَ إِلَى دَانِيَّةَ (سَنَةِ ٤١٩ هـ) وَمَدَحَ أَمِيرَهَا مُجَاهِداً الْعَامِرِيَّ.

لَمْ تَطُلْ حَيَاةُ ابْنِ دِرَاجٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَتَوُفِّيَ فِي دَانِيَّةَ فِي الْأَغْلَبِ، فِي النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٢١ (٢٢ / ٦ / ١٠٣٠ م).

٢- ابْنُ دِرَاجٍ الْقُسْطَلِيُّ شَاعِرٌ فَعَلَّ مُكْثِرٌ مُطِيلٌ وَكَاتَبَ مُتَرَسِّلٌ بَارِعٌ. وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الشُّعْرَاءِ الْمُجِيدِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ. وَشِعْرُهُ أَعْلَى طَبَقَةٍ مِنْ نَثَرِهِ.

وَأَسْلُوبُ ابْنِ دِرَاجٍ مَطْبُوعٌ عَلَى غِرَارِ الشُّعْرِ الْمَشْرِقِيِّ مِنْ شِعْرِ أَوْلَئِكَ النَّبِيزِ يَتَكَلَّفُونَ الْقَوَاصِدَ عَلَى الْمَعَانِي وَيَتَأَنَّقُونَ فِي الصِّيَاغَةِ كَأَنِّي تَسَامَرُ وَالْمُتَنَبِّئِي حَتَّى سُمِّيَ «مُتَنَبِّئِي الْغَرْبِ». غَيْرَ أَنَّ فِي شِعْرِهِ - بَرُغْمَ ذَلِكَ كُلِّهِ - قَدْرٌ كَبِيرٌ مِنَ الْعُدُوبَةِ وَالسَّلَاسَةِ، مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْقَوَاصِدِ أحياناً. وَرَبَّيْنَا رَأْيَانَهُ يُقَلِّدُ أَيْضاً أَبَا نُوَاسٍ وَابْنَ الرُّومِيِّ وَابْنَ هَافِي الْأَنْدَلُسِيِّ وَغَيْرَهُمْ.

وَشِعْرُهُ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا مُنْعَظُهُ مَدَائِحُ ثُمَّ يَضَعُ قِصَائِدَ فِي الرِّثْلَةِ وَالتَّعْزِيَةِ تَبْلُغُ خَصْماً. ثُمَّ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنَ الْغَزْلِ وَالْوَصْفِ لِلطَّبِيعَةِ وَلِلْحَرْبِ مَعَ أَبْيَاتٍ مِنَ الْحِكْمَةِ مُتَفَرِّقَةٍ فِي الْقِصَائِدِ. وَابْنُ دِرَاجٍ مُكْثِرٌ مِنْ وَصْفِ الْأَمْجَادِ وَيُشِيدُ بِعَظَمَةِ الْإِسْلَامِ

إشادة بارزة، ولا غَرَوْا فطبيعة الحروب التي كان العرب يخوضونها في الأندلس في ذلك الحين كانت تقتضي ذلك.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن درّاج القسطلّي يمدح المنصور بن أبي عامر، وكان المنصور قد أمره بأن يُعارض قصيدة أبي نواس في مدح الحصب بن عبد الحميد صاحب الخراج في مصر (أجارة يَتَنَبَّأُ أبوكِ غَيُورُ)، فقال ابن درّاج قصيدة منها:

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ التَّوَاءَ هُوَ التَّوَى	وَأَنَّ بَيُوتَ الْعَاجِزِينَ قُبُورٌ ^(١) .
تُخَوِّفُنِي طَوْلَ السِّفَارِ، وَإِنَّهُ	لِتَقْبِيلِ كَفِّ الْعَامِرِيِّ سَفِيرٌ ^(٢) .
دَعَيْتَنِي أَرْضَ مَاءِ الْمَافُوزِ آجِئاً	إِلَى حَيْثُ مَاءِ الْمَكْرُمَاتِ نَمِيرٌ ^(٣) .
وَأَخْتَلَيْتِ الْأَيَّامَ خَلَّةً فَاثِكِ	إِلَى حَيْثُ لِي مِنْ غَذَرِهِنَّ خَفِيرٌ ^(٤) .
فَلَمَّا خَطَرَاتِ الْمَخَاطِرِ ضُمُّنٌ	لِرَاكِبِيهَا أَنَّ الْجِزَاءَ خَطِيرٌ ^(٥) .
وَلَمَّا تَدَانَتْ لِلْوَدَاعِ، وَقَدْ هَمَّا	بَصِيرِي مِنْهَا أَنَّهُ وَزِيرٌ ^(٦) .
تُنَاشِدُنِي عَهْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْهَوَى،	وَفِي الْمَهْدِ مَبْغُومُ الْبِدَاءِ صَغِيرٌ ^(٧) .

-
- (١) التواء: المكث والبقاء (في مكان واحد). التوى: الهلاك.... والذين لا يرحلون بيوتهم عجزاً عنهم عن الضرب في الأرض تكون بيوتهم قبوراً لهم.
- (٢) طول السفار: بعد السفر وطول مدته. سفير: وسيلة إلى تقبيل كف المنصور بن أبي عامر (لنيل نداء وعطايه).
- (٣) ورد الماء: شربه. المافوز: البقاء التي يمشى فيها الهلاك وسببت مفازة للتنازل بأن الذي يملكها يرجو له أن ينجو- يفوز ويخرج- منها. غير: صاف، عذب. - اتركيني أشق (مجزومة: من التواء) واتعب حتى أصل إلى المكان الذي فيه راحة وكرم.
- (٤) واطركيني أغافل الأيام بمرأة وعزم لأجلو منها إلى حيث آمن على نفسي منها.
- (٥) ركوب المخاطر الطيبة يضمن للإنسان ثواباً عظيماً.
- (٦) ههنا: أسرع، ذهب. الزفرة: تنفس طويل يصنعه الإنسان من هم أو أسف - أبنيتها وزغرتها ذهاب بصيري.
- (٧) المبعوم: الذي يشبه صوته البكاء (صوت الظبي): حذل.

عَيْيُ بِمَرْجُوعِ الْخِطَابِ، وَلَفْظُهُ
عَصَبَتْ شَفِيعَ النَّفْسِ فِيهِ وَقَادَنِي
لَيْثٌ وَدَعَتْ مِنِّي غَيُوراً فَإِنْسِي
أَسْلَطُ حَرَّ الْمَاجِرَاتِ إِذَا سَطَا
وَالْمَوْتِ فِي عَيْنِ الْجَبَانِ تَلَوْنُ،
لَعْدَ أَتَقَنَّتْ أَنَّ الْمُنَى طَوَعَ هِمَّتِي،
وَأَيُّ فَتْنَى لِلدِّينِ وَالْمُلْكِ وَالنَّدَى
مُجِيرُ الْهَدَى وَالذِّينِ مِنْ كُلِّ مُلْحِدٍ،
تَلَاقَتْ عَلَيْهِ مِنْ تَصْمِيرٍ وَيَغْرُبُ
بِمَوْجِ أَهْوَاءِ النَّفْسِ خَبِيرٌ^(١)
رَوَّاحٌ لِتَدَابِيرِ السُّرَى وَبُكُورِ^(٢)
عَلَى عَزَمَتِي مِنْ شَجْوِهَا لَغَبُورِ^(٣)
عَلَى حُرُوجِي وَالْأَصِيلِ هَجِيرِ^(٤)
وَاللَّذْفَرِ فِي سَمْعِ الْجَزْيَةِ صَفِيرِ^(٥)
وَأَنِّي بِمَطْفِئِ الْعَامِرِيِّ جَدِيرِ^(٦)
وَتَصْدِيقِي ظَنُّ الرَّاغِبِينَ نَزُورِ^(٧)
وَلَيْسَ عَلَيْهِ لِلضَّلَالِ مُجِيرِ^(٨)
شُمُوسٌ تَلَالَا فِي الْعَلَا وَبُدُورِ^(٩)

- (١) عَيْي: عاجز. مرجوع الخطاب: ببيان الألفاظ (بالرد على الأسئلة). ولفظه بموج أحواء النفوس غير: تأثير لفظه يصل إلى قلوب سامعيه.
- (٢) الرواح: الرجوع في المساء، الذهاب مساء. التداب: الدأب (بفتح الدال والمهملة)، المتابعة والاستمرار. السرى: السفر ليلاً.
- (٣) إذا كانت امرأتى قد نامت أن أسافر لأنني غيور عليها، فأنا أيضاً غيور على أن أُنشد ما أعزم عليه ولا أرجع عنه لتلا تحيي (يدخل على قلبها الحزن من ذلك).
- (٤) حرّ الوجه: ما يبدو منه عادة (ما لا يستره الإنسان عادة- كما يفعل البدوي بالكوفية التي تستر حوائط وجهه فقط). الأصيل: منتصف الوقت بين الظهر وغيباب الشمس. هجير: حرّ (بفتح الحاء). وفي سبيل تنفيذ عزمي أعرض وجهي للحر في نصف النهار حينما يكون الأصيل حرّاً لا يطاق.
- (٥) في الديوان (ص ٢٩٩) وللصوت في عيش، وهو خطأ مطبعي بلا ريب ولكن لم ينبّه عليه في باب الصواب والخطأ (ص ٦٢٦) - وحينما يكون للصوت صور مختلفة في عين الجبان، وحينما يبلغ الخوف قمرأ عطياً حتى تبدأ أذنا الجهويّة الشجاع تصفران من الخوف (تسمعان أصواتاً غير موجودة).
- (٦) حينئذ أتيت أنني أستطيع أن أمال كل ما أعزم عليه. وهذا يجعلني أيضاً جديراً (مستحقاً) بطمايا المنصور بن أبي عامر.
- (٧) ليس هنالك رجل آخر غير المنصور بن أبي عامر ننتظر منه الدفاع عن الدين وعن الملك وننتظر منه الطمايا التي تحقّق آمال الطالبين مها تكن تلك الآمال كبيرة.
- (٨) هو مجير (بفتح، بمعنى) الدين من الملحدّين جميعاً، ولا يستطيع أحد أن ينهه من القضاء على الضلال.
- (٩) اجتمع في نسبة بنو تميم (دلالة على الكثرة والقوّة) ويحرب (دلالة على قدم الجِد في أسلافه). ويحرب بن قطعان أيضاً أبو عرب اليمن (دلالة على عراقه الجِد).

من الجَمِيرَيْنِ الذينَ أَكْفَهُمْ
لَمْ يَسْذَلْ الدهرُ الأَيُّ قِيادَهُ،
وهم ضَرَبُوا الآفَاقَ شَرْقاً وَمَغْرِباً
وهم تَصَوَّروا حِزْبَ النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى
أَلَا كُلُّ مَدْحٍ عَنِ مَدَاكِ مُقَصَّرٌ،
لَقَدْ حَاطَ أَعلامُ الْهُدَى بِكَ حَانِطٌ،
مُعِمْ عَلَى بَذْلِ الرِّغَائِبِ وَاللُّهَى،
فَغَزَمْتُكَ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ مُغَيَّرٌ،
- وَقَالَ يَتَغَزَّلُ^(١):

وَحَشِيَّةُ اللَّفْظِ: هل يُودِي قَتْلُكُمْ؟
إِنِّي أَرَاكَ بِقَتْلِ النَّصْرِ حَازِقَةً،
مَا لِي وَلِلْبَرِّ أَسْتَفِيعُ مِنْ ظُلْمٍ،
لَوْلَا الضُّلُوعُ لَطَارَ الْقَلْبُ نَحْوَكُمْ.

دَمِي مُضَاعٌ، وَجَانِي ذَاكَ عَيْنَاكَ^(٢).
قُولِي- قَدَيْتُكَ-: مَنْ بِالْقَتْلِ أَوْصَاكَ!
هِيَهَاتَ، لَا رِيَّ إِلَّا مِنْ قَتَامَاكَ!
ضَمِي- بَعِيثُكَ- فَوْقَ الْقَلْبِ مُنَاكَ.

- (١) الجَمِيرَيْنِ: عرب الجنوب (دلالة على جمع الجند من عرب الشمال ومن عرب الجنوب). تهمي: تهطل: تسقط بكثرة. الندى: الكرم.
- (٢) إن الدهر الذي يأتي أن يطبع أحداً من الناس انقاد لهم طائفاً راحياً. والأَيَّامُ التي هي بقور (كثيرة النفرة والحرب والجفلة من الناس) هدأت على يدهم.
- (٣) غرور: حديمة النفس، مطلب لا يتحقق.
- (٤) الحَانِطُ: الحامي، الدافع. والمقصود بقوله: حَانِطٌ وَقَدِيرٌ: الله تعالى.
- (٥) هو في بلاءه مستقر يعطي الناس الرغائب (جمع رغبة: الأمر المرغوب فيه) واللهم (جمع لية- يفتح اللام أو بضتها-: العطية الجزيلة، ألف دينار، أو ألف درهم)، بينما هو يفتكر (ويدير) جميع أنحاء البلاد.
- (٦) هذه الأبيات تقليد لمقطوعة للشريف الرضي (ت بغداد ٤٠٦ هـ):
يا طيبة البان ترمي في خائلك لِيَهْمَكَ اليومَ أَنَّ الْقَلْبَ مَرَعَاكَ.
- (٧) وحشِيَّةُ اللَّفْظِ: لفظها يشبه بلفظ (بضم الباء) بقر الوحش (الظباء). في الديوان (ص ٥٣٨): هل يودي (ينقلبتن تحت المياه): يهلك، يموت. والأصوب أن نقرأ: هل يودي (بألف مقصورة): هل يدفع ديتة (يكسر الدال وفتح الهاء بلا تشديد)، بدلتنا على ذلك نشئة البيت: دمي مضاع.... جاني ذاك عيناك: عيناك سفكتا دمي ثم حالتا بيني وبين أن أحلب منك دية (لأنني أحبك).

أَصْلَيْتَنِي لَوْعَةَ الْمِجْرَانِ ظَالِمَةً رُخَاكِ مِنْ لَوْعَةِ الْمِجْرَانِ رُخَاكِ^(١)
حَاثَاكِ أَنْ تَجْمَعِي حُصْنَ الصِّفَاتِ إِلَى قُبْحِ الصَّنِيعِ بَيْنَ يَهْوَاكِ، حَاثَاكِ.
إِنْ كَانَ وَادِيكِ مَتْنُوعاً فَمَوْعِدُنَا وَادِي الْكَرَى فَلَعَلِّي فِيهِ أَلْفَاكِ^(٢) ١

- وكتب ابن درّاج القسطلّي إلى مُنْذِرِ بْنِ عَمِيّ التُّجَيْبِي صاحب سَرَقُطَّة
(٤١٠-٤١٤ هـ) رسالةً منها: (الذخيرة ١: ٦٤):

حَيَاكَ بِتَحِيَّةِ الْمَلِكِ مَنْ أَحْيَا بِكَ دَعْوَةَ الْحَقِّ، وَرَدَاكَ رِثَاءَ الْإِعْظَامِ مَنْ^(٣) أَعْلَى
بِكَ لَوَاءِ الْإِسْلَامِ: مُجَرِّي الْأَقْدَارِ بِإِعْلَانِهِ قَدْرَكَ وَمُصَرِّفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِإِعْزَازِ
نَصْرِكَ، وَمُظْهِرُ^(٤) مَنْ أَطَاعَكَ عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَمُدْمِرُ مَنْ عَادَاكَ بِسُيُوفِ مَنْ
وَالَاكَ. قَدْ جَعَلَ اللَّهُ أَوَّلَ أَسْمَائِكَ أَوَّلَى بِأَعْدَائِكَ وَأَقْرَبَ اعْتِرَازِكَ صَفْوَاً
لَأَوْلِيَانِكَ^(٥)، ثُمَّ سَأَلَ بِكَ حَاجِبُ الشَّمْسِ نُوراً وَأَنْسَأَ لِهَذَا الْإِنْسِ^(٦) وَنَفْسَ حَيَاةٍ لِكُلِّ
نَفْسٍ.

- وقال يمدح عَمِيّ المَطَرَنِيّ الْمُنْذِرِ التُّجَيْبِي (٤١٤-٤٢٠ هـ) صاحب سَرَقُطَّة.
وهذه القصيدة تُبَعِّدُ عَنِ التَّقْلِيدِ:

نَجُومُ الصَّبَا، أَيْنَ تِلْكَ النُّجُومُ؟ نَسِمُ الصَّبَا، أَيْنَ ذَاكَ النِّسَمِ^(٧)؟
أَمَا فِي التَّخَيُّلِ مِنْهَا ضِيَاءٌ، أَمَا فِي التَّنَشُّقِ مِنْهَا شَمْعٌ^(٨)؟

- (١) أصلاء: مرّقه لحر النار. اللوعة: حرقه في القلب، ألم من حبّ أو همّ.
- (٢) واديك: منزلك، المكان الذي تسكنينه. وادي الكرى: النوم - إذا كنت لا تستطيع أن أزدورك في أرضك (خوفاً من أملاكك) فتلقي أراك في نومي (إذ ليس لأهلك سلطة على الرؤيا في النوم، ولا يستطيعون أن يمتنعوا عنها).
- (٣) رَدَاكَ: ألبسك. من: الذي (أي الله).
- (٤) مظهر: ناصر.
- (٥) أَوَّلَ أَسْمَائِكَ (المنذر: الذي يعمل خير الناس). اعتزّأوك: انتزّأك، انتزّأك: التجبّي (الجبب؟).
- (٦) الأُنْسُ (بضم الهزنة): الحديث المفرح و(بفتح الهزنة): التأس.
- (٧) نجوم (جمع نجم: أول ما بنيت من عتب الأرض). نجوم الصبا: أوائل الشباب. أين تلك النجوم: (نجوم السهل) أين أمام شبابتنا الأولى؟ أين ذاك النسيم: أين ذلك الهواء الذي كنا نتنشقه في أوطاننا؟
- (٨) أليس في تخيل الإنسان لألّهم شبابه ضياء (رؤيّة) لذلك الشباب الذي سقى (شعور به)؟ أليس في التنشّق (محاولة شمّ الريح من نحو الوطن) شعور بأن الإنسان قريب من وطنه أو موجود فيه؟

لقد شَطَّ رَوْضٌ إِلَيْهِ أَحْنُ، وَغَارَتْ مِيَاءٌ إِلَيْهَا أَهَمُ^(١)،
لِيَالِي إِذْ لَا حَبِيبَ يَصُدُّ، وَعَهْدِي إِذْ لَا عَذُولَ يُلُومُ،
وَعَمْرِي مِنَ الدَّرِّ مِثْلُ مَذَابٍ، وَرَوْضِي مِنَ الشَّحْرِ دَكٌّ رَخِيمُ^(٢)،
وَعَصْنُ شَبَابٍ عِلَاءُ الْمَثِيبِ، كَفَضُّ رِيَاضٍ عِلَالَهَا الْمُثْمِيبُ^(٣)،
فِيَا عَجَباً لِمَصْرُوفِ الزَّمَانِ، شُهُوداً لَنَا وَهِيَ فِينَا خُصُومُ^(٤)،
فَكَيْفَ قَضَى حُكْمُ هَذَا الْقَضَاءِ، عَلِيٌّ لِدَهْرِي وَهُوَ الظُّلُومُ^(٥)؟
فَنَحْنُ دِيُونُ النَّوَى، كُلُّ يَوْمٍ، عَلَى حُكْمِهِ يَفْتَضِينَا الْفَرَمُ^(٦)،
جُوسَمٌ تَطْلُمُ بَيْنَ الْقُلُوبِ، بِأَجْنَحَةِ رَيْشُهُنَّ الْمُحْصُومُ^(٧)،
يَكُلُّ هَجِيرٍ لَوْ النَّارُ تَصَلَّى، جَحِيماً لِأَصْبَحَ وَهُوَ الْمَجْمِعُ^(٨)،
وَفِي كُلِّ هَمٍّ - كَمَا قِيلَ - خَلْقٌ، صَفِيرٌ يُهَاقِيهِ خَلْقٌ عَظِيمُ^(٩)،

(١) شط: ابتعد. غار الماء: ذهب في الأرض وضاع. هام: أحب امرأة. هام بالمرأة: حنَّ (يفتح الهاء) اشتاق. أهم إليه (ليست في القاموس): اشتاق إليه.

(٢) خري (الحمر التي أشربها وأسكر بها) من الدَّرِّ (الزلزلة من الانسان، أسنان الحبوب: من فمه). مك مذاب: رقيق الحبوب. في الديوان (ص ٢٧٦): وروضي من الشحر (يكسر السين) وأرجع أنا القرامدة: وروحي (يفتح الراء: الراحة والانتعاش) من الشحر (يفتح السين: الصدر). الدل: الدلال، المرأة على الزوج بفتح السين. الرخيم: (الكلام) اللين العذب.

(٣) ليس الشباب جليلاً مع الشيب أو مع الشعر الأبيض، كما أن الروض الناضر لا يكون جليلاً إذا كان فيه عشب باهس.

(٤) من المعجب أن أحداث الدهر سلطنا (في الماضي) مع أننا (في الأهل والمادة) عدو لنا.

(٥) وكيف أعاني القضاء على دهري (ووهني سعادة)، مع أن القضاء في العادة ظلم (يظلم: يسلط الناس ما هو حق لهم)؟

(٦) نحن البشر ديون للدهر في هذه الحياة. وفي كل يوم يطلب الفرم (صاحب الفرم، أي الدهر) دينه من يريده: بالإفطار، بالمصائب، بالوت، الخ.

(٧) إن القلوب تنمى آمنيات عسيرة التحقيق ثم تحمل الأجسام على تحقيق هذه الأمنيات فتلقى الأجسام من جرأ ذلك ثعباً شديداً.

(٨) يسعى الإنسان إلى أن يحقق رغباته في أحوال قاسية: في هجير (حر نصف النهار) ولو أن هنالك شيئاً أشدَّ حرّاً من النار (من المجمع: جهنم) لكان هو ذلك الهجير.

(٩) وفي كل بحر عظيم يتوض فيه ذلك الإنسان الصغير. يهاويه ليست في القاموس. والأقرب أن يكون =

كَانَا عَلَيْهِ نُجُومُ الثَّرَيَا تَسِيرُ وَقَدْ أَفْرَدَتْهَا النُّجُومُ (١) .
 وَفِي اسْمِ الْمَظْفَرِ فَالْ حَيَاءِ لِحَيَا الْغَرِيبِ بِهِ وَالْقِيَمِ .
 يُبَشِّرُنَا بِسَنَاءِ الصَّبَاحِ ، وَتُخْبِرُنَا عَنْ نَدَاءِ الْغُيُومِ (٢) .
 وَفِي كُلِّ نَادٍ مُنَادٍ إِلَيْكَ : هَلَمْ إِلَى حَيْثُ يَغْنَى الْعَدِيمُ (٣) ،
 هَلَمْ إِلَى حَيْثُ تُنْسَى الرِّزَايَا ، هَلَمْ إِلَى حَيْثُ تُوسَى الْكُلُومُ (٤) .
 عَلَا أَعْرَقَتْ فِيكَ مِنْ عَهْدٍ عَادٍ يَدْعِي الْكَرِيمُ بِهَا وَاللَّثِمُ (٥) .
 وَفِي كُلِّ بَرٍّ وَفِي كُلِّ بَحْرِ صِرَاطٌ إِلَيْكَ لَهَا مُنْتَقِمِ .
 وَسَيْفُكَ لِلدَّعْوَى رُكْنٌ شَدِيدٌ ، وَحَظُّكَ فِي الْمُلْكِ حَظٌّ عَظِيمُ .
 لَيْسَتْ إِلَيْهَا مِنَ الْمُلْكِ تَاجَا يُهْلُ الْهِلَالُ لَهُ وَالنُّجُومُ (٦) .
 عَلَى حُلِيِّ حَاكَمَيْنِ السَّنَةِ وَأُرْدِيَةِ نَسَجَتِهَا الْحُلُومُ (٧) .

= « ياديه » (وهذه أيضاً ليست في الفاموس، وإن جاءت في شعر الأخطل). والمقصود يَدْعِيه أمامه
 يسير. والإشارة هنا إلى قول عمرو بن العاص حينما سأله عمر بن الخطاب أن يصف له البحر، فكتب
 إليه عمرو بن العاص: « البحر خلق كبير يركبه خلق صغير. وراكبه دود على عود. الداخل فيه
 مفقود، والخارج منه مولود ».

- (١) الثريا عنقود نجوم. أفردتها: عزلتها. - كان الإنسان في البحر مثل عنقود الثريا في السماء إذا لم يكن في السماء نجوم غيرها (أي شيء ضئيل جداً).
- (٢) سناء (نور الصباح جزء من سناة: بشاشة وجهه ولطفه) والمطر نموذج من كرمه.
- (٣) العديم: الفقير. في الديوان (ص ٢٧٣): يغنى (بالبناء للمجهول) ويجوز أن تكون يغنى (بالبناء للمعلوم).
- (٤) الرزايا جمع رزية: مصيبة. الكلوم جمع كلم (يسكون اللام): جرح. أما المرح: داواة.
- (٥) علاه الملا، المل: المجد والرفعة والمنظمة. أعرفت: كانت عريقة (عديدة في أسلافه). يدعي: يقر. يدعي الكرم بها واللثيم: يقر (له بهذا الكرم) جميع الناس.
- (٦) هل ييل (بالبناء للمعلوم أو للمجهول) الهلال: ظهر. وهل الرجل: فرح. - إذا رأى الهلال والنجوم تاجك فرح ثم فرح أصواتين من الدهشة والحمد (لأن تاجك أجل منهن).
- (٧) السناء: الطلوع والارتفاع (والشاعر يقصد التورق). الحلوم جمع حلم (بالكس): العقل. يدح الشاعر مدحوه بكرم الأصل وبالحكمة (٢).

وللابياتِ بُحورٌ تَمُورُ، وللساجاتِ سَفِينٌ يَعمُومُ^(١)
 كَأَنَّ خَوَافِقَ أَغْلَابِيَهِنَّ طَيُورٌ عَلَى الْمَاءِ مِنْهَا تَحُومُ^(٢).
 فَلَا شَاءَ دَهْرُكَ مَا لَا تَشَاءُ، وَلَا رَأَى شَانِيكَ مَا لَا تُرَومُ^(٣).
 فَنَصْرُكَ أَوَّلُ مَا تَسْتَبِيدُ، وَعُمْرُكَ آخِرُ مَا نَسْتَعِدُّ^(٤).

- ٤- ديوان ابن درّاج الفسطي (حقّقه محمود علي مكّي)، دمشق (المكتب الإسلامي) الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ.
 * * جذوة المقتبس ١٠٢-١٠٦ (رقم ١٨٦) الدار المصرية ص ١١٠-١١٤ بنية المتنبس
 ١٤٧-١٥٠ (رقم ٣٤٢) الصلة ٤٤ (رقم ١٧٧) الذخيرة ١: ٥٩-١١٠٣ الوافي
 بالوفيات ٨: ٤٩-١٥٢ وفيات الأعيان ١: ١٣٥-١٣٩ المغرب ٢: ٦٠-١٦١ المطرب
 ١٥٦-١٥٧ شذرات الذهب ٣: ٢١٧-٢١٩ نفع الطيب ٣: ١٩٥-١٩٦ ٣٤١-٣٤٢
 دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٤٢-٧٤٤ بروكلمن، الملحق ١: ١٤٧٨ نيكل
 ٥٦، مختارات نيكل ٣٣-١٣٤ الأعلام للزركلي ١: ٢٠٤ (٢١١).

عصر ملوك الطوائف

يَتَدُ عَصْرُ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ فِي الْأَنْدَلُسِ جِيلَيْنِ: مِنْ سَقُوطِ الْخِلَافَةِ الْمُرَوَّانِيَّةِ سَنَةَ ٤٢٢ (١٠٣٧ م) إِلَى أَنْ قَضَى يَوْسُفُ بْنُ تَاشْفِينٍ^(٥) عَلَى مُلُوكِ الطَّوَائِفِ سَنَةَ ٤٨٤

- (١) الساجات: الدروع. تمور: تموج (كتابة عن كثر الجنود). الساجات: الخيل (٢). سفين: سفن، مراكب (كتابة عن كثرة الفرسان).
 (٢) كأن الأعلام التي تحفّ فوق جيشك (لكثرتها) جاءت من الطيور فوق ماء البحر لا أعلام السفن (لأن السفينة يرتفع عليها علم واحد أو علمان اثنين أو ثلاثة أعلام. ولكن كثرة سفنك بكثرة أعلامها تشبه جاءت الطيور.
 (٣) التناهي: العدو للخص. رام يروم: أراد، أحب.
 (٤) أول دعائنا أن ينصرك الله، وآخر دعائنا أن يدمج الله بقاءك.
 (٥) يوسف بن تاشفين أول سلاطين دولة المرابطين التي نشأت في المغرب سنة ٤٤٨ وكان لها في أول الأمر رئيس ليس بسلطان ثم أصبح يوسف بن تاشفين، سنة ٤٥٣، سلطاناً مستقلاً فيها. وسيرد تفصيل ذلك في صورة العصر السياسي لعصر المرابطين في الأندلس.

(١٠٧١ م). وأوائل ملوك الطوائف، في الأصل، كانوا- عند سقوط الخلافة الروانية- ولاءً على مدني مختلفة فاستبدوا بما كان تحت أيديهم ثم أورشوا الحكم عليه أولادهم أو أتباعهم. وهناك نفر آخرون كانوا من قبل قد حكموا مستقلين في عدد من المدن كبنى الحجاج في إشبيلية، ولكننا لا نعددهم في ملوك الطوائف لأنهم كانوا في الحقيقة نائرين على سلطة المرابين في قرطبة.

كانت كل دويلة من دويلات الطوائف تتألف من مدينة وما حولها أو من مدينتين؛ وكان ملوكها من عصبية مختلفة: عرباً وبربراً ومؤلفين (مسلمين إشبانيي الأصل). ثم كانوا متنافسين متخاصمين يغزو بعضهم بعضاً. وربما استعان بعضهم بالطاغية (ملك من ملوك النصارى الإسبان) على بعض. ولقد اتخذ ملوك الطوائف جميع مظاهر الدول من التلقب بالقبائل الخلافة ومن الحجابة (رئاسة الوزارة) والوزارة ومن أسباب الترف، كما كانوا يجتمعون في بلاطاتهم الأدباء والشعراء فيعديقون عليهم الأموال، يمثل ذلك كله قول ابن رشيقي (ت ٤٥٦ هـ):

مما يزهدي في أرض أندلس ألقاب معتمد فيها ومعتضد:
ألقاب مملكية في غير موضعيها، كالمهر يحكي انتفاخاً صورة الأسد!

وبصعب ضبط عدد دويلات الطوائف وضبط مدنها، فقد تولي نفر من ملوكها مدناً مختلفة في أزمنة مختلفة، وكان بعضهم- في أثناء ذلك- ينتزع بعض هذه المدن من بعض. وكذلك كان ملوك النصارى يستولون- بين الحين والحين- على عدد من هذه المدن. ولكن بإمكاننا أن نقول إن دويلات الطوائف كانت ثلاثاً وعشرين منها:

- دويلات العامريين (أعقاب المنصور بن أبي عامر ومواليه)، وكان موالي المنصور فتية من الصقالية (البلاف) فكانوا أقدر الناس على الاستيلاء بالمقاطعات المختلفة لأنهم كانوا قواداً ورؤساء حرس، بالإضافة إلى أن نفراً منهم كانوا منذ أيام المنصور نفسه ولاءً على المدن التي استبدوا بها.

من أصحاب هذه الدويلات مُجاهدُ العامريُّ في دانيةَ والجَزائرُ الشرقية (ميورة ومنورقة وبابة)، خَلَفَهُ فيها ابنُهُ إقبالُ الدولة علي. ومنهم عبدُ العزيز (حفيدُ النصور بن أبي عامر) كان في بلنسية. ومنهم الفتى خَيْرَانُ الصَقْلِيُّ العامريُّ في المُرَبَّة. ثم انتقلتِ المُرَبَّةُ إلى زُهير الصَقْلِيِّ وشيكاً، سَنَةَ ٤٣١ (١٠٤٩ م). ثم انتقلت إلى المتصم ابن صُادِح (عُمَد بن معن)، سَنَةَ ٤٤٤ (١٠٥٢ م)، وكان أديباً شاعراً فَعَفَلَ بِلَاطُهُ برجالِ الأدب.

- دويلة بني هود في سَرَقِسطَةَ أولَهم منذرُ بن يحيى التُجِيبِي، وقد طال حُكْمُهم من ٤١٠ إلى نحو ٥٤٠ هـ = (١٠١٩ - ١١٤٥ م) لأنهم كانوا بعيدين في شَتَايِ الأندلس عن دولتي المرابطين والمُوحِّدين في المغرب. وكَثُرَتِ المنازعاتُ بين امرأه بني هود كما كَثُرَتْ حروبهم مَعَ ملوك الطوائف وَمَعَ الإسبان فهُلِكَ في تلك المنازعاتِ والمُحروبِ جماعاتٌ كثيرةٌ من المسلمين.

- دويلة بني ذي النون (تعريب زَنُون: اسم بربري) في طَلَيْطَلَةَ، واشهرُ ملوكها يحيى المأمون، هَلَكَ أهلكاً في حروبه مَعَ ملوك الطوائف وَمَعَ الإسبان خَلَقَ كثيرٌ من المسلمين.

- بنو زيري في غَرْنَاطَةَ. غَلَبَ على غَرْنَاطَةَ حَبَّوسُ بنُ مَأكِين بن زيري الصنهاجي ثم خَلَفَهُ ابنُهُ باديسُ فاستبقى وزيراً كان لأبيه اسمُه إسْمَاعِيلُ بن التَّنَزُّكَةِ^(١) (وكان يهودياً) فمَلَأَ إِسْمَاعِيلُ هذا مناصبَ الدولةِ بأبناءِ جِنسِهِ فَاكْتَسَبُوا

(١) يرد هذا الاسم في صور مختلفة. في البيان المغرب لابن جُدَّاري (٣: ٢٣١، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٧٦): نَزَالَةُ بِالزَّاي، وفي إعلَامُ الأَعْلَامِ للسان الدين بن الخطيب (ص ٢٣٠) نَفَرَالَةُ (بالراء) وبالألام المشددة. والكتَّابانِ بتحقيقِ ليني بروغلسال، وهو مستشرق يهودي واسع المعرفة بتاريخ الأندلس، وكان من المنتظر أن يحقق هذا الاسم في المصادر اليهودية. وورد هذا الاسم في نفع الطيب (٤: ١٣٢٢) لثدلة (وهو الصواب)، ولكن مفهرس نفع الطيب لمَّا قرأ (٣: ٢٨٧): «... ابن الفراء... عاد إلى غرناطة واعتكف بها على مدح وزبرها اليهودي». أغرد في الفهرس المجاني سطرأ باسم ابن نغزالة (مباشرة بعد السطر الذي فيه: ابن ثدلة). وفي الإحاطة لابن الخطيب (بتحقيق محمد عبد الله عنان): ابن نغزالة (١: ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٤٧). وقد علق عنان بحاشية (ص ٤٤٢) ذكر فيها أن الاسم ورد في نصوص الإحاطة «نغزالة» (بالميم والراء) وفي الأخيرة «النغزلي» وفي البيان المغرب «

المالَ والجاه واستطالوا على المسلمين. وماتَ إسماعيلُ فخلفه في الوزارة ابنه يوسفُ فزادَ على أبيه في الإساءة إلى المسلمين فنشبت ثورة سنة ٤٥٩ (١٠٦٩ م) قُتل فيها يوسفُ وكثيرٌ من أبناء قومه.

- دولةُ بني الأفلح في بَطْلَيْوُس، أشهرهم مُحَمَّدُ الْمُظْفَرُ وكان عالماً لبيباً وأديباً شاعراً وبطلاً شجاعاً.

- دولةُ بني عبادٍ في إشبيلية، أكبرُ دويلاتِ الطوائف وأشهرها وأكثرها أثراً في حياة الأندلس في أيامهم (٤١٤-٤٨٤ هـ)، وسَلِمَ بأشياء من تاريخِ دَوْلَتِهِمْ في أثناء تراجيم رجالِهِمْ.

في الشمال الإفريقي

لما بدأ عصرُ ملوك الطوائف في الأندلس كان لبني مَغْرَاوَة وبني بَقَرَن (وهم من زَناتَة) دولةٌ في فاسَ (المغرب)، ولكنها كانت تحتَ نَظَرِ المَرْوَانِيِّين في الأندلس. وكان أولُ ملوكِ هذه الدولة زيري بن عَطِيَة المَغْرَاوِي. وتَقَلَّبَ هوَى زيري بن عطية بين المَرْوَانِيِّين في الأندلس والفاطميين في مِصْرَ. وبعدَ قتالٍ بينه وبين المنصور بن أبي عامر عاد إلى طاعة المنصور المروانيين. واستطاع زيري أن يوسِّعَ مَلِكَةً فيضمُّ إليه جانباً من شَمَالِي غَرْبِي الجزائر (تاهرت وتِلِمَسَان وجوارها)، ولكنه أصيبَ بِمِجْرَاحٍ تُوقِي منها، سَنَةَ ٣٩١ (١٠٠٠ م).

وبعدَ زيري جاء ابنه المَعْرُ (٣٩١-٤١٧ هـ) ثم جاء حَمَامَةُ بنُ المَعْرُ (ابنُ عمِّ المعز آبن زيري) فاستتبَّ الأمرُ له وعظَّم مَلِكَةً وكانت وفاته سَنَةَ ٤٤٨ (١٠٥٦ م).

= «نزلة (بالزاي) ثم يرجع «نفرالة» (بالعين والراء).- والصحيح أن الاسم من جذر عربي «جد» (بهم فارسية) كالجذر العربي «جد» (الأرض المرتفعة). وبما أن الدال يمكن أن تلتصق في القشتالية ذالاً (بإخراج طرف اللسان من بين الأسنان)، فالاسم يمكن أن يقرأ: نجدة أو نجدة أو نغدة. ويرد هذا الاسم في «تاريخ الفكر الإسباني» (ص ١٠٨، ١٠٧، ١٠٥): نغدة (ولكنه في الفهرس: نفرلة). ويرد في «تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف (لاحسان عباس) والمرابطين»: النمرالة (ص ١٣) والنفرلة (ص ١٤٨، ١٤٧، ١٣٦، ٧٥).

في هذه الأثناء كان الحُكم على القُطر التونسي للمعزّ بن باديس الصنهاجي (٤٠٦-٤٥٣ هـ)، وفي عهده ازدهرت الزراعة والصناعة وأُسست الحضارة ونمت الثروة وعمت الرفاهية وكثر العمران ونشطت الحركة الفكرية والحركة الأدبية. وعلا صيت المعزّ الصنهاجي فهاذنته الملوك وهاذنته من السودان (الغربي) ومن مصر ومن القُطنطينية، بين سنة ٤٢٣ وسنة ٤٢٦ (١٠٣٢-١٠٣٥ م).

بلى ذلك الحين كانت إفريقية (القُطر التونسي) لا تزال على وفاقٍ مع الفاطميين أصحاب مصر، وكان المذهب الفاطمي (المذهب الشيعي المتطرف سياسياً ودينياً) سائداً فيها. ولكن في سنة ٤٣٥ (١٠٤٣ م) حدثت بقعة على أشياخ الفاطميين ثم اتسمت فأصبحت فتنة فلم يستطع المعزّ وقف القتال فيها ثم اضطرّ إلى مُجاراة الرعية في اتجاهاها فخلع طاعة العُبيديين (الفاطميين) وردّ البلاد إلى مذهب الإمام مالك ثم حوّل الخطبة (الدعوة يوم الجمعة على المنابر) من الفاطميين (خلفاء القاهرة) إلى العباسيين خلفاء بغداد، سنة ٤٣٩ (١٠٤٧-١٠٤٨ م).

وغيظ الفاطميون فرجوا إلى إفريقية عدداً من القبائل البدوية، كانت في ذلك الحين في صعيد مصر، منها بنو هلال وبنو سليم وبنو رياح وبنو زغبة- نحو أربعين ألف- فانساح هؤلاء في الشمال الإفريقي من برقة (شرقي ليبيا) إلى القُطر التونسي ثم إلى القُطر الجزائري فتوغلوا فيه حتى بلاد ميزاب في الداخل وحتى الشواطئ الشمالية الشرقية.

وجهد المعزّ في مقاومتهم وصدّهم فلم يستطع. وفي رمضان من سنة ٤٤٩ (حريف ١٠٥٧ م) انتشر بنو هلال «ومن انضم إليهم من بطانة السوء في أرجاء إفريقية» فعاثوا فيها فساداً وتخريباً ونهباً واستباحوا القيروان حتى أصبحت حاضيتها الزاهرة أثراً بعد عين، (خلاصة تاريخ تونس ٩٤-٩٥).

ثم نفذت هذه القبائل إلى القُطر الجزائري، سنة ٤٥٧ (١٠٦٥ م) فحرّص الناصر أمين علناس، خامس ملوك الدولة الحمّادية، وكان أشهر ملوك هذه الدولة وأعلام شأناً، وفي أيامه استفحل ملك بني حمّاد- على ردهم فلم يستطع فنجا منهم إلى مدينة

قُسْطِنَية « فَتَبِعَهُ الْمَلَالِيونَ وَاقْتَحَمُوا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ فَاسْتَوَلَوْا عَلَيْهَا وَعَلَى الْقَلْعَةِ وَالْمَسِيلَةِ وَطُبْنَةَ وَهُمْ يَنْهَبُونَ وَيَخْرَبُونَ حَتَّى تَرَكَوا الْبِلَادَ بِلَاقِعَ وَالْدِيَارَ خَرَاباً... وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ أَضْرَارَ بَنِي هِلَالٍ بِالْمُجَازِيرِ لَمْ تَبْلُغْ مَبْلَغَهَا فِي تُونِسَ وَطَرَابُلُسَ (لِيَبْيَا) لِأَنَّ الْمُجَازِيرَ لَمْ تَكُنِ الْمَقْصُودَةَ مِنْ (هَذِهِ) الْحَمَلَةِ بِالذَّاتِ » (تَارِيخُ الْمُجَازِيرِ الْعَامِ ١: ٣١٥).

وَفِي ذَلِكَ كَلَّمَهُ يَقُولُ ابْنُ خَلْدُونٍ فِي مَقْدَمَتِهِ (بَيْرُوت ١٩٦١ م، ص ٢٦٥):

« وَإِفْرِيقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ لَمَّا جَازَ إِلَيْهَا بَنُو هِلَالٍ وَبَنُو سُلَيْمٍ مِنْذُ أَوَّلِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ.... عَادَتْ خَرَاباً كُلُّهَا، بَعْدَ أَنْ كَانَ مَا بَيْنَ السُّودَانِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ كُلَّهُ عُمُرَاناً ». وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَقَّدَ ابْنُ خَلْدُونٍ فَصْلاً عَنْتَوَانَهُ (ص ٢٦٣): « فِي أَنَّ الْمَغْرِبَ إِذَا تَغَلَّبُوا عَلَى أَوْطَانٍ أَسْرَعَ إِلَيْهَا الْخَرَابُ ». وَابْنُ خَلْدُونٍ يَقْصِدُ بِكَلِمَةِ الْعَرَبِ « الْبَدْوَ ».

بَدَأَتْ هَذِهِ الْفَتْرَةُ وَأَلَّ خَزْرُونٍ يَتَوَلَّوْنَ طَرَابُلُسَ وَيَتَرَدَّدُونَ بِوَلَائِهِمْ - بِحَسَبِ مَصَالِحِهِمُ الْآتِيَّةِ - بَيْنَ الصَّنِهَاجِيِّينَ فِي الْقَيْروَانِ وَالْفَاطِمِيِّينَ فِي الْقَاهِرَةِ.

اسْتَعَانَ سَعِيدُ بْنُ خَزْرُونٍ بِبَصْرَ ثُمَّ اسْتَطَاعَ أَنْ يَطْرُدَ ابْنَ عَمِّهِ خَلِيفَةَ بْنِ وَزَّوٍ مِنْ طَرَابُلُسَ وَيَتَوَلَّاهَا مَكَانَهُ (٤٣٣ - ٤٦٦ هـ). وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ انْسِيَاحُ بَنِي هِلَالٍ وَبَنِي سُلَيْمٍ فِي لِيَبْيَا ثُمَّ فِي بَقِيَّةِ الشَّامِ الْمَغْرِبِيِّ. ثُمَّ وَجَدْنَا خَزْرُونُ بْنُ خَلِيفَةَ يَتَوَلَّى طَرَابُلُسَ (وَلَكِنْ لَا نَعْرِفُ كَيْفَ). وَفِي أَيَّامِهِ عَادَتْ طَرَابُلُسُ عَنِ الْمَذْهَبِ الْفَاطِمِيِّ إِلَى الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ.

وَفِي سَنَةِ ٤٥٠ (١٠٥٨ م) فَتَحَ الْمُتَنَصِّرُ بْنُ خَزْرُونٍ بِنِ سَعِيدِ طَرَابُلُسَ وَطَرَدَ مِنْهَا ابْنَ عَمِّهِ خَزْرُونُ بْنُ خَلِيفَةَ. ثُمَّ إِنَّ خَلِيفَةَ بْنَ خَزْرُونٍ بِنِ سَعِيدٍ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَوَلَّى طَرَابُلُسَ (٤٦٠ - ٤٨٨ هـ) وَكَانَ مُسْتَبْدَاً ظَالِماً (رَاجِعِ فِي بَنِي خَزْرُونِ « وَلاَةُ طَرَابُلُسِ » تَأْلِيفُ الطَّاهِرِ أَحْمَدَ الزَّوَاوِيِّ، بَيْرُوت ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م، ص ٨٣ وَمَا بَعْدَ).

- أوجه الحضارة:

كان عصر ملوك الطوائف عصر تَفَكُّكٍ اجتماعي وضعف سياسي، ولكنه كان أيضاً عصر زهو حضاري ورفي ثقافي. إن أول ما يلفت نظرنا في عصر ملوك الطوائف اضطراب الحياة الاجتماعية بالفتن الداخلية: بالنزاعات بين العرب والبربر وبالتقتال بين ملوك الطوائف وبالحرروب بين المسلمين والنصارى. في أثناء ذلك كله كان السكان يخضعون لهجرات إجبارية أو اختيارية: هجرات داخلية بين مدن الأندلس ينتقلون في أثناءها من مدينة يظنونها أقل أمناً أو مفاتيحاً إلى مدينة يظنونها أكثر سلامة وأوفر ربحاً. وقد تكون الهجرة خارجية فيغادِر الأندلسيون مدنتهم إلى المغرب، وخصوصاً حينما يستولي الإسبان النصارى على المدن الأندلسية. ولقد نشأ في أثناء ذلك كله نفَرٌ من المسلمين أنفسهم انتحلوا المفاخرة والشطارة وتغلّفوا بين المدن المنكوبة يسلبون وينهبون وربما قتلوا وخرّبوا.

وملوك الطوائف الذين كانت مصادر أموالهم قليلة - لضيق الأرض التي كانوا ملوكاً عليها - عمدوا إلى إثقال كاهل رعاياهم بالضرائب حتى يتمكنوا من الإنفاق على وجوه ترفهم من البناء والمتاع واللّهو وعلى الغزو، مما يضطر إليه في العادة عظماء الملوك.

ومع هذا كله، فإن الحضارة في عصر ملوك الطوائف قد استبهرت - على ضيق المكان وقلة عدد السكان - بما يدل على غنى البلاد وخصب الأرض. إن الزراعة في الأندلس كانت عماد الثروة الوطنية. وإن المرة ليمعجب حينما يرى دولة كدولة بني عبّاد في إشبيلية أو دولة كدولة بني ذي النون في طليطلة تنشئ القصور والجنائن وتستكثر من الرقيق وتغالي في اقتناء الجواهر والثياب ويشتري أحدهم الحارية بثلاثة آلاف دينار. ولم يكن هذا الترف قاصراً على الحكّام، بل كان المحكومون أيضاً على مثل هذا الترف والإسراف.

وممّن في عصر ملوك الطوائف بارقان ضعيفان: النشع والشعوبية.

كان بنو حمود ملوك قرطبة ينتسبون - حقاً أو باطلاً - إلى بني هاشم قوم

الرسول. ومع أن هؤلاء الحموديين أنفسهم لم يُلَوِّحوا بهذا النسب كثيراً فإن نفراً من الشعراء ألحوا في المديح عليه من باب الطرافة والتجديد على الأقل، تكتسباً لا اعتقاداً.

ومع أنه كان للشعبوية مسوغاتها لقلّة عدد العرب الأقحاح ولغلبة غير العرب في الأندلس، من الفرنجية خاصة، فإن الإسلام كان قد أغرق العصبية كلها. والأندلسي كان مسلماً في الدرجة الأولى. فالعرب والعربية أو العروبة والعروبية ألفاظ تدلّ كلها في نظره ورأيه على الإسلام. ومع هذا فنحن نجد مثلاً من الشعبوية الحادة (تفضيل غير العرب على العرب) عند أبي عامر أحمد بن غريبية، وكان أصله من نصارى البشكنس (الشمال الغربي من إسبانية) عني به مجاهد العامري صاحب دانية ونشأ على الإسلام والعربية. ولابن غريبية هذا رسالة يُعَلِّي فيها شأن قومه ويحطُّ من شأن العرب. ولعلنا لا نجد شخصاً آخر فعل ذلك!

- أوجه الثقافة في الأندلس:

لَقِيَتِ الثقافة في الأندلس في عصر الطوائف كثيراً من الحرّة والتشجيع ولكنها لم تُرَزَقْ كثيراً من الاتّساع. إن الثقافة تحتاج إلى زمن تنضج فيه شيئاً فشيئاً بخلاف الحضارة التي يُمكن أن تستبجر في الزمن القصير بعامل النقل والتقليد.

كان أبو عمرو الدائي (ت ٤٤٤ هـ = ١٠٥٣ م) أحد الأئمة في علم القرآن وتفسيره وأحد حُطّاط الحديث، له تصانيف كثيرة: التيسير (في القراءات السبع) - المُقنع (في رسم - تهجئة - المصاحف ونقطةها) - طبقات القراء، الخ.

واشتهر بعلوم الحديث ابن غلبون الحولاني (ت ٤٤٨ هـ = ١٠٥٦ م)، وكان كثيراً من الرواية قُبُتاً دَهْنًا. وأشهرُ منه في ذلك ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ = ١١٧٠ م)، ويبدو أنه كان يجمع بين المذاهب. غير أن شهرته تقوم على كتاب «الاستيعاب» (في تراجم الصحابة والتابعين).

ومن علماء هذه الفترة أبو الوليد هشام بن أحمد الكاتب المعروف بابن الوقشي

(٤٠٨-٤٨٩ هـ) من أهل طليطلة. كان واسع العلم بمندب من فنون المعرفة: بالحديث والفقه وباللغة والنحو وبالخطابة والبلاغة والشعر والحساب والفلك والهندسة والفرائض والمنطق، كما كان شاعراً بارعاً، له:

بَرَحَ بي أَنَّ عُلُومَ الوري إِيْثَانِ ما إِنْ فيها مِنْ مَزِيدِ:
حَقِيقَةً يُعْجِزُ تَحْصِيلُهَا، وباطِلٌ تَحْصِيلُهُ لا يُفِيدُ

وكانت له تأليف منها: «نكت الكامل» للمبرّد (بغية الوعاة ٤٠٩).

ومن فقهه هذه الحقيبة محمد بن عَنَاب (ت ٤٦٢ هـ = ١٠٦٩ م)، وكان فقيهاً عالماً عاملاً ورعاً عاقلاً بصيراً بالحديث وطُرقه وعالماً بالوثائق وعِلمها كَتَبَها مُدَّةً في حياتِه ولم يأخذُ عليها من أحدٍ أجراً. وقد كان شيخَ أهلِ الثوري في زمانِه وعليه مدارُ الفتوى في وقتِه. ولم يَقْبَلْ أَنْ يتولى القضاء.

ومنهم أبو الوليد الباجيُّ التُتُوْفِيُّ سَنَّةَ ٤٧٤ للهجرة (راجع ترجمته)، له من الكتب: التسديدُ إلى معرفة التوحيد- إحكامُ الفصول في أحكام الأصول- شرحُ الموطأ- مُختَصَرُ المُختَصَرِ في مسائل المُدَوَّنَةِ-^(١) سُنُنُ الصالحين، الخ.

رَحَلَ أبو الوليد الباجيُّ إلى المشرق ثم عادَ فوجَدَ الأندلسَ في اضطرابٍ سياسي وفقهيٍّ، فحاول أن يجمعَ بينَ ملوكِ الطوائف بالصُلح. ثم حَرَصَ على جِدالِ ابنِ حزمٍ في المذهبِ الظاهري الذي كان ابنُ حَزْمٍ ينشُرُهُ في الأندلس. كان ابنُ حزمٍ يرى أَنَّ جميعَ ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ على ظاهرِه إلا إذا كان منه ما جَرَتْ عادةُ العربِ على فِهمِه مَجازاً ثم كان فِهمُهم له على هذه الصورة مُوافِقاً لأصولِ البلاغة العربية. وكان نَفَرٌ من الفقهاء يَرَوْنَ في المذهبِ الظاهريِّ لابنِ حزمٍ بِذَعَةً. ولقد بادَ هذا المذهبُ (بَطَلَّ العملُ به).

وابن حزم (ت ٤٥٦ هـ ١٠٦٤ م) عالمٌ وفيلسوفٌ أيضاً.

(١) المدونة: أجل كتب الله المالكي- راجع ترجمة سحنون (ت ٢٤٠).

فَدَّ ابنُ حزمٍ رأيَ قُدماه اليونانيين في الفلك فقال: ليس للنجوم نفوسٌ وهي لا تنقلُ ولا تُعرفُ الغيبَ ولا هي تُدبِّرنا في شأنٍ من الشؤون، إلّا إذا قُصِدَ بالتدبيرِ التدبيرُ الطبيعيُّ كأثرِ حرارةِ الشمسِ فينا. وكذلك سَفَهَ قولَ اليهودِ ورأيَ نَفَرٍ من عوامِّ المسلمين الذين يزعمون أنَّ النيلَ والفُراتَ ودِجْلَةَ وجَحْيونَ (نَهراً في أواسطِ آسِيَةِ شَآلِ الأفغان) أنهارٌ تَخْرُجُ من الجنةِ ثم قال: إنَّ مَخارجَ هذه الأنهارِ معروفةٌ في الأرضِ ومذكورةٌ في كتبِ الجغرافية.

ومن البارعين في العلوم الرياضية، وفي الفلك والهندسة خاصةً، الحسنُ بنُ محمدٍ بنِ حَمِيٍّ التُّجِيبِي (ت ٤٥٦ هـ) وأبو الحَكَمِ الكَرَمَانِي السَّرَقُطَنِي (ت ٤٥٨ هـ) من أهلِ قُرْطُبَةَ وكان بارِعاً في علمِ العدد (خواصَّ الأعداد) والهندسة. رَحَلَ إلى المشرق، وكان أوَّلَ من أَدْخَلَ رَسائِلَ إِيخْوَانِ الصِّفا^(١) إلى الأندلس. ومنهم أبو الوليد الوُثَاقِي (ت ٤٨٩ هـ) وقد مرَّ ذِكرُهُ قَريباً ثم أبو إسحاق إبراهيمُ بنُ يحيى التُّجِيبِي النقاش المعروف بالزرقالي (ت ٤٩٣ هـ = ١٠٩٩ م) وقد أَدْخَلَ أشياءً من أَوْجِهٍ التحسينِ على صناعةِ الاسطرلابِ وعلى تسهيلِ العملِ به. وقد حَسَبَ دَرَجَةَ مِثْلِ أَوْجِ الشَّمْسِ بالنسبةِ إلى النجومِ الثوابتِ.

ولَمَعَ في هذا العصرِ، في الجُغرافية، أبو عُبَيْدِ البَكْرِيُّ (ت ٤٨٧ هـ) - وستأتي له ترجمةٌ.

ونَجِدُ في التاريخِ «التذكرة» أو «الكتابَ المُطَفَّرِي» للمُطَفِّرِ بنِ الأَفْطَسِ (ت ٤٦٠ هـ) في فنونٍ مختلفةٍ (نحوَ خَمِيسِ جُزْأٍ) لعلَّ أَبرَزَها التاريخُ. ثم هنالك كتابُ «الاستيعاب» لابنِ عَبدِ البَرِّ (ت ٤٦٣ هـ) وقد مرَّتِ الإشارةُ إليه. أمّا كَثيرُ مُؤرِّخي هذا العصرِ - وأحدُ أكابرِ المؤرِّخين - فهو حَيَّانُ بنُ خَلْفِ بنِ حَيَّانَ (ت ٤٦٩ هـ) صاحبُ كتابِ «المقتبس»، وَتَعَرَّفُ منه اليَوْمُ ثلاثةَ أَجْزَالٍ من عَشْرَةٍ.

(١) إِيخْوَانِ الصِّفا جماعةٌ سريةٌ نشأت في البصرة في القرنِ الرابع (العاشر للميلاد). ولهم «رسائل» جمعا فيها المعارفُ القديمة (العلمية والفلسفية) إلى أهاهم ثم بَثُّوا فيها كثيراً من آرائهم الدينية.

ولحيان ترجمة مستقلة. وهناك كتاب «البيان الواضح في الملم الغادح» لمحمد بن علقمة (٤٢٨-٥٠٩ هـ) في تاريخ بلنسية ومصائبها على يد الإسبان النصارى.

وفي «طبقات الأطباء» (٢: ٣٥ وما بعد) أسلا كثيرة لعلها اشغلوا بالطب سبقت الإشارة إلى فقر منهم في ميدان الرياضيات. ثم نذكر من غير هؤلاء ابن الحياط (ت ٤٤٧ هـ) وأبا مسلم عمر بن أحمد بن خلدون (ت ٤٤٩ هـ) وعبد الله بن محمد الذهبي (ت ٤٥٦ هـ) وقد اشتغل بالطب والكيمياء والفلسفة. ونجى هذه الحقة في الطب ابن واغيد الأندلسي (ت ٤٦٠ هـ) كان لا يُداوي بالأدوية ما أمكن التدوي بالأغذية. ثم لا يُداوي بالمركب من الدواء ما أمكنت الدواوة بالسيط منه، فإذا احتاج إلى التركيب لم يُكثر المركبات في الدواء.

ولم تجد الفلسفة تشجيعاً في الأندلس: تكلم ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) في المنطقي قليلاً فزجروه وحلوا عليه. ثم تكلم في نظرية المعرفة (في الجزء الخامس من كتاب «الفصل بين الأهواء والملا والنحل») كلاماً في ذروة التفكير الفلسفي المطلق حيناً جعل المعارف (حتى الممدود منها من حيز العقل) راجعة إلى الحواس السليمة.

وآلف صاعد الطليطلي (٤٢٠-٤٦٢ هـ) كتاب «طبقات الأمم» أوجز فيه تاريخ الفكر والعلم عند الأمم القديمة وعند العرب.

- الثقافة في المغرب الإفريقي:

يتراكم عصر ملوك الطوائف في الأندلس (٤٢٢-٤٨٨ هـ) وعصر المرابطين في المغرب (٤٤٨-٥٤١ هـ). ولكن بما أن الثقافة السائدة كانت أندلسية النشأة أندلسية الطابع فسأخذ بالزمن الأندلسي أيضاً ونقلب حقة الطوائف على حقة المرابطين.

كان الغالب على الثقافة في هذه الحقة كثير من الفقه والنحو وقليل من العلم والتدق. هنالك في هذا المنحى عبد الله بن ياسين (ت ٤٥١ هـ) مؤسس دولة المرابطين وأبوها الروحي، وقد كان فقيهاً وأديباً ناثراً كاتباً. ثم هنالك مروان بن سفيون (٤٢١-٤٩١ هـ) وأبو القاسم المفايري السبتي (ت ٥٠٢ هـ) وأبو عبد الله التميمي

(٤٣٩-٥٠٥ هـ) وعبدُ الله بن سعيد الوُجْدِي (ت قبل ٥١٠ هـ) وأبو جعفر اللواتي المعروف بابن القاسي (ت ٥١٣ هـ). وكل هؤلاء من المغرب الأقصى.

ثم تحسنُ الإشارةُ إلى ابنِ رشيقي القيرواني الأديبِ الشاعرِ الناقدِ (ت ٤٥٦ هـ)، له ترجمةٌ مستقلةٌ. وكذلك تحسنُ الإشارةُ إلى ثلاثةٍ نَفَرٍ من القطرِ الجزائري: الطبيبِ العالمِ ابنِ عمرو بنِ الوهراني (من أحياء القرن الخامس) وإلى أبي القاسم يوسف بن علي البُسْكُري (٤٠٣-٤٦٥ هـ) وكان بارعاً في القراءات واللغة والنحو، رَحَلَ إلى المشرق وتولَّى التدريسَ في مدرسة نيسابورَ إلى أن تُوُفِيَ. وهناك أيضاً الحسنُ بنُ علي بن طريف التاهرتي النحوي (ت ٥٠١ هـ).

الخصائص الفنية

كان المغربُ- في إفريقية والأندلس- مختلفاً من المشرق في وجوه كثيرة: في طبيعة الأرض وفي أجناس السُكَّان وفي التراثِ الحضاري والثقافي وفي المنازع الشخصية التي تُنمِّلها عواملٌ مختلفةٌ في بيئةِ الأدبِ العربي الجديدة: لا جدال في أنَّ العربَ في المشرق كانوا أقربَ إلى جيرانهم المُخالطين لهم من الآراميين واليهود والأحباش (بمعامل القرابة العرقية- المظنونة على الأقل) ثم إلى جيرانهم المُتأخِّين لهم من الروم والكرْد والفرس (بمعامل الحضارة الشرقية والتراث الثقافي) من العرب في المغرب إلى جيرانهم المُجْدِّ من الرومان والقُوط والفرنجة، في شِبَعِ جزيرةِ الأندلس. ثم إنَّ النصرانيةَ الشرقيةَ في المشرق لم تكنْ شديدةَ العداء للإسلام (إذ كان في النصرانية يومٌ ظَهَرَ الإسلامُ فَرَّقَ نصرانيةً قريبةً في عقائدها من العقيدة الإسلامية). أمَّا النصرانيةُ الغربية (الكنيسة الكاثوليكية) التي كانتْ شديدةَ العداء للنصرانية الشرقية فلأنَّها كانتْ بطبيعة الحال أشدَّ عداً للإسلام ولَمَّا يتصلُ بالإسلام.

لم يكنْ لهذه العناصرِ آثارٌ منظورةٌ في الأدب الأندلسي، ولكن كان في الأدب الأندلسي مظاهرٌ لا يُمكنُ تفسيرها بجلالٍ إلَّا إذا نحن أولَّينا هذه العناصرَ شيئاً من العناية. وإنَّ الذي خَفَّفَ أثرَ هذه العناصرِ عاملانِ اثنانِ أساسيانِ: أولُّهما أنَّ

الإسلام أغرق العصبية كلها، وثانيها أن طريقة التعليم في الأندلس كانت تقوم على دراسة التراث العربي المتقدم من القرآن والفقه والشعر الجاهلي والتاريخ العربي والحياة الشرقية- مع الرحلة أحياناً كثيرة إلى المشرق نفسه- قبل التوفر على وجه من وجوه الاختصاص المختارة. هذان العاملان جعلتا من الأندلسي مسلماً في عقيدته على سنت واحد، حتى إنه لم يند في المغرب (من غداة إفريقية ومن غداة أوربية) إلا مذهب واحد هو المذهب المالكي. وكذلك بلغ رسوخ اللغة العربية في النفوس مبلغاً جعل نصارى الأندلس- وهم بطبيعة الحال غير عرب وغير بربر، بل جرمان (قوط) ولاتين وجليقيون- يتمربون ويتقنون العربية وينثرون فيها وينظمون.

بلغ النتاج العربي في عصر ملوك الطوائف- في مدى جيلين- نحو ستين عاماً أو تزيد قليلاً- مبلغاً كبيراً في المقدار وفي البراعة والتفنن والجودة. ومع العلم اليقين بأن الفنون الأندلسية ما زالت هي الفنون العباسية: المدح والريثاء والهجاء والفزل والخمر والوصف والزهد وما إلى ذلك، ومع أن الأغراض: وصف الخمر ووصف القصور ووصف الجنائن ووصف السماء ونجومها ظلت كما كنا نرى عند أبي نواس والبحرقي وابن الرومي وابن المعتز العباسيين، فإن الأندلسيين عالجوا هذه الفنون وهذه الأغراض نفسها معالجة جديدة من حيث المقدار لا من حيث النوع: لقد أكثروا من التشخيص (إضفاء صفات الأحياء على الكائنات الجامدة) ومن سعة الخيال. أما فيما عدا ذلك، فإن النفس الشرقي العربي والأثر الشرقي الفارسي- من خلال النفس العربي- ظلّا يريان في الأدب الأندلسي. من ذلك مثلاً قول المعتضد بن عباد (مختارات نيكل ٧٦):

فَإِنْ أَرَدْتُ، إِلَهِي، بِالْوَرَى حَسَنًا
فَمَلَكْتُ زِمَامَ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

وقول المعتضد بن عباد يفخر بعشيرته (الحلة السراء ٢: ١٥٦):

إن كوثروا كانوا الحصى، أو فوخروا فمن الأكاسر من بني الأحرار^(١)

ويُغزى التنوع في نتائج الأدب الأندلسي إلى التنوع في طبيعة الأرض الأندلسية.

ولقد كان الأندلسيون أنفسهم يشعرون بهذا التنوع ويفتخرون به. نقل المقرئ (ت ١٠٤١ هـ = ١٦٣١ م) عن أبي عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) قوله (نفع الطيب ١: ١٢٦):

الأندلسُ شاميةٌ في طبيعتها وهوائها، يمانيةٌ في اعتدالها واستوائها، هنديةٌ في عطرها وذكائها، أهوازيةٌ في عظم جبايتها، صينيةٌ في جواهر معادنها، عدنيةٌ في منافع سواحلها....

ودراسة الخصائص الفنية والفنون الأدبية في هذا العصر ليست سهلة - ليصّر هذا العصر ولأخذ عدد كبير من أدبائه من عصر الخلافة الروانية قبله ثم من عصر المرابطين بعده. من هؤلاء جميعاً: ابن الخطيب الرَبيعي الصِقلِي (ت بُعيد ٤٣٦ هـ) وابن حزم الأندلسي وابن رشيق القيرواني وأبو عبد الله بن شرف القيرواني وابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ) ثم قممُ المَعز الصنهاجي (ت ٥٠١ هـ) وابن اللبّانة وابن النحوي التوزري وابن صارة الشنتريني والأعمى التطيلي وابن عبدون وأمية بن عبد العزيز والفتح بن خاقان وابن حديسر الصِقلِي (ت ٥٢٩ هـ).

إن كثرة ملوك الطوائف وتنافسهم في الأبهة ومظاهر الملك ثم عداوة بعضهم لبعض جعلتهم في حاجة إلى شعراء يمدحونهم رفعا لمكانتهم في عيون أعدائهم أو إغاطة لأندادهم ومناصيتهم. من أجل ذلك تقاطر الشعراء من كل طبقة وميل إلى بلاطات هؤلاء الملوك يمدحونهم تكميلاً.

وكان هؤلاء طبقتين رئيسيتين: طبقة من شعراء البلاطات على الحصر مثل ابن

(١) الأكاسر جمع كسرى: لقب ملوك الفرس. الأحرار (الأبناء) أبناء الفرس الذين كانوا في صدر الإسلام وفي اليمن خاصة.

عبدون شاعر بلاط بني الأفتس في بَطْلَيْوَسَ ثم طبقة من الشعراء المتكسبين المتنقلين بين البلاطات مثل الأسد بن بَلَيْطَة. وقد قَسَمَهُمُ إحصانُ عباس (تاريخ الأدب العباسي: عصر الطوائف والمرايطين ٨٢ وما بعد): شعراء مُنْتَمِنين وشُعراء جَوَالين، ثم أضاف إلى هؤلاء عدداً آخر من الطبقات.

واستعمل نفرٌ من هؤلاء الشعراء الإلحاح والفلاطة والقيح حتى إن أبا الحسن المحضري القيرواني (ت ٤٨٨ هـ) تعرّض للمعتمد بن عباد - والمعتمد أسير - بالمدح واعتصر منه جائزة كان المعتمد أحقُّ بها. وفي أحيان كثيرة كان هؤلاء الشعراء يرضون بالدون من العطاء.

ومعاني المديح في الأكثر طلب المعاني الشرقية، وإن كان التعبير عنها يجيء بطبيعة الحال، مُختلفاً. قال ابن عمّار يمدح المعتمد بن عباد:

من لا تُوازِنُه الجبالُ رِزَانَةً، من لا تُسابقه الرياحُ إذا جرى.
أفترتُ رُمحك من رُؤوس كُمايَهم لَمّا رأيتَ الفُصن يُعشَقُ مُنمِرا.
وصَبَغْتَ دِرْعَكَ من دِماءِ مُلوِكِهِم لَمّا عَلِمْتَ الحُسنَ يُلبَسُ أحمرَا.

ففي البيت الأول قول الفرزدق: «أحلامنا تَرْنُ الجبال رِزَانَةً». وفي البيت الثاني معنى مُسلم بن الوليد:

«يكسو السيوف دِماءَ الناكثين به ويجعلُ الهامَ تيجانَ القنا الذُّبلي»
وأما البيت الثالث فمن بيت بشار:

«وإذا دَخَلْنا قَتَنِي بالحُمُرِ، إنَّ الحُسنَ أحمر»^(١)

ومن توابع المديح الفخر (مدح الإنسان قومه وأهله ونفسه) والحماسة (التمدح - مدح النفس - بالأعمال المجيدة وبالصبر على المكاره). وقد كان الفخر والحماسة شريقتين في خصائصهما. قال عبدُ الملك بن هُدَيل بن رَزِين^(٢):

(١) الحلة السراء ٢: - ذو الرئاستين حمام الدولة أبو مروان عبد الملك بن هُدَيل بن رَزِين صاحب السهلة =

شَأْتُ أَهْلَ رَزَمٍ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ وَهُمْ - عَلَى مَا عَلِمْتُمْ - أَفْضَلُ الْأَمْرِ .
 قَوْمٌ إِذَا حُورِبُوا أَقْنَوْا ، وَإِنْ سُلُّوا أَغْنَوْا ، وَإِنْ سُوْبِقُوا حَازُوا مَدَى الْكَرَمِ .
 جَادُوا فَمَا يَتَعَاطَى جُودَ أَنْعَمِهِمْ مَدُّ الْبَحَارِ وَلَا قَطَالَةُ الدَّيَمِ .
 وَمَا ارْتَقَيْتُ إِلَى الْعَلْيَا بِلَا سَبَبٍ هِيَهَاتَ ! هَلْ أَحَدٌ يَسْمَى بِلَا قَدَمٍ ؟
 فَمَنْ يَرْمِ جَاهِدًا إِذْ رَاكَ مَرْتَلِي ، فَلْيَحْكِنِي فِي النَّدَى وَالسِّيفِ وَالْقَلَمِ !

وقال عبد الله الشُّقْرَاطِيُّ^(١) في الحماسة:

وَكَمْ أَقْدَمْتُ لِي نَخْوَةَ الْبَاسِ فِي الْوَعْسَى إِذَا حَسَرَ الْأَقْوَامُ فِيهَا التَّخَلُّفُ^(٢) .
 أَصَمُّ نَصَمٍ الْفِرْنِيدُ وَأَمْتَرِي خَلْقُ الْمَنَاهَا وَالْأَسِنَّةُ تَرَعُفُ^(٣) .
 وَأَعْتَبُ الْهَوَلَ الْعَاسَ ، وَصَاحِي رَقِيقُ الطَّبَاعِضُ الْفِرَارِ عِنْ مُرْهَفٍ^(٤) !

ولعلَّ الرثاء في هذا العصر كان أَلْصَقَ بالخصائص المشرقية من كلِّ فنٍّ آخَرٍ: ذكراً لمفاخرِ الْمَيِّتِ في الحياةِ وَمُغَالَاةً في ذلك ثمَّ تَفْجَعاً شديداً ، وما يُضَافُ إلى ذلك من التأسّي بالمصائب السابقة وضرب الأمثال وإيراد الْحِكَمِ والمواعظ . قال ابن اللبَّانة يرثي المعتمدَ بنَ عبادَ:

تبكي السمك بدمنع راتح غادٍ على البهاليل من أبنته عبادٍ^(٥) :

- = (شنتمة الشرق: شرق الأندلس) وتدعى اليوم ألباراتين (على مائتي كيلو متر شرق مدريد ومائة كيلو متر إلى الشمال الغربي من بلنسية).
- (١) المجلد في تاريخ الأدب التونسي ١٦٦ .
- (٢) أقمرأ: وكَمْ أَقْدَمْتُ بِي . إِذَا حَسَرَ الْأَقْوَامُ إِذَا انْهَزَمَ الْقَوْمُ فَكَانَ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي نَفْسِهِمْ .
- (٣) صَمُّ السِّيفِ: قَطْعُ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ . الْفِرْنِيدُ: السِّيفُ (التَّهْدِيدُ الْجَلَاءُ حَتَّى لِيَتَرَاخَصَ النَّوْرُ عَلَى صَفْحَتَيْهِ) . امْتَرَى: اسْتَحْرَجَ . الْخَلْقُ: نَوْعٌ مُرَكَّبٌ مِنَ الطَّبِيعِ (الْمَطَرِ) . الْمَنَاهَا جَمْعُ مَنِيَّةٍ (الْوَت) . خَلْقُ الْمَنَاهَا: الدَّمُ (؟) . السَّنَانُ: الْحَدِيدَةُ فِي أَعْلَى الرِّمَحِ . رَعَفَ يَرَعِفُ: سَالَ مِنْهُ دَمٌ .
- (٤) اعْتَصَفَ الطَّرِيقَ: سَارَ فِيهِ عَلَى غَيْرِ هَدًى (بِلَا مِهْلَاةٍ - ثِقَّةٍ بِنَفْسِهِ وَشَجَاعَتِهِ) . الْهَوَلَ: الْأَمْرُ الشَّدِيدُ (الْحَرْبُ) . الْعَاسُ: الشَّدِيدُ . الطَّبَاعُ جَمْعُ طَبَةٍ (بِضَمِّ فَتْحٍ) وَالْفِرَارُ: حَدُّ السِّيفِ . الْعُضْبُ: الْقَاطِعُ . الْمُرْهَفُ: الرَّقِيقُ الْخَفِيفُ (الْقَاطِعُ) .
- (٥) الْبَهْلُولُ (بِضَمِّ الْبَاءِ): السَّيِّدُ الْجَامِعُ لَصِفَاتِ الْخَيْرِ .

على الجبال التي هُدَّتْ قواعدها ، وكانت الأرض منها ذات أوتاد .
 يا ضيفُ ، أقرَّييتُ المكرِّمات فخذُ في ضمِّ رَحْلِكَ واجمع فضلة الزاد .
 وبها مؤمِّل واديهم ليسكنهُ ، خَفَّ القَطِينُ وجَفَّ الزرعُ بالوادي (١) .
 حانَ الوداعُ فضجَّتْ كلُّ صارخةٍ وصارخٍ من مُفدأةٍ ومن فادٍ (٢) .
 كم سال في الله من دمع ، وكم حلت تلك القطائع من قِطعات أكباد (٣) !

وقصيدة ابن عبدون مشهورة في ذلك ، ومنها قطعةٌ صالحةٌ في ترجمة صاحبها (٤) .
 وليس في رثله شعره الأندلسي للمدن والقصور من جديدٍ في الموضوع (وإن كان ثمة
 اختلافٌ في الأحداث) . من ذلك لما استولى الأرذمانيون على حصن بربرشترا (٥) قال
 الفقيه الزاهد ابن المآل :

ولقد رمانا المشركون بأْسهم لم تُخطِ ، لكن شأنا الإصماء (٦) :
 فتكوا بخيلهم قصورَ حريمها : لم يَنْقُ لا جَبَلٌ ولا بَطْحاء (٧) .
 جاسوا خلال ديارهم فلم بها في كلِّ يومٍ غارةٌ شعواء (٨) :
 كم موضع غنيمه لم يُرحم به طِفْلٌ ولا شيخٌ ولا عذراء .

(١) خَفَّ (رحل) القَطِين (الساكن) .

(٢) المُفدأة : التي تغذي الميت (تقول عند رأسه : أفدك بنفسي) تندبه . الفادي : الهامي عن غيره يندبه بنفسه .

(٣) القطيعة : قطعة من الأرض يوكل عليها الحاكم من يشاء (إشارة إلى أن أبناء المعتد بن عبادة الفتن كانوا يتوكلون مدنا أو يحدون في الأمراء ، وكانوا كثيرين) .

(٤) عبد المجيد بن عبدون (ت ٥٢٩ هـ = ١١٣٥ م) شاعر ووزير لبني الأحمس من ملوك الطوائف .

(٥) (راجع فتح الطيب ٤ : ٤٤٩) . والأرذمانيون يقال لهم أيضاً : الجيوس لأنهم لم يكونوا ، إلى ذلك الحين ، قد دخلوا في النصرانية بعد .

(٦) تاريخ الأدب الأندلسي : عصر الطوائف والمرابطين ١٧٨ . لم تخط (يقصد : لم تخطى) : لم تحد عن هدفها) . لكن يقصد : إذ ، لأن . أصمى : أصاب مقتلًا .

(٧) حريمها (كذا في الأصل) البطحاء : الأرض المستوية .

(٨) ديارهم (كذا في الأصل) . الشعواء : المنتشرة : (التي تمتد إلى كل مكان) .

ونحن نَعْرِفُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الشَّعْرِ الْمَشْرِقِيِّ: رثله البصرة بعدَ فِتْنَةِ الزَّنْجِ لابن الرومي ثم إِيوان كِسْرَى لِلْبَحْتَرِيِّ وَسَوَى ذَيْنِكَ.

وَعَرَفَ هَذَا الْعَصْرُ الْأَنْدَلُسِيَّ هِجَاءَ قَالِهِ رِجَالٌ وَنَسَاءٌ مِنْهُمْ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِي وَابْنُ الْحَدَّادِ الْوَادِي آشِي وَالسُّمَيْسِيرُ وَوَلَادَةُ وَمُهَنْجَةُ الْقُرْطُبِيَّةُ. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ هَذَا الْمِجَاءِ مُقْدَعًا فَاحِشًا. غَيْرَ أَنَّ الْأَدَبَ الْأَنْدَلُسِيَّ لَمْ يَعْرِفْ شِعْرَاءَ هِجَاءَ مِنْ نَجَرِ الْحُطْبِيَّةِ وَجَرِيرٍ وَبِشَارٍ وَأَبِي نُؤَاسٍ وَابْنِ الرَّومِيِّ مِنَ الَّذِينَ بَرَعُوا فِي ابْتِكَارِ الْمَعَانِي وَفِي تَصْوِيرِ الْمَعَانِبِ وَفِي تَحْلِيلِ الطَّعَاعِ. وَتَحَسَّنَ الْإِشَارَةُ إِلَى الْإِلْبِيرِيِّ (ت ٤٦٠ هـ) فِي هِجَاءِ الْيَهُودِ (كَمَا نَرَى فِي تَرْجُمَتِهِ).

وَالشُّكْوَى مِنَ الدَّهْرِ وَالْإِخْوَانِ ثُمَّ عِتَابُ الْأَقَارِبِ وَالْأَبَاعِدِ مَعْرُوفَانِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ. وَالْحَنِينُ إِلَى الْوَطَنِ ضَرْبٌ مِنَ الشُّكْوَى كَانَتْ دَوَاعِيهِ فِي الْمَغْرِبِ - وَفِي الْأَنْدَلُسِ خَاصَّةً - أَكْثَرَ مِنْهَا فِي الْمَشْرِقِ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْحُرُوبَ الْإِسْبَانِيَّةَ كَانَتْ تُزْجِعُ النَّاسَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ طَوْعًا وَكَرْهًا. وَأَشْهُرُ مَنْ يُشَارُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ابْنُ حَنْدَسِرِ الصَّقَلِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٢٩. كَانَ ابْنُ حَنْدَسِرِ قَدِ انْتَقَلَ مِنْ صِقِلْيَةَ - لَمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهَا النُّورْمَانُ، سَنَةَ ٤٧٠ (١٠٧٨ م) فَقَالَ أَبْيَاتُهُ الْمَشْهُورَةُ:

ذَكَرْتُ صِقِلْيَةَ وَالْأَسَى يُبَيِّحُ لِلنَّفْسِ تَذْكَارَهَا.

وَالْإِنْسَانُ يُحِبُّ وَطَنَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَكَيْفَ بِهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْوَطَنُ جِيلًا عَظِيمًا. فَقَدْ اتَّفَقَ لِحَمِيدِ بْنِ شَرْفِ الْقَيْرَوَانِيِّ (ت ٤٦٠) وَلَأَبِي الْحَسَنِ الْحُمْصِيِّ (ت ٤٨٨) أَنْ يُقَارِقَا بَلَدَهَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ، فَشَكَّوْا كِلَاهُمَا الْبُعَادَ، وَأَبْيَاتُ الْحُمْصِيِّ:

عَلَى الْمُدْوَةِ الْقُصْوَى، وَإِنْ عَفَّتِ الدَّارُ، سَلَامٌ غَرِيبٍ لَا يَتُوبُ فَيَزْدَارُ^(١).

وَحَقُّ بُكَاةِ الْعَيْنِ، وَالْقَلْبُ مُنْعَرٌّ، لَعَنَ بَاتَ مِثْلِي لَا حَبِيبٌ وَلَا جَارُ^(٢).

(١) المدوة (الجناب) القصوى (الأكثر بعداً): الجانب الإفريقي (في مقابل الجانب الأوروبي: الأندلس).
آب: رج. ازددار (اقتتل: ازدور: ازددار): زار.

(٢) سمر: شمل، حارَّ (حزين).

شفى الله داء القير وانين بعدنا ، فقد مرّست للقير وانين أبصار^(١) .
وكيف غنا الطير في غير وكرها ، وقد بعدت عنها فراخ وأوكار .
ألا بما بروقا نحن من نحو صبرة ، وليس لها إلا دموعي أمطار^(٢) ،
عسى فيك من ماء الحبيبات شربة ولو مثل ما يوعي من الماء ينقار^(٣) !

- الوصف :

والوصف في المشرق كان ميزة العصر العباسي ، وهو في الأندلس ميزة الأدب الكبرى ، في الشعر والنثر : وصف الطبيعة بما فيها من آثار علوية (بضم العين) وسكون اللام : غمام ورباح وأمطار) وما فيها من جنائن وأنهار ومن أشجار وأزهار وأثمار ، ومن حيوان ، وما ينشأ فيها من مدني وقصور ومن أساطيل وسلاح وسوى ذلك . ولا حاجة إلى الاستشهاد على ذلك لأننا نراه عند كل خطوة في تاريخ الأدب الأندلسي .

وإذا نحن أردنا حلاوة اللفظ وأناقة المعنى وحدها في وصف الحمر استطعنا أن نورد نماذج كثيرة من ذلك ، كقول ابن عمار (ت ٤٧٧) : « أدير الرُجاجة فالتسم قد أنبرى » أو كقول ابن خلدوس (ت ٥٢٩) : « فم هاتها من كف ذات الوشاخ » (والقطعتان كلتاها من صلب عصر الطوائف - وهما مذكورتان في ترجمتي شاعريها) .

والغزل والنسب من الوصف - والشعر إلا أقله وصف ، كما يقول ابن رشيق - . وقد عرف هذا العصر الأندلسي الغزل الصريح مؤثناً ومذكراً ، كما عرف الغزل العفيف صحيحاً ومكذوباً . ولكن الغزل الأندلسي لم يعرف شاعراً قصر شعره على الغزل كعمر بن أبي ربيعة ومجنون ليلى ، أو شاعراً شهّر بالغزل وحده كجميل بن معمر والعباس بن الأحنف . ولا نستطيع أن نتبين في الغزل الأندلسي جانباً لم

(١) القيروانان : مدينة القيروان ومدينة صبرة التي تسمى المصورة ، وقد كان العمران بين القيروان وصبرة متصلاً .

(٢) لاح : ظهر .

(٣) أوعي : جمع وحفظ (بقدر ما يحمل منقار الطائر من الماء : قليلاً جداً) .

نجدّه في الغزل العباسي. إن قصة أبي عبد الله بن الحداد القيسي شاعر المعتصر بن صواح مع نُويرَة النصرانية - والتي أراد بطرسُ البستاني^(١) أن يَجْلُوها ثم أحبَّ إحسانُ عباس^(٢) أن يَجْعَلها مثالاً للزعة الفكرية الفلسفية في مُقابل قصيدة ابن زيدون «أضحى التناهي» التي رأى إحسان عباس أنها كَسَفَت قصيدة ابن الحداد بالشهرة الاجتماعية لابن زيدون وولادةً وبالمقدرة الشعرية لابن زيدون - لم تكن جديدةً في الأدب العربي: شاعرٌ مسلمٌ يُحبُّ فتاةً غيرَ مُسلمة.

قال بطرس البستاني:

«وكان من جرّاء اختلاط (الأندلسيين) بالنصارى أن شاعَ عندهم الغزلُ النصراني^(٣) وذكرُ الكنائس والقساوسة والصُّلّبان كغزلِ ابنِ الحداد في نُويرَة النصرانية، وكان يَهْواها فلم تُرضَ به بَعْلًا لاختلاف دينها عن دينه. فهامَ بها وأكثَرَ من التشبيب». ثم يُورد بطرسُ البستاني مقطوعةً لابنِ الحداد في نُويرَة هذه:

عَسَاكِ،	بِحَقِّ عِيَاكِ	مُرْجَحَةً قَلْبِي الشَاكِي.
فَلِإِنْ الْحَسَنَ قَدَ وَلَا	كَ إِحْيَايَ	وإِهْلَاكِي.
وَأَوَّلَمَنِي بِصُلْبَانِ	وَرُهْبَانِ	وَنَسَاكِ.
وَلَمْ آتِ الْكِنَائِسَ عَنْ	هَوَى فَيَهْنَ	لَوْلَاكِ!
وَهَا أَنَا يَنْكِ فِي بَلْوَى	وَلَا فَرَجَّ	لِيَلْوَاكِ
وَلَا أَنْطِيعُ يِلْوَانَا	فَقَدَ أَوْتَقَصَ	أَشْرَاكِي.
وَكَمْ أَتَبْكِي عَلَيْكَ دَمًا	وَلَا تَرْتَبِينَ	لِلبَاكِي!
فَهَلْ تَذَرِينِ مَا تَقْضِي	عَلَى عَيْنِيَّ	عَيْنَاكِ؟
وَمَا يُدْكِيهِ مِنْ نَارٍ	بِقَلْبِي	نُورُكِ
		الذَاكِ؟

(١) أدباء العرب ٣: ٥٨ - ٥٩.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٦٠ - ١٦٢.

(٣) يقصد: الغزل بالنصرانيات.

تَوِيرُهُ، إِنْ قَلَّيْنِي فَإِنَّ خَنِي أَهْوَاكَ أَهْوَاكَ^(١).
وَعَيْنَاكَ الشَّهِيدَانِ بَأْيِي بَعْضُ قَتْلَاكَ.

هذه المقطوعة، إذا تأملتها، لا تجد فيها فناً شعرياً يسوغ الحديث عليها، إذ ليس فيها شيء من عبقرية ذلك الجن المحمدي مع جاريته النصرانية وزد^(٢). وليس فيها أيضاً شيء من ذلك الحس الصادق في قصة مُدْرِكِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّيْبَانِيَّ مَعَ عَمْرُو النَّصْرَانِي^(٣). وهي طبعاً نازلة عن العاطفة وعن الصورة اللَّتَيْنِ تَلْقَاهَا فِي قَوْلِ الْقَائِلِ:

رَزَّارُهُ فِي خَصْرِهِ مَعْقُودٌ كَأَنَّهُ مِنْ كَيْدِي مَقْدُودٌ!

وقد توسع الأندلسيون عند الغزل في أوصاف الطبيعة: تلك الأوصاف التي غلبت في شعرهم على كلِّ فنٍّ آخر.

ويلحقُ بالغزلِ المَجُونُ، وهو الإفصاحُ عن المداكِ الحسية باللفظ الصريح كثيراً أو قليلاً. ولعلنا نجدُ اتساعَ مدى المَجُونِ والصراحة فيه، في الشعرِ الأندلسي، أكثرَ مما نجدُ منها في الشعرِ المشرقي. ومن الأمثلة على ذلك ولادة.

ومثلُ ذلك في هذا الموضعِ شعرُ المَزَلِ والسُّخْفِ، وكان لها مثلٌ في المشرق. ومن أحسنِ الأمثلة على المَزَلِ مَعَ النُّخْشِ «الرسالة المَزَلِيَّة» التي كتَبَ بها ابنُ زُهْدُونٍ إِلَى ابْنِ عَبْدِوسٍ عَلَى لِسَانِ وَلَادَةٍ.

والسُّخْفُ هو الإتيانُ بالمعاني المَبْتَذَلَةِ والتَمَدُّحُ بأشياء لا قيمة لها أو استحسانُ تلك الأشياء. فمِمَّنْ يشارُ إليه هنا أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودِ الْقُرْطُبِيِّ، مِنْ مشاهيرِ شُعْرِهِ المائَةِ الخامسة. ويبدو (راجع المغرب ١: ١٣٤) أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى مَسْدُوحٍ فَأَلْقَى بَيْنَ يَدَيْهِ شِعْراً سَاقِطاً فَلَمْ يُطَعْ عَلَيْهِ شَيْئاً وَلَكِنْ صُفِّعَ. فَخَرَجَ وَقَالَ:

(١) قل بطني: أبيض.

(٢) راجع من هذه السلسلة ٢: ٢٧٢.

(٣) مثله ٢: ٥٧٢ - ٥٧٤.

وَحَرَجْنَا كَمَا دَخَلْنَا بِلَا قَدْ سر، ولكن رِبَحْتُ صَنَعُ قَفْه
وَحَدَّثَ مَرَّةً عَنِ الْمَطَاعِمِ فَقَالَ^(١)؛
وَإِذَا قِيلَ لِي: يَمَنْ أَنْتَ صَبٌّ؟ وعلامة انسكاب دَمْعِ المَآمي؟
قُلْتُ: هَمِّي الْبِكْبَاجُ وَالْجُمَلِيَّةُ تُورَخُصُ الشُّوَا مَعَا بِالرَّفَاقِ^(٢).
وَجَشِيشُ السَّمِيدِ أَعَذِبُ عِنْدِي من رُضَابِ الْحَبِيبِ عِنْدَ الْعِنَاقِ^(٣).

أَدْخَلَ نَفَرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ عَذْدَاً مِنَ الْمَعَانِي الْفَلَسْفِيَّةِ فِي أَشْعَارِهِمْ. وَلَكِنَّا
لَا نَعُدُّ ذَلِكَ فِي شَعْرِ الْحِكْمَةِ (وَالنَّقَادُ الْعَرَبُ يَسَمُّونَهَا: الْأَدَبُ)، بَلْ فِي بَابِ «النَّظْمِ
التَّعْلِيمِيِّ» كَأَرَاخِيزِ النَّحْوِ. فَمِنْ ذَلِكَ مَثَلًا قَوْلُ ابْنِ وَهْبُونِ الرُّمَسِيِّ (ت ٤٨٣):
نَفْسِي وَجِشِي إِنْ وَصَفْتَهَا مَعَا أَلْ يَذُوبُ وَصَخْرَةٌ خَلْقَاءُ^(١)
تَتَعَاقَبُ الْأَضْدَادُ مِمَّا قَدْ تَرَى جَلِبَتْ عَلَيْكَ الْحِكْمَةُ الشُّنْعَاءُ^(٢).

أَمَّا الْحِكْمَةُ الْمَأْلُوفَةُ فِي الشِّعْرِ فَهِيَ اللَّمْعَةُ الْبَارِعَةُ مِنَ الرَّأْيِ الصَّائِبِ الَّتِي يَصْدُقُ
فِي الْوَاقِعِ أَوْ يُوَاقِقُ الْمُنْطَلِقَ أَوْ يُوجِزُ الْاِخْتِبَارَ الْإِنْسَانِي الطَّوِيلَ. وَقِيَمَةُ الْحِكْمَةِ فِي
الشِّعْرِ أَنْ يَرِدَ الْمَعْنَى الْحَكِيمُ الْجَدِيدُ فِي التَّعْبِيرِ الْوَجِيزِ الْوَاضِحِ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَبْدِ

(١) تاريخ الأدب الأندلسي: الطوائف والرباطيون ١٥٢.

(٢) في الأصل: قلت بالكباج (ولا يستقيم بها الوزن) فأجرت لنفسي أن أثبت ما في المتن. السكاج: لحم
يتكل بأظوايه ومزورات مختلفة. الجمليات (٢). الرخص: الطري. الشواء: اللحم المشوي. الرفاق:
خير بصح رفيقاً (وربما قيل له: خير مرفوق، خير شاور، خير حاج: قطعة من حديد مستديرة
ومعدبة كأنها قطع من كوة) تحير الرفاق على ظاهرها وتكون النار تحتها).
(٣) الجشيش: حب (حنطة، قمح) يجرش خشناً ثم يلقى عليه لحم أو تمر فيطبخ بأحدها. السبيذ: السميد
لباب البر (بالضم) «القمح».

(٤) تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والرباطين ١٢٧-١٢٨ (عن الذخيرة) آل: سراب. خلق
(يفتح فكسر) الثوب والجلد وغيرها: ملي (تبراً) ولان وأملأ (بشديد السيل). الملموح (من الفلسفة
لا من البيت): أن النفس مغارة (لا يتفق لها ما يتفق للبدن: لا تهلك بهلكه)، أما الجسم (وهو مادة)
فإنه يتبدل ويهلك (تتغير صورته).

(٥) إن تبدل الصورة على المادّة: ماء = بخار = غمام = ماء = ثلج الثلج هو أصل العذاب في الدنيا -
«جلبت» (في الأصل) مبنية للجهول. فلعلّ بناءها للمعلوم أصح. - أن مثل هذا الصنف في المعاني
والتراكم لا يجعل من الكلمات المنظومة «فنّاً ظاهرياً».

النثر

النثر الأندلسي- في أسلوبه- هو النثر المشرقي، لولا ذلك التطوُّع في الحيال أحياناً كقول أبي حفص بن بُرد (ت بعيد ٤٥٠): « ما أعجبَ القلمَ بِشَرْبِ ظُلْمَةٍ وَيَلْعَظُ نوراً- على غَيْبِ القلمِ يَنْفَتِحُ زَهْرُ الكَلِمِ- التعليمُ فِلاحةٌ وليست كلُّ أرضٍ مُنبَتَةٌ ». ولابن برد هذا رسائل في تفصيل الورد وفي المناظرة بين السيف والقلم مما نراه في ترجمته.

وحاكي الأندلسيون جميع أساليب المشاركة في النثر حتى ما تَقَعَر منه في القراءة- كقول أحدهم في العصر الذي نُوجِزُ على هذه الصفحات خصائصه-: « لَمَنْ هذا الكلام الذي أَعْدَوْذَبَ مَوْرِدُهُ وَأَفْضَوْضَلَ مُنْبِتُهُ وَتَحَلَّتْ بِفِلَادَةِ الحَلَاوةِ بِكْرُهُ وَهَدَرَ بِشَيْقَةِ الجَزَالَةِ بِكْرُهُ... مَفْشَرٌ قومي، اسمعوا ما سَمِعْتُهُ، وعُوا ما وَعَيْتُهُ، فَإِنَّهُ لَفَخْرٌ طَلَبَكُمْ وشرفٌ تلاصقَ بكم ».

وتوفّر الأندلسيون على كتابة الرسائل- إخوانيةً ودهوانيةً- ولكنهم لم يخرُجوا في ذلك كلّهُ، من حيثُ الأسلوب، عن نمطِ المشاركة ثم لم يَتَلَفُوا إلى شيءٍ من مستوى ذلك النمطِ.

النقد الأدبي

نَهَضَ في هذا العصر نُقَادُ أَبْرَعُهُمْ وأشهرُهُمُ ابنُ رَشِيْقِ القَيْرَوَانِي (ت ٤٥٦). وقد كان اتِّجَاهُهُ وعددٌ من آرائِهِ يَرْجِعَانِ إلى أستاذه عبد الكريم النَهْشَلِي القيرواني (ت ٤٠٥). ومع أن ابن رَشِيْقِ قد استَفَادَ من مذاهبِ النقادِ الواردة من المشرق، فإن كتابه « العُمدَةُ في صناعة الشعر ونقده »، ألصقَ الكتب إلى ذلك الحين بموضوع النقد الأدبي.

وجاء في هذه الحِقْبَةُ نفرٌ آخرون من النُقَادِ مثلُ أبي القاسمِ بنِ الإفْطِيلِي (ت ٤٤١) وله شرحٌ على ديوانِ المُتَنَبِّي ثم ابنُ حَزْمِ الأندلسي (ت ٤٥٦) ثم أبي الحسنِ أبنُ سَيِّدِهِ (٣٩٨-٤٥٨ هـ) صاحبُ كتابِ المُحْكَمِ وكتابِ المُخَصَّصِ ثم الأعلَمُ

الشَّعْرِي (ت ٤٧٦) وأشهرُ ما نَعَرَفُ له « شَرْحُ الشُّعْرَاءِ الْبَيْتَةِ » (الجاهليين) ثم مُحَدِّدُ
 آيِنِ قَتَوْجِ الحُمَيْدِي (ت ٤٨٨) صاحبُ « جُدُوهُ الْمُقْتَسِرِ » وكتابُ « السَّبِيلِ إِلَى
 تَعْلَمِ التَّرْسِيلِ » ثم أَبِي بَكْرٍ عَاصِمُ بْنُ أَبِيؤَبِ الْبَطْلَيْوِيِّ (ت ٤٩٤) وله شُرُوحٌ عَلَى
 الْأَشْعَارِ الْقَدِيمَةِ ثُمَّ ابْنُ السَّيِّدِ الْبَطْلَيْوِيِّ (٤٤٤ - ٥٢١ هـ) وله « الْإِنْتِصَارُ مِنْ عَدَلِ
 عَنِ الْإِسْتِصَارِ » و« شَرْحُ بَيْقُطِ الزُّنْدِ » (لِلشَّعْرِيِّ). هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الْآخَرُونَ - وَكُلُّهُمْ
 أُنْدَلِسِيَّونَ - كَانَتْ لَهُمْ مَلَا حِظَاتٌ وَأَرَاءُ فِي النَّقْدِ اللَّغَوِيِّ وَالنَّقْدِ النَّحْوِيِّ وَالنَّقْدِ
 الْبَيَّانِيِّ مُفَرَّقَةً فِي كُتُبِهِمُ الْمُخْتَلَفَةِ. وَيَبْدُو أَنَّ « السَّبِيلَ » لِلحُمَيْدِيِّ كَانَ قَرِيباً جَدّاً مِنْ
 مَنْحِجِ النَّقْدِ الْأَدْبِيِّ الْقَائِمِ عَلَى اسْتِعْرَاضِ غَاذِجِ جِيَادٍ مِنْ فَنُونِ التَّرْسُلِ.

المَوْشَحُ: خِصَائِصُهُ وَنَشَأَتُهُ

الشَّعْرُ الْعَرَبِيُّ، مِنْ حَيْثُ الْقَافِيَةُ، ثَلَاثَةُ أَجْنَاسٍ: قَصِيدٌ وَرَجَزٌ وَمُسَمَّطٌ. وَكُلُّهَا
 قَدِيمَةٌ. فَالْقَصِيدَةُ آيَاتٌ مَتَوَالِيَةٌ وَمُخْتَوِمَةٌ بِمَجْمُوعَاتٍ مُتَابِلَةٍ مِنَ الْأَحْرَفِ تُدْعَى قَافِيَةً.
 وَتَكُونُ هَذِهِ الْمَجْمُوعَاتُ كُلُّهَا مُتَبَيِّنَةً عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مُخْصُوصٍ يُسَمَّى « رَوْباً »^(١).
 قَالَتِ الْحَنَسَاءُ تَرْثِي أَخَاهَا صَخْرًا:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا، وَأُنْدِبُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ.
 وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِسِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي.

فَحَرْفُ الرَّوْيِ هُنَا هُوَ السِّينُ الْمَكْسُورَةُ؛ أَمَّا الْقَافِيَةُ فَفِي السَّكُونِ عَلَى الْحَرْفِ
 (الصَّحِيحِ) قَبْلَ السِّينِ الْمَكْسُورَةِ مَعَ السِّينِ الْمَكْسُورَةِ. أَمَّا الْيَاءُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي بَعْدَ
 السِّينِ هُوَ حَرْفُ إِشْبَاعِ لِلْسِّينِ الْمَكْسُورَةِ.

(١) الرَّوْيُ هُوَ الْحَرْفُ الَّذِي تَبْنِي عَلَيْهِ الْقَافِيَةُ فِي الْقَصِيدَةِ: د، ر، ل، ن، ي، ا، الخ. أَمَّا الْقَافِيَةُ فَفِي
 حَرْفِ الرَّوْيِ مَعَ الْأَحْرَفِ السَّاكِنَةِ وَالْمُتَحَرِّكَةِ السَّابِقَةِ عَلَيْهِ وَالتَّالِيَةِ لَهُ وَالَّتِي تَكُونُ ضَرُورَةً فِي اتِّسَاقِ
 الْمَوْسِقِيِّ اللَّغَطِيِّ. إِنَّ قَوَافِي الْقَصِيدَةِ الْوَاحِدَةِ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ: كَلَامٌ، حَرَامٌ، أَمَامٌ (وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ
 تَكُونَ: كَلَامٌ، سَلِيمٌ، مَنَامٌ، الْخ. وَلَا تَكُونَ أَيْضاً: حَرَامٌ، كَلَاماً، الْخ. نَمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي عِلْمِ الْقَافِيَةِ)،
 أَوْ يَجْرُ، بَصْرٌ، صَخْرٌ، نَظَرُ الْخ.

والرَجَزُ في الأصلُ بَحْرٌ من بحور الشعر^(١) تُنظَّمُ عليه الأراجيز^(٢). والأرجوزة أَشْطَرُ وَتَرَا^(٣) مَبْنِيَّةٌ كُلُّهَا على حرفِ رَوِيٍّ واحدٍ. قالت امرأة أبي حمزة الضبيّ الخارجي- وكان زَوْجُهَا قد هَجَرَهَا وجعلَ بَيْتُ في خِيَمَةٍ مُجاوِرَةٍ لَخِيَمَتِهَا، وَهُوَ غاضِبٌ لَأَنَّهَا كانتِ مِثْنًا وَلَدَتْ لَهُ عِدَّةَ بناتٍ ولم تَلِدْ لَهُ غَلامًا-:

ما لأبي حمزة لا يأتينا، بَطَلُ في البيتِ الذي بَلينا،
غَضَبَانِ أَلَّا نَلِدَ الْبَيْنَا؟ تالله، ما ذلِكَ في أَهْدِينَا؛
وإنَّا نأخُذُ ما أُعْطِينَا. ونَحْنُ كالأَرْضِ لِزَارِعِينَا
نُنَبِّتُ ما قد زَرَعُوهُ فِينَا!

وتَحِيَّ أَشْطَرُ الأرجوزة أيضاً شَفْعًا^(٤)، ويكونُ لكلِّ شَطْرَيْنِ (لِلصَدْرِ وَلِلْعَجْزِ) في كلِّ بيتٍ من أبياتها قافيةٌ على رَوِيٍّ واحدٍ. قال أبو العتاهية:

إنَّ الفَاضِلَ ضِدُّهُ الصَّلَاحُ، يا رَبُّ جِدُّ جَرَّةِ المَزَاحُ.
ما تَطْلُعُ الشَّمْسُ ولا تَنْفِيبُ إلَّا لأمرٍ شَأْنُهُ عَجِيبُ.
لكلِّ شيءٍ مَقْدِينٌ وجوهرُ وأوسطُ وأصفرُ وأَكْـبَرُ.

(١) بحور الشعر (أو أوزان الشعر) يمكن أن تكون غير متناهية في العدد لأنها في الأصل ألحان موسيقية تنشأ من توالي الألفاظ بقدر معين على نسق مخصوص. ثم جاء الأعشى الأوسط فزاد فيها البحر السادس عشر. وليس من الضروري أن تكون هذه هي جميع الأبحر التي يمكن أن يأتي عليها الشعر العربي. وإذا نحن علمنا أن كلَّ بحر من هذه البحور يمكن أن يأتي تاماً أو مجزئاً، وأن معظم الأبحر (جمع ضرب- بفتح فسكون-: التفعيل الأخير في الصدر) ومعظم الأعارض (جمع عروض بالفتح: التفعيل الأخير في المجر) يمكن أن يأتي على أعداد مختلفة، وجدنا أن بحور الشعر في الحقيقة أكثر من ستة عشر بحراً.

(٢) الأراجيز تنظم على بحر واحد من البحور الستة عشر.

مستعمل مستعمل مستعمل مستعمل مستعمل مستعمل.

(٣) مفردة: ٤٩، ١٧، ٩، ٥، ٣، الخ.

(٤) مزدوجة: ٤، ١٠، ٢٢، ٣٦، الخ.

وربما جاء الشاعر بأرجوزته مولعة^(١) فيجمل أنظرها تتردد شفاً وترأ، كما
فعل أبو العتاهية أيضاً:

ما عيش من أفته بقاؤه! نحص عيشاً طيباً فناؤه.
إنّا لنفسي نفاً وطرفاً، لم يترك الموت لألفٍ إلهاً^(٢).
وللكلام باطن وظاهر. في ساعة العدل يموت الفاجر.
علمت، يا مجاشع بن سعدة أن الشاب والفراغ والجدة^(٣)
مفسدة للمرء أي مفسدة.

يا للشباب المرح التصالي! روائح الجنة في الشباب.
ليس على ذي النصح إلا الجهد. الشيب زرع حان منه الحصد.
القدر نخس والوفاء سعد.

وهي المقادير، فلمني أو قدر، تجري المقادير على غرر الإبر^(٤).
إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر!

وبما أن التسميط يقوم على اختلاف القوافي والأوزان معاً، فأرجى الكلام
عليه إلى حين الكلام على الأوزان في القصيد والرجز (كيلا أتكلّم على التسميط -
وهو جنس الشعر القريب من الموشح - في مكانين مختلفين).

أما من حيث الوزن، فإن من حق كل مقطوعة شعرية (من القصيد أو الرجز)،

(١) المولع: الإنسان أو الحيوان: إذا أخذ به البرص (وهو مرض يتبدل به لون الجلد في مكان دون مكان). وقال التريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ - ١٠١٦ م).

يوكع الطل بردنها وقد نمت وومضة الفجر بين الضال واللم.

الطل: المطر الحقيقي. البرد: الثوب. ولع الطل بردنها: جعل بقعاً منها مثقلة وترك بقعاً فيها خافة.
(٢) نفاً وطرماً (خطأ): قليلاً قليلاً.

(٣) الفراغ: قلة العمل وأتسع الوقت. الجدة: الغنى، الثروة.

(٤) ذر (وذر بكسر الهمزة) يذر بفتحها: ترك - أو ذر (اترك لومي). على غرر الإبر: بالترتيب والمواءمة
(على قوانين دقيقة).

ظالت أو قصرت، أن تكون من بحر (على وزن) واحد، فإن «الوزن أحد أركان الشعر وأولها به خصوصية». وهو مُشْتَبِلٌ على القافية وجالب لها ضرورة: إلا أن تختلف القوافي^(١) فيكون ذلك عيباً في التقفية لا في الوزن. وقد لا يكون^(٢) عيباً (في) المحسّات وما شاكلها^(٣).

وتفاعيل الشعر لا تأتي تامّة دائماً: مُستَفْعِلُنْ، فاعِلَاتُنْ، مفاعيلُنْ، فَعُولُنْ إلخ بل تأتي أحياناً مقبوضة، نحو مَفَاعِلُنْ، فَعُولُ (مكان مستفعلن، فعولن). وفي كثير من الأحيان يكون التفعيل المزعوف أو المقبوض (الناقص في أحد وجوهه) أجرى في اللَّفْظِ وأكثر موافقة للبناء من التفعيل التام^(٤). وربما زاد الذي يُشَدُّ الشَّعْرَ في أول البيت حرفاً أو كلمة من غير أن يَقلُقَ الإنشاد، كالذي رَوَّوهُ عن علي بن أبي طالب^(٥):

اشدُّ حَيَازِيكَ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَكِيكَ .
ولا تجزَعُ من الموتِ إذا حَلَّ بِوَادِيكَ !

فإن الأصل فيه: «حيازيك للموت.....».

غير أن هذه الجوازات كلها في التفاعيل وهذا الجزم للبحر وهذه الزيادات على الأبيات لا تُخرج الأبيات من الوزن المخصوص.

وكان الخليل بن أحمد (ت ١٧٤ هـ = ٧٩٠ م) قد استعرض أشعار العرب

(١) راجع الحاشية ص ٤١٦.

(٢) هذا التركيب: «قد لا يكون» غير فصيح، وقد أحازه مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أطرن عام ١٩٧٠).

(٣) لأنه في المحسّات والمسطّات أصبح قاعدة.

(٤) قل أن نجد بيتاً في قصيدة تامّ التفاعيل بلا جوازات، ذلك لأن التفاعيل التامة تحمل الأبيات شديدة الرنوب (على وتيرة واحدة).

(٥) سواء أكانت هذه الأبيات للإمام عليّ كرم الله وجهه أو كان هو قد استشهد بها، فإنه قد أضاف كلمة «أشد» في أول البيت الأول. الميزوم: الصدر. أشد حيازيك للأمر: وطن نفسك عليه واحزم.

فاستخرجَ يَمًا وَقَعَ تحتَ نَظَرِهِ منها خَمسةَ عَشَرَ بَحْرًا أو وَزْنًا. وبما أَنَّ بحورَ الشعرِ تَرُجَعُ في الحقيقةِ إلى الإيقاعِ (حُدُوثِ النَغمِ مِنْ تَعاقُبِ النَقْرِ على نَسَبِ مخصوصٍ)، فَإِنَّ كثيراً من الكلامِ الذي يأتلفُ مَعَ ضُروبِ الإيقاعِ المُختلفةِ والمتعددةِ يَجِبُ أنْ يَعدَّ داخلًا في الكلامِ الموزونِ المنظومِ، ولو لم يأتِ على أَحَدِ الأبحرِ الخَمسةَ عَشَرَ التي اتفقَ للخليلِ بنِ أَحَدٍ أنْ يَستَخرجَها من الشعرِ العربيِّ القديمِ. والذي يُوَكِّدُ هذا الحدسَ أَنَّ الأخفشَ الأوسطَ (ت ٢١٥ هـ = ٨٣٠ م) قد استدركَ على الخليلِ بنِ أَحَدٍ بَحْرًا وزنه « فاعِلُنْ فاعِلُنْ فاعِلُنْ فاعِلُنْ » مرتينِ وسَمَّاهُ المنداركَ (لأنَّه تداركُه: لَجَقَّ به بعدَ أن فاتَ ذلكَ البحرُ الخليلِ، أي سَبَقَه). ثم إِنَّ الأخفشَ اشتقَّ من المنداركِ - بأنْ جَمَلَ من « فاعِلُنْ » تفعيلاً آخرَ هو « فَعِلُنْ » (بثلاثِ حركاتٍ فُكُونُ) - بَحْرًا مُستقلاً سَمَّاهُ الحَجَبَ، لِأَنَّ تواليَ لَفْظِهِ بُشْبُهَ حَسَبِ الفَرَسِ^(١).

فن التسميط

التسميطُ هو تنوُّعُ القوافي والأوزانِ في المقطوعةِ الشِّعريةِ الواحدةِ.

بدأ ابنُ رَشِيْقِ الكلامَ على « بابِ التَقْيِيَةِ والتصرِيعِ » (المُعدة ١: ١٤٩) بقوله: « هذا بابٌ يُشَكِّلُ^(٢) على كثيرٍ من الناسِ عِلْمُهُ، وَيَلْحَقُهُ عَيْبٌ سَمَاءُ قَدَامَةً^(٣) التجميعِ، كَأَنَّهُ من المَجْمَعِ بينَ رَؤْيَيْنِ وقافيتين. ورأيتُ مَنْ يَقُولُ: التجميعُ - بالخاءِ (المُعجمة) - كَأَنَّهُ من الحَمْعِ^(٤) في الرَجْلِ ».

(١) عَبةُ الفرسِ غيبا: (في القاموس) أن ينقلَ الفرسُ أبايته وأهله جميعاً في الركضِ (والصورة ليست واضحة) ولعلَّ الحَجَبَ أن ينقلَ الفرسُ فائتيه الأماميتين سماً وفائتيه الخلفيتين أو أن يخالِفَ في نقلها (الثالثة الأمامية اليمنى) « ثم الخلفية اليسرى ثم الأمامية اليسرى ثم الخلفية اليمنى » - وعلى كُلِّ حالٍ حَبَّ أشبهَ بالنقلِ منه بالركضِ المستمرِّ. وفي تاج العروس (الكويت ٢: ٢٢٩): « أو هو أن يراوحَ بين يديه ورجليه: أن يقومَ على إحداها مرةً وعلى الأخرى مرةً ».

(٢) أَشَكَلَ الأمرُ: أصبحَ غامضاً.

(٣) قَدَامَةُ بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ = ٩٤٨ م) كاتبٌ وأديبٌ وناقدٌ له كتابٌ « نقد الشعر ».

(٤) في القاموس (٣: ١٩) الحَمْعُ (بالفتح): المِرج.

أما التصريح فهو أن يكون للضرب وللمروض (في مطلع القصيدة) قافيتان على زوي واحد كقول المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم، وتأتي على قدر الكرام المكارم.

وأما التجميع (أو التخميع) فذلك أن تكون القصيدة غير مُصرَّعة، أو على الأصح أن يكون المطلع قابلاً للتصريح ثم لا يُصرَّعه شاعره، كقول جميل بن منقَر:

يا بُنُّ، إنك قد ملكت فأنجحي وخذي بحظك من كريم واصل.

(ولقد كان بإمكان جميل أن يقول: «... وخذي بحظك من كريم تنجحي»، فيأتي المطلع مُصرَّعاً ويظلُّ المعنى والوزن مُستقيمين. ولكنَّ جيلاً لم يفعل ذلك، بل اختار لقصيدته قافيةً لاميةً رآها، فيما يبدو، أوسع من القافية الحائية).

ويدعو أن هذا المسلك، في المخالفة في القوافي خاصة، كان قديماً في الشعر العربي. قال ابن رشيقي (ت ٤٥٦ هـ أو ٤٦٣ هـ) في كتابه المَعْدَة (١: ١٥٤ - ١٥٨):

ومن الشعر نوعٌ غريبٌ يُسمونه القَوَادِيسِي، تشبيهاً بقواديس السانية^(١)، لارتفاع بعض قوافيه في جهةٍ وانخفاضها في الجهة الأخرى. فأول من رأته جاء به طلحة بن عبيد الله العوفي^(٢) في قوله، وهو من قصيدة مشهورة طويلة^(٣):

كَمِ لِلدُّمَى الْأَهْكَارِ بِالْ	خَبَتَيْنِ مِنْ مَنْـ
بُهِجَتِي لِلْوَجْدِ مِنْ	تَذَكَارِهَا مَنْـ
مَعَاهِدَ رَعِيلُهَا	مُتَعَجِّرُ الْمَوَاطِلِ
لَمَّا نَأَى سَاكِنُهَا	فَأَذْمِي هَوَاطِلُ

(١) السانية: الباعورة. القادوس: صندوق صغير يكون على دولا ب أو على سلة يحمل فيه الماء من البئر إلى سطح الأرض.

(٢) طلحة بن عبيد الله العوفي... (٤). في القاموس (٤: ٢٥) عون (بالضم) بلد ساحل اليمن.

(٣) لن أشرح الأبيات المستشهد بها في هذا الفصل (عن مقدمات التوشيح والتوشيح) لأن الغاية من هذه الأبيات شكلها الظاهر (ترتيب أسطرها وتنوع قوافيها).

وهو مربوعُ الرَّجَزِ نَعَمَدَ (الشاعر) فيه الإقواء وأوطأ^(١) في أكثره قصداً، كما فَعَلَ في البَيْتَيْنِ الأوَّلَيْنِ.

وَمِنْ الشِّعْرِ جَنْسٌ كُلُّهُ مُصَرَّعٌ، إِلَّا أَنَّهُ مُخْتَلَفُ الْأَنْوَاعِ.... فَمِنْ ذَلِكَ الشِّعْرِ الْمُسَطَّ، وَهُوَ أَنْ يَتَدَيَّ الشَّاعِرُ بَيْتَ مُصَرَّعٍ ثُمَّ يَأْتِي بِأَرْبَعَةِ أَقْسِمَةٍ عَلَى غَيْرِ قَافِيَتِهِ، ثُمَّ يُعِيدُ قَسِماً وَاحِداً مِنْ جَنْسٍ مَا ابْتَدَأَ بِهِ. وَهَكَذَا إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ: يَثَالُ ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ - وَقِيلَ: إِنَّهَا مَنْحُولَةٌ^(٢):-

تَوَهَّمْتُ مِنْ هِنْدٍ مَعَالِمَ أَطْلَالٍ عَفَاهُنَّ طُولَ الدَّهْرِ فِي الزَّمَنِ الْخَالِيِ
مَرَابِيعُ مِنْ هِنْدٍ خَلَّتْ وَمَصَانِفُ يَصْبِحُ بِمَقْنَاهَا صَدَى وَعَوَازِفُ،
وَعَبَّرَهَا هُجُوجُ الرِّيحِ الْعَوَاصِفُ وَكُلُّ مُسِفٍّ، ثُمَّ آخِرُ رَادِفُ
بِاسْتِحْمٍ مِنْ بَنُو السَّائِكِينَ هَطَالِ.

وهكذا يأتي بأربعة أقسمة على أي قافية شاء، ثم يُكَرِّرُ قَسِماً عَلَى قَافِيَةِ اللَامِ. وَرُبَّمَا كَانَ الْمُسَطَّ بِأَقْلٍ مِنْ أَرْبَعَةِ أَقْسِمَةٍ، كَمَا قَالَ أَحَدُهُمْ:

خَيْالٌ هَاجَ لِي شَجْنَا فَبِتُّ مَكَابِدَ حَزْنَا
عَمِيدَ الْقَلْبِ مُرْتَهَنَا بِذِكْرِ اللَّهِ وَالطَّرَبِ.
سَبَنِي ظَبْيَةٌ عَطُلُ، كَأَنَّ رُضَاهَا عَمَلُ،
يَنُودُ بِخَضْرَاهَا كَفَلُ تَقْبِلُ رَوَادِفَ الْحُفَّابِ.

وَرُبَّمَا جَاءُوا فِي أَوَّلِهِ بِأَبْيَاتٍ خَمْسَةٍ عَلَى شَرْطِهِمْ فِي الْأَقْسِمَةِ - وَهُوَ الْمُتَعَارَفُ - أَوْ

(١) الإقواء: أن يحالف الشاعر في حركة الروي فيأتي به مرة مكسوراً ومرة مضموماً الخ. والإبطاء: الاتيان بالقافية مكررة لفظاً ومعنى (القاموس)، أو تامة البيت في البيت الذي يليه (٢).

(٢) منحولة: نظمت بعد عصر امرئ القيس ثم نسبت إليه (لو شاعنا وقبلنا أن نكون هذه القطعة منحولة، لظننا أقدم من ابن رشيقي وأقدم من نشأة الموشح).

أربعة. ثم يأتون بعد ذلك بأربعة أفسمة، كما قال خالد القنّاص ، أنشدَه الرَّجَاجِيُّ أبو القاسم^(١):

لَقَدْ نَكَرْتُ عَيْنِي مَنَازِلَ جِيرَانٍ كَأَنطَارِ رَقٍّ نَاجِحٍ خَلَقِي فَانَ .
تَوَهَّنْتُهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً ، فَمَا أَسْتَبِينُ الدَّارَ ، إِلَّا بِعِرْفَانٍ^(٢) .
فَقُلْتُ لَهَا: حُبِّيتِ ، يَا دَارَ جِيرَانِي ، أُبَيْسِي لَنَا أَنَّى تَبَدَّدَ إِخْوَانِي
وَأَيُّ بِلَادِ اللَّهِ رَبُّكَ حَالِفُوا فَإِنْ فُؤَادِي عِنْدَ ظَنِّيَةِ جِيرَانِي .

فجاء بأربعة أبيات. ثم قال بعدها:

وَمَا نَطَقْتُ ، وَاسْتَعَجَلْتُ حِينَ كَلَّمْتُ ، وَمَا رَجَعْتُ قَوْلًا وَمَا إِنْ تَرَمَرْتُ .
وَكُنْ شِفَانِي عِنْدَهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ إِلَيَّ ، وَلَوْ كَانَتْ أَثَارَتْ وَسَلَّمْتُ
وَلَكِنَّمَا ضَنَّتْ عَلَيَّ بَيِّبَانِ .

وهكذا إلى آخرها. وقد جاء هذا الشاعر في قصيدته بخمسة أفسمة مرة واحدة ولم يعاودها. ولو عاودها لم يضره، وكذلك لو نقص (منها). إلا أن الاعتدال أحسن. والقافية التي تتكرر في التسميط تُسمى عمود الفصيدة. واشتقاق (التسميط) من السيط، وهو أن تجتمع عدة سلوك^(٣) في باقوتية أو خرزوة ما، ثم تنظم كل سلوك منها على جذبه باللؤلؤ يسيراً، ثم تجتمع السلوك كلها في زبرجدة أو شبيها أو نحو ذلك. ثم تنظم أيضاً كل سلوك على جذبه وتصنع به كما صنعت أولاً إلى أن يتم السيط. هذا هو المتعارف عند أهل الوقت^(٤).

(١) الرَّجَاجِيُّ (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) التهامندي (ت ٣٤٠ هـ = ٩٥٢ م).

(٢) كذا في الأصل. اقرأ: بعرفاني (لأنني كنت أعرف هذا المكان من قبل).

(٣) السلوك (بالكسر): الخيط الذي تنظم به حبات العقد.

(٤) هذا يدل على أن التسميط كان قد أصبح واسع الانتشار في أيام ابن رشيق.

وقال أبو القاسم الزجاجي: إِنَّا سَمِيَ (التسميط) بهذا الاسم تشبيهاً بسنط اللؤلؤ، وهو يُلَكُّه الذي يَضُمُّه ويجمعه مع تَفَرُّقِ حَبِّهِ^(١). وكذلك هذا الشعرُ لَمَّا كَانَ مُتَفَرِّقَ القوافي مُتَعَقِّباً بقافية تَضُمُّه وتَرُدُّه إلى البيت الأول الذي بُنِيَتْ عليه القصيدة صار كأنه سنطٌ مُؤَلَّفٌ من أشياء مُفْتَرَقَةٍ.

«ونوع آخر يُسَمَّى مُخَصَّصاً، وهو أن يُؤْتَى بخمسة أقسية على قافية، ثم بخمسة أخرى في وَزْنِهَا على قافيةٍ غيرها كذلك، إلى أن يُفْرَغَ من القصيدة. هذا هو الأصل. وأكثرُوا من هذا الفن حتى أَتَوْا به بمِصْرَاعَيْنِ مِصْرَاعَيْنِ فَقَطْ - وهو المزدوج - إِلَّا أَنْ وَزَنَهُ كُلُّهُ واحداً، كذاتِ الأمثالِ وذاتِ الحُللِ^(٢) وما شاكلها. ولا يكونُ أَقْلٌ من مِصْرَاعَيْنِ. وكلُّ مشطورٍ أو منهوكٍ فهو يَبِيْتُ^(٣). وإن قيل: مُصَرَّعٌ فهو على المَجاز. وما سِوى ذلك مِمَّا لم يَأْتِ مثله عن العرب^(٤) فهو مِصْرَاعٌ لَيْسَ يَبِيْتُ. ولم أَجِدْهُمْ يستعملونَ من هذه المُخَصَّصَاتِ إِلَّا الرَّجَزَ خاصَّةً. فأما المُسَطَّاتُ فقد جاءت في أوزانٍ كثيرةٍ مختلفة.

(وهناك) نوعان من الرَّجَزِ، وهما المشطورُ والمنهوكُ^(٥). فأما المشطورُ فما بُنِيَ

(١) يتألف عقد اللؤلؤ من حبات مختلفة الأحجام: من واحدة (حبة كبيرة في الوسط) ثم تندرج الحبات أصغر فأصغر نحو طرفي العقد. وتكون هذه الحبات مفصلة (مفصولة بمجموعات) بشذر (بفتح فسكون: جمع شذرة أو قطعة صغيرة من ذهب).

(٢) ذات الأمثال أرجوزة أي المتأهبة (ت ٢١١ هـ) وغد مر الاستشهاد بسند من أبياتها. وذات الحلل قصيدة في أمور الفلك نظم فيها شاعرنا إبان بن عبد الحميد اللاحي (ت ٢٠٠ هـ = ٨١٥ م) عدداً من قواعد الفقه وما يتعلق بالصيام خاصة (راجع بروكلمان، الملحق ١: ٢٣٩).

(٣) في التسميط يمدّ القسم الوزون (مهما يكن قصيراً) يبتأ.

(٤) العرب (هنا): العرب القدماء: الجاهليون والأمويون.

(٥) تفسير أن رشيقي للمشطور والمنهوك يتناول القافية لا التفاعيل. وفي التاموس: المشطور ما نقصت ثلاثة أجزاء من ستنه (٥٨: ٢). وفي تاج العروس (الكويت ١٢: ١٧٢): المشطور من الرجز ما ذهب شرطه، وذلك إذا نقصت ثلاثة أجزاء من ستنه. والمنهوك (التاموس ٣: ٣٢٢): من الرجز ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. غير أن المثل الذي أورده ابن رشيقي: وبلدة فيها زور (مفاعل مستعملان) قد بقي ثلثاه وذهب ثلثه فقط. (أنظر الصفحة التالية).

على شَطْرَ بَيْتٍ، نحو قول أبي النجم الراجز^(١):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمُجْزِلِ أعطى فلم يَتَخَلَّ ولم يُخَلِّ.
وأما المنهوكُ فهو ما بُنِيَ على ثَلَاثِ بَيْتٍ وَنُهْكَ بِذَهَابِ ثَلَاثِيهِ، أي أضعِفَ.
وهذا بِمِثْلِ قولِ أبي نواسٍ:

وَبَلَدَةٌ فِيهَا زَوْرٌ صَمَاءٌ تَحْظَى فِي صَمَرٍ.
وَأَنْشَدَ الرَّجَاجِيُّ وَزْنَاً مُشْطَرّاً مُخَبَّرَ الْفُصُولِ لَا أَشْكُ (في) أَنَّهُ مُؤَكَّدٌ مُخَدَّتٌ، وهو:
سقى طَللاً بِحَزَوَى هَزِمَ الْوَدْقِ أَحْوَى
عَهْدَنَا فِيهِ أَرْوَى زَمَاناً تَمَّ أَقْوَى
وَأَرْوَى لَا كَنُودٌ وَلَا فِيهَا صُدُودٌ
لَمَّا طَرَفٌ صَبُودٌ وَمُبْتَسِمٌ بَرُودٌ.
لِئِنْ شَطَّ الْمَزَارُ بِهَا وَنَأَتْ دِهَارُ
فَقَلْبِي مُتَطَارٌ وَلَيْسَ لَهُ قَرَارُ
سُتُنِيهَـمَا دَمُولٌ جَلَنَفَقَـهُ ذَلُولُ
إِذَا عَرَضَتْ هَجُولٌ تُقْصِرُ مَا يَطُولُ

وهذا وَزْنٌ مُلْتَبِسٌ بِحُوزٍ أَنْ يَكُونَ مَقْطُوعاً مِنْ مُرْبِعٍ الْوَافِرِ^(٢)، ويجوز أن يكونَ
مِنَ الْمَضَارِعِ مَقْبُوضاً مَكْفُوعاً، ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ^(٣) وَأَنْشَدَ لِبَعْضِ الْمُخَدَّتِينَ:

(١) أبو النجم الراجز (ت ١٢٠ هـ = ٧٣٨ م). والبيت الذي أورده مثلاً على الشطور: الحمد لله الوهَّاب المجزل (مستقلان مستقلان). لم ينقص من تقاعيله شيء.

(٢) [تفعيل الوافر (في الأصل): مفاعلتان مفاعيلتان فاعلان (مرتين) وتفعيل المضارع: مفاعيلتان فاعلتان (مرتين)]. فإذا جزأنا الوافر فأصبح مفاعلتان فعولان ثم أدخلنا القيس والكسفة على المضارع أصبح مربوع الوافر (مع الجواز): مفاعيلتان فعولان، ثم أصبح المضارع (بالقيس): حذف خامس التفعيل، إذا كان ساكناً مع ما يمكن من الجوازات العديدة، أصبح المضارع حينئذ: مفاعيلتان فعولان (كأنه مربيع الوافر).

(٣) الجوهري أبو نصر [مفاعيلتان من حَكَد (ت ٣٩٨ هـ = ١٠٠٨ م) له كتاب «مروض الورقة» جيد بالغ (معجم الأديب ٦: ١٥٥).

أشاقك طيفُ مامة، بكّة، أم حامة؟

«أشاقك» مفاعل، وحقّه في أصلِ الوزنِ مفاعيلن. وقد رأيتُ جماعةً يُركّبون المَحْصَاتِ والمُسَطَّاتِ ويُكثِّرون منها. ولم أرَ مُتَقَدِّماً حاذقاً صَنَعَ شيئاً منها، لأنها دالّةٌ على عَجْزِ الشاعرِ وقِلَّةِ قوافيه وضيقِ عَطَنه^(١). ما خلا امرأ القيسَ في القصيدة التي نُسِبتَ إليه، وما أَصَحَّحُها له. وبشَّار بن بُردٍ^(٢) قد كان يصنعُ المَحْصَاتِ والمُزْدَوِجاتِ عَنّاً واسنّهانةً بالشعر؛ وبشَّرُ بنُ الْمُعْتَمِرِ فقد أُنشِدَ الجاحظُ له مُرْدُوْجَةً^(٣). وصَنَعَ ابنُ الْمُعْتَمِرِ قصيدةً في ذَمِّ الصَّبوحِ^(٤) وقصيدةً في سيرة المُعَنْضِدِ رَكِبَ فيها هذا الطريقَ، لما تَقْتَضِيهِ الألفاظُ المختلفةُ الضروريةُ ولِإِرادَةِ التوسُّعِ في الكلامِ والتَّمَلُّعِ بأنواعِ الشَّعْرِ. وهذا الجنسُ مَوْقُوفٌ على ابنِ وكيعٍ^(٥) و(على) الأميرِ نعيمِ بنِ المَعَرِّ^(٦) و(على) مَنْ ناسبَ طَبْعُهَا من أهلِ الفراغِ وأصحابِ الرُّخْصِ^(٧). وقد يَقَعُ لِبَعْضِ الشعراءِ البِيتَانِ والثلاثةُ لها قافيةٌ واحدةٌ يَحْمَلُونَهَا

-
- (١) فلان ضيقُ العطن (ميرك الجمل): ضيقُ الصدر.
 (٢) بشَّار بن برد (ت ١٦٧ هـ = ٧٨٢ م) رأسُ المحدثين وأوَّلُ من خرج بالشعر العربي من الخصائص القديمة إلى الخصائص العباسية (في المعاني وفي شكل القصيدة).
 (٣) المردوْجة قصيدة كلُّ بيتين منها برويٌّ مستقل. بشر بن المعتز (ت ٢١٠ هـ) من رجال الاعتزال الذين يعتمدون تفسير العقائد الدينية بالمثل. والجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) أديب موسمي كبير وشارك في معظم فنون المعرفة وصنّف أكثر.
 (٤) عبد الله بن المَعَرِّ (ت ٢٩٥ هـ). الصَّبوح: شرب الخمر في الصباح. ركب هذا الطريق (نظم المقطعات الشعرية المختلفة القوافي).
 (٥) ابن وكيع التَّنَبُّسي (ت ٣٩٣ هـ = ١٠٠٣ م) شاعر طريف وقف شعره على الوصف والفزل ومال إلى الجون فأتخذه مذهباً في الحياة. شعره الباقي مقطعات ومزدوجات ومربعات (المربعة: أرجوزة كل بيتين منها على رويٍّ واحد في الصدرين والعجز).
 (٦) نعيم بن المَعَرِّ الفاطمي (٣٣٧ - ٣٧٤ هـ)، من فنونه الفزل عامة، وهو يذهب مذهب أبي نواس في الجون والزندقة. وله وصف للطبيعة على مثال أوصاف ابن المعتز.
 (٧) أهل الفراغ: الذين لديهم مشغع من الوقت وليس لديهم عمل جدي يملأون وقتهم به. الرخصة (في الحياة وفي الله): الشذوذ عن القاعدة العامة غيا لا يبلغ إلى أن يكون نقياً لها.

مُعَايَاةً فَيَتَلَقَّهَا الْعَرُوضِيُّونَ^(١) كَالْأَبْيَاتِ الَّتِي تُرَوَّى لِابْنِ دُرَيْدٍ^(٢) . (انتهى قول ابن رشيقي).

* يبدو مما ذكره ابن رشيقي ما يلي:

- في الشعر العربيّ مجالٌ فسيحٌ للجَوَازَاتِ في تفاعيلِ الشعرِ وفي اختصارِها وفي تنويعِ القوافي (في الرَّجَزِ الجاهليِّ مثلاً).

- نَظَمَ العربُ منذُ الجاهليةِ على أبحرٍ خارجةٍ عن البُحُورِ التي استخرجها الخليلُ ابنُ أحمدَ. وربّما نوّعوا الأبحرَ في المقطوعة الواحدة.

- وكانوا يفعلون ذلك عبثاً وتَمَلُّحاً على سبيلِ التَّسْلِيَةِ لاعتقادهم أن هذا التصرفُ في النظم ليسَ من شأنِ كبارِ الشعراء (وهذا ما يُفسِّرُ قِلَّةَ المَرُويِّ من هذا النوع من الشعر).

- والتسميطُ الذي هو قريبٌ جداً مِنَّا سُمِّيَ، فيما بعدُ، بِالْمُوشَحِّ، قديمٌ جداً في الشعر العربي؛ ولعله كان مُنْذُ الجاهليةِ.

- ذَكَرَ ابنُ رشيقي أن هذه الأجناسَ المختلفةَ من النظمِ كانت في أيامِه (في القرنِ الخامس للهجرة والثاني عشر للميلاد) شائعةً مألوفةً.

نشأة الموشح وتعريفه

يُجْمَعُ مَوْزَخُو الْأَدَبِ على أن المَوْشَحَ في شكلهِ المخصوصِ وخصائصهِ المعروفةِ، فنٌ أندلسيٌّ. وكذلك يكادون يكونون مُجْمِعِينَ، عِنْدَ تعريفِ المَوْشَحِ ووصفِهِ على أن أَوْفَى ما قِيلَ فِيهِ ما قاله ابن خلدون (المقدمة ١١٣٧-١١٣٨):

(١) المعايَاة: الإتيانُ بالأمثلةِ النادرةِ التي تعباً (تستعصي، تصعب) على الآخرين. يتلافها (يتناولها بعضهم من بعض). العروضيون: العلماءُ المؤلِّفون في العروض (بفتح المعين: قواعد نظم الشعر)، (بجاء) هؤلاء وأمثالهم أن يحشدوا في كتبهم قواعدَ وشواهدَ عن هذه القواعدِ بما لم يقع عليه غيرهم من قبلهم.

(٢) ابن دريد البصري (٢٢٣-٣٢١ هـ) من علماء اللغة وثقاة الشعر.

« وأما أهل الأندلس، فلما كثر الشعرُ في قُطْرِهِمْ وَتَهَذَّبَتْ مَنَاحِيهِ، وَبَلَغَ التَّسْنِيقُ فِيهِ الْغَايَةَ، اسْتَحْدَثَ الْمُتَأَخَّرُونَ مِنْهُمْ فَنَاءً مِنْهُ سَمَوْهُ بِالْمَوْشَحِ: يَنْظِمُونَهُ أَسْطَاطًا أَسْطَاطًا. وَأَغْصَانًا أَغْصَانًا، يُكْثِرُونَ مِنْهَا وَمِنْ أَعَارِيضِهَا الْمُخْتَلَفَةِ وَيُسَمُّونَ الْمُتَعَدَّدَ مِنْهَا بَيْتًا وَاحِدًا^(١)، وَيَلْتَزِمُونَ ذَلِكَ عِنْدَ قَوَافِي تِلْكَ الْأَغْصَانِ وَأَوْزَانِهَا فِيمَا بَعْدُ إِلَى آخِرِ الْقِطْعَةِ، وَأَكْثَرُ مَا تَنْتَهِي عِنْدَهُمْ إِلَى سَبْعَةِ أَبْيَاتٍ. وَيَشْتَمِلُ كُلُّ بَيْتٍ عَلَى أَغْصَانٍ عِدَّةٍ بِحَسَبِ الْأَغْرَاسِ وَالْمَذَاهِبِ^(٢). وَيُنْسِبُونَ فِيهَا وَيَمْدَحُونَ كَمَا يُفْعَلُ فِي الْقِصَائِدِ. وَتَجَارَوْا فِي ذَلِكَ إِلَى الْغَايَةِ وَاسْتَظَرَفَهُ النَّاسُ جُمْلَةً، الْخَاصَّةُ وَالْكَافَّةُ، لِسَهُولَةِ تَبَاوُلِهِ وَقُرْبِ طَرِيقِهِ..... »

فَالْمَوْشَحُ^(٣)، إِذَنْ، أَوِ التَّوْشِيحُ مِنْ أُنْدَلُسٍ، وَهُوَ «كَلَامٌ مَنْظُومٌ عَلَى وَزْنٍ مَخْصُوصٍ». أَمَّا الْمَوْشَحَاتُ فَهِيَ جُمْعُ مَوْشَحَةٍ. وَالْمَوْشَحَةُ قِطْعَةٌ شِعْرِيَّةٌ طَوِيلَةٌ فِي الْأَغْلِبِ تَتَأَلَّفُ مِنْ مَقَاطِعَ تَرْتَبُ فِيهَا الْأَشْطُرُ وَالْقَوَافِي عَلَى نَسَبٍ مَخْصُوصٍ. فَإِذَا اخْتَارَ الْوَشَّاحُ نَسَبًا مَا فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ مِنْ مَوْشَحَتِهِ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَزِمَ ذَلِكَ النَّسَبَ بِعَيْنِهِ فِي سَائِرِ مَقَاطِعِ تِلْكَ الْمَوْشَحَةِ.

نظريات في نشأة الموشح

هنالك عددٌ من النظريات في نشأة الموشحات منها:

(أ) النظرية الأجنبية:

يقول بالنشأ^(١): قال ريبيرا: إن أهل الأندلس كانوا يتعلمون العربية الفصيحة لغةً رسميةً في المدارس والدواوين (وفي الإنتاج الأدبي، طبعاً)، وأما في شؤونهم اليومية فكانوا يستعملون الأعجمية. ثم يقول: «وكان هذا الازدواج في اللغة هو الأصل في نشوء طرزانٍ شعريٍّ مُختَلَطٍ، تَمْتَرِجُ فِيهِ مَوْثَرَاتٌ غَرْبِيَّةٌ وَشَرْقِيَّةٌ. وَقَدْ

(١) (٢) راجع، تحت: سق الموشحات، ٤٢٩

(٣) «والحميني (بالتهجوف): ضرب (نوع) من ضروب الشعر الحديثة، وهو المعروف بالموشح، يمانية». (تاج العروس ٩: ١٨٤).

(٤) تاريخ الفكر الأندلسي ١٤١ - ١٤٢.

ازدري أهل الأدب الفصيح والمُعَنِّون بأمره (أي بأمر الأدب الفصيح) هذا الطراز الجديد، بينما مضى الناس جميعاً يتناقلون مُقَطَّعَاتِهِ سِرّاً بينهم. وذاع أمره داخل البيوت وفي أوساط العوام. وما زال أمره يعظم والإقبال عليه يشتد حتى أصبح في يوم من الأيام ثَوْناً من الأدب. وقد أخذ هذا الطراز الجديد من الأدب الشعبي صورتين: إحداهما الرَجُلُ والثانية الموشحة.

هذه نظرية ساذجة لا شك في أن صاحبها قد وَضَعَهَا في مَطْلَعِ حَيَاتِهِ الفكرية (وأرجو أن يُعيد القارئ تلاوة الأسطر الخمسة السابقة كي يُدرك أن صاحب هذه النظرية- وإن كان اسمه ريبيرا الإسباني- قد غَفَلَ عن عددٍ من العوامل التاريخية واللغوية والأدبية من تلك التي تعمل في تطوُّر الحضارة وفي نشوء الثقافات).- ولعل الاستغراب يبلغ ذروته إذا قرأ جملة ريبيرا: «بينما مضى الناس جميعاً (كذا) يتناقلون مقطعاته (أي مقطعات الموشح) سِرّاً (كذا) بينهم. وذاع أمره داخل البيوت وفي أوساط العامة. لا شك في أن ريبيرا قد كتب ذلك قبل أن يتحلَّى رأسه بشيء من الشعر الأبيض!

ومن المؤسف حقاً أن يكون في العرب نفرٌ قد تمسكوا بهذه النظرية الساذجة البعيدة عن مدرك الاتساق في تعاقب أحداث التاريخ وعن المنطقي في تحليل تلك الحوادث وعن الواقع المُشَاهِد: كيف يرى المتعلقون بهذه النظرية أن نوعاً من الأدب بَلَغَ نَمَاهُ في القرن الرابع (العاشر للميلاد)- أو قبل ذلك- كما يقولون، على يد مُقَدِّمِ آيِنِ مُعَاوِيَةَ الْقُبَيْرِيِّ مِنْ شُعْرَاهُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَوَّافِيِّ (٢٧٥-٣٠٠ هـ) قد أخذ من شعر أو غنلا بلغة لم تكن قد نشأت بعد^(١)؟

لا أريدُ الجدالَ في هذا الوجه السلي من الموضوع لأنني سأوردُ الأوجهَ الإيجابية بالتفصيل.

(١) أنظر، تحت: «نشأة الآداب الرومانسية».

ومع أن نفرأ من هؤلاء المتعلقين بهذه النظرية كثيراً أو قليلاً هم ممن أعرفهم وأجلهم، فإنني لا أبلك استغرافي من استمرارهم في موقفهم بعد أن صدر في النظرية العربية للشعر الأوروبي دراسات علمية مفصلة باللغات الإنكليزية والألمانية والاسبانية والفرنسية. لا أريد أن أعتقد أنهم قرأوا هذه الدراسات. ولكن أليس غريباً مستغرياً أن يقول الافرنسيون والايطاليون والألمان والإسبان إنهم قد أخذوا شعرهم من أزجالنا وموشحاتنا ثم يأتي نفرٌ منا فيزعمون أن موشحاتنا وأزجالنا مأخوذة منهم؟

لقد تبني هذه النظرية الاجنبية نفرٌ من العرب، منهم في لبنان مؤلفو كتاب «الادب العربي في آثار أعلامه»^(١) فقالوا (٢: ٢٣٣): «وقد تأثر شعراء الاندلس بطرق مُنشي الشعر الاسباني الأصلي، فبالوا اليها في شعرهم العربي ونظموا أبياتهم ومقاطعهم موافقةً لأصول التلحين والغناء ...»

وكذلك فعل مصطفى عوض الكريم- ولكن مع شيء كثير من الإصرار- إذ بدأ بقوله (فن الموشح ١٠٧):

«إن كثيراً من الأسئلة الحائرة لا تجد جواباً شافياً إلا إذا قبلنا النظرية القائلة بأن الموشحات ما هي إلا تقليد لشعر غنائي عجمي، وهي النظرية التي جاء بها

(١) الأدب العربي في آثار أعلامه، نصوص منتخبة وفقاً لنهاج البكالوريا اللبنانية لخليل تقي الدين وفؤاد أفرام البستاني وواصف بارودي (١٨٩٧ - ١٩٦٢ م)، الطبعة الكاثوليكية ١٩٣٥.
 واصدر بطرس البستاني (١٨٩٥ - ١٩٦٩ م) كتابه «أدباء العرب في الأندلس وعصر الانعات» (بيروت ١٩٣٧) فقال (ص ٨٠) «ولم يكن للأسبانيين موسيقى واعية قبل الفتح الإسلامي. فلما افتتحت الأندلس وانتشر الغناء العربي تذهبت موسيقاهم واصطبغت بالوان عربية بيضاء منها أنهم اتخذوا الشبابة من آلات الغناء: وهي عربية الأصل ولهم أناشيد يسمونها Segrel وهي مأخوذة من الزجل العربي... وعندهم ربع صوت وثلاث صوت. وأجزاء الأصوات عربية لا يستعملها في أوروبا غير الإسبانيين. وتقاطيعهم الصوتية تجري على نم واحد كالتقاطيع العربية. ومن الغاطهم ما يراجع فيه الغناء غير مرة، كما يراجع لفظ يا ليل في الغناء العربي». ثم يقول بعد صفحتين (ص ٨٢): «فاتعال منظومات التروبادور والموشحات في أكثر النواحي بحسنا على الاعتقاد أن العرب تأثروا بالأدب الأسباني الفرنسي (كذا) كما تأثر الأسبانيون والفرنسيون بالأدب العربي. فأخذ العرب فكرة التحرر من نظام الأوزان في أغانيهم وأخذ أولئك (بهند الآسيان والفرنسيين) القافية والصور الخيالية الجميلة».

المستشرقان الإسبانيان خوليان ريبيرا ومنديث بيدال وحشدا لها من الأدلة ما يجعل رفضها ضرباً من المكابرة والتعنّت .

ثم يذهب مصطفى عوض الكريم مذهب التعنّت فيقول (ص ١٠٩):

«ولكن الأستاذ نيكل يزعم أن الطروبيين هم الذين تأثروا بالموشحات ويسوق الحجج والأدلة التي تثبت رأيه ويذكر أن الموشحات فن عربي بحث ترجع أصوله إلى الشعر التقليدي المشرقي وحده .»

ويتابع عوض الكريم الكلام فيقول:

«ونحن أميل إلى الرأي القائل بأن الوشاحين الأوائل قد قلدوا شعراً غنائياً عجبياً كان موجوداً أمامهم سمعوه وامتلات نفوسهم بموسيقاه وألحانه فحاولوا النظم على نهجه فجاءت الموشحات .»

ب) النظرية الفنية- قال ابن خلدون في مقدمته (ص ٥٨٣ / ١١٣٧): «وأما أهل الأندلس فلما كثّر الشعر في قُطْرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنسيق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنّاً منه سَمَوُهُ بالموشّح ينظمونه أسباطاً أسباطاً وأغصاناً أغصاناً يُكثِّرون من أعاريضها المختلفة ويسمّون المُتَعَدِّد منها بيتاً واحداً، ويلتزمون ذلك عند قوافي تلك الأغصانِ وأوزانها متتالياً في ما بعدُ إلى آخر القطعة، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبياتٍ. ويشتمل كلُّ بيتٍ على أغصانٍ عددها بحسب الأغراس والمذاهب. وهم ينسبون فيها ويمدحون كما يُفَضَّل في القصائد. وتجاوزوا في ذلك إلى الغاية، واستظرفه الناسُ جُمْلَةً، الخاصةُ والكافةُ، لسهولة تناوله وقرب طريقته .»

ج) نظرية تطور الأنواع الأدبية- قال ابن رشيق (العمدة ١: ١٤٩ وما بعدها):

«ومن الشعر جنسٌ كله مصرّع^(١)، إلا أنه مختلف الأنواع. فمن ذلك الشعر

(١) التصريح أن يكون صدر البيت وعجزه مقفين، كمتالع مطعم النضائد.

المُسَطُّ، وهو أن يتدبّر الشاعر بيت مصرع ثم يأتي بأربعة أقسامٍ على غير قافيته، ثم يعيد قسماً^(١) واحداً من جنس ما ابتدأ به. وهكذا إلى آخر القصيدة... والقافية التي تتكرر في التسميط تسمى عمود القصيدة. واشتقاق (المسط) من السبط، وهو أن تجتمع عدة سلوك^(٢) في باقوتة أو خرزة ما، ثم تنظم كل سلك على جديته باللؤلؤ سيراً، ثم تجتمع السلوك كلها في زهرجدة واحدة أو شبهها. ثم تنظم كل سلك على حدته وتصنع به كما صنعت أولاً إلى أن يتم السبط. وهذا هو المتعارف عند أهل الوقت^(٣). «والمسطات جاءت في أوزان كثيرة مختلفة».

هذا الشعر المسط قديم في الأدب العربي: كان معروفاً منذ الجاهلية، ويقال إن امرأ القيس نفسه نظم شيئاً منه^(٤).

د النظرية الموسيقية- قال ابن سناء الملك في كتابه دار الطراز (ص ٣٥-

(٣٩):

«ومن الموشحات ما لا مدخلَ لشيء منه في أوزان العرب^(٥)، وهو الكثير والجَمّ الغفير والعدد الذي لا ينحصر. وأكثرها مَبْنِيٌّ على تأليف الأَرْغُن^(٦). ومن الموشحات قِسْمٌ أقفالُه مخالفةٌ لأوزان أبياته مخالفةٌ تامّة. وهذا القسم لا يجسُرُ على عمله إلا الراسخون في العلم من أهل هذه الصناعة. فأما من كان طَفِيلِيًّا على هذه المائدة فإنه إذا سمعَ هذا الموشحَ ورأى مَبَانِيَةَ أوزانِ أقفالِه لأوزانِ أبياتِه ظَنَّ أن ذلك جائزٌ في كل موشح^(٧)، ففعلَ ما لا يجوزُ عَمَلُهُ وما لا يُشَبِّه التلحينُ له وتظهرُ فضيحَتُه في وقتِ غِنائِه، فإنَّ المغنّيَ ببعضِ الآلاتِ يحتاجُ إلى أن يغيّرَ شدَّ الأوتار عند خروجه

(١) القسم: الشطر (جمعاً قسماً).

(٢) السلك هو الخيط الذي تملك (تجمع) فيه اللؤلؤ والخرز.

(٣) هذا يدل على أن التوشيح كان قد أصبح شائعاً جداً في أيام ابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ).

(٤) راجع العمدة: ١: ١٥٠-١٦٠.

(٥) أوزان الشعر العربي.

(٦) الأَرْغُن أو الأَرْغُول (الأرغُل): زمارة ذو قصبين مُتَقَبَّضَيْنِ إحداهما أطول من الأخرى (المنجم

الوسيط ١٤).

(٧) يسمي ابن سناء الملك وغيره من التأخرين الموشحة «موشعاً» أيضاً.

من القفل إلى البيت ومن البيت إلى القفل . فالموشحات إذن نشأت من حاجة المفيين إلى كلام يسايرون به الألحان . إن المشاركة كانوا إذا أعجبوا بشعر دغموه إلى مفر يسكب عليه لحناً موافقاً . وبما أن محور الشعر العربي المختارة محدودة ، فإن الألحان التي كانت تسكب على المقطعات العربية ظلت أيضاً محدودة . أما الأندلسيون فكانوا يلقون آذانهم إلى الألحان ثم يؤلفون عليها الكلمات . وبما أن الألحان التي يمكن استخراجها غير متناهية نظرياً وعملياً ، فإن أوزان الموشحات التي نظمت كانت كثيرة الاختلاف عد منها مارتن هارتان مائة وستة وأربعين مزيجاً سمى كل مزيج منها بمرآة^(١) .

والتوشيح الصحيح فن صعب ، فإن على الوشاح أن يكون موسيقياً قبل أن يكون شاعراً ، والعرف على الآلة الموسيقية هو الميزان الصحيح لبراعة الوشاح . وقد شرح ابن سناء الملك ذلك ثم ضرب عليه مثلاً وقال : « وأكثرها مبنياً على تأليف الأرغن . والقائم بها على غير الأرغن مستعار وعلى سواه مجاز » . ومن الموشحات قسم يستقل به التلحين ولا يفتقر إلى ما يُعينه عليه وهو أكثرها ، وقسم لا يحتمله التلحين ولا يمشي به إلا بأن يتوكأ على لفظة لا معنى لها تكون دعامة للتلحين وعكازاً للمغني ، كقول ابن بقي :

من طالب ثار قتلي طيبات المذوج فتأنات الحجيح ،

فإن التلحين لا يستقيم (في هذه الموشحة) إلا بأن يقول (المغني) « لا لا » بين الجزعين الجيمين من هذا القفل .

فن الموشح :

قال ابن سائر الشنبري في الموشح كلمة جامعة هي (الذخيرة ١ : ٤٦٨ - ٤٧٠) :

« وكان أبو بكر (عبادة بن ماء السماء المتوفى نحو سنة ٤٢٢ هـ) في ذلك العصر شيخ الصنعة وإمام الجماعة : سلك إلى الشعر سلكاً سهلاً ، فقالت له غرائبه :

مرحباً وأهلاً. وكانت صنعة التوشيح التي نجح أهل الأندلس طريقتها ووضعوا حقيقتها غير مرموقة البرود ولا منظومة المقود^(١). فأقام عبادة هذا ينآذها وقوم ينلها وينآذها^(٢). فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه ولا أخذت إلا عنه. واشتهر بها اشتهاً غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته^(٣).

«وهي أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب، تُشَقَّ على سماعها مصونات الجيوب، يلي القلوب^(٤). وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا^(٥) واخترع طريقتها- فيما بلغني- محمد بن محمود القبري الضري^(٦). وكان يصنمها على أنظار الأشار^(٧). غير أن أكثرها على الأعارض المهملة غير المستعملة^(٨): يأخذ اللفظ العامي والعجمي^(٩) ويسمي المركز^(١٠) (تم) يضع عليه

(١) مرموقة (مرئية) البرود (الأثواب من الحرير): غير منوعة. ولا منظومة المقود (مرتبة): ليس لها قواعد.

(٢) المتاد: التثني الموج. الميل: الانحراف عن الطريق القويم. السناد: اختلاف في القافية سيف (يفتح السين) وريف (يكسر السين).

(٣) ذهب بكثير من حسناته: برع أبو بكر عبادة في أكثر وجوه التوشيح.

(٤) الجيب (يفتح الجيم): مدخل الرأس من الثوب. شق الجيب كتابة عن الحزن الشديد أو الفرح الشديد.

(٥) أفقتنا: صقنا، منطقتنا، بلادنا (الأندلس).

(٦) قبرة: بلدة في الأندلس. ومحمد محمود القبري الضري ينسب إليه ابن بسام نظم موشحات. وفي جدوة

المقتبس (ص ٨٦) وبغية المقتبس (ص ١٢١-١٢٢) أنه «أديب شاعر»- وذلك رواية عن ابن حزم

الأندلسي- ولم يذكر هناك أنه نظم موشحات. وفي مقدمة ابن خلدون (ص ١١٣٨/٥٨٤) ينسب

اختراع الموشحات إلى مقدم بن معاني القبري (وفي النسختين معاني القبري أو القبريري- وذلك

خطأ) ثم في جدوة المقتبس (ص ٣٣٣) وبغية المقتبس (ص ٤٦٠): «مقدم بن معاني القبري شاعر

معروف في أيام عبد الرحمن الناصر» (٣٠٠-٣٥٠هـ). وفي نفع الطيب (٣: ٥٣٨): «.... قال

المقدم بن المعاني (يتصرف الاسمين) في رثاء سعيد بن جودي....» (ثلاثة أبيات). ثم (٦: ٧): «....

مقدم بن معاني (بالتشكيك)....» (مقطع منقول من مقدمة ابن خلدون).

(٧) قل أن يبنى الموشح على البيت الكامل (على شطرين) والمألوف أن يبنى على أشطر مختلفة القوافي

(والأوزان أحياناً).

(٨) الأوزان التي لم يألف العرب استعمالها (مع أنها جارية على موسيقى الشعر).

(٩) العجمي (هنا) لغة نصارى الأندلس (لاتينية مشوّهة).

(١٠) المركز: القفل أو القفلة (من حيث تعود القافية إلى الطلغ).

الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان^(١). وقيل إن ابن عبد ربّه صاحب كتاب «العقد»^(٢) أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا. ثم نشأ يوسف بن هرون الرّمادي^(٣) فكان أول من أكثر فيها التضمين في المراكز^(٤): يضمن كل مركز يَفُفُ عليه في المركز خاصة. فاستمرّ على ذلك شعراء عصرنا كمكرم بن سعيد وابن أبي الحسن^(٥). ثم نشأ عبادة هذا فأحدثت التّصغير، وذلك أنّه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمنها، كما اعتمد الرّمادي مواضع الوقف في المراكز.

«وأوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض هذا الديوان»^(٦) إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب^(٧).

نسق الموشحات

للموشحات نسقان رئيسان: النسق المؤلف والنسق المختلف- والنسق المؤلف يكون عادة في الموشحات التي على الأبحر المألوفة، من الرّمل في الأغلب. ويكون للموشح على النسق المؤلف مطلع ثم تليه الأبيات. ويكون كل بيت من أشطر وقفل (أو قفلة). ويحسن أن تُشير إلى ثلاث درجّات من الموشحات المؤلفّة: الموشحة المفردة (البسيطة) والموشحة المثناة (المزدوجة) والموشحة المركبة (المتعددة). ومثال الموشحة المفردة الموشحة المنسوبة إلى أبي بكر بن زهر.

المطلع: أيها السامي، إليك المشتكى، قد دعوتك وإن لم تسمع!

(١) أشطر مختلفة.

(٢) راجع، فوق، ص ٤٣٩.

(٣) راجع فوق، ص ٤٣٩.

(٤) المراكز (كذا في الأصل): المراكز.

(٥) مكرم بن سعيد وابنا أبي الحسن (٢).

(٦) هذا الديوان: هذا الكتاب (الدّعيرة). إن علماء الشعر الأندلسيين لم ينظروا إلى الموشح نظر الجهد فلا نجد مختارات منه في العقد (مع أنّه يقال إن ابن عبد ربّه من السابقين إلى هذا الفن)، إلخ.

(٧) الصحيح أن الأوزان التي بنى عليها الموشح عربية (لها موسيقى الفناء العربي)، ولكنها لم تكن مألوفة لأسباب خارجة عن نطاق هذه الحاشية.

ونديم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته .
كلما استيقظ من سكرته

جَذَبَ الزُّقُّ إِلَيْهِ وَاتَّكَا وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعِ .

فالطلع في الموشحة المفردة يتركب من سَطْنين لكل سَطْنٍ منها قافيةٌ مستقلة . أما البيتُ فيتركب من خمسة أساطير : ثلاثة أساطير على رَوِيٍّ واحدٍ ثم سَطْنين قافيةً كل سَطْنٍ منها على رَوِيٍّ السَطْنِ المقابل له في المطلع . وجميع الأبيات في الموشحة تجرِّي في البحر والترتيب والتنقية هذا المجرى .

أما الموشحةُ المثناءُ فتكونُ الأساطيرُ في مَطْلَعِها أربعةً ، أي مُضاعفة . ويُبنى صدرًا المَطْلَعِ على رَوِيٍّ وعَجْزاء على رَوِيٍّ آخَرَ . وكذلك يكونُ البيتُ في الموشحة المثناء مضاعفاً (سِتَّةَ أساطيرٍ يروِيُّ لصدورها وروِيٍّ آخَرَ لأعجازها ، ثم أربعة أساطير في القفلة تُقابلُ بقوافيها قوافي المطلع) . - مثال ذلك موشحة إبراهيم بن سهل :

هل دَرَى ظَنِّيُ الجَمِي أَن قد حَمَى	قلبَ صَبٍّ حَلَّه عن مَكْنَسٍ ؟
فَهُوَ في حَرٍّ وَخَفَقُو بِثَلَا	لَعِبَت رِيحَ الصَّبَا بِالقَبَسِ
ها بُدُورًا أَشْرَقَتْ يَوْمَ النَوَى	غُرَّرًا تَلُوكُ في نَهْجِ القَرَرِ ،
ما لِنَفْسِي في الهوى ذَنْبٌ سِوَى	مِنْكُمْ الحُسْنَى وَمِنْ عَيْنِي النظرُ .
أَجْنَتِي اللذاتِ مَكْلُومَ الجَمَى .	والتداني من حبيبي بالفكرُ .
كَلَّمَا أَشْكُوهُ شَوْفِي بَسًا	كَالرُبْسِ بِالْمَارِضِ المُتَجَسِّسِ ،
إِذ يُقِيمُ القَطْرُ فِيهَا مَأْمَا	وَهِيَ من تَهَجَّتِها في عُرْسِ .

وأما الموشحة المتعددة فهي التي يكون المطلع فيها مُركَّبًا من سِتَّةِ أساطير مجزوءة (لأنها لو جاءت تامة لطلال النسق فيها فتفقد روعة النعم) ، ويكون البيت فيها بالتالي ثلاثة أضعاف البيت في الموشحة المفردة . فاعتبر موشحة ابن زُهَيْرِ التالية :

ما لِلْمَوْتَةِ من سُكْرِهِ لَا يُغْنِي يَا لَهُ سَكَرَانِ
من غير خبر ما لِلكَتِيبِ الشَّقِيقِ بِتَدْبِ الْأَوْطَانِ.

* * *

هل تُستَعَاذُ أَيَّامُنَا فِي الْخَلِيجِ وَلِيَالِينَا؟
أَوْ يُسْتَفَاذُ مِنْ السَّيْرِ الْأَرِيحِ بِسُكِّ دَارِينَا؟
وإِذْ يَكَادُ حُسْنُ الْمَكَانِ الْبَهِيحِ أَنْ يُعَيِّنَا.
نَهْرُ أَظْلَةٍ دَوَّحٌ عَلَيْهِ أُنَيْقُ مُورِقُ قَيْنَانِ
وَاللهُ يَجْرِي وَعَالَمٌ وَغَرِيقُ مِنْ جَنَى الرَّهْنَانِ.

ثم هنالك الموشحات ذوات النسخ المختلفة، وهي موشحات لم يتيسر الوشاحون فيها قاعدة ما، بل كان كلُّ وشاح يختار من ترتيب الأشرطة ومن ترتيب القوافي ما كان يروق له أو يتفق له. من أجل ذلك قل أن نجد موشحتين على نسخ مختلف واحد، وخصوصاً إذا كان الوشاح قد تصرف في الأوزان فأتى ببحور الشعر مجزوءة على أقدار متفاوتة أو إذا خرج في موشحته عن أوزان العرب جملة. وهذا ما حمل ابن سلكه الملك على أن يقول^(١):

« والقسم الثاني من الموشحات هو ما لا مدخل لشيء منه في أوزان العرب. وهذا القسم منها (من الموشحات) هو الكثير والجَمُّ الغفير، والعدد الذي لا ينحصر، والشارد الذي لا ينضبط. وكنت أردت أن أقيم لها عروضاً يكون دقراً لحسابها، وميزاناً لأوتادها وأسبابها^(٢)، فمر ذلك وأغوز لخروجها عن الحصر وانفلاتها من الكف. وما لها عروض^(٣) إلا التلحين، ولا ضرب إلا الضرب^(٤)، ولا أوتاد إلا

(١) دار الطراز.

(٢) الوند في العروض (نظم الشعر) مقطع مؤلف من ثلاثة أحرف أحدها ساكن في وسط المقطع (نحو: فيل، بحر) أو في آخره، (نحو: على؛ فقط). والسبب مقطع من حرفين متحركين (نحو: فم؛ بد) أو متحرك وساكناً (نحو: قد، لم، ما).

(٣) العروض (نظم الشعر): مقياس، ميزان.

(٤) ضرب (الأول): نوع، جنس. ضرب (الثانية) هزف، نفر على الآلة الموسيقية.

الملاوي^(١)، ولا أسبابَ إلا الأوتار^(٢). فهذا العروض يُعرَفُ الموزونُ من المكسور،
والسالمُ من المَرْحُوفِ^(٣)».

فَمِنْ أُمْتِلَاقِ النَّسَقِ الْمُخْتَلَفِ مَوْشَحَةً أَيْ بِكَمْرِ الْأَبْيَضِ الْوَشَاحِ (قَارِنْ الْأَوْزَانَ
وَالْفَوَائِي فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بِمَا يُقَابِلُهَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي):

البيت الأول البيت الثاني

مَا لَدَّ لِي شُرْبُ رَاحٍ	مِمَّا أَبَادَ الْقُلُوبَا
عَلَى بِسَاطِ الْأَقَاحِي،	يَمْنِي لَنَا مُسْتَرِيَا.
لَوْلَا هَضِيمُ الْوِشَاحِ	يَا لَحَظَهُ، رُدُّ نُوبَا.
إِذَا أَسَا فِي الصَّبَاحِ؛	وَمَا لَهَا السَّنِيَا،
أَوْ فِي الْأَصِيلِ	بَرْدُ غَلِيلِ
أَضْحَى يَقُولُ:	صَبَّ عَلِيلِ
مَا لِلشَّمُولِ؟	لَا يَسْتَحِيلُ
لَطَمْتُ خَدَي!	فِيهِ عَن عَهْدِي.
وَلِلشَّانِ؟	وَلَا يَزَالُ
هَبَّتْ فَهَا	فِي كُلِّ حَالِ
غُصْنُ اعْتِدَالِ	يَرْجُو الْوِصَالِ
ضَمَّه بُرْدِي!	وَهُوَ فِي الصَّدِّ.

(١) الأوتار جمع وثد (انظر الحاشية ٢، ص ٤٣١). الملاوي (جمع ملوي بكسر الميم): قطع من الخشب لربط الأوتار (المعجم الوسيط ٨٥٥) - لعلها المفاتيح التي تضبط بها أوتار العود يشدها على مقادير معينة.

(٢) الأسباب (راجع الحاشية ٢، ص ٤٣١). الأوتار (أوتار الآلة الموسيقية)، أي قواعد شدها.

(٣) فهذه العروض (هذا الميزان الشعري). المكسور (الشعر الخارج عن الوزن الصحيح). المرحوف: التفعيل الذي دخله الزحاف (بكسر الزاي): تغيير يلحق الحرف الثاني في السبب (المعجم الوسيط ٣٩١)، أي الاضطرار إلى تحريكه (إذا كان ساكناً) أو تسكينه (إذا كان متحركاً).

للموشحة من النَّسَبِ الْمُؤْتَلَفِ أجزاء مُتَحَبَّرَةٌ أُطْلِقَ عَلَيْهَا عِدَدٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ . وَمَعَ
أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ تَخْتَلَفُ بَيْنَ كِتَابٍ وَكِتَابٍ ، فَأَشِيرُ إِلَى أَشْهَرِهَا فِيمَا يَلِي (بِالْإِشَارَةِ إِلَى
الموشحة المشهورة لَابِنْ زُهَيْرٍ):

(١) أَتَمَّا السَّامِي إِلَيْكَ الْمُشْكِي قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْعِرْ

(٢) وَنَدِيرٌ هَبْتُ فِي غُرَّتِهِ

(٣) وَشُرْبُ الرَّاحِ مِنْ رَاحَتِهِ

(٤) كَلَّمَا أَشْفِظُ مِنْ سَكْرَتِهِ

(٥) جَذَبَ الرِّقُّ إِلَيْهِ وَأَتَكَ وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعِ

تبدأ الموشحة المؤتلفة بمطلع أو مذهب (رقم ١) مستقل، وهو الذي تُبنى عليه
الموشحة فيما يتعلق بالوزن وبعدد الأَشْطُرِ وبالأعاريض (جمع عَرُوضٍ: الْكَلِمَةُ الَّتِي
يَنْتَهِي بِهَا كُلُّ شَطْرِ، أَيْ الْقَافِيَةِ). وَيَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ كُلِّ شَطْرِ فِي الْمَطْلَعِ
« غَرَسًا ».

ثم تأتي الأساطُ (رقم ٢، ٣، ٤) ومعها القُفْلُ أو القَفْلَةُ أو اللازمة (رقم ٥).
وجميع هذه الأَشْطُرِ (رقم ٢، ٣، ٤، ٥) تُسَمَّى « بَيْتًا ». أَمَّا الْأَسَاطُ وَحْدَهَا (رقم
٢، ٣، ٤) فَتُسَمَّى « الدَّوْرُ » (لأنَّ قَوَائِمَهَا تَدَوَّرُ فَنَأْتِي فِي كُلِّ بَيْتٍ مُخْتَلِفَةً عَمَّا مَرَّ فِي
الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ). وَأَمَّا كُلُّ شَطْرِ فِي الْقُفْلِ فَيَحْسُنُ أَنْ نَحْفَظَ لَهُ اسْمًا « غُصْنًا » (لأنَّه
يَتَفَرَّعُ مِنَ الْغَرَسِ الَّذِي فِي الْمَطْلَعِ). وَالْقُفْلُ أَوِ الْقَفْلَةُ غَايَتُهَا قُفْلُ « الْبَيْتِ »، أَيْ
خَتَمُهُ. وَقَدْ يُسَمَّيانِ « الْلازِمَةُ » لَأَنَّهَا « تَلَزُمُ » الْبَيْتَ، أَيْ تَصْحَبُهُ بِلا شُذُوزٍ ثُمَّ تَكُونُ
قَافِيَتَاهَا كَقَافِيَتَيْ الْمَطْلَعِ. وَأَمَّا الْقُفْلُ فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ مِنَ الْمَوْشَحَةِ فَيُسَمَّى الْخُرْجَةً،
لأنَّ الْوَسَّاحَ يَخْرُجُ بِهَا مِنَ النَّظْمِ (أَيْ يَنْتَهِي مِنَ النَّظْمِ)، فَبِهِيَ عِلَامَةُ انْتِهَاءِ الْمَوْشَحَةِ.

أعراض الموشحة

الأعراض جمع عروض (يفتح العين- وهي مؤنثة): اسم للجزء الأخير من النصف الأول من بيت الشعر (القاموس ٢ : ٣٣٤) في القصيد، أو هي الكلمة الأخيرة في كل شطر من أشطر الموشحة (أي القافية).

وللأعراض في الموشحة المؤتلفة (سواء أكانت مفردة المطلع أو مزدوجة المطلع أو متعددة المطلع) قواعد ثابتة لتوالي القوافي: ففي المطلع للموشحة المفردة (راجع موشحة ابن زهر، ص ٤٢٩ - ٤٣٠) وللموشحة المزدوجة (راجع موشحة ابن سهل الإشبيلي، ص ٤٣٠) قافيتان مختلفتان. أما الموشحة ذات المطلع المتعدد (راجع موشحة ابن زهر، ص ٤٣١) ففي مطلعها في العادة ثلاث قوافٍ مختلفات.

وللأساط في الموشحة المفردة قافية واحدة مستقلة. أما الأساط في الموشحة المزدوجة فيكون لها قافيتان مستقلتان: قافية للأساط اليمنى (صدور الأساط) وقافية أخرى للأساط اليسرى (أعجاز الأساط).

وأما في الأفعال (وفي الخرجة) فإن القوافي تتبع في تنوعها وفي ترتيبها قوافي المطلع.

وربما تملح الوشاحون المتأخرون بإدخال الفاظ أو جمل من العامية أو الأعجمية (لغة النصارى الإسبان) في خرجة الموشحة.

الخرجة خاصة

الخرجة أو القفل هي الأشطر الأخيرة في الموشحة، وتكون في العادة باللغة الفصحى. غير أن نفرًا من الوشاحين المتأخرين عن نشأة التوشيح قد مالوا إلى التملح بإدخال كلمة من العامية في الخرجة أو أكثر من كلمة أو إلى أن يجعلوا بعض الخرجة أو الخرجة كلها باللغة العامية. وربما جعلوا هذه الألفاظ أو الأشطر باللغة الأعجمية (لغة نصارى الأندلس، وهي لهجة رومانية مزيج من اللاتينية العامية ومن بقايا محلية).

يَبْدُ أَنْ هَذَا التَّمْلُحُ لَيْسَ جَدِيداً مَقْصُوراً عَلَى الْوَسَّاحِينَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، فَلَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى ذَلِكَ الشُّعْرَاءُ الْمُحَدِّثُونَ فِي مَطْلَعِ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ، فَقَدْ رَأَيْنَا الْعَبَّاسَ بْنَ الْأَحْنَفِ (ت ١٩٨ هـ = ٨١٤ م) يَقُولُ فِي طِفْلة صَغِيرَةٍ:

تُنَادِي كُلُّهَا رِيْعَتٌ مِنْ الْعِرَّةِ: يَا (بَابَا)!

وَيَبْدُو أَنَّ أَبَا نَوَاسٍ (ت ١٩٩ هـ) قَدْ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا التَّمْلُحِ فَجَاءَ بِهِ أحياناً شَطِراً كَامِلاً مِنَ الْأَلْفَاظِ الْفَارْسِيَةِ فِي الْوِزْنِ الْعَرَبِيِّ، كَقَوْلِهِ:

يَا غَاسِلَ (الطَّرْجَهَارِ) لِلخَنْدَرِيسِ الْعُقَارِ^(١)،

يَا نَرْجِسِي وَهَارِي (بَدَهْ مَرَا، يَكْ بَارِي)^(٢).

وظَهَرَ هَذَا التَّمْلُحُ فِي الشُّعْرِ، (وَفِي النَّثْرِ أَيْضاً) فِيهَا بَعْدُ، قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ (ت ٢٨٣ هـ = ٨٩٦ م):

أَعْجَمِي (أَيْنُوسَه) عَرَبِيٌّ مَجْدُهُ يَنْتَمِي إِلَى عَدْنَانَ^(٣).

وَلَكِنْ هَذَا التَّمْلُحُ كَانَ مِنْ بَابِ الْهَزْلِ لَا مِنْ بَابِ الْحِجَّةِ. قَالَ الْمُتَنَبِّي (ت ٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م):

وَكَلِمَةٍ فِي طَرِيقِي خِفْتُ أَغْرِبُهَا فَيُهْتَدَى لِي، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحَنِ^(٤)!

وَلَا نَعْلَمُ مَتَى بَدَأَ هَذَا الْمَزَاحُ (اسْتِعْمَالُ غَيْرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ فِي خُرُجَاتِ

(١) الطَّرْجَهَارَةُ (مَنْعَجٌ فَسْكَونٌ فَتَشْحُ): إِنَاءٌ يَنْسِبُهُ الْكَأْسُ. الْخَنْدَرِيسُ (الْحُمْرُ الْقَدِيمَةُ) الْعُقَارُ (الْحَبِيدَةُ). - أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَسْلُكُ الْكَأْسَ جَدِيداً لِيُرْوِلَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ آخَرَ (حَتَّى نَصَبِحَ خَلِيقَةً بَأَنَ نَصَبَ فِيهَا تِلْكَ الْحُمْرَ)...

(٢) الْهَارِ: زَهْرٌ (أَصْفَرٌ) يَنْبُتُ فِي أَوَائِلِ الرَّبِيعِ. بَدَهْ مَرَا (أَعْطَيْتُهَا، اسْفَيْتُ فِيهَا) بِكَ: وَاحِدٌ. بَارَهْ: نَوْبَةٌ، مَرَّةٌ، قِطْعَةٌ. يَكْ بَارِي (مَرَّةً وَاحِدَةً).

(٣) أَيْنُوسَه: حَضَارَةٌ، سُلُوكٌ، أَسْلُوبٌ (حَيَاةٌ)، شَرِيعَةٌ، قَانُونٌ. عَدْنَانَ: جَدُّ عَرَبِ التَّمَالِ.

(٤) اللَّحْنُ: تَرْكُ الْأَعْرَابِ (الْكَلَامِ بِالْمَائِيَّةِ لَا بِالْفَعْصِي) - هُمْ قَوْمٌ لَا يَحْسِنُونَ الْكَلَامَ بِالْفَعْصِي، أَرَدَتْ أَنْ أَجَارِيَهُمْ فَلَمْ أَسْتَطِعْ لِأَنِّي مَطْبُوعٌ عَلَى الْكَلَامِ بِالْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ.

(الموشح). إِنَّ الطَّبَقَاتِ الأولى من الوشاحين- من الذين قيل إنهم نظموا في القرن الرابع للهجرة أو من الذين نظموا في القرن الخامس- لم تصل إلينا موشحاتهم أو لم تصل إلينا إلا عددٌ يسيرٌ من موشحاتهم. ومن مُراجعة كتاب « جيش التوشيح »^(١) نجدُ خُرُجَاتٍ عاميةً في الأكثر وأعجميةً في الأقل لشعراء أولهم ابنُ اللبانة (ت ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م) وآخرهم ابنُ زُهرٍ الحفيد (ت ٥٩٥ هـ = ١١٩٩ م).

واللحنُ العاميُّ أو الأعجمي يكونُ كَلِمَةً أو أكثرَ من كَلِمَةٍ، ويكونُ شطراً من الخُرْجَةِ أو يكونُ الخُرْجَةُ بِتَمَامِهَا. ففي خُرْجَةٍ لابنِ بَقيٍّ (ت ٥٤٠ هـ)^(٢) :
 قد بَلِينَا وابْتَلِينَا. (واش) يقولُ الناسُ فينا؟^(٣)
 قُمْ بِنَا، يا نورَ عَيْني، نَجْعَلِ الشكَّ بَقِينَا!

ولابنِ اللبانة (ت ٥٠٧ هـ) خُرْجَةٌ عاميةُ التركيب (جيش التوشيح، ص ٦٩):
 الله زانك بالاسمر زين كل عسكر قد خرجت، يا شاطر في الحرب ظافر .
 والخُرْجَةُ حينئذٍ تكونُ بغيرِ اللغةِ العربيةِ الفصيحةِ يُفَرَضُ فيها أن تكونَ مُبْتَذَلَةً وفيها إسفافٌ أيضاً كقول أبي القاسمِ المُنْشِي- وقد كان يقودُ الأعمى التَّطِيلِي المتوفى نحو ٥٣٠ هـ (جيش التوشيح، ص ١١٢):

قل لي قبل نقتلك: سروالك آش حَلَو؟ الخليل الجديد أَمَا كان القديم حَلَو ؟
 وإذا كانتِ الخُرْجَةُ أعجميةً فإنَّها تكونُ على وزنِ المَوْشَحَةِ التي ترد فيها تلك الخُرْجَةُ، كما تكونُ في العادة أيضاً في المعنى السَّفَافِ واللفظِ المُبْتَذَلِ.
 ومن الخُرُجَاتِ الأعجميةِ واحدةٌ لأبي بكرٍ بنِ رُحيم (وقد كان حياً سنة ٥١٥ هـ)- ولا أهُتدي لوجه المعنى فيها (جيش التوشيح، ص ١٧٩):

لمرني أو كدش ديبب حب سم بقا درد ميبب.

(١)

(٢)

(٣) واش (أو أي شيء).

فَينَ أَيْنَ جَاءَتِ الخُرْجَاتُ الأعْجَمِيَّةُ إِلَى المَوْشَحَاتِ الفَصِيحَةِ؟

لَا يَحْسُنُ أَنْ نُعَالِجَ الخُرْجَاتِ الأعْجَمِيَّةَ فِي مَعْرَلٍ عَنِ الخُرْجَاتِ العَامِيَّةِ، فَإِنَّهَا كُلُّهَا تَرْجِعُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ «نَظَرَفٍ» وَالتَّوْشَاحِ وَمِنْ مَيْلِ طَبَقَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلَى «اسْتَظْرَافٍ» السُّخْفِ فِي مَوَاقِفِ المَجْدِ!

وَفِي مُقَدِّمَةِ نَاشِرِ كِتَابِ «جَيْشِ التَّوْشِيحِ» هَلَالٍ نَاحِي مَنَاقِشَةٍ سَلِيمَةٍ صَحِيحَةٍ لِهَذِهِ الخُرْجَاتِ وَلِمَصْدَرِهَا، أَوْجِزُهَا فَيَا بَلِي:

ذَهَبَ خَوْلِيَانُ رِيْبِرَا وَمِيْنَنْدِيْثُ بِيْدَالُ وَغِرْزِيْهِ غُوْمِيْثُ مِنَ الْإِسْبَانِ تَمَّ تَابِعُهُمْ فِي رَأْيِهِمْ نَقَرٌ مِنَ الْعَرَبِ كَالدَّكْتُورِ مُصْطَفَى عَوَضِ الْكَرِيْمِ مُؤَلِّفِ كِتَابِ «فِي التَّوْشِيحِ» إِلَى أَنَّ الخُرْجَاتِ الأعْجَمِيَّةَ «تُثَلُّ الشُّعْرَ الْفَنَائِيَّ الرُّومَانِيَّ الَّذِي سَبَقَ المَوْشَحَاتِ».

وَقَدْ نَقَضَ هَلَالُ نَاحِي هَذَا الرَّأْيَ بِأَدَلَّةٍ مِنْهَا:

- لَيْسَ لَدَيْنَا غَاجُجٌ مِنْ ذَلِكَ الشُّعْرِ الْفَنَائِي الرُّومَانِي الَّذِي سَبَقَ المَوْشَحَاتِ.

- إِنَّ هَذِهِ الخُرْجَاتِ الأعْجَمِيَّةَ مُوزَوْنَةٌ وَزْنَ عَرَبِيًّا

- يُؤَخِّدُ بِهَا ذَكَرَهُ إِنْ بَسَّامٍ وَإِنْ سَنَاءُ الْمُلْكِ أَنَّ هَذِهِ الخُرْجَاتِ (العَامِيَّةِ وَالْأَعْجَمِيَّةِ) مِنْ نَظْمِ أَصْحَابِ المَوْشَحَاتِ أَنْفُسِهِمْ.

- إِنَّ نَفَرًا مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَغْرِفُونَ لُفْتَيْنِ (فِي الْأَنْدَلُسِ وَفِي الْمَشْرِقِ أَيْضًا) كَانُوا أَحْيَانًا يَنْظُرُونَ بِإِدْخَالِ الْفَاضِلِ وَجُمْلِيٍّ فِي أَشْعَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

الْخِصَائِصُ الْأَدْبِيَّةُ فِي المَوْشَحِ

أَوَّلُ خِصَائِصِ المَوْشَحِ عَذُوبَةُ الْأَلْفَاظِ مَعَ اسْتِعْمَالِ عَدِيدٍ مِنْهَا لِمَعَانٍ عَرَبِيَّةٍ قَلِيلَةٍ الشُّهُرَةِ فِي الْمَشْرِقِ نَحْوُ «أَكْحَلُ» بِمَعْنَى الْأَسْرَ^(١) وَ«سَانِيَّةٌ» (النَّاعُورَةُ) وَالرَّهْضُ

(١) فِي دِيَارِ الزَّوْرِ (عَلَى الْفَرَاتِ) يَقُولُونَ لِلْأَسْرِ «أَكْحَلُ». وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَا تَزَالُ مُسْتَعْمَلَةً فِي الْمَغْرِبِ.

(الضاحية، ظاهر المدينة). وهناك بعض الضعف في التركيب وفي الألفاظ، نحو «أنا فيه أهي» (في موشحة الأعمى التطيلي) مكان «به». غير أن الوشاحين لم يستعملوا كلمات عامية ولا تركوا الإعراب. وقد احتفظ نفرٌ منهم بأسلوبٍ مشرقٍ متين. وتكثرُ في الموشحاتِ الصُّورُ الشعريةُ في التشبيه والاستعارات البارة إلى حدِّ الرمزِ اللطيف، نحو:

وسَلَّتْ على الأفقِ بهُ الغُربِ والشرقي سُبُوقاً من البرقي
وقد أضحك الزهر بككه الغيوم

أما الصناعة اللفظية فقليلةٌ جداً في الموشح.

وكان الموشح منذ نشأته الأولى فناً وُجدانياً خالصاً يُعبّرُ عن شخصية شاعره، ولذلك كثرَ فيه الغزلُ والوصفُ والحمرُ وبطلَ فيه الوقوفُ على الأطلال والأغراض التقليدية الأخرى التي ظل الشعرُ المشرقيُّ ينوءُ بها. إلا أن الوشاحين المتأخرين طَرَقوا في موشحاتهم سائرَ فنون الشعر. قال ابن سناء الملك (دار الطراز ٣٧): «والموشحات يُعمَلُ فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والثناء والمجوى والمُجَوْن والزهد». وقال ابن خلدون (المقدمة ٥٨٣): «وَيُنْسَبُونَ فيها ويمدحون كما يُفَعْلُ في القصائد».

وبلَّغَتْ النظرَ أَنَّ الإِجادة في التوشيح لم تَنفَقْ لجميعِ الشُّعراءِ ولا لجميعِ الوشاحين، ذلك لأن التوشيح فنٌ وُجْدانيٌّ خالصٌ وفنٌ يستند، فوق ذلك، إلى الموسيقى استناداً أساسياً. فإذا لم يكن الشاعر وُجْدانياً مطبوعاً وعارفاً بأصولِ الموسيقى فإنَّ الإِجادة في الموشح لا تَنفَقُ له.

وكذلك لم يَعِشِ الموشحُ طويلاً، ولم يَمَرَّ فيه المشاركةُ براعةً تُذكرُ لهم؛ بل كان طوراً من أطوارِ الشعرِ أَزْدهرَ مُدةً ثم زال، كما اتَّفَقَ لَفْنُ المقاماتِ تماماً. إِنَّا نَجِدُ بينَ الحَيْنِ والحَيْنِ شاعراً يَنْظِمُ موشحةً، كما رأينا أَذْهَبَ كثيرين كتبوا مقاماتٍ. ولكنَّ ذلك كُلُّهُ من باب التقليد: إِنَّا نَرى في الموشحاتِ المتأخِرةِ شَكْلَ الموشحِ ولكننا نَفْتَقِدُ

روحه ونفتقد عبقرية الوشاح الأندلسي فيه.

أوائل الوشاحين

لَمَّا ذَكَرَ ابْنُ خَلْدُونٍ فَنَ الْمَوْشِحِ قَالَ (المقدمة ٥٨٤/١١٣٨):

«وكانَ المَخْتَرَعُ لَهُ بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ مُقَدَّمُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْقَبْرِيُّ^(١) مِنْ شُعْرِهِ الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُرَوَّاقُ؛ وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَيْهِ صَاحِبُ كِتَابِ الْعَيْدِ. وَ(لَكِنْ) لَمْ يَظْهَرْ لَهَا مَعَ الْمُتَأَخِّرِينَ ذِكْرٌ، وَكَسَدَتْ مُوشِحَاتُهَا. فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ بَرَعَ فِي هَذَا الشَّأْنِ عُبَادَةُ الْقُرَازُ شَاعِرُ الْمُعْتَصِرِ بْنِ صُهَابِ صَاحِبِ الْمَرِيَّةِ.»

إِنَّ الْمُنَادِلَ فِي تَارِيخِ الْأَدَبِ أَنَّ مُقَدَّمُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْقَبْرِيُّ الضَّرِيرَ هُوَ أَوَّلُ الذِّنِّ قَبْلَ فِيهِمْ إِنَّهُمْ نَظَّمُوا مُوشِحَاتٍ. وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْ مُوشِحَاتِهِ شَيْءٌ. أَمَّا ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ صَاحِبُ «الْعَيْدِ» فَاسْمُهُ أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ رَيْهِ (ت ٣٢٨ هـ). وَلَسْتُ أَرَى أَنَّهُ نَظَّمَ مُوشِحَاتٍ لِسَبَبَيْنِ رَئِيسَيْنِ:

١- لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مُوشِحَاتٌ تُنْسَبُ إِلَيْهِ.

٢- كَانَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ صَاحِبُ الْعَيْدِ مُوَلَّعًا بِإِيرَادِ أَشْيَاءَ مِنْ شِعْرِهِ فِي كِتَابِهِ «الْعَيْدِ» عِنْدَ كُلِّ مُنَاسِبَةٍ. وَلَمْ نَرَ أَنَّهُ أَوْرَدَ شَيْئًا مِنَ التَّوْشِيحِ مِنْ نَظْمِهِ. وَلَوْ أَنَّهُ نَظَّمَ مِنْ هَذَا الْفَنِّ الْجَدِيدِ الْجَمِيلِ شَيْئًا لَأَوْرَدَ مِنْهُ عَدَدًا مِنْ مَقَاطِعِ شِعْرِهِ الْمَوْشِحِ كَمَا أَوْرَدَ مِنْ شِعْرِهِ الْمُقَصَّدِ. إِلَّا إِذَا كَانَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ يَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ الشَّعْرَ الْجَدِيدَ كَانَ ضَرْبًا مِنَ الْعَبَثِ لَا يَلِيقُ بِإِيرَادِهِ فِي كِتَابِ بُنْيَ عَلَى الْجِدَا

وهناك شاعر آخر هو يوسف بن هرون الرمادي (ت ٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م)، وكان معاصروه يسمونه «المتني» لأنهم كانوا يرون أنه في منزلة أبي الطيب. وقد قيل إن للرمادي موشحات، ولكنها لم تصل إلينا.

أما أول من وصلت إلينا موشحاته فهو أبو بكر عبادَةُ بْنُ مَالِ السَّاءِ الْمُتَوَفَّى فِي مَالِقَةَ بَعْدَ شَهْرِ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٤٢١ (١٠٣١ م)، وإليه يرجع الفضلُ فِي تَوْسِيعِ فَنِّ

(١) نسبة إلى بلدة قبيرة (باتوت ٤: ٢٩). ثم اقرأ: معاني لا سامر.

الموشح والرقمي به. ثم جاء أبو عبادة القزاز ففاق أهل عصره في فن التوشيح. ونحن لا نعلم زمن القزاز بالتأكيد، بل نعرف أنه كان شاعراً في بلاط المعتصم بن صāحح في المربة. والمعتصم تولى حكم المربة في ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م).

ثم اتسع القول في الموشح فنبلغ فيه ابن اللبانة (ت ٥٠٧ هـ = ١١٣٣ م) والأغنى التطيلى (ت ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م) وابن بقي (ت ٥٤٠ هـ) وابن زهر (ت ٥٩٦ هـ = ١٢٠٠ م) وابن سهل الإشبيلي (ت ٦٤٩ هـ = ١٢٥١ م) ولسان الدين بن الخطيب وابن زمرق.

- ضعف الموشح لغوياً:

الموشح عملٌ قتيٌ يجب أن يجري في الفكرة البارة القريبة والتعبير السهل الأنيق، وإلا لم يكن للناظر فضل. إن التسهيل على الناظر في تحرير الموشح من رتبة الروي الواحد ومن أسر البحر الواحد إنما قصيد منه إتاحة الفرصة للموشح كي ينفق جهده في اقتناص المعنى الجميل وفي تحوير التركيب الأنيق. فإذا لم يستطع ذلك لم يبق له مسوغ في تفضيله الموشح على القصيد.

من أجل ذلك كله لم يكن للموشح بُد من أن يكون شعره من الناحية اللغوية ضعيفاً لأن عنايته تنصرف إلى المعنى واللفظ القريبين من الفهم العام. ولكن ما كان يجوز في الموشح أن يضعف حتى يصل إلى مثل قول أبي القاسم المنبشي (جيش التوشيح ١١٠):

الموى آله مبيود ديننا إلى التوحيد والجزع منا بعيد.

وإذا نظرت فكفــــــــــــــــار ولنا على الذنب إصرار
فما نراعي الرب وناهيك من ذنب.

- موقف النقاد من الموشح:

إذا كانت الروايات قد جاءت بأن نقرأ من شعره القرن الرابع - كأي عمر

أحمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) وكابن أخيه (واسمه وكُتِبَتْه أيضاً كاسم عمه وكنية عمه: أبو عمر أحمد بن عبد ربه)، وكالشاعر المشهور يوسف بن هرون الرُمَادي (٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م) - قد وَشَّعُوا، فَلَمَّحَ مُوشِحَاتُهُمْ؟ وإذا كانت قد ضاعت فما سبب ضياعها؟ وهل كان ضياع الموشحات الأولى اتفاقاً أو كان إهمالاً مقصوداً نتج من موقفٍ للوشاحين أنفسهم وللنقاد ومؤرخي الأدب؟

يرى إحسان عباس أَنَّ الموشحات «نالت تقدير الأندلسيين منذ البداية.... ولكنها لم تصبح موضع تقييد وتدوين في فترة مبكرة، بل ظلت تُسَمَّعُ وتُنَاقَلُ شفاهاً». أما مصطفى عوض الكريم فكان ظالماً - حتى لا نستعمل نحن كلمة أخرى نكون بها ظالمين له - لما قال: «ومن أقوى الأدلة على أصل الموشحات الأعجمي ازدراء أنصار الشعر التقليدي من العلماء والكتاب للموشحات وارتفاعهم من إيرادها». إنه قد نسب إهمال الموشحات إلى ازدراء العلماء. ولكنه لم يقل لنا ما الذي أَرْدَرَوهُ فيه: الشكل؟ أم الأغراض؟ أم الأسلوب؟ - إلا أن يكون جاداً في قوله إن الازدراء له كان لأصله الأعجمي. وليس في زعمه هذا شيء من المنطق. إن العرب - في عصر نشأة الموشحات - كانوا قد بدأوا يأخذون العلم والفلسفة عن الأعاجم.

ولو كانت نظرية عوض الكريم صحيحة لوجب أن يزدريّ العرب المسلمون ما جاءهم من العلم والفلسفة عن الأعاجم لأن العلم والفلسفة كانا وثيقي الصلة عند نشأتها في بيئة أسلافنا بالدين - فها يتعلق بالمقيدة من الفلسفة وفيها يتعلق بأوقات العبادات من العلم. ثم إن الموشح فن عوي أصيل كما سترى بعد قليل. ولقد كان يكفي في نقض رأي عوض الكريم أن نذكر أن الدكتور شوقي ضيف (وهو الذي كتب مقدمة لكتاب عوض الكريم) قد قال (ص ٨):

«والذي لا ريب فيه أن الموشحة فن أندلسي خالص. وقد يخالف الدكتور مصطفى عوض الكريم في أنها نبتت من الأغاني الإسبانية الأعجمية....»

ويحسُّ هنا أن نستعرض موقف نفرٍ من النقاد من الموشحات ومن روايتها في كتبهم أو إعمالها قليلاً أو جملة^(١).

أما ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) فقد سبق الكلام على ما يتصل به في شأن نظمه للموشحات وفي شأن غيابها من كتابه، كتاب العقد (راجع، فوق، ص ٤٣٩). وفي أواخر القرن الخامس (أو أوائل السادس) ألف ابن سعد الحخير البليسي (ت ٥٢٥ هـ) كتاباً عنوانه «مشاهير الموشحين في الأندلس» أو «نزهة الأنفس وروضة النَّاس في توشيح أهل الأندلس». وفي هذا الزمن نفسه أهمل الفتح بن خاقان الإشبيلي (ت ٥٢٩ هـ) إيراد شيء من الموشحات عند الترجمة لشعراء اشتهروا بالتوشيح كابن اللبابة (ت ٥٠٧ هـ) وابن باجَه (ت ٥٣٣ هـ) ثم أشار من بعيد إلى الموشحات بكثير من الاستهانة والتحقير فقال في ثنايا ترجمة أبي القاسم النيشي المعروف بعصا الأعمى للازمته لقطب التوشيح العظيم الأعمى التنطيلي: «ونكَّب عن المقطع الجذل إلى الغرض الفصل. وليس من شرط كتابي هذا إثبات بدائمه ولا أن أقف جذائمه^(٢)». وقد أثبت له ما هو عندي نافع ولغرضي موافق «مطمح الأنفس ٨٨».

ومع أن ابن بسام (ت ٥٤٢ هـ) قد أبدى إعجاباً بالتوشيح والموشحات فإنه نصَّ على أنه لم يورد في كتابه «الذخيرة» شيئاً منها لأنَّ «أوزانها خارجة عن غرض الديوان (الذخيرة) إذ أكثرها على غير أعاريض العرب». وأما الحجاري (ت نحو ٥٥٠ هـ) فقد عنيَّ بالموشحات في كتابه «المُسهب» الذي تطور على يد نفر من آل سعيد فأصبح كتاب «المغرب في حلى المغرب».

ولما جعل ابن جبير (ت ٦١٤ هـ) مراثيَّه^(٣) في زوجه عاتكة (في مجموع) سماء

(١) عني الدكتور مصطفى عوض الكرم في كتابه «فن التوشيح» (بيروت ١٩٩٦ م، ص ١١٠-١١٦) والدكتور إحسان عباس في كتابه «تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين (بيروت ١٩٦٢ م، ص ٢١٧-٢٢١) بهذه الناحية.

(٢) الأصوب: بمذاته (في سبيل صحة الجمع).

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي: الطوائف والمرابطين، ص ٢١٨.

« نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح » كان في هذا المجموع قصائد وموشحات.

وأورد ابن دحية الكلبي (ت ٦٣٣ هـ) في « المطرب » (ص ٢٠٤ - ٢٠٦) موشحتين لأبي بكر بن زهر مطلعاهما:

* سدان ظلام الشمر على أوجه كالبدور
* أيتها الساقى، إليك المشتكى: قد دعوناك وإن لم تسمع

بعد أن قدّمها بالمقطع التالي:

« والذي انفرد شيخنا به وانتقادات لتخليه طباعه وأصارت النبهاء خوكه وأتباعه الموشحات. وهي زبدة الشعر وخلاصة جوهره وصفوته. وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضيء المشرق ».

ولعل المؤلف الذي اتخذ موقفاً قاسياً تجاه الموشحات كان عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ) فقد ذكر أبا بكر بن زهر في كتابه « المعجب » (ص ٩٢) وأثنى عليه ثم قال: « ولولا أن العادة لم تجر بإيراد الموشحات في الكتب المجلدة المجلدة لأوردت له بعض ما بقي على خاطري من ذلك ».

هذا النص لا يمثل رأي عبد الواحد المراكشي وحده بل يدل أيضاً على أن نفرًا كثيرين من المؤلفين في تاريخ الأدب لم يكونوا يألّفون رواية الموشحات إلى جانب القصائد - ربما لاعتقادهم أن تلك نازلة عن هذه غير أن إحسان عباس يرى أن إهمال الرواية للموشحات كان قاعدة للمؤلفين السابقين على المراكشي، وأن المراكشي ظل يتمسك بهذه القاعدة من غير أن يعلم أنها قد فقدت سلطانها قبل زمنه بقرن على الأقل (٢١٨) تاريخ الأدب الأندلسي: عصر طوائف والمرابطين).

ثم جاء ابن سميد (ت ٦٨٥ هـ) فعُني في كتاب « المغرب » بالموشحات (تقليداً للحجاري مبتدئاً هذا الديوان البارع) عناية ظاهرة وختم عدداً كبيراً من أقسامه بفصول مستقلة سماها « أهداباً » (أي حواشي) وخصّ بها الموشحات والأزجال أيضاً.

وتقبّل ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ) الموشحات في كتابه «الذيل والتكملة» قبولاً حسناً إذ وجد لها مكاناً في تراجم أصحابها. وفي أواسط القرن الثامن تكلم ابن خاقنة (ت ٧٧٠ هـ) على نفر من الوشاحين وعلى الموشح نفسه في كتابه «مزية المرية» فقال: «وهذه الطريقة (التوشيح) من مخترعات أهل الأندلس ومبتدعاتهم الآخذة بالأنفس» (أي التاركة في النفس أثراً حسناً وارتياحاً).

ولم يكتفِ لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) بأن يؤلف في التوشيح كتاباً مستقلاً هو «جيش التوشيح»، بل نظم أيضاً عدداً من الموشحات. ونستطيع أن نقول بلا حذر إن أشهر الموشحات هي موشحة لسان الدين مطلعها:

جاذك القيثُ إذا القيثُ همى، يسا زمانَ الوصل بالأندلس.

واحتفل ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) بالموشح (التوشيح) والموشحات وخصّها بفصل من مقدمته وبرع في تعريفها وتأريخها حتى أصبح فصله هذا أساساً لكل دراسة جادة في هذا الفن الأندلسي الرائع.

وقد اعتمد المقرئ (ت ١٠٤٠ هـ) فصل ابن خلدون في التوشيح فغرف منه غرافاً (نسخ الطيب ٧: ٥ وما بعد) ثم مضى يورد الموشحات حيث وجد إيرادها متسقاً مع نهجه في التأليف.

ولكن يبدو أن النفرة من رفع الموشح إلى مرتبة القصيد ظلت واضحة جداً مدة طويلة حتى بعد سقوط الأندلس (٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م) فإن المقرئ يعتذر في «أزهار الرياض» (٢: ٢٢٧ - ٢٢٨) من إيراد الموشحات (ربما في كتابه: نفع الطيب وأزهار الرياض) ويقول في ذلك:

«كأنّي بمنقذٍ ليس له خيرة... يقول: ما لنا وإدخالَ الهزل (والمزاح) في مَعْرَضِ الجِدِّ الصُّرَاحِ، وما الذي أحوّجنا إلى ذكر هذا المنحى، والألبق طَرَحُهُ كُلُّ الأطْرَاحِ؟ فنقول:.... لم تزل كتب الأعلام مشحونة بمثل هذه الأوصاف. وليس مرادهم إثارة الهزل على غيره، وإنما ذلك من باب ترويح القلب وهو أعون على

خير. وللأسف في مثل ذلك حكايات يطول جلبها... وليس قصدنا نحن بهذا - علم الله - غرضاً فاسداً، وإنما غرضنا صحيح، وزندنا غير شحيح^(١). وليس في هذا القول للمقري مدح للموشح.

نرى مما تقدّم أن موقف النقاد من «الموشحات» كان موقفاً طبيعياً عادياً. إن «الموشح» فنّ من فنون الشعر نشأ في زمن معين لغرض مخصوص، ولم يكن حركةً تمثل عبقرية أمة كما نرى في الشعر نفسه أو في العلم أو في الفلسفة.

إن الموشحات التي وصلت إلينا نتاج القرن الخامس والقرن السادس ثم كثر التقليد عند الطبع على غير إرادتها. ثم إنها نشأت للتعبير الجذائي عن موضوعات شخصية كالغزل والخمر وبعض الوصف، تلك الأغراض التي تأتلف مع الغناء إلى حد بعيد - وقد كان الغناء من الأسباب التي دعت إلى نشوء فن التوشيح.

بهذا النظر نستطيع أن نقارن موقف النقاد من الموشح بموقفهم من عدد من فنون الأدب وأغراضه: كالطَّرْد والمقامات أو كالتَّجَزُّز أو كالفَرَز المذكر والمجون عامة. كل هذه الفنون والأغراض نشأت ثم انقرضت بين حداث في الزمن يتباعدان كثيراً أو قليلاً، ثم كان للنقاد منها مواقف مختلفة.

وإذا كان الموشح قد خَبَرَ شيئاً من القُتُور لدى نفر من النقاد ومؤرخي الأدب فلأسباب التالية:

- انطوائه عامة على كثير من المَزَل من حيث الأغراض وعلى شيء من التساهل من حيث الأسلوب.

- الضعف في التركيب اللغوي والنحوي.

- اللجوء في المخرجة أحياناً إلى جمل وتراكيب عامية أو عجمية (فرنجية).

- قلة البراعة في كثير من الموشحات بحيث أصبح مجموع الموشحات نازلاً في

(١) الزند: حديدية تنقح بها النار من الحجارة. وزندنا غير شحيح (بخيل): نحط كثيراً من الفضائل، وكان بإمكاننا إيرادها مكان هذه الموشحات.

المرتبة والإجادة عن مجموع القصائد.

وبعد، فإذا نَفَرْنَا من النقاد من الموشحات فإن نفرًا آخرين تَقَبَّلُوها قَبُولًا حَسَنًا، فلا مُسَوِّغَ لخلق قضية جاذبة من أجل ذلك. ولكن بما أَنَّ هذه القضية قد ثارت فلم يكن بُدَّ من هذه الكلمة الوافية.

راجع في النظرية العربية لنشأة الآداب الرومانسية:

Hispano-Arabic Poetry and its Relations with the Old Provençal Troubadours, by A. R. Nykl, Baltimore 1946.

Über the Beziehungen zwischen der arabischen und frühitalianischen Lyrik, von Silvestro Fiore, Köln 1956.

La poésie française 5 troubadours et Trouvères), par France Igly, Collection Mellior, Marabout, Paris, Pierre Seghers, éditeurs, 1960.

رحلة الأدب العربي إلى أوروبا، تأليف محمد مفيد الشوباشي، مصر (دار المعارف)

١٩٦٨ م.

عبادة بن ماء السماء

١ - هو أبو بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن أفلح بن الحسين بن يحيى
أمن سعيد بن قيس بن سعد بن عبادة^(١) المعروف بأبن ماء السماء، وُلِدَ في مالقة أو في
قُرطبة قَبْلَ سَنَةِ ٣٠٤ هـ - ٩١٦ - ٩١٧ م - (نفع الطيب ٤ : ٢٣). أمّا دائرة
المعارف الإسلامية فيها (٣ : ٨٥٥) أَنَّ مَوْلَدَهُ كَانَ فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ (نحو
٣٥٠ هـ = ٩٦١ م).

تَلَقَّى عُبَادَةُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ الْعِلْمَ عَلَى تَفَرُّعٍ مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الزَّيْدِيُّ
(٣١٦ - ٣٧٩ هـ). وَقد تَكَسَّبَ بِالشَّعْرِ: مَدَحَ الْعَامِرِيِّينَ (أَوْلَادَ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي
عَامِرٍ) كَمَا مَدَحَ عَلِيُّ بْنُ حَمْدٍ الْفَاطِمِيُّ صَاحِبَ مَالِقَةَ فَقَالَ فِيهِ:

أَبُوكُمْ عَلِيٌّ كَانَ بِالْمَشْرِقِ بَدَنَةً مَا وَرِثْتُمْ، وَذَا بِالْمَغْرِبِ أَيْضاً سِمَةً.
فَصَلُّوا عَلَيْهِ أَجْمَعُونَ وَسَلِّمُوا لَهُ الْأَمْرَ إِذْ وَلَّاهُ فَيْكُمْ وَلِيَّةٌ^(٢)

وكذلك مدح الوزير أبا عمر بن حزم، فيما قيل، ورثي أبا بكر بن زيدون^(٣).
وكانت وفاة عبادة بن ماء السماء في مالقة بعيد ٤٢٢ (١٠٣١ م).

٢ - كان عبادة بن ماء السماء من فحول الشعراء وكان أبرزهم مكانة في زمنه،

(١) سعد بن عبادة (ت ١٤ هـ = ٦٣٥ م) كان سيّد بني الخزرج في المدينة ومن أصحاب رسول الله.

(٢) في الحديث: «من كنت مولاهُ فَقُلْتُ مَوْلَاهُ» (حديث يوم غدیر عظم).

(٣) ابن حنّو هذا من ملوك الطوائف في مالقة، جاء إلى الحكم مرّتين (٤١٢ - ٤١٣ و ٤١٦ - ٤٢٧ هـ)
وكان فاطميّ الهوى والمُتَنَسِّس. وقيل في عبادة بن ماء السماء إِنَّهُ كَانَ مَعْرُوفاً بِالشَّيْخِ (نفع ١ : ٤٨٤).
والوزير أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم المتجسّلي تَوَفَّى سنة ٣٥١ هـ (جنوة المتنبس ١١٧). فإذا
كان عبادة قد مدحه (جنوة المتنبس ٢٧٥) - والخيران واردة في كتاب واحد - فيجب أن يكون
عبادة قد أَسَنَ كَثِيراً حَتَّى يَكُونَ قد اتَّصَلَ (قبل موته بإحدى وسبعين سنة) بوزير. وأمّا أبو بكر
عبد الله بن زيدون (ت ٤٠٥ هـ) فهو والد أبي الوليد أحمد بن زيدون الشاعر المشهور (ت ٤٦٣ هـ).

يُضاف إلى ذلك مُشاركة في علم الغناء وفي التنجيم. ولعبادة قصيد وموشح. ويبدو أن الموشح كان قد بقي إلى أيامه بسيطاً قليل الاختلاف عما عُرف من قبل من التسيط^(١)، فكان عبادة أول من جعل الموشح شكلاً من القصيدة قائماً بنفسه، ثم أحدث التضييق^(٢). وكان مُصنفاً له كتاب «أخبار شعراء الأندلس» قال فيه المقرئ (نفع ٣: ١٧٣) إنه كتاب حسن. وبراعة عبادة هذا إنما هي في التوشيح لا في القصيد. وشعره وصف ومدح ورناء وغزل وخمر.

٣ - مختارات من شعره

- قال عبادة بن ماء السماء في الغزل:

إنما الفتح جلال طالع لاح من أزراره في فلك^(٣)
خذه شمس، وليل شمره. من رأى الشمس بدت من حلك^(٤)!

- وقال يرثي أبا بكر بن زيدون^(٥)، وكان قد توفي في ضيعة له فنقل تابوته إلى قرطبة:

أي ركن من الرياسة هبضا وجمور من المكارم غيبضا^(٦)
حملوه من بلدة نحو أخرى كي يوافوا به قرأه الأريضا^(٧)،
مثل حمل السحاب ماء طيباً لتداوي به مكاناً مريضاً^(٨)!

(١) راجع، فوق، ص ٤١٤.

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي ١٥٤، السطر الثاني.

(٣) الأزرار: فتحة الثوب عند العنق. الفلك: المرء الذي يدور فيه الكوكب (حول الشمس).

(٤) الحلك: الظلام، شدة السواد.

(٥) راجع، فوق، ص ٤٤٧ للمؤلف الدكتور عمر الحاشية ٣.

(٦) حاش غلان النيه: كسره. غاش الماء: غار في الأرض.

(٧) القرى: القراب. الأريضا: الركني الرائحة، المعجب للمعين الخليلق للغير (راجع القاموس ٢: ٣٢٣).

(٨) طبيباً: كالطبيب - إعرابياً: مفعول به ثان من المصدر (حمل) المضاف إلى فاعله (السحاب). وماء (مفعول به أول).

- ولعبادة بن ماء السهل موشحة في الغزل *

مَنْ وَلِيَّ * فِي أُمِّهِ أَمْرًا وَلَمْ يَبْدِلْ * * يُغْزَلِ * إِلَّا لِحَاظِ الرِّثَا الْأَكْهَلِ ^(١).

جُرْتُ فِي * حُكْمِكَ فِي قَتْلِي، يَا مُسْرِفُ ^(٢)

فَأَنْصِفِ * فَوَاجِبُ أَنْ يُنْصِفَ النُّصِفُ،

وَأَرَاكِ * فَإِنَّ هَذَا الشُّوقَ لَا يَرَأُفُ

عَلَيَّ * قَلْبِي بِذَاكَ الْبَارِدِ السَّلْسَلِ * * يَنْجَلِي * مَا بَقُودِي مِنْ جَوَى مُشْعَلِ ^(٣).

إِنَّمَا * تَبْرُزُ، كَيْ تُوَقِدَ نَارَ الْفِتَنِ

صَنَاءً * مُصَوَّرًا فِي كُلِّ شَيْءٍ حَسَنٍ ^(٤).

إِنْ رَمَى * لَمْ يُخْطِرْ مِنْ دُونِ قُلُوبِ الْجِنِّ ^(٥)

كَيْفَ لِي * تَحْلُسَ مِنْ سَهْمِكَ الْمُرْسَلِ * * فَصِلِ * وَاسْتَبْقِنِي حَيًّا وَلَا تَقْتُلِ ^(٦).

يَا سَنَا * الشَّمْسِ وَيَا أَهْيَ مِنَ الْكَوْكَبِ

يَا مُنَى * النَّفْسِ وَيَا سُؤْلِي وَيَا مَطْلَعِي،

هَآ أَنَا * حَلَّ بِأَعْدَاكَ مَا حَلَّ بِي ^(٧)

(١) مَنْ نَوَّلَى أَمْرًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ..... الرثا: الغزال الصغير. الأكهل: الأسمر.

(٢) حار: ظلم.

(٣) علل (فعل أمر من علّ فلان فلاناً: سقاء ثياباً، مرة بعد مرة). البارود (الريق البارد). السلسل: الماء العذب الصافي السهل في المرور في المسجرة. الجوى: شدة الحب التي تنفضي إلى حزن شديد أو إلى مرض شديد.

(٤) تبرز أنت صناً كالصنم، كالصورة الجميلة).

(٥) الجن (بضم ففتح) جمع جنة (بالضم): وقاية (ترس). المقصود: إن رمي (هذا الغزال) الحب بهم من عينيه لم يخطئه (بل أصابه). لم يخطئه من دون قلوب الجن = لم يخطئه القلوب من دون (وراء) الجن.

(٦) حل (فعل أمر من وصل المبوب محبة): عطف عليه...

(٧) حلّ بأعدائك ما حلّ بي! (أدعو الله أن ينزل بأعدائك (من الحزن والحبيبة) مثل الذي نزل بي (لما همرتني).

عَذَلِي * مِنْ أَلَمِ الْهَجْرَانِ فِي مَعْرَلٍ ** وَالْخَلِي * فِي الْحُبِّ لَا يَسْأَلُ عَمَّنْ يُبْلِي ^(١).
 أَنْتَ قَدْ * صَبَّرْتَ بِالْحُسْنِ مِنَ الرُّشْدِ غَيًّا.
 لَمْ أَجِدْ * فِي طَرَفِي حَبْكَ ذَنْباً عَلَيَّ ^(٢).
 فَاتَّبِدْ * وَإِنْ نَشَأَ قَتْلِي، شَيْئاً فَهِيَ ^(٣).
 أَجْمِلَنَّ * وَوَالْتِي مِنْكَ يَدَ الْمُفْضِلِ ** فَهِيَ لِي * مِنْ حَسَنَاتِ الزَّمَنِ الْمُقْبِلِ ^(٤).
 مَا اغْتَدَى * طَرَفِي إِلَّا بَسْنَا نَاطِرِيكَ.
 وَكَذَا * فِي الْحُبِّ مَا يَلِيْسُ يَخْفَى عَلَيْكَ.
 وَلِذَا ^(٥) * أَنْشِدُ وَالْقَلْبُ رَهِيناً لَدَيْكَ:
 يَا عَلِيَّ * سَلَطْتَ جَفْنِيكَ عَلَى مَقْتَلِي ** فَأَبْقَى لِي * قَلْبِي وَجُدَ بِالْفَضْلِ يَا مَوْئِلِي ^(٦).

١ - ** جدولہ المقننس ٢٧٤ - ٢٧٥ (الدار المصرية) ٢٩٣ - ٢٩٤ (رقم ٦٦٢)، بغية
 المنس ٢٨٣ - ٢٨٤ (رقم ١١٢٣)، الطمح ١٨٤، الصلة ١٤٢٦، الذخيرة ١:
 ٤٦٨ - ٤٨٠؛ المغرب ١: ١١٥، ١١٦؛ فوات الوفیات ١: ٢٥٤ - ٢٥٧؛ نفع
 الطیب ١: ٢٩٤، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٨٧، ٥٢، ٥٣، ١٠٩؛ الخ دائرة المعارف
 الإسلامية ٣: ٨٥٥، الأعلام للزركلي ٤: ٣٠ (٣: ٣٥٨).

- (١) عذلي (الومي لك) على الألم (الذي أحدثته أنت في نفسي بسبب هجرانك لي) في معرل (معبد عندك): لا
 فائدة من أن أؤلمك لأن الخلي (الذي لم يعرف الحب بعد) لا يسأل (لا يستطيع أن يدرك ما يعانيه)
 من بلي (من ابتلي بالحب).
 (٢) كلمة «طرفي» قلقة من حيث الوزن ومن حيث المعنى.
 (٢) أنشد: نأ، تمهل. إن نشأ أن تقتلني (بجفك) فشيئاً شيئاً: اجعل ذلك شيئاً بعد شيء (حتى لا تكون
 الصدمة في نفسي شديدة).
 (٤) أجملن أو أجمل (فعل أمر) عاملتي (حتى في هجرانك لي وفي محاولة تقتلني بحبي لك) شيء من الإحسان.
 والفي (كذا في الأصل). والي: تابع، نصر، حاي، أحب (ولا معنى لها هنا). ولعل الكلمة من الخطأ
 الطبخي وصوابها وأولني منك يد الفصل (اصنع في معروفاً، أحسن إليّ).
 (٥) في الأصل: كذا (مكررة من أول السطر السابق). والمعنى ينتهي «لذا» (باللام لا بالكاف).
 (٦) الموقل: الملقب.

الرقيق القيرواني

١ - هو أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم القروي أو القيرواني - وكلاهما نسبة إلى مدينة القيروان - المغربي (نفع الطيب ١: ١٩٣) المعروف بالنديم الرقيق، والرقيق لقب له (معجم الأدباء ١: ٢١٦). وقد تولّى ديوان الإنشاء في الدولة الصنهاجية في القيروان (بعد انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر) مدة تزيد على عشرين سنة منذ أيام المنصور بن بلكين (٣٧٣ - ٣٨٦ هـ) فيها يبدو.

وفي سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) قديم الرقيق القيرواني بديوان من نصير الدولة بادي بن ابن زيري (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ) إلى الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٦ - ٤١١ هـ) في مصر، فسر في مصر وطال فيها مكثه.

وكانت وفاته في القيروان نحو سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م).

٢ - قال ابن رشيقي في الرقيق القيرواني: «هو شاعر سهل الكلام، مُحْكَمُه، لطيف الطبع قويه تلوح الكتابة (١) على ألفاظه، قليل الصنعة (في) الشعر، (ولكن) غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار، وهو بذلك أحق الناس». ويقول ابن خلدون (المقدمة ٤): «وإن الرقيق مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان. ثم لم يأت بعد هؤلاء (أنداد ابن الرقيق كأي حيّان) إلا مقلد...».

وكان الرقيق القيرواني أديباً كاتباً مترسلاً وشاعراً كثيراً ومؤلفاً. وشعره سهل عذب ولكن يغلب عليه أحياناً شيء من تكلف أوجه البلاغة تشبهاً بالمشاركة.

وللرقيق القيرواني تصانيف كثيرة في علم الأخبار منها: كتاب تاريخ إفريقية والمغرب (عدة مجلدات) - كتاب النساء (كبير) - كتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك (أربع مجلدات)، ثم له كتاب الراح والارتياح (معجم الأدباء ١: ٢١٦) - معاقره الشراب (نفع الطيب ٣: ١٣٢) - قطب السرور (نفع الطيب ١: ١٣٣) في وصف الأنبيذ والخمور (بروكلن ١: ١٦١) أو في إدارة رحي أقداح الأشربة وإثارة نشوة الأنبيذ وكاسات الخمور (بروكلن، الملحق ١: ٢٥٢).

- قال الرقيقُ القيروانيُّ يذكرُ مِصْرَ وبتشويقٍ إلى إخوانه فيها:

هل الريحُ إن سارت مُشرِّفةً تُسري تُوَدِّي تَجِيَّاتي إلى ساكني مِصْرَ^(١)
 فما حَطَرَتْ إِلَّا يَكْنِيتُ صَبَابَةً وحلَّتْها ما ضاقَ عن حُلِّهِ صَدْرِي.
 نراني إذا هَبَّتْ قَبُولاً يَنْشُرُهُمْ شَمَعْتُ نَسَمَ الْبَلَكِ في ذلك النَشْرِ^(٢)
 وما أُنْسُ من شيءٍ خلا المهدُ دونه، فليس بحالٍ من ضميري ولا يَكْزِي^(٣)
 ليالٍ أُنْشَاهَا على غُرَّةِ الصِّبا فطابتْ لَنَا إِذْ وافقتْ غُرَّةَ الدَّهْرِ^(٤)
 لَمَعَرِي لئن كانتْ قِصاراً أَعْدُهَا فليستْ تُعَفِّدُ سِوَاهَا من العُمَرِ^(٥)
 فكم لي بالآهرامِ أو دِيرٍ نُفَيْتِ مَصَايِدَ غِزْلانٍ المَكَايِدِ والقَفَرِ^(٦)
 وكم بين بُنَّانِ الأَسِيرِ وقصره إلى البركةِ الزَّهراءِ من زَهَرٍ نُضِرْ^(٧)
 وكم بَيتٌ في دِيرِ القَصِيرِ مُوَاصِلًا نَارِي بَلْبَلِي لا أَفِيقُ من السُّكْرِ،
 نِيادِرُنِي بالزَّاحِجِ بِكَرٍّ غَرِيبةً إِذَا هَتَفَ النَّافِوسُ في غُرَّةِ الفَجْرِ^(٨)
 سِجِيَّةً حُوطِبَةً كَلَّمَا انْتَنَتْ تَشَكَّتْ أَذَى الزُّنَّارِ من دِقَّةِ الحَصْرِ^(٩)
 سقى الله صوبَ القَصْرِ تلكَ مَنَافِيَا وَإِنْ غَنَيْتُ بِالنَّيْلِ عن سُبُلِ القَطْرِ^(١٠)
 - وقال يَصِفُ مِصْرَ في مطلعِ قصيدةٍ مدحٍ فيها باديسَ بنَ زَيْرِي:

- (١) تسري: (تهب) ليلاً.
- (٢) قبُولاً: من الجنوب. الشر: الراجعة.
- (٣) لو نسيت كلَّ ما مرَّ بي في الرمن الحالي (الماضي) لما نسيت أهام اقامتي في مصر.
- (٤) الغُرَّة: أوَّلُ الشيء ويُدوِّه. غُرَّةُ الصِّبَا: الشَّباب. غُرَّةُ الدَّهْرِ: أَقبالُ الدُّنيا على الإنسان (السَّباح والثرثرة والصحة).
- (٥) لم ترد. مَعَتَّةٌ: في القاموس المحيط. وقد جاء في القرآن الكريم: «فألم عليكم من عَذَّةٍ (بكسر العين) بقاء المرأة في عَزلة بعد الطَّلَاق أو بعد وفاة زوجها) نَمَتُونَهَا». والشاعر قال: طَلست يَمَعَتَّةٌ سِوَاهَا: لا أَعُدُّ غيرها.
- (٦) المَكَايِدُ (٢).
- (٧) الغريزة: القليلة التجربة والاختبار.
- (٨) حُوطِبَةً تشبه الحُوط: النصن الرفيع الطير (كتابة عن الشباب ورشاقة الجسم).
- (٩) صوب القصر (كذا في الأصل). لعلَّها صوب القطر (الطر) فيكون المعنى: سقى الله تلكَ المَنَافِيَا (الأماكن المصورة بالسكان) صوب القطر (الطر الكثير).

إذا ما ابنُ خنجرٍ قد لبسنا شَبَابَهُ بدا آخرٌ من جانبِ الأفقِ يَطْلُعُ^(١)
إلى أنْ أفرّتْ جِيزَةُ النِّيلِ أَعْيُنًا كما قرَّ عَيْنًا طامِعٌ حينَ يَرْجِعُ^(٢).
- وقال يتفرَّكُ في مقدمة قصيدة للمديح أيضاً:

أطالِمَا العَيْنَيْنِ يَخْلُطُهُمَا بَحْرُ، وإنْ ظَلِمَ الحَدَّانَ واغْتَضِبَ الحَصْرُ^(٣).
أعوذُ بِرَبِّكَ من ثَنَائِكَ قد نُسِي إليك قُلُوبًا حَتَّى أَثَانَهَا جَمْرُ^(٤)

- وقال في « قطب السرور » يصف عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب (نفع
الطيب ١: ١٩٣ - ١٩٤):

... كان واحدَ عصره في الغناء الرائق والأدب الرائع والشعر الرقيق واللفظ
الأنيق ورقةً الطبع وإصابة النادر والتشبيه المصيب... وكان قد قَطَعَ عُمُرُهُ وأَفْنَى
دهرَهُ في اللهو واللُعبِ والفكاهة والطَّرَبِ. وكان أعلمُ الناسِ بضربِ المودِ واختلافِ
طرائقه وصنعة اللُّحُونِ. وكثيراً ما يقولُ المعاني اللطيفة في الأبيات الحسنة ويصوغُ
عليها الألحانَ المطربة البديعة المُنْجِبة اختراعاً منه وجِدْقاً. وكان له في ذلك قريحةٌ
وطبعٌ..... وكان بعيدَ الهِمَّةِ سَمِحاً بما يَجِدُ. تُغَلُّ عليه ضياعُه كلُّ عامٍ أموالاً جليلةً
فلا تحولُ السُّنةُ حتَّى يُنْفِدَ جميعَ ذلك ويستسلفَ غيره.....

٤ - قطب السرور في أوصاف الحصور (تحقيق أحمد الجندي)، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي
العربي) ١٩٦٩ م.

- (١) ابن شعر: الهلال، القمر. لبسنا شبابه، لبسناه: مرَّ وانقضى. بدا آخر = بدا هلال آخر جديد (كتابة عن سرعة مرور الأيام).
- (٢) الجيزة = الهجاز (الجانب الآخر من النهر). جيزة مصر: الضفة الغربية من نهر النيل جنوب القاهرة. فرَّت الأعين: فرحت وأطمانت وسكنت. الطامع: المرحل عن أهله.
- (٣) ظالمة العينين: عيناها ظلمات المهيمن (تضيقهم، غرضهم، تقتلهم). وإن ظلم الحدان (وإن كانت نساء الظلم إلى العينين وحدها ظلماً للخصم، لأنَّ خدِّي هذه الغناء يفعلان فعل عينها أيضاً). واهتمهم الحصر: همهم حتى الحصر أيضاً لأنه هو أيضاً يفعل فعل العينين). وفي الكلمة نورية (ممنان)، اهتمهم الحصر: أصبح هميماً = محيلاً.
- (٤) أعوذ: أهما، أحمي. الثنايا: الأسنان. إن حرارة العشق التي يشعر بها العاشق في قلبه لا يوردها سوى غلة من ثمر الحبيبة.

- تاريخ إفريقية والمغرب: قطعة منه (تحقيق النجدي الكمي)، تونس (الناشر: رفيف السطحي) ١٣٧٨ هـ = ١٩٦٨ م جزء منه (تحقيق أحد الجندي)، دمشق (الجمع العلمي العربي؟) ١٩٦٩ م.

* * الأنودج ٢٧ - ١٣٤ معجم الأدياء ١: ٢١٦ - ١٢٢٦ الوافي بالوفيات ٦: ٩٢ - ٩٦
نسخ الطيب ١: ١٤٤ - ١٤٥، ١٩٣ - ١٩٦ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٠٢ - ١٩٠٣ بروكلمن ١: ١٦١، الملحق ١: ١٢٥٢ الأعلام للزركلي ١: ٥١ - ٥٢
(٥٧) الجمل في تاريخ الأدب التونسي ١٢١.

أبو عامر بن شهيد

١- هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد، وُلد في قرطبة سنة ٣٨٢ هـ (٩٩٢ م) وكان أبوه الأديب الوزير عبد الملك بن شهيد شيخاً كبيراً مريضاً يميل إلى النُكس. من أجل ذلك لم يتمتع الطفل الصغير بشيء من مال أبيه ولا جاء أبيه إلا ما كان يُديه نحوه المنصور بن أبي عامر من الإنعام والمطف. ثم مات الأب وللطفل من العمر نحو إحدى عشرة سنة.

ومَعَ ذلك فقد نشأ أبو عامر بن شهيد جواداً عزيز النفس ثم نال قسطاً كبيراً من العلم والآداب وفاز بنصيب من عِلْم الطيب. غير أنه ما كاد يبلغ مبلغ الشاب ليأخذ بحظّه من الدنيا حتّى نارت الفتنة في قرطبة فضاء فيها شبابه وعِلْمه وأدبه وعُمره.

واضطُرَّ أبو عامر بن شهيد في سبيل الحصول على الرزق إلى أن يتطوّف بشفره للتكسب من الذين كانوا يتنازعون الحكم على قرطبة وعلى عدد من المدن الأندلسية كمالقة والمريّة ودانية: مدَح سليمان الأموي الذي جاء إلى الخلافة مرتين قصيرتين (سنة ٤٠٠ ثم من أواخر ٤٠٣ إلى مطلع ٤٠٧ هـ) والمُعْتلي بن حَصَوْد المستبد بقرطبة (٤١٢ - ٤١٣ هـ). ثم إنّه وزر لعبد الرحمن المستظهر الأموي الذي جاء إلى الخلافة نحو شهرين (٤١٤ هـ). وأخيراً لجأ إلى بلاط الخليفة هشام المُعتد (٤١٨ - ٤٢٢ هـ) - آخر الأمويين في قرطبة - فكان جليساً له وندياً.

وظنَّ أبو عامر بن شهيد أنَّ حظّه من العامريّين (نسل المنصور بن أبي عامر من

تَوَلَّوْا حُكْمَ عِدٍ مِنَ الْبِلَادِ فِي تِلْكَ الْحِقْبَةِ) أوفر، فلم يتحقق طنه حتى أن مجاهداً العامري صاحب دانية (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) وميورقة، في بعض تلك الفترة، قطعه ولم يلتفت إليه.

وكان أبو عامر بن شهيد أصم، كما كان يشكو من ضيق التنفس (الربو). وقوي مرضه سنة ٤٢٥ هـ فبقي طريح الفراش. يحتمل الآلام بصير بالغ حتى وافته منيته في آخر جمادى الأولى من سنة ٤٢٦ (١١/٤/١٠٣٥ م) في قرطبة.

٢- أبو عامر بن شهيد شاعر ناثر ناقد مكثّر مطيل مجيد ومقتدر في كل ذلك، وهو قريب الشبه بشعره المشرق وعلى شعره لحة من البداوة. وكان من أعلم أهل الأندلس بالأدب والشعر وأقسام البلاغة بارعاً في جميع الفنون.

وأدبه وجدائي فلسفي وعاطفي موضوعي في وقت معاً، تجدد فيه الشكوى إلى جانب الفكاهة والتشاؤم إلى جانب الدعابة. وفي أدبه أيضاً تألق وتكلف أحياناً وصناعة يكثر فيها الجناس والميل إلى استعمال الغريب، كل ذلك مع سرعة في البديهة ومقدرة على الارتجال.

وفنون شعره المديح والرثاء والهجاء والوصف البارع لمظاهر الطبيعة وللآثار العلوية خاصة (الجو والسماء) وهو مفرغ باستخراج الصور الغريبة المستكرة. وله نسيب وغزل وإخوانيات. غير أننا نلمح في شعره أخذاً كثيراً من معاني أهل المشرق حتى لكأنه يتعمد ذلك.

ثم له تصانيف غريبة عجيبة منها: كشف الذك وإيضاح الشك - حانوت عطار - التوايع والزوايع^(١).

ورسالة التوايع والزوايع قصة خيالية جعل ابن شهيد مسرحها في وادي الجن من دنيانا هذه وجعل دليله في ذلك الوادي جنيّاً اسمه زهير بن نمر من بني أشجع

(١) التابع والتابعة: الجنّي والجنّيّة يكونان مع الإنسان يتبعانه حيث ذهب. الزوبعة اسم شيطان أو رئيس للجن.

الجنّ (وإنّ شهيد من بني أشجع أيضاً). وفي هذه القصة يستعرض ابن شهيد عدداً من المُشكلات البيانية والأدبية مع نقر من الجنّ الذين يتبدّون في صورٍ مختلفة (في صور البغال والحُمير والأوز، الخ) في أسلوب قصصيّ تقدّيّ مَرَح. يبيلُ مرّة ذات المَرَلِ ومرّة ذات الجِدِّ. هذه الرسالة تذكّرنا بقصة أبي العلاء المَرعي رسالة الغفران. غير أنّ رسالة الغفران أشهر.

ويرى زكي مبارك^(١) أن رسالة التوايح والزوايح وُضِعَتْ بعد سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) بقليل، وقبل (أن كتَبَ المَرعيّ رسالته بعشرين سنة أو تزيد) ووجهها إلى أبي بكر بن حزم^(٢).

٣ - مختارات من آثاره

قال أبو عامر بن شهيد في الغزل وهو ينظر إلى معاني نفر من الشعراء المشاركة:

أصبحَ شَيْمٌ أمَ برقِ بدا	وسنى المَحبوب أوري أُرُدا ^(٣) !
هَبْ من مَرَقده منكسراً	مُنبِلاً للكمّ، مُرْخٍ للردا،
يمحّ النعة من عَيْنِي رثاً	صائدٍ في كل يوم أسدا ^(٤)
أوردتُهُ لطفاً آياته	صفوة العيش وأرعته ددا ^(٥)
فهو من دَلِّ عَراه رُبدة	من صريح لم يخالط زُبدًا ^(٦)

(١) للدكتور زكي مبارك في كتابه النثر النقي في القرن الرابع (القاهرة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤ م، ج ٢: ص ٢٥٨ - ٢٧٠) بحث مفصّل في هذه القصة وفي الصلة بينها وبين رسالة الغفران.

(٢) أبو بكر بن حزم هو أخو أبي محمد بن حزم النقيي الأديب المشهور (ت ٤٥٦ هـ). وقد نوّقى أبو بكر أن حزم قبل أخيه أبي محمد.

(٣) شيم: رؤي (فعل مبني للمجهول من «شام»)، السنى: ضوء البرق. أُرُدا جمع زُند (يسكون التون): حديدة تقدح بها النار من الحجر الصوّان. أوري زُندا: أشعل ناراً.

(٤) الرثا: الغزال الصغير.

(٥) أوردته: أساءه، أخذه إلى الماء. أرعته: تركته يرمي، أخذه إلى المرمى. اللهو: أباته (ألوان حسه وحاله) جعلت الاهتمام به كبيراً فتشأ متشأً.

(٦) الدلّ: الدلال، التلخّص، تظاهر المَحبوب بغير الرضا وهو راض. زبدية: غلبة، خلاصة، أحسن ما في =

قلتُ: هَـ هَبْ لي يا حبيبي قُبْلَةً
فَأَتَشْنَى يَهْتَرُ مِنْ مَنْكِه
كُلَّمَا كَلَّمَنِي قُبْلَتُهُ،
شَرِبْتُ أَعْطَاهُ مَاءَ الصَّبَا
تَشَبَّ مِنْ عَمَلِكَ تَبْرِجَ الصَّدَى (١)
مَائِلًا لَطْفًا وَأَعْطَانِي الْيَدَا.
فَهُوَ إِمَّا قَالَ قَوْلًا رَدَّدَا (٢)
وَسَقَاهُ الْحَسَنُ حَتَّى عَرَبَدَا (٣)
وَمِنْ نَسِيبِهِ الْبَارِعُ الَّذِي يَخَالِطُهُ مَجُونُ:

وَلَمَّا تَعَلَّأَ مِنْ سُكْرِهِ وَنَامَ وَنَامَتْ عَيُونُ الْقَسَى (٤)
دُنُوْتُ إِلَيْهِ عَلَى بُعْدِهِ دُنُوُّ رَفِيقٍ دَرَى مَا أَلْتَمَسَ.
أَدَبْتُ إِلَيْهِ دَيْبَ الْكَرَى وَأَسْمُو إِلَيْهِ سُمُو النَّفْسِ.
وَبِتَّ بِهِ لِبَتِّي نَاعِمًا إِلَى أَنْ تَبَسَّمَ تَفَرُّ الْقَلَسِ (٥)
أَقْبَلُ مِنْهُ يَاضَ الطُّلَى وَأُرْشِفُ مِنْهُ سَوَادَ اللَّعَسِ (٦)

- وقال يَدَحْ بِحَيِّ الْمُتَعَلِّي بِاللَّهِ بَيْنَ حُدُودٍ وَيَصِفُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ شِعْرَهُ وَنَفْسَهُ وَيَشْكُو
النَّاسَ وَالْأَيَّامَ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: (وَنَلْمَحْ هُنَا حِينًا نَفْسَ الْمُتَشَنِّي وَحِينًا نَفْسَ أَبِي
نَوَاسٍ):

-
- ١ = الأشياء - الصريح: الخالص الصافي (من النسب أو من الأشياء المادية). الرد: ما يطفو على وجه
السيل (أو الشراب) كما لا قيمة له ولا قاعدة منه.
(١) تبرج: تعذيب - الصدى: العطش.
(٢) إِمَّا قَالَ قَوْلًا: إِنْ مَا قَالَ قَوْلًا: إِذَا قَالَ قَوْلًا كَلَّمَنِي كَثِيرًا مَكَتَ أَتَيْكَ حَتَّى انْتَهَى الْكَلَامَ (الكثرة ما
قُلْتَ) فَيَجْعَلُ يَرَدِّدُ (يَعِيدُ) الْكَلَامَ.
(٣) الْأَعْطَافُ جَمْعُ عَطَفَ (بَكَرَ الْعَيْنَ): جَانِبُ الْجَسَمِ - عَرَبَدَ الرَّحْلُ: أَخْرَجَهُ الْكُورُ عَنْ طَوْرِهِ فَقَالَ
كَلَامًا سَمِينًا أَوْ عَمِلَ أَعْمَالًا مُؤَدَّةً.
(٤) الْعَسَى: الْحَرَسُ، الْحِرَاسُ.
(٥) الْقَلَسُ: الطَّلَامُ.
(٦) الطُّلَى جَمْعُ طَلَاةٍ (يَهْمُّ الطَّاءُ): الْعَتَقُ، جَانِبُ الْعَتَقِ - اللَّعَسُ: السَّوْدَةُ فِي الشَّفَاةِ.

وما فسي إلا الشعرُ أثبتَهُ الهوى
أفوه به - لم آتِه منعرَضاً
فإن طال ذكري بالبحون فإني
وهل كنتُ في الضنَّاءِ أولَ عاشقٍ
وإن طال ذكري بالبحون فإنها
فراقٌ ويجنُّ واشتياقٌ وذلةٌ
فمن مبلِّغِ الفتيانِ آتِي بَعْدَهُمْ
مقيمٌ بدارٍ ساكنوها مِن الأذى
وقلت لصدَّاحِ الحمامِ وقد بكى
ألا أيتها الباكي على من تحبه،
وما زال يُنيكني وأُنكيه جاهدًا
إلى أن يكي الجُدرانُ من طولِ شجوننا
أطاعتُ أميرَ المؤمنين كتابُ

فصار به في العالمين فريد^(١)
لحسن المعاني - نارة فأزهد^(٢)
شقيّ بعلوم الكلام سعيد^(٣)
هوت مجاهُ أعينٌ وخدود^(٤)
عظائم لم يصبرَ لهن جليد^(٥)
وجبارُ حفاظٍ عليّ عتيد^(٦)
مقيمٌ بدارِ الظالمين وحيد:
قيامٌ على جنمِ الحمامِ قمود^(٧)
على القصرِ إلغاً والدموعُ تجود^(٨)
كلانا معنًى بالخلَّةِ فريد^(٩)
وللشوقِ من دونِ الضلوعِ وفود^(١٠)
وأجهشَ بابُ جانباءِ حديد^(١١)
تصرَّف في الأموال كيف بُريد^(١٢)

- (١) فريد: (لا مثيل له)، يعني الشاعر بذلك نفسه.
(٢) مع آتِي لا أنطلب المعاني فإن في شعري من المعاني أكثر مما في شعر غيره.
(٣) إذا أكثر الناس من القول بآتِي ما جئ (خلع، حاتم على الذات)، فهذا الكلام يشقي (يؤسفني، يحرمني) لأن فائده يقصد اهانتني. كما أنني في الوقت نفسه سعيد بهذا الكلام لأنه يدل على شائي ونشاطي.
(٤) أضاع حياء (عقله) لَم رأى عيون الحسان وحدودهن.
(٥) وإذا اشتهر عني آتِي ما جئ فلأن الإغراء الذي تلقاه من الحسان الجميلات لا يستطيع الإنسان أن يقاومه بها يكن حليداً (صبوراً مائلاً لمواظفته).
(٦) الحفاظ: الملائكة الذين يكتبون حسنات المرء وسبائته جتار حفاظ (الذي يتولى الرقابة على من هؤلاء جتار لا يتساهل معي في شيء) عتيد: حاضر (لا يفارقتني، يرى كل ما أعمله).
(٧) قيام على حر الحمام قمود: (منعرَضون للموت في كل حين).
(٨) يكي على لفه (يكسر الحفرة) حبيب. على القصر (طائر الحمام الواقع على سطح القصر).
(٩) كلانا معنًى بالخلاء فريد: كل واحد منا يجب أن يكون وحده في مكان خال من الناس.
(١٠) من دون الضلوع وفود (في طي الضلوع اشتعال).
(١١) التجو: الحزن. أجهش: نهجاً للركاء (يكي). حتى الباب الذي هو من حديد يكي حرماً عليا.
(١٢) تصرَّف في الأموال (٥): تصرَّف في الأموال (٥).

فللمس عنها بالنهار نأخر، وللبذر عنها بالظلام صدود^(١)
ألا إنها الأيام تَلْعَبُ بالفتى: نحوسُ تَهَادَى تارةً وسُعود.
[تقول التي عن يبتها خف مَرَكبي:] أَقْرَبُكَ دَانٍ أَمْ نَوَاكْ بعيد^(٢) ؟
فقلتُ لها: أمري إلى من سَمَتَ به إلى المجد أباه له وجُود:
إلى المُغْتَلِي عَالِيَتْ هَمِّي طَالِباً لكَرَمِهِ، إِنَّ الكَرِيمَ يَمُود^(٣)،
هُمَامٌ أَرَاهُ جُودُهُ سُبُلُ العُلَى، وَعَلَمُهُ الإِحْسَانُ كَيْفَ يَمُود!

- رسالة التوابع والزوابع (مطلع الفصل الأول):

تذاكرتُ يوماً مَعَ زهير بنِ نُمير أخبارَ الخطبة والشعراء وما كان يَأْلُفُهُم^(١) من
التوابع والزوابع، وقلتُ: هل حيلةٌ في لِقَاءِ مَنْ اتَّفَقَ منهم؟ قال: حتَّى أَسْتَأْذِنَ
شَيْخَنَا. وطار عَنِّي ثم انصرف^(٢) كَلَمَحَ بالبصر - وقد أذِنَ له - فقال: حُلْ عَلَى مَنَرِ
الجواد.

فصيرنا عليه وسارَ بنا كالطائر يَحْتَابُ الجوَّ فالجوَّ، وَبَقِطْعُ الدَّوِّ فالدَّوِّ^(٣)، حتَّى
الْتَمَحْتُ أرضاً لا كَارِضِنا، وجوًّا لا كجَوِّنا متفرِّعَ الشجر عَطِيرَ الزَّهر. فقال لي:
حَلَلْتُ أرضَ الجَنِّ، أها عامر! فبِمَنْ تُريدُ أن نَبْدَأَ؟ قلتُ: الخطبة أُولَى بالتقديم،
لِكِنِّي إلى الشعراء أشوق. قال: فَمَنْ تُريدُ منهم؟ قلتُ: صاحبُ أمري القيس.
فَأَمَالَ العِنَانُ^(٤) إلى وادٍ من الأودِيَّةِ ذي دَوَّحٍ، تنكسرُ أشجارُهُ وتترنَّمُ أَطْيَارُهُ،
فصاح: يا عُنْبَةَ بِنْتُ نَوْفَلٍ، بِسْفَطِ اللّوى فَحَوْمَلٍ ويومِ دَارَةِ جُلْجُلٍ^(٥)، إلّا ما عَرَضَتْ

(١) هي أجل من الشمس في النهار وأجل من القمر في الليل (٢) - للبدر صدود عنها (لأنه ينفار منها).

(٢) النظر الأول لأبي نواس. أنمود قريباً أم أن سمرت بك بعيدة؟

(٣) عاليت همتي: صمدت فوق همتي (لم أَمَالِ هَمِّي لَمَّا قصدته). لكَرَمِهِ: (حتَّى يعود إلى ما عودني من كرمه).

(٤) من كان من الجن يَأْلَفُ البشر (ويبيتهم معهم).

(٥) ثم انصرف راجعاً.

(٦) اجتباب: قطع. الدو: الفلاة، الصحراء الواسعة.

(٧) العنان: عنان الفرس. أَمَالَ العنان: عطف بنا (هو وادي الجن).

(٨) بسط (الباه) في - بسط - للفم. أقم عليك بسط اللوى فحومل ويوم دارة جلجل (سقط اللوى وحومل ودارة جلجل أماكن مذكورة في معلقة امرئ القيس).

علينا وَجْهَكَ وَأُشْدِتْنَا مِنْ شِعْرِكَ (٢) سَيِّفَتْ مِنْ هَذَا الْإِنْسِي وَعَرَفْتُنَا كَيْفَ إِجَازَتِكَ لَهُ (١).

فَظَهَرَ لَنَا فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ شَقْرَاءَ كَأَنَّهَا تَلْتَهَبُ، فَقَالَ: حَيَّاكَ اللَّهُ يَا زُهَيْرُ - وَحَيَّا صَاحِبَكَ. أَهْوِ قَتَاهُمْ (٣)؟ قُلْتُ: هُوَ هَذَا؛ وَأَيُّ جَمْرَةٍ، يَا عُنَيْبَةُ! - وَقَالَ بِتَخَيُّلٍ أَنَّهُ يَتَحَدَّثُ وَصَدِيقًا لَهُ فِي قَبْرِهَا (وَهِيَ أَيْبَاتُ كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَلَى شَاهِدِ قَبْرِه):

بَا صَاحِبِي، قُمْ فَقَدْ أَطْلُنَا، أُنَحْنُ طَوْلَ الْمَدَى هُجُودُ؟ (٤)
فَقَالَ لِي: لَنْ نَقُومَ مِنْهَا مَا دَامَ مِنْ فَوْقِنَا الصَّعِيدُ (٥).
تَذَكَّرُ كَمْ لَيْلَةٍ نَعْمُنَا فِي ظِلِّهَا، وَالزَّمَانُ عَيْدُ؟
كُلُّ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ تَقْضَى وَشُؤْمُهُ حَاضِرٌ عَتِيدُ (٦)
حَصْلُهُ كَاتِبٌ حَفِيطٌ وَضَعَهُ صَادِقٌ شَهِيدُ (٧).
يَا وَهَلْنَا إِنْ تَنَكَّبْتُنَا رَحْمَةً مَنْ يَطْنُهُ شَدِيدُ (٨).
بَا رَبِّ، عَفْوًا! فَأَنْتَ مَوْلَى قَصَرَ فِي شُكْرِهِ الْعَبِيدُ.

- ١ - ديوان ابن شهيد الأندلسي (جمعه وحققه يعقوب زكي)، القاهرة (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر) بعد ١٩٥٨ م، (تحرير شارل بلا)، بيروت ١٩٦٣ م.
- ٢ - حانوت عطار (تحقيق ابن تاويت الطنجي)، القاهرة ١٩٥١ م.
- ٣ - رسالة التوايع والزوايع (صححها... بطرس البستاني)، بيروت (دار صادر) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م.

- (١) كيف إجازتك له = ما نقول في جودة شعره.
- (٢) أهو قَتَاهُمْ (أهدا من الشرا). وأي جرة من جرات العرب! مثل يضرب للرجل القوي البارح.
- (٣) فقد أَطْلُنَا = فقد أَطْلُنَا النوم. هجود: نائون.
- (٤) الصعيد: التراب (الأرض).
- (٥) عتيد: حاضر، معد.
- (٦) لكن إنسان في الدنيا كاتبان حفيطان عليه موكلان به يكتب أحدهما حسنات الإنسان ويكتب الثاني سيئاته. ثم يأتي كل إنسان يوم القيامة ومعه سائق به إلى الحساب وشهيد على أفعاله في الدنيا.
- (٧) تنكبتنا: مالت عنا، انصرفت عنا (لم يشفقنا الله برحمته). من يطنه شديد = الله.

* * - ابن شهيد الأندلسي: حياته وأثاره، تأليف شارل بلا (منشورات الجامعة الأردنية - كلية الآداب)، عمان (جمعية عمال المطابع التعاونية) بلا تاريخ (بعد ١٩٦٥ م).

جدوة المنفس ١٢٤ - ١٢٧ (الدار المصرية) ١٣٣ - ١٣٦ (رقم ٢٣٢)؛ بغية المنفس ١٧٧ - ١٧٨ (رقم ٤٣٧)؛ المطمح ١٦ - ٢٢؛ الذخيرة ١: ١٩١ - ١٣٣٦ المغرب ١: ٧٧ - ١٧٨؛ إعتاب الكتاب ٢٠٣ - ٢٠٥؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٥٥٥ - ٥٦١؛ المطرب ١٥٨ - ١٦٣؛ معجم الأدباء ٢: ٢٢٠ - ٢٢٣؛ الوافي بالوفيات ٧: ١٤٤ - ١٤٨؛ خريدة الأندلس ٤٢٦ (محمد بن عبد الملك)؛ وفيات الأعيان ١: ١١٦ - ١١٨؛ شذرات الذهب ٣: ٢٣٠؛ نفح الطيب ١: ٣٨٠ - ٣٨٢، راجع ٣٥٦ - ٣٦٠، ٦٢١ - ٦٢٣؛ النثر الفني كزكي مبارك ١: ٢٥٨ - ٢٦٠؛ ٢: ٢٢٧ - ٢٨٠؛ ٣: ٣٠٢ - ٣١٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩٣٨ - ٩٤٠؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٧٩؛ الأعلام للزركلي ١: ١٥٧ (١٦٣)؛ داية ٢٩٣ وما بعدها بالنشأ ٧٣ - ٧٤، ٢٠٧.

ابن مغلس البلنسي

١- هو أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيد القيسي البلنسي الأندلسي، قرأ الأدب على أبي العلاء صاعد بن الحسن الربيعي (ت ٤١٧ هـ) ثم رحل من الأندلس إلى بصرى واستوطنها.

وقيل قرأ في بصرى على النجيري. ثم إنه دخل بغداد فقرأ على نفر من علمائها كما قرأ عليه جماعة من طلاب العلم. وكانت وفاته في بصرى، في ٢٤ من جمادى الأولى من سنة ٤٢٧ (١٠٣٦/٣/٢٥ م).

٢- ابن مغلس البلنسي من أهل العلم باللغة والنحو مشهور. وهو شاعرٌ كثيرٌ مجيدٌ، وله ديوان. وقد كانت بينه وبين إسماعيل بن خلف معارضاة (يرد أحدهما على الآخر في قصائد).

٣- مختارات من شعره

قال ابن مغلس البلنسي في النسيب:

مرضىُ الجفونِ بلا عِلَّةٍ، ولكن قلبي به مُمرضٌ.

أَعَانَ السُّهَادَ عَلَى مُقْلَتِي بِقَيْضِ الدَّمْعِ فَمَا تُفَيْضُ.
وَمَا زَارَ شَوْقًا، وَلَكِنْ أَنِي يُعَرِّضُ لِي أَنَّهُ مُفْرِصُ.
وَقَالَ فِي الْحَمَامِ وَمَا يَجْتَمِعُ فِيهِ مِنْ أَخْلَاطِ النَّاسِ:

وَمَنْزِلِ أَسْوَامٍ إِذَا مَا اغْتَشَدُوا بِهِ تَشَابَهَ فِيهِ وَغَدُهُ وَرَثَتُهُ.
يُخَالِطُ فِيهِ الْمَرْءَ غَيْرَ خَلِيطِهِ وَيُضْحِي عَدُوَّ الْمَرْءِ وَهُوَ جَلِيسُهُ.
يُفَرِّجُ كَرْبِي إِنْ تَزَايَدَ كَرْبُهُ وَمُؤْنَسُ كَرْبِي أَنْ يُعَدَّ أَنِيهِ.
إِذَا مَا أَعَرْتُ الْمَاءَ حَوْضًا نَكَاتَرَتْ عَلَى مَائِهِ أَقْمَارُهُ وَشُمُوسُهُ.

٤- ** وفیات الأعيان ٣: ١٩٣-١٩٤ جذوة المفتيس ٢٦٩ (الدار المصرية) ٢٨٨ (رقم ١٦٤٥) بغية الملتبس ٣٧١ (رقم ١٠٨٨) الصلة ١٣٥١ بغية الوعاة ١٣٠٧ نفع الطيب ٢: ١٣٢-١٣٣ الأعلام للزركلي ١٣٦: ٤ (١٣).

ابن أبي الرجال

١- هو أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني الكاتب المغربي القيرواني، من أهل فاس ولكنه عاش مدة في بلاط المعز بن باديس (٤٠٦-٤٥٤ هـ) وكان رئيس ديوان الإنشاء في الدولة الصنهاجية. وهو الذي لقن المعز العلوم. ولعله شارك القوهي في أرضاده التي كان يقوم بها في بغداد (في الثلث الثالث من القرن الرابع - أواخر القرن العاشر للميلاد). وكانت وفاته سنة ٤٢٦ (١٠٣٤-١٠٣٥ م)، أو بعد بضع سنوات أخرى.

٢- يبدو أن ابن أبي الرجال كان من ذوي الميل إلى العلوم الرياضية، ألف كتاب «البارع» في التنجيم، ولكن كتابه هذا جاء غامضاً ضعيف التركيب (كأكثر الكتب في هذا الموضوع). ثم إنه كان أديباً ناثراً وشاعراً متين السبك رقيق الكلام، من فنونه الفخر والحكمة والفزل والعتاب والحمر. كان ابن أبي الرجال بناهرت فتذكر أهله بالقيروان فقال:

وَلِي كَيْدٌ مَكْلُومَةٌ مِنْ إِسْرَافِكُمْ أَطَابْنَهَا صَبْرًا عَلَى مَا أَجْنَبْتُ.
تَفْتَنُكُمْ شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَصَبْرًا عَنِ اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهَا مَا تَمَنَّتْ.
وَعَيْنٌ جَفَاها النَّوْمُ وَاعْتَادَهَا الْبُكَاءُ إِذَا عَنْ ذِكْرِ الْقَيْرَوَانِ اسْتَهْلَتْ!

وقد علق ابنُ رَشِيْقٍ على هذه الأبيات بقوله: « فلو أن أعرابياً تذكَّرَ نَجْدًا فحنَّ به إلى الوطنِ أو تشوَّقَ فيه إلى بعضِ السكَنِ ما حَبِثَتْهُ يَزِيدُ على ما أتى به هذا المولَّدُ الحَضْرِي المتأخَّرُ العصرِ ».

وكان ابنُ أُمِّي الرِّجَالِ يَغْطِفُ على الكُتَابِ والشُّعراءِ ويأخذُ بناصِرِهِمْ: وقد ألفَ باسمه ابنُ رَشِيْقٍ مؤلَّفاتٍ أدبيةً نفيسةً منها كِتَابُ « العُمدة »، كما قدَّم إليه ابنُ شَرَفٍ « رسائلُ الانتقادِ » (مجلد تاريخ الأدب التونسي ١٢٩).

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو الحسن علي بن أبي الرجال في الشكوى من الناس:

أها ربِّ، إن الناسَ لا يُصِفُونِي	ولم يُحِينُوا قَرْضِي على حَسَانِي:
إذا ما رأوني في رَحْلي تَرَدَّدُوا	إليّ، وأعدائي لدى الأَزْمَاتِ.
بِقَاتِي ما دامتْ صِلاتي إليهم،	وإن غنهم أخرتْها فبِعدائي.
سأنتع قلبي أن يحنَّ إليهم،	وأصرفُ عنهم - قالاً - لَحْظائي؛
والزَّرمُ نفسي الصبرَ دأباً لعلني	أعاین ما أملتُ قبل مَهْاي.
ألا إنَّما الدنيا كُفَّافٌ وصَبَّةٌ	وَأَمَّنْ! ثلاثٌ من طيبِ حيائي.

- وقال في الحمر:

ألا ليتْ أهاماً مَضَى لي نعيمُها	تَكْبِرُ علينا بالوصالِ وتُنِيمُ.
وصفركَ لحكي السَّمْسِ من عهدِ قَيْصِرٍ	يَنسوقُ إليها كلُّ من يَتَكَبَّرُ.
إذا مُرِجَتْ في الكأسِ خِلْتُ لَأَنَّا	تُنشَرُ في حافاتها وتُنظَّمُ.
جَمَعْنَا بها الأَشْثاتِ من كُلِّ لَذَّةٍ،	على آتِه لم يُغَشَّ في ذاك مخزَمُ!

- من كتاب البارِع:

.... ومضى جاءَتِ السُّعُودُ في الثاني عَشَرَ في تحاوِيلِ السَّيْنِ قَوِيَتْ أَعْداءُ المَوْلُودِ وأيديهم. فإذا حَلَّتْ فيه النُّحُوسُ أضعَفَتْهُمْ وأبادتهم. وإذا كان رَبُّ الثاني عَشَرَ في الطالِعِ كان المَوْلُودُ شَقِيحاً كَثِيرَ الأعداءِ مُحارَباً وَيَلْقَى من الأعداءِ شِدَّةً في أولِ أمره، وفي الثاني يَكُونُ رَدِيَّ العيشةِ سَيِّئِ الحالِ يُكْذَّبُ عليه كثيراً. وفي الثالث يُعَادِيهِ إِخْوَتُهُ وَيَلْقَى منهم شِدَّةً وتَسُوُّ أحوالُه. وفي الرابع يُعَادِيهِ آبَاؤُهُ وَيُنَازِعُهُ أَهْلُهُ

وَتَحَرَّبُ الدار التي وُلد فيها وَبُنِقْلُ منها.

- ٤- ** المجلد في تاريخ الأدب التونسي ١٢٩ - ١٣٠ : دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٦٨٨ - ٦٨٩ : تاريخ العلوم عند العرب ١٧٨ - ١٧٩ : بروكلس ١ : ٣٥٦ ، الملحق ١ : ١٤٠١ : معجم الطبوعات العربية ١٣٦ : عنوان الأريب ١ : ٥٧ - ٥٨ .

ابن خلوفا الحروري

١- هو عبد العزيز بن خلوفا الحروري^(١)، من أهل القيروان، كانت وفاته نحو ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م).

٢- كان ابن خلوفا الحروري ذا ذكاء نادر وكان مشاركاً في عدد من فنون العلم. غير أنه اشتهر بالنحو والقراءات وما يتعلّق بها. وشعره حسن الألفاظ والمعاني جيل الصناعة. له مديح ووصف.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن خلوفا الحروري في مديح المعزّ بن باديس^(٢):

لو يستطیع لأذخّل الأموات من	نُعماء في ما نالت الأحياء .
سوّى رعاياه يدا إنصافه	حتى الشوامخ والوهاد سواء ^(٣) .
مُتنوع العزّامات: ماء مُغَيّق	فيهم، وعنهم صخرة صماء ^(٤) .
ما أنت بعضُ الناس إلّا مثلاً	بعضُ الحصى الباقوة الحمراء ^(٥) .
فتحت لنا نُعماك كلّ بلاغة	فجّرى اليراع وقالت الشراء .

(١) الحروري: الخارجي (أحد الخوارج).

(٢) الرابع من ملوك بني زيري الصنهاجيين بالقيروان (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ).

(٣) رعاياه مفعول به. يدا انصافه فاعل. الشوامخ: الجبال العالية. الوهاد: الأراسي المنخفضة.

(٤) مغدق: كثير. لئن في معاملة قومه، شديد (صخرة) في الدفاع عنهم. (أو: هو كريم عليهم وصخرة صماء عنهم: لا يقبل فيهم ذماً).

(٥) - أنت أفضل من جميع الناس، كما أنّ الباقوت أفضل المجاعة.

- ويروى له في وصف سحابة^(١):

راحتْ تَذْكُرُ بِالنَّهْرِ الرَّاحَا وَطَفَا تَكْبِيرُ لِلْجَنُوبِ جَنَاحَا^(٢)
مُرْتَجَّةُ الْأَرْجُلِ بَغِيضُ سِرْهَا يُثْقَلُ فَتُطْغِيهِ الرِّيحُ سَرَا^(٣)
أَخْفَى مَسَالِكَهَا الظَّلَامُ فَأَوْقَدَتْ مِنْ بَرْقِهَا - كَيْ تَهْتَدِي - بِضَبَا^(٤)
فَكَانَ صَوْتُ الرَّعْدِ خَلْفَ سَحَابِهَا حَادٍ، إِذَا وَتَتْ الرَّاكِبَ صَا^(٥)
- وقال يصفُ مِرْوَحَةً مِنْ رِيحٍ أَوْ نَسِيجٍ تُطْوَى وَتُفْتَحُ:

وَمِرْوَحَةٍ إِنْ نَأَمَلْتَهَا نَرَى فَلَكاً دَائِراً فِي الْيَدِ
وَتُطْوَى وَتُنْشَرُ مِنْ حُنْهَا فَتُثْبِتُ قُنْرُوعَةَ الْمُهْزَدِ

٤ - * * بغية الوعاة ١٣٠٧ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٣١ - ١٣٤ .

ابن الريب القيرواني

١ - هو أبو علي الحسن^(١) بن محمد بن الريب^(٢) التميمي القيرواني، أصله من تاهرت^(٣) ومولده نحو سنة ٣٨٠ (٩٩٠ م)^(٤). نشأ ابن الريب في القيروان وطلب

(١) بروي فتح الطب (١: ٤٨٣) يبين من هذه الأبيات لأبي عبد الله محمد بن سليمان الحنط (وكان سليمان سبيع المسطى في قرطبة) القرطبي الرعي (بالصنف) الأعشى الشاعر (ات ٤٣٧ هـ).

(٢) راحت (في المساء) تذكرنا بطيب نسيمها الراح (الحر). وطفا: السحابة المتشعبة (الكبيرة التي لها ذبول بارزة من أطرافها). الجنوب: ريح الجنوب. تكرر للجنوب جناحاً: تطيع الريح في دفعها. أو: تكرر جناح الريح (لا تستطيع الريح أن تحركها).

(٣) مرترجة (متحركة بصف) الأرجاء (الأطراف، الحوائط). يحس سيرها ثقل: يمنعها ثقلها من أن تسير. فتطويه الرياح (تتحجم الرياح وتنفخ وراها). السراج: التبرج (الاطلاق من الفيد).

(٤) الحادي: الذي يسوق القاطلة. ولي بني: ثوب. الركائب (جمع ركوبة): الدابة المحصنة للركوب.

(٥) أو الحسب (راجع حاشية في فتح الطبيب ١: ١٥٦)، من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري عن ابن وشيق.

(٦) كذا ساء حسن حسني عيد الوهاب (مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص ٢١٤) وابن رشيق وابن فضل الله العمري (فتح الطبيب ١: ١٥٦، الحاشية الثانية). وساء السيوطي (بغية الوعاة ٢٣) ابن الريب (بالزاي أخت الزاء) تتلأ عن ياقوت الحموي. وكذلك ساء عادل نويش (تاريخ أعلام الجزائر ٩٦).

(٧) يقول حسن حسني عيد الوهاب (ص ١٢٤): «هو قيرواني صميم».

(٨) معجم أعلام الجزائر ٦٩. وقال حسن حسني عيد الوهاب: كانت وفاته (سنة ٤٣٠ هـ) وقد جاوز الحسب.

العلم فيها، وقد عُنيَ به محمد بن جعفر القزاز القيرواني (ت ٤١٢) عنايةً صحيحةً فبلغ به نهايةَ الأدب (التأديب: التعليم) ونهايةَ علمِ الخبر (التاريخ) والنسب (أنساب القبائل). وتولى ابنُ الربيب القضاءَ في ناهرت حيناَ فصار يُعرفُ بالقاضي التاهرتي أيضاً.

صحبَ ابنُ الربيب بني أبي العرب فمال بهم وجاهةً ومكانةً: سُلَّ عبدُ الكريم النهشلي يوماً عن أشعرِ أهلِ بلدِهِ فقال: أنا ثم ابنُ الربيب. وكانت وفاةُ ابنِ الربيب في القيروان، سنةَ ٤٣٠^(١) (١٠٤٠ م).

٢- كان ابنُ الربيب القيرواني لُغويًا نحويًا وعارفاً بأنسابِ الناسِ حتى اكتسبَ لقبَ «النسابة الإفریقی». وكان أيضاً أديباً ناثراً وشاعراً مُجيداً قويَّ الكلام بقولٍ في المدح والثناء، ورُبما تكلفَ في النظم. ثم هو مصنفٌ له كتابٌ في النسب.

٣- مختارات من آثاره

- كتب ابنُ الربيب التاهرتيُّ إلى أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم رسالةً يذكرُ له فيها فضلَ أهلِ الأندلسِ واتساعَ الثقافةِ والحضارةِ في بلادِهِم وهم معَ ذلك مُقَصِّرون في تحليلِ آثارِ علماهم وفي تدوينِ فضائلِ بلادِهِم. قال:

..... فَكَّرْتُ فِي بِلَادِكُمْ إِذْ كَانَتْ قَرَارَةً كُلِّ فَضْلِي وَمَنْهَلٍ^(٢) كُلِّ خَيْرٍ وَنُبْلٍ وَمَصْدَرٍ كُلِّ طَرْفَةٍ وَمَوْرِدٍ كُلِّ تُحْفَةٍ^(٣).... إِنَّ بَارْتَ نَجَارَةً فَإِلَيْهَا تُجَلَّبُ، وَإِنْ كَسَدَتْ بِضَاعَةٌ فَبِهَا تَنْفَقُ، مَعَ كَثْرَةِ عُلَمَائِهَا وَوَفَرَةِ أَدْبَانِهَا وَجَلَالَةِ مَلُوكِهَا وَعَجَبَتِهِمْ لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ...

ثم هم معَ ذلك في غايةِ التقصيرِ ونهايةِ التفریط...

(١) في بعية الوعاف: سنة ٤٣٠ هـ. وفي معجم أعلام الحضارة: ٣٤٠ - ٤٢٠ هـ.

(٢) قرارة: مكان منخفض إذا حلَّ به شيء بقي هناك. المنهل: مكان يشرب منه الناس الماء.

(٣) الطرفة: الشيء المتحدث (المجديد) المحبب. التحفة: الطرفة إذا كانت تينة (غالية الثمن) تستحق أن يتحف (بالبناء للمجهول) بها الناس (أن تهدي إليهم).

فعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم^(١) كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح،
وراتب^(٢) على كعبه لا يترجح. يخاف إن صنف أن يُعْتَفَ، وإن آلف أن يُخَالَفَ ولا
بوالف. لم يُتَمِّبْ أحدٌ منهم نفساً في جمع فضائل أهل بلده، ولم يستعمل خاطره في
مفاخر ملوكه، ولا بل قلاً بما يقب كتابه ووزرائه، ولا سود قراطاً بحاسن قضائه
وعلمائه. على أنه لو أطلق ما عقل^(٣) الإغفال من لسانه، وبسط ما قبض الإهال من
بيانه، لوجد للقول مساعاً^(٤) ولم تصق عليه المسالك ولم تخرج به المذاهب ولا اشتبهت
عليه المصادر والموارد^(٥). ولكن هم أحدهم أن يطلب شأواً^(٦) من تقدته من العلماء
ليحوز قصبات السبق بفدح ابن مقبل بكظم دغفل، ويصير شجاً في حلق أي
العميتل^(٧). فإذا أدرك بغيته واخترمته^(٨) منيته دق معه أدبه وعلمه، وانقطع
خبره... وعلماء الأمصار احتالوا لبقه ذكرهم احتيال الأكياس^(٩) فآلفوا دواوين
بقي لهم بها ذكرٌ مُجددٌ طول الأبد. فإن قلت: إنه كان مثل ذلك من علمائنا فآلفوا
كتباً لكنهم لم تصل إلينا^(١٠). فهذه دغوى لم يصحبها تحقيق لأنه ليس بيننا وبينكم

(١) استظهارهم: استبلاؤهم، طهرهم.

(٢) راتب: ثابت في مكانه لا يترجح.

(٣) عقل: ربط.

(٤) المساع: المهرى، الطريق.

(٥) اشته: غمض، خفيت. المصادر والموارد (سير الأمور: أوائها وأواخرها، أسبابها ونتائجها).

(٦) الشأو: الأمد والغاية (النقطة التي يحاول أن يصل إليها المتساقون).

(٧) حار قصبات السبق: سبق غيره وتقدم عليه (كان على السابق أن يصل إلى آخر الشوط ويتناول

هناك قصة قبل أن يصل إليها غيره). ابن مقبل: شاعر كان في صدر الإسلام الأول. نصح ابن

مقبل (النصيب الأكبر، الطغر التام) راجع ديوان ابن مقبل بتحقيق عزة حسن (ص ١٩ - ٢٠

من المقدمة). دغفل بن حنظلة (ت ٦٥ هـ) يضرب به المثل في معرفة الأسباب. بكظم دغفل

(وبكظم دغفل):... أبو العميتل هو عبد الله بن خليد (ت ٢٤٠ هـ) كان حاضراً البدية سريع

الجواب مع الإجابة.

(٨) اخترمته منيته (مات يكرراً).

(٩) الأكياس جمع كئس: عاقل.

(١٠) لم تصل إلينا (أي لم تصل من الأندلس إلى الغرب).

غَيْرُ رَوْحَةٍ رَاكِبٍ أَوْ رَحْلَةً قَارِبٍ، لَوْ تَفَتَّ مِنْ بَلَدِيكَ مَصْدُورٌ^(١) لَأَسْتَعَمَّ مِنْ يَتْلُونَا فِي الْقُبُورِ، فَضْلاً عَمَّنْ فِي الدُّوْرِ وَالْقُصُورِ.

- وقال من قصيدة يمدح بها مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَرَبِ:

وَلَمَّا اتَّخَذَ الْجَمْعَانِ وَاشْتَمَطَرَ الْأَسَى مَدَامَ بِنَا تُفْطِرُ^(٢) الدَّمْعَ وَالْدُمَا،
بَدَا مَاتَمٌ لِلْبَيْنِ غَنَى بِهِ الْهَوَى بِشَجْوٍ، وَحَنِّ الثَّوْقِ فِيهِ فَارَزَمَا^(٣).
نَصَدْتُ فَأَنْجَعْتُ، ثُمَّ صَدْتُ فَأَسْلَمْتُ ضَمِيرَكَ لِلْبَلَوِ عَقِيلَةً أُنْثَا^(٤).

- وقال يرثي المنصورَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ أَبِي الْعَرَبِ:

بَا قَبْرٍ، لَا تُظْلِمَ عَلَيْهِ فَطَالَمَا جَلَسَى بِفَرَّتِهِ دُجَى الْإِظْلَامِ^(٥).
أَعْجَبْنَا بِقَبْرِ عَجَبٍ شَبِيرٍ قَدْ حَوَى لَيْثُنَا وَبَحْرَ نَدَى وَبَدْرَ تَمَامِ^(٦).
- ورثى جماعة قُتِلُوا (في معركة بعد أن قُتِلُوا مِنْ خُصُومِهِمْ حَسِينًا):

وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنَّهُمْ خِصْمٌ مَضَوْا وَعَدَ أَفْغَصُوا حَسِينٍ قَرَمًا مُنْوَمَا^(٧).
وَكَانَ عَظِيماً لَوْ نَجَّوْا، غَيْرَ أَنَّهُمْ رَأَوْا حُسْنَ مَا أَبْغَوْا مِنَ الذُّكْرِ أَغْطَا.

٤ - * * الأعمودج ٦٩ - ١٧٢ الذخيرة ١: ١٣٣ - ١٣٦ إنباه الرواة ١: ٣١٨ - ٣١٩
بغية الوعاة ١٢٣٠ نفع الطيب ٢: ٣٠١ - ٣٠٢، ٣: ١١٥٦ دائرة المعارف
الإسلامية ٣: ١٩٠١ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٣٤ - ١٣٧ معجم أعلام
الجزائر ٦٩.

(١) المصدور: المصاب بالبل (ويكون نفثه: نفله، بصافه صبيغاً).

(٢) في إنباه الرواة: (١: ٩): مدام ما تطو به الدمع والدماء!

(٣) التأم: احتاج النساء (لتسمية الموت). البين: الفراق، البعاد (كان النساء يبتكين لفراقه كأنهن كنَّ في مأم). غنى به الهوى (التي بكت كانت تحسني فكان بكائها مداع حبها لي لا بدافع حربها علي).
أرزم: صوت، رفع الصوت عالياً.

(٤) نصدت: تعرضت (ظهرت أمامي، رأيته). أشجى: حزن وأحزن. صدت: أعرضت (لم تواجهني على طلب لي). عقيلة (امرأة كريمة من بني) أسلم.

(٥) جلَّى: كشفت. الفرعة: الثمر في مقدم الرأس (هنا): الجبهة، الوجه، والفرعة توصف بالبياض.

(٦) أعجب (صيغة للتعجب): ما أعجب! فمر قيد (بمقدار) شر: ضيق.

(٧) قصه: طعنه بالرمح طعنًا متوالياً (قتله). القرم: السيد. السوم: الذي له علامة (دلالة على شرفه ومكانته في قومه).

أبو الفتوح الجرجاني

هو أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني الإسترابادي الغدوي الأندلسي النحوي، أصله من جرجان، وكان مولده سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م).

تلقى أبو الفتوح الجرجاني علم اللغة والنحو في بغداد، روى عن عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) وعلي بن عيسى الربيعي (ت ٤٢٠ هـ) وعن عبد السلام بن الحسن البصري قرأ عليه ديوان الحماسة لأبي تمام سنة ٣٧٨ هـ. أما أكثر روايته فكان عن ابن السرياني قرأ عليه كتاب الجمهرة لابن دريد وديوان المتنبي وغير ذلك.

ودخل الجرجاني إلى الأندلس سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥ - ١٠١٦ م)، ويبدو أنه لم يتصل بأحد من أمرائها قبل اتصاله بمجاهد العامري صاحب دانية (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ)، وكان مجاهد سائراً إلى غزو جزيرة سردينيا فاصطحبه. ثم اتصل ببيحيى بن علي بن حمود صاحب مالقة (٤١٢ - ٤٢٧ هـ). فالزم يحيى بن حمود ابنه (الحسن) صحبة الجرجاني لأنه كان يُبذل ابنه هذا للحكم من بعده. ثم تغير قلب يحيى على الجرجاني فذهب الجرجاني إلى بني زيري في غرناطة.

تصنّف الجرجاني، في أثناءه نظوافه الكثير في الأندلس، للتدريس فأمل شرح كتاب الجمل للزجاجي وشرح ابن السرياني لأبيات إصلاح المنطق لابن السيكت.

في سنة ٤٣٠ هـ جاء إلى حكم غرناطة باديس بن حبوس، فتأمر عليه ابن عمه بدير بن حباشة. ويبدو أن الجرجاني ناصر بدير. فلما انكشفت المؤامرة هرب الجرجاني إلى إشبيلية فقبض باديس على زوجة الجرجاني وابنه وحسبهما في المنكب (حصن المنكب على الساحل، جنوب غرناطة). فرجع الجرجاني إلى غرناطة ليستعطف باديس فلم ينفذ عليه باديس وقتله في ٢٨ من المحرم من سنة ٤٣١ هـ (١٠٣٩/١٠/٢٠ م).

كان أبو الفتوح ثابت الجرجاني إماماً في غرب اللغة وفي علم العربية (النحو) عزيز الأدب كثير الحفظ لأشعار الجاهليين والإسلاميين، عارفاً بعلم المنطق مشاركاً في علوم التعاليم (الرياضيات والطبيعات) والسجوم وفي الأدب والحكمة. وكان أيضاً مؤلفاً له: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام - شرح كتاب الجمل للزجاجي.

٤ - * جذوة المنس ١٧٣ - ١٧٤ (الدار المصرية) ١٨٤ - ١٨٥ (رقم ٣٤٤) بنية المنس ٢٣٦ - ٢٣٧ (رقم ٦٠٢) معجم الأدياء ١٤٥ : ٧ - ١٤٨ كتاب الصلة ١٢٥ : الذخيرة ١٣٤ - ١٣٦ : الإحاطة ٤٦٢ - ٤٦٦ : بنية الوعاة ٢١٠ : إنباء الرواة ١ : ٢٦٣ - ٢٦٤ بروكلمن، الملحق ١ : ٤٠ (السطر ٢٢).

آل عباد

آل عباد مَآئِيَّة (من عرب الجنوب) من بني لُخْم، قيل إنهم ينتسبون إلى اللُخْمِيِّين آل التُّنْدُر بن ماء السماء ملوك الحيرة. وكانت مساكنهم في الإسلام في العريش (بين الشام ومصر). وكان أقدم من جاء منهم إلى الأندلس نعيم وابنه عطفاء (بكر العين وطاء مهملة بلا تشديد) - جاءا مع بلج بن بشر القُشَيْرِي الذي أرسله هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) في جيش من أهل الشام نجدة للعرب لما ثار مَنَسْرَةُ الخارجي في جماعات من بني مَضَفَرَةَ البربر. ثم إن بلجاً دخل بمن معه من أهل الشام إلى الأندلس - في حديث طويل - في أواخر سنة ١٢٣ (٧٤١ م).

وفي الأندلس نزل نعيم وابنه عطفاء في إقليم طُشَانَة قُرب إشبيلية حيث أنشأ أسرتهما الجديدة. وكان أول من تبع في هذه الأسرة أبو القاسم محمد بن إسماعيل (ت ٤٣٣ هـ) ثم ابنه أبو عمرو عباد (ت ٤٦٦ هـ) ثم حفيده أبو القاسم محمد (المعتمد بن عباد المتوفى ٤٨٨ هـ). وكان للمعتمد عدد من الأولاد منهم عبيد الله ويزيد ويحيى وحكم وبُشَيْنَة. وجميع بني عباد المذكورين هنا قد قالوا الشعر، وأشعر آل عباد المعتمد، وأشعر أولاد المعتمد يزيد وبُشَيْنَة.

أبو القاسم بن عباد

١ - هو القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل ذي الوزارتين بن محمد بن إسماعيل قريش بن عباد من بني لُخْم، قيل من نسل النعمان بن المنذر ملك الحيرة. كان في أول أمره قاضياً على إشبيلية في دولة بني حمود أصحاب مائقة في أيام القاسم بن حمود (٤٠٨ - ٤١٦ هـ). فلما وقع النزاع بين القاسم بن حمود وابن أخيه يحيى بن علي بن حمود وتعاقبا على العرش مرتين مرتين، انتزع أبو القاسم بن

عباد إشبيلية وأسس فيها مملكة، واحتفظ مدة بلقب « حاجب » (وزير، رئيس وزارة) ثم اتخذ لقب « الظاهر ». وكانت وفاة أبي القاسم (محمد بن إسماعيل) بن عباد في التاسع والعشرين من جمادى الأولى من سنة ٤٣٣ (١٠٤٢/١/٢٤ م).

٢- كان أبو القاسم بن عباد عاقلاً كريماً وأديباً ناثراً منبرلاً وناطقاً على نبي، من البراعة في الوصف والفخر.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو القاسم بن عباد يُشبه شجرة الياسمين بمطرف (نوب من حرير) أخضر كأن أزهارها عليها دراهم من فضة:

وياسمين حسن المنظر يفوق في الرأي وفي الخبر^(١)
كأنه من فوق أغصانه دراهم في مطرف أخضر^(٢)
- وقال بختخرو ويمني نفسه باتساع ملكه:

ولا بد من يوم أسود على الورى ولو رد غفرو للزمان وعامر^(٣)
فما الجد إلا نسي ضلوعي كاسر. ولا الجد إلا من يميني ناثر.
فجيش الملا ما بين جنبي جائل وبحر التمدى ما بين كفي زاخر.

٤- * * الصلة ٤٩٥-٤٩٦ الذخيرة ١٢: ٢-١٢٣ جذوة الملتبس ٧٥ (رقم ١٢٦) بقية الملتبس ١٠٧-١٠٨ (رقم ٢٤٧) الحلة السراء ٣٦: ٢-٣٩ البيان المغرب ٣: ٢٧٣ وما بعد وفيات الأعيان (في ترجمة المعتمد) ٥: ٢٢ وما بعد فوات الوقفيات ١: ١٢٥٤ الوافي بالوقفيات ٢: ٢١٢-١٢١٤ ثمرات الذهب ٣: ٢٥٢-١٢٥٣ نفع الطيب ٤: ٢٢٦-١٢٢٨ نيكل ١٢٧ مختارات نيكل ٧٤-١٧٥ الأعلام للزركلي ٦: ٢٦٠-٢٦١ (٣٥-٣٦).

(١) في الرأي واهم (المطر والرائحة).

(٢) دراهم (بحر) في مطرف (نوب حرير).

(٣) عمرو (عمرو بن عامر) ماء السد أعظم ملوك اليمن. وملك آخر من الفاسنة. وعامر (ذو رهاش) أحد من ملوك اليمن. ساءلك الأرض ولو رجع هذان الملكان (وأمثالهما) إلى الحياة (سأخضعها أيضاً).

ابن الأَبَّارِ الحَوْلاني الشاعر

١ - هو أبو جعفر أحمد بن محمد الحَوْلاني الأندلسي الإشبيلي من أهل إشبيلية، وُلِدَ فيها، ومن شعره القاضي أبي القاسم بن عبادٍ كانت وفاته في إشبيلية سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤٢ م).

٢ - ابن الأَبَّارِ الحَوْلانيُّ شاعرٌ مُجيدٌ حَسَنُ الصِّناعة له قصائدٌ ومقطعاتٌ ويظهرُ على شعره شيءٌ من نَفْسِ المتنبّي. وكانت له تصانيفٌ وفنونه الوصفُ والغزلُ مع شيءٍ من المَجون، وله مديح.

٣ - مختارات من شعره

-- قال ابن الأَبَّارِ الحَوْلانيُّ يمدح المُعتَضِدَ^(١) بنَ عَبادٍ (المغرب ١ : ٢٥٣):

مَلِكٌ إِذَا المَبْرُوتُ أَطْلَمَ جُنْحُهَا جَمَلُ الحِصَامِ إِلَى الحِمَامِ دَلِيلًا^(٢)
إِنْ كَانَتْ الأَنْدُ الضَّوَارِي لَمْ تَخَفْ مِنْ بَابِهِ فَلَمْ أَتَخَذَنْ العِيْلَا^(٣)
أَوْ كَانَتْ البَيْضُ الصَّوَارِمُ لَمْ تَهَمْ فِي حُجَّةٍ فَلَمْ أَكْتَسِبَنْ نُحُولًا^(٤)

- وقال في النسيب، مع شيءٍ من المَجون وشيءٍ من البَغَّة:

خَافَ العُيُونُ فَوَاقِي عَلَى عَجَلٍ مُعْطَلًا جِيدهُ إِلَّا مِنْ الجَيْدِ^(١)
عَاطِيَتُهُ الكَأْسُ فَاسْتَحْيَيْتُ مُدَامَتَهَا مِنْ ذَلِكَ الشَّيْبِ المَسْوُولِ وَالْبِرْدِ^(٢)
حَتَّى إِذَا غَازَلْتُ أَجْفَانَهُ سِنَةً وَصَيَّرْتُهُ بِدُ الصَّهْلَةِ طَوْعَ بَدِي^(٣)

(١) كما في «المغرب». ولعله يقصد القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد.

(٢) الهبوة: الغيرة (التأثرة في المركة). الجنج (بكسر الجيم وصحتها): الجانب (القسم) من الليل. الحمام (بالكسر): الموت.

(٣) الدبل (مفرد) مكان فيه شجر كثير ملتصق (كثيف) تأتي إليه الأسود أحياناً.

(٤) الجيد: العنق. عطّل جيده (لم يربته بالخل). الجيد (يفتح ففتح): طول العنق (وهو من تارات الحال).

(٥) عاطيته الكأس: شربت معه الخمر. الشيب: جمال الأسنان وصفاء لونها. البرد (الحبات المتبلورة في أثناء سقوط المطر عند البرد الشديد (كتابة عن استواء شكل الأسنان). لون الخمر الجميل (الصافي) استحباً من لون أسنانه وصفائها.

(٦) السة (بكسر السين). النعاس. غازلت أجفانه سنة (بدأ النعاس يستولي عليه). الصهالة: الخمر.

أردتُ توبيخه حديّ وقيل له: فقال: كُفُّ عِنْدِي أَفْضَلُ الْوُسْدِ^(١)
 فبات في حرِّمٍ لا عُذْرَ يَدْعُرُهُ، وبثَّ طمأن لم أُصْدَرْ ولم أَرِدْ^(٢)
 سِدْرُ أَلَمْ وَسِدْرُ أَلَمْ مُنْتَجِقِ وَالْأَفْقُ مُخْلَوْلُكَ الْأَرْحَلُ مِنْ حَدِّ^(٣)
 تَحْرِيرِ الْبِدْرِ مِنْهُ أَسْنُ مَطْلَعُهُ، أَمَا ذَرَى اللَّيْلُ أَنَّ الْبِدْرَ فِي عُضْدِي^(٤)؟

- ١- ٢٢ * حذوة المقتبس ١٠٧ (الدار المصرية) ١١٥ (رقم ١٩٠): بغية الملتبس ١٥٢-١٥٣ (رقم ٣٥٢) المطمح ١٠-١١١ الذخيرة ١٠٦: ١١٢-١٥٣-١٥٨: ٢٠٣، ٢٠٧-٣٩٦، ٣٩٧: وفيات الأعيان ١٤١: ١٤٢ الوافي بالوفيات ١١٣٧: ٨ المغرب ١: ٢٥٣: نفع الطيب ٣: ٤٧٧-٤٧٨: دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧١-٦٧٢: الأعلام للزركلي ٢٠٦: ٢١٣: تبكّل ٢١٠.

أبو الحزم جهوز

١- هُوَ أَبُو الْحَزْمِ جَهْزُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ جَهْزٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْغَمَرِ بْنِ بَحِيٍّ كَانَ حَتَمَهُ الْأَعْلَى فَارِسِيًّا مَوْلَى لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. ثُمَّ إِنَّ جَدًّا لَهُ - يَسْمُوهُ يَوْسُفَ بْنَ بُحْتٍ - دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ قَبْلَ عَمِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْدَّاهِلِ.

وُلِدَ أَبُو الْحَزْمِ جَهْزُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي أَوَّلِ الْحَرَمِ سَنَةَ ٣٦٤ (٩٧٤/٩/٢١ م) فِي قُرْطُبَةِ، فِي أُسْرَةٍ وَجِيهَةٍ غَنِيَّةٍ. وَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَبَّاسِ بْنِ أَصْبَغٍ الْهَمْدَانِيِّ وَأَبِي مُحَمَّدٍ الْأَصْبَلِيِّ وَالْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُفَرَّجٍ وَسَوَاهِمَ.

كَانَ أَبُو الْحَزْمِ جَهْزُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَشْهُورًا بِالتَّقْوَى وَالْفَضْلِ وَالْعَقْلِ وَمِنْ ذَوِي الْمَكَانَةِ مَسْمُوعَ الْكَلِمَةِ. وَكَانَ مِنْ وَزَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ، فَلَمَّا حَدَّثَتْ الْفِتْنَةُ عَلَى هِشَامِ الثَّالِثِ الْمُعْتَدِ وَثَارَتِ الْعَامَةُ وَخُلِعَ هِشَامٌ، فِي ١٢ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٤٢٢ (١٠٣١/١٢/٢ م) اجْتَمَعَ الْوُزَرَاءُ وَطَلَبُوا مِنْهُ تَهْدِئَةَ النَّاسِ فَهَتَفَ بِهِمْ فَهَذَاوَا. وَطَلَبَ النَّاسَ إِخْرَاجَ

- (١) التوسيد: وضع الرأس (للنوم) على وسادة (معدّة). الوسد (بضمّ مسكون أو بضمّ ضمّ) جمع وسادة.
 (٢) ... يعني الشاعر أنّه عفا عن محبوبه الذي كان مائلاً على ذراعه. ورد: ذهب إلى الماء (شرب) ... صدر: رجع عن الماء.
 (٣) بدر (غلام جميل، محبوب) ألم (زار زيارة قصيرة) وبدر أتم (قصر السّماء) تمتع (في آخر الشهر). مخلولك: مظلّم.
 (٤) العصد: ما بين المرقق الكتف.

بني أمية (أمراء البيت المالِك) من قُرْطُبَة فأخرجهم أبو الحزم جهَّورٌ ومَعَهُم هشامٌ نفسه من غير أن يُحْدِثَ شَقَبٌ.

بعدئذ أُجْمِعَ النَّاسُ على أن يتولَّى أبو الحزم جهَّورٌ أمرَ قرطبة.

وكانت وفاة أبي الحزم جهَّورٍ في السادس من المُحَرَّم من سَنَةِ ٤٣٥ (الذخيرة ١ : ٦٠٤) الواقع فيه ١٥/٨/١٠٤٣ م.

٢- كان في أبي الحزم من جهَّورٍ مزايا نادرة. كان يُصَرِّفُ الأمورَ بحِكْمَةٍ وَعَدْلٍ وَغُرْدٍ، فما كان يقضي في مسألة إلا إذا استشار أهلَ الحِلِّ والعَقْد. ولم يَتَسَمَّ بِلَقَبٍ فوق لقب « وزير » وهو اللقب الذي كان له قَلِيلٌ أن يتولَّى أمورَ قُرْطُبَة. وقد حرَّمَ الحمرَ وأمرَ بكسرِ أوانِها في قرطبة. ثم إنَّه ساعدَ على هدوءِ الفِتنة التي كانت ناثرةً في أعقابِ الحِلَافَةِ المروانية في الأندلس، فما كان زعيمًا في صقع من أصقاع الأندلس يتنازعان على حكمِ بلدٍ أو في أمرٍ عامٍّ إلا سعى إلى الإصلاح بينهما. ولم تُغَيِّرْهُ الدنيا ولا الثروة، ولا غَرَّتْهُ الدولة والمكانة حتى إنَّه ظلَّ يُؤَدِّنُ بنفسِه على بابِ مسجدِهِ كما كان يفعل من قَبْلُ.

وكذلك كان أبو الحزم جهَّورٌ فقيهاً من الشيوخ الأكابر وأديباً مُتَرَسِّلاً وشاعراً ليس من الطبقة الأولى. وشِعْرُهُ بدور على الوصفِ والحِكْمَةِ والرُّهْدِ في الأكثر. وكانت بيته وبين أبي عامرٍ بنِ شُهَيْدٍ (ت ٤٢٦ هـ) مكاتباتٌ.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو الحزم جهَّورٌ في العِتاب (الحلَّة السراء ١ : ٢٤٨ - ٢٤٩):

أَسأت - لَعَمري - إِذْ أَسأتُ بِبِ الطَّنْأِ	وَأَلزَمْتُني ذَنْباً شَفَلَتْ بِهِ الدُّهَانُ.
تَجَنَّبْتُ في عَذلي كَأَنِّي مُدْسِبٌ	رَوَيْدُكَ، إِنْ العَذْلُ قد يُوجِبُ الشُّغْنُ ^(١) .
فَلَا تَتَجَنَّبْ الذَّنْبَ من غيرِ عِلَّةٍ،	فَرُبَّ نَحْنٍ يُورِثُ الحَقْدَ والضَّنْأَ ^(٢) .
وَإِنِّي أَمَرْتُ عَضْضَ المودَّةِ مُخْلِصٌ	أَصافي خَليلي بالذي هو في أَسَى.

(١) نَحْنَى فلان عليك ذنباً: نسب إليك الذنب ظُلماً. العذل: اللوم. الشغناء: الحقد والعداوة.

(٢) الضنن: الحقد الشديد.

وإن زلَّ يوماً في ودادي أقلتُ
 وهل لي - قدَّتْكَ النفسُ - دونك راحةً
 قسَّيْ في ولا تعجلْ عليَّ فإنني
 ولا ذنب لي - فيما علمتُ - ولم أكنْ
 - وقال في الرُّهْد:

قلتُ يوماً لدارٍ قدومَ ثقاتنَا:
 فأجابتُ: هنا أقاموا قليلاً
 - وله في العتاب والتفريع:

يا عاتباً لبي بالصُّدو
 ألا ذكرتَ فيبحَ غَدْرُكَ؟
 أخليتَ من قلبي مكا
 نأ كان معموراً مذكرك.
 وأنا أجك - لو وُئِفَ
 ت - وأستديمُ بقوله عُمرُكَ.

٤- ** جذوة الفتى ٢٦ ثم ١٧٧ (الدار المصرية) ٢٧ ثم ١٨٨ - ١٨٩ (رقم ٣٦٠) بغية
 الملتنس ٢٤٤ (رقم ١٦٢٥) الطمح ١٤ - ١٦٥ الصلة ١١٣٠ المغرب ١: ١٥٦
 البيان المغرب ٣: ١٨٥ - ١٨٨ الحلة السراء ٢: ٣٠ - ١٣٤ نفع الطيب ١:
 ٣٠٢ - ٣٠٤، ١٥٥٥ الأعلام للزركلي ٢: ١٣٩ (٢: ١٤١). راجع فهارس
 الذخيرة (مثلاً ٢: ٥٣، ١٠٠، ٣: ٤٢، ٥١٢، ٥١٣، ٥٢٣، ٥٢٧).

تَمَامُ بِنِ غَالِبِ بِنِ التِّيَّافِي

هو أبو غالبٍ تَمَامُ بِنِ غَالِبِ بِنِ عُمَرَ المعروفُ بِابْنِ التِّيَّانِ أو ابن التِّيَّافِي (نسبةً إلى
 التين وبمعٍ في الأغلب)، المُرْسِي القُرْطُبِي الأَنْدَلُسِي، كان من أهل مُرُيَّة. وقد كان
 إماماً في اللغة ثِقَّةً وأديباً بارِعاً أميناً نزيهاً. وكان يَرَوِي شعرَ أبي تَمَامٍ حبيبِ
 (الطائي) فيأخذُه الناسُ عنه (نفع الطيب ٣: ١٣٥). وعَرَفْنَا له كتابين في اللغة:
 «تلقيح العين» وقد أجمعَ رواةُ الأدبِ على مدحه لأنَّه كتاب جامعٌ وموجزٌ في وقتٍ

(١) أقلتُ (عفوت عن ذنبي). قارَضْتُهُ: بادلتُهُ. الحسناء: الحسناء.
 (٢) أعنى: أهمّ.

واحد، ثم كتاب «الموعب» . وكانت وفاة تمام بن غالب في المرية، في أحد الجهادين من سنة ٤٣٦ (أو آخر ١٠٤٥ م).

— * — جذوة المقتبس ١٧٢ (الدار المصرية) ١٨٣ (رقم ٣٤٢)؛ بغية المقتبس ٣٢٦ (رقم ٦٠٠)؛ الصلة ١٢٢-١٢٣؛ المغرب ١: ١٦٦؛ إنباء الرواة ١: ٢٥٩-٢٦٠؛ وفيات الأعيان ١: ٣٠٠-٣٠١؛ فهرست ابن خير ٣٥٩-٣٦٠؛ معجم الأدباء ٧: ١٣٥-١٣٨؛ بغية الوعاة ٢: ٢٠٩؛ نفع الطيب ٣: ١٣٥، ١٧١-١٧٢، ١٩٠؛ شذرات الذهب ٣: ١٢٥٦؛ الأعلام للزركلي ٢: ٧٠ (٨٦-٨٧)؛ معجم المؤلفين ٣: ٩٢-٩٣.

مكي بن أبي طالب

١- هو أبو محمد مكي بن أبي طالب محمد (أو حموش) بنشد الميم في الأغلب: تصغير محمد) بن محمد بن مختار القيسي المقرئ . ولد في القيروان في ٢٢ من شعبان ٣٥٤ في الأغلب (١٩٦٥/٨/٢٢ م) ونشأ فيها . وقد تردد مكي بن أبي طالب بين القيروان ومصر ومكة مراراً - بين سنة ٣٦٧ وسنة ٣٩٢ هـ (٩٧٧-١٠٠١ م) . في هذه الأثناء تلقى كثيراً من العلم .

ففي القيروان سمع من أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (٣١٠-٣٨٦ هـ) (٢) وأبي الحسن علي بن محمد القاسمي (٤٠٣ هـ) وغيرها . وفي مصر قرأ القرآن على المقرئ أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون الحلبي (ت ٣٨٩ هـ) وعلى ابنه طاهر (ت ٣٩٩ هـ) . ثم أكمل استظهار القرآن الكريم في مصر، بعد دراسة أشياء من الحساب وغيره من العلوم والآداب، سنة ٣٧٤ هـ . أما في مكة فقرأ على نفر منهم: أحمد بن فراس العنقسي ومحمد بن محمد بن جبريل العجيتي وأبو الحسن بن زريق البغدادي ومحمد بن إبراهيم المروزي .

وفي سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠٢ م) عاد نهائياً إلى القيروان . وفي رجب من السنة التالية انتقل إلى قرطبة . وفي قرطبة أقرأ القرآن في مسجد النخيلة في الرقاقين (أو الرقاقين أو الرواقين) عند باب العطارين . ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر الحاجب (٣٩٢-٣٩٩ هـ) إلى جامع الزاهرة (راجع، فوق، ص ١٧٨) فأقرأ فيه إلى

أَنْ انصرفت دولة العاصريين (٣٩٩ هـ = ١٠٠٩ م). في تلك السنة نقله الخليفة محمد المهدي بن هشام إلى المسجد الجامع بقرطبة فأقرأ فيه مدة الفتنة كلها (٣٩٩ - ٤٢٢ هـ).

وكانت الصلاة والخطبة في جامع قرطبة للقاضي أبي الوليد يونس بن عبد الله المعروف بابن الصغار (ت ٤٢٩ هـ). وكان يونس بن عبد الله كثيراً ما يستخلف مكّي ابن حوشر على الخطبة والصلاة مكانه. فلما توفّي يونس أقام أبو الحزم جمهور المستبد بأمر قرطبة (٤٢٢ - ٤٣٥ هـ) مكّي بن حوشر إماماً رتباً في جامع قرطبة. وكانت وفاة مكّي بن أبي طالب حوشر في قرطبة في ثاني المحرم من سنة ٤٣٧ (١٠٤٥/٧/٢٠ م).

٢- كان مكّي بن أبي طالب إماماً عالماً بوجوه القراءات متبحراً في علوم القرآن، كما كان فقيهاً وأديباً شاعراً، ولكنه كان ضعيفاً في الخطابة ربّما تلجّج على المنبر. وكذلك كان مفكراً ينكر الخرافات ويكره الصوفية من أجل اختراعهم كثيراً من الخرافات والمحاللات. ومع أن شعره من طبقة شعر العلماء، فقد كان واضحاً سهلاً وعلى شيء من الطلاوة. وهو مؤلف كثير قيل إن له خسة وثلاثين مصنفاً مبسوطاً في أجزاء كثيرة خسة ف عشرة ف عشرين إلى سبعين جزءاً. من هذه:

تفسير القرآن - الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه (سبعون جزءاً) - مشکل معاني القرآن - مشکل غريب القرآن - المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره - الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه - الإيضاح في الناسخ والمنسوخ - انتخاب كتاب المرحاني^(١) في نظم القرآن وإصلاح غلطه (غلط

(١) المرحاني المذكور هنا يجب أن يكون القاضي علي بن عبد العزيز (ت ٣٩٢ هـ) أو حمزة بن يوسف (ت نحو ٤٢٧ هـ) أو عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١ هـ). ولم أعتز فيما بين يدي من المراجع على كتاب لأحدهم عنوانه «نظم القرآن». غير أن لأيّ ربه أحد من سهل البلخي (٢٣٥ - ٢٢٢ هـ) كتاب «نظم القرآن» (المهرست ١٣٨، السطر ١٢١ مجمع الأدباء ٦٧: ٣، السطر ١٣ بروكلمن، الملحق ١: ٤٠٨، السطر ٥ من أسفل). وفي فهرست عن البلخي: «كان فاضلاً في العلوم القديمة والحديثة، تلا (تبع) في تصنيفاته وتأليفاته طريقة الفلاسفة، إلا أنه بأهل الأدب أشبه وإليه أقرب».

الجرجاني) - الاختلاف في عدد الأعراس^(١) - كتاب تسمية (قصة) الأحزاب^(٢) - بيان إعجاز القرآن - إعراب القرآن^(٣) - الإبانة عن معاني القرآن - الرعاية في تجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة - الموجز في القراءات - اختصار (*) أحكام^(٤) القرآن - التبصرة^(٥) في القراءات - كتاب الإمامة^(٦) شرح الإدغام الكبير في المخارج - اختصار الإدغام الكبير على ألف، با، تا، ثا - كتاب الحروف المدغمة (فرش الحروف المدغمة) - شرح الوقف الثام - الوقف على كلاً وبلى وتَمَّ في القرآن^(٧) - منع الوقف على «إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى»^(٨) * - التذكرة في اختلاف القراء - البيان عن وجوه القراءات السبع (آله ٤٢٤ هـ) - الكشوف عن وجوه القراءات وعللها - اتفاق القراء - التنبيه على

- (١) العشر عشر آيات من القرآن تأمة المعنى تقرأ عادة في المناسبات.
- (٢) الحزب ربع الجزء من القرآن الكريم. والقرآن كله ثلاثون جزءاً.
- (٣) ورد له: شكل إعراب القرآن - إعراب مشكلات القرآن - إعراب مشكلات القرآن وذكر علله وسببه ونادره.
- (٤) الأحكام ما تفهم على وجهين: أحكام (قواعد) أداء الألفاظ في التلاوة (وهو أليق بالوضع) ثم الأحكام التي هي القواعد في المعاملات كالبيع والشراء والقصاص. وورد له: اختصار أحكام القرآن.
- (٥) كان مكّي بن أبي طالب قد ألف الموجز في القراءات «أو في القراءة سنة ٣٨٥ هـ، ثم جاء بكتاب التيسرة توسيماً لكتاب الموجز فأنقلها من أربع عشرة رواية من القراءات السبع المشهورة، وخصوصاً من قراءة ابن غلبون.
- (٦) الإمالة لفظ الألف بين الفتح والكسر.
- (٧) لم يكن مكّي من أبي طالب بدأ بهذا الكتاب ثم لم ينته لأن له كتاباً في الوقف على «كلاً وبلى» فقط. ولعل هذا الكتاب يرد في المصادر المختلفة بعنوانين مختلفين، فعدنا مثلاً: رسالة في حكم كلاً وبلى ونسم والوقف عليها والابتداء - شرح كلاً وبلى ونسم والوقف على كل واحدة منهما وذكر حائثها وعللها.
- (٨) هذه الألفاظ مأخوذة من آية تتعلق بمسجد الضرار، وذلك أن نفراً من المنافقين بنوا بجانب مسجد قبله (عند مدخل المدينة من الجنوب) مسجداً يريدون به أن يكون لجماعة تنافس أصحاب رسول الله ثم ادَّعوا (يفتح العين) أنهم يريدون فقط أن ينشؤا مسجداً ثانياً. وقد نزل في شجب عملهم هذا عدد من الآيات منها الآية التالية: (٩: ١٠٧، سورة التوبة): «والذين اتَّخَذُوا مسجداً ضراباً (مكسر الضاد) وكثراً وتفرقة بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل. وليحلفنَّ (بضم الفاء) إن أردنا إِلَّا الْحُسْنَى، والله يشهد إنهم لكاذبون». فالواضح هنا أن الوقف على كلمة «الحسنى» بهذا المعنى بأن يجعل بناء هذا المسجد أمراً حسناً.

أصول قراءة نافع^(١) وذكر الاختلاف عنه - أصول الطاء في القرآن والكلام وذكر مواضعها في القرآن - كتاب الياءات المتشعبة (المشودة) في القرآن - منتخب الحجة في القراءات * لأبي عيسى الفارسي^(٢) - شرح الراءات على قراءة ورش وغيره - كتاب وجوه اللبس التي لبس بها أصحاب الأنطاك في مدّ ورش^(٣) - الرسالة إلى أصحاب الانطاك في تصحيح المدّ لورش - شرح رواية الأعشى عن أبي بكر بن عاصم^(٤) - إصلاح ما أغفله ابن مسرة في قراءات شاذة^(٥) - الاختلاف بين أبي عمرو وحمزة^(٦) - شرح الفرق لحمزة وهشام^(٧) - الاختلاف بين قالون وأبي عمرو^(٨) - الاختلاف بين قالون وحمزة - الاختلاف بين قالون والكسائي^(٩) - الاختلاف بين قالون وعاصم - الاختلاف بين قالون وابن عامر^(١٠) - الاختلاف بين قالون وابن كثير^(١١) - التبيين بين قالون وورش - هجاء المصاحف^(١٢) - علل هجاء المصاحف - اختصار الألفات^(١٣) - الاختلاف في الرسم

- (١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ) أحد القراء السبعة.
- (٢) أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (٢٨٨ - ٣٧٧ هـ) أحد الأئمة في النحو.
- (٣) الإنطاك... (٤). ورش هو عثمان بن سعيد المصري (١١٠ - ١٩٧ هـ) من القراء.
- (٤) الأعشى هو عبد الحميد بن أبي أوس من القراء. في إنباء الرواة: «أبو بكر بن عاصم». المقصود: أبو بكر عاصم بن أبي الجود الفارسي الكوفي (ت ١٢٧ هـ).
- (٥) ابن مسرة... (٦) القراءة الشاذة التي لا يقرؤها القراء السبعة.
- (٦) أبو عمرو بن العلاء البصري (٧٠ - ١٥٤ هـ) من أئمة اللغة والأدب وأحد القراء السبعة وحمزة بن حبيب بن الزيات الكوفي (٨٠ - ١٥٦ هـ) أحد القراء السبعة.
- (٧) هشام... (٨)
- (٨) قالون هو أبو موسى عيسى بن ميناء المدني (١٢٠ - ٢٢٠ هـ) أحد القراء المشهورين.
- (٩) الكسائي هو علي بن حمزة الكوفي (ت ١٨٩ هـ) أحد أئمة اللغة والنحو والقراءة.
- (١٠) أبو عمران عبد الله بن عامر النامي (ت ١١٨ هـ) أحد القراء السبعة.
- (١١) عبد الله بن كثير المكي (٤٥ - ١٣٠ هـ) أحد القراء السبعة. قالون: عيسى بن ميناء المدني (٢٢٠ هـ) أحد القراء المشهورين ومن علماء النحو.
- (١٢) هجاء المصاحف أو التهجئة أو الرسم في المصاحف (نسخ القرآن الكريم) يتبع أحياناً صوراً مخالفة للتهجئة اللغوية المعاصرة لنا، نحو بسم (باسم)، الرحمن (الرحان)، الصلوة (الصلاة)، القدوة (القداءة) هو (هواء)، امت (أنت)، قاعيدون (قاعيدوني)، إلخ.
- (١٣) اختصار الألفات من الرسم منعاً لالتقاء أحرف الملة أو للاستغناء عنها: الرحمن (الرحان)، الشيطان (الشيطان) إبراهيم (إبراهيم)، إسحق (إسحاق).

من « هؤلاء » والحُجَّة لكلِّ فريق^(١) - تزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم على بني آدم - بيان الصفات والكبائر (من الذنوب) - الهداية (في الفقه) - الرد على الأئمة فيما يقع في الصلاة من الخطأ واللحن في شهر رَمَضان وغيره - الترغيب في الصيام - كتاب فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً - بيان العمل في الحج من أول الإحرام^(٢) إلى الزيارة لقبر النبي صلى الله عليه وسلم - إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم^(٣) خطأ على مذهب مالك والحُجَّة في ذلك - الترغيب في النوافل^(٤) - التهجيد^(٥) في القرآن - المدخل إلى علم الفرائض (تقسيم الإرث) - كتاب ما أغفله القاضي منذر * ووهب فيه في كتاب « الأحكام »^(٦) - شرح العارية والمرتبة^(٧) - شرح حاجة وحوائج وأصلها^(٨) - التذكرة لأصول العربية (النحو) ومعرفة العوامل - الزاهي في اللُحج الدالَّة على مشتملات (مستعملات) الإعراب - الوصول إلى تذكرة الأصول لابن السراج في النحو^(٩) - مسائل الإخبار بالذي وبالألف واللام! - كتاب دخول حروف الجر بعضها على بعض^(١٠) - الانتصاف في الرد على أبي بكر الأدفوي فيما زعم من تغليطه في كتاب

- (١) هؤلاء . هاؤلاء . هؤلاء .
- (٢) الإحرام : نية الدخول في أعمال الحج . وقد يكون الإحرام قبل ساعات من الوقوف بعرفة (تاسع ذي الحجة) أو قبل أيام أو أشهر .
- (٣) الحرم : منطقة مكة . وتحريم الصيد يكون في أثناء موسم الحج للحجاج أو للمستمتر (الحاج في غير أوائل ذي الحجة) .
- (٤) النوافل : العبادات غير الفروضة والتي يتطوع المسلم بأدائها .
- (٥) التهجد : الليل . التهجد بالقرآن (قراءة ليلاً) . قال تعالى : ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ (١٧ : ٧٩ ، سورة الإسراء) .
- (٦) القاضي منذر بن سعيد البقوي الأندلسي (٢٧٣ - ٣٥٥ هـ) له كتاب « الإنباء على استنباط الأحكام من كتاب الله » (والأحكام هنا : قواعد المعاملات والتفاصيل إلخ) .
- (٧) العارية (إياها الباء أو يشهد بها ، جنسها عور) : ما تعطيه لمعيرك على سبيل الإعارة . والمرتبة من عربي : الربح الباردة .
- (٨) الحاجة مفردة هي الحاجة : ما يقتصر (يحتاج) إليه الإنسان . ولكن « حاجة » تجمع على حاجات ، أما « حائجة » فتجمع على حوائج .
- (٩) أبو بكر محمد بن السري بن السراج البغدادي (ت ٣١٦ هـ) من أئمة النحو والنحو والأدب .
- (١٠) كنولنا مثلاً : « طار الصنوبر من على الفصن » ، فإن على هنا تقوم مقام اسم أو تستعمل اسماً .

الإمالة^(١) - المواعظ النبوية - المبالغة في الذكر - تحميد القرآن وتهليله
وتسبيحه^(٢) - منتقى الجواهر في الدعاء - دعاء خاتمة القرآن - الرصاص
(مجموع) - المسترضى شرح خطب ابن نباتة^(٣) - منتخب كتاب الإخوان لابن
وكيع^(٤) - اختلاف العلماء في النفس والروح - المنتقى من الأحبار - إسلام
الصحابية - معاني السنن الفحطية والأبام - الاختلاف في الذبح من هو^(٥) .
وهناك بضعة عشر كتاباً يقتصر كل كتاب منها على آية واحدة من آيات القرآن
الكريم، نحو « شرح قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »^(٦) . لم
أورد هنا .

٣ - مختارات من شعره

- قاله مكِّي بن حوش في إنكار البدع والخرافات وفي الحملة على الصوفية وفي
التمسك بسنة الرسول:

قُلْ لِمَنْ يَخْشَى الْإِلَهَ	فِي الْبَرَاهِينِ	وَذَكَرَ الْبُذُلَا ^(٧)
وَحِكَايَاتِ الْأَحَادِيثِ	الَّتِي	تُورِثُ الْعَجْزَ وَتُبْذِلُ الْكَسْلَا:
وَيَكْ، دَغْ عَنْكَ الْخُرَافَاتِ	وَلَا	تُكْثِرُ الْمَرْجَ، أَخِي، وَالْمَرْزَلَا ^(٨) .
أَمِنْ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْمَلِكِ وَلَمْ	تُخَشَّ	مِنْهُ قَدَمَاهُ الْبَلَلَا؟

(١) أبو بكر محمد بن علي الأديوي المصري (٣٠٤ - ٣٨٨ هـ) من علماء التصير والنحو.

(٢) التحميد (الحمد لله) والتهليل (لا إله إلا الله) والتسبيح (سبحان الله)...

(٣) أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن نباتة (٣٣٥ - ٣٧٤ هـ) الحلبي، كان بارعاً في الخطب التنبوية (الدنية) وفي الحديث على الجهاد.

(٤) ابن وكيع وكتاب الإخوان... (٥)

(٥) أهو إسحاق بن إبراهيم أم إسحاق بن إبراهيم؟

(٦) ٥٦: ٥١، سورة الذاريات.

(٧) المراد: الجدال والمغالطة في الرأي. البذل (يفتح وفتح ونحجم على أبدال) ثم البذل (ونحجم على بدلاء): أحد كبار الصوفية يزعمون له تأثيراً في العالم الطبيعي... للذي ينكر البراهين المعقولة ثم يستشهد بأقوال أهل التصوف غير المعقولة.

(٨) وي: كلمة للزجر والتهديد.. وبك: وبك لك! المراد بفتح ففتح: المزج (مزج الحق بالباطل).

أَوْ يَلِثُ الْمَاءُ بِالرَّمْلِ، فَإِنْ
أَوْ يَكُونُ الطَّيْرُ فِي جَوْ السَّمَاءِ،
أَوْ يَحْجُ الْبَيْتُ فِي يَوْمٍ؟ لَقَدْ
هَذِهِ الْأَخْبَارُ لَا أَصْلَ لَهَا،
الْفَتْهَى عَصَبَةً صُوفِيَّةً
مَنْ عَدَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ فَقَدْ
أَنْزَلَ اللَّهُ كِتَابًا وَاضِحًا،
ثُمَّ مِنْهَاجَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
فَالزَّمُوا السُّنَّةَ لَا تَبْتَدِعُوا
شَاءَ زُهْدًا رَدَّهُ أَوْ عَسَلًا^(١)
فَإِذَا أَوْمًا إِلَيْهِ نَزَلًا^(٢)
كَذَّبَ النَّاقِلُ فِي مَا نَقَلًا^(٣)
لَا وَلَا فَرَعَ لَهَا مُتَصَلًا.
تَشْتَهِي الْأَكْلَ وَتَأْبَى الْعَمَلَا.
خَالَفَ اللَّهَ وَخَانَ الرَّسُلَا^(٤)
حَسْبُنَا، لَا نَنْبَغُ عَنْهُ بَدَلًا^(٥)
فَبِهِ اللَّهُ هَدَانَا السُّلَا^(٦)
وَاحْذَرُوا الزَّيْغَ وَخَافُوا الزَّلَلَا^(٧)

٤- ** جذوة المقتبس ٣٢٩ (الدار المصرية) ٣٥١ (رقم ٨٢٠) بغية الملتقى ٤٥٥ (رقم ١٣٦٧) الصلة ١٥٩٧ معجم الأدباء ١٩: ١٦٧ - ١٧١ وفيات الأعيان ٥: ٢٧٤ - ٢٧٧ إنباء الرواة ٣: ٣١٣ - ٣١٩ ابن قنفذ ٢٤٢: الديباج المذهب ١٣٤٦ البلغة ٢٦٣: بغية الوعاة ٣٩٦ - ٣٩٧ شذرات الذهب ٣: ٢٦٠ - ٢٦١ بروكلمن ٥١٥: ١، الملحق ١: ٧١٨ الأعلام للزركلي ٨: ٢١٤ (٧: ٢٨٦).

ابن الحنَّاطِ الأعمى

١- هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَنَاطِ الرَّعْنِيِّ الْأَعْمَى الْقُرْطُبِيُّ، كَانَ

- (١) لثَّ: خلط. الربد: ما يشتخرج من اللبن (السمن والزبد).
- (٢) أوما = أوما: أشار.
- (٣) يروي الصوفية مثلاً أن عمر بن العارض كان يصلي الظهر في مكة ثم يصلي العصر (في اليوم نفسه) في المدينة.
- (٤) عدا: تجاوز - من أهل ما جاء في القرآن أو ما يقول به العلم...
- (٥) الكتاب: القرآن. حسبنا: يكفيننا. لا تنبغ (مكان لا ينبغي)، وردت كذلك في القرآن (١٨: ٦٤، سورة الكهف): قال: ذلك ما كنا بسبع.
- (٦) منهاج النبي: طريقته وسلكه.
- (٧) السَّنة = سنة رسول الله (طريقته). الزيغ: الميل والانحراف. الزلل: التثاقل، السقوط.

أَبُوهُ يَبِيعُ الْجِنْتَ. وَلَدُ أَغْشَى^(١) تَمَّ عَيْيَ مِنْ كَثْرَةِ الْمَطَالَعَةِ. وَقَدْ كَفَاهُ بَنُو ذَكْوَانَ - وَهُمْ أَبْنَاءُ أُسْرَةٍ وَجِيهَةٍ غَنِيَّةٍ فِي قَرْطَبَةِ - مَوْوَنَةُ السَّيِّ فِي سَبِيلِ الرِّزْقِ وَجَمَلُوهُ يَتَفَرَّغُ لِلطَّلَبِ الْعِلْمِ.

وكان ابنُ الحنَّاطِ يَتَكَسَّبُ بِإِقْرَائِهِ النَّحْوِ وَبِشَيْءٍ مِنَ التَّنْطِيبِ وَبِمَدْحِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ. وَقَدْ مَدَحَ عَلِيَّ بْنَ حَمُودٍ الْمُسْتَبَدَّ بِأَمْرِ قَرْطَبَةِ (٤٠٧ - ٤٠٨ هـ) تَمَّ مَدْحَ أَخَاهِ الْقَاسِمِ بْنِ حَمُودٍ (٤٠٨ هـ وما بعدها). وَكَانَ فِي ابْنِ الْحَنَّاظِ شَيْءٌ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْحَقِّ فَنَافَا أَبَا عَامِرٍ بْنَ شُهَيْدٍ (٣٨٢ - ٤٢٦ هـ) مَنَاوَأَةً شَدِيدَةً وَاسْتَهْتَرَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ حَتَّى نُبِّيَ عَنْ قَرْطَبَةِ فَانْتَقَلَ إِلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ، وَكَانَ صَاحِبَهَا وَحَاكِمَهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ حَمُودٍ (٤٢٨ - ٤٤٠ هـ). وَلَعَلَّ نَفْيَهُ هَذَا كَانَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ. وَبَيْنَ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ أُرْسِلَ ابْنُ الْحَنَّاظِ بِذِخَّةٍ إِلَى الْمَطَفَرِ بْنِ الْأَفْطَسِ صَاحِبِ بَطْلَيْوُسَ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ حَيَّانٍ فِي «الْمَتَنِ» (المغرب ١: ١٢٣): «وَفِي سَنَةِ ٤٣٧ نُحْيِي إِلَيْنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنَ الْحَنَّاظِ الشَّاعِرُ الْأَدِيبُ الْقُرْطُبِيُّ...». وَبِمَا أَنَّ الْمَطَفَرَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْحَكَمِ بَعْدَ ١٧ مِنْ مُجَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٣٧، فَمِنْ الْمَفْرُوضِ أَنَّ تَكُونَ وَفَاةَ ابْنِ الْحَنَّاظِ فِي أَوَاخِرِ ٤٣٧ هـ (أَوَاسِطِ عَامِ ١٠٤٦ م) أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ.

٢ - كَانَ ابْنُ الْحَنَّاظِ الْأَعْمَى مُتَقَدِّمًا فِي عُلُومِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَفِي الْبَلَاغَةِ وَفَنُونِ الْأَدَبِ مَعَ مَعْرِفَةٍ بِالْمَنْطِقِ وَبِشَيْءٍ مِنَ الْبَرَاةِ فِي التَّنْطِيبِ. وَكَذَلِكَ كَانَ أَدِيبًا نَازِلًا شَاعِرًا. وَشِعْرُهُ يَتَرَاوَحُ بَيْنَ الرِّقَّةِ وَالسَّلَاسَةِ ثُمَّ بَيْنَ الْمَتَانَةِ وَالْجَزَالَةِ، وَعَلَيْهِ نَفْحَةٌ دِينِيَّةٌ. وَكَذَلِكَ كَانَ هَوَاهُ مَعَ الْفَوَاطِمِ (أَبْنَاءِ فَاطِمَةَ) مِنْ بَنِي هَاشِمٍ (اعْتِقَادًا أَوْ تَكْسِبًا). وَفَنُونُهُ الْمَدِيحُ وَالْفَخْرُ (بِنَفْسِهِ وَبِشِعْرِهِ) وَالْوَصْفُ وَالطَّرْدُ (وَصَفِ الصَّيْدِ) فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ ابْنُ الْحَنَّاظِ الْأَعْمَى قَصِيدَةً يَصِفُ الطَّبِيعَةَ فِي مَطْلَعِهَا تَمَّ يَخْتَلِصُ إِلَى مَدْحِ

أَعْشَى: ضَعِيفُ الْبَصَرِ (لَا يَبْصُرُ فِي اللَّيْلِ).

علي بن حمود العلوي (الفاطمي):

راحت تُذكر بالنسيم الراحا وطفه تكبر للجُوح جناحا^(١)
مرت على التلعات فاكنت الرُبي خللاً أقام لها الريح وشاحا^(٢)
فأنظر إلى الرّوض الأريض وقد غدا بُكي الغواي ضاحكاً مُرتاحا^(٣)
والنور ينسط نحو دجيتها يداً أخذى لها ساهي الندى أقداحا^(٤)
وتخاله حيا الحيا من عزفه بذكية فلإذا سقاء فاحا^(٥)
رّوض يُحاكي الفاطمي شائلاً طيباً، ومُرّن قد حكاها سَاحا^(٦)

- وله من قصيدة في القاسم بن حمود يذكر فيها مقتل الخليفة عبد الرحمن المُرِنسي (٤٠٨ هـ)، وقد استبد القاسم بن حمود في أيامه بالحكم، كما يذكر فيها موت خيران الصّقلّي العامري (٤١٨ هـ). وكان خيران من أنصار القاسم بن حمود ثم انقلب عليه:

لَكَ الخَيْرُ: خَيْرَان مَضَى لسبيله؛ وأصبح مُلْكُ الله في ابنِ رَسوله^(٧)
وَفَرَّقَ جَفَعَ الكُفْرَ، واجتمعَ الوَرَى على ابنِ حبيبِ الله بعدَ خَليله^(٨)

- (١) الجنوح (كذا في الدخيرة ١: ٤٤٥)، والأصوب: الجنوب (بفتح الميم): الريح الجنوبية. راجع شرح البيت، فوق ص ٤٦٥.
- (٢) التلعة: أرض مرتفعة يسيل منها الماء إلى أرض أخرى تحتها.
- (٣) الأريض: الكرم (بالسكت). العادية: السحابة المملوءة بالطر والقادمة في الصباح. المرنّاج: المرور.
- (٤) الرّوض يبي (بضم الياء) الغواي (بفتحها يكي: نظر)، وهو ضاحك (بالأزهار التي تنفتح فيه).
- (٥) السور (بالفتح): الزهر الأبيض. الدية: الغمامة الممطرة. القدح (هنا): جسم الزهرة. الندى: قطرات الماء التي تزل في أواخر الليل. الأزهار ترتفع نحو العيم فيسقط فيها الماء (من المطر ومن الندى) فتتملأه (أو طوة تمتلأ).
- (٦) حيا بُيّي: ألقى التحية (السلام). الحيا: المطر. ذكية (رائحة ذكية: حليّة). العرف: الرائحة الطيبة. ماح: انشر (انتشرت الرائحة). الصورة هنا بعيدة التناول: النور (بالفتح): الأزهار البيضاء، وهنا الزهر عامة) يشكر المطر بمنح الطر شيئاً من الرائحة الذكية. وكلّما زاد الطر سحياً للزهر زاد الزهر في شكر الطر ووجهه قدراً أكبر من الرائحة الطيبة (وكلّما كثر المطر شمر نحن بكثرة الرائحة الطيبة).
- (٧) حكى، حاكي: شابه. التماثل جمع شك (بكسر الشين: الحلق الكرم). الرن: المطر. الساج: الساجج والشمائل. والشاعر يقصد الساحة: المجد والكرم (ويجوز أن تكون كلمة «ساج» هنا) جمع جنس للساحة.
- (٨) مضى لسبيله: مات.
- (٩) خليه (خبل الله) إبراهيم.

وقامَ لولا النصر فوق مُنْتَعٍ من اليمز جبريل إمام رَعيله^(١).
وأشرقَت الدنيا بنور خليفته به لاح بدر الحق بعد أَمُوله^(٢).
فلا تَنال الأثامَ عَمَّا أَنتَ به، فما زالت الأثامُ تأتي بَمُوله^(٣).
- ومن رسالة لابن الحنّاط كتب بها إلى المطّفر بن الأَفطس:

حَجَبَ اللهُ عَنِ الْحَاجِبِ الْمُطْطَفِر - مَوْلَايَ وَسَيِّدِي - أَغْيُنُ النَّائِثَاتِ وَقَبْضَ دُونِهِ
أَيْدِي الْحَادِثَاتِ، فَإِنَّهُ - مَذْكَانٌ - أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ ضِيَاءً وَأَكْمَلُ مِنَ الْبَدْرِ نَهَاءً،
وَأَنْدَى مِنَ الْغَيْثِ كَفًّا وَأَحْمَى مِنَ اللَّيْلِ أَنْفَاءً^(٤)، وَأَسْخَى مِنَ الْبَحْرِ بَنَاءً وَأَمْضَى مِنَ
النَّصْلِ لِسَانًا^(٥)، وَأَنْجَبَهُ الْمَنْصُورُ فَجَرَى عَلَى سَنَّتِهِ، وَأَذَبَهُ فَأَخَذَ بِسُنَّتِهِ^(٦)، وَكَانَتْ
الرِّثَاةُ عَلَيْهِ مَوْقُوفَةً وَالسِّيَاسَةُ إِلَيْهِ مَصْرُوفَةً^(٧)، قَصَّرَتِ الْأَوْهَامُ عَنْ كُنْهِ^(٨) فَصْلِهِ
وَعَجَزَتِ الْأَقْلَامُ عَنْ وَصْفِهِ. غَيْرَ أَنَّ الْفَضَائِلَ لَا بُدَّ مِنْ تَنْثَرِهَا وَالْمَكَارِمَ لَا عُدْرَ فِي
تَرْكِ شُكْرِهَا:

فالشكر للإنسان أَرْبَحُ مِنْ جَسَدٍ لَمْ يَغْفِرِ الْخُسرَانُ مِنْ لَمْ يَشْكُرْ^(٩).
- وله رسالة يَتَهَكَّمُ فِيهَا بِأَبِي عَامِرٍ بْنِ شَهِيدٍ^(١٠) جاءَ فِيهَا:
الْإِسْهَابُ كُفْلَةٌ^(١١) وَالْإِبْجَازُ حِكْمَةٌ، وَخَوَاطِرُ الْأَلْبَابِ سِهَامٌ يُصَابُ بِهَا أَغْرَاضُ

(١) الرَعِيل: الجماعة القليلة من الناس (أو من الخيل) تَتَقَدَّمُ غِيَرَهَا (في الزمن أو في المكان).

(٢) الْأَمُول: الغياب، العُروب.

(٣) السُّوْل = السُّوْل = السُّوَال: الطلب.

(٤) أَحْمَى (أَكْثَرُ حَيَاةً) مِنْ أُنْفِ اللَّيْلِ (الْأَسَد): كِتَابَةٌ عَنْ حُوفِ النَّاسِ مِنَ الْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهِ.

(٥) بَنَانًا (أَصَابِعُ): كِتَابَةٌ عَنِ الْكُرَمِ. النَّصْل: حَدُّ السِّيفِ لِسَانًا: كِتَابَةٌ عَنْ بَرَاعَتِهِ فِي الْكَلَامِ وَعَنِ بُلُوذِ
أَوَامِرِهِ.

(٦) عَمَدُ اللهِ الْمَنْصُور (ت ١٤٣٧) وَالِدُ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ الْمُطْطَفِر (تَوَفَّى مِنْ سَنَةِ ٤٣٧ إِلَى سَنَةِ ٤٦٠). أُعْجِبَهُ
وَلَدُهُ. السَّن (يَفْتَحُ مَفْتَحًا): الثَّالِ وَالْمَنْهَاج. السَّن (يَعْمُ) لَمَفْتَحِ جَمْعِ سَنَةٍ بِالضَّمِّ: الطَّرِيقَةُ، السُّبُورَةُ،
الْعَادَةُ.

(٧) كَأَنَّمَا لَا يَصْلُحُ غَيْرُهُ لِلرِّثَاةِ (الْإِمَارَةِ، الْمُلْكِ) وَكَأَنَّمَا السِّيَاسَةُ (تَنْدِيرُ الْأُمُورِ) قَدْ تَعَصَّدَ هُوَ بِهَا.

(٨) كُنْهٌ: سِرٌّ.

(٩) الَّذِي لَا يَعْرِفُ أَنْ يَشْكُرَ (النَّاسُ عَلَى مَعْرِوْفِهِمْ إِلَيْهِ) يَكُونُ خَاسِرًا.

(١٠) رَاجِعٌ، قَوْلُهُ، ص ٤٨٤.

(١١) الْإِسْهَابُ: التَّطْوِيلُ فِي الْكَلَامِ. الْكُفْلَةُ: الْمَشَقَّةُ.

الكلام^(١). وأخونا أبو عامر يُسهبُ نثراً ويطولُ نظماً، شاعراً بأنفه ثانياً من عطفه^(٢) مُتَخِيلاً أَنَّهُ قد أحرزَ السِّبَاقَ في الآدابِ وأوتيَ فصلَ الخطابِ^(٣). فهو يستقصِرُ أَسَانِيدَ الأدباءِ ويستجْهِلُ شيوخَ العلماءِ....

- ولابن الحنَّاطِ في ذكرِ بني فاطمةَ الزهراء :

أَبْنَاكَ فَاطِمَةُ رُسُلُ الْعَلَاءِ رَضِعُوا وبالسَّاحِ غَضُّوا والجُودِ إِذْ قُطِعُوا.
قَوْمٌ إِذَا حَلَفَ الْأَقْوَامُ أَتَمُّو خَيْرُ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَحْنُثْ لَهُمْ قَسَمُ،
سَالِمٌ مِنْ سَاءِ الْمَجْدِ مِنْ شَرَفِ بَيْتٍ تَدَاعَتْ إِلَيْهِ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ:
مَنَاقِبُ سَحَّتْ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ كَأَنَّا هِيَ فِي أَنْفِ الْعَلَاءِ شَمَمُ.

- ولابن الحنَّاطِ الكُثِيفُ قصيدةَ منها:

أَرِقْتُ وَقَدْ غَشَى الْحَسَامُ الْهَوَاتِفُ بُنْعَرَجَ الْأَجْزَاعِ وَاللَّيْلُ عَاكِفُ^(٤)
أَعَذَّنْ لِي الشُّوقَ الْقَدِيمَ، وَطَافَ فِي عَلَى النَّأْيِ مِنْ ذِكْرِ الْمَلِيحَةِ طَائِفُ^(٥)
وَمَا الْجَانِبُ الشَّرْعِيُّ مِنْ رُمْلٍ عَالِجٍ، بِحَيْثُ اسْتَوَتْ قَبِيطَانُهُ وَالنَّعَافِ^(٦)
إِذَا مَا تَفَنَّى الرِّعْدُ فَوْقَ جِضَابِهِ - سَقَى الرُّوْضَ مِنْ وَبْلِ الْقَامَةِ وَكَافُ^(٧)
بَاحِثٍ مِنْ أَطْلَالِ عُلُوَّةٍ مَنْظَرُ وَإِنْ ذَرَسْتَ أَبَاتُهُ وَالْمَعَارِفُ^(٨)
خَلِيلِي، هَلْ بِالْحَنِيفِ لِلشَّمْلِ إِلْفَةٌ فَيَأْمَنْ قَلْبٌ مِنْ نَوَى الْحَنِيفِ خَائِفُ^(٩)
أَفْسَى وَقَفٍ عِنْدَ الْعَمِيقِ مَلَامَةٌ عَلَى ذَنْفٍ شَاقَّتَهُ تِلْكَ الْمَوَاقِفُ^(١٠)

- (١) الغرض: المدح. اغراض الكلام: مقاصده.
(٢) و (٣) شاعراً (رافعاً) بأنه (كتابة عن التكثير). ثانياً (دائراً) من عطفه (لحرف جسمه الأعلى) كتابة عن الإعجاب بنفسه. فصل الخطاب: ما كان القول فيه حكماً باتاً قاطعاً لا يحتمل الجدل.

- (٤) الهاتف: النفاذ بصوت مرتفع. الليل عاكف: نازل (شهد الظلام).
(٥) النأي: البعد. الطائف: جبال يتراعى للإنسان (في التوم أو في البقعة: يفتح فتحة).
(٦) القبط: الأرض المطمئنة (المنخفضة، وتكون خصبة). النعاف: الصحراء.
(٧) الويل: المطر الكثير. الواكف: المطر المنهل (الشديد).
(٨) أبات: علامات. معارف: أماكن ظاهرة يعرفها الناس.
(٩) الحيف: مكان في الهجاز يكثر الشعراء من ذكره.
(١٠) العميق: مرج قرب المدينة. الدنف: الذي قرب من الملاك.

سقى عَرَصَاتِ الدار كُلَّ مُثَنٍّ من المَزَنِ تُزجِيها البروقُ المَواطِفُ^(١)
 كأنَّ شِعْرَ القَطْرِ منها جَواهِرُ تُفَرِّقُها للريحِ أَيْدٍ عَواصِفُ^(٢)
 كأنَّ ابتسامَ البرقِ فيها إذا بدت سيوفُ عليٍّ بالدماءِ رَواصِفُ^(٣)

- يبدو أن ابن الحنّاط لما أرسل يذخّته إلى المُطَفِّرِ بنِ الأَفسَسِ أرسلَ المُطَفِّرَ إليه جائزةً سَنِيَّةً، فكتب ابنُ الحنّاطِ إلى ابنِ الأَفسَسِ:

كَتَبْتُ عَلَى البَغْدِ مُتَجَدِّباً لِيُفْسِي بِأَنكَ لَا تَبْخُلُ
 فجاءَ الرّسولُ كما أَشْهَى وَقَدْ ساقَ فوقَ الذي أَمَلُ
 وما كانَ وَجْهَكَ ذاكَ الجَبِلُ لِيُفَعِّلَ عِبرَ الذي يَجْعَلُ!

١- ** جذوة المقتبس ٥٣ (الدار المصرية) ٥٧-٥٨ (رقم ٦٠) ١ بغية الملتبس ٦٧ (رقم ١٢٤) ١ الحزمدة (الأندلس) ٢: ٢٢٤-١٢٤١ الحزمدة (المغرب) ٢: ٢٩٧-١٣٠٨ الذخيرة ١: ٤٣٧-١٤٦٨ الحمدون ٢٣٦ (٩)، ١٣٥٩ الوافي بالوفيات ٣: ١١٢٤ المغرب ١: ١٢١-١١٢٤ نفح الطيب ١: ٤٨٣، ٥٠٣، ٣: ٢٦٣، ٢٨٨، ٢٨٩، ٦١٠-١٦١١ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٧٨٦ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠ (١٤٩).

أبو المغيرة بن حزم

١- هو أبو المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن (نفح الطيب ٣: ١٥٦) ابن محمد بن حزم. وهو ابن عمّ الفقيه ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ). ولقد أبو المغيرة بن حزم في قرطبة. ومن الذين سَمِعَ منهم أبو القاسم الوهрани. ويبدو أن أبا المغيرة قد عاش عيشةً لهو مندفعاً في الحب، برغبر اتصاله برجال الأندلس وأصحاب الدولة فيها. فلقد نشأت بينه وبين جارية للمنصور بن أبي عامر اسمها أنسُ القلوبِ ناشئةً هوى انكشفت للمنصور فغضب في أول الأمر ثم استرضى فرضى ووهب أنس القلوب لأبي المغيرة.

- (١) العرصة: الباحة أمام الدار. الملت: الدائم. المزن: المطر. تزجيا: ترسلها. البرق الخاطف (الشديد اللعنان) الذي يخطف (يفتح الطاء) البصر.
 (٢) جواهر: لآلئ.
 (٣) علي بن حود التوثي ١٠٨ هـ (٢٢). رصف: سال.

وَوَلِيَّ أَبُو الْغُبَيْرَةِ بْنِ حَزْمٍ الْوِزَارَةَ لِعَبِيدِ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَظْهِرِ بْنِ هِشَامٍ (١١٤ هـ) ثُمَّ بَدَرَ مِنْهُ مَا أَوْجَبَ الْعُتْبَةَ عَلَيْهِ فَهَرَبَ إِلَى بِلَادِ الشُّعْرِ (شَمَالِي الْأَنْدَلُسِ). وَتَطَوَّفَ أَبُو الْغُبَيْرَةِ حِينًا بِمُلُوكِ الطَّوَاتِفِ وَنَالَ عِنْدَ نَقَرٍ مِنْهُمْ حُطُوءَ كَثِيرَةً. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي مُسْتَهْلٍ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٤٣٨ (١٠٤٦/٧/٧ م) فِي عَسْكَرٍ يَحْمِي الْمَأْمُونِ بْنِ ذِي النُّونِ (٤٢٩-٤٦٧ هـ) بِطُلَيْطَلَةَ، غَيْرَ مُتَقَدِّمٍ فِي السَّنَةِ.

٢- كَانَ أَبُو الْغُبَيْرَةِ بْنِ حَزْمٍ مِنَ الْقَدَمِيِّينَ فِي الْأَدَابِ وَالشُّعْرِ وَالْبَلَاغَةِ، وَكَانَ شَاعِرًا فَخْلًا وَجِدَانِيًّا مُكْتَبِرًا. وَكَذَلِكَ كَانَ نَائِرًا مَرَسَلًا رَصِينًا لِمَعَانِي مَتِينِ السَّبْكِ يَتَكَلَّفُ أَحْيَانًا، وَكَانَ مُصَنِّفًا، غَيْرَ أَنَّ شُهْرَةَ ابْنِ عَمِّهِ قَدْ غَطَّتْ عَلَيْهِ فَعَمَلَ ذِكْرُهُ.

٣- مَخَارَاتِ مِنْ آثَارِهِ

قَالَ أَبُو الْغُبَيْرَةِ بْنُ حَزْمٍ يَمْدَحُ بِحْيَى الْمَطْفَرُ بْنُ الْمُنْذِرِ التُّجَيْبِيُّ (٤١٤-٤٢٠ هـ) أَوْ الْمُنْذِرُ الثَّانِي بْنُ يَحْيَى (٤٢٠-٤٣١ هـ)، وَقَدْ بَدَأَ بِغَزَلٍ وَخَتَمَ بِالْفَحْرِ بِنَفْسِهِ وَبِشِعْرِهِ:

بَشْنَا- وَبَاتَ الْيُسْكُ فِينَا وَاشِيَا	بِمَكَانِنَا، وَالْحَلْفَى عَنَّا مُخْبِرَا ^(١)
وَرَكَّتْ بِالْحَاسِطِ تُدْمِرُ كُؤُوسَهَا	فِينَا فَتَشْرِبُهَا حَلَالًا مُكْبِرَا ^(٢)
وَاللَّيْلُ يُلْحِقُنِي سَرَابِيلَ الدُّجَى	جَهْلًا وَقَدْ عَانَقْتُ صُبْحًا سُفِيرَا ^(٣)
لَوْ جِئْتَنَا لَرَأَيْتَ أَعْجَبَ مَنْظَرٍ	أَسَدٌ تَوَسَّدَ كَفًّا ظَنِيهِ أَغْفَرَا ^(٤)
إِلَّا تَرَى الْمَنْصُورَ تَحْتَ لِسَانِهِ	تَلَقَّى أَيْنَهُ طَلْقَ الْجَبِينِ مُطْفَرَا ^(٥)
لَا غَرَوْا، جِثْتُ الْبَحْرَ إِذْ أَجَلُ الْحَيَا	وَرَأَيْتُ يَحْيَى حِينَ لَمْ أَرُ مُنْذِرَا ^(٦)

- (١) رَاحَةُ الْمَسْكِ كَانَتْ تَضُوعٌ (تَنْتَشِرُ) مَنَا وَالْحَلْفَى الَّتِي تَحْتَلِي بِهَا الْحَبِيبَةُ كَانَتْ تَرَوْنِ فِيشِي ذَلِكَ كُلَّهُ بِنَا (يَدُلُّ عَلَى مَكَانِنَا).
- (٢) رَنَا: أَدَامَ النَّظَرَ طَرَفَ مَآكِنٍ هَادِيَةٍ (مُسْتَفْرَقًا)... كَأَنَّا تَشْرَبُ مِنْ أَلْهَاطِهَا خِرَاءً (وَلَكِنَّهَا خَرَّ عِلَّةً مَعَ أَنَّهَا تَسْكُرُ كَالْخَمْرِ الْمَحْرَمَةِ).
- (٣) بِالْحَفْنَى: بِطَبِيعِي. سَرَابِيلُ (أَرْدِيَّةٌ، أَتَوَابٌ) الدُّجَى (الظُّلَامُ). جَهْلًا- اللَّيْلُ يُحَاوِلُ أَنْ يَسْتَرْيَ عَنِ الْعَيُونِ، وَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ وَمَعِيَ فَنَاءُ جَبَلَةٍ نَضِيهِ الظُّلَامُ مِثْلُ الصُّبْحِ الْمُسَرِّ (الطَّالِعِ).
- (٤) أَسَدٌ: رَجُلٌ (بَطْلٌ). تَوَسَّدَ (بَامَ عَلَى) كَفَ ظَنِي أَغْفَرَا (غَزَالَ أَسْمَرًا): فَنَاءُ جَبَلَةٍ.
- (٥) (٦) الْحَيَا: الْظُّلَمُ. أَجَلُ الْحَيَا... لَا يُمْكِنُ تَسْمِيرُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِلَّا إِذَا فُصِّلْنَا فِي هَذِهِ الْمَدْحَةِ: أَمِي فِي بِحْيَى الْمَطْفَرُ أَوْ فِي ابْنِ الْمُنْذِرِ الثَّانِي.

فإذا دَعَوْنَا: من يُجِيبُ لِنَكَبَةِ؟
شَيْمٌ غَدَتْ قُرْطُ الرِّمَانِ، فلم أَنَّمْ
لَهُ دَرْكٌ وَالسَّرْمَاجُ شَوَارِعُ
فإذا أَتَيْتُكَ مادحاً لك لم يَجِبْهُ
غَيْرِي الذي اتَّخَذَ الدَّائِعَ مَكْتَبًا،
أنا ما شَعَرْتُ لَأَنْ أَتَبَّهَ خَامِلًا،
لَبِثْتُ نُجِيبُ، ففَلَتَهَا سَيْلًا جَرَى (١)
حَتَّى نَظَمْتُ عَلَيْهِ شِعْرِي جَوْهَرُ (٢)
وَالْبَيْضُ تَقَطَّعَ لَأَمَّةٌ وَسُنُورُ (٣)
شِعْرِي لَيْسَالٌ، بَلْ أَتَاكَ لِيَنْفَخُرَا (٤)
وَسِوَايَ مَنْ جَعَلَ الْقَوَايِ مُنْجَرَا.
لَكِنْ لَأَمْسَحَ شَاعِرًا أَنْ يَشْعُرَا (٥)

- عقد المنصور بن أبي عامر مجلس شراب، فلما دارت الكؤوس غنت جارية له اسمها أس القلوب.

فَدِمَ اللَّيْلُ عِنْدَ سَيْرِ النَّهَارِ،
فَكَانَ النَّهَارُ صَفْحَةً خَدًا،
وَكَاَنَّ الْكُؤُوسَ جَامِدُ مَلَا
نَظَرِي قَدْ جَنَى عَلَيَّ دُنُوبًا؛
وَكَاَنَّ الظُّلَامَ خَطَّ عَذَارِ.
يَا لَقَوْمِي، تَمَجَّبُوا مِنْ غَزَالِ
كَيْفَ نَمَّا جَنَّتْهُ عَيْنِي اعْتَذَارِي؟
لَبِثَ لَوْ كَانَ لِي إِلَيْهِ سَبِيلُ
جَائِرٍ حَيٍّ مَهْجَتِي وَهُوَ جَارِي.
فَأَقْضِي مِنْ حُبِّهِ أَوْطَارِي.

- وكان أبو المغيرة بن حزم حاضراً فارتحل الأبيات التالية:

كَيْفَ، كَيْفَ الْوُصُولُ لِلْأَقْصَارِ
لَوْ عَلِمْنَا بِأَنْ حُبُّكَ حَقٌّ
بَيْنَ سُرِّ الْقَنَا وَبَيْضِ الشُّغَارِ؟
لَطَلَبْنَا الْحَيَاةَ مِنْكَ بَشَارِ.
وَإِذَا مَا الْكِرَامُ هَمُّوا بِشَيْءٍ
خَاطَرُوا بِالنُّفُوسِ فِي الْأَخْطَارِ.

(١) بحب: قبيلة المدوح.

(٢) شيم: حصاله مكارم. قرط الرمان: مشهوره (كانها أفرط معلقة بأذن الرمن). نظمت عليه شعري جوهراً: حليت ذلك القرط شعري.

(٣) شوارع: مشرعة (سدة نحو العدو). البيض: السيوف. الألة: الدرع (من حديد). السور: شبه الدرع (من جلد).

(٤) ... ليسال (عطاء) بل لينفخر (بأنه مدح رجلاً عظيماً).

(٥) لأن أتته خاملاً: أحمل رجلاً غير مشهور مشهوراً. لأمسح شاعراً أن شعراً: لأمدحك بقصيدة بارعة لا يحسر بعدها شاعر آخر أن يقدم على مدحك (المعجزه عن أن ينظم مثلاً).

غَضِبَ المنصور وأراد أن يقتلَ الجاريةَ، فبكتَ الجاريةُ واعتذرت بأن هذا الحبُّ كان بقضاء الله ولم تَمُلكْ هيَ له دفعاً. حينئذٍ قال أبو المغيرة على لسانها:

أذْنِبْتُ ذَنْباً عَظِيماً فَكَيْفَ مِنْهُ أَعْتَذَارِي؟
واللهُ قَدَرٌ هَذَا وَلَمْ يَكُنْ بِأَخْتِيَارِي.
وَالْعَفْوُ أَحْسَنُ شَيْءٍ يَكُونُ عِنْدَ أَقْنَادِرِ.

- وله من رسالة يصف فيها الروض في الربيع:

... وَالْأَرْضُ قَدْ نَشَرَتْ مِلَاءَهَا وَسَحَبَتْ رِداءَهَا وَلَبَسَتْ جَلْبَاهَا وَتَغَلَّدَتْ
سِيحَابَهَا^(١). وَبَرَزَ الْوَرْدُ مِنْ كِيَامِهِ وَاهْتَزَّ الرُّوضُ لِتَغْرِيدِ حَمَامِهِ؛ وَالْأَشْجَارُ قَدْ نَشَرَتْ
شُعُورَهَا وَهَزَّتْ رُؤُوسَهَا، وَالدُّنْيَا قَدْ أُنْذِتْ بِشَرْهَا وَأَمَاطَتْ عُيُوسَهَا^(٢). وَكَأَنِّي بِهَا قَدْ
أَطْلَقْتُ مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ ضُروباً وَأُنْذِتْ مِنْ سَنَاهَا مَنْظَراً عَجِيباً، وَإِنْ كُنَّا لَا نُشَارِكُ فِي
تِلْكَ إِلَّا بِالْإِيمَانِ لَا بِاللِّسَانِ، وَبِالطَّرْفِ لَا بِالْكَفِّ، وَنَنَالُهَا بِالْإِخْلَاصِ لَا بِالْأَضْرَاسِ.
وَلِلدَّهْرِ قِسْمٌ مِنْ أَقْسَامِ اللَّذَّةِ وَصِنْفٌ مِنْ أَصْنَافِ الشَّهْوَةِ... وَحَالِي حَالٌ لِلنَّصَامِ بِهَا
اتِّصَالٌ وَلِلصَبْحَةِ عَنْهَا انفِصَالٌ، بُعِثَ عَلَى ذَلِكَ ضَعْفُ الْبُيْنَةِ وَفُسَادُ الْأَهْوِيَةِ وَالتَّخْلِيضُ
فِي الْأَغْيَةِ...

٤ - ** جذوة المقتبس ٢٧٣ (الدار المصرية) ٢٩١ - ٢٩٢ (رقم ٦٥٨) بعية الملتص
٣٨٠ - ٣٨١ (رقم ١١١٠) الصلة ٣٦١ - ٣٦٢ المطمح ٣١ - ٣٤ الذخيرة
١٣٢ : ١١٦٦ فوات الوفيات ٢ : ١٣٣٩ الوافي بالوفيات ٥ : ١١٩٤ المغرب
١ : ٣٥٧ نفع الطيب ١ : ٦١٦ - ٦١٨ ، ٦٢٠ - ٦٢١ ، ٢ : ٧٩ - ٨١ ، ٣ :
١٣٥ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٥٥٣ - ٧٠٥١ : ١٥ - ١٦ دائرة المعارف الإسلامية ٣ :
٧٩٠ ، النثر الفني ٢ : ٢١٨ - ٢٢٥ نيكل ١٥١ الأعلام للزركلي ١ : ٣٣٠
(١٧٩).

- (١) الأرض نشرت ملأها: غطت الأرض بملاء (رداء) خضراء؛ سحبت رداءها (جعلت في ذلك الملاء الأخضر بقاعاً من الورد الملون)؛ لبست جلبابها: عَمَّ النبات والزهر جميع أغطارها. تغلّدت (لبست قلادة في عنقها) سحاباً (السحاب عقد من قمرنفل زكي الرائحة، فاحت رائحة أزهارها).
(٢) الكمام: الورق الأخضر الذي يملأ الأزهار قبل أن تتفتح. اهتزَّ: تحرك طرباً. الأشجار نشرت شعورها: تم خروج ورقها. هزت رؤوسها: أصبحت أغصانها تتحرك في النسيم لأن عليها ورقاً. البشر (يكسر الباء): السرور. أَمَاطَ: أزاح، نحى، أزال.

الأسعد بن بليطة

١ - هو أبو القاسم الأسعد بن إبراهيم بن بليطة^(١) القرطبي. وُلِدَ في قرطبة. نَزَدَ بين بلاطات ملوك الطوائف يتكسَّب بالشعر، كما كان فارساً أيضاً يتكسَّب بالخدمة في ديوان الجند، فقد قال فيه ابن بَسَّام في الذخيرة: «فارسٌ جَحْفَلِيٌّ وشاعرٌ مَحْفِلِيٌّ فَجَرِيٌّ في المِيزَانِيْنِ وارْتَوَقَ في الديوانِيْنِ». وتطوَّفَ أيضاً في بلدان المغرب. ولكنه معدودٌ في شعراء المعتصم بن ضاحح. وقد كان حياً^(٢) قبل سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ - ١٠٤٩ م).

٢ - كان الأسعد بن بليطة ناثراً وشاعراً مجيداً، وشعره سهلٌ عَذْبٌ وأبرزُ فنونه الوصفُ والغزلُ. وله القصيدة الطائفة البارعة (وهي تسعون بيتاً) في مدح المعتصم بن ضاحح.

٣ - مختارات من شعره

- قال الأسعد بن بليطة يمدحُ المعتصم بن ضاحح:

برامةً ريمٌ زارني بعدما شطاً تَنَمَّشُهُ في الحُفْرِ في الشَّطِّ فاشتطاً^(٣)
رعى من أغاني الهوى ثَمَرَ الحنا جَنِباً، ولم يَزَعْ المَهْوَدَ ولا الشَّرطاً^(٤)

(١) من الإِسَابَةِ القديمة: بَلِيدُو (بإمالة الياء وكسر اللام المشددة): الحميل (نيكلن ١٩٦). وقال ابن خَلِّكان (٤: ٤٥): لا أعرف مِصَاء. وهو بلغة أعاجم الأندلس (نصاري الأندلس الذين لا يتكلمون العربية). وتقل حين مؤنس (الحلقة السراء ٢: ٨٦) عن دوزي أنه بليطة من الكلمة الإِسَابَةِ «بليتا» (بكسر الياء وتشديد اللام وإمالة الياء والألف). يعني البطاقة (قطعة من الورق بنحو قدر الكفة). ويبدو أن تعليق نيكلن أصح.

(٢) جذوة المنتقى ١١٦٦ وفي بغية المنتقى (ص ٢٢٩): توفي في حدود ٤٤٠. وعن بغية المنتقى أحد شوخي صف (المغرب ٣: ١٧). في الحاشية. ولكن إذا كان الأسعد بن بليطة قد مدح المعتصم بن ضاحح صاحب المركة (٤٤٤ - ٤٨٠ هـ) بهذه القصيدة وبغيرها (راجع وفيات الأعيان ٥: ٤٤٢) نصح الطب ٤: ١٠٠، ١٠١ فيجب أن يكون الأسعد بن بليطة قد عاش بعد سنة ٤٤٠ مدة طويلة.

(٣) ريم: غزال أبيض. شط: بعد. الشط: جانب النهر، النهر (ومجتمع الماء).

(٤) رعى (أكل): نتج. أغاني (جمع أغنود) - بضم الفاء - غصن: أنواع. جنباً: جديداً، طريفاً. لم يزع: لم يزعج. يحيط.

خَبَالَ لَمَرُومٍ عَرِيمٍ بِرَامِسَةٍ
فَأَكْسَنِي مِنْ خَدَّهَا رَوْضَةَ الْجَنَى
وَبَانَتْ ذِرَاعَاهَا تَجَادُأً لِعَاتِي
وَسَلَّ اخْتِصَارِي غُصْنَهَا مِنْ مُخَصَّرٍ
وَقَدْ غَابَ كُغْلُ اللَّيْلِ فِي ذَمْعٍ فَجَرَهُ
كَأَنَّ الدُّجَى جِئَتْ مِنَ الرَّنَجِ نَافِرٌ
وَقَامَ لَهَا يَنْعَمُ الدُّجَى ذُو شَفِيفَةٍ
إِذَا صَاحَ أَصْغَى سَفْعُهُ لِأَذَانِهِ
كَأَنَّ أُنُوشِرَوَانَ أَعْلَاهُ تَاجَهُ
سَبَى حَلَّةَ الطَّوَاوُسِ حُشْنَ لِبَاسِهَا
نَوَهْمُ غُطْفِ الصَّدْعِ نُوناً بَخْدَهَا
غَلَابِيَّةٌ جَاءَتْ وَقَدْ جَعَلَ الدُّجَى

تَأَوَّنِي بِالرَّقَشَتَيْنِ لَدَى الْأَرْضَى (١)
وَالذَّنْغِي مِنْ صُدْعِهَا حَيَّةٌ رَفْعًا (٢)
إِذَا مَا التَّقَاهَا الْخَلِّيُ غَنَى لَهَا لَفْعًا
طَوَاهِ الصُّبَى طَيَّ الطَّوَامِيرُ فَاثْنَطَا (٣)
إِلَى أَنْ تَسْدَى الصُّبْحُ كَاللَّمَّةِ السَّنْطَا
وَقَدْ أُرْسِلَ الْإِصْبَاحُ فِي إِثْرِهِ الْفُطْطَا (٤)
يُدِيرُ لَنَا مِنْ عَيْنِ أَجْفَانِهِ سَقَطَا (٥)
وَبَادَرُ ضَرْبًا مِنْ قَوَادِيمِ الْإِنْطَا (٦)
وَبَاطَتْ عَلَيْهِ كَفُّ مَارِيَةِ الْقُرْطَا (٧)
وَلَمْ يَكْفِهِ حَتَّى سَيِّ الْمَشْيَةِ الْبَطَا (٨)
فَبَاتَتْ بِمَكَالِ الْخَالِ تَنْقُطُهُ نَقَطَا (٩)
لِحَافِرِ فِيهَا فَصْرٌ غَالِيَةٌ خَطَا (١٠)

- (١) مَرُوم: ذو علامة (جبل). عَرِيم: جبل، ماعز العيش، شاب بلا تجربة. تَأَوَّنِي: عاد إلي (في المنام) مرة بعد مرة. الرَّقَشَتَيْنِ (اسم مكان - المقصود بها هنا جبال اللطف لا الدلالة على علم جغرافي محض)، الْأَرْضَى جمع أَرْضَانة: نوع من النجيرات.
- (٢) الرَفْعَا: حَيَّةٌ مَنقُطَةٌ (أخيشة) غصلة الشجر على صدغها لدغني (عدبني بالحب).
- (٣) حَصْرُ الثَّمَنِ: تَنْزُّعٌ لِيَقُطِفَ مَا عَلَيْهِ. اِخْتِصَارُ (حصرها الناحل). الطَّوَامِيرُ: نوع من الورق يكتب فيه ثم يلفظ كالأسطوانة.
- (٤) الْفُطْطَا - جبل من الناس (أقل سواداً من الرنج): كَانَ اللَّيْلُ رَجِيئًا، فَلَمَّا بَدَأَ الصُّبْحُ بَطَلَ أَصْحَ اللَّيْلِ كَالْمَطَرِ.
- (٥) يَنْعَمُ الدُّجَى: يَبْشُرُ بِانْقِضَاءِ اللَّيْلِ ذُو شَفِيفَةٍ: صَاحِبُ فَتْرَةٍ حَرَاءٍ (الديك). يَدِيرُ لَنَا الْإِنْطَا (٦) - الْمَلُوحُ (يَسْتَبَا مَا صَافِيًا). السَّنْطَا: الدِّي. وَعَيْنُ الدِّيكِ تُوصَفُ بِالصَّفَاءِ.
- (٧) بَدَأَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ يَدَا قَلِيلًا (كَأَنَّهُ يَسْتَمِعُ إِلَى مَا فِي صِيَاغِهِ). الْقَوَادِمُ: كِبَارُ الرِّبَاسِ فِي جِوَارِ كُلِّ طَائِفَةٍ... ثُمَّ يَهْتَفِي بِصَاحِبِهِ.
- (٨) كَسَرَى أُنُوشِرَوَانَ مِنْ عَطَاهُ مُلُوكُ الْفَرَسِ. أَعْلَاهُ: جَمَلُ مَوْفِهِ، أَلْسُهُ، مَاطُ: عُلْقَى. وَكَانَ لِلْمَرِيَةِ بَنَاتٌ ظَالِمٌ مِنْ وَهَبٍ، وَهِيَ أُمُّ آلِ حَفْصَةَ (مُلُوكُ عَسَانَ) قَرِيطَانٌ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا دَرَّةٌ (لَوْزَةٌ) بِحَجْمِ بَيْضِ الْحَمَامِ.
- (٩) يَنْسِي بَيْطَهُ وَتَتَاقَلُّ يَمِيلُ بَيْنَهُ وَشَلَالًا كَالْبَطَّةِ (عَجَابًا بِنَفْسِهِ) «الْمَشْيَةِ» مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ مُقَدِّمٌ. «الْبَطَّة» مَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلُ مُؤَخَّرٍ.
- (١٠) - لَهَا حَالٌ أَسْوَدَ اللَّوْنِ عَلَى صَدْغِهَا كَأَنَّهُ نَقْطَةُ التَّوْنِ (يَشَبُّهُ جَانِبَ صَدْغِهَا بِالتَّوْنِ).
- (١١) حَوْلَ عَمَّا الصَّغِيرِ خَطٌّ أَسْوَدَ اللَّوْنِ (شَفَاءٌ سَرٌّ). فَصْرٌ: فِلَقَةٌ، قِطْعَةٌ غَالِيَةٌ (رُوحُ الْعَطْرِ)...؟

عَدَتْ تَنْقَعُ الْمِسَاكَ فِي يَرْدٍ تَقْرِهَا
مُحِيرَةً الْقَيْنِينَ مِنْ غَيْرِ سَكْرَةٍ
أَرَى نَكَمَةَ الْمِسَاكِ فِي حُمْرَةِ اللَّيْلِ
عَسَى فَرْحٌ قَتَلْتَنِيهِ فَأَحَالَهُ
كَأَنَّ أَبَا تَحِيصٍ مِنْ مَغْنٍ أَجَادَهَا
تَأَلَّفَ مِنْ دُرٍّ وَتَذَرٍ بِجَارِهِ
إِذَا سَارَ سَارَ الْمَجْدُ تَحْتَ لَوَائِهِ
رَفِيعُ عِمَادِ النَّارِ فِي اللَّيْلِ لِلرُّبَى
أَقُولُ لِرُكْبِي يَمْشُوا مَسْقَطُ النَّدَى
أَيُّ الْمَجْدِ تَبْنِي لَائِنٍ مَغْنٍ مُنَاقِضًا؟
- وقال:

لَوْ كُنْتُ شَاهِدَنَا غَنِيَةً أُنِينَا
وَالنَّسْرُ قَدْ مَدَّتْ أَدِيمَ شُعَائِمَا
خَلَّتِ الرُّذَاقُ بِهِ بُرَادَةً فِضْضَةً
وَالْمَرْؤُ تَتَكَيَّنَا بِمَيْتَتِي مُذْنِبًا^(١)
فِي الْأَرْضِ تَجْنَحُ غَيْرَ أَنْ لَمْ تَعْرِبْ،
قَدْ غُرِبْتُ مِنْ قَوْيٍ يَطْعُرُ مُذْهَبًا^(٢)

- (١) - شعرها يكتب رائحة طيبة من مشطها (يبيح) كانوا يشطون الشعر شط من عنبر حتى يكتب الشعر رائحة طيبة.
- (٢) الاستط: الخمر.
- (٣) المحضّر: المسود.
- (٤) فرح (يقصد قوس فرح). اللبياء: السمراء...
- (٥) الوكف: سيلان الماء من سقف البيت وسيلان الدمع من العين. البسط: الكرم في الإنفاق. (معنى البيت غامض) إلا إذا قصد «الجود والكرم».
- (٦) الدرّ: اللؤلؤ. الندر: قطع صغير من الذهب تسلك مع اللؤلؤ في العقد. النجار: الأصل: المجده الصدر. البسط: الحيط الذي يطم فيه اللؤلؤ عقداً.
- (٧) حطّ: المافر أحاله: نزل.
- (٨) - يشعل في الليل نارا كبيرة، فطارقه (ضربه) لا يجبط غيط المشواء (لا يسير في الليل على غير هدى).
- (٩) يَمْشُوا: قصدوا. مسقط الندى (حيث يكون الكرم). وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا مَرُّوا بِكَ وَلَمْ يَزَلُوا عِنْدَكَ كَانُوا قَدْ حَازَرُوا (حَفَلُوا وَرَاءَهُمْ) مَكَانَ النَّدَى (الكرم)، أَي مَكَانَكَ أَنْتَ.
- (١٠) المرن تكيي يعني مذنب: يهطل المطر بغزارة.
- (١١) حلت: طنبت. الرذاذ نقاط المطر المتفرقة التي تظل تسقط بعد المطرة الشديدة. الطلع: وهاء (غراش) من لباد.

١ - * * جذوة المقتبس ١٦٦ (الدار المصرية) ١٧٦ (رقم ٣٣٠)، بغية اللئيم ٢٢٨ (رقم ٥٨١)، الحريدة (الأندلس) ١٦٦ : ٢ - ١٦٧، ١٦٧ - ١٦٧٩، الحريدة (المغرب) ٢ : ٢٦٢، ٢٧٠ - ٥٨٨ - ٥٨٨، مطمح الأنفس ٨٣ - ٨٤، الطرب ١٢٦ وما بعد، المغرب ١٧ : ٢، الحلة السراء ٨٣ : ٢، ١٦٩ - ١٧٠، وفيات الأعيان ٤٢ : ٥ - ٤٥، ٧ : ٣٤٠، الذخيرة ١ : ٧٩٠ - ٨٠١، نفع الطيب ٤ : ٥١ - ٥٢، ١١٠٠، نيكل ١٩٦.

أبو الوليد إسماعيل بن محمد

١ - هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن جبيب من أهل إشبيلية، كان يُلقَّب بجبيب - وقيل إن أباه كان يُلقَّب بجبيب أيضاً، وكان من أهل الرئاسة - . وولَّد أبو الوليد بن إسماعيل نحو سنة ٤١٠ (١٠٣٠ م). ووَزَرَ مُدَّةَ سيرة فيها يبدو للمعتضد بن عباد (٤٣٤ - ٤٦١ هـ). وقيل إن المعتضد قتله قريباً من سنة ٤٤٠ (١٠٤٨ م).

٢ - كان أبو الوليد إسماعيل بن محمد من أهل الفهم والعلم والبلاغة. ثم هو أديبٌ كاتب وشاعر ومؤلف. وشعره سهلٌ أنيق فيه شيء من الصناعة ونُجِسَ فيه نفسٌ صفى الدين الجَلِّي (ت ٧٥٠ هـ). وأكثر شعره الوصف والغزل. وهو أكثر تكلفاً للصناعة في شعره منه في نثره. وله كتاب «البديع في وصف الربيع» جمعه من أقوال الشعراء، وقد جعله برسم المعتضد (أي ألفه له وقدمه إليه). ويميل المؤلف في كتابه هذا إلى الكشف عن براعة الأندلسيين وتبيان عبقريتهم وابتكارهم في الأدب (في مقابل ما كان يقال فيهم من الاندفاع في تقليد المشرقة)، ولقد أراد أن يتابع فيه كتاب الحدائق لابن فرج الجياني (ت ٣٦٦ هـ).

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو الوليد إسماعيل بن محمد في صدر كتابه «البديع في وصف الربيع» :
فصل الربيع آرج وأبهج^(١) وأنس وأنفس وأبدع وأرفع من أن أحدَّ حُسن ذاته

(١) أرج: أكثر أرجاً (طيب رائحة). بهجة: حسن النظر، السرور بالنظر الحسن.

أَعَدَّ بَدِيعَ صَفَاتِهِ. وَهُوَ مَعَ سَيَاتِهِ الرَّائِقَةِ وَالْآثَةِ الْفَائِقَةِ لَمْ يُغْنِ بَتَائِلُهَا أَحَدًا وَمَا انْفَرَدَ بِتَصْنِيفِهَا مُنْفَرِدٌ... لَكِنَّ أَهْلَ الْمَشْرِقِ، عَلَى تَأْلِيلِهِمْ لِأَشْأَارِهِمْ وَتَتَقِيْفِهِمْ لِأَخْبَارِهِمْ - مَدَّ تَكَلُّمَ الْعَرَبِ بِكَلَامِهَا وَشَغَلَتْ بَنْثَرَهَا وَنِظَامَهَا - لَا يَجِدُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ التَّشْبِيهَاتِ فِي هَذِهِ الْمَوْصُوفَاتِ مَا وَجَدْتُهُ لِأَهْلِ بَلَدِي^(١) عَلَى كَثْرَةِ مَا سَقَطَ مِنْهَا مِنْ يَدِي بِالْغَفْلَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا عَنْهُمْ وَقَلَّةِ التَّهَمُّ^(٢) بِهَا، وَعَلَى قَرَبِ عَهْدِ الْأَنْدَلُسِ بِمُنْتَحَلِي الْإِسْلَامِ، فَكَيْفَ يَمْتَحَلِي الْكَلَامَ^(٣)؟ فَكَيْفَ (لَا) يُرَى فَضْلُهُمْ وَقَدْ سَبَقُوا فِي أَحْسَنِ الْمَعَانِي مُجْتَنَلِي وَأَطْيَبِهَا مُجْتَنَلِي^(٤)، وَهُوَ الْبَابُ الَّذِي تَضَمَّنَتْ هَذَا الْكِتَابُ فَلَهُمْ فِيهِ مِنَ الْإِخْتِرَاعِ الْفَائِقِ وَالْإِبْتِدَاعِ الرَّائِقِ وَحُسْنِ التَّمْثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ مَا لَا يَقُومُ أَوْلَتْكَ^(٥) مَقَامَهُمْ فِيهِ.

- وَلَأَيُّ الْوَلِيدِ نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ الْمَذْكُورِ قِطْعَةً (كَانَ قَدْ خَاطَبَ بِهَا أَبَاهُ):
لَمَّا خَلَقَ الرَّبُّ مِنَ أَخْلَاقِكَ الْغُرَّ وَسَرَقَ زَهْرَهُ مِنْ شَيْبِكَ الزَّهْرُ^(٦). وَتَاقَبَ
النَّفْسُ إِلَى الرَّاحَةِ فِيهِ وَمَالَتْ إِلَى الْإِشْرَافِ عَلَى بَعْضِ مَا يَحْتَوِيهِ، مِنَ النُّورِ^(٧) الَّذِي
كَسَا الْأَرْضَ حُلًّا لَا يَرَى النَّاطِرُ فِي أَنْشَانِهَا خَلًّا. فَكَأَنَّهَا نَجْمٌ نُثِرَتْ عَلَى الثَّرَى وَقَدْ
مُلِثَتْ مِسْكًَ وَعَنْبَرًا. إِنْ تَسَنَّنَتْهَا فَأَرْجَةٌ، أَوْ تَوَسَّنَتْهَا فَبَهْجَةٌ. تَرُوقُ الْعَيُونَ
أَجْنَاسُهَا وَتُحْيِي النَّفُوسَ أَنْفَاسُهَا...

- وَقَالَ يَصِفُ الرَّبُّ نَحْمَ يَتَخَلَّصُ إِلَى الْمَدْحِ:

أُبَشِّرُ فَقَدْ سَفَرَ الثَّرَى عَنْ بَشَرِهِ وَأَتَاكَ يَنْشُرُ مَا طَوَى مِنْ نَشْرِهِ^(٨).

(١) بَلَدِي (الْأَنْدَلُس).

(٢) التَّهَمُّ: طَلَبُ الْأَشْيَاءِ وَالْبَحْثُ عَنْهَا.

(٣) اِمْتَحَلُ: اِتَّخَذَ مَحَلَةً (دِينًا، عَادَةً). مِمْتَحَلِي الْكَلَامِ: الْبَارِعِينَ فِي الشَّرِّ وَالشَّعْرِ.

(٤) الْمُجْتَنَلِي: الْمُنْظَرُ. الْمُجْتَنَلِي: الْقُطْفُ مِنَ الشَّجَرَةِ (الْمَقْصُودُ: طَعْمًا).

(٥) أَوْلَتْكَ: (أَيُّ: الْمَشَارِقَةِ، أَهْلُ الْمَشْرِقِ).

(٦) الْأَغْرُ: الْأَبْيَضُ. الشَّيْبَةُ: الصَّفَةُ. الْأَزْهَرُ: الْأَبْيَضُ، اللَّامِعُ.

(٧) النُّورُ (بِالْفَتْحِ): الزَّهَرُ الْأَبْيَضُ.

(٨) سَفَرَ: كَشَفَ. الثَّرَى: التُّرَابُ (وَجْهَ الْأَرْضِ). الْبَشَرُ: طَلَاةُ الْوَجْهِ (اِرْتِيَاحُ الْإِنْسَانِ لِلْقَاءِ النَّاسِ سُرُورًا بِهَا). النَّشْرُ: الرَّائِعَةُ الطَّيِّبَةُ: وَأَتَاكَ يَنْشُرُ مَا طَوَى مِنْ نَشْرِهِ (يَبْقَى مِنْهُ مَا كَانَ غُفِيًّا فِيهِ - مِنْ طَيِّبِ الرَّائِعَةِ وَجَمَالِ الْمُنْظَرِ).

مُتَحَصِّناً مِنْ حُسْنِهِ فِي مَقِيلٍ عَقَلَ الْعَيُونَ عَلَى رِعَايَةِ زَهْرِهِ^(١).
 فَضُّ الرِّبْعِ خِتَامَهُ فَبَدَا لَنَا مَا كَانَ مِنْ سَرَائِهِ فِي سِرِّهِ^(٢).
 مِنْ بَعْدِ مَا سَحَبَ السَّحَابُ ذُبُولَهُ فِيهِ وَدَرَ عَلَيْهِ أَنْفَسَ دُرِّهِ^(٣).
 فَاشْكُرْ لَأَذَارِ بَدَائِعِ مَا تَسْرَى مِنْ حُسْنِ مَنَظَرِهِ النَّصِيرِ وَخُبْرِهِ^(٤).
 شَهْرٌ كَأَنَّ الْحَاجِبَ ابْنَ مُحَمَّدٍ أَلْقَى عَلَيْهِ مَسْحَةً مِنْ بَشَرِهِ^(٥).

- وبعث إلى أبيه وزداً (بعد أوانه) وكتب إليه مع ذلك الورد يقول:

بِأَنَّ مِنْ تَأَوَّرَ بِالْمَكَارِمِ وَارْتَدَى بِالْجِدِّ وَالْفَضْلِ الرَّفِيعِ الْغَائِقِ،
 أَنْظُرْ إِلَى خَدِّ الرِّبْعِ مُرْكَبًا فِي وَجْهِ هَذَا الْمَهْرَجَانِ الرَّائِقِ.
 وَرَدُّ تَقْدَمَ، إِذْ تَأَخَّرَ، وَاعْتَدَى فِي الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ أَوَّلَ سَابِقِ.
 وَافَاكَ مَشْتَمِلًا بِشَوْبِ حَيَاتِهِ خَجَلًا (وَقَدْ) حَيَّاكَ آخِرَ لَاحِقِ^(٦).

- ١ - البديع في وصف الربيع (نشره هنري بارس)، باريس ١٩٤٠ م، الرباط ١٩٤٩ م.
 * * جذوة القنيس ١٥٢ (الدار المصرية) ١٦٢ (رقم ٢٩٥) بغية المتنبي ٢١٣ (رقم ٥٣٤)؛ الذخيرة ٢: ١٢٤ - ١٣٥ مجمع الأدباء ٧: ٤٣ - ٤٤ المطرب ١٢٦
 التكملة ١: ٤٧٤ المغرب ١: ١٢٤٥ بروكلمن ١: ١٣١٩ نيكل ١٢٣ - ١٢٤
 الأعلام للزركلي ١: ٣٢٢ (٣٢٣).

- (١) - كثرة جماله حملت الأيدي تخاف أن تطفئه، ولكن حسنه ربط العيون بالنظرة إليه.
 (٢) - الربيع جعل الزهر يتفتح ويبدى لنا سروره الذي كان مختفياً في الأزهار حيناً كانت في براعمها.
 (٣) - سحب السحاب ذبوله (مر منخفضاً فوق الأرض، وكان مطره قريباً). ودَرَ (انهمر بكثرة). الدُرُّ (اللؤلؤ). أنفَسَ: أغلى (يشبه نقط الماء الساقطة باللؤلؤ). في هذا البيت ابتعاد على أي تمام بصف روضاً:
 فقد محبت فيه الحائب ذليلاً وقد أخلست بالنور فيه الخائيل
 - أخلت، بالبناء للمجهول. والتور، بفتح النون: الزهر الأبيض).
 (٤) في الواحد والعشرين من شهر آذار (مارس) يبدأ فصل الربيع. حسن المنظر من جمال الزهر. النصير:
 الطير المثلج بالغاية. الخمر: الياقوت الذي يعرف بالاختبار (النفق والحقيقة من الشيء).
 (٥) البشر (راجع شرح البيت الأول). المسحة: التيه القليل - إذا كان الربيع جيلاً إلى هذا الحد فلأن
 الحاجب ابن محمد ألقى على الربيع شيئاً قليلاً من بشره، فكم يكون بشر الحاجب ابن محمد عظيماً.
 (٦) شوب حياته (بلونه الأحمر). حيَّاكَ آخر لاحق: خجل منك لأنه تأخر في الجيء إليك (لأنه أزهى بعد
 جميع الأزهار).

أبو القاسم الإفريقي

هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مُفَرَّج بن يحيى بن زياد بن عبد الله ابن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزُهري المعروف بالإفريقي أصله من الإفريقي، وهي قرية بالشام.

وُلِدَ أبو القاسم الإفريقي في قُرطبة في شَوَّالٍ من سَنَةِ ٣٥٢ (حريف عام ٩٦٤ م). وقد حَدَّثَ عن أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) بكتاب النوادر عن أبي علي الغالي (ت ٣٥٦ هـ). ثم تصدَّرَ للعلم في قُرطبة فكان الناس يقرأون عليه كُتُبَ الأدب خاصة.

وبعد الفتنة في الأندلس تقرب إلى آل حَمُودِ المستبدِّين بقُرطبة (٤٠٧ - ٤١٨ هـ)، وكتب في أثناء ذلك للخليفة المستكفي (٤١٤ - ٤٢٦ هـ). ثم لَحِقَتْهُ نُهْمَةٌ في دينه فَسُجِنَ في المَطْبَعِ بمدينة الزهراء (قرب قرطبة) أيام هشام المُعْتَدِّ (٤١٨ - ٤٢٢ هـ) ثم أُطْلِقَ سراحه.

وكانت وفاة أبي القاسم الإفريقي في قرطبة في ١٣ من ذي القعدة ٤٤١ (٤/٨ / ١٠٥٠ م).

كان أبو القاسم الإفريقي عالماً باللغة والنحو ويتكلم في البلاغة ومعاني الشعر والنقد، ضابطاً لأشعار العرب في الجاهلية وصدر الإسلام. ومما يؤخذ عليه أنه كان إذا أخطأ مضى على عناده وأصرَّ على تخريج خطأ. له كتاب «شرح معاني شعر المتنبي» (وليس له غيره)، وهو كتاب حسن جيد. وله شيء من الشعر العادي. وكذلك عانى الكتابة حيناً ولكنه لم ينجح (في الدواوين) لأنه كان يكتب على طريقة المعلمين المتكلمين ولم يجز في أساليب الكتاب المطبوعين.

نَسَلُكُ الإفريقي في شرح ديوان المتنبي مسلماً قريباً المأخذ: يقدم للبيت من الشعر بشرح لُفُوْهيٍّ مُوجِزٍ ثم يستعين على ما غمض من معاني الأبيات بالاستشهاد بأيات من القرآن الكريم وأبيات من الشعر. ثم ينبر في أثناء ذلك كله عدداً من الملاحظات النحوية. وهو قليل التعليق على الأبيات المشروحة. واهتمام الإفريقي باللغة، حيناً يشرح الشعر، أكثر من اهتمامه بالبلاغة. ثم إن الإفريقي مُعْجَبٌ بالمتنبي

إعجاباً شديداً لم يُنبّه على خطئه له ولا أرادَ أن يأخذَ عليه هُفوةً، بل كان يحاول
تخريج أخطاء المتنّي على وجهٍ مقبولٍ ثمّ يلتبس له الأعذار.

★ - جدوة المتنّيس ١٤٢ - ١٤٣ (الدار المصرية) ١٥١ - ١٥٢ (رقم ٢٦٢)؛ الصلة
٩٤ - ١٩٥ بغية المتنّيس ١٩٩ (رقم ٤٨٥)؛ معجم الأدباء ٤: ٢ - ١٩ المغرب ١:
٧٢ - ١٧٣: انباء الرواة ١: ١٨٣ - ١٨٤: الوافي بالوفيات ٦: ١١٤ - ١١٦:
وفيات الأعيان ١: ١٥١ بغية الوعاة ١٨٦: البلغة ١٩: شذرات الذهب ٣: ٣٦٦:
دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٠٦ - ٨٠٧: الأعلام للزركلي ٥٩: ٦١ - ٦٢)؛
الدابة ٩٤ - ١١٦.

أبو عمرو الداني

١ - هو أبو عمرو عُثَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عُثَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عُمَرَ المعروف بابن
الصَّبْرِيِّ، كان أبوه (ت ٣٩٣) من موالى بني أُمَيَّةَ ومن أهالي قُرطبة.

وُلِدَ أبو عمرو الداني سَنَةَ ٣٧١ أو ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م) في قُرطبة وبدأ طلب العلم
فيها وهو ابنُ أربعِ عَشْرَةَ سَنَةً. وقد سَمِعَ من كثيرين من علماء الأندلس في قُرطبة
وأُسْتَجَبَ وَبَيَّكَانَ وَسَرَقُطَةَ وَغَيْرَهَا. ثمّ إِنَّهُ رَحَلَ في مطلعِ سَنَةِ ٣٩٧ فسكن القَبْرَوَانَ
أربعةَ أشهرٍ ثمّ انتقل إلى مِصْرَ. وفي أواخرِ سَنَةِ ٣٩٨ (صيف ١٠٠٨ م) حجَّ. بعددٍ
انصرفَ راجعاً إلى الأندلس فوصل إليها في ذي القَعْدَةِ من سَنَةِ ٣٩٩ (منتصف
صيف ١٠٠٩ م). في أثناء هذه الرحلة أخذَ عن علماء كثيرين منهم: أحمدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ
مَحْفُوظِ الجِزْيِيِّ المِصْرِيِّ (ت مصر ٣٩٩ هـ) - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الكَاتِبِ البَنْدَادِيِّ (ت
٣٩٩ هـ) - مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَجَّادِ (ت نحو ٤٠٠ هـ) - فَارِسُ بْنُ أَحْمَدَ الحِمْصِيِّ
(ت مصر ٤٠١ هـ) - خَلْفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَاقَانَ المِصْرِيِّ (ت ٤٠٢ هـ) - عَبِيدُ اللَّهِ
ابْنُ سَلَمَةَ اليَحْصِيَّيَّ الأَنْدَلِسِيِّ^(١)، أخذَ عنه عامَّةُ القُرْآنِ - مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ القُرْطُبِيِّ
النَّجَّادِ (ت ٤١٢ هـ).

(١) في مقدِّمة أوْتُو برنزل (مصحح كتاب التفسير وشرح) أن عبید الله بن سلمة مات في الفتنة سنة
٤٥٠. لعل المقصود ٤٠٥.

حلّ أبو عمرو الدائي في قرطبة يُقرى ويؤلف إلى سنة ٤٠٣ هـ، حينما اشتدت
الفتنة فيها فغادرها إلى سرّسطة حيث سكن سبعة أعوام ثم انتقل إلى دانية سنة
٤٠٩ هـ، ولكن لم يلبث أن انتقل إلى جزيرة ميورة وبقي فيها ثمانية أعوام عاد
بعدها إلى دانية واتخذها دار سكن، ذلك لأن صاحب دانية مجاهداً العامري كان
ذا عناية بالقراءة والقراء فكثرت الرغبة في أيامه في ذلك. ومنذ ذلك الحين عرف
أبو عمرو بلقب الدائي. وكانت وفاته في دانية في نصف شعبان من سنة ٤٤٤ (١٢/ ١٠٥٢ م)^(١).

٢- كان أبو عمرو الدائي من أهل الذكوة والحفظ والعلم والفهم كما كان حسن
الخط عارفاً بقواعده. وكذلك كان سجيّاً للعلوم راعياً في تحصيلها، وخصوصاً فيما
يتعلق بعلوم القرآن وعلوم الحديث وروايته. وقد كان عارفاً بالفقه متبحراً في
اللغة وفي مذاهب النحويين. وقد كانت له كتب كثيرة جداً ضاع منها كثير.
فمن كتبه الباقية لنا: الإدغام الكبير - الأرجوزة في أصول السنة - الاقتصاد في
رسم المصحف - الإملات - الاهتداء في الوقف والابتداء - التحديد في صناعة
الإتقان والتجويد - التيسير في القراءات السبع^(٢) - طبقات القراء - الفتن
والملاحم - المحتوى في القراءات الشاذة - المقتبس في رسم مصاحف
الأمصار - النقط - المحكم في نقط المصاحف - رسالة الظاءات القرآنية^(٣)

(أ) كتاب التيسير: بدأ أبو عمرو الدائي هذا الكتاب، بعد المقدمة، بذكر القراء
السبعة الذين هم أصل القراءات المختلفة: عبد الله بن عامر الشامي (ت دمشق
١١٨ هـ) - عبد الله بن كثير المكي (ت ١٢٠ هـ) - عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت
١٢٧ هـ) - أبو عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ) - حمزة بن حبيب الزيات

(١) بروكلمان (١: ٥١٧، الملحق ١: ٧١٩): نصف شوال ٤٤٤ = شباط (فبراير) ١٠٥٣ (لا أرى ذلك
يستقيم في الحساب).

(٢) وهو كتاب مشهور (نفع الطيب ٣: ١٨٠ - ١٨١).

(٣) يلقى هذا الكتاب في مسئلة من مجلة البلاغ (سكة) ١٩٧٠ (٢) راجع مجلة «فاطمة الزيت» (شوال
١٣٩٠ هـ = تشرين الأول - أكتوبر ١٩٧٠ م).

الكوفي (ت ١٥٦ هـ) - نافع بن عبد الرحمن المدني (ت ١٦٩ هـ) - علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت ١٨٩ هـ).

ثم ذكر الرجال الذين أخذوا عن هؤلاء السبعة ثم الذين كانوا بيننا وبين هؤلاء .
(كيف وصلت إلينا القراءات عن القراء السبعة).

بعدئذ بدأ أبو عمرو الداني سرّد الخلاف في القراءات:

(وصل إلينا القرآن الكريم تأمناً في آياته وألفاظه وترتيبه كما كان في أيام رسول الله . وهناك ألفاظ وأحوال في القراءة كلها راجعة إلى الصحابة الذين أخذوا كل شيء عن الرسول صلى الله عليه وسلم). من هذه الأمور والأحوال كلها:

- الاستعاذة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لا خلاف في وجوب قراءتها جهراً عند كل بدء لقراءة من القرآن الكريم.

- التسمية أو البسملة: بسم الله الرحمن الرحيم، لا خلاف أيضاً في الجهر بها عند بدء قراءة القرآن. وأوجب بعضهم الجهر بها عند بدء كل سورة (ولو قرئت السور متتالية)، ماعدا سورة براءة أو التوبة فإنه لا بسملة فيها. ومنهم من يسقط التسمية بين السور عند متابعة التلاوة.

- الإمالة: ومن القراء من يميل «الألف المقصورة» (يلفظها بين الفتح والكسر)، نحو: «والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى...» أو الألف الطويلة أحياناً: «أحياكم».

- الترقيق: حق الراء المفتوحة أو المضمومة أن تُلَفَّظ مُفَخَّمةً. أمّا الراء المكسورة أو الساكنة بعد كسر فتحها الترقيق في اللفظ. ولكن بعضهم أمال الراء أحياناً في مثل قوله تعالى: «في الآخرة والأولى - سَجِدْني ان شاء الله صابراً».

- تسهيل الهزرة: نحو قوله تعالى «فأكله الذيب» مكان «فأكله الذئب». أو كان يُهَيَّلُ الهزرة مطلقاً (وتلك لمة لأهل الحجاز) نحو ياخذ (مكان يأخذ)، ونحو: إن يا جوج وما جوج مفيدون في الأرض. (مكان يا جوج وما جوج)، الخ.

- حذف الياء المتطرقة، كقوله تعالى: «ربّنا وتقبّل دُعاه» (مكان دعائي) أو «وتمود الذين جابوا الصخر بالواد (مكان الوادي)».

- قرأ جمهورُ القراء: سلامٌ هيَ حتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ (بفتح اللام)، وقرأ الكسائي «مَطْلَع» (بكسر اللام). الخ.

(ب) الْمُحْكَمُ في نقط المصاحف. المقصودُ بالنَّقْطِ هنا شيان: نقطُ الإعجام ونقط الحركات: نقطُ الإعجام للتفريق بين الباء والتاء والياء أو بين الجيم والحاء والهاء ثم نقط الحركات (أو الإعراب)، نحو: جَمَعَ وجميعٌ وجِئْتُ أو يَجْمَعُ ولم يَجْمَعْ.

كانتِ الكتابةُ العربية في أوَّل الأمر مُعرَّاةً من النقط ومن الحركات (وكذلك كُتِبَتِ المصاحف). ثم بدأ اللحنُ يتطرقُ إلى أَلْسِنَةِ العرب في قراءة القرآن أيضاً. فأشار زيادُ بنُ أبيه على أبي الأسود الدؤلي أن يُوجد طريقةً تمنعُ مثلَ ذلك اللحن. فاستنبط أبو الأسود أسلوباً من التنقيط (وضع نُقْطَ على الأحرف) للدلالة على لفظها مُعرَّدةً: ب، ث، ج، خ، د، ذ، س، ش الخ. أو لمعرفة الحركات الصرفية والنحوية. (وقد تطوَّر هذا التنقيط بدلالاتٍه حتَّى صار إلى ما هو معروف اليوم في كتابتنا).

ويعنى هنالك، فيما يتعلَّق بالمصاحف، شيءٌ هو التفريق بين التَهجئة والرَّسم. إنَّ الكلمات في المصاحف - ما عدا عدداً يسيراً منها - تُكْتَبُ في التهجئة بحسب لفظها نحو: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.....

ولكنَّ عدداً من تلك الكلمات «تُرَسَّم» رَسْماً خاصاً يُخالفُ القاعدة أحياناً (من حيث اللفظ أو من حيث جِمالُ الشكل أو الخط أو كراهة اجتماع حرفي عِلَّة وما أشبه). من ذلك:

- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (يَدَلُّ: باسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).
- الصَّلَاةُ (مكان: الصلاة، لأنَّ أهلَ الحجاز يفخِّمون لفظها) والزَّكَاةُ والفِدْوَةُ؛
والشَّيْطَانُ (الشَّيْطَانُ)، داوود (داوود)، المنفقين (المنافقين)، الموددة (المودودة)، يا يَها (يا أَيُّها).

- وبما أنَّ النَّقْطَ كان لتمييز لفظِ الكلمات في القرآن الكريم فقد أوجب الأئمةُ أن يكونَ خَطُّ الآياتِ في المصاحف مجنَّباً (بلون أسود) وأن يكونَ النَّقْطُ (للإعجام أو للإعراب) بصيغ (بلون: أحمر أو أصفر) لكيلا يظُنَّ القارئ القليل الاختبار أن

هذه العلامات من القرآن فيقرأها فيختلطُ حينئذٍ الوحيُ بالعلاماتِ الاصطلاحية التي هي من وضع البشر، وخصوصاً إذا كانت تلك العلامات «لتوجيه القارئ»، نحو وقف، لا (يجب الوقف عند هذه الكلمة)، ط (وقف مُطلق: يجوز الوقف ويجوز الوصل)، ز (وقف جائز: الأفضل أن تقطع القراءة)، جـ (وقف مجوز: الأفضل أن تصل القراءة) الخ. فمن أجل ذلك فقط رأى الأئمة الأولون أن تكون جميع العلامات الموجهة لمعرفة الحروف ولمعرفة الحركات ولمعرفة مواضع الفصل والوصل بصنغ (بلون) مُخالفٍ لغير الخطِّ الأصلي في المصحف. (أما اليوم، وقد أصبح نصُّ القرآن محمّلاً، فإن المصاحف تُطبع بحبر واحد: النصُّ القرآني والنقاط على الحروف وعلامات الإعراب وعلامات الوقف).

٣ - مختارات من آثاره

- مقدّمة «الحكم» لأبي عمرو الداني:

.... هذا كتابٌ علّمَ نَقَطَ المصاحف وكَيْفِيَّتَهُ^(١) على صِبْغِ التِّبَالَةِ ومَذَاهِبِ الْقِرَاءَةِ فِيمَا اتَّفَقُوا^(٢) عَلَيْهِ وفيهَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَعَلَى مَا سَنَّهُ الْمَاضُونَ وَاسْتَعْمَلَهُ النَّاقِطُونَ وَمَا يُوجِبُهُ قِيَاسُ الْعَرَبِيَّةِ^(٣) وَتَحَقُّقُهُ طَرِيقُ اللُّغَةِ، مَشْرُوحاً ذَلِكَ بِأَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ، مُبَيَّنّاً بِعِلَلِهِ وَوُجُوهِهِ، مَعَ ذِكْرِ السُّنَنِ^(٤) الْوَارِدَةِ عَنِ السَّلَفِ الْمَاضِينَ وَالْأئِمَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي النُّقْطِ وَمَنْ ابْتَدَأَ بِهِ أَوَّلًا وَمَنْ كَرِهَهُ مِنْهُمْ وَمَنْ تَرَخَّصَ فِيهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ تَمَّ بِنُضَافٍ إِلَيْهِ وَيَتَّصِلُ بِهِ مِنْ ذِكْرِ رَشْرِ فَوَاتِحِ^(٥) السُّورِ وَرُؤُوسِ الْآيِ وَالْخُمُوسِ وَالْمُثَوَّرِ^(٦)، وَمَنْ أَمَى ذَلِكَ....

(١) كيفية نقط المصاحف.

(٢) اتفق عليه الأئمة.

(٣) العربية: النحو.

(٤) السنن عن رسول الله (الأحاديث الشريفة).

(٥) فاتحة السورة: أولها: المقصود: ذكر اسم السورة وعدد آياتها وموضع نزولها في رأس كل سورة.

(٦) رؤوس الآي: أوائل الآيات: وضع علامات للدلالة على انتهاء الآية وبداية التي تليها. الخموس جمع خمس: مجموع من خمس آيات (توضع له علامة)، والمثور جمع عشر. وكان بعضهم يضع علامة عند كل انتهاء خمس آيات وعند انتهاء كل عشر آيات.

- من مقدّمة « كتاب التيسير في القراءات السبع » :

... أما بعد، فانكم سألتُموني - أحسنَ اللهُ إرشادكم - أنْ أصفَ لكم كتاباً مختصراً في مذاهب القراء السبعة بالأمصار^(١)، رَحِمَهُمُ اللهُ، يقرَّبُ عليكم تناولَهُ وَيَسْهُلُ عَلَيْكُمْ جِغْلُهُ وَيَخِفَّ عَلَيْكُمْ دَرَسُهُ (تم) يتضمَّنُ من الرواياتِ والطُرُقِ ما اشتهرَ وانتشرَ عندِ التالين^(٢) وَصَحَّ وَثَبَتَ عن الأئمةِ المتقدمين. فَأَجَبْتُكُمْ إلى ما سألْتُموه وأَعْلَنْتُ نَفْسِي في تصنيفِ ما رَغِبْتُموه، على النحو الذي أَرَدْتُموه، واعتمدتُ في ذلك على الإيجازِ والاختصارِ وتركِ التطويلِ والتكرارِ. وقَرَّبْتُ الألفاظَ وَهَذَبْتُ التراجمَ وَنَهَيْتُ على الشيءِ بما يُؤدِّي عن حقيقتهِ مِنْ غيرِ استغراقٍ لكي يُوصَلَ إلى ذلك في يُسرٍ وَيُحْفَظَ في قُرْبٍ.

- جامعُ القولِ في النقطِ (الحكم ١٨ - ١٩):

إنَّ الذي دعا السلفَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، إلى نَقْطِ المصاحفِ، بعد ان كانتْ خاليةً من ذلك وعاريةً عنه وقتَ رَسْمِها وَحينَ توجيهِها إلى الأمصارِ..... ما شاهدوه من أَهْلِ عصرهم - مَعَ قُرْبِهِمْ من زمنِ الفصاحةِ ومُشاهدةِ أَهْلِها - من فسادِ أَلْسِنَتِهِمْ واختلافِ أَلْفاظِهِمْ وتغيُّرِ طِباعِهِمْ ودخولِ اللحنِ على كثيرٍ من خواصِّ الناسِ وَعَوَامِّهمْ، وما خافوه مَعَ مرورِ الأيامِ وتطاوُلِ الأزمانِ من تَزْيُدِ ذلك وتضاعِفِهِ فيمن يَأْتِي من بَعْدِهِمْ - لا شكَّ - في العلمِ والفصاحةِ والفَهْمِ والِدِرَايةِ دونَ من شاهدوه، تَمَّ عَرَضَ له الفسادُ ودخلَ عليه اللحنُ، لكي يُرْجَعَ إلى نَقْطِها وَيُصارَ إلى شَكْلِها^(٣) عندِ دخولِ الشكوكِ وعدمِ المعرفةِ ويتحقَّقَ بذلكِ إعرابُ الكَلِمِ وتُدْرَكَ بهِ كَيْفِيَةُ الألفاظِ.

ثمَّ أَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا ذلكَ وَقَادَهُمُ الاجتهادُ اليه بَنَوْهُ على وَصْلِ القاريءِ بالكَلِمِ دونَ

(١) مصر (بكر الميم) عاصمةُ المقاطعةِ في مقابلِ « العاصمة ». كانتِ بغدادُ عاصمةَ الدولةِ العباسيةِ. أما الكوفةُ والبصرةُ ثُمَّ دمشقُ والقاهرةُ (في أيامِ الدولةِ العباسيةِ) فكانتِ أمصاراً.

(٢) التالون: القارئون (قارئو القرآن الكريم).

(٣) وضع حركة عليها.

وَقِيَهُ عَلَيْهِ^(١). فَأَعْرَبُوا أَوَاخِرَهُنَّ لِذَلِكَ لِأَنَّ الْإِشْكَالَ أَكْثَرَ مَا يَدْخُلُ عَلَى الْمُبْتَدِئِ الْمُتَعَلِّمِ، وَالْوَهْمُ أَكْثَرَ مَا يَغْرِضُ لِمَنْ لَا يُبْصِرُ الْإِعْرَابَ وَلَا يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ فِي إِعْرَابِ أَوَاخِرِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ. فَلِذَلِكَ بَنَوْا النَّقْطَ عَلَى الْوُصْلِ دُونَ الْوَقْفِ. وَأَيْضاً فَإِنَّ الْقَارِئَ قَدْ يَقْرَأُ آيَةَ وَالْأَكْثَرُ^(٢) فِي نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَلَا يَقْطَعُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ كُلِّهَا، فَلَا بَدْءَ مِنْ إِعْرَابٍ مَا يَصِلُهُ (مَا يَصِلُ الْقَارِئُ بَيْنَهُ) مِنْ ذَلِكَ ضَرُورَةً.

قال أبو عمرو (الداني): فَأَمَّا نَقْطُ الْمَصَاحِفِ بِالسَّوَادِ مِنَ الْحَبَرِ وَغَيْرِهِ فَلَا اسْتَحْجَازُهُ، بَلْ أُنْهِيَ عَنْهُ وَأُنْكَرُهُ اقْتِدَاءً بِمَنْ ابْتَدَأَ النَّقْطَ مِنَ السَّلَفِ وَاتَّبَاعاً لَهُ فِي اسْتِعْمَالِهِ لِذَلِكَ صَبِيغاً يُخَالِفُ لَوْنَ الْمِدَادِ، إِذْ كَانَ (الصَّبِغُ) لَا يُحْدِثُ فِي الْمَرْسُومِ تَغْيِيراً وَلَا تَغْلِيظاً. وَالسَّوَادُ يُحْدِثُ ذَلِكَ فِيهِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ رُبَّمَا زِيدَ فِي النَّقْطَةِ^(٣) فَتَوَهَّشَتْ لِأَجْلِ السَّوَادِ الَّذِي بِهِ تُرْسَمُ الْحُرُوفُ - أَنَّهَا حُرُوفٌ مِنَ الْكَلِمَةِ فَزِيدَ فِي نَلَوَاتِهَا لِذَلِكَ. وَلِأَجْلِ هَذَا وَرَدَّتِ الْكَرَاهِيَةُ عَمَّنْ تَقْدَمُ مِنَ الصَّحَاحِ وَغَيْرِهِمْ فِي نَقْطِ الْمَصَاحِفِ (بِالْحَبَرِ الْأَسْوَدِ).

والذي يستعمله نَقَاطُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحْدَيْهِ مِنَ الْأَلْوَانِ فِي نَقْطِ مَصَاحِفِهِمُ الْحُمْرَةَ وَالصَّفْرَةَ لَا غَيْرَ..

٤- التفسير... حيدر آباد ١٣١٦ هـ / دلهي (حجر) ١٣٢٨ هـ (أوتو برتزل) ليبزغ ١٩٣٠ م.

- المقنع في معرفة رسم المصاحف (أوتو برتزل)، ليبزغ ١٩٣٢ م. الحكم في نقط المصاحف (عزّة حسن)، دمشق (وزارة الإرشاد والثقافة) ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م.

** جذوة المقتبس ٢٨٦ - ٢٨٧ (الدار المصرية) ٣٠٥ - ٣٠٦ (رقم ٧٠٢)، بغية المتنفس ٣٩٩ - ٤٠٠ (رقم ١١٨٥)، معجم الأدباء ١٢: ١٢١ - ١٢٨؛ (ترجمتان منفصلتان)؛ الصلة ٣٨٥ - ١٣٨٧؛ إنباء الرواة ٢: ٣٤١ - ٣٤٢؛ الديباج المذهب ١١٨٨؛ نفع الطيب ١٣٥ - ١٣٦؛ شذرات الذهب ٣: ١٢٧٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣:

(١) إذا وقف القارئ على آخر الآية ألقى الحركة على الحرف الأخير منها (نحو: مالك يوم الدين * إياك نعبد... أو. مالك يوم الدين إياك نعبد).

(٢) أكثر من آية واحدة.

(٣) اقرأ: ردت النقطة (بالحبر الأسود).

ابن الحَيَّاط الأندلسي

١ - هو أبو بكر يحيى بن أحمد بن الحَيَّاط الأندلسي، وُلِدَ نَحْوَ سَنَةِ ٣٦٨ هـ (٩٧٨ - ٩٧٩ م). وَهُوَ من تلاميذِ مَسْلَمَةَ بنِ أَحْمَدَ المُرْجِيَّي (المُجَرِّيبي = المذريدي)، تَلَقَّى عليه عِلْمَ العَدَدِ والمهندسةَ ثم مَالاً إلى عِلْمِ أَحكامِ النجومِ وَبَرَعَ فيه واشتهر. وكان مُتَصَلِّاً بالخليفةِ سُلَيْمَانَ المُستعِينِ وبالأُمونِ القاسمِ بنِ حَمُودِ بنِ ذِي النون^(١). وكانت وفاتهُ ابنُ الحَيَّاطِ الأندلسي سَنَةَ ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ - ١٠٥٦) في طَلَيْطَلَّةَ.

٢ - كان ابنُ الحَيَّاطِ الأندلسي بارِعاً في الهندسة والفلك وفي الطَّبِّ دقيقَ العلاج ، كما كان أيضاً بارِعاً في النحو وأديباً شاعراً.

٣ - مختارات من شعره

قالَ ابنُ الحَيَّاطِ الأندلسي في الشكوى:

لَمْ يَخْلُ من نُوبِ الزمانِ أَدِيبُ - كَلَّا - فَشأنُ النَّائِبَاتِ عَجِيبُ^(٢).
وَعَضَارَةُ الأَهَامِ تَأْمِي أن يُرَى فيها لِأَبْنائِهِ الذِّكْلُ نَصِيبُ^(٣).
وَكذلكَ من صَحْبِ اللَّيَالِي طالِباً جَدًّا وَفَهًّا، فَأنَّهُ المَطْلُوبُ^(٤).

(١) كان الخليفة سليمان المستعين والمستبد القاسم بن حمود في أيام الفتنة (أيام الاضطراب في قرطبة) قد تداولا مع نفر اخرين الحكم على قرطبة في فترات قصيرة متقطعة، بين سنة ٤٠٠ وسنة ٤١٦ هـ (١٠٠٩ - ١٠٢٥ م). والأرجح أن ابن الحَيَّاط كان مُتَصَلِّاً بالمستعين وبالأُمون من قبل سنة ٤٠٠ هـ

(٢) النوب (جمع نوبة) والنائبات (جمع نائبة): المصاب.

(٣) الفضارة: النعمة والسعة في العيش. - المقصود: النعمة لا تريد أن يكون منها نصيب للأذكىاء الأتماء في هذه الحياة.

(٤) - من نفس حياته في طلب العلم بالجد (بكر الجيم: المتابعة) والفهم لم يكن لديه وقت لطلب المال والحط.

وقال في بخيل:

لا تَكُونَنَّ مُرَبِّماً^(١) وَعَوفاً: سَلِّهُ أَدَمًا، وَخَلِّ غَنَكَ الرَغِيفاً^(٢).
أَكْرَمَ الْخُبْزَ بِالصَّيَاةِ حَتَّى جَعَلَ الْكَعْكَ لِلْبَنَاتِ شُوقاً^(٣).

١ - * * طبقات الأطباء ٢: ١٥٠ معجم الأدباء ١٩: ٣١٣ - ٣١٤ الوافي بالوفيات ٦: ١١٤.

أم العلاء المجارية

١ - هي أم العلاء بنت يوسف المجارية، نسبة إلى مدينة وادي المجارة في شالي الأندلس، عاشت في القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد).

٢ - كانت أم العلاء المجارية حسنة الشعر، وفي شعرها لغات، وفيه شيء من الضعف.

٣ - مختارات من شعرها

كَانَ رَجُلٌ أَشْبَبُ قَدْ عَشِقَ أُمَّ الْعَلَاءِ الْمَجَارِيَّةَ فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ:

الشَّيْبُ لَا يُخْذَعُ فِيهِ الصَّبَا بِحِيلَةٍ، فَاسْتَعِ إِلَى نُضْحِي
فَلَا تَكُنْ أَجْهَلُ مَنْ فِي الْوَرَى يَبْتَ فِي الْجَهْلِ كَمَا يُضْحِي!

ولها في النيب:

كُلُّ مَا يَصْدُرُ مِنْكُمْ حَسَنٌ، وَبَعْلِيَاكُمْ تَحْلِي الرِّمَنُ.
تَعْكِفُ الْعَيْنُ عَلَى مَنْظَرِكُمْ وَبِذَكَرَاكُمْ تَلْدُ الْأَذُنُ^(١).

(١) البرم: الملح في السؤال. الصوف: الشدید العنيف في المطالبة.

(٢) الأدم (بضم الهزة) جمع أدمة (بضم الهزة أيضاً): الناقة السراء الثمينة، السمن: الطعام المالح بالسمن. - المعنى: أطلب من هذا الرجل البخيل شيئاً ثميناً (نياقاً أو طعاماً مطبوخاً بالسمن واللحم) لأنه يمكن أن يعتذر حينئذ اعتذاراً لطيفاً فيقول لك: ليس عندي الآن مثل هذا - ويكون صادقاً). أما إذا طلبت منه رغيفاً (والرغيف يجب أن يكون موجوداً دائماً عند جميع الناس، فلا يمكنه أن يعتذر عند منع الرغيف عنك بطر مقبول فينتظره بالنضب الشديد ويسيء إليك).

(٣) الشف (بفتح الشين) حلية صغيرة تعلّق في أعلى الأذن.

(٤) عكف على الصم: أطال الوقوف أمامه. تمكف العين على منظر: تنظر إليك كثيراً سروراً بكم.

مَنْ يَحْسُ دُونَكُمْ فِي عُمْرِهِ فَهُوَ فِي نَيْلِ الْأَمَانِي يُغْنَى.
وقالت في العتاب والاعتذار:

إِفْهَمْ مَطَارِحَ أَحْوَالِي وَمَا حَكَمْتُ بِهِ الشَّوَاهِدُ وَاعْزُرْنِي وَلَا تَلُمِ^(١)،
وَلَا تَكِلْنِي إِلَى عَذْرِ أَبِيئْتُهُ شَرَّ الْمَعَاذِيرِ مَا يَحْتَاجُ لِلْكَلَمِ^(٢).

٤ - ** - المغرب ٢: ١٣٨ نفع الطيب ٤: ١٦٦ بقية الوعاة ٢٢.

ابن البزلياني

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد - أو ابن عامر (المغرب ١: ٤٤٤) - البزلياني،
أصله من مالقة، وهو منسوب إلى بزليانة (جصن من حصون مالقة على بحر
الرُّقَّاق - بين الأندلس والمغرب). وكان مولده في صَفَرٍ من سَنَةِ ٣٩١ (الصلة ١:
٣٦٧).

عَمِلَ ابن البزلياني كاتباً أو وزيراً عند نفرٍ من ملوك الطوائف: كان عند
حَبُوسٍ صاحبِ غَرْناطة، وكانت ولاية حَبُوسٍ من سَنَةِ ٤١٠ إلى سنة ٤٣٠ للهجرة.
ولما استولى الْمُعْتَضِدُ صاحبُ إشبيلية على أُونبة وشلطيش (في أقصى الجنوب الغربي
من البرتغال اليوم)، سَنَةِ ٤٤٣ هـ، جعلَ ابنه مُحمَّداً والياً عليها وجعل ابنَ
البزلياني كاتباً لابنه ووزيراً.

ثم نشأت لإسماعيل بن المُعْتَضِدِ ناشئة استقلالٍ عن أبيه وأرادَ قتلَ أبيه في سبيلِ
ذلك - وقيل بل زَينَ له ذلك وزيرُهُ ابنُ البزلياني، فقتله المُعْتَضِدُ في أولِ ثورةِ ابنه
إسماعيلَ (الذخيرة ٢: ١٤٧ ن) - . وقد قَتَلَ المُعْتَضِدُ بعدَ ذلك بِمَدَّةٍ قصيرةِ ابنه
إسماعيلَ، سَنَةِ ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م).

٢ - أبو عبد الله بنُ البزلياني أديبٌ كاتبٌ مترسِّلٌ، له رسائلُ ديوانيةٌ ورسائلُ

(١) مطارح أحوالي: كيف تقلبت في الأحوال (المصائب التي نزلت لي). الشواهد: جمع شاهد: العلامة
الظاهرة.

(٢) المعز الذي يحتاج إلى شرح (ولا يكون ظاهراً بنفسه ليس عذراً).

إخوانية. وأغراضه فيها المديحُ والعتابُ والهجاءُ. وكانت له معرفةٌ باللغة. ويبدو أنه كان ينظم الشعرَ (راجع الذخيرة ١: ٦٣٥)، إذ يقول في إحدى رسائله: «... وكما أن بركة الأشجار في الأنوار، فكذلك بركة الأدب في الرسائل والأشعار».

٣ - مختارات من آثاره

- لابن البرزلباني رسالةٌ إلى ابن مُنذر^(١) جاء فيها (الذخيرة ١: ٦٢٧):
وأتصل في ما وقع بينك وبين المؤمن وأبي المنذر والموفق وعضد الدولة أبي الحسن^(٢)، وأنكم اضطررتم إلى إخراج كل فريق منكم النصارى إلى بلاد المسلمين^(٣). فنظرت في الأمر بعين التحصيل وتأوَّنته بحقيقة التأويل، فظنم قلقي وكثرت على المسلمين شفتي في أن يطأ أعداؤهم بلادهم ويؤتموا أولادهم ويتسع الحرق على الراقع وينقطع طمع التلاقي على الطامع. ولو لم تكن - يا سيدي - الفتنة إلا بين المسلمين والتشاجر إلا بين المؤمنين^(٤)، لكانت القارعة العظمى والداهية الكبرى. فإذا (نحن) تأيذنا بالمشركي واعتضدنا بالكافرين^(٥) وأبختناهم حرمتنا ومنحناهم قوتنا وقتلنا أنفسنا بأيدينا وأدبنا إلى الندم مساعينا، كانت الدائرة أمضً والحيرة أرمضً^(٦) والفتنة أشدَّ والمحنة أهدَّ والأعمال أحبط والأحوال أسقط والأوزار أثقل والمضار أشمل. والله يُعيذنا من البوائق^(٧) ويسلك بنا أجمل.

(١) (٢) ابن منذر والمؤمن وأبي المنذر والموفق وعضد الدولة أبي الحسن يجب أن يكونوا من ملوك الطوائف وأن يكونوا أيضاً في زمن واحد. ولكن أسماء نفر من ملوك الطوائف والألقاب وكماهم تشابه أو تتفق. ويراجع جداول زامباور (ص ٨٩ وما بعد) لم أستطع أن أعين أصحاب هذه الأسماء تعييناً دقيقاً صحيحاً.

(٣) الشكوى من أن هؤلاء الملوك المسلمين كانوا يستميتون جيوش النصارى على قتال بعضهم بعضاً أو على قتال مناصيهم المسلمين.

(٤) لعل الأصح أن يقال: ولو لم يكن (من ذلك) إلا الفتنة بين المسلمين وإلا التشاجر بين المؤمنين. «كان» في هذه الجملة والتي بعدها «ثالث» تحتاج إلى فاعل لا إلى اسم وخير.

(٥) تأيذنا واعتضدنا: استعاضاً.

(٦) الدائرة (المصيبة المفاجئة) أمضً (أشدَّ ألماً). أرمضً (أشدَّ حرماً).

(٧) البائقة: الشر، الداهية.

الطرائق... ولما انتظرتُ أن يُسَفرَ ذلك الدجور^(١) وتستقرَّ تلك الأمور، (ثم) أبطلتُ عليّ ذلك ولم بعدُ من قبلكَ رسولٌ إليّ، داخلتُ عَميدَ الدولة^(٢) جاري في هذه الأنباء وراوَضتُهُ^(٣) في علاج هذه الأدواء. وأنت - يا سيدي - للمسلمين الحِصْنُ الحِصْنُ والسببُ الثمينُ والنصيحُ الأمين، فاجهر في جَمْعِ كَلِمَتِهِمْ والمُرَامَةِ دون حوزتهم^(٤) - وله رسالةٌ إخوانيةٌ إلى، أبي جعفر بن عباس^(٥) يقرّعه فيها (وقد كان زارَه فلم يُوفِّه حَقّه من إكرام الضيف) (الدخيرة ١: ٦٣٣):

كَلَّفُ المُرُوَّةَ - أبقاك الله - صعبةً إلّا على الكِرَامِ، وطُرُقُ الجَفَاءِ رحبةٌ لسلوك اللِثَامِ. والأحقُّ يرى الهرَّ^(٦) خُسراناً ويمتدُّ إكرامُ الواغدين نُقصاناً، فيَمْنَحُ الكثيرُ من عِرْضِهِ ويمْنَعُ اليسيرُ من عِرْضِهِ^(٧)، ويلبَسُ دِرْعاً وهو مهتوكٌ بالطَّنِّ^(٨)، ويجعل الكبرياءَ رداءً وهو مُطرَرٌّ باللعن... وما ينكَبِرُ متكَبِّراً إلّا من جَهْلِهِ، وعُجْبُ المرءِ أحدُ حَسَادِ عَقْلِهِ^(٩)... وجِشْتُكَ زائراً فكأنّي جِشْتُكَ أَمْلاً^(١٠). وأردتُ مُصَافَحَتَكَ فما مَدَدْتُ إليّ يداً. وطلبتُ مُعَاقَبَتَكَ فخلتُكَ مُقْعِداً^(١١). وبعد أن هَمَمْتُ بالتهوُّضِ أَقْعَدَكَ الكسلُ، كأنك خُمَصَانَةٌ أَثْقَلَهَا الكَفَلُ^(١٢). وجعلتُ تُشِيرُ بالحاجِبِ وتُلَوِّي الشَفَةَ

-
- (١) أسفر: انكشف (زال). الدجور: الظلام (الشدّة، الهمة).
(٢) داخلت: شاركت في البحث، حاولت معرفة رأي (فلان). عَميد الدولة (٢).
(٣) راوَض فلان فلاناً: حاول استكناه وإقناعه.
(٤) أجز (فعل أمر): سرّ، اسع، حاول. المُرَامَةُ (أن يرمي كلَّ خصم خصمه بالسهام). و (هنا): قاتل، دافع. الحوزة: ما يملكه الإنسان.
(٥) أبو جعفر بن عباس الوزير الكاتب.
(٦) الهرّ: عمل الخير والإحسان إلى الآخرين والطاعة للأغارب.
(٧) العرض (بالكسر): الشرف، ما يجب أن يدافع الإنسان عنه. (وبفتح ففتح): السُلعة، المادّة.
(٨) الدرع (التي تلبس في الحرب) مؤنثة: إمرأة إذن: وهي مهتوكة (مقطوعة، ممزقة: لا تدفع أدّى).
والدرع (ثوب للقتال) مذكّر.
(٩) العجب (رفع الإنسان نفسه فوق مقامها) من حَسَادِ عقله (بصرف الرجل عن الاستماعة بعقله*).
(١٠) ... جِشْتُكَ أَمْلاً (جِشْتُكَ إليك أطلب عطاء أو مالاً).
(١١) خلّتك (طعنتك) مقعداً (عاجزاً عن القيام على رجليك).
(١٢) الخُمَصَانَةُ (الثلاثة التحيلة الحِصْن) أَثْقَلَهَا (سحقها من التهوُّض) الكَفَلُ: مؤخّرة الإنسان (لضعفاته).

وَقَدَّعِي - بالجهل في كل شيء - معرفة. فما كان ضَرْكَ حِينَ أَخَلَّتْ لَوْ أَجَلَّتْ؟^(١)
وما كان يَسُوكَ حِينَ نَاطَرَتْ لَوْ أَجَمَلَتْ؟^(٢) وما كان يَنْقُصُكَ؟^(٣) حين حكمت لو عدلت؟.

٤ - * * * الذخيرة ١: ٦٢٤ - ٦٤٣، ٣: ١٤٦ - ١٤٧، الصلة ٢٦٧ راجع المغرب ١: ٤٤٤ - ٤٤٥.

ابن بُرْدِ الْأَصْفَرِ

١ - هو أبو حَنْصَرٍ أَحَدُ (الْأَصْفَرُ) بَنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي حَنْصَرٍ أَحَدِ (الْأَكْبَرِ) بَنِ بُرْدٍ مولى أَحَدِ بَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ شُهَيْدٍ.

كان أَحَدُ بَنِ بُرْدِ الْأَصْفَرِ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ جَاءَ وَرِثَاةٌ فَقَدْ كَانَ جَدُّهُ أَحَدُ بَنِ بُرْدِ الْأَكْبَرِ (٢٣٥ - ٤١٨ هـ) وَزِيْرًا فِي أَيَّامِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ. وَقَدْ قَرَأَ أَحَدُ الْأَصْفَرِ عَلَى جَدِّهِ فَنَوَّنَ الْأَدَبَ وَالْعِلْمَ كَمَا تَعَلَّمَ عَلَى يَدَيْهِ صِنَاعَةَ الْكِتَابَةِ ثُمَّ مَارَسَهَا قَبْلَ أَنْ يُتَوَفَّى جَدُّهُ (سَرَقُشْطَةَ، ٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م).

كَانَ آلُ بُرْدٍ يَعْيشُونَ فِي قُرْطَبَةٍ. وَيَبْدُو أَنَّهُمْ تَرَكَوْهَا فِي الْحَرَمِ مِنْ سَنَةِ ٤٠٧ هـ (حَزِيرَانَ - يُونِيُو ١٠١٦ م) لَمَّا ضَيَّقَ عَلِيُّ بْنُ حَمُوْدٍ الْمُسْتَبْدُ بِقُرْطَبَةٍ عَلَى النَّاسِ كَانُوا قَدْ خَدَمُوا سُلَيْمَانَ الْمُسْتَعِيْنَ الْأُمَوِيَّ وَفِيهِمْ جَدُّهُ أَحَدُ بَنِ بُرْدِ الْأَكْبَرِ (رَاجِعِ الذَّخِيرَةَ ١: ٨٠ - ٨٢). وَالَّذِي أَرْجَحُهُ أَنَّهُمْ انْتَقَلُوا إِلَى دَانِيَّةٍ فَاتَّصَلَ أَحَدُ الْأَصْفَرِ بِجَاهِدِ الْعَامِرِيِّ (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) ثُمَّ بَابَنِهِ وَخَلَفَهُ أَبِي الْأَخْوَصِ مَعْنَى (٤٣٢ - ٤٣٦ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْمَرْيَةِ، قَبْلَ ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م)، فَقَدْ قَالَ الْحَمِيدِيُّ (جَدْوَةَ ١٠٧): «وَقَدْ رَأَيْتُهُ بِالْمَرْيَةِ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِيْنَ زَائِرًا لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ بْنِ أَحَدٍ غَيْرَ مَرَّةٍ». وَقَدْ اسْتَوَزَرَهُ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَادِحٍ. وَبِمَا أَنَّ الْمُعْتَصِمَ بْنَ صَادِحٍ جَاءَ إِلَى حُكْمِ الْمَرْيَةِ سَنَةً

(١) أَعْلَى الرَّجُلِ فِي أَمْرٍ: فَصَّرَ فِيهِ (مَادَّهَا). أَجَلٌ: أَحَقَرُ (مَعْنَوًى).

(٢) نَاطَرَ فُلَانٌ فُلَانًا: نَاقَشَهُ. النَّصُودُ هُنَا: طَلَبُ السَّوَادَةِ بِهِ.

(٣) الْعَمَلُ «نَقَصَ» يَكُونُ لَازِمًا وَمُسْتَعْدًّا. مَا يَنْقُصُكَ؟ مَا يَنْقُصُ مِنْكَ؟ مَا تَحْزِرُ؟.

٤٤٤ ، فالمنتظر أن يكون ابن بُرد قد بقي في المَرِيَّة بعد ذلك مُدَّة . وكذلك صَنَّف ابنُ بُرد كتاباً للمعتصم بن ضُحاح ورفعه إليه ، ولا تُدري أَفَعَلَ ذلك قبل أن يَلِيَ الوِزَارَةَ (وهذا أَقْرَبُ إلى المَقُول لأنَّ مثل هذا العمل يكون لتَقَرُّب الإنسان من ذَوِي الجِوَارِ ، وَقَلَّ ما يَنفَع بعد الوصول إلى الوِزَارَةِ) أَمْ بعد ذلك .

وَلَمَّا وَفَاةَ أَحْمَدُ بْنُ بُرْدٍ الْأَصْفَرِ كَانَتْ فِي حُدُودِ سَنَةِ ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ ، فِي الْمَرِيَّةِ عَلَى الْأَرْجَحِ .

٢- كان أَحْمَدُ بْنُ بُرْدٍ الْأَصْفَرُ كَاتِباً بَلِيغاً لَهُ رَسَائِلُ سُلْطَانِيَّاتٍ وَرَسَائِلُ إِخْوَانِيَّاتٍ ، وَهُوَ كَثِيرُ التَّائِقِ وَالتَّكَلُّفِ فِيهَا . وَكَذَلِكَ كَانَ شَاعِراً مَلِيحَ الشَّعْرِ لَهُ قَصِيدٌ وَرَجَزٌ . وَقِيَمَةُ شِعْرِهِ إِنَّمَا هِيَ فِي أَنَّهُ يَأْتِي بِالصَّنَاعَةِ الْبَارِعَةِ فِي التَّرْكِيبِ الْبَدْوِيِّ الْمُتَيْنِ . وَأَكْثَرُ شِعْرِهِ الْوَصْفُ . وَقَدْ اشتهرَ بِرِسَالَةِ السِّيفِ وَالْقَلَمِ وَهِيَ مُبَارَاةٌ فِي بَيَانِ فَضْلِ السِّيفِ وَفَضْلِ الْقَلَمِ .

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ أَثَارِهِ

- مِنْ رِسَالَةِ السِّيفِ وَالْقَلَمِ ، وَهِيَ رِسَالَةٌ كَتَبَهَا ابْنُ بُرْدٍ الْأَصْفَرُ إِلَى الْمَوْفِقِ أَبِي الْجَيْشِ مُجَاهِدِ الْعَامِرِيِّ صَاحِبِ دَانِيَّةِ وَالْجَزْرِ الشَّرْقِيَّةِ (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) :

... وَإِنَّ السِّيفَ وَالْقَلَمَ - لَمَّا كَانَا بِمُصْبَاحَيْنِ يَهْدِيَانِ إِلَى الْقَصْدِ مِنْ بَاتٍ يَسْرِي^(١) إِلَى الْمَجْدِ ، وَسَلَّمَتَيْنِ يُلْجِقَانِ بِالْكَوَاكِبِ مَنْ ارْتَقَى لِإِسَامِيَّاتِ الْمَرَاتِبِ ، وَطَرِيقَيْنِ يَشْرَعَانِ نَهْجَ الشَّرَفِ لِمَنْ تَقَرَّى إِلَيْهِ ، وَبِجَمْعَانِ شَمَلَ الْفَخْرَ لِمَنْ تَأَسَّبَ^(٢) عَلَيْهِ ... جَزَرًا أَذْيَالُ الْحَيْلَةِ تَفَاخُرًا وَأَشْمًا بَأَنْفِ الْكِبَرِيَّةِ تَنَافُرًا ، وَادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَنَّ الْفَوْزَ لَقَدْحِهِ وَأَنَّ الْوَرِيَّ لَقَدْحِهِ^(٣) ... وَحِينَ كَشَفَ الْجِدَالَ قِنَاعَهُ وَمَدَّ

(١) سَرَى يَسْرِي: مَشَى فِي اللَّيْلِ ، (وَهَذَا) . سَارَ بِعِزْمٍ وَثَبَاتٍ .

(٢) تَأَسَّبَ: أَخْطَرَ وَبَيَّنَ . نَهَجٌ: طَرِيقٌ وَاضِعٌ . تَقَرَّى الْبِلَادَ وَغَرَا الْبِلَادَ: سَارَ فِيهَا يَنْظُرُ إِلَى خِصَائِصِهَا وَطَرَفِهَا وَأَحْوَالِهَا . تَأَسَّبَ: اجْتَمَعَ .

(٣) أَشْمًا (رُغْمًا) بِأَنْفِ الْكِبَرِيَّةِ: تَنَافَرًا (دَعَا كُلَّ مِنْهَا صَاحِبَهُ إِلَى الْقِتَالِ) . الْفَوْزَ لَقَدْحِهِ (بِكَسْرِ الْقَافِ) : الْقَدْحُ سَمٌّ عَلَيْهِ رَقْمٌ يَسْتَعْمَدُونَهُ فِي الْمِيسْرِ (الْقَارِ) وَالْقَدْحُ الْفَائِزُ (الرَّابِعُ) . وَالْقَدْحُ (يَفْتَحُ الْقَافَ) : اسْتِخْرَاجُ النَّارِ مِنْ حِجَرِ الصُّوَّانِ بِضَرْبِهِ بِقِطْعَةٍ مِنْ حَدِيدٍ . الْوَرِي: الْإِرْشَالُ وَالْإِسْتِمَالُ .

الحِصَامُ ذِرَاعُهُ... قَامَا يَتَبَارِهَانِ فِي الْمَقَالِ وَيَتَسَاهَلَانِ فِي الْحِصَالِ وَيَصِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جَلَالَ نَفْسِهِ وَيَذْكُرُ فَضْلَ مَا اجْتَنَبِي مِنْ غَرَبِهِ^(١)....

فَقَالَ الْقَلَمُ: هَا اللَّهُ أَكْبَرُ! أَتِيهَا السَّائِلُ بَدَأَ يَفْعَلُ لِسَانَكَ وَيُحِيرُ جَنَانَكَ^(٢) وَبَدِيَّةَ تَمَلُّ سَمْعَكَ وَتُضَيِّقُ ذَرْعَكَ^(٣): خَيْرُ الْأَقْوَالِ الْحَقُّ، وَأَحْمَدُ السَّجَايَا الصَّدَقُ. وَالْأَفْضَلُ مَنْ فَضَّلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَنْزِيلِهِ، مُقْسِياً بِهِ لِرَسُولِهِ، فَقَالَ: «نَ، وَالْقَلَمُ وَمَا يَنْطُرُونَ»؛ وَقَالَ: «اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ»^(٤). فَجَلَّ مِنْ مُقْسِرٍ وَعَزَّ مِنْ قَسِرٍ. فَمَا تَرَانِي وَقَدْ حَلَلْتُ بَيْنَ جَفْنِ الْإِيمَانِ وَنَاطِرِهِ، وَجَلَّتْ بَيْنَ قَلْبِ الْإِنْسَانِ وَخَاطِرِهِ! لَقَدْ أَخَذْتُ الْفَضْلَ بِرُمْتِهِ وَقُدْتُ الْفَخْرَ بِأَرْمَتِهِ^(٥).

فَقَالَ السِّيفُ: عَدْنَا مِنْ ذِكْرِ الشَّرِيعَةِ إِلَى ذِكْرِ الطَّبِيعَةِ، وَمَنْ وَصَفَ الْمِلَّةَ إِلَى وَصَفِ الْحِصْلَةِ^(٦). لَا أَسِيرُ وَلَكِنْ أُلْعِنُ: قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُخْسِنُ! إِنْ عَاتَبَا حِلَّ نَجَادِي لَسَعِيدٍ، وَإِنْ عَضُدَا بَاتٍ وَسَادِي لَسَدِيدٍ^(٧). وَإِنْ فَتَى اتَّخَذَنِي دَلِيلَهُ لَمْهَدِيٍّ، وَإِنْ أَمْرًا صَيَّرَنِي رَسُولَهُ لَمْفَدِيٍّ. يُشَقُّ مِنِّي الدُّجَى بِمَصْبَاحٍ، وَيُقَابَلُ كُلُّ بَابٍ بِمِفْتَاحٍ.

(١) تساهل الرجلان: تبارها وتفاخرا. ما اجتنبي (ما قطف) من غربه (أشجاره): ما استفادة من جهود.

(٢) يعقل (يربط) لسانك وينمى من الكلام (الله أكبر هو البده الذي يقض ذلك). الجنان: القلب.

(٣) البديئة: الكلام الفوري بلا استعداد. بلا سمعك (بدهشك) وبضيق ذرعك (مقدار ما بين كتفيك: صدرك): يحملك تمنع عن الجواب.

(٤) ن... (مطلع السورة ٦٨، سورة القلم). والحرف «ن» هنا يمكن أن يكون معناه «حرف، كلمة» ويمكن أن يكون معناه «مجرة» (وكلا المصنفين متعلقان بالقراءة والكتابة وبفضل القلم). اقرأ... (في مطلع السورة ٩٦، سورة العلق، أول سور القرآن نزولاً على رسول الله).

(٥) بين جفن الإيمان وناطره (في أسى الأمكنة منه: في القرآن). بين قلب الإنسان وخاطره. في عقله (وهو غير الأمكنة فيه). برمته (الزمة قطعة الحبل يربط بها البعير): كله. وقدت الفخر بأزمته (جمع زمام: لجام): استأثرت به وحدي.

(٦) عدنا: اجتر بنا. لتترك. التريمة: الدمن (الدفاع عن القلم بقول الدمن فيه) إلى الطبيعة: إلى عمل القلم (أو السيف) وحده. ومن الملة (الدمن) إلى الحصلة (الصفة الذاتية).

(٧) العاتق: ما بين العنق وطرف الكتف. النجاد: حالة السيف. العضد: ما بين المرفق إلى الكتف. بات وسادي (أصبح مثيلاً لي، حلي). يقول السيف: من ملكني دأغت عنه وحبته. سديد: صائب الرأي.

أَفْصَحُ وَالْبَطْلُ قَدْ خَرَسَ، وَأَبْنَسِمُ وَالْأَجْلُ قَدْ عَبَسَ^(١) ...

- قال ابن برد الأصغر في الشكوى من ظلم المحبوب:

بِأَيِّ أَنْتَ وَأَيِّ لِمَ ظَلَمْتِ بِظُلْمِي؟^(٢)
أَبْدَأُ نَأْيِي بِغَنَبٍ دُونَ أَنْ أُنْصِبَ بِذَنْبِ
يَتَنَا فِي الْحُبِّ قُرْبِي: سُبُّ عَيْنِكَ وَجَنَمِي!
- وقال في الشكوى من البُعاد:

يَا مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْغَنَبِ وَمَنْ لَاءَ سُكَّرٍ مُسَكَّرٍ^(٣)
صَحَّ الْمَسْوَى بَيْنَا، وَلَكِنِّي أَغْضَبُ مِنْ بُعْدِ لَنَا يُقَدَّرُ^(٤)
كَأَنَّا فِي قَلْبِكَ دَائِرٍ فَأَنْتَ تَخْفَى وَأَنَا أَظْهَرُ^(٥)
- وقال في النسيب والخمر:

سَقَانِي - وَجَفَنُ اللَّيْلِ يُفِيلُ كُفْلَهُ بِمِلَّةِ الصَّبَاحِ وَالنَّيْمِ رَقِيقِي -^(٦)
مُدَامًا كَذُوبِ الثَّبَرِ: أَمَا نِجَارُهَا فَضَخَمَ وَأَمَا جِرْمُهَا فَدَقِيقُ^(٧)
- وقال في وصف الطبيعة:

سَقَى جَوْفَ الرُّصَافَةِ مُسْتَهْلًا تَوَلَّفَ شَمْلَهُ أَهْدَى الرِّيحِ^(٨)

(١) السيف (القوة) يَنْقُ الدجى (سواد الليل) ... ويقابل كلَّ باب بفتح: يفصل في الشاكل ويفصل الأمور. الأجل: مدَّة الحياة الدنيا. في الحرب والأخطار حينما يسكت البطل من الدحول والخوف أفصح أنا (أي أنكلم): أنقذ البطل من الخطر. وإذا كاد المحارب أن يقتل (وكنى أنا في يده) أبعدت عنه القتل.

(٢) أهدبك بأي... لماذا أصبح ظلمي طبعاً بك؟

(٣) يعنى الغنم: نفوح رائحته الطيبة (من فمه). اللي: سكرة في الشتاء. ومن لاء: تقبيل شفتيه.

(٤) - كلانا بمحب صاحبه، ومع ذلك فإن الدهر غمر لنا (حكم علينا) بالبعد (الفراق).

(٥) - كأنا موجودان على نقطتين متقابلتين في الفلك (مدار النجم أو النجوم) فلا يمكن أن نرى (من مكان واحد في الأرض) في وقت واحد.

(٦) جفن الليل يفسد كعله بام الصباح: الليل يفتح عينه (ليأتي النهار) فكانت تأتي بام الصباح (النور) ليفسد به الكحل (سواد الليل)...

(٧) دمام: خر. الثبر: الذهب. النجار: الأصل. الجرم: الجسم. المذلة.

(٨) بطن الرصافة (وسط مدينة الرصافة). مستهل: مطر. تَوَلَّفَ شَمْلَهُ...: زوده الرياح تجمعا فيكثر سقوط الماء منه (من السحاب المتجمع).

مَعْلُ مَا مَنَيْتُ إِلَيْهِ إِلَّا شَى فِي ابْتِهَاجِي وَارْتِيَاحِي^(١).
كَأَنَّ تَرْتُمَ الْأَطْيَارِ فِيهِ أَغَانِي فَوْق أَوْتَاسِرِ فِصَاحِ^(٢)،
كَأَنَّ تَنَفُّسِي الْأَشْجَارِ فِيهِ عَذَارَى قَدْ شَرِبْنَ سُلَافَ رَاحِ^(٣)،
كَأَنَّ الْجَذُولَ النَّسَابَ نَضْلَ صَقِيلُ الْقَتْرِ هَزَّ إِلَى كِفَاحِ^(٤)،
كَأَنَّ رِيَاضَةَ أَنْبَرَادٍ وَشِي تَمَطَّفُ فَوْقِ أَغْطَافِ بِلَاحِ^(٥).

٤ - ** الذخيرة ١: ٤٨٦-١٥٣٥ جذوة المقتبس ١٠٧-١٠٨ (الدار المصرية)
١١٥-١١٦ (رقم ١٩٢) ١ بنية الملتبس ١٥٣ (رقم ٣٥٤) ١ معجم الأدباء ٥:
٤١-٤٢: الوافي بالوفيات ٧: ٣٥٠-١٣٥١ المطرب ١٢٧-١٣٢: المغرب ١:
٨٦-٩١، نفع الطيب ٣: ٥٤٥-١٥٤٦ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٧٤٠
الأعلام للزركلي ١: ٢٠٦-٢٠٧ (٢١٣).

ابن حصن الإشبيلي

١ - هو أبو الحسن عليُّ بنُ غالب بنِ حُصَيْنِ الإشبيليُّ نشأ في إشبيلية ولم يكن فيها من ذوي اليسار. ثم إنه اتصل بإسماعيل بن المعتضد بن عباد، ومن طريق إسماعيل اتصل بالمعتضد. ونال ابنُ حصن حظوةً عند المعتضد فولاه المعتضد الوزارة والكتابة فحسنت حاله.

وفي سنة ٤٤٠ هـ أو بعدها بقليل جاء ابنُ زيدون إلى بلاطِ بني عبادٍ في إشبيلية فأصبح وزيراً للمعتضد. حينئذ نشأت بين ابنِ حُصَيْنِ وابنِ زيدونِ نفرةٌ فحسدٌ. جعل ابنُ حصن يُعرضُ بابنِ زيدونِ ثم هجاه. ولكن ابنَ زيدونِ سكت في الظاهر عن ابن

(١) الابتهاج والارتياح: العرج والسرور.

(٢) أغان...: أغان عذبة يرافها عزف بارع على الآلات الموسيقية.

(٣) السلاف: الخالص من الحمر (أجود الحمر). الراح: الحمر.

(٤) نضل: حديدية عريضة فاطمة (سيف). هزَّ إلى الكناح (القتال). شبه النهر الذي يجري متعرجاً ينساب (كالهبة) بالسيف الذي يهزه حاملة في الهواء (فيشتت لدقته).

(٥) البرد (بالضم): ثوب من الحرير. الوشي: التطريز. تمطَّف: استدار. استفر: الأعطاف جمع عطف (بكسر العين): الجانب الأعلى من الجسد. ملاح جمع ملتح ومليحة (جميل وجيلة).

حصن. ثم كانت يَحْنُ ابن حصن: كان المعتضد قد جعل ابنه إسماعيل - ولم يكن إسماعيل بكثرة - ولياً للعهد. غيّرَ أَنَّ إسماعيل حاولَ الغدرَ بأبيه لِتَوَلَّى المُلْك قبلَ أوانه وشأيمه على ذلك نفرَ فيه ابنُ حصن.

قال ابنُ عذاري (البيان المغرب ٣: ٢٤٤): «وفي سنة ٤٤٩ (١٠٥٧ م) قتل عبادُ المعتضد بالله ابنه إسماعيل - وكان خليفته المُرشحُ لمكانه - بعد أن كان (إسماعيل) همَّ بغدره. فأخذَه أبوه وثَقفه (حَبَسَهُ مُقَيِّداً) في قصره. فذهب (إسماعيل) إلى التذير عليه ثانيةً من مكانٍ اعتفاله. فقال عبادُ: «لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرِ مرتين» (وهذا حديث شريف) فقتله بيده وقتلَ الوزيرَ الذي واطأه على ذلك (والراجعُ أن هذا الوزير كان ابنَ حصن) - راجع، فوق، ص ٥٠٧.

٢- يبدو أن ابنَ حصنَ الإشبيليَّ كان شاعراً مُكثرأ أجاد الوصفَ والفخر والمدح والغزل والخمر والمجون. وهو متينُ الأسلوبِ جَزَلُ الألفاظِ بَطِينُ على غرارِ المشاركة. وكان طويلَ النفسِ إلا أن المعانيَ المبتكرةَ في شعره قليلةٌ. وجالُ شعره إنما هو من حيثُ الصياغةُ المثينةُ المُعبرةُ عما يريد.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ حصنَ الإشبيليَّ يَصِفُ قَرْخَ خِمام:

وما حاجني إلا ابنُ ورقاء هانفٌ	على قَتَنِ بينَ الجزيرةِ والنهر ^(١)
مُسْتَحَقُّ طَوْقِي لَارْوَردِي كُلِّكِلِي	مَوْشَى الطُّلا أحوى القوادِمِ والظُهر ^(٢)
أدارَ على الياقوتِ أجفانَ لَوُلُو	وصاغ من العُقيانِ طَوْقاً على الثُّغر ^(٣) .

(١) ورقاء: حمامة. فن: حصن.

(٢) مستحق: مائل إلى الخضرة. الطوق: العقد (ريش ملون حول عنق الحمامة). لاروردي: أزرق. الكلكل: أعلى الصدر. مَوْشَى: مطرّز (يختلف الألوان). الطلا جمع طلاء (بالضم): العنق أو جانب العنق. أحوى: أسمر. القوادِم جمع قادمة: ريشة في طرف الجناح.

(٣) عيابه حراوان وأحماه بيض. العقيان: الذهب الخالص (الأصفر). يكون على جانبي منقار الحمامة لحيت مستطيلة حراء. ويبدو أن الشاعر قد خلط بين العقيان (الذهب الأصفر) والعقيق (الحجر الكريم الأحمر).

حديدهُ شِباَ المنقارِ داجٍ كأنه شِباَ قلمٍ من فضةٍ مُد في جبر^(١).
نوسد من فزع الأراك أربكةً ومال على طي الجناح من النحر^(٢).
ولما رأى دمعي مُراقاً أراه بكائي فاستولى على القصي النضر^(٣).
وحث جناحيه وصفق طائراً وطار بقلبي حيث طار ولا أدري^(٤).

وقال بفتخر بشعره ويُعرض باین زیدون ويقول في ذلك إن قيمة شعره إنها
هي في معانيه وإنه لا يُحسن معانيه بتفخيم إنشاد الأبيات وترديدها:

تذكرت قولتي للقوافي^(٥) فلم تزل تُساعدنني عدواً ولم تنمدر.
فدونك عذراء المعاني ابتدعتها عوان القوافي خيرة التخير^(٦).
إذا ما الرواة استندتها تبرقت لها أوجه من جشمة وتغير^(٧).
ونتكّل عنها شاعر المير كلبه ألا قاضحكن من شاعر المير وافعرا^(٨).
ولست بكاسيها مدى الدهر حلّة بنقمة إنشاد ولا يُكرّر.

- وكان مرة في قرطبة فذكر إشيلية (وكان يُقال لها جمص تشبهاً لها بجمص

الشام):

- (١) حديد: حاد، ماض، قاطع. الشبا جمع شاة: حد السيف. داج: أسود.
- (٢) نوسد: نام (هنا: جم) = وضع يده على القصن. الفرع: القصن. الأراك: شجر تصنع منه المساويك له ثمر أحمر يؤكل. أربكة: صفة، مقعد وثير (مريح). ومال يعنقه الى جانبه (نام).
- (٣) مراق: مسكوب، سائل. أراه = رايه: أفلته وأزعجه. استولى: امتلك. استوى (نهض من جمعه) النضر والناصر: الأخضر الطري.
- (٤) حث جناحيه: والى تحريكها.
- (٥) قول القوافي: علم الشعر.
- (٦) عذراء المعاني: ذات معان جديدة مشتركة. عون القوافي أو عوانها: مكررة القوافي (لأن القوافي محدودة لا يستطيع الشاعر أن يبتكر شيئاً منها غير الموحود في أحرف الهجاء). ولكنها متغيرة (متفاد: متفارة).
- (٧) رواة الشعر والعلماء بالشعر يطلقون أن يسموا شعري. ولكن نقرأ من الشعراء تنبرع (تنمطي) وجوعهم بالجملة (بالهيا، لأنهم لا يستطيعون أن يقولوا مثله) أو بالتغير (بالاصمراء، لأن شعري يعرض بهم أو يعجزهم عن قول مثله).
- (٨) نكل عن الشيء: جبن وتراجع خوفاً أو جراً. المير: البلد. شاعر المير: الشاعر المعروف له رسماً بأنه شاعر الدولة (إبن زهدون!) صاحبك أنا عليه وأهراً به ثم افتخر بشعري.

ذَكَرْتُكَ، يَا جَمْعُ، ذَكَرَى هَوَى
كَأَنَّكَ، وَالشَّمْسُ عِنْدَ الْغُرُوبِ،
غَدَا النَّهْرُ عِنْدَكَ، وَالطُّودُ نَا
أَمَاتَ الْحَسُودَ وَتَغَيَّنَتْ^(١)
عُرُوسٌ مِنَ الْحُسْنِ مَنَحُونَةً.
جَكَ وَالشَّمْسُ أَعْلَاهُ بِمَقْمُونَةٍ.
- وَقَالَ فِي الْخَمْرِ:

قُمْ، يَا بُلَامُ، فَسَقْنِيهَا وَالطَّرَبِ
مِنْ قَهْوَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسْرَةٍ
خُصِّيتَ بَنَانُ مُدِيرِهَا بِشُعَائِهَا
وَاشْرَبْ - عَتَبْتُ عَلَيْكَ - إِنْ لَمْ تَشْرَبْ
فِي الْكَأْسِ تَأْتَلِقُ اسْتِلَاقَ الْكَوْكَبِ^(٢)
فَعِلْ الْغَرَارَةَ فَيَ شِفَاهُ الرِّبْرِبِ!^(٣)

٤ - ** جذوة المقتبس ٣٩٥ (الدار المصرية) ٣٩٥ (رقم ١٩٣٣) بغية الملتبس ٥٠٦، ٣١٤
(رقم ١٢٣٢ و ١٥٢٣)؛ الذخيرة ٢: ١٥٨ - ١١٨٦ المغرب ١: ٢٤٥ - ٢٤٧؛ نفع
الطيب ٣: ٢٦٦، ١٤٢٩ الشعر في طلل بني عبَّاد، تأليف محمد مجيد السعيد،
التجف الأشرف (مطبعة النعمان) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م (ص ٢٩٥ - ٣٠١).

اسماعيل بن أحمد التجيبي البرقي

١- هو * أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي المعروف بالبرقي،^(١)
من أهل القيروان، أخذ عن أبي إسحاق الحضرمي (ت ٤٥٣ هـ) تأليفه.
دخل إسماعيل بن أحمد الأندلس بعد سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م) ومكث فيها مدة،
فقد كان في مالقة سنة ٤٠٦ هـ. ثم رحل إلى مصر نحو ٤١٤ هـ ثم زار صقلية وقضى

(١) في القاموس: عَنَّهُ (تعني) شَدَّ عَلَيْهِ وألزمه ما يجر عن ادائه؛ والكلمة قلقة هنا، ولعلها قراءة خاطئة.

(٢) الأسرة جمع سرير: صَلَّة (بضم الصاد) أو فراش مرتفع أو مقعد مرتفع (ولا يسمى لها هنا). ولقد قال عنتره في مطلقته: «بزجاجة صفراء ذات أسرة» (وحاول التراج أن يجعلوا الأسرة خطوطاً في الكأس؛ ولكن عنتره أيضاً ليس حجة في اللغة). اتلّق: لم وأضاء.

(٣) الغرارة: بهار (زهره صفراء) طيبة الرائحة. الربرب: الفطير من الطيباء أو البقر الوحشي أو الإنسي لا واحد له. الملووح أن الطي إذا أكل من العراة تلوّنت شتاء كما تلوّن كَفَّ السافي من لون الخمر من خلال كأسها.

(٤) البرقي نسبة إلى برقة (مقاطعة بين الاسكندرية وطرابلس الغرب: الجانب الشرقي من ليبيا اليوم).

(٥) جميع الأرقام السيوقة بالحرف: من (في هذه الترجمة) تشير إلى صفحات كتاب «المختار من شعر بشير».

فيها بضعة أعوام على طَرَفَيْ سَنَةِ ٤٣٠ هـ. ثم نَجِدُهُ في الإسْكَندَرِيَّة سَنَةَ ٤٣٨ هـ. ويبدو أَنَّهُ في أَثناء هذا التَّجَوُّل أَتَصَلَ بِبَنَفَرٍ مِنْهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ سَعِيدٌ بْنُ أَبِي مَخْلَدٍ الْأَزْدِيُّ الْعُمَانِيُّ وَأَبُو حَسَنِ عَلِيٍّ بْنِ حُبَيْشٍ ^(١) الشَّيْبَانِيُّ الْأَدِيبُ وَأَبُو يَعْقُوبَ النَّجِيرَمِيُّ (ت ٤٢٣ هـ) - أَخَذَ عَنْهُ كِتَابُ «أَدَبِ الْكَاتِبِ» لابْنِ قُتَيْبَةَ (ت ٢٧٦ هـ) - وَأَبُو الْقَاسِمِ عَمَّارُ (بْنُ أ) مُحَمَّدُ الْإِسْكَندَرَانِيُّ وَأَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْبَشَرِ (وَكَانَ مُؤَدِّبًا لَهُ) وَأَخَذَ عَنْ هَؤُلَاءِ وَعَنْ سِوَاهُمْ.

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحَدَ مَوْجُودَاتٍ فِي جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٤١ (ص: ل) ^(٢).
٢- كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحَدَ النَّجِيبِيِّ الْبَرْقِيُّ أَدِيبًا بَارِعًا فِي مَعْرِفَةِ الْأَدَبِ وَالشِّعْرِ خَاصَّةً بِالإِضَافَةِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالبَّلَاغَةِ. وَلَهُ فِي النَّثْرِ أَسْلُوبٌ سَهْلٌ رَصِينٌ وَاضِحٌ مَتِينٌ. وَكَانَ لَهُ نَظْمٌ عَادِيٌّ. وَلَمْ يَتَكَسَّبْ بِالأَدَبِ (ص ١٧٨). وَكَانَ مُصَنِّفًا لَهُ: شَرْحٌ عَلَى «الْمَخْتَارِ مِنْ شُعْرِ بَشَّار» (صنعه بعد ٤٢٧ هـ) - الرَّائِقُ بِأَزْهَارِ الْحَدَائِقِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- كَيْفَ شَفِيَّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحَدَ النَّجِيبِيِّ الْبَرْقِيُّ مِنْ مَرَضِهِ، قَالَ (ص ١٤ - ١٥):

كَتَبْتُ بِمَدِينَةِ مَالِقَةَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَاعْتَثَلْتُ بِهَا مُدِيذَةً انْقَطَعَتْ فِيهَا عَنِ التَّصَرُّفِ وَلَزِمْتُ الْمَنَازِلَ. وَكَانَ يُمَرِّضُنِي حِينَئِذٍ رَفِيقَانِ كَانَا مَعِيَ بَلْمَانٍ مِنْ شَعْبِي ^(٣) وَبَرْفِقَانِ بِي. وَكَتَبْتُ إِذَا جَنَنِي اللَّيْلُ اشْتَدَّ سَهْرِي، وَخَفَقَتْ حَوَّلِي ^(٤) أَوْتَارُ الْعِيدَانِ وَالطَّنَابِيرِ وَالْمَعَازِفِ ^(٥) مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَاخْتَلَطَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْفَيْنَاءِ فَكَانَ ذَلِكَ شَدِيدًا عَلَيَّ وَزَائِدًا فِي قَلْقِي وَتَأَلَّمِي. فَكَانَتْ نَفْسِي تَعَافُ تِلْكَ

(١) «حُبَيْش» يسكنون الباء أو قنصها.

(٢) لُقِّدَ الزُّرْكَالِيُّ (الأعلام للزركلي ١: ٣٠٤) وَفَاتَهُ سَنَةَ ٤٤٥ هـ (وَلَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ).

(٣) الثَّمَت: التَّفَرَّقَ (ثم الثَّمَت: جَمْعُ الْأُمُورِ وَرُشَاهَا).

(٤) خَفَقَتْ (أَخْرَجَتْ أَصْوَاتًا) حَوْلِي (فِي جَوَارِ سَكْنِي).

(٥) الْعُودُ وَالطَّنَابِيرُ (بِالضَّمِّ) وَالْمَعَازِفُ (بِالْكَسْرِ): آلَاتُ مُوسِيقِيَّةٍ وَتَرِيَّةٍ.

الضروب طبعاً وتكره تلك الأصوات جيئةً^(١)، وأود^(٢) (أن) لو أجد سكناً لا أسمع فيه شيئاً من ذينك^(٣)، ويتعزّر عليّ وجوده لقلبيّ ذلك الشأن على أهل تلك الناحية وكثرته عندهم^(٤)، وإني لساهر ليلة - بعد إغفاءة في أول ليلتي، وقد سكنت تلك الألفاظ المكروهة وهدأت تلك الضروب المضطربة - وإذا ضربت خفي معتدلاً حسن لا أسمع غيره، فكانت نفسي أنست به وسكنت إليه ولم تنفر منه بفارها من غيره. ولم أسمع معه صوتاً^(٥)، وجعل الضرب يرتفع شيئاً فشيئاً ونفسي تتبّعهُ وسمعي يُصني إليه إلى أن بلغ في الارتفاع إلى ما لا غاية وراءه^(٦)، وارنحت له ونسيت الألم. وتداخلني^(٧) سرور وطرب. وخيل إليّ أن أرض المنزل ارتفعت بي، وأن جيطانهُ تمور حوّلي^(٨)، وأنا في كلّ ذلك لا أسمع صوتاً. فقلت في نفسي: أما هذا الضرب فلا زيادة عليه. فليت يغري، كيف صوت الضارب وأين يقع من ضربه^(٩)؟ ولم ألبث أن اندفعت جارية تُعني في هذا الشعر بصوت أُندي من التوار غبّ القطار^(١٠) وأحلى من البارد العذب على قلب الهايم الصب^(١١)، فلم أملك نفسي أن قمت - ورَفِيقاي نائمَان - ففتحت الباب وتبعت الصوت، وكان قريباً مني، فاطلعت من وسط منزلي على دارٍ فسيحة، وفي وسط الدار بُستانٌ كبير، وفي وسط البُستان شرب^(١٢) نحو من عشرين رجلاً قد اصطَفُوا - وبين أيديهم شرابٌ وفاكهة وجوار قيامٍ بعيدانٍ وطنايرٍ وآلاتٌ لَهُمْ ومزامير^(١٣) لا يُحرّكنها - وجارية جالسةٌ ناحيةً وعودها في حجرها، وكلُّ

(١) الضروب جمع ضرب: العزف على آلة موسيقية. المجلد: الطع.

(٢) من ذينك الشئين (صوت العزف وصوت الغناء).

(٣) لكثرة اهتمامهم بالطرب.

(٤) الصوت: الأغنية، التشديد (بجالات العزف).

(٥) إلى ما لا غاية وراءه (بعده، فوقه): صوت مرتفع جداً.

(٦) تداخلني: لزمي، أقام في (استقر في نفسي...).

(٧) مار يور: اضطرب وراح.

(٨) الضارب: العازف على الآلة الموسيقية. أين يقع من ضربه؟ (أصوته جيل مثل عرقه؟).

(٩) التوار: الزهر الأبيض. القطار: المطر. أُندي من التوار: أكثر صارة وجالاً.

(١٠) الهايم الصب: الحب الذي هام (تحمّر واضطرب) من شدة الحب.

(١١) الشرب (بفتح فسكون): جماعة بشريون (الحمر) معاً.

(١٢) المزامير: آلة موسيقية من آلات النفلج (من قصب أو من أنبوب مشابه للقصبة).

يَرْمُقُهَا بَبْصَرِهِ وَيُوعِيهَا سَمْعُهُ^(١). وَأَنَا قَاتِمٌ بِحَيْثُ أَرَاهُمْ وَلَا يَرَوْنِي وَكَلَّمَا غَنَّتْ بَيْتًا حَفِظْتُهُ إِلَى أَنْ غَنَّتْ جِدَّةَ آيَاتٍ وَقَطَعْتُ^(٢). فَعُدْتُ إِلَى مَوْضِعِي - يَشْهَدُ اللَّهُ - وَكَأَنَّا أَنْشَبْتُ مِنْ عِقَالٍ^(٣). وَكَانَ لَمْ يَكُنْ بِي أَلَمٌ.

- وله من أبيات (ص ١٢٥ = ٢٩٥)

خَلُّ بَلَوْتُ خِلَالَهُ فَوَجَدْتُهَا	محمودة في الجهر والإسرار ^(١) .
عَلَقْتُ بِي مِنْ بَارُوعٍ مَاجِدٍ	جَمَ الفضائل طيب الإخبار ^(٢) .
كَرُمْتُ أُرُوسَتَهُ، وَأَشْرَقَ وَجْهُهُ،	وصفت خلأته من الأكدار ^(٣) .
وَشَأَى الْأَفَاضِلَ وَاسْتَبَدَّ بِرُتْبَتِهِ	أعيت على الأدباء والنظار ^(٤) .
كَمْ سَابِقُ جَارَاهُ فِي مِضَارِهِ	فكبا، وجاز نهاية المضمار ^(٥) .

٤ - المختار من شعر بشر (اختيار الحالدين)^(١)، وشرحه^(٢) (اعتنى بنسخه الخ السيد محمد بدر الدين العلوي)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - مطبعة الاعتدال) ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م^(٣).

♦ * التكملة ١ : ٢٢٨ بنية الوعاة ١٩٣، الأعلام للزركلي ١ : ٣٠٤ (٣٠٩) مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٣٧ - ١٤٠.

- (١) أوعى = وعى: حفظ (جعلها الكاتب منطوية إلى مفعولين، وليس ذلك عملها. بقصد: أوعاها في سمع).
- (٢) قطعت الغناء، انتهت من غنائها.
- (٣) أنشبت من عقال: فك عني رباط.
- (٤) خل (صديق) بلوت (اختبرت) خلاله (صفاته).
- (٥) علقت بي (وجدت، ظفرت). الأروع: الذكي. الشريف الحبير. جم: كثير. الإخبار (بقصد: الحبير = حقيقة الإنسان، خلاف ظاهره).
- (٦) الأرومة: الأصل.
- (٧) شأى: سبق. أعيت على: استعالت، استنعت. النظار: (المتكلمون بالنطق؟).
- (٨) جرى معه (إلى المجد) كثيرون فكبوا (فتتح الباء: سقطوا) في أثناء الطريق، وجاز (قطع المضار كله) هو إلى الهدف.
- (٩) الحالديان أخوان (أبو بكر محمد وأبو سعيد عثمان) من الأدباء القين عاشوا في بلاط سيف الدولة في حلب، وكانا يؤلفان الكتب معاً (القرن الهجري الرابع).
- (١٠) الشرح لأسماعيل بن أحمد صاحب الترجمة.
- (١١) ليس على الكتاب تاريخ للطبع (التاريخ المثبت هو التاريخ اللغوي بمقدمة الشارح).

ابن الحياط الربيعي الصقلّي

١ - لم يصل إلينا من حياة ابن الحياط هذا حوادث واضحة. إن التزّر اليسير الذي نعرفه مما يتصل بحياته نقوله تخميناً من قرائن نجدّها في حياة المعاصرين له.

هو ابن الحياط (ولم يرد اسمه في فهرس «الذخيرة» ولا في فهرس «نفع الطيب» ولا في فهرس «المكتبة الصقلية العربية» التي جمعتها المستشرق الأيطالي ميخائيل أماري. وكذلك لم يرد اسمه في «خريدة القصر» - لا في قسم الأندلس ولا في قسم المغرب، ولا في فهرس تاريخ الأدب العربي للمستشرق الألماني كارل بروكلمان). وقد اكتفيت أنا في هذه الترجمة بكتاب الدكتور إحسان عباس «العرب في صقلية».

وهو ابن الحياط الصقلّي (من جزيرة صقلية) الربيعي (بفتح ففتح: نسبة إلى قبيلة ربيعة؛ أو بفتح فسكون: نسبة إلى الرّبعة: وهو اسم لحبيّين من العرب؛ أو نسبة إلى الرّبع بضمّ ففتح أي الفصل من الإبل يُنتج - بالبناء للمجهول - أي يُولد في الربيع).

وقد حاول الدكتور إحسان عباس أن يجعل لوفاة ابن الحياط زمناً بين حدّين: قال عن ابن الحياط (ص ٢١٠): «وهذا لا يُبعدُ صلته بالأمراء الكلبيين (حكّام صقلية العرب) عن سنة ٣٩٠ هـ (١٠٠٠ م) بعد أن قال (ص ٢٠٩) «فإنه (أي ابن الحياط) لم يشهد صقلية في عصرها الجديد - عصر الحكم النورماني -». والنورمان استبدوا بحكم صقلية سنة ٤٧٣ (١٠٨٠ م). ومعنى هذا أن ابن الحياط انتقل من صقلية (إلى القيروان) قبل أن ينزل فيها النورمان، وليس معنى هذا (من الجملة الأخيرة) أن ابن الحياط توفّي سنة ٤٧٣. فإذا كان اتصال ابن الحياط بالأمراء الكلبيين سنة ٣٩٠ (وعمره تقديراً بين خمس وعشرين وخمس وثلاثين) ثم بقي حياً إلى ما بعد سنة ٤٧٣، فمعنى هذا أنه قد عاش مائة وعشر سنوات على الأقل.

وبما أن التاريخ الأوّل (في اقتراض الدكتور إحسان عباس أقرب إلى الواقع، لأن الشاعر اتصل بحسيه، بالكلبيين (والدليل على ذلك قصائد مدّحهم بها) فيحسن

أن يميل المؤرخ إلى تقديم وفاة ابن الحيات إلى زمن سابق على الفتح النورماني لصقلية مدة طويلة، أي إلى سنة ١٤٠ أو سنة ١٥٠ (١٠٤٨-١٠٥٨ م).

٢- ابن الحيات الصقليّ الربمي شاعرٌ مُجيدٌ، وشعره سهلٌ واضحٌ الأغراض قليلُ التكلفِ والصناعة، ثم هو يهتم بالعاني أكثرَ من اهتمامه بالألفاظ. وأغراض شعره المديحُ والحماسةُ (وصفُ الحربِ) ووصفُ الطبيعة - وهنا نجدُه شاعراً يمثلُ صقليةً في طبيعتها، كما كان قد صوّر أحوالها السياسية من ضعفها ومن الفتن فيها في أماديجهِ وفي حاساته - ثم الأدبُ أو الحكمة مع أشياء من مداركِ الفلسفة وتعايرها. وله وصفٌ للخمرِ وعزَلٌ مع التحليلِ من عددٍ من قيود المجتمع السليم.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن الحيات الربمي يمدح انتصار الدولة:

ويا ربُّ يومٍ له مُنصرٍ إذا خمدت ناره أوقدا^(١)
تخاف به الرجلُ من أحتياها، ولا تأمنُ اليدُ فيه اليداً^(٢).
وترمي رجلاً بأعضائهم، فمئنسى تراهن أو موحدا^(٣).
تسرى السيْفُ عُربان من غمده وتحنُّبه من دمٍ مُفمدا.

- ولابن الحيات الربمي مقاطعٌ في الأدب تنطوي على أشياء من الحكمة تجري في عددٍ من تعاير الفلسفة:

* أرى كلَّ شيءٍ له دولةٌ لحكم التعاقبِ فيها عمل^(٤).
فلا تفرحن ولا تحزنن لشيءٍ إذا ما تناهى انتقل^(٥).
* ما كان أمرٌ فقد فات الزمانُ به، وما يكونُ غداً في الغيب موعود.
وبين ذنبيك وقتٌ أنت صاحبه في حالتيه: فمدمومٌ ومحمود.

(١) منصر: موقت (شديد الحر) يوم منصر: معركة شديدة. كلُّما خفَّت شدَّةُ المعركة زادها هو اشتعالاً.

(٢) المعركة شديدة إلى درجة لا يأمن فيها أحدُ أهدأ (ولو كان من حلفائه).

(٣) قد يصاب الحارب بإحدى يديه أو رجله أو عينيه، أو فيها كليها.

(٤) دولة: دور، فترة زمنية (لأن تعاقب الأحداث من عمل قانون طبيعي).

(٥) تناهى: بلغ نهايته. انتقل: تبدل.

* تَمَسَّحَ بِالصَّبَاغِ عَلَى شِمَالِهِ، فَسَوْفَ يَطُولُ نَوْمُكَ بِالْيَمِينِ^(١)،
وَمَسَّحَ مِنْ يُجْبُكَ مِنْ تَلَايَ، فَأَنْتَ مِنَ الْفِرَاقِ عَلَى يَمِينِ^(٢)،
* إِنَّ سَبَّ الْمُلُوكِ مِنْ شُئْبِ الْمَوِ، نَ، فَإِنَّكَ أَنْ نَسَبَ الْمُلُوكِ^(٣)،
إِنْ عَفَوْا عَنْكَ بِالذُّنُوبِ أَهَانُوا، كَ، وَإِنْ عَاقَبُوا بِهَا قَتَلُوكَ.

- وقال ابن الخطيب الربيعي يمدح انتصار الدولة حينَ ظَفِرَ بِثَائِرِ ثَارَ عَلَيْهِ:

ظَنُّ الْإِمَارَةِ ظُلْمَةٌ، فَلِذَا بِهَا حَرْبٌ بِكَادٍ أَوَارُهَا بِتَاجِجٍ^(١)،
وَمُهَنْدَاتٌ كَالْعَفَاقِ مَاؤُهَا مَسْرُوقٌ وَلَهِيْبُهَا مَتَاجِجٌ^(٢)،
لَا تَسْتَفِرُّ الْعَيْنُ فَوْقَ مُشُونِهَا فَكَأَنَّمَا هِيَ رَقَبَتِي مُتْرَجِجٌ^(٣)،
وَمِدَاعِي لِلْخَيْلِ بِرَمَحٍ وَنَطَافٍ، مِنْ غَيْرِ فَارِسِهِ، طَبِيرٌ مُنْرَجٌ^(٤)،
عَقْرِي وَسَالِمَةٌ تَعْتَشُرُ بِالْفَنَاءِ، الْعَسْجِدِيُّ وَذُو الْخِمَارِ وَأَعْوَجٌ^(٥)،
طَرَحَتْ فَوَارِسَهَا عَلَى أَذْقَانِهِمْ طَرَحَ الْكِمَابِ: مُفْرَدٌ أَوْ مُزَوِجٌ^(٦)،
فِي مَوْطِنِ سَلْبِ الْحَلِيمِ وَقَارِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُنْتَظَرٌ أَهْوَجٌ^(٧).

- (١) النوم على الجانب الأيسر في الحياة (كتابة عن التمسح بالصبغة...)، أما في الموت فيسجى الميت في قبره على جانبه الأيمن.
- (٢) تلال: اجناب. الفراق: الموت.
- (٣) التعبة (بالضم): النص ونحوه (وهنا: طريق، سب).
- (٤) الظلّة: العريش الذي يحمي الإنسان من الشمس أو المطر... الأوار: شدة الاشتغال.
- (٥) المهند: السيف. العقيق: حجر كريم آخر اللون (كتابة عن كثرة الدم). ماء المهند: صقاله (بالكسر). لمعانه (لأنه ماص: قاطع) جداً.
- (٦) إن صفحات هذه السيوف مصنوعة تلمع في التور حتى لا يستطيع البصر أن يثبت عليها.
- (٧) المدعى: الطريق الذي كثر السير عليه (كتابة عن طول المعركة. ذهاباً وإياباً. هجومياً وتقهقراً). رمح (في القاموس): أضاء، رعى (وهنا معناها: بركن بجرية). الطمر: الفرس السريع. يرمح فوقها من غير فارسه طبير مسرج (كتابة عن أن القتلى كانوا كثيرين حتى أن معظم الخيل كانت تجول في ميدان المعركة وليس عليها فوارسها).
- (٨) عقرى (مجروحة) تمتر = تعتر: الفناء: الرمح. (لما قتل الفوارس أصبح سلاحهم ملقى على الأرض، فالخيل في أشاء تجوالها تمتر به). العسجدي وذو الخمار وأعوج (من أساء الخيل).
- (٩) الذقن (يقنع لفتح): الوجه. الكعب: قطعة مكعبة صغيرة تستخدم في لعب الرد. طرح الكعب (بسهولة). مفرد (فارس قاتل مطروحاً أرضاً ومعيداً عن غيره) أو مزوج (فارسان اشتقا في القتال ثم قتل كل منهما الآخر فسقطا معاً).
- (١٠) منتظر القلب: شديد الخوف. أهوج (يفعل أفعاله بلا تنطيم).

- وقال بين الوجدان والآراء الفلسفية:

ليس إلا تنفسُ الصَّعداءِ ويُكاثي، وما غنمُ بُكائي؟^(١)
مَنْ رَسولي إلى السَّهْلِ يُؤدِّي لي كتاباً إلى جلال السَّماءِ؟^(٢)
كيف يرقى إلى السَّماءِ كَيْفُ؟ بسلكِ الجِسمِ في رَيْقي المَواءِ؟^(٣)
عَجَزَ الْإِنْسُ أَنْ تَرَقَى إِلَيْهَا، فصي الجِئُ أَنْ تَكُونَ شِفائي؟^(٤)
أَمْ تَرَى الْجِئَ تَنْفِي شَهَبَ الرَّجْمِ؟ فدَغني كذا أَموتُ بدائي؟^(٥)

٤-٥ * راجع كتاب «العرب في صقلية»، تأليف احسان عيسى، مصر (دار المعارف) ١٩٥٩ م (والمصادر المثبتة فيه).

محمد بن الحسين المغربي

١- هو محمد بن الحسين بن أبي الفتح القُرشيُّ المغربيُّ السُّوسيُّ القَبْرَوائيُّ المعروف بابن ميخائيل، من أهل سوسة، استوطن القيروان وتأدب فيها. كان في أيام المُرّين باديس^(١).

٢- كان محمد بن الحسين المغربيُّ شاعراً رقيقاً سهلاً الكلام، وكان شديد الانتقاد للشعر على مذهب قدامة الكاتب^(٢). وفنونه الغزل العفيف والصرح في الكينابات البريئة.

-
- (١) تنفس الصعداء (النفس العسيق الطويل الحار - كناية عن الحزن). الغناء (بالفتح): الغائدة.
(٢) هو يريد أن يعرف أسرار العالم العلوي (ألمله يعني بذلك عن محبوب جميل؟).
(٣) في الفلسفة أن الجسم (مادة كثيفة) لا ترقى (بعد الموت) إلى المُلأ الأعلى (عالم المخلوقات). ولكن النفس (وهي جوهر روحي خفيف) يمكن أن تصعد إلى المُلأ الأعلى.
(٤) هل أستطيع أن أبلغ إلى المُلأ الأعلى من طريق الجِئ فأعرف من طريق الجِئ أخبار السَّهْلِ؟
(٥) تنفي: تخاف، تتجنب. شهاب الرجم: (الجِئ) سمعون من الدُّو من السَّهْلِ، إذ يقتدون (إذا اقتربوا منها) بالشهب المشتعلة فيحترقون.
(٦) جاء المُرّ إلى العرش سنة ٤٠٦ هـ ثم استغل بالحكم سنة ٤١٧، وتوفي سنة ٤٥٢ هـ.
(٧) قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ).

- لحمد ابن الحسين المَعْرِيّ مقاطعٌ رُوِيَ له منها:

- * صَوَّرَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ يَشْكِيهِ وَصُورَ التَّلَاسُ مِنَ الطَّيْنِ.
أَبْدَعَهُ اللَّهُ - وَسُبْحَانَهُ - كَبِشَلْ حُورِ الْجَنَّةِ الْعَيْنِ^(١).
مُهَفِّفُ الْقَدِّ هَضِيمُ الْحَشَا بَكَادَ يَنْقُدُ مِنَ اللَّيْنِ^(٢).
كَأَنَّ فِي أَجْفَانِهِ، مُنْتَضِي، سَيْفٌ عَلَيَّ يَوْمَ صَقِينِ^(٣).
* سَافِرَاتٌ عَنِ الْوُجُوهِ نُحَيِّي أَوْجَةَ الشَّرَبِ بِالَّذِي تَخْتَارُهُ^(٤).
كَالْعَدَارَى الْجِيَانِ فِي الْحَلَلِ الْحَمْدِ حَرٌّ وَكَالْجَمْرِ طَارَ عَنْهُ شَرَارُهُ^(٥).
فِي أَوَانٍ مِنَ الرَّبِيعِ أَنْبَقِي زَهْرَةٌ، مُسْتَقَلَّةٌ أَطْيَارُهُ^(٦).
زَائِرٌ نَوَّرَ الرَّبِيعَ فَجَلْنَا وَشَيْ صَنَعَهُ أَنَّهُ نَوَّارُهُ^(٧).
وَاكْتَسَى الْأَفْقَ بِشَرِّهِ، فَحَيَّنَا بِكَ دَارَيْنَ مَا حَوَتْ أَقْطَارُهُ^(٨).
* أَحَبِّتُ مِنْهُ شَائِلًا فَوَجَدْتُهَا فِي الطَّيْعِ بِمِثْلِ خِلَاتِنِي وَشَمَائِلِي^(٩).

- (١) الحوراء من النساء من اشتدَّ سواد عينيها واشتدَّ بياضها. العيناء الواسعة العينين.
(٢) مهفف القد: ممشوق (فيه طول مع اعتدال وامتلاء بلا سعة). هضم الحشا (تحليل الحصر). ينقذ: ينقطع.
(٣) كأن سيف الإمام عليّ منتضي (مسلول) من عيونه.
(٤) سافرات (كاشفات). الشرب: القى شربون (الجمر) معاً. تختارها (بإشارة تختارها: بكأس خمر، زهرة، بحركة من يدها، الخ).
(٥) كالجمر طار عنه شراره (كتابة عن شدَّة الاشتغال وعن النشاط).
(٦) أوان: زمان. أنبقي: جيل يعجب العين. مستقلة: طائرة في الفضاء (مع أن من عادة الطيور أن تختبئ في أيام المطر وأيام البرد الشديد). فإذا بدأ الجو بالاعتدال أخذت بالطيران من مكان إلى مكان).
(٧) زائر (كتابة عن الزهراء نَوَّرَ (أضاء). خال: طرأ. قلنا أن نَوَّارَ الربيع (أزهاره) وشي (نظريته) من نسج صنعه (عاصمة اليمس الشهيرة بنسج الحرير وتطريزه).
(٨) البشر: طلائع الوجه. دارين: مكان في الشام ومكان في البحرين (أحدهما أو كلاهما مشهور بأن المسك يأتي منه). الأقطار جمع قطر (بضم القاف): الجانب، الناحية. كل جانب من الأرض (في الربيع) فيه رائحة طيبة.
(٩) الشائل جمع شال (بكسر الشين): الخلق (بالضم) والطبيعة.

فَكَأَنَّنِي أَحْبَبْتُ مَنْ قَدْ شَفَّهَ حَبِّي وَرُحْتُ مُشَاكِلًا لِشَاكِلِي (١)
 كَمْ لَيْلَةٍ مَرَّقْتُ ثَوْبَ ظَلَامِهَا بِضَائِهِ وَقَبِلْتُ فِيهِ وَسَائِلِي (٢)
 فَكَأَنَّنِي مَنْ وَجَّهَهُ فِي صُبْحِهَا وَكَأَنَّهُ بَنَى مَسَاطِ خَمَائِلِي (٣)
 وَالْعَيْشُ لَيْسَ بَلَدٌ طَعَمَ مَذَاقِهِ حَتَّى يُشَابَ بِأَثَرٍ أَوْ بِأَهْلٍ (٤)

٤-★★ المحمّدون من الشعراء ٢٦٢ - ٢٦٣: الوافي بالوفيات ٣: ٦.

عبد الملك بن غصن الحجارى

١- هو أبو مروان عبد الملك بن غصن الحجارى من أهل وادي الحجارة (على مقربة من مدريد، شمالاً) رَحَلَ إلى المشرق وتَأَذَّب (على نفر من علمائه) وَحَجَّ ثم عاد إلى بلده. نال حظوةً عند ملوك الطوائف، غير أَنَّهُ فَضَّلَ صُحْبَةَ أَبِي عُبَيْدَةَ (المتبدي بامر مدينة وادي الحجارة؟) فغضب عليه المأمون بن ذي النون (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) صاحب طُلَيْطَلَةَ (ربما لمناسبة أبي عبيدة له ولطَمَعَ المأمون في الاستيلاء على وادي الحجارة - لقرب المسافة بين البلدين). وقد استطاع المأمون أن يُنَكِّبَ عبدَ الملك الحجارى وأن يَحْجُثَهُ أيضاً. ولكنَّ المقتدير بن هودٍ صاحب سَرَقُطَةَ (٤٣٨ - ٤٧٤ هـ) استطاع أن يَخْلُصَهُ، إذ شَفَّعَ له عند المأمون (نفع الطيب ٣: ٣٦٤) فأطلقَ المأمون سراحه. وكانت وفاة عبد الملك بن غصن سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م).

٢- كان أبو مروان عبد الملك الحجارى أديباً شاعراً. وشعره عذب رقيق مُتَفَرِّقٌ بَيْنَ الفخر والمدح والهجاء والاعتذار والعتاب والخمر ووصف الطبيعة والإخوانيات. وكان بارعاً في أنواع العلوم والآداب من الأدب والتاريخ خاصة.

(١) شَفَّهَ الحَبَّ: أَمَحَّهُ وَأَمْرَضَهُ. شَاكِلٌ: مُشَابِهٌ. مُشَاكِلٌ لِشَاكِلِي (أشبه محبوبي).

(٢) وَقَبِلْتُ فِيهِ وَسَائِلِي (٢) - نَحَمْتُ بِمَا قَدَّرَتْ عَلَيْهِ (٢).

(٣) الْمَسَاطِ: الْمَكَانُ الَّذِي تَتَمَلَّقُ بِهِ الْأَشْيَاءَ. الْحَمَالَةُ (بِكسر الحاء): عِلَاقَةُ السَّيْفِ فِي الْعُنُقِ. فَكَأَنَّهُ بَنَى مَسَاطِ حَمَائِلِي بِمِثْقَلِي.

(٤) يُشَابَ: يَخْلُطُ. مَأْتَمٌ: ذَنْبٌ. بِأَهْلٍ: بِأَهْلِ (بفتح فسكون)، لَهْوٍ، لَعِبٍ، صِلٍ لَا فَائِدَةَ نَاقِمَةٍ مِنْهُ.

وكان أيضاً مؤلفاً كتب في بيحه رسالة عنوانها «رسالة البيح والمسجون والمحرزن والمحرزون» وضمّنها ألف بيت من شعره وأهداها إلى المأمون بن ذي النون (أملاً في إطلاق سراحه). وله رسالة أخرى عنوانها «العشر كليات».

٣- مختارات من شعره

- كتب عبد الملك بن غصن المجاري من بيحه إلى أخيه:

أُرْوَى، وبينَ ضلوعي حريق؟	وأشجى وإنسان عيني غريق ^(١) ؟
وفي كل يوم وفي كل حين	يُحَمِّلني الدهر ما لا أُطيق.
تهيم الخطوب بوضلي، فما	لهن إلى غير قلبي طريق.
أيا واجدي وشقيفي وبيا	فريقاً يُكَيِّه مني فريق ^(٢) ،
أخوك أخو نكبات لها	يرقُ العدو، فكيف الصديق؟
كسدت ونظيبي در نغيس،	وضعت ونشري بسك عبيق.
وما أظلم الجهل في معشر	وفي أفقهم من علومي شريق ^(٣) .
ولو جائلق تخولته	بموعة آمن الجائلق ^(٤) .

- وقال يفتخر برسائله وما ضمّنها من الشعر:

وألف بيت من القريض إذا	مات جميع الأنام لم تمّت.
لو أن شعر الدورى يُنظّم في	عقدٍ لكانت بموضع السطة ^(٥) .
سائرة حيث لم يبر قمر	ولا سرت أنجم ولا جرت.

(١) أشجى أنا (من شجى: طرب). - إنسان عيني (البؤى) غريق: عيني مملوءة بالدموع (حزين).

(٢) واحدي وشقيتي (أخي الذي ليس لي أخ غيره). فريق يكيه مني فريق: نحن شخص واحد يهكي على نفسه.

(٣) في أفقهم: في بلادهم. شريق: شارق أو مشرق (القاموس المحيط ٣: ٢٤٩). - لا يهيم ظلام الجهل على قوم إذا أشرق عليهم شيء من علومي.

(٤) لو تخولت (تعمدت بالموعة) الجائلق (رئيس النصارى) حتى يؤمن بالإسلام لأن (كتابة عن قدرته).

(٥) السطة: الوسط (اللوثة الكبيرة جداً والتي تكون في وسط المقد).

- وقال يهجو المأمونَ بنَ ذي النون:

تَلَقَّبْتَ بِالْمَأْمُونِ ظُلْمًا، وَإِنْسِي
حَرَامٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُودَ بِشِرِّهِ،
سَطُورُ الْخَازِي دُونَ أَبْوَابِ قَصْرِ
لَا مِنْ كَلْبًا حَيْثُ لَسَتْ مُؤَنَّةٌ (١)
وَأَمَّا النَّدَى فَانْدُبَ هُنَاكَ مَدَقَّتَهُ (٢)
بُحْبَابِهِ لِلْقَاصِدِينَ مُعْتُونَةً (٣)

- وقال يصف الربيع:

بِمَا صُوبَةَ غَادِيَةِ الرَّبِيعِ الْمُنْطَرِ،
مِيدَانُ أَفْرَاسِ الصَّبَا وَمَلَاعِبُ الْ
وَاقِظِ بَيْتِكَ الْفَيْثِ فِي سَاحَاتِهِ
حَتَّى تَرَى الْيَظْطَانِ زَاهِرَةَ الرَّبَى
وَتَرَى الْأَفْصَاحَ كَأَنَّهُ قَمْ شَادِنٍ
وَشَقَائِقُ النُّعْمَانِ مِثْلَ الْفَيْدِ وَالطِّ
لَوْلَا غَفَارَتُهَا وَحَالَكَ شَفَرُهَا

بَادِرُ يَسْتَبِيكَ رَسْمَ دَارِ مُغْفِرٍ (١)
أَرَامَ وَالرَّوْضِ الْأَنْبِقِ الْأَزْهَرِ (٢)
وَاسْكُتْ لِأَلْبَنَةِ عَلَيْهِ وَانْثُرْ (٣)
تُسَيِّكَ عَنْ عَهْدِ الزَّمَانِ الْأَزْهَرِ (٤)
غَنِيحَ تَبَسُّمٍ عَنْ لَقِيطِ الْجَوْهَرِ (٥)
حُلَّ النَّدَى كَدَمْعَةٍ فِي مَخْجَرٍ (٦)
قُلْنَا: سَبَايَا مِنْ بَنَاتِ الْأَصْفَرِ (٧)

(١) آمن = آئِن (أثني ما).

(٢) البشر: طلاقة الوجه وإظهار السرور بالناس. الندى: الكرم.

(٣) حجاب القصر عنوان للمحاري الموجودة في داخل القصر.

(٤) الصوب: المطر المتدل. العادية: السحابة التي تنطر في الصباح. السيب: الغطاء (المطر). مقفر مهجور (صفة للأسم «رسم»: المكان الذي كانت فيه الدار قائمة).

(٥) الدار التي كانت مبدأاً للهوا وملعباً (مرتعاً) للأروام (جمع رثم بكسر الراء: الفزال الأبيض): النساء الجميلات.

(٦) لآئِي: جمع لؤلؤة (كتابة عن حبات المطر التي لها شكل اللؤلؤة وتيسرها).

(٧) البيط (بالفتح): الأرض المنخفضة (تتجمع فيها المياه فتكون خصبة). تسيك «تسيك»: تحريك الأزهر (مكررة في الأصل).

(٨) الأفاح جمع أفعوانة (بضم الفهمزة): زهر قلبه أصفر وله بتلات بيض. الشادن: الفزال الصغير (الفناء الجميلة). الجوهر: اللؤلؤ (كتابة عن أسنانه البيض الجميلة).

(٩) النبهاء: المرأة الجميلة. الطل: الندى الذي يسقط ليلًا. الحجر (التجويف الذي تكون فيه العين): العين.

(١٠) المغارة (تكون بالمنح والكسر والطم وتعلق بالحراسة) والمقصود هنا: الحفر (يفتح لفتح): الحياة. المالك: الأسود. بنو الأصفر: الروم.

- وقال عبدُ الملك الحجاري يصف الحمر:

يا فتيةً خبيرةً قدنهم من حادثات الزمانِ نفسي،
شربهم الحمر في بُكورٍ وتطعمهم عندها بهنس،
أما تروون البيتَه يُلقي في الأرض بطناً من البئس^(١)
مُتطبّ عابسٌ يُنادي: يومُ سرورٍ ويومُ أنسٍ^(٢).

٤-٥٥ * الذخيرة ٣: ٣٣١ - ٣٣٦، التكملة ١٦٠٦: ٢ - ٣٣ - ١٣٤ نفح الطيب ٣: ٤٢٣ - ٤٢٤ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٧ (١٦١).

مُحمَّد بن عبد الواحد البغدادي

١- هو أبو الفضل مُحمَّد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن سليمان بن الأسود بن سفيان الدارمي التميمي البغدادي، وُلِدَ في بغداد سنة ٣٨٨ (٩٩٨ م).

سَمِعَ مُحمَّد بن عبد الواحد من أبي طاهر مُحمَّد بن عبد الرحمن المُخلص الذهبي البغدادي (٣٠٥ - ٣٩٣ هـ) - وكان من أصحاب الحديث ومُسَنِّدَ بغداد في أيامه^(٣) - . ويبدو أن خلافاً نشأ بينه من جانب وبين أبيه وإخوته من جانب آخر فترك بغداد وله من العمر عِشْرُونَ سنةً مُتَجَهًّا شَرْقاً حتَّى وصل إلى الهند ولجئاً بالسُلطان محمود الغزنوي الذي امتدت ولايته من سنة ٣٨٩ إلى سنة ٤٢١ وبقي معه ثم مع ابنه مسعود (٤٢١ - ٤٣٢ هـ) ووَزَرَ للسُلطان مسعود.

تُوَفِّي السُلطان مسعود وخلفه أخوه مُودود، ومُحمَّد بن عبد الواحد في الهند. ولم يحمَّد مُحمَّد بعد ذلك مُقامه في الهند فكَاتَبَ القائمَ العباسيَّ فاستدعاه القائم. واتفق في

(١) بَطَّ جَع بَطَط (ما يفرش على الأرض). الدمشقي: الحرير (الثناء يَكسو الأرض بالنبات الأخضر). ٢٢. كذا في بغية الملتبس ص ٩٧ س.

(٢) مُتَطَبَّ عاقِد بين حاجبيه (كتابة عن المصطب). يوم سرور ويوم أنس (بضم الهزلة: سرور بعشرة الناس)... لعلها: يؤس (٢).

(٣) السند: الذي يحفظ أحاديث رسول الله بأسانيدها: بلسان الراوي لها (ويكون في ذلك حجة يرجع الناس إليه).

ذلك الحين قُوْرَةُ الدعوة الفاطمية (وكان أمرُها قد علا في بَصْرَ كثيرًا) فأرادَ القائمُ العباسيُّ رجلًا يذهب إلى المَغْرِبِ لِيُفَيْدَ قُلُوبَ أَهْلِ المَغْرِبِ على الفاطميين فأرسلَ في ذلك مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الواحدِ. وفي الطريقِ إلى المغرب مرَّ مُحَمَّدُ بْنُ عبد الواحدِ بالمَغْرَةِ وَلَقِيَ أَبَا العَلامِ المَعْرِي. فسمعَ المَعْرِي شَيْئًا من شِعْرِهِ وَمَدَحَهُ عليه. وسارَ مُحَمَّدٌ إلى المغرب فوصلَ إلى القيروانِ سَنَةَ ٤٣٩ واستطاعَ إقناعَ المُعْزِّ بْنِ باديسَ في أولِ الأمرِ بالانتقالِ عن دَعْوَةِ الفاطميين إلى دعوةِ العباسيين. ثم حَدَّثَ الاضطرابُ في المغرب - وكان لابنِ عبد الواحدِ فيه يدٌ ظاهرة - وعادَ المُعْزُّ عن الدعوةِ العباسية في سَنَةِ ٤٤٦ فأصبحَ مُقامُ ابنِ عبد الواحدِ في المَغْرِبِ صَغْبًا فانتقلَ إلى الأندلسِ وتَنَقَّلَ بينَ بُلدانِها حَتَّى اسْتَقَرَّ في طُلَيْطَلَةَ في ٢٧ من جُمادى الأولى ٤٥٤ (١٠٦٨/٦/٨ م) عِنْدَ المأمونِ بنِ ذي النون. وكانت وفاةُ ابنِ عبد الواحدِ في رابعِ عَشَرَ شَوَّالٍ من سَنَةِ ٤٥٥ (١٠٦٣/٩/١١ م).

٢- لِمُحَمَّدِ بْنِ عبد الواحدِ نظمٌ ونثرٌ، وكان مُكثِّرًا ومُطِيلًا أيضًا. وشِعْرُهُ ونَثْرُهُ بَنُوَانٍ بِصِنَاعَةٍ كثيرةٍ بعيدة. وأكثرُ شِعْرِهِ عاديٌّ وعليه نَفْحَةٌ من الأسلوبِ القديمِ مَعَ شَيْءٍ من الغريبِ. وهو كثيرُ التَّرْدَادِ للأفكارِ وللتراكيبِ: أوردَ له ابنُ بَسَّامٍ (الذخيرة ٥١١: ٣ - ٥١٣) تِسْعَةً وثلاثينَ بيتًا واحدٌ وعِشرونَ منها تبدأ بالحَرْفِ المُشَبَّه بالفعل «كَانَ»، ونحن نجدُ شَيْئًا من هذا الترديدِ عند ابنِ هاني الأندلسيِّ أيضًا. وفي الذخيرة (٨٨: ٤) وفي نَفْحِ الطيبِ (١١٣: ٣) أن أَبَا العَلامِ المَعْرِي قد سَمِعَ شَيْئًا من شِعْرِ ابنِ عبد الواحدِ وحكمَ له بالإجادة. ولعلَّ إعجابَ المَعْرِي كان راجعًا إلى كَثْرَةِ تَشَابِهِ ابنِ عبد الواحدِ وغَرابةِ بعضها. وفنونُ شِعْرِ ابنِ عبد الواحدِ المديحُ والمُجَاجاةُ والرِّثاءُ والفخرُ والعِتابُ والوصفُ وكثيرٌ من الغَزَلِ مَعَ شَيْءٍ من المُجَوَّنِ الظاهرِ. وله أيضًا طَرْدٌ (وصفٌ للصيْدِ) وإخوانيات. وابنُ عبد الواحدِ أدخلَ كتابَ «بَيْتِمةِ الدهر» للشُعاليِّ إلى الأندلسِ.

٣- مختارات من آثاره

- كتب أبو الفضلِ مُحَمَّدُ بْنُ عبد الواحدِ البُفْدَاديُّ رسالةً إلى الوزيرِ الكاتبِ أبي

المُطَرَّفُ^(١) بن مُشْنَى (الذخيرة ٣ : ٤١٠) جاء فيها :

أَطَالَ اللهُ بقاءَ سَيِّدِي وجعلَ ذَرَجَ المعالي مُستقرَّةً تحتَ قَدَمِهِ وسُرَّجَ المساعي سُفيرةً عن بوارقِ حِمَمِهِ^(٢)، وظامئاتِ الأمانِ رَوِيَّةً من لُبابِ سِنِّ قَلْبِهِ^(٣)، وعَذَبَاتِ الإقبالِ مُنَوَّطَةً بِاللَّوِيَّةِ عَزَائِمِهِ وآرَائِهِ^(٤)... وكنتُ مَرَزْتُ بِبِلَادِ شَمُوسِ الفضايلِ في آفاقِها مَكسُوفَةً، وعيونُ العلمِ والآدابِ في عَرَصاتها مَطْرُوفَةً^(٥)، وستائرُ الأحرارِ بين أهلِها مَهتَوَكَةً مَكسُوفَةً^(٦)... نَبَعَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا عَيُونُ الحَيَاةِ والبُهتانِ^(٧)، وَضَعُفَ جَهْلُ الدَيَانَةِ فِيهِمُ والإيمانُ... فَأَبْدَلَهُمُ اللهُ مِنَ النورِ في أحوالِهِم ظلاماً، وبالحلالِ في مكاسِبِهِم حراماً. وَخَصَّ أَسَاحِرَهُم بِالغَلَاءِ وَجَمَعَهُم بِالْفَنَاءِ وَلَفِيفَهُم بِالنَّشْتِ والجَلَاءِ^(٨). وللخَرَابِ ما يَمُوتُونَ^(٩)، وللقتلِ ما يَلِدُونَ وللنهبِ ما يَجْمَعُونَ ولغيرِهِم ما يَكْسِبُونَ. «وحاق^(١٠) بِهِم ما كانوا به يستهزئون» (سورة الزمر، ٤٨ : ٣٩) وكذلك أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى^(١١) وهي ظالمةٌ، إِنَّ أَخَذَهُ أَليمٌ شديدٌ (١١ : ١٠٢، سورة هود). ... وأكْبَرْتُ أَنْ أَفَارِقَ بِلَدَ الْأَنْدَلُسِ، وقد أَظْهَرَ اللهُ فِيهِ إِحْدَى آيَاتِهِ الدَّالَّةَ عَلَى عِظَمِ مُعْجَزَاتِهِ، الناطقةُ بِصَحَّةِ بَرَاهِينِهِ وَيَسَانَةِ، بِسَيِّدِنَا المَأْمُونِ بْنِ ذِي النُّونِ أَطَالَ اللهُ بقاءَ سُلْطَانِهِ، وَقَوَّى دَعَائِمَ مُلْكِهِ وَأَرْكَانَهُ...

(٥) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن صيفون المعروف بابن مشنى من أهل قرطبة وسكن بلنسية. وقد استوزره المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة (٤٢٧ - ٤٦٣ هـ) عدة سنين. «انتفع الناس به في أثناء وزارته لحسن دينه وسلامه باطنه وظاهره ولنفكيره الهادى». وكانت وفاته في بلنسية سنة ٤٥٨ (١٠٦٦ م).

(١) السراج: القديبل. مسفرة: متكشفة.

(٢) من لُباب: ريق (هنا: حبر) سَنِّ قَلْبِهِ (الطرف الذي يكتب به من القلم).

(٣) الطيبة (يفتح ففتح): طرف الشيء (زائدة تتدلَّى عادة من طرف المعامة - بكسر الميم). منوطة: معلقة.

(٤) مكسوفة: منقطعة (قد حجب نورها). العرصة (يفتح ففتح): الباحة أمام الدار.

(٥) مهتوكة بمنزلة. مكشوفة: مראה (كتابة عن جرأة الناس على من كانت سدولة عليه: سائرة له).

(٦) البُهتان: الافتراء (اتهام الناس بما ليس فيهم).

(٧) الجلاء (الخروج من الوطن).

(٨) عمر الناس المكان (سكنوا فيه).

(٩) حاق: أحاط.

(١٠) الأخذ: العقاب، التقصاص. القرية: المدينة.

- وله يَصِفُ اللَّيْلَ (الذخيرة ٣: ٥١١):

وليلٍ نجلَى الصُّبْحُ في جَنَبَانِهِ سنا بارقٍ في لُجٍّ بحرٍ تَمَّبا^(١)
أحاطتْ بِأَفَاقِ السَّمَاءِ خِيَامُهُ وطَبَّقَ شَرْعاً في البلادِ وَمَتَرِباً^(٢)
نَفْسُ طَوْلِهِ عَنِّي الرُّقَادُ كَأَنَّمَا يَخَارُ عَلَى الْجَفْنَيْنِ أَنْ يَتَرَكِبَا^(٣)
فِيهِ أُجَيْلُ الطَّرَفِ أَرْتَادُ صُبْحَهُ كما أَرْتَادُ ذُو الشَّوْقِ الحَبِيبَ الْمُحِبَّ^(٤)
كَأَنَّ النُّجُومَ الزُّهْرَ فِيهِ خَرَائِدُ تُطَالِعُ مِنْ زُهْرِ الكَوَاكِبِ رَيزِباً^(٥)
كَأَنَّ ثُرَيَّا أُنَامِلُ بَصَّةٍ تُقَلِّبُ ثُرْساً مِنْ سَنَا اللَّيْلِ مُذْهِباً^(٦)
- وقال يَتَشَوَّقُ إلى بلدِهِ:

أَهْمٌ بِذِكْرِ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ دَائِباً، وما بِي شَرْقٌ لِلْبِلَادِ وَلَا غَرْبُ^(٧)
وَلَكِنْ أَوْطَاناً نَأَتْ وَأَجِيَةً فَقَدْتُ حَتَّى أَذْكَرُ عَهْدَهُمْ أَصْبُ^(٨)
إِذَا خَطَرْتُ ذِكْرَهُمْ فِي خَوَاطِرِي تَنَاطَرَ مِنْ أَجْفَانِي اللَّوْثُ الرُّطْبُ^(٩)
وَلَمْ أُنْسَ مَنْ وَدَعْتُ بِالنَّطِّ سُخْرَةً وَقَدْ غَرَّدَ الحَادُونِ وَاسْتَجِيلَ الرِّكْبُ^(١٠)
أَلَيْفَانِ هَذَا سَائِرٌ نَحْوَ غَرْبِي، وَهَذَا مُقِيمٌ سَارَ عَنْ صَدْرِهِ الْقَلْبُ.

(١) اللَّجَّةُ (بالهمزة): معظم الماء (وسط البحر). تَمَّب: كثر عيابه (بالضم): أواجه.

(٢) خِيَامٌ جمع خيمة (كتابة عن اتساع اليوم). طَبَّقَ (ملاً).

(٣) أَنْ يَتَرَكِبَا (أَنْ يَرْكَبَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ: أَنْ يَنْطَلِقَا فَيَنَامَ صَاحِبُهُمَا).

(٤) الطَّرَفُ: البصر. أَرْتَادُ: أَلْطَبُ. الْمُحِبُّ (الذي جعل على نفسه حجاباً: رفض الاجتماع بالحب).

(٥) الزُّهْرُ: اللامعة (يقصد: الكبيرة). تُطَالِعُ: تَدِمُ النَّظَرَ إِلَى (تراعي، تعني بـ). الرِّيزِبُ: التقطيع مـ الطِّيباء. الخُرَيْدَةُ: المرأة الجميلة. الصورة غير واضحة.

(٦) الثُّرَيَّا: منقود نجوم فيه سبعة نجوم كبيرة (طاهرة للمعين) ثم ألوف من النجوم الأخرى. أُنَامِلُ فَضَّةٌ (لعل الشاعر يشير هنا إلى النجوم السبعة الكبيرة اللامعة في منقود الثُّرَيَّا). ثُرْساً مُذْهِباً (يشبه الليل مرقعاً سوداء واسعة مذهبة: فيها نجوم تلمع صفراً وحرراً، إلخ).

(٧) الشرق والغرب من بلاد الأندلس. وما بِي (شوق إلى) شرق الأندلس أو غرباً: إلى الأرض نفسها...

(٨) أَوْطَانُ نَأَتْ: بعدت (عني، بعدت أنا عنها). أَصْبُو: أَمِيلُ (بمعظم حبي).

(٩) اللَّوْثُ الرُّطْبُ: التنقي، الصافي اللون كتابة عن الدموع.

(١٠) النط: جانب النهر. سخرة: قبيل الفجر. غَرَّدَ الحادي: بدأ يترنم (يعني) استعداداً للانطلاق بالليل (البدء بالسفر). واستجِيلَ الركب (جعل الحادي، سائق الأبل، يمتد العازمين على السفر على الجملة للبدء بالسفر).

٤- ** جذوة المقتبس ٦٨-٦٩ (الدار المصرية) ٧٣ (رقم ١٠٥) : الصلة ١٥٦٦ بنية
 للثمن ٩٧-٩٨ (رقم ٣٠٩) : الذخيرة ٤١٠:٣-٤١٣، ٤١٤:١-٨٧-١١٩ نفع
 الطيب ٣: ١١١، ١١٣-١١٥.

الحسين التجيبي القرطبي

١- هو الحسين بن محمد بن الحسين بن حَيِّ التجيبي القرطبي، أخذَ عِلْمَ العدد والهندسة والهيئة^(١) عن ابي عبد الله محمد بن عمرو بن محمد المعروف بابن بَرغوث الرياضي الفلكي (ت ٤٤٢ هـ). وفي سنة ٤٤٢ هـ رَحَلَ الحسين التجيبي إلى القاهرة ثم إلى اليمن. وفي اليمن اتصل بأمير المؤمنين الصليحي القائم^(٢) بالدعوة للمستنصر الفاطمي معذ (٤٢٧-٤٨٧ هـ) وحظيَ عنده. ثم إن الصليحي أرسله رسولا إلى القائم العباسي (٤٢٢-٤٦٧ هـ). وتوفي الحسين التجيبي في اليمن، سنة ٤٥٦ (١٠٦٤ م)، بعد رُجوعه من بغداد.

٢- الحسين التجيبي القرطبي أديبٌ شاعرٌ وعالمٌ بالهندسة والفلك. له زيجٌ مُختصرٌ على طريقة البند هند^(٣). وشعره القليل الذي وصل إلينا مُقطعاتٌ قِصارٌ تدورُ على التأمل والحكمة وفيها إشاراتٌ من الرياضيات والفلك.

٣- مختارات من شعره

- قال الحسين التجيبي يوازن بين الواحد من العدد (الذي هو أولُ الأعداد ومنه تأتي كلُ الأعداد، مع أنه في رأي علماء العدد ليس مثلُ سائر الأعداد) والله الذي هو أيضاً الموجود الأول (وهو سابقٌ على جميع الموجودات ومُخالفٌ لها، مع أنها جميعها قد جاءت منه):

(١) الهيئة: الفلك.

(٢) علي بن محمد الصليحي أمير بني اعتنق، سنة ٤٢٨، دعوة الفاطميين (ألقب مصر). وفي سنة ٤٢٨ حاله في الموسم (في الحج) نحو ستين تصيراً على الدعوة للمستنصر الفاطمي صاحب مصر. وفي سنة ٤٥٥ أصبح ملكاً على اليمن. وتوفي سنة ٤٧٣.

(٣) السند هند كتاب هندي في الرياضيات والفلك.

تَأْمَلْ صُورَةَ الْعَدَدِ، فَمَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ هُدًى.
 كَمَا الْأَعْدَادُ رَاجِعَةٌ، وَإِنْ كَثُرَتْ، إِلَى الْأَحَدِ^(١)،
 كَذَلِكَ الْخَلْقُ مَرْجِعُهُمْ لِرَبِّ وَاحِدٍ صَمَدٍ^(٢).

- وله مقطعاتٌ قصارٌ في التأمل والحكمة:

* ورَأَيْتُ السَّهْلَ كَالْبَحْرِ، إِلَّا أَنْ مَا وَسَطَهُ مِنَ الدُّرِّ طَافِي^(٣).
 فِيهِ مَا يَمْلَأُ الْعَيُونَ كَبِيرٌ وَصَغِيرٌ مَا بَيْنَ ذَلِكَ صَافِي^(٤).
 * وَدَعْنِي حَيْثُ لَا تُودَعُهُ رُوحِي وَلَكِنَّهَا تَسِيرُ مَعَهُ.
 ثُمَّ تَوَلَّى وَالْعَيُونَ لَهُ ضَيْقُ مَجَالٍ وَفِي الْقُلُوبِ سَعَةٌ.
 * إِذَا مَا كَثُرَتْ عَلَى صَاحِبِ وَقَدْ كَانَ يُدْنِيكَ مِنْ نَفْسِهِ^(٥).
 فَلَا بُدَّ مِنْ مَلَلٍ وَاقِعٍ يُغَيِّرُ مَا كَانَ مِنْ أَنْسِهِ.

١- ٢ * * معجم الأدياء ١٥٨ : ١٦٠ .

ابن حزم الكبير

١- وَلَدَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ (ت ٤٠٢ هـ) بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَزْمٍ فِي قُرْطُبَةَ، فِي
 آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٣٨٣ (معجم الأدياء ١٢ : ٢٣٧) أَوْ ٣٨٤ (وفيات
 الأعيان ٣ : ٣٢٥) - يُوَافِقُ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمِيلَادِيِّ ٩٩٤/١١/١٨ أَوْ

(١) الأُحَدُ: الواحد من العدد (فيل الاثنين). كل الأعداد تبدأ من الواحد بزيادة واحد على العدد الذي قبله ما عدا الاثنين فهو الواحد مكرراً ٢+١+٣+١+٤+١+١، الخ.

(٢) الصمد: المقصود (الله). وكما أن جميع الأعداد ترجع إلى الواحد، فكذلك جميع الأشياء مرجعها (مبدأها) الله (الذي هو: واحد).

(٣) ..إِلَّا أَنْ مَا (في) وسطه. الدرّ: اللؤلؤ. طاف: عاث على سطح الماء. - الليل بسمته شبه البحر، مع طارق: اللؤلؤ الذي في البحر يكون غارقاً في قعره. أما الليل (السَّهْلُ) فإِنَّ مَا غِيَا مِنْ اللُّؤْلُؤِ (النجوم) طاف (سابع) على سطحها.

(٤) في السَّهْلِ نجوم كبيرة وصغيرة فلأ العيون (أي كثيرة). صافي (صاف) ٢٢

(٥) كثرت على صاحب: أثقلت عليه (بالتجارات الكثيرة أو بالمطالب الكثيرة).

٧/١١/٩٩٤ ، في بيتٍ جاءٍ وثروةً وثَرَفٍ وسلطان. غيرَ أنه لَقِيَ عَنَتًا كبيراً من جرّاء الفِتنَةِ في الأندلس، ولأنّ أباه كان وزيراً للمنصور بن أبي عامر الحاجب (رئيس الوزراء) الذي كان قد حَجَرَ على الخليفة هشام المؤيّد واستبدَّ بالحكمِ دونه. فلما تُوُفِّيَ المنصورُ (٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م) ثم استطاعَ هشامُ المؤيّد أن يحكمَ بنفسه تتبّع رجالَ دولةِ المنصور فلجّأ آلَ حزم من ذلك نصيبٍ وافرٍ تشبّثوا به في البلاد. ثم زال الحكمُ الرواني عن الأندلس وبُيعَ عليُّ بنُ حمودٍ بالخلافة وتغلّب على قُرطبة فأنهزمَ آلُ حزم بأنهم من أنصارِ الروانيين. ولقد أضاعَ آلُ حزم في أثناء ذلك كثيراً من أموالهم وقصورهم وكتبهم.

وبعد خرابِ قُرطبة في فتنَةِ البربر انتقل ابنُ حزم إلى شاطبة، وفيها ابتدأ تأليفَ كتابه «طَوَى الحِمامة». وكان في سَنَةِ ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) يعيش فيها. وفي سَنَةِ ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) كان موجوداً في جزيرةٍ مَيُورَقَة لاجئاً فيها. واتفق أن رَجَعَ الفقيهُ أبو الوليدِ الباجي من المشرق فناظره مناظرةً أضرّت به. ولما كَثُرَتْ عليه دسائسُ الفقهاء بسببِ مذهبه الظاهري اعتكفَ في ثُربة بلده مُنْت لِيَسْمَ حيث تُوُفِّيَ في السابع والعشرين من شُعبان من سَنَةِ ٤٥٦ (١٠٦٤/٨/١٤ م).

٢- كان ابن حزم قديراً في التفسير حافظاً للحديث، وكان فقيهاً متكلماً وعالماً لغوياً ومؤرخاً بارعاً وأديباً بليغاً ومفكراً رصيناً، ولكن الشهرة بالأدب غلبت عليه. وكتبَ ابن حزم كثيرةً متنوعة، غيرَ أن كثيراً منها قد ضاع في النُكبات، في الفتنِ في قُرطبة وفي غُصْبَةِ العامة عليه، تلك الغُصْبَةُ التي أدّت مِراراً إلى إتلاف كتبه بالحرق والتمزيق. فمن كتبه:

الإحكام لأصول الأحكام - أسواق العرب - رسالة في الإمامة (الخلافة) - رسالة في أمّهات المؤمنين - التحقيق في نقد مذهب محمد بن زكريا الرازي - التقریب لحدّ المنطق والمُدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية - جوهرة الأمثال - جوهرة أنساب العرب - حجة الوداع - الردّ على ابن النغيلة اليهودي - رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل - طَوَى الحِمامة في الألفاظ والألغاز (يتناول أحوال العشاق وما يعترضهم من الحب والإذعان والسُّكُو والطاعة والهَجَر وما

تقتضيه حياتهم من السفير والمراسلة وما يُنقص حياتهم كالواشي والرقيب وما يُنهجهم كالوصل) - رسالة في الفناء الملهي أمباح هو أم محظور؟ - الفصل في الملل والأهواء والنحل (عَرَض فيه للأديان القديمة ومذاهب قدماء الفلاسفة وآراء اليهود والنصارى ومذاهب أهل الإسلام والبحث في مذهب الظاهر ومهاجمة خصومه؛ وفلسفة ابن حزم: كلها بنطوية في هذا الكتاب) - رسالة في فضل الأندلس - المحلى (في فروع الفقه) - مراتب الإجماع - مراتب العلوم - المفاضلة بين الصحابة - فصل في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها. - معرفة الناسخ والمنسوخ - النبذة الكافية في أصول أحكام الدين - نقط العروس في تواريخ الخلفاء .

ابن حزم من أتباع المذهب الظاهري وإمام هذا المذهب في أيامه . وهو يقبل كل ما نص عليه القرآن أو ورد في الأحاديث الموثوقة على ظاهر معناه ، إلا أن يكون هنالك ضرورة من عقل أو حِس تدعو إلى صرف المعنى عن ظاهره وإلى الأخذ بالتأويل . يقول ابن حزم في الملل والنحل : « بلى الآيات كلها حق على ظاهرها لا يحل صرفها عنه (٣ : ١٥٢) ، وإنما نتبع ما جاءت به النصوص (٣ : ١٦٢) . والنص لا يحل خلافه (٤ : ٨٥ س) ، لأن الله تعالى ينص أحياناً نصاً لا يحتمل تأويلاً (٣ : ١٤٤) . وكذلك الأحاديث الموثوقة (٥ : ١١٣) .

وصرف الآيات والأحاديث عن ظاهرها لا يجوز إلا ببرهان (٣ : ٢٠٧ ، ٥ : ٧٧) ، أو بنص من قرآن أو حديث أو إجماع متيقن أو بضرورة من حِس . وعندئذ تجب مخالفة الظاهر والعمل بالتأويل على مقتضى البلاغة العربية .

وابن حزم مفكر في الدرجة الأولى بما جعله - حينما ينصرف إلى النتاج الأدبي : في النثر والشعر - أديباً من الطبقة الأولى أيضاً . فكتابه « طوق الحمامة » ، وإن كان في ظاهره أديباً خفيفاً يصف مظاهر الحياة الإنسانية في الألفه والآلاف (في الحب والمحبين) ، فإنه في حقيقته نظرة ثابتة في أعماق النفس الإنسانية والحياة الاجتماعية . وشره متين جزل يلب فيه المعنى على اللفظ ، ولكنه يبقى شعراً وجدانياً بعيد الأثر في النفس والفكر معاً .

- لاين حزم الأندلسي مقطعات شعرية منها حينما نكبت وأحرقت كتبه:

* لا يَشْتَنُّ حاسدي إن نكبةً عرضتْ
ذو الفضل كالسبر يُلْقَى تحت مَنزِيَّةٍ
* سيكون الذي قُضِيَ،
فدعِ الهمَّ، يا فني،
* وذِي عَذْلٍ فيمن سباني حُسْنُهُ
أفي حُسْنٍ وجهٍ لاح، لم ترَ غيره
فقلت له: أسرفتْ في اللوم ظلالاً،
ألم ترَ أني ظاهري وأنسي
* إذا شئتَ أن تحيا غيباً فلا تكن
* دعوني من إحراق رَقٍّ وكاغِدٍ
فإن تُحْرِقُوا القِرطاسَ لا تحرقوا الذي
* أنا الشمس في جوِّ العلوم منبيرةٌ
ولو أنني من جانب الشرق طالعٌ

فالدهر ليس على حال يَشْتَرِكُ^(١).
طوراً، وطوراً يُرَى تاجاً على ملك^(٢)
سُخِطَ العبد أم رَضِيَ.
كلُّ هُمٍّ سَيَنْقُضِي.
يُطِيل مَلامي في الهوى ويقول^(٣):
ولم تدر كيف المَهمُّ، أنت قتيل^(٤)؟
وعندي رد، لو أردت طويلاً^(٥).
على ما بدا حتى يقوم دليل^(٦).
على حالة إلا رَضيتَ بدونها^(٧).
وقولوا بطلي كي يَرى الناسُ من يدري^(٨).
نَضَمْتُهُ القِرطاسُ، بَلْ هو في صدري.
ولكن عيبي أن مَطْلَمِي الغرب^(٩).
لجُدت لي ما ضاع من ذكري النهب^(١٠).

- (١)...الدهر لا يترك أحداً على حال واحدة (بل ينقله من سعد إلى نحس ومن نحس إلى سعد).
- (٢) ألقي: وجد. مقربة (المقصود: تراتب تحت مقربة: مدفون).
- (٣) عذل: لوم: سباني: أسري.
- (٤) أنت لم تر من هذا الشخص سوى وجهه، فلا تعرف ما حال أقسام جسمه الباقية....
- (٥) أسرف: جاوز الحد.
- (٦) أنا أثبت على الأخذ بظاهر الأمور، ولا أميل عن الظاهر (لا أتركه) حتى يقوم عندي دليل على خلالة.
- (٧) أنت تكون غيباً إذا أنت اعتقدت أنك محتاج إلى أغل كما تلك (والإنسان لا يحتاج فعلاً، إلى كل ما يطعم ان يجمعه).
- (٨) الرق (من المجلد) والكاغد (فارسية: من الورق).. لا تذكروا حادثة إحراق كتي (ولا عدد كتي قبل إحراقها) ولكن اذكروا معاري التي أجمعها في صدري (راجع البيت التالي) فتعرفوا حينئذ الذي هو عالم (من العلوم التي ينصها من صدوه) ومن ليس عالماً (يقرأ على الناس من الكتب).
- (٩) عيبي (عند الناس) أنني من الأندلس.
- (١٠) - لو كنت من أهل الشرق (ثم أحرقت كتي) لانتع ذكري في الأندلس نفسها (لأن الناس هنا لا يحسبون ابن بلدهم ويكرمونه التي يأتي إليهم من الشرق).

ولي نحو أفاق المِراق صباية .
ولكن لي في يوسف خير أسوة ؛
بقول مقال الحق والصديق إنسي

ولا غرو أن يتوجس الكلف الصب^(١) .
وليس على من بالنبي أتسى ذنب^(٢) .
حفيظ علم ، ما على صادق عتب^(٣) .

- ومن مقطعاته في غير ذلك :

* كَذَبَ المدعي هوى آتسني حتاً ،
ليس في القلب موضعٌ لحبيبين ،
فكما العقل واحد ، ليس يهوى
هو في شرعة المودة ذو شك^(م) .
وكذا الدهن واحد مستقيم ؛

مثل ما في الأصول كَذَبَ مائي^(٤) -
ولا أُخِيتُ الأمورُ بشانسي^(٥) ،
غيرَ فردٍ مُباعدٍ أو مُدان -
(م) بعيدٌ من صِحة الإيمان
وكفور من عقدِهِ ديمان .

* يُعيونها عندي بِشْفرة شعرها ،
يعيون لَوْنُ النور والتسمر ، ضِلَّةٌ
وهل عاب لونُ الترجس الغضَّ عائبُ
وأبعدُ خلقي الله من كل حِكْمَةٍ
به وَصِفْتُ ألوانُ أهلٍ جهنم
ومنذ لاحتِ الراباتُ سوداً تَبَقَّتْ

فقلتُ لهم : « هذا الذي زانها عندي » .
لرأيٍ جهولٍ في القَوَاية مستنداً
ولونُ النجوم الزاهرات على البعد ؟
مُفضَّلُ جرمٍ فاحمر اللون مُنَوَّدُ .
ولبسة بالكِ مُشْكَلُ الأهلِ عتد .
نفوس الوري أن لا سبيلَ إلى الرشد^(٦)

(١) صباية : محبة . - وليس من الغريب أن يجد الإنسان وحشة (إذا كان كلفاً صلباً : شديد التعلق والحب) لمكان ما أن يميل إلى ذلك المكان .

(٢) يوسف الصديق (اس بمفروب) . أسوة : قدوة . اتسنى : اقتدى ، تسلى (عن مصيبتِهِ) . - يوسف كان يكره أخوته فأرادوا قتله ثم تَرَضُّوا أن يلقوه في حفرة إلى جانب الطريق في أثناء سفرهم إلى مصر .

(٣) قال يوسف لفرعون : « اجعلني على خزان الأرض » (أي حفيظ علم) . (سورة يوسف : ١٧ : ٥٥) . وأنا أقول مثل قوله ؟؟ .

(٤) مائي : صاحب مذهب العرس والفائل بالنسوية بوجود إلهين للعالم : إله الخير أو النور وإله الشر أو الظلمة . الأصول : قواعد المنطق الأساسية (أو أصول الدين) .

(٥) لعلهُ يشير إلى العقل الفاضل (عند الإكسدراتيين) عن الله . فإنَّ الله (الأوَّل ، الواحد) عندهم لا يباشر الخلق . ولكن من « الثاني » (العقل الفاضل من الأوَّل يحدث سائر الفيوضات وتتوَعَّج الموجودات) .

(٦) منذ لاحت الرابات سوداً : منذ قيام الدولة العباسية (؟) لأنَّ لونها اختار كان السواد مخالفةً لبني أمية الذين كان شعارهم البياض . وكان آل حزم من أنصار الأمويين .

* وسأئذ لي عَمَّالِي مِنَ الْعُمْرِ،
أَجَبْتُهُ: «سَاعَةً لَا شَيْءَ أَحْبَبُهُ
فَقَالَ لِي: «كَيْفَ ذَا؟» يَنْتَهُ لِي، فَلَقَدْ
فَقُلْتُ: «إِنَّ الشَّيْءَ قَلْبِي بِهَا عَلِقَ»
فَمَا أَعُدُّ، وَلَوْ طَالَتْ سِنِّي، سِوَى
* جَرَى الْحُبِّ بَيْنِي وَجَرَى النَّفْسِ
وَلِي سَيِّدٌ لَمْ يَزَلْ نَافِرًا،
فَقَبِلْتُهُ طَالِبًا رَاحَةً
وَكَانَ فَوَادِي كَثَبَتِ هَشِيمِ
* وَوَدِدْتُ بَأَنَ الْقَلْبِ شَقَّ بِمُدْبِةٍ
فَأَصْبَحْتَ فِيهِ لَا تَجْلِسُ غَيْرَهُ
تَعِيشُ فِيهِ مَا حَيَّيْتُ، فَإِنْ أُمْتُ
* لَقَدْ بُوْرَكْتَ أَرْضُ بِهَا أَنْتَ قَاطِنٌ،
فَأَحْجَارُهَا دُرٌّ وَسَعْدَانُهَا وَرَدٌّ
* فَأَتَاهُمُ عُمْرُ الْمَرْءِ مُتَمِّعَةً سَاعَةً
وَقَدْ آذَنْتُ نَفْسِي بِتَقْوِيضِ رَحْلِهَا

وَقَدْ رَأَى الشَّيْبَ فِي الْفَوَدَيْنِ وَالْعُمْرُ^(١)،
عُمْرًا سِوَاهُ بِحَكْمِ الْعَقْلِ وَالنَّظَرِ،
أَحْرَسَنِي أَشْنَعَ الْأَنْبَاءِ وَالْخَيْرِ^(٢)،
فَبَلَّتْهَا قُبْلَةً يَوْمًا عَلَى خَطَرٍ
تِلْكَ السُّوَيْعَةُ بِالتَّحْقِيقِ مِنْ عُمْرِي!
وَأَعْطَيْتُ عَيْنِي عَيْنَانَ الْفَرَسِ^(٣)،
وَرَبَّمَا جَسَادَ لِي فِي الْخُلْسِ^(٤)،
فَزَادَ أَلْبَلًا بِقَلْبِي الْيَبِسِ^(٥)،
يَبِيسَ رَمَى فِيهِ رَامَ قَبَسِ^(٦)،
وَأَدْخَلْتِ فِيهِ ثُمَّ أَطْبَقْتُ فِي صَدْرِي،
إِلَى مُنْقَضَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْعَشْرِ:
سَكَنْتِ شِغَافَ الْقَلْبِ فِي ظُلْمِ الْقَبْرِ،
وَبُورِكَ مَنْ فِيهَا وَحَلَّ بِهَا السَّعْدُ:
وَأَمَوَاهَا شَهِدَ وَتَرَبَّثَهَا نَدٌّ^(٧)،
تَمَرُّ سَرِيعًا مِثْلَ لَمْعَةٍ بَارِقِ،
وَأُسْرِعَ فِي سَوْقِي إِلَى الْمَوْتِ سَائِقِي^(٨)

- (١) العود: الثمر السائل من جانب الرأس. العذر (بضمّين) جمع عذار (بالكسر): الثمر النابت على صنعة الحدّ.
- (٢) الخير (مفرد): ما يقل من أحوال الناس. وكان حقّ الكلمة أن تكون جمعاً لأنّها هنا مطبوعة على جمع ولأنّ الأوضح أن يضاف اسم التفضيل إلى جمع لا إلى مفرد، نقول: أحسن الأشياء (لإمكان المقابلة بين أشياء متعدّدة) ولا نقول: أحسن شيء (وإن كان المؤنّون قد فعلوا ذلك فقال المتنبي مثلاً: «وخير جليس في الزمان كتاب»).
- (٣) أعطيت عيني عنان (رسن) الفرس: أخلقت نفسي تفعل ما تريد (بالنظر بالعين فقط).
- (٤) في الخلس (بفتح فسكون) انتهاز الأمر. والخلسة (بالضمّ): النهزة والفرصة (بالضمّ فيها).
- (٥) الأليل: الاضطراب، الحرارة. اليبس (ربما بفتح وكسر: اليابس): الذي نسي الحب وفارقه الشباب - لمثل ابن حزم قصد بالأليل «الاحتراق» (راجع البيت التالي).
- (٦) هشيم: يابس. قميص: شيء مشتمل.
- (٧) دُرٌّ: لؤلؤ. السعدان: نبت تأكله الإبل وتسمن من أكله. شهد: عمل. نَد: نبات طيّب الرائحة.
- (٨) آذن: اقرب. بتقويض رحلها (بيتها) للرحيل عن الدنيا.

وإنِّي وإنْ أَوْغَلْتُ أَوْبِرْتُ هَارِباً من الموت في الآفاقِ، فالَمُوتُ لاحتِي^(١).

من مقدّمة « طوق الحمامة »:

... وكَلَّفَتْنِي - أَعَزَّكَ اللهُ - أَنْ أَصَنَّفَ لَكَ رِسَالَةً فِي صِفَةِ الْحُبِّ وَمَعَانِيهِ وَأَسْبَابِهِ وَأَعْرَاضِهِ^(٢) وما يَبْقَى فِيهِ وَلَهُ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِيقَةِ لَا مُتَرَجِّمٌ وَلَا مُفَسِّرٌ^(٣)، لَكِنْ مُوَرِّدٌ لِمَا يَحْضُرُنِي عَلَى وَجْهِهِ وَيَحْسِبُ وَقُوعَهُ حَيْثُ انْتَهَى حِفْظِي وَسَمْعُ بَاعِي فِيهَا أَذْكَرُهُ. فَبَدَرْتُ إِلَى مَرْغُوبِكَ. وَلَوْلَا الْإِجَابُ لَكَ لَمْ تَكَلَّفْتُهُ. فَهَذَا مِنَ الْفَقْرِ. وَالْأَوَّلَى بِنَا مَعَ قِصَرِ أَغَارِنَا أَلَّا نَصْرِفَهَا إِلَّا فِيهَا نَرْجُو بِهِ رَحْبَ الْمُنْقَلَبِ وَحُسْنَ الْمَالِ غَدَاً. وَإِنْ (جَاءَ فِي الْحَدِيثِ): أَجَمُّوا النَّفْسَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَاطِلِ لِيَكُونَ عَوْنًا لَهَا عَلَى الْحَقِّ... وَالَّذِي كَلَّفَتْنِي فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ مَا شَاهَدْتُهُ حَضْرَتِي وَأَذْرَكْتُهُ عِنَانِي وَحَدَّثَنِي بِهِ الثَّقَاتُ. فَاعْتَفَرْتُ لِي الْكِتَابَةَ عَنِ الْأَسْمَاءِ، فَهِيَ إِمَّا عَوْرَةٌ لَا نَسْتَجِيزُ كَشْفَهَا، وَإِمَّا غَافِظٌ فِي ذَلِكَ صَدِيقٌ وَدُودٌ وَرَجُلٌ جَلِيلٌ. وَبِحَسْبِي أَنْ أُسَمِّيَ مِنْ لَا ضَرَرَ فِي تَسْمِيَّتِهِ وَلَا يَنْفَعُنَا عَيْبٌ فِي ذِكْرِهِ: إِمَّا لِاشْتِهَارِهِ لَا يُغْنِي عَنْهُ الطُّبَى وَتَرَكْتُ التَّبْيِينَ، وَإِمَّا لِإِرْضَا مِنْ الْمُخْبِرِ عَنْهُ بظهورِ خَبَرِهِ وَقِلَّةِ إِنكَارِهِ مِنْهُ لِنَقْلِهِ.

وسأوردُ في رسالتي هذه أشعاراً قُلْتُهَا فِيهَا شَاهَدْتُهَا فَلَا تُنْكِرُ أَنْتَ وَمَنْ رَأَاهَا عَلَيَّ أَنِّي سَالِكٌ فِيهَا مَسَلِّكَ حَاكِي الْحَدِيثِ عَنْ نَفْسِهِ. فَهَذَا مَذْهَبُ الْمُتَحَلِّينَ بِقَوْلِ الشُّعْرَاءِ... وَقَسَمْتُ رِسَالَتِي هَذِهِ عَلَى ثَلَاثِينَ بَاباً مِنْهَا فِي أَصُولِ الْحُبِّ عَشْرَةٌ. فَأَوَّلُهَا هَذَا الْبَابُ فِي عَلَامَاتِ الْحُبِّ ثُمَّ بَابُ ذِكْرِ مَنْ أَحَبَّ فِي النَّوْمِ... ثُمَّ بَابُ الْإِشَارَةِ بِالْعَيْنِ ثُمَّ بَابُ الْمِرَاسَلَةِ ثُمَّ بَابُ السَّفِيرِ. وَمِنْهَا فِي أَغْرَاضِ الْحُبِّ وَصِفَاتِهِ الْحَمُودَةُ وَالْمَذْمُومَةُ اثْنَا عَشَرَ بَاباً... وَهِيَ بَابُ الصَّدِيقِ الْمُسَاعِدِ ثُمَّ بَابُ الْوَصْلِ ثُمَّ بَابُ كَشْفِ السَّرِّ... ثُمَّ بَابُ الْقَدْرِ ثُمَّ بَابُ الضَّنَى ثُمَّ بَابُ الْمَوْتِ. وَمِنْهَا فِي الْآفَاتِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْحُبِّ، سِتَّةُ أَبْوَابٍ وَهِيَ بَابُ الْعَاقِلِ ثُمَّ بَابُ الرَّقِيبِ ثُمَّ بَابُ الْوَاشِي ثُمَّ بَابُ الْمَجْرُ... وَمِنْهَا بِأَبَانٍ خَتَمْنَا بِهَا

(١) أَوْغَلْتُ فِي الْأَفَاقِ (أَطْرَافِ الدُّنْيَا) ابْتَدَعْتُ (هَارِباً مِنَ الْمَوْتِ).

(٢) الْمَرَضُ (يَفْتَحُ فَتْحًا) وَجْهَهُ أَغْرَاضُ: الْعَلَامَاتُ الَّتِي تَطْمُرُ عَلَى الرُّغْبَى.

(٣) وَفِي رِوَايَةٍ: مُفَسِّراً (بِشَّهَادَةِ النَّوْمِ) أَيِ مُتَصَرِّفاً فِي تَنْوِيجِ الْأُمُورِ وَسَيَافَتِهَا عَلَى وَجْهِ غَرِيبٍ.

الرسالة وهما بابُ الكلام في قُبْحِ الْمُعْصِيَةِ وبابُ فضلِ التَّعَفُّفِ ليكونَ خاتمةً لإيرادنا وآخرَ كلامنا الحُضُّ على طاعةِ الله عزَّ وجلَّ والأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكر ...

- ٤ - الإحكام في أصول الأحكام، مصر (مطبعة السعادة)، ١٣٤٥ هـ، القاهرة (مطبعة الإمام) بلا تاريخ.
- المحلى (عنيت بنشره إدارة الطباعة المنيرية) مصر (مطبعة النهضة) ١٣٤٧ - ١٣٥٢ هـ (تصحیح محمد خليل هراس) القاهرة (مطبعة الإمام) بلا تاريخ.
- الفصل (الفصل ٢) في الملل والأهواء والنحل، مصر (المطبعة الأدبية) ١٣١٧ - ١٣٢١ هـ القاهرة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م)، (نسخة بالتصوير)، بيروت (مكتبة خياط).
- طوق الحمامة في الألفة والألاف (بتروف)، ليدن (بريل) ١٩١٤ م، وباعثناء (ليون برشيه) الجزائر (كاربونيل) ١٩٤٩ م، دمشق (مكتبة عرفة) ١٣٤٩ هـ (تحقيق حسن كامل الصيرفي)، القاهرة ١٩٥٠، مصر (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م، بيروت (دار الحياة) بلا تاريخ، (تحقيق نصر فريد محمد واصل، عبد العزيز محمد عزام، محمد فهمي السرجاني)، القاهرة (المكتبة التوفيقية) ١٩٧٦ م.
- النسخ والنسخ (بهاش تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي)، القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣١٦ هـ.
- رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل (هذه الرسالة تُلَفِّي مطبوعة بمناوين مختلفة) الإسكندرية بلا تاريخ، (نشره أحمد عمر المصمالي)، القاهرة (مطبعة السعادة)، بلا تاريخ، ١٣٢٥ هـ القاهرة (مطبعة النيل) ١٣٢٣ هـ (بمناية محمد هاشم الكنتي)، دمشق ١٣٢٤ هـ القاهرة (المطبعة الجاهلية) ١٣٣١ هـ = ١٩١٣ م، (اللجنة الدولية لترجمة الروائع)، بيروت ١٩٦١ م، بيروت (دار الأفاق الجديدة) ١٩٧٨ م (اختصره محمد آدم)، القاهرة ١٩١١ م.
- جهرة أنساب العرب (نشره... أ. ليفي برونسال)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٨ م، (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٢ م.
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات (مطبوع مع دحمان الإسلام... لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري) القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٧ هـ.
- ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل (تحرير سعيد الأفغاني) دمشق (مطبعة جامعة دمشق) ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م.
- أسواق العرب، باريس ١٩٣٥ م.

- رسائل ابن حزم (حققها إحسان عباس)، مصر (مكتبة الخانجي) وبغداد (مكتبة المتن) بلا تاريخ.
- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى (تحقيق إحسان عباس وناصر الأسد)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٤ م (٢).
- التثريب لحد النطق والمداخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية، (تحقيق إحسان عباس)، بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٥٩ م.
- ججة الوداع (حققه... معدوح حتي)، دمشق (دار البيضة العربية) ١٩٥٠ م (٢).
- الطبعة الثانية، بيروت (دار البيضة العربية) ١٩٦٠ م.
- الرد على ابن النفريلة^(١) اليهودي ورسائل أخرى (تحرير إحسان عباس)، القاهرة (مكتبة دار المروية) ١٩٦٠ م.
- مسائل أصول الفقه (نشره محمد بن إسماعيل بن الأمير الصنعاني وجمال الدين القاسمي)، (مطبوع في مجموع الرسائل في التفسير وأصول الفقه)، دمشق (مطبعة الفيحاء) ١٣٣١ هـ.
- كتاب نقط المروس في تواريخ الخلفاء بالأندلس، القاهرة ١٩٥١ م.
- فضائل أهل الأندلس لابن حزم ولابن سعيد وللتقندي (نشرها صلاح الدين المنجد)، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٨ م.
- ★ ترجمة ابن حزم الأندلسي (من سير النبلاء للذهبي - تحقيق سعيد الأفغاني)، دمشق (مطبعة الترمي) ١٩٤١ م.
- كلمات في الأخلاق أو مداواة النفوس لابن حزم وقاسم أمين... القاهرة ١٩١٣ م.
- نظرات في اللغة عند ابن حزم، تأليف سعيد الأفغاني، دمشق (مطبعة جامعة دمشق).
- معجم فقه ابن حزم الظاهري للجنة موسوعة الفقه الإسلامي، دمشق (مطبعة جامعة دمشق) ١٩٦٦ م.
- ابن حزم: حياته وعصره وآراؤه الفقهية، تأليف محمد أي زهرة، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٥٤ م.
- ابن حزم الأندلسي، تأليف عبد الكريم خليفة، بيروت (دار العربية للطباعة والتوزيع والنشر) - عمان (مكتبة الأصمى) ١٩٦٢ م.
- ابن حزم الموسوعي، تأليف زكريا إبراهيم، القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) ١٩٦٦ م (أعلام العرب ٥٦).
- ابن حزم، تأليف فاروق سعد، بيروت (دار الحياة) ١٩٧٢ م ٢.

(١) راجع تحقيق صورة هذا الاسم في «ابن حزم الكبير» للمؤلف.

- ابن حزم: صورة أندلسية، تأليف طه الحاجري، القاهرة (دار الفكر العربي) بلا تاريخ.
- ابن حزم رائد الفكر العلمي، تأليف عبد اللطيف شرارة، بيروت (المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع) بلا تاريخ.
- ابن حزم الكبير، تأليف عمر فروخ، بيروت (دار لبنان) ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.
- * الصلة ٣٩٥-٣٩٦: الذخيرة ١: ١٦٧-١٨٠: جذوة المقتبس ٢٩٠-٢٩٤ (الدار المصرية) ٣٠٨-٣١١ (رقم ٧٠٨): بغية الملتبس ٤٠٣-٤٠٥ (رقم ١٢٠٤): مطمح الأنفس ٥٥-٥٦: معجم الأدياء ١٢: ٢٣٥-٢٥٧: وفيات الأعيان ٣: ٣٢٥-٣٣٠: المغرب ١: ٣٥٤-٣٥٧: المعجب ٣٢-٣٥: بغية الوعاة ٤٠٢-٤٠٥: شذرات الذهب ٢: ٢٩٩-٣٠٠: نفع الطيب ٢: ٧٧-٨٤، ٣: ١٥٨-١٨٦، ٥٥٥-٥٥٦: نيكل ٧٣-١٠٣، مختارات نيكل ٤٨-٥٩: دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٩٠-١٧٩٩: بروكلمن ١: ٥٠٥-٥٠٦، الملحق ١: ٦٠٢-١٦٠٧: بالنشأ ٧٤-٧٧، ٢١٣-١٢٣٨: الأعلام للزركلي ٥: ٥٩ (٤: ٣٥٤-٣٥٥): الذكرى المثوبة التاسعة لوفاة ابن حزم (مجلة العربي - الكويت: آب - أغسطس ١٩٦٣: ص ٢٠ وما بعد).

المرابطون في المغرب

بعد سُقوطِ الخِلافةِ الأمويَّةِ في الأندلس انتقلتِ القُوَّةُ السياسيَّةُ مِنَ الأندلسِ إلى المَغْرِبِ، ومن القَرَبِ إلى البربر.

في مَطْلَعِ القرنِ الخامسِ للهجرةِ (الحادي عَشَرَ للميلاد) كانت قبيلةُ صِنْهاجَةَ في المغربِ الأقصى وَفيرةَ العددِ قُوَّةَ الشكيمةِ، وقد اجتمعتْ حولَ الأميرِ عبدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ تيفاتٍ المعروفِ باسمِ تاسَرَتِ اللُثُوثِي. واستَشْهَدَ الأميرُ عبدُ اللهِ في بعضِ غَزَواتِهِ فقامَ بأمرِ صِنْهاجَةَ يحيى بنِ إبراهيمَ الكَدَّالِي. زارَ يحيى الكَدَّالِي في مَدِينَةِ القَيروانِ الشَّيخَ أبا عمرانَ الفاسِّي وسأله أنْ يَبْحَثَ مَعَهُ رَجُلًا يَعْلَمُ صِنْهاجَةَ أُمُورَ الدَّيْنِ. فَدَلَّهُ أبو عمرانَ على رَجُلٍ من قبيلةٍ مَضْمُودَةٍ من بِلَدَةِ نَفِيسَ في السَّوسِ (سِلْسِلَةِ جِبَالِ الأطلسِ) الأقصى اسْمُهُ واجاجُ اللَّمطِي. وكانَ واجاجُ قد أخذَ العِلْمَ عن أبي عمرانَ الفاسِّي ثمَّ عادَ إلى بِلَدِهِ وبنى فيها داراً للعلمِ وقِراءةِ القُرْآنِ سَمَّاها دارَ المُرابطِينَ. وأرسلَ واجاجُ إلى قبيلةٍ صِنْهاجَةَ رَجُلًا من أَتباعِهِ اسْمُهُ عبدُ اللهِ بنُ

ياسين الجزولي، وذلك سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م).

اجتمع حول عبد الله بن ياسين، في مدى أربع سنوات، بضعة آلاف نفر ساهم المرابطون. غير أنه أذكر أن الدعوة الصالحة وحدها لا تنفع، فبدأ بغزو القبائل التي لم تدخل في حركته فانتشرت عندئذ حركة المرابطين بين البربر.

وتقلّب على صنهاجة نفر من القادة حتى جاء يوسف بن تاشفين فتابع غزو القبائل وإخضاعها ثم استبدّ بأمر المرابطين وبنى مدينة مراكش (٤٥٤ هـ = ١٠٦٢ م) فدان له معظم المغرب.

كانت عناية المرابطين منصرفة إلى الفقه، وإلى الفقه على المنهج السلفي - لا ميل فيه إلى الرأي أو الجدال ولا خروجاً منه إلى علم الكلام أو إلى التصوف - حتى أن نسخاً من عدد من كتب الإمام الغزالي قد جرى إخراجها في مراكش في أيام علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) لأنها كانت ممزوجة بعلم الكلام وبالتصوف.

وبدأت منذ عهد المرابطين نهضة فكرية وعلمية (في الفلسفة والطب خاصة) ولكن لم تفتح إلا في عهد الموحدين التالي. فالحركات الثقافية تحتاج إلى زمن تنضج فيه وإلى حضارة سابقة. ونحن نعرف أن الأدب لم يلق تشجيعاً في دولة المرابطين كذلك التشجيع الذي كان يلقاه في بلاطات ملوك الطوائف، ذلك لأن المرابطين كانوا في سبيل إنشاء دولة يبعد نظرها إلى جمع شتات بقاع الإسلام في القارة الإفريقية وفي القارة الأوروبية. وإذا نحن عدنا نفراً من الحكام الذين عظم آثارهم واتمت شهرتهم مثل إدريس الأنور (١٨٨ - ٢١٣ هـ) وأقلح بن عبد الوهاب (١٩٠ - ٢٤٠ هـ) وزهادة الله بن الأغلب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ) والمير الفاطمي (٣١٩ - ٣٦٥ هـ) والمير بن باديس (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ) ويوسف بن تاشفين (٤٥٣ - ٥٠٠ هـ) والناصر الحمادي (٤٥٤ - ٤٨١ هـ) لم نجد فيهم مثلاً يوسف بن تاشفين في اتساع الأفق والأثر السياسي الجامع والخدمة التي أدت للإسلام.

لما نجحت دولة المرابطين في المغرب، سنة ٤٤٨ (١٠٥٦ م) كانت الدولة الحمادية في المغرب الأوسط (الجزائر) واسعة الرقعة. وانتهر بلقين بن محمد الحمادي الفرصة

في الدولة التي لم تقوَ بعدُ وغزا فاس، سنة ٤٥٤ وأخرج منها يوسف بن تاشفين. ولكن بلقين كان شديد الوطأة على جيرانه كثير القسوة على رعاياه فعظم الحقدُ العامُ عليه فقتل غيلةً في تلك السنة نفسها.

وبعد بلقين جاء الناصر بن علناس قاتل بلقين ولم يكن أقل منه قسوة: قضى على آل رومان حكام بركة وغزا تونس ولكنه هُزم في معركة سببة، قرب القيروان، سنة ٤٥٨. ثم كثُر الاضطرابُ عليه وثارَت قبائل بني هلال وسواها من جديد، وانساحوا فيها حول القلعة وقسنطينة، فأنشأ الناصر، مكان ضيعة صغيرة اسمها « بجاية »، عاصمةً جديدةً له وانتقل إليها، سنة ٤٦١ (١٠٦٩ م)، وسماها الناصرية.

ولم يخف الاضطرابُ في المغرب الأوسط فاستطاع يوسف بن تاشفين أن يستولي على الجانب الأكبر منه (٤٧٢ - ٤٧٥ هـ)، ولكن الدولة الحمادية ظلت قائمة في جانب صغير من ملكها الأول وهي تضعف شيئاً فشيئاً بالنزاع الداخلي، برغم أن المنصور بن الناصر استطاع أن يقرم المرابطين، سنة ٤٩٦ (١١٠٣ م) ويخرجهم من تلمسان.

ازدهر المغرب الأوسط في عهد الدولة الحمادية فكثرت المدارس وارتقت العلوم والفنون وقصد الناس حواضر الجزائر يفترون منها ما شاءوا من وجوه الحضارة والثقافة، وعظم العمران واتسعت الصناعات فكثرت معامل النسيج والزراعي (السجاد) والزلاّج أو الزليج (البلاط المزخرف: القيشاني) والزجاج. وصناعة الشمع ترجع الفضل فيها إلى بجاية عاصمة الحماديين الجديدة فيها تعلم الأوروبيون هذه الصناعة، ولذلك تسمى « الشمعة » في اللغة الفرنسية والإيطالية والإسبانية بكلمة مشتقة من اسم « بجاية »: BUJIA, BUGIA, BOUGIE (بوجي، بوجيا، بوخيا) على التوالي.

وفي تونس كانت الدولة الصنهاجية في منتصف عمرها الزماني تماماً (٣٦٢ - ٥٤٣ هـ)، ولكن في أواخر عمرها السياسي، إذ لم يكن قد بقي في سلطانها، أيام تميم بن المرز (٤٥٣ - ٥٠١ هـ) سوى سيف (شريط ضيق على الساحل) بين سوسة وقابس. أما ما بقي من البلاد فقد تقاسمه الأمراء الصغار

وشيوخ القبائل. وفي سنة ٤٨٠ (١٠٨٧ م) استولى الجنويون (الإيطاليون) على المهديّة، ثم نزل النُمران في جزيرة صقلية، سنة ٤٨٤.

وامتلاً النصف الثاني من حياة الدولة الصنهاجية في تونس بالاضطراب الداخلي، كما كثّر الغزو إليها من شواطئ إيطاليا وصقلية ثم كثّر الغزو منها إلى تلك الشواطئ. ولكن أمرها كان إلى الزوال.

ولم تصل سلطة المرابطين، في هذه الحقبة، إلى ليبيا - وحياة ليبيا السياسية يومذاك كانت تدور في مدينة طرابلس. وكان آل خزرون لا يزالون يتولّون الحكم فيها.

ولكن في مطلع هذه الحقبة ساقطت المقادير من بصر إلى طرابلس رجلاً تركياً مغامراً اسمه شاه ملك (اسم بمعنى واحد). واتفق أن أهل طرابلس كانوا مستائين من واليهم خليفة بن خزرون فاستنجدوا بشاه ملك. واستطاع الطرابلسيون بمساعدة شاه ملك أن يطردوا خليفة من المدينة وقبلوا أن يتولّى الحكم فيها شاه ملك. غير أن شاه ملك أساء السيرة في الناس كثيراً وقد اتفق في ذلك الحين أن سارتم بن المعز أمير إفريقية (تونس) إلى طرابلس فحاصرها واستولى عليها ثم حمل شاه ملك وأشياعه أسرى إلى المهديّة. وبعد شاه ملك تولّى طرابلس محمد بن خزرون بن خليفة ابن ورو فقرّب إليه شيوخ بني مطروح لما كان لهم من المكانة في طرابلس.

ولكن سرعان ما وقعت الوحشة بين محمد بن خزرون وآل مطروح فألب آل مطروح عليه القبائل وأخرجوه من المدينة، ولكن لم يستطيعوا أن يضبطوا أمرها فتبقي حكمها متنازعا بين الطامعين الأقوياء مدة طويلة.

وأعظم ما اضطرب المغرب به في القرن الخامس كان النزاع في المذهب الفاطمي^(١) بين أنصاره وخصومه. إن الدولة الفاطمية في المغرب وفي الشرق (في بصر والشام) - ولم ينتقل المذهب الفاطمي إلى الأندلس - سكت مسلّكاً ليس فيه من الإسلام شيء. وكذلك سلّك خصومها معها مسلّكاً لا هوادة فيه. وإذا كان صلاح

(١) راجع، فوق، ص ١٦٩.

الذين الأيوبي قد قضى، فيما بعد، على الدولة الفاطمية في بصر من غير أن يُريق دماً، فإنّ الدم في المغرب قد سال على جانبي هذا النزاع أنهاراً. ولقد أطنب المؤرخون في وصف هذا الصدام بين أشياع الفاطميين وخصومهم. وأجب أن أورد هنا عدداً من الجمل من مزج حديث ليكون ما أوردته نموذجاً لما أردتُ بنبأته، لا متكاملاً للتبسط فيه والإثارة به.

قال طاهر أحد الزواوي (أعلام ليبيا ٢١٦ - ٢١٧) عن سياسة الفاطميين في طرابلس (المغرب):

«... انتشرت بدعهم ومنعوا صلاة التراويح^(١) وصلاة الضحى^(٢).... وكان أبو الحسن علي بن محمد بن المنعم أول من ألقى ببطلان مذهبهم وتبذّر تقاليدهم الباطلة وبدعهم المضلّة.. وهو أول من..... أمر الناس بصلاة ركعتي الضحى، وكان العبيدون يقتلون من صلاها. وأمر بصلاة التراويح في رمضان وصلّاها بالناس في طرابلس. وأعاد ما كان (العبيدون قد) أبطلوه من معالم دين الله وسنة رسوله.»

أبو الحسن المنعم الطرابلسي أديب محين وفقه مجتهد ولد سنة ٣٤٨ (٩٥٩ م) وتوفي سنة ٤٣٢ (١٠٤٠ م)، وهو من أقدم رجال الفقه والرأي في طرابلس. وقد قال فيه علي المصراقي (أعلام من طرابلس ٣٤): «لولا ابن المنعم لاندثر مذهب مالك في طرابلس.»

لا شك في أن للمؤرخين مغالطة - كما يقول ابن خلدون - وفي أن نفراً كثيرين منهم يبالغون أحياناً كثيرة. ولكن العبيدين (الفاطميين) مالأوا الصليبيين على المسلمين وأتوا بدع كثيرة. وما لا يتفق في المنطق أن يقتل مسلم يصلي صلاة الضحى - وهي ركعتان خفيفتان يصليها المسلم إذا شاء بعد ارتفاع

(١) صلاة التراويح عدد من الركعات الوتر (٣، ٧، ١١، ١٧، ٢١ أو أكثر) تصلى في شهر رمضان بعد صلاة العشاء.

(٢) صلاة الضحى ركعتان من التواضع يصليها من شاء بعد ارتفاع الشمس في الصباح مقدار رمح في رأي العين. ويقال إن من مرضها على نفسه وجب أن يحافظ عليها.

الشمس - ولكنّ الفقهاء ذكروا أن مَنْ فَرَضَهَا على نفسه فَيَجِبُ أَنْ يُحَافِظَ على أدائها في كلِّ يوم.

وكان الفاطميّون يعتقدون أَنَّ أَيْمَتَهُمْ أَلَهُةٌ. وَحَسْبُكَ أَنْ يَكُونَ الْمُعِزُّ الْفَاطِمِيُّ قَد قَبِلَ مِنْ ابْنِ هَاشِمٍ الْأَنْدَلُسِيِّ (ت ٣٦٠ هـ) قولاً هو:

مَا شِئْتُ، لَا مَا شَاءَتِ الْأَقْدَارُ. فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.
رَبِّمَا كَانَ لِبَعْضِ النَّاسِ تَفْسِيرٌ أَوْ تَعْلِيلٌ يُخَفِّفُ أَثَرُ هَذَا الْقَوْلِ - مِنَ النَّاحِيَةِ الْأَدْبِيَّةِ أَوْ مِنَ النَّاحِيَةِ الْفَلَسَفِيَّةِ، وَلَكِنَّ ظَاهِرَ الْقَوْلِ لَا يَقْبَلُ تَعْلِيلًا. وَهَذِهِ كَلِمَةٌ لَتَنْدُلٍ عَلَى صُورَةٍ لْجَانِبٍ مِنَ الْعَصْرِ فِي الْمَغْرِبِ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ، وَلَيْسَتْ لِإِثْرَةِ جَدَلٍ.

الحياة الاجتماعية والثقافية

فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ لِلْهِجْرَةِ (الْحَادِي عَشَرَ لِلْمِيلَادِ) كَانَتْ سُلْطَةُ الْخِلَافَةِ فِي بَغْدَادَ قَدْ ضَعُفَتْ مُنْذُ أَمِيرٍ طَوِيلٍ وَكَانَتْ الْبِلَادُ الْإِسْلَامِيَّةُ قَدْ تَقَسَّمتْ بَيْنَ دَوْلَاتٍ عَلَى أَقْدَارٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ السَّعَةِ وَالضِّيقِ وَمِنَ الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ. غَيْرَ أَنَّ السَّلَاجِقَةَ الْأَتْرَاقَ الَّذِينَ أَنْشَأُوا لَأَنْفُسِهِمْ دَوْلَاتٍ مَدَتْ سُلْطَانَهَا فِي الْمَشْرِقِ وَالْبَرَقَ وَبِلَادِ الرُّومِ (آسِيَةِ الصَّغْرَى) قَدْ نَصَرُوا الْإِسْلَامَ وَاحْتَرَمُوا مَكَانَةَ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ. وَلَمَّا نَشِبَتْ الْحُرُوبُ الصَّلِيبِيَّةُ، فِي أَوَاخِرِ هَذَا الْقَرْنِ، سَنَةَ ٤٩١ (١٠٩٨ م)، حَمَلَ السَّلَاجِقَةُ الْجَانِبَ الْأَكْبَرَ مِنْ عَيْنِهَا.

وَفِي هَذَا الْقَرْنِ أَيْضًا كَانَتْ الْخِلَافَةُ الْمُرَوَانِيَّةُ فِي الْأَنْدَلُسِ قَدْ سَقَطَتْ مُنْذُ عَهْدِ بَعِيدٍ (٤٢٨ هـ = ١٠٣٦ م) وَقَامَتْ عَلَى انْقِاضِهَا دَوْلَاتُ الطَّوَانِفِ.

غَيْرَ أَنَّ الَّذِي حَدَّثَ فِي الْمَشْرِقِ وَفِي الْأَنْدَلُسِ، فِي هَذَا الْقَرْنِ: مِنْ تَجَزُّؤِ الْخِلَافَةِ الْجَامِعَةِ دَوْلَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، قَدْ حَدَّثَ خِلَافَةً فِي الْمَغْرِبِ مِنْ قَارَةِ إِفْرِيقِيَّةٍ. إِنَّ الدَّوِلَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْمَغْرِبِ - وَأَشْهُرُهَا دَوْلَةُ بَنِي زَيْرِي (فِي الْقَطْرَيْنِ التُّونِسِيِّ وَالْجَزَائِرِيِّ) وَدَوْلَةُ بَنِي حَمَادٍ (فِي الْقَطْرِ الْجَزَائِرِيِّ) ثُمَّ دَوْلَةُ مَغْرَاوَةَ وَبَنِي بَغْرَنَ (فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى) - قَدْ دَخَلَتْ كُلُّهَا، إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ، فِي دَوْلَةِ الْمُرَابِطِينَ الْجَامِعَةِ. وَسَرَى أَنَّ الْمُرَابِطِينَ قَدْ أَقَامُوا الْوَحْدَةَ السِّيَاسِيَّةَ أَيْضًا فِي الْأَنْدَلُسِ نَفْسِهَا.

ولمَن نستطيعُ أن نقولَ عَنِ المشرقِ إِنَّ الحركَةَ الأدبيةَ والعقليةَ قد انتقلتْ أيضاً من بَغدَادَ إلى الأَمصارِ (في المشرق: شرقُ العراقِ وفي الشام).

لم يكن عهدُ المرابطين كُلَّهُ (٤٤٨ - ٥٤٣ هـ) عصرَ ازدهارٍ للثقافة:

* لم يكن يوسُفُ بنُ تاشفينَ خاصَّةً مَن يَفْقَهُ اللُغةَ العربيةَ أو يطرَبُ للشعرِ العربيِّ خاصَّةً.

* إِنَّ يوسُفَ بنَ تاشفينَ قد أدركَ أَنَّهُ في سبيلِ تأسيسِ دولةٍ، ورجالُ الدُّولِ في مثلِ هذهِ الأطوارِ لا يُلْقَوْنَ بالألّا إلى الفنونِ النظريةِ وإلى أَوْجُهِ الكِمالِياتِ.

ومَعَ ذلكَ فمَن نَجِدُ في عصرِ المرابطينِ في المغربِ وفي الأندلسِ جماعةً اتَّجهوا إلى العلمِ والثقافة. إِنَّ أُميَّةَ بنَ عبدِ العزيزِ الدانيَّ أبا الصلِّ (٤٦٠ - ٥٢٩ هـ) كان من الأدباءِ ومن العلماءِ وكان له اهتمامٌ في علمِ الحِجَلِ (الميكانيك) خاصَّةً. وعاشَ أبو الصلِّ هذا في الأندلسِ وفي مِصرَ. وفي هذا العصرِ أيضاً يَمَكِنُ أن نَعُدَّ ابنَ باجَه (ت ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م) واضعَ أُسُسِ الفلسفةِ العقليةِ، وقد عاشَ في الأندلسِ وفي المغربِ. وحاولَ جابرُ بنُ أفلحِ الإشبيليُّ (ت ٥٤٠ هـ = ١١٤٥ م) تصحيحَ نِظامِ بَطْلِموسَ في حَرَكَاتِ الأفلاكِ.

وعَظُمَت شُهرةُ آلِ زُهْرٍ في الطبِّ في عهدِ المرابطينِ، فكان منهم في هذا العهدِ أبو العلاءِ زُهْرُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ عَمَدٍ (ت ٥٢٥ هـ = ١١٣١ م)، بَرَعَ في الطبِّ وَلَمَّا يَزَلْ في أَوَّلِ شبابه: كان يرى المريضَ فَيَجُسُّ نَبْضَهُ وينظُرُ في قارورةِ الماءِ (البُول) ثم يُخْبِرُ المريضَ بما بِهِ من غيرِ أن يسألهُ شيئاً. ثم كان في هذا العهدِ أيضاً ابنُه أبو مروانَ عبدُ الملكِ (ت ٥٥٧ هـ = ١١٦٢ م) وكان طبيباً بارِعاً لم يشتغلَ بغيرِ الطبِّ.

وكان للمرابطينِ أثرٌ بعيدٌ في غربي قارَةِ إفريقيا، فَإِنَّ التوارقَ (وهم من قبيلةِ مَسوقةِ المَغربية) امتَدَّتْ في صِلَاتِها السياسيةِ والاجتماعيةِ جَنوباً فنشأت على أيديهم مدينةٌ هي تَنِيكَتُ، في أواخرِ القرنِ الخامسِ للهجرة. إِنَّ هذهِ المدينةَ العظيمةَ في السودانِ الغربيِّ (في مَلِي أو مالي، قريبةٌ من نهرِ النيجر) قد بدأتْ، فيها يبدو، محطةٌ تجاريةٌ ثم أصبحتْ سوقاً تجاريةً عامَّةً مقصودةً من أَمَكانَ بعيدَةٍ من مِصرَ وليبيا وتُونِسَ والمِغْزابِ والمغربِ لأنَّها نُقطةٌ صالحةٌ للانطلاقِ نحوِ الشواطئِ الغَربيةِ الوُسطى

من قارة إفريقية وغو أواسط قارة إفريقية أيضاً.

ومنذ مطلع القرن الخامس للهجرة كان الإسلام قد بدأ ينتشر على ضفتي نهر النيجر. ومنذ ذلك الحين بدأ الدعاة المسلمون يأتون إلى مملكة السونراي على النيجر من أماكن مختلفة أبرزها ليبيا. وفي سنة ٤٠٠ (١٠١٠ م) دخل الملك «زا» - صاحب مملكة سنغاي (على ضفتي نهر النيجر) في الإسلام. وفي سنة ٤٣٥ (١٠٤٣ م) أسس أهل سنغاي عاصمة جديدة - جنى أو دنيه - ، ربما هجراً لعاصمة قديمة تسود فيها الوثنية.

وفي سنة ٤٤٨ (١٠٥٦ م) هاجم المرابطون مملكة غانة ثم فتحوا عاصمتها كومي بعد عشرين سنة. ولا نعلم السبب الذي دعا المرابطين إلى الانسحاب من عاصمة غانة (٤٨٠) للهجرة أو قبل ذلك بقليل، ربما استعداداً للمعركة الفاصلة في الزلاقة حيث قضى يوسف بن تاشفين على الجيش الإسباني واستطاع أن يُعيد إلى الأندلس شيئاً من الوحدة).

لم يُبدل انسحاب المرابطين من كومي عاصمة غانة - ومن غانة كلها أيضاً - شيئاً من مسيرة الإسلام في غربي قارة إفريقية. إن مملكة ملى استولت على غانة فزاد فيها انتشار الإسلام.

إن الإسلام بدأ ينتشر في غربي قارة إفريقية في البقعة الممتدة بين بحيرة تشاد ونهر السنغال إلى الشاطئ الغربي وإلى الشاطئ الجنوبي: أي في حوض نهر النيجر وحوض نهر الفولتا وحوض نهر السنغال، وذلك كله ابتداءً من مطلع القرن الخامس للهجرة أو قبل ذلك بقليل. غير أن الثقافة العربية يجب أن تكون قد تأخرت عن ذلك، فليس من المعقول أن نرى هناك - منذ ذلك الطور الباكر - شعراء ينظمون باللغة العربية. ولكن هذا لا يمنع من أن يكون نفر من الفقهاء قد دونوا أشياء من الفقه أو من الحديث أو من التفسير أو من الصرف والنحو. ولا أظن أن مثل هذا كان يبلغ، في تلك الحقبة القديمة، إلى أن يُعد في الأدب.

ابن رشيقي القيرواني

١- كان رشيقي مملوكاً رومياً من موالي الأزدي ومن أهل مدينة المسيلة (المحمدية) في المغرب الأوسط (الجزائر)، وكانت صنعته الصياغة. وفي المحمدية ولّد ابنه الحسن سنة ٣٩٠ (١٠٠٠ م) أو قبل ذلك بقليل، فتعلّم صنعة أبيه وتادّب قليلاً.

في سنة ٤٠٦ (١٠١٦ م) انتقل الحسن بن رشيقي إلى القيروان ودرس على جماعة من أدبائها وعلمائها، وكان منهم أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي (وابن رشيقي كثير الاستشهاد بأرائه في كتاب «المعدة»). ومنهم أيضاً أبو عبد الله محمد بن جعفر القرّاز القيرواني (ت ٤١٢ هـ).

اشتهر ابن رشيقي في القيروان واتصل بصاحبها (أميرها) المير بن باديس، منذ سنة ٤١٠، فحظي عنده وأصبح من بطانته وأهل دولته. واستقل ابن باديس بالحكم (٤١٧ هـ = ١٠٢٦ م) ثم خلع طاعة الفاطميين (٤٣٥ هـ) فبيّض الفاطميون فرحوا قبائل بني هلال وقبائل بني سليم، إلى القطر التونسي. وصلت هذه القبائل إلى معظم أراضي المغرب ثم عاثت في القطر التونسي خاصة فساداً كبيراً (٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م) فاشتهر ابن خلدون بقوله: «إن العرب (البدو) إذا استولوا على بلد أسرع إليه الخراب».

انتقل ابن رشيقي إلى جزيرة صقلية ونزل في مازر (على الساحل الجنوبي الغربي) وبقي فيها إلى أن أدرّكته الوفاة في غرة ذي الحجة من سنة ٤٥٦ (١٠٦٤/١١/١٤ م).

٢- ابن رشيقي عالم باللغة والنحو وبارع في الأدب والنقد وشاعر ومؤلف حسن التأليف. ولقد غلبت نقد الشعر عليه فعرّف به دون سائر فنون العلم والأدب. وابن رشيقي شاعر مقتدر صحيح المعاني متين الأسلوب، غير أن العقل يَقلبُ في شعره على العاطفة. ومعظم معانيه مستعارة، وإن كان أحياناً يُصيب الصورة الشعرية.

تقوم شهرة ابن رشيقي ومكانته على كتاب «المعدة»، وهو يتألف من قسمين في أولها نقد تاريخي للشعر، وفي الثاني منها بلاغة ونقد (وإن كنت تجد أبواباً في القسم

الأوّل هي أخلقُ بالقسم الثاني، كما نجد في القسم الثاني أبواباً أقلّ عدداً كان يجب أن تكون في القسم الأوّل). فمن أبواب القسم الأوّل: فضل الشعر - الردّ على من يكره الشعر - شعرُ الخلفاء والصّحابة - بابٌ من رفعةِ الشّعر (كأمرىء القيس) ومن وضعه (حطّ قدره) الشعرُ (كالنابغة) - باب التّكسّب بالشعر والأنثى من التّكسّب به - القدماء والمُحدّثون - المُقلّون من الشعراء والمُكثِّرون - مشاهيرُ الشعراء - باب الشعراء والشعر: حدّ الشعر - اللفظُ والمعنى - المطبوعُ والمصنوع - الأوزان - القوافي - القِطْعُ والطِّوال - المبدأ والخروج والنهاية - الإيجاز - الفرق بين الاختراع والإبداع - المجاز - الاستعارة - التّجنيس - الفرق بين التّريديد والتّكرار - الاستثناء: توكيد المدح بما يشبه الذمّ - السّراقات - النسيب - المديح - الرثاء، الخ - سيّرة الشعر والحظوة عند المدحّين - باب في أصول النّسب وبيوتات العرب - باب معرفة الأماكن والبلدان - باب الوصف - الخ.

وقد أشار حسنُ حُسيّ عبد الوهّاب^(١) إلى أنّ ابنَ رشيقي قد آثَمَ في وضع كتاب «العُمدَة في صِناعة الشعر ونقده» بكتابِ عبد الكريم النّهشلي «المُنتع في علم الشعر وعمله». ويبدو أنّ ابنَ رشيقي لم يكتفِ بحكاية كتاب «المُنتع» في الموضوعات وفي عناوينِ الفصول، بل نقلَ فصولاً برُمَتها من كتاب المُنتع إلى كتاب العمدَة.

ولا ريبَ في أنّ ابنَ رشيقي قد أفادَ كثيراً من آراء عبد الكريم النّهشلي (وقد أكثر من ذكره عند بسطِ هذه الآراء) كما أفادَ من آراء كثيرة للنقاد الذين سبقوه. وقرّط ابنُ خلدون كتابَ «العُمدَة» فقال^(٢): «..... وهو الكتاب الذي انفرد بهذا الصّناعة (صناعة الشعر) واعطاه حقّها. ولم يُكتبَ فيها قبله ولا بعده مثله». ولاين رشيقي من التّصانيف أيضاً: كتاب الأغودج (في شعراء القيروان المعاصرين

(١) مجلّة الفكر (تونس) ٤: ١٠ (جوليه - تموز ١٩٥٩ م)، ص ٨.

(٢) مقدّمة ابن خلدون ٥٧٤ (دار الكتاب اللبناني)، ص ١١٠٩.

له) - قُرَاضَةُ الذَّهَبِ فِي نَقْدِ أَشْعَارِ الْعَرَبِ (لطيف الجرم كبير الفائدة) - كتاب الفرائب والشواذ في اللغة (يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها). وله عدد من الرسائل يرد فيها على مواطنه ومُعاصره ومُنافسه ابنِ شَرَفِ القيرَواني؛ منها: (فوات الوفيات ٢: ٢٥٥): رسالة ساجور الكلب - رسالة قطع الأنفاس - رسالة نُجَحُ الطَّلَب - رسالة رَفَعُ الإشكال ودفع المُحَال - فسحُ اللَّحْمِ ونسخ اللَّحْم - ميزان العمل في أيام الدول.

٣ - مختارات من آثاره

- من مقطعات ابنِ رَشِيقِ التي تنطوي على لَفَتَاتٍ جِيَانٍ:

* أَجِبْ أَخِي - وَإِنْ أَغْرَضْتُ عَنْهُ، وَقُلْ عَلَى سَامِعِهِ كَلَامِي؛
وَلِي فِي وَجْهِهِ تَقْطِيبُ رَاضٍ، كَمَا قَطَّيْتُ فِي وَجْهِهِ الْمُدَامِ^(١).
وَرَبِّ تَقْطِيبٍ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ، وَبُغْضٍ كَامِنٍ تَحْتَ ابْتِسَامِ
* إِذَا مَا خَفَعْتُ كَعْبِي الْعِيَا أَبَيْتُ ذَلِكَ الْخَمْسُ وَالْأَرْبَعُونَ^(٢).
وَمَا ثَقُلْتُ كِبَرًا وَطَائِي، وَلَكِنْ أَجَرُ وَرَائِي السَّيْنَا^(٣)؛
* وَقَائِلِي: مَا هَذَا الشُّحُوبُ وَذَا الضَّنَا؟ فَقُلْتُ لَهَا قَوْلَ الْمُشَوِّقِ الْمُتَيَّمِ^(٤).
هَوَاكِ أَنَا نِي، وَهُوَ ضَيْفٌ أَعِزُّهُ، فَاطْعَمْتُهُ لَحْمِي وَأَسْفَيْتُهُ دَمِي.
- وَمِنْ ذَلِكَ فِي الْخَمْرِ وَالنَّسِيبِ:

* وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ عِنْدِي ثَبَلَةٌ مِنْ الْعُمَرِ لَمْ تَتْرُكْ لِأَيَّامِهَا ذَنْبًا.
خَلَّوْنَا بِهَا تَنْفِي الْقَدَى عَنْ عُيُونِنَا بِلَوْلُؤَةٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا سَكْبًا^(٥).
وَبَلْنَا لَتَقْبِيلِ الثُّغُورِ وَثَمِيمِهَا كَمَيْلِ جَنَاحِ الطَّيْرِ مِمَّنْتَقِطِ الْحَبَا.

(١) الدِّمَامُ: الخمر. أَعْيَسَ فِي وَجْهِهِ صَدِيقِي (وَأَنَا رَاضٍ عَنْهُ - حَبًّا بِأَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ تَمَّا هُوَ)، كَمَا أَنَّ شَارِبَ الْخَمْرِ يَعْصِي بَعْدَ تَنَاوُلِ كُلِّ جُرْعَةٍ مِنْهَا وَهُوَ مُسَرُّورٌ بِذَلِكَ.

(٢) خَفَّ الرَّجُلُ: مَالَ إِلَى السَّرُورِ.

(٣) سِرِّي أَصْبَحَ بَطِيئًا لَا لِأَنِّي ضَعِيفٌ عَنِ السَّيْرِ، بَلْ لِأَنِّي أَجَرْتُ حَلًّا ثَقِيلًا (خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ عَامًا).

(٤) الشُّحُوبُ: اصْفَرَارُ لَوْنِ الْوَجْهِ. الضَّنَى: النُّحُولُ مِنَ الْمَرَضِ. الْمُتَيَّمُ: الَّذِي ذَلَّهِ الْحَبُّ.

(٥) الْقَدَى: الْوَسْخُ (الْمُؤْمَدُ). الْوَلَوْلُؤَةُ (كَأَسٍ مِنْ بَلُورٍ). ذَهَبًا سَكْبًا (خَمْرًا خَالِصَةً صَافِيَةً).

* مَا يُزْعِدُنِي فِي أَرْضِ أُنْدَلُسِ سَمَاعٌ مُقْتَسِدٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٌ:
أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالْهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحاً صُورَةَ الْأَسَدِ:
- وَقَالَ بَصِيفُ زُرَّافَةٍ (جَاءَتْ هَدْيَةً إِلَى الْمَرْزُوقِ بِأَدْيَسَ مِنْ مِصْرَ):

وَأَتْنَسَكَ مِنْ كَسْبِ الْمَلُوكِ زُرَّافَةً شَتَّى الصِّفَاتِ لِلْوَهَا أَتْنَسَكَ (١)
جَمَعْتَ مَحَابِينَ مَا حَكَّتْ فَنَسَابَتْ فِي خَلْقِهَا وَتَنَافَتْ الْأَعْضَاءُ (٢)
تَحْتَنُّهَا بَيْنَ الْخَوَافِقِ يَشْبَهُ بِأَدِ عَلَيْهَا الْكِبَرُ وَالْحَبْلَاءُ (٣)
وَتَمُدُّ جِسْداً فِي الْهَوَاءِ يَزِينُهَا فَكَأَنَّهُ تَحْتَ اللَّوْلَاءِ لَوْلَاءُ (٤)
حَطَّتْ مَاخِرُهَا وَأَشْرَفَ صَدْرُهَا حَتَّى كَأَنَّ وَقُوفَهَا إِغْفَاءُ (٥)
وَكَأَنَّ فِيهِرَ الطَّيِّبِ مَنَا رَجَمَتْ بِهِ وَجْهَ الثَّرَى لَوْ لُمْتَ الْأَجْزَاءُ (٦)
وَتَغَيَّرَتْ دُونَ الْمَلَابِيسِ حَلَّةٌ عَبِثَتْ لِصَنَعَةٍ يَبْنِيهَا صَنَعَاءُ (٧)
لَوْ نَأَى كَلُونِ الذَّبَلِ إِلَّا أَنَّهُ حَلِيٍّ وَجَزَعٌ بَعْضُهُ الْجَلَاءُ (٨)
أَوْ كَالْحَبَابِ الْكُفْهَرَةِ غَطَطَتْ فِيهِ الْبُرُوقُ وَمِيزُهَا إِيْمَاءُ (٩)
أَوْ مِثْلُ مَا صَدِثَتْ صَيَانُجُ جَوْشَنَ وَجَرَى عَلَى حَافَاتِهِنَّ جَلَاءُ (١٠)

- (١) اللوباء أتناء (طيات): خطوط لوباء متعرجة.
(٢) شابت حيوانات كثيرة فأخذت من كل حيوان أحسن ما فيه. تناسبت في خلقها (صورتها) كان كل عضو فيها يناسب سائر الأعضاء. وتنافت الأعضاء: تباينت (اختلفت).
(٣) الخوافق جمع خافق: الأفق، الجهة. تحتنتها نحو الخوافق (إذا ركضت مال جسمها إلى كل جهة، فكأنها تريد أن تسير إلى كل مكان). باد: ظاهر. الكبر: الإحجاب بالنفس. الحبلاء: التكبر.
(٤) حطت: انحطت. أشرف: علا. الإغفاء: الاستناد إلى مؤخرة الجسم.
(٥) الفهر: حجر يحجم قبضة اليد تسحق به الأشياء. ما رجعت به وجه الثرى (الأرض): حافرها. لو استطعنا أن نجعل الحفر التي أحدثتها حوافرها في الأرض مكان عندنا من كل حفرة إناة للمطر (١).
(٦) عبثت (عجزت) لصنعة مثلها صنعاء (عاصمة البهر)، وكانت مشهورة بنسج الثياب الحريرية.
(٧) الذبل: جلد السلحفاة (غطاء السلحفاة عند ظهرها له تقاطيع نافرة، ولجلد الزرافة مثل هذه التقاطيع ولكن من لون مخالف للون جلدها الأصلي). حلي: حلى وحليه، ثوب جميل. وجزع بعضه الجلاء (غير مستقيمة في الوزن ولا واضحة المص).
(٨) المكفهر المسرد. البقع النافقة في جلد الزرافة تشبه النجوم الصغيرة. والفواصل بين تلك البقع تشبه البروق الحافطة.
(٩) وكل بقعة نقالة اللون مع ما حولها تشبه جوشنا (درعاً) صدناً أخذ العاملون في جلده من أطرافه.

يَنْمُ التَّجَافِيْفُ الَّتِي اذْرَعَتْ بِهَا مِنْ جِلْدِهَا لَوْ كَانَ فِيهِ وَقَاءٌ^(١).

- وقال في الحياة ووصف الناقة:

إِلَيْكَ يُخَاضُ الْبَحْرُ فَمَعاً كَأَنَّهُ
وَيَبْعَثُ خَلْفَ النَّجْعِ كُلَّ مُنِيفَةٍ
مِنَ الْمُوجِفَاتِ اللَّاهُ يَقْدِرُنَ بِالْحَصَى
بَطِيرُ اللَّغَامِ الْجَعْدُ عَنْهَا كَأَنَّهُ
وَقَدْ زَاغَ مِنْ فَضْلِ الزَّمَامِ إِنْ تُكْبِيَهُ
فَكَيْفَ تَرَانِي لَوْ أُعِشْتُ عَلَى الْغِنَى
وَقَدْ قَرَّبَ اللَّهُ الْمَسَافَةَ بَيْنَنَا
وَلَوْلَا شِقَايَ لَمْ أَغِيبْ عِنْدَ سَاعَةٍ
وَلَكِنِّي أَخْطَأْتُ رُشْدِي فَلَمْ أَصِبْ
- مختارات من كتاب «العمدة»:

(أ) التَّكْسَبُ بِالشَّعْرِ:

وَكَانَتْ الْعَرَبُ (فِي الْجَاهِلِيَّةِ) لَا تَتَكَسَّبُ بِالشَّعْرِ، وَإِنَّا يَصْنَعُ أَحَدُهُمْ مَا يَصْنَعُهُ

(١) التَّجَافِيْفُ جمع تَجَافٍ (يفتح التاء أو كسرهما): شيء مثل الدرع. الوقاء: الوقاية، الحماية.

(٢) فيها: مبتثلاً، فائضاً (بالهاء).

(٣) النَجْع: النجاح. المنيفة: التامة الطول والحسن. التنوفة: الصحراء الواسعة. كيف تطوى التنائف: كيف تطلع المسافات الطويلة.

(٤) أَوْجَف: أسرع في مجرى. اللاه: اللواقي. يَقْدِرُنَ (بأرجلهم) الحصى (لصعتهنَّ وشدة جريتهنَّ). المهمة: الغاية (الصحراء الواسعة) المتقافذ (المهمة الذي يتقافذ المسافرون فيه: يتنقلون به من جانب إلى جانب فلا يبتعدون).

(٥) اللَّغَامُ: زبد (ريقاً) أمواه الإبل. الجعد: المستدير. ندائف: ما يطير من الفطن عن قوس الندائف.

(٦) زَاغَ مِنْ فَضْلِ الزَّمَامِ (ساق الناقة بهارة!!). إِنْ تُكْبِيَهُ (بضمّ النون: صورة، القليل من الطعام): وجل قليل المال. أخلصته (صنعته من الحديد الخالص الجيد) المشارف (بلاد أعالي الشام التي كانت تصنع السيوف المشرفة الجيدة).

(٧) الْجَدُّ: الخطأ. المشارف: القبل على، القريب من (الغنى).

(٨) المساوف: الماطل.

(٩) جنابك: جنبك (المكان الذي يتزل أنت فيه).

فُكاهَةٌ أو مُكَافَأَةٌ عن يَدٍ لا يَسْتَطِيعُ أداءَ حَقِّها إِلَّا بِالشُّكْرِ إعْظَاماً لها، كما قال امرؤ القيس يمدحُ بني تَمِيمٍ رَهْطَ الْمُعَلَّى:

أَقْرَبُ حَسَا أَمْرِي، الْفَيْسُ بِنِ جَجْرِ بَنُو تَمِيمٍ مُصَابِيحُ الظَّلَامِ ١
لَأَنَّ الْمُعَلَّى أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَجَارَهُ حِينَ طَلَبَهُ الْمُنْذِرُ بِنُ مَلِكِ السَّاءِ لَقَتْلِهِ بَنِي أَبِيهِ الذَّنَنِ
قَتَلَ بِدِيرِ مَرِينَا (١) ...

حَتَّى نَشَأَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيَّ فَمَدَحَ الْمُلُوكَ وَقَبِلَ الصِّلَةَ عَلَى الشَّعْرِ وَخَضَعَ لِلنُّعْمَانِ بِنِ
الْمُنْذِرِ - وَكَانَ قَادِرًا عَلَى الْامْتِنَاعِ مِنْهُ بِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ أَوْ بِمَنْ سَارَ إِلَيْهِ مِنْ
مُلُوكِ غَسَّانَ - فَسَقَطَتْ مَنَزِلَتُهُ. وَ (لَكِنَّهُ) تَكَسَّبَ مَالًا جَسِيًّا حَتَّى كَانَ أَكْلُهُ وَشُرْبُهُ فِي
صِحَافِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَوَانِيهِ مِنْ عَطَاةِ الْمُلُوكِ.

وَتَكَسَّبَ زَهْرُ ابْنِ أَبِي سُلَيْمٍ بِالشَّعْرِ بِسِرًّا مَعَ هَرَمٍ بِنِ سَيْنَانَ.
فَلَمَّا جَاءَ الْأَعَشَى جَعَلَ الشَّعْرَ مَنَجْرًا يَنْجَرُ بِهِ نَحْوَ الْبُلْدَانِ؛ وَقَصَدَ حَتَّى مَلُوكَ
الْمَجْمِ. فَأَتَانِيهِ (كِسْرَى) وَأَجَزَلَ عَطِيَّتَهُ عَلَيَّ بِقَوْلِ (الْأَعَشَى) عِنْدَ (مُلُوكِ)
الْعَرَبِ، وَاقْتَدَاءَ بِهِمْ فِيهِ (٢). عَلَى أَنَّ شَعْرَهُ لَمْ يَحْسُنْ عِنْدَهُ حِينَ فُسِّرَ لَهُ، بَلِ
اسْتَهْجَنَهُ (٣) وَاسْتَخَفَّ بِهِ، لَكِنْ أَخَذَنِي فَعَلَ الْمُلُوكُ مَلُوكِ الْعَرَبِ (فِي الرَّغْبَةِ فِي مَدَحِ
الشُّعْرَاءِ لَهُمْ).

(ب) الْمَشَاهِيرُ مِنَ الشُّعْرَاءِ:

وَالشُّعْرَاءُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِمْ عَدَدًا. وَمِنْهُمْ مَشَاهِيرُ قَدْ طَارَتْ أَسْمَاؤُهُمْ وَسَارَ
شِعْرُهُمْ وَكَثُرَ ذِكْرُهُمْ حَتَّى غَلَبُوا عَلَى سَائِرِ مَنْ كَانَ فِي زَمَانِهِمْ. وَلِكُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ
طَائِفَةٌ تَفَضَّلَهُ وَتَتَمَصَّبُ لَهُ. وَقَلَّ مَا يُجْتَمَعُ عَلَى وَاحِدٍ.....

(١) كان المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة (ت نحو ٥٨ قبل الهجرة = ٥٦٤ م) قد قتل إخوة امرئ القيس في ديار بني مرينا (قرب الكوفة).

(٢) لمعرفته ببيعة شعر الأعشى في الدعاية وتقليداً للملك العرب في إعطاء الأعشى مالاً على مدحه لهم.

(٣) لما نقلت معاني شعر الأعشى لكسرى إلى اللغة الفارسية استهجنه: استبقه (وجده نازلاً عن مرتبة العقل والسلوك الصحيح). استخفَّ به (بالأعشى).

وليس في المولدين أشهر أماً من الحسن أبي نواس، ثم حبيب^(١) والبُخترى، ويقال إنها أخملاً في زمانها خسمائة شاعر كلهم مجيد. ثم يتبعهما في الاشتهار ابن الرومي وابن المعتز، فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين وامرئ القيس في القدماء. فإن هؤلاء الثلاثة لا يكاد يجهلهم أحد من الناس. ثم جاء المتنبي فعلاً الدنيا وشغل الناس.

(ج) الوصف:

الشعر، إلا أقله، راجع إلى الوصف. ولا سبيل إلى حصره (حصر الوصف) واستقصائه. وهو مناسب للتشبيه ومشمول عليه وليس به^(٢)، لأنه (أي التشبيه) كثيراً ما يأتي في أضماؤه^(٣). والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا (أي الوصف) إخبار عن حقيقة، وأن ذلك مجاز وتمثيل^(٤)... وأحسن الوصف ما نمت به الشيء حتى يكاد يمثل عياناً^(٥) للسامع... وقال بعض المتأخرين: أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرًا...

والناس يتفاضلون في الأوصاف كما يتفاضلون في سائر الأصناف. فمنهم من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها، وإن غلبت عليه الإجابة في بعضها كما مر القيس قديماً، وأبي نواس في عصره، والبُخترى وابن الرومي في وقتها...



- وقال يصف حال المسلمين حيناً بدأ الإسبان النصرى يستولون على المدين الأندلسية ويخرجون منها أهلها المسلمين ثقيلاً وتشريداً:

-
- (١) حبيب (بن أوس) هو أبو تمام.
 - (٢) الوصف غير التشبيه.
 - (٣) في أضماؤه (في شأها): في أثناءه (تأتي التشابه في أثناء الوصف). إن الوصف باب كبير. أما التشبيه فهو جملة مفردة تتناول صورة واحدة أو جزءاً من صورة.
 - (٤) تمثيل: مقارنة (بالحقيقة).
 - (٥) عياناً (بكسر العين): في رأي العين.

والسلمون مُقْسَمُونَ تنالهم
 يستصرخون فلا يُجابُ صرِيحُهُمْ.
 بادؤا نفوسَهُمْ. فلَمَّا أنفَدوا
 ما جَمَعُوا من صامتٍ وصَوَانٍ^(١)
 من خوفِهِمْ ومصائبِ الألوان.
 وبكَلٍّ أرملةٍ وكلِّ حَصَانٍ^(٢)،
 فنفَرَقُوا أيدي سِبا وتشتتوا
 بعدَ اجتاعِهِمْ على الأوطانِ^(٣).

- ١- العمدة في صناعة الشعر ونقده، مصر ١٢٨٥ هـ، تونس والقاهرة (مطبعة السادة) ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م)؛ القاهرة ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥ م (حققه محمد محيي الدين عبد الحميد) القاهرة (مطبعة السادة) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م (بيروت (دار الجيل) ١٩٧٢ م.
- قراضة الذهب (في مجموع الرسائل النادرة)، مصر (مكتبة الخانجي) ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م.
- شعراء القيروان من أنموذج الزمان (جمع وتعليق زين العابدين السنوسي)، تونس (دار المغرب العربي) ١٩٥١ - ١٩٧١ م.
- ديوان ابن رشيق القيرواني (عبد الرحمن ياغي)، بيروت (دار الثقافة) بلا تاريخ.
- التنتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف... (جمعه عبد العزيز الميمني الراجكوتي)، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٣ هـ.
- * بحث تمتع عن حياة ابن رشيق ودولة الممر بن باديس المراني القيرواني، تأليف أبي التبركات عبد العزيز الميمني الراجكوتي (منقول عن الأردية)، القاهرة بعد ١٣٤٣ هـ (١٩٢٠ م).
- بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، تأليف حسن حسني عبد الوهاب، تونس ١٣٣٠ هـ.
- حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦١ م.
- ابن رشيق الناقد الشاعر، تأليف عبد اللطيف مخلوف، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر) ١٩٦٥ م.

- (١) بادوا نفوسهم؟؟ أنفدوا: استهلوا (أنفدوا) ما كانوا قد غزنوه. الصامت: المال الجامد (كالمسلة والأبنية الخ). الصوان: الصندوق توضع فيه الثياب الثمينة (لصونها).
- (٢) الحصان: المرأة الشريفة النبيلة (التي لا يمسها أجنبي).
- (٣) تفرق القوم أيدي سباً: تشتتوا (تفرقوا تفرقاً لا اجتاع بعده).

- ابن رشيقي ونقد الشعر، تأليف عبد الرؤوف مخلوف، الكويت (وكالة المطبوعات) ١٩٧٣ م.
- معجم الأدباء ٨: ١١٠ - ١١٢١ (الخريدة (الأندلس) ٢: ١٢١ - ١٢٥ (الخريدة (المغرب) ٢: ٢٣٠ - ٢٣٣) إنباء الرواة ١: ٢٩٨ - ٣٠٤ وفيات الأعيان ٢: ٨٥ - ٨٩ (المغرب ٥٧ - ١٦٥ ابن الأثير ١٠: ١٥ - ١٦ بغية الوعاة ٢٢٠: ٢٢٢ شذرات الذهب ٣: ٢٩٧ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٠٣ - ٩٠٤ عنوان الأريب ٢: ٥٢ - ٥٤) مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٤٣ وما بعد بروكلمن ١: ٣٧٤، الملحق ١: ٥٣٩، الأعلام للزركلي ٢: ٢٠٤ - ٢٠٥، (١٩١) تاريخ النقد لإحسان عباس ٤٤١ - ٤٥٩ مجلة العربي (الكويت) ٢/ ١٩٦٤ م، ص ٥٨.

عبد الملك الطنبغي

- ١ - هو أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله بن علي بن حسين بن محمد الطنبغي، ولد في قرطبة، في سادس ذي الحجة من سنة ٣٩٦ (١٠٠٥/٩/١٤ م). أخذ عن ابن حزم المشهور (ت ٤٥٦ هـ) وطالت صحبته له وصداقته، كما أخذ عن نفر كثيرين (راجع كتاب الصلة، رقم ٧٧٤). ورحل إلى المشرق، قيل مرتين أو أكثر، فكان في الإسكندرية سنة ٤٤٧ هـ وفي مكة ٤٤٨ هـ (ربيع ١٠٥٧ م). وقد أملى عدداً من العلوم على جعفر غفير في قرطبة.
- وكانت وفاة عبد الملك الطنبغي قتلًا، في قرطبة، في ربيع الثاني من سنة ٤٥٧ (آذار - مارس ١٠٦٤ م)، قتله أهله لشدّة بُخله عليهم ولإغاضته لهم بالتهكم بهم إذا طلبوا منه حاجة. وقد اتهم ابنه بقتله.
- ٢ - كان عبد الملك بن زيادة الله الطنبغي هذا إماماً في الحديث والفقه والنحو والأدب وشاعراً على أساليب العرب. وكانت له صفات جبيلة من التقوى وحسن المعاشرة والاستقامة، ولكنّ البخل ينفّس على جميع الفضائل التي يمكن أن يتّصف بها البخل.

٣ - مختارات من شعره

- قال عبد الملك الطنبغي يفتخر بكثرة عدد الذين يستملون منه:

إني إذا خَصَرْتُني ألفاً يَخْبِرُني
صاحت بِمَقْرُونِي الأَعْلَامُ زَاهِيَةً
تَقُولُ: أَخْبِرْنِي هَذَا وَخَدْنِي^(١)،
(هذه المكارم! لا تُقْبَلان مِنِّي) ^(٢).

- وَكَتَبَ إِلَى ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ زَيْدُونَ الشَّاعِرَ الْمَشْهُورَ:

أبا الوليد، وما شَطَّتْ بنا الدَّارُ
وَيَتَنَّا كُلُّ مَا نَذَرُهُ مِنْ ذَمٍّ
وَلِلصِّبَا وَرَقٌّ غَضَرٌ وَأَنْوَارٌ^(٣)
بِدَائِعِ حَلَوَةٍ عِنْدِي وَأَنْشَارٌ^(٤)
بِعِ اللَّيَالِي، فَإِنَّ الدَّهْرَ دَوَّارٌ!

- وَقَالَ فِي الْعِتَابِ:

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ مَنْ قَدْ غَابَ عَنْ بَصَرِي
أَسْتَأْذِنُكَ كَأَسْتَأْذِنُ الْعَيْنِ نَوْتَهَا
وَعَابِتُونِي عَلَى بَذْلِ الْفَوَادِ لَهُ،
وَلَمْ يَبْقَ عِزٌّ صَمِيرَ الْقَلْبِ وَالْفَكْرِ.
بَعْدَ الْمَجُودِ^(٥). وَجَذَبَ الْأَرْضَ لِلْمَطَرِ.
وَمَا دَرَوَا أَنَّنِي أَعْطَيْتُهُ عُمْرِي!

١ - * مطمح الأنفس ١٥٠ الصلة ٣٤٣ - ١٣٤٥ جذوة المقتبس ٢٦٥ - ٢٦٦ (الدار المصرية) ٢٨٤ - ٢٨٥ (رقم ٦٢٩): بنية الملتبس ٣٦٦ - ٣٦٧ (رقم ١٠٦٥)؛
الذخيرة ١: ٥٣٥ - ٥٤٩ وما بعد المغرب ١: ٩٢ - ١٩٣ المطرب ١٢١٥ تعريف
الحلف (الجزائر) ٢: ٢٤٣ - ١٢٤٧ بنية الوعاة ١٣١٢ نفع الطيب ٢: ٤٩٦،
٥١١: ٤٨ - ٤٩ تاج العروس ٩: ١٢٦٧: الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٣ (١٥٨)؛
كتب وشخصيات ٢١ - ٢٨.

ابن سيده

١ - هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِمَاعِيلَ (وَقِيلَ ابْنُ أَحَدٍ أَوْ ابْنُ مُحَمَّدٍ) بْنِ سَيِّدِهِ
الضَّرِيرِ الْمُرْسِيِّ، وَوُلِدَ فِي مُرْسِيَّةَ سَنَةِ ٣٩٨ هـ (١٠٠٨ م). وَقَدْ دَرَسَ أَوَّلًا عَلَى أَبِيهِ ثُمَّ
عَلَى أَبِي الْعَلَاءِ صَاعِدِ الْبَغْدَادِيِّ وَأَبِي عَمَرَ أَحَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّلَفَنَكِيِّ.

- (١) ألف بحيرة: ألف تلميذ يأخذون عني العلم.
- (٢) العقوة: الموضع المتع أمام الدار. القمبان جمع قنب (بالفتح): تدح صحم (يقصد أن العلم في الحضارة أفضل من الحياة في الداوة).
- (٣) شط: بعد.
- (٤) الأنوار جمع نور: (بفتح النون): الزهر الأبيض.
- (٥) العتب: اللوم. الأعتاب: إرضاء الذي كان يعتب.
- (٦) المجود: النوم (ولا ينتقم ذلك في المعنى). لعل الصواب: قبل المجود. والمجود أيضاً: السهر في الميادة.

وَاتَّصَلَ ابْنُ سَيِّدِهِ بِأَبِي الْجَيْشِ الْمُؤَقَّتِ مُجَاهِدِ الْعَامِرِيِّ صَاحِبِ دَانِيَّةٍ (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) ثُمَّ بَحَثَ فِيهِ أَيْ الْأَخْوَصَ مَعْنً. وَلَمَّا جَاءَ إِقْبَالُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْحُكْمِ (٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ - ١٠٤٥ م) وَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ سَيِّدِهِ جَفْوَةٌ فَهَرَّبَ ابْنُ سَيِّدِهِ عَنْ دَانِيَّةٍ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا وَمَدَحَ إِقْبَالَ الدَّوْلَةِ وَاسْتَعْظَفَهُ.

وَمَاتَ ابْنُ سَيِّدِهِ فِي دَانِيَّةٍ، فِي ٢٦ رَجَبِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٤٥٨ (١٠٦٦/٣/٢٥ م).
٢ - كَانَ ابْنُ سَيِّدِهِ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ وَفِي الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ) حَافِظًا لَهَا وَعَارِفًا بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهِمْ وَمُؤَلِّمًا بِشَيْءٍ مِنْ عُلُومِ الْحِكْمَةِ. وَكَانَ لَهُ أَيْضًا شَيْءٌ مِنَ الشُّعْرِ. وَلَا بِنِ سَيِّدِهِ كُتِبَ مِنْهَا: الْمُحْكَمُ وَالْمُحِيطُ الْأَعْظَمُ (فِي اللُّغَةِ)، وَهُوَ جَامِعٌ لِأَنْوَاعِ اللُّغَةِ وَمُرْتَبٌ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ) - الْمُخَصَّصُ (فِي اللُّغَةِ)، وَهُوَ مُرْتَبٌ عَلَى الْأَبْوَابِ) - كِتَابُ الْعَالَمِ (بِفَتْحِ اللَّامِ، فِي اللُّغَةِ، وَهُوَ مُرْتَبٌ عَلَى الْأَجْنَاسِ: بِدَأْءِ ابْنِ سَيِّدِهِ بِالْفَلَكِ وَخَتَمَهُ بِالذَّرَّةِ = صِفَارِ النَّمْلِ) - كِتَابُ الْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ (مُرْتَبٌ عَلَى الْمَسْأَلَةِ وَالْجَوَابِ) - شَرْحُ إِصْلَاحِ الْمُنْطِقِ (لَا بِنِ السَّكَيْتِ) - كِتَابُ شَاذِّ اللُّغَةِ - الْوَاقِفِ فِي عِلْمِ أَحْكَامِ الْقَوَافِي - الْأَنْبِقُ فِي شَرْحِ الْحِمَاةِ - شَرْحُ مُشْكِلِ دِيَوَانِ الْمُتَنَبِّئِي. وَلَهُ أَيْضًا كِتَابُ السَّمَاءِ وَالْعَالَمِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٣: ١٩٢).

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ يَمْدَحُ إِقْبَالَ الدَّوْلَةِ وَيَسْتَعْظِفُهُ:

أَلَا هَلْ إِلَى تَقْيِيلِ رَاحَتِكَ الْبُغْيُ	سَبِيلٌ؟ فَإِنَّ الْأَمْنَ فِي ذَاكَ وَالْيَمْنُ ^(١)
فِيَا مَلِكَ الْأَمْلاكِ، إِنِّي مُخَلِّ	عَنِ الْوَرْدِ لَا عَنْهُ أَذَادُ وَلَا أَذْنِي ^(٢)
فَإِنْ تَنَاجَّدَ فِي دَمِي لَكَ نَيْةٌ	بِعَيْدِي، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ لَهُ خَفَا ^(٣)
وَمَا لِي مِنْ دَهْرِي حَيَاةً أَلْذَا	فَتَعْتَدُهَا نَفْسِي عَلَيَّ وَتُنْشَأُ ^(٤)

(١) اليم: الحركة.

(٢) الهلّ: الذي حيل (بكسر الحاء) بينه وبين ما يريد، منع (بالسنة للمجهول) كما يريد. الورد: الشرب. أذاد: ألورد. أذني: أغرب.

(٣) - إذا كان في نيتك أن تسلك دمي (تقتلني)، فأنا لا أريد حقن دمي (حفظ دمي: بقالي حيًّا).

(٤) - ليس لي مرور بمجالي فلا تمدّ بقالي حيًّا سنة منك عليّ ثم تن عليّ إن تركتني حيًّا (افعل بي ما تشاء).

إِذَا مِثْنَةُ أَرْضَتِكَ بِنَا فَهَاتِيهَا! حَبِيبُ إِلَيْنَا مَا رَضِيتَ بِهِ عَنَّا!

- من مقدمة «المخصص»:

... أما بعدُ، فإن الله عز وجل لما كَرَّمَ هذا النوعَ المَوْسومَ بالإنسانِ وشرَّفه بما آتاه من فضيلةِ التُّلُقِّ على سائرِ أصنافِ الحيوانِ وجعل له رَسْمًا يُمَيِّزه، وفصلًا يُبَيِّنُهُ على جميعِ الأنواعِ فَيَحْوِزُهُ^(١) أَخَوَجُهُ إلى الكَشْفِ عما يَتَصَوَّرُ في النفوسِ من المعاني القائمةِ^(٢) فيها المُدْرَكَةُ بالفِكرَةِ فَتَقْطَعُ الألسنةَ بِضُرُوبٍ من اللفظِ المحسوسِ لِيَكُونَ رَسْمًا لِمَا تَصَوَّرَ وَهَجَسَ^(٣) من ذلك في النفوسِ. فَعَلِمْنَا بِذلك أَنَّ اللغةَ اضطراريةٌ وإن كانت موضوعاتُ ألفاظِها اختياريةً. فإن الواضِعَ الأوَّلَ المُسَمَّى لِأَقَلِّ جُزْءٍ وَلِلْأَكْثَرِ كُلًّا وَلِلْوَنِ الَّذِي يُفَرِّقُ شُعَاعَ البصرِ وَيَنْشُرُهُ بِياضًا، وَلِلَّذِي يَفْقِضُهُ وَيَحْصُرُهُ سَوَادًا، لَوْ قَلَبَ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ فَسَمَى الْجُزْءَ كُلًّا وَالْكَلَّ جُزْءًا وَالبِياضَ سَوَادًا وَالسَّوَادَ بِياضًا لَمْ يُخِلْ بِمَوْضُوعِ^(٤) وَلَا أَوْحَشَ أَسْأَعَنَا من مسموع.

وقد اختلفوا في اللغة: أَمْتَوَاطًا عَلَيْهَا أَمْ مَلَهَمَ إِلَيْهَا؟^(٥) وهذا موضوعٌ يحتاجُ إلى فضلي نأمل. غيرَ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النُّظَرِ على أَنَّ اللغةَ إِنَّمَا هي وَضْعٌ وَاصْطِلَاحٌ لَا وَحْيٌ وَلَا تَوْقِيفٌ^(٦).

- من مقدمة «الحكم»:

بِذِكْرِ اللَّهِ نَفْتَحُ وَبِنُورِهِ نَقْتَدِحُ^(٧)، وبما أَفَاضَهُ عَلَيْنَا من نُورِيَةِ إلهامِهِ نَهْتَدِي،

(١) الرسم: السلوك ونظم الحياة. الفصل: النوع والهيئة. يَبَيِّنُهُ (يَجْمَعُهُ مَخْتَلَفًا من غيره). مازَهَ يَبِيرُهُ (يفتح فكراً): اختاره. فَصَّلَهُ: حازَهُ: استولى عليه، أَصَفَ بِهِ.

(٢) يَتَصَوَّرُ (يَحْوِزُ) يَأْتِيهِ لِلْمَعْلُومِ أَوْ لِلْمَجْهُولِ. المعاني (مجموعة لفظاً مرفوعة معللاً على أنها فاعل أو نائب فاعل لل فعل «يَتَصَوَّرُ»). القائمة فيها (الموجودة في النفوس).

(٣) هَجَسَ: خَطَرَ.

(٤) لَمْ يَخِلْ بِمَوْضُوعٍ، لَمْ يَنْقُدِ اللَّفْظَ الَّذِي أَطْلَقَ عَلَى شَيْءٍ تَسَمَّى شَيْئًا من دلالاته.

(٥) مَتَوَاطًا: مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ (بين الناس). مَلَهَمَ إِلَيْهَا: وَحَى بِهَا.

(٦) على أَنَّهُ (مَتَّفِقُونَ على أَنَّ أَلْفَاظَ اللغة). تَوْقِيفٌ: التَّعْلِيمُ، التَّثْقِيلُ (المقصود: أَوَّلُ اللغة لَمْ يَكُنْ يَتَعَلَّمُهَا جَمَلَةُ النَّاسِ).

(٧) اقْتَدَحَ: اسْتَخْرَجَ النَّارَ مِنْ حَجَرِهَا بِالْقَدَحِ (نَقَبَسَ أَوْ نَهْتَدَى نُورَ اللَّهِ).

وَمَا سَتَ لَنَا نَبِيُّنَا الْمُقْتَنَى وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى ^(١) مِنْ فُرُوضِ طَاعَتِهِ نَقْتَدِي. نَحْمَدُهُ بِآلَانِهِ وَنُصَلِّي عَلَى عَائِبِ أَنْبِيَائِهِ ^(٢). وَنَسْأَلُهُ خَيْرَ مَا يَخْتِمُ وَأَفْضَلَ مَا بِهِ لَهْدَةُ النُّفُوسِ يَخْتِمُ ^(٣)...

أما بعد، أَيُّهَا الْمُسَهِّرُ طَلِبُ الْعِلْمِ لِمُفَوِّهِ الْكَاتِبُ لِحُورِ عَيُونِهِ ^(٤). الرَّائِعُ مِنْهُ فِي أَزَاهِيرِ فَنُونِهِ، فَإِنِّي أَقُولُ لَكَ: هَنِيئاً! فَقَدْ أُوتِيتَ بَيِّنَتَكَ ^(٥). وَشُكْرُاً! فَقَدْ مُلِّكَتَ أُمْنِيَّتَكَ...

وَشُكْرُاً لَهُ، أَيُّهَا التَّهْنِمْ عَلَى مَحَاسِنِ الْعُلُومِ الْبَاحِثُ عَنْ نَتَائِجِ مُقَدَّمَاتِ الْحُلُومِ ^(٦)، فَمَا أَسْلَمَكَ لِلْوَاحِقِ الزَّمَانِ، وَلَا خَلَّى بَيْنَكَ وَبَيْنَ طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ ^(٧)، بَلْ كَفَّاكَ مَا كَانَ يُنَازِعُكَ مِنْ هَوَاكَ وَيُيِّرُ عَلَيْكَ مُسْتَعَذَّبَ نَوَاكٍ ^(٨): مِنْ تَصَوُّرِ التَّعَبِ بِشَدِّ الرِّحَالِ وَمُسُونَةِ التَّرْحَالِ وَلَفْعِ السُّمُومِ ^(٩) وَعَقْدِ الطَّرْفِ لَيْلاً بِسُوءِ النُّجُومِ ^(١٠)، وَتَأْمُلِ السَّرَابِ شَوْقاً إِلَى بَرْدِ الشَّرَابِ، وَالتَّمَتُّعِ بِأَبَاطِيلِ الْخَيَالِ بَدَلاً مِنْ لَذِيذِ مَحْصُولِ الْوِصَالِ...

- ٤ - المختص، بولاق (المطبعة الكبرى الأميرية) ١٣١٦ - ١٣٢١ هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة (تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار)

- (١) المقتنى: التبع. المصطفى: المختار.
(٢) الآلاء: النعم. عائب: آخر.
(٣) خير ما يهتم (به الحياة): الموت على شريعة الإسلام). يهتم: يوجب، يلقي.
(٤) المسهر خير مقدم. طلب العلم مبتدأ مؤخر. لمفوهه (اللام زائدة). لمفوهه مجرورة لفظاً منصوبة محلاً على أنها مفعول به لاسم الفاعل «المسهر». الحور في الأصل جمع حوراء (المرأة الناصية العيينة، الجميلة (وهنا، حور عيون: خير ما في العلم).
(٥) البنية: الطلبة (بالكسر) والمطلب.
(٦) الحُلُوم (جمع حلم بالكسر): المقول. نتائج مقدمات الحُلُوم: ما يوجبها العقل من القواعد والأحوال. شكرأ له (له).
(٧) لم يهلكك الله عرصة لصائب الدهر ولا جعل لصائب الدهر إليك طريقاً.
(٨) يمر التيه (بجمله مرأ). التوى هنا: المقصد (بلوغ ما يقصد الإنسان).
(٩) لفع السوموم (الريح الحارّة): ملاقاته الوجه وإحراقه.
(١٠) عقد الطرف (البحر، العين) بسوء (الست بالفتح: النقطة الفاتكة عمودياً على رأس الناظر): أي قضى الليل ساهراً.

وغيرها) - (جامعة الدول العربية - معهد المخطوطات)، القاهرة (مصطفى الباي الحلبي) ١٩٥٨ - ١٩٦٨ م.

المختص لان بيده، تأليف محمد الطالبي، تونس (الطبعة المصرية) ١٩٥٦ م.

** جذوة المقتبس ٢٩٣ - ٢٩٤ (الدار المصرية) ٣١١ - ٣١٢ (رقم ٧٠٩)؛ بغية اللئس ٤٠٥ (رقم ١٢٠٥)؛ الصلة ٣٩٦ - ٣٩٧؛ معجم الأدباء ١٢ : ٢٣١ - ٢٣٥؛ وفيات الأعيان ٣ : ٣٣٠ - ٣٣١؛ المطمح ٦٠ - ٦١؛ المغرب ٢ : ١٢٥٩؛ نكت الهيمان ٢٠٤ - ١٢٥؛ الديباج الذهب ٢٠٤ - ٢٠٥؛ بغية الوعاة ٣٢٧؛ خدرات الذهب ٣ : ٣٠٥ - ٣٠٦؛ تفح الطيب ٣ : ٣٨٠؛ ٤ : ٢٧ - ٢٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ١٩٤٠؛ بروكلمن ١ : ٢٧٦؛ الملحق ١ : ١٥٤٢؛ الأعلام للزركلي ٦٩ : ٥ (٢٦٣).

ابن شرف القيرواني أبو عبد الله

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد مُحَمَّد الجُدَامِي المعروف بابن شرف القيرواني، لعلهُ وُلِدَ في السنين الأخيرة من القرن المجتري الرابع.

روى ابن شرف القيرواني عن أبي الحسن القاسبي (٣٢٤ - ٤٠٣ هـ) وأبي عمران القاسبي وقرأ النحو على أبي عبد الله محمد بن جعفر القزّاز، وأخذ العلوم الأدبية عن أبي إسحاق إبراهيم الحصري.

ونال ابن شرف حظوة في بلاط المير بن باديس في القيروان، وكان المير قد استقل بالحكم سنة ٤١٧ هـ (١٠٢٦ م)، ولكننا لا نعلم متى جاء ابن شرف إلى بلاط القيروان. وفي هذا البلاط التقى ابن شرف بابن رشيق فتناقشا وتناقرا ثم تهاجيا وأذعن كل واحد منهما في هجاء الآخر، ولكن يبدو أنها لم يتقاطعا ولا تعاديا.

وفي سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) هاجم العرب (البدو) القيروان واستباحوها فانتقل المير بن باديس منها إلى المهدية، وانتقل معه ابن شرف. ثم توفي المير (٤٥٣ هـ = ١٠٦١ م) وخلفه ابنه تميم، فلزمه ابن شرف مدة يسيرة فلم يجد عنده من الخطوة ما كان قد وجد عند أبيه ففادّر إفريقيا (تونس) إلى جزيرة صقلية ثم انتقل، نحو سنة ٤٥٠ هـ، إلى الأندلس وسكن المرية. ثم إن نفسه نازعته إلى التردّد على بلاطات ملوك الطوائف للتكسب بشعره. وقد استقرّ حيناً في طليطلة عند

المأمون بن ذي النون (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) ثم انتقل إلى إشبيلية واتصل بالمعتضد بن عبّاد (٤٣٤ - ٤٦١ هـ).

وكانت وفاة أبي عبد الله بن شرف الجذامي القيرواني في إشبيلية، أول المحرم من سنة ٤٦٠ هـ (١١/١١/١٦٧ م).

٢- أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني أديب كاتب مُترسل وشاعر. أما نثره فترسل فيه تأتق وتكلف، وفيه تقليد للمقامات، وإن كان يُعالج فيه أحياناً موضوعات بعيدة عن طبيعة المقامة كما عرّفها المشرق. وأما شعره فمقيق عذب سلس في أكثر الأحيان. وفنون شعره المدح والثناء الصادق (وخصوصاً رثاء بلديه القيروان بعد أن هاجها البدو وخربوها). وأحسن فنونه الوصف. وله هجاء فيه دُعابة تحول أحياناً إقذاعاً. ثم له غزلٌ وحكمة.

وفي معجم الأدباء (١٩، ٤٣): «ولابن شرف القيرواني من التصانيف: أبقار الأفكار جمع فيه ما اختاره من شعره ونثره، وأعلام الكلام (مجموع فيه فوائد ولطائف ومُلحٌ مُنتخبة)، ورسالة الانتقاد^(١) (وهي على طرازٍ مقامية نقدٌ فيها شعرٌ طائفة من شعره الجاهلية والإسلام)، وديوان شعر وغير ذلك». وله رسائل ومقامات.

٣- مختارات من آثاره

من مطلع «أعلام الكلام»:

هذه أحاديثُ صُفِّتْها مُختلفةٌ في الأنواع مُؤتلفةٌ في الأسجاع، غريباتُ المواشم غريباتُ التراجم^(٢). واختلقتُ فيها أخباراً فصيحاً الكلام بديعيات النظام لها

(١) وله أيضاً «مسائل (أو رسائل) الانتقاد». يقول إحسان عباس (تاريخ النقد ٤٦٠ - ٤٦١): «ليس له ما ينجح أن تكون أعلام الكلام رسالة في النقد، ولكن هل هي نفس الرسالة (إنقرأ: الرسالة نفسها) التي تُدعى مسائل (أو رسائل) الانتقاد؟». - إن ما يذكره باقوت الحموي في صدد هذا القِطع يدل على أن «أعلام الكلام» كتابٌ يختلف من رسالة الانتقاد والتي نشرت أيضاً باسم رسائل (أو مسائل) الانتقاد (راجع قسم المصادر، ص ٥٧٠).

(٢) في القاموس (٤: ١٨٦): صادفت الإبل مرعى موشاً (بضم الميم وكسر النون) أي طيباً. والميم (بكسر الميم) وقع السين المهملة بلا لفظ) المكواة تحمل بها العلامات (على أجسام البهائم) وجمعها مواشم =

مقاصد طراف وأسانيد طراف بروق^(١) الصغير معناها والكبير مغزاها. وعزوتها إلى أبي الريان الصلت بن السكن من سلامان^(٢) - وكان شيخاً هماً في اللسان وبدراً بئاً في البيان^(٣) - قد بقي أحقاباً ولقي أعقاباً^(٤)، ثم ألقته إلينا من باديته الأزلمات وأوردته علينا العزمات^(٥). فامتنحنا من علمه بجرأ جارياً وقدحنا من فهمه زنداً وارياً^(٦)، وأدركنا من بره طرماً واجتنبنا من ثمره طرماً^(٧). ونحن إذ ذاك والشباب مقتبل، وغفلة الزمان تهتبل^(٨). وأخذت فيما ذهبت إليه ووقع تعريضه عليه^(٩) - من بث هذه الأحاديث - ما رأيت الأوائل قد وضعته في كتاب كليله

■ ومباسم. وهنا عربيات المواشم (بالثين المعجمة): صفاتها عربية. غريبات التراجيم: أمهالها لغوية مستطرفة (مستحسنة).

(١) الطراف جمع طريف: جميل الوجه خفيف الظل حسن الكلام والأعمال. أسانيد جمع إسناد (بالكسر): رواية، اتصال، إرث (هنا: أخبار نادرة مستحسنة). بروق: يعجب (رائقي هذا النظر: أعجبتني فسررت به).

(٢) عزوتها: نسبها. أبو الريان الصلت بن السكن (بفتح ففتح: من أسماء الرجال) بن سلامان اسم مرغل أو مخترع (خيالي).

(٣) الشيخ المهمل (بالكسر) الكبير الثاني. البدر المم: الكامل. البيان: التعبير عن المقاصد (الكلام الواضح البليغ).

(٤) بقي أحقاباً (عاش مدة طويلة) ولقي أعقاباً (سلاً كثيراً من أجيال متناحرة).

(٥) الأزمة (بفتح ففتح أو بفتح فسكون): الشدة، الضيق (الفقر، النحط). العزمات في القاموس (٤: ١٥٠): الحق (من حقوق الله)، والمقصود هنا جمع عزمة (الهمة والصبر على المشاق والحراة على الأعمال).

(٦) الزند قطعة من الحديد تحك بها قطعة من الحجر الصوان فينضح (من الحجر) نار وري (بفتح فكسر ففتح) الرند يوري (بفتح فسكون ففتح): قدح النار من الحجر بسرعة وثبات فهو وار. قدحنا من فهمه زنداً وارياً (المقصود: كل سؤال كان يخرج منه رأياً صائباً).

(٧) أدركنا (لطفنا على أنفسنا، وزعنا) من بره (من غيره، من علمه ورغبته في الإفادة). طرف: جانب. قسم (شيء قليل). اجتنبنا (لطفنا، نلنا، استندنا) الطرفة (بالصم): كل شيء جديد عجيب (بصر النفس).

(٨) مقتبل (بالباء للمجهول): نحن نستقبله (في أول شباننا). غفلة الزمان (عن الإساءة إلينا) تهتبل (تستهزئ، تغتم).

(٩) احتلى: غلذ. الترميضي: الإشارة من غير شرح.

ودمنة^(١) فأضافوا جِئَهُ إلى الطير الحوامم ونَطَقُوا به على ألسنة الوحش والبهائم^(٢) لتتعلق به شَهَوَاتُ الأحداث وتُسْتَعْدَبَ بشره ألفاظُ الحُدَاثِ^(٣) ... فأقمتُ من هذا انسحو عشرين حديثاً أرجو أن يتبينَ فضلُها ولا تقصُرَ عما قبلها^(٤) ...

وجاريت أبا الريان في الشعر والشعراء^(٥) ومنازلهم في جاهليتهم وإسلامهم، وأسْتَكْشَفْتُ عن مذهبه فيهم ومذاهب طَبَقَتِهِ في قديمهم وحديثهم^(٦). فقال: الشعراءُ أكثرُ من الإحصاءِ وأشعارهم أبعدُ شُقَّةً من الاستقصاءِ^(٧). فقلتُ: لا أعْنَتُكَ بِأَكْثَرِ من المشهورين ولا أذاكرُ رَأْيَكَ إِلَّا في المذكورين^(٨)، مثل الضَّكَّيلِ والقَتِيلِ ولبيد وعبيد والنوايع والمُسَوِّ^(٩) ... ومن الطَّبَقَةِ المتأخرة في الزمان المتقدمة في الإحسان كإبن حَمْدَانَ والمنشي أحمدُ بنُ الحسين بن عبيدَانَ^(١٠) ...

- من مقامة لابن شرف القيرواني اسمُها أعلام الكلام (ص ٢٥، ٢٦):

... وأما أبو فراس بنُ حَمْدَانَ ففراسُ هذا المَيْدَانِ، إِنْ شِئْتَ ضرباً وطعناً أو شِئْتَ لفظاً ومعنى، مَلِكٌ زَمَاناً وَمَلِكٌ أَوَاناً، أشعرُ الناسِ في المَلِكَةِ وأشعرُهم في دُلِّ

(١) راجع، فوق، ٢: ٥٤.

(٢) الحوامم (التي تدوم في طيرها في الجوّ). الوحش (الحيوان الذي يعيش بعيداً عن الناس، كالأسد والتملح) والبهيمة (الحيوان الأليف كالبقرة والدجاجة).

(٣) الشهوة: الرغبة. الأحداث جمع حدث (مفتح ففتح): الصغار السن. الحداث: الجماعة يتحدثون (وهو جمع على غير قياس - راجع تاج العروس، الكويت ٥: ٢١٤).

(٤) ... عما قبلها: عما سلفها (مثل كتاب كيلة ودمنة، مثلاً).

(٥) جاريت: جريت معه، رافقته في سيره (هنا: خاطبت، ناقشته، باحثته).

(٦) طبقتهم (الذين هم في المعرفة والكتابة مثله).

(٧) الشُّقَّةُ (بالضَّم): البعد، المسافة. الاستقصاء: الاستنفاد (ذكر الأشياء كلها حتى لا تترك منها شيئاً) - أبعد شُقَّةً من (ع) الاستقصاء: يستحيل أن يحيط بها أحد.

(٨) أعنتك: ساعدتك (ذكرت لك). ذاكر لست في القاموس ولا في تاج العروس (المقصود: أتيادل الكلام معك في شيء ما). المذكور (المعروف الذي يكثر الناس ذكره).

(٩) الضَّكَّيل (امرؤ القيس) والقَتِيل (طرفة بن العبد) ولبيد (بن ربيعة) وعبيد (بن الأبرص) والنوايع أعشى (وهو عدد من الشعراء ميمون بن قيس الجاهلي أشهرهم) راجع أسماء نفر منهم في القاموس (٤: ٣٦٣).

(١٠) ابن حمدان أبو فراس أو سيف الدولة. ابن عبيدَانَ خطأ (عبيدَانَ - بالياء التحتية بنقطنين - السقاء لقب والده. راجع ٢: ٤٥٨).

الملّكة. وله الفخريات التي لا تُعارضُ والأسربات التي لا تُناهض.

وأما المتنبي فقد شُغِلَتْ به الألسُنُ وسُهِرَتْ في أشعاره الأعينُ. وكَثُرَ الناسُ لشعره والأخذُ لِذِكْرِهِ والغائصُ في بحرِهِ والمُفْتَنُّ في قَفْرِهِ عن جُبانِهِ ودُرِّهِ. وقد طال فيه الخُلفُ وكَثُرَ عنه الكُفُّ. وله شِيعَةٌ تفلو في مَذْحِهِ، وعليه خوارِجُ تنغايا في جَرَحِهِ. والذي أقولُ إنّ له حسناتٍ وسيّئاتٍ، وحسانتهُ أَكْثَرُ عُدْداً وأقوى مَدْداً. وغرائبه طائفةٌ وأمثاله سائرةٌ، وعلمه فسيحٌ وميّزه صحيحٌ. يرومُ فيَقْدِرُ، ويُدري ما يُورِدُ ويُصْدِرُ.

... وأما ابن درّاج الأندلسي القسطلّي فشاعرٌ ماهرٌ عالمٌ بما يقولُ، تشهدُ له العقولُ بأنّه المؤخّرُ بالعصرِ المتقدّمُ في الشعرِ. حاذقٌ بوضع الكلامِ في مواضعه، لا سيّما إذا ذكّرَ ما أصابه في الفتنَةِ وشكا ما ذُهاه في أهامِ الخِنةِ. وبالجملة فهو أشعرُ أهلِ مَقرِبِهِ في أبعَدِ زمانِهِ وأقربِهِ...

- وقال أبو عبد الله بنُ شَرَفٍ يَصِفُ أهلَ القَيروانِ وقد جَلَّوْا عن القَيروانِ بعدَ أن هاجها العربُ (البدو) وخربوها:

تَرَحَّلَ عنها قاطنوها، فلا تَرى	سوى سائرٍ أو قاطنٍ وهو سائر ^(١) .
نَكَشَفَ الأسارَ عنهم، ورُبّما	أَقْبِمَتْ سُورَ دُونِهِمْ وسائر ^(٢) .
تَبَيَّتْ على فُرُشِ الحصى، وغطاؤها	دَوَارِسُ أسكٍ زوارٍ حقائر ^(٣) .
فَما لَيْتَ شِعْرَ القَيروانِ موطنِي،	أَعانِدَةٌ فيها الليالي القِصائر ^(٤) ؟
ويا رَوْحَتِي بالقَيروانِ ويُنكرتِي،	أَراجِمَةٌ رَوّاحَتُها والبواكيرُ؟
كَأن لم تَكُنْ أَهائِسا فيكَ طَلَقَةً	وأوجهُ أَهْماهِ السَّوَرِ سوافر ^(٥) .

(١) القاطن: الساكن في البلد أو المنزل. وهو سائر (راحل. مهاجر).

(٢) انكشف عنه ستر (الله): انفضح بين الناس وظهرت معائبه إلخ أقبمت سُورَ دُونِهِمْ (كتابة عن حفظ كرامتهم) وسائر (كتابة عن احتجابهم عن العامة لعلو منزلتهم).

(٣) فرش (بضم فـم - وهنا بضم فسكون لضرورة الشعر). الحصى: صغار الحجار. السمل (مفتح ففتح): الثوب البالي التهرىء. الدارس (المحو): القديم التهرىء. روار جمع زارية (٤). تكسب صاحبها عيباً (٥).

(٤) المواطن جمع موطن. قصائر جمع قصيرة.

(٥) الوجه الطلق: البشوش، الضاحك، الفرح. والوجه السافر: الشرق، المضي.

- وقال يَصِفُ لَيْلَةَ أَسْرِ كَانَ الْمَطَرُ فِيهَا كَثِيرًا وَالسَّرْدُ شَدِيدًا:

ولقد تَعَفْتُ لَيْلَةَ جَمَدِ الْحَيَا في الأرض فيها، والسَّاءُ تَذَوُّبٌ^(١)
جَمَعَ الْعِثَامِينَ الْمُعَلِّي، وَانزَوَى فيها الرَقِيبُ كَأَنَّهُ مَرْقُوبٌ^(٢)
وَالْكَأْسُ كَأَسِيَّةُ الْقَمِصِ كَأَنهَا قَدْرًا وَلَوْ نَسَا، يَنْصَمُّ مَخْضُوبٌ^(٣)
هِيَ وَرْدَةٌ فِي خَدِّهِ، وَبِكَأْسِهَا الذِّ (م) حُرِّيٌّ مِنْهَا عَنَجَدٌ مَصْبُوبٌ^(٤)
بَنَى إِلَيْهِ، وَمِنْ يَدَيْهِ إِلَى يَدِي؛ فَالْشَّمْسُ تَطْلُعُ نَارَةً وَتَغِيبُ^(٥)
- ولابن شرف في نقد الشعر:

أَوَّلُ مَا عَلَيْهِ تَعْتِيدُ وَإِيَّاهُ تَعْتَقِدُ أَلَّا تَسْتَعِجَلَ بِاسْتِحْصَانٍ وَلَا اسْتِقْبَاحٍ وَلَا
بِاسْتِرَادٍ وَلَا بِاسْتِمْلَاحٍ حَتَّى تُنَمِّعَ النَّظَرَ وَتُسْتَعْمِدَ الْفِكْرَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَجَلَةَ فِي كُلِّ
شَيْءٍ مَوْطِيءٌ زَلُوقٌ وَمَرْكَبٌ زَهْوَقٌ^(٦)؛ فَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ مَا يَمْلَأُ لَفْظُهُ السَّمَاعَ (م لَا) يَرِدُ
عَلَى السَّمَاعِ مِنْهُ (إِلَّا) قَعَاقُعُ. فَلَا يَدْعُكَ! (٧) شَاخَةٌ مَبْنَاءٌ وَانْظُرْ إِلَى مَا فِي سُكَّاهِ مِنْ
مَنْهَاهُ، فَإِنَّ كَانَ فِي الْبَيْتِ سَاكِنٌ فَتِلْكَ (هِيَ) الْحَاسِنُ، وَإِنْ كَانَ خَالِيًا فَاعْدُدْهُ جَسْمًا
بَالِيًا.

وكذلك إِذَا سَبَعْتَ أَلْفَاظًا مُسْتَعْمَلَةً وَكَلِمَاتٍ مُبْتَدَلَةً فَلَا تَعْجَلْ بِاسْتِضَاعِهَا؛ فَمِنْ
مَنْ مَعْنَى عَجِيبٍ فِي لَفْظٍ غَيْرِ غَرِيبٍ. وَالْمَعَانِي هِيَ الْأُرُوحُ، وَالْأَلْفَاظُ هِيَ الْأَشْبَاحُ؛
فَإِنْ حَسَنًا فَذَلِكَ الْحَطُّ الْمَدْحُوحُ، وَإِنْ قَبِيحًا أَحَدُهَا فَلَا يَكُنِ الرُّوحُ!

-
- (١) الحيا: المطر. الساء (الغيوم) تذوب (تسقط ماء).
(٢) جمع العثامين (صلاة المغرب وصلاة العشاء) لشدة البرد (كبلا يصليها بوضوءين (٢)). انزوى: جلس بعيداً في زاوية. الرقيب: الحارس (المكلف براقبة الناس) كأنه مرقوب (كان أحداً يراقبه).
(٣) والكأس كاسية القميص: جدد حولاً (أو فيها) نطق الحمر نكأها (ببيض زجاجها معصم امرأة ببيضاء جميلة وعلون الحمر فيها مخضوبة بالحناء).
(٤) الحرِّي: الذي يشبه الشعر (الزُّلْزُل): الأبيض. المسجد: الذهب.
(٥) النس (كتابة عن الحمر). تطلع نارة (مرة) تصب في الكأس. وتغيب (تسكب في أمواهنا: نشرها).
(٦) زلوق: تزلق فيه قدم البائر. زهوق: زائل (٢).
(٧) الفمعة: الصوت (الذي لا عائدة منه). يدعك (كذا في الأصل)، ولعلها: يبرعك (يفتح ضم هكوسا): يهلكك، يهيجك.

- وقال في عود (الآلة الموسيقية المعروفة):

سقى لله أرضاً أُنبِتَتْ عودك الذي زكّت منه أغصانٌ وطابت مغارسُ:
تنسّي عليه الطيرُ وهي رطبةٌ، وغنّى عليها الناسُ والعودُ يابسُ^(١).

- ١ - أعلام الكلام (نشره حسن حسني عبد الوهاب) دمشق ١٩١٢ (الرسائل النادرة - جمعها عبد العزيز أمين الحانجي)، القاهرة (مكتبة الحانجي) ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م.
- رسالة الانتقاد (نشرها حسن حسني عبد الوهاب)، تونس ١٣٣٠ هـ، = مسائل الانتقاد (نشرها شارل بلا)، الجزائر ١٩٥٣ م (في مجموعة الرسائل النادرة) (أنظر الكتاب السابق).

* * الصلة ١٥٧١ الذخيرة ٢: ٦٤١ - ٦٤٣، ٤: ١٦٩ - ٢٤٥: الخريدة (الأندلس) ٢: ١١٠ - ١٢١ الخريدة (المغرب) ٢: ٢٢٤ - ٢٣٠، معجم الأدباء ١٩: ٣٧ - ٤٣: الوافي بالوفيات ٣: ٩٧ - ١٠١، فوات الوفيات ٢: ٢٥٥ - ٢٥٦: المغرب ٢: ٢٣٠ - ٢٣٢: المطرب ٦٦ - ١٧١ جيش التوشيح ٩٧ - ١٠٨ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٩٣٦ بروكلمن ١: ٣١٥، الملحق ١: ٤٧٣، الجمل في تاريخ الأدب التونسي ١٥٠ وما بعده عنوان الأريب ١: ٥٦ - ١٥٧: الأعلام للزركلي ٧: ١٠: ٦ (١٣٨) تاريخ النقد لعباس ٤٦٠ - ٤٦٩ العربي (الكويت) ١١/١٩٦٥، ص ٤٨.

أبو حفص الهوزني

١ - هو أبو حفص عمر بن الحسن بن عبد الرحمن بن عمر الهوزني من بيت كبير مشهور كانت إليه زعامة إشبيلية قبل دولة بني عباد.

ولّد أبو حفص الهوزني في رَجَب من سنة ٣٩٢ (أواخر الربيع من عام ١٠٠٢ م). وقد روى الهوزني عن نفر من العلماء منهم أبو القاسم بن عصفور وأبو عبد الله الباجي وأبو محمد الشنتجالي.

لما خلف عباد المعتضد أباه محمداً في الاستبداد بإشبيلية سنة ٤٣٤ هـ، كان الهوزني ظاهراً الرئاسة في إشبيلية رفيع المكانة فيها. وسرعان ما ثبتت المعتضد حكمته في إشبيلية فحاف الهوزني مغبة ذلك على نفسه واستأذن المعتضد بالذهاب إلى الحج.

(١) كان هذا العود (آلة الطرب) من قبل غصاً أخضر تنسّي عليه الأطيّار. وبعد أن يس صنع الناس منه عوداً (آلة طرب) ينفون عليها.

وفي سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٩ م) رَحَلَ الهُوَزِيُّ إلى المشرق فزار بَصْرَته ثم تابع طريقه إلى مكة. وفي أثناء رحلته التي دامت بِضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ، فيما يبدو، سَمِعَ «صحيح البخاري» (وقيل : «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ».) فلَمَّا عاد إلى الأندلس، قبل ٤٥٦ هـ، استأذن المعتضدَ في سُكْنَى مُرَبِّيَّةَ وجعل يُحَدِّثُ بصحيح البخاري، إذ هو أوَّلُ من أدخل هذا الكتابَ إلى الأندلس. ثم إِنَّ المعتضدَ حاسَنَ الهُوَزِيَّ وسأله أن يَرْجِعَ إلى اشبيلية، فرَجَعَ إلى اشبيلية ففَوَّضَ إليه المعتضدُ شيئاً من أمور الدولة.

ولَمَّا اطْلَمَ الهُوَزِيُّ في اشبيلية غَدَرَ به المعتضدُ وقتله في قصره بيده، في مُنتَصَفِ ربيع الآخر (في الأغلب) من سنة ٤٦٠ (أواخر شباط - فبراير ١٠٦٨ م).

٢- كان أبو حفص الهُوَزِيُّ مُتَفَنِّناً في علوم كثيرة قد نال من كلّ علم منها قِسطاً وافراً، كما كان كثيرَ الذكاء ناقبَ الذهن صحيحَ الرأي دقيقاً في معارفه. وقد اشتهر بالحديث، ولكنه كان مجيداً للنثر والنظم أيضاً.

٣- مختارات من آثاره

- لَمَّا استولى الإسبان على حُصْنِ بَرِيْشْتَر (أو بيشتر)، سنة ٤٥٦ هـ، كتب أبو حفص الهُوَزِيُّ من مُرَبِّيَّةَ إلى المعتضدِ بن عبادٍ رسالةً يحضُّه فيها على الجهاد، منها:

أَعْبَادُ، جَلَّ السُّرُوءُ والقُومُ هُجِعَ على حالِهِ من بَيْتِهَا يُتَوَقَّعُ^(١).
فَلَقَى كِتَابِي من فَرَاغِكَ سَاعَةً وان طُلَّالٌ، فالوصوفُ للطول موضع^(٢).
إذا لم أبتِ الدَّهْرَ رَبُّ شِكَايَةٍ أَضَعْتُ، وأهلُ السَّلامِ المُصَنِّعُ^(٣).

وما أخطأ السبيلَ من أُنَى البيوت من أبوابها، ولا أرجأ الدليلَ من أناطِ الأمور بأربابها^(٤). ولَرُبُّ أَمَلٍ بَيْنَ أَتْنِ الهاذِرِ مُدْمَجٌ، ومحبوبٍ في طَيِّ المكارِهِ مُدْرَجٌ^(٥).

(١) جُمِعَ جمع حاجع: نائم. يتوقع (ينتظر الخطر أو الهلاك ...).

(٢) اجعل لرسالتى ساعة وإن كانت رسالتى طويلة. الموصوف (في رسالتى) الخطر من استيلاء الإسبان على حصن بيشتر موضع (أي يستحق) للطول.

(٣) أبت: أظهر، أذكر (أشكو الحزن الذي في). رب (صاحب) شكاية (القدرة على إزالة الشكوى).

(٤) أناط (علّق) الأمور بأربابها (أصحابها، القادرين على معالجتها).

(٥) قد يكون الأمل (رجاء الخير) في الهاذير (جمع محذور: ما يخاف الناس منه) مدمج (موضوع، مدخل). مدرج (مدخل).

فانتَهزَ فُرْصَتَهَا فَقَدْ بَانَ مِنْ غَيْرِكَ الْمَجْزُ، وَطَبَّقَ مَفَاصِلَهَا فَقَدْ أَمَكَّتَكَ الْحَزُّ^(١). وَلَا غَرْوَ أَنْ يُسْتَمْتَرَ الْعَامُ فِي الْجَدْبِ وَيُسْتَنْحَبَ الْحُسَامُ فِي الْحَرْبِ.

٤-٥ * الذخيرة ٢: ٨١ - ١٩٤ الصلة ٣٨١ (رقم ١٨٦٣) المغرب ١: ٢٣٤ - ١٢٣٥ نفع الطيب ٢: ٩٣ - ١٩٤ الأعلام للزركلي ٥: ٢٠١ (١٤٤) نيكل ١٣٤.

أبو اسحاق الإلبيري

١- هو الأستاذ (نفع الطيب ٤: ٣١٧) أبو اسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعيد التُّجِيبِيُّ الْغَرْنَاطِيُّ الْإِلْبِيرِيُّ، نَعَرَفُ مِنْ حَقَائِقِ حَيَاتِهِ أَنَّهُ كَانَ عَرَبِيَّ الْأَصْلِ وَأَنَّ أَصْلَهُ مِنْ سَرَقُطَّةَ، كَمَا يُدَلُّ لِقَبِّهِ «التُّجِيبِيُّ»؛ ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ تَلْمِذَ الْفَقِيهِ الشَّاعِرِ ابْنِ أَبِي زَيْنٍ (ت ٣٩٨ هـ).

كَانَ أَبُو إِسْحَقَ هَذَا يَسْكُنُ غَرْنَاطَةَ فِي أَيَّامِ بَادِيسَ بْنِ حَسَّوسٍ (٤٣٠ - ٤٦٦ هـ) وَلَمْ يَدْرِكْ عِنْدَ بَادِيسَ الْخَطْوَةَ وَلَا الْمَكَانَةَ الَّتِي كَانَ يَرْجُوهَا. وَكَانَ لِبَادِيسَ وَزِيرٌ يَهُودِي اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ (صُمُوئِيلُ) بْنُ التَّنْفُذَةِ (ت ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م) - وَالتَّنْفُذَةُ تَحْرِيفٌ مِنْ «الْناجِد» بِمَعْنَى «الرَّئِيس» - فَاسْتَوَلَى عَلَى الْأُمُورِ. ثُمَّ خَلَفَهُ فِي الْوِزَارَةِ ابْنُ لَهُ اسْمُهُ يَوْسُفُ فَزَادَ اسْتِبْدَادَهُ بِأُمُورِ الدَّوْلَةِ. وَكَانَ لِبَادِيسَ ابْنٌ اسْمُهُ بُلْقَيْنُ يَرْشَحُهُ بَادِيسُ لِلْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ. وَضَاقَ بُلْقَيْنُ بِاسْتِبْدَادِ يَوْسُفَ بْنِ صُمُوئِيلَ فَجَعَلَ يَحْضُرُ أَبَاهُ عَلَى الْاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ. عَلِمَ يَوْسُفُ بِذَلِكَ فَدَبَّرَ اغْتِيَالَ بُلْقَيْنِ. وَلَمَّا انْكَشَفَ أَمْرُ الْاِغْتِيَالِ زَعَمَ يَوْسُفُ أَنَّ نَفَرًا مِنْ خَدَمِهِ وَجَوَارِيهِ فَعَلُوا ذَلِكَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ وَارَادَتِهِ فَقَامَ بَادِيسُ بِقَتْلِ جَمَاعَاتٍ مِنَ الْيَهُودِ (بِتَحْرِيزٍ مِنْ يَوْسُفَ). غَيْرَ أَنَّ نَفُوذَ يَوْسُفَ اِزْدَادَ كَثِيرًا.

وَكَانَ أَبُو إِسْحَقَ الْإِلْبِيرِيُّ مِمَّنْ يَحْضُرُ بَادِيسَ وَبَنِي صِنَهَاجَةَ، قَوْمَ بَادِيسَ، وَأَهْلَ غَرْنَاطَةَ كُلَّهُمْ عَلَى الْفَتَكِ بِالْيَهُودِ. وَاسْتَطَاعَ يَوْسُفُ أَنْ يَحْمِلَ بَادِيسَ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ أَبَا إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيَّ مِنْ غَرْنَاطَةَ. فَذَهَبَ أَبُو إِسْحَقَ إِلَى الْبِيرَةِ وَعَاشَ فِي دَارٍ عَلَى

(١) طَبَّقَ الْمَفَصَلَ (الْوَصْلَةَ بَيْنَ عَظْمَيْنِ) : أَحْسَنَ التَّطْعِمْ (تَدْبِيرَ الْأُمُورِ). الْحَزُّ : التَّطْعِمْ.

إحدى التلال عيشة الزهد والتصوّف. وهناك نظم قصيدة في الحَضّ على الفتك باليهود وسَرَدَ فيها جميع التهم الموجّهة إليهم وَذَكَرَ جميعَ الصور التي كان استبدادهم بالمسلمين يجري فيها. وأثرت هذه القصيدة في أهل غرناطة فثاروا على اليهود فيها وقتلوا منهم مُقْتَلَةً عظيمة (قيل ثلاثة آلاف) وقُتِلَ في هذه المَعْرَكَةِ (تاسعَ صَفَرٍ من سَنَةِ ٤٥٩ = ١٠٦٦/١٢/٣٠ م) يوسُفُ بْنُ التَغْدَلَةِ نَفْسَهُ. وفي «أعمال الأعلام» (ص ٢٣٣) أَنَّ هذه المعركة كانت سَنَةَ ٤٦٩ أو ٤٦٥.

ويبدو أن وفاة أبي اسحاق الإلبيري كانت بعد ذلك بِمُدَّةٍ يسيرة، بعد أن تقدّمت به السِّنُّ كثيراً.

٢- كان أبو اسحق الإلبيري فقيهاً ومُحَدِّثاً بارعاً في علم الحديث. وكذلك كان شاعراً وَجِدَانِيّاً مُحَسَّناً يُغَرِّمُ أحياناً بالصناعة وبالجناس خاصة ويتكلّم عن الحب بتعابير الحرب والقتال، ولكن على نَهْجٍ بَدْوِيٍّ لا في سبيل الإثارة الجنسية. وأكثر شعره في الزهد والتصوّف والحِكَم تغلب عليه العاطفة الدينية وشيءٌ من التشاؤم. على أن شهرته قائمة على القصيدة التي يُحَضُّ فيها باديس بن حبّوس وقومته صِنْهَاجَةً على الفتك باليهود. وهي قصيدة سهلة التركيب واضحة المعاني مملوءة بالصور المثيرة للنخوة والإباء من طريق المقارنة.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو اسحاق الإلبيري يُحَرِّضُ باديسَ بنَ حبّوسٍ وقومته صِنْهَاجَةً على الفتك باليهود:

أَلَا قُلْ لِصِنْهَاجَةٍ أَجْمَعِينَ	بُدُورِ الزَّمَانِ وَأَشِدِّ الْعَرَبِينَ
مَقَالَةً ذِي بَيْقَةٍ مُشْبِقِي	يَمُدُّ النَصِيحَةَ زُلْفَى وَدِينَ ^(١)
لَقَدْ زَلَّ سَيِّدُكُمْ زَلَّةً	تَقَرُّ بِهَا أَعْيُنُ الشَّامِنِينَ.
تَخَيَّرَ كَاتِبُهُ كَافِرَاءَ	وَلَوْ شَاءَ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢) .

(١) زلني: تقرّباً (إلى الله). دعي: يأمر بها الدين.

(٢) الكاتب: الوزير.

وتأهوا، وكانوا من الأردليين.
لأردلٍ قِرْدٌ من المُشركين.
نُصِبَ بِظَنِّكَ نَفْسَ الْبَاقِينَ،
وفي الأرض تُضْرَبُ مِنْهَا الْقُرُونُ^(١)؟
وقد يَفْضُوكَ إِلَى الْعَالَمِينَ؟
إذا كُنْتَ تَنْبِيهِهُمْ وَهُمْ يَهْدُمُونَ؟
وَذَرَهُمْ إِلَى لَفْظَةِ الْإِلَاحِينَ^(٢).
وكادت تَمِيدُ بِنَا أَجْمَعِينَ.
فَكُنْتُ أَرَاهُمْ بِهَا عَابِثِينَ،
فَمِنْهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ لَعِينٌ.
وَهُمْ يَخْضِمُونَ وَهُمْ يَفْضِمُونَ^(٣).
وَأَنْتُمْ لِأَوْضِعِهَا لَا بَإِسْوَ.
وكيف يَكُونُ أَمِينًا خُوءُونَ؟
فَيُفْضَى، وَيُدْنَوْنَ إِذْ يَأْكُلُونَ.
فَمَا يُمْتَعُونَ وَمَا يُنْكُرُونَ^(٤).
وَأَنْتُمْ لِطَرِيفِهِمْ أَكْلُونَ^(٥).
وَأَجْرِي إِلَيْهَا نَمِيرَ الْعَمِيُونَ^(٦).
وَنَحْنُ عَلَى بَابِهِ قَائِمُونَ.
فَلِنَا إِلَى رَبِّنَا رَاجِعُونَ.
كَمَا لِكَ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ.
وَضَحَّ بِهِ فَهُوَ كَبِشَ سَمِينٍ.
فَقَدْ كَسَرُوا كُلَّ عِلْقَى تَمِينٍ^(٧).

فَمَرَّ الْيَهُودُ بِهِ وَأَتَتْخَوْا
فَكَمْ مُسْلِمٍ رَاغِبٍ رَاهِبٍ
أَبَادِيٍّ، أَنْتَ أَمْرُؤُ حَادِقُ
فَكَيْفَ خَفِيَ عَنْكَ مَا يَغِيثُونَ
وَكَيْفَ نَجِبُ فِرَاحِ الزَّانَا
وَكَيْفَ يَنْبَغُ لَكَ الْمُرْتَفَى
فَلَا تَنْخِذْ مِنْهُمْ خَادِمًا،
فَقَدْ ضَجَّتِ الْأَرْضُ مِنْ فِتْنِهِمْ
وَأَنِّي خَلَلْتُ بِفَرْنَاطِي
وَقَدْ قَسَمُوهَا وَأَعْمَالَهَا
وَهُمْ يَفْضِمُونَ جَبَابِئِهَا،
وَهُمْ يَنْلَسُونَ رَفِيعَ الْكِسَا
وَهُمْ أَمْنَاكُمْ عَلَى سِرْكَمِ،
وَمَا أَكَلُ غَيْرُهُمْ دَرَهْمًا
وَقَدْ نَاهَضُوكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ
وَهُمْ يَذْبَحُونَ بِأَسْوَاقِنَا،
وَرَحْمٌ قِرْدُهُمْ دَارَهُ
وَصَارَتْ حَوَائِجُنَا عِنْدَهُ،
وَبُضْعُكَ مِنَّا وَمِنْ دِينِنَا.
وَلَوْ قُلْتُ فِي مَالِهِ إِنَّهُ
فَبَادِرْ إِلَى ذَبْحِهِ قُرْبَةً
وَلَا تَرْفَعْ الضَّغْطَ عَنْ رَهْطِهِ

(١) وفي الأرض تضرب منها القرون: (٢).

(٢) الحادِم: الكاتب (الوزير).

(٣) الحضم: أكل الشيء الطري. التضم: أكل الشيء اليابس - يأكلون الأخضر واليابس.

(٤) ناهضوكم إلى ربكم: قاوموكم وحلوكم على ما يفضي بكم. ما ينكرون: لا ينكر عليهم أحد ما يفعلون.

(٥) الإطريف: الطريف (بامالة الياء): اللحم الذي به عانة (كاللحم في الذبيحة والنقص في أعضائها).
واليهود لا يأكلون مثل ذلك اللحم.

(٦) رَحْمٌ دَارُهُ: فرسها (بفتحها) بالرخام (البلاط الأبيض الشين). النسر (الماء) الحلو.

(٧) الملق: الشيء النفيس.

وَفَرَّقُوا عُرَاهُمْ وَخَذَ مَالَهُمْ،
وَلَا تَحْسَبَنَّ قَتْلَهُمْ غَدْرًا،
فَقَدْ نَكَثُوا عَهْدَنَا عَنْدهُمْ،
وَكَيْفَ تَكُونُ لَنَا حِمَّةً
وَلَحْنُ الْأَذْلَى مِنْ بَيْنِهِمْ،
فَلَا تُرَضَّنْ فِينَا بِأَفْعَالِهِمْ
وَرَأَيْتَ إِلَّا هَكَذَا فِي حِزْبِهِ،
فَأَنْتَ أَحَقُّ بِمَا نَجْتَمِعُونَ.
بَلِ الْغَدْرُ فِي تَرْكِهِمْ يَغْتَبُونَ.
فَكَيْفَ نُلَاقُ عَلَى النَّاكِثِينَ؟
وَنَحْنُ حُمُولٌ وَهُمْ ظَاهِرُونَ؟
كَأَنَّا أَسَانَا وَهُمْ مُحِينُونَ.
فَأَنْتَ رَهْبَنٌ بِمَا يَفْعَلُونَ.
فَحَزَبُ الْإِلَهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ!

- في نفع الطيب (٣: ٤٩١): لَمَّا مَرَضَ الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ
الْإِلْبِيرِيُّ دَخَلَ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ أَبُو خَالِدٍ هَاشِمُ بْنُ رَجَاءٍ فَرَأَى ضَيْقَ مَسْكَنِهِ فَقَالَ: «لَوْ
أَتَّخَذْتُ غَيْرَ هَذَا الْمَسْكَنِ لَكَانَ أَوْلَى بِكَ». فَقَالَ (أَبُو إِسْحَاقَ)، وَهُوَ آخِرُ شِعْرِ قَالِهِ:

قَالُوا: أَلَا تَسْتَجِيبُ بَيِّنَاتٍ تَعْجَبُ مِنْ حُسْنِ الْبَيِّنَاتِ!
فَقُلْتُ: مَا ذَلِكُمْ صَوَابًا، عُنْتُ كَثِيرٌ لِمَنْ يَسُوتُ.
لَوْلَا شَيْءٌ وَلَقَعَ قَبْضُ وَخُوفٌ لِمَنْ وَجِئْتُ قَوْتُ^(١)
وَبِسُوءَةِ يَنْتَبِهِينَ سِتْرًا، بَشِيتُ بُنْيَانٍ عَنْكِبُوتُ.
- وَقَالَ يَلُومُ الشُّيُوخَ الْمُتَصَائِبِينَ، وَفِيهَا كِنَايَاتٌ بَارِعَةٌ مَلُوحَةٌ:

الشَّيْبُ نَبَّةٌ ذَا الْهَيْئَةِ فَتَنْتَبِهَا، وَنَهَى الْجَهْلُولَ فَمَا اسْتَغْنَى وَلَا انْتَهَى.
فَإِلَى مَنْ أَلْهَى وَأَخَذَ بِالْأَنَى، وَالشَّيْخُ أَقْبَحُ مَا يَكُونُ إِذَا لَهَا^(٢).
مَا حُسْنُهُ إِلَّا النَّعْيُ، لَا أَنْ يُرَى صَبًا بِالْحَاطِظِ الْجَاذِبِ وَالْمَهَا^(٣).
أَنْتَى يُقَاتِلُ، وَهُوَ مَقْلُوبُ النَّبَا كَابِي الْجَوَادِ، إِذَا اسْتَقْلَ ثَاوَاهَا^(٤).
سَحَقَ الزَّمَانُ هِلَالَهُ فَكَأَنَّمَا أَبْقَى لَهُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الثَّمَا^(٥).

(١) لعلت النار بحرقها (أحرقتم). القبط: الحر الشديد.

(٢) لما يلهو (انصرف إلى اللهو).

(٣) الجاذب جمع جؤد (الفرال الصغير) والمها جمع مهاة (بقرة الوحش: نوع من الغزلان).

(٤) في هذا البيت كناية لو صرح بها لكانت قبيحة جدًا. الثبا جمع ثباة (حد السيف). مقلوب = مقلد: كان (لا يقطع). كابي (ساقط على وجهه، لا يستطيع أن يلف ثابته) الجواد (الحصان). استقل: بدأ سيره، ركب. ثاؤه: تحسر.

(٥) عن نوره (بالبناء للمجهول) ذهب نوره (كما يكون القمر في آخر الشهر). المها: نجم صغير في شات نعش مجاور لنجم آخر لا يكاد يراه إلا من كان بصره حديثاً (صحيحاً قوياً).

فقد خيراً يُنتهي أن يُنتهى؛
فقد البلدات، وزاد غيًّا بعدهم.
يا وبحة! ما باله لا يُنتهى
عن غيِّه، والعمرُ منه قد انتهى؟

- وقال في إقبال الدنيا وإدبارها:

خليلي عوجا بي على سَقَط اللوى
فأسالَ عن ليلي تولى بأنينا
ليالي إذ كان الزمانُ سالياً
وإذ كنتُ أَسقى الراحَ من كفِّ أغيدٍ
أعانقُ منه الغصنَ يهتزُّ ناعماً
وقد ضربتُ أهدي الأمانَ قبايها
فما شئتَ من لهُ وما شئتَ من دَدٍ
وما شئتَ من عودٍ يفتيك مُفصيحا
ولكنها الدنيا تُخادعُ أهلها

لعلَّ رسومَ الدارِ لم تنفيرا^(١)
وأندبَ أياماً تقصّتْ وأعصرا.
وإذ كان غصنُ العيشِ فيناناً أخضرا^(٢)،
يناوئنيها رائحاً ومبكرأ^(٣)،
وألثمُ منه البدرَ يطلعُ مقبِرا.
علينا، وكفَّ الدهرُ عنا وأقصرأ^(٤)،
ومن مبسمٍ يُجنيك عذباً مؤشراً^(٥)،
(سالك شوقٍ بعد ما كان أقصرا)^(٦)،
تغرُّ بصغفٍ وهي تطوي تكديرا.

- (١) في هذا البيت كناية لو صرح بها لكانت أيضاً قبيحة جداً. الحسر: الضعيف البصر. وحسر البصر: ضعف وتعب. وحسر الرجل: تلهف (أراد شيئاً وعجز عنه)، أعيا: تعب فانقطع (عن الشيء)، أو العمل أو القيام). ينتهى (يريد، يرغب) أن ينتهى (بالبناء للمجهول): يعامل معاملة الأنثى. طلق: غير مفيد. الجموح: استبداد الفرس براكبه لتشاظه وقوته.
- (٢) اللدة (بكسر الفتح): القرب (بكسر التاء) من كان في مثل سنك. واللدة والترب تبالان للذكور وللإناث.
- (٣) عاج: مال. سقط اللوى (ورد في معلقة امرئ القيس «سقط اللوى»). لم تنفيرا = لم تنفيرا (قلت نون التوكيد الحفيفة ألفاً).
- (٤) فينان: ممتد (الفينان ذو الشعر الحسن الطويل).
- (٥) الأغيد الناعم اللين (الجميل). رائحاً (في الرواح: الماء).
- (٦) ضربت أهدي الأمان علينا قبايها: حنتها، جعلتها آمين.
- (٧) الدد: اللهو: مبسم (تم) يجنيك (يعطيك)، يقدم لك عذباً (حلوأ، أي رهناً حلوأ) مؤشراً (محططاً) حينما تكون الأسنان لصغير في السن وتكون صحيحة ونظيفة ويدو عليها تأثير (أي خطوط).
- (٨) المعجز (مفتح ضم) لامرئ القيس - تجدد في نفسه شوق (إلى اللهو) بعد أن كان قد ترك (اللهو) مدة.

لقد أوردتني بعد ذلك كله
وكم كابدت نفسي لها من مُلّة
خليطٍ ما بالي على صدق عزمي
ووالله ما أدري لأيّ جريمة
ولم أك عن كسب المكارم عاجزاً
لئن ساء تمزيقُ الزمان لدولتي
وأبطلت من نوم القَرارة نائماً
- وقال في حال الدنيا:

تشرُّ لبدائي واحداً بعد واحدٍ
وأحيلُ موتاهم وأشهدُ دفنهم
فها أنا في علمي بهم وجهالتي
- وقال، وفيه شيء من الفخر:

ذروني أجب شرق البلاد وغربها
فلست ككلب السوء يرضيه مرتبضٌ
نحوم لكجا يُذركُ الخصبُ حوْمها
وكنت إذا ما بلدة لي تنكّرت

(١) المورد: مكان شرب الماء. المصدر: الرجوع عن الماء (بعد الشرب أو بعد للترؤد بالماء).

(٢) اللّمة: النازلة، العيبة. طريقي: بصري (عيني). الأسى: الحزن.

(٣) النيل (المطأ)، أنيل (اعطي أنا).

(٤) كما أن ذهب الملك عني قد ساءني من جانب فأنه من الجانب الآخر قد علمني أن أتمط بأحداثه.

(٥) القَرارة: القفلة وحدادة السنّ. الوري: مجموع البلور.

(٦) تمرّ (قوت).

(٧) يرونو: ينظر بتطلّع. مستيقظ يرونو بمقلة (عين) واقداً (نائماً): يرى بعينه من غير أن يعرف ما يرى.

(٨) ذر: دع. جاب: طاف.

(٩) المطي: ما يركبه الإنسان من الحيوان للانتقال من مكان إلى آخر. الإيهام: الترفع عن الأمور الدنية.

وسرتُ ولا أُلوي على متعذّر وصممت لأُصني إلى النُصحاء^(١)،
كشمس تبسّدت للعيون بشرق صباحاً، وفي غربٍ أُصيّل مس.

٤ - ديوان أبي اسحاق الإلبيري (تحقيق إميليو غرسيه غوس)، مدريد، غرناطة ١٩٤٤ م،
الطبعة الثانية ١٩٥١ - ١٩٦٥ ؟

♦♦ بغية الملتبس، ٢١، نفع الطيب ٣: ٤٩١، ٤: ٨٦، ١١٢، ١١٣، ٣٢٢، ٣٤٥ - ٣٤٦
دائرة المعارف الإسلامية ١: ١١٣٠ بروكلمن، الملحق ١: ٤٧٩ - ٤٨٠ نيكل
١٩٧ - ٢٠٠، مختارات نيكل ١٣٨ - ١١٤٦ م ع ٤٩: ١، ص ٢١ - ٢٣، الأعلام
للزركلي (١٩٧٩ م). ١: ٧٣ - ٧٤.

ابن مَقَانَا

١ - هو أبو زيد عبد الرحمن بن مَقَانَا القَبْدَاقِيّ - نسبةً إلى قرية القَبْدَاق من
ساحل شَنْتَرَة (الذخيرة ٢: ٧٨٧) - الأَشْبُوِيّ البَطْلِيُونِيّ من سَكَّان بَطْلِيُونَس، ويبدو
أن أصله من القَبْدَاق في غربي الأندلس. بدأ ابن مَقَانَا حياته بالتكسّب بالشعر: مدح
المُعْتَد بالله المروائيّ آخَرَ خلفه قُرْطُبَة (٤٦٤ - ٤٢٨ هـ) ومُنِير بن يحيى التُجَيْبِيّ
صاحب سَرَقِطَة (ت ٤٣٠ هـ) ومُجَاهِدًا العامريّ (ت ٤٣٦ هـ) وإدريس بن يحيى
صاحب مَالِقَة الملقَّب بالعالي بالله، وقد تولّى الإمارة مرتين من سَنَة ٤٣٤ إلى سَنَة
٤٣٨ ثم من سنة ٤٤٥ إلى سنة ٤٤٦. وارتفعت مكانة ابن مَقَانَا فتولّى القضاء في
بَطْلِيُونَس (راجع الحلة السراء ٢: ٩٩).

وبلغ ابن مَقَانَا أَشُدَّهُ نحو سَنَة ٤٣٨ (١٠٤٦ م). وفي أواخر حياته عاد إلى موطنه
في القَبْدَاق ثم كانت وفاته في مطلع النصف الثاني من القرن الخامس (في النصف
الثاني من القرن الحادي عَشَرَ للميلاد)، في الأغلب.

٢ - ابن مَقَانَا أديبٌ وشاعرٌ مُحِسنٌ مُجيد، وقد اشتهر بقصيدته النونية التي مدَحَ
بها إدريس بن يحيى، وهي قصيدةٌ حَسَنَة مُشرقة فصيحةُ الألفاظ صحيحةُ التراكيب

(١) لا أُلوي (لا ألتفت، لا أهتم بـ). المتعذّر: الذي يتعصّل من الذنب (المقصود: الذي يلوم). صم: قصد، تفتّم، تأمّر.

عَذْبَةُ التِّلَاوَةِ يَكْثُرُ فِيهَا الْاِقْتِبَاسُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَفَنَوْنُ شِعْرِهِ الْمَدِيحُ وَالْعَتَابُ وَالْوَصْفُ. وَكَانَ ابْنُ مَقَانَا فِي أَوَّلِ حَيَاتِهِ الْأَدَبِيَّةِ أَجْوَدَ شِعْراً مِنْهُ بَعْدَ كَهُولَتِهِ.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن مقانا يمدح العالي بالله إدريس بن يحيى بن حود (٤٣٤ - ٤٣٨ هـ).

أَلْبَرِّقِ لَاحَ لِي مِنْ أُنْدَرِينَ ذَرَقْتُ عَيْنَكَ بِالمَاءِ الْمَعِينِ^(١)
لَعِبْتُ أَسِيفَهُ عَارِيَةً كَمَخَارِقِي بِأَيْدِي لَاعِبِينَ^(٢)
وَأَنَا جِي فِي الدُّجَى عَاذِلَتِي: وَهَيْكُ! لَا أَسْمَعُ قَوْلَ الْعَاذِلِينَ^(٣)
عَبَّرْتَنِي بِسَقَامٍ وَضَنَى: إِنَّ هَنْزِينَ لَزَيْنُ الْعَاشِقِينَ^(٤)
اسْتَفْنِيهَا مُرَّةً مَشْمُولَةً لَبِثْتُ فِي ذَنْهَا بِضَعٍ سَيْنِ^(٥)
مَعَ فِتْيَانٍ كِرَامٍ نُجُبٍ يَتَهَادَوْنَ رِيَّاحِينَ الْمُجُونِ^(٦)
وَيُسْتَقُونَ إِذَا مَا شَرِبُوا بِأَبَارِقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينِ^(٧)
وَمَصَابِيحُ الدُّجَى قَدْ طُفِئَتْ فِي بَقَايَا مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جُونِ^(٨)

- (١) ورد هذا البيت مكسوراً (سقطت منه «ي» في «العرب» (٤١٣: ١) وفي تلح الطبيب (١: ٤٣٣).
وبقضي أن نجعل «عينك» عينا، فإنه أصبح في المعنى وأحسن في عاطفة الملوك، بدلنا على ذلك
استخدام ضمير التثنية في الأبيات التالية للمطلع: أناحي، عبَّرتني الخ. أندرس تجربة أو قرى قيل
فيها إنها اشتهرت بالخمر. راجع في صفتها التلوة والنحو (القاموس ٢: ١٤٠)؛ المعين: الظاهر،
المرئي (ويكون عادة كثيراً). - في الذخيرة (٢: ٧٩١): لائح (وهو صحيح في المعنى والوزن).
(٢) أسيفاه (أسيف البرق): الأذرع التي تروى بين اليوم حين يلمع البرق. الهراق: لقاقة من النسيج شبه
السوط يتضارب بها الصبيان في أثناء اللعب. هذا اقتباس من قول عمرو بن كلثوم:
كَأَنَّ سَيَوفَنَا مِثْلًا وَمِنْهُمْ مَخَارِقُ بِأَيْدِي لَا عِبِينَا.
(٣) العاذلة: التي تلوم المحبين. ويك: وهل لك.
(٤) الضنى: الهزال (بالضم) الشديد.
(٥) مشمولة (هبت عليها ريح الشمال - بفتح الشين): باردة. الدن: إتمام الخمر.
(٦) المجون: التصريح في الغزل (٢).
(٧) معين (غير معين في مطلع القصيدة). خر جارية من ضحك على وجه الأرض كأنهار الماء.
الشطر قسمن من القرآن الكريم (٥٦: ١٨ سورة الواقعة).
(٨) إن عدداً من النجوم قد اضمحلت وبقي من النجوم عدد آخر مفترق في البقع المظلمة من السماء.

وَكَاَنَّ الظِّلَّ يَنْكُ فِي الثَّرَى،
وَالنَّدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِيهِ
وَالثُّرْبَا قَدْ هَوَتْ مِنْ أَفْقِهَا
وَكَاَنَّ الشَّمْسَ لَمَّا أَشْرَقَتْ -
وَجْهَ إِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ
مَلِكِ ذُو هَيْبَةٍ لَكَنَّهُ
خُطُّ بِإِلَيْكَ عَلَى أَبْوَابِهِ:
فَلِذَا مَا رُفِعَتْ رَايَاتُهُ
وَإِذَا أَشْكَلَ خُطْبُ مُفْضِلٍ
فَبِئْسَ رَأْيَ يَسَارُ الْمُصْرِيْنَ،
يَا بَنِي أَحْمَدَ - يَا خَيْرَ الْوَرَى -
نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ، فَاحْتَبَسَى
خُلُقُوا مِنْ مَلِكٍ عَدْلٍ وَتَقَى
انظُرُونَا نَقْتَبِسُ مِنْ نُورِكُمْ،

وَكَاَنَّ الظِّلَّ دُرٌّ فِي الْقُصُونِ،
كَدُمُوعٍ أَسْبَلَتْهُنَّ الْجُفُونِ.
كَقَضِيْبٍ زَاهِرٍ مِنْ يَاسَمِيْنَ.
فَانْتَنَتْ عَنْهَا عَيُونُ النَّاطِرِيْنَ -
بِزِي حَمَوْدٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ.
خَاشِعُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ.
ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِيْنَ! (١)
خَفَقَتْ بَيْنَ جَنَاحِيْ جِبْرِئِيْلٍ (٢)
صَدَعَ الثَّكْبُ بِصَبَاحِ الْيَقِيْنِ (٣)
وَيُمْنَاءِ لِيَوَالِ السَّابِقِيْنَ (٤)
لَأَيُّكُمْ كَانَ وَقَدْ الْمُسْلِمِيْنَ (٥)
فِي الدُّجَى فَوْقَهُمُ الرُّوحُ الْأَمِيْنُ (٦)
وَجَمِيْعُ النَّاسِ مِنْ مَاءٍ وَطِيْنِ.
إِنَّهُ مِنْ نُورِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ (٧)

- (١) الظِّلُّ (ظلام الليل) يبدو على الأرض كأنه مك (أسود اللون) مغروش. الظِّلُّ: نقط الماء التي جدد (يقول برد الليل) على الأعصاب. دُرٌّ: لؤلؤ.
- (٢) «ادخلوها بسلام آمين» تضمين من القرآن الكريم (١٥: ٤٦، سورة المحر - بكر الماء).
- (٣) جبرئيل وجبرئيل وجبرئيل: الروح القدس.
- (٤) أشكل (أهم، غمض) خطب (حادث مفتح، معيبة) معضل (لا علاج له) صدع (شق) اليقين (المعقل).
- (٥) اليسار: الفنى، الثروة. المعسر: الذي لا يجد ما ينفق. السابقون: الذين يتقدمون غيرهم في أعمال البر (في الإيمان، في التقوى، في الإحسان، الخ).
- (٦) أحد من أجداد رسول الله. الورى: مجموع البشر. - الشاعر يرفع نسب المدوح إلى رسول الله.
- (٧) الروح الأمين = الروح القدس: جبرئيل. احتسب: جلس أرحاً وضَمَّ ركبتيه إلى صدره شملة أو بيده (وتلك جلسة الأشراف والرؤساء). - احتسب فوقهم... ليس لهم رئيس من البشر، رئيسهم الروح الأمين (جعلهم الله ملوكاً على البشر).
- (٨) انظرونا: انظروا اليها (لأن الشاعر كان ينشد من وراء ستار. والمدوح لم يكن يراه). نقتبس: تأخذ قبساً (قطعة من خشب مشعلة من قطعة أخرى أكبر منها): نستمد منكم نوراً أو علماً أو قوة... انظرونا نقتبس من نوركم. اقتباس من القرآن الكريم (٥٧: ١٣، سورة المائدة).

- ١- ٢٨٦: ٢ - ١٧٩٦ جذوة المقتبس ٢٦٠ (الدار المصرية) ٢٧٩ (رقم ٦١٨) *
بقية الملتص ٣٥٨ - ٣٥٩ (رقم ١٠٤٤) المغرب ١: ١٤١٣ نفح الطيب ١:
٢١٤، ٤٣٣ - ٤٣٥، ١٢٦٤: ٣ نيكل ١٠٥.

المظفر بن الأفطس

١- هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن سلمة (وقيل: سلمة) التُجيبِيّ الأندلسي، المعروف بالمُظفر بن الأفطس، لعلَّ أصله من البربر وإن كانت نسبته الرسمية إلى قبيلة تُجيب العربية. جاء المظفر هذا إلى عرش بَطْلَيْوُس بعد وفاة أبيه المنصور عبد الله بن محمد، في جُمادى الثانية من سنة ٤٣٧ (أواخر ١٠٤٥ م). ولم تكن أيامه أيامَ هُدوءٍ وسَلَمٍ فقد كثرت حروبُه مع المعتز بن عباد (ت ٤٨٨) ويحيى المؤمن بن ذي النون صاحب طُلَيْطلة (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) ومع الجَلَّالة الذين استولوا، سنة ٤٥٦ (١٠٦٤ م) على قَلَمَرِيَّة (في البُرْتغال اليوم).

وكانت وفاة المظفر سنة ٤٦٠ (١٠٦٧ - ١٠٦٨ م).

٢- كان المظفر بن الأفطس جَمَّ المعرفة جَمَاعَةً للكتب عارفاً بالتاريخ وبالأدب أدبياً شاعراً ناثراً، مُلماً بعددٍ من العلوم. وكذلك كان ناقدًا يُفَضِّلُ الشعرَ المتين إذا كان نبيلَ المعنى. وكان كَرِيماً الخُلُق لا يشربُ الخمرَ ولا يُحِبُّ وَصْفَهَا في الشعر، فقد قَطَعَ لسان شاعره القَلَمَنْدَرِ لآثِهِ ذَكَرَ الخمرَ بخيرٍ ودافع عن شُرْبِهَا. ثم هو مُصَنِّفٌ له تفسيرُ القرآنِ الكريمِ ثم له كتابُ التذكرةِ المعروفة باسم (الكتاب) «المُظفري»، نسبةً إليه. والتذكرة هذه مؤلفة على نمط «عيون الأخبار» لابن قُتَيْبَةَ (المشريقي) وفيها أدبٌ وشعرٌ وتاريخٌ وسوى ذلك، وهو كتابٌ كبيرٌ قيلَ خُصِنَ مجلدة (نفح ٤٤٢: ٣، ١٨١، ٤٤٦: ٤) وقيل «نحو مائة مجلدة» (نفح ٣: ١٩٤).

٣- مختارات من آثاره

- قال المظفر بن الأفطس يوماً (نفح الطيب ٤: ٤٦٦):

«والله، ما يَمْنَعُنِي من إظهار الشعر إلا كوفي لا أقولُ مثلُ قولِ أبي العَشاءِ بنِ حَمْدَانَ... وقولِ أبي فِرَاسٍ ابنِ عَمَّةٍ... (ولكن) أئنَ هذا من قولِي:

أُنِفْتُ مِنَ الْمُدَامِ لِأَنَّ عَقْلِي أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ أُنْسِ الْمُدَامِ^(١).
وَلَمْ أَرْتَحْ إِلَى رَوْضِ وَزْهِرٍ وَلَكِنْ لِلْحَمَائِلِ وَالْحُامِ^(٢).
إِذَا لَمْ أَمْلِكِ الشَّهَوَاتِ قَهْرًا، فَلَمْ أَتُبْنِ الشُّفُوفَ عَنِ الْأَنَامِ^(٣).

- ومن شعره (نفع الطيب ٤ : ٤٦٧) في النسيب:

بِمَا لَعَطَسَهُ، زِدْ فُتُورًا تَزِدْ عَلِيَّ اقْتِدَارًا.
فَاللُّخْطُ كَالسِّيفِ أَمْضَا هُوَ مَا يَمِرُّ غِرَارًا^(٤).

١ - ** التكملة ١١٢٨ : المطرب ٢١ - ١٣٣ : المغرب ١ : ٣٦٤ - ١٣٦٥ : الوافي بالوفيات ٣ : ١٣٢٣ : الذخيرة راجع ٢ : ٣٣ - ٣٦ ، ٦٤٠ - ٦٤٦ : وأماكن أخرى (راجع فهرست الجزئين الأول والثاني) : البيان المغرب ٣ : ٢٢٠ ، ٢٣٦ : راجع المغرب ١ : ٢٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ : نفع الطيب ١ : ٤٤٢ ، ٣ : ١٨١ ، ١٩٤ ، ٣٨٠ ، ٣٩٨ : ٤ : ٤٦٦ : الاعلام للزركلي ٧ : ١٠٢ - ١٠٣ (٦ : ٢٢٨).

صاعد الطليطي

١ - هو أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التَّغْلَبِي الأندلسي القرطبي الطليطي، أصله من قرطبة ومولده في المرية، سنة ٤٢٠ (١٠٢٩ م). وقد سكن قرطبة. وروى صاعد عن ابن حزم الكبير (ت ٤٥٦ هـ) وعن الفتح ابن قاسم وأبي الوليد الوقشي القاضي (٩) وغيرهم.
وَوَكَّلِي صَاعِدُ الْقَضَاءِ فِي طَلِبَلَّةِ اسْتِقْضَاءِ فِيهَا الْمَأْمُونُ بِحَيِّ بْنِ ذِي النُّونِ، قَبَّتِي فِي الْقَضَاءِ إِلَى وَفَاتِهِ فِي رَابِعِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٤٦٢ (٦/٧/١٠٧٠ م).

-
- (١) المدام : الخمر.
(٢) الهالة (بالفتح) : الدبة (يكسر ففتح بلا تشديد) يدفعها قوم عن آخرين (يقصد أنه كريم). الحام : السيف (يقصد الشجاعة في الحرب).
(٣) الشفوف (ظهور الشيء من وراء ستر رقيق). الأنام : الناس - يقصد : إذا لم استطع بإرادتي أن ابتعد عن الميوب فانا لا أحاول النسي عن الناس (أنا طاهر دائماً للناس لأنني لست على شيء من الشهوات الردئية).
(٤) الغرار : حد السيف.

٢ - كان صاعدُ الطليطلي من أهل الذكوة والمعرفة وكان مؤرخاً بَعَثَةً وفعياً .
 وكان لصاعدٍ عند من الكتب: جوامع أخبار الأمم من العرب والعجم - صوان
 الحكمة في طبقات الحكماء - مقالات أهل الملل والنحل - إصلاح حركات
 النجوم - تاريخ الأندلس - تاريخ الإسلام (ويبدو أن هذه كلها قد ضاعت). وقد
 بقي لنا كتابه الموجز « طبقات الأمم ». درس صاعد في هذا الكتاب أجناس البشر
 وجعلها طبقتين: طبقة عُيِّنَتْ بالعلوم وصدر عنها معارف هي الهند والفرس
 والكلدان والعيون واليونان (القدماء) والروم (البيزنطيون) وأهل مصر والعرب. ثم
 هنالك طبقة لم تُعَن بالعلوم ولا صدر عنها شيء مفيد من المعارف. من أمم هذه
 الطبقة الصين والصقالبة والبربر والسودان وغيرهم.

٣ - مختارات من آثاره

- قال صاعد الطليطلي في « طبقات الأمم »:

اعلم أن جميع الناس في مشارق الأرض ومغاربها وجنوبها وشمالها، وإن كانوا
 واحداً، يميزون بثلاثة أشياء: بالأخلاق والصور واللغات (ص ٥).

ووجدنا هذه الأمم، على كثرة فرقتهم وتحالف مذاهبهم، طبقتين: طبقة عُيِّنَتْ
 بالعلم فظهرت منها ضروب العلوم وصدرت عنها فنون المعارف؛ وطبقة لم تُعَن بالعلم
 عناية تستحق بها اسمه... وأما الطبقة التي عُيِّنَتْ بالعلوم فتأتي أمم: الهند والفرس
 والكلدانيون والبربر واليونانيون والروم وأهل المغرب والعرب (ص ٧).

وأما الطبقة التي عُيِّنَتْ بالعلوم فهم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لأنهم
 صرفوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة الصائفة لنوع الإنسان والمقومة لطبعه
 (ثم زهدوا فيها رغب فيه الصين والترك ومن نزع منزعهم من التنافس في أخلاق
 النفس الغضبية والتفاخر بالقوى البهيمية، إذ علموا أن البهائم تشركهم فيها
 وتفضلهم في كثير منها (ص ١٠).

.... احمد بن إبراهيم بن أبي خالد القيرواني المعروف بابن الجزار كان حافظاً للطب
 دارساً للكتب جامعاً لتأليف الأوائل حسن الفهم لها. وله مصنوعات حسنة في الطب

وغيره فمن أشهرها كُنَّاشُهُ في علم الأمراض المعروف بيزاد المسافر وكتابه في الأدوية المفردة المعروف بالاعتقاد وكتابه في الأدوية المركبة المعروف بالبُغْيَة ورسائله في النفس وفي ذكر اختلاف الأوائل فيها. وكان له أيضاً عناية بالتاريخ أدت الى أن يُؤلَّفَ فيه مختصراً حسناً سماه «كتاب التعريف بصحيح التاريخ». وكان مع هذا جميل المذهب فاضل السيرة صائناً لنفسه منقبضاً عن الملوك ذا وفرة وثروة. (ص ٦١ - ٧٢).

.... وابو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمار السرقسطي كان متحققاً إماماً في علم النحو واللغة (وبعلم الهندسة والمنطق والموسيقى متصرفاً في سائر علوم الفلسفة). وله تأليف في الموسيقى ورسالة في تعديل العلوم وكيف درجت إلى الوجود من انقسام الجوهر والعرض. ونالته في إمام المنصور بن ابي عامر محنة شديدة مشهورة السبب أدته بعد انطلاقه من السجن الى الخروج عن الاندلس فتوفي في جزيرة صقلية (ص ٦٨).

٤ - طبقات الأمم (شره... الأب لويس شيخو اليسوعي)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩١٢ م مصر بلا تاريخ.

* * الصلة ٢٣٢ (رقم ٥٣٩) بنية الملتنى ٣١١ (رقم ٨٥٢) طبقات الأطباء ١: ٣٦، ٣٧، ٤٣، ٥٧، ٥٨ - بروكلن ١: ٢١٩، الملحق ١: ٥٨٥ - ٥٨٦، الأعلام للزركلي ٣: ٢٧١ (١٨٦) بالنشأ ٢٣٩ - ٢٤٠.

ابن عبد البر

١ - هو أبو عمر يوسف بن عبد البر بن محمد بن عبد البر بن عاصم النبري القرطبي، وُلِدَ في قرطبة، في ٢٤ ربيع الآخر من سنة ٣٦٨ (٩٧٨/١١/٢٩). وفي قرطبة رَوَى ابن عبد البر الحديث عن نَفَرٍ من مشاهير العلماء منهم أبو عمر الباجي وأبو عمر الطلمنكي وأبو الوليد بن الفرّضي (ت ٤٠٣ هـ) وقد لَزِمَ ابن الفرّضي وأخذ عنه كثيراً من علم الحديث وعلم الأدب. وسكَنَ ابن عبد البر اشبيلية وتفقّه فيها على الفقيه أبي عمر أحمد بن عبد الملك بن

هانس الاشبيلي. ولم تُعرف أشبيلية قَدَر ابن عبد البر، كما لم تُعرفه قرطبة من قبل، فانتقل إلى غربي الأندلس فولاه المظفر بن الانطس صاحب بطليوس (١٣٧ - ٤٦٠ هـ) القضاء في الإشبونة ثم في شنتين. ثم إنه تحول إلى شرقي الأندلس وسكن دانية وانتقل بينها وبين بَلَنَسِيَّة وشاطبة. وكان مرة في زيارة لشاطبة فأدركته فيها الوفاة، في آخر ربيع الآخر من سنة ٤٦٣ (١٠٧١/٢/٣ م).

٢- كان أبو عمر يوسف بن عبد البر أحفظ أهل الأندلس للحديث، كما كان فقيهاً على المذهب الظاهري ثم انتقل عنه إلى مذهب مالك. وكذلك كان عالماً بالسير والأنساب. وكان أيضاً شاعراً كثير الأنفة في شعره، ولكن شعره ينوء برصانة العلماء.

وإن عبد البر مؤلف خصب له من الكتب: الاستيعاب في معرفة الصحاب (جمع فيه أسماء أصحاب رسول الله) - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (رتبه على أسماء شيوخ الإمام مالك وعلى حروف المجمع) - الاستذكار في شرح مذاهب علماء الامصار (في ما تضمن الموطأ من معاني الرأي والآثار، شرح فيه ابن عبد البر الموطأ على وجهه ونسب أبوابه) - الدرر في اختصار المغازي والسير - الإنباه في ذكر أصول القبائل والرواة عن رسول الله - القصد الأمم في التعريف بأصول العرب والمجم - التقصي في الحديث النبوي - جامع بيان العلم وفضله وما ينهني في روايته وحله - الكافي في الفقه - الإنصاف في ما بين العلماء من الخلاف - العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم - بهجة المجالس وأنس المجالس مما يجري في المذاكرات من غرر الابيات ونوادر الحكايات (من الأمثال والأشعار والحكايات المتعلقة بكارم الأخلاق والحلم والصدقة والعداوة والوعظ الخ).

٣- مختارات من آثاره

- توجه ابن عبد البر من دانية قاصداً المعتضد بن عباد في أشبيلية وقال له:
قصدت إليك من شرقي لغرب لتبصير مُقلتي ما حلّ سمني^(١).

(١) مقلتي (فاعل للعمل - تبصره)، ما (اسم موصول، مفعول به).

وَتَنْطِفُكَ الْمَكَارِمُ نَحْوَ أَضْلَى
فَإِنْ جُدُّهُ بِهِ مِنْ بَعْدِ عَفْوٍ
- وَقَالَ يَفْتَخِرُ بِعِلْمِهِ:

إِذَا فَاخَرْتُ فَاخَرْتُ بِالْعِلْمِ
فَكَمْ أَمِيتُ مُطَرِّحاً بَجْهَلِي،
وَكَمْ أَقْبَلْتُ مُتَّيِّداً مُهَاباً
وَرَكِبَ سَارٍ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ
- وَقَالَ فِي الشُّكْوَى مِنَ النَّاسِ:

تَنْكُرُ مَنْ كُنَّا نُسْرُ بِقَرَبِهِ
وَحَقُّ لَجَارٍ لَمْ يَوَافِقْهُ جَارُهُ
بُلَيْتُ بِمَحْصَرٍ، وَالْمَقَامُ بِلَدَةٍ
إِذَا هَانَ حَرٌّ عِنْدَ قَوْمٍ أَتَاهُمْ،
وَلَمْ تُضْرَبِ الْأَمْثَالُ إِلَّا بِعَالَمٍ

- وَمِنْ مَقْدِمَةِ كِتَابِ «الاسْتِذْكَارِ»:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي - رَحِمَكَ اللَّهُ - عَنْ مَعْنَى الْعِلْمِ وَفَضْلِ طَلَبِهِ وَحَمْدِ السَّيِّ

- (١) مدح: مستغرب.
(٢) العلم الرمي الذي تَفَتَّتْ مِنْ الْقَدَمِ (يقصد: لا تفتخر بسك بل بملكك).
(٣) مُتَّيِّداً: على مهل. مهاباً (يقصد: مهيباً): ذا هيبة = إحلال واحترام مع شيء من الخوف. مَنْ مَلَكَ عَظِيمٍ: كَمَنْ مَلَكَ عَظِيمٍ قَامَ لِحَوِيٍّ يَسْتَقْبِلُنِي احْتِرَاماً لِي.
(٤) الركب: الجماعة يركبون الخيل (أو الإبل) ويسهرون أو يسهرون معاً. العرف: الرائحة الطيبة.
(٥) الرعاف: السم الشديد. السلسل: أفاء العذب.
(٦) بُلِيَ بِالْبَيَاءِ لِلْمَجْهُولِ: جرب، امتحن. حص: اشبيلية. أَخْلَقَ الثَّوْبَ: صَبَّرَهُ بِأَلَا. الْبِلَا (كَذَا بِالْأَصْلِ) الْبِلَاءُ، وَلَكِنْ الْمَقْصُودُ: الْبَلَى (يَكْسِرُ اللَّامَ): الرِّثَاءُ وَذَهَابُ الْحَيَاةِ.
(٧) وَنِي بَنِي. تَعَبَ: لَهَا. لَمْ يَبَأْ: لَمْ يَسْتَعِدْ. أَعْمَى: الْمَقْصُودُ أَشَدُّ عَمَى: إِذَا انْقَضَى جَاءَ رَجُلٌ حَرٌّ إِلَى قَوْمٍ فَهَانَ عَنْدهمْ ثُمَّ لَمْ يَرْتَحِلْ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ أَعْمَى جَاهِلٌ.

فيه والعناية به ، وعن تثبيت الحجاج ^(١) بالعلم وتبيين فساد القول في دين الله بغير فهم
وعزيم الحكم بغير حجة ، وما الذي أجزى من الاحتجاج والجدل وما الذي كره منه ،
وما الذي دُم من الرأي ^(٢) وما حيد منه ، وما يجوز من التقليد ^(٣) وما حرم منه .
ورغبت أن أقدم لك قبل هذا الباب من آداب التعلم ما يلزم العالم والمتعلم
التخلق به والمواظبة عليه ، وكيف وجه الطلب وما حيد ومُدح فيه من الاجتهاد
والنصب ^(٤) إلى سائر انواع آداب التعلم والتعليم وفضل ذلك وتلخيصه
باباً باباً مما روي عن سلف هذه الأمة - رضي الله عنهم أجمعين - لتتبع هديهم ^(٥)
وتسلك سبيلهم وتعرف ما اعتدوا عليه من ذلك مجتمعين أو مختلفين في المعنى منه .
فأجبتك إلى ما رغبت وسارعتُ فيما طلبت رجاء عظيم الثواب وطمعا في الزلنى يوم
المآب ^(٦) ، ولما أخذ الله عز وجل على المسؤول العالم بما سُئل عنه ^(٧) من بيان ما
طلب منه وترك الكتمان لما علمه . قال الله عز وجل : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ » . وقال ﷺ : « مَنْ سُئِلَ عِلْمًا فَلْيُفَسِّحْهُ
جاء يوم القيامة ملجأ يلجأ من نار »

- ومن مقدمة كتاب « الانتقاء » :

.... أما بعد ، فإن طائفة ممن عني بطلب العلم وحله ، وعلم - بما علمه الله
- عظيم بركته وفضله سألوني ، مجتمعين ومتفرقين ، أن أذكر لهم من أخبار الأئمة
الثلاثة الذين طار ذكرهم في آفاق الإسلام لما انتشر عنهم من علم الحلال والحرام ،
وهم : ابو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي المدني وابو عبد الله محمد بن إدريس

(١) الحجاج : نصر القول بالحجة (والجدل) .

(٢) الرأي : الحكم في قضايا الفقه حكماً شخصياً .

(٣) التقليد : أن يتبع إنسان إنساناً آخر في آرائه .

(٤) النصب : التعصب ، بذل جهد كبير .

(٥) الهدى (بالفتح) هو الهدى (بالضم) .

(٦) يوم المآب (الرجوع) : يوم القيامة .

(٧) إن الله تعالى إذا أتم على إنسان يعلم أوجب عليه أن ينفع الناس بذلك العلم .

الشافعي المكيّ وأبو حنيفة النعمان عن ثابت الكوفي، عيوناً وقرأاً^(١) يستدلون بها على مَوْضِعِهِم من الإمامة في الديانة، و (أن) يكون ذلك مختصراً لَيْسَهُلَّ حِفْظُهُ ومعرفته والوقوفُ عليه والذاكرة به من ثناء العلماء بعدهم عليهم وتفضيلهم لهم وإقرارهم بإمامتهم. وقد أكثر الناس في ذلك بما يُرَغَّبُ عن كثير منه^(٢). فاقترنت بما ذكره على عيونهم دون حشوه وعلى سمعهم دون غثه^(٣). وسأذكر في كتابي هذا من ذلك - إن شاء الله - ما يكفي ويشفي مع الاختصار وطرح التكرار والاختصار على ما يجملُ به التذكار ...

٤ - الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الاقطار فيما تضمنته الموطأ من معاني الرأي والآثار (تحقيق علي التجدي ناصف)، القاهرة (الجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٧٠ م).

- الاستيعاب في معرفة الاصحاب، حيدر اباد ١٣١٨ - ١٣١٩ هـ، ١٣٢٦ هـ (على هامش الإصابة لابن حجر)، القاهرة ١٣٢٣ - ١٣٢٧ هـ؛ حيدر اباد (دائرة المعارف) ١٣٣٦ هـ؛ (تحقيق علي محمد الجاوي)، القاهرة (مكتبة نهضة مصر ومطبعتها) بلا تاريخ.

- الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء: مالك والثوري وأبي حنيفة، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ هـ.

- الإنباه على الرواة (مطبوع مع «القصد والأتم»، التجف (المطبعة الحيدرية) ١٩٦٦ م.
- بهجة المجالس وأنس المجالس (مطبوع مع «الأدب الكبير» لابن المقفع بعنوان: (جواهر الحكماء) القاهرة ١٩٠٧ م. (تحقيق محمد مرسي الخولي) القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) بلا تاريخ.

- مختصر بهجة المجالس، الجزائر ١٨٦٩ م.

- تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والآسانيد أو النقصي لحديث الموطأ وشيوخ الامام مالك ...، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ هـ نشره محمد التائب السبيدي، الرباط ؟ (نشرته وزارة الاوقاف المغربية) ١٣٩٢ هـ (٤).

(١) العين: الرجل الوجهي و فومه، والنيء العيس. آلفرة (يكسر فسكون): الجملة القصيرة التي تنطش بكنة (معنى مسكراً أو لفنة بارعة).

(٢) وقد أكثر الناس ... كثير منه (كتب المؤلفون أشياء كثيرة عن هؤلاء الأئمة ومعظمه لا حاجة اليه) (برع عنه).

(٣) عيون النبي: العيس البارع منه. الحشو (ما يستغنى عنه). السمين من الكلام: الرصين (ما فيه معنى جامع) التت: الحيف أو الرديء أو الفاسد.

- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله (نشره أحمد عمر المصافي)، القاهرة (مطبعة الموسوعات) ١٣٢٠ هـ: المدينة المنورة (المكتبة العلمية) بلا تاريخ؛ (نشره عبد الرزاق مليح آبادي)، الهند؟ (كتاستان) ١٩٦٢ م.
- الدرر في اختصار المغازي والسير (تحقيق شوقي ضيف)، القاهرة (الجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) ١٩٦٦ م.
- القصد والأتم في التعريف بأصول العرب والعجم، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ هـ: النجف (المكتبة الحيدرية) ١٩٦٦ م.

*** المطمح ٦١ - ١٦٢: الصلة ٦٤٠ - ٦٤٢ (رقم ١٥٠١)؛ حنوة القنيس ٣٤٤ - ٣٤٦ (الدار المصرية) ٣٦٧ - ٣٦٩ (رقم ٨٧٤)؛ بغية الملتبس ٤٧٤ - ٤٧٦ (رقم ١٤٤٢)؛ مطمح الأنفس ١٦١ الخريدة (الاندلس) ٤٧٨ - ٤٧٩؛ المغرب ٤٠٧ - ٤٠٨؛ وفيات الأعيان ٧: ٦٦ - ١٧٢؛ الديباج المذهب ١٣٥٧؛ شفرات الذهب ٣: ٣١٤ - ١٣١٦؛ نفع الطيب ٣: ٢٣٥ - ٤: ٢٨ - ٣٠: ٣٦ (راجع الفهرس أيضاً)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٤؛ نيكل ٢٠٨ - ٢٠٩، مختارات ١٤٦ - ١٤٧؛ بروكلمن ١: ٤٥٣ - ٤٥٤؛ الملحق ٦٢٨ - ٦٢٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣١٦ - ٣١٧ (٢٤٠: ٨).

ابن زيدون

١ - هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي، أصله أهل من بني مخزوم من قُرَيْش. نَقَعَ حَيَاتُهُ فِي ثَلَاثَةِ أَدْوَارٍ: مِنْ وَلَادَتِهِ إِلَى انْتِصَالِهِ بِبَلَّاطِ بَنِي جَهْوَرٍ - حَيَاتِهِ فِي بَلَّاطِ بَنِي جَهْوَرٍ (٤٢٢ - ٤٤٢ هـ) - حَيَاتِهِ فِي بَلَّاطِ بَنِي عَبَّادٍ.

(أ) وَلَدَ ابْنُ زَيْدُونٍ فِي رُصَافَةِ قُرْطَبَةِ ، فِي بَيْتٍ عِلْمٍ وَجَاءَ وَغَنَى، سَنَةَ ٣٩٤ هـ (١٠٠٣ - ١٠٠٤ م)، فَبَدَأَ تَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ فَقِيهًا مَشْهُورًا مَعْرُوفًا بِالنَّبَاهَةِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ. وَلَمَّا تَوَفَّى أَبُوهُ (فِي الْبَيْرَةِ، سَنَةَ ٤٠٥ هـ) كَفَّلَهُ جَدُّهُ لِأُمِّهِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ عَمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدِ الْقَيْسِيِّ (٣٥٥ - ٤٣٢ هـ) فَأَخَذَ عَنْ جَدِّهِ هَذَا أَيْضًا شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ. وَقَدْ كَانَ مِنْ شُيُوخِهِ (أَسَاتِذَتِهِ): الْفَقِيهُ الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذَكْوَانَ (٣٤٣ - ٤١٣ هـ) وَأَبُو بَكْرٍ مُسْلِمُ بْنُ أَحْمَدَ

القرطبي النحوي (ت ٤٣٢ هـ). ولكن يبدو أن عبقريه ابن زيدون قد صُفِّتْ بديراته الخاصة وبالاختبار في الحياة. وقد ظهر ذلك واضحاً في مرثيته لشبхе ابن ذكوان - وهو بعد في العشرين من عمره.

(ب) لما اضطرب أمر بني أمية في قرطبة - قبل سقوط الخلافة نهائياً - وفر جشام الثالث عنها، سنة ٤٢٢ هـ، كان أبو الحزم جهّز بن محمد بن جمهور وزيراً له. خاف أهل قرطبة من عواقب الاضطراب والفوضى ووجدوا في أبي الحزم بن جمهور حاكماً قديراً فولّوه أمر المدينة. وقد أنشأ أبو الحزم في قرطبة دويلة من دويلات الطوائف.

واتصل ابن زيدون بالدولة الناشئة باكراً ووَزَرَ لأبي الحزم جمهور (وزارة استشارية لا وزارة عمل). وقد كان أبو الحزم وابن زيدون صديقين من قبل ثم كانت لابن زيدون، من أول أمره، آمالٌ سياسية سَنَحَتْ الآنَ فرصة الوصول إلى شيء منها. بذلك قدّقت ریح السياسة بين زيدون في تيار الحياة العامة بما فيها من خصومة ومكائد. وفي هذا التيار التقي شراع ابن زيدون - في الحياة - بشراع ولادة ابنة المستكفي.

وأعظم الأحداث أثراً في حياة ابن زيدون وفي أدبه كان اتصّاله بولادة. كانت ولادة ابنة للخليفة المستكفي من أمية له مُستَغْرِبَةٍ من أهل مَوْزُورَ اسمها سَكْرَى. كان الخليفة المستكفي نفسه رجلاً جاهلاً ضعيف الإرادة والرأي مُنْغَمساً في اللهو مُستَهْتِراً به. وكانت سكرى امرأة خبيثة شريفة. أما ولادة فكانت فتاة جميلة بيضاء شقراء ماثلة إلى الصُهبَة (الحُمْرة)، كما كانت ذكية متأدبة بالفنون والآداب قوية الشخصية، ولكن جالها وذكاءها كانا يَطْفَيَانِ على ثقافتها وأدبها. ويروى لولادة شيء من الشعر يَنْلَسِبُ عليه الفحش والاستهتار. ولما قُبِلَ المستكفي (٤١٦ هـ = ١٠٢٥ م) انْفَلَتَتْ ولادة من القيود الاخلاقية والاجتماعية وَجَعَلَتْ دارها مُتَدَيّاً لرجال الأدب وانصرفت إلى كثير من أسباب اللّهُو.

في هذه الفترة اتصّلت ولادة بابن زيدون - ويبدو أنها كانت لدة له أو نصفه - قليلاً - أغراها به أدبه وشبابه. ولقد نَمَّ الحبيبَانِ بأهَامٍ وليالي مشهورة عند الناس.

كان من المنتظر أن يقع ابن زيدون في حب ولادة. وكذلك كان من المنتظر أن تستجيب ولادة لدعوة الحب التي تمثلت في شباب ابن زيدون وفي جاهد الاجتماعي ومكانته الأدبية. ولعل ولادة كانت ذات آمالي سياسية - كإبن زيدون نفسه - فاقها ذلك إلى أن توثق حيلتها به، وخصوصاً بعد أن أصبح ابن زيدون أثراً في بلاط بني جهور. هذا على رأي من يعتقد أن صيلة ولادة بإبن زيدون قد نشأت قبل قيام الدولة الجهورية.

غير أن هذا الحب الذي بدأ باكراً ثم اشتعل بأشد ما يكون من السرعة وبأشد ما يكون من العنف لم يعيش في صفاته ووفائه سوى بضعة أشهر ثم أخذ يفتقر بمثل السرعة التي كان قد نشأ بها. إن قلب ولادة تغير قبل قلب ابن زيدون. ومرد ذلك إلى عدد من الأسباب فيما قيل. ولكن أقرب تلك الأسباب إلى التصديق الظاهر على الأقل أن ابن زيدون تعلق بجارية سوداء بارعة في الغناء كانت لولادة، قيل ليثير غير ولادة فتعود إليه. وقد عاتبت ولادة في ذلك ابن زيدون، كما أن ابن زيدون قد أقر على نفسه بأن مثله إلى الجارية السوداء كان ذنباً له، ولكنه ذنب أجبرته ولادة نفسها على ارتكابه. وبعد، فنحن لا نعلم اليوم مبلغ هذا الحب: أكان حباً صريحاً للجارية السوداء نفسها أو حباً عذرياً لوقع غنائها في قلبه.

وحاول ابن زيدون أن يسترد عطف ولادة ببراعته الشعرية، ولكن ولادة لم تأبه به. ولا ريب في أن حب ابن زيدون لولادة - برغم ما يقال فيه - قد أوحى إلى ابن زيدون أجل قصائده. ولقد أخطأ ابن زيدون في الطريق التي أراد أن يسلك بها إلى قلب ولادة، كما ضل عترة الطريق إلى قلب عبلة لما ظن أن الفخر بنفسه وبقوة طعنه وضربه في ميادين القتال يقره من قلب الفتاة اللعوب. إن ابن زيدون وعترة لم يبرزوا براعة امرئ القيس وبراعة عمر بن أبي ربيعة في خطاب المحبوبة!

وأرادت ولادة أن تغيظ ابن زيدون وتجازيه غيظاً بغيظ فألقت شباك هواها على رجل قليل الذكاء واسع الثراء قليل العلم عظيم الجاه هو الوزير أبو عامر بن عبدوس - وكانت في حاجة إلى رجل من مثله تفرس عليه إرادتها ويطيعها في كل شيء - ثم قطعت صلتها بإبن زيدون مرة واحدة. غير أن تعلق ابن زيدون بولادة

ظَلَّ شَدِيداً، كَمَا أَنَّ شِعْرَهُ ظَلَّ بَفِيضٍ بِذِكْرِهَا. أَمَّا هِيَ فَأَخَذَتْ فِي هِجَائِهِ هِجَاءً فَاحِشاً
 مَرّاً (راجع عدداً من أبيات هجائها في نفع الطيب ٤ : ٢٠٥ - ٢٠٦).
 ثُمَّ أَطْلَتْ عَنَّةَ ابْنِ زَيْدُونَ.

كَثُرَ حُسَادُ ابْنِ زَيْدُونَ وَخُصُومُهُ فِي بَلَاطِ بَنِي جَهَّورٍ وَفِي خَارِجِ بَلَاطِ بَنِي جَهَّورٍ.
 وَكَانَ أَشَدَّ هَوْلًا عِدَاوَةً لَهُ وَأَعْظَمَهُمْ أَثَرًا الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ بْنُ عَبْدِ دُوسٍ. فَكَتَبَ ابْنُ
 زَيْدُونَ رِسَالَتَهُ الْجَدِيدَةَ وَحَاوَلَ فِيهَا أَنْ يَحْطُ مِنْ مَقَامِ ابْنِ عَبْدِ دُوسٍ فِي عِيُونِ وَلَادَةٍ.
 وَمَعَ أَنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ رَاجَتْ بَيْنَ الْأَدْبَاءِ الَّذِينَ أَخَذُوا بِتَمَكُّهِمْ بِمَا سَرَدَهُ ابْنُ زَيْدُونَ
 فِيهَا مِنْ مَعَايِبِ ابْنِ عَبْدِ دُوسٍ، فَإِنَّ وَلَادَةَ نَفْسِهَا لَمْ تَتَأَثَّرْ بِهَذَا الْأُسْلُوبِ الْجَدِيدِ: فَلَا هِيَ
 رَقَتْ لِلْمُحِبِّ الْقَدِيمِ وَلَا هِيَ تَفَرَّتْ مِنَ الْمَحَبَّةِ الْجَدِيدِ. وَغِيظَ ابْنُ عَبْدِ دُوسٍ فَجَعَلَ
 يُلْصِقُ بِابْنِ زَيْدُونَ تَهْمًا مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ مِيَالًا إِلَى رَدِّ الْحُكْمِ إِلَى بَنِي أُمِيَّةٍ - تَهْمَةٌ كَانَتْ
 شَائِعَةً يَوْمَئِذٍ - فَأَمَرَ أَبُو الْحَزَمِ جَهَّورٌ بِجَبْسِ ابْنِ زَيْدُونَ (فِي ١٤ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ
 ٤٣٣ هـ).

جَعَلَ ابْنُ زَيْدُونَ يُوَالِي الْقَصَائِدَ إِلَى أَبِي الْحَزَمِ وَإِلَى نَفَرٍ آخَرِينَ لِيَشْفَعُوا لَهُ عِنْدَ
 أَبِي الْحَزَمِ: كَتَبَ إِلَى أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْحَزَمِ وَإِلَى الشَّاعِرِ ابْنِ بَرْدٍ وَإِلَى شَيْخِهِ
 الْقَدِيمِ أَبِي بَكْرٍ مُسْلِمَ بْنِ أَحْمَدَ الْقُرْطُبِيِّ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَغْطِفَ قَلْبَ أَبِي الْحَزَمِ
 عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ. وَاقْتَرَحُوا عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ أَنْ يَهْرُبَ مِنْ سَجْنِهِ، فَلَمْ يَقْبَلْ فِي أَوَّلِ
 الْأَمْرِ، وَلَكِنَّهُ عَادَ فَقَبِلَ وَاسْتَطَاعَ الْمَهْرَبَ (بِمُسَاعَدَةِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْحَزَمِ).

وَطَافَ ابْنُ زَيْدُونَ فِي قُرْطُبَةٍ مُتَخَفِيًا لِعَلَّهُ يَلْقَى وَلَادَةَ فَلَمْ يَلْقُهَا، فَكَتَبَ إِلَيْهَا
 بِقَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ «أَضْحَى التَّنَائِي بِدِيلًا مِنْ تَدَانِيَا» فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ. ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهَا
 بِالْقَصِيدَةِ «إِنِّي ذَكَرْتُكَ فِي الزَّهْرَاءِ مُسْتَنَاقًا» فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ أَيْضًا. وَأَخِيرًا بَعَثَ
 بِقَصِيدَتِهِ الطَّائِيَةِ «شَحَطْنَا وَمَا لِلدَّارِ نَائِي وَلَا شَحَطَ» إِلَى شَيْخِهِ الْقَدِيمِ أَبِي بَكْرٍ مُسْلِمٍ
 ابْنِ أَحْمَدَ يَشْكُو حَالَهُ وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إِلَى أَبِي الْحَزَمِ. فَتَجَبَّحَتِ الشَّفَاعَةُ فَاسْتَعَادَ ابْنُ زَيْدُونَ
 رِضَا أَبِي الْحَزَمِ وَاسْتَقَرَّ فِي قُرْطُبَةٍ.

وَفِي سَنَةِ ٤٣٥ هـ تَوَفَّى أَبُو الْحَزَمِ بْنُ جَهَّورٍ وَخَلَفَهُ ابْنُهُ أَبُو الْوَلِيدِ فِي حُكْمِ قُرْطُبَةٍ
 فَقَرَّبَ ابْنُ زَيْدُونَ. وَيَبْدُو أَنَّ ابْنَ زَيْدُونَ لَمْ يَنْسَ حَبَّ وَلَادَةٍ فَأَرَادَ أَبُو الْوَلِيدِ أَنْ

يُنْسِيَهُ ذَلِكَ الْحَبَّ فَجَعَلَهُ سَفِيرًا لَهُ عِنْدَ مُلُوكِ الطَّوَاتِفِ فَأَرْسَلَهُ إِلَى إِدْرِيسِ الْعَالِي بِاللهِ صَاحِبِ مَالِقَةَ (٤٣٤ - ٤٣٨ هـ)، فَطَالَ مُكُثُ ابْنِ زَيْدُونَ فِي مَالِقَةَ حَتَّى عَتَبَ عَلَيْهِ أَبُو الْوَلِيدِ بَنَ جَهْور. وَأَرْسَلَهُ أَيْضًا إِلَى بَطْلَيْوَسَ إِلَى الْمُظَفَّرِ أَبِي بَكْرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (٤٣٧ - ٤٦٠ هـ) وَإِلَى بَلَنْسِيَّةَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ (٤١٢ - ٤٥٣ هـ)، فَمَا أَطْن.

(ج) ثُمَّ عَادَ قَلْبُ أَبِي الْوَلِيدِ بَنَ جَهْورَ فَتَغَيَّرَ عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ لِأَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ زَيْدُونَ قَامُوا فِي قَرْطَبَةَ بِمَحَاوَلَةٍ لِإِعَادَةِ دَعْوَةِ الْأُمَوِيِّينَ إِلَى قَرْطَبَةَ، سَنَةَ ٤٤٠ هـ. خَافَ ابْنُ زَيْدُونَ مَخْبَةَ الرَّجُوعِ إِلَى قَرْطَبَةَ فَذَهَبَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ وَلَحِقَ بِالْمُعْتَصِدِ عِبَادٍ (٤٣٤ - ٤٦١ هـ) فَنَالَ عِنْدَهُ حُظُوءَ كَبِيرَةً وَأَصْبَحَ وَزِيرًا وَتَدْبِيرًا وَشَاعِرًا لِلْمُعْتَصِدِ ثُمَّ لِابْنِهِ الْمُعْتَمِدِ مِنْ بَعْدِهِ.

وَلَمَّا حَدَثَتْ فِتْنَةُ الْهَامَةِ فِي قَرْطَبَةَ (بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ) أَرْسَلَ الْمُعْتَمِدُ نَفَرًا مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ لِتَهْدِئَةِ الْخَوَاطِرِ وَجَعَلَ فِيهِمْ ابْنَ زَيْدُونَ. وَكَانَ ابْنُ زَيْدُونَ مَرِيضًا فَاسْتَعْفَى الْمُعْتَمِدَ فَلَمْ يُعْفِهِ - قَبِيلَ لِأَنَّ قَلْبَ الْمُعْتَمِدِ كَانَ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ، وَقِيلَ إِنَّ ابْنَ مَرْتِينَ وَابْنَ عَمَّارٍ أَوْغَرَا صَدْرَ الْمُعْتَمِدِ عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ فَعَمِلَ الْمُعْتَمِدُ ذَلِكَ - اشْتَدَّ الْمَرَضُ عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ مِنْ أَثَرِ تِلْكَ الرِّحْلَةِ ثُمَّ تَوَفَّى، فِي إِشْبِيلِيَّةَ، فِي نِصْفِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٤٦٣ هـ (١٨ / ٤ / ١٠٧٠ م). وَنُقِلَ جَسَدُهُ إِلَى قَرْطَبَةَ وَدُفِنَ فِيهَا.

٢ - ابْنُ زَيْدُونَ أَدِيبٌ بَارِعٌ، فَهُوَ شَاعِرٌ مُجِيدٌ مُخَسَّنٌ وَنَائِرٌ مُقْتَدِرٌ حَسَنُ التَّصَرُّفِ فِي النَّثْرِ الْمُرْسَلِ وَالنَّثْرِ الْأَتَقِ الْمَسْجُوعِ. وَابْنُ زَيْدُونَ فِي شِعْرِهِ ثُمَّ فِي نَثْرِهِ خَاصَّةً كَثِيرُ الْإِقْتِبَاسِ وَالتَّضَمُّينِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَمِنِ الْأَمْثَالِ وَالْأَشْعَارِ، وَلَهُ إِشَارَاتٌ وَاضِحَةٌ إِلَى نِتَاجِ الشُّعْرَاءِ وَالنَّائِرِينَ مُنْذُ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى مُعَاصِرِهِ مِنَ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ. وَأَثَرُ الْبُحْتَرِيِّ وَاضِحٌ جَدًّا فِي شِعْرِ ابْنِ زَيْدُونَ، كَمَا أَنَّ أَثَرَ الْجَاحِظِ وَاضِحٌ جَدًّا فِي نَثْرِهِ. وَابْنُ زَيْدُونَ دِهَاجَةٌ شِعْرٍ رَائِقَةٌ تُلْقَى عَلَى شِعْرِهِ وَضُوحًا وَحَلَاوَةً وَمُوسِيقَى وَتُظْهَرُ فِيهَا الْبِرَاعَةُ فِي الصَّنَاعَةِ حَتَّى سَمَّاهُ النِّقَادُ «بُحْتَرِي الْمَقْرَب». وَهُوَ أَفْضَلُ شِعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ حَافَظُوا عَلَى عَمُودِ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ، وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ نَظَّمَ

مُوشَعَاتٍ مَعَ أَنْ عَصَرَهُ كَانَ قَدِ امْتَلَأَ بِالْوَشَاحِينَ.

وفنونُ ابنِ زيدونٍ في شعرهِ الفَرْزُ والنسيبُ (أوسعُ فنونِ شعرهِ وأجملُها وأصدقُها تعبيراً عن نفسه وألصقُها بأحداثِ حياته) ثم المديحُ ولم تكنْ غايتهُ التَّكسُّبُ، لاستغناء ابنِ زيدونٍ عن الكَدْحِ في سبيلِ المعاشِ، ولكنَّهُ كان يتقَرَّبُ بمديحه من رجالِ الدولة وذويِ الوجاهةِ وخصوصاً لما نَزَلَتْ بهِ بِخُنْثُهُ ثم أراد أن يدفَعَهَا عن نفسه باستشفاعِ هؤلاء إلى الذين كانوا السببَ في تلكِ المِحْنة. وله أيضاً أشياعٌ في وصفِ الطبيعةِ وشيءٌ من الرثاءِ العاديِّ.

وابنُ زيدونٍ كاتبٌ مترسِّلٌ في أسلوبِ جَزَلٍ متينٍ ولكنَّهُ يَنُتَاجُ قُدْرَةً لَا قَيْضُ وَجْدَانٍ. وهو يميلُ إلى الصِّناعةِ ويتكَيءُ على السجعِ والموازنةِ بينَ الجملِ مَعَ شيءٍ من التَّرديدِ. غيرَ أن السجعَ في رسالتهِ المهرليةِ أَكْثَرُ منه في الرسالةِ الجدِّيةِ. وفي الرسالتينِ كثيرٌ من الإشاراتِ التاريخيةِ من أسماءِ الرجالِ وأحداثِ الزمانِ ومن التلاعبِ بأقوالِ الشعراءِ والنَّاثرينِ - يُوردُ هذه الأقوالَ أحياناً إيراداً أميناً أو يَنُتَرُهَا أحياناً ثم يَسْلُكُهَا في خِلالِ جُمْلَةٍ - من أجلِ ذلك تَفُضُّ غايتهُ في كثيرٍ من الأحيانِ حَتَّى على الْمُتَقَفِّ الذي لم يُحِطْ بِأصولِ الأدبِ إِحاطَةً وافيةً. وربَّما أَلْحَقَ برسائله القصارِ مقاطعَ من الشعرِ نَطُولُ أو تَقْصُرُ. وله أيضاً كتابُ التبيينِ في خلفهِ بني أُمَيَّةَ في الأندلسِ (نفع الطيب ٣: ١٨٢) وقيل إن هذا الكتابَ لابنُ أبي بكرٍ (راجع نفع الطيب ١: ٣٣٢ في الحاشية).

٣ - مختارات من آثاره

- لما هرب ابن زيدون من سجنه كتب إلى ولادة بهذه القصيدة، وهي أشهر ما يحفظه الناس له. من هذه القصيدة:

أُضْحِي التَّنَائِي بِدَيْلًا مِنْ تَدَانِيَا، وَنَابَ عَنْ طَيْبِ لُقْيَانَا نَجَافِيَا.
مَنْ مَبْلُغُ الْمُبْلِيَا بِأَنْتَرَا حَيْمُ حُرْنَا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَنْتَلِي وَيُلِينَا^(١).

(١) المبلينا: الذين أبلسوا (أطعموا) حجتنا وحيرونا) لأننا لا نستطيع أن نسوغ (أن نجد مبرراً) لانتزاعهم (لابتعادهم عنا وهجرنا). يلى: يقنى (ينتهي).

أَنْ الزمانَ الذي ما زال يُضحِكنا
 غيظَ العدى من نفاقنا الهوى فدَعَوْا
 وقد نكونَ وما يُخشى نَفَرُنا
 لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم
 ما حَقُّنا أَنْ تُقَرُّوا عَيْنَ ذي حد
 بِنْتُمْ وبنًا فما أبنتُ جِوانِحُنَا
 نكلًا، حين تُناجيك ضائرتنا،
 حالتَ لِفَقْدِكُمْ أيا مَنّا ففدّت
 إذ جانبُ العيش طلقَ مِن تالِنا
 وإذ حَصَرنا فنونَ الوصلِ دانيةً
 يُسَقِّ عَهْدُكم عهدَ السرور، فما
 لا تُحسِّبوا نايكم عَنّا يُغَيِّرنا
 والله، ما طلبتُ أهواؤنا بَدَلًا
 يا ساريَ البرق، غادرَ القصرَ وأَسَى به
 وما نسيَمَ الصُّبا، بلغَ حَبَّتِنا
 يا روضةً طالما أوجتَ لواجِظنا
 وما حياةً غلينا بزهرتها

أنا بقريرهم قد عاد يُبكينا.
 بأن نَقص، فقال الدهرُ: آمينا!
 فاليوم نحن وما يُرجى تلاقينا.
 رأيا، ولم نتقلدْ غيرَه دينا^(١).
 بنا، ولا أن تُبروا كاشعاً فينا^(٢).
 شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا^(٣).
 يقضي علينا الأسى لولا تأسينا^(٤).
 سوداً، وكانت بكم ييضاً ليلينا^(٥).
 ومورّد اللهو صافٍ من تصافينا.
 قُطوفها، فجئتينا منه ما شينا^(٦).
 كنتم لأرواحنا إلا رباحينا.
 إن طال، ما غيرَ النَّأي المَحينا.
 منكم، ولا أنصرفتُ عنكم أمانينا.
 من كان صيرَفَ الهوى والودَّ يَمينا^(٧).
 من لَو على البُعد حَيّا كان يُحينا.
 ووداً - جلاء الصبّا غصّاً - ونسرينا^(٨).
 منى ضروباً ولذاتِ أمانينا^(٩).

(١) المعن: العادة، السلوك.

(٢) الكاشح: المبيض. قرئ من فلان (سكنت): أصبح سروراً.

(٣) ما جفت مآقينا (الطرف عيوننا): لم تنقطع عن البكاء. الجوانح: الأطراف. ما ابتلت جوانحنا: كانت الدموع تنهمر بكثرة على صدورنا، ولكن حر صدورنا (من الحزن على فراقكم كان شديداً إلى درجة كانت تجفف هذه الدموع فوراً).

(٤) حين تناجيك ضائرتنا (حين تفكر بابتعادكم عنا وتتمنى قربكم من جديد). الأسى: الحزن. التأسي: الاقتداء. بغيرنا (لم يقض علينا الحزن لأننا نعرف محبين مثلكم عاملهم المحبوبون مثل المعاملة التي تعاملوننا بها الآن).

(٥) حالت: تغيرت.

(٦) صبر فلان الفصن: شدة إليه ليقطف ثمره.

(٧) غاد (أذهب باكراً).

(٨) أجنى فلان فلاناً ثمرأ (أعطاه، منحه). النسرين: الورد الأبيض. كنا قد تلقا منكم جميع أنواع السرور.

(٩) الضرب (بفتح فسكون): النوع. الاقانيب جمع أقنان جمع قن: غصن (صنف، نوع).

لنا نُسَيِّكُ إِجْلَالاً وَتَكْرِماً
 يَا جَنَّةَ الْخَلْدِ أُنَبِّئُكَ بِسَلْطَنِهَا
 كَأَنَّا لَمْ نَبْتَ وَالْوَصْلُ ثَالِثُهَا
 سِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ يَكْتُمُهَا
 إِنَّا قَرَأْنَا الْأَمْرَ الْبَاطِلَ يُؤْمِرُ
 دُومِي عَلَى الْعَهْدِ، مَا دُمْنَا، مُعَافِظَةً
 فَمَا اسْتَفْضَيْنَا خَلِيلاً مِنْكَ نَهْنِيَا،
 وَلَوْ صَبَا نَحْنُ مِنْ عُلْمٍ مَطْلَعِهِ
 ابْتَلَى وَفَاءً، وَإِنْ لَمْ تَبْذُلْ صِلَةً
 عَلَيْكَ مَنَّا سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيَتْ

وَقَدَّرُكَ الْمُعْتَلِي عَنْ ذَاكَ يُفْنِيَا.
 وَالْكَوْثَرُ الْعَذْبُ زَقُومًا وَغَسَلِينَا^(١)،
 وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَاشْتِنَا^(٢)؛
 حَتَّى يَكَاذَ لَنَا الصُّبْحُ يُفْنِيَا.
 مَكْتُوبَةٌ وَأَخَذْنَا الصِّبْرَ ثَلَاثِينَ^(٣)،
 فَالْهَرُّ مَنْ دَانَ إِنْصَافاً كَمَا دِينَا^(٤)،
 وَلَا اسْتَفْدَيْنَا حَبِيباً عَنْكَ يُثْنِيَا.
 بِدْرِ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ، حَاشَاكَ، يُضْنِيَا^(٥)،
 فَالطِّيفُ يُثْنِيَا وَالذِّكْرُ يَكْفِيَا^(٦)،
 صَبَابَةٌ مِنْكَ نُغْفِيهَا فَتُخْفِيَا^(٧).

- بعد لقاء ابن زبدون بولادة ثم انفصاله عنها في اليوم التالي كتب إليها « هذا

الوداع »:

وَدَّعَ الصِّبْرَ مُجِيبٌ وَدَّعَكَ ذَائِعٌ مِنْ سَرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ؛
 يَفْرَعُ السِّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخَطِيئَةِ إِذْ شِيعَكَ^(٨).

- (١) السلسل: الماء العذب. الكوثر: ماء نهر في الجنة. الزقوم (لعنهم أهل جهنم) والفسلين: الصديد (القيح) الذي يخرج من الجسم عند أول احتراقه (في جهنم).
- (٢) غص: كسر، خفض. ان الواشي البغض لما رأى سرورنا المتبادل انكسرت نفسه ولم يستطع أن ينقل عنا أن أحداً ما لم يكن سروراً صاحبه.
- (٣) الأمس: الحزن. النوى: البعد، الفراق. سوراً (كأنها من القرآن الكريم) - نقرأ باستمرار لأنها فرض علينا). تلقينا: تلقياً (الطول ما صبرنا).
- (٤) دان: قضى، حكم. عاملينا بالحلب كما تعاملنا.
- (٥) صبا: مال (احب). اصبى: استل (وقع في الحب). حاشاك: الاك. لو علمت إلينا امت لأمرنا في البيل إليك.
- (٦) في جميع المصادر التي بين يدي «أبلى» (باختلاف في التنقيط والتحريك). وجميع هذه الوجوه غامضة. فأننا اقترح «أبدي» (فعل أمر من «أبدي»: أظهر) ليكون فيه شيء من التحنن مع «تذلي». فيكون المعنى حينئذ: (تظاهري بشيء من الوفاء، إن لم تستطعي أن تحبني وصلاً وفاقاً لما كنت أعاملك به من الحب من قبل). الطيف: الخيال في النوم. الذكر (هنا) ذكرك لنا.
- (٧) الصبابة (بالصم): البقية (بقيّة من حيك عندي) - ومع ذلك فإن هذه البقية القليلة التي لا نحاول اظهارها للناس نكاد نخفيها عن الناس (تفتلنا).
- (٨) فرغ فلان سته: ندم. شيع فلان فلاناً: رافقه (في اثناء سفره، الخ)

يا اخا البدر سناء وسناً حفظ الله زماناً اطلقك^(١)،
ان يَطلُعَ بِفَدَاكَ ليلي فلكم يستُ اشكو فِصْرَ الليل معك!
- لما فر من سجنه وتوارى في نواحي قرطبة جاء يوماً إلى الزهراء^(٢) ليتذكر
أيامه في تلك المعاهد مع ولادة. ثم كتب إليها:

رَسي ذَكرُكَ بِالزَهرَاءِ مُشْتاقاً
وللنسيمِ أعتَلَّ في أَصْلِهِ
والروضِ عن مائه اليَضيِّ مبتم
يومَ كَأَيَّامِ لَدَاتِ لَنَا أَنْصَرَمَتْ
نلهو بما يَتمَيَّلُ العَينَ مِن زَهَرٍ
لا سَكُنَ اللهُ قَلْباً عَن ذَكرُكُمْ
لو شَاءَ حَمَلِي نَسِمَ الرِّيحِ حينَ هَما
بما عِلْفِي أَلْأَظْطَرُ أَلْأَسَى الحَبِيبَ إلى
كانَ التِجَارِي يَحْضِرُ الوَدَّ مَذْ زَمَنِ
فَالآنَ أَخَذَ (٢) مَا كُنَّا لِعَهْدِكُمْ:

وَالأَفْئُ طَلَّقَ وَوَجْهَ الأَرْضِ قَدِ راقاً^(٣)،
كَأَنَّا رَقَى لِي فَأَعْتَلَّ إِشْفاقاً^(٤)،
كَمَا حَلَلَّتْ عَنِ اللَّيْلِ أَطْواقاً^(٥)،
بِشْنَا لَهَا - حينَ نَامَ الدَّهْرُ - سُرَّاقاً^(٦)،
جَالِ السَّدى فِيهِ حَتَّى مَالِ أَعْناقاً^(٧)،
فَلَمْ يَطِيرْ يَحْتَاحِ التَّوَقُّ عَفْفاً^(٨)،
وَأَقَامَ بِفِي أَضْناءَ مَا لاقى
نَفْسِي إِذَا مَا أَقْنَى الأَحْبابُ أَعْلَاقاً^(٩)،
مِيدَانِ أَنْسَرَّ حَرَّتِنَا فِيهِ أَطْلَاقاً^(١٠)،
سَلَوْتُمْ وَيَقِينَا نَحْنُ عَشاقاً^(١١).

- (١) السناء: البلور، الرقة، السناء، ضوء القمر.
- (٢) الزهراء (راجع، فوق، ص ١٧٨).
- (٣) طلق: هنا) واسع (ليس فيه ضيق أو حزن). راق: صفا وحسن وأصبح يمر النفس.
- (٤) الاعتلال (الأولى): اللطف، الرقة. اعتل (الثانية) مرض.
- (٥) اللية: أعلى الصدر، الطوق، العقد.
- (٦) انصرفت: مضت. بات: قضى الليل. بشنا لها سراقاً: سرع في الغنم اللذات فيها قبل ان تحصى.
- (٧) جال: طاف، تحرك (كثر) السدى: قطرات الماء التي تتكون ليلاً (بعد برودة الجو). مال أعناقاً: مالت أعناقها، انحنت الأزهار على عرونها. حتى نمت الزهر مثلنا (٢).
- (٨) إذا كان قلبي لا يطير (يضطرب كلما جرى ذكركم) فلا جعله الله ساكناً أبداً.
- (٩) العلق: التيه، التيسر (العالي) الثمين. الأخطر: الأعلى خطراً (شرقاً ونجماً). الأسنى: العالي القدر.
- (١٠) كان التجاري (الجرى معاً بعض الود..). أحب بعضنا بعضاً زمناً طويلاً. الطلق (يفتح عسكون): الشوط. جريها أخلاقاً: تمننا بالحب كثيراً.
- (١١) حالي الحاضرة احمد (افضل) شيء لكم انتم: انتم نسيم حيننا (واحبيبتنا آخرين) ونحن لا نزال نحبك (فأصبح لكم حبيباً مكان الحبيب الواحد).

- من رسالته الهزلية التي كتب بها إلى ابن عبدوس يهزأ به - على لسان ولادة - :
 أما بعد، أيها المصاب بعقله المورط بجهله البين سَقَطَهُ الفاحش غَلَطُهُ....
 الساقط سقوط الذباب على الشراب المتهافت تهافت الفراش على الشهاب^(١)، فإن
 العجب أكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب^(٢). وإنك راسلتني مُستهدياً من حيلتي ما
 صَفَرْتُ منه أبدي أمثالك.... مُرِيلاً خيلتك مرتادة.... كاذباً نفسك أنك ستَنزِلُ
 عنها إليّ وتُخَلِّفُ بعدها عليّ^(٣).....

ولا شك إذ لم تَصْنُ بِكَ، ومَلَكْتَ إذ لم تَعْرِ عليك، فإنها أعذرت في السفارة لك
 وما قصرت في النيابة عنك: زاعمة أن المروءة لَفَطَ أنت معناه والإنسانية اسم أنت
 جسمه وهَيولاه^(٤)؛ قاطعة أنك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال.... حتى خيلت
 أن يوسف عليه السلام حاسنك ففَضَضْتَ منه وأن امرأة العزيز رأيتك ففَلَّتْ
 عنه^(٥)، وأن قارون^(٦) أصاب بعض ما كثرت وأن.... كليب بن ربيعة إننا حمى المرعى
 بيمزيتك وجسأنا قتلته بأنفك ومُهْلَلاً إنما طلب ثأره بهمتك^(٧).... و (أن)
 أفلاطون أوردَ على أرسططاليس ما نقل عنك، وبطليموس سوي الاضطراب

(١) المورط بجهله: الذي يورطه (يوثمه) جهله بما لم يحسب له حساباً ثم لا يستطيع الخلاص منه. الورطة (بالفتح): الحفرة العميقة، الوحل... على الشراب (الحلو)... تهافت الفراش على الشهاب (الصوم، النار): اسرع (فاحرق).

(٢) العجب: الكبير والتعجب.

(٣) صفرت: خلت، فرغت (يفتح فكسراً). خيلتك: عشيقتك. مرتادة: طالبة. تريد أن توهمني أنك ستترك عشيقتك لي لأعطيها أنا. تخلف هي أو أنت (٣).

(٤) الهيولى: المادة الأصلية في الوجود (المقصود هنا: مادة الجسد).

(٥) حاسنك: براك، نافسك في الحسن. قض فلان من فلان: قلل من قيمته. امرأة العزيز هي زليخا (امراة فرعون الذي كان يوسف بن يعقوب في إمامه). سلت عنه: سئلت زوجها (اعجاباً بحالها).

(٦) قارون: أخى الناس في إمامه.

(٧) كان كليب بن ربيعة من العزة (القوة) أنه كان عنده جرو كلب يلقيه في أرض فيها عشب. فيعوي ذلك الجرو فلا يجسر أحد أن يمر في مكان من تلك الأرض يسمع فيه صوت ذلك الجرو. جاس بن مرة قتل كليب في حديث طويل. مهلهل أخو كليب طالب بثأر كليب فوفقت حرب اليموس (يفتح الباء) ودامت العداوة فيها بين بكر وتغلب أربعين سنة.

بتدبيرك.... وبُقراطَ علّم العلل والأمراض بلفظ حَكَّ^(١).... وأن صِناعة الأَلحان اختراعك.... وأن عبد الحميد بن يحيى باري أَقلامك، وسهل بن هارون مُدَوِّن كلامك، وعمر بن بحر مُستملِك^(٢)، ومالك بن أنس مُستَنفِيك^(٣).....

ليس على الله بِمُسْتَنْكَرٍ أن يجمع العالمَ في واحد^(٤).
..... وذكرت أنك عِلْقٌ لا يُباع مَن زاد، وطائر لا يُصيده من أراد، وغَرَض لا يُصِيبُهُ إِلَّا من أَجَادَ.....

- من الرسالة الجَدِيَّة التي كتب بها من السجن يستعطف أبا الحزم بن جمهور ويَتَصَلَّ بما نسب إليه:

يا مولاي وسيدي الذي ودادي له واعتدادي به^(٥) وامتدادي منه، أَبْكَاكَ اللهُ ماضِيَّ حَدِّ العزمِ وإِرِي زَنْدَ الأملِ ثابتَ عهدِ النعمة. إن سَلَبْتَنِي - أَعَزَّكَ اللهُ - لِبَاسَ نَعْمَائِكَ وعَطَلْتَنِي من حَلِي إِبْناسِكَ^(٦).... وَغَضَضْتَ عَنِّي طَرْفَ حِمَايَتِكَ بعدَ أن نَظَرَ الأعمى إلى تَأْمِيلِي لك وسِعَ الأصمُّ ثَنَائِي عَلَيْكَ^(٧).... فلا غَرَو، قد يَخْصُ بالماءِ شاربُهُ، ويقتُلُ الدَوَاءُ المُسْتَفِيَّ به، ويؤْتِي الحَذِيرُ من مَأْمِنِهِ وتكون مَنِيَّةُ^(٨) المُتَمَنِّي في أُمْنِيَّتِهِ.....

(١) افلاطون استاذ ارسطوطاليس، وها أكبر فلاسفة اليونان أو أكبر الفلاسفة. بطليموس عالم بالرياضيات والفلك. الاضطراب اداة تشبه الراوية يقاس بها ارتفاع النجوم فوق الافق. بقراط او ابقراط اكبر الاطباء اليونانيين القدماء.

(٢) عبد الحميد بن يحيى وسهل بن هرون وعمر بن بحر (الملاحظ) من كبار الكتاب والمنشئين العرب.

(٣) مالك بن انس فقيه اهل المدينة وقد صرب المثل به في الفتنيا (بالصم) فقبل: اهنيق ومالك في المدينة؟

(٤) في الفلسفة القديمة ان الإنسان هو العالم الاصفر (ان كل ما في العالم موجود بصورة مصغرة في الإنسان: الصورة والمادة والعناصر الأربعة.... الخ).

(٥) اعتدادي به: جملة عدة لي (استعين به في المستقبل على كل شيء).

(٦) الزند: قطعة من الحديد تنجح بها النار من حجر الصوان. وري (يفتح فكس) الزند بري (يفتح فكس): اخراج ناراً من حجر الصوان عند التدح. عطلتني: سلبتني الحل التي ألبسها.

(٧) في هاتين الجملتين تضمين من بيت المتن:

انا الذي نظرت الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم.
(٨) النية: الموت.

كَلَّ الْمَصَائِبُ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى وَتَهْوَنُ غَيْرَ شَائِلَةِ الْحَسَادِ .
وَأَنِّي لَا تَجْلُدُ وَأُرَى الثَّامِتِينَ أَنِّي لِرَبِّ الدَّهْرِ أَتَضَعُّعٌ^(١)، فَأَقُولُ^(٢): هَلْ أَنَا
إِلَّا بَدُّ أَدْمَاها سِوَارُهَا، وَجَبِينُ عَضُّهُ إِكْلِيلُهُ....

هذا العَنْبُ محمودٌ عَوَاقِبُهُ، وهذه النِّبُوَّةُ غَمَرَةٌ تَمْ تَجْلِي، وهذه النُّكْبَةُ سَحَابَةٌ
صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَنْشَقُّ . وَلَنْ يَرِيَنِي مِنْ سَبْدِي أَنْ أَبْطَأَ سَيْبُهُ أَوْ تَأَخَّرَ - غَيْرَ
ضَنِينٍ - غَنَاؤُهُ فَأَبْطَأَ الدِّلَاءُ قَبْضًا أَمْلَأُهَا وَأَتَقَلُّ السَّحَابِ مَشْبًا أَحْقَلُهَا وَمَعَ
الْيَوْمِ غَدٌ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

وَأَعُوذُ فَأَقُولُ: لَيْتَ شِغْرِي، مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسَعَهُ عَفْوُكَ، وَالْجَهْلُ الَّذِي لَمْ
يَأْتِ مِنْ وَرَائِهِ جُلْمُكَ! وَلَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئًا فَالَيْنَ الْعَدْلُ أَوْ مُسِيئًا فَالَيْنَ
الْفَضْلُ!.....

١- ديوان ابن زيدون (كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة)، القاهرة // ١٩٣٢ م، ١٣٧٠ هـ
١٣٧٥ هـ (علي عبد العظيم)، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٧ م (سيد كيلاني)،
القاهرة // شعر ابن زيدون (تحقيق كرم بستاني)، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥١ م،
١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م بيروت (الشركة اللبنانية للكتاب) بلا تاريخ.

- الرسالة المجدبة، القاهرة ١٢٧٨ هـ = ١٨٦٣ م (أبو بكر محمد حكيم)، القاهرة
١٣٤٥ هـ.

- الرسالة الهزلية (رايسكه)، ليبسك ١٧٥٥ م (هيرت)، يانا ١٧٧٧ م، القاهرة ١٢٧٨ هـ،
١٢٩٠، ١٣٠٥، ١٣٢١ هـ (علي هامش لامية العرب للصفدي، الاسكندرية ١٢٩٠ هـ
محمد أبو الفضل ابراهيم) القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.

** قام المتن في شرح رسالة ابن زيدون (للصلاح الصفدي)، بغداد (مطبعة الولاية)
١٣٢٧ هـ (لاين نبأته) (تحرير محمد أي الفضل ابراهيم)، القاهرة (دار الفكر العربي)
١٩٦٤ م، ١٩٦٤ م، ١٣٨٩ (١٩٦٩ م).

- شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون (لاين نبأته)، الاسكندرية ١٢٧٥ هـ القاهرة

(١) هاتان المجلتان اقتباس من بيت أبي ذؤيب الهذلي:

ونجسلي للشامتين اربهم اني لربب الدهر لا اتضعع.

(٢) وفي المجلد التالية اقتباس من الامثال والأشعار ومن أي القرآن الكريم.

- (المطبعة الأميرية) ١٢٧٨ هـ، الاسكندرية ١٢٩٠ هـ، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ، (تحرير محمد أبي الفضل ابراهيم)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٤ م.
- اظهار المكنون من الرسالة الجدية لابن زيدون، تأليف مصطفى العناني، القاهرة (مطبعة المعارف) ١٣١٧، الطبعة الثالثة، القاهرة (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧ م.
- الدر المختزون في شرح رسالة ابن زيدون (ابو بكر محمد بن حكيم) ..
- قطعة عن ابن زيدون (من قلائد العتيان للفنح بن خاقان) (تحرير وابرس)، ليدن (بريل) ١٨٣٠ م.
- ابن زيدون، تأليف أحمد زكي، القاهرة (مطبعة صبيح) ١٨٨٨ م، ١٩١٤ م.
- ابن زيدون، تأليف نهاد عناية، دمشق (المكتبة الهاشمية) ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٩ م.
- ابن زيدون، تأليف شوقي ضيف، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٣ م.
- ابن زيدون: عصره وحياته وأدبه، تأليف علي عبد العظيم، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٥٥، القاهرة (نخبة مصر) ١٩٥٧ م.
- ابن زيدون: حياته - عصره - أدبه، تأليف حسن جار حسين، القاهرة (المطبعة المنيرية) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م.
- ابن زيدون، تأليف نديم مرعشلي، بيروت (دار الشرق الجديد).
- ابن زيدون: أو صفحة من مجالي الانس في ليالي الاندلس، تأليف زكي أحمد، شوقي وابن زيدون في نونيتها، تأليف أبي القاسم محمد كرو، تونس (منشورات كتاب البعث، رقم ٢) (مطبعة التزوي) ١٩٥٦ م.
- ابن زيدون: أثر ولادة في حياته وأدبه، تأليف وليم إلخازن، بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦١ م.
- ولادة وابن زيدون، تأليف عبد الرزاق مجيد الهلالي، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٤٧ م.
- مجلة الكتاب (بغداد): عدد خاص بالذكرى الألفية ليلاد ابن زيدون (٣٩٤ - ١٣٩٤ هـ)، الرباط ١٥ - ٢٢ / ١٢ / ١٩٧٥ م، السنة التاسعة، العددان ١١ - ١٢ (تشرين الثاني وكانون الأول = نوفمبر وديسمبر ١٩٧٥ م).
- المطبع ٦٠ - ١٦١ الذخيرة ١: ٣٣٦ - ٤٢٨ جذوة القنيس ١٢١ - ١٢٢ (الدار المصرية) ١٣٠ - ١٣١ (رقم ٢٢٤) بنية الملتنس ١٧٤ - ١٧٥ (رقم ٤٢٦) قلائد العتيان ٧٩ - ٩٣ وفيات الأعيان ١: ١٣٩ - ١٤١، ١٤٥٧ الوافي بالوفيات ٧: ٨٧ - ٩٤ اعتبار الكتاب ٢٠٧ - ٢١٤ المغرب ١: ٦٣ - ٦٩ الطرب ١٦٨ - ١٦٤ نفح الطيب ١: ٦٢٧ - ٦٣٤، ٦٦٨ - ٦٧٠، ٣: ٢٧١ - ٢٨٧، ٥٦٦ - ٥٦٥، ٩٩ - ١٠٠، ٢٠٥ - ٢١٢، ٢٦٤ - ٢٧١ شذرات الذهب ٣:

٣١٢-١٣١٣ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٣-١٩٧٤ بروكلمن ١: ٣٢٤-٣٢٥،
الملحق ١: ١٤٥١ نيكل ١٠٦-١٢٠، مختارات نيكل ٦٢-١٧٣، الأعلام للزركلي ١:
١٥١-١٥٢ (١٥٨).

غانم الخزومي

١- هو أبو محمد غانم بن وليد بن عمر^(١) بن عبد الرحمن الخزومي القرشي
الأشوفي (نسبة إلى أشونة وهي حصن بالأندلس من نواحي أستجة).

روى غانم الخزومي علومه في النحو واللغة والأدب عن نفر منهم أبو عمر يوسف
ابن عبد الله بن خيثرون وأبو عبد الله بن السراج. واشتغل بالتدريس وكان قديراً
محمود الطريقة في ذلك.

وعاش غانم في مائة مدة ونال حظوة كبيرة عند صاحبها إدريس العالي بالله
(٤٣٨-٤٣٩ هـ)، كما عاش (بعد ذلك) في غرناطة متصلاً ببلط باديس بن حبوس
(٤٣٠-٤٦٦ هـ).

ويبدو أن وفاة غانم الخزومي كانت نحو ٤٦٥ هـ لأنه شهد، فيها يبدو، مقتل
القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسن بن يحيى بن الحسن الجذامي النباهي في قرطبة،
سنة ٤٦٣ هـ^(٢)، ولم يزل له ابن بسم في الذخيرة (١: ٣٤٥-٣٦١) رثاء في
باديس بن حبوس (ت ٤٦٦ هـ). ويبدو أنه عاش طويلاً.

٢- كان غانم الخزومي فقيهاً ولغوياً ونحوياً وأديباً ناثراً ناظماً، وكان مقتدرأ في
تدريس هذه الفنون محمود الطريقة في ذلك.

وكان في شعره صاحب بديهة ومقتدرأ. وأكثر شعره الذي بين أيدينا في المديح
والرثاء والوصف والغزل والحكمة والزهد. وكذلك له ترسل أكثره إخوانيات وبعضه
مديح في مجرى الخطابة أو الكتابة.

(١) في كتاب الصلة، ص ٤٣٣: غانم بن وليد بن محمد بن عبد الرحمن. وفي جذوة المنقبس، ص ٣٠٦: غانم
ابن الوليد بن عمر بن عبد الرحمن.

(٢) راجع كتاب قضاء الأندلس، ص ٩٣. السطر ١٣، ثم ص ٩٣، السطر الثالث.

- دخل غانم على باديس بن حبّوس، وكان باديس يجلس في مكان ضيق، ومع ذلك فقد وسع لغانم مكاناً يجلس فيه. عند ذلك قال غانم بديهة:

صَبْرٌ فَوَادِكُ لِلْمُحِبِّوبِ مَرْوَلَةٌ سَمَ الْخَيْطِاطِ مَجَالٌ لِلْمُحْتَبِّينِ^(١)
وَلَا تُسَامِحْ بَغِيضاً فِي مُعَاشِرَةٍ فَقُلْماً تَسَعُ الدِّيَا بَغِيضِينَ^(٢)
- وقال في الصبر والتجمل بالوقار:

الصَّبْرُ أَوْلَى بِوَقَارِ الْعَنَى مِنْ مَلِكٍ يَهْتِكُ سِتْرَ الْوَقَارِ^(٣)
مَنْ لَزِمَ الصَّبْرَ عَلَى حَالَةٍ كَانَ عَلَى أَيْمَانِهِ بِالْخِيَارِ^(٤)
- وله في مطلع غزلي لقصيدة في مدح ادريس العالبي بالله، وهذه الأبيات تقليد ظاهر لمقطوعة الشريف الرضي:

مَا ظَبِيَّةُ الْبَانِ تَرْمِي فِي خَائِلِهِ، لِيُفْنِكَ الْيَوْمَ أَنَّ الْقَلْبَ مَرَعَالِي.
قَالَ غَانِمُ الْخَزُومِيُّ:

لَوْلَا التَّحَرُّجُ لَمْ يُحْجَبْ مُحِبَّكَ، حَبِيتَ عَنَّا، وَحَبِينَا بِحُبِّكَ^(٥)
أَمَا غَزَالَتْنَا، شَسُّ الضُّحَى طَلَعَتْ عَلَى اتِّقَانِ قِيَاهَا كَيْكَ^(٦)
بَدَوْتُ فِي حَلَّةِ زَرْقَاهُ، وَهِيَ كَذَا. فَقَالَ قَاضِي الْمَرْي: «هَذَا وَلَا ذَاكَ».
أَطْلَأَنِي مِنْكَ، مَا ظَمِيَاءُ، جَائِرَةٌ، مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ أَحْطَى بِغُفْيَاكَ^(٧)
إِنِّي أَرَاكَ يَقْتُلُ النَّفْسَ حَازِقَةً، قَوْلِي، بِفَضْلِكَ، مَنْ بِالْقَتْلِ أَوْصَاكَ؟
إِنْ كَانَ وَادِيكَ مَمْنُوعاً فَمَوْعِدُنَا وَادِي الْكُرَى ثُمَّ تَلْقَاهَايَ وَأَلْفَاكَ^(٨)
دَمْعِي بِبَغْدَادَ مَمْدُودٌ بِدَجَلَتِهَا، وَأَنْتَ مِنْ رَوْضِ تَجْدٍ تَشْرُ رِيَاكَ^(٩)

(١) سَمَ الْخَيْطِاطِ: ثقب الابرّة.

(٢) هُنَا: شَقٌّ، مَرْئِي.

(٣) الْهَيْبَةُ (بِتَشْدِيدِ الْهَاءِ): الْوَجْهَ. الْهَيْبَةُ (بِلَا تَشْدِيدٍ): الْحَيَاةُ.

(٤) الْغَرَالَةُ: الشَّيْءُ وَالْمَرْأَةُ الْخَمِيلَةُ. السِّيَا: الْمَلَامَةُ. الْهَيْبَةُ.

(٥) الظَّمِيَاءُ: الثَّاقَةُ السُّودَاءُ، الشَّيْءُ الرَّقِيقَةُ السُّرَادُ، الْعَيْنُ الرَّقِيقَةُ الْجَمُودُ (الْمَرْأَةُ الْخَمِيلَةُ).

(٦) وَادِيكَ: بِلَدِكَ. وَادِي الْكُرَى (كُنَاةٌ عَنِ النَّوْمِ).

(٧) النَّشْرُ (هَذَا): الْإِنْتِشَارُ. الرِّيَا: الرَّائِعَةُ الطَّيِّبَةُ.

- توفي لغلام الخزومي أخوان أحدهما مات غرقاً فقال غلامٌ يرثيها بمقطوعة يقلد فيها مقطوعة غزلية لابن زيدون:

يا دمعُ، لا تَحْذُلْ وَكُنْ مُسَيِّداً لا تَحْضَنْ من صبري أن يَنْفَكُ^(١)
أخٌ غريقٌ وأخٌ في الثرى، وَتَرْجِسِي السَّلْوةَ؟ ما أطمَعُكُ^(٢)
إنَّ جودَ العين - خوفَ العدى وَرُقْبَةَ الحُكَاةِ - لَسَنَ يَنْفَعُكُ^(٣)
يا عُمْسراً، أَغْمَرْتَ قلبي أَسَى وَودَّعَ (٢) صبري مثلاً وَدَعَكَ^(٤)
رَزَتْ نَسي الدنيا بَدَيَّ تُصْرِي يا دهرُ، بَنَّا لَكَ، ما أَفْجَعُكُ^(٥)
- وله من رُقعة خاطب بها أبا الحسن الحصري:

ما أَفْصَحَ لِسَانُكَ وَأَفْصَحَ مَيِّدَانُكَ وَأَوْضَحَ بَيَانُكَ وَأَرْجَحَ مِيزَانُكَ وَأَنُورَ صَبَاحَكَ
وَأُزْهِوُ بِصَبَاحِكَ، أَيُّهَا السَّابِقُ الْمُتَمَهِّلُ فِي مَيِّدَانِ التَّنْبُلِ، وَالسَّامِقُ^(١) الْمُتَطَوِّلُ بِفَضَائِلِ
الذِّكَاةِ وَالْفَضْلِ: أَرَحْنِي مِنْ غُلِّ الهمِّ فَارْزُدْ هَتْنِي أَرْتِيَّةً^(٢)، وَأَرَحْنِي عَنْ ظِلِّ الغَمِّ
فَلَا حَتَّ لِي شَسُّ الْأُمْنِيَّةِ بِمَا أَطْلَعْتَهُ عَلَيَّ وَأَنْقَذْتَهُ مَكَارِمُكَ إِلَيَّ. فَقُلْتُ: أَعَصُرُ الشَّبَابَ
رَجَعٌ، أَمْ كَوَكَبُ السَّعْدِ طَلَعَ، أَمْ بَارِقُ الْإِقْبَالِ لَمَعَ؟ كَلَّا، وَاللَّهِ، إِنَّهَا لَمَكْرُمَةٌ فَهَرَّةٌ^(٣)
أَهْدَتْهَا نَفْسٌ سَخِيَّةٌ وَهَمَّةٌ عَلَيْهِ... بَلَى، وَاللَّهِ، أَرَحْنِي زَهَرَ الرَّبِيعِ فِي غَيْرِ أَوَانِهِ،
وَحُسْنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذْبِهِ فِي أَهْلِ زَمَانِهِ... فَأَنْتَ وَاحِدُ الْبَلَاغَةِ الَّذِي لَا يُجَارَى،
وَفَارَسُ الْفَصَاحَةِ الَّذِي لَا يُبَارَى.

٤ - ** الصلة ٤٣٣ - ٤٣٤ (رقم ٩٨٢) الذخيرة ١: ٨٥٣ - ١٨٧٠ جذوة القنيس
٣٠٦ - ٣٠٧ (الدار المصرية) ٣٢٥ - ٣٢٦ (رقم ٧٥٤) بغية الملتبس ٤٢٨ (رقم
١٢٨٠) مطمح الأنفس ٦٠ - ٦١ معجم الأدباء ١٦: ١٦٧ - ١٦٩ إنباه

- (١) المسد: المساعد. الدمع السد هو الذي يهيل بسرعة ومكثرة.
- (٢) الرقية: المراجعة. رقية الحساد (رجاء الحساد أن تزول النعمة عن غيرهم).
- (٣) الأسى: الحزن. ثم اقرأ: ودعت صبري الخ.
- (٤) رزئت: فقدت. بدي نصري: صبري بكلنا بدي (بكل قوتي). بنا: قطعاً. ما أفجعك: ما أكثر إزعاجك.
- (٥) السامق: العالي.
- (٦) ازدهتني: أخذتني خفة (سرور) بالأرجحية (الارتياح للكرم أو للعمل الجميل والسرور به).
- (٧) فهرة: نسبة إلى فهر بن مالك من جدود العرب القدماء (عربية صحفة).

الرواة ٢: ١٣٨٩ الوافي بالوفيات ٨: ٣٢٤ - ٣٢٥ المطرب ١٨٤ المغرب ١:
 ٣١٧ - ٣١٨ بنية الوعاة ٣٧١: نصح الطبيب ٣: ٢٦٥، ٣٩٨، ٤٤٧،
 ٥٩٦ - ٥٩٥، ٦١٥، ١: ٢٨، ٢٢٦، ١٣٣١ راجع نيكل ١٨٨ - ١٨٩
 ومختارات نيكل ١١٣١: الأعلام للزركلي ٥: ٣٠٧ (١١٦).

أبو جعفر اللمائي

١- هو أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي من أهل مالقة، كان كاتباً لدى ناصر
 الدين علي بن حوّد صاحب مالقة (٤٠٧ - ٤٠٨ هـ) ومدبراً أموره، كما كتب لغيره
 (من ملوك مالقة؟). وقد علا صيته بسبب ذلك وعُلت مكانته. ويبدو أنه حصل على
 أملاك في غرناطة فكان يتردد عليها فيتفقد أملاكه ويזור ملوكها الصنهاجيين، في
 أيام باديس بن حبّوس (٤٣٠ - ٤٦٦ هـ) في الأغلب، أو في أيام أبيه حبّوس
 (٤١٠ - ٤٣٠ هـ) أيضاً.

وعرّضت لأبي جعفر اللمائي النسبة (من أمراض الصدر: الرتوب؟) وأزمنت
 فتوفّي من أثرها في مالقة، سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ - ١٠٧٣ م). وقد نُقلت جثته إلى
 حصن الزرد عند مونت ميور (الجبل الكبير) بحسب وصيته ودُفن هناك في قبر كان
 قد أبتنام. وإذا كان أبو جعفر اللمائي قد راسل أبا جعفر بن عباس (ت ٤٢٧ هـ)
 فيجب أن يكون قد عاش سبعين سنة أو تزيد.

٢- أبو جعفر اللمائي أديب مُترسل وناثر شاعر. وشعره مدح ووصف للطبيعة.
 ويبدو أن معظم شعره وجدائي قاله في أحوال مرضيه وفي الشكوى من الأيام. وله
 نسب أيضاً.

٣- مختارات من آثاره

- كتب أبو جعفر اللمائي إلى أبي جعفر بن عباس^(١) يُعزّيه بأبيه:
 إن لم أجد التائبين فأجد^(٢) البكاه والحنين، وإن لم أخصن التملق والإطراء

(١) هو أبو جعفر أحمد بن عباس كان وزيراً لزهير صاحب المربة ولياديس صاحب غرناطة. وكان غنياً
 جداً وعيلاً جداً. وقد نكح باديس وسجّه ثم أمر بقتله، سنة ٤٢٧ هـ وهو ابن ثلاثين سنة.

(٢) التركيب خاطيء. ليس هنا مكان لربط جواب الشرط (وهو فعل مضارع بالفاء). والصواب أن =

فأحسن الإخلاص والدعاء . واتَّصَلَ في مَوْتِ الوزير أبيك - لِقَاءَ اللَّهِ
غُفْرَانَهُ - وَكَوْنُكَ بِفَضْلِ اللَّهِ مَكَانَهُ، فَرَوْعُ جَنَانٍ^(١) الصَّبرِ وَأَخْرَسَ لِسَانَ الشُّكْرِ:
بَذَرُ أَقْلٍ وَهَلَالٍ اسْتَقْلَ^(٢) . أَعَزَّيْكَ وَأَسْلَيْكَ: قَدَرُ مُصَابِكَ قَدَرُ ثَوَابِكَ^(٣) . صَبْرًا جَبِيلًا
عَلَيْهِ لَتُؤَجَّرَ، وَفِعْلًا حِيدًا^(٤) بَعْدَهُ لَتَذَكَّرَ.....

- وقال أبو جعفر اللهاثي في علته (داء النسة):

عَظُمَ الْبَلَاءُ فَلَا طَبِيبَ يُرَنِّجِي مِنْهُ الشَّغَاءُ، وَلَا دَوَاءَ يَنْجَعُ^(٥)
لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَمْ أَعَالِجْهَا بِهِ طَمَعُ الْحَيَاةِ؛ وَأَيْنَ مَنْ لَا يَطْمَعُ^(٦)
(وَإِذَا الْمُسَبَّةُ انْتَبَهَتْ أَطْفَارُهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَسْبِيَةٍ لَا تَنْفَعُ)^(٧)

- ودخل عليه بعض أصحابه في علته (في فترته التي مات فيها) فجعل يروِّجُ
عليه بِمِرْوَحَةٍ. فقال ارتجلاً:

رَوَّحَنِي عَائِدِي فَقُلْتُ لَهُ: مَهْ، لَا تَزِدْنِي عَلَى الَّذِي أَجِدُ^(٨)
أَمَا نَرَى النَّارَ، وَهِيَ خَائِدَةٌ، عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيحِ تَشَقُّدُ؟
- وقال (يُصَوِّرُ الرِّيحَ وَهُوَ يَطْلُبُ النَّدَى - الْعَطَاءُ - مِنْ يَدِ بَادِيَسَ):

طَلَعْتُ طَوَالِحَ لِلرَّبِيعِ فَأَطْلَعْتُ فِي الرُّؤُوسِ وَرَدًّا قَبْلَ جَيْنِ أَوَانِهِ^(٩)
حَيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُبَشِّرًا وَمُسَوِّلاً لِلنَّيْلِ مِنْ إِحْسَانِهِ^(١٠)

-
- = يقال مثلاً: فَإِنْ لَمْ أَجِدِ النَّابِينَ فَأَنَا أَجِدُ الدَّعَاءَ (فيكون جواب الشرط جملة اسمية مربوطة بالفعل).
- (١) جنان: قلب.
- (٢) بدر (رجل كبير) أقل (غاب)، وهلال (رجل شاب) استقل (اطلع).
- (٣) كلما عظم مصابك باليت كان أجرك عظيماً على مقدار ذلك.
- (٤) صبراً جبيلاً: أصبر صبراً جبيلاً.....
- (٥) ينجع: ينفع.
- (٦) طمع الحياة (طمعاً في الحياة). وهل في الدنيا أحد لا يطمع بطول الحياة.
- (٧) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (يضم ففتح) وهو شاعر مخضرم (ت ٢٨ هـ).
- (٨) العائد: الذي يزور المريض. مه: كف، كفي.
- (٩) طالع: أول نبات (الربيع).
- (١٠) النيل: العطاء.

- وقال يشكو نواثب دهره :

أُسى سقامي زاجري ومؤنسي، وغدا مشجبي واعطي ومؤذي.
أؤقت خطوب الدهر من عاتقي بثلاً، وزعزع منكباه منكي^(١).
وهنت سحائبه عليّ فغادرت أرضي قرارة كل غطب منجب^(٢).
يا سيدي وأخي الوفي، وما أخي منه إلى قلب الإخاء بأقرب.
وإذا غدا العلم المشرق أهله نسباً يؤلفنا، فمنع بنو أب
وكتبته عن ود، وقد كتب الإخا بين النفوس صحافاً لم تكتب^(٣).
بارئ من دمع المشوق فؤاده وأرق من ريق الحبيب وأعذب.
فطللت منه في غدير بلاغة عذب ومُلتف الحقائق مُعجب.
كرمت مغاربه فأوزق فرعه علماً وأنصر بالكلام الطيب.
خفيت معانيه على أوهابنا، فالفكر بين مُصدق ومُكذب.

٤- ** الطبع ٢٥-٢٦: بغية الملتبس ٥٠٥ (رقم ١٥٢٠) الذخيرة ١: ٦١٧-٦٢٤
المغرب ١: ٤٤٦-٤٤٧ الإحاطة ١: ٢٤٠-٢٤٣ نفع الطب ٣: ١٩٦،
١٥٤٧، ٥٩٦، ٤: ١٥٤ نيكل ١٢٢.

أبو الحسن البَلَنُوي

١- هو أبو الحسن عليُّ بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي البشر (أو البشائر)
البَلَنُوي الصِّقْلِي نسبةً إلى مدينة بيلّا نووبا (باللفظ الإسباني) أو بيلّا نوفا (باللفظ
الإيطالي الحديث: البلدة الجديدة)، وهي بلدة في غربيّ جزيرة صقلية. وقد كان أبو
القاسم عبدُ الرحمن (والدُّ أبي الحسن البَلَنُوي)، فيا يبدو، رجلاً علمياً وأدبياً وشعراً^(١).

- (١) النكب: ما بين الكنف والعتق. الدهر منكبان (هو أقوى سي).
- (٢) ها: سقط، حطل، (نزل الماء من السحاب). القرارة: المكان المنخفض تنقر فيه الأشياء.
الغطب: المصيبة. المعجب: الداعي إلى العجب (الكبير، الشديد).
- (٣) للأخاء (الصداقة) صحفات كثيرة جميلة لم يستطع أن يكتب بقله منها.
- (٤) في «الختار من شعر بشر» (الصفحة ٤) أنَّ أبا القاسم عبد الرحمن ابن أبي البشر أُنشد:

سزل المشيب بعارضيّ ولستي. يا نفس، فإزدد جري عن اللذات.
ودعي الحياة لأهلها وتجهزي، يا نفس-وبك- تجهزي الأموات. =

أَمَّا مَوْلَدُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَلَنْوِيِّ فَكَانَ فِي صِغَلِيَّةَ، وَلَكِنَّا لَا نَعْرِفُ شَيْئاً مِنْ تَفَاصِيلِ حَيَاتِهِ فِيهَا. ثُمَّ إِنَّهُ هَاجَرَ مِنْهَا فِي أَوَاخِرِ عَهْدِ الْفِتْنَةِ أَوْ فِي مَطْلَعِ الْإِحْتِلَالِ النُّورِمَانِيِّ إِلَى بَصْرَ، لِأَنَّنَا نَرَى لَهُ اتِّصَالاً بِأَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَازُورِيِّ، الَّذِي اسْتَوَزَرَهُ الْمُتَنَصِّرُ الْفَاطِمِيُّ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ ٤٤٢ إِلَى الْمُحَرَّمِ سَنَةِ ٤٥٠ (١٠٥٠ - ١٠٥٨ م). وَيَبْدُو أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ الْبَلَنْوِيَّ كَانَ أَحْيَاناً فِي الْإِسْكَندَرِيَّةِ وَأَحْيَاناً فِي الْقَاهِرَةِ وَأَنَّهُ تَكَسَّبَ بِمَدْحِ الْعُظَمَاءِ وَبَشَى مِنَ التَّدْرِيسِ. وَلَعَلَّهُ قَدْ بَقِيَ فِي الْحَيَاةِ إِلَى الثَّلَاثِ الْأَخِيرِ مِنَ الْقَرْنِ الْهَاجِرِيِّ الْخَامِسِ (نَحْو ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ م) أَوْ إِلَى مَا بَعْدَ ذَلِكَ.

٢- كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الْبَلَنْوِيُّ شَاعِراً كَثِيرَ التَّقْلِيدِ لِلْمُشَارَقَةِ فِي أَغْرَاضِهِمْ وَأَسَالِيِبِهِمْ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَمِنْ جِهَالِ الْأَسْلُوبِ، بَرُّغَمَ مَا فِي أَسْلُوبِهِ أَحْيَاناً مِنَ الضَّعْفِ. وَلَمْ يَبْرُدْ فِي شِعْرِهِ ذِكْرٌ لِصِغَلِيَّةَ، بَلْ كَانَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ خِصَائِصِ شِعْرِهِ بَصْرِيٍّ فِي الْعَهْدِ الْفَاطِمِيِّ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَكْثَرَ شِعْرِهِ قَدْ قُبِلَ فِي بَصْرَ، وَلَعَلَّ جَانِباً كَبِيراً مِنْ حَيَاتِهِ كَانَ أَيْضاً فِي مِصْرَ. وَفَنُونُ شِعْرِهِ الْمَدْحُ وَالْمُجَاعَاةُ وَالرِّثَاءُ وَالْوَصْفُ وَشِئٌ مِنَ الْغَزْلِ.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْبَلَنْوِيُّ بِمَدْحِ الْوَزِيرِ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ:

لَحَظَاتٌ مِنْ شَبِيهَاتِ الدُّمَى صَرَعَتْنِي بَيْنَ ظَلَمٍ وَلَسَى^(١)

= فَلَقَدْ مَحَنَكَ أَنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي، وَلَقَدْ وَعِظْتَكَ أَنْ قَبِلْتَ عِظَاتِي.

وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا مُؤَدِّباً لِأَبِي طَاهِرٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحَدٍ بْنِ زُهَادَةِ اللَّهِ صَاحِبِ «الْمَخْتَارِ مِنْ شِعْرِ بَشَّارٍ». وَكَانَ التَّجْسِيسُ (تِ نَحْو ٤٤٥ هـ) مِنْ أَهْلِ اللَّغَةِ (بَنِيهِ الْوَعَاةُ ١٩٣)، وَهُوَ مِنَ الْقُفْرَانِ وَسُكْنِ الْمَهْدِيَّةِ وَيَعْرِفُ بِالرِّبْعِيِّ (تَكْمِلَةُ الصَّلَاةِ) فَلَمَّا أَصْلَحَ كَانَ مِنْ بَرَقَةِ (شَرْعِي لِيَبْيَا الْيَوْمَ). وَقَدْ كَانَ عَالِماً بِالْأَدَابِ شَاعِراً مَجُوداً وَمِنْ الْمُصَنِّفِينَ لِلْكِتَابِ دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ، بَعْدَ سَنَةِ ٤٠٠ هـ فَكَانَ فِي مَالِقَةِ سَنَةِ ٤٠٦ هـ ثُمَّ حَارَ إِلَى مِصْرَ مَرَّأَتَاهُ فِيهَا سَنَةَ ٤١٥ هـ. وَقَدْ اجْتَمَعَ بِهِ أَبُو مَرْوَانَ الطَّبْطَبِيُّ فِي الْإِسْكَندَرِيَّةِ سَنَةِ ٤٣٨. وَرَأَى ابْنَ الْأَثَرِ شَيْئاً يَحْتَطُّ أَبُو طَاهِرٍ مُؤَرِّحاً فِي جَدَايِ الْأَخْرَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٤١ (تَشْرِينِ الثَّانِي - نَوْفَمِبْرِ ١٠٤٩ م).

(١) الدِّمِيَّةُ: الصُّورَةُ الْمُجَسَّمَةُ (أَوْ التَّمَثَالُ الصَّغِيرُ الْجَمِيلُ، أَوْ اللَّعِبَةُ عَلَى هَيْئَةِ فَنَاءٍ جَيِّدَةٍ). شَبِيهَاتُ الدِّمَى: نِسَاءٌ جَمِيلَاتٌ جَدَّاءٌ. صَرَعَ: أَلْقَى (خَصَصَهُ) أَرْضاً، (تَنَزَّلَ). الظُّلَمُ (بِفَتْحِ الظَّاءِ): مَاءُ الْأَسْنَانِ وَبَرَبَقُهَا (لَوْنُهَا الْأَبْيَضُ). اللَّسَى: سَمَرَةٌ فِي الثَّغْنَيْنِ (مِنْ مَظَاهِرِ الْجَمَالِ الْبَدَوِيِّ).

بعد ما قلت تناهت صَبَوِي
 لاني، أَقْصِرْ فَإِنِّي كُلُّمَا
 بَأْي من جاءني مُعْتَذِرًا
 فرأيتُ البدرَ من طَلْعَتِهِ
 زائرٌ أَسْأَلُ عَنْهُ مُقْلِي
 كيف تخفى زُورَةُ الصُّبْحِ وقد
 عَجَبًا من سَقَمٍ في طَرْفِهِ
 قد أَعَارَ الكَأْسَ مِنْهُ وَجَنَةً
 كيف أَعْتَدُ بَلْقِيَا هَاجِرٍ
 لو تَجَاسَرْتُ عَلَى الْفَتَكِ بِهِ
 أَيُّ شَيْءٍ ضَرَرَنِي لَوْ أَنَّنِي
 وَلَقَدْ ذُقْتُ بِكَاسَاتِ الْهَوَى

رَجَعْتَنِي مُسْتَهَامًا مُفْرَمًا^(١).
 زِدْتُ لَوْمًا زَادَ سَمِي صَمًا^(٢).
 وَجِلًّا يَمَّا جَاءَهُ نَدَمًا^(٣).
 ضَاحِكًا مِنْ وَجْهِهِ مُبْتَسِمًا.
 هَلْ رَأَيْتَهُ يَنْقِطَةُ^(٤) أَمْ حُلًّا؟
 فَتَحَ الرُّوْضَ وَجَلَسَ الظُّلْمًا.
 يُورِثُ الْجِسْمَ وَيَنْفِي السَّقَمَ^(٥).
 وَتَنَاهَا وَرَضَابًا وَفَمَا^(٦).
 قَبْلَهَا حَاوَلَ وَصَلِي صَرَمًا^(٧).
 لَمْ أَعُدْ أَقْرَعُ سِنِّي نَدَمًا.
 كُنْتُ فِي الْحِلِّ طَرَفْتُ الْحَرَمَ^(٨).
 عَلَا طَوْرًا وَطَوْرًا عُلْفَمَا.

- (١) الصورة: ميل الإنسان إلى الحب. تناهت: بلغت منتهاها، انتهت، بطلت (بالتفهم في السر). رجع (بلا تشديد) فعل لازم ومتعد. رجعتني (بلا تشديد للحم) ردّني، أعادتني. مفرم (تشديد الحب والتعلق بالمحبوب) مستهام (كاد الحب يذهب بمقله).
- (٢) لاني = يا لاني. أقصر: أقلل من لومك إياي.
- (٣) وجلا: حائفا. جاء: أذنب فيه. ندما = نادما.
- (٤) الينقطة (يجب أن تكون بفتح القاف).
- (٥) سقم في طرفه: من فتور في عينيه (من الدلال والنعمة والجهال) في الأصل يورث الجسم. والبلاغة والشاعرية تقتضيان أن يقول الشاعر: يورث السقم (بضم السين: إذا هجر) وينفي السقم (إذا وصل، أنعم على المحب).
- (٦) قد أعار الكأس (الحمر) منه وجنة (لونا) أحمر جيلا كلون وجنته: حده. وتنايا (حبيا) أبيض يعلو صفحة الحمر في الكأس كيباض ثيابه: أسنانه. ورضابا (طعما) حلوا كرفهه) ونفا (رائحة طيبة كرائحة فمه).
- (٧) كيف أعتد (أحسب، أجد ربما في) لقبيا. هاجر (لقد حببني الذي كان قد هجرني طويلا). صرم: قطع.
- (٨) الحل: كل مكان خارج مكان الحج أو زمن الحج في مكة. الحرم (تورية) مساحة حول مكة يحرم فيها الصيد في أيام الحج. والحرم: المكان الذي يحرم من جسم المحبوب.

وجليس قد شئنا شخصه مذ عرفناه ملحا مبرما^(١) .
 ثقل الوطأة في زورته ثم ما ودع حتى سلا .
 بعض ما لاقيت منه أنه نفر الرثم الذي قد رنا^(٢) .

* *

وأعز الخلق طرأ عائد برئيس الرؤس اعتصا .
 نحن منه في جنان ورع نلبس الير ونجني النما^(٣) .
 قد بلوناه على علائنه قبلونا العارض المنسجا^(٤) .

٤ - * * بروكلمن ١ : ٣١٧ ، الملحق ١ : ١٤٧٤ تاريخ الأدب العربي في صقلية (تأليف
 ريميتانو) ص ١٢١ - ١٢٥ راجع الخريدة (تحقيق الدسوقي وعبد العظيم) ٤ :
 ١٢٨ - ١٢٩ .

الشقراطيي

١ - هو أبو محمد عبد الله بن يحيى (ت ٤٢٩ هـ) بن علي بن زكريا التوزري
 الشقراطيي، نسبة إلى قلعة قديمة كانت بالقرب من قفصة (في تونس) سمي
 شقراطس .

ولقد الشقراطيي في توزر (جنوبي القطر التونسي) وعاش فيها . وتلقى العلم على
 والده وعلى غيره . وفي سنة ٤٢٩ رحل إلى المشرق وحج وزار (المدينة) . وفي أثناء
 رحلته (ذهاباً أو إياباً) اتفق نزول للفريجة (الصليبيين) في مصر فاشترك في مقاتلتهم .

(١) شئنا : أبعضنا ، كرها . شخصه (حضوره في مجلسا) . اليرم : الذي يمل الناس منه

(٢) نفر الرثم (الفرال الأبيض ، المحسوب) . رثم : عطف . كان المحبوب قد عزم على أن ينجلي مرادي منه ،
 فلما رآه هرب .

(٣) جنان ورع (٢) . جنان (بالفتح : القلب ، وبالكسر جمع جنّة) . نجني : نتطف ، نتال .

(٤) بلوناه : اختزنناه . على علائنه : في جميع أحواله وعلى ما كان منه من نقص أحياناً ، العارض : السحاب
 (الكثيف) . النسج : الماطل (الساط) بكثرة .

ويبدو أنه أبلى في هذا القتالِ بلاءً حسناً، إذ له في ذلك قصيدةٌ تدلُّ على متانةٍ وجمال، منها:

واسمَرَ عَسَالِ الكُمُوبِ سَقَيْتُهُ نَجِيعَ الطَّلَى والحَيْلُ تَدْمَى نُحُورُهَا^(١)
وعَادَ الشُّقْرَاطِيسِيُّ إِلَى تَوَزَّرَ فَأَغْفَى فِيهَا وَدَرَسَ. وكانت وفاته في ثامن ربيع
الأول من سنة ٤٦٦ (١١/١١/١٠٧٣ م).

٢- كان الشُّقْرَاطِيسِيُّ من فقهاء بلدةِ تَوَزَّرَ ومن القضاة فيها، وقد برَعَ أيضاً في شيء من النثر والشعر. واشتهر ببديعية (قصيدة في مدح الرسول) عُرِفَتْ بلامية الشُّقْرَاطِيسِيِّ، تبلغ نحو مائة وثلاثة وثلاثين بيتاً أورد فيها الشُّقْرَاطِيسِيُّ أشياء من السيرة (حياة رسول الله) من أحداث وغزوات ومعجزات. وفي هذه القصيدة وجهان من أوجه الضعف: المبالغة في الصناعة اللفظية (الجناس والطباق) خاصةً (نما يجعل المعاني في أكثر الأحيان غامضة) ثم ضعف في اللغة (في استعمال الألفاظ وفي التراكيب). ولكن لا شك في أن البوصيري (ت ٦٩٤ هـ)^(٢) قد نظرَ إلى هذه القصيدة لما نظم قصيدته البردة: «أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانِ بذي سَلَمٍ؟». وقد اهتم بهذه القصيدة نفرٌ كثيرون فشطروها أو حَسَّوها أو شَرَحوها. وكذلك أصاب الذين انتقدوا ما فيها من القُلُو في التصنيع (أوجه البلاغة).

٣- مختارات من شعره

- منتخبات من القصيدة الشُّقْرَاطِيسِيَّة:

الحمدُ لله، مَنَّا باعَثُ الرِّسْلَ هَدَى بِأَحْمَدَ مَنَّا أَحَدَ السُّبُلِ^(٣)
خَيْرُ الْبَرِيِّ مَن بَدُو وَمِنْ حَضَرَ وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ مَنْ حَانِبٍ وَمُنْتَمِلِ.
تَوَرَّاةُ مُوسَى أَنْتَ عَنْهُ فَصَدَّقْهَا إِنْجِيلُ عِيسَى بِحَقِّ غَيْرِ مُفْتَمِلِ^(٤)

(١) أسمر: رمح. عسال: اللين الذي يهتز. الكُموب (جمع كمب): العقد التي في ثنائة (نصبة) الرمح. نجيع: نجس.

دم. الطلا (بالضم) جمع طلاء (بالضم): المنق.

(٢) راجع، فوق، الجزء الثالث.

(٣) أحمد (الأول): محمد رسول الله واحد (الثانية): أحسن.

(٤) جاء ذكر بنته رسول الله في التوراة وفي الانجيل.

أخبارٌ أحبارٍ أهلِ الكتّابِ قد وُردَتْ
ضاماتٌ بولده الآفاقِ واتّصلتْ
وصُرحَ كسرى نداعى من قواعديه
ونارُ فارسٍ لم توقدْ، وما خمدتْ
خربتْ لبغته الأوثانُ وانبعثتْ
والجدُّ حنَّ لأنْ فارقتَه أسفاً
ما صبرَ مَنْ صارَ من عيني إلى أثرِ
دعوتِ للخلقِ عامَ المحلِّ مُتَهَلِّلاً
صدعتْ كفيك إذ كفَّ الغمامُ فما
أراقى بالأرضِ ثجاً صوبَ ربيّه
زهرٌ من النورِ حلتْ روضَ أرضيهم
من كلِّ عُصْنٍ نضيرٍ مُورِقٍ خضيرٍ
نحيةً أحييتِ الأحياءَ من مُضِرٍ،
عمّا رأوا أو رَوَوْا في الأعصرِ الأولِ -
بُشرى الهوائى في الإنشاقِ والطفلِ (١)
وانقضَّ منكسرَ الأرجلِ ذا مَبِلِ (٢)
مُدَّ ألفِ عامٍ، ونهرُ القومِ لم يَبِلِ (٣)
نواصبُ الشَّهْبِ ترمي الجنَّ بالشَّعَلِ
حينَ تُكَلِّ شَجَّتْها قُوَّةُ التَّكَلِّ (٤)
وحالٌ من حالٍ من حَلَمٍ إلى غَطَلِ (٥)
أُنْذِيكَ في الخلقِ من دافعٍ ومُنْهَلِ (٦)
صَوَّبَتْ إلّا بِصَوْبِ الواكفِ المَطِلِ (٧)
فحلَّ بالروضِ نَجاً رائقَ الحَلَلِ (٨)
زَهراً من النورِ ضافي النَّبْتِ مُكْتَهَلِ (٩)
وكلُّ نَوْرٍ نَضِيدٍ مُورِقٍ غَضَلِ (١٠)
بعدَ المَصْرَةِ تروى السُّبُلُ بالسَّيلِ (١١)

- (١) الهاتفة: النادية (من غير أن يراها أحد). الطفل: الوقت الذي تقرب فيه الشمس من المغرب.
(٢) المبل (يفتح ففتح): الأعوجاج. من الأحداث التاريخية الثابتة أن ابوان (قصر) كسرى انبثق (برلزال) في نحو الزمن الذي ولد فيه محمد رسول الله.
(٣) وكذلك غاض ماء بحيرة ساوة في فارس (بمثل الزلزال نفسه) وانطلقت النار التي كانت تشتعل في الهيكل للعبادة.
(٤) شجاء الأمر: حزنه وأحزنه. اللوعة: مرض الحزن أو الحب. التكل (يفتح ففتح أو يضم فسكون): موت الأولاد.
(٥) الحلي: ليس الحلي (من الذهب وغيره). العطل: التجرد من أسباب الزينة.
(٦) المحل: القحط وانحباس المطر. دعوت: استسقيت (طلبت من الله أن ينزل المطر).
(٧) صدعت: رفعت. صوبت: خففت (كفيك) بصوب الواكف الماطل. باتسكاب المطر الغزير.
(٨) أراق: صب. التَّج: الانصباب الشديد (للمطر). الرقيق (أول المطر). نسج رائق (يعجب العين) المحل (اللباس): كثافة عن كثرة النبات والزهر على وجه الأرض.
(٩) الزهر (بالضم): التجوّم و(بالتفتح) أزهار النبات. مكتهل: ناضج، واف، كثير.
(١٠) نضير: ريان (طري) من الماء. نضيد: منظوم، مرتب. غضل: مبدل.
(١١) نحية (من المطر). الأحياء: منازل القبائل. مضر (العرب). السيل: الطرق (الساثرون على الطرق). السيل (يفتح وسكون): جريان الماء (حرك الشاعر الياء لضرورة الشعر).

دامت على الأرض سنباً غير مُقْلَمَةٍ،
 أصجرت بالوحي أرباب البلاغة في
 سألهم سورة في مثل حكمته
 برئت من دين قوم لا قوام لهم:
 يستخرون خيئ القبيب من حجر
 نالوا أذى منك لولا جلم خالفهم
 واستضعفوا أهل دين الله فاضطربوا
 أرخت بالسيف ظهر الأرض من نفر
 تركت بالكفر صدعاً غير مُلتئب،
 وأقلت السيف منهم كل ذي أسف
 ويوم مكة إذ أشرفت في أمر
 خوافق ضائق ذرعُ الحافقين بها

لولا دعاؤك بالإقلاع لم تزل (١)
 عصر البيان فضلت أوجه الحيل (٢)
 فتلهم عنه حين العجز حين تلي (٣)
 عقولهم من وثاق النقي في عقل (٤)
 صلد، وتزجون غوث النصر من هيل (٥)
 وحجة الله بالإعذار لم تنل (٦)
 لكل مُضليل خطب فادحر جمل (٧)
 أرخت بالصدق منهم كاذب العلل (٨)
 وآب عنك بفرح غير مندمل (٩)
 على الهيام حماء أجل الأجل (١٠)
 بضيق منها فيعاج الوعث والهل (١١)
 في قاتر من عجاج الحيل والإبل (١٢)

- (١) سبعا: سبع ليال. أطلع المطر: وقف عن السقوط. - ولولا أنك دعوت الله ليفك حطول المطر (كما كنت قد دعوت لا تزال المطر) لاستمر المطر في مطوله بلا انتقطاع.
- (٢) ضلت أوجه (بالرفع) الحيل: لم يكن هنالك حيلة (وسيلة) لبراءة نظم القرآن (لأنه وحي). (وبالنصب): أرباب (أصحاب) البلاغة ضلوا (لم يبتدوا) إلى وجه يستطيعون به تقليد نظم القرآن.
- (٣) تلّه: كتبه على وجهه. حين (موت؟) تلي: قرأه.
- (٤) العقل جمع عقال (بالكسر): الرباط.
- (٥) صلد: هابس. هيل: صنم كبير كان في مكة.
- (٦) لو لم يرد الله بحمله أن يدفع عنهم الأذى لنالهم أذى منك.....
- (٧) الخطب: الحوادث العظمى (الصيبة) الفادحة: الثقيل. المصل: الذي لا دواء له. الجمل: الكبير.
- (٨) أرخت (أزلت) كاذب العلل: ما يتعللون به لبقائهم على الوثنية (٢).
- (٩) الصدع: الشق (يفتح الشين). آب: رجع. الفرح (بالفتح أو الضم): المرح. اعدل المرح: انضم (برى).
- (١٠) الهيام: الموت - لجا من السيف نفر لأن آجالهم لم تنته، وهم بأسفون على أنهم لم يموتوا (لأن مقامهم كان عاراً عليهم..... ٢٠٠).
- (١١) النج (بالفتح): الطريق في الجبل، الطريق. الوعث: الطريق الصير. السهل (يفتح فسكون) الأرض اللينة (وحرك الشاعر الهاء لضرورة الشعر).
- (١٢) (المجاعات) الخوافق: الثمن يذهبون في طول البلاد وعرضها. الحافقان: الأفقان (الشرق والغرب). الذرع: القياس، المسافة، المساحة (بكسر الميم). المعجاج: التغير.

قالوا: «محمَّد قد زارت كتابته
فويلٌ مَكَّةَ من آثارِهِ وَطَائِفِهِ،
فجُدتْ عَفْوَاً بفضلِ العفوِ منك، ولم
عاذُوا بِظُلِّ كَرِيمِ العفوِ ذي لَطْفٍ
وحلَّ أَمْنٌ وَهُنَّ منك في بَئِنٍ
وأصبحَ الدينُ قد حُفَّتْ جَوَانِبُهُ
قد طاعَ مُحَرِّفٌ منهم لِمُعَرِّفٍ
لم يَبْقَ لِلْفَرَسِ لَيْثٌ غَيْرُ مُفْتَرَسٍ،
ولا من التَّوْبِ جَنْمٌ غَيْرُ مُنْجِذٍ،
وملَّ بِالْقَرْبِ غَرْبُ السِّيفِ إِذْ شَرَقَتْ
وعاذَ كُلُّ عَسَدٍ عَزَّ جَانِبُهُ
بها صَفْوةَ الخلقِ، قد أَصْفَيْتِ بَيْكَ صَفَاً

- قال عبد الله الشقرطيسي في الفخر:

فَلَمَّا تَجَلَّى الْفَخْرُ مِنْ طُرَّةِ الدُّجَى، وَوَلَّكَتْ بِأَعْيَانِ النُّجُومِ صُدُورُهَا،
تَيَسَّمْتُ أَشْدَامَ الْمِيَاءِ، وَمَجَانِيهِمْ أَجَامِ الْقَضَا وَوُكُورُهَا،

- (١) محمَّد رسول الله. «حق» محمَّد التتوين. «ومنه الشاعر من الصرف لضرورة الوزن». العصل جمع أعصل وعصلاء: (الناب) المعوجة الصلبة.
- (٢) ويل أم قريش = ويل قبيلة قريش. الجوى: شدة الحزن. الهبل: التكل (موت الأولاد).
- (٣) أم: زار زيارة خفيفة و(هنا) عدل (عاتب) عتاباً قليلاً.
- (٤) عاذوا: لجأوا إلى. مشتعل: عام، مغطى بشعلة. تكون الميم في «مشتعل» مكسورة (هو مشتعل بالتوفيق) والأصوب أن تكون مفتوحة (شعله) (بفتح فكسر) الله بالتوفيق.
- (٥) اليمين (بالفتح): البركة، النعمة. أجابت إلى الإيذان (دخل أهل اليمن في الإسلام).
- (٦) طاعة وأطاعه بمعنى: المتحرف: المائل (عن اليمين) المتعرف (المقر بالإسلام). متعدل ليست في القاموس (يقصد: المائل، الجائر، التحرف). المتعدل (السائر على الطريق العدل أو الحق: الإسلام).
- (٧) المنجفل: الطرود النادرة.
- (٨) الجذم: الأصل. منجذم: منقطع (مقطوع من أصله). المجلد: الجذم.
- (٩) غرب السيف: حده. الغرب (المغرب من الأرض). شرق: غص (امتلاً). قبل (من قبل). البيض (السيوف) والأصل (الرماح).
- (١٠) عاذ: لجأ. بذل: عطاء (عفو) غير مبتذل (لا يمنح لكل من يطلبه).
- (١١) الثوب: المزج، الخلط. الدخل: الفساد، العيب، المرض، الرية.

يقلب ربيط الجاش مُتَّسِح الحشا على الهؤل مجموع الحصة وقورها.
وأُسَمَّرَ غَالِي الكُمُوبِ سَفِينَتُهُ نَجِيحَ الطُّلَى والحَيْلُ تُدْمَى نُحُورُهَا.
وقد عَلِمَ الأبطالُ كَرِّيَّ فِيهِمْ إِذَا جَاحَمَ المِجْلَهُ شُبَّ سَمِيرُهَا.

- ٤ - عبد الله الشقراطيسي (ق: أعلام الأنارفة)، تأليف الهادي مصطفى التوزري (نشره رابطة التضامن الأدبي بتونس)، تونس (مطبعة الترقى) ١٩٥٥ م.
- * * فهرست ابن خير ٤١٩، راجع ٥١٦: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١: ٥٤ (صفر ١٣٩٩ / كانون الثاني - يناير ١٩٧٩)..... القصيدة الشقراطيسية في مدح المصطفى (لمبد الله كتون)، ص ٨٦ - ١١٠٦ ابن قنفذ ١٢٥٣: مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٦٣ - ١٦٧: عنوان الأريب ١: ٤٢ - ٤٣: الرحلة المغربية (جندو) ١٤٠: بروكلن ١: ٣١٦، الملحق ١: ٤٧٣: الأعلام للزركلي (٤): ١٤٤ - ١٤٥).

ابن حيَّان المؤرِّخ

١ - هو أبو مروان حيَّان بن خلف بن حسين بن حيَّان بن محمد بن حيَّان بن وهب ابن حيَّان، وحيَّان هذا (والد وهب) كان مولى للأمير عبد الرحمن الداخل. وكذلك كان أبوه (خلف بن حسين) كاتباً للمنصور بن أبي عامر، وقد أُنْزِلَ بِاتِّجَاهِهِ الأُمُويُّ الشديد في قيام سياسة مُعَادِيَةِ لِلوَكِ الطوائف.

وُلِدَ ابنُ حيَّانَ سَنَةَ ٣٧٧ (٩٨٧ م) فِي قُرْبَةِ ونشأ فيها، وتلقَّى العلمَ على أبيه ثم على أبي عمرو أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحُبَابِ النَّحْوِيِّ (ت ٤٠٠ هـ) وأبي حَفْصِ عُمَرَ بنِ حُسَيْنِ بنِ نَابِلٍ (ت ٤٠١ هـ) وأبي العلاء صاعِدِ البَغْدَادِيِّ (ت ٤١٧ هـ). وشغلَ ابنُ حيَّانَ مَنَصِبَ صاحبِ الشُّرْطَةِ (أو صاحبِ المدينة) فِي قُرْبَةِ ثم وَلِيَ الوِزَارَةَ لأبي الوليد محمد بن جَهْوَرٍ (٤٣٥ - ٤٥٠ هـ) ثم لابنه عبد الملك (٤٥٠ - ٤٦١ هـ)، ولكننا لا نعلمُ مُدَّةَ بَقَائِهِ فِي الوِزَارَةِ. وخالفَ ابنُ حيَّانَ سياسةَ أَهْلِ قُرْبَةِ إلى بني ذي النون أصحابِ طُلَيْطَلَةَ. ولَمَّا استولى المتمدنُ عُبَايْدُ عَلَى إشبيلية من يد بني جَهْوَرٍ، سَنَةَ ٤٦٢ (١٠٧٠ م) كتبَ ابنُ حيَّانَ إِلَيْهِ رِسَالَةً تَهْنِئَةً.

وقد كانت وفاة ابن حيَّان في ٢٨ من ربيع الأول من سَنَةِ ٤٦٩

(٣٠/١٠/١٠٧٦ م) ودُفِنَ في مقبرة الرّض في قرطبة.

٢- كَانَ ابْنُ حَيَّانَ رَجُلًا سِيَاسِيًّا مُتَقَلِّبَ الْهَوَى، وَلَكِنَّهُ كَانَ «مُؤَرِّخَ الْأَنْدَلُسِ وَالْدَوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِيهَا، إِمَامًا أَهْلِي الصِّنَاعَةِ (صِنَاعَةِ التَّارِيخِ) فِي هَذِهِ الْمُلْكَةِ (الْمُلْكَةِ) وَرَافِعَ الرَّايَةِ لَهُمْ فِيهَا» (مَقْدَمَةُ ابْنِ خَلْدُونِ ٥٦٥/١٠٩٠) وَاسِعَ الْأَطْلَاعِ مُوثِقَ الرِّوَايَةِ وَافَرَ الْحِطِّ مِنْ فَنُونِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ. وَكَانَتْ لَهُ كُتُبٌ عَرَفْنَا مِنْهَا: الْمُنْتَبِهَاتُ - الْمَأَثَرُ الْعَامِرِيَّةُ (أَخْبَارُ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ) - الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى (سُقُوطُ أَبِي الْوَلِيدِ ابْنِ جَهْوَرٍ) - كِتَابُ الْمُقْتَبَسِ فِي أَخْبَارِ بَلَدِ الْأَنْدَلُسِ - كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ. وَكِتَابُ الْمُقْتَبَسِ أَجْلٌ كُتِبَهُ، وَقَدْ كَانَ فِي الْأَصْلِ عَشْرَةَ أَجْزَالٍ تَتَنَاوَلُ تَارِيخَ الْأَنْدَلُسِ مِنْذُ افْتِتَاحِهَا إِلَى أَيَّامِ الْمُؤَلَّفِ، وَلَكِنْ لَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْهُ سِوَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ تَتَنَاوَلُ أَحْدَاثَ الْأَنْدَلُسِ مِنْ سَنَةِ ١٨٠ إِلَى سَنَةِ ٣٦٧ لِلْهِجْرَةِ (٧٩٦-٩٧٧ م).. وَيُورِدُ ابْنُ حَيَّانَ تَارِيخَ الْأَنْدَلُسِ فِي هَذَا الْكِتَابِ عَلَى السَّنِينَ وَبِتَفْصِيلٍ وَافٍ وَدَقَّةٍ بَالِغَةٍ تَمْ يَسْتَرْدُّ عَادَةً إِلَى الْأَحْوَالِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ كَذِكْرِهِ «خَبَرَ الصَّيِّ الْمَتَفَاوِتِ الْحَقْلِيِّ»، فَقَدْ وُلِدَ هَذَا الصَّيِّ وَغَا فِي جَسَدِهِ وَكَلَامِهِ فَوْقَ الْمُشَاهِدَةِ فِي الْعَادَةِ (الْمُقْتَبَسِ، دَارُ الثَّقَافَةِ - بَيْرُوتَ، ١٩٦٥ م، ص ٦٢). وَكَانَ جُلُّ اعْتِمَادِ ابْنِ حَيَّانَ فِي أَحْدَاثِ التَّارِيخِ عَلَى كِتَابَيْنِ لِأَحَدِ ابْنِ مُحَمَّدٍ الرَّازِيِّ (ت ٣٤٤ هـ) هَا: كِتَابُ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ وَكِتَابُ الْاسْتِيعَابِ لِأَنْسَابِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ (وَالْكِتَابَانِ لَمْ يَصِلَا إِلَيْنَا).

٣- الْمُخْتَارُ مِنْ آثَارِهِ

- مِنْ مَنِهْجِ ابْنِ حَيَّانَ فِي تَدْوِينِ التَّارِيخِ: الْفَتْنَةُ الْبَرْبَرِيَّةُ:

... فَأَتَمَمْتُ الْبَحْثَ عَنْ ذَلِكَ عِنْدَ مَنْ بَقِيَ يَوْمُنِيذٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ لَدَيْهَا، فَلَمْ أَظْفَرْ مِنْهُ إِلَّا بِمَا لَا قَدْرَ لَهُ لَزْهِدٍ مِنْ قَبْلُنَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي هَذَا الْفَنِّ وَتَفْهِيمٍ لَهُ عَنْ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ.... وَشَرَعْتُ فِي التَّفْنِيدِ غَيْبُ ذَلِكَ التَّفْنِيدِ^(١) غَيْرَ مُخِلٍّ بِهِ، وَوَصَلْتُ الْقَوْلَ فِي مَا فَاتَنِي قَبْلُ مِنْ ذِكْرِ انْبِعَاطِ تِلْكَ الْفَتْنَةِ وَأَخْبَارِ مُلُوكِهَا وَمَشْهُورِ حُرُوبِهَا نَحْوًا

(١) فَنَدْلَانِ فَلَاتَا (فِي الْقَامُوسِ): كَذَبَهُ وَعَجَزَهُ وَأَبْطَلَ رَأْيَهُ. غَيْبُ: بَعْدَ. وَلَمَّا التَّفْنِيدُ هُنَا: التَّفْصِيلُ

فَنَدَا فَنَدَا (مِنْ الْفَارْسِيَّةِ: بَنَدَ). لَمَّا الْجُمْلَةُ: فَشَرَعْتُ فِي «التَّفْنِيدِ» بَعْدَ «التَّفْنِيدِ»

أَصَبْتُ^(١) به عندي تذكرة أو أخذته عن ثقة، أو وصلتني به مشاهدة أو حاشته^(٢) إلى مذاكرة، حتى نظمت أخبارها إلى وقتي، وجئت بها على وجوها وأوردتها على سبوغها^(٣) ناشراً مطاوبها ومُعلّناً بجوافيها، غير محاب ولا خائف في الصدق عليها.... فركبت سنن^(٤) من تقدمني في ما جمعت من أخبار هذه الفتنة البربرية^(٥)، ونظمت وكشفت عنه، وأوعيت^(٦) فيه ذكر دولهم المضطربة وسياساتهم المتفردة وأسباب كبار الأمراء المنتزعين^(٧) في البلاد عليهم وسبب انتفاض دولهم (حال فعال بأيديهم) ومشهور سيرتهم وأخبارهم وما جرى في مدهم وأعصارهم من الحروب والطوائل والوفائع والملاحم^(٨)، إلى ذكر مقاتل الأعلام والفرسان ووفاء العلماء والأشراف حسب ما انتهت إليه معرفتي ونالته طاقتي.

- موت زاوي بن زيري^(٩) (الذخيرة ١: ٥٨٨):

وُنِمَى إلينا عدو نفسه زاوي بن زيري موقد الفتنة بعد الدولة العامرية^(١٠). وردّ النبأ بمهلكه في القيروان وطنه، بعد منصرفه إليها خائلاً مغموراً بين أعظم قومه لم يرتفع له ذكر بينهم^(١١). مهلكه كان - زعموا - من طاعونة^(١٢) أصابته. فالحمد لله

(١) أصبت: وجدت.

(٢) حاش: جمع.

(٣) السبوغ: التصيل.

(٤) السنن: الطريق، الطريقة.

(٥) البربرية: التي قام بها بربر إفريقية على عرب الأندلس.

(٦) أوعب (بالياء) وأوعى بمعنى واحد: جمع الأشياء ولم يترك منها شيئاً.

(٧) المنتزعين: النازح.

(٨) الطائفة: العداوة، التآمر. الواقعة: الحادثة. اللحسة: المعركة الكبيرة.

(٩) زاوي بن زيري من زعماء البربر تأمر مع علي بن حمود البربري وغندرا بالخليفة سليمان المستعين فاعلماء (سنة ٤٠٧) ثم قتلاه.

(١٠) الدولة (الوزارة) التي كان قد أنشأها المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢) واستبد فيها بأمور الخلافة ثم خلفه فيها ولدان له وانتهت بسقوط الخلافة الأيوبية في قرطبة (٤٢٢ هـ).

(١١) إن غدر زاوي بن زيري لم يجعل له مكانة بين قومه البربر.

(١٢) طاعونة (بثرة أو خراج - بضم الحاء وفتح الراء بلا تشديد - تخرج للإنسان في مرض الطاعون أو في ما يشبهه).

الْمُنْفَرِدُ بِإِهْلَاكِه الْكَفِيلُ بِقِصَاصِهِ . فَلَقَدْ كَانَ ، فِي الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ وَالِاسْتِحْلَالِ لِلْمَحَارِمِ ^(١) وَ (فِي) الْقُوَّةِ ، آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ^(٢) . أَهَانَ اللَّهُ مَثْوَاهُ وَلَا قَسَسَ صَدَاهُ ^(٣) .

١- تاريخ دولة الأمير عبد الله الأمويّ بقرطبة (نشره منشور أنطونية)، باريس (كثرت) ١٩٣٧، ١٩٣٨ م .

- القنيس في أخبار بلد الأندلس (تحقيق عبد الرحمن عليّ الحجّي)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٥ م .

- القنيس من أنباء أهل الأندلس (حقّقه محمود عليّ مكّي)، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

• جذوة القنيس ١٨٨ (الدار المصرية) ٢٠٠ (رقم ٣٩٧)، بغية الملتبس ١٣٦١ الذخيرة ١ ٥٧٣ - ١٦١٤ الصلة ١٥٠ - ١٥١ المغرب ١: ١١٧، وفيات الأعيان ٢: ٢١٨ - ٢١٩، إعتاب الكتاب ١٩٨، نفع الطيب (راجع الفهرس في أماكن كثيرة أكثرها نقول)، شذرات الذهب ٣: ٣٣٣، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٩ - ٧٩٠ بروكلمن ١: ٤١٣ - ٤١٤ الملحق ١: ٥٧٨، الأعلام للزركلي ٢: ٣٢٨ (٢٨٩)، بالنبيا ٢٠٨ - ٢١١ العربي (الكويت) ١٩٦٦/٣، ص ٤٨ .

محمّد بن خلصة

١- هو أبو عبد الله محمد بن خلصة الشذوي^(١)، يُقال له البصيرُ وكان أعمى .

(١) الجور: الظلم . استحلّال المحارم: المرأة على فعل ما حرّمه الله (الاعتداء على نسوة لا يخلن بهم اللام الأولى وتسكين الثانية) له .

(٢) آية من آيات الله (نموذج نادر شاذ) .

(٣) التوى (التوى) . الصدى (الهلاك، الموت، الجنة) .

(٤) جاءت كلمة « خلصة » في المصادر المشوِّرة بالطبع على صور مختلفة . في القاموس (٢: ٣٠١): الخلاصا

(يفتح ففتح): نبات و (يفتح ففتح أو ضمّ فضمّ): بيت كان يدعى الكلمة اليابانية . وفي القاموس أيضا

(٤: ٢٣٩): شذونة وسها أبو عبد الله بن خلصة (يفتح ففتح) السوي . وقبل ذلك محمد أبو العسل

ابراهيم (إنباء الرواة ٣: ١٢٥) . وأمّا محمد بن تاووت الطنجي (جدوة القنيس ٥١) وإبراهيم الأبياري

وطه حسين (المقتضب ٢٠) فاختراروا فتح الهام وسكون اللام . واخترار أحد زكي (نكت الهيار

٢٤٨) ضمّ الهام وسكون اللام . ولا شك في أن احسان عباس قد توقف أمام هذه المشكلة فاخترار

أهمل الكلمة فلم يضبطها (نفع الطيب ٤: ١١٠، ١٥٦، ٣٠٠) . أمّا كلمة شذونة فالشهور فيه

والعسل به فتح الشين وضمّ الدال (راجع القاموس ٤: ٢٣٩) . ولكنّ محمد أبا الفضل ابراهيم ضبطه

(إنباء الرواة ٣: ١٢٥) بفتح الشين وسكون الدال وفتح الواو اعتدلا على السماعي .

أخذ عن ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) ثم تصدّر للتدريس في دانية (بشرق الأندلس) بعد سنة ٤٤٠ هـ. وكان أيضاً يتكسّب بالشعر، وقد مدح أحمد بن سليمان بن هود لما استولى على دانية، سنة ٤٦٨ هـ (١٠٧٥ - ١٠٧٦ م). ويبدو أنه توفي سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) أو قبلها بقليل.

٢- برّح محمد بن خلسة في اللغة والنحو وكان شاعراً مُجيداً فنونه المدح والغزل والوصف. وشمره عذبٌ مشرقى الديباجة فخمٌ واضحٌ حسن الصنعة مع أنه يتكلّفها أحياناً.

٣- مختارات من شعره

- قال محمد بن خلسة الشذوي في النسيب:

أُمدنّفُ نفسٍ ذو هوى أم جليدها	غداة غدت في حلبة التين غيدها ^(١)
وقد كنت منهن أكناف منيع	عباد سادات الرجال عبيدها ^(٢) .
تبادرن أستار القباب كما بدت	بدور، ولكن البروج عقودها ^(٣) .
تخذ بألحاظ العيون حدودها،	وترهب أن تنقد لنا قودها ^(٤) .
فيا لديمه الأسد تنفكها الدمي	وللصيد من غفر الظيل تصيدها ^(٥) .
وغوى الحشايا كل مرهقة الحشا	حشت كيدي نارا بطيناً خمودها ^(٦) .

(١) المدنف: القريب من الملاك. الجليد: التصبر، المتكسب. البين: البعاد، المهجر. - غداة غدت... إلخ: حيناً أخذت المحبوبات يتابعن في هجر المحب.

(٢) كنت (أحاطت) أكناف (أطراف). منيع بفتح الميم وكسر الميم (ناح المروس - الكويت - ٦: ٢٤٤). عباديد تدلّ على عدد من المعاني لا توافق المعنى المراد (راجع ناح المروس ٨: ٣٣٧ - ٣٣٨). الشاعر يقصد السام المحبيلات (كالظباء التي في وادي سمح) الإماء المملوكات...

(٣) يتابعن ينظرن من وراء ستور القباب (الحج الكبيرة: دلالة على غناها وتشمعن وعلو مكانهن في المجتمع. البروج: مجموعات نجوم (عدها اثنا عشر) كان القدماء يعتقدون أن الشمس تهربها كلها في عام كامل.

(٤) كذا في الأصول: تحذ وترهب (بالثاء فيها). ولعلها بالتون: تحذ (مخرج) حدودها بألحاظنا (دلالة على نظارة وجوههن ورقتها). تنقد: تهقطع.

(٥) الدمية: الصورة، التمثال (المرأة الجميلة). الصيد: الرجال الأشراف الشجعان. العفر: السم.

(٦) الحشية: الفراش، الأريكة. مرهقة الحشا: ضامرة الحصر. وغوى الحشايا... (دلالة على النسم).

لَيْتَ زَعَمُوا أَنِّي سَلَوْتُ، لَقَدْ بَدَتْ
نُحُولٌ كَرَقَرَاكِ السَّرَابِ، وَعَبْرَةٌ
لِتَفْدِكَ أَكَادٌ طَلِمَ أَجْفَهَا
ضَنَى جَسَدِي إِنْ كَانَ يُرْضِيكَ بُرْؤُهُ،
وَلَوْلَا الْهَوَى لَمْ تَرْضَ نَفْسٌ نَفْسَهُ
دَلَائِلُ مِنْ شَكْوَايَ عَذْلُ شَهْوَاهَا:
كَمَا انْتَهَمَلَتْ غُرَّ السَّحَابِ وَسُودُهَا^(١)
هَوَاكِ وَأَجْفَانُ جَفَّاهَا هُجُودُهَا^(٢)
وَاتِلَافُ نَفْسِي فِي هَوَاكِ خُلُودَهَا.
هَوَانًا، وَلَكِنْ جِبُّ نَفْسٍ قُوُودَهَا^(٣).

٤- ** الذخيرة ٣: ٣٢٢ - ١٣٣١ حذوة المقتبس ١: ٥٤ - ٥٥ (رقم ٤٩)؛ بغية الملتبس ٦٤ - ٦٥ (رقم ١١١)؛ الحمدون من الشعراء ٤١٠ - ٤١١؛ انباه الرواة ٣: ١١٢٥ نكت الحميان ٢٤٨ - ١٢٤٩ الوافي بالوفيات ٣: ٤٢ - ٤٣؛ المغرب ٢: ٣٩٣ - ٣٩٤ بغية الوعاة ٤٠؛ نفح الطيب ٤: ١٠٠ - ١٠١، ١٥٦.

ابن الأجدائي

١- هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الطرابلسي المغربي المعروف بابن الأجدائي، نسبته إلى أحد أجداده الذي كان من أجدائية، وهي بلدة على نحو مائة وستين كيلو متراً جنوب بنغازي (ليبيا).

وكذلك ابن الأجدائي في طرابلس ونشأ فيها وتعلم على علمائها وعلى الذين كانوا يقدون إليها لأنه لم يمارحها قط. ولنا نعرف شيئاً من أحداث حياته ولا نعرف تاريخ مولده ووفاته. وإذا كان ابن الأجدائي هذا معاصراً للقاضي أبي محمد عبد الله ابن محمد بن هاشم^(١) الذي تولى القضاء في طرابلس اثنتين وثلاثين سنة

(١) عيرة: دسة. في السحاب الأسود ماء كثير.

(٢) لتفدك (لتتكن قدام لك). هجود: النوم.

(٣) القنود والقنود (من قاد): الذي يتقاد بسهولة - ولكن حباً (محبوب) الإنسان يحمل ذلك الإنسان على قبول الدلّ والمهوان.

(٤) نفحات النسيم والريحان ٧٢، ٨٦. ابن هاشم كان قاضياً في طرابلس (المغرب) من سنة ٤٤٤ إلى سنة ٤٧٦ (١٠٥٢ - ١٠٨٣ م) راجع أعلام ليبيا، ص ١٩٣.

(٤٤٤ - ٤٧٦ هـ) فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ الْأَجْدَائِيَّ مِنْ أَجْلِهِ الْمَائَةِ الْحَامِيَةِ^(١). وَكَانَ ابْنُ الْأَجْدَائِيَّ أَحْوَلَ.

٢- يَبْدُو أَنَّ ابْنَ الْأَجْدَائِيَّ كَانَ مُلِمًّا بِعَدِيدٍ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ كَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالصَّرَفِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ وَالْحِسَابِ وَالْفَلَكَ، وَلَكِنْ شُهِرَتْ فِي اللُّغَةِ. هُوَ مُصَنَّفٌ كَثِيرٌ، لَهُ: كِفَايَةُ الْمُتَحَفِّظِ وَنَهَايَةُ الْمُتَلَفِّظِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ^(٢) - كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِي حَفْصٍ فِي تَنْقِيهِ الْإِلْسَانِ - كِتَابُ فِي شَرْحِ الْأَسْمَاءِ الْمُعْتَلَّةِ بِالْبَاءِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ تَصْغِيرٍ وَتَكْسِيرٍ - كِتَابُ فِي الْقُرُوضِ (كَبِيرٍ) - كِتَابُ فِي الْعُرُوضِ (صَغِيرٍ، مُخْتَصَرٍ) - مُخْتَصَرٌ فِي عِلْمِ الْأَنْسَابِ - مُخْتَصَرُ كِتَابِ نَسَبِ فَرِيشٍ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الزَّيْبِيِّ بْنِ بَكَّارٍ - كِتَابُ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَنْوَاءِ - كِتَابُ الْحَوْلِ (جَمْعُ أَحْوَالٍ).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- مِنْ مَقَدِّمَةِ «كِفَايَةِ الْمُتَحَفِّظِ»:

هَذَا كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِي اللُّغَةِ وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ غَرِيبِ الْكَلَامِ، أَوْدَعْنَاهُ كَثِيرًا مِنْ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَجَنَّبْنَاهُ حَوْشِي الْأَلْفَاظِ وَاللِّغَاتِ وَأَعْرَيْنَاهُ مِنَ الشَّوَاهِدِ لِيَسْهُلَ حِفْظُهُ وَيَقْرَبَ تَنَاوُلُهُ. وَجَعَلْنَاهُ مَغْنِيًّا لِمَنْ اقْتَصَدَ فِي هَذَا الْفَنِّ وَمُعِينًا لِمَنْ أَرَادَ الْإِتْسَاعَ فِيهِ.

- مِنْ مَقَدِّمَةِ كِتَابِ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَكَنَةِ:

.... هَذَا كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ أَوْدَعْنَاهُ أَبْوَابًا حَسَنَةً فِي عِلْمِ الْأَزْمَنَةِ وَأَسَاسَاتِهَا، وَالْفُصُولِ وَأَوْقَاتِهَا، وَمَنَاظِيرِ النُّجُومِ وَهَيْئَاتِهَا، بِأَوْضَحٍ مَا أَمْكَنَّا مِنَ التَّبْيِينِ وَبِأَسْهَلٍ مَا حَضَرْنَا مِنَ التَّقْرِيبِ.....

(١) فِي نَفَحَاتِ السَّرْعِ وَالرَّيْجَانِ تَضَارَبَ فِي اثْبَاتِ تَوَارِيخِ وَلَايَةِ ابْنِ هَانِشٍ وَتَوَارِيخِ ابْنِ الْأَجْدَائِيَّ. فَصَاحِبُ نَفَحَاتِ السَّرْعِ وَالرَّيْجَانِ يَذْكُرُ أَنَّ وَفَادَ ابْنَ الْأَجْدَائِيَّ كَانَتْ فِي صَدْرِ الْمِائَةِ السَّابِقَةِ بَعِيدَ ٦٠٠ هـ ثُمَّ يَجْمَعُهُ مَعَاصِرًا لِابْنِ هَانِشٍ. وَلَعَلَّ مَا اخْتَارَهُ الزُّرْكَانِيُّ (الْإِعْلَامُ ١: ٢٥) قُرْبَ مِنَ الصَّوَابِ إِذْ جَمَعَ وَفَاتَهُ سَنَةَ ٤٧٠ هـ.

(٢) كِتَابُ فِي قِفَةِ اللُّغَةِ (عَلَى مِثَالِ «قِفَةِ اللُّغَةِ» لِلشَّامِيِّ)

- السَّنة (كتاب الأزمنة والأمكنة، ص ٣٠):

... وَأَمَّا السَّنةُ فَهِيَ الْمُدَّةُ الْجَامِعَةُ لِلْفصولِ الأربعةِ التي هي الربيعُ والصيفُ والخريفُ والشتاءُ، ويُقدَّرُها عندَ الرومِ والسُّريانيين اثنا عشرَ شَهراً شَمْسِيَّةً، قد أُكْمِلَ الكَسْرُ في بَعْضِها فصَارَ واحداً وثلاثينَ يوماً، وأُسْقِطَ من بَعْضِها فصَارَ ثلاثينَ يوماً لا غيرُ. ويُقدَّرُها عندَ القبطِ اثنا عشرَ شَهراً شَمْسِيَّةً قد أُسْقِطَ الكَسْرُ من جَمِيعِها فصَارَ كُلُّ شهرٍ منها ثلاثينَ يوماً، ويزِيدونَ على ذلكَ خَمسةَ أَيامٍ تُسَمَّى النَّسِيءِ عِوضاً عن الكُسُورِ التي أُسْقِطَت من كُلِّ شَهْرٍ.

وَيُقَدَّرُ السَّنةُ عندَ العَرَبِ اثنا عشرَ شَهراً قَمَرِيَّةً، وكذلك هي عندَ العِبرانيين واليونانيين، إلَّا أَن هَؤُلاءِ يَزِيدونَ في كُلِّ ثلاثِ سِنِينَ من سِنِيهِم، شَهراً فتَكُونُ الثالثةُ من سِنِيهِم أبدأً ثلاثةَ عَشَرَ شَهراً قَمَرِيَّةً يُسَمَّوْنَها الكَبِيسَةُ. ورياً كانت زيادَتُهُم لهذا الشهرِ في مُدَّةِ سَنَتَيْنِ لأنَّهُم يَفْعَلونَ ذلكَ في كُلِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ تِسْعَ مَرَّاتٍ^(١).....

- ٤ - كُتَابَةُ الْمُتَحَفِّظِ وَنَهَابَةُ الْمُتَلَفِّظِ، القَاهِرَةُ ١٢٨٥، ١٢٨٧، ١٣١٣ (نشره أحد عبَّاس)، بيروت ١٣٠٥ هـ (في المجموعَةِ اللُّغَوِيَّةِ - نشرها مصطفى الزرقا)، حلب ١٣٤٥ هـ.
- كُتَابُ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَكَنَةِ (حَقَّقَهُ عَزَّةَ حَسَنٌ - نشرته وزارةُ الثقافة والإرشاد القومي للجمهورية العربية السورية: أحياء التراث القديم، رقم ٩)، دمشق (دار سميراميس للطباعة والنشر) ١٩٦٤ م.

* معجم الأدياب ١: ١٣٠، أنباء الرواة ١: ١٥٨، بغية الوعاة ١٧٨، رحلة التجاني ٢٦٢ - ٢٦٤، المنهل العذب ١: ١٥٤ - ١٥٦، أعلام ليبيا ٤ - ٥، أعلام طرابلس ١١٦ - ١٢٢، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٦٩، تاج العروس (الكويت) ٢: ١٤١، بروكلمن ١: ٣٧٥، الملحق ١: ٥٤١، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣٣: ١٣٤٩، مجلة كلية الآداب (الجامعة الليبية)، العدد الثالث ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م، ص ١٤٥ - ١٨٢، صوت الحق (الغرب) السنة الأولى، العدد الأول، ص ٣٣، الأعلام للزركلي ١: ٢٥. (٣٢).

(١) لأن السنة الشمسية في الحقيقة ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم وكسر من الساعات.

إدريس بن اليان

١ - هو أبو علي إدريس بن اليان بن سام العبدري الياسي (نسبة إلى يابسة أصغر الجزر الشرقية - شرق الأندلس) الشيبني (نسبة إلى الشيبين، وهو شجر الصنوبر لأنه يكثر في بلده). أصل أهله من قسطلة الغرب من عمل شنت مريّة ابن هارون من مملكة ثلب حيث حكم بنو مزين من ملوك الطوائف (٤١٩ - ٤٤٤ هـ). ويبدو أن مولده كان في جزيرة يابسة. ولقد نشأ وقرأ العلم في مدينة دانية (على الساحل الجنوبي الشرقي من الأندلس). ثم طال مكثه فيها، وفيها بدأ حياته العامة وعرفت مواهبه الأدبية. بعدئذ أخذ يتردد على بلاطات ملوك الطوائف فننق شعره فيها وتكسب به: مدح ابن حود (لعله محمد المهدي بن القاسم بن حمود صاحب الجزيرة الخضراء من سنة ٤٣١ إلى سنة ٤٤٠) ومدح ابن مقنة وزير يحيى بن حمود صاحب مالقة ومدح الموفق مجاهد العامري في دانية (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) وابنته اقبال الدولة (٤٣٦ - ٤٦٨ هـ) ومدح المأمون بن ذي النون في طليطلة (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) ثم مدح المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية (٤٣٤ - ٤٦١ هـ).

وكانت وفاة إدريس بن اليان الياسي سنة ٤٧٠ (١٠٧٧ م). وإذا نحن قبلنا أن يكون مدحه قد بدأ بابتن مقنة وزير يحيى بن حمود - وكان يحيى قد حكم مالقة في فترتين بين سنة ٤١٢ وسنة ٤٢٧ (١٠٢١ - ١٠٣٥ م)، فيجب ان يكون قد عاش ثمانين سنة او تزيد.

٢ - إدريس بن اليان الياسي شاعر جليل ومكثّر مطيل، نجد في شعره الوجداني عذوبة. أما شعره الرسمي في الفخر والمدح فيه تقليد للمشاركة في الأغراض والأسلوب. وهو مع ذلك، في الأندلس، من فحول الشعراء. ولم يكن بعد ابن ذرّاج (راجع، فوق، ص ٣٧٧) من يجري مجراه في متانة التركيب وعلو النفس. وقد تصرف في المدح تصرفاً حسناً، وكان يأخذ على القصيدة مائة دينار. وغزله ونسيبه حسنان. وله وصف بارع للخمر والطبيعة: وله هجاء.

- من مشهور شعر (أدريس بن اليان) في المغرب والشرق (نفع الطيب ٤ : ٧٥) في

الخنمر:

ثَقُلْتُ رُجَاجًا أَتَنَّا فُرْعًا حَتَّى إِذَا بُلِثْتُ بِصِرْفِ الرَّاحِ^(١)،
خَفْتُ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ بَا حَوْتَ، وَكَذَا الْجِسْمُ نَحْفَ بِالْأُرُوحِ.
- ومن أبياته المُستَحَسَنَة عندهم:

قُبْلَةً كَانَتْ عَلَى دَعَشٍ أَذْهَبَتْ مَا بَيَّ مِنَ الْفَطَشِ^(٢)،
وَلَهَا فِي الْقَلْبِ مَنْزِلَةٌ لَوْ عَدَّتْهَا النَّفْسُ لَمْ تَيْشِ^(٣)،
طَرَفَتْنِي وَالْدَّجَى لَيْسَتْ خَلْعًا مِنْ جِلْدَةِ الْحَشِ^(٤)،
وَكَأَنَّ النِّجْمَ حِينَ بَدَا دِرْهَمٌ فِي كَفِّ مُرْتَمِشِ.

- ومن أبياته القصيرة المُرْقِصَة بِالْفَاظِهَا:

أَقْبَلْتُ تَهْتَزُّ كَالْفُصَى وَتَمْنِي كَالْحَمَامَةِ
طَبِيَّةٌ تَحْدُ عَيْنَيْهَا وَخَدَّيْهَا الْمُدَامَةُ^(٥).

- وله في لِحْيَةٍ طَوِيلَةٍ عَرِيضَةٍ (المغرب ١ : ٤٠٠):

لَوْ أَنَّهَا دُونَ السَّيْلِ سَحَابَةٌ لَمْ تَخْتَرِفْهَا دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ^(٦)،
- ومن شعره الفخم الذي يَقلِّدُ فيه المِشَارِقَة قولهُ:

لَبَيْكَ لَبَيْكَ، دَاعِي اللَّهْوِ مِنْ كَتَبٍ إِلَى مُعَاطِفَةِ الْأَغْصَانِ وَالْكُتُبِ^(٧)،

(١) صرف الراح: الراج (الخنمر) الخالصة (غير المزوجة بالماء).

(٢) دَعَش (يفتح فكسر) يدعش (يفتح الهاء) دهنا (يفتح ففتح) : ذهب العقل أو تحييره من خوف أو حب أو حياء.

(٣) عدتها: تجاوزتها.

(٤) من جلدة الحش (حية سوداء كبيرة غير سامّة) : شديدة السواد.

(٥) المدامة: الخمر.

(٦) في الاثر: ان الشخص المظلوم اذا دعا الله فلا يكون بين دعوته وبين وصولها الى الله حجاب.

(٧) كتب (الاولى): قرب. الكتب (الثانية) جمع كتيب: النقلة من الرمل العظيم الشديد. الاغصان (هنا): كتابة عن تعداد النساء، والكتب كناية عن اوساط النساء.

إلى حدودِ بناتِ الرومِ قد برزت
من كلِّ سافرةٍ عن شربِ خجلًا
واستضحكت عن لآلٍ أو حصي بردٍ
يحدو بها فتنةٌ صيفتُ وجوههم
قد قارعوا دونها كلَّ ابنِ قارعةٍ
ماذا أقولُ لِدُنْيَا لو ظفرتُ بها
ألقى الأجيّةَ مخفوضِ الجناحِ وقد
من حُجْبِها وأدارتُ أعينَ العربِ،
فيه طرازانِ من ماءٍ ومن لَهَبٍ^(١).
يكادُ يقطرُ من مائيةِ الشَّبِ^(٢).
من الرضا وعواليهم من الغضبِ^(٣).
يَهْبُ مُنْغَمَسًا في الحربِ والحربِ^(٤).
أدبَتْها غَضَبًا للظرفِ والأدبِ^(٥).
أحتلَّتْ تحت الرداءِ المضبِّ ذو الشَّطْبِ^(٦).

- وقال في فعل الحمر بشاربيها:

وَمُسَدِّنَ عَلَى الْأَكْفِ رُؤُوسِهِمْ
مَا زِلْتُ أَتَقِيهِمْ وَأَشْرَبُ فَضْلَهُمْ
وَالْحَمْرُ تَعْرِفُ كَيْفَ تَأْخُذُ حَقَّهَا.
قد غَالَتْهم في السُّكْرِ ما قد غَالَتْني^(٧).
حَتَّى أَتَنَبَّيْتُ وَنَالَهُم مَا نَالَنِي.
إِنِّي أَمَلْتُ إِنْاءَهَا فَأَمَالَتْنِي^(٨).

- وقال في الوصف:

وَفَتَيَانِ صَدِيقِ عَرَسَا تَحْتَ دَوْحَةٍ وليس لهم الآ نَبَاتُ فِرَاشٍ^(٩)

- (١) مشرب: غم. طرازان: صفان (من الاسنان) من ماء (ريق ابيض حلوزكي الرائحة) ومن لهب (كناية عن اشتعال العاطفة بالحب).
- (٢) حصي (حجارة) برد: جبات البرد (قطرات الماء المتجمدة والساقطة مع المطر، كناية عن نظافتها وشدة بياضها). الشنب: اللون الابيض في الانسان.
- (٣) المالية: صدر الرمح (اعلاه). - هم في السلم يبدو الرضا على وجوههم (للمجمع) وفي الحرب يكونون في غضب شديد على الخصم.
- (٤) قارعوا دونها: قاتلوا ودافعوا (عنها). القارعة: الذاهية (المصيبة). ابن قارعة الرجل القتمرس بالدهاء والاختبار. الحرب (يفتح ففتح): السلب.
- (٥) ادبها (عاقبتها بالضرب) غضبا (انتقاما) للظرف والادب (لأنه ليس فيها او لا ينفع فيها الظرف - الخلاوة في الكلام وفي المعاملة مع السكتة).
- (٦) مخفوض الجناح (الجناح) متواضع. ثم امشي الخيلاء (بضم ففتح) متعاطيا متكبرا، اذا كنت احل تحت ثوبي غصبا (سيلا قاطعا) ذا شطب (شقوق) لكثرة ما حاربت به. - يحتال (فرحا) وهو ذاهب الى الحرب.
- (٧) قوم جملوا أكلهم وسادة (ناموا من السكر أو التنب في غير فراش). غالم: أهلهم، (أنهمهم، ذهب الحمر بوجعهم).
- (٨) أملت إناها (حنيته لأصب منه الحمر: شربت ما فيه من الحمر) فأمالني (حني رأسي من التماس).
- (٩) عرسوا: نزلوا في الليل، باتوا. دوحة: شجرة عظيمة.

فَكَاتَمَ - وَالنَّوْرُ يَنْقُطُ فَوْقَهُمْ - مَصَابِيحُ تَهْوِي لِحَوْهِنَّ فَرَأَتْ^(١).
 - سَأَلَهُ الْمُعْتَصِدُ أَنْ يَدْحَهُ بِقَصِيدَةٍ يُعَارِضُ بِهَا قَصِيدَتَهُ السَّبِيئَةَ الَّتِي مَدَحَ بِهَا ابْنَ
 حُدُودٍ فَقَالَ لَهُ: «أَشْعَارِي مَشْهُورَةٌ. وَبَنَاتُ صَدْرِي كَرِيمَةٌ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكَحَ بِكَرَاهَا
 فَقَدْ عَرَفَ مَوْرَهَا».

٤ - ** الذخيرة ٣: ٣٣٦ - ١٤٠٩ جذوة المقتبس ١٦٠ (الدار المصرية ١٧٠ (رقم ٣١٣):
 بغية اللئس ٢٢٢ (رقم ٥٦٠)، الوافي بالوفيات ٨: ٣٢٧ - ٣٢٨: المغرب ١:
 ١٤٠٠: الحلة السراء ٢: ١٨٤ - ١١٨٥: نفع الطب ٤: ٧٥، ٥: ٦٠١.

ابن عبد البر الصغير

١ - هو أبو محمد عبد الله بن الفقيه أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد
 البر النبري القرطبي المالكي نقول لأبي محمد: ابن عبد البر الصغير بالإضافة إلى أبيه
 أبي عمر. (ت ٤٦٣ هـ).

عَلَتْ مَنْزِلَةُ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْكِتَابَةِ وَالْأَدَبِ فَتَنَافَسَ فِي اجْتِنَابِهِ مَلُوكُ
 الطوائف، وَلَكِنْ ظَفِرَ بِهِ الْمُعْتَصِدُ عَبْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ صَاحِبُ إِشْبِيلِيَّةٍ (٤٣٤ - ٤٦١ هـ).
 وَفِي سَنَةِ ٤٥٠ هـ كَانَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي بَلَاطِ الْمُعْتَصِدِ وَكَتَبَ الرِّسَالَةَ الْمَشْهُورَةَ فِي تَبْرِيرِ
 قَتْلِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْمُعْتَصِدِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ بَرَزَتِ الْعِدَاوَةُ بَيْنَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَابْنِ زَيْدُونَ (لَأَنَّ ابْنَ زَيْدُونَ وَزَيْرَ
 الْمُعْتَصِدِ خَافَ عَلَى مَنَاصِبِهِ مِنْ ارْتِفَاعِ مَنْزِلَةِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ عِنْدَ الْمُعْتَصِدِ). ثُمَّ تَغَيَّرَ
 الْمُعْتَصِدُ عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ. وَأَحْسَنَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْخَطَرَ عَلَى حَيَاتِهِ فَاسْتَطَاعَ أَنْ يُغَادِرَ
 إِشْبِيلِيَّةَ فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ. وَبَعْدَ هَرَبِهِ مِنْ إِشْبِيلِيَّةٍ تَنَقَّلَ فِي الْبُلْدَانِ وَكَتَبَ (عَيْنَ كَاتِبًا)
 عَنْ أَكْثَرِ مَلُوكِ الطوائف. ثُمَّ إِنَّهُ لَجِقَ بِالْعَامِرِيِّينَ أَصْحَابِ دَانِيَةِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ
 ٤٧٤ هـ (١٠٨٠ م) فِي الْأَغْلَبِ.

٢ - كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ (الصغير) كَاتِبًا مُجِيدًا مُتَرَسِّلًا رَوِيَّةً وَارْتِجَالًا.

(١) النور (بفتح النون) الزهر الأبيض.

ورسائله سُلطانية (ديوانية، حكومية، رسمية) وإخوانية (شخصية). وأغراضه في رسائله كلها التهنئة والتعزية ثم ما بين التهنئة والتعزية ثم في العتاب وفي الهجاء ثم في الموضوعات الدينية والموضوعات الأدبية. وهو يُكثِرُ الاقتباسَ من الأمثال ومن القرآن. ثم إنه يُكثِرُ الاستشهادَ بالشعر، ولكن لم يُرَوْ عنه من النظم إلا أبياتٌ بسيرة. والصناعة عنده كثيرة ولكنه لا يُلجِ على السجع، فكثيرٌ من فصوله (جُمْلَه) مُطْلَقٌ.

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو محمد بن عبد البرُّ في الأدب (الحكمة):

لَا تُكْثِرَنَّ نَأْأُلَا وَاحْبِسْ عَلَيْكَ عِنَانَ طَرْفِكَ^(١).
فَلَرُبَّمَا أَرْسَلْتَهُ فَرَمَاكَ فِي مَيْدَانِ حَتْبِكَ^(٢).

- ولابن عبد البر الصغير رسالة أنشأها ارتجالاً بحضرة المعتضد عباد بن محمد، وكان المعتضد قد قَتَلَ ابْنَه إسماعيل لما ثار عليه. وطلب المعتضد من ابن عبد البر أن يُنْشِئَه هذه الرسالة في شرح أسباب ذلك القتل وتسويقها (والرسالة طويلة جداً):
... وَلَمَّا وَتَبَ هَذَا اللَّعْنُ الْغَبِينُ^(٣) مِنَ الْمَهْدِ إِلَى الْمَهْدِ^(٤)، وَدَرَجَ مِنَ الْأَذْرَعِ إِلَى الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ^(٥)، وَرَأَاهُ اسْتَفْنَى وَأَثَرَى مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا^(٦)، أَشْرَاهُ ذَلِكَ وَأَبْطَرَهُ وَأَطْغَاهُ وَأَكْفَرَهُ^(٧)، وَطَلَبَ الْإِزْدِهَادَ وَأَحَبَّ الْإِنْفِرَادَ^(٨). وَقُبِضَ لَهُ قُرْنُهُ سِوَا أَعْدَاؤِهِ

(١) العنان: الرمن، اللجام. الطرف: البصر، العين.

(٢) الحنف: الهلاك.

(٣) الغبين والمقيون: الضعيف الرأي.

(٤) من المهد (الطفولة) إلى المهد (الحكم): بسرعة (جاء إلى الحكم صغيراً).

(٥) درج من الأذرع إلى الأرفع (الأذرع: المرقف، الحسب النبوي).

(٦) استفنى: أصبح غير محتاج. أثرى: غني، أصبح مالكا لأشياء كثيرة.

(٧) أشراه (بالمنى المقصود: أبطره أي كثر فرحه بالنعمة حتى جعل يسرف في الأشياء) غير موجودة في القاموس. أطغاه: جملة ظالماً. أكفره: نسب إلى الكفر (والمقصود: جملة يكفر بالله أو يكفر النعمة).

(٨) الازدياد من القوة والافتراء بالحكم.

وَأَرْذَوُهُ^(١)، وَأَتَيْحَ لَهُ جُلْسُهُ مَكَرَ أَعْرَوْهُ وَأَعْوَوْهُ^(٢)، وَأَشْعَرَوْهُ الْاسْتِحْشَاشَ وَالنِّفَارَ وَزَيَّنُوا لَهُ الْعُقُوقَ وَالْفِرَارَ^(٣)، لِيَنْفَرِدَ - وَيَنْفَرِدُوا مَعَهُ - بِالْبَلَدِ وَلَا تَكُونَ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِيهِ يَدٌ أَحَدٍ. فَخَرَجَ لَيْلًا بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ خُرُوجًا شَنِيعًا فَتَقَّقَ فِيهِ قَصْرِي وَخَرَقَ بِهِ حِجَابَ سِتْرِي^(٤) يَوْمَ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَمَا بَلِيهَا لِتَمْلِكُهَا وَيَعِثَ فِيهَا^(٥). وَكُنْتُ غَائِبًا عَلَى مَقَرِّيهِ فَوَرَدْتُ وَطِيرْتُ فِي الْحَيْنِ إِلَى الْجِهَةِ^(٦) مِنْ بَصْدِهِ عَنْهَا وَيَمْنَعُهُ مِنْهَا. فَسَبَقَهُ الْخَبَرُ وَفَاتَهُ الْوَطَرُ^(٧)... فَوَجَّهْتُ إِلَى (هَذَا) اللَّعِينِ أَعْرِضْ عَلَيْهِ قَبُولَ عُذْرِهِ. وَسَرِيتُ الْخَيْلَ مَعَ ذَلِكَ لِلْإِطَاحَةِ بِهِ وَحَصْرِهِ حَتَّى أَجْلَاءَ ذَلِكَ إِلَى التَّنَصُّلِ وَالْاعْتِذَارِ وَأَجَاءَهُ إِلَى الْإِقَالَةِ^(٨) وَالْاسْتِغْفَارِ. فَأَقْبَلْتُهُ وَعَفَوْتُ عَنْهُ وَأَغْصَيْتُ^(٩) عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ. (ثم) صَرَفْتُهُ إِلَى جَمِيعِ حَالِهِ وَمَالِهِ^(١٠). وَلَمْ أُؤْذِنْهُ إِلَّا بِالْإِعْرَاضِ وَالْهِجْرَانِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَنْسَنُهُ مَعَ ذَلِكَ بِمَزِيدِ الْإِنْعَامِ وَالْإِحْسَانِ. فَإِذَا بِهِ كَالْحَبِيبَةِ لَا تُغْنِي مُدَارَاتِهَا، وَالْعَقْرَبَ لَا تُسَالِمُ شَبَابَتَهَا^(١١). وَكَأَنَّهُ قَدِ اسْتَصْفَرَ مَا أَتَى وَاحْتَقَرَّ مَا جَنَى، فَزِدْنِي وَسَدْنِي^(١٢) مَا صَارَتْ بِهِ الصُّفْرَى الَّتِي كَانَتْ الْعُطْطَى^(١٣). فَلَمْ أَشْعُرْ بِهِ إِلَّا وَقَدْ آلَفَ أَوْبَاشًا مِنْ خُجَاسِ صَبِيَّانِ الْعَبِيدِ الْمُتَهَنِّتَيْنِ^(١٤) فِي أَذُونِ وَجْهِهِ التَّصْرِيفِ - إِذْ لَمْ

(١) فرأى أصحاب قِيصُوا (أتاحوا، هَيَّأُوا، سَهَّلُوا). أَعْدَى: بَغَى إِلَيْهِ (المرض). أَرْدَى: أَهْلَكَ.

(٢) أَعْرَى: أَطْعَمَ. أَعْوَى: أَضَلَّ.

(٣) العُقُوقُ: عَصَبَانِ الْوَالِدَيْنِ.

(٤) فَتَقَّقَ: شَقَّقَ. خَرَقَ حِجَابَ سِتْرِي: أَطْلَعَ الْأَعْدَاءَ عَلَى أَسْرَارِي وَعَلَى أَحْوَالِ أَسْرِي.

(٥) الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ: مَقَاطِعَةٌ فِي جَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ. بَلِيهَا: يَقَارِبُهَا، يَتَّبِعُهَا. يَعِثُ: يَبْصُدُ.

(٦) وَرَدْتُ (رَجَعْتُ إِلَى الْبَلَدِ). فِي الْحَيْنِ: حَالًا. إِلَى الْجِهَةِ (الْمَكَانِ الَّذِي هَرَبَ إِلَيْهِ).

(٧) الْوَطَرُ: الْغَايَةُ.

(٨) أَجَاءَهُ: دَفَعَهُ إِلَيْهِ. الْإِقَالَةُ (الْمَقَرُّ مِنَ الْخَطَأِ).

(٩) أَغْصَيْتُ عَلَى الْأَمْرِ: سَكَنْتُ عَنْهُ وَصَبِرْتُ عَلَيْهِ.

(١٠) وَصَرَفْتُهُ إِلَى جَمِيعِ حَالِهِ وَمَالِهِ: رَدَدْتُهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَشَارِكَةِ فِي الْحُكْمِ وَإِلَى مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمَالِ.

(١١) شِبَاةُ الْعَقْرَبِ: أَمْرَتُهَا. لَا تُسَالِمُ (بِالْبِنَاءِ الْمَعْلُومِ أَوْ الْمَجْهُولِ): الْعَقْرَبُ لَا تَتْرَكَ السَّلْحَ أَوْ الضَّرْبَ بِأَمْرَتِهَا.

(١٢) زِدْنِي: أَلْبِسْ رَدَاءَهُ أَوْ ثَوْبَهُ. سَدْنِي التَّوْبَ (عِنْدَ النَّسَجِ): مَتْنٌ مَحْبُوطٌ طَوِيلًا (الْقَصِيدُ أَنَّهُ أَتَمَّ حَبْكَ الْوَأَسْرَةِ).

(١٣) مَا صَارَتْ بِهِ... عَظَمَ ذَنْبُهُ (لَعَلَّ النَّاطِقَ يَقْتَضِي: مَا صَارَتْ بِهِ الْعُطْطَى الَّتِي كَانَتْ الصُّفْرَى).

(١٤) الْأَوْبَاشُ: الْأَخْلَاطُ مِنَ النَّاسِ وَالْمَقَلَّةِ. الْمُتَهَنِّتَيْنِ: الْمُسْتَعْدَمَيْنِ (بِقَتْلِ الدَّالِ).

يطمع اللعين أن يساعده على هذه الفتنة من فيه أدنى رمي وأقل مسكة^(١) - ثم سفاهم الحمر وسقى نفسه ليجترى ويجرهم^(٢) وبحول بينهم وبين أدنى ميز^(٣) إن كان فيهم. وسلحهم بضروب من الأسلحة المتصرقة في أماكن الضيق والسعة. وطرق القصر في بضع عشرة^(٤) منهم. وتعلق معهم الأسوار والحيطان، وتسمن بهم السقوف والجدران بروم في القضية العظمى والطامة الكبرى^(٥) التي قام دونها دفاع الله تعالى. فشعرت بالحركة فخرجت. فلما وقعت عينه وأعيتهم علي تساقطوا هاربين وتطارحوا^(٦) خائفين خائبين. وإنما كان رجالهم^(٧) أن يجدوني في غمرة الكرى أو على غفلة من أن أسمع وأرى. فقلت، بحمد الله، أراجيهم^(٨)، وضلت أعالهم ومساعيهم. وأعجلتهم عواقب كفرهم وتعدّيهم. وخرق اللعين سور المدينة فاراً بنفسه. وأخرجت الخيل في أثره فلحق غير بعيد، وبيق إلي في حال الأسير المصفود. وكذلك سائر الجناة وباقي العصاة أظفر الله بهم ومكن منهم وأعثر عليهم جميعهم. فلم يفلت منهم أحد، ولا فات منهم بشر... وحصل في قبضي جميع الصبيان من العبيد المذكورين. وأقمت حدود الله تعالى^(٩) على الجميع منهم. وأنفذت حكمه العدل فيهم. والحمد لله كثيراً...

- وقال يرثي رجلاً مات مجذوماً^(١٠):

- (١) أدنى (أقل) رفق: بقية (من الحياة) ومسكة: القليل (من العقل).
- (٢) يجترى يجترىه (يقدم). يجريهم = يجرتهم.
- (٣) الميز: الرقعة (يكسر الراء) العلوّ. والمقصود: التمييز (التفريق بالعقل بين الأمور).
- (٤) الصواب: في بضعة عشر (بفتح التاء والميم والشين والراء).
- (٥) الطامة: الداهية، العصية (موت المعتضد).
- (٦) تطارحوا: تناظروا وتحاوروا (والمقصود هنا: انطرحوا: ألقوا (بفتح القاف) بأنفسهم أرضاً).
- (٧) في الأصل: رجائهم. والصواب: رجالهم (غير كان مقدّم، لأنّ المصدر المؤكّد (أن يجدوني) يعرب اسماً لكان لا حيراً لها).
- (٨) قال: حاب، أخطأ، ضف. أراجي (بشديد الياء) جمع أرجية (بضمّ الهجمة وتشديد الياء): الشيء الذي يؤخّر (والمقصود: أمانيهم).
- (٩) أعام الحد على المذنب: عاقبه بالعقاب الذي أمر الله به.
- (١٠) المجذام (بالضمة): مريض بتهراً به اللحم.

مَاتَ مَنْ كُنَّا نَرَاهُ أَبَدًا سَلَّمَ الْعَقْلُ سَغِيرَ الْجَسَدِ
بَحَرُ عِلْمٍ مَاجٍ فِي أَعْضَانِهِ فَرَسِي فِي جِلْدِهِ بِالزَّيْدِ^(١)
كَانَ يَمِثِلُ السَّبَبَ، إِلَّا أَنَّهُ حُذِيَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ فَصَبِي^(٢).

- وله من رسالة اخوانية:

... إِنْ أَخَذْتُ فِي ذِكْرِ فِضَائِلِكَ أَوْ عَطَّرْتُ كَلَامِي بِطِيبِ شَائِلِكَ فَلَسَانُ الْأَيَّامِ بِهَا
أَفْصَحُ وَلَهَا أَشْرَحُ. وَإِنْ عَدَلْتُ^(٣) إِلَى وَصْفِ مَا أَعْتَقِدُهُ فِيكَ وَأَضْيِرُهُ، وَأَطْوِيهِ مِنْ
وِدَادِي لَكَ وَأَنْشُرُهُ، فَتَاهِدُ ضَمِيرَكَ بِهِ أَنْتَقُ وَعَنْهُ أَصْدَقُ. فَلَيْسَ إِلَّا الْإِتِّفَاقُ
وَالِاصْطِلَاحُ^(٤) عَلَى مَا تَتَنَاجَى بِهِ النَفُوسُ وَالْأَرْوَاحُ.

- ولابن عبد البر الصغير رسالة وجه بها إلى أبي القاسم بن خَيْرُونِ^(٥) في شأن
الْكِتَابِ وَالْكِتَبِ وَالنَّحْوِ يَدْعُونَ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ وَلَيْسَ لَهَا مِنْهَا شَيْءٌ. مِنْ هَذِهِ الرَّسَالَةِ
مَا يَلِي:

... وَوَقَفْتُ عَلَى مَا جَدَدْتُهُ مِنْ مُقَابَلَةِ السِّفَرَيْنِ الْمُشْتَمِلَيْنِ^(٦) عَلَى فَنُونِ الْأَدَابِ
وَصِنَاعَةِ الْكِتَابِ^(٧) وَطُرُقِ الْخِطَابِ الْجَامِعَةِ لِفَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ^(٨) وَلُبِّابِ اللَّبَابِ.
وَبَادَرْتُ إِلَى ذَلِكَ بِدَارٍ^(٩) مِنْ عِلْمٍ أَنَّهَا نِعْمَةٌ سَابِغَةٌ مُنِحَتْهَا، وَوَصْلَةٌ وَصِلَتْهَا، لَمَّا فِي
تَأْمُلِهَا مِنَ الْإِشْرَافِ عَلَى طُرُقِ الْبَلَاغَةِ وَالْكِتَابَةِ وَصِنَاعَةِ التَّرْسِيلِ وَالْخُطَابَةِ، مَعَ مَا
يَلْزَمُنِي مِنْ حَقِّكَ أَقْضِيهِ وَوَاجِبِكَ أَنْتَصِرَ فِيهِ وَأَوْقِيهِ^(١٠)، إِذْ أَنْتَ صِنُو^(١١) أَبِي

(١) مرسي في جلده بالزبد (وصف فعل المرض في الجلد).

(٢) مثل السيف (في الجلاء وبياض اللون). صدي = صدى (علاء الصدا، سواد).

(٣) عدل: مال.

(٤) طيس إلا الاتفاق اللغ: لم يبق إلا أن أتكلّم بما ألقه الناس من الكلام في هذا الشأن.

(٥) أبو القاسم بن خَيْرُون شاعر من دانية (شرقيّ الأندلس) كان في بلاط إقبال الدولة بن مجاهد الماسري

(المغرب ٢: ٤١٩). وقد حكم إقبال الدولة من سنة ٤٣٦ إلى سنة ٤٦٨ هـ (إزماباور ٩١).

(٦) يبدو أن ابن خَيْرُون هذا كان له كتابان اطلع عليها ابن عبد البر.

(٧) الكتاب (بتشديد التاء أو بتخفيفها) بمعنى «الكتابة».

(٨) الأعراب: البدو.

(٩) بادر بدارا (يكسر الباء): أسرع.

(١٠) وقاه يوقيه: أنه.

(١١) صنو: النظم والمثل.

مولاي - مد الله عليّ ظلكما وكتب^(١) الباغي عليكما والحاسد لكما - فكم يفرغ سني من قول الحاسدين من خصّ أبي مولاي بمادة أهل الجهل وحباء^(٢) بؤالة أهل الفضل. ولا غرو^(٣)، فغير غريب ذلك من فعلهم بالعلماء، ولا يتدبر من صنع الدهاء^(٤) ... ومن أطرف ما جاء به الأيام وتحذث به الأنام مناواة جاهلي خسير لإمام عادل رئيس ... إن البغاث بأرضنا يستنير^(٥). وما لتيسر جبان والجري مع العلماء في ميدان. أو همتة نفسه أنه لقب بالفقيه، وذلك أقصى أمانيه. وهو من العلم أبعد من النجم ومن الجهل الشديد أقرب من جبل الوريد^(٦) ... واتي ليبلغني ما يأتي به من هديانه في المنشور والموزون^(٧)، وتخطيه الى العرض المصون، والنيل^(٨) من ذوي الفضل والدين، فأهم بمعارضته ثم أميك عنه لثغافته ودنائه ...

٤ - ** قلائد المقبان ٢٠٦ - ١٢٠٩ الذخيرة ٣ : ١٢٥ - ٢٢٦ (مع استطراد كثير) :
إعتاب الكتاب ٢٢٠ - ١٢٢٢ المغرب ٢ : ٤٠٢ - ١٤٠٣ البيان المغرب ٣ :
٢٤٤ - ٢٤٨.

أبو الوليد الباغي

١ - هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سدير بن أيوب بن وارث المالكي الأندلسي التحبي الباغي، أصل أهل من بطلينوس ثم انتقل جدّه إلى باجة التي هي قرب إشبيلية، وفيها ولد أبو الوليد، في النصف من ذي القعدة من سنة ٤٠٣ (١٠١٣/٣/٢٨ م).

- (١) كتب (غلط، أذل) الباغي (الطالم).
- (٢) حبا: منح، أعطى.
- (٣) لا غرو: لا عجب.
- (٤) تدبر: سكر. الدهاء: عامة الناس.
- (٥) البغاث (ضمايف الطير) يستنير (يقوى، يصبح كالنسر).
- (٦) الوريد: عرق في جانب العنق.
- (٧) المنشور (النثر) والموزون (النمر).
- (٨) نخطية (تقدّم، وصول) الى العرض (الشرف المائل) المصون (المحفوظ)، أي بالهجاه. النيل: الخط، التحقير.

نشأ أبو الوليد الباجي في باجة في أسرة مُدَمِّجَةٍ ثم انتقل إلى قرطبة فبدأ تلقى العلوم فيها وهو يعيشُ عيشةً مُجْهِدَةً. وفي سنة ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) رَحَلَ إلى المشرق للأخذ عن علمائه وَلِيَسْتَنْقِثَ في الحديث والفقه والأدب. وقد مكثَ في المشرق ثلاثَ عشرةَ سنة: ثلاثاً منها في مكة ثم ثلاثاً في بغدادَ وسنةً في الموصل. ومكثَ حيناً في الشام. وفي أثناء رِحْلَتِهِ هذه مالَ إلى المذهبِ الأشعري. وكذلك كانت حياة أبي الوليد الباجي في المشرق مُضَيِّبَةً فقد اضطرَّ إلى العَمَلِ في جِراسَةِ الدُّرُوبِ حتَّى يَكْسِبَ عَيْشَهُ.

وفي سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) عادَ أبو الوليد الباجي إلى الأندلس فأرادَ نَشْرَ المذهبِ الأشعري فيها. واتفقَ بعدَ عودته بِمُدَّةٍ يَسِيرَةٍ أن دَعاه ابنُ رَشِيْقٍ والي جَزِيرَةِ مَيُورَقَة فَلَقِيَ هُنَاكَ ابنَ حَزْمِ الظاهري فتناظرا في مَجْلِسٍ مَحْمَدِ بْنِ سَمِيدِ المالكي مُناظرةً عَنيفَةً ولكن لا نَعْرِفُ شيئاً من آثارِها العملية.

وبعدَ ذلك بدأتِ الدُّنْيَا تُقْبِلُ على أبي الوليد الباجي فتولَّى القضاء في عَدَدٍ من المُدُنِ في شَرْقِي الأندلس، ولكن كلَّ تلك المُدُنِ كانت تَصْفُرُ عن قَدْرِهِ. غيرَ أَنَّهُ نالَ حُظُوَّةً كَبِيرَةً عِنْدَ الْمُتَنَدِّرِ بْنِ هُوْدٍ صَاحِبِ سَرَقُشْطَةَ (٤٣٨ - ٤٧٤ هـ).

وكانتِ وِفاةُ أبي الوليدِ الباجي في المَرِيَّةِ، في ١٩ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٤٧٤ (١٠٨١/١٢/٢٣ م).

٢- كَانَ أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي أَحَدَ الْأَيْمَةِ فِي الْفِقْهِ، كَمَا كَانَ مُعَدَّنًا مُتَكَلِّمًا وَأَدِيبًا شَاعِرًا. عَلَى أَنَّ شُهْرَتَهُ تَقُومُ عَلَى مُصَنَّفَاتِهِ الَّتِي يَدُورُ مُعْظَمُهَا عَلَى عُلُومِ الْقُرْآنِ وَعُلُومِ الْفِقْهِ. فَمِنْ كُتُبِهِ: تَقْسِيرُ الْقُرْآنِ - النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ - الْمَعَانِي (فِي شَرْحِ الْمُوطَا)، فِي عِشْرِينَ جُزْأً - الْاسْتِيفَاءُ (شَرْحُ الْمُوطَا) - الْمُنْتَقَى (مَخْتَصَرٌ مِنَ الْاسْتِيفَاءِ) - الْإِيْمَاءُ (مَخْتَصَرٌ مِنَ الْمُنْتَقَى) - اخْتِلَافُ الْمُوطَا - التَّعْدِيلُ وَالتَّجْرِيعُ لِمَنْ خَرَجَ عَنِ الْبُخَارِيِّ فِي الصَّحِيحِ - التَّشْدِيدُ إِلَى مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ - إِحْكَامُ الْفُصُولِ فِي أَحْكَامِ الْأَصُولِ - حُدُودُ فِي الْأَصُولِ - الْإِشَارَةُ فِي الْأَصُولِ - الْمُقْتَبَسُ فِي عِلْمِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ - الْمُهَذَّبُ (فِي اخْتِصَارِ الْمُدَوَّنَةِ) - مَخْتَصَرُ الْمَخْتَصَرِ (فِي مَسَائِلِ الْمُدَوَّنَةِ) - فِرْقُ الْفُقَهَاءِ - التَّبْيِيْنُ لِمَسَائِلِ الْمُهْتَمِّينَ (اخْتِصَارُ فِرْقِ الْفُقَهَاءِ) - السَّرَاجُ فِي تَرْتِيبِ

الحِجَاج (في المُناظرة والجدال) - سُنَّ المنهاج وترتيب الحِجَاج - السُّنَّ في الدقائق والزهد (في النصيحة لولديه).

٣ - مختارات من شعره

- قال في حال الناس:

مضى زمنُ المكارم والكرامِ سقاء الله من صوب الغمامِ !
وكان البرُّ فملاً دون قول، فصار البرُّ نطقاً بالكلامِ .
وزال النطق حتى لست تلقى فنى يسخو بردِّ للسلامِ .
وزاد الأمرُ حتى ليس إلا سَخِيٌّ بالأذى أو بالسلامِ !

- قال أبو الوليد الباجي في الدنيا والعمل فيها:

إذا كُنتُ أعلمُ علمَ اليقينِ بأنَّ جميعَ حياتي كساعةُ،
فلمَ لا أكونُ ضيّناً بها فأجعلُها في صلاحٍ وطاعةُ !

- وقال في لَذَّةِ الوداعِ :

ليسَ عِندي شَخْصُ النَّوى بعظيمٍ فيه غمٌ وفيه كُنفُ غُومٍ :
إنَّ فيه اغْتِنَاقَةً لِوَداعٍ وانتظارَ اغْتِنَاقَةٍ لِقدومِ .

- ومات له ولدانِ فأكثرَ من رثائهما، من ذلك قوله في رثاء ابنه محمدٍ :

أُمُحَمَّدُ، إنَّ كُنتُ بَعْدَكَ صابراً صَبَرَ السَّليمِ لما به لا يَنْلَمُ^(١)
ورَزَّيْتُ قَبْلَكَ بالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَلَرَزَّوْهُ أَدهى لَدَيَّ وأَعْظَمُ^(٢)،
فَلَقَدْ بَلَغْتُ بِأَنِّي بِكَ لاحِقٌ، مِنْ بَعْدِ ظَنِّي أَنِّي مُتَقَدِّمُ^(٣) .
لَهُ ذِكْرٌ، لا يزالُ يَخطِري، مُتَصَرِّفٌ في صَبْرِهِ مُتَحَكِّمُ .
فإذا نظرتُ فَشَخْصَهُ مُتَخَيِّلُ، وإذا أَصَحْتُ فَصَوْنَهُ مُتَوَهِّمُ^(٤) .

(١) السليم كناية عن الذي لدغته الحية (سعى سلباً تفاؤلاً بأن يسلم) - وإن كان المعروف أنه لا يسلم.

(٢) الرزء: المصيبة الكبيرة. أدهى (أشد).

(٣) كنت ظننت، وأنا أبوك، أن أموت (كما جرت العادة) قبلك.

(٤) أصاح: استمع.

وبكل أرضٍ لي مِن أَجْلِكَ نَوْعةٌ، وبكلِّ قِبرٍ وَفَقَةٌ وتَلَوُّمٌ^(١).
فإذا دعوتُ سِوَاكَ حَادٍ عَنِ أَشِيهِ، ودَعَاهُ بِأَشِيكِ، يَقُولُ بِكَ مُغْرَمٌ^(٢).

٤- ** الذخيرة ٢: ٩٤ - ١١٠٥ بغية المتنس ٢٨٩ (رقم ٧٧٧) ثلاثه العيان ٢١٥ - ٢١٦
الصلة ١٩٧ - ١٩٩: معجم الأدياء ١١: ٢٤٦ - ٢٥١: الحريدة (الأندلس) ٢:
٤٩٩ - ٥٠٠: وفيات الأعيان ٢: ٤٠٨ - ٤٠٩: قوات الوفيات ١: ٢٢٤ - ٢٢٥
المغرب ١: ٤٠٤ - ٤٠٥: الديباج المذهب ١٢٠ - ١٢٢: ابن قنفذ ١٢٥٥: قضاء
الأندلس ١٩٥: شذرات الذهب ٣: ٣٤٤ - ٣٤٥: نفع الطبيب ٣: ٦٧ - ٧٧،
٨٤ - ٨٥: ٦٠، ١٧٣: وما بعد: دائرة المعارف الإسلامية ١: ٨٦٤ - ٨٦٥: بروكلمن ١:
٥٣٤، الملحق ١: ٧٤٣ - ٧٤٤: نيكل ١٠٣، مختارات نيكل ١٦٠: الاعلام للزركلي ٣:
٨٦ (١٢٥).

ابن خَلَوَيْ المغربي النحوي

١- هو عبد العزيز بن خَلَوَيْ الْمَغْرِبِيِّ من أهل إفريقية (تونس) وسُكَّانِ
الْقَيْرَوَانِ، كان حُرُورِيًّا (من الخوارج). وقد كان في أيام باديس بن حبوس
الصنهاجيّ المستولي على إفريقية (٤٢٨ - ٤٦٥ هـ) ومُعاصراً لابن رَشِيْقٍ (ت
٤٦٣ هـ).

تصدَّر ابنُ خَلَوَيْ للإفادَةِ في الْقَيْرَوَانِ وتقدَّم هنالك على كثيرين من أهل عصره.
ويبدو أنَّ وفاته كانت نحو سَنَةِ ٤٧٥ هـ (١٠٨٢ م).

٢- كان ابنُ خَلَوَيْ الْمَغْرِبِيِّ ذَكِيًّا جَدًّا ومُليماً بعلوم كثيرة أبرزها الفِراءاتُ
والنحو. وكذلك كان شاعراً مُكثِّراً مُجيداً، وكان في شعره قُوَّةٌ وحسنُ تَصَرُّفٍ في
الفنون المختلفة من مدحٍ ووصفٍ وعَزَلٍ معَ أشياء من التصنيع وتطلُّبِ أوجهِ البلاغة
ومعَ البراعة في انتقاء البحور المناسبة لمعانيه. قال فيه ابن رَشِيْقٍ: «شاعرٌ مُتَقَنٌ ذو
ألفاظٍ حَسَنَةٍ ومعاني مُتَمَكِّنَةٍ، مُتَقَفٌ فَوَاجِي الكلام»، وفي شعره طَبَعٌ وعُدُوِيَّةٌ.

(١) التَّلَوُّمُ: الانتظار (الوقوف في مكان من غير أن يدرى ماذا يريد - إنَّ الذي يطيل الوقوف على غير
لا ينتفع بوقوه ولا ينفع الميت).

(٢) المقول: اللسان - إذا أردتُ أن أنادي أحداً سبق لساى إلى اسمك فتاديت به اسمك أنت.

- قال ابن خَلَوَيْهِ الْمَغْرِبِيُّ يَدْحُ الْمَرْءِ بَادِيَس (ت ٤٥٤ هـ):

أَبْلَحُظِرَ طَرْفِ هَذِهِ الْأَنْفُسِ ١
شَقِيتَ إِذْنًا، بِالْأَعْيُنِ الْأَعْضَاءِ (١).
تَتَمَثَّلُ الْغَيْدُ الْحِسَانُ بِيَعْضِ مَا ٢
جَرَتْ عَلَيْهِ الْغَادَةُ الْحَسَنَاءُ (٢).
تَصْبُو الْجَمَادَاتُ الْمَوَاتُ لَوَجْهِهَا ٣
طَرَبًا، فَكَيْفَ النُّطْقُ الْأَخْيَاءُ؟
سَارَتْ وَقَدْ بَسَتْ الْأَيْتَةُ حَوْلَهَا ٤
سُورًا يُجَازُ بِحَدِّهِ الْجُوزَاءُ (٣).
فَتَحَتْ لَنَا نَعْمًا كُلَّ بِلَاغَةٍ ٥
فَجَرَى الْبِرَاعُ وَقَالَتِ الشُّعْرَاءُ.

- وقال في الغزل:

مُرُوا أَنْ يُرَوِّحَ هَذَا الْأَسْبَ ١
رُ بِالْقَتْلِ، إِنْ كَانَ لَا يُطْلَقُ (١).
أَيْتَلَفُ ذَا الْقَبْدُ لَا رَغْبَةً ٢
يُبَاعُ، وَلَا حِبَّةَ يُغْنَى (١٥).
وإِنِّي مَنْ فَقَرُهُ مَوْتُهُ ٣
لَأَنِّي مِنْ كِبْدِي أَنْفَقُ (١٦).
لَقَدْ فَتَقْتُ بَدْ سِخْرِ الْعِيوِ ٤
نِ فَتَقًا عَلَى الْعَقْلِ لَا يُرْتَقُ (١٧)!

٤ - ** انباء الرواة ٢ : ١٨٠ - ١٨٢ بغية الوعاة ٣٠٧.

-
- (١) التضو (بالكسر): التمتع (بفتح فكس)، الضميف المنهوك، المريض. الطرف: العين، البصر. أبلحظ طرف... الخ: أكل هؤلاء المرضى مرضوا من عيون الحسان (من الحب؟). فالعيون، اذن، شفاء، مصيبة، عار) على جميع أعضاء البدن.
- (٢) لا تكون المرأة الجميلة، عادة، جميلة يكل ما فيها، بل يوجهها وحده أو يمينها وحدها... الخ. جرت عليه (على الحب).
- (٣) هذه الحسنة جميلة جداً يثار عليها أهلها غيرة شديدة، فإذا سارت حولها (بفتح الميم) بالأسنة (الرماح) الكثيرة. الحوراء: كوكبة (مجموع نجوم) في السماء.
- (٤) يروح (تجلب له الراحة). هذا الأسير (في الحب).
- (٥) لا رغبة (في تنه) يباع ولا حبة (احتساباً: طلباً للأجر من الله).
- (٦) أنا إذا افتقرت فإني أموت لأنني لا أملك من مال إذا فقدت كسبت غيره، بل من كبدي التي إذا ذهبت لا يمكن أن يكون لي بعدها كيد ثانية.
- (٧) إن العيون تحني علينا جنايات لا يستطيع العقل ان يتلافها.

الأعلم الشنتمري

١- هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بلقب «الأعلم الشنتمري»^(١). ولُقِّب بالأعلم لأنَّ شَفَتَهُ العُلْيَا كانت مشقوقة شقاً واسعاً. ومَوْلِدُ الأَعلَم كان في شنتمرية الغرب، سنة ٤١٠ (١٠١٩ م) وفيها نشأ. وفي سنة ٤٣٣ (١٠٤١ م) جاء إلى قرطبة وأخذ العلم عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الأفلحلي - وقبل ساعده في شرح ديوان المتنبي (وكان قد قرأ هذا الديوان على الأفلحلي) - وأخذ أيضاً عن أبي سهل يونس بن أحمد الحراني وأبي بكر مسلم بن أحمد. وقد انتقل إلى إشبيلية واتصل بالمُعتمد بن عباد وقرظه ومدحه. ويبدو أنه عاش مدةً طويلةً في إشبيلية إلى أن تُوُفِيَ فيها ٤٧٦ (١٠٨٣ م).

٢- كان الأَعلَم الشنتمري عالماً بالنحو خاصةً وباللغة والشعر واسعَ الحِفظ جَبَدَ الضَبْط. وكان مُصَنِّفاً للشروح على شعرِ الشعراء خاصةً، فمن كُتِبَ: شرحُ الأشعار (الدواوين) الستة (من شعر المعلقات) - شرح أشعارِ الحِمْيَرة (لأبي تمام) - شرح ديوان عُلُقَمَةَ الفحل - النُكْت في كتاب سيبويه - عيونُ الذهب في شرح أبيات (الشواهد في) كتاب سيبويه - شرح أبياتِ الجُمَل للزجاجي - المُخْتَرَع في النحو.

٣- مختارات من آثاره

- من شرح الأَعلَم الشنتمري لمعلَقة طرفة:

وإن يَلْتَسِقَ الحَيُّ المِصْبُحُ ثَلَاثِينَ إلى ذِرْوَةِ المِجْدِ الكَرِيمِ المُصْدِرِ.
نَدَامِيٍّ بِيضٌ كَالنَّجُومِ، وَقَبْلَةَ تَرْوُحٍ عَلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمُجْدِرِ.

* يقول: إذا التقى الحيُّ المِصْبُحُ، بعدَ افتراقِهِم، وَجَدْتَنِي في مَوْضِعِ الشَّرَفِ مِنْهُمْ وَعُلُوِّ المَنْزِلَةِ. وقوله: «إلى ذِرْوَةِ المِجْدِ» أي إلى ذِرْوَةِ البَيْت. وذِرْوَةُ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ. والمُصْدِرُ الَّذِي يَصْنُدُ إِلَيْهِ النَّاسُ لَشَرَفِهِ وَيَلْجَأُونَ إِلَيْهِ في حَوَائِجِهِم. وَالصَّنْدُ القَصْدُ.

(١) هو غير الأَعلَم البطلبوسي (يفتح الباء والطاء) إبراهيم بن محمد (أو ابن قاسم) بن إبراهيم كان بارعاً في النحو ومصنفاً له: «الجمع بين الصحاح للجوهري والغريب المصنف»، وله تاريخ بطليوس. كانت وفاته سنة ٦٣٧ هـ، وقيل ٦٤٢ أو ٦٤٦ هـ (بنية الوعاة ١٨٥ الأعلام للزركلي ١: ٦٠).

وقوله: «نداماي بيض كالنجوم»: الندامى الأصحابُ المُناربون^(١). وقوله: «بيض كالنجوم»، أي هم أعلامٌ مشاهير. ومجتمَلُ أن يريذَ الحسني اللون. والقينةُ المُغنية. وكلُّ أمةٍ^(٢) قينة. والبُرذُ ثوبٌ ونثير. والمُجسّدُ الثوبُ المصبوغُ بالزعفرانِ المُشيع. والجسادُ الزعفران^(٣). «بين بُرذٍ ومُجسّد»، أي تروحُ إلينا وعليها بُرذٌ ومُجسّد.

وظلمَ ذوي القربى أشدَّ مضاضةً على النفس من وقعِ الحسامِ المهنّد. * قوله: «أشدَّ مضاضةً»، أي حرقة. يقول: ظلمَ القرابةُ أشدَّ ظلمٍ على الإنسان وأبلغه، وإنَّما ذلك لأن المظلومَ لا يكادُ يجِدُ^(٤) في الانتصار من قريبه، بل ينطوي على ما يلقي منه ويصير. فموقعُ ذلك الظلمِ أشدُّ من وقعِ الحسام، وهو السيفُ القاطع. والمُهَنّدُ المنسوبُ إلى الهنْد.

- ومن شرحه لديوانِ عُلَقة الفحل^(٥):

وما أنتَ أمّ ما ذكّرها ربيّةٌ يُخطُّ لها من ثمرءاءِ قلب^(٦) * قوله: «وما أنتَ أمّ ما ذكّرها؟» يُعاتبُ نفسه ويُتكرّرُ عليها تتبّعُ هذه المرأة وقد بُعدتَ عن دياره وحلّت في غير قبيلته. وقوله «رَبِيعَةٌ» تعني أنّها من قبيلة بني ربيعة بن مالك، وهم غيرُ قبيلته وعشيرته. وقوله: «يُخطُّ لها من ثمرءاءِ قلب»، أي هي نازلةٌ في هذا الموضع مُقيمةً فيه. وكُنِيَ عن إقامتها بحفْرِ القلب، لأنَّ من أقامَ بموضعٍ فلا بُدَّ له من ملائمةٍ عليه. وقال الأصمعي: يكونُ أيضاً معناه أن يكونَ كأنها لا تَبْرَحُ منه حتّى تموتَ وتُدفنَ فيه، فيكونُ القلبُ، على هذا، القبر. وروى

(١) المُناربون: الذين يشاربون (الخصم) معاً.

(٢) الأمة: الجارية (الفتاة) تطلق على الحرّة وعلى الرقبة.

(٣) الزعفران نبت له زهر أصفر (ماثل إلى الحمرة). المشيع: الواهر، المثلّج.

(٤) انقرا: لا يكاد يجد (سبيلاً أو وسيلة) في الانتصار من قريبه.

(٥) عُلقة الفحل شاعر جاهلي عاش طويلاً: عاصر امرأة القيس (ت ٥١٠ م) ونفي إلى ما بعد الهجرة بثلاث سنوات (٦٢٥ م).

(٦) القلب: البئر.

ابنُ ولادٍ^(١) تُرْمَداءُ بضمَّ التاء والميم. وروايةُ أبي علي^(٢) بفتحها.

- ١- شرح ديوان زهير (مطبوع مع «طرف عربية» - جمعاً كارلو لاندبرغ)، ليدن ١٣٠٣ - ١٣٠٦ هـ.
- شرح ديوان الشعراء الستة، منش: ميونيخ ١٨٩٢ م.
- تحصيل عين الذهب في معدن جواهر الأدب في علم مجازات العرب: شرح شواهد سيبويه (مطبوع على هامش كتاب سيبويه)، القاهرة (بولاق) ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ.
- بيروت (مؤسسة الأعلمي) الطبعة الثانية ١٩٦٧ م.
- ديوان طرفة بن العبد (اعتنى بتصحيحه.... مكس سلفسون)، شالون (برنتران) ١٩٠٠ م.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى (جع..... محمد بدر النعاني)، القاهرة (جلالي وخالجي) ١٣٢٣ هـ.
- شرح ديوان علقمة الفحل (اعتنى بتصحيحه محمد أبو شنب)، الجزائر (كربونل) ١٩٢٥ م.
- * * معجم الأدباء ٢٠: ٦٠ - ١٦١ مطبع الأنس ٦٤ - ١٦٧ نكت الهيمان ٣١٣ - ١٣١٤ وفيات الأعيان ٧: ٨١ - ١٨٣ بغية الوعاة ١٤٢٢ شترات الذهب ٣: ١٤٠٣ نفع الطيب ٤: ٧٩ - ٨٦ (المسألة الزنبورية) بروكلمن ١: ٣٧٦ - ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٢ - ٥٤٣ الأعلام للزركلي ٩: ٣٠٨ (٨: ٢٣٣).

ابن عمار الأندلسي

- ١- هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهري، نسبة إلى مَهْرَة وهي قبيلة عربية من قُضاعة، ويُقال له أيضاً الثَّلِيّ والأندلسي.
- وُلد ابنُ عمار سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) في قرية شَبُوسَ قُرْبَ ثَلْب (في الجنوب الغربي من الأندلس).

انتقل ابنُ عمار إلى ثَلْب ثم رَحَلَ إلى قُرْطُبَة في طَلَبِ العِلْمِ.

وقد بدأ ابنُ عمار حياته العملية بالتطواف في البلاد يَمْدَحُ أشخاصاً مُخْتَلِفِي

(١) ابن ولاد محوي مصري (ت ٣٢٢ هـ).

(٢) أبو علي الفالي (ت ٣٥٦ هـ).

المراتب في الهيئة الاجتماعية، غير أنه فيها يبدو لم يَنْلِ حِطْوَةً في بلاطٍ من بلاطات ملوك الطوائف لِكَثْرَةِ الشعراء في ذلك الحين. وأوّلُ حِطْوَةٍ نالها كانت لدى الْمُعْتَصِدِ عِبَادِ مَلِكِ إِشْبِيلِيَّةَ، وكانَ الْمُعْتَصِدُ قد حَارَبَ ابْنَ الْأَفْطَسِ مَلِكَ بَطْلَيْوُسَ وانتصر عليه فجاء إليه ابنُ عَمَارٍ، سَنَةَ ٤٤٥ هـ (١٠٥٣ م)، ومدحه بقصيدة رائية بارعة. وعَرَفَ ابنُ عَمَارٍ، في بلاطِ إِشْبِيلِيَّةَ، المَعْتَمِدَ بنَ عِبَادِ المَعْتَصِدِ - وكانَ لا يزالُ أميراً - وتَوَثَّقَتِ الصَّلَةُ بَيْنَ الثَّائِبِينَ الشَّاجِرِينَ، فقد كانَ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا في الحَيَاةِ حُبُّ اللَّهِ وَنَزَعَةُ الطُّمُوحِ وَالتَّوَسُّلُ بِالْمَكَائِدِ إِلَى بُلُوغِ الْمَأْرَبِ.

وَأَذْرَكَ الْمُعْتَصِدُ أَنَّ حَالَ ابْنِهِ المَعْتَصِدِ وحَالَ شاعِرِهِ ابنِ عَمَارٍ ذَوَاتَا خَطَرٍ على مُلْكِهِ فأحاطَها بِرَقَابَةٍ شَدِيدَةٍ، ثمَّ إِنَّهُ أَبْعَدَ ابنَ عَمَارٍ عن إِشْبِيلِيَّةَ، سَنَةَ ٤٥٠ (١٠٥٨ م)، فمضى ابنُ عَمَارٍ يَتَنَقَّلُ في البلاد: زَارَ الْمَرْيَةَ ثمَّ السَّهْلَةَ ثمَّ اسْتَقَرَّ في سَرَقُطَّةَ عِنْدَ بَنِي هُودَ.

وفي سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٩ م) تُوُفِيَ الْمُعْتَصِدُ فَخَلَفَهُ ابْنُهُ المَعْتَصِدُ فَأَسْرَعَ المَعْتَصِدُ بِاسْتِدْعَاةِ صَدِيقِهِ الْقَدِيمِ ابنِ عَمَارٍ. وأحَبُّ ابنُ عَمَارٍ أَنْ يَتَوَلَّى مَدِينَةَ شَلَبَ فُولَاءَ المَعْتَصِدُ عليها. ثُمَّ إِنَّ المَعْتَصِدَ اسْتَدْعَى ابنَ عَمَارٍ مِنْ شَلَبَ وَشِكَاً وَوَلَاءَ الْوِزَارَةِ.

وَأَخَذَ ابنُ عَمَارٍ وَالْمَعْتَصِدُ بنَ عِبَادٍ يَضَعَانِ الْحِطْلَةَ لِانْتِزَاعِ الْمُدُنِ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ (راجع ترجمة المَعْتَصِدِ بنِ عِبَادٍ) - وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَسْتَظْهِرُونَ بِمُلُوكِ الْإِسْبَانِ عَلَى إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ - فَنشَأَ فِي نَفْسِ ابنِ عَمَارٍ نَاشِئَةٌ مِنَ الْاسْتِئْذَانِ. ففِي سَنَةِ ٤٧١ هـ (١٠٨١ - ١٠٨٢ م) اسْتَوَلَى ابنُ عَمَارٍ بِاسْمِ المَعْتَصِدِ عَلَى مَرْيَةَ فَأَخَذَ يَتَصَرَّفُ بِهَا وَكَأَنَّهُ مُسْتَقِلٌّ. ثُمَّ إِنَّهُ تَمَرَّدَ عَلَى المَعْتَصِدِ وَاسْتَبَدَّ بِالْمَدِينَةِ. ثُمَّ زَادَ طُمُوحُ ابنِ عَمَارٍ، وَكَانَتْ أَحْوَالُ طَلِيظَلَّةٍ مُضْطَرِبَةٍ، فَسَارَ مِنْ مَرْيَةَ مُحَاوِلًا الْاسْتِيلَاءَ عَلَى طَلِيظَلَّةَ بِطَرِيقَةٍ يَمْتَرِجُ فِيهَا الْحِدَاغَ بِالْحَرْبِ فَلَمْ يَنْجَحْ. وَانْتَهَزَ ابنُ رَشِيقٍ، قَائِدُ ابنِ عَمَارٍ وَخَلِيفَتُهُ عَلَى مَرْيَةَ، هَذِهِ الْفُرْصَةَ وَاسْتَبَدَّ بِالْمَدِينَةِ. وَلَمَّا لَمْ يَسْتَطِعْ ابنُ عَمَارٍ أَنْ يَمُودَ إِلَى مَرْيَةَ لَجَأَ إِلَى سَرَقُطَّةَ وَعَاشَ فِي كَنَفِ مَلِكِهَا الْمُؤْتَمِنِ بنِ هُودَ (٤٧٤ - ٤٧٨ هـ). وَاتَّفَقَ أَنْ تَمَرَّدَ أَحَدُ أَتْبَاعِ الْمُؤْتَمِنِ بنِ هُودَ فِي حِصْنِ مِنَ الْمُحْصُونِ، فَأَقْرَحَ ابنُ عَمَارٍ عَلَى الْمُؤْتَمِنِ أَنْ يُعَيِّدَ التَّائِبَ الْمُنْتَمِرَ إِلَى الطَّاعَةِ. وَاسْتَطَاعَ

ابن عمار أن يُعيد تلك القلعة إلى سلطان المؤمنين. ثم تمرّد بنو سهيل في قلعة شقورة^(١) فجاء ابن عمار ليُعيد هذه القلعة أيضاً إلى سلطان المؤمنين ولكنّ بني سهيل خدعوا ابن عمار وقبضوا عليه وألقوه في السجن، في ربيع الأول من سنة ٤٧٧ هـ (آب - أغسطس ١٠٨٤ م) ثم باعوه للمعتمد بن عباد، في حديث طويل، بتبلغ كبير من المال. وألقي ابن عمار في سجن إشبيلية مدة سيرة ثم دخل عليه المعتمد بن عباد وقتله بيده.

وبرغم القسوة التي نُسبت إلى المعتمد بن عباد، فإنّ قلوب الناس لم ترق لمقتل ابن عمار، وخصوصاً بعد أن اشتهر عنه أنّه كان يُدخل ملوك الإِسبانيّ لانتزاع المُدن من أيدي ملوك الأندلس حتّى يستبدّ هو بحكم تلك المُدن أو حتّى يُضيفها إلى ملك بني عباد أو حتّى تُخرج من يد أصحابها المسلمين لتدخل في حكم الإِسبانيّ. ولقد عبّر عبد الجليل بن عبدون عن عاطفة الصداقة التي يَكُتُها نحو ابن عمار إلى جانب الثّور من خياناته حينما رثاه فقال:

عَجَباً له! أبكيه بله سدامني وأقول: لا شئتُ مِنّ القاتل!

٢ - كان لابن عمار الأندلسيّ ذلكا مُفرطاً وطموحاً بعيداً وثقافة واسعة واختبار كثير، غير أنّه كان قليل المبالاة بالعرف وبالمثل العليا عند السعي لتحقيق مآربه في الحياة.

وابن عمار شاعرٌ مطبوعٌ كثير ضاع قسمٌ من شعره، ويُقال إنّهُ قد أحرق هجاءه قبل موته. وشعره فصيح اللفظ متين السبك مشرقٍ الديباجة في الأكثر مع شيء من الرشاقة الأندلسية. وهو يَغْتَنِدُ الصورة الحسية والتعبير الرصين عن الفكرة لإبراز أغراضه. ولا تراه يتكلّف الصناعة؛ وإذا هو فعل ذلك وآتته الصورة الحسية ثم أخطأ هو الصناعة البحت، ففي قوله مثلاً:

يَوْمَ تَكَاثَفَ غَيْمُهُ فَكَانَهُ دُونَ السَّحَابِ دُعَانُ عَوْدٍ^(٢) أَخْضَرُ

(١) شقورة (كصبور) بلد في الأندلس.

(٢) العود (العصن، الحطب) الأخضر لا يشتمل بسهولة، ولذلك يكثر دحانه.

والطَّلُّ يَثْلُ بُرَادَةٌ مِنْ بَضَّةٍ مَشْشُورَةٍ فِي ثَرَبَةٍ مِنْ عَشْبَرٍ.
وَالشَّسُّ أَحْيَانًا تَلُوحُ كَأَنَّهَا أَمَّةٌ تُعْرَضُ نَفْهًا لِلْمُشْتَرِي.
لَا تَتَأَثَّرُ لَهُ التَّوَرِيَّةُ بَيْنَ الْمُشْتَرِي (الَّذِي يَدْفَعُ الْمَالَ فِي السِّلْعَةِ الْمَبِيعَةِ) وَبَيْنَ الْمُشْتَرِي
(الَّذِي هُوَ كَوَكَبٌ مِنْ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ)، لِأَنَّ الْمُشْتَرِي نَجْمٌ بَعِيدٌ قَلَّ أَنْ يُرَى بِالْعَيْنِ
الْمُجَرَّدَةِ، وَأَمَّا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَنْظُرَ فِي التَّوَرِيَّةِ مِنْ حَيْثُ صِلَتْهَا بِالشَّمْسِ (فِي النَّهَارِ)
فَإِنَّ هَذِهِ التَّوَرِيَّةَ تَفْقَدُ حِينَئِذٍ قِيَمَتَهَا. وَكَذَلِكَ الصُّورَةُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي غَيْرُ صَحِيحَةٍ:
إِنَّ الطَّلَّ (التَّدْيَ) يَكُونُ فِي اللَّيَالِي الْبَارِدَةِ جَامِداً عَلَى الْأَعْصَانِ، وَلَكِنَّهُ إِذَا سَقَطَ
عَلَى الْأَرْضِ فَيَكُونُ قَدْ ذَابَ وَاصْبَحَ مَاءً فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْغِي حِينَئِذٍ بَلُورَاتٍ (بُرَادَةً
مِنْ فِضَّةٍ) حَتَّى يَبْذُو وَكَأَنَّهُ قُتَاتٌ مِنَ الْفِضَّةِ مَنْشُورٌ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الْعَشْبَرِ (الْأَسْوَدِ أَوْ
الْأَسْمَرِ)!

وَفَنُونٌ شِعْرٌ ابْنِ عَمَّارٍ الْمَذْحُ وَالْعِنَابُ وَالْإِخْوَانِيَّاتُ وَالْهَجَاءُ وَالْوَصْفُ وَالنَّسِيبُ
وَالْفَزْلُ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْمَجُونِ أَحْيَانًا.

٣ - مختارات من شعره

- قَالَ ابْنُ عَمَّارٍ الْأَنْدَلُسِيُّ يَمْدَحُ الْمُعْتَصِدَ عَبْدًا لَمَّا لَقِيَهُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى:

أَدِيرُ الزُّجَاجَةَ فَالْنِسْمُ قَدْ انْتَبَرَى، وَالنَّجْمُ قَدْ صَرَفَ الْعِيَانِ عَنِ السُّرَى^(١)،
وَالصَّبْحُ قَدْ أَهْدَى لَنَا كَافُورَهُ لَمَّا اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ بِنَهْ الْعَنْبَرِ^(٢)،
وَالرَّوْضُ كَالْحَنَّا كَسَاهُ زَهْرُهُ وَشَبَّاءُ، وَقَلَدَهُ نَدَاءُ جَوْهَرِ^(٣)،
رَوْضٌ كَانَ النَّهْرُ فِيهِ مِغْصَمٌ صَافٍ أَطْلَقَ عَلَى رِدْلِهِ أَخْضَرَا،
وَتَهْمَزُهُ رِيحُ الْعَصَا فَتَخَالُهُ سَيِّفُ ابْنِ عِمَادٍ يَهْتَدُّ عَسْكَرَا^(٤)،
مَلَكٌ إِذَا ارْتَدَحَمَ الْمُلُوكُ بِمَوْرِدٍ وَنَحَاهُ، لَا يَرُدُّونَ حَتَّى يَهْضُرَا^(٥).

- (١) النسيم قد انتبرى (قد بدأ يهبُ بليلاً عليلًا، بعد أن برد الجو في الليل). السرى: السير ليلاً. النجم قد صرف العيان عن السرى: توقّف عن السير (بني الليل، تأخّر طلوع الصبح).
- (٢) الكافور: مادة طيّبة الرائحة بيضاء اللون. العنبر: مادة طيّبة الرائحة سوداء اللون.
- (٣) الوشي: التزيين، التطريز، تحمين الثوب بنقوش صغيرة. قلده: جعل له قلادة، عقدًا (حلية في المتن). التدى: قطرات الندى التي تتجمع في الليل على الأعصان. الجوهر: اللؤلؤ.
- (٤) المورد: الثريمة (مكان على النهر صالح للاستقاء: لأن يشرب الناس منه). عماد: أمّته اليه. يردون: يهيئون إلى النهر للشرب. يهضر: يرجع عن النهر بعد أن يكون قد أخذ حاجته من الماء.

أندى على الأكباد من قطر الندى
 قدح زبد الجهد لا تنفك من
 يا سائلي، ما جئني إلا خاتم
 لا شيء أقرأ من شفاي حامي
 فاذ الواكب كالكوكب فوقهم
 من كل أبيض قد تقلد أبيضاً
 ملك بروق خلقه أو خلقه
 أغلقت بالإيمان حتى شئت
 فاح الثرى متعطراً بشائه
 يا أيها الملك الذي أصل النى
 السيف أنصح من زياد خطبة
 أنمرت رمحك من رؤوس كائهم
 وصفت درعك من دمل ملوكهم
 ولئن وجدت نسيم حندي عاطراً

وَأَلَدُ فِي الْأَجْفَانِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى (١)
 نَارِ الْوَعَى إِلَّا إِلَى نَارِ الْقَرَى (٢)
 أَبْصَرْتُ إِسْمَاعِيلَ فِيهَا خِنْصَرًا (٣)
 إِنْ كُنْتُ شَبَّهْتُ الْكِتَابَ أَنْطَرًا (٤)
 مِنْ لَأَيَمِهِ يَشُلُّ السَّحَابَ كَهَمُورًا (٥)
 عَضْبًا، وَأَسْرَ قَدْ تَقَلَّدَ أَسْمَرًا (٦)
 كَالرُّؤُوسِ يَحْنُ مَنْظَرًا أَوْ مَخْبَرًا
 فَسَرَّاهُ فِي بُرْدَتَيْهِ مَصُورًا (٧)
 حَتَّى حَبَسْنَا كُلُّ تُرْبٍ عُنْبَرًا
 يَنْهُ بَوَاحُ يَشُلُّ حَنْبِي أَزْهَرًا
 فِي الْحَرْبِ إِنْ كَانَتْ يَمِينُكَ يَنْبَرًا (٨)
 لَمَّا رَأَيْتُ الْخُصْنَ يُشَقُّ مُثْبَرًا
 لَمَّا رَأَيْتُ الْحُسْنَ يُلْبَسُ أَحْمَرًا
 فَلَقَدْ وَجَدْتُ نَسِيمَ بَرْكَ أَغْطَرًا

- وكتب ابن عمار إلى الأمير محمد المعتمد من سرقطة، وكان المعتضد قد نفاه

من إشبيلية:

- (١) أندى: أكثر ندى (بردًا ورطوبة). قطر الندى: سقوط الندى (راجع فوق ص ٦٤١ الحاشية ٣).
 السنة (بكر السين) أول النوم. الكرى: النوم. - أَلَدَ مَا يَشْرَعُ الْإِنْسَانُ الشَّدِيدَ النَّعْبِ وَالْحَاجَةَ
 إِلَى النَّوْمِ إِذَا بَدَأَ يَهْفُو.
- (٢) الزبد: حبة تدحج بها البار من حجر الصوان. قدح زبد الجهد: دائم الطلب لمعالي الأمور. نار
 الوعى: الحرب. نار القرى: الضيافة (الكرم).
- (٣) حصن: مدينة إشبيلية. إسماعيل: ابن المعتضد بن عباد. أبصرت إسماعيل فيها (في إشبيلية) خنصرًا
 (الأصبع الصغيرة في طرف الكفا): فلادراً على تدبير أمورهما (إشارة إلى استحقاقه لولاية العهد).
- (٤) أقرأ: أحسن قراءة (أشدَّ فعلاً وأثراً). شفاي جمع شفرة (بفتح الشين): السكين العظيم، نصل السيف.
 الحسام: السيف. الكتاب: جماعة الجند بين مائة وألف.
- (٥) اللأم جمع لامة: الدرع. مثل السحاب (ممتداً). كهور (قطع السحاب التراكب).
- (٦) أبيض (أبيض اللون، له مجد) تقلد (علق في مثله: في عنقه) أبيض (سيفاً) عضباً (فاطماً) وأسمر
 (أسمر اللون، له فتوة وشباب تام) قد تقلد أسمر (ربحاً).
- (٧) شام شيم: نظير، تطلع. البردة: الثوب.
- (٨) زياد بن أبيه والي البصرة والكوفة من قبل معاوية، ومن الخطباء المدونين (راجع الجزء الأول).

عَلَيَّ وَإِلَّا مَا بَكَهُ الْغَمَامُ؟ وَعَنِي أَتَارُ الرُّعْدُ صَرَخَةً طَالِبٍ
وَمَا لَيْسَتْ زُهْرُ النُّجُومِ حِدَادَهَا أَلَا قَاتِلُ اللَّهِ الْجَبَادُ فَإِنَّمَا
أُتْلَبُ؟ وَلَا تَسَابُ غَبْرَةٌ مُشْفِيًا كَسَاها الْحَيَا بُرْدُ الشَّبَابِ فَإِنَّمَا
ذَكَرْتُ بِهَا عَهْدَ الصَّبَا فَكَأَنَّمَا لَيْلِي لَا أَلْوِي عَلَى رُشْدٍ لَا يَمُ
أُنَالُ سَهَادِي مِنْ عُيُونٍ نَوَاجِسٍ وَقِيلَ لَنَا بِاللَّدِّ بَيْنَ مَعَاطِفٍ
بَغِيضٍ انْتَعَدْنَا الرُّوضُ جَارًا تَزُورُنَا تَبَلُّغْنَا أَنْفَاةً فَتَرُدُّهَا

وَفِيَّ وَإِلَّا مَا يَبْسُجُ الْحَمَامُ؟ لِنَارٍ، وَهَزَّ الْبَرْقُ صَفْحَةً صَارِمًا
لِقَيْمِي وَلَا قَامَتْ لَهُ فِي مَاتِمٍ نَأَتْ بِي عَنْ أَرْضِ الْمَلَا وَالْمَكَامِ
وَجَمِصُ؟ وَلَا تَقْشَادُ زَفْرَةً نَادِمًا بِلَادُهَا عَقَى الشَّبَابِ نَائِمِي
فَدَخْتُ بِنَارِ الشُّوقِ بَيْنَ الْحَيَازِمِ عِنَافِي وَلَا أَتَّبِيعُهُ عَنْ غَمِّي هَائِمِي
وَأَجْنِي عَذَابِي مِنْ غُصُونِ نَوَاجِمٍ مِنَ النِّهْرِ يَنْسَابُ انْتِيبَابِ الْأَرَامِ
هَدَاهَا فِي أَهْدِي الرِّيحِ النَّوَاسِمِ بِأَعْطَرِ أَنْفَاسٍ وَأَذْكِي مَنَاسِمِ

- (١) نِيَاحُ: التَّوَاخُ (بِضْمُ التَّوْنِ)، التَّوْحُ (بِفَتْحِ التَّوْنِ): الْبَكَاءُ عَلَى الْمَيِّتِ. - لَا أَحَدَ أَشَقَى مِنِّي يَمْنَحُ أَنْ تَبْكِي عَلَيْهِ الْهَامُ (تَسْقُطُ عَلَى قَبْرِ الْأَمْطَارِ) أَوْ تَوَحُّ الْحَمَامُ
- (٢) مِنْ صَوْتِي تَلْمُ الرُّعْدُ التَّصَفُّ (الصَّوْتُ الشَّدِيدُ). وَمِنْ عَزَمِي تَلْمُ الْبَرْقِ أَنْ يَنْشُرَ أَشَقَّتْ كَأَنَّهَا السُّبُوفُ شَكْلًا وَلَمَعَانًا.
- (٣) زَهْرُ النُّجُومِ: النُّجُومُ الْبَيْضَاءُ. لَيْسَتْ حِدَادَهَا: ظَهَرَتْ فِي اللَّيْلِ مَحَاطَةً بِالسَّوَادِ. وَلَا قَامَتْ (زَهْرُ النُّجُومِ): النَّسَاءُ الْجَمِيلَاتُ. الْمَاتِمُ: احْتِنَاقُ النَّسَاءِ (فِي أَمَاكِنِ الْمَوْتِ).
- (٤) أ (أَذْكُرُ) شَلْبًا وَلَا تَسِيلُ مَدَامِي، وَ (أَتَذَكَّرُ) جَعًّا وَلَا تَعْتَادُنِي (تَرْجِعُ إِلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ) زَمْرَةً (نَفْسُ حَارٍ مِنَ الْحَزَنِ) نَادِمٌ (حَلِيهَا: عَلَى فِرَاقِ أَشْيِيلِيَّةَ).
- (٥) كَسَاها الْحَيَا بَرْدُ الشَّبَابِ! (يَدْعُو الشَّاعِرُ لِحُصْنٍ بِأَنْ تَقْلُقَ شَاةً: زَاهِرَةٌ غَنِيَّةٌ). عَقَى الشَّبَابِ (قَطَعَ) الشَّبَابَ قَاتِمِي (جَمْعُ تَيْمَةٍ: الْحُرْزُ أَوْ الْحِجَابُ يَهْلِكُ فِي عَقَنِ الطِّفْلِ): فِي أَشْيِيلِيَّةَ انْتَقَلَتْ مِنْ طُورِ الطُّغُولَةِ إِلَى طُورِ الشَّبَابِ.
- (٦) الْحَيَازِمُ جَمْعُ حَيِزٍ (بِفَتْحِ الْحَاءِ): جَانِبَا الْخَلْقِ، عِنْدَ الْعُنُقِ. إِذَا تَذَكَّرْتَ أَهَامَ شَبَابِي فِي أَشْيِيلِيَّةَ شَمَرْتَ بِنَصَّةٍ (بِضْمُ النَّيْنِ) فِي حَلْقِي.
- (٧) فِي تِلْكَ الْأَهَامِ مَا كُنْتَ اسْتَمَعَ إِلَى نَصِيحَةٍ وَلَا أَرْجِعُ عَنْ انْتِهَاسِ فِي الْمَلَذَّاتِ. الْهَامُ: الَّذِي يَسِيرُ عَلَى غَيْرِ هَدًى.

- (٨) لَمْ يَكُنْ يَسِيرُ فِي شَوْهِ إِلَّا عِيُونُ النَّسَاءِ وَلَا يَمْنَعُنِي شَيْءٌ إِلَّا تَعْدُودَهُنَّ اللَّيْلَةَ.
- (٩) اللَّدُّ (الْمَاجِزُ عَلَى النِّهْرِ). الْأَرَقَمُ: التَّيْبَانُ، الْحَيَّةُ الْكَبِيرَةُ.
- (١٠) هَدَاهَا - هَدَاهَا الرُّوضُ: الرُّوَاثِ الْزَكِيَّةُ. النَّوَاسِمُ جَمْعُ نَاسَةٍ (أ): الْحَيَّةُ الضَّمِيضَةُ مِنَ الرِّيحِ.
- (١١) الذَّكِي (بِالذَّالِ أَخْتُ الدَّالِ): السَّاطِعُ (الشَّدِيدُ) الرَّاشِعَةُ (الطَّيْبَةُ). لِلنِّسَمِ: مَكَانُ هُبُوبِ النِّسَمِ.

وَبَشَا وَلَا وَاشِرَ بُحْسٍ، كَأَنَّا
هُوَ الْعَيْشُ، لَا مَا أَشْتَكِبَهُ مِنَ الشَّرَى
وَصُحْبَةٍ قَوْمٍ لَمْ يُهَذَّبْ طِبَاعُهُمْ
نَدَامَى وَلَا غَيْرَ الشُّوبِ أَزَاهِرِي
وَمَا حَالُ مَنْ رَبَّتْ أَرْضُ عَارِبٍ
وَنَبْتُ إِخْوَانِ الصَّفَا تَغَيَّرُوا
لَقَدْ سَخِطُوا ظَلَمًا عَلَى غَيْرِ سَاخِطٍ
إِلَى الْحَاجِبِ الْأَعْلَى، إِلَى الْعَصْدِ الَّذِي
لَهُ هِرَّةٌ فِي الْمَجُودِ مُنْتَضِئَةٌ
سَا بِأَبِيهِ ذُرْوَةُ الشَّرَفِ الَّذِي
إِذَا نَشَرَتْ لَغَمَ بِذِكْرَاهُ فَغَرَّهَا
أُمِّي أَنْ يَرَاهُ اللَّهُ غَيْرَ مُقْلَدٍ
إِذَا جَرَ أَذْمَالُ الْجِيُوشِ إِلَى الْعِدَى
مُلُوكُ مَنَاخِ الْبِرِّ فِي عَرَصَاتِهِمْ

حَلَلْنَا مَكَانَ الشَّرِّ مِنْ صَدْرٍ كَانِيهِ
إِلَى كُلِّ قَفَرٍ أَهْلِي يَمْلِكُ طَائِمٌ (١)
لَقَلَّ أَذْهَبَ أَوْ نَوَادِرُ عَالَمٍ (٢)
لَقَدْ نَهَمَ وَلَا غَيْرَ السُّودِ كَنَانِي (٣)
وَأَلْقَيْتُ بِهِ الْأَقْدَارُ بَيْنَ الْأَعَاجِمِ؟
وَدَمَّوْا الرِّضَا مِنْ عَهْدِي التَّنَاقُيْمِ
عَلَيْهِمْ، وَلَا مَوَا - ضِلَّةٌ - غَيْرَ لَا يَلِيهِ
تَطُولُ بِيُنْسَاءُ قِصَارُ الصَّوَارِمِ (٤)
نَهَزُ إِلَى تَشْنِيبِ شَلِّ الدَّرَاهِمِ (٥)
أَبَاطِحُهُ سَهْلُ التَّدْيِ وَالْمَكَارِمِ (٦)
طَوَتْ طَائِمِي مِنْ خَجَلَةٍ ذِكْرَ حَاتِمِ (٧)
جِمَالَةٍ سَيْفٍ أَوْ حِمَالَةٍ غَارِمِ (٨)
أَلْغَاغُهُ أَوْ جَرَتْ دِيُونُ الْهَزَائِمِ
وَمَنُوى الْمَعَالِي بَيْنَ تِلْكَ الْعَالَمِ (٩)

- (١) السرى: السير ليلاً. التفر: المكان على طرف البلاد (القرب من أرض العدو). الأهل: المسكون.
الطاسم: المحو (غير مسكون).
- (٢) النواذر جمع نادرة: الكلفة القليلة الورد (الأشياء القليلة التي لا يعرجها إلا العلماء).
- (٣) هؤلاء هم ندماني (بعض التون): الذين يصحبوني ويرافقوني (برغمي). إذا أردت أن أشم زهرته
ضربوني بالسيف. وليس لي كرائم (الكرامة في الأصل الورق الأخضر الذي يحيط بالزهرة): ستر، مأوى
(٤) إلا عمود السيوف: الحسى (١).
- (٤) الحاجب في الأندلس يشبه رئيس الوزارة في أماننا. العصد: أعلى الذراع (من الكتف إلى المرفق).
تطول بيننا قصار الصوارم (السيوف) كتابة عن شجاعته: إذا كان السيف لا يصل إلى العدو فإنه
يدّ يده بالسيف فيصل إلى العدو.
- (٥) منتضدة نسبة إلى المنتد (والد المنتد بن عباد). نهز: يجعل الإنسان يهتز (يطرب).
- (٦) الأبطح: مكان مجرى السيل (المكان المنخفض). التدى: الكرم. المكارم: الأفعال الحميدة.
- (٧) عبد المنتد بن عباد (في قومه بني نهم) يجعل كرم حاتم طي قليلاً حتى يجعل بنو طي من ذلك الكرم
القلي.
- (٨) مقلد (حامل في عنقه) حالة سيف = سائر إلى الحرب، أو حمالة غارم (رجل عليه دين) = هو ينفذ
(بكرمه) المدين من ديونهم.
- (٩) العرصة (متنح فتح): الباحة أمام المنزل. المعلم: المكان (ساكن المنتد بن عباد).

أَلَكْبِي سَمِئَهُم بِاللَّامِ إِلَى قَفَى
تَبَوَّأَ مِنْ لُحْمٍ - وَنَاهِيكَ مَقْعَدًا -
أَبَا الْقَاسِمِ، أَفْلَهَا إِلَيْكَ لَابِنَا
أَنَا الْعَبْدُ فِي ذَلِكَ الْخُصُوعِ لَوْ أَنِّي
وَأَنِّي - إِذَا أَتَيْتُكَ - بِغُذِّكَ خَادِمٌ
لَمَلَّ الَّذِي أَقْدَى بِتَرْجَةِ رَاجِلٍ
فَتَرْجِعَ أَبَاهُ مُضْتًا وَكَأَنَهَا،

- وقال ابن عمار في هجاء المعتضد وابنه المعتمد (وفيات الأعيان ٢: ٣٧١):

مَسَايُفُ بَحْ عِيسَى ذَكَرَ أَنْدَلُسٍ
سَمَاعٌ مُغْتَضِبٌ فِيهَا وَمُتَغَبِّبٌ
أَسَاءَ مَمْلُوكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا،
كَالْمِرُّ يَحْكِي اتِّبَاحًا صَوْلَةَ الْأَسَدِ.

٤ - رحلة اللبيب، الجزائر ١٩٠٤ م.

• ابن عمار: ترجمة قصصية، تأليف ثروت أباطة، القاهرة (دار المعارف - سلسلة «اقرأ»، رقم ١٤٣) بلا تاريخ؛ (مطبوع مع مؤلفات ثروت أباطة)، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٥٧ م.

- محمد بن عمار الأندلسي: دراسة أدبية تاريخية، تأليف صلاح خالص، بغداد (مطبعة الهدى) ١٩٧٥ م.

قلائد العقيان ٩٣ - ١١١: الذخيرة ٢: ٣٦٨ - ١٤٣٣ غريدة (المغرب) ٢: ٧١ - ١٨٣
المغرب ١: ٣٨٩ - ٣٩١: المطرب ١٦٩ - ١٧٤: الحلة السرياء ٢: ١٣١ - ١٦٥
الوفاي بالوفيات ٤: ٢٢٩ - ١٢٣٤ وفيات الأعيان ٢: ٤٢٥ - ١٤٢٩ المعجب
١١١ - ١٢٩: أعمال الأعلام ١٥٩ - ١٦٢: نصح الطبيب ١: ٦٥٢ - ٦٥٦،

(١) أَلَكْبِي: أحمل عني (مَنِي) رسالة. تهادى - تنهذى: تنابله (تفتخر). جرد (الحبل القليلة الشعر) العنان (الأهيلة) الصلادم جمع صلدم (يكسر الصاد والدال): الأسد، الصلب، الشدء الحافر.

(٢) تَبَوَّأَ: نزل منزلاً، اتخذ مكانة. نَاهِيكَ مقدماً: بكفك شرقاً أن تكون في مثل هذا المقد. مكانة المعتمد بن عباد في لحم مكانة رسول الله في بني هاشم (مبالغة مكروهة).

(٣) أَبُو الْقَاسِمِ - المعتمد بن عباد. أَفْلَهَا = أحبلها = أحبل هذه القصيدة. تَنَاوَكْ سَكِي: لا أستطيع أن أهدي إليك سَكَاً (شيئاً طيباً) سوى مدحى أهلك. الْقَوَافِي: القصائد. لَطَائِي جمع لطيمة: غائلة تحمل مسكاً للتجارة من بلد إلى بلد.

(٤) أَقْدَى العَيْن: ألقى فيها القذى (وأنَّى بمعنى أزال منها القذى). التَّرْجَةُ: الحزن. سَيَجْلُوها = سيجلو القذى منها.

(٥) امْتَشَلَتْهَا: جعلتها هدفاً، تحيكتها.

٦٦٧ - ٦٦٨ ، ٦٧١ - ٦٧٢ : ٣ ، ٢٤٤ - ٢٤٥ ، ٣٢٥ - ٣٢٨ ، ٤ : ٢١٢ - ٢١٣ ،
 ٣١٤ - ٣١٥ ، ٥ : ١٨١ - ١٨٢ شذرات الذهب ٣ : ٣٥٦ - ٣٥٧ ، دائرة المعارف
 الإسلامية ٣ : ٧٧٥ - ٧٧٦ نيكل ١٥٤ - ١٦٣ ، مختارات نيكل ١٠٧ - ١١٣
 بالنشأ ٨٩ - ١٩٤ الأعلام للزركلي ٧ : ١٩٩ - ٢٠٠ (٦ : ٣١٠ - ٣١١) مجلة العربي
 (الكويت) ١١/١٩٦٨ ، ص ٧١ ، ٧٠/١٩٧٠ ، ص ٧٦ .

ابن أرفع رأسه

١ - هو أبو بكر محمد بن أرفع رأسه^(١) ، من أهل طليطلة ، روى عن محمد بن
 ابراهيم الحشني وغيره .

كان ابن أرفع رأسه متصلاً بيهي المأمون (٤٣٩ - ٤٦٧ هـ) من بني ذي النون
 أصحاب طليطلة . وقد نولى قضاء طليطلة (غرب طليطلة) ، في زمن لا نعرفه . أما
 وفاته فلمعها كانت في أواخر القرن الخامس للهجرة (أواخر الحادي عشر للميلاد) .

٢ - كان ابن أرفع رأسه من أهل الذهن الثاقب والعلم البارع حافظاً لرأي مالك
 ومن رؤساء المذهب في زمنه . كان شاعراً له موشحات ذاعت على ألسن أهل
 الأندلس . وكانت مكانته في التوشيح نلي مكانة ابن عبادة القرطبي^(٢) .

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن أرفع رأسه يمدح المأمون بن ذي النون :

دعوا الملوكة وأبناء الملوكة فمن	أضحي على البحر لم يشفق إلى نفر .
ما في السيطر كالأمون ذو كرم ،	فانظر لتصديقي ما أسمت من خير .
ها واحداً ما على عنياء مختلف ،	مذ جاد كلك لم تحتج إلى الطر .
وقد طلعت لنا شمساً ، فما نظرت	عيني إلى كوكب يهدي ولا قمر .

(١) في الصلة (ص ٣٨٥ ، رقم ٨٧٤) : أبو بكر محمد بن عيسى بن يوسف التجيبي من أهل طليطلة ويعرف
 بابن أرفع رأسه .

(٢) مقدمة ابن خلدون ١١٣٨ . راجع ترجمة ابن عبادة القرطبي ، فوق ، ص

وقد بدوت لنا وسطى ملوكهم فلم نخرج على شذر ولا دُرٍّ^(١).
- وقال من موشحة:

من علق القُرطا في أذن الثعري وأكف المِرطا الغصن النضرا^(٢)؟

* * *

قد هنت في وثنان أمد الثرى بني^(٣)
بلحظه الفتان في مفرك الحب.
أعلى طبا سلطان بقسدة الرب^(٤).
سحان من أعطى جفونك النضرا والقبض والبسط والنهي والأمر^(٥).

* * *

ضن بإمداد، والشمس تحكيه^(٦).
من بعد ميماد أبدي الرضا فيه.
فكان إنشادي خوف تجنيبه^(٧).
حيث قد أبطأ من أمك البذرا عني لقد أخطأ وأشغل الير^(٨).

- (١) الوسطى: الجوهرة الكبرى التي تكون في وسط المقد. وسطى ملوكهم: أعظم الملوك. لم نخرج (لم) ملتمت، لم نهم). الدور: اللؤلؤ. الشذر: قطع صغيرة من ذهب تكون بين اللؤلؤ واللؤلؤة في المقد.
(٢) الثعري نجم كبير لامع (المحبوب الجميل). أكف (٤). المرط: ثوب من حرير. الغصن (المحبوب ذو القامة المنتصبة كالنص). النمر (الأخضر الريان). (من أحاط هذا الغصن ثوب من حرير).
(٣) هام: اشتد حبه. وثنان: يحتاج إلى النوم (ها: ناعس العيني). أمد الثرى (الجمال) تكون أمد (٤)، يقصد الرجال الأقوياء.. سي: بأسر، يستعيد.
(٤) أعلى طبا (جمع طبة بضم طبع: حد السيف) سلطان (٤).
(٥) القبض والبسط: القدرة على الحرمان والطاء.
(٦) صن: يحمل. إمداد (مساعدة): استجابة المحب. تحكيه: تشبهه.
(٧) أشدت فيه (تفركت به) خوف أن يتجنى علي (فيعني أنه مال عني لأنني لا أحبه).
(٨) حيث (إدأ) أبطأ (تأخر) من أمك (الذي يشرف على: المرتبة أو الرتبة) البذرا (المحبوب الجميل)... (ولما اتفق أن مر في جملة بتخطائي ولا يلتفت إلى مكاني) فأشغل السر القلب، قلبي: بلبله وحيره).

- ومن موشحاته الموشحة التالية (ونلاحظ في أعاريضها عدداً من أوجه الاختلاف في الوزن):

خَلِمَتْ عُذْرِي وَبُعْتُ بِالْمُزْلَانِ^(١)
مَذْبانَ عُذْرِي فِي الْأَوْجِهَ الزُّفْرِ الْجَبَانِ^(٢)
مَنْ كَلَّ بِسَدْرِ يَلُوحُ فِي غَصَنِ بَانَ^(٣)
أَوْطَفَ قَدْ أَدَارَ لِحْطاً يُصِيبُ حَبَّ الْقُلُوبِ بِسَهْمِ اخُورَارِ^(٤)

* * *

قَضِيبُ رَنْدٍ يَمِيسُ فِي دُغْصِ رَجْرَاجِ^(٥)
وَبَسْدِرِ مَنْدٍ يُرِيمُكَ تَحْتَ اللَّيْلِ دَاجِ^(٦)
رُمَّانَ نُهْدٍ أَيْنَعُ فِي لَبَاتِ حَاجِ^(٧)
يُغْطِفُ بِأَفْكَارٍ فَوْقَ قَضِيبِ لَذَنِ رَطِيبٍ مِنْ ذَوْبِ الْبَلَّارِ^(٨)

* * *

أَوْدَى بِصَبْرِي لَأَمَّا عَبِيرٌ فِي شَفِيقِ^(٩)

- (١) عذر (بضمّين، وحذف الشاعرة الثانية للضرورة) جمع عذار (بالكسر): اللجام، أي أعلنت حتى وبحت (بأساء) المحبوبين...
(٢) بان: ظهر. يبدو أن «الزهر» زائدة.
(٣) البان شجر أغصنه طويلة مستقيمة سراء.
(٤) أوطف: كثيف شعر الحاجبين. أدار لحطاً: جعل يتطّلع إلى كلّ جهة. يصيب حبّ القلوب (وسطها): يصيب مقتللاً. الأخورار: شدّة بياض العين وشدة سوادها.
(٥) الرند نوع من الشجر. ييس: يخال. المصص: الجانب المستدير من رمل أبيض. (يقصد الكفل - بفتح ففتح).
(٦) تحت الليل داج (داجياً: مسوداً): تحت شعرة الأسود الحالك.
(٧) أَيْنَعُ الثمر: نضج (بلغ قامة). اللَّبَّةُ (بالفتح): أعلى الصدر. حَاج: سنّ الفيل (شديد البياض).
(٨) يَغْطِفُ (أي رَمَانُ التهد) بالذكور والنظر (ويفتح مَهْ). تَضِيب: قامة منتصبة. لَدَنِ: طرقيّ يَشْنَى. الْبَلَّارُ: الْبَلُورُ (يكسر الباء وفتح اللام المشددة أو بفتح الباء وضمّ اللام المشددة. اقرأ «بَلَّار» «بَلَّار» «بَلَّار» لام للتعريف).
(٩) أودى بصبري: ذهب به، أفناه. لَأَمَّا (مثنى لام = ل: استدارة حصة من الشعر على جانب الصدغ في شفيق (على حدّ آخر كشفاً في السماء).

خَطَاً بِالسَّحَرِ فِي صَفْحَتِي خَدُّ أُنَيْقٍ^(١) ،
وَيَنْطُ نَفَرٍ قَدْ تَمَّ بِالْمَلِكِ الْفَتِيقُ^(٢) ،
وَصَفًّا بِالنُّضَارِ أَلْمَى شَيْبُ مِثْلُ الضَّرِبِ يُزْرِي بِالْعُقَارِ^(٣) .

* * *

حَمَانِي الظَّلْمَا مِنْ لَا بِبَالِي طُلْمَا^(٤) .
إِنْ رَاشٍ مَهْمَا أَصَابَ قَلْبِي وَأَذْمَى^(٥) .
رَضِيْتُ الْمُفْمَا فِي حَبِّ حَطَاً وَقِسْمَا
بِمُتَفٍّ بِدِرَارٍ مَا لِلْكَتِيبِ حِينَ يَصُوبُ كَالزَّنِ أَسْرَارُ^(٦) .

* * *

أَضَاقَ ذَرْعِي بِالصَّدِّ عَنِّي يَوْمَ زَارٍ^(٧) .
يَهْفُو عَنْ رَوْعِي كَطَائِرٍ فِي الْجَوْطَارِ^(٨) .
هَمٌّ بِوَقْفٍ خَافَ مِنْ إِنْسٍ فَحَارٍ^(٩) .

- (١) كَانَتْ حَطَاً (خَطَاً، رَسَنًا) بِالسَّحَرِ (بِقُدْرَةِ غَيْرِ بَشَرِيَّةٍ، لِجَاهِلِهَا الْخَافِرُ) . أُنَيْقٌ: مَوْثِقٌ (يُحِبُّ الْعَيْنَ) .
- (٢) وَسَطٌ (عَقْدٌ) نَفَرٍ (هَمٌّ) : صَفٌّ أَسْنَانٍ . تَمَّ: وَشَى (نَقَلَ الْكَلَامَ) : فَاجَ مِنْهُ . الْفَتِيقُ: الْجَدِيدُ (يَكُونُ الْمَلِكُ فِي وَعَاهِ مَلَقٌ، فَإِذَا فَتَحَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ كَانَتْ رَاحَتُهُ قَوِيَّةً) .
- (٣) النُّضَارُ: الذَّهَبُ . صَفًّا (سَطَّ النَّفَرُ - أَيِ الْأَسْنَانِ) بِالنُّضَارِ (فِي ثَلَاثَةِ تَنَبُّهِ الذَّهَبِ فِي صِفَاتِهَا) . أَلْمَى: أَسْرَ (شَفَّةَ سَمَرَاءَ) شَيْبُ: بَارِدٌ (رَيْقٌ بَارِدٌ) . الضَّرِبُ: الثَّلَجُ الَّذِي يَجْلِبُ مِنْ عَدَدٍ مِنَ النَّوَقِ فِي إِهَاءٍ وَاحِدٍ (وَالشَّاعِرُ يَقْصِدُ الضَّرْبَ - يَفْتَحُ فَتْحَ - أَيِ الْمَلِكِ) . يَزْرِي: يَعْيِبُ، يَنْقُصُ الْقُدْرَ . الْعُقَارُ: الْحَصَرُ (وَبِهِ أَفْضَلُ مِنَ الْحَمَرِ) .
- (٤) حَمَانِي: مَنَعَ عَنِّي . الظَّلْمَا (بِالْفَتْحِ): الرِّيقُ .
- (٥) رَاشٍ السَّهْمُ: وَضِعَ رِيشًا فِي مَوْغَرِهِ لِيَكُونَ سِيْرُهُ فِي الْهَوَالِ أَدَى (إِنْ نَظَرَ بِعَيْنَيْهِ إِلَى الْحَبِّ أَصَابَهُ وَأَذَاهُ) .
- (٦) مَلَفٌ (٢) لَمَلَمًا مُتَلَفٌ: مَهْلِكٌ . مِدْرَارٌ: كَثِيرُ الدَّرِّ (بِالْفَتْحِ) الْمَطُولُ وَالسَّيْلَانُ (بِالدَّوْعِ مِدْرَارَةٌ) . - مَا (لَيْسَ) لِلْكَتِيبِ (الْعَاشِقُ الْحَزِينُ لِأَنَّهُ مَحْبُوبُهُ نَحْدَ هَجَرِهِ) حِينَ يَصُوبُ (دَمْعُهُ، أَيِ يَنْحَدِرُ دَمْعُهُ: يَبْكِي) كَالزَّنِ (كَالطَّرِّ) أَسْرَارُ (أَيِ أَسْرَارٍ مَكْتُومَةٍ - الدَّوْعُ الْكَثِيرَةُ دَلِيلٌ عَلَى الْعُثْقِ) .
- (٧) أَضَاقَ ذَرْعِي (السَّافَةُ بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ: صَدْرِي) : جَعَلَهُ ضَيْقٌ .
- (٨) يَهْفُو: يَسْرَعُ فِي شَيْءٍ: عَنْ رَوْعِي (أَغْرَأُ: مِنْ رَوْعٍ) : مِنْ خَوْفٍ .
- (٩) هَمٌّ: عَزَمَ، أَرَادَ . وَقَعَ الطَّائِرُ عَلَى النَّصْنِ: حَطَّ عَلَيْهِ .

رغرفاً ثم طار طيرٌ غريبٌ حلَّو عجباً بالمهيد غدارٌ.
- وله موشحة (بقي منها مطلعها وخاتمتها):

العودُ قد ترنمَ بأبدعِ تلحينٍ وشقت المذانبُ رياضَ البساتين^(١)
تخطُرُ ولا تسلُمَ عساكَ الأمانُ مروّعُ الكتائبِ يحيى بُذِي النون^(٢)

٤- ** المغرب ٢: ١١٨ جيش التوشيح ص ٧٣ - ١٨٥ (راجع ص ٢٤٤ - ٢٤٥) نفع
الطبيب ٤: ١٣٤ - ١٣٥، ٧: ١٦ مقدمة ابن خلدون (بيروت - دار الكتاب
الليثاني) ١١٣٨ - ١١٣٩ نيكل ٢٠١ - ٢٠٢.

علي بن فضال

١- هو أبو الحسن عليُّ بن فضالٍ بن عليٍّ بن غالب بن جابر بن عبد الرحمن
التيميُّ المِجاشميُّ الفَرَزْدَقِيَّ (من نسل الفرزدق) القَبْرَوَانِيَّ. يبدو أنَّه وَلِدَ في
القَبْرَوَانِ ثم هَجَرَ سَقَطَ رَأْيِهِ (معجم الأدباء ١٤: ١٩١ إنباء الرواة ٣: ٣٩٩).
بَاكراً وَرَحَلَ إلى العراق من القَرَبِ (البلغة ١٦٦) وطَوَّفَ كثيراً في الأرض حتَّى
وَصَلَ إلى غَزَنَةِ (الأفغانِ اليوم) وأقامَ في نِسابور وَلَقِيَ فيها إمامَ الحَرَمَيْنِ أبا المعالي
عبدَ الملك الجُويْنِيَّ (٤١٩-٤٧٨ هـ) أستاذَ أبي حامدِ الغَزَّالِيَّ
(٤٥٠-٥٠٥ هـ) - وكان الغَزَّالِيَّ لا يزالُ في الأُغْلَبِ في نِسابور قبلَ أن ينتقلَ إلى
بغدادَ، ولعلَّه رآه.

ثم عادَ عليُّ بنُ فضالٍ إلى العراقِ وسكنَ بَغْدَادَ وأغْرَأَ اللغةَ والنحوَ فيها مدَّةً
«وحدثَ عن جماعةٍ من شيوخِ المَغْرِبِ» (بغية الوعاة ٣٤٥). ثم دَخَلَ في خِدْمَةِ نظامِ
الملك^(٣) وكانت وفاته في بَغْدَادَ، ثانيَ عَشَرَ ربيعِ الأوَّلِ ٤٧٩ (٢٧/٦/١٠٨٦ م).

(١) المذنب (بكر الميم وفتح النون) سبيل الماء.

(٢) مروّع الكتائب: يخيف الميوش.

(٣) نظام الملك هو الحسن بن عليٍّ الطوسي (٤٠٨-٤٨٥ هـ) وكان وزيراً للسلاجقة يهتمُّ بالعلم والعمران،
بنى عدداً من المدارس (الجامعات) في بلاد الشرق فكانت تعرف باسم «المدارس النظامية». قتل
قرب نهاوند (فارس). ولا ندري إذا كان ابن فضال قد دخل في خدمة نظام الملك في فارس أو أنَّه قد
دخل في خدمة دولة السلاجقة في بغداد.

٢ - كان عليُّ بنُ فضالٍ إماماً في النحو واللغة والتصريف والتفسير والتاريخ، كما كان شاعراً مُحِيناً يَرِقُّ حيناً ويبدو على شعره الجفافُ حيناً. وفنونه الحكمةُ والمديح والغزل. وهو يلجأ أحياناً إلى الصنعة والتورية خاصة. ثم هو مؤلفٌ مُكثِرٌ، له: الإكسير في علم التفسير (خسة وثلاثون مجلداً) - البرهان العميدي (في التفسير، عشرون مجلداً) - النكتُ في القرآن - شرح بسم الله الرحمن الرحيم - الفصول في معرفة الأصول - المقدمة في النحو - شرح عُنوان الإعراب - العواملُ والهوامل (في الحروف خاصة) - الإشارة في تحسين العبارة - شرح معاني الحروف - إكسير الذهب في صنعة الأدب والنحو (اقرأ: صنعة النحو والأدب) - معارف الأدب - شجرة الذهب في معرفة أئمة الأدب - العروض - الدُّوَل (في التاريخ: خسة وثلاثون مجلداً).

٣ - مختارات من شعره

- قال عليُّ بنُ فضالٍ في «فقدانِ الصداقة من الناس»:

وَإِخْوَانٍ حَبِيبَتُهُمْ دُرُوعاً، فَكَانُوهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي.
وَجَلَّتُهُمْ بِهَاماً صَائِبَاتٍ، فَكَانُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي.
وَقَالُوا: قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ، لَقَدْ صَدَقُوا، وَلَكِنْ مِنْ وَدَادِي.

- وقال من قصيدة في مدحِ نظامِ الملوك:

دَوَارِسُ آيٍ مَا تَكَادُ تُبَيِّنُ عَفَاهَنْ دَمْعٌ لِلْحَبَابِ قَتُونٌ^(١).
وَقَفْنَا بِهَا مُسْتَلْهِمِينَ فَلَمْ يَزَلْ لِسَانُ الْبَلَى عَنْ عُجْمِيهِنَّ يُبَيِّنُ^(٢).
عَلَى حِينَ عَاصَبَتْ الصِّبَا وَهُوَ طَائِعٌ وَأَرْخَضَتْ عِلْقَى اللَّهْوِ وَهُوَ ثَمِينٌ^(٣).
سَقَى اللَّهُ حَيْثُ الطَّاعِنُونَ سَحَاباً فَقَلْبِي حَيْثُ الطَّاعِنُونَ رَهِينٌ^(٤).

(١) دوارس (أسكنة معوّة الأثر، مهذبة، أي=آيات (جمع آية) مكان تنلى فيه الآيات (٢). عافهن (عافهن) دمع (مطر) هتون (كثير).

(٢) البلى: الفناء، الخراب. عجمهن (صنعتهن) بين (بغير، بتكلم).

(٣) اللغو: الشيء النفس. حيناً كست شأناً قادراً على اللغو لم أكن الهوى بينا كان غيري يرى أن هذا اللغو مهم جداً.

(٤) الطاعنون: الراجلون عني (أحابي - يقصد: الطاعنات: النساء الحسان).

فَكَمْ ضُنْتُ أَحَدًا جُهِمَ مِنْ جَاذِرٍ أَوَّاسٍ يَنْصُوهَا جَاذِرٌ عَيْنٌ^(١)
وَأَقْمَارِ يَمٍ لَمْ يَزِ النَّاسُ قَبْلَهَا بُدُورًا تَنْتَنِي تَحْتَهُنَّ عُصُونٌ^(٢)
يُجَرِّدُنَ مِنَ الظَّاهِنِ صَوَارِمًا مُهَنَّدَةً أَجْفَانُهُنَّ مُتُونٌ^(٣)

٤ - معجم الأدياء ١٤ : ٩٠ - ٩٨ الخريدة (المغرب) ١ : ٢٨٧ - ٢٨٩ ، إنباء الرواة ٢ : ٢٩٩ - ٣٠٢ بنية الوعاة ١٣٤٥ ، البليغة ١١٦١ شعور الذهب ٣ : ٣٦٣ ، الأعلام للزركلي ٥ : ١٣٥ (٤ : ٣١٩) .

ابن جاح البطليوسي

١ - هو ابن جاح البطليوسي الصَّبَاغُ (كان يعملُ في صَنِيعِ الثياب) ، وكان أُمِّيًّا لَا يَخْطُ وَلَا يَقْرَأُ الْخَطَّ . وَلَا أَعْلَمُ إِلَى مَا اسْتَنَدَ يَنْكَلُ لَمَّا ذَكَرَ (ص ١٧٩) أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى .

يبدو أن حياة ابن جاح تَقَعُ كُلُّهَا فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ (القرن الميلادي الحادي عشر) ، ويبدو أيضاً أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ فِي بَلَاطِ بَطْلَيْوُسَ عِنْدَ بَنِي الْأَفْطَسِ مَا يُؤْمَلُ ، إِذْ كَانَ أَمْرُ بَنِي الْأَفْطَسِ مُضْطَرِبًا ، فَذَهَبَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ وَمَدَحَ الْمُتَضَيِّدَ عَبَادًا (١٣٢ - ١٦١ هـ) . ثُمَّ لَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُ بَنِي الْأَفْطَسِ وَاسْتَقَلَّ عُمُرُ الْمُتَوَكِّلِ بِالْإِمَارَةِ (١٤٧٣ - ٤٨٧ هـ) زَارَهُ ابْنُ جَاخٍ مَادِحًا . وَسَمِعَ الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ مِنْ عَمَارِ بْنِ جَاخٍ قَبْلَ اسْتِنْهَارِهِ فَمَرَّ عَلَى حَانُوتِهِ وَهُوَ آخِذٌ بِعَمَلِهِ وَطَارَحَهُ شَيْئًا مِنَ الثِّبَرِ ثُمَّ قَدَّمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ . فَإِذَا كَانَ ابْنُ عَمَارٍ الَّذِي وَلِيَ الْوِزَارَةَ لِلْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، مُنْذُ سَنَةٍ

(١) المدهج (بالكسر) مركب من مراكب النساء كالمهوج . المؤذر (بضم فسكون ثم يفتح أو ضم) : الغزال الصغير (كتابة النساء الحسان) . الآنة : الفتاة التي يؤنس بها . نضاها ينضوها (بتفخهما) . العينة : الواسعة العينين . هنالك سرب من الحسان المتقدّمات في السن يهجن في الطليعة (كما يكون في أسراب الحيوان) .

(٢) بدر التّم (في الليلة الرابعة عشرة) . بدور (وجوه جميلة) . تنّى = تنتنى (تتألم) . عصون جمع غصن (كتابة عن قوام الفتاة النحيلة) .

(٣) صارم : سيف . مهنّدة : من صنع الهند . جنن السيف : قرايه ، بيته . ولكن أجطان هؤلاء الحسان متون (صفايح سيوف) ١

٤٦١، قد لقي ابن جابر قبل أن يشتهر فيجب أن يكون ابن جابر قد عاش بعد ذلك مدة طويلة. فعمل وفاته لم تقع قبل ٤٨٠ (١٠٨٧ م).

٢- كان ابن جابر البطلوني شاعراً محسناً. ولعل جهلة القراءة والكتابة قد ترك شعره بريئاً من التكلف. ومع ذلك فإن صورته الشعرية تُلغى أحياناً بارة. ولكن لا يجوز أن نخدع كثيراً بالقول إنه كان أمياً، لأن الأمية شيء والثقافة شيء آخر. ففي شعر ابن جابر ما يدل على أنه عرّف غريب اللغة ووصف الناقة وسبها عند الجاهليين.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن جابر البطلوني في النسيب:

ولما وقفتا غداة النوى وقد أسقط البين ما في يدي^(١)
رأيت الهواج فيها البدور عليها البراقع من عنجد
ونحت البراقع مقلوبها تدب على ورد خد ندي^(٢)
تسالم من وطئت خده وتلدغ قلب الشجي المكمد^(٣)
- وقال يمدح المعتضد عبداً:

قطعت، يا يوم النوى، أكبادي وحرمت عن عيني لذهد رقادي^(٤)
وتركتني أرعى النجوم مسهداً والناير تضرم في صمير فؤادي^(٥)
فكأنما ألى الظلام أليّة: لا ينجلي إلا إلى سيماد^(٦)

(١) البين: البعد، البعاد. أسقط ما في يدي (جعلني حائراً).

(٢) مقلوب براقع = عقارب. (كتابة عن الشعر المتدلي والتعرج على الصدغ (هذا يدل على أنه كان يعرف الخط).

(٣) الشجي: الحزين. المكمد: الذي أكده الحزن (أغمته).

(٤) لو قال: «وحرمت عيني من لذهد رقادي» لكان أصح في التركيب والمعنى (من غير اختلاف في الوزن).

(٥) مسهد: طائر النوم.

(٦) ألى: أغم. أليّة: بين. قسم. اقرأ: إلى البعاد (يوم القيامة).

وَلَرُبُّهُ خَرَقٍ قَدْ قَطَعَتْ نِيَابَهُ
بِشَيْلَةٍ حَرَفٍ كَانَ ذَمِيلَهَا
وَالنَّجْمُ يَخْدُوهَا، وَقَدْ نَادَيْتُهَا:
مَلِكُ إِذَا مَا أَضْرَمْتَ نَارَ الْوَعَى
فَتَرَى الْجَسُومَ بِلَا رُؤُوسٍ تَنْتَفِي،
بِأُتْمِهَا الْمَلِكُ الْمُؤْتَلِّ وَالَّذِي
إِنَّ الْقَصِيدَ لَكَاسِدٌ فِي أَرْضِنَا،
فَجَلَبْتُ مِنْ شِعْرِي إِلَيْكَ قَوَافِيَا
مِنْ شَاعِرٍ لَمْ يَضْلُغْ أَدْبَا وَلَا
- وقال ابن جاح:

(إِذَا مَرَرْتَ بِرُكْبِ الْعَيْسِ حَبِيهَا)
بِأَنَاقٍ، عَوْجِي عَلَى الْأَطْلَالِ، عَلَّيْهَا
أَوْ كَيْفَ أَرْفُضُ طَيْبَ الْعَيْسِ بَقْدَهُمْ،
إِنِّي لَأَكْتُمُ أَشْوَاقِي وَأَسْتَرْهَا
بِأَنَاقِي، فَمَسَى أَحْبَابُنَا فِيهَا^(١).
مِنْهُمْ غَرِيبٌ يَرَانِي كَيْفَ أَبْكِيهَا
أَوْ كَيْفَ أُسْبِلُ دُمْعِي فِي مَفَانِيهَا^(٢).
جُهْدِي، وَلَكِنْ دَمَعُ الْعَيْنِ يُبْدِيهَا.

٤ - ** جذوة المقتبس ٣٨١ (رقم ٩٦٣) (الدار المصرية ٤٠٥ (رقم ٩٦٤) بغية المتنس
٥٢٢ (رقم ١٥٦٢) ١ نفع الطيب ٣: ٤٥٢ - ٤٥٣: ٤٠٦، ٨٠٤ - ٢٤٣ - ٢٤٤ بغية
الوعاة ١٥٢٢ نيكيل ١٧٩ - ١٨٠، مختارات نيكيل ١٢٣ - ١٢٤.

- (١) خرق: القفر، الغلاة الواسعة. النياط (المائة البعيدة).
- (٢) شيلة: (الناقة) المرمية. الحرف (الناقة) الضامرة (الحقيقة المرمية). الذميل: السير السريع. السرح (بضم فظم: مفردة أو جمع): السريع.
- (٣) النجم يمدوها (يسوقها) تسير ليلًا. عوجي: مبلي (انقضي). أفرأ: يا ناقي...
- (٤) لو قال «تلقى» مكان «فترى» لكان أصح في الإعراب. تلقى: ملقى أرضاً، ما طرح ثم ترك لهواه (لا قيمة له).
- (٥) في جذوة المقتبس (ص ٣٨١) أن ابن جاح قصد قصر الدولة أبا عمرو عبّاد بن محمد بن عبّاد (الملوح أنه المتخضد عبّاد صاحب إشبيلية). فلما دخل عليه، قال له (المتخضد) أجز: «إذا مررت بركب العيس حببها». فقال ابن جاح هذه الأبيات ارتجالاً.
- (٦) أسبل دمه: تركه يسيل. الغنى: المكان المسكون العاصر.

ابن الحدّاد الوادي آشي^(١)

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان القيسي المعروف بابن الحدّاد الوادي آشي^(٢) - وكان لقبة « مازن » - مولده ونشأته في وادي آش. وهناك عَشِقَ في صباه فتاة فلاحية رومية (مسيحية) اسمها جميلة ولكنه يُكِنِّي عنها في شعره باسم « نُورِة » اتَّصل ابنُ الحدّاد الوادي آشي بِبَلاطِ المعتصم بن صُاحِر (٤٤٤ - ٤٨٠ هـ) في المَريّة وقضى فيه مُعَظَمَ حياته. واتفق مرّة أن عرَّضَ في شعره بالمعتصم بن صَاحِر بالبخلِ فخافه ثم فر منه إلى سَرَقُطَة ومكث عند صاحبها المقتدر بن هود سنينَ قلائل (٤٦١ - ٤٦٤ هـ) ولكنه عاد بعدئذٍ إلى بلاط المعتصم.

وكانت وفاة ابن الحدّاد الوادي آشي سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٨ م) أو بعدها بقليل.

٢ - كان ابنُ الحدّاد الوادي آشي مُتَفَنِّناً في علوم كثيرة ولا سيّما في علوم الأوائل (الفلسفة) وعلوم التّعاليم (الرياضيات والفلك^(٣)) خاصّة كما كان شاعراً فعلاً مُجيداً شديد الفُوصِ على المعاني مُفرّماً بالتشبيهات التي تبدو مُشرقة في الشمر (بارعة المظهر) من غير أن يكون بينها وبين المعاني المقصودة صلة وثيقة بالضرورة. وفنّونُ شعره المديح (ومُعَظَمُ مديحه في المعتصم) والفرلُ والعتاب والفخر والزهد، وله هجاء مُقذع. وكذلك كان حافظاً للحديث ومؤرخاً وناقداً له كتاب في العَروض مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية وآراء الخليل بن أحمد^(٤) وردّ فيه على السَرقُطِيّ المنبُوذ بالهَمار^(٥) وتقدّر كلامه فيها يتعلّق بالأشطار.

(١) هو غير الأديب الكاتب المؤرخ والحافظ الفقيه أبي عبد الله محمد بن الحدّاد الشهير بالوادي آشي نزول تلسان بعد سقوط غرناطة (٨٩٧ هـ = ١٤٩٣ م). انظر نفع الطيب ٦: ٢٢، ٤: ١٠٣، ٧: ٥٠٧، ١٠٣.

(٢) راجع نفع الطيب ٧: ٢٦. قيل عرف خسوف البدر قبل مواعده، وهي الحادثة المذكورة لأن باهجة النوى ٥٣٣ هـ (راجع نفع الطيب ٧: ٢٥).

(٣) توفّي عام ١٧٠ هـ. (راجع ٢: ١١١ - ١١٦).

(٤) هو أبو عثمان سعيد بن فتحون التجيبي كان بارعاً في علوم اللغة وفي علوم الفلسفة وله في علم العروض كتاب مطوّل وكتاب مختصر وله رسائل في الفلسفة. امتنحه النصور بن أبي عامر عنة (أنهم باعتقاد آراء الفلاسفة) وسجنه. ثم أطلق سراحه فانتقل إلى جزيرة صقلية، وبقي فيها إلى أن توفّي (أوائل القرن الخامس). راجع الديلم والتكملة ٤: ٤٠ - ٤١، بهية الوعاة ٢٥٦، نفع الطيب ٣: ١٧٥.

- قال ابن الحدّاد في النسيب:

هُمْ فِي ضَمِيرِكَ، خَيَمُوا أَمْ قَوَّضُوا، وَمَنْ جُفُونُكَ أَقْبَلُوا أَمْ أَعْرَضُوا^(١).
وَهُمْ رِضَاكَ مِنْ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ سَخِطُوا كَمَا زَعَمْتَ وَشَأْنُكَ - أَمْ رَضُوا^(٢).
أَهْوَاهُمْ وَإِنْ اسْتَمَرَّ قِلَاهُمْ، وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ يُحِبَّ الْمُبْضِ^(٣).
- وقال بتغرّل في نُؤِيرَة:

وَارْتِ جُفُونِي مِنْ نُؤِيرَة، كَانِيهَا، نَاراً تُضِلُّ، وَكُلُّ نَارٍ تُزِيدُ^(٤).
وَالْمُهْ أَنْتِ، وَمَا يَصِيحُ لِقَابِضٍ، وَالنَّارُ أَنْتِ، وَفِي الْحَشَى نَتَقُدُّ^(٥).
- وقال في مُسَامَحَةِ الإِخْوَانِ وَتَشْبِيهِهِمْ بِالسِّيرَاجِ:

سَابِغْ أَخَاكَ إِذَا أَتَاكَ بَرْزَلَةٌ، فَعُلُوصُ شَيْءٍ قَلْبًا يُمْسِكُنْ.
فِي كُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ مَوْجُودَةٌ، إِنَّ السِّيرَاجَ عَلَى سَنَاءٍ يُدَخِّنُ.
- وقال يَصِفُ إعْطَاهُ الْمُدَوَّحَ الْبِدْرَ لِلطَّالِبِينَ (وَالْبِدْرَةُ خَمْسِيَّةٌ دِينَارٍ، وَتَكُونُ عَادَةً فِي صُرَّةٍ مُكَوَّرَةٍ):

يَمْدَمُنْ نَدَاهُ دِيمَنْ كَفَسٍ وَحَائِرٍ، فَعَتَمَ عَلَيْهِ، الدَّهْرَ، وَصَلَّ حِيلَاتِهَا^(٦).
يُجَاهِدُ فِي ذَاتِ النَّدَى يَبْتَئُ مَالَهُ، وَلَا جَيْشَ إِلَّا مِنْ أَكْفَأِ عَفَاتِهَا^(٧).
إِذَا الْبِدْرُ انْتَالَتْ عَلَيْهِمْ حَبِيبَتُهَا، بِأَيْدِي مَوَالِيهَا، رُؤُوسَ عِيدَاتِهَا^(٨).

(١) خَيَمُوا أَوْ قَوَّضُوا: أَقَامُوا أَوْ رَحَلُوا (حَضَرُوا أَوْ غَابُوا). وَمَنْ جُفُونُكَ: الْقَيْنُ تَعْنِي أَنْ تَرَاهُمْ.

(٢) الْوِشَاءُ: الَّذِينَ يَنْقُلُونَ الْأَخْبَارَ السَّيِّئَةَ أَوْ الْمُحْتَلِفَةَ لِلْإِضَادِ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ.

(٣) الْقَلْبُ: الْمُبْضِ.

(٤) وَارِي: أَخْفَى. كَانِيهَا (بِقَصْدٍ): نَاراً، حَرَارَةً، حَبّاً وَشَوْقاً وَتَلَهُّفاً إِلَى رُؤْيَا الْمَحْبُوبَةِ.

(٥) أَنْتِ شَيْءُ الْمَاءِ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِ (وَلَا أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ) وَكَانَتِ الْوَلَكُنُ تَشْتَمِلُ فِي الْقُلُوبِ.

(٦) نَدَاهُ (جُودُهُ وَكَرَمُهُ) يَمْدَمُنْ (يَسْلُكُ، يَمْلِكُ، يَسِيرُ عَلَى) دِينَ (عَادَةً) كَفَسٍ (بِنِ مَامَةِ الْأَهَادِي) وَحَائِرٍ (الطَّائِفِ) كَرِيمَانَ مَشْهُورَانَ. حَمَّ عَلَيْهِ: يَرَى مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ. الدَّهْرُ (طُولُ الدَّهْرِ) وَصَلَّ (مُوَاصَلَةً، اسْتِمْرَاراً) الصَّلَاتِ (بِكَسْرِ الصَّادِ) الْمَطَايَا.

(٧) النَّدَى: الْكَرَمُ. الْمَغَاةُ (جَمْعُ عَافٍ): طَالِبُ الْمَعْرِفِ وَالْمَطَاةُ). كَانَ يَبْتَئُ مَالَهُ (أَمْوَالَهُ) فِي جِهَادٍ (حَرْبٍ) فِي ذَاتِ النَّدَى (فِي سَبِيلِ النَّدَى = ضِدَّ الْبَغْلِ وَالْفَقْرِ) وَالْجُنُودُ هُمْ أَكْفَأُ (أَهْدَى) طَالِبِي الْمَطَاةِ.

(٨) انْتَالَتْ: انْهَمَرَتْ، انْصَبَتْ. مَوَالِيهَا: أَصْحَابُهَا (أَصْحَابُ الْبِدْرِ، الَّذِينَ يَسْتَحَقُّونَ هَذِهِ الْبِئْرَ).

- وقال ابن الحداد الوادي آشي يتغرّك ثم أحسن التخلص إلى مديح محمد بن معن (المعتمد بن صلاح):

- عَجَّ بِالْجَمَى حَيْثُ الْفَيَاضُ الْعَيْنِ
وَأَسْتَقْبَلْنَ أَرْجَ النِّسِيرِ قَدَارُهُمْ
أَفْقَى إِذَا مَا رُمْتَ لِحْظَ شُمُوبِهِ
أَتَى أَرَاغَ لَهُمْ وَبَيْنَ جِوَانِحِي
أَتَى نَهَابَ ضِرَابِهِمْ وَطِعَانِهِمْ
فَكَأَنَّمَا يَبِضُّ الصَّفَاحُ جَدَاوِلُ
ذَرْنِي أَيْسَرَ بَيْنَ الْأَيْبَةِ وَالطَّبِيِّ
فَلَعَلَّهُ يُرَوِّي صَدَائِي بِلِحْظِهِ
يَا رَبَّةَ الْقُرْطِ الْمُعِيرِ خُدُوقَهُ
تَوَرِيدُ خَدِّكَ لِلصَّبَابَةِ مَوْرِدُ
فَإِذَا رَمَقْتَ فَوْحِي حَبِّكَ مُنْزِلُ
أَنْتِ الْهَوَى، لَكِنَّ سُلُوَانَ الْهَوَى

فَمَسَى تَنْ لَنَا مَهَاءُ الْعَيْنِ^(١)
نَدِيَّةُ الْأَرْجَلِ لَا دَارِيْنَ^(٢)
صَدَّتْكَ لِلنَّقْعِ الْمُشَارِ دُجُونُ^(٣)
شَوْقٌ يُهَوِّنُ غَطْبَهُمْ فَيَهْوَنُ^(٤)
صَبٌّ بِالْحَاظِ الْعَمِيُونِ طَمَعِينَ^(٥)
وَكَأَنَّمَا سُمِّرَ الرِّمَاحُ غُصُونُ^(٦)
فَالْقَلْبُ فِي تِلْكَ الْقِيَابِ رَهِينُ^(٧)
وَجَّةٌ بِهِ مَاءُ الْجَمَالِ مَمِينُ^(٨)
فَلِجَبِي، أَمَا لِجِرَاكِ تَسْكِينُ؟
وَقَتُّورِ طَرَفِكَ لِلنَّفْسِ فُتُونُ
وَإِذَا نَطَقْتَ فِائِهِ تَلْقِينُ^(٩)
قَصْدُ ابْنِ مَعْنٍ وَالْحَدِيثُ شُجُونُ^(١٠)

- (١) عاج بالمكان: أقام. النقيضة. المكان بكثرة الشجر وبلتغاً. الحمى: المكان الذي لا يجسر أن يقترب من عدو. العين (جمع عينة: الجميلة المنظر، الفاتحة على غيرها). الها: الطبيب (النساء الجسيلات). العين جمع عيناها (مفتح العين): المرأة الواسعة العينين.
- (٢) أرج: راحته الطيبة المنتشرة. نديّة (نسبة إلى ندى: نوع من الطيب يستخدم محوراً). دارين مكان في الشام فيه نباتات طيبة الرائحة.
- (٣) الأفق: البلد، الجانب من الأرض. السح: غبار الحرب. دجن: اليوم. بلد تكثر فيه الحروب (٤).
- (٤) آشي: كيف (لذا). راع: أخاف (نار الحب التي في قلبي أشد خطراً من الحروب بين الجيوش).
- (٥) هاب: غاف. الضراب (بالسيف) والطمأن (بالرمح). صبة: محبة.
- (٦) يبض الصفاح (صفحات الحديد: السيوف). جداول: أنهار.
- (٧) ذرني: دعني. السان: المهدبة في رأس الرمح. الطبة (بضم ففتح): حد السيف. القية: الحبة الكبيرة من الجلد (تكون للقنطرة وللأشرف). سأسهل السير بين المتحاربين حتى أصل إلى خيمة المحبوب.
- (٨) الصدى: العطش. معين: ماء كثير جار (عذب).
- (٩) رمق: نظر. إذا نظرت إليّ أوحيت إليّ (قول الشعر). تلقين: تطعم بالفراة.
- (١٠) سلوان: نسيان. قصد «زيارة» ابن معن (المعتمد بن صلاح). زيارته تسبني المحبوب.

فالمسحُ أجمعُ ما يُرى عليك عيانه، لا ما أُرثه سَوَالِفٌ وعيون^(١) .
والروض ما اشتملت عليه سُوْله، لا ما أُرثه أباطِحٌ وحُزُون^(٢) .
قصورٌ تَبَيَّنَتْ القُصورُ قُصورُها عنه، وفضلُ الأفضلين بَيْن^(٣) .
هو جَنَّةُ الدنيا نَبَواً ظِلُّها مَلِكٌ تَمَلَّكُهُ النَّفسُ والدمع^(٤) .
فَمَنْ ابنُ ذِي يَزَنٍ؟ وما عُقدانُه؟ النَقْلُ شَكٌّ واليَمانُ يَمِين^(٥) !

- وقال في النسيب (التشابيهُ والاستعاراتُ والكنابات هنا كثيرة):

بَعِيثُكُما ، ذاتَ اليمِينِ! فإِننِي أَرأحُ لِيَمِّ الرُوحِ من عَقدانِها^(١) .
فقد عَيَقَتْ رِيحُ النِّعاسِ كأنما سَلامٌ سَلَّيْني راحَ من نَفْحاتِها^(٢) .
وتَنبِئُكَ للقلبِ المُتَنَبِّئِ مَنزِلُ! فمُوجاً يَتَسَلَّمُ على سَلامِها^(٣) .
مُشاعِرُ نَهْما مِ وكَفَّةٍ فِتْنَةٍ، قُزادي من حُجَّاجِها ودُعائِها^(٤) .

- (١) عيانه: مشاهدته. السالف: الشعر المتدلي من جانب الرأس. سواف وعيون كناية عن الساء الجبيلات.
- (٢) الأبطح: الأرض الواسعة المستوية. الحزن (بالفتح) الأرض الصلبة بصر السير فيها. بلاد المعتم من صلاح أجل (وأفضل) من بلاد غيره....
- (٣) قصورها (تقصوها) عنه. بين: يظهر (من تلقاء نفسه).
- (٤) نبواً: سكن وأقام في المكان.
- (٥) سيف بن ذي يزن: ملك مشهور في اليمن. عُقدان: قصر سيف بن ذي يزن. نحن نسح عن سيف بن ذي يزن ساعاً، ولكننا نرى مجد المعتم من صلاح عيونا.
- (٦) استحللكنما بلياتكنما أن قبلا ما ذات اليمين. راح لذلك الأمر يراح: فرح (قا ١: ٢٢٥). السطرا ٥- ٦). الروح (يفتح الراء): نسيم الريح. عقدانها (بضم العين وفتح القاف) جمع عقدة (بضم العين وسكون القاف): كل أرض محببة.
- (٧) النعاس: (بضم النون): ريح الجنوب، أو ريح بين الجنوب والشرق. عيقت الريح: لزقت بها رائحة الطيب. النفعة: الهبة من الرائحة الطيبة.
- (٨) تيهام بلدة في نجد (المقصود: بلد المحبوبة). المتنبئ: الذي تنبئه (استعبده وذلكة) الحب. ونيله للقلب المتنبئ منزل: قلبي لا يترك حب المحبوبة ولا يترك تذكراها. عوجاً: ميلاً (بنا)، دعانا نذهب إلى (بيت المحبوبة). السلمات (يفتح ففتح): جمع سلمة (يفتح ففتح): نوع من الشجر، أو جمع سلمة (يفتح فكسر): حجر (المقصود: ديار المحبوبة).
- (٩) مشاعر جمع مشعر (المكان المقدس الذي يزار). التيهام (غير موجودة في القاموس) مع أنها وردت في شعر كثير عزة: شدة الحب للمرأة.

فكم صاغتني في بناها يدُ النسي، ولم حبّ عَرَفَ اللّهُ في عَرَافِها^(١).
عهدتُ بها أصنامَ حُسنِ عهدتني هَوَى عَيْدُ عَزَاها وعِدُ مَنَاتِها^(٢).
أهلُ بأشواقي إلَها وأتقي شَرَاتِها في الحبِّ حقَّ ثَقَاتِها

- ١- ٨٠- ٨٣، الذخيرة ٢: ٦٩٢- ١٧٢٩ جذوة المقتبس ٣٧٣ (رقم ٩٣٩)؛
المحمدون من الشعراء ١٠٦- ١١٠٨؛ الحريدة (المغرب) ٢: ٢٧١- ٢٨٩؛ الحريدة
(الأندلس) ١: ١٧٧- ٢٠٩؛ فوات الوفيات ٢: ٢٠٩؛ الوافي بالوفيات ٢:
٨٦- ١٨٨؛ التكملة ١٣٣ (رقم ٤٦١)؛ الذيل والتكملة ٦: ١٠ وما بعده؛ أزهار
الرياض ٣: ١٣١٤؛ المغرب ٢: ١٤٣- ١٤٥؛ الاحاطة (١٣١٩) ٢:
٢٥٠- ٢٥٢؛ نفع الطيب ٣: ٢٦٣، ٥٠٢- ٥٠٥، ٤٨- ٥١، ٥٦،
١٠١- ١٠٢، ٧٠٢، ٢٦: ٢٧؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣: ٧٧٥- ١٧٧٦؛ نيكل
١٩٤- ١٩٥، مختارات نيكل ١٣٥- ١٣٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٠٧ (٥):
(٣١٥).

ابن الدبّاغ

- ١- هو أبو المُطَرِّف عبدُ الرحمن بنُ فَاخِرٍ من سَرَقُطْنة، كان كاتباً عند صاحِبِها
المقتدرِ بنِ هودٍ (٤٣٨- ٤٧٤ هـ)، فوَقعتَ بَيْنَها وَحْشَةٌ فهِربَ ابنُ الدبّاغ وَلَحِقَ
بِالمُعْتَمِدِ بنِ عِبَادٍ في إِشبيلية (٤٦١- ٤٨٤ هـ) فقال عِنْدَهُ حَظْوَةٌ وَسَفَرٌ^(٣) بَيْنَهُ وَبَيْنَ
المُتَوَكِّلِ بنِ الأَفْطُسِ صَاحِبِ بَطْلَيْوُسَ. وَكانَ لابنِ الدبّاغ حُسادٌ وَأعداءٌ، كما كانَ هو
أيضاً ضَيِّقَ الخَلْقِ كَثِيرَ التَضَجُّرِ مِنَ النّاسِ. ووقعتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابنِ عَمَّارٍ (قَتله المَعْتَمِدُ
سنة ٤٧٧ هـ) عداوةٌ فانتَقَلَ إلى المُتَوَكِّلِ بنِ الأَفْطُسِ، في ٤٧٣ هـ أو بعدَ ذلكَ بِقَلِيلٍ
(راجع الذخيرة ٣: ٢٥٢).

(١) منى (يكسر الميم) مشعر أو منسك من مناسك الحجّ. العرف: الرائحة الطيبة. عرفات: جبل يجتمع
عليه الحجاج للتلبية (دعاء الله).

(٢) عهدت: عرفت. عهدتني: تمكّدت أن يبرهنني. هوى: محبّة. العزى ومناة (من بنات الله عند عرب
الجاهلية).

(٣) سفر: عمل سفيراً (تردّد بين الدول في مهمّات رسمية).

وكان أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أئمن^(١) وزيراً لدى المتوكل - أو مستولياً على أمور الوزارة فخاف من منافسة ابن الدبّاغ فنشأت بينهما عداوة شديدة ارتحل ابن الدبّاغ بعدها إلى بلد سرقسطة. وبعد قليل قُتل ابن الدبّاغ في بعض ساعات سرقسطة. وقد رثاه ابن عبدون (ت ٥٢٩ هـ).

إن هذه الأحداث المتلاحقة تدلّ على أن مقتل ابن الدبّاغ كان في حدود سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م).

٢- كان ابن الدبّاغ أديباً ناثراً شاعراً وكاتباً. وكان النثر أغلب عليه. ومُعظم رسائله إخوانيات كثيرة السجع والصناعة، وتكاد تكون كلها في الشكوى من الدهر ومن السعيايات (الذخيرة ٣: ٢٦٩). ومن رسائله المتقدمة رسالة ذكر فيها سبب خروجه عن سرقسطة (٣: ٢٧٢). أما شعره فسهل عذب، ولكن معانيه عادية. والقليل المروى من شعره في الغزل والنسب والمدح.

٣- مختارات من آثاره

- فصل من رسالة له في الشكوى (الذخيرة ٣: ٢٥٧):

كتاني، وعندي من الدهر ما يهدأ أسرهُ الرواسي^(١) ويُفتت الصخر القاسي. فأما وإياه فرسا رهان^(٢): «يُجدّ نواثياً وأجيدُ صبراً»^(٣). ومن أجلاًها^(٤) قلب محاسني مساوي^(٥)، وأوليائي أعادي، وقصدي بالبغضة من جهة اللفة، واعتادي بالحيانة من حيث الثقة^(٦). فقس بهذا على ما سواه وعارضه بما عداه^(٧). ولا أطول عليك،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أئمن كان وزيراً للمتوكل صاحب بطليوس (٤٦٠ - ٤٧٣ هـ).

(٢) الرواسي: الجبال.

(٣) فرسا رهان: متساويان في القسرة.

(٤) يجدّ (يأتي بأشياء جديدة) نواثب (جمع ناثبة: مصيبة) وأجيد صبراً (أصبر صبراً جيلاً، كثيراً). والجملة شطر من الشعر (مستشهد به هنا).

(٥) أجلاًها: أعظمها، أكبرها.

(٦) قلب (عكس، تبديل) مساوي (مساوية، جمع سيفة).

(٧) اللفة: الصداقة والمحبة. من حيث الثقة (في مكان الثقة).

(٨) عارضه: قارنه. بما عداه: بما تجاوزه (بغيره).

فقد غيّر عليّ جثي شراي وأوحشني حتى ثيابي^(١) .. فما أنا أتهم عياني وأستريب من
بنائي^(٢) وأجني الإساءة من غرس إحساني. وقاتل الله الحطينة^(٣) في قبره فلشد ما غرّ
بقوله:

مَنْ يَمْلِكُ الْخَيْرَ لَا يَمْتَنُ جَوَازِيَهُ، لَا يَذْهَبُ الْمُرُفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(٤).
مَنْ يَزْرَعُ الْخَيْرَ يَحْصُدُ مَا يُسَرُّ بِهِ. وَزَارِعُ الثَّرِّ مَنَكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ^(٥).
أَنَا، وَاللَّهِ، اغْتَرَزْتُ بِهِ^(٦) وَقَعَلْتُ خَيْرًا فَعَدِمْتُ جَوَازِيَهُ وَأَذْمَنْتُ عَوَائِدَهُ
وَمَبَادِيَهُ^(٧). وَزَرَعْتُهُ فَلَمْ أَحْصُدْ إِلَّا شَرًّا وَلَا اجْتَنَيْتُ مَعَهُ إِلَّا ضَرًّا. وَهَكَذَا
جَدِّي^(٨)، فَمَا أَصْنَعُ، وَقَدْ أُمِيَ الْقَضَاءُ إِلَّا أَنْ أَقْضِيَ عُمْرِي فِي بُؤْسٍ وَلَا أُنْفِكَ فِي
نُحُوسٍ^(٩). وَيَا لَيْتَ بَاقِيَهُ قَدْ انْصَرَمَ وَغَائِبَ الْحِمَامُ قَدْ قَدِمَ^(١٠). فَعَسَى أَنْ تَكُونَ بَعْدَ
الْمَمَاتِ رَاحَةً مِنْ هَذَا النَّصَبِ وَسَلْوَةً عَنْ هَذِهِ الْخُطُوبِ وَالْكَرْبِ^(١١). وَدَعْ بِنَا^(١٢) هَذَا
التَّشْكِيَّ «فَالدهرُ ليس يُجْتَنَبُ مِنْ يَجْزَعُ»^(١٣)، وَلَا يُبْشَقِي عَلَى مَنْ يَتَوَجَّعُ^(١٤). وَاطْرَحْ

- (١) كذا في الأصل (ملها): حتى من ثيابي.
- (٢) العيان: البصر، (النظر بالعينين). استراب: شك. البنان جمع بنانة: طرف الأصابع (عقد الأصابع، الأصابع).
- (٣) الحطينة جرول بن أوس العبسي (ت ٥٩ هـ = ٦٧٨ م). شاعر مخضرم (أدرك المجاهلية والإسلام) اشتهر بالنصب في المهجاء.
- (٤) الجوازي: جمع جازية: الجزاء (التواب أو العقاب). المرؤف: المعروف، عمل الخير.
- (٥) يبدو أن هذا البيت ليس للحطينة (الذخيرة ٣: ٢٥٨، الحاشية الثانية).
- (٦) به (بيت الحطينة).
- (٧) أذمت الشيء: وجدته ذمياً (قبيحاً). الموائد جمع عائدة: راحة (الشيء يفعل مرة بعد مرة). مبادته: أوائله (الشيء يفعل للمرة الأولى).
- (٨) حنّي (بالفتح): حنّ.
- (٩) بؤس: شدة، الفقر، لا أنفك: لا انقطع (أبقى دائماً).
- (١٠) وبأليت باقيه (بأقي العمر) قد انصرم (انقطع، انتهى) وغائب الحمام (بالكسر: الموت) قد قدم (أتى، وصل).
- (١١) النصب: التعب. الكربة (بالضم): الحزن والغم.
- (١٢) دَعْ بِنَا هذا... (بنا لا حاجة إلينا).
- (١٣) «والدهر ليس يمتنع...» شطر لأبي ذؤيب الهذلي (بضم ففتح): شاعر مخضرم (ت ٢٨ هـ).
- (١٤) في الأصل «توجع». (حسن أن تكون «يتوجع» للسمع مع «يجزع».

بنا^(١) هذا القول في الرياح واعديل بنا عن الجِدِّ إلى المَزاج^(٢).

- وقال ابن الدبَّاغ، وقد رأى غُلاماً وسيماً يحمل بين يديه عُصفوراً:

يا حاملَ الطائرِ القَرِيْبِ بِعَثْقِهِ، تَهْنا المصافيرُ إنْ فازَتْ بِلقياكا.
تُسمي وتصبحُ متخوفاً بِمُجْتَمِعِها في غَفْلَةٍ عن دمِ أجْرَثِها عيناكا^(٣).
إذا رَأَتْكَ تَغَنَّتْ كُلُّها طَرَباً حتَّى كأنَّ طيَّورَ الجوّ تَهواكا.
يا لَيْثي الطيرِ في كَفِّكَ مَطْعَمُهُ وشُرْبُهُ، حينَ يَظُنُّها، من ثَناياكا^(٤).

- وله من رُقعة خاطب بها الوزيرَ الكاتبَ أبا محمَّدٍ عبد الله بن عبد البر^(٥):

(الذخيرة ٣: ٣١٦):

لَمَّا أَصْبَحْتَ، أَعَزَّكَ اللهُ، في صِناعةِ البِلاغةِ إماماً ولأَشْثاتِ الفضائلِ نِظاماً^(٦)، لَمْ
تَنْهَمْ - في وِدادِ تَدْعِيهِ واعتِلاقِ تَبَتُّغِيهِ^(٧) - مِنْ سَتِّ بِهٍ إِلَيْكَ جِمٍّْ أَوْ تَقَدَّمَتْ لَهُ فِيها
قَدَمٌ^(٨)، لَأَنَّكَ المُتَبَغَّى الَّذِي إِلَيْهِ يُجْرَى وَتُبْتَغى لَدَيْهِ الرُّكْنى وَيُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى
الْعَلْيَا^(٩). وَأَنَا بِمَنْ يَنْشِئُ فِيكَ تَشَرُّعاً وَيُحْيِيكَ طَبْعاً لَا تَطْبَعُ^(١٠)، وَأَسْتَنْزِلُ في الجَمْعِ
بِكَ الْأَقْدارَ وَأَسْتُخْدِمُ^(١١) في التعلُّقِ بِأَسْيابِكَ اللَّيْلِ والنَّهارَ لِتُلْجِئَهُ بِالْعِناقِ

(١) الخُرج: (أنت، ارم). «بنا» لا حاجة إليها.

(٢) عدل: مال.

(٣) عجمتها: غناؤها الأعجم (الذي لا يفهم)... وأنت غافل عن أن عينيك قتلتا محبين كثيرين.

(٤) يظا = يظاً (مطش). الثنايا: الأثان (القصود: الرقيق، التنبيل).

(٥) راجع، حوق، ص ٦٢٦.

(٦) النظام: السلك الذي تجمع فيه حيَّات المقد.

(٧) اعتلاق: تعلّق (مصافقة). تبتهج: تزيده.

(٨) تقدّمت له قدم (سبق له مقدرة) له قدم: أمر ثابت.

(٩) الركنى: الوسيلة، التقرّب بواسطة إنسان أو شيء. الطبا = الملياء: كلّ شيء مرتفع (هنا: الشرف).

(١٠) ينشئ: يمتنع، يناصر. تشرعاً (كذا في المتن) ليست في القاموس. وفي قراءتين: تشيعاً (ص ٣١٦).

الحاشية الرابعة). أصحّ: لمّا أيضاً تشرعاً (اسراها). التطنّع: التكلف، التظاهر بالشيء.

(١١) استنزل واستخدم (بالبناء للمضارع في الأصل). ولكن توالي الأزمنة يقتضي أن يكون هذان الفعلان

بصيغة الماضي، وإلا فيجب أن تكون القراءة: يستنزل ويستخدم مطابقة للفعلين: ينشئ ويحيك قبلها

ح الفعل « تلحقه » بعدها.

السوابق^(١) وتُلَقَّى عليه شُعاعك فُبَشِّرُ^(٢) في المغرب والشارق (ثم ختم ابن
الدَّبَاغ رسالته بأبيات يمدح فيها ابن عبد البر هذا). من هذه الأبيات:

جَلَمَ لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ حُمِلَ بِحُضْرِهِ لَشَكَّتْ عَوَاتِقُهُ مِنَ الإِعْيَالِ^(٣).
وَإِذَا تَنَاوَلْتَ الرِّقَاعَ بَنَانُهُ أَنْشَكَ طَرِزَ الوُشْيِ فِي صَنْعِهِ^(٤).
تَقْضِي بِأَنَّ سَنَا الْبَلَاغَةِ لَمْ يَلْحُ مِنْ قَبْلَيْهِنِ لِأَعْيُنِ الْبُلْغَسَاءِ^(٥).
وَلَوْ إِذَا شَاءَ النِّظَامُ غَرَائِبُ لَا تَدْعِيهَا فِطْنَةُ الشَّرَاءِ^(٦).
بَرَزْتُ مِنَ التَّمْقِيدِ فِي نَائِلِهَا فَأَتَتْكَ أَمَلَسٌ مِنْ زَلَالِ الْمَاءِ.
مَا كُنْتُ بِالْمَدَاحِ غَيْرَكَ وَاصِلًا، لَوْ كَانَتْ الشِّعْرَى عَلَيْهِ جَزَائِي^(٧).

١- ** * قلالة العقيان ١٢٠-١٢٣ الذخيرة ٣: ٢٥١-١٣١٧ المغرب ٢: ١٤٤٠
الحريدة (الأندلس) ٤: ٣٤٩-١٣٥٦ الحريدة (المغرب) ٣: ٣٨٧-٣٩٣.

ابن وهبون المرسى

١- هو أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى المعروف بالدمغة (فوات الوفيات
٣: ٣١٣)، وُلِدَ فِي مُرْسِيَّةَ بَيْنَ سَنَةِ ٤٣٠ وَسَنَةِ ٤٤٠ هـ (١٠٣٨-١٠٤٨ م) فَبَا يَبْدُو.
كَانَ شَاعِرًا مُعْتَمِدًا بِنَ عِبَادٍ وَنَدِيمًا لَهُ وَقَدْ نَالَ مِنْهُ عَطَايَا كَثِيرَةً جَزِيلَةً. وَلَمَّا غَضِبَ
الْمُعْتَمِدُ عَلَى وَزِيرِهِ ابْنِ عَمَّارٍ وَقَتْلَهُ يَبْدُو (٤٧٧ هـ) قَالَ ابْنُ وَهْبُونٍ بَيْتًا فِيهِ حُزْنٌ
عَلَى ابْنِ عَمَّارٍ وَتَقِيَّةٌ مِنَ الْمُعْتَمِدِ (الحلة السراء ٢: ١٦٠):

- (١) العتاق (الحيل الأصبلة الكريمة) السوابق (التي تسبق غيرها).
- (٢) فيشرق (في الأصل) بضمة على القاف (والصواب بفتحة).
- (٣) العاتق: المسافة بين الكتف والعنق. الإعياء: التعب.
- (٤) صنعاء: عاصمة اليمن. الوشي: النقش (بالألوان) والتزيين. الطرز: الشكل والنسق والجيد من كل شيء. الرقاع جمع رقعة (الرسالة). إِذَا تَنَاوَلْتَ الرِّقَاعَ بَنَانُهُ (أصابعه): إِذَا كَتَبَ رِسَالَتِي.
- (٥) لاح بلوح: ظهر. المنا: الضوء.
- (٦) النظم (الشعر).
- (٧) واصلًا (٢). الشعرى اسم لنجمين (الشعرى البانية ومظلمها جنوبي بفتح الجيم ولا نراها من نصف الكرة الشمالي بفتح التين ثم الشعرى الشامية ومظلمها شمالي ولا ترى من نصف الكرة الجنوبي) يقصد: ولو كان ثوابي على مدح غيرك عطياً.

عَجَبًا لِمَنْ أَبْكَى مِنْهُ مَدَامِي وَأَقُولُ: لَا ثَلَاثَ يَمِينٍ الْقَاتِلِ!
وعاشَ ابْنُ وَهْبُونٍ مُنْقَطِعًا إِلَى بِلَاطِ الْمَعْتَدِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، وَلَمَّا دَعَاهُ الْمُعْتَصِمُ بْنُ
صَاحِبِ الْحَرْبِ (٤٤٤ - ٤٨٤ هـ) لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ. وَقَدْ كَانَ صَدِيقًا لِابْنِ حَمْدِيسٍ
(ت ٥٢٩ هـ) وَلِابْنِ خَفَاجَةَ (ت ٥٣٣ هـ) وَمُعْجَبًا بِالْأَعْلَمِ الشَّنْتَمَرِيِّ (ت ٤٧٦ هـ) وَقَدْ
رثاه. وَفِي سَنَةِ ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م) كَانَ ابْنُ وَهْبُونٍ رَاجِعًا مَعَ ابْنِ خَفَاجَةَ مِنَ الْمَغْرِبِ،
فَبَيَّنَا كَانَا فِي الطَّرِيقِ، بَيْنَ لُورَقَّةَ وَمُرَيْيَّةَ، طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ طَالِعَةٌ مِنَ الْجُنُودِ النَّصَارَى
سَلَبُوا ابْنَ خَفَاجَةَ مَا مَعَهُ وَقَتَلُوا ابْنَ وَهْبُونِ.

٢ - ابْنُ وَهْبُونٍ مِنْ فَطَاحِلِ الشُّعْرَاءِ وَأَهْلِ الْأَدَبِ مَتِينُ السَّبْكِ يُجِيدُ الْقَصَائِدَ
وَالْمُقَطَّعَاتِ وَيَطْبِيعُ أحيانًا شِعْرَهُ عَلَى غِرَارِ الْمَشَارِقَةِ. وَرَبَّمَا نَزَعَ إِلَى أُلُوَانِ الْبَيْئَةِ
الْأَنْدَلُسِيَّةِ. وَفَتَوَّنُ شِعْرَهُ الْمَدِيحُ وَالطَّرْدُ (وَصِفُ الصَّبْدِ) وَالرِّثَاءُ وَالشُّكْوَى وَالْوَصْفُ
وَالغَزَلُ وَيَمِيلُ إِلَى الْغَزْلِ الْمَذْكُورِ وَالْمُجُونِ. وَلَهُ وَصْفٌ لِلْأُسْطُولِ وَتَنْقُوعَةُ الزَّلَاقَةِ
(٤٧٩ هـ).

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- أَشَدُّ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ يَوْمًا بَيْنَا لِلْمُنْتَهَى وَاسْتِجَادَهُ فَجَمَلَ بِرَدِّدِهِ، فَقَالَ عَبْدُ
الْجَلِيلِ بْنُ وَهْبُونٍ:

لَشَنْ جَادَ شِعْرُ ابْنِ الْحُسَيْنِ فَإِنَّا نُجِيدُ الْعَطَايَا، وَاللَّهْمُ تَفْتَحُ اللَّهُا.
تَبَّأَ عَجَبًا بِالْفَرِيضِ، وَلَوْ دَرَى بِأَنَّكَ تُرْزَوِي شِعْرَهُ لَتَأَلَّاهَا
- وَقَالَ يَصِفُ بِرَكَّةً فِيهَا زَهْرٌ نَبْلَوْفَرُ:

وَبِرَكَّةٍ تَنْزَهُو بِنَبْلَوْفَرٍ نَبِيَّهُ بُنْيَةُ رِيحِ الْحَبِيبِ.
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ دَنَا وَقَتُّهُ وَمَالَتِ الشَّمْسُ لَعَبْنِ الْمَغِيبِ،
أَطْبَقَ جَفْنَيْهِ عَلَى إِلْفِهِ وَغَامَصَ فِي الْمَاءِ حَذَارُ الرَّقِيبِ!
- وَقَالَ فِي الْغَزْلِ:

رَضَعُوا الْغَزَالَ حِكْمًا، قُلْتُ لَهُمْ: نَعَمْ! فَاسْأَلُوا: الْهَلَالُ شَبِيهُهُ! فَأَجَبْتُهُمْ:
فَإِنْ كَانَ قَيْسَ إِلَى قَلَامَةِ ظَهْرِهِ. كَذَا يَفْعَلُونَ: الْأَدَامُ كَرِهَقِهِ!
فَإِنْ كَانَ قَيْسَ إِلَى قَلَامَةِ ظَهْرِهِ. كَذَا يَفْعَلُونَ: الْأَدَامُ كَرِهَقِهِ!

- وقال في ذهاب الوفاء من الناس:

غاض الوفاء فما تلقاه في رَجُلٍ ولا يَمُسرُ بمخلوٍ على سَالٍ
قد صار عندهم عنقه مُغْرِبَةً أو يَشَلُّ ما خَدُّوا عن أَلْبٍ يَشْغَلِ

- في نفع الطيب (٣: ٢٦٨): خَرَجَ ابْنُ وَهْبُونٍ لِنَظَرِ هِلَالِ شَوَّالٍ، وَأَبُو بَكْرٍ
(عبد العزيز) بن القبطرنة الوزير يُسَاهِرُهُ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ غَلَامٌ يُخْجَلُ الْبَدْرُ.....
فَارْتَحَلَ عَبْدُ الْجَلِيلِ (بن وهبون):

يَا هِلَالُ، اسْتَبْرَ بِوَجْهِكَ عَنِّي، إِنَّ مَوْلَاكَ قَابِضٌ بِشِيَالِي
هَبْكَ تَحْكِي سَاءَ خَدًّا بِخَدٍّ، ثُمَّ فَجِئَنِي لِقَدَّهِ بِشَالِ!

- في معركة الزلاقة (٤٧٩ هـ = ١٠٨٦ م) طَمِنَ فَرَسُ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عِبَادٍ فَكَبَا بِهِ
فَسَقَطَ عَنْهُ. فَقَدَّمَ لَهُ أَحَدُ جُنْدِيهِ فَرَسًا فَرَكِبَهُ وَقَاتَلَ عَلَيْهِ قِتَالًا شَدِيدًا. فَقَالَ ابْنُ
وَهْبُونٍ يَدْحُ الْمُعْتَمِدِ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا:

وَلَمْ يَنْبُتْ مِنَ الْأَشْيَاعِ إِلَّا شَقِيقُكَ وَهُوَ صَارُكَ الْحَامُ^(١)؛
يَمَانٍ فِي يَدَيَّ مَاضٍ يَمَانٍ فَلَا نَاصِيَ الْفِرَارِ وَلَا كَهَامُ^(٢)؛
وَلَمْ يَخْلُقْ طِرْفُكَ، بَلْ فَوَادٌ تَمَوَّهَ أَنْ يُخَاضَ بِهِ الْحَمَامُ^(٣)

٤- ** الذخيرة: ٢: ٤٧٣-٥١٩ قلائد العقيان ٢٧٨-٢٨٢ بغية المتنس
٣٧٤-٣٧٥ (رقم ١١٠١)، الحريدة (المغرب) ٢: ٩٥-١١٠٣ المغرب ١:
٣٩١-٣٩٣ أخبار وتراجم أندلسية ١١٩ المغرب ١١٨-١١٢٣ فوات الوفيات
١: ٣١٣-٣١٥ أعيال الأعلام ٢٤٦ نفع الطيب ٣: ٣١٨-٣١٩، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨
٥٩-١٦٠ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٩٦٣ نيكل ١٦٥-١٦٧.

(١) الأشياع: الأنصار، التابعون - الصارم: السيف القاطع.

(٢) يمان (الأولى) صفة للسيف (من صنع اليمن). ماض: رجل ذو عزم وإقدام. يمان (الثانية) نسبة إلى
اليمن (المعتد بن عباد أصله من اليمن - حرب الجنوب). الفرار: حد السيف. ناصي الفرار (ينبؤ أي
يرجع عن الضربة ولا يؤثر فيها). الكهام: كالأ (لا يقطع).

(٣) الطرف (بالكسر): الحصان. الحمام: الموت.

المُعْتَصِمُ بْنُ صَاحِرٍ

١- هُوَ أَبُو يَحْيَى الْمُعْتَصِمُ مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ صَاحِرِ التَّحِيْبِيّ،
كَانَ مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٤٢٩ (١٠٣٧ - ١٠٣٨ م) فِي مَدِينَةِ وَشَقَّةَ. وَجَاءَ إِلَى حُكْمِ الْمَرْيَةِ فِي
رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٤٣ (الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ٣: ١٦٧).

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ صَاحِرٍ (جَدُّ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صَاحِرٍ) صَاحِبَ مَدِينَةِ وَشَقَّةَ مِنْذُ
أَيَّامِ الْمُؤَيَّدِ هَاشِمِ بْنِ الْحَكَمِ (٣٦٦ - ٣٩٩ هـ). وَلَمَّا قُتِلَ زُهَيْرُ الصَّفَلِيُّ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ
(٤٢٩ هـ) اسْتَوْلَى عَبْدُ الْعَزِيزِ الْعَامِرِيُّ عَلَى الْمَرْيَةِ لِأَنَّ زُهَيْرًا كَانَ مِنْ مَوَالِي
الْعَامِرِيِّينَ. وَلَكِنْ مُجَاهِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَامِرِيُّ صَاحِبَ دَانِيَةِ نَارُغَ عَبْدُ الْعَزِيزِ عَلَى
الْمَرْيَةِ. فَخَرَجَ عَبْدُ الْعَزِيزِ لِلِقَاءِ مُجَاهِدٍ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَرْيَةِ صِهْرَهُ وَوَزِيرَهُ مَعْنُ بْنُ
مُحَمَّدٍ (وَالِدُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صَاحِرٍ)، فَخَانَهُ فِيهَا وَطَرَدَهُ عَنْهَا ثُمَّ اسْتَبَدَّ بِحُكْمِهَا سَنَةَ ٤٣٣
هـ (١٠٤١ م).

فَلَمَّا تُوُفِّيَ مَعْنُ، فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٤٣ (١٠٥٢ م) خَلَفَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ وَعُمَرُوهُ
أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً فَتَوَلَّى عُمَهُ الْوِصَايَةَ عَلَيْهِ. وَتَسَمَّى مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ بِالْمُعْتَصِمِ ثُمَّ بَلَغَ
رُشْدَهُ وَاسْتَقْلَلَ بِمُلْكِهِ الصَّغِيرِ فِي الْمَرْيَةِ وَبِجَاوِزِ الْأَنْدَلُسِ وَمَا حَوْلَهَا مُنْصَرِّفًا إِلَى لَذَائِهِ
غَيْرَ نَاهِضٍ إِلَى جِهَادٍ وَلَا دِفَاعٍ عَنِ الْبِلَادِ. وَبَنَى قَصْرًا عَظِيمًا جَمِيلًا سَمَّاهُ الصَّاحِدِيَّةَ
وَجَمَعَ فِيهِ نَفَرًا عَدِيدًا مِنَ الشُّعْرَاءِ كَابْنَ شَرْفِ الْبَرْجَمِيِّ الْقَيْرَوَانِيَّ (ت ٤٦٠ هـ) وَابْنَ
أَخْبَ غَانِمٍ - وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنَرٍ الْمَالِكِيَّ - وَأَبِي حَفْصٍ بْنِ الشَّهِيدِ (ت
بَعْدَ ٤٤٤ هـ) وَابْنَ الْحَدَّادِ الْوَادِيَّ أَتَشِيَّ (ت ٤٨٠ هـ) وَالسُّبَيْسِيَّ الْإِلْبِيرِيَّ وَنَفَرًا مِنَ
الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي دَوْسٍ الْبَيْهَاقِيُّ النَّحْوِيُّ (ت ٤٩٦ هـ) وَأَبُو عُبَيْدٍ
الْبَكْرِيُّ الْجُفْرَانِيُّ (ت ٤٨٧ هـ). وَكَانَ فِي آلِ الْمُعْتَصِمِ شُعْرَاءٌ مِنْهُمْ أَوْلَادُهُ عِزُّ الدَّوْلَةِ
وَرَفِيعُ الدَّوْلَةِ وَأُمُّ الْكِرَامِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صَاحِرٍ فِي ٢٢ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٤٨٤
(١٠٩١/٥/١٤ م) فِي الْمَرْيَةِ. وَحِينَئِذٍ كَانَ فِي التَّنَزُّعِ الْأَخِيرِ حَاصِرُ الْمُرَابِطُونَ الْمَرْيَةَ
وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا. فَلَمَّا سَمِعَ الْمُعْتَصِمُ اخْتِلَافَ الْأَصْوَاتِ فِي أَثْنَاءِ الْحِصَارِ قَالَ: لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، نَعَصَّ عَلَيْنَا كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْمَوْتُ!

٢ - كان المعتصم بن صَاحِدٍ أديباً مُحبّاً للعلم والأدب وأهلها، وكانَ شاعراً مُفلاً يقول بديهةً وعن رويةٍ، ويقول في المناسبات الوجدانية؛ ولكن لم يجعل الشعر وكذله ولا شغله. وشعره سلس رقيق عذب. وقد لفتَ المعتصمُ بن صلاح الأنظار منذ زمن بعيد، فقد ألفَ مُحَمَّدُ بن أيوب الأنصاريُّ، في سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ - ١١٧٣ م)، كتاباً في ترجمة المعتصم بن صلاح للسلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤ - ٥٨٩ هـ) ذكرَ فيه طرفاً من أخباره وشيئاً من أشعاره وحكى صورة حصاره وقوله في مرضه: نَعَصَ علينا كُلُّ شيءٍ حَتَّى الموتُ! (وفيات الاعيان ٥: ٤٤).

وكان للمعتصم بن صَاحِدٍ بضعةٌ أولادٍ يقولون الشعر: عز الدولة (بعيد ٥٠٤ هـ) ورفيع الدولة (نحو ٥٤١ هـ) - وقد أُفِرِدَ لكل واحدٍ منها ترجمةٌ - ثم:

مُمرُّ الدولة أبو جعفر أحدُ، لعله بكبره، إذ كان قد رَشَعَهُ لولاية العهد. قيل تولى الملك بعد أبيه (٤٨٤ هـ) أباماً ثم تركَ المَرِيَّةَ هَرَباً من المُرابطين ولجأ إلى بجانة (في الجزائر اليوم)، وقيل إنَّ أباه أمره بذلك لَمَّا اسْتَوَلَى المُرابطون على إشبيلية وخَلَعُوا الْمُعْتَمِدَ بنَ عبادٍ. وكان أبو جعفر أحدُ هذا شاعراً عادياً له (المغرب ٢: ٢٠٠ - ٢٠١):

أَتَى بِالْبَذْرِ مِنْ فَوْقِ الْقَضِيبِ فَطَارَتْ مَحْوُهُ طَيْرُ الْقُلُوبِ^(١)
وَأَشْرَقَ مَا بَاقِيَ مِنْ سَلَامٍ لَنُورٍ مَنَ فِي أَفْئِ الْجُيُوبِ^(٢)
وَوَلَّى بَعْدَ تَانِيْسٍ وَبِرٍّ كَيْفَ الشَّمْسِ وَلَتْ لِلْمَغِيبِ
وَأَمَّ الْكِرَامَ وَقَدْ اعْتَنَى أَبُوهَا بِتَأْدِيهَا لَمَّا رَأَى مِنْ ذِكَايَها فَقَالَتْ الشَّعْرُ وَتَطَلَّتْ
قَصَائِدَ وَمَوْسَعَاتٍ. غير أن مَوْسَعَاتِها لم تصل إلينا. وكانت أمُّ الكرام قد عَيِثَتْ فَقَ
من دانية مشهوراً بالجمال يُعْرَفُ بالسَّارِ وَتَشَوَّقَتْ إِلَيْهِ فِي شِعْرِها. فلَمَّا عَلِمَ أَبُوها
بذلك خَفِيَ أمرُ السَّارِ هذا من ذلك الحين (أي قُتِلَ غَيْلَةً وَخَفِيَةً). وَمِمَّا قَالَتْهُ أُمُّ
الكرام في التَشَوُّقِ إِلَى السَّارِ (المغرب ٢: ٢٠٢ - ٢٠٣):

(١) البذر كناية عن الوجه الجميل. القضيب كناية عن الفؤاد المعتدل.

(٢) الجيب: مكان الثوب عند العنق (الوجه).

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ سَبِيلٌ لَعَلُّوهُ يُنْزَهُ عَنْهَا سَعُ كُلِّ مُرَاقِبٍ.
وَمَا عَجَباً، أَشْأَقُ خَلْوَةً مِنْ غَدَا وَمَشَاوٍ مَا بَيْنَ الْحَنَاءِ وَالْتِرَائِبِ^(١).
- وَمَا قَالَتْهُ أُمُّ الْكَرَامِ بَعْدَ مَقْتَلِ السَّارِ:

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ، أَلَا فَاعْجَبُوا بِمَا جَنَنَهُ نَوْعَةُ الْحُبِّ.
لَوْلَا، لَمْ يَنْزِلْ يَنْزِلُ الدُّجَى مِنْ أَفْقِهِ الْمُتَلَوِّ لِلتَّشْرِيبِ^(٢).
حَسْبِي يَمَنْ أَهْوَاهُ، لَوْ أَنَّهُ فَارَقَنِي تَابَعَهُ قَلْبِي^(٣).
وَكَانَ رَشِيدُ الدَّوْلَةِ - أَبُو يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ عَزَّ الدَّوْلَةِ - حَفِيدُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صَاحِدٍ
يَنْظِمُ الشَّعْرَ أَيْضاً. وَكَانَ شَعْرُهُ عَادِيًّا. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ (الْحَلَّةُ السَّيَاءُ ٢ : ١٩١):

صَبْرًا عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ، إِنَّ لَهُ يَوْمًا كَمَا فَتَكَ الْإِصْبَاحُ بِالظُّلَمِ.
إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مُقْتَدِرٌ، فَبَقِيَ بِهِ تَلَقَّى رُوحَ اللَّهِ مِنْ أُمِّ^(٤).
وَقَلَّ صَبْرَ الْإِنْسَانِ مُحْتَبِيًّا إِلَّا وَأَصْبَحَ فِي قَضَاغَةِ النِّعَمِ^(٥).

٣- مختارات من أشعاره

- ورد الشاعر النحلي على المرية في أسناني سودٍ باليةٍ فَكَتَبَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ يَقُولُ
مُسْتَبْحاً وَيَذْكُرُ أَنَّ الْحُجَابَ مَنَعُوهُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ:

أَيَا مَنْ لَا يُضَافُ إِلَيْهِ ثَانٍ وَمَنْ وَرَثَ الْمُسْلَى بَاباً قَبَاباً^(١).
أَتَجْمَلُ أَنْ تَكُونَ سَوَادَ عَيْنِي وَأَتَهَيَّرُ دُونَ مَا أَتَهَيَّ جَبَاباً.
وَيَمُشِي النَّاسُ كُلُّهُمْ حَامِئاً وَأَمْشِي بَيْنَهُمْ وَخِدي غُرَاباً^(٢).

-
- (١) القرائب (جمع تورية): عظام الصدر العليا. ما بين الحنا والقرائب (في قلبي).
(٢) لولاء - لولا الحسب. بدر الدجى (كتابة عن المحبوب). للقراب (للقراب).
(٣) يكفيني أَنَّهُ إِذَا فَارَقَنِي مَحْبُوبِي (بالموت) فَإِنَّ قَلْبِي يَتَّبِعُهُ (مات بموته، برافقه ولا ينشأ).
(٤) تلقى روح الله (مؤيداً لك من الله) من أُمِّ (من غرب): حريصاً.
(٥) المحتسب هو الذي يرجو الثواب على عمله من الله وحده.
(٦) لا يضاف إليه ثان: ليس في الشر من يدانيه في مجده وكرمه الخ.
(٧) يكون الناس فرحين في مثل ثياب العيد (لأنَّ الهمام مختلفة الألوان زاهية الريش)، وأكون أنا وحدي غراباً (ألبس ثياباً سوداً حزينة، لأنَّ الغرابين كلُّهما سود).

فأرسل إليه المعتصم مالا وثياباً وكتب إليه يقول:

وَرَدْتُ وَلَيْسَ الْبَهْمُ مَطَارْفٌ عَلَيْكَ، وَعِنْدِي لِلصَّبَاحِ بُرُودٌ^(١)
وَأَنْتَ لَدُنَّهَا، مَا بَقِيتَ، مُقَرَّبٌ وَعَيْنُكَ شَالَتْ الْجَاهِرَ بُرُودٌ^(٢)

- وَبَلَغَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ عَنْ الشَّاعِرِ ابْنِ عَمَّارٍ (قَتَلَهُ الْمُعْتَصِمُ بْنُ عُبَادٍ، سَنَةَ ٤٧٧ هـ) أَنَّهُ يَهْتَابُهُ فَقَالَ:

(وَرَزَّهَدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ) وَطَوَّلُ اخْتِبَارِي صَاحِباً بَعْدَ صَاحِبٍ^(٣)
فَلَمْ تُرِنِي الْأَتَمَامُ خِلاً تُسُرُّنِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاوَنِي فِي الْعَوَاقِبِ^(٤)
وَلَا قُلْتُ أَرْجُوهُ لِذَنْعِ مِلَّةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَائِبِ^(٥)
- وَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ:

تَمَتَّعْتُ بِالنِّعَمَاءِ حَتَّى مَلَأْتُهَا، وَقَدْ أَضْجَعْتُ عَيْنِي بِمَا سَيِّئْتُهَا!
فِيَا عَجَباً، لَأَا قَضَيْتُ قَضَاءَهَا وَمَلَّيْتُهَا عُفْرِي تَصَرَّمْتُ وَقَتَّهَا^(٦)

- ١- ** قلائد العقيان ٥٣ - ١٥٧ الذخيرة ٢: ٧٢٩ - ٧٣٦ المغرب ٢: ١٩٥ - ١٩٨
الوافي بالفويات ٥: ٤٥ - ١٤٧ الحريدة (المغرب) ٢: ٨٣ - ١٨٩ المطرب
٣٤ - ١٣٨ الحلة السراء ٢: ٧٨ - ١٨٨ وفیات الأعيان ٥: ٣٩ - ١٤٥ البيان
المغرب ٣: ١٦٧، ١٧٣ - ١٧٥، ١٩٢ أعمال الأعلام ١٩٠ - ١٩٢ نفح
الطيب ١: ٦٦٦ - ٦٦٧، ٣: ٢٦٣ - ٢٦٤، ٣٢٨ - ٣٢٩، ٤١٢ - ٤١٣،
٥٠٣ - ١٥٠٥ شذرات الذهب ٣: ٣٧٢ - ٣٧٣، دائرة المعارف الإسلامية؛
نيكل ١٨٣ - ١٨٤، مختارات نيكل ١٢٥ وما بعد الأعلام للزركلي ٧: ٣٢٧
(١٠٦).

* ترجمة «محمد بن عبادة القرآز (ت نحو ٤٨٨ هـ) ستأتي (لخطأ غير مقصود) على
الصفحة ٧٤٤.

- (١) المطرف: رداء من حرّ (حرير) ذو أعلام مرمّمة. البرد (بضمّ الباء): ثوب رفيع من حرير.
(٢) السلال: العذب (الحلو) البارد. الجاهم: أطراف (حوض الماء). برود (بفتح الباء): بارد سيكون لك
عيش ناعم رفيع.
(٣) الشطر الأول للمعري، وقامه: وعلمي بأن العالمين هباء.
(٤) مباديه = مبادئه: في أول أمره. العاقبة: آخر الأمر.
(٥) الملة: العصبية.
(٦) المص: غامض

عبد العزيز بن أرقم

١ - هو أبو الأصمغ عبد العزيز بن محمد بن أرقم النُميري الوادي آشي كان كاتباً لدى ملوك الطوائف: كَتَبَ عن مُجاهدِ العامري صاحب دانية (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) إلى المُعِزِّ بن باديس ملك المغرب (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ) وعن عبد الملك بن رزق (٤٣٦ - ٤٩٦ هـ) صاحب السهلة واتَّصل بالمتعمد بن عباد ملك إشبيلية (٤٦١ - ٤٨٤ هـ) وكان وزيراً للمُعْتَصِم بن صَاحِبِ صَاحِدِ صاحب المَرْبِية (٤٤٤ - ٤٨٤ هـ) - وقيل هو ذو الوزارتين (الذخيرة ١: ٧٤٠)، كما كَتَبَ عن مُجاهدِ العامري إلى صاحب بَصْرَ (المستنصر أبي تَمِيم مَعَدَّ)، سنة ٤٥٢ هـ (١٠٦٠ م).

وكانت وفاة ابن أرقم هذا في أيام المتعمد بن عباد. ولعل ذلك كان نحو سنة ٤٧٥ هـ (١٠٨٢ م).

٢ - كان أبو الأصمغ بن أرقم «أحد كتّبة الجزيرة المَهْرة والنقّدة الشّرة» بارعاً في النثر عارفاً باللّغة مُحيطاً بفنون من العلم. وكان له اتّجاه ديني في الكتابة وفي السُّلوك، كثير الاستشهاد بالقرآن والحديث وبالأمثال والأشعار، حسن الرويَّة والارتجال كتابةً وخطاباً، جدّاً وهزلاً. وكان فوق ذلك كرم الأخلاق كثير الوفاء. كان ابنُ صَاحِبِ المَرْبِية قد أرسل أبا الأصمغ بن أرقم في أمر إلى المتعمد بن عباد. فأعجِبَ المتعمدُ بابن أرقم وأراد إضاده على المتعمص للاحتفاظ به زينة لبلاطه هو. فقال له ابن أرقم: «ما رأيتُ من صاحبي ما أكره فأؤثّر عند غيره ما أحبُّ. ولو رأيتُ (عنده) ما أكره لَمَا كان من الوفاء تركي له في حين قَوْضَ إِلَيَّ أمره ووَقِّقَ في وحَمَلَنِي أعباء دولته».

فاسْتَحْسَنَ ابنُ عباد ذلك منه وقال له (إِذَنْ) فَاكْتُمْ عَلَيَّ. فلَمَّا عاد ابن أرقم إلى صاحبه (المتعمص بن صَاحِدِ) سأله عن جميع ما جرى له. فقال ابن أرقم له:

«... وجرى لي معه (مع المتعمد) ما إنْ أَعْلَمْتُكَ به أنْ تَحْسَبَ فيه كالامتنانِ

والاستظهار، وتَظُنُّ أن خاطري قد فسَدَ به. وإن كَتَمْتُكَ لم أَوْفِ النصيحةَ حقًّا. وَخِفْتُ أن تَطْلُعَ عليه من غيري فيَحْطِي ذلك من عَيْنِكَ وتَحَسَّبَ فيه كِبْدًا. ثم إن ابن أرقم أخيرَ الْمُتَمَصِّمِ بما كان قد اتَّفَقَ له من الحديث في بَلَاطِ المعتد.

٣ - مختارات من آثاره

- كتب أبو الأصيص عبد العزيز بن أرقم عن إقبال الدولة علي بن مُجاهدٍ صاحب دَابِيَّة (٤٣٦ - ٤٦٨ هـ) إلى المُسْتَنْصِرِ العاطمي في بِصَرِّ رسالة جاء فيها:

... إذا كانت نِعَمُ الله عند الحضرة الإسلامية^(١) مُشْرِقةً المطالع ورحبة الأرجاء والمراتب، وكان أنصارُها وعبِيدُها وكتائبُها المنصورة وجنودُها المروية - في اجتماعِ كَلِمَتِهِم على طاعتها واتِّفاقٍ من أهوائهم في مُناصَحَتِها وتضافر^(٢) من جِبيهِم على خِدْمَتِها - فقد عَلَتْ بِدُ الإسلام واحتَمَى عِزُّه أن يُضَامَ وجَانِبُهُ أن يُرَامَ. وشِلَّتْ نُماها الأقطارَ وأَمَدَّتْ أَقاصيَ الديارِ وأَبْرَتْ على نَائِي المزار^(٣). فَبِهِ جُمَاعُ الدين ووردُ المؤمنين ومَحْفِلُ المسلمين^(٤)... وَمِمَّا وَجَبَ التَّعْرِيفُ به ما عَمَّ أَقطارَ تَغْرِنَا وَغَشِيَّ بِمَجَامِعِ أَقْفَانَا^(٥) من تَهَالُوِ النصارى وتضافرهم من كُلِّ أَوْبٍ إلينا بِجَمْعِ^(٦) لا عَهْدَ لَنَا بِمِثْلِهِ مَلَأَ الفضاءَ وطَبَّقَ الأرجاءَ، وشَلَّتْنا بِالْفِتْنَةِ^(٧) يَسِنًا عن تخفيفِ وطأتِهِم وتضعيفِ سَوَرَتِهِم^(٨)؛ فَطَمَسُوا الآثارَ وجاسوا خِلَالَ الديارِ، مَوْفُورِينَ^(٩) لا

(١) الحضرة الإسلامية (يقصد: القاهرة التي هي عاصمة إسلامية قوية).

(٢) التضافر: الاجتماع للتعاون على أمر ما.

(٣) أبْرَت: أحسن إلى الناس (وتَقَصَّلَ عليهم). نَائِي: بعد (بِضَمِّ الياء).

(٤) جَماع (بضم الجيم وتشديد الميم، أو بكسر الجيم وتسهيل الميم): أصل التَّيْهَة ومجتمعه (مركزه، قاسكه).

الردة: العيين، التاصر. المحفل: مكان اجتماع العدد الكثير من الناس.

(٥) التغر: (هنا) المكان الذي يَهْدُو العدو. غشي: غطى، عَمَّ. أَقْفَانَا (التاحية التي نسكها).

(٦) الأوب: الجهة. جمع (بضم الكيم).

(٧) واشتعلنا بالفتنة (محرب بعضا بعضاً).

(٨) الوطء: الدُخس بالرجل. السورة: التَّهْدَة.

(٩) طمس: هاء. الآثار: البناء القائم. جاس (تردَّد) خلال (بين) الديار: أهد فيها وغرَّبها. مَوْفُورِينَ: لم يَسْمُهم أذى.

مانع منهم ولا دافع لهم إلا التفتاة الله تعالى لأهل دينه بأن أقل فائدتهن وخيب مرامهن وأطاش سباهن^(١). والحمد لله على ينحته ويخنته.

- وله من رُقعة طويلة خاطب بها الفقيه أبا بكر صاحب الأخباس^(٢) وشرح فيها عدداً من الكلمات وردت في رسالته إلى صاحب مصر، وكان ابن سيده^(٣)، قد انتقدها. وحل ابن أرقم في هذه الرسالة على ابن سيده، وعلى الذين زينوا لابن سيده أن ينتقده. ويبدو أن أبا بكر صاحب الأخباس كان شيخ (أستاذ) ابن أرقم. والرسالة مصوغة في قالب من التهكم. وسأترك هذه الرسالة بلا شرح، إلا في النادر، لأن شرحها يقتضي مساحة واسعة لا فيها من الأعلام وأسماء الكتب والتواريخ والإشارات التاريخية:

لما كُنت - أعزك الله - في أكف الآداب علماً وعلى لسان العرب وغيره قياً^(٤)، لاقتبايك العلم من كتب ووراثتك إياه عن كلاله أبي^(٥). ولم تزل تتلقاه كاهراً عن كاهر وباهراً عن باهر: لست ابن سمعك ولا عبد طمعك^(٦)، تغلد كاتباً ساذجاً وتمتدق قارئاً هازجاً^(٧) وتقبل البصر بلا بصيرة وتغفو الأثر على غير وثيرة^(٨). تراعي الحروف ولا تبالي التحريف. وتتلو الصحف ولا عليك بالتصنيف^(٩). ولم تقتصر على حفظ سطور من كتاب بيبويي، و « شرح الفصح » لابن درستويي، واستظهار

(١) أطاش سبهم: جعل سبهم ينحرف فلا يصيب هدفه. (لم ينالوا ما كانوا قد أتلوا).

(٢) الأخباس: الأوقاف. صاحب الأخباس: الموظف الشريف على إدارة الأوقاف. أبو بكر صاحب الأخباس (٤).

(٣) ابن سيده (أنظر، فوق، ز، ص ٥٦٠).

(٤) قياً: وكلاً، حافظاً (مقتدراً في اللغات).

(٥) الكلالة: أن يموت رجل ليس له زوجة ولا أولاد فيورثه أغاربه (المقصود: ورثت أدب رجل ليس له ورثت غيرك).

(٦) لست ابن سمعك... (لم نسمع العلم عرضاً فقط ولا أنت تعرف الأشياء بالطبع وحده بلا تعلم - بل تلقت العلم منطهاً على شيوخ أو أستاذ).

(٧) الساذج: البسيط (غير المثقف). تمتدق قارئاً هازجاً (مطرباً، متخفياً).... (٢)

(٨) تغفو (تتبع) الأثر (الطريق الذي خطه غيرك) على غير وثيرة (طريقة منظمة).

(٩) التحريف: الخروج على المسى. التصنيف: تبديل حرف بحرف عند القراءة.

أوراق من الغريب، والتَحْفُظُ مَعَ الشُّرُوقِ ما تَسَاهَ في المَنَيبِ. ولم تُنْذِرْ إلى المَحْرِقَةِ
بِفَرَفُورِيوس^(١)، ولا الفَطْرَةِ بِأَرِسْطاطالِيسَ، والفرَقَعَةِ بِقَافَاتِ أَرِثَاطِيقَا
وَأَنالُوطِيقَا^(٢)، والصَّغِيرِ بِسِينَاتِ قَاطِيقُورِياسَ وَبَارِي أَرُمِينِياس^(٣). و (لا) ضَمِيتَ
عِلُومَ القُرْآنِ وَالتَّفَسُّنَ في حَدِيثِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَحَابِيهِ، وَتَهَفَّرَ أَغْرَاضِهِ وَلُغَاتِهِ،
وَاجْتَنَأَ زَهْرَهُ وَثَمَرَاتِهِ. و (لا) أَغْفَلْتَ «الكامل» و «البيان» وتوَارِيخَ الأَزْمَانِ
وَنَوَادِرَ البُلْغَةِ أَهْلِ اللِّسَنِ وَالبَيَانِ^(٤) و (لا) أَهْمَلْتَ أَشْعَارَ العَرَبِ وَالمُحَدِّثِينَ^(٥)، إِلَّا
طَلَبَكَ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ، وَقَدْ أَرَبَيْتَ عَلَى البَيْتَيْنِ^(٦). ولم تَتَمَقَّدْ أَعْجَمِيًّا، ولم تَتَبَعُدْ
بَذُويًّا^(٧)، ولم تَكُنْ مَرَّةً شَيْبِيًّا وَمَرَّةً قَطْرِيًّا^(٨)، وَنَارَةً طَبِيعِيًّا، وَنَارَةً فَلَكِيًّا. ولم
تَتَزَيَّبَ جِصْرِمًا، ولم تَتَشَحَّمْ وَرَمًا^(٩)..... وَأَنْتَ الَّذِي أَدَّرَ لِي غَنَائِمَ الأَدَبِ وَأَطْلَعَ لِي
مِنَ كِتَابِيهِ كُلِّ مُعْجَبٍ^(١٠)، وَمَا كَادَ الشَّابُّ يَحُلُّ نَاقِمِي، وَلَا الزَّمَانُ يُطْلَعُنِي عَلَى
كَأَمِي^(١١)... فَانْدَبَ العِلْمَ وَأَهْلِيهِ، وَأَرَزَّهِ وَحَامِلِيهِ، وَابْنُكَ رُسُومَهُ وَحَيَّ طُلُولَهُ وَسَلَّمْ

- (١) كتاب سيبويه في النحو، كتاب النصح في اللغة. الغريب: الكلام القليل الدوران في حديث الناس.
- تنذر إلى (٢). نذر من العلم بنحو (حصل منه شيئاً قليلاً). المحرق: الكذب والتمويه على الناس.
- السطاء. فرغوريوس السوري له كتاب إيساغوجي (المقدمة إلى المنطق).
- (٢) أرسطوطاليس كبير فلاسفة اليونان. أرتاطيقا (علم الحساب) وأنالوطيقا (القياس) من أقسام المنطق.
- (٣) قاطيقورياس (المقولات: الألفاظ المفردة) وباري أرمينياس (العبارة، تركيب الكلمات المفردة) من أقسام المنطق (وهي من تأليف أرسطوطاليس).
- (٤) اللسان (يسكون السين): اللغة عامة. و (يفتح اللام والسين): الفصاحة والبلاغة. البيان: المقدر في جعل الكلام صحيحاً وواضحاً.
- (٥) أشعار العرب (البدو، المهاجرين) والمحدثين (العباسيين، أهل الحضرة).
- (٦) أربي على (أراد عمره على).
- (٧) لم تنسب إلى العرب بينما أنت فارسي. ولم تتبعدد (تنسب إلى بغداد، إلى الحضرة...).
- (٨) شبيب بن يزيد الشيباني من الخوارج الصفرية (قتل ٧٦ هـ) وقطري بن النعمان (ت ٧٩ هـ) من الخوارج أيضاً. لم تبتك مبدأك مرة بعد مرة.
- (٩) لم تميز في الحياة قبل أوانك ولا كان مظهرك الخارجي خلاف حقيقة أمرك.
- (١٠) أدّر (سكب)، - منك تملكت الأدب (الشعر والنثر). الكأمة (بكر الكاف): الكأس من النبات (الأوراق المحضرة التي تكون فيها الزهرة قبل أن تتفتح).
- (١١) التميمية: حرز تعلقه الأمهات في أحناء أطفالهن (حلت عنه التهم: أدرك مدرك الرجال). الكأثم (هنا): المستور من المقدره الشخصية في العلم والأدب وغيرها.

عليه تسليمٌ وداعٍ وأشيقٌ لبلقده^(١) المصاع. واعلم أن صدغته كصدغ الرُجاجة أعياء الصنّاع^(٢). فيا له مَفْنَى هُجِرَ على بَرْدِ مَوَاقِعِهِ وَبَقْلًا^(٣) زُهْدٍ فيه على شرف موضعه... ولم يَتَّقِ إِلَّا من قَدَمَتْ نَعْمَتُهُ وَحَلَاهُ، ووصفتُ حَدَوَهُ، وَحَدَّاهُ^(٤)، وَأَغْنَانِي. ما صَدَرَتْ^(٥) به عن إعادة ذِكْرِهِ... فَأَقْتَنُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا. ومن الأمرِ الْمُعْجِبِ وَالْخَطْبِ الْمُغْرِبِ^(٦) أَنَّهُمْ يَدَّعُونَ - على جهلهم وما بَيَّنْتُ من وَصْفِهِم - التَّوَسُّسَ في الأدب من غير رِيَاةٍ، والمَنَافَسَةَ لِأَهْلِيهِ من غير نَفَاسَةٍ، وَمُنَاقَصَةَ ذَوِي الْعِلْمِ بِاللِّسَانِ بِالْهَذْيَانِ^(٧) حينَ أَنَسُوا^(٨) عَدَمَ التَّشَقُّقِ وَفُقْدَانَ الْمُتَّقِدِ.

... وتفسير ما أَجْمَلْتُهُ وتَفْصِيلُ ما أَنَهَيْتُهُ أوردته عليك بحلول العُقْدَةِ مَنْصُوعِ الْبُرْدَةِ^(٩). وذلك أن إقبال الدولة - أَيَّدَهُ اللهُ - أمرني بإنشاء رسالتين إلى مصر. فلَمَّا عَلَتْ شُرَفَاتُهَا وَرَوَّضَتْ عَرَصَاتُهَا^(١٠)، وَرَدَّ عَلَيْهِم مِّنْهَا الْمُقِيمُ الْمُقْبِدُ^(١١). وكاد يُهْلِكُهُمُ الْحَسَدُ... وطاروا طَيْرَانِ الْفَرَّاشِ حَوْلَ النَّارِ وَجَالُوا جَوْلَانِ الذُّبَابِ بَيْنَ الْأَزْهَارِ، مَرَّةً يَسْتَفْتُونَ الْفُقَهَاءَ، وَمَرَّةً يَسْتَشْهَدُونَ السُّفَهَاءَ - وَمَرَّةً يَقُولُونَ: هَذَا يُسَالُ

-
- (١) أدب العلم (الآن): ابك عليه (لأنه صاع في هذا الزمان). الطلل (مكان الحسة بعد أن ترعى من مكانها - لم يبق من العلم إلا آثار يسيرة). الطلق: الشيء المنفيس.
- (٢) الصدغ: الثقب. أعياء: أعجز. المصاع: البارع في صناعته (والزجاج إذا تكسر لا يعود إلا إذا سك من جديد).
- (٣) المعنى: المنزل السكون. البقل: النبات الصالح للطعام الشر.
- (٤) الحدو: جعل الشيء على قياس معلوم. الحداه (ما كان مريباً منك) - وصفته هو وما يتصل به.
- (٥) صَدَرَتْ به (أوردته في صدر رسالتي).
- (٦) المعجب (الذي يمتع به الناس) والخطب (المصيبة) المغرب (المستغرب عند الناس).
- (٧) الهذيان: الكلام المضطرب الخارج على المفعول (من أثر مرض أو نحوه).
- (٨) أَنَسُوا: أبصروا، علموا.
- (٩) مَنْصُوعِ الْبُرْدَةِ (غير لابس ثيابه)، بصراحة.
- (١٠) الترفة: شبه مائدة بارزة يطل الناس منها على ما هو خارج بيوتهم. رَوَّضَ: كثر التفتت (في المكان).
- (١١) العرصة (بالفتح): الباحة الواسعة أمام الدار، أو بالمراء (في الخلاء) - بقصد: لما ظهرت براعته في رسالته.
- (١٢) القيم المقدم (الهم الذي يجعل صاحبه مضطرباً لا يستقر من الغضب أو الغم...)

عنه إن كان يقال، ورياً كان له في بَضَارِ اللُّغَةِ عِجَالٌ^(١). (٢) يَسْتَوِرُونَ وَيَسْتَوِرُونَ^(٢)، حديثُ النِّسَاءِ بعدَ البُعُولِ وَهَرِيفُ الإِمَاءِ دُونَ الْكَفِيلِ^(٣)... فَاتَّقَ رَأْيَهُمْ وَاسْتَمَرَّ هَدْيُهُمْ إِلَى سُؤَالِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سَيِّدِهِ. فَلَمْ يُفَكِّرْ أَبُو الْحَسَنِ فِي الْمَوَاقِبِ وَلَمْ يَنْظُرْ نَظْرَ أَهْلِ التَّجَارِبِ. فَسَلَّمَ لَهُمْ وَاعْتَرَّ بِمِثْلِ وَشْيِ الْحَيَاتِ^(٤)، وَانْقَادَ فِي زِمَامِ الزَّخَارِفِ وَالتَّرَهَاتِ^(٥).... فَرَدَّ مُوَاضِعَ أَنَا وَاصِفُهَا وَجَوَانِبَهَا عَلَى سَرْدٍ^(٦)، وَذَاكِرُهَا وَمَا يَجْلُو أَرْثِيَانَهَا عَلَى حَرْدٍ

- لَاحِنِ أَرْقَمِ مَقَاطِعِ مِنَ الشُّعْرِ:

* نَشَرْتُ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ جَنَاحَا خَضِرَاءُ صَبَرَتْ صَبَاحَ وَشَاحَا^(٧)
نَحْكِي بِخَفَقِي قَلْبَ مَنْ عَادِيَتَهُ مَهَا تُصَافِحُ صَفْحَهَا الْأَرْوَاحَا^(٨)
ضَمِنْتُ لَكَ النُّعْمَى بِرَأْيِ ظَافِرٍ فَتَرَقَّبَ الْفَالُ الشُّبْرَ صَبَاحَا
* فَتَى الْخَيْلِ يَقْتَادُهَا ذُبْلَا خِفَافًا تُبَارِي الْقَنَا الذَّابِلَا^(٩)
نَرَى كُلَّ أَجْرَدٍ سَامِي التَّلْبِ لِي وَنَحْسُهُ غُصْنًا مَائِلَا^(١٠)

- (١) يَنْتَقِدُونَ كُلَّ لُفْظٍ (فِي رِسَالَتِهِ) إِذَا وَجَدُوا فِيهَا شَيْئًا صَحِيحًا لَا عَمَالٍ (مَوْضِعٌ) لِلشُّعْرِ فِيهِ، قَالُوا (تَقْلِيلًا لِتَأْنِيهِ): «وَمَا كَانَ جَانِزًا فِي اللُّغَةِ».
- (٢) تَسَوَّرَ (الْجِدَارَ) تَسَفَّعَ. تَسَوَّرَ: هَجَمَ عَلَى. (هَذَا): انْتَقَدُوا رِسَالَتِي بِالْبَاطِلِ. تَسَوَّرَ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْقَامُوسِ. اسْتَوَرُوا: تَسَاوَرُوا (تَمَاوَنُوا عَلَى نَقْضِ رِسَالَتِي).
- (٣) حَدِيثٌ (بِالرَّفْعِ - وَنَحْوُ بِالنَّصْبِ) النِّسَاءِ بَعْدَ الْبُعُولِ (بَعْدَ فِرَاقِ أَزْوَاجِهِمْ بِالْمَوْتِ أَوْ بِالطَّلَاقِ، وَبِكُنْ عَادَةً كَثِيرَاتُ الْكَلَامِ فِيهَا لَا يَنْفَعُ). حَرْفُ الرَّجُلِ: قَالَ كَلَامًا غَيْرَ مَفْهُومٍ وَغَيْرَ مَعْنَى أَوْ قَالَ عَنْ حِيلٍ. الْأَمَةُ (يَفْتَحُ فَتْحَتِ): الْجَارِيَةُ دُونَ الْكَفِيلِ (لَيْسَ مَعَهَا مَنْ هُوَ مُسَوَّلٌ عَنْهَا فَتَتَحَدَّثُ فِي كُلِّ شَيْءٍ).
- (٤) وَشْيِ الْحَيَاتِ (وَمَا كَانَ جِلْدَ الْحَيَّةِ جِلْدَ الرَّقْشِ، وَلَكِنَّ الْحَيَّةَ تَكُونُ مُؤْدِيَةً).
- (٥) الزَّخَارِفُ: الْكَلَامُ الْمُنْتَقَى بِلا صَحَّةٍ. التَّرَهَاتُ: الْبَاطِلُ.
- (٦) عَلَى سَرْدٍ: مُتَاعٍ (كَانَ الْجَوَابُ بِسُرْعَةٍ). الْمُرْدُ: الْبَعْدُ عَنِ النَّاسِ (هَذَا): الْبَعْدُ عَنِ الْحَقِّ).
- (٧) خَضِرَاءُ (رَايَةُ خَضِرَاءَ)...
- (٨) قُلُوبُ أَعْدَاكَ تَخْفِقُ (تَرْجِفُ خَوْفًا مِنْكَ) مِثْلَ خَفَقَتِهَا (تَحْرَكُهَا). الْأَرْوَاحُ جَمْعُ رِيحٍ. صَنِيعُ جَمْعِ صَفْعَةٍ. مَهَا (كَلْبًا) مَتَّ الرِّيحَ أَحَدَ صَفَحَيْهَا (وَجْهَيْهَا).
- (٩) ذَابِلٌ: نَحِيلٌ. الْفَتَاةُ: الرِّيحُ. مَارَى: نَافِسٌ. - تَقْوَدُ خَيْلًا نَحِيلَةً كَأَنَّهَا رِمَاحُ (الْخَيْلِ) النَّحِيلَةِ تَسْتَطِيعُ الْمَجْرِي بِسُرْعَةٍ.
- (١٠) الْأَجْرَدُ: الْخَصَانُ الْخَفِيفُ الشَّمْرُ (وَذَلِكَ مِنْ صِفَاتِهِ الْحَسَنَةِ). التَّلْبِلُ: الْعَتَقُ.

- وله مطلع موشحة:

* مَنِيْمُ الْبَهْرَمَانِ
فِي الْمَحَبَّاتِ الدَّرِي
صَادَ قَلْبِي وَبَانَ^(١)
وَأَنَا لَمْ أَذَرِ.

٤ - ** الدخيرة ١: ١٧٤٠، ٢: ٤٦، ٣: ١٥٠، ٣٦٠ - ٤٠٩، ٥٠٥، ١٥٠٦ التكملة
٦٢٢ (رقم ١٧٣٥)، نفع الطيب ٣: ٣٩٨ - ١٣٩٩ نيكل ١٨٧، مختارات نيكل
١٣٨ - ١٢٩، الأعلام للزركلي ٤: ١٥١ (٢٥).

الراضي العبّادي

١ - هُوَ الرَّاضِي أَبُو خَالِدٍ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ، لَعَلَّ مَوْلَدَهُ كَانَ نَحْوَ ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م). كَانَ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ قَدْ اسْتَنْابَ مَرَّةً عَلَى مُرْسِيَّةٍ وَزِيَرَهُ ابْنُ عِمَارٍ فَطَمَعَ ابْنُ عِمَارٍ مُرْسِيَّةً وَأَسْتَدَّ بِهَا وَخَلَعَ طَاعَةَ ابْنِ عَبَّادٍ. فَاحْتَالَ ابْنُ عَبَّادٍ فِي الْقَبْضِ عَلَى ابْنِ عِمَارٍ ثُمَّ أَرْسَلَ ابْنَهُ الرَّاضِيَّ لِيَسْلُمَ ابْنَ عِمَارٍ مِنْ يَدِ آيَرِيهِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ٤٧٧ هـ.

وَتَوَلَّى الرَّاضِي عَلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ (مَدِينَةٍ فِي أَقْصَى الْجَنُوبِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ). فَلَمَّا أَرَادَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ الْجَوَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ اسْتَعْدَادًا لِلْمَعْرَكَةِ الزَّلَاقَةِ (٤٧٩ هـ) اشْتَرَطَ أَنْ تَكُونَ الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ لَهُ مَكَانًا لِتَجْمِيعِ حَيُوشِهِ. فَتَزَلَّ الْمُعْتَمِدُ عَنِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَأَمَرَ ابْنَهُ الرَّاضِيَّ أَنْ يَنْتَقِلَ وَالْيَا عَلَى رُنْدَةَ (عَلَى مَسَافَةِ بَسِيرَةٍ شِمَالِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ). وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوْلَى الْمُرَاطِبُونَ عَلَى إِشْبِيلِيَّةٍ وَخَلَعُوا الْمُعْتَمِدَ حَاصِرُوا رُنْدَةَ. وَرَأَى الرَّاضِي أَنَّ يَنْزِلَ لِلْمُرَاطِبِينَ عَنْ رُنْدَةَ طَوَّعًا، جَفَاطًا عَلَى حَيَاتِهِ وَحَيَاةِ أَبِيهِ، فَأَخَذَ مِنَ الْمُرَاطِبِينَ مَوْثِقًا بِأَنْ يُسْقُوا عَلَيْهِ. وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا وَقَتَلُوهُ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٨٤ هـ (خَرِيف ١٠٩١ م).

(١) مَنِيْمٌ: نَعْرٌ (م). الْبَهْرَمَانُ: (وَالسَّيِّدَةُ إِلَهَةُ بَهْرَمَانٍ): بَيْتُ ذُو زَهْرٍ أَحْمَرٌ يَصْبِغُ بِهِ (يَنْتَبِهُ ذَلِكَ النَعْنِي). الْحَبَا: الْوَحْدَةُ. الدَّرِي: (نَسَبَةٌ إِلَى الدَّرِّ: التَّلَوُّنُ): الْأَبْيَضُ. بَانَ: ابْتَدَعَ (هَجَرَنِي).

٢- كان الراضي بن المعتد العبادي من أهل العلم والأدب كلياً بالمطالعة والبراسة قرأ كتب أبي بكر الباقلاقي (ت ٤٠٣ هـ) وكتب ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) فنهز في أصول الفقه ولكن ذهب إلى النظر والاختيار^(١). ثم إنه كان عالماً بالشرعيات واقفاً على الطبيعيات ذاكرة للعرب وأناسها جافظاً للغة وآدابها. و«كان شاعراً بنى عباد بعد أبيه، غير أنه أقوى عارضة^(٢) من أبيه، وأبوه ألفت طبعاً وأرق صنماً». وشعره خلوصاً واضح المعاني يجري على السجية لا تكاد تلمح فيه أثر الصنعة. وفنونه النسب والعتاب والحكمة.

٣- مختارات من شعره

- قال الراضي بن المعتد بن عباد في النسب:

مرّوا بنا أصلاً من غير ميعاد فأوقدوا نار شوقي أي إيقاد^(٣).
وأذكروني أياماً تهوت بهم فيها ففازوا بإيثاري وإخادي^(٤).
لا غرو أن زاد في وجدي مرورهم، فروبته الملو تذكى غلة الصادي^(٥).

- وقال يعاتب أباه المعتد، وكان أبوه قد أنهض جماعة من إخوته دونه.
(أنتم عليهم أو عهد إليهم بأمر جليل):

أعبدك أن يكون بنا خمول ويطلع غيرنا، ولنا أقول^(٦).
حنانك! إن يكن جرمي قبيحاً، فإن الصبح عن جرمي جميل.
وإن عثرت بنا قدم سفاهاً، فإنني من عثاري متقيل^(٧).
وأحسن ما سمعت به - عزيز يُناديه فيرحمه - ذليل.

(١) النظر: تحكيم العقل. الاختيار (أن الإنسان حر في أعماله غير محرم عليها).

(٢) قوي العارضة (المعجم الوسيط ٦٠٠): ذو قدرة على الكلام وذو عدية (ارتحال) ورأي جيد.

(٣) أصل جمع أصيل: الوقت في أواخر النهار.

(٤) فازوا بإيثاري (بتفصيلي إياهم على غيرهم) وإخادي (مدحي، شكري).

(٥) لا غرو: لا عجب. الوجد: شدة الحب. يدكي: يزيد (الأمر شدة). العلة: العطش. الصادي: المطشان.

(٦) أقول: غروب (عزل، زوال الحكم، زوال الملك).

(٧) عثر: زل (أخطأ). استفال فلان فلاناً - (طلب أن يهله): يساعده على التمهوس (يمحو عنه).

وها أنا ذا أناديكم، فهل لي
وأنت الملكُ تعذو عن كثير،
بعثتُ برُفعتي هذي رسولاً
لترخفه وأفراخاً إذا ما
بقيت لهم على عشبٍ وعُتبي،
فإن حياتك الظيلُ الظليل^(١)؛
إلى قُربٍ من الرُحى سبيل^(٢)؟
فما لك ظِلْتَ يُغضبك القليل؟
صغيرَ الين ليس له حويل^(٣)؟
عُتبتَ عليّ عادَ لهم عويل^(٤).
- وقال يصفُ نكدَ أيامِهِ ويصفُ أحوالَ الدنيا:

هي الدارُ غادرةٌ بالرجال
وكلُّ سُروٍرٍ بها نافدٌ،
وموعدُها أبداً كاذبٌ،
فمن رامَ منها وفاءَ يدومٍ
خلقتُ نياماً، وظلّتُ خيالاً.
نمذّبُ منها بغيرِ اللذيرِ
ونزّدادُ مع ذاك عِشْقاً لها.
ألا إنما سَعِينا في ضلالٍ.
وقاطمةٌ لبحالِ الوصالِ.
وكلُّ مُقيمٍ بها لارْتحالِ.
فإن أنجزَتْهُ فبعدَ المطالِ^(٥).
ومُكثّاً لها، رامَ عَيْنَ الحالِ.
وأوشكُ شيءٍ فراقِ الخيالِ^(٦).
وتشرّقُ منها بغيرِ الزّلالِ^(٧).
ألا إنما سَعِينا في ضلالٍ.

- وخاطبه المعتمدُ بقصيدةٍ يهزأ به فيها ويطنُّ عليه لأنّه كان كثيرَ الإنصرافِ
إلى العلمِ قليلَ الاهتمامِ بأمورِ الدولة وشؤونِ الحرب. ومطلعُ قصيدةِ المعتمدِ:
الملكُ في طيِّ الدفاترِ، فتَحَلَّ عن قَوَدِ العاكِرِ^(٨).

(١) الرُحى: الرحة.

(٢) الحويل (القاموس ٣: ٣٦٣، المطر الثاني من أسفل): القصد. لمّهُ يقصد: ليس له حويل بالنصير (غوة).

(٣) أفرّاح (كتابة عن الأطفال).

(٤) العشب: العناب، اللوم. العتبي: الرضا.

(٥) المطال: المثل (بالضم): قلة الوفاء بالوعد.

(٦) أوشك: أغرب.

(٧) شرّق (يفتح فكسر): غصّ. الزلال: الماء الطيب الصافي الساتع. تشرّق منها (من الدنيا) بغير الزلال (بالصواب).

(٨) أدقتر: كتاب العلم.

طُفَّ بِالرَّيْرِ مُسْلَمًا وَأَرْجَعَ لَتَوْدِيحِ الْمُنَاسِرِ^(١)
وَأَضْرَبَ بِبِكَيْنِ الدَّوَا فِي مَكَانٍ مَاضِي الْهَدَى بِاتِرِ^(٢)
أَوَلَّيْتُ رَنْطَالِيْسَ إِنْ ذَكَرَ الْفَلَاسِفَةُ الْأَكَابِرَ؟
وَأَبُو حَنِيفَةَ سَاقِطٌ فِي الرَّأْيِ حِينَ تَكُونُ حَاضِرُ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الرَّاضِي بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ يَتَنَصَّلُ فِيهَا مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا رَمَاهُ بِهِ أَبُوهُ وَيَبْدُو
بِأَن يَرْجِعَ إِلَى مَا يُرْضِي أَبَاهُ. مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

مَوْلَايَ، قَدْ أَصْبَحْتُ كَافِرُ بِمَجْمِعِ مَا تُخَوِي الدَّفَاتِرُ؛
وَقَلَّيْتُ بِبِكَيْنِ الدَّوَا وَظَلَمْتُ لِلْأَقْلَامِ كَاسِرُ.
وَعَلَيْتُ أَنَّ الْمُلْكَ مَا بَيْنَ الْأَيْتَةِ وَالْبَوَاتِرِ^(٣)،
وَالْجَهْدُ وَالْعَلِيلُ فِي ضَرْبِ الْمُبَاكِرِ بِالْعَاكِرِ،
لَا ضَرْبَ أَقْوَالٍ بِأَفْ حِوَالِ ضَعِيفَاتٍ مُنَاكِرِ^(٤)،
قَدْ كُنْتُ أَحَبُّ مَنْ سَفَا وَ، أَنَّهُمَا أَضَلُّ الْمَفَاخِرِ؛
فَإِذَا بِهَا فِرْعُ هَا وَالْجَهْلُ لِلْإِنْسَانِ عَازِرُ.
لَا يُذَرِّكُ الشَّرَفَ الْفَنَى إِلَّا بِغَالٍ وَبَانِرِ^(٥)،
وَهَجَرْتُ مَنْ سَمَّيْتَهُمُ، وَجَعَدْتُ أَنَّهُمْ أَكَابِرُ.
لَوْ كُنْصَتُ تَهْشُوِي مِيشَتِي لَوْ جَدُّنِي لِلْعَيْشِ هَاجِرُ،
ضَحِكَ الْوَالِي بِالْعَبِيدِ حِينَ، إِذَا تُؤْمَلُ، غَيْرُ ضَائِرِ^(٦)،
إِنْ كَانَ لِي فَضْلٌ فِينَا لَكَ، وَهَلْ لَذَاكَ التَّوْبِ سَاتِرُ؟

(١) الرير: العرش.

(٢) مكان: بدلا من. باتر: (سيف) قاطع.

(٣) السنان: الرمح. البواتر جمع باتر (سيف).

(٤) ضرب أقوال بأقوال: نقاش وجدال. مناكر (جمع منكر): ما تحكم العقول ببلحه. ومناكر (مناكير):

جمع منكور: مجهول.

(٥) الغال: الرمح.

(٦) الول: السيد. ضائر: مضر.

أَوْ كَانَ بِي تَقْصُرُ فِينُ غَيْرَ أَنَّ الْفَضْلَ غَامِرُ^(١)
 ذُكِّرْتَ عَبْدَكَ سَاعَةً يَبْقَى لَهَا مَا عَاشَ ذَاكِرُ
 يَا لَيْتَهَا قَدْ غَيَّبْتُ عَنْهَا إِحْدَى الْمَقَابِرِ
 أَتُرِيدُ مِنِّي أَنْ أَكُو نَ كَمَنْ غَدَا فِي الدَّهْرِ نَادِرُ^(٢)
 هَيْهَاتَ! هَذَا مَطْمَعُ يُغَيِّبِي الْأَوَائِلَ وَالْأَوَاخِرِ
 لَا تَنْسَ، يَا مَوْلَايَ، قَوْ لَةَ ضَارِعٍ، لَا قَوْلَ فَاخِرِ
 ضَبَطَ الْجَزِيرَةَ عِنْدَمَا نَزَلْتُ بِمَقَوِّمِهَا الْعَاكِرِ^(٣)
 أَيَّامَ ظَلَمْتُ بِهَا فَرِيدَ دَأْ لَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ نَاصِرِ
 إِذَا كَانَ يُغْشِي نَاطِرِي لَمْعُ الْأَيْتَةِ وَالْبَوَاتِرِ^(٤)
 وَيُصِمْ أُنْمَاعِي بِهَا قَرَعُ الْجِعَارَةِ بِالْحَوَافِرِ^(٥)
 وَهِيَ الْخَضِيزُ سُهُولَةٌ لَكِنْ ثَبَتُ بِهَا مُحَاطِرِ
 هَبْنِي أَسَاكُ - كَمَا أَسَا تَ - أَمَا لِهَذَا الْقَتْبِ آخِرُ؟
 هَبْ رَغْبَتِي لِئُونِي وَاغْفِرْ، فَإِنَّ اللَّهَ غَافِرُ

١ - ٢ * * الحلة السراء ٢: ٧٠ - ١٧٥ الطرب ٣٨ نفع الطبيب ١: ٦٢٧، ٦٦١ - ١٦٦٢: ٢٤٩ - ٢٥٦.

السير الإلبيري

١ - هو أبو القاسم خَلْفُ بْنُ فَرَجٍ الْمَعْرُوفُ بَلَقِيهِ «السُّيَر»، أصله من إلبيرة (قُرب غُرْنَاطَة) وَمَكَنَ غُرْنَاطَة مُدَّةً مُتَّصِلًا بِصَاحِبِهَا بِادِيَسَ بْنِ حَبُوسٍ (٤٣٠ - ٤٦٦ هـ). تَمَّ وَقَعَتْ وَخَشَّةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ بِادِيَسَ لِبَيْتَيْنِ قَالَهُمَا فِي هَجَاءِ الْبَربرِ،

(١) غير أن الفضل (فضلك) غامر (بغمري: عفوك أكبر من ذنبي).

(٢) نادر: ساقط، شاذ.

(٣) المقودة: المكان المتسع أمام الدار. العاكِر (إشارة إلى الجنود الآسيان).

(٤) أعشى النور البصر: جعله ضعيفاً لا يرى. الأسة والبواتر: الرماح والسيوف.

(٥) بالحوافر: بمواقع الخيل (في الحرب).

فَهَرَبَ إِلَى الْمَرِيَّةِ لاجئاً إِلَى صَاحِبِهَا الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُهَادِحٍ . وَيَبْدُو أَنَّ مَجِيئَهُ إِلَى الْمَرِيَّةِ كَانَ بَاكراً (قَبْلَ ٤٦٦ هـ ، بَلَا رَيْبٍ) ، كَمَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ إِقَامَتُهُ فِي الْمَرِيَّةِ قَدْ طَالَتْ حَتَّى اسْتَحَقَّ أَنْ يُسَمَّيَهُ الْقَرِي « شَاعِرَ الْمَرِيَّةِ » (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣ : ٣٩٠) . ثُمَّ بَقِيَ فِي الْمَرِيَّةِ إِلَى مَا بَعْدَ وَفَاةِ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُهَادِحٍ ، ثَامِنَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٤٨٤ (٣٠ / ٤ / ١٠٩١ م) .

٢ - كَانَ السُّمَيْرُ شَاعِراً مَطْبُوعاً سَهْلَ الشَّعْرِ ، وَكَانَ أَفْضَلَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ حَفَلَتْ بِهِمْ بِلَاطُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُهَادِحٍ . وَهُوَ صَاحِبُ مُرْدُوجٍ (فِي قَوَافِي الشَّعْرِ) لَعَلَّهُ قَلَّدَ فِيهِ مَنْصُورَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ التَّمِيمِيِّ الْفَقِيهَ الشَّافِعِي الضَّرِيرَ (الْمُتَوَفَّى فِي بَصْرَ سَنَةِ ٣٠٦) . ثُمَّ لَهُ طَبِيعٌ وَتَصَرُّفٌ مُنَحْنَنٌ فِي الْمَقْطَعَاتِ لَا فِي الطُّوَلَاتِ . وَأَعْرَاضُ شِعْرِهُ الشُّكُوى وَالزَّهْدُ وَالْحِكْمُ وَالنَّسِيبُ وَالْهَجَاءُ الْمُقَدِّعُ ، فَقَدْ كَانَ هَجَاةً مُتَوَنِّباً عَلَى النَّاسِ مَرَّةً لَللَّسَانِ لَمْ يَنْجُ مِنْ لِسَانِهِ هَذَا أَحَدٌ وَلَا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ عَاشَ فِي بِلَاطِهِمْ . وَكَذَلِكَ كَانَ لَهُ إِخْوَانِيَّاتٌ . وَيَبْدُو أَنَّهُ صَنَّفَ كُتُباً ، فَقَدْ ذَكَرُوا لَهُ كِتَاباً عُنَوَانُهُ « شِفَاءُ الْأَمْرَاضِ فِي أَخْذِ الْأَعْرَاضِ » (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤ : ١٠٨) .

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ السُّمَيْرُ فِي الدُّنْيَا وَحَقِيقَةُ مَوْقِفِ النَّاسِ مِنْهَا :

هِيَ فِي الدُّنْيَا وَفِي أَهْلِهَا	مُعْتَبَاتٌ قَدْ فَكَّكْنَاهَا :
مِنْ بَشَرٍ نَحْنُ ، فَمِنْ طَبِيعِنَا	نُحِبُّ فِيهَا الْمَالَ وَالْجَاهَا .
دَعَايَ مِنَ النَّاسِ وَمِنْ قَوْلِهِمْ ،	فَلِنَا النَّاسُ خَلَاَهَا .
لَمْ تَقْبَلِ الدُّنْيَا عَلَى نَاسِكَ	إِلَّا وَبِالرَّخْبِ تَلَقَّيَاهَا .
وَأَمَّا يُعْرِضُ عَنْ وَصْلِهَا	مَنْ صَرَفَتْ عَنْهُ مُحِبَّيَاهَا ^(١)

- وَقَالَ ، وَقَدْ وَقَفَ عَلَى أَطْلَالِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ :

وَقَفْتُ بِالزَّهْرَاءِ مُسْتَفْهِراً مُسْتَفْهِراً أُنْدَبُ أَشْنَاءاً^(٢)

(١) عِيَاهَا : وَجْهَهَا . الَّذِينَ يَزْهَدُونَ فِي الدُّنْيَا هُمْ (عِنْدَ السُّمَيْرِ) أَوْلَئِكَ الَّذِينَ تَكُونُ الدُّنْيَا قَدْ ضَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِخَيْرِهَا .

(٢) سَتَمَرُوا : بَاكِيّاً : مَتَمَرُوا : مَتَأَمَّلُوا بِالْمَوَاقِبِ . أَشْنَاءاً : أَشْيَاءٌ مَبْدُودَةٌ (مُتَفَرِّقَةٌ - مُتَهَدِّمَةٌ) .

فقلت: يا زهرا، ألا مازجني . قالت: وهل يزوج من ماتا؟
فلم أزل أبكي وأبكي بها . فبهات يُنسي الذنوعَ فبهاتا!
كانما أنار من قد مضى . نوادب يندفن أمواتا .
- وقال في معوض كانت تلدغه:

بمعوض شربن دمي قهوة . وغثني ضروب الأغان^(١) .
كان عروقي أوتارها . وجني الرباب وهن القيان^(٢) .
- وفي المربة يقول السمر شاعرها (نفع الطيب ٣: ٣٩٠):

بشن دار المربة اليوم داراً . ليس فيها لساكن ما يجيب .
بلدة لا تمار إلا بهرج . ربما قد نهب أو لا نهب^(٣) .
- وقال بهجو البربر:

رأيت آدم في نومي فقلت له: أبا المربة، إن الناس قد حكوا
أن البرابر نسل منك . قال: إذن، حوك طالقة إن كان ما زعموا .
- وقال في سوء الظن بالبشر (وبأقاربه):

قراية السوء داء . فاحيل أذاهم نبش حميدا .
ومن تكن قرحة بفيه . يضر على منعه الصديدا^(٤) .
- وقال في العليل الشره وموقعه من الطبيب:

ما أكل كل ما اشتهاه . وشاتم الطب والطبيب،
إمار ما قد غرست تجني . فانتظر النعم عن قريب .
يمنع الداء كل يوم . أغذبة السوء كالذنوب .

- ١- * الذخيرة ٢: ٨٨٢ وما بعده الخريدة (الأندلس) ٢: ١٥-١٦ المغرب ٢:
١٠٠-١٠١ المطرب ١٩٣ نفع الطيب ١: ٥٢٧-٥٢٨، ٣: ٢٢٧-٢٢٨،
٢٩١، ٢٩٣، ٣٢٠-٣٢١، ٣٢٩، ٣٩٠، ٤١٣، ٤: ٢٠، ١٠٨، ١١٦، نيكل
١٩١-١٩٣، مختارات نيكل ١٣٢-١٣٥ الأعلام للزركلي ٢: ٣٥٩ (٣١١).

(١) قهوة: خمر.

(٢) الرباب والربابة آلة موسيقية وترية: القيان جمع قينة (بالفتح): المرأة الجميلة) الغنية.

(٣) تار: ثأنها المربة (الطعام). المربة: ثغر في الجنوب الشرقي من الأندلس.

(٤) بفيه: في فمه. الصديد: الفج.

ابن غرسية

١ - هو ابو عامر احمد بن غرسية أصله من البُشكنس (شمال غربي الاندلس) سُبي صغيراً فاعتنق الإسلام ودخل في ولاء مجاهد العامري صاحب الجزر الشرقية ومدينة دانية. ويبدو انه قد قضى حياته كلها في دانية. وكانت وفاته بعيد سنة ٤٧٧ (١٠٨٤ م).

٢ - ابن غرسية اديب قدير في النثر ومجيد في الشعر وكانت تَغْلِبُ عليه شعبية حل بها على العرب حملة شديدة سفيهة، وان كانت هذه الرسالة (في هجاء العرب) تنكشف عن معرفة بغريب اللغة وبالأحداث التاريخية ومصادر الثقافة. والمعروف ان الشعوبيين يفضلون المسلمين على العرب (أي يفتخرون بالإسلام على الذين يتعصبون للنسب العربي). والملموح عند ابن غرسية أنه يفضل الفرس والروم واليهود على العرب، ولكنه يستر بمدح رسول الله (الذخيرة ٣: ٧١٢ - ٧١٣). ولقد فَطِنَ الذين ردّوا عليه إلى ذلك فَنسَبَهُ بعضهم إلى النفاق. وقال بعضهم إنه بريء من الإسلام (ودخل في الكفر مُرتدّاً) وانه يستحقُّ القتل على ذلك - ولكن لم يَكُنْ في الاندلس في ذلك الحين ملكٌ قويّ يستطيع أن يُقيمَ مثلاً هذا الحدّ: يُوقع مثلاً هذا (القصاص).

وفي شعر ابن غرسية فخرٌ بنفسه وبأصله. غير أن شعره الذي بين أيدينا نازلٌ عن مرتبةٍ نثره (وخصوصاً من حيث المتانة) والوضوح.

ولقد ردّ على ابن غرسية نفرٌ من مُعاصريه منهم ابنُ الدودين وأبو الطيب عبدُ المنعم القُرَويّ ثم رجلٌ آخرٌ يدعى ابنُ عباس يبدو أنه ألف في ذلك كتاباً. وسأوردُ أشياء من تراجم هؤلاء ومن رسائلهم في هذا الشأن، بعدَ المختارات من رسالة ابن غرسية.

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابنُ غرسية يفتخر بأصله (المغرب ٢: ٤٠٧):

إِنْ أَصْلِي كَمَا عَلِمْتَ، وَلَكِنْ (م) لَأَقِي أَعَزُّ مِنْ سَحْبَانٍ^(١).
وَأَنَا مِنْ خَيْرِ الْمُلُوكِ بِصَدْرِ، هَلْ تَرَى بِالْقَنَاءِ صَدْرَ سِينَانٍ^(٢)؟

- ومن الرسالة الشعوبية لابن غرسية (في هَجْوِ الْعَرَبِ) يُخَاطَبُ بِهَا الْأَدِيبُ
الشاعرَ أَبَا جَعْفَرٍ بْنِ الْحَرَّازِ^(٣). قال (الذخيرة ٣: ٧٠٥ - ٧١٤):

.... كَأَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ إِنْسَانٌ إِلَّا مِنْ غَسَانٍ أَوْ مِنْ آلِ ذِي حِسَانٍ^(٤). وَإِنْ كَانَ
الْقَوْمُ أَقْنُوكَ وَمَا أَغْنُوكَ، عَلَى حَسَبِ الْمَذْكُورِ، فَمَا هَذَا الْإِعْمَالُ لِلْكُورِ وَتَرَكُ
الْوُكُورِ^(٥)؟ وَقَلَّ مَا تَأْخُذُ الشَّعْرَةَ فِي الرَّحِيلِ إِلَّا عَنِ الرَّيْنِ الْمَحِيلِ^(٦). وَلَوْ أَنَّ الْقَوْمَ
خَلَطُوكَ بِالْأَلِّ لَمَّا أَلْجَأُوكَ إِلَى الْخَبْطِ فِي الْآلِ^(٧). مَهْ مَهْ. مَنْ أَحْوَجَكَ إِلَى رُكُوبِ
الْمَهْمَةِ^(٨)؟ أَحْسِبَكَ^(٩) أَنْ أُرْزَيْتَ، وَهَذَا الْجِيلُ التَّجِيبُ ارْزُدْرَيْتَ^(١٠)، وَمَا دَرَيْتَ
أَنَّهُمُ الصُّهْبُ الشُّهْبُ، لَيْسُوا بِعُرْبٍ ذَوِي أَيْتِي جُرْبٍ^(١١). بَلْ هُمْ الْقِيَاصِرَةُ
وَالْأَكَاسِرَةُ. مُجَدُّ نَجَدُّ: بُهُمْ لَا رُعَاةَ شَوَهَاتٍ وَبَهُمْ^(١٢). شَلِيلُوا بِالْمَازِي وَالْمَرَانِ عَنْ

(١) أصلي كما علمت (يشكسي نصراني، ج مولد). أعز: أقوى. حبان: حبيب عربي مشهور.

(٢) هذا البيت مضطرب الوزن في أوله (المرأ: وأنا خير الملوك بصدري). القنأة: عصا الرمح. السنان: الحدبة التي في أعلى الرمح.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحرّاز من أهل سمرقطة وسكن بلنسية وكان أدبياً شاعراً.

(٤) من غسان أو آل ذي حسان (من العرب أو من ملوك العرب؟).

(٥) أقنوك: منحوك قنبة (عطية). وما أمشوك (المعروض أن يقال: وأغنوك). على حسب المذكور (كما ذكر في التاريخ). الإعمال (بالكسر): الاستخدام، السير بالكور (رحل الناقة): السفر (الكثير). وترك (هجر) اللوكور (المساكن) يشبه بيوت العرب باللوكور احتقاراً.

(٦) الشعرة: الشعراء. الراج: المسكن. الجيل: الغيرة، المتبذل (المهدوم).

(٧) القوم (قومك) خلطوك بالأل (أدخلوك في أهلهم). الخبط: السير على غير هدى. الآل: السراب.

(٨) مه: اكتف، توقف (عن الأذعاء). المهمة: الصحراء الواسعة.

(٩) أحسبك (الصيغة غير واضحة. اقرأ: حسبك (بكديك)) إن (بكسر الميم).

(١٠) أرزيت (عشت غورك) وهذا الجيل (من الناس، أي الفرس أو الروم أو الأفرنج) ازدريت (احتقرتهم) أن تعلم (تحسن زهادتها هنا).

(١١) الأصهب: الأشقر، الأحمر. الأشهب: الأبيض. أيتي جمع ناقة.

(١٢) في تاج العروس (الكويت ٩: ١٥٣) مجد (بضمّين): النياق التي تشع من الرعي. المجد (بضمّين) جمع مجود (بالفتح): نبيل، شريف. البهم (بضمّ ففتح) جمع بومة بالهم: التجاع. البهم (بفتح ففتح): الغنم، البهائم.

رَغِي البُرْعَان^(١)، وَجَلَبِ المَرْءَ عَنْ حَلْبِ المَغْزِ. جِيَابِرَةٌ قِيَاصِرَةٌ، ذَوُو المَغَافِرِ
وَالدَّرُوعِ لِلتَّنْفِيسِ عَنْ رَوْعِ المَرُوعِ^(٢). حِمَاةُ السُّرُوحِ نَاهُ الصُّرُوحِ^(٣). صَفُورَةٌ غَلِيَتْ
عَلَيْهِمْ شُقُورَةٌ، وَصُفُورَةٌ الحُرْسَانِ، لَكِنَّهُمْ خَطْبَةٌ بِالْحُرْصَانِ^(٤).

بُصْرٌ صَبْرٌ، قِيُولٌ عَلَى خِيُولٍ كَأَنَّهُمْ قِيُولٌ، بَنُو غَابٍ مُنْتَفُونَ مِنْ كُلِّ غَابٍ^(٥). لَمْ
تَلِدْهُمْ صَوَاحِبُ الرَايَاتِ^(٦)، بَلْ تَبَحَّجَتْ عَنْهُمْ سَارَةٌ^(٧) الْجَهَالِ وَالْكَهَالِ، رَبَّةُ
الْإِيَاءَةِ^(٨).... غَنُوا بِالْإِسْتَبْرَقِ وَالسُّنْدُسِ عَنِ الْبَتِّ الْمُقِيطِ انْتَشَتِ المَجْسُوعُ مِنْ
التَّعْجَاتِ الْبَيْتِ^(٩). طَعَامُهُمُ الحَنِيدُ^(١٠) وَشَرَابُهُمُ النَّبِيذُ، لَا زَهِيدٌ المَجِيدُ فِي
الْبَيْدِ^(١١)....

- (١) الماذي: الفرع. المزانة (بالفتح): الرمح الصلب ولكن يشي. البوران جمع بوير.
- (٢) المغفر (بكسر فسكون ففتح): وقاء للرأس في الحرب. الروع: الخوف. المروع: الخائف.
- (٣) السروح (قطعان الماشية). غاة الصروح (القصور): الذين يبيتون قصوراً عالية.
- (٤) الذخيرة ٣: ٧٠٦ (الحاشية العاشرة): أي فيهم صفورة الحرسان، وهم الصفالية من حرس القصر
وكانوا يلقبون بالحرس، وإنما يظهرون فصاحتهم بالحرسان (بالضم أو بالكسر) أي الرماح (كداء).
صفورة جمع صفر (طائر بصاد به). شقورة (ليست في القاموس). القصد: شقرة (أي هم أبطال
ولكن شقر: أفرج لا عرب). الحرسان أو الحرس: حرس صفالية اتخذهم خلفاء الأندلس، سموا
خرسا (لأنهم لم يكونوا يتكلمون العربية). خطبة (بفصد خطباء). أي يحسون الكلام بالحرسان
(بالضم أو بالكسر) جمع خرص (بالكسر): الرمح اللطيف (الفضي)، أي يجيدون القتال.
- (٥) الغاب جمع غابة. الغاب: العيب.
- (٦) كانت المنزعات للرجال ينصن على مداخل بيوتين راية ليعرفن. في هذا تعريض بزهاد بن أبيه،
وكانت أمه من صواحب الراية، أذى معاوية أن أباه أبا سفيان أتاها (غلب اسلامه) وأن زياداً كان
امته منها. وقد ألحقه معاوية، فبا بعد، بنسبه.
- (٧) سارة امرأة ابراهيم الخليل وأم إسحاق أبي اليهود.
- (٨) أبا وأبأة (بكسر الميم فيها): ضوء الشمس وحسنتها.
- (٩) غني الرجل أصبح غنياً وليس محتاجاً إلى شيء. الإمتبرق والسندس من الحرير. البيت: كساء من
صوف أو وبر. المقيط المتشّي (بليس شتاء وصيفاً). وهنا إشارة إلى أشهر من الرجز لأعرابي يذكر
أن له ثوباً واحداً يلبسه في جميع الفصول وقد نسجه هو من ست تعجات كانت عنده.
- (١٠) الحنيد: اللحم المسخن.
- (١١) الزهيد: القليل القيمة. المبيد: المختطل (لمر نبات صحراوي يشبه البطيخ، ولكنه أصغر حجماً ثم هو
مر).

مَعشَرَ الْبِدَاةِ الْعُدَاةِ، اعْتَقَدْتُمْ غُلًّا فَاسْتَنْتَرْتُمْ صِلَاً^(١).

.... أما علمتم ان الدولة النُوشَرَانِيَّةَ والدولة الأَرْدَشِيرِيَّةَ^(٢) بَقَرُوا أَجْوَافَكُمْ وَخَلَعُوا أَكْتَافَكُمْ^(٣) ثُمَّ عَطَفُوا وَرَأَفُوا وَمَلَكُوا الْحَيْرَةَ بِعَدِّ عَظِيمِ الْحَيْرَةِ قُلًّا ذُلًّا^(٤) تَتَخَيَّرُونَ الْبَنَاتِ عِنْدَ الْبَيَاتِ مَبْهُورَاتٍ لَا مَبْهُورَاتٍ^(٥). فَبَرَّيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ غَنَانَكُمْ وَنَعْمَانَكُمْ^(٦). وَكَانَ بَرُّهُ سَبَباً لِذَرِّهِ أَمَانَكُمْ^(٧)، فَأَصْبَحَ بَعْدَ جَرِّ الذُّيُولِ مَدُوساً بِأَخْفَافِ الْقُبُولِ^(٨). (هَذَا) وَالْكَرَامُ بْنُ الْأَصْفَرِ^(٩) الْأَظْهَرُ الْأَظْهَرُ عَطَفْنَهُمْ عَلَيْكُمْ الرَّحِمُ الْإِبْرَاهِيمِيَّةُ وَالْعُمُومَةُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ^(١٠) وَسَمَحُوا لَكُمْ مِنَ الشَّامِ بِأَقْصَى مَكَانٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنْ سَبِيلِ الْعَرَمِ^(١١) مَا كَانَ

فَلَا فَعَرَ، مَعشَرَ الْعُرْبَانِ الْغُرْبَانِ^(١٢) بِالْقَدِيمِ الْمُفْرَى الْأَدِيمِ^(١٣). لَكِنْ بَيْنَ عَمْنَا الْإِسْمَاعِيلِيِّ الْحَسَبِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ النَّسَبِ بِذَا النَّبِيِّ أَفَاخِرُ مِنْ يَفْعَرُ وَأَكَاثِرُ مِنْ تَقْدَمُ وَتَأْخِرُ أَصْلَى عَلَيْهِ عَدَدُ الرَّمْلِ وَمَدَدُ النَّمْلِ. وَكَذَلِكَ أَصْلَى عَلَى وَاصِلِي جَنَاحِهِ، سُيُوفُهُ وَرِمَاحُهُ، صَحَابَتُهُ الْكِرَامُ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ السَّلَامِ.

-
- (١) الْعُدَاةُ (سَكَانُ الْبِدَاةِ) الْعُدَاةُ (الْأَعْدَاءُ) اعْتَقَدْتُمْ (أَضَرْتُمْ) غُلًّا (حَقْدًا). الصِّلُ: الْحَبِيَّةُ.
 - (٢) نَسَبٌ إِلَى أَنْوَشِرْوَانَ وَأَرْدَشِيرٍ (مِنْ مُلُوكِ الْفَرَسِ).
 - (٣) كَانَ سَابُورُ (مَلِكِ الْفَرَسِ) يَلْقَبُ بِذَا الْأَكْتَافِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَجْلَعُ أَكْتَافَ الْأَسْرَى.
 - (٤) قَلَّلَ جَمْعُ قَلَالٍ (بِالضَّمِّ): قَلِيلٌ. ذُلًّا: مَذَلَّلِينَ.
 - (٥) الْبَيَاتُ (هُنَا): النُّومُ. مَبْهُورَاتٌ (حَائِضَاتٌ، تَفَنُّصُونِ). مَبْهُورَاتٌ (دَفَعَ مَهْرَهُنَّ (أَيَّ تَزَوُّجَهُنَّ) حِلَالًا).
 - (٦) بَرَّيْتُمْ بِكُمْ مِنْكُمْ (غَنَانَكُمْ وَنَعْمَانَكُمْ: الْمُلُوكُ الَّذِينَ جَعَلُوا بَنِي غَنَانَ وَبَنِي النَّعْمَانِ حُكَّامًا عَلَيْكُمْ).
 - (٧) دَرَّ أَمَانَكُمْ (الْمُلُوحُ: ذَهَابَ الْأَمْنُ عَنْكُمْ).
 - (٨) جَرَّ الذُّيُولِ (ذَيْلِ الثَّوْبِ): الْمَرَّ وَالتَّخَيَّرَ. مَدُوساً بِأَخْفَافِ الذُّيُولِ (إِشَارَةٌ إِلَى النَّعْمَانِ آخِرِ مُلُوكِ الْحَيْرَةِ الَّتِي اسْتَعْدَاهُ كَسَرَى إِلَيْهِ وَانْتَقَمَ مِنْهُ بِأَنْ أَلْقَاهُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْقَبِيلَةِ فَدَاسَتْهُ).
 - (٩) بَنُو الْأَصْفَرِ: الْيُونَانُ.
 - (١٠) الرَّحِمُ: الْقَرَابَةُ. إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ ثُمَّ ابْنُهُ إِسْحَاقُ أَخُو إِسْمَاعِيلَ، فَاسْحَاقُ عِمُّ الْعَرَبِ لِأَنَّ إِسْمَاعِيلَ أَبُو الْعَرَبِ.
 - (١١) لَمَّا انْفَجَرَ سَدُّ مَأْرَبٍ فِي الْبَحْرِ هَاجَرَتْ قِبَائِلُ بَنِيَّةٍ كَثِيرَةٌ نَحْوَ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ. الْعَرَمُ: الشَّدِيدُ.
 - (١٢) الْعُرْبَانُ (الْبِدَوِيُّ) الْغُرْبَانُ (السُّودَ الْأَلْوَانُ).
 - (١٣) الْمُفْرَى (الْمُقَطَّعُ) الْأَدِيمُ (الْمَجْلُدُ) كِتَابَةٌ عَنِ الذَّلِّ وَكَثْرَةِ اعْتِدَائِهِ النَّاسَ (عَلَى الْعَرَبِ).

- وفيما يلي أشياء من الردّ على هذه الرسالة:

من الذين ردّوا على ابن غرسية أبو جعفر أحمد بن الدودين لقيّه ابن بشار في الأشبونة (لشبونة عاصمة البرتغال اليوم)، سنة ٤٧٧ (١٠٨٤ م) واستملى منه شيئاً من نثره وشعره فأملأه - ممّا وصل إلينا - أبياتاً في الغزل المذكّر ليس فيها براعة معنوية خاصة ولا لفظية. وأمّا رسالته التي ردّ بها على ابن غرسية ففيها أشياء من المقدّرة اللغوية وصناعة البلاغة مع أشياء من المعرفة بالتاريخ والعلم. وفيما يلي مختارات من رسالة ابن الدودين (الذخيرة ٣: ٧١٥ - ٧٢٢):

اخساً، أنّها الجهول المارق والمرذول المناق. أين أمك، فككتك أمك^(١) أو ما علمت أنّها سحيت من عقالك لمقالك^(٢)، وقدّمت أولك قدّمك لسنك ديمك^(٣)... (تم) حبرت بحبرك لذهاب خبرك^(٤) فما حقيقة جوابك على خطّل خطابك الآ سنك عن إهابك^(٥) وصلبك على بابك، لو كان في الحضرة أقبال وحضرك رجال^(٦). لكنك بين همج هامج وزعاع مانج^(٧): «مذبذبين: لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء»^(٨)....

هل يجوز في التحصيل أو يصحّ في العقول أن يخمي قومك سروح شائهم وقد أباحوا فروج نائهم؟ أليس هذا عين المحال ومغالطة الجهال؟ فهلاً توهمت، يا فقي، الجواب قبل الخطاب وأبصرت الورطة^(٩) قبل السقطة؟

(١) المارق (الخارج من الإسلام).

(٢) القتال: الرباط الذي يحمي الإنسان. القتال (الرباط الذي ينجع الإنسان من الحركة).

(٣) أول ما عملته (من سب العرب): الكفر.

(٤) الخير (حقيقة الأمر - كلامك دلّ على أنك لم تبق سليماً).

(٥) الخطل: الفساد - فساد الرأي والعقل. سلبك (سحبك) من إهابك (جسدك): قتلك.

(٦) الحضرة: العاصمة أو المكان الذي أنت فيه. أقبال: ملوك (حقيقة). وحضرك رجال (هم رأي وعزيمة).

(٧) همج: جماعات الناس (كالتهاجم). هامج: بلا نظام، سائبون، فوضى. زعاع: جماعات لا انتظام لها.

(٨) من القرآن الكريم (٤: ١٤٣، النساء): «مذبذبين بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء».

(٩) الورطة: الحفرة العميقة، الوحل.

وأما ما قَفَعْتَ به وَوَعَوْتَ ^(١) من صواحبِ الرأيات ^(٢)، فهنَّ - وأبيك - بعضُ بناتِ الإبادة ^(٣)، فما عَجَبُنا مِنْ عَمَّا عَوَّدْتُموهنَّ مِنَ الْبَغَاءِ ^(٤) للاسْتِرْضَاءِ. فَكَثُرَ مَعْنَرُ الْعُرْيَانِ مِنْ وَلَدِ سَارَتِكُمُ الْإِمْنَانِ وَالْعُبْدَانِ ^(٥). وَفَيْكَ وَ (فِي) أَبِيكَ مِنْ ذَلِكَ أَصْحُ دَلِيلٍ وَأَوْضَحُ بُرْهَانٍ ^(٦).

وَأَمَّا لَوَكُنْهُمْ الْمُرُودُ ^(٧) فَأَوْضَحَ مِنَ السِّيرَاجِ الْوَهَّاجِ فِي اللَّيْلِ الدَّاجِ. لَكِنْ أَلْبَعُ بِذَلِكَ لُحْمَةً تُشْهَدُ بِذَاتِهَا عَلَى ذَوَاتِهَا: ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ تُعَدَّتْ أَنْ وَلَدَانَكُمْ قَدْ عَطَلُوا فِي بَعْضِ أَعْوَامِكُمْ سَوْقَ نِسَائِكُمْ. فَتَمَيَّ ^(٨) ذَلِكَ إِلَى مَلِيكِكُمْ فَحَكَمَ - أَكْرَمَ بِهِ مِنْ حَكَمٍ - أَنْ يُبَيِّحَ النِّسْوَانَ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ مَا أَبَاحَ الْوِلْدَانُ (مِنْ أَنْفُسِهِمْ). فَامْتَثَلْنَ ذَلِكَ، فَانْتَفَتِ الْحَالَانِ وَتَفَقَّتِ السُّوْقَانِ.

وَأَمَّا مَا عَيَّرْتَ بِهِ الْعَرَبَ مِنَ الْاِغْتِزَاءِ بِالْحَيَاتِ فَكَتَفَذَّيْكُمُ بِالْبِمَاءِ وَالْمَيْتَاتِ.... وَأَمَّا فَخْرُكَ بِالسَّرَائِعِ فَمِنْ أَيْدِعِ الْبِدَائِعِ. وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَأْخُذْ بِهَا عَنْ نَبِيٍّ. وَلَا نَقْلُوهَا عَنْ خَوَارِي ^(٩) إِلَى أَنْ أَصَارُوهَا فِي حَبِيرِ الْهَذْيَانِ. وَحَسْبُكَ بِهِمْ جَهْلًا أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ إِلَهًا نَبِيَّهُمْ، فَوَسَمَوْهُ بِالرَّبِّ الْمَعْبُودِ وَصَبَّرُوهُ - بَعْدَ - مَصْلُوبِ الْيَهُودِ. فَاعْجَبْ لَجَهْلِ يَجْمَعُ بَيْنَ هَذَيْنِ الطَّرَفَيْنِ. وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ عِيسَى يَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ لِحِسَابِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْعَرَضِ. فَمَا طُنُكَ يَفْعَلُ الْيَهُودِيَّةُ عَلَى مَا قَدَّمُوهُ، عَلَى رَعْمِهِمْ، إِذَا (هُوَ) نَاقَشَهُمُ الْحِسَابَ ^(١٠) ؟

(١) وعوى الكلب الخ: عوى وصوت.

(٢) صواحب الرأيات (انظر، فوق، ص ٦٨٥، الحاشية ٦.

(٣) الإبادة: ضوء الشمس، حسن النسي.

(٤) عا: مال، انحراف (خالف). البغاء: التكاثر غير المشروع، الزنا.

(٥) كثر سبل العريان (البدون) من بنات سارة (امرأة إبراهيم وام اسحاق): اليهوديات. الاموان والعبدان: الارقاء من الإناث والذكور.

(٦) ومثابة جماعات من اليهود للعرب دليل على ذلك.

(٧) لآك الشيء: حركة في فمه كأنها يريد أن يعضه. المرء: الصلب الشديد، عضو الرجل.

(٨) تمى: رفع (نقل الكلام إلى....)

(٩) الخواري: الصاحب (من أتباع الرسل خاصة).

(١٠) عادا يدافع اليهود عن أنفسهم إذا نزل عيسى لحساب البشر وسأل اليهود عن دعواهم قتله.

والآن تذكرتُ سائقَ أبي غُبَّان^(١) - وما أنسانيه إلا الشيطان^(٢) - ذلك الذي به طُنْتُ ومن قضيتَه عَطَمْتُ. وليس الأمرُ كما نوهمتُ. وأبو غُبَّانُ إِنَّمَا باعَ خِدْنَتَهُ في النِّيتِ. وهنَّها وَصْنَةٌ سَمِيهَا العَرَبِيُّ، فإن تَقَعُ (بالإضافة إليها) قَضِيَّةُ إِمَامِكُمْ يَهُوذَا^(٣) الحواريُّ، إذ باعَ نَبِيَّه رُوحَ الْقُدُسِ بِالْأَفْلَسِ. فكذَّبَ اللهُ ظَنَّهُ وأغوى نَبِيَّه^(٤). فدونك: ضَعَّ قَضِيَّةَ سَمِيهَا في كَبَّةِ^(٥). وفي أخرى قَضِيَّةَ إِمَامِكُمْ (تم) رَجَعَ بينهما.

وما كان أغناكَ، يا كُناحِمُ^(٦). عن كُشفِ غُورَاتِ آلِكَ الأعاجِمِ؟ لكنَّ ضَعْفَ نظركَ حَدَاكَ إلى هَذَرِكَ^(٧). وسوءُ أدبِكَ وأغَى بك على عَطِيكَ. نَسَأَلُ اللهَ بَتَرًا يَمْتَدُّ ووجهًا لا يَسُودُّ.

* ومن الذين ردُّوا أيضاً على ابنِ عَرَسِيه أبي الطَّيِّبِ عبدُ المُنعمِ القُرَويُّ (القُيُروانيُّ) المُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٩٣ (١٠٩٩ - ١١٠٠ م) دخلَ إلى الأندلسِ وحدثَ في الجانبِ الشرقي منها. وردُّ أبي الطَّيِّبِ القُرَويِّ بارِعٌ جداً. ويبدو أنَّ ثقافته العامَّة كانت واسعةً. وفيما يلي مختارات من رسالته الطويلة في هذا الموضوع (الذخيرة ٣: ٧٢٢-٧٤٦):

.... أُنْهِيَ الفَاخِرُ بَزْعَمَهُ بلي الفَاخِرُ بَرُغْمَهُ، ما هذه البَسَالَةُ في الفَسَالَةِ^(٨)؟ ما هذه المِجَارَةُ على المِجَارَةِ؟ لقد نَجَرَّتْ وَمِنْ المِلَّةِ تَبَرَّأتْ^(٩).... فأخبرني عنكَ: أما كانتْ

(١) أبو غُبَّان كان له نصيب في خدمة البيت (الكعبة) فباعه في أثناء سكره.

(٢) القرآن الكريم (١٨: ٦٣، الكهف).

(٣) يهوذا الاسخريوطي كان من أتباع المسيح الاثني عشر الأوائل فعُتِمَ المسيح بأن دُلَّ اليهود الرومان عليه حتَّى قبضوا على المسيح.

(٤) أراد اليهود لعيسى أن يقتل ويصلب، ولكن الله نجاه ورفعهُ إليه.

(٥) للميزان كَقَتَانِ.

(٦) كُناحِم: اسم علم (فارسي). يا كُناحِم (يا من يدعي نسبة إلى غير العرب)

(٧) حدا: ساق، دفع. الهذر: حفظ الكلام (الكلام الفُتُّ الساقط: لا معنى له).

(٨) السالة: الشجاعة. الفسالة: سوء الرأي (المسولة بالضم: قلة المروءة).

(٩) المِلَّة: الدين (الإسلام). تَبَرَّأتْ (تخلَّيت عنه، وهذا مما يدلُّ على أن الذين ردُّوا على ابنِ عَرَسِيه اعتقدوا أن رسالته الشيوعية قد أخرجه من الإسلام إلى الكفر).

للعرب (عليك) يَدُ تَشْكُرُهَا وَمِنَّةٌ تَذْكُرُهَا؟ أَمَا جَبَّرْتَ نَفِيسَتَكَ؟ أَمَا رَفَعْتَ خَبِيسَتَكَ؟ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيداً^(١)؟ أَلَمْ تَتَّخِذْكَ نَلِيداً^(٢)؟ أَلَمْ تُغْنِ بِتَخْرِيجِكَ وَتَدْرِيجِكَ؟ أَمَا أَنْطَقْتِكَ بَعْدَ الْعُجْبَةِ؟ أَمَا أَسْلَقْتِكَ عَقَبَ اللَّكْنَةِ^(٣)؟ حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ كَاهِلُكَ^(٤)، وَبَلَغَ جَاهِلُكَ، وَقَوِيَ سَاعِدُكَ وَرَقِيَ صَاعِدُكَ، كَفَرْتَ نِعْمَتَهَا لَدَيْكَ وَنَثَرْتَ عِصْمَتَهَا^(٥) مِنْ يَدَيْكَ؟ أَحِينَ فَكُنْتُ أَسْرَكَ.... نَاهَضَتْهَا بِجَاهِهَا وَجَاهَضَتْهَا بِكَلَامِهَا^(٦) وَرَمَيْتَهَا بِسَهَامِهَا:

أَعْلَمُهُ الرِّمَانَةُ كُلَّ يَوْمٍ، فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي^(٧).

وَهَاتِ أَرْنَا مَفَاخِرَكَ نُزِكَ مَسَاخِرَكَ.... لَيْسَ لِلسَّخَاءِ فِي الرُّومِيَةِ اسْمٌ وَلَا لِلوفاءِ فِي الْعَجْمِيَةِ رَسْمٌ^(٨). أَيْنَ أَنْتَ عَنِ السُّرْرِ الْقَمَرِ^(٩)؟ الْبَيْضُ غُرُوراً وَصِفَاحاً السُّودُ طُرُوراً وَأَوْضَاحاً^(١٠).... قِمَمٌ مِنَ الْعَانَمِ وَهِمَمٌ مِنَ الْغَانَمِ، سَعَرُوا عَلَيْكَ نَارَ الْحَرْبِ بِتِلْكَ الْأَيْتِي الْجُرْبِ فَكَسَرُوا أَكَابِرَتَكُمْ وَقَصَرُوا قِبَاصِرَتَكُمْ.

وَالْعَرَبُ....، إِنْ فَاخَرْتَهَا فَيَغْيِرِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ، وَلَكِنْ بِالطَّيْعَانِ وَالضَّرِابِ.... وَمِنَ الْآيَاتِ ذِكْرُ صَوَاحِبِ الرَّايَاتِ، وَالْمُبَاضِعَةِ عِنْدَكُمْ كَالْمُرَاضِعَةِ، مَا

(١) راجع القرآن الكريم (٢٦: ١٨، الشعراء): أَلَمْ نُرَبِّكْ (الجماعة المتكلمين) فِينَا وَلِيداً...؟

(٢) التليد: القدم (اتَّخَذْتَكَ مِنْذُ زَمَنٍ قَدِيمٍ؟).

(٣) أَمَا أَنْطَقْتِكَ (بالعربية) بَعْدَ الْعُجْبَةِ (الكلام الأجنبي) أَسْلَقْتَكَ (ليست في القاموس بمعنى موافق، لعلَّ القصد: جعلت لك سليفة الكلام بالعربية). اللَّكْنَةُ: صغوبة الكلام بالعربية.

(٤) الكاهل: ما بين الكتف والعتق (كتابة عن بلوغ الرجولة والقوَّة).

(٥) نَثَرْتَ (خَلَمْتَ) عِصْمَتَهَا (رباطها)... تَخَلَّيْتُ عَنْ أَهْلِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

(٦) نَاهَضَ: قَامَ. جَاهَضَ: مَانَعَهُ مِنْ بُلُوغِ مَرَادِهِ، قَاوَمَ.

(٧) اسْتَدَّ سَاعِدَهُ (أَصْبَحَتْ يَدُهُ مَدِيدَةً: تَصِيبُ الْمَدْفِ).

(٨) رَسْمٌ: صُورَةٌ (حَقِيقَةٌ، فِي مُقَابِلِ «اسْم»). الْعَجْمِيَّةُ (لُغَةُ نَصَارَى الْأَنْدَلُسِ).

(٩) الْأَمْرُ: الْأَبْيَضُ الشَّيْبُ بِالْقَمَرِ.

(١٠) الْغُرَّةُ: مَقْدَمُ الرَّأْسِ. الصَّنِيعُ (بِالْفَتْحِ): جَانِبُ الْوَجْهِ. الطَّرْفَةُ: الشَّعْرُ الْمُتَشَوِّعُ عَلَى الْجِهَةِ. الْأَوْضَاحُ (جَمْعُ لَا مُفْرَدَ لَهُ): كَثْرَةُ النَّاسِ. أَوْ جَمْعُ وَضَحٍ (بِفَتْحٍ فَتَحَتْ): الْغُرَّةُ.

في الشكر^(١) عندكم نكرو تبيحون ولوج العلوج على بدور الحدوج^(٢). والزنا عندكم سنا، وقجار بينكم فجار^(٣): تقتادونهن وتستأذنونهن^(٤). فكيف أنكرت ما ذكرت وسرفت^(٥) ما عرفت وأنت على سنن تلك السن^(٦)؟....

وعلام جئت أصلك من الأنباط وأزحت فصلك عن الأقباط^(٧)؟ ما كان ذنبهم إليك وجنابتهم عليك حتى أخرجتهم من جملة الأعاجم ونقيتهم عن جنبة أصحاب التراجم^(٨).... هذا على اتصال نسبك برومان^(٩). فإن كنت من ولد كنعان فما أبعد دارك وأشحط مزارك وأطمس آثارك^(١٠). وأما الخيل فاصح العرب بركوبها ووثوبها، وخل بينهم وبين عيوبها^(١١).... الخيل حرث العرب وحصادها وعذبها وإرصادها^(١٢). ليست أمة من (جميع) الأمم الأعجمية تنازعها ذلك ولا تدافعها عنها: تسميها بأسائها وتسيبها إلى آباؤها وتعرفها بأصواتها وتؤثرها^(١٣) بأقواتها. وإنك لتعلم

(١) المباشرة: الصلات الجنسية. المراجعة: أن يرضع الأطفال معاً (من مرضع واحدة). الشكر (يفتح فسكون): عضو المرأة. التكاثر.

(٢) ولوج: دخول. العلج (الأجنبي). الحدج (بالكس): مركب المرأة (في المودج).

(٣) سنا: ضوء القمر (شيء ممدوح محبوب). فجار (بالبناء على الكسر، مرفة): العجور (يقال للمرأة السيئة: يا فجار).

(٤) تقتادونهن (بالأجرة). وتستأذنونهن (بالصدقة)؟؟

(٥) سرف (يفتح فكس): اعمل، أغفل.

(٦) السن (يفتح ففتح): نبح، منهج. السنة (بالضم): الطريقة.

(٧) جث: قطع. الأنباط (فرع من الآراميين في العراق والشام) والأقباط (فرع من الأعرابيين) في مصر. والأنباط والأقباط ظلوا نصارى، وإن كان أصلهم من الأعرابيين (أشتاء العرب). لذا تيرأت من الأنباط والأقباط وهم نصارى مثلك (في الأصل)؟

(٨) جنبة: جانب. ناحية. أصحاب التراجم (الترجمة: تاريخ حياة شخص)؟؟

(٩) رومان: الرومان (نصاري أوروپة يومذاك).

(١٠) كنعان: الأعرابيون سكان الأراضي المنخفضة الساحلية (سأهم اليونان فينيقيين). أشحط: أبعد. الآثار المظومة (المحوة المنسية).

(١١) العرب تعرف عيوب غيلها (وعاشنها) أكثر منك.

(١٢) الحرث: الزرع. الحصاد: قطع الزرع (الخيل يبدأ عمل العرب ومنتهاه). المدة: وسيلة العمل (السفر، الحرب الخ). الإرصاد (بكسر الهمز): أعداد الخيل للحرب أو للسباق.

(١٣) تؤثر: تفضل.

أَنْ خَيْلَهُمْ أَشْهُرُ مِنْ مُلُوكِكُمْ أَسْبَهُ وَأَلْقَاباً وَأَطْهَرُ مِنْ نَسَائِكُمْ أَنْسَاباً وَأَعْقَاباً^(١)، قالوا: بناتُ أَعْوَج^(٢)، وداحسٌ والغبراءُ، والنعامَةُ والشَّعَاءُ، وحافلٌ والشَّعَاءُ، وأسْلُوها كثيرةٌ وألقابها شهيرة. وَلَقَدْ لَنَا مِنْ خَيْلِ آبَائِكَ الْأَوَّلِينَ وَأَفْرَاسِ أَسْلَافِكَ الْأَقْدَمِينَ قَرَساً مشهوراً وفارساً مذكوراً. فَإِنْ أَتَيْتَ بِذَلِكَ شَهِدْنَا وَأَمَّا....

وكيف استَجَزْتَ، على فَضْلِكَ الباهرِ وشرفك - بزعمك - الظاهر، أَنْ تَسْتَعِينَ على فخرِكَ بغيرِ الحقِّ وتلجأ في نهْوَكَ إلى غيرِ الصِّدْقِ؟ هل كان النُّمَانُ الْأَمَلِكُ أملاكِ وشمسُ أفلاك: أصله عريقٌ وفَرْعُه وَرِيْقٌ^(٣). اتَّخَذَ نَعْمُه جَبَّاراً ودون العرب حِجَازاً^(٤). نزل الحِيرةُ وأنتم له حِيرة... قد كَفَّأَكُمْ العربَ جماعاً من جَلَّقَ إلى صنعاء^(٥): يَذُبُّ عَنْكُمْ بِمَالِهِ واحْتَالَهُ^(٦) بعد عَقْدٍ مُؤَكَّدٍ وعَهْدٍ مِنْكُمْ مُؤَيَّدٍ. وَأَجَارَتْ العربُ مَنْ أَجَارَ وَأَغَارَتْ على مَنْ أَغَارَ. وَحَسَنْتَ حَالُ الْفُرْسِ بِكَانِهِ وَعَزَّتْ بِسُلْطَانِهِ^(٧). فَلَمَّا شَخَّحَ على أَعْلَاجِكُمْ وامتنع من زَوَاجِكُمْ^(٨) - ولم تَكُنِ العربُ تَزْوَجُ أَحْفَاها أو يَكُونُ مِنْ أَكْفَاها^(٩). فقال لباغِي السَّوَادِ: عَلَيْكَ بِبَقَرِ السَّوَادِ^(١٠). فَاسْتَرْزَمُوهُ وَغَرَزَمُوهُ^(١١). فكيف رأيتم غضبَ العربِ لثأرِها وطلبَها لأوثارِها؟ أَلَمْ

-
- (١) أعقاب جمع عقب (بفتح فكسر): نسل.
(٢) أعوج، داحس، الغبراء: أسماء خيل مشهورة.
(٣) عريق: قديم، كريم. وريق: كثير الورك، أخضر، جميل (كثير العدد).
(٤) حَبَّاراً: قوياً مستبداً بين محكم. حِجَاز: فاضل (جعل الفرس أمانة المأذرة (أسرة النعمان) في العراق فاصلاً بين بدو شبه الجزيرة وبلاد فارس).
(٥) جَلَّقَ (في حوران في الشام)، وصنعاء؟ (عاصمة اليمن).
(٦) احتال: طاقته، مقدرته (بأقصى ما يستطيع).
(٧) قَوِيَّ الفرس (لَمْ أَسْتَوْا مِنْ غَارَاتِ الْبَدُو عَلَى حُدُودِهِمْ).
(٨) طلب كسرى بن النعمان أَنْ يرسل إليه زوجة عربية فلم يفعل النعمان ذلك.
(٩) أَحْفَاها (أكرمها؟) أَكْفَاها = أَكْفَاها جمع كَفَو (ند، مائل). كانت العرب لا توافق على زواج أحد بأسرة من نساها (ولو كان كريم الأصل) إلا إذا كان مماثلاً لها.
(١٠) باغي (مستبد، ظالم = كسرى) السواد (سواد العراق: جنوب العراق). البقر: الغزال (كتابة عن النساء الجليلات). كان النعمان قد قال: «عين» (يكسر العين) الواسعة العينين من النساء، فنقلت الجملة إلى كسرى بمعنى البقرة أنثى الثور لا الغزال.
(١١) غَرَزَ: خدع.

نَصَبَكُمْ بِنْدِي قَامَ^(١) صَدَمَةُ ذِي احْتِقَارٍ، فَأَدْرَكْتُ فِيكُمْ رِضَا الرَّحْمَنِ وَأَخَذْتُ بِشَارِ النُّهْمَانِ. وَطَحَّطَحْتُ^(٢) بَنِي سَاسَانَ وَآلَ كَاسَانَ^(٣). وَلَمْ تَقُمْ لِلْفَرَسِ بَعْدَهَا قَائِمَةٌ وَلَا رَعَتْ لَهَا سَاقَةٌ^(٤). وَلَمْ تَزَلِ (الْفَرَسُ) فِي قَوَاصِفَ تَتَقَاذَفُ وَعَوَاصِفَ تَتَرَادَفُ^(٥) حَتَّى نَمَّ اللَّهُ أَقْنَتَهَا وَاسْتَأَصَلَ الْإِسْلَامَ شَاقْنَتَهَا^(٦).

وَفَخَّرَتْ بِالرِّيَاضِيَّةِ وَالْأَرِيْضِيَّةِ^(٧). صَدَقَتْ وَنُبِتَ عَنِّي فِي الْجَوَابِ.... وَالْمَوْسِيقَى وَهُوَ عَلَّمَ فَنُونَ اللَّحُونِ بِالْمَجْمَرِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ مُجْهِفَةٌ وَضُرُورَةٌ مُعْجِفَةٌ^(٨)، لِعَجْزِ طِبَاعِهِمْ عَنِ الْأَوْزَانِ وَقِلَّةِ انْسَاعِهِمْ فِي (هَذَا) الْمَيْدَانِ^(٩) لِأَنَّ لُغَاتِهِمْ قَلِيلَةٌ وَقَوَاهِمُ كَلِيلَةٌ لَا تَسْتَجِيبُ إِلَّا بِوَسَائِلَ وَلَا تَسْتَقِلُّ إِلَّا بِسَائِلَ^(١٠). لَيْسَ عِنْدَهُمْ شِعْرٌ مُوزُونٌ وَلَا كَلَامٌ مَرصُوعٌ^(١١). وَلُغَةُ الْعَرَبِ وَاسِعَةٌ الْعِبَارَاتِ نَاصِعَةُ الْإِشَارَاتِ، لَهَا الشِّعْرُ الْمَوْزُونُ وَالنَّظْمُ الْمَكْتُونُ وَالْكَلَامُ الْمَنْشُورُ وَالسَّجْعُ الْمَأْتُورُ^(١٢) وَالرَّجَزُ الْمَشْطُورُ وَالْمُزْدَوِجُ الْمَبْتُورُ وَالْمَوْشَعُ وَالْأَطْوَاقُ وَالْقَلَانِدُ فِي الْأَعْنَاقِ وَالْحِمَّاتُ وَالْمَرْبَعَاتُ^(١٣)... (وَلَهُمُ) الْأَهْزَاجُ وَالْأَرْمَالُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ: كَالرَّكْبَانِي وَالْأَعْرَابِي، وَالنَّصْبِي وَالْمَدَنِي، وَالثَّقِيلُ

(١) دو قار: معركة اجتمع فيها العرب على قتال الفرس (١٣) قبل الهجرة - ٦١٠ م) وانتصروا.

(٢) طحطح: فرق، أهلك، شتت.

(٣) آل ساسان وآل كاسان (الفرس). كاسان (ليست في القاموس).

(٤) الساق: البهيمه ترعى في الغلاء.

(٥) قواصف (رعود) تتقاذف (يقذف بعضها بعضاً: تقع في كل جانب). تترادف: تتنايع.

(٦) استأصل شاقنتها (أزالها من أصلها).

(٧) الأريضية... (٢)

(٨) مجحف: شديد الضرر. ضرورة (فقر) معجف (يجعل الإنسان مهزلاً ناعلاً).

(٩) في هذا الميدان (القناة).

(١٠) كليله: ضعيفه. تستقل بسائيل: لا تستطيع إلا الأمور البسيطة (السهلة، الهبّة).

(١١) مرصون: كامل محكم. في هذا المقطع ينظر عبد النعم الفروي إلى اللغة الأعجمية (لغة نصارى الأدلس التي كانت لا تزال في ذلك الحين لهجة قاصرة متقهرة، من اللغة اللاتينية).

(١٢) المأثور: المروي. المكنون: المنسور، الخبأ (لغيره).

(١٣) الرجز المشطور: الذي يتألف من أشطر متوالية كلها على روي واحد. المزدوج النح: أنواع من الأوزان والقوافي. القلادة: العنق (كتابة عن جودة القصائد العربية التي هي كالمنقود التي توضع في الأعناق).

الثاني، والماخوري والسُرَجِي^(١).... وهي كثيرةٌ نُسِيَتْ مَعَهَا الارغن والслиاق والصنج والكنكلة والقندورة والقبشارة^(٢) فلا يُعرَفْنَ ولا يُؤلَفْنَ^(٣).

وما أَظُنُّ مَعْبَدًا والفريضَ وأشعَبَ وطُونيًّا وابنِ سُرَيْجٍ وابنِ مُخْرِزٍ والمَيْلَاءِ وَبُضْصَا^(٤) قرأوا قطُّ موسيقى ولا سمعوا بفوطيقا^(٥). فاعْرِضْ، إِنَّ شَتَّ، أَلْهَانَهُمُ المطبوعة على أَوْزَانِكِ المصنوعة^(٦) (ثمَّ) أَظْهِرْ (إِنْ اسْتَطَعْتَ) غَلَطَهُمْ فِي التَّنْغَمِ وَخَطَأَهُمْ فِي التَّرْتُمِ.... وقد كان منهم مَنْ إِذَا غَنَى تَنَتِ الْوُحُوشُ أَجْيَادَهَا وَفَارَقَتِ اعْتِيَادَهَا^(٧)، وَعَقَفَتْ خُدُودَهَا وَتَرَكَتْ سُرُودَهَا، مُصْغِيَةً إِلَيْهِ مُقْبِلَةً عَلَيْهِ^(٨). فَإِذَا قَطَعَ عَاوِدَتْ نِفَارَهَا وَطَلَبَتْ أَوْكَارَهَا. هَذَا فَعَلَّ الْأَوَابِدُ وَالْوُحُوشُ الشَّوَارِدُ^(٩)، فَمَا طَنُكَ بِالْقُلُوبِ الرَّقِيقَةِ وَالْبَطْنِ الرَّشِيقَةِ؟ وَلَقَدْ آلَفَ الْإِسْلَامِيُّونَ فِي الْأَغَانِي وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ الْمَعَانِي مَا إِنَّ نَظْرَتَ بَيْتَرٍ وَحَكْمَتَ بَعْدِلٍ وَقَفَتْ عَلَى الْفَضْلِ فِي هَذَا الْفَصْلِ^(١٠)؛ وَلَمْ تُخَوِّجْكَ الْعَصَبِيَّةُ وَالنَّفْسُ الْفَضْبِيَّةُ^(١١) إِلَى شَهَادَةِ الزَّوْرِ وَالْجَوْرِ الْمَازُورِ^(١٢)..

* وَمَنْ الذَّنْبُ قِيلَ إِنَّهُمْ رَدُّوا عَلَى ابْنِ غَرْسِيهِ ابْنَ عَبَّاسٍ (الذخيرة ٣: ٧٤٦ - ٧٥٧) ثُمَّ يَسْبِقُ الظَّنُّ إِلَى أَنَّهُ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ عَبَّاسٍ كَاتِبُ زُهَيْرِ الْفَقِي الْمُسْتَبِدِّ

- (١) المِزْج والرمْل (هنا): من أنواع الغناء. الرِكْبَانِي..... السُرَجِي: (سنة لابن سريج: مغل مغن مشهور توفي ٩٨ هـ) من طرائق الغناء وأصاليه.
- (٢) الأرغن... الخ: آلات موسيقية مزجية.
- (٣) لا يعرفن (لا يعرفن أحد في ذلك الحين) ولا يؤلفن (لا يستضيفها أحد إذا سمعها).
- (٤) معبد الخ: مغنون وملحنون عرب مشهورون (عزة الميلاء وبصيص منيستان).
- (٥) فوطيقا أو بوطيقا (غن الشعر) واسم كتاب لأرسطو في قواعد الشعر.
- (٦) المطبوعة: الطبقية (المجارية على السليقة). المصنوعة: المصطنعة التي فيها تمكّل.
- (٧) تننت (لغنت) أجيادها (أغناها) لتستمع إلى الغناء.
- (٨) الشُّرُود: التفار، التفور. مصغية: مائلة (مستعجة).
- (٩) الأبدية: الحيوان يقيم في أرضه (لا يقترب من مساكن الناس). الشاردة: الحيوان الذي يهجر إذا هو شعر بدنو إنسان.
- (١٠) الفضل: الريادة (في البراعة). الفصل (جانب من الغناء: الغناء العربي).
- (١١) النفس الغضبية (في الفلسفة): العاطفية (التي بها يغضب الإنسان ويمرض).
- (١٢) الجور: الظلم. المأزور: الذي يحمل صاحبه وزرا (ذنباً).

بأمر المَرِيَّة (راجع الذخيرة: ٣: ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٤) مُنْذُ سَنَةِ ٤١٩ (١٠٢٨ م). وكذلك خدم أبو جعفر بنُ عَبَّاسٍ هذا عبد العزيز صاحبَ بِلْنَسِيَّةَ كاتباً (ووزيراً)، وكان عبد العزيز قد تولى بِلْنَسِيَّةَ من سَنَةِ ٤١٢ إلى سنة ٤٢٩ (١٠٢١ - ١٠٣٧ م) - راجع الذخيرة: ٣: ٢٥٠. وفي فهرس القسم الأول من كتاب الذخيرة (ص ٩٥٤) اسم «أبو جعفر أحمد بنُ عَبَّاسٍ الوزير «مُحالاً على «أحمد بنِ عَبَّاسٍ الوزير». ولكن الاسم المُحال عليه لا يظهر - مع الأسف - في هذا الفهرس.

وفي الإحاطة ترجمةٌ مفصلةٌ لابي جعفر أحمد بنِ عَبَّاسٍ بنِ زكريا الأنصاري الوزير (١: ٢٦٧ - ٢٧٠). كان مولدُ ابنِ عَبَّاسٍ هذا سَنَةَ ٣٩٧ (١٠٠٦ - ١٠٠٧ م) ثم دَخَلَ في خدمة نفرٍ من ملوك الطوائف في المَرِيَّةَ وبِلْنَسِيَّةَ، في الكتابة والوزارة، وجمَعَ - على صغر سنِّه ثروة طائلة (قيل خمسمائة ألف مثقال من الذهب) ومكتبة عظيمة (قيل أربعمائة ألف مجلدٍ كامل). وأما المُجلَّدات المخرومة التي تنقصُ صفحاتُ من أماكن مختلفة فيها فكانت أكثر من ذلك كثيراً). وكذلك كان ابنُ عَبَّاسٍ هذا أديباً شاعراً ناثراً حسنَ الكتابة جميلَ الخطِّ، كما كان فاحشَ البُخل فاحشَ الإعجاب بنفسه ومعروفاً أيضاً بسوء الخُلوة.

وفي سَنَةِ ٤١٩ (١٠٢٨ م) توفي خيرانُ صاحبُ مَرْيَسِيَّةَ فصار الأمرُ إلى أخيه زهير (البيان المغرب ٢: ١٦٦) وكان الذي قام بهذا الترتيب بين أهل الدولة أحمد (بن عَبَّاسٍ) بنُ أبي زكريا الوزير (أعمال الأعلام ٢: ٢١٦، راجع الفهرس، ص ٣٣٩ من أجل زيادة «ابن عَبَّاسٍ»). في هذه الاثنه كان حَبُوسُ ملكُ غَرْناطة قد مات (سنة ٤٢٧) وقام بالأمر بعده ابنه باديسُ. (البيان المغرب ٢: ١٩١). ثم وقعت الحربُ بين زهير وباديس (البيان المغرب ٢: ١٦٧)، وكان أبو جعفر أحمد بنُ عَبَّاسٍ هو الذي حصَّن زهيراً على هذه المُغامرة (البيان المغرب ٢: ١٧٠، ١٧١، ٢٩٣)، فالتقى الجيشان في قرية يقال لها أَلْفُونْت على نحو أربعة أميالٍ من غَرْناطة (البيان المغرب ٢: ٢٩٣) فانهزم زهير ثم قُتِلَ، في آخر يومٍ من شَوَّالٍ من سَنَةِ ٤٢٩ (البيان المغرب ٢: ٢٩٣). وفي هذه المُعركة وَقَعَ ابن عَبَّاسٍ في الأسر وسُيِّقَ إلى باديس في غَرْناطة، فسجَّنه باديسُ مدةً ثم قتله في سَنَةِ تسع وعشرين (البيان المغرب ٣: ١٩١) وأربعمائة.

وفي البيان المغرب ما يمكن أن يدلّ على مقتل زُهَيْرٍ وأحمد بن عباس في يوم واحد (راجع ٣ : ١٧١ ، ١٧٢ السطر ١٠). وفي الإحاطة (١ : ٢٧٠) أن مقتل أحمد بن عباس كان في الواحد والعشرين من ذي الحجة من سنة سِتِّينَ وعشرين (كفاً وأربعاً).

وفي «نفع الطيب» (١ : ٤٢٠ - ٤٢٣) نقلاً عن «المطمح» حديث جَرَى في أيام الحاجب المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢) يتناول جعفر المصحفي (قُتِلَ ٣٧٢) يُبدي الوزير أحمد بن عباس فيه رأياً. وفي «نفع الطيب» أيضاً (٣ : ٥٣٥ - ٥٣٦) كلام على أشباه من ترجمة «الوزير الكاتب أبي جعفر أحمد بن عباس وزير زُهَيْر الصَّقَلِيّ» وعلى أشباه من عناصر شخصيته وخصائصه الأدبية. وكذلك نجد في «نفع الطيب» (٣ : ٦١٠ - ٦١١) ذِكر مجلس يجتمع فيه أبو عامر بن شهيد (٣٨٢ - ٤٢٦ هـ) وابن بُرْدِ الأكبر (تُوفِيَ سنة ٤١٨) والأصغر (تُوفِيَ سنة ٤٤٠ هـ). وحضر هذا المجلس الوزير أحمد بن عباس.

وليس في نفع الطيب ولا في الإحاطة ولا في أعمال الأعلام ذِكرٌ لردِّ للوزير أبي جعفر أحمد بن عباس على ابنِ غرسية. وليس من المعقول أن يكون للوزير ابن عباس هذا (ت ٤٢٩) ردٌّ على مقالٍ تُوَفِّيَ صاحبه بعد سنة ٤٧٧ هـ.

ويُصِيبُ إحسانُ عباس (الذخيرة ٣ : ٧٥٥، الحاشية) في التساؤل عما إذا كان هنالك شخصان بهذه الكُنية «أبي جعفر».

إن الذي يبدو من الاستعراض المُفَصَّل الذي سَقَّ يُجِيزُ أن يكون هنالك أشخاصٌ تَنَفَّقَ كُناههم وأسمائهم وألقابهم (في الكتابة أو الوزارة). وجيئ القرائن تدلّ على أن الوزير أبا جعفر أحمد بن عباس المقتول سنة ٤٢٩ يصُوبُ أن يكون صاحب الردِّ على ابنِ غرسية المُتَوَفَّى بعد سنة ٤٧٧.

* وفيما يلي مختارات من الرد الذي صنعه ابن عباس - كاتباً من كان ابن عباس هذا - اعتياداً على رواية ابن بشار الشنتريني في هذا الشأن (الذخيرة ٣ : ٧٤٦ - ٧٥٤).

هذا الردُّ أدنى مرتبة من الردِّين الآخرين: لا يمتازُ بمجدي ولا يدلُّ على براعة ثقافية خاصة. وهو يدورُ في الأكثر على الجدال اللغوي والشواهد الأدبية وعلى كثير من الإشارات التاريخية والعلمية (الفلكية مثلاً) والتي تُرجعُ إلى الخصائص اللغوية.

قال ابن عباس:

عليك السلام لا السلام - تحيةً لك لا هديةً لك^(١) - يا ذا الوسن لا السن، واللكن لا الركن^(٢)، وابن المراغة لا البلاغة المزري^(٣) بولاء مواليه، المغري بهاجر وقد نسي أرقه مواليه^(٤).... أما هالك ما أضناك وأمالك عن اللهج بآل ذي حسان وحللة الماء من غسان^(٥)؟ أو ما أجز منك اللسان ما في عنقك من المن والإحسان^(٦)؟ على أنك استغنيت بنعك حين أبغيت فأفطعنهم ملك البلاد والحسب التلاد^(٧) وموارد الشرف والأعداد، السامين على الأنداد النامين بالآباء والأجداد^(٨) من عدانٍ عادٍ وعادٍ شداد^(٩)... (والعرب هم) ذوو الفطن والجسم والآراء والمجد العم^(١٠) والعلم بالأفلاك والرصد في الأخلاق^(١١).... أخذوا على البدر شائها سفره

-
- (١) السلام (بالكسر) جمع سلمة (بفتح فكس): الحجر. الآل: الأهل. والآك: (الأولى): مرسل الرسالة. لك (الثانية): أهلك. والمعنى المقصود غامض.
 - (٢) الوسن: التعاس. السن: الفصاحة. حسن الحديث. اللكن: صعوبة الكلام.
 - (٣) المراغة: الأنان، الحمار. المزري العائب (المتكلم في المايه).
 - (٤) الولاء: القراية، الحبة. الموالى (بالضم): التابع، المقندي. المغري: الحرص. هاجر: امرأة إبراهيم وأم اسماعيل (جدة العرب). الموالى (بالفتح) جمع مولى: سيد.
 - (٥) هالك: أغزك. أضناك: ألزك الفراش من الضنى (شدء المرض). اللهج: تكرار الكلام المتأخرة عليه (في جهاه الآخرين ٢٢)....
 - (٦) إن للعرب فضلاً كبيراً عليك، ولكنتك لم تذكر ذلك.
 - (٧) ويبدو أنك قد استفدت من الانتساب اليهم فأبقيت (كانت فيك بقية من غير ومعرفة للجميل) فأشرت إلى اتساع ملكهم وإلى حسيهم (أعمالهم الكريمة) التلاد (القدية).
 - (٨) النامين (المرتفعين).
 - (٩) عدان: ساحل البحر وحافة النهر (أهل الحضرة).
 - (١٠) الصم: الصم، العامّ الشامل.
 - (١١) الأفلاك: مدارات الكواكب (علم النلك). الحلك: الظلام (الليل).

وَنَقَضُوا عَنْ مَكَانٍ سَرَّهٖ ^(١) ، وَقَدَّوْا قُلَامَتَهُ مِنْ ظُفْرِهِ ^(٢) ، وَأَذَلُّوْا الذُّكُوْا بِالرِّشَاءِ
وَحَلَّوْا لِلْحَوْتِ سَرِيَّةً حَيْثُ شَاءَ ^(٣) ، وَقَلَّدُوا التَّقَرَّبَ لِإِبْرَتِهِ وَالْأَسَدَ زُبْرَتَهُ وَرَاشُوا مِنْ
الطَّائِرِ قَوَادِمَهُ وَقَصَّوْا مِنَ الْوَاقِعِ مَقَادِمَهُ ^(٤)

حَلَّوْا مِنَ الْاَرْضِ سِبْطَهَا ^(٥) ، وَمِنْ قِلَادَةِ الدُّنْيَا وَاسِطَتَهَا ، وَبَيْنَ سَمْعِ الْاَرْضِ
وَبَصَرِهَا ^(٦) ، وَفِي جَفْنِ كِسْرَاهَا وَقَبْصَرِهَا ^(٧) لَفَاحٌ لَا يَدِينُونَ وَبِالْفَاحِ الْحُرُوبُ
يَدِينُونَ ^(٨) يَسْتَأْذِنُكُمْ الْإِتَاوَةُ فِي كُلِّ وَهْدٍ وَرُبَاوَةٍ ^(٩) وَهُوَ أَشْهُرُ
مِنْ بَادٍ وَقَارٍ ^(١٠) : إِذْ أُسْرُوا أُسَاوِرَتَكَ وَكُسِرُوا أَكَايِرَتَكَ وَقَصَّوْا قِيَاصِرَتَكَ .
وَعَلَى ذِكْرِ الْبَقَاءِ فَأَنْتُمْ لَهُ بَقَاءٌ ^(١١) : نَسَاؤُكُمْ عَلَيْهِ حَوَابِسٌ ^(١٢) ... وَلَا تَرَوْنَ ذَلِكَ مِنْ

- (١) ثَابَا سفر البدر (حسان عمره) . نقضوا: كشفوا، بحثوا . السرار (بالكسر): الأيام الأخيرة من الشهر القمري (ويكون القمر فيها مستتراً: لا يظهر للناظر) .
- (٢) قَدَّوْا: قَطَعُوا . قُلَامَتُهُ: طرفه (القمر حيناً يكون هلالاً يشبه قلامة الطمر . من ظفره (قلمه): حيناً يكون البدر تاماً يشبه طغر الإبهام (بالكسر): الأصبع الفليضة من اليد أو الرجل .
- (٣) الدلو، الحوت، الطائر، الخ . من أبراج السماء (جامع من التحوم حول مدار الشمس والقمر، في علم الفلك القديم) . الرِّشَاءُ: الحبل الذي يمتد به من البشر .
- (٤) زهرة الأسد: الشجر المتجمع حول كاهلي الأسد . ج (النسر) الطائر و (النسر) الواقع . راشوا: جعلوا له ربهياً . القنادنة: الرهبة الكسوة في طرف الحماح . المقصود أنهم أدركوا صور هذه الجامع من التحوم (في رأي النين) وسَوَّحُوا (بفتح الميم الشدة) أسداها .
- (٥) السطة: الوسط (بفتح ففتح) .
- (٦) بين سمع الأرض وبصرها (طاهرة، واضحة) .
- (٧) في جفنه (في مكان مزعج له) .
- (٨) اللقاح: الذي فيه مناعة (إذا ألتحت الناقة وضعت الفحل بعد ذلك) . والقوم اللقاح هم الذين ما دانوا (ما خضعوا) للملوك في الجاهلية، ولا أصابهم سي . يدينون باللقاح الحرب (يمتدنون بصواب إثارة الحروب) .
- (٩) يستأذنونكم ... الخ: كانت قبائل من العرب في الجاهلية يحمون قوافل العرس التجارية إذا مرّت في مناطقهم ويأخذون على ذلك أتاة (خوة، ضريبة) . الوهد (الأرض المسخضة) والرِباوة: الرابية، التلّة .
- (١٠) ذُو قَار (راجع، ابن الأثير ١: ٤٨٢) . البادي: الساكن في البادية (المتنقل) . القارّ (بشدهد الراء): المستقرّ (الساكن في الحضر) .
- (١١) البقاء (بالكسر) التكاثر غير المشروع . بقاء: طالبون .
- (١٢) حوابس: محبوبات عليه (لا يفعل غيرها) .

النُّكْر. (أَمَّا نَسَاؤُنَا فَهِنَّ لِلطَّرَفِ قَوَاصِرُ وَعَلَى بَنِي الْعَمِّ قَوَاصِرُ^(١)) لَمْ يُحْتَضَنَ بَغِيَّةٌ وَلَا حَصْنٌ قَطُّ لِغِيَّةٍ وَلَا إِقْرَافٍ^(٢)، بَلْ عَنْ أَشْرَافٍ فَأَشْرَافٍ....
فَخَلَّ عَنْ الْعَدْنَةِ وَالْيَزْيَةِ لَا الرَّسِيَّةِ^(٣)، فَتَفَاسَتْهُمْ نَفْسَانِيَّةٌ وَسِيَاسَتُهُمْ إِنْسَانِيَّةٌ.
فَقَدْ أَعْدَرْنَا وَمَا عَدَرْنَا، وَ(لَكِنْ) نَذَرْنَا وَمَا أَنْظَرْنَا^(٤). فَالْعَصَا لِلْعَبْدِ إِنْ عَصَى، وَمِثْلُكَ مِنْ بَنِي سَهْوَانَ لَا يُوصَى^(٥). وَلَا يُقْبَلُ - وَلَا كِرَامَةٌ - مَا رَأَيْتَ فِي سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ مِنَ الْكِرَامَةِ^(٦).

٤-★★ الذخيرة ٣: ٧٠٥ وما بعدها المغرب ٢: ٤٠٦ - ٤٠٧.

ولادة المروانية

١ - هي ولادة بنت الخليفة المستنفي بالله، وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبّيد الله ابن (الخليفة عبد الرحمن) الناصر (نفع الطيب ١: ٣٠١). وكانت أمها أمة (جارية) إسبانية (نصرانية) اسمها سكرى. وقد وريثت ولادة من أمها بشرتها البيضاء وشعرها الأصهب (المائل إلى الحمرة وعينيها الزرقاوتين وجمال قوامها، كما وريثت من أبوتها كليتها مثيلها إلى المرح والتفكك من قيود المجتمع والجراحة على الفساد.

ولما خلّع المستنفي تم قتل (٤١٦ هـ) برزت ولادة للحياة العامة - وهي بعد في نحو الخامسة عشرة من العمر أو فوق ذلك قليلاً - وانفلتت من قيودها ثم استطاعت،

(١) قاصرات الطرف: حبيبات (لا يرضن أبصارهنّ إلى ما لا يليق بهنّ). على بني العمّ قولاصر: لا يزوجن إلا في بني عمهنّ (لأنهم أكفأهنّ).

(٢) بغية ٢٢ غية: زنا. بغية: غاية، مطلب. (الفواة، لفضلال ٢٢). إقراف: ذكر بالسوء. ولكن حصن (حين يضم فكسر) عن أشرف فأشراف (ليتزوجهنّ هنّ ولسنهنّ) أشرف من الرجال.

(٣) انترك أنت الكلام في العدنية (عرب الشمال ٢٢) واليزية (عرب الجنوب) لا الرسية (٢).

(٤) أعدرنا القوم: جعلناهم يشرقون على الهلاك (أهلكناهم)، انتقمنا. نذرنا: أوجينا (على أنفسنا). قتلهم: انظرنا: أمهنا.

(٥) السهوان: السامي (الناسي، الفاعل): من بني سهوان لا يوصى (إذا أوصيته بعمل شيء نسي، فلا قائدة من توصيته بشيء).

(٦) من أجل ذلك لا يقبل منه مديح في محمد رسول الله.

بما كان لها من الجمال والجاه والمال، أن تجعل من بيتها مُستدًى لرجالِ الأدب والجاه والياسة.

في هذه الحِقبة نشأت الصِلَةُ بين ولادة وابن زيدون (راجع ترجمة ابن زيدون، ت ٤٦٣ هـ). غير أن حبَّ ولادة لابن زيدون لم يدُم طويلاً، بينما هُيأ ابن زيدون بولادة قد بقيَ على شيء من العُنفِ إلى آخر حياة ابن زيدون. والذي يبدو أن ولادة قد أظهرت الميلَ إلى أبي عامر أحد بن عبدوس، في أوّل الأمر، إغاطة لابن زيدون، كما كان ابن زيدون قد أظهر الميلَ إلى جاريتها السوداء إغاطة لها فيما قيل. ولكن لما أجمت ولادة أمرها على أن تقطع صلتها بابن زيدون قطعت صلتها بالجمع وبالساسة أيضاً ثم اطمأنت إلى العيش الهاديء في بيت ابن عبدوس بقيّة عمرها. وعاشت ولادة عشرين سنة بعد ابن زيدون ثم ماتت - وقد تقدّمت بها السنّ وبابن عبدوس كثيراً - في ثاني صفر من سنة ٤٨٤ (١٠٩١/٣/٢٦ م) في الأغلب.

٢ - كانت ولادة بنت المستكفي أديبة شهيرة (نفع ٤٣٧: ١) ومن أشهر شواعر الأندلس (نفع ٢٠٥: ٤) وإليها كتب ابن زيدون بقصيدته النونية المشهورة (نفع ٣: ٢٧٥): «أضحى التنائي بدلاً من تدانينا». ولولادة أبيات من الشعر يغلب فيها جانبُ المعنى على جانب الرُؤق. هذه الأبيات وجدانية في الأكثر. ثم لها هجاء مؤلم فاحشٌ فيه (راجع نفع الطيب ٢٠٨: ٣ و ٢٠٥: ٤ - ٢٠٦).

٣ - مختارات من شعرها

- جعلت ولادة لثوبها الرسمي (الذي تظهرُ به في المجتمعات) طرازاً (شِعاراً) نسجته بالذهب: جعلت على كلّ جانب منه بيتاً من البيتين التاليين:

أنا - والله - أصلحُ للمعالي وأمنى بشيقي وأتيةُ نبيها^(١)،
وأمكن عاشقي من صحنِ خدي وأعطي قُبلي من يشتهيها.

- وكتبت إلى ابن زيدون لما أولع بها بعد طول تمنع:

(١) التيه (بفتح التاء أو كسرهما): التكبر، الفخر بالنفس على الأقران.

نَرْقَبُ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ زِيَارِي، فَإِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَ أَكْتَمَ لِلسَّرِّ (١).
وَيَمْنُكَ مَا لَوْ كَانَ بِالشَّمْسِ لَمْ تَلْعُ، وَبِالنَّجْمِ لَمْ يَسِرْ (٢).
- وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ: (وَقَدْ اشْتَدَّ شَوْقُهَا إِلَيْهِ):

أَلَا هَلْ لَنَا مِنْ بَعْدِ هَذَا التَّفَرُّقِ سَبِيلٌ فَيَشْكُو كُلُّ صَبٍّ بِمَا لَيْقِي (٣)؟
وَقَدْ كُنْتُ أَوْقَاتَ التَّرَاوُرِ فِي الشِّتَا أَيْتٌ عَلَى جَمْرٍ مِنَ الشَّوْقِ مُحْرِقٌ (٤).
فَكَيْفَ وَقَدْ أَمْسَبْتُ فِي حَالٍ قَطْعَةٍ؟ لَقَدْ عَجَلَ الْمَقْدُورُ مَا كُنْتُ أَتَقِي (٥).
تَمُرُّ اللَّيَالِي لَا أَرَى الْبَيْنَ يَنْقُضِي وَلَا الصَّبْرَ مِنْ رِقِّ النَّشَوِقِ مُنْقَضِي (٦).
سَقَى اللَّهُ أَرْضاً قَدْ غَدَّتْ لَكَ مَنْزِلاً بِكُلِّ سَكُوبٍ هَاطِلٍ الْوَيْلُ مُغْدِقٍ (٧)!

- وَيَبْدُو أَنَّ عَيْنَ ابْنِ زَيْدُونَ قَدْ امْتَدَّتْ إِلَى جَارِيَةِ سَوْدَاءَ لَوْلَادَةٍ، فَكُتِبَتْ وَلَادَةُ
إِلَيْهِ:

لَوْ كُنْتُ تُنْصِفُ فِي الْهَوَى مَا بَيْنَنَا لَمْ تَهَوَّ جَارِيَتِي وَلَمْ تَنْخَبِرْ (٨)،
وَتَرَكْتَ غُصْنًا مُشْرِأً بِجِهَالِهِ وَجَنَحْتَ لِلْغُصْنِ الَّذِي لَمْ يُنْمِرْ (٩).
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنِّي بَدْرُ السَّمَاءِ لَكِنْ وَلَعْتُ لِشَقَوِي بِالْمُشْتَرِي (١٠).

(١) جَنَّ الظلام (الأمشاج): غطّاها وسرّها (عن الميوس).

(٢) لاح يلوح: ظهر، بدا للنظر. سرى يسري: سار ليلاً.

(٣) «يشكو» حقاً التعب. الباء في «يا» زائدة.

(٤) وقد كنت عند دنوِّ وقت الزّيارة في الشتاء (البارد) أبيت: أفضي الليل (انتظر) على جمر (أشمر بحرّ شديد، مع أن الوقت شتاء).

(٥) فكيف، وأنت الآن قد قطعت زيارتك عني مرّة واحدة. اتقى يتقي: خاف.

(٦) البين: الفراق، البعاد.. معتني: متلقّي، خلّمي.

(٧) نصف ولادة المطر بأنّه سكوب وهاطل (ساقط بكثرة وشدة). الويل: المطر الكثير. المغدق: المطر الذي يغطي الأرض.

(٨) تنخبر = تنخبرها (تفضّلها عليّ).

(٩) تركتني وأنت تستطيع الوصول إليّ (لأنني أنا أحبك) وجنحت (ملت) إلى الغصن الذي لم ينمر (لا ينم لك لأنها جاريتي وأنا أستطيع أن أحول بينك وبين الاتصال بها).

(١٠) بدر السماء: كتابة عن الجهال وعن الظهور والوضوح. المشتري كوكب يصر اكتشافه لبعده إلا على العارفين بالفلك. وهو بعيد جداً. ثم هو كوكب نحس.

١- ** الذخيرة ١: ٤٢٩ - ٤٣٣ الصلاة ١٦٥٧ بغية المنتس ٥٣١ - ٥٣٢ (رقم ١٥٩٥)، نفع الطب ٤: ٢٠٥ - ٢١٢ المطرب ٧ - ١٠: بيكل، راجع ١٠٧، ١١٠٨ الأعلام للزركلي ٩: ١٣٥ - ١٣٦ (١١٨:٨). راجع أيضاً ترجمة ابن زهدون (ت ٤٦٣ هـ) ومصادرهما.

أبو عبيد البكري

١- هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري (نسبة إلى بكر بن وائل) الأندلسي من بيت شريف وإمارة: كان أباه ولاءة على ولبة وشلطيش من قبل خلفه قرطبة. فلما ضعفت الخلافة الروانية في قرطبة بالنازعات وسقطت دولة العامين (٤٠٢ هـ) استبد آل البكري بما كان تحت أيديهم. ثم إن المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية انتزع ولبة من أبي المصعب عبد العزيز (والد أبي عبيد) بالحرب (٤٤٣ هـ) وأخذ منه شلطيش بالثراء. فانتقل عبد العزيز بأهله إلى قرطبة التي كان يحكمها بنو جفوة.

وكذا أبو عبيد البكري في ولبة أو في شلطيش، في مطلع القرن الخامس (أوائل القرن الحادي عشر للميلاد). وتلقى أبو عبيد البكري أشياء من العلم على نفر من العلماء منهم أبو مروان بن حيان وأحد بن عمر بن أنس العذري (ت ٤٧٨ هـ) وأبو بكر محمد بن هشام المصعفي (ت ٤٨١ هـ) وأجاز له أبو عمر بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ). وانتقل أبو عبيد بعد موت أبيه (سنة ٤٥٦) إلى المريّة (وفيها بقي ابن أنس العذري). وفي المريّة أيضاً دخل في خدمة صاحبها المعتصم بن صاهج (٤٨٠ - ٤٤٤ هـ). وكان أبو عبيد ينفّر للمعتصم: ذهب مرة في سيطرة له إلى إشبيلية إلى المعتصم بن عباد، فاستأله المعتصم ابن عباد فبقي في إشبيلية. ويبدو أن أبا عبيد قد تقلّب بين البلدان في الأندلس، ولكن يبدو أيضاً أنه في أواخر حياته زهد في السياسة وفي المناصب وعاد إلى قرطبة ليقيم وقتاً كله على العلم وحده.

ومرض في أواخر أيامه ثم توفي في شوال من سنة ٤٨٧ (خريف ١٠٩٤ م)، في قرطبة.

٢ - أبو عبيد البكري مؤلف خِصْبُ الْيَهُودِ له كُتُبٌ مختلفة الموضوعات في اللغة والدين والطب والنبات. غير أن شهرته إنما هي في كتبه الجغرافية. ومع أنه لم يرحل من الأندلس، فإن كتبه الجغرافية جامعة موثوقة حسنة التصنيف والترتيب. فمن كتبه «الممالك والممالك» (وقد ضاع إلا فصلاً منه عن المغرب والأندلس وما جاورها). ثم له كتاب «مُعْجَم ما استعجم» (وهو في أسهل المواضع في المشرق)، وله كتاب في الأمثال. وللبكري أيضاً شعر قليل عليه مسحة من حبّ اللهو.

٣ - مختارات من آثاره

- من مقدّمة فصل المقال في شرح كتاب الأمثال:

... أما بعد، فإنّي تصفّحت «كتاب الأمثال» لأبي عبيد القاسم بن سلام^(١) فرأيت أنه قد أغفل تفسير كثير من تلك الأمثال فجاء بها مهملّة، وأعرض أيضاً عن ذكر كثير من أخبارها فأوردّها مرّسة^(٢). فذكرت من تلك المعاني ما أشكل^(٣)، ووصلت من تلك الأمثال بأخبارها ما فصل. وبيّنت ما أهمل ونهت على ما رآها أجمل^(٤)، إلى أبيات كثيرة غير منسوبة نسبها وأمثال جمّة غير مذكورة ذكرتها، والفاطر عذوّ من الغريب فسرتها. وعلى الله قصد السبيل، وهو حسّنا ونعم الوكيل^(٥). وقد رتبته على عشرين باباً يتفرّع منها أبواب في محالّها: في حفظ اللسان ويتفرّع منه أبواب في معناه - في معاني المنطق... - في مكارم الأخلاق - في الجود والمجد - ... في المعاض والأموال - في العلم والمعرفة - ... في الظلم - ... في البخل وصفاته - ...

- اسم جزيرة الأندلس (من «الممالك والممالك»):

يُذكر أنّ اسمها القديم إبارية من وادي أبرّة^(٦) ثم سميت بعد ذلك باطقة من

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام المروزي (١٥٤ - ٢٢٢ هـ) له كتاب الأمثال السائرة.

(٢) مهلة ومرسة (اللموح هنا): بلا تفسير ثم مقطوعة عن رواها وما يتعلّق بها.

(٣) أشكل: كان مشكلاً (غير واضح).

(٤) أجل: أوجز ولم يفصل.

(٥) وعلى الله قصد السبيل «١٦: ٩، سورة النحل»: إنّ الله هو الذي يوجّهنا في الطريق السليم الصحيح. «حسبنا...» (٣: ١٧٣، سورة آل عمران).

(٦) يبدأ في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة ويصبّ في الغرب (في المحيط الأطلسي).

وادي بيطي وهو نهر قُرْطُبَة. ثم سُمِّيَتْ إشبانيةً من اسم رجلٍ مَلَكَهَا في القديم كان اسمه إشبَان. وقيل إنَّما سُمِّيَتْ بالإشبَان^(١) لَمَّا سكنوها في أوَّلِ الزمان على حرمة^(٢) النهر وما والاها. وقال قوم: إنَّ اسمها إنَّما هو في الحقيقة اشبارية، سُمِّيَتْ من أشبرش وهو الكوكب المعروف بالأحمر. وسُمِّيَتْ بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها...

- جبال الأندلس (منه):

ومن الجبال المشهورة بالعظم في بلاد الأندلس منها إلبيرة وهو جبل الثلج وهو متَّصل بالبحر المحيط المتوسط^(٣)، منتظمٌ بجبل ربة ولاصق بالجزيرة^(٤) مع البحر. ويذكرُ ساكنوه أنهم لا يزالون يَرَوْنَ الثلج نازلاً فيه شتاءً وصيفاً. وهذا الجبل يُرى من أكثر بلاد الأندلس، ويُرى من عِدْوَةِ البحر ببلاد البربر^(٥). وفي هذا الجبل أصنافُ الفواكه العجيبة. وفي قراء المتصلة به يكونُ أفضلُ الحرير والكتان الذي يفضلُ كتان الفيوم.

ومنها جبال البُرْت، وهو الحاجز بين بلاد الإسلام وبلاد غاليش، ومبتدأه من البحر القبلي المتوسط المجاور طرطوشة ومنتهاهُ إلى البحر الغربي بين الإشبونة^(٦) وجليقية.

ومنها الجبل الحاجز بين بلاد إفرنجة وبلاد الصقالية.

- قال أبو عبيد البكري في الحمير:

خَلِيلِي، إِنِّي قَدْ طَرَبْتُ إِلَى الْكَاسِ وَتَقَتُّ إِلَى شَمِّ الْبَنْفَجِ وَالْأَسِ؛

(١) لعلَّ هذا الاسم جاء من شاهان أو شيشيان (سايان)، وهو شجر الصنوبر (أو شجر من فصيلة الصنوبر) الذي يكثر هناك.

(٢) وفي رواية «جرية» (يكسر الجيم: مجرى).

(٣) المقصود: البحر الأبيض المتوسط الذي يحيط بشبه الجزيرة من الشرق وبعض الجنوب.

(٤) الجزيرة الخضراء (رأس في جنوب شبه جزيرة إسبانية).

(٥) من المغرب (من غارة أفريقية).

(٦) لشبونة عاصمة البرتغال اليوم (على المحيط الأطلسي).

فقوماً معي نلهو ونستمع الغنا
فليس علينا في التعلل ساعة -
ونسرقُ هذا اليوم سراً من الناس .
وإن وقَعَتْ في عُقبِ شَعْبَان - من باس .

- وقال بصف خط ابن مُقلَّة (الخطاط العباسي المُجيد المشهور):

خطُ ابن مُقلَّة من أرعاء مقلته ودَّت جوارحُه لو أصبحت مُقللاً^(١) .
قالدُرُ بَصْفَرُ لاستحسانِه حَداً ، والوردُ بِحَمَرُ من إبداعِه خَجَلاً

- ٤ - المسالك والممالك، الجزائر ١٩١١ م .
معجم ما استمع (تشره وستنفلد)، غوتجن (دوبرليخ) ١٨٧٦ م (حققه مصطفى السقا)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٥ - ١٩٥١ م .
- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (تحقيق دي سلان)، الجزائر ١٨٥٧ م (نسخة بالتصوير)، المغرب (مطبعة الحكومة) وبغداد مطبعة المثنى بلا تاريخ .
- جغرافية الأندلس وأوروپة من كتاب المسالك والممالك (تحقيق عبد الرحمن علي الحجي)، بيروت (دار الإرشاد) ١٩٦٨ م .
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي القاسم بن سلام الهروي (حققه عبد المجيد عاهدين واحسان عباس)، الخرطوم (جامعة الخرطوم) ١٩٥٨ م، تم بيروت (دار الثقافة) ١٩٧١ م .
- سطر اللآل في شرح الأمالي (للقالي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٦ م .
- التنبيه على أبي علي (القالي) في أماليه، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٩٣٦ م، ثم ١٩٥٤ م (بيروت (دار الكتاب العربي) بلا تاريخ .
- * * * قلائد المعيان ٢١٨ - ٢١٩ : الذخيرة ٢ : ٢٣٢ - ٢٣٨ الصلة ٢٧٧ - ٢٧٨ : الخرصة (الأندلس) ٤ : ٥٠٤ - ٥٠٦ : الخرصة (المغرب) ٢ : ٤٧٥ - ٤٧٦ : الحلقة السبراء ٢ : ١٨٠ - ١٨٧ : طبقات الأطباء ٢ : ٥٢ : المغرب ١ : ٣٤٧ - ٣٤٨ : بغية الوعاة ١٢٨٥ : نفع الطبيب ١ : ٢٩٢ : ٢ : ٦٦٥ : ٣ : ١٨٤ - ١٨٥ : دائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٥٥ - ١٥٦ م م ل ع د ٢٧ : ٥٢٠ : بروكسلن ١ : ٦٢٧ - ٦٢٨ ، الملحق ١٨٧٥ : نيكل ١٩٥٥ : الأعلام للزركلي ٤ : ٢٣٣ (١٩٨) : بالنشأ ٣٠٩ - ٣١١ .

(١) تمى أن تكون كل جارة (عضو) في جسمه مقلّة (ميتاً) ينظر بها إلى ذلك الخط الجميل .

ابن المال

١ - هو أبو محمد عبد الله بن فرج بن عزّلون بن خالد الأنصاري الحصبي، ولد في طليطلة في مطلع القرن الخامس. وتلقى ابن المال العلم على أبيه وعلى نفر آخرين منهم ابن عبد البر ومكي بن أبي طالب وابن شقّ الليل محمد بن إبراهيم الأنصاري تلمذت الطليطري (ت ٤٥٥ هـ). ويبدو أن ابن المال كان قد انتقل إلى طليطلة لسمع من ابن شقّ الليل، إذ أنه تولى فيها القضاء بعد أبي الوليد الوقشي.

ثم إن ابن المال عاد إلى طليطلة. ولكن لما استولى الإسبان عليها، سنة ٤٧٨، انتقل منها إلى غرناطة. وكان ابن المال يُقرئ الفقه والتفسير. وفي غرناطة كان يخطب الناس في مسجد الجامع. وفيها كانت وفاته في عاشر رمضان من سنة ٤٨٧ (١٠٩٤/٩/٢٣ م).

٢ - أبو المال الحصبي فقيه زاهد غلب عليه حفظ الحديث والوعظ، وكانت له معرفة واسعة بالأدب والنحو والتفسير. وكان أديباً فصيحاً وشاعراً مطبوعاً، ولكن وصل إلينا تُنثف من شعره فقط. وكان له تأليف في الوعظ.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن المال الحصبي، بعد سقوط طليطلة، يرى الخطر الداهم على الأندلس من الإسبان:

يا أهل أندلس، حثوا مطيكم، فما المقام بها إلا من القلطر.
الثوب ينسل من أطرافه، وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
وغن بين عدو لا يفارقنا؛ كيف البقاء مع الحيات في سقَط^(١).

- وله في التزهيد (نفع الطبيب ٣: ٢٠٨ - ٢٢٨):

انظر الدنيا فإن أبصرتها شيئاً يدوم،
فاغد منها في أمان إن يُعاهدك النعم.

(١) السقَط: وعاء (في الأصل، موضع فيه الطبيب).

وإذا أنصرتَهَا منـك على كُـرُو تَهِم،
فاسألُ عنها والطرحها وارتحلْ حيثُ تقم.
- وقال أيضاً:

أعندكم علمٌ بأنِّي مُتَمِّمٌ؟ وإلا فما بالُ المدامعِ تَنجُمُ^(١)؟
وما بالُ عيني لا تغمضُ ساعةً كأنِّي في رَغِي الدرامي مُنْجَمُ^(٢).

٤- ** الصلة ٢٧٦: المغرب ٢: ١٢١ بغية الوعاة ١٢٨٦: فتح الطيب ٣: ٢٠٨، ٢٢٨، ٢٢٩: ١١٣٥: نيكل ١٣١٣: مختارات نيكل ١٤٨ (وفيه أبو المكارم)، ١٩٩.

أبو الحسن الحضري الضري القيرواني

١- هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري القيرواني الضري الحضري، نسبة إلى صناعة الحصر، وُلِدَ في القيروان سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) في الأغلب. وقد توفيت أمه وهو صغير لم يجاوز دوز الطفولة بعد، ثم أضر (عمي). ويبدو أنه كان قد جاوز الخامسة والعشرين وقال الشاعر حينما توفي أبوه قبيل ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م).
تلقى الحضري الضري القراءة وعلوم اللغة والأدب على أساتذة منهم أبو بكر عتيق بن أحمد بن إسحاق التميمي القصري (ت في شعبان ٤٤٧ هـ) وأبو علي الحسن ابن حسن بن حمدون الجلولي وأبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الحميد.

وعاش الحضري في القيروان منصرفاً إلى التدريس وإلى قول الشعر، ولكن يبدو أنه لم يتصل بالمير بن باديس (٤٠٦-٤٥٣ هـ). وبعد هجوع العرب (البدو) على القيروان واستباحتها، سنة ٤٤٩ هـ، انتقل الحضري إلى سبتة حيث اشتغل بالتدريس أيضاً ولتبع نجمه في عالم الشعر، فاستدعاه المتمدن بن عباد، وكان لا يزال أميراً، إلى إشبيلية. فلم يشأ الحضري أن يجوز إلى الأندلس، خوفاً من ركوب

(١) سج: سال.

(٢) رمي: (مراغبة، رصد) الدرامي (النجوم).

البحر، فكان يُرأسلُ المعتمدَ ويُرسِلُ إليه غُلامَه ليُحْمِلَ إليه من المعتمدِ الأموالَ والجواري.

غير أنه عادَ فانتقلَ إلى الأندلسِ، سنةَ ٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م)، واتَّصلَ ببِلَاطِ المعتمدِ ولكن سرعانَ ما غادره - لِسَبَبٍ لا نَعْرِفُهُ - وأخذَ يَتَطَوَّفُ ببِلَاطَاتِ ملوكِ الطوائفِ الآخرينَ: نَزَلَ في دانيةَ فَمَدَحَ أميرَها إقبالَ الدولة بنَ مُجاهدِ العامريِّ، ولَمَّا استولى المقتدرُ بنُ هودٍ أميرُ سَرَقُشْطَةَ على دانيةَ وأَسَرَ إقبالَ الدولة، نحوَ سنةَ ٤٦٨ هـ (١٠٧٥ - ١٠٧٦ م) لم يَجِدِ الحُصَريُّ ضِيراً في أن يمدَحَ المقتدرَ بنَ هودٍ (ت ٤٧٤ هـ). ويبدو أن الحُصَريَّ مَدَحَ بعدَ ذلك أبا عبدِ الرحمنِ مُحَمَّدَ بنَ طاهرٍ أميرَ مُرَبِّيةَ (٤٥١ - ٤٧١ هـ). وكذلك مدحَ المُعْتَصِمَ بنَ صَاحِدِ (ت ٤٨٠ هـ) أميرَ المَرِيَّةِ. ولعلَّه بَقِيَ في المَرِيَّةِ مُتَّصِلاً بأحدَ بني المعتمدِ.

في هذه الأثناء، أو بعدَ ذلك بقليل، نَجِدُ الحُصَريَّ في مالقةَ يمدَحُ القاصيَ أبا المُطَرِّفِ الشَّعْبِيَّ ثم يمدَحُ خَلْقَه في القضاء أبا مروانَ بنَ حَسُونِ (ت ٥٠٥ هـ).

ثم اضطربتْ أحوالُ الأندلسِ اضطراباً شديداً، لأنَّ الأمورَ كانت قد فَتَدَتْ بينَ ملوكِ الطوائفِ وبينَ سُلْطَانِ المُرَابِطِينَ يوسفَ بنِ تاشفينَ وبدأ المُرَابِطُونَ يَسْتَوْلُونَ على دُوَلَاتِ ملوكِ الطوائفِ. وعاد الحُصَريُّ من الأندلسِ إلى طَنْجَة، سنةَ ٤٨٣ هـ ومكثَ فيها إلى أن تُوُفِّيَ سنةَ ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م).

٢- أبو الحسنِ الحُصَريُّ الضريعُ أديبٌ مُتَرَسِّلٌ وشاعر. على أَنَّ شُهْرَتَه إِنَّمَا هي في شعره. وَهُوَ سَهْلٌ الشعرِ سريعُ النظمِ صاحبُ بديهةٍ ذو مَعَانٍ قَريبَةٍ جِانٍ سَهْلٍ سَيُورُهَا على الألسُنِ، غَزِيرُ المَادَّةِ اللَّغَوِيَّةِ صحيحُ الأسلوبِ ولكن تراكيبَه تَضَعُفُ أحياناً. ثم هو متكلفٌ في تَطَلُّبِ أوجهِ البلاغةِ (في نثره وشعره) يقلَّدُ في ذلك نَفَرًا من المَشارقةِ والمعرِّيِّ (ت ٤٤٩ هـ) منهم خاصَّةً في لُزومِ ما لا يَلْزَمُ على الأخصِّ (الديوان: ١٣٣):

يَا أديباً مَلِكْتَنِي في يَدَيْهِ المَكْرُمَاتُ
لَيْتَ قوماً دَانَهُمْ فيَّ وفيكَ المَكْرُ ماتوا.

وَشِعْرُهُ كُلُّهُ قَصِيدٌ (ليس له نَوْشِجٌ أو رَجَزٌ) في قصائدَ ومقطعاتٍ. ثم له نَحْبِيصٌ

وَمُعْشَرَاتٌ (مقاطعُ تتألفُ كلُّ واحدةٍ منها من عشرة أبياتٍ) هُوَ مُبْتَكِرُهَا، وقد التزم فيها أن تكون مبادئها كقوافيها:

زخارفُ دُنْيَانَا الأنيقة أصبحتُ هشيماً كما رثَ الرداءُ المَطرَرُ.
زمانُ الصبَا، هُوَ دُرُكٌ، لم تَرَكَلْ مواعيدُ من نَهَوَى لَنَا فيكَ تُنَجِّزُ^(١).
زَعَمْتُمْ بَأَنَّ الحبَّ فيه تَذَلُّ، صَدَقْتُمْ! وفيهِ لِلإِلاحِ تَعَزُّزُ.

للحَصْرِيِّ مديحٌ للتكسبِ، وربما أَحْسَنَ في مدحِ النِّعَنِ يُجِيبُهُمْ. وله رثاءٌ كثيرٌ، وخصوصاً في وطنِهِ - بعد نَكْبَةِ القِيروانِ - وفي ابنِهِ عَبْدِ الغَنِيِّ، وهجاءٌ مُرٌّ لاذِعٌ ونَسِيبٌ قليلٌ فيه عُدُوْبَةٌ وِرْقَةٌ وبراعةٌ. وله أيضاً شيءٌ من الحِكْمَةِ والمواعظِ والشُّكُوى.

وآثارُ الحَصْرِيِّ الضَّرِيرِ:

١ - رسائلُ إخوانيةٌ وخُطَبٌ ليس فيها براعةٌ سيوى تَكَلُّفٍ أَوْجِهَ البلاغةَ بِجَعَلِ الحُطْبَةِ عاطِلَةً (خاليةً من الإعجام: النقط على الأحرف) أو منقوطةً على جميعِ حروفِها.

٢ - مجموعاتٌ مختلفةٌ من الشعرِ:

(أ) المُعْشَرَاتُ: مقطعاتٌ في الغزلِ تتألفُ كلُّ واحدةٍ منها من عشرة أبياتٍ على جميعِ حروفِ الهجاءِ، أي يَأْتِيَنَّ وَتَسْمَعَنَّ بيتاً (باعتبار «لا» حرفاً مُستَقْلاً). وكلُّ مقطوعةٍ تبدأ أبياتها وتنتهي بِحَرْفٍ واحدٍ وليس هذا الكتابُ للحَصْرِيِّ صاحب «زهر الآداب»...

(ب) اقترَاحُ القَريحِ واجترَاحُ المَرجِجِ: مجموعٌ من الشعرِ في رثاءِ ابنِهِ عَبْدِ الغَنِيِّ، وقد عاشَ تِسْعَ سَنَوَاتٍ وأربعةَ أَشْهُرٍ (نحو ٤٦٦ - ٤٧٥ هـ). وفي هذا الديوانُ قصائدٌ على حروفِ الهجاءِ منها تِسْعٌ وعشرون مقطوعةً على نَمَطِ المُعْشَرَاتِ (ولكنَّهُ جعلَ كلَّ مقطوعةٍ منها خَمْسَةَ عَشَرَ بيتاً).

(١) ألْجَزُ الوعد: وفي به (حقَّقَهُ) - ما زلنا قادرين على أن نتمتَّعَ بما يعدُّنا به المحبون (ما زلنا في أولِ الشَّباب).

(ج) مُسْتَحْسَنُ الْأَشْعَارِ: قصائد في مدح المعتمد بن عباد.

(د) متفرقات مختلفة فيها القصيدة المشهورة: «يا ليل الصب متى غده».

٣ - مختارات من آثاره

- للحُصْرِيُّ الضَّرِيرِ قصيدةٌ طويلةٌ مَطلَعُها: يا ليل الصب متى غده! قالها في مَدْحِ الأمير أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر صاحب مُرَبِّية (ت ٤٥٥ هـ). في ذلك الحين كان الحُصْرِيُّ يُدْرَسُ في جامع مُرَبِّية فَوَشَّى جاعَةً به إلى الأمير وقالوا إِنَّه يَشْتُمُهُ في مجالِبه. فنظم الحُصْرِيُّ هذه القصيدة ليدفعَ التُّهْمَةَ عن نفسه أو ليشيرَ أنها والقصيدةُ سَعَةُ وتسعون بيتاً منها ثلاثة وعِشرون في مَطلَعِها في الغَزَل من هذه القصيدة:

يا ليل، الصب متى غده	أقيامُ الباعةِ موعده ^(١)
رَقَدَ السَّامِرُ فَأَرْقاه	أُفٍّ للبَّينِ يُرَدِّده ^(٢) .
فبكاه النجمُ ورقى له	ما يرعاه ويرصده ^(٣) .
كَلِّفَ بَغْزَالِ ذِي هَيْبٍ	خَوْفُ الْوَاشِنِ يُشْرِّده ^(٤) .
نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شِرْكَاً	في النُّومِ فَعَزَّ تَصَيِّده.
صَنَمٌ لِلْفَنَنِ مُنْتَصِبٌ	أهـواه ولا أتعَبِّده.
صاح - والحمرُ جنى فيه -	سكرانُ اللَّخْطِ مُعْرِبِّده.
يَنْضَو من مُقْلَتِهِ سَيْفاً،	وكانَ نُعاساً يُغَيِّده ^(٥) .
مِرْبَقٌ دَمَ الْمُثاقِ به،	وَالسَّوْئِلُ لِمَنْ يَتَقَلِّده.
كلا، لا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلْتَ	عِيناهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يده.
يا مَنْ جَعَدْتَ عَيْنَاهُ دَمِي،	وعلى خَدَّيْهِ تَوَرِّده،

(١) الصب: الحب. قيام الباعة: يوم القيامة.

(٢) السامر: الساهر بالليل يتحدث إلى رفاقه. البين: البعد، الحجر.

(٣) رعى الرجل النجم (راقب حركته). رصده: درس مواقفه (تنبك مواقفه في السطو).

(٤) الكلف: الشدح. الهيب: دقة الحصر.

(٥) نضا الرجل السيف: شوره (أخرجه من بيته ليقاتل به).

خَدَاكَ قَدْ اغْتَرَفَا بَدْمِي
إِنِّي لِأَعْيِذَكَ مِنْ قَتْلِي
بِاللَّهِ، هَبِ الْمُشْتَاقَ كَرَى
مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَمْتَ ضَنِّي
لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَه رَمَقًا،
وَعِدَاً يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدِ
الْحُبِّ أَغْفُ ذَوِيهِ أَنَا
كَالدَّهْرِ أَجَلُ بَنِيهِ أَبُو
فَالْيَوْمَ هُوَ الْمَلِكُ الْأَعْلَى
هَبْنِ لَيْنٌ فِي عِرَّتِهِ،
يَطْوِي الْأَيَّامَ وَيَنْشُرُهَا،
تَرَكَ اللَّذَاتِ، فَهَمَّتُهُ
وَهْدَى فِي الْخَيْرِ يُرْغَبُهُ،
مَنْ ذَمَّ الدَّهْرَ وَزَارَكَ، يَا
إِنْ ذَلَّ فَجِيشُكَ يَنْصُرُهُ،
أَوْ رَاحَ إِلَى أُنْبِيَّتِهِ
أَنْتَ الدُّنْيَا وَالْدِينُ لَنَا
لَوْ أَنَّ الصَّخْرَ سَقَاهُ نَدَى
أَتَرَكَ غَضَبِيَّتَ لِمَا زَعَمُوا
فَبَدَا مِنْ سِتْفِكَ مَبْرُوقُهُ،

فَعَلَامَ جُفُونُكَ تَجْعَدُهُ؟
وَأَطْنُكَ لَا تَتَعَمَّدُهُ.
فَلَقَلَّ خِيَالُكَ يُعْبِدُهُ
صَبَّ يُذْنِيكَ وَتُبَيْدُهُ^(١)؟
فَلَيْبِكَ عَلَيْهِ عُوْدُهُ^(٢)
هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَزَوَّدُهُ؟
- غَيْرِي بِالْبَاطِلِ يُفِيدُهُ -
عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُهُ.
مَوْلَى مَنْ شَاءَ وَسَيِّدُهُ
لَكِنْ فِي الْحَرْبِ تَشَدُّدُهُ.
وَيُقِيمُ الدَّهْرَ وَيُقْبِدُهُ.
عِلْمٌ يَرْوِيهِ وَيُسْبِدُهُ^(٣)
وَتُقَى فِي الْمَلِكِ يُزْهِدُهُ.
مَلِكُ الدُّنْيَا، فَتَحْفَمُهُ.
أَوْ ضَلَّ فَرَأَيْكَ يُرْشِدُهُ
ظَنَانٌ فَخَوْضُكَ يُورِدُهُ.
وَكَرِهْمُ الْعَصْرَ وَأَوْحَدُهُ.
كَتَيْبِكَ لِأَوْرَقَ جُلُوسُهُ^(٤)
وَطَمَى مِنْ بَحْرِكَ مُزْبِدُهُ^(٥)،
وَعَلَا مِنْ صَوْتِكَ مُرْعِدُهُ!

(١) الضنى: شدة المرض (مع التحول) ..

(٢) الرمق: بقية الروح (في الجسم). العائد: الذي يزور المريض.

(٣) يرويه (عن العلماء) ويسنده (يذكر الراوى الذين قبله): علمه كثير وموثوق.

(٤) الندى: الكرم. المجلد: الصخر القاسي.

(٥) طمس الماء في النهر أو البحر: ارتفع (كثر). المزد: المائج (حينما يصبح الزيد عائقاً على الأمواج).

أَنْتَ الْمَوْلَى، وَالْعَبْدُ أَنَا؛ فَبَأَيِّ وَعَيْدِكَ تُوعِدُهُ؟
 مَا لِي ذَنْبٌ فُتِمَاقِبَنِي؛ كَذِبَ الْوَاشِي تَبَّتْ يَدُهُ (١)
 وَلَوْ اسْتَحَقَّقْتُ مُعَاقِبَةً لِأَبَى كَرَمٍ نَحْمَوْدُهُ.
 أَهْدَيْتُ الشَّعْرَ عَلَى شَحَطٍ وَنَدَاكَ قَرِيبٌ مَوْلَدُهُ (٢).
 مَا أَجْوَدَ شِعْرِي فِي خَبَسٍ؛ وَالشَّعْرَ قَلِيلٌ جَيْدُهُ (٣).
 لَوْلَاكَ نَسَاوَى تَهَرَّجُهُ، فِي سَوَى الصَّرَفِ، وَعَجَبُهُ (٤).
 وَلَضَاعَ الشِّمْرِ لِذِي أَدَبٍ أَوْ يُنْفِقُهُ مَنْ يَنْقُدُهُ (٥)؛

- وَلِلْحَضَرِيِّ الضَّرِيرِ رِسَالَةٌ يَجُودُ فِيهَا أَبُو الْحُسَيْنِ بِنَ الطَّرَاوَةِ:

..... وَزَعَمَ هَذَا الْأَهْوَجُ الْأَعْوَجُ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ رَسْمِي وَلَا سَمِعَ بِاسْمِي؛ كَأَنَّا وَكِدَ
 بِالْأَسْرِ أَوْ بُيِّتَ مِنَ الرَّمْسِ أَوْ عَيِيَ عَنِ الشَّمْسِ. لَوْ عَلِمَ قَدَرَ نَفْسِهِ لَمْ يَجْهَلِ الْعِلْمَ،
 وَلَوْ أَرَادَ السَّلَامَةَ لَأَتَى السَّلَامَ.....

- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَاطِلِيَّةٍ (غَيْرِ مُنْعَجَةٍ):

الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ وَلَا أَمَدَ، وَمُتَمِّكِ السَّمَاءِ وَلَا عَمَدَ (١) سَكَنَهَا وَأَطْلَعَ مُهَلَّهَا،
 وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (٢)، ... لَا أَمَرَ إِلَّا أَحْكَمَهُ، وَلَا مُرَادَ إِلَّا حَكَمَهُ. لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لَا وَكَدَ لَهُ وَلَا وَالدَ.....

صَلَاحُ الْعَادَةِ أَصْلُ السَّعَادَةِ، وَالْوُدُّ مَعَ الْمَلَلِ أَسْوَأُ الْمَلَلِ (٣) ...

- وَقَالَ فِي مَوْتِ الْمُعْتَصِدِ وَخِلَافَةِ ابْنِهِ الْمُعْتَمِدِ لَهُ:

(١) تَبَّتْ: انْخَضَعَتْ، حُلِكَتْ.

(٢) الشَّحَطُ: بَعْدَ الدَّارِ وَالْمَسْكَنِ.

(٣) الْحَبِيبُ بَحْرُ (وُزْنٍ) مِنْ بَحُورِ الشَّعْرِ يَنْدُرُ أَنْ تَنْظُمَ عَلَيْهِ الْقِصَائِدَ الطُّوَالَ.

(٤) الْبَهْرَجُ: الْبَاطِلُ (أَطْلَعَهُ الْعَمَلَةُ الْفُشُوشَةُ الَّتِي لَا تَقْبَلُ فِي الدُّوْقِ). الْمَسْجِدُ: الذَّهَبُ.

(٥) يَنْقُدُهُ (يَشْتَرِي مِنْهُ كَثِيرًا حَتَّى يَرُوحَ: يَكْتَرِ عَلَيْهِ الطَّلَبُ) مَنْ يَنْقُدُهُ (مَنْ يَمْرِفُ الْجَيْدَ مِنْهُ مِنَ الرَّدِيِّ).

(٦) الْأَمَدُ: الْمُدَّةُ. الصَّدُّ جَعَّ عَصَدَ.

(٧) سَكَنَهَا: رَفَعَهَا. الْمَلِيلُ: أَطْلَعَ اللَّهُ مِلَّ الْأَرْضِ: أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَعَادِنَ. عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (الْقُرْآنُ

الْكَرِيمُ ٢: ٣١، سُورَةُ الْبَقَرَةِ) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ اللَّغَةَ الَّتِي يَتَكَلَّمُ بِهَا.

(٨) الْمَلَّةُ: السَّعْرُ، التَّزْيِينَةُ (الْعَادَةُ). وَالتَّاءُ الْمُرْبُوطَةُ لَا تَعْدُ هَا مِنْ ذَوَاتِ النُّقْطِ.

مات عبّادٌ ولكن بقي الفرعُ الكريمُ .
فكانَ المَيّتَ حيّاً غيرَ أنَّ الضادَ ميمٌ (١) .

- ١- ** أبو الحسن الحصري القيرواني: عصره، حياته، رسائله، ديوان المتفرقات الخ، تأليف محمد المرزوقي والحيلاني بن الحاج يحيى، تونس (مكتبة المنار) ١٩٦٣ م.
- معارضات قصيدة «يا ليل الصَّب» (جمعها عيسى اسكندر العلوف)، القاهرة (مطبعة الهلال) ١٩٢١ م. معارضات قصيدة الحصري (جمعها يحيى النع رضا)، القاهرة ١٣٣٨ هـ = ١٩١٩ م، الطبعة الثانية ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤ م. يا ليل الصَّب.... ومعارضاتها لكبار شعراء العربية.. الطبعة الرابعة، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٩٥١ م.
جدوة المقتبس ١٢٩٦ بغية المتنص ٤١٢ - ١٤١٣ الذخيرة ٤: ٢٤٥ - ١٢٦٤ الصلة ١٤١٠ معجم الأدياء ١٤: ٣٩ - ٤١: وفيات الأعيان ٣: ٣٣١ - ١٣٣٤ الحميدة (الأندلس) ٤: ٥٠ - ٥١: نكت الحميان ٢١٣ - ١٣١٤ ابن قنفذ ٢٥٩ - ١٢٦٠ بغية الوعاة ٣٤١ - ٣٤٢ شذرات الذهب ٣: ٣٨٥ - ١٣٨٨ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٤٠ - ٦٤١ بروكلمن ١: ٤٠٨، الملحق ١: ١٤٧٩ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١١٥٨ الأعلام للزركلي ٥: ١١٤ - ١١٥ (٤: ٣٠٠).

المعتمد بن عبّاد

- ١- هو الْمُعْتَمِدُ على الله، الظاهر المؤيد، أبو القاسم محمد بن عبّاد بن محمد بن اسماعيل بن عبّاد، ولد في ربيع الأول من سنة ٤٣٢ (كانون الأول ١٠٤٠) في مدينة باجة قرب إشبيلية. وتقع حياة المعتمد السياسية والأدبية في ثلاثة أدوار:
(أ) دور الشباب - حينما كان أميراً يتبع اللهو وينشئ مجالس الأنس غير مُلْقٍ بالآ إلى تكاليف الحياة. لما بلغ المعتمد الثالثة عشرة من عمره (٤٤٥ هـ = ١٠٥٣ م) عينه والده والياً على شِلْب (في أقصى الجنوب الغربي من الأندلس) وبعث معه الشاعر أبا بكر بن عمّار نديماً ووزيراً. وكان ابن عمّار أَسَنَ من المعتمد بتسع سنوات. ومكث المعتمد في شلب خمس سنوات أو تزيد قليلاً ثم استدعاه والده إلى إشبيلية على أثر ما

(١) عبّاد لقبه المعتمد (بالضاد قبل الدال) وابنه محمد لقبه المعتمد (بالميم قبل الدال).

بلغه من انغماسه في الملاءَ واندفاعه مع ابن عمار في شيء من المجون. غير أن ابن عمار بقي وزيراً للمعتضد.

(ب) دور الرجولة - حيناً بدأ والده يعهد إليه بقيادة الحملات ثم حيناً أصبح ملك إشبيلية. في مطلع هذا الدور اتّقى المعتضد بالجارية التي تزوّجها: كان المعتضد يثزّه مع ابن عمار (٤٥١ هـ = ١٠٥٩ م) على ضفاف نهر الوادي الكبير، قرب مرج الفضة، فأخذ المعتضد بمنظر الماء المُتموّج فقال:

صنع الريح على الماء زَرَدَ

وطلب من ابن عمار أن يُجيزه. فتوقف ابن عمار قليلاً. وكان على شاطئه النهر جوارٍ يملآن الماء فقالت احدها:

أَيُّ دِرْعٍ لِقَتَالِ لَوْ جَمَدَ!

فأعجب المعتضدُ بذلك تلك الجارية وبجهاها - وكان اسمُها اعتادَ جاريةَ الرُمَيْك بن الحجاج - فاشتراها من سيدها وتزوّجها وهو لا يزال ولياً للعهد. ولم يبرض المعتضد عن هذا الزواج في أول الأمر. ولكن لما وكّدت الرُمَيْكية للمعتضد بِكْرَهُ عباداً، بعت المعتضد بالطفل وأمه إلى أبيه المعتضد. ورأى المعتضد حفيده فامتلاً حنوّاً وعاد إليه رضاء.

في نحو ذلك الزمن غضب المعتضد على ابن عمار فأخرجه من بلاطه. فنقل ابن عمار في عدد من بلاطات ملوك الطوائف حتى استقر في بلاط المقتدر بن هود في سَرَقُطَة.

وتوفي المعتضد في سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٩ م) فخلفه ابنه المعتضد. وكان أول ما فعله المعتضد أن استدعى ابن عمار واستوزره. وأقام المعتضد قصوراً حول إشبيلية تزخر بالترف وتفرق في الجنات والأشجار والأزهار. واتفق أن دخل يوماً، (في نحو سنة ٤٧٤ هـ = ١٠٧٠ م) فرأى امرأته تنظر من نافذة القصر إلى شاطئ النهر. فسألها عما استأثرت بانتباهها، فأشارت إلى جوارٍ كُنَّ يملآن ماء من النهر وهن حافيات يَغُصْنَ في الطين وقالت إنها تذكرت أيامها الأولى يوم كانت تفعل مثلهن. فجاء المعتضد بهما

الورد وبالمسك والسكر ثم أمر بجبلها وجعلها في باحة القصر؛ فأخذت الرميكية وبناتها الصغيرات - فيما قيل - يبرزن حافيات في هذا المزيج المترف على أنه طين. ولكن يبدو أن أفكار الرميكية كانت ذاهبة في أبعد من النظر إلى الجواري الحافيات على شاطئ النهر، ذلك أن الشاعر ابن عمار كان قد أصبح ذا نفوذ عظيم على زوجها. فقالت لزوجها ذات يوم بعد ذلك: لم أر منك يوماً صالحاً. فقال لها: «ولا يوم الطين!»

(ج) المعتمد في الأسر - وعاد العرب في الأندلس إلى النزاع فيما بينهم، فلم يجذ يوسف بن تاشفين بدءاً من القضاء على ملوك الطوائف وضم بقايا الأندلس إلى دولته. وكان أن خلّع يوسف بن تاشفين المعتمد بن عباد وحمله أسيراً إلى حصن أغمت، قرب مدينة مراكش، هو وأفراد أسرته.

وكان للمعتمد ابن اسمه عبد الجبار كان قد تخفى لما أسر أبوه فلم يصلي المرابطون إليه. فلما خرج عبد الجبار من مخبأه، بعد سنة ٤٨٦ هـ (١٠٩٣ م) وثار في مدينة أرقش على حكم المرابطين غضب ابن تاشفين وقيد المعتمد في سجنه. فكان ذلك مما زاد في حزن المعتمد وآلامه. ثم إن عبد الجبار قتل بعد قليل. وتوفيت الرميكية بعده بمدة يسيرة. ثم توفي المعتمد في شوال من سنة ٤٨٨ (تشرين ١٠٩٥).

٢ - كان المعتمد بن عباد من أسرة من الشعراء: أسلافه شعراء وأولاده - صبياناً وبنات - شعراء، ولكنه هو كان أشعرهم قاطبة، وأشعر ملوك الأندلس على الإطلاق. ونمت مملكة إشبيلية بالثروة والترّف، وكان بلاط المعتمد عنوان ذنك الثروة والترّف فجتمع المعتمد في بلاطه هذا من الشعراء والعلماء ما لم يكن قد اجتمع مثله في بلاط ما من قبل، إلا أن الشعر كان أغلب فيه على جميع فنون الأدب. ولم يستوزر المعتمد وزيراً إلا أن يكون أديباً شاعراً، وقد كان اهتمامه بالشعر فوق اهتمامه بإدارة ملكه. وكذلك كان ناقداً للشعر عارفاً به وبرجاله وبقصائده.

وشعر المعتمد بن عباد صورة لحياته، وهو من هذه الناحية قيسان: قسم قاله قبل أسره (وهو شعر مترف أنيق يميل إلى التكلف والصناعة ويدور حول المدح والحماسة والوصف والفزل والعتاب والرثاء، ويبرز بروزاً واضحاً في وصف مجالس

السرور ووصف المارك) ثم قسم قاله بعد أسره (وهو أصدق أشعاره عاطفة وأكثره أثراً في النفس - ولا ريب، فقد كان يُعَبَّرُ في هذا الشعر عن حاله التي يَحْتَبِرُها في حاضره). قال أميليو غرسه غومس (الشعر الأندلسي ١٠٧): «فالقائد الذي قالها (المتعمد بن عباد) في منفاه في أغات وصور فيها مرارات السجن والآلم التي تُعَدُّ من أروع ما لدينا من عُزْرِ الشعر العالمي».

٣ - مختارات من شعره

- لما كان المتعمد والياً على ثلب (٤٤٠ - ٤٤٥ هـ) انغمس في اللهو انهماساً أغضب أباه المعتضد. أدرك المتعمد خطاه ومغبه هذا الخطأ على مستقبله، فكتب إلى أبيه بهذه القصيدة يمدحها بها ويترضاها:

سَكَنَ فؤادَكَ لا تذهب بِكَ الفِكَرُ	ماذا بُعيدُ عليك البَثُّ والحَزَنُ؟ ^(١)
وازجرُ جُفونَكَ لا تَرْضَ البُكَاءَ لها،	واصبرِ فقد كنتَ عند الحُطْبِ تصطبرُ ^(٢) .
فإن يَكُنْ قَدَرٌ قد عاقَ عن وَطَرٍ،	فلا مَرَّةً لما يأتي به القَدَرُ ^(٣) ؛
وإن تَكُنْ عَجَبَةً في الدهرِ واحدةً،	فكم غَزَوْتُ وبن أشياجك الظفر ^(٤) ،
مَنْ يَمِثْلُ قُوَيْكُ؟ مَنْ مِثْلُ المَهاجِرِ أبي	عمرو أبيتَ له مجدٌ ومُفتخرٌ
سَمِيعٌ يَهَبُ الآلافَ مُبْتَدَأً	ويستقل عطاياه ويهتذر ^(٥) .
له يدٌ كلُّ جِبارٍ يُقَبِّلُها	لولا نداها لقلنا إنها الحجر ^(٦) !
بها ضَيْفًا يَفْتُلُ الفُرسانَ مُفْتَرَأً،	لا تُوهِجَنِّي غايي الناب والظفر ^(٧) .

(١) البَثُّ: الحزن.

(٢) زجر: منع. الحطْب: الأمر العظيم الصب (المصيبة).

(٣) إذا كانت إرادة الله قد عاقبت (أعرت) إنساناً عن وطره (غايته) فإنه لا يستطيع أن يبدل شيئاً من قضاء الله وقدره.

(٤) إذا كنتَ (يا والدي) قد خبت مرة واحدة (في ما أكلت في أنا)، فكم من مرة قد ظفرت بأعدائك في الغزوات.

(٥) السيد: الشجاع الكريم.

(٦) نداها: كرمها (وفي البيت ثوبه: نداها: لينها أيضاً ملوحة من القرينة «الحجر»).

(٧) الضيف: الأسد الواسع الشفق. أوهنه: أذهب قوته وجعله ضعيفاً. غايي الناب والظفر (لك) سادع في المستقبل عنك وعن مجدك.

قد أَخْلَفْتَنِي صُرُوفًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا،
 فَالْنَفْسُ جَازِعَةٌ، وَالْمَعِينُ دَامِمَةٌ،
 لَمْ يَأْتِ عَبْدُكَ ذَنْبًا يَنْتَحِقُ بِهِ
 مَا الذَّنْبُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ ذَوِي دَغَلٍ
 قَوْمٌ نَصَبَتْهُمْ غِشٌّ، وَحُبُّهُمْ
 يُبَيِّزُ الْبُغْضُ فِي الْأَلْفَاظِ إِنْ نَطَقُوا،
 أَحِبَّ بِنْدَاءِ أَحْمِي قَلْبَ تَمَلُّكَ
 لَمْ أَوْتِ مِنْ رَمْنِي شَيْئًا أَلَدُّ بِهِ:
 وَلَا تَمَلِّكُنِي ذَلٌّ وَلَا خَفَرٌ،
 رِضَاكَ رَاحَةٌ نَفْسِي - لَا قُبُحْتُ بِهِ -
 كَمْ وَقَعَتْ لَكَ فِي الْأَعْدَاءِ وَاضِحَةٌ
 مَا تَرَكْنِي الْخَمَرُ عَنْ زُهْدٍ وَعَنْ وَزَعٍ
 وَإِنَّمَا أَنَا سَاعِرٌ فِي رِضَاكَ، فَلِإِنْ
 وَغَال مُؤَوِّدَ آمَالِي بِهَا كَسَدَرُ^(١)
 وَالصَّوْتُ مَنْخَفُضٌ وَالطَّرْفُ مَنَكَمَرُ^(٢)
 غَشْبًا، وَهِيَ هُوَ قَدْ نَادَاكَ بِعَتَدَرٍ
 وَفَى لَهُمْ عَذْلُكَ الْمَالُوفُ إِذْ عَتَدَرُوا^(٣)؛
 بُغْضٌ، وَنَفْعُهُمْ - إِنْ صَرَفُوا - ضَرَرُ^(٤)
 وَتُغَرَّفُ الْحَقْدُ فِي الْأَلْحَاطِ إِنْ نَظَرُوا
 أَسَى، وَذِي مُقْلَبَةٍ أَوْدَى بِهَا سَهَرُ^(٥)
 فَلَسْتُ أَعْرِفُ مَا كَلَسٌ وَلَا وَتَرُ^(٦)،
 وَلَا سَيِّ خَلْدِي غُنْجٌ وَلَا حَوَرُ^(٧)
 فَهَوَّ الْعَتَادُ السَّيِّ لِلدَّهْرِ أَدْخِرُ^(٨)
 نَفْسِي اللَّيَالِي وَلَا تَغْنِي بَهَا الْخَبِيرُ
 فَلَمْ يُقَارِفْ، لَقَعْرِي، سَيِّئِي الصَّبْرُ^(٩)
 أَخَفَقْتُ فِيهِ فَلَا يُفْسَحُ لِي الْعَمَرُ^(١٠)!

- (١) إِنْ أَحْوَالًا لَا أَمْلَكُهَا تَدْ كَثُرَتْ حَيَاتِي. الصَّوْفُ (الْحَادِثُ الْمُؤَلَّمُ) غَالٌ: قَتَلَ. الْمَوْرَدُ: مَكَانُ شَرْبِ الْمَاءِ.
- (٢) الطَّرْفُ: الْعَيْنُ.
- (٣) الدَّغَلُ: الْغِيْبُ وَالْعِيَادُ (شَرٌّ). عَامِلَتُهُمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ غَازِدَادُوا شَرًّا.
- (٤) صَرَفَ الرَّجُلُ الْأَمْرَ: دَبَّرَهُ. حَتَّى لَوْ أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوا لَجَاءَ مِنْ مَعَاوِلَتِهِمُ النَّفْعُ ضَرَرٌ (لَأَنَّهُمْ جَهَالٌ لَا يَفْرَقُونَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَا بَيْنَ النَّفْعِ وَالضَّرَرِ).
- (٥) الْأَسَى: الْحُزْنُ. أَوْدَى: أَهْلَكَ.
- (٦) أَوْتِ - أَوْتَيْتُ (مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ): أَعْطَى.. مَا كُنْتُ أَعْرِفُ سَيِّئَاتِ الْكَلَسِ (الْحُمْرِ) وَالْوَتْرِ (الْعَنَاءِ = اللَّهْوِ).
- (٧) الدَّلَالُ: حَالَةٌ مِنَ الْوَقَارِ مَعَ الْأَطْمِئْنَانِ (يُوحَى بِهَا إِلَى الْإِنْسَانِ بِثِقَتِهِ بِعَاجِبِ النَّاسِ بِهِ أَوْ بِتَأَثُّرِهِ فِيهِمْ). الْخَمَرُ: اِسْتِدَادُ الْخِيَارِ (وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْجَهَالِ فِي النَّسَاءِ). سَيِّئِي: أَمْرٌ، مَلَكٌ. الْخَلْدُ: الْبَالُ، النَّفْسُ. الْحَوَرُ: اِسْتِدَادُ بَيَاضِ الْعَيْنِ وَاسْتِدَادُ سَوَادِهَا. الْفَتْحُ: إِثْبَاتُ الْمَرْأَةِ بِالْأَهْوَالِ وَأَعْمَالِ مِنَ الدَّلَالِ تَتَحَبَّبُ بِهَا إِلَى زَوْجِهَا.
- (٨) الْعَتَادُ: الْعَتَّةُ، مَا يَجِيءُ الْإِنْسَانَ وَيَسْتَعِدُّ بِهِ لِلْعَاقِبَةِ وَالْعَدُوِّ الْخ. أَدْعَرُ: عَجَبٌ (لِلْمُسْتَقْبَلِ)، كَثُرَ.
- (٩) كُنْتُ أَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَهِيَ تَرَكْنِي الْآنَ. لَمْ أَتْرَكْهَا زَهْدًا فِيهَا (مِيلًا عَنْهَا وَكَرْهًا بِهَا) وَلَا وَرْعًا (لِلتَّقْوَى) لِأَنِّي لَا أَزَالُ صَغِيرَ النَّسَبِ، وَالزَّهْدُ وَالْوَرَعُ يَكُونَانِ عَادَةً فِي أَوَاخِرِ الْعَمَرِ.
- (١٠) تَرَكْنِي إِرْضَاءَ لَكَ. إِنْ أَخَفَقْتُ: خَبْتُ (لَمْ تَرْضَ أَنْتَ عَنِّي). فَلَا يُمْسَحُ لِي الْعَمَرُ: لَا طَالَ عَمْرِي!

- وقال مخاطبُ أبا بكرٍ بنِ عمارٍ ويذكرُهُ أيامُها في شِلبَ:

ألا حَيَّ أوطاني بِشِلبَ، أبا بكرُ، وسلَّم على قَصْرِ الشراحيبِ عن قَيَّ
له أبداً شوقٌ إلى ذلك القصرِ (٢). منازلُ أسادٍ وبيضِ نواعيرِ
فناهيكَ من غيلٍ وناهيكَ من خدرِ (٣) ومِ ليلَةٍ قد بَتَّ أنتمُ جَنحُها
مُخصَّصةُ الأردافِ مُجدبةُ الحَصْرِ (٤) وبيضِ وسمرِ فاعلاتِ بُهجتِ
فَعالُ الصِّفاحِ البيضِ والأسلِ السمرِ (٥) وليلٍ بِدُ النهرِ لَهَواً قطعُته
بِذاتِ جوارٍ مثلِ منعطفِ النهرِ (٦) وبانتِ تُفسي المِدامَ بلحظِها
وَمِنَ كَأْسِها جِناً وجِناً من الثغرِ ونظربني أوتارُها، فكأنني
سَبَحْتُ بأوتارِ الطلي نغمَ البَترِ (٧) نَصَّتْ بُردَها عن عُصنِ بانٍ منمِرِ
نضيرِ كما أنشَقَّ الكِأَمُ عن الزهرِ (٨).

- وقال في الخمر (يصف ثلاًو الخمر بالبرق ويصف الساقية الجميلة بشمس الضحى):

رَبَّيْتُ من السمرِ وفي كَفِّها برقٌ من القهوةِ لَناجٍ
عَجِبْتُ منها وهي شمسُ الضُّحى كَيْسَفٌ من الأنوارِ تَرنَّاعٍ
- كان للمعتمد جارية يحبها اسمها سحر، فوقعت بينها جَفوة فتركها زيارته.
وانفق أن مرض المعتمد فجاءت سحر تزوره فقال:

- (١ و ٢) شلب في أقصى الجنوب الغربي من جزيرة الأندلس (في البرتغال اليوم). والشراحيب قصر في شلب.
(٣) أساد - أسود (أبطال، شجعان) وبيض: نساء جيلات. ناهيك: بكفك. من غيل ومن خدر (من بلد هو في الوقت نفسه سكن للأسود وسكن للنساء الجميلات).
(٤) جَنح الليل: قطعة منه شديدة السواد. أنتم جَنحها (في أثناء جَنحها: في أثناءها) غصبة: كبيرة، كثيفة. الردف (بالكسر) وسط الدن. مجدبة الحَصْرِ: بحيلة الحَصْرِ.
(٥) ببيض وسمر (نساء جميلات). الصِّفاح البيض (التيوف) والأسل السمر (الرماح).
(٦) مثل منعطف النهر: في الجهال (٢).
(٧) أوتارها = أوتار عودها. أوتار الطلي: عروق الرقبة. البتر جمع أوتر (المقطوع الضنب، الخ)، وهو يقصد البوائر جمع بائر (السيف). صوت عودها ذكره صوت السيوف التي كان يسمعا في المعارك التي حاضها!
(٨) نضى: جلع. البرد: ثوب من الحرير. البان: شجر أغصانه طويلة مستقيمة سمراء (يشبه بها القوام الجميل). الكأَم: الكأس (الأوراق الحَصْرِ التي تغلف الزهرة قبل تفتحها).

سَأَلْ رَبِّي أَنْ يَسْدِيَ لِي الشَّكْوَى وَقَدْ قَرَّبْتَ مِنْ مُضْجِي الرِّثَاءَ الْأَخْوَى (١)
 إِذَا عَلَةً كَانَتْ لِقَرَبِكَ عَلَةً، تَنَبَّيْتُ أَنْ تَبْقَى بِجَمِي وَأَنْ تَقْوَى (٢)،
 شَكُوتٌ وَبِخْرٌ قَدْ أَغْنَتْ زِيَارَتِي فَجَاءَتْ بِهَا النَّمْسُ الَّتِي سَبَتْ بَلْوَى (٣)،
 فَيَا عَلَتِي، دَوْمِي فَأَنْتَ حَبِيبَةٌ، وَيَا رَبِّ، سَمْعًا مِنْ نِدَائِي وَالشَّكْوَى (٤).

- وَقَالَ يَصِفُ شَمْعَةً:

وَشَمْعَةٌ تَنْفِي ظِلَامَ الدُّجَى نَفْيَ يَدَيِ الْعُذَمِّ عَنْ النَّاسِ (٥)
 سَاهَرْتَهَا، وَالْكَأْسُ بِمَعَى بِهَا مَنْ رَيْقَهُ أَنْهَسَ مِنَ الْكَأْسِ،
 ضِيَائُهَا لَا تَكُ مِنْ وَجْهِهِ، وَخَرَّهَا مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي!

- وَقَالَ فِي الْغَزْلِ:

ثَلَاثَةٌ مَنَعْتَهَا عَنْ زِيَارَتِنَا، حُوفُ الرَّقِيبِ وَخُوفُ الْحَادِ الْخَفِيقِ (٦)
 ضَوْءُ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الْخَلْقِ وَمَا تُحَوِّي مَعَاطِفَهَا مِنْ عَنَبٍ غَبَقِ (٧)،
 هَبِّ الْجَبِينِ بِفَضْلِ الْكَمِّ تَسْتَرُهُ، وَالْخَلْقِ تَرْعُهُ، مَا حِيلَةَ الْفَرْقِ (٨)

- وَقَالَ وَهُوَ أَسِيرٌ مَسْجُونٌ فِي حَصْنٍ أَغْمَاتٍ، وَقَدْ حَلَّ عِيدَ الْفِطْرِ، يَوْمَ الْخَمِيسِ
 فِي أَوَّلِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٤٨٥ (الرَّابِعُ مِنْ تَشْرِينِ الثَّانِي ١٠٩٢)، قَبْلَ أَنْ يَقْبِذَ، يَذْكُرُ
 مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْحَبْسِ وَالْيَسْوَاسِ وَيَتَذَكَّرُ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ قَبْلِ مِنَ النِّعَمِ:

فِي مَا مَضَى كُنْتُ بِالْأَعْيَادِ مَسْرُورًا فَجَاءَكَ الْعَيْدُ فِي أَغْمَاتٍ مَاسُورًا (٩)
 تَرَى بِنَائِكَ فِي الْأَطْهَارِ جَانَّةً يَغْرُنُ لِلنَّاسِ مَا يَمْلِكُنْ فُطْمِيرًا (١٠)
 بَرَزَنْ نَحْوِكَ لِلتَّلِيمِ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُنَّ خَسِرَاتٍ مَكَاسِيرًا،

(١) الرِّثَاءُ: الْغَزَالُ الصَّغِيرُ. الْأَخْوَى: ذُو الثَّغَةِ الْبُودَاءِ.

(٢) إِذَا عَلَةٌ (مَرَضٌ) كَانَتْ لِقَرَبِكَ عَلَةٌ (سَبَابًا).

(٣) أَغْنَتْ: تَرَكْتُ. إِنَّ الْمَرَضَ الَّذِي يَسْمُوهُ النَّاسُ بِلَوَى (بَلِيَّةٌ، مُصِيبَةٌ) هُوَ نِعْمَةٌ عِنْدِي لِأَنَّهُ كَانَ سَبَابًا فِي رِضَا مَحْبُوبِي عَلِيٍّ.

(٤) لِنِدَائِي. فِي الْأَصْلِ: مِنْ نِدَائِي.

(٥) شَمْعَةٌ تَبْدُو ظِلَامَ اللَّيْلِ مِثْلَ مَا تَقْنِي يَدَيِ (بِالْجُودِ وَالْمَطَاءِ) عَلَى الْعَقْرِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ.

(٦) الرَّقِيبُ: الْعُذُولُ الَّذِي يَنْصَحُ عَلَى كُلِّ مَحَبٍّ اجْتَمَاعَهَا. الْخَفِيقُ، الْعَاصِبُ الْمُنَاطَ.

(٧) الْوَسْوَاسُ: الصَّوْتُ الْخَفِيفُ. الْعَبَقُ: الَّذِي تَصُوعُ (تَشْتَرِي) رَائِحَتَهُ.

(٨) لِنَعْرِضِ أَنَّهَا غَطَّتْ وَجْهَهَا (فَمِنَعَتْ صَوْدَهُ) وَخَلَعَتْ حِلَاهَا (فَبَطَلَ صَوْتُهَا)، فَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْتَبِذَ انْتِشَارَ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ مِنْهَا؟

(٩) يَقُولُ الشَّاعِرُ: كُنْتُ (بِفَتْحِ التَّاءِ) ... بِمُطَابَقَةِ نَفْسِهِ (وَهَذَا فِي الْبَلَاغَةِ يَسْمُوهُ التَّجَرُّدُ).

(١٠) فُطْمِيرٌ: (فِي الْأَصْلِ) الْفَشَاءُ الرَّفِيقُ الَّذِي يَطْلِفُ نَوَاطِئَ التَّشْرِ، شَيْءٌ يَسِيرُ جَدًّا.

بطان في الطين، والأقدام حافية،
 أظفرت في الصيد لا عادت إساءته
 قد كان دهره إن تأمره ممتلاً
 فزك الدهر منهياً ومأموراً^(١)
 من بات بعدك في ملك يسر به
 فإنا بات بالأحلام مغروراً^(٢)

- لما حُمل المعتمد أسيراً إلى المغرب ألحف الشعراء عليه بطلب النوال، فقال متأففاً:

شعراء طنجة كلهم والمغرب
 ذهبوا من الإغراب أبعد مذهب^(٣)
 سألوا المير من الأسير، وإنه
 بسؤالهم لأحق فأعجب وأعجب^(٤)
 لولا الميسل وعزة نجيبته
 طي الحشا، ناغاهم في الطلب^(٥)

- وكان المرابطون قد هاجوا قصره فنشبت بينه وبينهم مناوشة تمكن في أعقابها من النجاة. ولكن الأحداث توالى وأدت إلى انفضاض عدد كبير من أنصاره عنه فتغلب المرابطون عليه وخلصوه وأسروه. فقال في ذلك:

إن ينقلب الغيوم اليمى
 فالقلب بين ضلوعه:
 قد رمت يوم يزاليهم
 وبزئت ليس سوى القلب
 أجلى تأخر! لم يكن
 ما برزت قط إلى الفتى
 شيم الألى أنا بينهم
 مُلكي، وتلني الجموع،
 لم تلني القلب الضلوع!
 ألا تحضني الدروع.
 من على الحشا شيء ذفوع.
 يهوا دلي والخضوع.
 ل وكان من أملي الرجوع.
 والأصل تنبئه الفروع.

وكان للمعتمد بن عباد بضعة عشر ولداً منهم: سراج الدولة أبو عمر عباد (قُتل سنة ٤٦٨ هـ، وعمره سبع عشرة سنة) والمأمون أبو نصر الفتح (هلك في أوائل ٤٨٤

(١) راجع قصة يوم الطين. فوق، ص ٧١٤.

(٢) تطير: تطيح. كان تطيراً للأكياد: يدعو إلى الحزن الشديد مع الإشتاق.

(٣) كنت من قبل أمر الدهر (جميع الناس) فأطاع، فأصبحت اليوم وعلي ماء وأمر (سجان).

(٤) الإغراب: السلوك المستغرب.

(٥) المير (المال الكثير أو القليل الذي لا يملكه لأنه الآن أسير). فاعجب (من حالي كيف كانت وكيف أصبحت) ثم اعجب من حالهم كيف يملكونني وهم يعرفون حالتي.

(٦) حنية نسبة إلى لحم (بني النضر من ماء السماء في الحيرة، وإليهم يرد آل عباد نسبهم).

هـ) والمُعْتَدُّ أبو بكر عبد الله وزين الدولة أبو هاشم المُعَلَّى وشرف الدولة أبو بكر يحيى وذُخْرُ الدولة أبو المكارم الحكم وتاج الدولة أبو سليمان الربيع وعَضُدُ الدولة ومالك (راجع في مالك نفع الطيب ٤ : ٢٤٧) وكان مُقْتَلُهُ في أثناء استيلاء المرابطين على إشبيلية، سنة ٤٨٤ هـ (وليس لهؤلاء كلهم ما يُذكرون به) ثم عبد الجبار الذي ثار على المرابطين في جنوبي الأندلس ففضب يوسف بن تاشفين وأمر بتقييد المعتد في السجن انتقاماً منه لفعل ولده عبد الجبار (نفع الطيب ٤ : ٢١٧-٢١٨).

وأولاد المعتد الذين طار لهم ذكر في الأدب: الراضي والرشيد وبُشَيْنَةُ. أما الراضي فكان شاعراً مجيداً وقد أفردت له ترجمة. وأما بُشَيْنَةُ ففي ما يلي شيء من خبرها وشعرها.

وُلِدَتْ بُشَيْنَةُ نحو سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م) وأُمُّهَا أَعْتَلَةُ الرُّمَيْكِيَّة. ووَرِثَتْ قول الشعر من أُمِّهَا وأبيها فأَحَسَّتْ فيه بعض الإحسان. وكذلك كانت قريبة من أُمِّهَا في الجمال وفي النادرة: في سرعة الخاطر مع الإتيان بالنكتة اللطيفة البارة. وفي سنة ٤٨٤ هـ، لما استولى المرابطون على إشبيلية، أُخِذَتْ سَبِيَّةً فاشترها تاجر من إشبيلية وهو لا يعلم من أمرها شيئاً ووهبها لابنهِ. ورَفَضَتْ بُشَيْنَةُ - في حديث طويل - أن يُقرَّبَها ابنُ التاجر الإشبيلي إلا بعدَ استشارةِ والدِها وبعدَ عَقْدِ شرعي. وفي هذه المناسبة كَتَبَتْ بُشَيْنَةُ إلى أبيها الأسير في أغنيات (بالمغرب) بالأبيات التالية، وهي من الشعر العادي (نفع الطيب ٤ : ٢٨٤):

اسْمَعْ كَلَامِي واسْمَعْ لِقَاتِي،	فَقَيَّ السُّلُوكَ بَدَتْ مِنَ الْأَجْبَادِ ^(١) .
لَا تُنْكِرُوا أَنِّي سُبَيْتُ وَأَنَّنِي	بِنْتُ لِمَلِكٍ مِنْ بَنِي عِبَاد:
مَلِكٍ عَظِيمٍ قَدْ تَوَلَّى عَصْرُهُ.	وَكَذَا الزَّمَانُ يُؤُولُ لِلْإِفْسَادِ ^(٢) .
لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فُرْقَةً شَتَلْنَا	وَأَذَانَا طَعَمَ الْأَسَى عَنْ زَادِ ^(٣) ،
قَامَ النِّفَاقُ عَلَى أَبِي فِي مُلْكِهِ؛	- فَدَنَا الْفِرَاقُ، وَلَمْ يَكُنْ بُرَاد.

(١) السلك: الخط (تنظم فيه حيات اللؤلؤ وغيرها). الحيد: أعلى الصدر. العنق.

(٢) آل يؤول: يرجع، يعود.

(٣) جمل الله الأسى (الحزن) زاداً (طعاماً) لنا. أذنا.

فخرجت هاربة فحازني امرؤ
 إذ باعني بيع العبيد فضني
 وأرادني ليتكاح نجل طاهر
 ومضى إليك يَوْمُ رَأْيِكَ فِي الرضا
 فساك، يا أبني، تُعْرِفُنِي بِهِ،
 وعسى رُمِيكَهُ الْمُلُوكُ بِفَضْلِهَا
 لم يأت في إعجاله بَدَاد^(١)
 من صانني إلّا من الإنكاد^(٢)
 حَسَنُ الْخَلَاتِقِ مِنْ بَنِي الْأُنْجَادِ^(٣)
 ولأنت تنظرُ في طريق رَشَادِي^(٤)
 إن كان مِنِّي يُرْتَجَى لِيُودَادِ
 تدعو لنا باليمن والإسعاد^(٥)

- ٤ - ديوان المعتمد بن عباد (وزارة التربية والتعليم المصرية) ؛ (تحقيق أحمد بدوي
 وحامد عبد المجيد) ، القاهرة ١٩٥٦ م ؛ المعتمد وشعره عصره (حققه محمد زهدي
 يكن)، بيروت (دار يكن للنشر) ١٩٧٥ م .
- ★ المعتمد بن عباد: الملك الجواد الشجاع، الشاعر المرزأ، تأليف عبد الوهاب عزام،
 القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩ م .
- المعتمد بن عباد، تأليف علي أدهم، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة
 والنشر - أعلام العرب، رقم ٢)، بلا تاريخ .
- راجع كتب التاريخ العامة ثم فلاتد العقيان ٤ - ٣٥ ؛ المطمح ١١ - ٣٣ ؛ الذخيرة ٢
 : ٤١ - ٨١ ثم أماكن كثيرة في جميع الأقسام ؛ المطرب ٧ - ١٠ ؛ وفيات الأعيان ٥ :
 ٢١ وما بعد (ترجمة عامة لبني عباد ، وفيها استطراد كثير) ؛ الحلقة السيرة ٢ :
 ٥٢ - ٦٨ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٨٣ - ١٨٨ ؛ أعيال الأعلام ١٥٧ - ١٧٠ ؛
 شذرات الذهب ٣ : ٣٨٦ - ٣٩١ ؛ نفع الطيب ٤ : ٩٢ - ٩٩ ، ٢١١ - ٢٢٧ ،
 ٢٤٥ - ٢٨٥ ، ٣٥٤ وما بعد (أخبار معركة الزلاقة ويوسف بن تاشفين وما يتصل
 بذلك من أخبار ملوك الطوائف عامة والمعتمد بن عباد خاصة) ؛ بروكلمن ١ :
 ٣١٩ - ٣٢٠ ، الملحق ١ : ٤٧٩ ؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ؛ نيكل
 : ١٣٤ - ١٦٣ ؛ مختارات نيكل ٨٢ - ١٠٣ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٥٠ - ٥١ (٦ :
 ١٨٨) .

- (١) السداد: الصواب .
 (٢) الانكاد: قلّة الخير (الحاجة إلى أسباب الحياة)، الفقر .
 (٣) النجل: الولد (ولد الرجل). النجد (يفتح فكسر أو يفتح فصح): الرجل ذو العزيمة .
 (٤) سام: طلب . تنظر في طريق رشادي (ترد لي الخير) .
 (٥) رميكة، الرميكة: امرأة المعتمد وأمّ بثينة .

الحَمِيدِيُّ

١ - هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ قَتَوَحَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمِيدٍ بْنِ يَصَلَ الْأَزْدِيُّ، كَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ الرُّصَافَةِ (بِقَرْطَبَةِ) ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى جَزِيرَةِ مَيُورَقَّةَ. وَلَدَ الْحَمِيدِيَّ هَذَا قَبْلَ ١٢٠ هـ.

سَمِعَ الْحَمِيدِيَّ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ أَصْبَغَ بْنِ رَاشِدٍ بْنِ أَصْبَغَ (ت ١٤٠ هـ) ثُمَّ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْعُذْرِيِّ وَمِنْ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، وَلَزِمَ ابْنَ حَزْمٍ (ت ١٥٦ هـ) وَأَخَذَ عَنْهُ الْمَذْهَبَ الظَّاهِرِيَّ وَأَكْثَرَ مِنَ الرِّوَايَةِ عَنْهُ.

وَلَمَّا اشْتَدَّ الاضطهادُ عَلَى أَتْبَاعِ الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ رَحَلَ الْحَمِيدِيُّ عَنِ الْأَنْدَلُسِ، سَنَةَ ١٤٨ هـ (١٠٥٦ م) فَحَجَّ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ فِي مَكَّةَ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ الزَّنْجَانِيِّ (ت ١٧١ هـ)؛ ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى مِصْرَ فَرَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ وَسَمِعَ مِنَ الضَّرَّابِ وَمِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامَةَ الْقُضَاعِيِّ (ت ١٥٤ هـ). ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ فَالْعِرَاقَ: نَزَلَ فِي بَغْدَادَ ثُمَّ قَضَى مُدَّةً فِي وَاسِطَ، وَبَعْدَئِذٍ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَاسْتَقَرَّ فِيهَا. وَفِي بَغْدَادَ أَذْرَكَ الْخَطِيبَ الْبَغْدَادِيَّ وَرَوَى عَنْهُ. وَكَانَتْ وَفَاةُ الْحَمِيدِيِّ فِي بَغْدَادَ، فِي ١٧ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ٤٨٨ (١٩ / ١٢ / ١٠٩٥ م).

٢ - كَانَ الْحَمِيدِيُّ إِمَامًا ثِقَةً فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَعِلَلِهِ وَمَعْرِفَةِ مُتُونِهِ وَرُوَايَةِ مُحِيطًا بِفَنُونِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَبِالْفِقْهِ عَامَّةً وَالفقه الظاهري خاصة. وَهُوَ الَّذِي حَمَلَ كُتُبَ ابْنِ حَزْمٍ إِلَى الْمَشْرِقِ. وَكَانَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الشُّعْرِ.

وَكَانَتْ لِلْحَمِيدِيِّ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ ضَاعَ كَثِيرٌ مِنْهَا وَبَقِيَ بَعْضُهَا. فَمِنْ أَشْهُرِهَا مَا بَقِيَ لَنَا مِنْهَا: جَدْوَةُ الْمُفْتَسِرِ فِي ذِكْرِ وِلَاةِ الْأَنْدَلُسِ وَأَسْمَاءُ رُوَاةِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ الْفَقْهِ وَالْأَدَبِ وَذَوِي النِّبَاهَةِ وَالشُّعْرِ - الْجَمْعُ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ (جَمْعُ الْأَحَادِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ) - تَفْسِيرٌ غَرِيبٌ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ - الذَّهَبُ الْمَسْبُوكُ فِي وَعْظِ الْمُلُوكِ - تَذَكُّرَةُ الْحَمِيدِيِّ (مَخْتَارَاتٌ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ) - بَلْغَةُ الْمُسْتَعِجِلِ فِي مَعْرِفَةِ جُمْلَةِ مِنَ التَّارِيخِ.

- قال الحميدي في مقدمة كتابه « جذوة المقتبس » :

.... أما بعد، فإنَّ بَعْضَ من أَلْتَزَم (!) واجبَ شُكْرِهِ على جِئِلِ بَرِّهِ - لَمَّا وَصَلْتُ
إِلَى بَغْدَادَ وَحَصَلْتُ من إِفَادَتِهِ على أَفْضَلِ مُسْتَفَادٍ - نَبَّهَنِي على أَن أُجِيعَ ما يَحْضُرُنِي
من أَسْمَاءِ رِوَاةِ الْحَدِيثِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلِ الْفَنَةِ وَالْأَدَبِ وَذَوِي النِّبَاهَةِ وَالشُّعْرِ وَمَنْ لَهُ
ذِكْرٌ مِنْهُمْ أَوْ مَن دَخَلَ إِلَيْهِمْ أَوْ خَرَجَ عَنْهُمْ، في مَعْنَى من مَعَانِي الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ أَوْ
الرِّثَاةِ وَالْحَرْبِ.

فَأَعْلَمْتُهُ عن بُعْدِي بِمَكَانِ هَذَا الْمَطْلُوبِ وَقَلَّةِ مَا صَحَّحَنِي مِنَ الْقَرَضِ الْمَرْغُوبِ،
وَأَنِّي إِن رُئِنْتُه على قَلَّةِ مَا عِنْدِي وَتَمَاطَيْتُهُ على انْقِطَاعِ مَوَادِّي وَبُعْدِي لَمْ أَخُلْ من
أَحَدٍ وَجْهَيْنِ: إِمَّا أَن أَبْخَسَ الْقَوْمَ حَظَّهُمْ وَأَنْقَضَهُمْ فَأَتَمَّرَضَ لِلْأَيْتَمِيهِمْ في مَا أَوْرَدْتُ
وَأَقِفُ مَوْقِفَ الْإِعْتِزَالِ في مَا إِلَيْهِ قَصَدْتُ، وَإِمَّا أَن أُوْهِمَ من رَأْيِ قَلَّةِ جَمْعِي وَنِهَائَةِ
مَا في وَسْمي أَنَّهُ لَيْسَ من أَهْلِ الْفَضْلِ في تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَّا نَزَرُ من الْأَعْدَادِ، فَأَكُونُ بَعْدَ
إِخْتِفَالِي لَهُمْ قَدْ قَصَرْتُ بِهِمْ، وَعِنْدَ اجْتِهَادِي في ذِكْرِهِمْ قَدْ أَخْلَلْتُ بِفَخْرِهِمْ. وما
أَرَانِي مَعَ ذَلِكَ إِلَّا مُتَّصِدًا لِمَدَامَةِ الطَّائِفَتَيْنِ..

- للحميدي مقطعات في الزهد منها:

* طريق الزهد أفضل ما طريق	وتقوى الله تالية ^(١) الحقوق.
فبقى بالله يكفيك، وأستعينه	بِعُنْكَ ودع بُنْيَاتِ الطريق ^(٢) .
* كلام الله عز وجل قولي	وما صَحَّتْ به الْأَنَارُ ^(٣) ديني.
وما اتفق الجميع عليه بدءاً	وعوداً، فهو من حقِّ مبین.
* لِقَلَّ النَّاسَ لَيْسَ يُغِيدُ شَيْئاً	سوى الْهَذْيَانِ من قِيلِ وَقَالَ.
فَأَقْلَلْ مِنْ لِقَلِّ النَّاسِ إِلَّا	لَاخِذِ الْعِلْمَ أَوْ إِصْلَاحِ حَالِ.

(١) ما ء زائدة. تالية: تامة (٢).

(٢) بنيات الطريق: الطرق الضيقة المتفرعة من غيرها.

(٣) الآثار ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

* أَلِفْتُ التَّوَى حَتَّى أَيْسْتُ بَوَحْشَهَا وَصِرْتُ بِهَا لَا فِي الصَّبَابَةِ مُوَلِّمًا.
فَلَمْ أَحْصِرْ كَمْ رَافَقْتَهُ مِنْ مِرَافِقٍ وَلَمْ أَحْصِ كَمْ خَيْمْتُ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعًا.
وَمِنْ بَعْدِ جَنْبِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَلَا بَدَّ لِي مِنْ أَنْ أُوَافِيَ مَصْرَعًا^(١).

١ - جذوة المقتبس... (قام بتصحيحه محمد بن تاويت الطنجي)، القاهرة (مكتب نشر الثقافة الإسلامية) ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م، القاهرة (الدار المصرية للتأليف والنشر) ١٩٦٦ م.

*** بقية الملتصق ٥٣٠ - ٥٣١ (رقم ١١٣) المغرب ٤٦٧ - ٤٦٨ معجم الأدباء
١٨ : ٢٨٢ - ٢٨٦ وفيات الأعيان ٤ : ٢٨٢ - ٢٨٤ الوافي بالوفيات ٤ :
٣١٧ - ٣١٨ : الحريدة (الأندلس) ٤ (الجزء الثاني) : ١١٢ شذرات الذهب ٢ :
١٣٩٢ نفع الطبيب ٢ : ١١٢ - ١١٥ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٤ : ٣٣٧ - ٣٣٩ ، ٣٤٨
نيكل ٢١١ - ٢١٢ مختارات نيكل ١٤٧ - ١٤٨ بروكلس ١ : ٤١٣ ، الملحق
١٥٧٨ - ١٥٧٩ الأعلام للزركلي ٧ : ٢١٨ - ٢١٩ (٦ : ٣٢٧).

ابن عبد الصمد

١ - هو أبو بكر (وأبو بحر) يوسف بن أبي القاسم بن خَلْفٍ بن أحمد، من نسل
السَّمْعِ بن مالك الحَوْلَاقِي الذي كان والياً على الأندلس (١٠٠ - ١٠٢ هـ) من قبلي
عُمَرَ بن عبد العزيز، أصله من كُورَةِ جِيَّانَ. وكان أهلُه من ذَوِي الجِأِ وَمِنْ أَهْلِ
الكتابة والأدب.

قَسَمَ الدُّنْيَا عَلَى ابْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ حَتَّى اتَّصَلَ بِالْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ وَحَظِيَ عِنْدَهُ
فَارْتَقَتْ مَرْؤَتُهُ وَنَالَ مِنَ الْمُعْتَمِدِ عَطَايَا كَثِيرَةً. وَلَمَّا اسْتَوَلَى الْمُرَاطِبُونَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ
وَأَزَالُوا جَمِيعَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ وَأَسْرَوْا الْمُعْتَمِدَ بْنَ عَبَّادٍ، يَوْمَ الْأَحَدِ فِي الثَّانِي
وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٤٨٤ (٧ / ٩ / ١٠٩١ م)، تَخَفَّى ابْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ ثُمَّ
انْتَقَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْتَلِ حُطُوءَهُ عِنْدَ الْمُرَاطِبِينَ، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّهُ عَاشَ فِي
الْمَغْرِبِ بَعْدَ ذَلِكَ مُدَّةً. وَفِي عِيدِ الْأَضْحَى مِنْ سَنَةِ ٤٨٨، بَعَثَ وَفَاةَ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ
بشهرين تامين، اتَّفَقَ أَنْ كَانَ ابْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ فِي أَغْمَاتٍ (إحدى ضواحي مدينة

(١) جوب الأرض (المولان فيها).

مَرَاكُشَ، وفيها قَبْرُ المعتمد) فزارَ قَبْرَ المعتمد مَعَ الزائرين وأنشدَ عنده قصيدته المشهورة الرائعة. ولنا نَعْلَمُ سَنَةَ وفَاةِ ابنِ عبد الصمد، ويبدو أَنَّهُ تُوُفِّيَ في أواخر القرنِ الخامسِ للهجرة.

٢- كان لابن عبد الصمد ثَرٌ وشعر، ولكن لم يصل إلينا من آثاره في الأغلب إلا قصيدته الدالية وهي قصيدة رائعة طويلة جداً أورد منها ابن الخطيب في كتابه «أعمال الأعلام» (ص ١٦٥ - ١٧٠) مائة وأربعة أبيات. وهي قصيدة فصيحَةُ الألفاظ سهلة التراكيب واضحة المعاني ذاتُ تأثيرٍ في النفس. وفيها صناعة يسيرة وعددٌ من الإشارات التاريخية. وفيها رثاءٌ للمعتمد ثم فخرٌ بشعره هو.

٣- مختارات من شعره

- في عاشر ذي الحجة من سنة ٤٨٨ (١٠/١٢/١٠٩٥) انصرف الناس من صلاة عيد الأضحى وجاء جمعٌ منهم لزيارة قبر المعتمد بن عباد، وكان فيهم ابن عبد الصمد، فوقفَ على القبرِ وأنشد:

مَلِكُ الملوِكِ، أَسامِعُ فأنادي؛	أَمْ قَدْ عَدَنَكَ عَنِ السَّاعِ عَوادي ^(١) .
لَمَّا خَلَّتْ مِنْكَ القصورُ فلم تكن	فيها كما قَدْ كُنْتَ في الأعياد ^(٢) ،
أَقْبَلْتُ في هذا الترى لك خاضعاً	وَتَخِذْتُ قَبْرَكَ مَوْضِعَ الإنشاد ^(٣) .
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تُبَرِّدَ أَدْمُعِي	نيرانَ حُزْنٍ أَضْرِمْتَ بِفؤادي.
فإِذَا بَدَمْعِي كَلَّمَا أَجْرَيْتُهُ	زادتْ عَلَيَّ حِراوةَ الأكباد.
يا أَيُّها القبرُ المنيرُ، أَهَكَذَا	يُمحى ضياءُ الكوكبِ الوَقَادِ؟
ما كان ظَنِّي قَبْلَ مَوْتِكَ أَنْ أَرى	قَبيراً يَضُمُّ شِواخِ الأَطْوادِ ^(٤) .
عَهْدِي بِمَلِكٍ وَهُوَ طَلَقَ ضاحِكٌ	بُتَهَلَّلُ الصَّفَحَاتِ لِلْفُصَادِ ^(٥) ،

(١) مواد جمع عادة: نائبة، مصيبة. عدتك: صرفتك (عن الأمر) وشطتك.

(٢) غلت: فرغت (بكسر الراء). لم تبق القصور اليوم كما قد كنت أنت فيها من قبل.

(٣) الترى: التراب (هذا الجانب من الأرض، البلد)، أنجات (موضع قبر المعتمد).

(٤) الطود: الجبل. الشاخ: العالي.

(٥) الصفحات (صفحتا الوجه). طلق: منطلق، ضاحك، مسرور. متهلل: فرح.

أَيَّامُ تَخْفِيقُ حَوْلِكَ الرَّاهِيَاتُ فَوْ
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالزَّمَانُ مُبَشِّرُ
وَالْخَيْلُ تَمْرُجُ وَالْفَوَارِسُ تَنْحَنِي
إِذَا نَحَسَبُ الْمُهَيَّجَةَ رَوْضًا بَانِعًا
وَكُنَّا بِيضَ الْمُرْهَقَاتِ عَلَى الطَّلَا
وَلَكَمْ هَزَزَتْ الْفُصْنَ مِنْ طَرَبٍ لَهَا
وَكَأَنَّمَا فِي الدِّرْعِ مِنْكَ رَبِيعَةٌ بَدِ
حَتَّى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَطْهَرَ جَفْدَهُ،
أَلْقَتْ بِأَنْبِيئِهَا مَعَاقِلَكَ الَّتِي
وَتَهْدَمُ أَرْكَانُ كُلِّ سِيَاسَةٍ،
قَالُوا: أَضَاعَ الْحَزَمَ وَهِيَ بَوَاطِلُ؛
وَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ مُلْكٍ فَالْعَنَا

قِي كِتَابِ الرُّؤْسِ وَالْأَجْنَادِ،
بِمَالِكَ قَدْ أَدْعَنْتَ وَبِلَادِ،
بَيْنَ الصَّوَامِرِ وَالْقَنَا الْمَيَّادِ^(١)،
وَتَرَى الْأَزَاهِرَ مِنْ ضِيَاءِ صَيْعَادِ^(٢)،
وَرُقَّ الْحِمَامِ عَلَى الْفُصُونِ شَوَادِ^(٣)،
وَجَرَزَتْ أَذْيَالًا مِنَ الْأَزْرَادِ^(٤)،
نُ مُكَدَّمٍ وَالْحَارِثُ بْنُ عُبَادِ^(٥)؛
وَالدَّهْرُ لِلْأَحْرَارِ ذُو أَخْفَادِ،
مُلِثَتْ مِنَ الْعُقْبَانِ وَالْآسَادِ^(٦)،
وَأَنهَدَ حَوْلَ الْمُلْكِ كُلِّ عِبَادِ،
نُورُ الْحَقَائِقِ لِلنَّوَاطِرِ بَادِ^(٧)،
فِي غَايَةِ الْإِكْتَارِ وَالْإِعْدَادِ^(٨)،

- (١) تنحني (١) اقرأ: تشمي (تقتخر، تذكر أناسيا - والانتباه من عادة العرب في الحروب عند المارزات). الصارم: السيف. القاذ: الرمح. المياد: المتأود (ينحني ولا ينكسر).
- (٢) المهيَّجاء: الحرب. البانغ (من الأتغار): التناضح. الصعدة: الرمح (إذا رأيت الرماح في أثناء المعركة غيَّلَ إِلَيْكَ أَنَّهَا أَغْصَانُ مَرْهَرَةٍ).
- (٣) المرهف: الرقيق، اللطيف. الطابع: البيض: السيوف. الطلاء (بضم الطاء): جانب المعق. الوراق: الحماية. شادية: متروكة، مغتربة (أنت تحب أصوات السيوف وهي تقطع الأعناق كأنها حمام تناد على الأغصان).
- (٤) الفصن (هنا): الرمح. الرزد: الفرع (أنت تطرب للطنن بالرمح وتبخر في الدرع في أثناء المعركة - كما يبرّ الناس بتأليل أغصان الأشجار وبالتنختر في ثيابهم النخبة).
- (٥) ربيعة بن مكدَّم والحارث بن عباد من الفرسان الشجعان في الجاهلية.
- (٦) المعقل (بفتح فسكون فكسر): الحصن. ألفت معانك بأهديا: استسلمت (للدوا). العقبان (كتابة عن الخيل) والآساد (كتابة عن الحسود).
- (٧) اتهموا المتشد بأنهم كان يغلّوهم قد يهد عن الاهتمام بإدارة الملك. باد: ظاهر.
- (٨) العاد: التنب. الإعداد: الاحتياط لما سيحدث في المستقبل. الإكتار: إكثار الكلام في اللوم (٢) - إذا أذن عمر الدولة في الانتهاء فإنها شسقط حقاً، ولن يمنع سقوطها جهود أو لوم (راجع ابن خلدون - ت ٨٠٨ هـ)

حازتُ بنو العباسِ مُلكَ أُمِّيَّةٍ
ورأى مُعاويةَ عَلِيّاً هَالِكاً،
والدهرُ أَذْهَبَ ثُبْعاً وَجُنُودَهُ
أَنِّي لأَعْجَبُ بَعْدَ فَتْدِكَ كَيْفَ لَا
مَنْ يَفْتَحُ الْأَمْصَارَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ؟
مَنْ يَبْرُكُ الْأَسْطَارَ فِي الْأَوْرَاقِ مِثْ
مَنْ يَفْهَمُ الْمَعْنَى الْخَفِيَّ، وَمَنْ
مَنْ ذَا يَرُدُّ عَلَى الْعَفَاءِ ظِلَالَهُ
هَيْهَاتَ، مَاتَ الْجُودُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
مُسَخَّ الزَّمَانُ بِأَهْلِهِ فَتَعَوَّضُوا
يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ الَّذِي فَقَدَانُهُ
كُنَّا نُؤَمِّلُ أَنْ نَرَى لَكَ عَوْدَةً
وَتَبَيَّتْ خَيْلُكَ فِي مَرَابِطِهَا عَلَى
وَهُمْ ذَوُو الْأَعْدَادِ وَالْأُمْدَادِ (١)
وَعَلِيُّ اللَّيْثُ الْهَزْبَرُ الْعَادِي (٢)
وَأَزَالَ مُلْكُ الْأَرْضِ عَنْ شَدَادِ (٣)
تُسْتَنْكَرُ الْأَسْيَافُ فِي الْأَغَادِ (٤)
مَنْ يَفْقَدُ الرِّيَاسَاتِ لِلْقَوَادِ؟
لَنْ الْخَلْفِي فِي اللَّبَّاتِ وَالْأَجْيَادِ (٥)
لَهُ صِدْقُ الْحَدِيثِ وَصِحَّةُ الْإِيرَادِ (٦)
وَيُبْلَغُ الْأَمَالُ كُلُّ مُرَادِ (٧)
وَأَصَابَ بَرُّ الْقَهْرِ كُلُّ كَسَادِ (٨)
مِنْ ذَلِكَ الْإِصْلَاحُ بِالْإِفْسَادِ (٩)
قَتَلَ الرَّجُلَ وَفَتَّ فِي الْأَعْضَادِ (١٠)
تُعْطِي بِهَا الْأَيَّامُ كُلَّ قِيَادِ (١١)
وَعَدِ مِنَ الْإِتِهَامِ وَالْإِنْجَادِ (١٢)

- (١) وكان بنو أمية كثري العدد كثري الثروة والجنود.
(٢) الليث: الأسد. الهزبر: الأسد الضخم الكاسر. العادي (الجرمي على القتال).
(٣) تبع بن حسان ملك اليمن، كان قوياً مطعراً طال ملكه جداً (زعموا ثانية وسبعين عاماً). شداد بن عاد ملك يمني قديم غزا البلاد (زعموا أنه وصل إلى أرمينية والغرب).
(٤) الفصد (بالكسر): غراب (بالكسر) السيف. ~ كيف لا تسل السيوف للانتقام من أعداء المعتد.
(٥) اللبّة: أعلى الصدر. الجيد (بالكسر): الضيق. أدبه (شعره وتره) جميل مثل الحلّي على النسيم الحسان.
(٦) صادق في حديثه وصحيح الإيراد (النقل) لأحداث الآخرين.
(٧) المالقي: الذي يطلب المعروف (المطاء) وبحق كل أمل.
(٨) ... كسد برّ حرير: القهم: قتل الاهتمام بالنتاج العظمي والأدبي (هذا تعريض ببيوسف ابن تاشفين الذي خلع جميع ملوك الطوائف وقيل فيه أنه كان لا يعرف اللغة العربية ولا يقبل إنشاء الشعر في حضرته).
(٩) الإصلاح الذي كان في أيام المعتد حلّ علقه الفساد في أيام يوسف ابن تاشفين.
(١٠) فتّ (كسر) في العضد (يفتح فعض: ما بين المرفق والكتف). فتّ في عضده: أوهن قوته وأهأسه.
(١١) كنا نرجو أن نعيد ملكك.
(١٢) الاتهام: النزول إلى الأرض المنخفضة. الانجاء: الصعود إلى الأرض العالية (تسيير حيوتك إلى جميع البلاد).

إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ ضَجِيعَتِكَ الَّتِي
 جَاوَزَتْهَا فِي قَبْرِهَا فَكَاثًا
 أُمُّ الْمُلُوكِ، أَمَا عَلِمْتَ بِزَائِرِ
 أَبْكِي الْعُلَا وَالْمَجْدَ فَقَدْ كُفَا الَّذِي
 لَهْفِي عَلَى تِلْكَ السَّجَايَا إِنَّهَا
 كَمْ نَعْمَةٍ خَضَرَاءَ قَدْ أَلْبَسْتَنِي
 أَخْجَلْتَنِي فِي الْجُودِ الَّذِي دَفَعْتَ حَا
 قَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى الْبَحَارَ مَنَاهِلِي
 فِي دَوْلَةٍ غَرَمَهُ عِبَادِيَّةُ
 وَرِثَايَةِ تَحْمِي الْبِلَادِ، رَئِيسُهَا
 وَالْبَدْرُ يَرْنِي وَالشَّرْمَا مَغْفَلِي
 أَغْرَقْتَنِي فِي بَحْرِكَ الطَّامِي الَّذِي
 وَسَلَلْتُ فِي نَضْرِي سُبُوفَ مَكَارِمِ
 عَادَتْ بِجَارًا إِذْ سَقَيْتَ ضَحَاضِحِي،

قَدْ كَانَ قُرْبُكَ أَنْتَهَا فِي النَّسَادِي (١)
 قَدْ كُنْتُ فِي ذَا عَلَى مِعَادِ (٢)
 لَكَ ذِي وَفَا مُخْلَصِرٍ وَوَدَادِ ؟
 لَيْسَتْ لَهُ الدُّنْيَا ثِيَابَ حِدَادِ .
 زَهْرُ الرُّبَى مُوْثِيَّةُ الْأَنْبَادِ (٣)
 وَمَوَاهِبِ وَالْيَتَاهِ وَأَيَادِ (٤)
 تَمْ طَبِيخٍ وَفَضَحَتْ كَعْبَ إِيَادِ (٥)
 زَهْوًا وَلَا أَرْضَى السَّيَاكَ مِهَادِي (٦)
 قَلْتُ مِنَ الْأَمْلاكَ كُلِّ عِينَادِ (٧)
 يَوْمَاءُ: يَوْمَ نَدَى وَيَوْمَ جِلَادِ (٨)
 وَالصُّبْحُ سَيْفِي وَالرَّيَّاحُ جِيَادِي (٩)
 مَنَعَ الظَّهَاءَ وَرُودَ كُلِّ نَهَادِ (١٠)
 تَرَكْتُ سِيُوفَ الْمَهْدِ غَيْرَ حِدَادِ (١١)
 وَغَدْتُ هِضَابًا إِذْ رَفَعْتَ وَهَادِي (١٢)

(١ - ٢) يشير الشاعر إلى موت اعتاد (زوج المستند) قبله بقليل.

(٣) السجايَا: الطيَّان (الأخلاق الجميلة). موثية: مطرزة. البرد (بالضم): ثوب من حرير.

(٤) الموهبة (الهبة) المطلب. وإلى الأشياء: جاء بها متواليّة (متتالية). الإيهادي: النعم.

(٥) حاتم الطائي الشهير بالكرم. كتب من مائة الأبيادي يضرب به المثل في الكرم (وكلاهما جاهلي).

(٦) النهل: الشرب الخفيف. الزهو: الإعجاب بالنفس. السك (الأهزل) والسك (الرايح) مجموعتان من

السجود. المهاد: الفراش.

(٧) الأملاك: الملوك. قلت عناد الملوك (أخضعتهم).

(٨) ندى: كرم. جلد: حرب.

(٩) الرثاء: مجموع عموم. المقل: الحصن. الجواد: الحصان.

(١٠) الطامي: المرتفع (الكثير الفائض). الظهَاء جمع ظهآن: عشان. الورد: الذهاب إلى الماء. اللاد: الماء

القليل - كان الشعراء يأتون إليك لأنك كنت تمطي كثيراً بيتاً كان الآخرون يمتطون قليلاً أو لا

يمطون شيئاً. (عطائك الكثير أغنى الناس عن الذهاب إلى جميع الملوك).

(١١) حداد جمع حاد: ماض، قاطع - رفعت منزلي حتى خاني الأبطال ذوو السيوف.

(١٢) الضحاح: الماء القليل. الوعدة: المكان المنخفض.

وَمَدَدْتُ كَفِّي لِلْكُوكَبِ قَاعِدًا
تَفَقَّسَنِي وَالدهْرُ يَبْخُسُ قِيمَتِي
وَأَقْنَسَنِي لَمَّا رَأَيْتُ حَوَا
فَالْجَفْنُ بَعْدَكَ لَيْسَ يَدْرِي مَا الْكَرَى
وَكَاَنَّ قَلْبِي فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ،
إِنْ لَمْ تَطِيبْ فِيكَ الْمَرَاتِي وَالشَّائِ
مَا كَانَ إِلَّا الرُّوضَ مَوْشِيَّ الْحُلَى
يَهْتَرُ عِنْدَ الْحَمْدِ بِعِطْفِهِ كَمَا
يَا مَوْتُ، لَمْ تَتْرُكْ حَنِيفًا مُسْلِمًا
قَدْ كَانَ مِنْ أَعْلَى الْمُلُوكِ رِثَاةً،
يَا مَوْتُ، كَيْفَ رَأَيْتَ صَبْرَ مُحَمَّدٍ،
كَمْ رَأَى فِي رَجَبٍ لِقَاءَكَ جَاهِدًا،
أَهْوَى الشُّهُورَ سِوَاهُ فَهَوَّ أَذْلَسَنِي
صَبْرًا جَمِيلًا، يَا بَنِيهِ، فَرُبَّمَا
إِنِّي نَظَّمْتُ لَكُمْ لَائِلِي قَوْلِي

فَبَلَّغْتُهَا لَمَّا غَدَوْتُ مَصَادِي^(١)
وَأُفَيْتُ مِنْ رُخْصِي بِهِ وَكَسَادِي^(٢)
دِثَ الْأَيَّامِ قَدْ أَسْرَفَنَ فِي إِقْعَادِي
(مِنْ) دَمْعَةٍ مُنْهَلَةٍ وَسُهُادِ^(٣)
وَكَاَنَّ جَنْبِي فَوْقَ شَوْكِ قِتَادِ^(٤)
بَنِي فَلَسْتُ بِطَبِيبِ الْمِبْلَادِ
سُقَيْتُ أَزَاهِرَهُ بِصَوْبِ عِيَادِ^(٥)
يَهْتَرُ عِطْفُ الْأَمَلِيدِ الْمِيَادِ^(٦)
صَغَبَ اللَّفَاءِ عَلَى ذَوِي الْأَحْقَادِ^(٧)
وَقُودَاهُ مِنْ أَوْزَعِ الرُّهَادِ
قَبْلَ احْتِيلَاكَ كَانَ فِي اسْتِعْدَادِ^(٨)
وَالْحِطُّ لَيْسَ يُنَالُ دُونَ جِهَادِ^(٩)
وَأُحِبُّ أَيَّامِي سِوَى الْآحَادِ^(١٠)
نَالِ الْمُنَى قَوْمٌ بِلَا مِعَادِ
عَرَضَتْ عَلَى الْأَيَّامِ صَفْوٌ وَدَادِي^(١١)

(١) المصاد: مكان الصيد.

(٢) يبخس (يقلل من) قيمتي (مكانتي).

(٣) الكرى: النوم. السهاد: السهر. في الأصل: «في دمعة».

(٤) قلبي في مخالب طائر: قلق (خائف). القتاد: نبت له شوك قاس.

(٥) موشي: مطرز. العياد: المطر المتتابع. الصوب: اسكاب (المطر) بكثرة.

(٦) معطف: ثوب يلبس في الشتاء (كتابة عن المعتمد نفسه). اهتر: ارتاح (طرب، سر). العطف: الحائب

الأعلى من الأشياء. الأملد: (الفصل) الناعم اللين. المياد القابل، المتنني.

(٧) بعد موت المعتمد لم يبق في الدنيا مسلم حنيف (حقيقي).

(٨) قبل أن يدركه الموت كان يستعد ليستميد ملكه بالحرب.

(٩) في رجب من سنة ٤٨٤ استولى يوسف بن تاشفين على اشبيلية وخلق المعتمد. كان المعتمد في ذلك

الحين يريد أن يموت في سبيل الدفاع عن ملكه.

(١٠) كان خلق المعتمد في يوم أحد (راجع ترجمته).

(١١) قولة: قصيدة. نظمها إظهاراً لخالص مودتي للمعتمد (مع العلم بأن دولة المرابطين لم تكن تريد ذلك).

ولقد رَتِّبْتُ وما قَضَيْتُ حُقُوقَكُمْ، واللهُ يَعْلَمُ ما يُكِنُّ فُؤادي^(١).

١-٢-٢٢ * فُلانِد العِتيان ٣٤-١٣٥ الذخيرة ٣: ٨٠٩-١٨٢١ المغرب ٢: ٢٠٣-١٢٠٤
الحريفة (المغرب) ٢: ٥٣٧-١٥٣٨ أعمال الأعلام ١٦٥-١١٧٠ نفع الطيب ٣:
١٥٣٤: ٢٢٣-٢٢٤: ٢٥٩ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٦٧٧ نيكل ١٥٣.

أبو مروان عبد الملك بن سراج

١- هو أبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج، قيل إنه من ذرية سراج بن قُرّة من صحابة رسول الله فيكون بذلك عربي النسب، ولكن الأقرب إلى الصواب أنه من موالي بني أمية في المشرق. ولعلّ الصحيح أن أصله من الأندلس وأنه مولى المروانيين في الأندلس. ولا ريب في أن آل سراج كانوا ذوي شهرة ومكانة كما كانوا أهل بيت ذوي خير وفضل ومن مشاهير الموالي أيضاً.

ولد عبد الملك بن سراج في قرطبة في ثاني عشر ربيع الأول من سنة ٤٠٠ (١٠٠٩/١١/٣ م). وتلقى العلم على أبيه (ت ٤٥٦ هـ) وعلى القاضي يونس بن عبد الله بن الصنّار (ت ٤٢٩ هـ) وإبراهيم بن محمد الإفليبي (ت ٤٤١ هـ) وأبي مروان بن حيان المؤرخ (ت ٤٦٩ هـ) ومكي بن أبي طالب القيرواني.

وكانت وفاة عبد الملك بن سراج يوم الخميس ليلة عرفة (في ثامن ذي الحجة) من سنة ٤٨٩ هـ ودفن يوم عرفة (تاسع ذي الحجة) أو ١٠٩٦/١١/٢٩ م، في مقبرة الربض من قرطبة.

٢- كان أبو مروان عبد الملك بن سراج إماماً في اللغة غير مُدافعٍ وعالماً بعددٍ من الفنون من معاني القرآن ومعاني الحديث وغريب اللغة والنحو والأنساب والأهام (المعارك) كما كان حريصاً على إسناد الأخبار في ذلك إلى العلماء والرواة كثير الاستشهاد بآيات القرآن الكريم. وكذلك كان له نظم عاديّ منه مديح وعتاب وفخر ونسيب.

(١) رتّبي كان أغلّ مما يجب عليّ. يَكُنْ: يضر بكتم، يخني.

٣ - مختارات من آثاره

- جاء عبد الملك بن محمد بن جَهْوَر - وهو ابن أبي الوليد محمد بن جمهور صاحب قرطبة (٤٣٥ - ٤٥٠ هـ) - لزيارة ابن سراج، ولم يكن ابن سراج يزوره ثم عاتبه في ذلك، فقال له عبد الملك بن سراج:

أعزك الله. أنت إذا زُرْتَنِي قال الناس: أمير زار عالماً تعظيماً للعلم واقتباساً منه. وأنا إذا زُرْتُكَ قالوا: عالمٌ زار أميراً للطمع في دنياه والرغبة في رفده ولا بصون علمه.

- قال أبو مروان عبد الملك بن سراج يمدح المظفر بن جمهور ويمعابه على قلة العناية به:

أَمَا هَوَاكَ فَنِي أَعَزُّ مَكَانٍ	كَمْ صَارِمٍ مِنْ دُونِهِ وَسِنَانٍ ^(١)
وَبَنُو حُرُوبٍ لَمْ تَزَلْ تَغْذُوهُمْ	حَقَّ الْفِطَامِ تُدْنِيهَا يَلِيَانٍ ^(٢) .
فِي كُلِّ أَرْضٍ يَضْرِبُونَ قِبَابَهُمْ،	لَا يُنْمَعُونَ تَحْيِيرَ الْأَوْطَانِ.
وَلَقَدْ سَرَيْتُ وَمَا صَحِبْتُ عَلَى السَّرَى	غَيْرَ النُّجُومِ إِرَادَةَ الْكِتَانِ ^(٣) .
فِي لَيْلَةٍ نَظَرْتُ إِلَيْ نَجُومِهَا،	وَمَقَعَهُمُ الْفَرَاتِ غَيْرُ جَبَانٍ ^(٤)
قَالَتْ فَتَاتَهُمْ وَقَدْ نَبَّهْتُهَا	وَاللَّيْلُ مُلْقَى كُلِّكِلِي وَجِرَانٍ ^(٥)
كَيْفَ اجْتَرَأْتُ عَلَى تَجَاوُزٍ مِنْ تَرَى	مَنْ نَامَ حَوْلِي وَمَنْ يَقْظَانِ؟
فَأَجَبْتُهَا إِنْ ابْنُ جَهْوَرٍ الرِّضَا	مَنْعَ الْخَافِ أَنْ تَحِلَّ جَنَانِي.
أَتَعُودُ دَلُوي مِنْ بَحُورِ سَاحِكِمْ	صِفْراً وَلَيْسَتْ رَنَّةُ الْأَشْطَانِ ^(٦) ،

(١) صارم: سيف. سنان: رمح.

(٢) الثدي (يضم فكسر فتشديد) جمع ثدي (يفتح فسكون): الصُّو الذي يرضع منه الطفل من أمه. اللبن (بفتح اللام): الرضاع (بالكسر أو الفتح) تناول اللبن من الثدي.

(٣) سري: سار ليلاً.

(٤) - إن الذي يسير وحده في الليل لا يكون جباناً.

(٥) الكلكل: الصدر. الجران: باطن عنق البعير (الليل في أواسطه شديد الظلام).

(٦) السباح: الكرم. الشطن (يفتح ففتح): الجبل الطويل (يحسب بوساطته الماء من البشر).

ويكون رَّبِّي مُسْتَجِيباً جَدُّهُ حَتَّى أَهَيَّ بِنَجْمَةِ الْبُلْدَانِ^(١) ؟
 قَسْنِي مِنْ بِنَايَ بَرْفَعِ مَكَانِهِ بِتَدْيِكَ الْعَالِي وَخَفَضِ مَكَانِي^(٢) .
 أَمِنْ السَّوْمَةِ أَنْ يَجْلُوا بِالرَّبِّي مِنْ أَرْضِهِ وَأَجِلُّ بِالْفَيْطَانِ^(٣) ؟
 إِنْ تُرَخِّصُوا خَطَرِي فَكَمْ مُغْلٍ لَهُ يَسْتَامُ فِيهِ بِأَرْفَعِ الْأَقْمَانِ^(٤) .

١-★★ قلائد المعقبان ٢١٧-٢١٨ : الصلاة ٣٤٦-٣٤٧ : بقية المتنس ٣٦٧-٣٦٨ :
 المغرب ١ : ١١٥-١١٦ : إنباء الرواة ٢ : ٢٠٧-٢٠٨ : الذخيرة ١ :
 ٨٠٨-١٨١٤ الخريدة (الاندلس) ٤ : ٥٠١-٥٠٣ : الديباج المذهب ١٥٧ : نفع
 الطيب ٤ : ١٦٢-١٦٣ : شذرات الذهب ٣ : ٣٩٢-٣٩٣ : الأعلام للزركلي ٤ :
 ٣٠٤ (١٥٩) .

أبو الوليد الوقشي

١- هو أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام بن خالد بن سعيد الكِنَافِي المعروف
 بالوقشي نسبةً إلى وَقَشَ (على مقرَّبَةٍ من طُلَيْطَلَة)، وفيها كان مولده سنة ٤٠٨
 (١٠١٧ م).

تلقَّى الوقشي العلم على أبي عمر عُثْمَانَ بن أبي بكرٍ السَّفَاسِي (ت ٤٤٠ هـ) وأبي
 عُمَرَ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ الْحَدَّادِ (ت ٤٦٧ هـ) وأبي عمر الطَّلَمَنَكِيِّ وغيرهم. وتولى
 الوقشي القضاء في طَلَبِيرَة من أعمالِ طُلَيْطَلَة. وفي أواخر أيامه سَكَنَ بَلَنْسِيَّةَ مُدَّةَ
 بسيرة ثم غادرها، سنة ٤٨٧ هـ لما استولى عليها النصارى، وانتقل إلى دانية وفيها
 كانت وفاته في السابع والعشرين من جمادى الثانية من سنة ٤٨٩ هـ (٢٠ / ٦ /
 ١٠٩٦ م).

٢- كان أبو الوليد الوقشي دَمِيثَ الأخلاقِ حَسَنَ المُعَاشَرَةِ واسعَ المعرفة بفضون

(١) ... حَتَّى اضْطَرَّ (بالبناء للجهول) إلى أَنْ أَهَيَّ (أسر على وحشي من غير مقصد معروف) بنجمة
 (بالذهاب إلى أماكن بعيدة)

(٢) بِنَايَ : يبعد (هنا: بنى بجانبه: بنجر وبتكبير - لأنه رفيع المكان في بلاطكم). التَدْيُ : مجتمع القوم.

(٣) الْفَيْطُ (بالفتح) المكان الكثير الماء (ويكون منخفضاً). الْمَقْصُودُ (هنا): انخفاض الترتل.

(٤) - إن جعلتم أُنْتُمْ قِيَمِي عِنْدَكُمْ قَلِيلَةً، لِهَذَا كَثِيرُونَ بِأَوْمُونِ (على ترككم وهدموني) أعلى الأَقْمَانِ.

العلم والأدب عالماً باللغة والنحو والأدب ومعاني الشعر حافظاً للحديث بارعاً في الفقه وفي الفرائض (تقسيم الإرث) قديراً في المنطق والفلسفة ومُحققاً لعلم الحساب والهندسة والموسيقى. ثم هو أديبٌ بليغٌ وشاعرٌ مُجيدٌ مجومٌ على المعاني وبسوقها في التراكيب السهلة. وكانت له قصيدةٌ في رثاء بَلَنْسِيَّةَ لما استولى عليها الإسبان ولكن يبدو أنها لم تُصِل إلينا. والوقشي هذا مُصَنَّفٌ له: نُكْتُ الكامل للمبرِّد - المُنتخب من غريب كلام العرب - مختصرٌ في الفقه.

٣ - مختارات من شعره

- لأبي الوليد الوقشي عدد من المقطعات، منها:

* قد بَيَّنْتُ فيه الطَّبِيعَةَ أَنَّهُا	بدقيقتي أَعْمَالِ المِهْنَدِسِ مَاهِرَةٌ:
عُيِّنَتْ بِمَنْبِغِهِ فَخَطَّتْ فَوْقَهُ	بِالْمَلِكِ خَطًّا مِنْ مُحِيطِ الدَّائِرَةِ ^(١) .
* لَا أَرْكَبُ البَحْرَ وَلَوْ أَنَّنِي	ضَرَبْتُ فِيهِ بِالعَصَا فَاغْلُظْ ^(٢) .
مَا إِنْ رَأَتْ عَيْنَايَ أَمْوَاجَهُ	فِي فِرْقٍ إِلَّا تَنَاهَى الفِرْقُ ^(٣) .
* بَرَحَ بِي أَنْ علِمَ الِوَرَى	اِثْنَانِ مَا إِنْ فِيهَا مِنْ مَزِيدٍ:
حَقِيقَةً يُعْجِزُ تَحْصِيلُهَا،	وَبَاطِلٌ تَحْصِيلُهُ لَا يُبْذَرُ.
* عَجِباً لِلدَّمَامِ مَاذَا اسْتَعَارَتْ	مِنْ سَجَايَا مُعَذِّبِي وَصِفَاتِهِ:
طِيبَ أَنْفَاسِهِ وَطَعَمَ ثَنَائِيَا	وَسُكَّرَ العَقُولِ مِنْ لَحْظَاتِهِ،
وَسَنَا وَجْهَهُ وَتَوَرِيدَ خَدَيْهِ	وَلُطْفَ الدِّيَابِجِ مِنْ بَشَرَاتِهِ ^(٤) ،
والتدَاوِي مِنْهَا بِهَا كَالْتِدَاوِي	بِرِضَا مِنْ هَوَيْتُ مَنْ سَطَوَاتِهِ ^(٥) .
وَهَيَّ مِنْ بَعْدِ ذَا عَلِيٍّ حَرَامٌ	مِثْلَ تَخْرِيمِ جَنَى رَشَفَاتِهِ.

(١) يصف شاري ذلك الشاب وأنها منحنيان فوق شفتيه المناء مستويًا لا تعرج فيه.

(٢) موسى ضرب البحر بالعصا فَاغْلُظْ البحر وظهرت أرضه فقطع موسى وبني إسرائيل من مصر إلى سيناء.

(٣) الفرق (بكسر فسكون): الموجة العالية. الفرق (يفتح ففتح): الخوف. تنامي: بلغ نهايته (في الحجم، في المقدار، الخ)، أصبح عظيمًا جدًا.

(٤) البشرة (يفتح ففتح): ظاهر الجلد.

(٥) التركيب هنا مقصد (القصود: صفاته الجميلة تفرض الحب والتمتع به يشفي الحب من مرضه).

٤- ** الصلة ٢١٧-١٢١٨ بنية المتنص ٤٧٠ (رقم ١٤٢٦)، الحريدة (المغرب) ١٨٩: ٢ - ١٩١: الحريدة (الأندلس) ٤: ٥٥-١٥٧ الطرب ٢٢٣ وما بعد معجم الأدياء ١٩: ٢٨٦-١٢٨٧ بنية الوعاة ٤٠٩: تفح الطيب ٣: ٣٧٦-٤٠٣٧٧: ١٣٧٠-١٣٨-١٦٢: ١٦٣-٣٠٦ بروكلن ١: ٤٧٩، الملحق ١: ٦٦٢: نيكل ٣٠٨-٣٠٩، مختارات نيكل ١٨١-١٨٢: الأعلام للزركلي ٩: ٨٠-٨١ (٨: ٨٤).

ابن البين البطليوسي

١- هو أبو عبد الله محمد بن البين البطليوسي، من شعراء المائة الخامسة (المغرب ١: ٣٧٠)، كان يعيش في مدينة بطليوس معاصراً لابن صارة (ت ٥١٧ هـ). ولعل وفاته كانت نحو سنة ٤٩٠ (١٠٩٧ م).

٢- ابن البين البطليوسي أحد الشعراء المجيدين مُتَطَرِّفُ الألفاظ والمعاني يميل إلى طريقة ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ) مشغوقاً بها. وقد برع في المدح والغزل والنسيب والوصف.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن البين البطليوسي في الغزل والنسيب:

غصبوا الصباح فقسّموه خُدوداً	واستَوْهبوا قُضْبَ الأراكِ قُدوداً ^(١) .
ورأوا حصي الياقوتِ دُونَ محلّهم	فاستبدّلوا منه النجومَ عُقوداً ^(٢) .
واستودّعوا حَدَقَ المِها أجنّهم	فَقَبّوا يَهْنَ ضراغماً وأسوداً ^(٣) .
لم يَكْفِ أَنْ سَلَبُوا الأَسِنَّةَ والطّي	حَتَّى اسْتَعَانُوا أَعْيُنًا ونُهوداً ^(٤) .
وتضافروا بصفائر أبَدَوْا لنا	ضَوْءَ النهارِ بَلَوْنَهَا معقوداً ^(٥) .

(١) الأراك: شجر تتخذ من أغصانه المساويك.

(٢) الياقوت (مأخوذ من الأرض) والتجوم (في السد).

(٣) المهاء: بقرة الوحش (نوع من الغزلان له عيون واسعة). الضراغم (الأسد).

(٤) السنان (الرمح) الطية (بضم ففتح): حدّ السيف... حتى استعانوا بالعيون والنهود (على قتل المحتب).

(٥) تضافروا: اجتمعوا وتعاونوا.

- اجتمع ابن البَينِ البَطْلَيْنِيُّ يابن صارة الشَّترَبِي فقال له ابنُ صارة: أَجْزَ:
هذي البسيطةُ كاعِبٌ أُبرأُها حُلُّ الرِّبعِ وحَلِّيها الأَزهارُ^(١).
فقال ابنُ البين:

وكانَ هذا الجوّ فيها عاشقٌ قد شَفَّهَ التعذيبُ والإضرارُ^(٢).
فإذا شكا فالبرقُ قلبٌ خافقٌ، وإذا بكى فدُموعه الأمطارُ.
من أَجلِ ذلِكةِ ذا وعِزَّةِ هذه تبكي السُّمةُ ويضحكُ النّوارُ^(٣).

٤- ** الذخيرة ٢: ٧٩٩-١٨٠٣ المغرب ١: ١٣٧٠ رايات المرزبن ٣١ (٢) الخرصة
(المغرب) ١: ١٨٥-١١٨٦ الحمدون من الشعراء ١٩٧-١٩٨ نفع الطبيب ٣:
٤٥٣، راجع ٤٠٣.

لبّون بن عبد العزيز

١- هو ذو الوزارتين أبو عيسى لبّون بن عبد العزيز بن لبّون، وُزَرَ في
طليطلة للّامون بن ذي النون (٤٢٩-٤٦٧ هـ) ثم لأخيه وخلفه يحيى القادر
(٤٦٧-٤٧٨ هـ). ثم استولى الإسبان على طليطلة (٤٧٨ هـ) فانتقل لبّون إلى
بلنسية وتولى فيها القضاء، في أيام صاحبها الأمير المنصور أبي بكر بن عبد العزيز
(٤٦٨-٤٧٨ هـ). ثم إن يحيى القادر (صاحب طليطلة) استولى على بلنسية، في
حديث طويل، في أواخر سنة ٤٧٨ نفسها.

ويبدو أن لبّون قد فضل ولاية البلدان على القضاء فأصبح قائداً (والياً) على
قلعة عبد السلام قرب وادي الحجارة (أعمال الأعلام ٢٠٩)، إلى الشمال الشرقي من
مدريد. ثم إنّه استبد بحكم مُرَبِّطَر (من أعمال بلنسية)، شمال بلنسية وعلى الساحل.

(١) الكاعب: الفتاة في أول صباها (حيناً يبدأ ندها بالبروز). البسيطة (الأرض) أبرادها (البرد بالضم:
ثوب من حرير). الحلة (بالضم): الثوب النفيس. الحلي (بفتح فسكون) الحلي (بضم ففتح): ما تزين به
المرأة عنقها وأيديها من الذهب وغيره.

(٢) شَفَّهَ المرض المريض (ألحله وهزله): جعله محيلاً وهزلاً.

(٣) النوار: الزهر الأبيض.

ولكن عبد الملك بن هذيل أمير السهلة (٤٣٦ - ٤٩٦ هـ) خدعه وأخذ مُربيطر منه على أن يُعوضه منها بلداً آخر. ولكن عبد الملك لم يَبِ للَبون بذلك. ولم يكن لبون ميلاً إلى الكفاح فانتقل إلى شتَمرية الشرق (شرق مدريد) ليعيش في دعة.

ولعل حياة لبون قد امتدت إلى نحو سنة ٤٩٠ (١٠٩٧ م) أو إلى ما بعدها بقليل. وقيل إن وفاته كانت في شتَمرية الشرق، وقيل: بل في سرقسطة.

٢ - كان أبو عيسى لبون بن عبد العزيز أديباً ناثراً شاعراً. وفنون شعره الوصف (للخمر والزهر في الأكثر) ثم الزهد والرياء.

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو عيسى بن لبون بعد أن لحقَ بـابن رزِين واستقل ما كان يأخذه منه على تخليهِ له عن مُربيطر:

ذروني أجب شرق البلاد وغربها	لأشفي نفسي أو أموت بدائي ^(١) .
فلست ككلب السوء يرضيه مربض	وعظم، ولكنني عذاب سماء
نحوم لكيا يذرك الحصب خوئها	أمام أمام أو وراء وراء*.
وكنت إذا ما بلدة لي تنكرت	شدت إلى أخرى مطي إباي ^(٢) .
وسيرت ولا ألوي على متعذر	وصمت لأصني إلى النصحاء ^(٣) .
كشمير تبنت للعيون بمشرق	صباحاً، وفي غرب أصيل مله ^(٤) .

- وقال أيضاً يكتشف عن الحدة التي وقَع فيها بتخليهِ عما كان يملك من البلدان:

-
- (١) ذري: دعني، اتركني. حاب الأرض: طاف فيها.
- * في بعض المصادر «أنام أمامي» وما اخترناه أصح. ولعل المقصود ما قصده أبو فراس «لنا الصدر دون المائلين أو القبر».
- (٢) المطية: الدابة يركبها الإنسان في أسفاره. شد المطية: أعدّها للسفر.
- (٣) المتعذر: الذي ينتحل الأعذار لنفسه ليعبر أخطاه. ألوي: أنفث (أخاصم). صم الرجل (مضى في رأيه لا يبالى بعلوم الآخرين).
- (٤) الأصيل (الوقت قبيل غروب الشمس).

خَلِيلِي، مَا بَالِي عَلَى صِدْقِ عَزَمِي أَرَى مِنْ زَمَانِي وَنِيَّةٍ وَتَعَدُّرٍ^(١) !
فَوَاللَّهِ، مَا أَذْرِي لِأَيِّ جَرِيْمَةٍ تَجَنَّى وَلَا عَنْ أَيِّ ذَنْبٍ تَغْيِرُ^(٢) ؟
وَلَمْ أَكُ عَنْ كَسْبِ الْمَكَارِمِ عَاجِزًا وَلَا كُنْتُ فِي نَيْلِ أُنَيْلٍ مُقَصِّرًا^(٣) .
لَيْتُنْ شَانَ تَغْزِيْقُ الزَّمَانِ لِدَوْلَتِي، لَقَدْ رَدُّ عَنْ جَهْلِي كَثِيرٌ وَبَصَرًا^(٤) ،
وَأَبْقَظُ مِنْ لَيْلِ الْفَرَارَةِ نَائِمًا وَكَسَبَ جَلًّا بِالزَّمَانِ وَبِالْوَرَى^(٥) !
- وَقَالَ يَصِفُ الْخَمْرَ :

يَا رَبُّ لَيْلٍ شَرَبْنَا فِيهِ صَافِيَةً حِرَاءَ فِي لَوْنِهَا تَنْفِي التَّبَارِيحَا^(٦) .
تَرَى الْفَرَاشَ عَلَى الْأَكْوَاسِ سَاقِطَةً كَأَنَّا أَبْصَرْتُ مِنْهَا مَصَابِيحَا^(٧) .
- وَلَهُ فِي الْعِتَابِ :

لَمَّا اللَّهُ قَلْبِي كَمْ تَجِنُّ إِلَيْكُمْ، وَقَدْ بَغْتُمْ حَظِّي وَضَاعَ لَدَيْكُمْ^(٨) .
إِذَا نَحْنُ أَنْصَفْنَاكُمْ مِنْ نَفُوسِنَا، وَلَمْ تُنْصَفُونَا، فَالْسَّلَامُ عَلَيْكُمْ !

٤- ** ثلاثه العفيان ١١١-١١٥ الذخيرة ٣ : ١٠٤-١٠٨ أزهار الرياض ٣ :
١٢٠-١٢٣ المغرب ٢ : ٣٧٦-٣٧٧ خريدة (المغرب) ٢ : ٣٧٥-٣٨٠
الخريدة (الأندلس) ٤ : ٣٣٢-٣٣٦ الحلة السراء ٢ : ١٦٧-١٧١ أعمال الأعلام
١٢٠٩ جيش التوشيح ١٥٨-١٦٩ (راجع ٢٦٢-٢٦٥) نفع الطيب راجع ١ :
٦٧٢-٦٧٣ : ٣ ، ٥٩٧ : ٤ ، ٣١٤ نيكل ٢٠٢-٢٠٤ .

عبد الملك بن رزق

١- هو ذو الرئاستين حُسامُ الدين أبو مروانَ عبدُ الملكِ بنُ هُدَيْلِ بنِ عبدِ الملكِ

- (١) الونية: الثعب، الصف: التعلر: السر، الشفة.
- (٢) تجنَّى (زماي علي): اهتمي بالدنوب والتقصير (بغير حق). ولا عن أي ذنب (ارتكبه أنا).
- (٣) النيل: العطاء. أنيله: أعطيه (كرما مني).
- (٤) شان: عاب.
- (٥) الفرارة (بالفتح): المفلة، حداثة السن.
- (٦) التباريح: الشدائد (الخمير تنسي الإنسان ما يحيط به من المشكلات أو كذلك يزعمون).
- (٧) الأكواس (يقصد بها الشاعر هنا جع كأس) وليس هذا في القاموس ولا في تاج العروس.
- (٨) لما: لمن.

ابن خَلَفٍ بن لُبٍّ بن رَزِينَ، قيل إِنَّ أَصْلَ أَهْلِهِ عَرَبٌ مِنْ هَوَازَةَ، وقيل من بَرَابِرَةَ
الشَّعْرِ (شَالِي الأندلس)، والاسم «لُبٌّ». في أعلى نَسَبِهِ اسمُ إِبِسَافِي مشهور.

وَلَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ بن رَزِينَ غَوْ سَنَةَ ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م). ويبدو أن مجيئه إلى الحكم
باكراً (في العشرين من عُمُرِهِ) حالَ بَيْنَهُ وبين التَّشْقِيفِ النَّظْمِ. وكان مُلْكُ آلِ رَزِينَ في
السَّهْلَةِ من كُورَةِ شَنْتَبَرِيَّةٍ ما بين سَرَقُشْطَةَ ووادي الحِجَارَةِ (أو شَنْتَمَرِيَّةِ الشَّرْقِ) على
مَقَرَّبَةٍ من جَرِيط (مدريد) شرقاً في شَال. وهي كُورَةُ كَثِيرَةُ الحِصْنِ كَثِيرَةُ التَّنَازُيسِ
(الجِيَالِ والأودِيَةِ) وكَثِيرَةُ المعَاوِلِ.

وفي سَنَةِ ٤٩٣ جَرَتْ عَلَيْهِ مَوَازِمَةٌ، فَإِنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَتْبَاعِهِ وَأَهْلِهِ فِيهِمْ ابْنُهُ وَصِهرُهُ
خَبِطُوهُ بالسُّيُوفِ فَأَكْثَرُوا فِيهِ الجِرَاحَ وَلَكِنَّهُ سَلِمَ. وقد عَاقَبَهُمْ عِقَاباً شَدِيداً بِالتَّعْذِيبِ
وَالْقَتْلِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَمَرَ بِابْنِهِ أَنْ تُقَطَّعَ رِجْلُهُ وَيُتْرَكَ. ودَامَ مُلْكُهُ سِتِينَ سَنَةً أَوْ تَزِيدُ.

وكانت وفاة عبد الملك بن رزِينَ في تاسع شَعْبَانَ من سَنَةِ ٤٩٦ (١١٠٣ م).

٢- يَحْمِلُ ابْنُ عِزَارِي عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بن رَزِينَ حِمْلَةً شَدِيدَةً (٣: ٣٠٩) فيقول فيه
نَقْلًا عَنْ ابْنِ حَبَّانَ: سَيِّئَةُ الدَّهْرِ وَعَارُ الْعَصْرِ جَاهِلٌ خَامِلٌ قَلِيلُ التَّبَاهَةِ شَدِيدُ
الإِعْجَابِ بِنَفْسِهِ طَوِيلُ الدَّعْوَى بِمَا لَيْسَ فِيهِ، قَلِيلُ الْعِلْمِ. ولكن لا شَكَّ فِي أَنَّهُ كَانَ
حَسَنَ الْمَاعِلَةِ لِمُنْدِهِ وَلَكِنْ قَلِيلُ الْعَطَاءِ لِلشُّعْرَاءِ (ولعلَّ النِّقْمَةَ عَلَيْهِ جَاءَتْ مِنْ هُنَا).
ثمَّ إِنَّهُ كَانَ قَطًّا قَاسِيًّا فِي الْعِقَابِ قَلِيلُ الْإِهْتِمَامِ فِي الْبَيَاسَةِ وَالْمُلْكِ إِلَّا بِأَمْرِ نَفْسِهِ
وَمُلْكِهِ. من أَجْلِ ذَلِكَ لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ سَائِرِ مُلُوكِ الطَّوَاتِفِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَعِينُونَ
بِمُلُوكِ النَّصَارَى عَلَى مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدِ اشْتَرَكَ مَعَ السَّيِّدِ الْقَبِيضَاطُورِ، سَنَةَ
٤٨٧ هـ، فِي حِصَارِ بَلَنْسِيَّةِ.

وكان لعبد الملك بن رزِينَ أدبٌ من نَثْرِ ونَظْمٍ، إِلَّا أَنَّ أَدَبَهُ كَانَ عَادِيًّا. ومن
أَغْرَاضِهِ الْفَخْرُ والوصفُ والخمرُ والأدبُ (الحِكْمَةُ) والفِرْلُ والنسبُ والمجاء.

٣- مختارات من آثاره

- من رسالة إخوانية كتب بها إلى أبي عبد الرحمن بن طاهر يطلب منه الوفاء
عليه بعد أن بلغه ما حلَّ به من طرده من ملكه:

أنت - أدام الله عزك - عالم بالزمان وانقلابه، عارف بإعارته واستلابه. ومن عرفه حق معرفته لم تزدْه شدته إلا مُغتبراً وشكراً لله وتدبراً. وما زلت ألقاك بالود على البعد، فأعلمك بتقدُّمك في الأعيان وإن لم أرك بالعيان^(١). وأستخير الأخبار فأسمع ما يفرغ صفاة الكبد بإعحاء الزمان^(٢) عليك وتنكره لديك... وأنا - أعزك الله - أعرض ما هو الأوفق لي والأليق بي، عن عزيمة مكيئة ورغبة أكيدة: من الانتقال إلى جهتي والانبساط في دولتي، فأقاسمك خاص ضياعي ومعلوم أملاكي وإن شقَّ عليك الكونُ بجھتي لبردِ هوائها وبُعدِ أبحاثها، فما هي شئت مرة أقف طاعتها عليك وأصرف أمرها إليك^(٣). وعندي من العون على الارتحال ما يقتضيه لك في الحال. ولك الفضل في مراجعتي بما يستقر عليه رأيك...

- ولعبد الملك بن رزين يصف روضاً:

وروض كساه الطلُّ وشياً مُجدداً	فأضحى مُقباً للنفوس ومُقبداً ^(٤) .
إذا صافحتَه الريحُ ظَلَّتْ غُصُونُهُ	رواقص في خُضرٍ من العُصْب مُبداً ^(٥) .
إذا ما أنسيك أب الملك عاينتَ خِلَّتَهُ	- وقد كسرتَه راحة الريح - مبرداً.
وإن سكنتَ عنه حَبِيتَ صفاؤه	حُساماً صقيلاً صافي المتن جرداً.
وغَسَّتْ به وُرُقُ الهائمِ حولنا	غناءً يُنسيُّنا الفريض ومُعبداً ^(٦) .
فلا تجفونَ الدهرَ ما دام مُنبداً،	ومدَّ إلى ما قد حباكَ به يداً ^(٧) .
وخُذْها مُداماً من غزالٍ كأنه،	إذا ما مَسى، بدرَ حَمَلٍ فَرَقداً ^(٨) .

(١) بالعيان: برؤية العينين.

(٢) يفرغ: يبدئ، يضرب. صفاة (صخرة) القلب. - يحزن النفس. الحى الزمان على الإنسان الحما: مال على (شيء بشدة أو ظلم).

(٣) أصرف أمرها إليك: أجعل لك الحكم عليها (أجملك حاكماً عليها).

(٤) الطل: الماء الذي ينحد من جدار الماء في الليل على الأشجار. الوشي: النقش (بالألوان والتزيين). الغص: المقعد (في الأصل): الهم الشديد. المقصود هنا: كثير الطرب.

(٥) العصب: نوع من الثياب الحريرية. مائد (بتأني).

(٦) الفريض ومعبد مفتيان من العصر الأموي أولها مجيد النساء الحزين.

(٧) سعد: مساعد، نافع. حبا: أعطى.

(٨) الفرقد نجم معين. وهنا: نجم.

- وأخذ عبدُ الملك بن رزّين شَطْرَ الْمُتَنَبِّي « فلا مَجْدُ في الدنيا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ »
وحلّه حلّاً لطيفاً في الأبيات التالية:

من كَثُرَ الجُنْدُ يرى سَفَدَهُ يصعدُ حتّى ينتهي حدّه^(١)
ومن أذلّ المالَ عزّتُ به أيامُه أو نصرتُ جُنْدَه^(٢)
فاهدُمُ بناءَ البُخلِ وارفض به من هدمَ البُخلُ بنى مجده^(٣)
لا عاش إلا جائعاً نائماً مَنْ عاش في أمواله وحده^(٤)

- وفي الذخيرة (٣: ١١٦): « ومن غريب شعر ابنِ رزّينِ قوله » (في الهجاء):

أخسُّ مجلسٍ مَفْشَرٍ ما فيه إلا الطنْزُ بِرٍ^(٥)
جُلَسَاؤُهُ قَوْمٌ يَقْصَا كلُّهم خُبْتُ وشرَ
ما فيهِمْ إلا دَنَسِي أو غَيِّي أو مُضِرَ
أُسدُّ على قلبِ الكِبرِ م، وإن ورنَتْهُمُ فذرَ^(٦)
هذا يَفْوْثٌ، بل أضدُّ ل، وذا يَمُوقٌ، وذاك نَرُ^(٧)
ذاك المَحَلَّ كَوادِ عَوْ في ليس يُلْقَى فيه حرُ^(٨)

- وقال بين الفخر والتسبب:

دع الدمعَ يُغَيِّ الجَفْنَ ليلَةً ودّعوا إذا انقلبوا بالقلب، لا كان مدمعاً^(٩)

(١) حدّه (في الأصل أيضاً) منصوبة، ولا أدري وجه ذلك.

(٢) في الأصل: انصرفت جنده (والنصحیح من الحلة السواء ٢: ١١١).

(٣) رفض (يبتع الغاء) يرفض (يكسر الغاء أو ضهاً): ترك الشيء. « به » لا حاجة إليها.

(٤) النائع: المطشان، والذي يتأهل من شدة المروع (يمكن أن تكون اتباع « جائع »).

(٥) أخسُّ = ما أخسَّ: ما أقلّه وأتقه وأحقّره. الطنْز: المزو والاشتخاف.

(٦) الثلب: السبّ والشتم. الفَرّ: صغار التمل.

(٧) يَفوْث ويَمُوق ونسر من الأصنام (كانت في الجاهلية).

(٨) تضمين للثقل « لا حرّ بوادي عوف » (الذخيرة ٣: ١١٦، الحاشية الخامسة). راجع هذا المثل وقصته

في غرائد اللآلئ ١: ١٩٩ - ٢٠٠. يلقى (كذا في الأصل): يوجد (ولعل الأصح: يلقي بالغاء، وها

بعض).

(٩) أكثر من البكاء. إذا انقلبوا بالقلب (إذا ارتحلوا وأخذوا قلبك معهم، لأنك تحبهم) فلا كان مدمع (لم

يبق بعدهم حاجة إلى البكاء أو الحزن على شيء).

سَرَوًا كَاغْتَدَاءِ الطَّيْرِ، لَا الصَّبْرُ بَعْدَهُمْ جَبِلٌ وَلَا طَوْلُ التَّدَامَةِ يَنْفَعُ^(١).
أَضِيقُ بِجَمَلِ الْفَادَحَاتِ مِنَ النَّوَى، وَصَدْرِي مِنَ الْأَرْضِ الْبَسِيطَةِ أَوْسَعُ^(٢).
وَأَنْ كُنْتُ خَلَاعَ الْعِذَارِ، فَإِنِّي لَبِئْتُ مِنَ الْعِلْيَاءِ مَا لَيْسَ يُخْلَعُ^(٣).
إِذَا سَلَّتِ الْأَحَاظُ سَيْفًا خَشِيتُهُ، وَفِي الْحَرْبِ لَا أَخْشَى وَلَا أَتَوَقَّعُ^(٤).

- وَقَالَ فِي الْغَزْلِ وَالنَّيْبِ:

بِإِلَهِ، إِنْ لَمْ تَزِدْ جِرًّا، بِمَا مُشِيَةِ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ،
لَأَسْرُحَنَّ نَوَاطِرِي فِي ذَلِكَ الْحَدِّ النَّصِيرِ،
وَلَا كُنْتُكَ بِالْمُنَى وَلَا شَرَبْتُكَ بِالضَّمِيرِ.

- ٤- ** فَلَائِدُ الْعُقَيَانِ ٥٨-١٦٤ الذَّخِيرَةُ ٣: ١٠٩ - ١١٢٤ الْحَلَّةُ الْبِرَاءُ ٢: ١٠٨ - ١١١٥
الْمَغْرِبُ ٢: ١٢٨ - ١٤٣٠ الذَّيْلُ وَالتَّكْمِلَةُ ٥: ١٥٢ الْخَزِيدَةُ (الْمَغْرِبُ) ٢:
٣٦٠-١٣٦٣ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ٣: ١٨١-١٨٢، ٣٠٩-٣١٠ الْمَطْرَبُ
٣٩-١٤١ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ٢٠٥-١٢٠٧ نَفْحُ الطَّيْبِ ٣: ٢٤٦-٢٤٧، ٤٠٧،
٤٣٢-٤٣٣، ٥٦٧-٥٦٨ الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَطِيِّ ٤: ٣١٤ (١٦٥-١٦٦).

ابن الوداعي

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ أبي إسحاق إبراهيم بن الوداعي، نسبة إلى ودان وهي بلدة في إفريقية (ليبيا اليوم). وكان ابنُ الوداعي من العرب الذين انتقلوا إلى جزيرة صقلية وسكنوها وأصبح لهم مكانة فيها. ثم أصبح ابنُ الوداعي نفسه فيها من أهل النفاة والرياسة وصارَ صاحبَ الديوانِ أو رئيسَ الكتَّابِ.

وكان ابنُ الوداعي من أحيلهِ القرنِ الخامس للهجرة (الحادي عشرَ للميلاد). وفي الخريدة (قسم المغرب ١: ٨٣) أن ابن الوداعي كان في عهد ابنِ رشيق (كانت)

- (١) سَرَوًا: ساءوا ليلًا. اغتداء الطير: خروج الطيور من أوكارها صباحاً (بأكراً جئاً).
(٢) الضيق: الضيق. الفادحة: التنازلة، الضيقة. النوى: البعد، البعاد (الفرافق).
(٣) خلَاع العذار (الرس من الرقية): أعمال الأشياء التي يستعين بها في العادة.
(٤) إذا سَلَّتْ إلني العيون الجميلة خفت منها. اتوقع: انتظر (أو ينتظر منها) أن أعاق.

بينها مكاتبات «. وما أن وفاة ابن رشيق كانت سنة ٤٥٦ (وفي رواية سنة ٤٦٣)، فلا يُنتظر أن يكون قد عاش إلى ما بعد سنة ٤٩٠ (١٠٩٧ م).

٢ - وصل إلينا من آثار ابن الوداعي خمسة أبياتٍ من الشعر أحبه الدارسون من أجل ثلاثةٍ منها. إنها أبياتٌ بارعةٌ في المعنى عذبةٌ في اللفظ سهلةٌ في الأداء، وفيها كلها لفظةٌ من الابتكار في الاستعارة: «من يشتري مني النجوم - شيبَ أطلٌ على سوادٍ شبلي».

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن الوداعي يصفُ ليلةً اجتمع فيها بأصحابٍ له يتحاورون في فنونٍ من الأدب:

من يشتري مني النجومَ بَلِيلِي لا فرقَ بينَ نُجومِها وصِحابي^(١).
دارت على فلكِ السماء، ونحن قد دُرنا على فلكِ من الآداب^(٢).
وأتى الصباحُ - فلا أتى - وكأنه شيبَ أطلٌ على سوادٍ شبلي.
- وقال في الشيب:

وبرغمي لَمَّا أتاني مَشِيي قُلْتُ: أهلاً بهذا الضحوكِ القُطوب^(٣).
ولعمري ما كنتُ مِنَّ يحيي هـ، ولكنْ تَمَلَّقُ المَطلوب.

٤ - ** الخريدة (المغرب) ١: ٨٢ - ٨٣ أعلام ليبيا ٢٠٠٤ أعلام من ليبيا (من طرابلس؟)، تأليف علي مصطفى المصري، طرابلس - ليبيا (مكتبة دار الفكر) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م، ص ٥٩ - ٧٤ المكتبة الصقلية ١٣٣، ٥٩١.

-
- (١) أنا أستغي من نجوم الليل (عن الاستضاءة بها) لأن أصحابي مثل النجوم في الإضاءة والمعداة.
(٢) نجوم الليل ثابتة في أفلاكها على الدوران مجتمعة. ونحن أيضاً ثابتون على الاجتماع يعامل الآداب (كأننا ندور في أفلاك ثابتة كالنجوم).
(٣) الضحوك (لأنه أبيض اللون). القُطوب: العابس (لأنه يسيء إلى الإنسان بتذكير الإنسان بالعجز وبالوت).

ابن القَرَازِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ

١- هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ المعروفُ بِابْنِ الْقَرَازِ - وَيُكْنَى أبا بَكْرٍ (أَزْهَارُ الرِّيَاضِ ٢: ٢٥٢). وَيُشارُ إِلَيْهِ أحياناً بِاسْمِ عَبْدِ الْقَرَازِ (راجعُ الحُرَيْدَةُ: الْمَغْرِبُ وَالْأَنْدَلُسُ ٢: ١٨٢؛ وَفِي نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٦، نَقْلًا عَنْ مَقْدَمَةِ ابْنِ خُلْدُون، بَيْروَت، المَطْبَعَةُ الْأَدَبِيَّة، عام ١٩٠٠، ص ٤٨٥) ثُمَّ دَارَ الْكِتَابِ اللَّبْنَانِي، عام ١٩٦١، ص ١١٣٨). وَقَدْ يَقَعُ الْخَلَطُ فِيهَا يُنسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرْعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَالِكٍ السَّهْلِيِّ. وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَقَدْ أُثْبِتُ أَنَا (فَوْقَ، ص ٤٤٩ - ٤٥٠) الْمَوْشَعَةَ الْبَارِعَةَ: «مَنْ وَلِيَ - فِي أُمَّةٍ - أَمْرًا وَلَمْ يَقْبَلْ، يُعْزَلْ...» لِعِبَادَةِ بْنِ مَالِكٍ السَّهْلِيِّ، اسْتِنَادًا إِلَى «فَوَاتِ الْوُفِيَّاتِ» (١: ٢٥٥ - ٢٥٦). ثُمَّ هِيَ مُثَبَّتَةٌ فِي «الْوَافِي بِالْوُفِيَّاتِ» (٣: ١٨٩ - ١٩٠) لِابْنِ الْقَرَازِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ صَاحِبِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ.

وَمِنْ لَا نَكَادُ نَعْرِفُ مِنْ حَيَاةِ ابْنِ الْقَرَازِ هَذَا شَيْئًا مِنَ التَّفَاصِيلِ الْمَفِيدَةِ. إِنَّ ابْنَ خَالَمَةَ (٧٧٠ هـ) ذَكَرَ ابْنَ الْقَرَازِ فِي كِتَابِهِ «مَرْيَةُ الْمَرْيَةِ» فَقَالَ: «مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يُكْنَى أبا بَكْرٍ وَيُعْرَفُ بِالْقَرَازِ (لَا بِابْنِ الْقَرَازِ)، وَأَحْسَبُهُ مِنْ أَهْلِ مَالِقَةَ...» (أَزْهَارُ الرِّيَاضِ ٢: ٢٥٢).

وَكَانَ ابْنُ الْقَرَازِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مُتَّصِلًا بِالْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ اتِّصَالَهُ بِالْمُعْتَمِدِ بْنِ صَاحِبِ وَبَابِنِهِ وَوَلِيِّ عَهْدِهِ كَانَتْ أَوْثَقَ.

وَلَمَّا وَفَاةُ ابْنِ الْقَرَازِ كَانَتْ فِي سَنَةِ ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ.

٢- كَانَ ابْنُ الْقَرَازِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ «مِنْ شَاهِرِ الْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ». وَأَكْثَرُ مَا اشْتَهَرَ اسْمُهُ وَحُفِظَ نَظْمُهُ فِي أَوْزَانِ الْمَوْشَعَاتِ «(الذَّخِيرَةُ ١: ٨٠١)». أَمَّا قِصَائِدُهُ فَلَيْسَتْ بِالْمَكَانِ الَّذِي يَسْتَحَقُّهُ، فَيَا يَبْدُو، بِمَوْشَعَاتِهِ. وَفَنُونُ شِعْرِهِ الْمَدِيحِ وَالغَزْلِ. وَلَهُ هَجَاءٌ فِيهِ إِقْدَاعٌ ثُمَّ لَهُ وَصْفٌ. وَلَهُ أَيْضًا تَرْسُلٌ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ السُّهُولَةِ بِرُغْمِ كَثَرَةِ الصَّنَاعَةِ فِيهِ.

٣- مختارات من آثاره

- من رسالة كتبها محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز إلى أبي بكر الخولاني المتجمل (الذخيرة ١: ٨٠٢):

إِنْ لَمْ تَتَقَدَّمْ بَيْنَنَا مُحَاطَةً وَلَا جَرَتْ مُكَاتِبَةٌ، فَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ وَدَادِي لَكَ مُحَضٌّ لَا يَشُوبُهُ ^(١) كَدَرٌ، وَأَنْ ثَنَانِي عَلَيْكَ غَضٌّ يَتَضَوُّعٌ ^(٢) تَضَوُّعَ الزَّهْرِ. فَحَالٌ قَدْرِي ^(٣) لَوْصِفَكَ الْجَلِيلَ مُطَرَّرَةً بِذِكْرِكَ الْجَمِيلِ، وَتَبِجَانُهُ عَلَى مَفَارِقِي مَجْدِكَ الْأَثِيلِ ^(٤) مُرْصَعَةً بِلَالِهِ حَفِيدِكَ الْجَزِيلِ ^(٥). وَكَسْتُ عِنْدَ حُلُولِكَ بِالْمَرْيَةِ قَدْ بَاشَرْتُ مِنْ أَفْعَالِكَ السَّيِّئَةِ وَشَهِدْتُ مِنْ مَحَاضِرِكَ الْجَبَانَ مَا يَكِلُ عَنْ وَصْفِهِ كُلُّ لِسَانٍ. وَمَا زِلْتُ مُنْذُ غِيَبَتْ عَنْهَا - لَا غَابَ نَجْمٌ سَعْدِكَ وَلَا أَصْلَدُ وَاوَرِي زَنْدِكَ ^(٦) - أَذْكُرُ مَا يَرْكُ ^(٧) وَأَنْشُرُ مَفَاجِرَكَ وَأُبَيِّتُ مَا عَابَتْكَ مِنْ مَنَاقِبِكَ، كَالَّذِي يَتَمَيَّنُ مِنْ وَاجِبِكَ أَعَانَ اللَّهُ عَلَى أَدَائِهِ وَالْقِيَامِ بِأَعْبَائِهِ ^(٨)....

- وله من قصيدة (الذخيرة ١: ٨٠٤ = الوافي بالوفيات ٣: ١٨٩):، وهي في استجدلا من المدوح (من آل عبد الحميد؟) ظاهري:

يَا دَوْحَةً بِظِلَالِهَا أَنْتَبَيَّا، بَسَلْ مُنْقِبَلًا أَوْيَ إِلَيْهِ وَالْجَاءُ ^(١)،
رَمِدَتْ جُفُونِي مِذْ حَلَلْتُ هُنَا، وَلَوْ كُجِلِبْتُ بِرُؤْيَيْكَ لَكَانَتْ تَسِيرًا.

-
- (١) المحض: الخالص الذي لا يشوبه (لا يخالطه شيء آخر).
(٢) الغض (من التبات): الطوي الناضر. تَضَوُّعٌ: انتشر (فاحت واثنته).
(٣) فعال قدري... حطى.....
(٤) الأثيل: الأصيل (الثابت أصوله والمعروف بالشرف).
(٥) الجزيل: الكثير العظيم من كل شيء.
(٦) أصلد: أصبح صليداً (قاسياً). واري زندق (الزند: حديدة تدح بها النار من حجر النار. الواري: المشعل). وإذا أصلد الزند يطل تأثيره في الحجر فلا يخرج من الحجر ناراً.
(٧) المأثرة (بضم التاء): العمل الكريم المتوارث أباً عن جد.
(٨) بش: نشر، أذاع. المثقبة (يفتح فسكون ففتح): العمل الكريم. يتَمَيَّنُ عليّ (يحب علي). المبه: الحمل (الثقيل).
(٩) الدوحة: الشجرة الكبيرة. المقل: الحصن الذي يحمي من فيه.

فَعُثْتُ عَنْكَ، وَإِنَّا أَنَا جَوْهَرٌ
 بِمَا مِنْ إِذَا أَنْتَبَ الرِّبَا لِلشَّرِّ،
 لَمْ أُعْتَرِغْ فِيكَ الْمَدْمَحَ، وَإِنَّا
 أَمَّا بِنُو عَمِيدِ الْحَبِيدِ لِإِنَّمِ
 فَخَرَ الزَّمَانُ بِنَا لِأَنَّكَ حَاتِمٌ
 - وَقَالَ يَدْحُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صَادِحٍ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٤ : ١٠٣) :

نَفْسِي الْحَبُّ عَنْ مُقَلَّتِي الْكَرَى كَمَا قَدْ نَفْسِي عَنْ يَدَيَّ الْعَدَمِ (٥)
 فَقَدْ قَرَّ جُبُّكَ فِي خَاطِرِي كَمَا قَرَّ فِي رَاخَتَيْكَ الْكَرَمِ
 وَفَرَّ سُلُوكِي عَنْ فِكْرِي كَمَا قَرَّ عَنْ عِرْضِهِ كُلُّ ذَمٍّ
 فَحُبِّي وَمُنْفَخِرُهُ بِأَقْبَسَا بِنَا لَا يَذْهَبَانِ بِطُولِ الْقِدَمِ
 فَأَبْقَى لِي الْحَبُّ خَالًا وَجَدًّا وَأَبْقَى لَهُ الْفَخْرُ خَالًا وَعَمًّا (٦)
 - وَابْنُ الْقَرَّازِ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَادَةَ مَوْشَحَاتٌ مِنْهَا الْمَوْشَعَةُ التَّالِيَةُ (الْمَغْرِبُ ٢ : ١٣٦) :

أَذَابَ الْخَلْدَ نَهَدَ مِنْهُدَ
 وَغَصَّنَ تَسْمُودَ فِي دَعْمِصِ مَلْبَدَ

عَنْ سَقْمِ مَكْمَدَ (٧)

أ.أ.

* * *

- (١) الجوهر (الؤلؤل) يكون عادة عبيد أ في الصدف - - لما نزلت في المصائب غبت عنك كيلا أحلك شيئا من أنقالي (٢).
- (٢) الترى: التراب. الضميمة: الأصل.
- (٣) زهر (بالضم): نجوم. - كان القدماء يعتقدون أن الفجر أكثر ضوءاً من التجم.
- (٤) حاتم (الطائي) كريم مشهور. والتنبئ شاعر مشكوب.
- (٥) الكرى: النوم. العدم: الفجر.
- (٦) أنا ورثت حبِّي لك عن خالي وجدي. وأنت ورثت الفخر (المجد) عن خالك وعمك (من أسرة أمك وأسرة أبيك).
- (٧) الخلد: البال، النفس. أذاب الخلد (مشت بالي). نهدي: شدي. منهدي (عال). تأود: تأمل. الدعص: الجانب المستدير من الرمل (كناية عن ردف المرأة). ملبد: سكتز (٢). مكمد (اسم مفعول من أكمد وكمد): يورث الغم والحزن.

فَدَعَ عَذْلِي بِمَا مَن يَلُومُ
 قَلَوْتُكَ لِي فِي الْحُبِّ لُومُ.
 أَقْصَى أَمَلِي ظَنِّي رَخِيمُ
 ابْتَرَأَ الْجَلْدُ بِلَحْظِ مُرْقَدُ
 وَلَمَسَ عَجْدُ قَتْلِي قَدْ تَعَمَّدُ
 دَمِي تَقْلَدُ^(١) ..

آه!

* * *

وَلَا أَنْبِرِي لِلْعَامِرِي
 خِيَالُ سَرَى فَنَلِ السَّكْبِي
 شَدَوْتُ الْوَرَى شَدَوُ الشَّجِي
 الْبَدْرُ جَعْدُ وَالرِّيمُ أَجْعَدُ
 لِنَقْلِ مُحَمَّدُ بِالْخُجْدُ الْمُرْدُ
 وَالْجَيْدُ الْأَعْيَدُ^(٢)

تاه!

- ٤ -

المغرب ٢: ١٣٤ - ١٣٧؛ الذخيرة ١: ٨٠١ - ٨٠٥؛ الخريدة (المغرب والأندلس)
 ٢: ١٨٢ - ١٨٣، راجع ٣: ١٧٠ - ١٧١؛ الترجمة المشار إليها في معجم الأدباء لباقوت

- (١) العذل: اللوم. لوم = لُوم. ظني: ولد الغزال أو الغزال. الرخيم: اللين الصوت (صاحب الصوت المطرب). ابتَرَأَ: سلب. الجلد: احتال الشاق. مَرَقَدُ: ناصي. القلة: شعر الرأس الجاور للأذن (الشعر عموماً). عَجْدُ: ذهب (أشقر). تَقْلَدُ (بلس) دمي (أَنْ تَوَرَّدَ خَدَّهِ مِنْ دَمِي السَّفُوكِ فِي حَتِّهِ).
 (٢) أنبري: عرض، تصدق. للعامري: قيس بن الملوح (محتون ليلي) للمحبة. سَرَى: سار ليلاً. الكسي: الشجاع التام عدة الحرب. شَدَوْتُ (غَبَّيْتُ) الْوَرَى (للورى: للناس كلهم) شَدَوُ (لحن) الشَّجِي (الحزين). البدر والرَّيم (الغزال الأبيض (كتابة عن المحبوب الجميل). جَعْدُ: خضع. أَسْعَدُ: نظر بمن مسكورة (مطمئنة). مُحَمَّدُ (هو الشعر: محمد بن عبادة). الْجَيْدُ: المنق. الْأَعْيَدُ: الناعم التنشي. الضمير في « تاه » يرجع إلى مُحَمَّدُ (٢).

١٩ : ١٠٥ (والصواب ١٨ : ١٠٥ وما بعد) هي لمحمد بن جعفر الفَرَاز الفيروافي
 المتوفى سنة ٤١٢ للهجرة؛ قلائد العقيان (سنة أبيات حائية في ترجمة المتمد بن
 عباد)؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٤٢ - ٤٣؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٨٩ - ١٩٠
 فوات الوفيات، راجع ١ : ٢٥٥ - ٢٥٦ نفح الطيب ٣ : ٤١١، ٤٩٢، ٤٦٠، ٤٦١ :
 ١٣، ١٠٣، ٧ : ١٦ أزهار الرياض ٢ : ٢٥٢، ٢٥٤.

* * * * *

يقف هذا الجزء عند أصحاب التراجم الذين شهدوا
 عصر ملوك الطوائف أو جانباً منه. ويبدأ الجزء التالي
 بتراجم الذين شهدوا عصر المرابطين في الأندلس.

فهرس هجائي لأعلام الأشخاص

لا يدخل في هذا الفهرس أسماء الأشخاص مما يرد في قسم المصادر والمراجع (القسم ٤) من كل ترجمة، ولا الأسماء التي ترد (عند الاستشهاد بمصدر أو مرجع، في المتن أو في الحاشية) إلا إذا كان صاحب هذا المصدر أو المرجع قد أبدى رأياً معيناً أو قال قولاً صريحاً في بحث ما. وكذلك لا تظهر في هذا الفهرس أسماء المؤلفين والمحررين والمحققين والناشرين للكتب الموجودة في ثبوت المصادر والمراجع.

إذا كان للاسم صيغة مشهورة جداً، نحو: أبي بكر الصديق، أبي تمام، البحري، ابن خلدون، فأنا أكتفي بإيراد هذه الصيغ المشهورة من غير إحالة عليها من: عبد الله بن أبي قحافة - حبيب بن أوس - الوليد بن عبيد - عبد الرحمن بن خلدون.

م = مكزّر، ح = في الحاشية، ح م = مكزّر في الحاشية فقط.
= (انظر الاسم الذي بعدها).

١-أ

آدم ١٠٥، ٣٠٦، ٤٨٠، ٦٨٢.	ابراهيم بن أحد الشيباني = أبو اليسر الشيباني
الأمدي - الحسن بن بشر ٣٥١.	
أبان بن عبد الحميد اللاحقي ٤١٨ ح.	ابراهيم (الأصفر) بن أحد بن الأغلب
إبراهيم (الخليل) ١٤٧ م، ٤٨٤ م،	٦٠ م، ١٣٩ - ٤٠، ١٤٦،
٦٨٥، ٦٨٦ ح، ٦٨٨ ح، ٦٩٧ ح.	١٤٩ م، ١٥١ م، ١٥٤.

- ابراهيم بن حجاج اللخمي ٢٢١ .
 ابراهيم بن الأغلب (الكبير) ٦٠ ، ٦٩ ،
 ٧٠ ، ٧١ ، ٩٦ م ، ٨٣ - ٨٤ ،
 ٩٦ م .
 ابراهيم بن سالم = ابن الأغلب
 ابراهيم بن السري = الزجاج
 ابراهيم بن سهل الأندلسي ٤٣٠ .
 ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن
 ٩٤ .
 ابراهيم بن عثمان = ابن الوزان
 القيرواني = ابن الوزان القيرواني
 النحوي
 ابراهيم بن علي بن تميم = الحصري
 صاحب زهر الآداب
 ابراهيم بن غانم بن عبدون الكاتب
 (٣٧٠ - ٣٧٢) .
 ابراهيم بن القاسم القروي = الرقيق
 القيرواني
 ابراهيم بن قيس ١٢٢ .
 ابراهيم بن ابن الأغلب = ابن الأغلب
 ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مزين
 ٦٥ .
 ابراهيم بن محمد الشافعي ١٤٠ .
 ابراهيم - محمد أبو الفضل ٦١٨ .
 أبقرات = بقراط
 ابليس ١٠٥ .
 ابن الأبار - أحمد بن محمد (٤٧٢) -
 (٤٧٣) .
 ابن الأبار - محمد بن عبد الله ٦٥ م ،
 ١٤٣ ح ، ٢٣٤ ، ٢٤٤ ح ، ٢٨٢ -
 ٢٨٣ ، ٢٨٥ ح ، ٢٩١ ح م ،
 ٢٩٢ (٢) .
 ابن إباح = عبد الرحمن بن إباح
 ابن أبان = محمد بن أبان القرطبي
 ابن أبي الأزهر ١٨٧ .
 ابن أبي الحباب - أحمد بن عبد العزيز
 ٣٢٨ (٢) ، ٦١٥ .
 ابن أبي الحسن (شخصان ؟) ٤٢٩ م .
 ابن أبي حنيفة النعمان المغربي
 (٢٩٧ - ٢٩٩) .
 ابن أبي دوس البياضي - أبو بكر محمد
 ٦٦٦ .
 ابن أبي الرجال (٤٦٢ - ٤٦٤) ،
 ١٩١ م .
 ابن أبي الرقاق ١٠٥ .
 ابن أبي زمنين (٣٢٦ - ٣٢٨) ، ١٨١ ،
 ٥٧٢ .
 ابن أبي زيد القيرواني (٣٠٧ - ٣٠٩) ،
 ١٧٥ ، ١٨١ م ، ٢٢٧ ، ٣٣٧ ،
 ٤٧٦ .
 ابن أبي العرب ٣٤٩ م ، ٣٥٢ ، ٤٦٨ .
 ابن أبي الفتح = عبد الله بن أبي الفتح
 ابن أبي لبابة - محمد بن يحيى ٢٨٧ م .

- ابن أبي مطحنة ١٤٧ .
 ابن الأبيض = أبو بكر بن الأبيض
 ابن الأجدادي - إبراهيم (٦٢٠) - (٦٢٢) .
 ابن أخت العاهة = الداروني
 ابن أخت غانم = محمد بن معمر ٦٦٦ ح .
 ابن أرفع رأسه (٦٤٦ - ٦٥٠) .
 ابن أرقم - محمد بن محمد ٢٠٤ .
 ابن أصبغ - عباس ٤٧٣ .
 ابن الأصفر = زياد بن الأصفر
 ابن أضحى - أحمد بن محمد (٢٤٤) - (٢٤٦) .
 ابن أضحى - محمد ٢٤٤ .
 ابن الأعراي ١٢٩ .
 ابن الأغيش - محمد بن بشير ٢٨٦ (٢) ، ٣٢٨ .
 ابن الأغلب (إبراهيم بن سالم) = إبراهيم
 ابن الأغلب
 ابن الأغلب (إبراهيم بن محمد) ٦٠ م ، ١٣٩ - ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ .
 ابن الأغلب - الأغلب بن إبراهيم ٧٣ - ٧٢ .
 ابن الأغلب - زيادة الله (الأول) بن إبراهيم ٦٠ ، ٧١ - ٧٢ ، ١٧٧ .
 ابن الأغلب - زيادة الله (الثاني) بن عبد الله ٦٠ ، ١٥٤ ، ١٥٤ ، ٢٩١ ح ، ٢٩٢ م .
 ابن الأغلب - عبد الله بن إبراهيم ٧٠ م ، ١٥٤ ، ١٥٤ م .
 ابن الأغلب - أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ٧٢ - ٧٣ .
 ابن الأغلب - محمد (لم يتولَّ الإمارة) ١١٣ .
 ابن الأغلب - محمد بن زيادة الله ١١٣ .
 ابن الأغلب - يعقوب
 ابن الأفطس - أبو محمد عبد الله المنصور ٤٨٥ م .
 ابن الأفطس - التوكل أبو حفص عمر ٦٥٢ ، ٦٥٩ - ٦٦٠ .
 ابن الأفطس - المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله (٥٨١ - ٥٨٢) ، ٣٨٨ ، ٣٩٤ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ م ، ٤٨٧ م ، ٥٨٥ ، ٥٩٣ .
 ابن الأفطس - يحيى المنصور بن محمد ٦٣٩ .
 ابن الأنباري - أبو بكر محمد ١٨٧ .
 ابن أين - أبو عبد الله محمد ٢٣٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٠ م .
 ابن باجّه ٤٤٢ ، ٥٤٩ ، ٦٥٥ ح .
 ابن بدر - أحمد بن اسماعيل ٢٥١ م .

- ابن برتق - عمر بن حفص ١٩٣ .
 ابن برد (الأصغر) (٥١٠ - ٥١٤) ،
 ٤٠٩ .
 ابن برد (الأكبر) (٣٦٥ - ٣٦٧) ،
 ٢٠١ ، ٥١٠ .
 ابن برغوث الرياضي - م بن عمر
 ٥٣٣ .
 ابن البزلياني (٥٠٧ - ٥١٠) .
 ابن بسام الشنترفي ١٥٥ م ، ٤٢٧ -
 ٤٢٩ ، ٤٣٧ ، ٤٤٢ ، ٤٩١ ، ٥٣٠ ،
 ٦٠٢ ، ٦٨٧ ، ٦٩٦ .
 ابن بقي - يحيى ٤٢٧ ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ .
 ابن بنت منيع = البغوي
 ابن البيساري - أبو الفرج ٢٠٤ .
 ابن البين البطلوسي - محمد (٧٣٥ -
 ٧٣٦) .
 ابن ثاويت الطنجي - محمد ٦١٨ ح .
 ابن تقي - محمد ٢٢٣ - ٢٢٤ .
 ابن تيفاوت - عبد الله بن محمد ٥٤٣ .
 ابن جاج البطلوسي (٦٥٢ - ٦٥٤) .
 ابن الجباب - أحمد بن خالد ١٨٣ .
 ابن جبير ٤٤٢ - ٤٤٣ .
 ابن الجزار القيرواني - أحمد بن ابراهيم
 ١٩٢ - ١٩٣ ، ٥٨٣ - ٥٨٤ .
 ابن جني - عثمان ٤٦٩ .
 ابن جلجل - سليمان (٣٠٤ - ٣٠٧) ،
 ١٩٢ م .
 ابن جهور - عبد الملك (٣٢١ -
 ٣٢٢) ، ٣١٨ ، راجع ٦١٥ ، ٧٣٢ .
 ابن جهور - أبو الوليد محمد ٣٧٢ ،
 ٥٩٢ - ٥٩٣ ، ٦١٥ - ٦١٦ .
 ابن جهور - المظفر (٣) ٧٣٢ .
 ابن جودي - سعيد
 ابن الحاجب - أبو الأصبغ موسى
 (١٦٣ - ١٦٤) ، ٢٠٤ ، ٤٩٦ م .
 ابن حيوس (عامل تاهرت الفاطمي)
 ١٧٣ .
 ابن الحداد = السرقطي المعافري
 ابن الحداد الوادي آشي - محمد (الفقيه)
 ٦٥٥ م ح .
 ابن الحداد الوادي آشي - محمد بن أحمد
 (الشاعر) (٦٥٥ - ٦٩٥) ، ٤٠٤ -
 ٤٠٥ ، ٦٦٦ .
 ابن حدير - أحمد بن موسى ٢٠٥ ،
 ٢٦١ ، ٢٦٢ .
 ابن حدير - موسى بن محمد ٢٦١ ح .
 ابن الحداد - أحمد بن محمد ٧٣٣ .
 ابن حزم - أبو بكر ٤٥٦ م .
 ابن حزم - أحمد بن سعيد ٢٥٣ ،
 ٣٠٠ ، ٤٤٧ م .
 ابن حزم - عبد الوهاب أبو المنيرة
 (٤٨٧ - ٤٩٠) ، ٤٦٦ .
 ابن حزم - علي بن أحمد ١٤١ ، ٣٧٢ ،
 ٣٩٣ - ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤٠٩ .

- ابن خاقنة - أحمد بن علي ٤٤٤، ٧٤٤.
 ابن خاقان المصري - خلف بن ابراهيم ٤٩٨.
 ابن خاقان = الفتح
 ابن الخزاز - محمد بن أحمد ٨٦٤ م.
 ابن الخزاز - محمد بن يحيى ٣٣٧.
 ابن الخزاز - يحيى بن عبد العزيز ١٨٣.
 ابن خرداذبه ١٨٨.
 ابن خزرون - خليفة ٥٤٦ م.
 ابن خزرون - سعيد ٣٩٠.
 ابن الخطيب = عبد العزيز بن الخطيب
 ابن الخطيب = لسان الدين
 ابن خفاجة ٦٦٤ م.
 ابن خلّكان ٣٠٠، ٣٣٨ م، ٣٧٥، ٤٩١ ح.
 ابن خلدون ١١٣، ١٧٥ - ١٧٧، ١٩٨، ٢١١، ٣٠٦، ٣١٦، ٤٢١ - ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٥١، ٥٤٧، ٥٥١، ٥٥٢.
 ابن خلدون - عمر بن أحمد ٣٩٥.
 ابن خلصة الشذوي - محمد (٦١٨ - ٦٢٠).
 خلف بن ابراهيم = ابن خاقان
 ابن خلّوف الحروري (٤٦٥ - ٤٦٨).
 ابن خلّوف المغربي النحوي
- ٤٢٨، ٤٥٦ ح، ٤٨٧، ٥٨٢، ٥٩٩، ٦٣٠، ٧٢٣ م.
 ابن الحصار = ابن مضاه
 ابن حصن الإشبيلي (٥١٤ - ٥١٧).
 ابن حفصون - أحمد (الفيلسوف) ٣٧٢.
 ابن حفصون - جعفر ٢١٨ م.
 ابن حفصون - عمر = عمر بن حفصون
 ابن الحكيم الأندلسي - محمد بن اسماعيل (٢٢٢ - ٢٢٤)، ٢٠٤، (٢)، ٢٢١.
 ابن حماد = عبد الرحمن بن بكر ١٥١ م، ١٥٣.
 ابن حمدون (حدويه) - عبد الله ١٨٥.
 ابن حمدون الجلولي - الحسن ٧٠٧.
 ابن حمديس - عبد الجبار ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٣، ٦٦٤.
 ابن حمّود - محمد المهدي بن القاسم (٢) ٦٢٦، ٦٢٣.
 ابن حمّود - محمد بن القاسم (آخر) ٤٨٣.
 ابن حمّود = المعتلي
 ابن حمّوش ١٨٠ - ١٨١.
 ابن الحنّاط - سليمان بن محمد (٤٨٢ - ٤٨٧)، ٤٦٥ ح م.
 ابن حيّ - التجيبي - الحسن بن محمد
 ابن حيان - خلف بن حسين ٦١٥.
 ابن حيان - حيان بن خلف (٦١٥ - ٦١٨)، ٤٥١، ٤٨٣، ٧٠٢، ٧٣١، ٧٣٨.

(٦٣٥ - ٦٣٤).

ابن الحياط الأندلسي (٥٠٥ - ٥٠٦).

ابن الحياط الربيعي الصقلي (٥٢١ - ٥٢٤)، ٣٩٨.

ابن خيرون - أبو القاسم ٦٣٠ م.

ابن خيرون - يوسف بن عبد الله ٦٠٢.

ابن داوود الإصفهاني ٢٨٢ م.

ابن الدبّاغ (٦٥٩ - ٦٦٣).

ابن دحية ٤٤٠، ٤٤٣.

ابن الدخيل الصيدلاني ٣٣٨.

ابن درّاج القسطلّي (٣٧٧ - ٣٨٥)، ٦٠.

١٩٧ م، ٣٤٠، ٥٦٨، ٦٢٣.

ابن درستويه ١٨٧، ٦٧٢.

ابن دريد ١٨٦، ١٨٧، ٢٦٢، ٣٣٦.

٤٢١ م، ٤٦٩، ٢٦٢ ح (ابن زيد).

خطأ).

ابن الدودين - أحمد ٦٨٣، ٦٨٧ وما بعد.

ابن ذكوان أحمد بن عبد الله ٣٦٧، ٥٨٩، ٥٩٠.

ابن ذي يزن = سيف بن ذي يزن

ابن رحيم - أبو بكر ٣٤٦.

ابن رزين - عبد الملك (٧٣٨ - ٧٤٢)،

٤٠٦ - ٤٠٧، ٦٧٠، ٧٣٧.

ابن رشيّق (الحافظ) ٣١٢.

ابن رشيّق (قائد وصاحب مرسية)

٦٣٩.

ابن رشيّق القيرواني (٥٥١ - ٥٥٩)،

٢٦٨، ٣٩٦ م، ٣٩٨، ٤٠٣،

٤٠٩ م، ٤١٤ - ٤٢١، ٤٢٥ -

٤٢٦، ٤٥١، ٤٦٣ - ٤٦٥،

٦٣٤، ٧٤٢ - ٧٤٣.

ابن رشيّق (والي ميورقة) ٦٣٢.

ابن رومان - أبو الوليد ١٤٣ - ١٤٤.

ابن الرومي ١١٦، ١٩٦ م، ٢٣٤،

٣٧٨، ٣٩٧، ٤٠٢ م، ٤٣٥،

٥٥٧ م.

ابن الزبيب (ابن الريب)

ابن زرقون - محمد بن سعد ٢٩٢ م.

ابن زرياب (الزرياب) ١٣٨ ح.

ابن زريق البغدادي - أبو الحسن

٤٧٦.

ابن زكرويه = أحمد القرطبي

ابن زمرك ٤٤٠.

ابن زهر - أبو بكر ٤٢٩ - ٤٣١،

٤٣٣، ٤٣٤ م، ٤٣٦، ٤٤٠،

٤٤٣ م.

ابن زهر - أبو العلاء زهر ٥٤٩.

ابن زهر - أبو مروان عبد الملك

٥٤٩.

ابن الزيات = محمد بن عبد الملك

ابن زيد (= ابن دريد)

ابن زيدون - أبو بكر ٤٤٧ م،

٤٤٨ م، ٥٩٤.

ابن زيدون - أبو الوليد (٥٨٩ - ٦٠٢)، ٦، ١٩٥، ٣٩٨، ٤٠٤،
ابن سناء الملك ٤٢٧ - ٤٢٨، ٤٣٧، ٤٣٨.

ابن سهيل - حبيب بن نصر = حبيب
ابن نصر ٥٦٠ م، ٦٢٦ م، ٧٠٠ - ٧٠١.

ابن الربيع القيرواني (٤٦٥ - ٤٦٨).
ابن مزاج - عبد الملك (٧٣١ - ٧٣٣).

ابن السراج - أبو بكر محمد ١٨٦ م، ٤٨٠ م.

ابن السراج - أبو عبد الله
ابن مريج ٦٩٤ م.

ابن سعد الخير البلسي ٤٤٢ -
ابن سعيد - أبو عبد الله بن الحسين ٢٨٩ م.

ابن شرف القيرواني - محمد (٥٦٤ - ٥٧٠)، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٦٣،
٥٥٣، ٦٦٦.

ابن شقّ الليل - محمد بن ابراهيم ٧٠٦ م.

ابن شهيد - أبو عامر أحمد بن عبد
الملك (٤٥٤ - ٤٦١)، ١٨٩، ١٩٩ -

٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٣١٨، ٤٨٣،
٤٨٥ - ٤٨٦، ٥١٠، ٦٩٦.

ابن شهيد - أبو عمر أحمد بن عبد
الملك ٣١٨ ح.

ابن شهيد - عبد الملك (٣١٨ - ٣٢٠)،
١٨٩، ٣٢١، ٤٥٤.

ابن الشهيد - أبو حفص ٦٦٦ م.

ابن زيدون - أبو الوليد (٥٨٩ - ٦٠٢)، ٦، ١٩٥، ٣٩٨، ٤٠٤،

٤٠٥، ٤٧٧ ح، ٥١٤ - ٥١٥، ٥٦٠ م، ٦٢٦ م، ٧٠٠ - ٧٠١.

ابن الربيع القيرواني (٤٦٥ - ٤٦٨).
ابن مزاج - عبد الملك (٧٣١ - ٧٣٣).

ابن السراج - أبو بكر محمد ١٨٦ م، ٤٨٠ م.

ابن السراج - أبو عبد الله
ابن مريج ٦٩٤ م.

ابن سعد الخير البلسي ٤٤٢ -
ابن سعيد - أبو عبد الله بن الحسين ٢٨٩ م.

ابن شرف القيرواني - محمد (٥٦٤ - ٥٧٠)، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٦٣،
٥٥٣، ٦٦٦.

ابن شقّ الليل - محمد بن ابراهيم ٧٠٦ م.

ابن شهيد - أبو عامر أحمد بن عبد
الملك (٤٥٤ - ٤٦١)، ١٨٩، ١٩٩ -

٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٣١٨، ٤٨٣،
٤٨٥ - ٤٨٦، ٥١٠، ٦٩٦.

ابن شهيد - أبو عمر أحمد بن عبد
الملك ٣١٨ ح.

ابن شهيد - عبد الملك (٣١٨ - ٣٢٠)،
١٨٩، ٣٢١، ٤٥٤.

ابن الشهيد - أبو حفص ٦٦٦ م.

- ابن صارة الشنبريني ٣٩٨، ٧٣٥،
٧٣٦ م.
- ابن صيفون - عبد الرحمن بن أحمد
٥٣٠ - ٥٣١.
- ابن الصغير (مؤرخ إياضي) ٧٤ - ٧٥.
- ابن الصغار - أحمد بن محمد ١٩٠ -
١٩١.
- ابن الصغار - محمد بن محمد ١٩٠،
١٩١.
- ابن الصغار - يونس بن عبد الله ٤٧٦.
- ابن صلا الله - أحمد ١٨٣ - ١٨٤.
- ابن صلاح - أحمد ٧٠٨.
- ابن صلاح - محمد بن أحمد ٦٦٦.
- ابن صلاح - أبو الأحوص من ٦٦٦.
- ابن صلاح = أمّ الكرام بنت
ابن صلاح - رشيد الدولة ٦٦٨.
- ابن صلاح - رفيع الدولة ٦٦٦، ٦٦٧.
- ابن صلاح = عز الدولة ٦٦٦، ٦٦٧.
- ابن صلاح = المعتصم بن صلاح
ابن صلاح = معز الدولة
- ابن طاهر - أبو عبد الرحمن ٧٣٩.
- ابن الطراوة - أبو الحسين ٧١٢.
- ابن طريف التاهري - الحسن بن علي
٢٥٥، ٣٩٦.
- ابن الطولي - أبو عبد الله ٢٠٩.
- ابن عائذ - يحيى بن مالك ٣٣٧.
- ابن عامر - أبو عمران عبد الله الشامي
٤٧٩ م، ٤٩٩.
- ابن عامر = عبد الله بن محمد بن عامر
- ابن عباد - اسماعيل بن المعتضد ٥٠٧،
٥٠٤ - ٥١٥، ٦٢٦، ٦٢٧،
٦٤٢.
- ابن عباد (راجع: بشينة * بنت عباد)^(١)
- ابن عباد - حكم * (ذخر الدولة أبو
المكارم) ٤٧٠، ٧٢١.
- ابن عباد - الربيع * (تاج الدولة أبو
سليمان) ٧٢١.
- ابن عباد - الرشيد * ٧٢١.
- ابن عباد - عبد الجبار * ٧١٥، ٧٢١.
- ابن عباد - عبيد الله * ٤٧٠.
- ابن عباد - عضد الدولة * ٧٢١.
- ابن عباد - الفتح * (المأمون أبو نصر)
٧٢٠.
- ابن عباد - مالك * ٧٢١ م.
- ابن عباد - محمد بن اسماعيل (أبو
القاسم) (٤٧٠ - ٤٧١)، ٤٧٢.
- ابن عباد - محمد (والد المعتضد)
٥٠٧..... (٢)

(١) النجوم تدلّ على أولاد المعتضد بن عباد (ت ٤٨٨ هـ). وكثيراً ما يقال في أشخاص أسرة آل عباد:
« فلان بن عباد » بقطع النظر عن اسم والده.

- ابن عبّاد - محمّد بن المتضد ٥٠٧ م .
 ابن عبّاد - أبو القاسم محمّد
 المعتمد = المعتمد بن عبّاد
 ابن عبّاد - المعتدّ (أبو بكر عبد الله *)
 ٧٢١ .
 ابن عبّاد - عبّاد * (سراج الدولة أبو
 عمر) ٧٢٠ .
 ابن عبّاد - المتضد بن محمّد بن عبّاد
 ابن عبّاد - محمّد بن اسماعيل ٤٧٠ ح .
 ابن عبّاد - الملقى * زين الدولة أبو
 هاشم ٧٢١ .
 ابن عبّاد - يحيى * شرف الدولة أبو
 بكر ٤٧٠ ، ٧٢١ .
 ابن عبّاد - يزيد * أبو خالد الراضي
 ٤٧٠ ، ٧٢١ م .
 ابن عبادة القرّاز - محمّد (٧٤٤ -
 ٧٨٨) ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٦٤٦ .
 ابن عباس - أبو جعفر أحد (٦٩٤ -
 ٦٩٩) ، ٦٨٣ ، ٦٩٥ (٩) .
 ابن عباس - أبو جعفر أحد (آخر)
 ٦٩٥ .
 ابن عبد البرّ - محمّد بن عبد الله
 (٦٢٦ - ٦٣١) ، ٢٣٠ م ،
 ٦٦٣ - ٦٦٢ .
 ابن عبد البرّ - أبو عمر يوسف
 (٥٨٤ - ٥٨٨) ، ٣٢٨ ، ٣٩٢ ،
 ٣٩٤ ، ٧٠٢ ، ٧٠٦ ، ٧٢٣ .
 ابن عبد الحكم (المؤرّخ) ٧٣ .
 ابن عبد ربّه أبو عمر أحد صاحب
 العقد (٢١٠ - ٢٢٠) ، ١٩٤ ،
 ١٩٨ - ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ -
 ٢٠٦ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٤٢٩ ،
 ٤٣٩ - ٤٤١ .
 ابن عبد ربّه - أبو عمر أحد (ابن أخي
 صاحب العقد) ٢١١ .
 ابن عبد ربّه - سعيد بن ابراهيم
 (٢٣٥ - ٢٣٧) ، ١٨١ .
 ابن عبد السلام الحشني = الحشني
 ابن عبد الصمد - يوسف (٧٢٥ -
 ٧٣١) .
 ابن عبد العزيز = أبو بكر المنصور بن
 عبد العزيز
 ابن عبد الملك المراكشي ٢٩٠ .
 ابن عبيدوس - أبو عامر أحد ٤٠٥ ،
 ٥٩١ ، ٥٩٨ ، ٧٠٠ م .
 ابن عبيدون - ابراهيم بن غانم
 ابن عبيدون الجلي - محمّد ١٩٠ ، ٣٧٢ .
 ابن عبيدون - عبد الجليل ٣٩٨ ،
 ٤٠١ م ، ٤٠٦ ، ٦٤٠ ، ٦٦٠ .
 ابن عتّاب - محمّد ٣٩٣ .
 ابن عذارى ٢٦٩ ، ٥١٥ ، ٧٣٩ .
 ابن العريف = أبو القاسم
 ابن العسال - عبد الله بن فرج
 (٧٠٦ - ٧٠٧) ، ٤٠١ ، ٤٠٨ .

- ابن عصفور - أبو القاسم . ٥٧٠ .
 ابن العطار - أحمد بن محمد . ٢٣٠ .
 ابن علقمة - محمد . ٣٩٥ .
 ابن عمار - أبو بكر (٦٣٨ - ٦٤٦) ،
 ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٥٩٣ ، ٦٥٢ م ،
 ٦٥٩ ، ٦٦٣ م ، ٦٦٩ ، ٦٧٦ م ،
 ٧١٣ - ٧١٤ ، ٧١٨ م .
 ابن عمرو الوهراني ٣٩٦ م .
 ابن عيذون = الثعالبي
 ابن الغازي - محمد بن عبد الله ١٦٣ ،
 راجع ٢٢٢ - ٢٢٣ .
 ابن غانم - عبد الحميد ١٣٦ .
 ابن غرسية - أبو عامر أحمد
 (٦٨٣ - ٦٩٩) ، ٣٩٢ م .
 ابن غصن الحجاري - عبد الملك
 ١٢٣ .
 ابن غلبون الحلواني (ت ٤٤٨ هـ)
 ٣٩٢ .
 ابن غلبون - طاهر بن عبد المنعم
 ٤٧٦ .
 ابن غلبون - أبو الطيب عبد المنعم
 ٤٧٦ .
 ابن الفارض - عمر ٣٥٥ .
 ابن الفاسي اللواتي - أبو جعفر ٣٩٦ .
 ابن فتحون بن مكرم - سعيد ٣٣٦ ،
 ٦٥٥ ، ٥٨٤ م .
 ابن فعلون - سعيد ٣٣٠ ، ٣٢٨ .
 ابن فرج البيساري = البيساري
 ابن فرج الجبائي - أحمد بن محمد
 (٢٨٢ - ٢٨٥) ، ٢٣٠ ، ٤٩٤ .
 ابن فرج الجبائي - سعيد ٢٣٠ .
 ابن الفرضي (٣٣٧ - ٣٣٩) ،
 ١٠٦ ح م ، ١٣٠ ح ، ١٦٣ ، ٢٩٩ ،
 ٥٨٤ .
 ابن الفرق - محمد بن عبد الله ٢٨٦ .
 ابن فضال - علي (٦٥٠ - ٦٥٢) .
 ابن فضل الله العمري ٤٦٥ ح .
 ابن قنم - ١٠٩ .
 ابن قادم - محمد ١٨٥ .
 ابن قارلمان = ابن قرلمان
 ابن القبطرنة - أبو بكر عبد العزيز
 ٦٦٥ .
 ابن قتيبة الدينوري ١٥٤ ، ١٨٥ -
 ١٨٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٥١٨ ، ٥٨١ .
 ابن القرطبي - القاسم بن شعبان ١٨١ .
 ابن القرطبي - سعيد بن إبراهيم ١٨١ .
 ابن قرلمان - أحمد (٢٩٩) ١١٤ ح .
 ابن قرلمان - عبيد الله ٢٩٩ ح .
 ابن قرلمان - عيسى بن عبد الله
 (١١٤ - ١١٥) ، ٢٩٩ ح .
 ابن قرلمان آخر ٢٩٩ ح .
 ابن القزاز = ابن عبادة القزاز
 (٧٤٤ - ٧٤٨) .
 ابن القزاز البربري (٣٢٨) .

ابن قزمان (قرمان) - فرج ٢٩٩ ح .

ابن قطن = عبد الملك النهري

ابن قطن = عبد الملك المهري

ابن القوطية - محمد بن عمر (٢٨٥ -

٢٨٨)، ١٨١، ١٨٨ - ١٨٩،

٣٠٩، ٣١٢، ٣١٤، ٣٣٦ م .

ابن كثير - عبد الله ٤٧٩ م، ٤٩٩ .

ابن اللباد - محمد بن أحمد ١٨١، ٣٠٧ .

ابن اللبانة ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٣٦ م،

٤٤٠، ٤٤٢ .

ابن لبون = لبون بن عبد العزيز

ابن ماء الساء = عبادة

ابن المثني = ابن صبغون

ابن محرز ٦٩٤ .

ابن محفوظ الجيزي - أحمد بن محمد

٤٩٨ .

ابن مرتيل (شيخ المالكية) ١٤٠،

١٤١ .

ابن مرتين ٥٩٣ .

ابن مروان الجليقي = عبد الرحمن

ابن مزين - يحيى بن ابراهيم ١٦٣ .

ابن مسرة (قاري) ٤٧٩ م .

ابن مسرة - محمد بن عبيد الله

١٩٣ - ١٩٤، ٢٢٢ م، ٢٥١،

٣٠٠ .

ابن مسرة - وهب ٣٠٤ .

ابن مضاء - أبو عمر أحمد ٢٠٣ .

ابن معافى = مقدم بن معافى

ابن المعتز ١٩٦، ٣٩٧، ٤٢٠ م،

٥٥٧ م .

ابن مفلس البلسي (٤٦١ - ٤٦٢) .

ابن مفيت الأنصاري - محمد بن عبد الله

(٢٥٣ - ٢٥٤) .

ابن مفيت - محمد بن عبد الوهاب

٢٨٦ .

ابن مفيت - محمد المغربي (٣٣٦ -

٣٣٧) .

ابن مفرج - أبو عبد الله ٤٧٣ .

ابن مقانا (٥٧٨ - ٥٨١) .

ابن مقبل - تيم ٤٦٧ م .

ابن المقفع ٢١٢ .

ابن مقلة ٧٠٥ م .

ابن مقنة ٦٢٣ م .

ابن منذر (سليمان صاحب دانية أو

يحيى المظفر بن هود) ٥٠٨ م .

ابن المنذر ٥٤٧ .

ابن المهند ٣٥٠ م .

ابن ميثم - ادريس ١٨٩ - ١٩٠ .

ابن نابل - عمر بن حسين ٦١٥ .

ابن نباتة - عبد الرحيم ٤٨١ م .

ابن النجاد = محمد بن يوسف القرطبي

ابن النحاس المصري - أحمد بن محمد

٢٥٧، ٢٦١ .

ابن وضّاح - محمد ٢١٠، ٢٢٢، ٢٣٢،
٢٥٠ - ٢٥١.

ابن الوثقي = الوثقي

ابن وكيع التنسي ٤٢٠ م.

ابن وكيع (؟) ٤٨١ ح.

ابن ولّاد - أحمد بن محمد ٢٥٧، ٢٦١.

ابن الوليد بن خلف = ابن رومان

ابن وهبون المرسى (٦٦٣ - ٦٦٥)،
٤٠٦.

ابن يحيى بن يحيى الليثي ٢٥٧.

ابن يوليش ١٣٨ م.

أبو الأجر الكلاي (٤٩ - ٥٠).

أبو اسحاق الالبيري (٥٧٢ - ٥٧٨)،
٤٠٢ م، ٤٠٨.

أبو الأسود الدؤلي ٣٠١، ٥٠١.

أبو بكر الصديق ٥٦، ٣٥٤، ٣٧٣.

أبو بكر بن الأبيض الوشّاح ٤٣٢.

أبو بكر الخولاني المنجم ٧٤٥.

أبو بكر الزبيدي = الزبيدي

أبو بكر بن زهر = ابن زهر الحفيد

أبو بكر صاحب الأحباس ٦٧٢ م.

أبو بكر الصولي ٢٥٣.

أبو بكر المنصور بن عبد العزيز ٧٣٦.

أبو بكر بن معاوية القرشي ٣١٤.

أبو تمام ١٢٢ م، ١٢٩ م، ١٥٤،

١٦٤ ح، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٠٦.

ابن النغدة: النجدلة (لا النغلة أو
النغيلة اليهودي) - اساعيل

٣٨٧ - ٣٨٨، ٥٣٥، ٥٧٢.

ابن النحوي التوزري ٣٩٨.

ابن النقّاش الزرقالي = الزرقالي

ابن هانش - عبد الله بن محمد ٦٢٠ -
٦٢١.

ابن هاني الأندلسي (٢٦٦ - ٢٧٧)،
١٩٥، ١٩٦، ٣٤٣، ٣٧٤،

٣٧٨، ٥٣٠، ٥٤٨، ٧٣٥.

ابن هاني = أبو نواس

ابن هاني - محمد بن ابراهيم بن مفضل
٢٦٧ ح.

ابن هبيرة (شاعر) ٨٧.

ابن هذيل الكفيف ٣٤٠.

ابن هذيل بن رزّين = ابن رزّين - عبد
الملك

ابن هلال - عبد الله بن محمد ١٨٤.

ابن هود - أحمد بن سليمان ٦١٩.

ابن واقد ٣٩٥.

ابن وانسوس - سليمان ٧٤، ٧٥.

ابن الودّاني - علي (٧٤٢ - ٧٤٤).

ابن ورو - محمد بن خزرون بن خليفة
٥٤٦ م.

ابن الوزّان القيرواني (٢٤٨ - ٢٥٠)،

٢٠٣ م.

- ٢٩٢ ، ٣٥١ ، ٣٧٨ ، ٤٧٥ ،
 ٤٩٦ ح ، ٥٥٧ م ، ٦٣٦ .
 أبو جعفر الابلبي (الأبلي) ؟ ١٤٩ .
 أبو جعفر بن عباس (الوزير) = ابن
 عباس
 أبو جعفر اللواتي = ابن الفاسي
 أبو جعفر المروذي ٢٣٧ - ٢٣٨ .
 أبو جعفر المنصور العباسي ٥١ م ،
 ٥٤ م ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٩٤ ، ٩٥ .
 أبو جعفر النحاس ٣١٢ .
 أبو حاتم السجستاني ٣٣٦ .
 أبو الحزم جهور بن عبيد الله (٢٣٣ -
 ٢٣٥) .
 أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور
 (٤٧٣ - ٤٧٥) ، ٤٧٧ ، ٥٩٠ ،
 ٥٩٣ ، ٥٩٩ - ٦٠٠ .
 أبو الحسن البلنوي - علي بن عبد
 الرحمن = البلنوي
 أبو الحسن الكاتب المغربي (٣٤٨ -
 ٣٥٠) .
 أبو الحسن المنمر ١٧٥ .
 أبو حفص (ابن عم هاشم بن عبد
 العزيز) ١٢٣ م .
 أبو حفص الحوزي - عمر بن الحسن
 (٥٧٠ - ٥٧٢) .
 أبو الحكم الكرمانى = الكرمانى
 الرقطنى
- أبو حنيفة النعمان بن ثابت ٧٣ ،
 ٢٤٩ ح ، ٢٧٧ ، ٥٨٨ ، ٦٧٩ .
 أبو حنيفة النعمان المغربي - محمد بن
 منصور (٢٧٧ - ٢٧٩) ، ١٨٢ -
 ١٨٣ ، ٢٩٧ ح .
 أبو حيان = ابن حيان
 أبو الخطاب = عبد الأعلى المعافري
 ٥٢ ، ٥٥ ح ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٤ .
 أبو الخطار = حسام بن ضرار ٤٣ -
 ٤٧ ، ٤٩ .
 أبو حنزة الضبي ٤١١ .
 أبو داود السجستاني ٢٣٢ م .
 أبو ذر الغفاري ٥٦ .
 أبو ذؤيب الهذلي ٦٠٠ ، ٦٠٦ .
 أبو ركوۃ ١٧٤ .
 أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي
 ٢٩٢ ح .
 أبو الريان = الصلت بن السكن
 أبو زبيد الطائي ١٦٠ .
 أبو زيد الأنصاري ٣٣٦ .
 أبو السري = سهل بن أبي غالب
 الخزرجي
 أبو سفيان بن حرب ٦٨٥ ح .
 أبو سليمان الخطاطي ٣٧٢ م .
 أبو الشعثاء = جابر بن زين الأزدي
 أبو الصلت - أمية بن عبد العزيز
 ٣٩٨ ، ٥٤٩ .

- أبو طاهر الذهلي ٣١٢ .
أبو العاصي = الحكم الرضي
أبو عبادة القرّاز = ابن عبادة
أبو العبّاس السّفّاح ٥١ .
أبو العبّاس المذري = العنزي
أبو عبد الله بن أبي الفتح ٧٢٣ .
أبو عبد الله التميمي ٣٩٥ - ٣٩٦ .
أبو عبد الله الصنعائي الشيمي ١٧٠ .
أبو عبيدة = حسان بن مالك بن عبد الله
أبو عبيد = البكري
أبو عبيد - القاسم بن سلام ٢٤٨ -
٢٤٩ ح (٩) .
أبو عبيدة - معمر بن المثنى ١٨٥ ح
(٩)، ٢٣٦، ٢٤٨ ح .
أبو عبيدة (المستبدّ بمدينة وادي
الحجارة) ٢٥٦ م .
أبو المتاهية ٤١١ - ٤١٢، ٤١٨ .
أبو العرب التميمي - محمد بن أحد
(٢٢٦ - ٢٢٩) .
أبو العثائر بن حمدان ٥٨١ .
أبو العلاء المرعي ٦، ٧، ١٩٥، ١٩٦،
٢٠٢ - ٢٠٣، ٤١٠، ٥٣٠ م .
٤٥٦ م، ٥٩٩ م، ٦٦٩ .
أبو علي الفارسي ٣٦٢، ٤٧٩ م .
أبو علي القالي = القالي
أبو عمر ميمون (الإباضي) ١٨٢ .
أبو عمران القاسي ١٨٢، ٥٤٣ م،
٥٦٤ .
أبو عمرو الداني (٤٩٨ - ٥٠٥)،
١٨٠ م، ٣٩٢ .
أبو عمرو بن العلاء - زبّان البصري
٤٧٩ م، ٤٩٩ .
أبو عمرو (والد المعتضد بن عبّاد)
٧١٦ .
أبو العميل - عبد الله بن خليل
٤٦٧ م .
أبو غبشان - الحترش بن حليل (بالضمّ):
تاج العروس - الكويت ١٧:
(٢٨٨) ٦٨٩ م .
أبو الفتوح الجرجاني (٤٩٩ - ٤٧٠) .
أبو فراس الحمداني ١٤٦ م، ٥٦٧ -
٥٨١، ٥٦٨ .
أبو الفضل (الإباضي) - سهل ١٨٢ .
أبو القاسم الزهراوي ١٩٣ م .
أبو القاسم بن العريف (٣١٢ - ٣١٣) .
أبو القاسم الفزاري (٢٤٦ - ٢٤٨) .
أبو القاسم المعافري السبتي ٣٩٥ .
أبو القاسم = المعتمد بن عبّاد ٦٤٥ م .
أبو القاسم المنيشي = المنيشي
أبو القاسم الوهراي ٤٨٧ .
أبو لقمان بن يوسف الغساني ١٨٥ .
أبو الخشّ (٨٧ - ٨٨)، ٩٧ .

- أبو مروان الجزيري (٣٢٤ - ٣٢٦).
أبو مروان الطنجي ٦٠٨ ح.
أبو مروان بن سراج = ابن سراج
أبو مسلم (في شعر) (٣٠٢ - ٣٠٣).
أبو المصعب الزهري ١٤٠ - ١٤١.
أبو المطرف عبد الله = الأصم
أبو المطرف الشمي (القاضي) ٧٠٨.
أبو معشر الفلكي ٣٠٥ م.
أبو المغيرة = ابن حزم
أبو المنيع الأعرابي ١٢١.
أبو النجم الراجز ٤١٩ م.
أبو نواس ٥٠، ٧٨ - ٧٩، ١٠٦ م،
١٠٨، ١١٦، ١١٩، ١٣٤،
١٥٢ م، ١٨٧، ١٩٥، ١٩٧ م،
٢٠٦، ٢٦٧ ح، ٣٤٠، ٣٦٤،
٣٧٧، ٣٧٩، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤١٩،
٤٣٥، ٤٥٧، ٥٥٧ م.
أبو هلال العسكري ٣٤٣.
أبو الوليد الأعرج ٢٨٦.
أبو الوليد الباجي (٦٣١ - ٦٣٤)،
٣٩٣، ٥٣٥.
أبو الوليد الوقشي - هشام بن أحمد
(٧٣٣ - ٧٣٥)، ٥٨٢، ٧٠٦.
أبو وهب العبّاسي (٢٤٢ - ٢٤٣).
أبو يحيى زكريا الأرجاني (الإباضي)
١٨٢.
- أبو يزيد غلند = غلند بن كيداد
أبو اليسر الشيباني (١٥٤ - ١٥٥)،
٢٩١، ٢٩٢.
أبو يوسف بن محمد (الرستمي) ١٥١.
أحمد = محمد رسول الله
أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي (١٦٠ -
١٦١).
أحمد بن أبي طاهر طيفور ١٥٤.
أحمد بن اسماعيل بن بدر = ابن بدر
أحمد بن اسماعيل الرسي الحسني ٢٣٩.
أحمد بن بقي بن غلند ٢٠١.
أحمد بن حنبل ١٤٠.
أحمد بن خالد (اسم ثلاثة) ٢٣٨ م.
أحمد بن زكرويه القرمطي ٢٩٠ -
٢٩١.
أحمد بن سعيد الشنّاحي ٧٤ - ٧٥.
أحمد بن سفيان بن سودة ١٥١،
١٥٣ م.
أحمد بن عبد الملك بن هاشم ٥٨٤ -
٥٨٥.
أحمد بن غالب ٣٠٩.
أحمد بن الفضل الدينوري ٣٠٤.
أحمد بن القاسم كنون ١٧١.
أحمد بن محمد - أبو عبد الله ٧٢٣.
أحمد بن محمد الكتّاني ٦٢٣.
الأخطل ٣٨٤ ح.

- الأخفش الأصغر ١٧٦، ١٨٧ .
الأخفش الأوسط ٤١١ ح، ٤١٤ .
إخوان الصفا ٤٩٤ م .
أدريس الأزهر - بن أدريس بن عبد
الله بن الحسن (٩٤ - ٩٧) .
أدريس الأكبر - بن عبد الله بن الحسن
٦٢ - ٦٣، ٩٤ م، ٥٤٤ .
أدريس العالي - بن يحيى بن حمود
٥٧٨ - ٥٨٠، ٥٩٣، ٦٠٢،
٦٠٣ .
أدريس بن ميثم = ابن ميثم
أدريس بن البان (٦٢٣ - ٦٢٦) .
الأدقوي - أبو بكر ٤٨٠ - ٤٨١ .
الأرجاني - أبو يحيى زكريا الإباضي
١٨٢ .
أردبست: أرتباس: أرتباش ٢٨٧ -
٢٨٨ .
أردون بن أذفونش (ملك جليقية)
١٣٨ ح .
أرسطو: أرسطوطاليس ٥٩٨ م،
٦٤٩ ح، ٦٧٣ م، ٦٧٩ .
أروى (في شعر) ٤١٩ م .
أزدشير ٦٨٦ ح .
إسحاق بن إبراهيم ٣٠٤، ٤٨١ ح،
٦٨٥ ح، ٦٨٦ م، ٦٩٧ ح .
أسد (السنة) بن موسى الأموي ١٠٤ .
أسد بن الفرات ٦٠، ١١٣، ١٤٦ ح،
- ١٧٧ م، ١٨٣ - ١٨٥ .
الأسعد بن بليطة (٤٩١ - ٤٩٤) .
الأسعد بن عبد الوارث ٣٠٤ .
أسلم بن عبد العزيز هاشم ١٨٣ .
إسحاق بن إبراهيم المغربي (٣٧٣ -
٣٧٤) .
إسحاق بن عبد الحميد الأوري ٦٢ -
٦٣ .
إسحاق الموصلي ٥٨، ٨٠ م .
إسماعيل بن إبراهيم ٣٤٢ م، ٤٨١ ح .
إسماعيل بن أبي أويس ١٠٤ .
إسماعيل بن أبي المهاجر ٤١ .
إسماعيل بن أحمد التجيبي البرقي
(٥١٧ - ٥٢٠)، ٦٠٨ ح م .
إسماعيل بن إسحاق الأزدي ٢٣٢ .
إسماعيل بن بدر (٢٥٠ - ٢٥٣) .
إسماعيل بن جعفر الصادق ١٧٠ .
إسماعيل بن محمد بن عامر (٤٩٤ -
٤٩٦) .
إسماعيل بن خلف (شاعر) ٤٦١ .
إشبان (ملك قديم) ٧٠٤ .
أشعب ٦٩٤ .
أشعب بن عبد العزيز ٣٦٥ م .
أصغ بن راشد بن أصغ ٧٢٣ .
أصغ بن الفرج ١٠٤ .
أصغ بن محمد بن السمح الفرناطي
١٩٠ - ١٩١ .

- الأصم - أبو المطرف عبد الله ١٩٩ .
الأصمي ٨٦ ، ١٠٦ ح ، ٣٣٦ .
الأصيلي - عبد الله بن إبراهيم ١٨١ ، ٤٧٣ .
اعتد الرميكية ٧١٤ - ٧١٥ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ .
الأعراييون ٣٣ .
الأعرج - أبو الوليد
الأعشى - عبد الحميد بن أويس ٤٧٩ م .
الأعشى ميمون ١٨٧ ، ٥٥٦ م ، ٥٦٧ م .
الأعلم البطليوسي ٦٣٦ ح .
الأعلم الشنمري (٦٣٦ - ٦٣٨) ، ٤٠٩ - ٤١٠ ، ٦٦٤ .
الأعمى التطيلي ٣٩٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ م .
الأغلب بن إبراهيم - ابن الأغلب
الأغلب بن سالم ٦٠ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ .
أفلاطون ٥٩٨ ، ٥٩٩ ح .
أفطح بن عبد الرحمن ٢٤١ .
أفطح بن عبد الوهاب (١٠٨ - ١١٢) ، ٥٤٤ ، ٦٢ .
الافطلي - أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا (٤٩٧ - ٤٩٨) ، ٤٠٩ ، ٦٣٦ ، ٧٣١ .
إقبال الدولة بن مجاهد العامري ٣٨٧ ، ٥٦١ - ٥٦٢ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ح م ، ٦٧١ ، ٦٧٤ ، ٧٠٨ م .
الأقشيش = محمد بن عاصم النحوي
أقليدس ١٩٠ .
ألبارو اليهودي ٥٨ .
ألبيان = هليان
ألفونس الثالث (ملك قشتالة) ١٢٧ ح .
ألن (مؤلف) ١١٦ ح .
الألهاني = يحيى بن معمر
الياس بن حبيب ٦٢ .
البيع بن سفيو المكناسي ٦٤ م .
أم البنين الفهرية = فاطمة بنت محمد الفهري
أم العلاء بنت يوسف الحجازية (٥٠٦ - ٥٠٧) .
أمّ الكرام بنت صلاح ٦٦٦ - ٦٦٨ .
أمّ الوليد بن خلف بن رومان (رومانس) ١٤٣ - ١٤٤ .
أماري - ميخائيل ٥٢١ .
الإمام = علي بن أبي طالب
إمام بن الصمصامة بن الطرمّاح ١٢١ .
امرأة أبي حمزة الضبيّ ٤١٧ .
امرأة العزيز (فرعون) ٥٨٤ .
امرو القيس ٣٣ ، ١٦١ ، ١٩٥ ، ١١٦ ، ٤٢٠ ، ٤٥٩ - ٤٦٠ ، ٥٥٢ .

الأمين العبّاسي (بن الرشيد) ٣٦٨ ح م.

أميّة بن عبد الرحمن الداخل ٢٧٩.

أميّة بن عبد العزيز = أبو الصلت

الأنباري - محمد بن القاسم ٢٤٨ ح.

انتصار الدولة (٩) ٥٢٢، ٥٢٣.

أنس القلوب ٤٨٧ م، ٤٨٩ - ٤٩٠.

الأنطاكي (قارىء) ٤٧٩ م.

أنعم (سلف لعبد الرحمن بن زياد) ٥٢.

أنوشروان ٤٩٢ م، ٦٨٦ ح.

أورورا = صبح

أوروميوس = هرويس

أوس بن سعدى ٢٤٧ م.

أوغسطين = محمد بن عاصم النحوي:

الأقشطين

الأوزاعي ٨٦، ٩٣.

أوفيموس = فيمي

أولوغيوس الراهب ٥٨.

الإبادي - علي بن محمد

إيغلي - فرانس ٤٤٦.

الأيلي = أبو جعفر

أيوب ١٤٧.

أيوب بن حبيب اللخمي ٤١ م.

أيوب بن العبّاس - أبو الحسن ١٠٨ -

١٠٩.

البايجي - أبو عبد الله ٥٧٠.

البايجي - أبو عمر

البايجي = أبو الوليد البايجي

باديس بن بلقين (بلقين) النصور بن

زيري ١٧١ م، ١٧٤، ٣٤٣،

٣٤٥، ٣٤٦، ٤٥١، ٤٥٢.

باديس بن حبّوس ٣٨٧، ٤٦٩ م،

٥٧٢ - ٥٧٥، ٦٠٢ م، ٦٠٣،

٦٠٥ م، ٦٠٦، ٦٣٤، ٦٨٠ م،

٦٩٥ م.

بارودي - واصف ٤٢٤ ح.

الباروني - سليمان ١٠٩، ١٨٢ ح،

الباقلاني - أبو بكر ٦٧٧.

بالنشيا - أنخل جنثالث ١٣٠ ح م،

١٨٥ - ١٨٦، ٤٢٢.

البتاني ١٩٠ م.

بشينة (محبوبة جميل) ٤١٥.

بشينة بنت المعتمد بن عباد ٤٧٠،

٧٢١.

البحري ٦، ١٥٤، ١٩٨ م، ٢٠٦،

٣٥١، ٣٩٧، ٤٠٢، ٥٥٧ م،

٥٩٣.

بحري الغرب (المغرب) ٦. ثم = ابن

زيدون

البخاري ٢٢٧ - ٢٢٨، ٥٧١ م،

٦٣٢، ٧٢٣.

بقي بن مخلد (١٤٠ - ١٤١)، ١٨١،
١٨٣، ٢١٠، ٢٣٠، ٢٥٠.

بكر بن حنّاد (١٥١ - ١٥٤).
البكري - أبو عبيد عبد الله بن عبد
المعز (٧٠٢ - ٧٠٥)، ٣٩٤،
٣٩٨، ٦٦٦.

بلج بن بشر بن عياض ٣٩، ٤٣ م،
٤٤ م، ٤٧، ٨٤، ٢٤٤، ٢٨٧ ح.
البلخي - أبو زيد أحمد ٤٧٧ ح م.
بلقين (بلكين) بن باديس بن حبّوس
٥٧٢ م.

بلقين بن محمد الحمّادي ٥٤٤ - ٥٤٥.
بلكين بن زيري ١٧١، ١٧٤.
البلّوني - أبو الحسن عليّ (٦٠٧ -
٦١٠).

البلّوني - أبو القاسم عبيد الرحمن
٦٠٧ - ٦٠٨.

البنيلوني (أمير مسيحي) ٢١٧ م.
بنفسج بنت المنصور بن أبي عامر
٣٢٥ - ٣٢٦.

بهار (أمّ الأمير عبد الله بن محمّد) ١٥٦.
بهلول (البهلول) بن عبد الواحد
المدغري (المدغري) ٦٩ - ٧٠،
٩٦.

البوصيري ٤٠٨، ٦١١.
البيّاني = قاسم بن محمّد بن سيّار

البخاري = عبيد الرحيم بن نصر
التميمي

البرّادي - أبو القاسم بن ابراهيم ٧٤.
البراذعي - خلف بن أبي القاسم ١٨١.
برتزل - أوتو ٤٩٨ ح.
برمودة الأوّل (ملك جيليقية) ٥٧.

بروفنسال = ليفي بروفنسال
بروكلمن ٢٠٣، ٣٥٥، ٣٧٥ ح،
٥٢١.

البريدي = محمد بن أحمد
بريهة بنت يحيى التميمية ٣١٣.
البتاني - فؤاد أغرام ٤٢٤ ح.
البتاني - بطرس سلسيان ٤٠٤ م،
٤٢٤ ح.

بسطام بن قيس ٢٤٧ م.
السكري = يوسف بن عليّ
بشار بن برد ١٩٥، ٣٩٨، ٤٠٢،
٤٢٠ م، ٥١٧ ح، ٥١٨، ٦٠٧.

بشر بن صفوان ٤٦، ٤٧.
بشر بن المعتمر ٤٢٠.
البشكنس (أمير الجلائفة) ٢١٧ م.
بصبص ٦٩٤ م.

بطليموس ٥٤٩، ٥٩٨، ٥٩٩ ح.
البغوي - أبو القاسم عبد الله بن محمّد
١٨٦.

بقراط ٢٣٦ م، ٥٩٩ م.

بيدال - ر . ميندث ٤٢٥ ، ٤٣٧ .
البساري - ابن فرج ٢٠٤ .

ت - ث

التاريخي الوراق - محمد بن يوسف
١٨٧ - ١٨٨ .
تاسرت اللطوني = عبد الله بن محمد بن
تيفاوت

تبع بن حسان ٢٧١ ، ٢٢٨ م .
الترمذي ٢٣٢ ، ٥٧١ .

تقي الدين - خليل ٤٢٤ ح .
تمام بن أبي العرب ٢٢٧ .

تمام بن تميم الدارمي ٦٩ .

تمام بن عامر بن علقمة (١٤٣ - ١٤٤) .
تمام بن علقمة (من أنصار الداخل)
١٤٣ ح .

تمام بن علقمة - أبو غالب تمام بن عامر
١٤٣ ح .

تمام بن عامر (آخر) ١٤٣ ح .
تمام بن غالب التيكاني (٤٧٥ - ٤٧٦) ،
٢٩٢ م .

تميم بن أبي العرب ٢٢٧ .
تميم بن تمام (جد أبي العرب التميمي)
٢٢٦ .

تميم بن المعز الفاطمي ٤٢٠ م .
تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي
٣٩٨ ، ٥٤٥ م ، ٥٦٤ .

التميمي = القاسم بن عبد الله

تود (الملكة) ١١٦ ، ١١٨ - ١١٩ .

تميم الله بن ثعلبة ٢٤٧ ح .

ثابت بن عبد العزيز الرقسطي
١٨٥ م .

ثابت بن محمد الجرجاني = أبو الفتح
الثعالبي - عبد الملك (صاحب بتيمة
الدهر) ٥٣٠ .

ثعلب - أبو العباس ١٥٤ ، ١٨٧ ،
٢٤٨ ح .

ثوابة بن سلامة الجذامي ٤٤ م .

ج

جابر بن أفلح الإشبيلي ٥٤٩ .

جابر بن زيد الأزدي - أبو الشعثاء
٥٦ م .

جابر بن ليبيد (والي لبيرة) ٩٧ - ٩٨ .

الجاحظ ٦ ، ١٧ ، ١٥٤ ، ٢١٢ ،
٤٢٠ م ، ٥٩٩ م .

جالينوس ٢٣٦ م .

جيريل ٤٨٥ ، ٥٨٠ م .

جبلبة بن حمد الصديقي ٢٢٧ .
الجرجاني = ثابت بن محمد

الجرجاني - حمزة بن يوسف ٤٧٧ -
٤٧٨ .

الجرجاني - عبد القاهر ٤٧٧ - ٤٧٨ .

الجويني - أبو المعالي ٦٥٠ .
جيجان (اسم لثلاث جوار) ١٤٤ -
١٤٥ .
جيروم = يروم الترجمان

ح

حاتم الطائي ١٨٧ ، ٢١٦ م ، ٦٤٤ م ،
٦٥٦ م ، ٧٢٩ م ، ٧٤٦ .
حاتم بن محمد - أبو القاسم ٢٩٢ م .
حاجب بن زرارة ٢٤٧ م .
الحارث بن أسامة التميمي ٢٣٢ .
الحارث بن ظالم ٢٤٧ م .
الحارث بن عباد ٧٢٧ م .
الحارث بن مسكين ١٤٩ م .
الحاكم بأمر الله الفاطمي ١٧٤ ، ٤٥١ .
الحاكم النيسابوري ٢٢٧ - ٢٢٨ .
حام بن نوح ١٢٦ .
حبان بن أبي جبلة ٤٦ .
الحبيب بن رواحة ٤٨ .
حبّوس بن ماكسن بن زيري ٣٨٧ ،
٥٠٧ م ، ٦٠٥ ، ٦٩٥ .
الحبيب = محمد رسول الله
حبيب = أبو تمام
حبيب بن أحمد الشطجيري ١١٧ ح .
حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب بن
أبي عبدة ٥١ ، ٦١ ، ٦٢ .

الجرجاني - علي بن عبد العزيز ٤٧٧ -
٤٧٨ .
جرير ١٨ ، ١٥٠ ، ٧٢ ، ٢٠٦ ، ٤٠٢ .
جعفر = صبح
جعفر الصادق ١٧٠ م .
جعفر المصنف (٢٩٤ - ٢٩٧) ،
١٦٧ م ، ٢٨٩ - ٢٩٠ ، ٣١٤ -
٣١٦ ، ٣٤٠ م ، ٦٩٦ .
جعفر بن علي بن حمدون ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،
٣١٥ .
جعفر بن فلاح ٢٦٧ ، ٢٧٠ - ٢٧٢ .
جعفر المصدق ١٧٠ .
جمونة = أبو الأجر الكلابي
جمال الدين - محسن ١٨٧ ح .
جيل يشنة ١٨٧ ، ٤٠٣ ، ٤١٥ .
جبيلة (مشفقة ابن الحدّاد الوادي
آشي) ٦٥٥ ، ٦٥٦ .
الجنّاوي = عبد الحميد
الجنوّني - يحيى بن الخير ١٨٢ .
جهور بن عبيد الله = أبو الحزم جهور
جهور بن محمد = أبو الحزم جهور
جواد الطبيب ١٩٢ .
جودي بن عثمان (٨٥ - ٨٦) .
جوليان = بليان .
جوهر الصقلّي ١٧١ - ١٧٢ ، ٢٦٧ م .
الجوهري - أبو نصر اسماعيل ٤١٩ م ،
٦٣٦ ح .

الحسن بن الريسب = ابن الريسب
القيرواني

حسن بن عبد الله = الزبيدي
الحسن العسكري ١٧٠ .

الحسن بن علي بن أبي طالب ١٧٠ ،
٣٣٧ ح ٢ .

الحسن بن علي بن الحسين الكلبي
١٧٢ - ١٧٣ .

الحسن بن علي بن طريف = ابن طريف
التاهرتي

حسن بن محمد العنبري = الداروني
حسن بن (القاسم بن) قنّون (كنّون)
١٧١ - ١٧٢ ، ٣١٥ م .

الحسن بن محمد بن الهيثم التجيبي ٣٩٤ .
الحسن بن هاني = أبو نواس

الحسن بن يحيى بن علي بن حمّود ٤٦٩ .
الحسين بن اسماعيل المحاملي ١٨٦ .

الحسين التجيبي القرطبي (٥٣٣ -
٥٣٤) .

الحسين بن علي بن أبي طالب ١٧٠ ،
٣٣٧ ح ٢ .

الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن
الحسن بن علي ٩٤ .

الحسين بن المنصور الفاطمي ٣٦٩ .
الحسين بن الوليد = ابن العريف

النحوي

حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد
٦٥ .

حبيب بن نصر بن سهل ٢٢٦ ، ٤٣٤ ،
٤٤٠ .

حبّية بنت سليمان المستعين ٣٥٨ م .
حتي - فيليب ٣١٦ .

الحجّاج السلوي ٤٧ .
الحجّاج بن يوسف ٣١٦ .

الحجاري (صاحب «المسهب») ٢٠ ،
٤٤٣ ، ٤٤٢ .

الحمرّ بن عبد الرحمن الثقفي ٤١ م .
الحمرّاني - أحمد بن يونس ١٩٢ م .

الحمرّاني - عمر بن يونس ١٩٢ م ،
٣٧٢ .

الحمرّاني - يونس ١٩١ - ١٩٢ ، ٦٣٦ .
الحرون = حمزة بن السبال

حسام بن ضرار = أبو الخطّار
حسان بن ثابت ١٨٧ .

حسان بن سعد ٢٣٠ م ، ٢٩٩ .
حسان بن مالك بن أبي عبدة (٣٦٧ -

٣٧٠) .
حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر

٢٣٣ .
حسانة التميمية (٩٧ - ٩٨) .

الحسن بن حرب الكندي ٦٦ - ٦٨ .
الحسن (٢) بن سعد = حسان بن سعد

- الحصري- أبو اسحاق ابراهيم (٣٧٥-
 ٣٧٧)، ٥١٧، ٥٦٤.
 الحصري- علي بن عبد الغني (٧٠٧-
 ٧١٣)، ٣٧٥ ح، ٣٩٩، ٤٠٢-
 ٤٠٣، ٦٠٤.
 الحطيئة ١٨٧، ٤٠٣، ٦٦١ م.
 حفصة الحجارية (٢٣٣).
 الحكم بن ثابت السعدي ٦٧، ٦٨.
 الحكم الربضي (بن هشام بن عبد الرحمن
 الداخل) (٨٨-٩٣)، ٥٧-٥٨،
 ٦٤-٦٥، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٩٧-
 ٩٨، ١٠٦، ١٠٩، ١٢٦، ١٣٥.
 الحكم المستنصر (ابن عبد الرحمن
 الناصر) ١٦٦-١٦٧، ١٨١،
 ١٨٣، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٤ م،
 ٢٢٠، ٢٢٣ م، ٢٣٢، ٢٥٣،
 ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٨٢ م، ٢٨٤-
 ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩٤ م، ٣٠٠-
 ٣٠٢، ٣١٤ م، ٣١٥، ٣١٨،
 ٣٤٠.
 حلاوة (أم عبد الرحمن الأوسط) ٩٩.
 الحمار (لقب جماعة) ٣٣٥-٣٣٦.
 الحمار السرقسطي = ابن فتحون
 حامة بن المعز ٣٨٨.
 حمدون التحوي ١٦٠.
 حدونة (اقرأ: حفصة) الحجارية
 ٢٣٣ م.
- حدونة بنت زرياب ٨١ م.
 حديس القطان ١٤٢ م، ٢٢٦.
 حدين بن أبان الطبيب ١٩٢.
 حزة بن حبيب الزيات (قارىء)
 ٤٧٩ م، ٤٩٩-٥٠٠.
 حزة بن السبال الحرون ٦٩، ٧١ م.
 حمزة الكسائي = الكسائي
 الحميدي- محمد بن فتوح (٧٣٢-
 ٧٣٥)، ٢٢٠، ٣١٠، ٤١٠ م،
 ٥١٠.
 حنين بن اسحاق ١٩٢.
 حواء ١٠٥، ٦٨٢.
 حيّان- أبو وهي (جدّ المؤرخ ابن
 حيّان) ٦١٥.
- خ
- خالد بن أبي عمران التجيبي ٧٣ م.
 خالد بن حبيب ٤٢، ٤٣.
 خالد بن حيد الزناتي ٤٣ م.
 خالد بن ربيعة الإفريقي ٦٦ م.
 خالد بن سعد ٢٥٣.
 خالد الفريب (جدّ ابن أضحى) ٢٤٤.
 خالد القنّاص ٤١٧.
 الخالديان- أبو بكر محمد وأبو سعيد
 عثمان ٥٢٠ م.
 خريش بن عبد الرحمن (٨٣-٨٤)،
 ٦٩.

الخوارزمي - محمد بن موسى ١٩٠ م ،
٢٩٢ م .

خيران الصقلي العامري ٣٧٨ م ،
٣٨٧ ، ٤٨٤ م ، ٦٩٥ .

د - ذ

الداخل - عبد الرحمن بن معاوية
الداقي = أبو عمرو
الداروني (٢٣٧ - ٢٣٨) .
داود ٥٠١ .

داود بن علي الأصفهاني الطاهري
١٨٤ م .

الدب - أبو جعفر ٣٦٣ .
دعامة بن محمد ١٨٥ .

دعبل الأندلس = أحمد بن محمد
الكتاني - الحجاري

دعبل الخزاعي ١٥٢ ، ١٥٤ .
دغفل بن حنظلة ٤٦٧ م .

دي خويه ٢٨٩ .
دوزي ١٩٧ م .

ديك تيس الجن = أحمد بن محمد الكتاني
ديك الجن الحمصي ٤٠٥ .

ديسقوريدس ١٩٢ ، ٣٠٤ .
الذهبي - عبد الله بن وعبد ٣٩٥ .

الذهلي = أبو طاهر
ذو الرمة ١٨٧ ، ٢٣٧ .

خزرون بن خليفة ٣٩٠ .

خزرون بن سعيد ٣٩٠ .

الحثني - عبد العزيز (٣٤٥ - ٣٤٦) .

الحثني - محمد بن ابراهيم ٦٤٦ .

الحثني - محمد بن الحارث (٢٦٣ -
٢٦٦) ، ٢٧٧ .

الحثني - محمد بن عبد السلام (١٤٧ -
١٤٨) ، ١٦٣ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ ،

٢٣٢ ، ٢٥٠ ، ٣٢٨ .

الحصيب (عامل مصر) ١٥٢ ح ، ٣٧٩ .

الحصيب الكلبي اللغوي ١٦٣ .

الخطيب البغدادي - أحمد بن علي
٧٢٣ .

خلف بن أبي القاسم = البراذعي

خلف بن أحمد السعدي (٣٦٠) .

خلف بن حسين = ابن حيّان

خلف بن السمع بن أبي الخطاب
١٠٨ م ، ١٠٩ .

خليفة بن خزرون ٥٤٦ م .

الخليل بن أحمد ٢٤٨ - ٢٤٩ ح ، ٣٠٠ ،
٤١٣ - ٤١٤ ، ٦٥٥ .

خليل بن اسحاق (٢٢٤ - ٢٢٦) ،
١٨٥ ح .

الختاء ١٨٧ ، ٤١٠ .

الختوت بنت مخزومة ٣٦٣ .

رشيق (غلام ابن الجزّار القيرواني)

١٩٣ م.

رشيق (والد ابن رشيق القيرواني)

رضوان ١٢٥ م، ٣٤١ م.

رقيع الدولة = ابن صلاح

الرقبيقي القيرواني (٤٥١-٤٥٤).

الرمادي - يوسف بن هرون (٣٣٩-

٣٤٢)، ١٩٩، ٣٠٩، ٤٢٩ م.

٤٤١ م، ٤٣٩ م.

الرميك بن الحجاج ٤١٧.

الرواسي ٨٥.

الروح الأمين = روح القدس = جبريل

روح القدس = عيسى

روح بن حاتم (والي إفريقية) ٧٤.

رولان ٥٧.

ريبيرا ٤٢٢-٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣٧.

ز

زا (الملك) ٥٥٠.

زاوي بن زيري ٦١٧-٦١٨.

الزبركة = عيسى بن قمران (قمران)

زبيدة (امراة هرون الرشيد) ٣٦٨ ح.

الزيدي (٣٠٠-٣٠٤)، ١٠٦ ح م،

١٠٨، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧ ح م،

٢٠٣ م، ٢٠٥ م، ٢٤٨ ح، ٢٦٢،

٢٩٩ ح، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٦٧،

٤٤٧، ٤٩٧.

راح (أمّ عبد الرحمن الداخل) ٨١.

الرازي - أحمد بن محمد بن موسى

(٢٣٨-٢٤١)، ١٣٠ ح م، ١٨٨ م،

٦١٦.

الرازي - عيسى بن أحمد بن محمد

١٨٨ م.

الرازي - محمد بن زكريّا ٥٣٥.

الرازي - محمد بن موسى (١٣٠ -

١٣١)، ١٨٨ م.

راشد (مولى إدريس الأكبر) ٦٣ م،

٦٤ م.

الراضي العبّادي بن المعتمد (٦٧٦ -

٦٨٠)، ٧٢١.

الراضي العبّاسي ٢٣٠، ٣٠٦ م.

الرباعي - محمد بن يحيى (٢٦١ -

٢٦٣)، ٢٠٥ م، ٣٠١، ٣٠٤.

الرباعي - سعيد ١٨٦.

ربيعة بن تيودولفو ٥٧، ٨٩.

ربيعة بن مكرم ٧٢٧ م.

رداح = راح (أمّ عبد الرحمن الداخل)

رسطاليس = أرسطو

رسول الله = محمد رسول الله

الرسّي الحسني = أحمد بن اسماعيل

الرشيد بن المعتمد = ابن عبّاد

رشيد الدولة = ابن صلاح

الزبيدي - عبد الله بن حمود ٢٠٥ .

الزبيدي - حسن بن عبد الله ٢٨٦ .

الزبير بن بكار ٦٢١ .

الزجاج ١٨٦ ، ٣١٢ .

الزجاجي - عبد الرحمن بن اسحاق

٤١٧ - ٤١٩ ، ٦٣٦ .

زخرف (أمّ الحكم بن هشام الرضي)

٨٩ .

الزرقالي - ابراهيم بن يحيى النقاش

٣٩٤ .

الزركلي - خير الدين ٦٢١ .

زرياب - علي بن نافع ٥٨ ، ٨٠ - ٨١ ،

٩٩ ، ١٠٥ م ، ١١٦ ، ٣٦١ .

زكريّا بن أبي زائدة ٧٣ .

زكريّا الأرجاني - أبو يحيى = الأرجاني

زكي - أحمد ٦١٨ ح .

الزنجاني - أبو القاسم سعد بن عليّ

٧٢٣ .

الزهراوي - أبو القاسم ١٩٣ م .

زهير بن أبي سلس ٤٩ ، ١٨٧ ، ٢٦٨ ،

٥٥٦ .

زهير (الفي المامري) الصقلي ٣٨٧ ،

٦٠٥ ، ٦٦٦ ، ٦٩٤ - ٦٩٦ .

زهير بن غير (جني) ٤٥٥ ، ٤٥٩ -

٤٦٠ .

الزواوي - طاهر أحمد ٥٤٧ .

زياد بن أبيه ٦٤٢ م ، ٦٨٥ ح .

زياد بن الأصغر ٤٢ ح ، ٥٥ ح .

زياد بن عبد الرحمن = شبطون

زيادة الله = ابن الأغلب

زيادة الله الطيني (٣٦٠ - ٣٦٢) .

زيري بن عطية المقراني ٣٨٨ م .

زين العابدين - علي بن الحسن بن عليّ

١٧٠ .

زينب (وردت في شعر) ١١٧ ، ١٥٦ م ،

٢٢٥ ، ٢٥٦ .

من

ساوير ٦٨٦ م .

سارة ٦٨٥ ، ٦٨٨ م .

سارة القوطية ١٨٩ ، ٢٨٥ م ، ٢٨٧ ح .

سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب

٧٣ .

سالم القرطبي (مولى هشام بن عبد

الرحمن الداخل) ٢١٠ ، ٢٣٥ .

سام بن نوح ٣٣ ح .

سحبان وائل ٦٨٤ .

سحر (جارية المعتمد بن عباد) ٧١٨ -

٧١٩ .

سحنون بن سعيد (١١٢ - ١١٤) ، ٦٠ ،

١٤٢ م ، ١٤٩ م ، ١٥١ ، ١٨٥ ،

٢٢٧ - ٢٢٩ .

سراج بن قرّة (الصحابي) ٧٣١ .

السرقيطي الممار = ابن فتحون

- السرقسطي الماغري (٣٣٥-٣٣٦).
 سعد بن عبادة ٤٤٧ ح.
 سعد بن علي الزنجاني = الزنجاني
 سعد بن مسعود التجيبي ٤٦.
 سعدى (وردت في شعر) ٣٧٣.
 سعدى (أم أوس بن سعدى) ٢٤٧ ح.
 سعيد بن أبي مخلد الأزدي العثافي ٥١٨.
 سعيد بن اسحاق الكلبي ٢٢٧.
 سعيد بن جابر ٢٨٦.
 سعيد (بن سليمان) بن جودي (١٤٤-١٤٦)، ١٥٥ م، ١٥٦، ٤٢٨.
 سعيد بن الحداد ٢٢٧.
 سعيد بن حميد الكاتب ١٥٤.
 سعيد بن خزرون = ابن خزرون
 سعيد الرباعي = الرباعي
 سعيد (والد سحنون) ٢٢٨.
 سعيد بن عبد ربّه = ابن عبد ربّه
 سعيد بن عثمان = ابن القزاز البربري
 سعيد بن فتحون = ابن فتحون
 سعيد بن الحداد الحمار (غير السرقسطي الماغري) ٣٣٦ ح.
 سعيد بن محمد القرطبي النحوي ٣٣٦ ح.
 سعيد بن محمد الماغري = السرقسطي الماغري
- سعيد بن منذر البلوطي (٢٥٧-٢٦١)، ١٥٥.
 السّاح = أبو العباس
 السفاقسي - أبو عمر عثمان ٧٣٣.
 سفر بن عبيد الله الكلاعي ٢٨٤ م.
 سفيان الثوري ٧٣.
 سفيان بن عُيَيْنَة ٩٣، ٩٩.
 سكرى (أم المستكني المرواني) ٦٩٩.
 سلامة بن جندل (جاهلي) ٦٧.
 سلمى (جارية أبي بكر الزبيدي) ٣٠١ م.
 سليمى (في الشعر) ٦٥٨.
 سليمان بن أبي هارون ١٨٢.
 سليمان بن خلف = أبو الوليد الباجي
 سليمان المستعين المرواني (٣٤٦-٣٤٨)، ١٦٨ - ١٦٩، ٣٣٨، ٣٦٣ م، ٣٧٧ - ٣٧٨، ٤٥٤، ٥١٠ م، ٥٠٥.
 سليمان بن جرير الشماخ ٩٤ م.
 سليمان بن جرير الشماخ (آخر) ٩٤.
 سليمان بن حصان = ابن جلجل
 سليمان بن الحكم الرضي ٨٩ م.
 سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية ٥٧، ٨٧ م، ٨٩ م.
 سليمان بن عبد الملك ٣٨ م، ٤١.
 سليمان بن موسى الكلاعي = أبو الربيع
 سليمان بن وهب الكاتب ١٥٤.

سليمان بن يسار ٧٣.

السمار (عشقتة أم الكرام بنت صلاح)

٦٦٧ - ٦٦٨.

السمح بن مالك الخولاني ٤١ م، ٤٢،

٧٢٥.

السماعي ٦١٨ ح

سمنو المكتاسي - أبو القاسم ٦٤.

السمنطاري = عتيق

السميسر الألبيري - خلف بن فرج

(٦٨٢ - ٤٠٢)، ٦٦٦.

سهل بن غالب الخزرجي ٣٦٨.

سهل - أبو الفضل (إباضي) ١٨٢.

سهل بن هارون ٥٩٩ م.

سوار بن حمدون القيسي ٨٠ م.

سيبويه ٧٤، ٨٦، ١٥٩ م، ٣٦١ م،

٣٠٤، ٦٣٦ م، ٦٧٢ - ٦٧٣.

سيد المرسلين = محمد رسول الله

السيد القصبياطور ٧٣٩.

السيرافي - أبو سعيد ٣٦٢.

سيف الدولة ٥٢٠، ٥٦٧ م.

سيف بن ذي يزن ٦٥٨ م.

السيوطي - جلال الدين ١٠٦ ح،

١٣٠ ح، ٢٤٨ ح، ٤٦٥ ح.

ش

شارل مارتل = قارله

شارلمان ٥٧ م، ٩٠ م.

الشافعي ١٤١ م، ١٨٣ م، ٢٠٣ م،

٥٨٧ - ٥٨٨.

شاكر (صاحب الرباط) ٤١.

شانجه الصغير = شجول

شاه ملك ٥٤٦ م.

شبطون - زياد بن عبد الرحمن (٩٣ -

٩٤)، ٩٨، ٩٩، ١٠٤.

شبيب بن يزيد الشيباني ٦٧٣ ح.

شداد، راجع ٦٩٩.

شداد بن عاد ٧٢٨ م.

الشطجيري = حبيب بن أحمد

الشريف الرضي ١٨، ٣٨١ ح،

٤١٢ ح، ٦٠٣.

الشعي = أبو المطرف الشعبي

الشقراطيسي (٦١٠ - ٦١٥)، ٤٠٠،

٤٠٨ م.

الشماخ = سليمان بن جرير

الشماخي = أحمد بن سعيد

الشمر بن غور القرطبي ١٠٢.

الشنجالي - أبو محمد ٥٧٠.

شجول = عبد الرحمن المنصور بن أبي

عامر

شف (زوج سليمان المستعين) ٣٥٨.

الشوباشي - محمد مفيد ٤٤٦.

ص - ض

- صاحب الحمار = مخلد بن كيداد
صاحب الثامة = أحمد بن زكرويه
الصاحب بن عباد ١٩٤، ٢١٢.
صاعد بن الحسن الربيعي البغدادي
(٣٦٢ - ٣٦٥)، ٣١٢ م، ٣٢٨،
٣٣٦، ٤٦١، ٥٦٠.
صاعد الطليطلي (٥٨٢ - ٥٨٤)،
٣٩٥.
صبح (أم هشام المؤيد) ١٦٧ م، ٢٩٤،
٣١٤ - ٣١٥.
الصدفي = يونس بن عبد الأعلى
صخر (أخو الخنساء) ٣١٠ م.
الصفار = يونس بن عبد الله
صفى الدين الحلبي ٤٩٤.
صقر قریش = عبد الرحمن الداخل
صلاح الدين الأيوبي ٦٦٧.
الصلت بن السكن بن سلامان ٥٦٦ -
٥٦٧.
الصليحي - علي بن محمد ٥٣٣ م.
صموئيل = اسماعيل بن النفذلة
الصميل بن حاتم ٤٤ - ٤٦، ٤٨ -
٥١، ٥٤، ٥٥.
الصنوبري ١٩٦.
الصولي = أبو بكر الصولي
الصيقل = عثمان بن سعيد

الضحك بن قيس ٤٧ ح.

الضراب ٧٢٣.

ضيف - ثوقي ٤٤١، ٤٩١.

ط

- الطائع العبّاسي ٣٠٦ م.
طارق بن زياد ٣٧ - ٤١، ١٤٣،
٢٨٧ ح، ٣١٣، ٣٧٧.
طالوت بن عبد الجبار ٥٧ - ٥٨، ٨٩.
طاهر بن عبد العزيز ٢٨٦.
طاهر بن المنصور الفاطمي ٢٦٩.
الطبري ١٤١، ١٨٩ م، ٢٨٩ م، ٢٩٠.
الطبري - محمد بن الحسين (٣٢٢ -
٣٢٤).
الطبيخي - وليد بن عيسى (٢٥٤ -
٢٥٧)، ٢٠٥، ٢٠٦ م.
طرفة بن العبد ١٨٧، ١٩٥، ٥٦٧ م،
٦٣٦ - ٦٣٧.
الطرمّاح بن حكيم ١٨٧.
طروب (جارية عبد الرحمن الأوسط)
٩٩ - ١٠١.
طريف بن صالح البرغواطی ٦٢.
طريف (مولى موسى بن نصير) ٣٧.
طلحة بن عبد الله العموي ٤١٥ م.
الطلنكي - أحمد بن محمد ٥٦٠،
٧٣٣.

الطليق المرواني (٣٣١ - ٣٣٤).

طويس ٦٩٤.

طيفور - أحمد بن أبي طاهر ١٨٨.

ع

عائشة بنت أحمد (٣٣٤ - ٣٣٥).

عاج (جارية هاشم بن عبد العزيز) ٧٥.

١٣٤، ٧٩.

عاد ٦٩٩ م.

عاصم بن أبي النجود ٤٧٩ م، ٤٩٩.

عاصم بن أيوب البطليوسي ٤١٠.

عاصم بن زيد = أبو الخثي

عامر ذو ريش ٤٧١ م.

عامر بن عمرو العبدي ٤٨.

عامر بن معمر بن سنان التميمي ٦٩.

عباد - أبو عمرو ٤٧٠.

عباد بن المعتمد بن عباد ٧١٤، ٧٢٠.

عبادة القرآز = ابن عبادة

عبادة بن ماء السلم (٤٤٧ - ٤٥٠)،

٤٢٧ - ٤٢٩، ٤٣٩، ٧٤٤.

عباس - إحصان ١٩، ٢٨٩ - ٢٩٠،

٢٩٩ ح، ٣٩٨، ٤٠٤ م، ٤٤١ -

٤٤٣، ٥٢١ م، ٥٦٥ ح، ٦١٨ ح.

العباس بن الأحنف ٣١٢، ٤٠٣.

عباس بن فرناس (١٣٥ - ١٣٩)،

١٢٣ م.

عباس بن ناصح الجزيري (١٠٦ -

١٠٧).

عباسة (في شعر) ٣١٣.

عبد الله (في شعر) ٥٢٥.

عبد الله بن إباح ٥٥ - ٥٧، ٢٢٩ ح.

عبد الله بن إبراهيم = ابن الأغلب

عبد الله بن إبراهيم الأصيلي ١٨١.

عبد الله بن أبي زيد = ابن أبي زيد

عبد الله بن أبي سرح ٣٦.

عبد الله (البلنسي) بن عبد الرحمن

الداخل ٥٧، ٧٥، ٨٩ م.

عبد الله بن جابر (جد أبي الحزم بن

جهور) ٢٣٣.

عبد الله بن الجارود العبدي ٦٥، ٦٦،

٦٧ - ٦٩.

عبد الله بن حسان البحصي ٧٤.

عبد الله بن حمدون = ابن حمدون

عبد الله بن حمود الزبيدي = الزبيدي

عبد الله بن الزبير ٤٧ ح.

عبد الله بن سعيد الوجدي ٣٩٦.

عبد الله بن سليمان بن يخلف = يخلف

عبد الله بن الشعر (الشاعر) ١٠٢.

١٠٣، ١٠٠.

عبد الله بن الصقار ٤٢ م.

عبد الله بن طاهر بن الحسين ٧١ - ٧٢.

عبد الله بن عامر = ابن عامر الشامي

عبد الله بن عباس ٥٦.

عبد الله بن عبد الرحمن الناصر
(٢٢٩ - ٢٣١)، ١٨٣.

عبد الله بن عمرو بن الحارث ٢٤٧ ح.
عبد الله بن فروخ الفارسي ٧٣ - ٧٤.
عبد الله بن محمد البغوي = البغوي
عبد الله بن محمد الذهبي = الذهبي

عبد الله بن محمد (أمير الأندلس)
(١٥٦ - ١٥٩)، ٥٩ م، ٦٥، ٧٤،
٧٥، ١٢٤ - ١٢٦، ١٢٩، ١٣١،
١٣٥، ١٤٣ - ١٤٥، ١٥٥ م،
١٦٢ م، ١٦٦ م، ١٨٨، ٢١٠،
٢١٤، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٤٤، ٢٤٣،
٤٣٩.

عبد الله بن أبي مطحنة = ابن أبي
مطحنة

عبد الله بن محمد الأصم = الأصم
عبد الله بن محمد بن تيفاوت = ابن
تيفاوت

عبد الله بن محمد الحلنجي (الحلنجي؟)
١٦١ ح.

عبد الله بن محمد (الكاتب) ٣٤٦.
عبد الله بن محمد بن عامر المعافري
٣١٣.

عبد الله بن محمد بن مغيث = الأنصاري
عبد الله بن محمد المكفوف (التحوي)
(١٦٠)، ٢٤٩.

عبد الله بن مسلمة (الوزير) ٣٦٣.
عبد الله بن المعتز ٣٣١.

عبد الله بن موسى بن نصير ٣٨ م.
عبد الله بن ياسين الجزولي ٣٩٥،
٥٤٣ - ٥٤٤.

عبد الأعلى = أبو الخطاب الإباضي
عبد الجبار بن خالد السري (١٤٢) -
(١٤٣).

عبد الجبار بن المعتمد = ابن عباد
عبد الحميد (؟) ٧٤٥.
عبد الحميد الجناوي - أبو عبيدة
١٠٩ م.

عبد الحميد بن غانم ١٢٦.
عبد الحميد بن يحيى (الكاتب) ٦٦،
٥٩٩.

عبد الحائق بن شبلون = ابن شبلون
عبد خزاعة = عبد الله بن طاهر بن
أحسين

عبد الرحمن بن أبي البشر ٥١٨.
عبد الرحمن بن بكر بن حماد = ابن حماد
عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن
عقبة بن نافع ٤٤ م، ٥١ م، ٥٤ -
٥٥، ٦٢، ٦٦ م.

عبد الرحمن (الأوسط) بن الحكم (٩٩) -
(١٠٢)، ٥٨ م، ٦٥ م، ٧٥، ٨٠ -
٨١، ٨٧ م، ٩٧ م، ١٠٣ م،

عبد الرحمن بن مروان الجليقي ١٢٢ م،
١٢٧ م، ١٣١، ١٣٢، ١٣٩،
٢١٧.

عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن
الناصر ٣٣١.

عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية
(٨١ - ٨٣)، ٤٦، ٤٨، ٥٤ -
٥٨، ٦٤، ٦٥، ٨١ - ٨٣، ٨٦،
٨٧ م، ١٢٢، ١٢٦، ١٤٣ ح م،
١٦٥، ٢١٤ م، ٢٨٤ ح، ٢٨٧ ح،
٤٧٣، ٦١٥.

عبد الرحمن بن ملجم ١٥٢.
عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر
١٦٨، ٣٦٥، ٣٦٦ م، ٣٧٧.

عبد الرحمن بن نافع ٤٦.
عبد الرحمن بن هشام بن عبد
الجبار = المستظهر المرواني

عبد الرحمن بن يوسف الفهري ٥٤ م،
٥٥.

عبد الرحيم بن نصر التميمي البخاري
٣٥٥ م.

عبد السلام بن الحسن البصري ٤٦٩.
عبد السلام بن سعيد = سحنون
عبد العزيز بن أرقم - أبو الأصبع بن
محمد (٦٧٠ - ٦٧٦).

عبد العزيز الحنفي = الحنفي - عبد
العزيز

١٠٦ م، ١٠٧، ١٠٩ م، ١١٤ -
١١٨، ١٢٦، ١٢٩، ١٣١، ١٣٥،
١٣٨، ١٤٣، ١٦٥، ١٦٦،
٢٤٠ م، ٢٦٥ م، ٢٩٩ ح.

عبد الرحمن بن خالد العتيقي ١١٣.
عبد الرحمن بن رستم الفارسي ٥٥ ح،
٦١ - ٦٢.

عبد الرحمن بن زياد (٥١ - ٥٣).
عبد الرحمن العبّاسي = أبو وهب
العبّاسي

عبد الرحمن بن عبد الحميد بن
غانم = ابن غانم

عبد الرحمن الغافقي ٤٢ م.
عبد الرحمن بن القاسم ١١٣.

عبد الرحمن بن محمد التجيبي ٣٤٠.
عبد الرحمن (المرتضى) بن محمد ١٦٩،
٣٧٨، ٤٨٤.

عبد الرحمن (الناصر) بن محمد ٥٨ م،
٥٩، ٦٥، ١٢٧ م، ١٥٧، ١٦٢،

١٦٦ - ١٦٨، ١٧٤ م، ١٧٨ -
١٨٠، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٨،

٢٠٤ م، ٢١١، ٢١٤ - ٢٢١،
٢٣٠، ٢٣٤، ٢٤٤ - ٢٤٥،

٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٧ - ٢٥٩،
٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٨٩،

٣١٣ - ٣١٥، ٣١٨، ٣٢١،
٣٣١، ٤٢٨ ح.

عبد الملك بن حبيب السلمي (١٠٤) -

(١٠٦)، ٧٨، ٧٠.

عبد الملك بن رزق = ابن رزق

عبد الملك بن سراج = ابن سراج

عبد الملك الطنبلي (٥٥٩ - ٥٦٠).

عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم

١٣١، ٦٥ ح.

عبد الملك بن غصن الحجاري (٥٢٦ -

٥٢٩).

عبد الملك بن قطن الفهري (والي

الأندلس) ٤٣ م، ١٢١ ح.

عبد الملك بن قطن المهري القيرواني

(النحوي) (١٢١ - ١٢٢)، ١٦٠.

عبد الملك بن الماجشون ١٠٤.

عبد الملك بن محمد بن جمهور = ابن جمهور

عبد الملك بن مروان ٥٦، ١٣١ ح،

٤٧٣.

عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي

عامر ١٦٨ م، ٢٠٢.

عبد الملك المعافري القحطاني =

المعافري

عبد الملك بن هشام الرضي ٨٩.

عبد المليك (الملك) من أجداد المنصور

ابن أبي عامر ٣١٨.

عبد المنعم القروي - أبو الطيب ٦٨٣.

عبد مناف ٢٤٧ ح.

عبد الواحد المراكشي ٤٤٣ - ٤٤٤.

عبد العزيز بن الخطيب ٢٦٩ ح.

عبد العزيز بن خلوف = ابن خلوف

الحروري

عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر

٣٨٧، ٥٩٣.

عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن

أبي عامر ٢٣٠، (راجع ٦٦٦ م: في

الرقة)، ٦٩٥ م.

عبد العزيز بن محمد بن عبد الحميد

٧٠٧.

عبد العزيز أبو المصعب (صاحب ولبة

ووالد أبي عبيد البكري) ٧٠٢ م.

عبد العزيز بن موسى بن نصير ٣٨ م،

١٣١ ح.

عبد الغني (ابن أبي الحسن عليّ

الحصري الضمير) ٧٠٩ م.

عبد الكريم النهشلي (٣٤٢ - ٣٤٥)،

٢٠٥ - ٢٠٧، ٤٠٩، ٤٦٦،

١٥٥، ٢٥٥.

عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر

ابن مروان ٦٥ م.

عبد الملك بن أبي الجعد الوراقجومي

٦١ م.

عبد الملك بن ادريس = أبو مروان

الجزيري

عبد الملك بن جمهور = ابن جمهور

عيلة ٥٩١ .
 عتيبة (اسم) ...
 عتيق بن أحمد بن اسحاق القصري -
 أبو بكر ٧٠٧ .
 عتيق السنطاري ٢٠٩ .
 عثمان بن سعيد الصيقل ٢٩٢ م .
 عثمان بن عفان ٣٦ م ، ٥٦ ، ١٣١ .
 عثمان بن المثني النحوي (١٢٩ -
 ١٣٠) ، ١٠٧ .
 العجقي - محمد بن محمد بن جبريل
 ٤٧٦ .
 عدنان (جدّ عرب الشمال) ٤٣٥ م .
 العدوي - أبو جعفر ٣٥٢ .
 عديّ بن زيد ١٨٧ .
 العفري - أبو العباس أحمد بن عمر
 ٧٠٢ م ، ٧٢٣ .
 عروة بن الورد ١٨٧ .
 عريب بن سعد القرطبي (٢٨٩ -
 ٢٩٤) ، ١٨٩ ، ١٩٢ .
 عزّ الدولة = ابن صلاح
 عزرائيل ١٢١ ح .
 عزّة الميلاء ٦٩٤ م .
 العزيز الفاطمي ٣٥١ .
 عضد الدولة - أحمد بن محمد بن بني
 القاسم بألفنت (٩) ٥٠٨ م .
 عضد الدولة بن المعتمد = بن عباد
 عطاء البيكافي ٢٣٢ .

عبد الوهاب - حسن حسني ٣٧٥ ح ،
 ٤٠٨ ، ٤٦٥ ، ٥٢٢ .
 عبد الوهاب بن الحسين بن جعفر
 ٤٥٣ .
 عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رسم
 ٦٢ .
 عبدويه = عبد الله بن الجارود
 عبيد بن الأبرص ٥٦٧ م .
 عبيد الله بن أبي عبدة الفهري ١٧٦ .
 عبيد الله بن الحبّاب ٤٢ م ، ٤٧ م ،
 ٤٨ .
 عبيد الله بن عباد = ابن عباد
 عبيد الله بن سلمة اليحصي ٤٩٨ .
 عبيد الله بن قارلمان = بن قارلمان
 عبيد الله (أبو عثمان) بن محمد بن الصمر
 ٢٣٣ - ٢٣٤ .
 عبيد الله المهدي ١٦٩ - ١٧١ ، ٢٢٤ -
 ٢٢٦ ، ٢٣٩ م ، ٢٧٧ - ٢٧٨ ،
 ٢٩٢ م .
 عبيد الله بن موسى الكوفي ١٠٤ .
 عبيد الله بن يحيى ٢٥١ ، ٢٥٧ .
 عبدة بن عبد الرحمن (والي المغرب)
 ٤٦ .
 العبقي - أحمد بن فراس ٤٧٦ .
 العتي - محمد بن أحمد ١٢٤ ح ، ١٦٣ .
 العتي - محمد بن عبد العزيز (١٢٤ -
 ١٢٦) ، ١٢٣ .

عطاف (جدّ لآل عبّاد) ٤٧٠ م.

عفراء (المذبحية) ٣٦٣.

عقبة بن الحجاج السلولي ٤٧.

عقبة بن نافع ٣٦ م، ٤١ م.

العلاء بن سعيد بن مروان المهلب

٦٨ - ٦٩.

علقمة الفحل ٦٣٦ - ٦٣٨.

علوية ١٦١ ح.

عليّ (في شعر)...

عليّ بن أبي حنيفة النعمان (المغربي) =

ابن أبي حنيفة

عليّ بن أبي الرجال = ابن أبي الرجال

عليّ بن أبي طالب ٣٦، ٥٦، ١٥٢،

١٦٩ م، ١٧٠ م، ٢٢٥ م، ٢٢٩ ح،

٣٣٧ ح، ٤١٣ م، ٤٤٧ م، ٥٢٥ م،

٧٢٨ م.

عليّ بن الإبرادي (٢٧٩ - ٢٨٢)،

٣٤٣ م.

عليّ بن أحمد - أبو محمّد (من أهل

المرّة).

عليّ بن الجهم ١٥٤.

عليّ بن حبش الشيباني ٥١٨.

عليّ بن الحسين = زين العابدين

عليّ بن حد (الناصر) ١٦٩ م، ٣٤٧ م،

٤٤٧ م، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٧ م،

٥١١، ٥٣٥، ٦٠٥، راجع ٣٧٨.

عليّ بن حمدون ٢٧١.

عليّ الرضا ١٧٠.

عليّ بن زياد العبسي (تونس) ٧٤.

عليّ بن سليمان = الأخفش الصغير

عليّ بن عيسى الربعي ٤٦٩.

عليّ بن غالب = ابن حصن الإشبيلي

عليّ بن فضال = ابن فضال

عليّ بن محمّد القيرواني - القاسي ١٨٢.

عليّ بن نافع = زرياب

عليّ الهنادي ١٧٠.

عليّ بن يوسف بن ناشفين ٥٤٤.

عليّة بنت زرياب ٨١، ٣٦١، ٣٦٢.

عمار (بن) محمّد الاسكندراني ٥١٨.

عمر (في شعر) ٦٠٤.

عمر بن أبي ربيعة ١٨٧، ٤٠٣، ٥٩١.

عمر بن حفص = ابن برقوق

عمر بن حفصون ٥٩، ١٤٤، ١٥٦ م،

١٦٥، ١٦٦، ٢١٨ م، ٢١٩ م،

٢٣٨.

عمر بن الخطّاب ٤٦، ٥٦ م، ١١٨ م،

٣٧٣، ٣٨٠ ح.

عمر بن خلدون = ابن خلدون

عمر بن عبد العزيز ٤١ م، ٤٢، ٤٦،

٧٢٥.

عمر المتوكّل = ابن الأقطس

عمر بن يونس = الحرّاني

عمران بن حطان ١٥٢ م.

عيسى بن يزيد الأسود ٦٢.

غ

الغايي (الغساني) - أبو عبد (عبيد) الله

٢٥٤، ٢٥٤.

الغازي بن قيس (٨٦ - ٨٧)، ٩٣.

غالب بن عبد الرحمن الصقلي ١٦٧، م.

٣١٤ - ٣١٥.

غالب بن فهر بن مالك ١٠٢.

غانم بن وليد الخزومي (٦٠٢ - ٦٠٥).

غريب الطليطلي (٩٢ - ٩٣).

غريبه (ملك البشكنس) ٣١٦ -

٣١٧.

غريبه بن شانجه (ملك قشطالة)

٣٦٤، م.

غوميث - أميليو غريبه ٤٣٧، ٧١٦.

الغريض ٦٩٤، ٧٤٠، م.

الغزال = يحيى بن الحكم

الغزالي ٥٤٤، ٦٥٠، م.

الغساني = الغايي

الغساني = أبو لقمان بن يوسف

غلبون بن الحسن بن غلبون - أبو عقاب

١٥٠، ح.

غبيضة ١٨٩، ٢٨٧، ح.

ف

فارس بن أحمد الحمصي ٤٩٨.

عمران بن مجالد بن يزيد الربيعي ٦٩،

٢٧٠، ٢٨٣، م.

عمرو (جد هاشم بن عبد العزيز) مولى

عثمان بن عفان ١٣١.

عمرو بن حفص ٢٦٦.

عمرو بن العاص ٣٦، ٣٨٠، ح.

عمرو بن عامر بن ماء السماء ٤٧١، م.

عمرو بن كلثوم ٢٤٧، ٥٧٩، ح.

عمرو النصراني (تفرّك به مدرك بن

عليّ الشيباني) ٤٠٥.

عمرو بن يوسف (والي طليطلة) ٥٨.

عميد الدولة (أبو القاسم زهير صاحب

المرية) ٥٠٩.

عنان - محمد عبد الله ٣٨٧ - ٣٨٨، ح.

عنبة بن سحيم الكلبي ٤٢، م.

عنبرة ٢٦٨، ٥٩١، م.

عنبرة الأندلس = أبو الأجر الكلابي

٤٩.

عوض الكريم - مصطفى ٤٢٤ -

٤٢٥، ٤٣٧، ٤٤١، ٤٤٢، ح.

عون بن يوسف الخزاعي ١٥١.

عيسى بن أحمد الرازي = الرازي

عيسى بن مريم ٢٣٥، ٤٠٤، م.

٦٨٨، ٦٨٩، م.

عيسى بن مزاحم ٢٨٥، م.

عيسى بن مسكين (١٤٩ - ١٥٠)،

٢٢٦.

- فاطمة بنت محمد رسول الله ١٦٩ ،
 ١٧١ م ، ٢٢٧ م ، ٢٧٣ م ،
 ٣٣٧ ح م ، ٤٨٣ ، ٤٨٦ م .
 فاطمة بنت محمد الفهري ٦٣ .
 الفتح (في شعر) ٤٤٨ .
 الفتح بن خاقان ٣٩٨ ، ٤٤٢ .
 الفتح بن قاسم ٥٨٢ .
 الفتح بن المعتمد = ابن عباد
 فتح الله - زهير ٢٠ م .
 الفرّاء ٨٥ ، ١٨٧ .
 فرحون بن عبد الله ٣٤٠ .
 الفرزدق ١٨ ، ٥٠ ، ١٩٥ ، ٢٠٦ ،
 ٦٥٠ .
 الغرضي (ابن الغرضي؟) ١٦٣ .
 فرعون ١٤٧ ح ، ٣٥٨ ح .
 فرفوربوس الصوري ٦٧٣ م .
 فرناس (من بني سليط) ١٣٥ ح .
 الفزاري = أبو القاسم
 الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة ٦٥ ،
 ٦٦ ، ٦٨ - ٦٩ .
 فيثيزا = غيطشة
 الفيروز ابادي ١٠٧ ح ، ١٩٨ .
 فيمي ١٧٧ م .
 فيوري - سيلفسترو ٤٤٦ .
- ق
- القائم العباسي ٥٢٩ - ٥٣٠ ، ٥٣٣ .
 القائم الفاطمي ١٧١ ، ٢٢٤ م ، ٢٧٨ -
 ٢٨١ .
 القاسبي - علي بن محمد القيرواني ١٨٢ ،
 ٣٣٧ ، ٤٧٦ ، ٥٦٤ .
 قارلمان (= قرمان) - عبد الله
 - أحمد
 قارله ٤٢ .
 قارون ٥٩٨ .
 قاسم بن أصبغ البكائي (٢٣٢ - ٢٣٣) ،
 ١٨١ ، ٢٣٨ ، ٢٦٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٩ ،
 ٣٠٠ ، ٣١٨ ، ٣٢٨ .
 قاسم بن ثابت بن عبد العزيز
 السرقطي ١٨٥ ح م .
 القاسم بن حنود ١٦٩ ، ٣٨٧ ، ٤٧٠ م ،
 ٤٨٣ ، ٤٨٤ م ، راجع ٥٠٥ .
 قاسم بن زرياب ٨١ .
 القاسم بن سلام = ابن سلام
 القاسم بن عبد الله (وزير عباسي)
 ٢٩٠ .
 القاسم بن عبد الله التميمي ٢٠٩ -
 ٢١٠ .
 القاسم كَنُون (قَنُون) ١٧١ .
 القاسم بن الأمير محمد بن عبد الرحمن
 الأوسط ١٢٤ - ١٢٥ .
 القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديقي
 ٧٣ .
 قاسم بن محمد بن سيار البكائي ١٨٣ م .

قالون ٤٧٩ م.

١٩٠، ١٩١، ٤٦٢.

القالبي - أبو علي ١٩، ١٨٥، ١٧٦ م.

قيس بن عاصم ٢٤٧ م.

١٨٧، ٢٠١، ٢٤٨، ٢٥٨ م.

قيصر ٦٩٨ م.

٢٨٦، ٣٠٠، ٣١٤، ٣٢٨ م.

٣٤٠ - ٣٤٢، ٣٦٣، ٤٩٧.

ك

القاهر العبّاسي ١٦٦.

كافور ٣١٦.

القبري - محمد بن محمود الضريد ٤٢٨ م.

الكتّاني - محمد بن الحسن (٣٧٢ -

القبري = مقدم بن معافي

٣٧٣)، ٣٢٩.

قدامة بن جعفر ٣٤٣، ٤١٤، ٥٢٤ م.

قرمان = قارلمان

الكتّاني - محمد بن الحسين ٣٧٢.

القرّاز - أبو عثمان ٣٦٧.

الكرماني السرقسطي ٣٩٤.

القرّاز - أبو عبد الله محمد بن جعفر

الكسائي ٧٤، ٨٥، ٨٦، ٥٠٠، ٥٠١.

(٣٥١ - ٣٥٤)، ٤٦٦، ٥٥١.

كسرى ٢٤٧ ح، ٥٥٦ م، ٦٨٦ ح،

٦٩٢ ح، ٦٩٨ م.

٥٦٤.

الكنيني = محمد بن عبد البرّ

القرّاز = محمد بن عبادة القرّاز

كعب بن مامة ٢١٦ م، ٢٤٧ م،

قسطنطين (بطريق صقلية) ١٧٧.

٦٥٦ م، ٧٢٩ م.

قصي بن كلاب ٢٤٧ ح م.

الكمي = المنجي الكمي

قطرب ١٢٢، ٢٤٨ ح.

كلثوم بن عياض القشيري ٤٣ م.

قطريّ بن الفجاءة ٦٧٣ ح.

كليب بن ربيعة ٥٩٨.

قطل المذبحي ٣٦٣.

كنزة (جارية إدريس الأكبر) ٦٣، ٩٤.

القلقاط = محمد بن يحيى القرطبي

كنون (القاسم) = القاسم

(٢٢٠ - ٢٢٢)، ٢٠٤، ٢١١ م.

الكوهي = القوهي

٢٢٣ م.

ل

القلقاط = الرباحي - محمد بن يحيى

ليون بن عبيد العزيز - أبو عيسى

القلندر (الشاعر) ٥٨١.

(٧٣٦ - ٧٣٨).

القمبياطور = السيد

القوهي - أبو سهل ويحلم بن رسم

ليد ٥٦٧ م.

لذريق ٣٧ م، ١٨٩، ٢٨٧ ح.

لسان الدين بن الخطيب ٣٤٤ ح م،

٣٨٧ ح، ٤٤٠، ٤٤٤، ٧٢٦.

اللّائي - أبو جعفر أحد (٦٠٥ -

٦٠٧).

اللؤلؤي = أحد بن ابراهيم

لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ١٠٢ ح.

الليث بن سعد ٩٣، ٩٩.

ليني بروفنسال ١١٦ ح، ٣٨٧.

ليلي (في شعر) ٣٣٠ م، ٣٤٩، ٣٦٠.

م

مارية بنت ظالم ٤٩٢ م.

مازن (لقب ابن الحذّاد الوادي أشي)

٦٥٥.

المازني ١٨٧، ٢٤٩.

مالك بن أنس ٤٦، ٦٠، ٧٣، ٧٤ م،

٨٤، ٨٦، ٩٣، ٩٨ م، ٩٩ م،

١٠٤، ١١٣ م، ١٤١، ١٨١ م،

١٨٤ - ١٨٥، ٢٢٧، ٢٣٢،

٢٥٨، ٢٥٨ م، ٢٩٩، ٣٠٧،

٣٠٨، ٣٨٩، ٤٧٧، ٤٨٠، ٥٤٧،

٥٨٥، ٥٨٧، ٥٩٨، ٦٣٢، ٦٤٦.

مالك بن المعتمد = ابن عبّاد

مالك بن المنذر الكلبي ٦٨ - ٦٩.

المأمون العباسي ٧١ م.

المأمون بن حنّ = القاسم بن حمّود

المأمون بن ذي النون = يحيى بن عليّ

مافي ٥٣٨ م.

مبارك - زكي ٤٥٦ م.

المبرد ١٥٤، ١٥٩، ١٨٥ م، ١٨٧،

٢١٢، ٧٣٤.

المتني ١٨٠٦، ١٩٥، ١٩٦ م، ٢٠٦،

٢٨٦، ٣٥٢، ٣٧٨، ٤١٥، ٤٣٥،

٤٣٩، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٩٧ -

٤٩٨، ٥٥٧، ٥٦١، ٥٦٧، ٥٦٨،

٥٩٩ ح، ٦٣٦، ٦٦٤ م، ٧٤١،

٧٤٦.

متنبي الغرب (المغرب) ٦، ثم ابن

دراج القسطلّي ٣٧٨، ابن هاني

الأندلسي ٦، ٢٦٧، الرمادي

(٩٤٣٩؟ ٩٤٤١).

المتوكل بن الأفطس = ابن الأفطس -

عمر

مجاهد بن معدة ٤١٢.

مجاهد العامري ١٨٠ م، ١٨١،

٣٦٢ م، ٣٨٧، ٣٩٢، ٤٥٥،

٤٦٩، ٤٩٩، ٥١٠، ٥١١، ٥٦١،

٥٧٨، ٦٢٣، ٦٦٦ م، ٦٧٠ م،

٦٨٣.

مجير بن سفيان (١٤٦ - ١٤٧).

مجنون ليلي ٤٠٣.

المهاملي = الحسين بن اسماعيل	محمد بن أبي دوس = ابن أبي دوس
محرز بن خلف (٣٥٤ - ٣١٨).	البياسي
محمد رسول الله ١٢، ١٦ ح، ١٧ ح،	محمد بن أبي زيد القيرواني ١٨١.
٣٢ - ٣٤، ٤٥، ٤٦، ٥٥ م، ٥٨،	محمد بن أبي عامر = المنصور بن أبي عامر
٦٣، ٦٨ م، ٩٣ - ٩٦، ١٠٥،	محمد بن أبي العرب = ابن أبي العرب
١١٠ م، ١١١، ١٢٦، ١٢٨ -	محمد بن أحمد الإشبيلي الزاهد ٢٥٣.
١٣٨، ١٤٠ - ١٤١، ١٤٨ -	محمد بن أحمد البريدي (١٣٩ - ١٤٠).
١٤٩، ١٥٧ م، ١٦٥، ١٦٩ -	محمد بن أحمد العتي = العتي
١٧٠، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٥، ٢٠٠،	محمد بن أحمد الكاتب البغدادي ٤٩٨.
٢٢٤ - ٢٢٥، ٢٣٥ ح م،	محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله
٢٤٥، ٢٤٧ م، ٢٥٨، ٢٧٣ ح،	٦٣ ح.
٢٧٦ ح، ٢٨٢، ٣٠١، ٣٠٢،	محمد بن اسماعيل العبّادي = ابن عبّاد
٣٠٨، ٣٣١، ٣٣٧ ح م، ٣٩٢،	محمد بن اسماعيل بن اسحاق = أبو الحسن
٤٤٧ م، ٤٧٨ م، ٤٨٠، ٤٨١،	الكاتب المغربي
٤٨٢ م، ٤٨٤، ٥٠٠ م، ٥٠٢ ح،	محمد بن اسماعيل = حمدون النحوي
٥١٢ م، ٥٤٧، ٥٦٣، ٥٨٥ م،	محمد بن اسماعيل القرطبي ٢٥٤.
٥٨٧، ٦١١ - ٦١٤، ٦٤٥ م،	محمد بن الأشعث الخزاعي (أمير
٦٨٣، ٦٨٦، ٦٩٩ م، ٧٣١،	إفريقية) ٥٥ ح، ٦٠ م، ٦١.
٧٣٣.	محمد بن أضحى = ابن أضحى
محمد بن أبان بن سيد الفرطبي ١٨٥ -	محمد بن الأغلب بن ابراهيم = ابن
١٨٦.	الأغلب
محمد بن ابراهيم بن الأغلب = ابن	محمد بن الأغلب بن زيادة الله = ابن
الأغلب	الأغلب
محمد بن ابراهيم بن زياد المّواز ١٤٩.	محمد بن أيوب الأنصاري ٦٦٧.
محمد بن ابراهيم بن سعيد القيسي ٥٨٩.	محمد الباقر (الإمام) ١٧٠.
محمد بن ابراهيم = المروذي	محمد بن بشير = العافري

محمد بن جعفر التميمي = القزاز
القيرواني

محمد بن جهور (أبو الوليد) = ابن جهور
محمد الجواد (الإمام) ١٧٠.

محمد بن الحارث الحثني = الحثني

محمد بن الحسن بن الحسين المذحجي =
الكتّاني

محمد بن الحسن بن دريد = ابن دريد

محمد بن الحسين الطنبي = الطنبي

محمد (أبو الوليد) بن الحسين = الكتّاني

محمد بن الحسين المغربي (٥٢٤ - ٥٢٦).

محمد بن الحكم الأندلسي ٢٠٣.

محمد بن حمود (محمود) ١٥٥ ح.

محمد بن حيد الطوسي ١٢٩.

محمد بن خرزون بن خليفة = ابن ورو

محمد بن زيادة الله = ابن الأغلب

محمد بن سحنون ١٤٩.

محمد بن السري بن السراج = ابن
السراج

محمد بن سعيد الزجاجي ١٠٥ - ١٠٦.

محمد بن سعيد المالكي ٦٣٢.

محمد بن سليمان الحنيفي الكاتب ٢٩٠ -
٢٩١.

محمد بن طاهر (صاحب مرسية) ٧٠٨،
٧١٠ - ٧١٢.

محمد بن عاصم النحوي (١٥٩ - ١٦٠).

محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن
علي بن أبي طالب ٩٤.

محمد بن عبد الله بن الحكم ١٤٩.

محمد بن عبد الله بن عيسى = ابن أبي
زمنين

محمد بن عبد الله الفزاري = أبو القاسم
الفزاري

محمد بن الأمير عبد الله بن محمد ٥٩.

محمد بن عبد الله النجاد ٤٩٨.

محمد بن عبد البر الكسنياني ٢٥٧ -
٢٥٨.

محمد بن عبد الرحمن الأوسط ٥٩، ٧٤،

٧٦، ٧٧، ١٠٩ م، ١٢٢، ١٢٤ -

١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٦٦، ١٨٣،

١٩٠، ١٩١، ٢٤١ ح، ٢٩١ ح.

محمد بن عبد الرحمن الخلفاء الذهبي
٥٢٩.

محمد بن عبد الرحمن = المستكفي
المرواني

محمد بن عبد السلام الحثني = الحثني

محمد بن عبد العزيز العتي = العتي

محمد بن عبد الملك بن أمين = ابن أمين

محمد بن عبد الملك الزيات ٣٢٤.

محمد بن عبد الواحد البغدادي (٥٢٩ -
٥٣٣).

محمد بن عبد الوهاب بن مغيث - ابن
مغيث

محمد المهدي = محمد بن عبد الله بن الحسن
(٩)

محمد المهدي (المباسي) = المهدي
محمد المهدي (الأندلسي) = المهدي
الرواني

محمد المهدي المنتظر = المهدي المنتظر
محمد بن هشام المصنف = المصنف
محمد بن هلال ٣٠٤ .

محمد بن أبي الوليد الباجي ٦٣٣ م .
محمد بن يحيى = ابن الخزاز
محمد بن يحيى الرياحي = الرياحي
محمد بن يحيى (?) الشاعر ٢٠٤ .

محمد بن يزيد (والي المغرب) ٤١٠، ٣٨ م .
محمد (أبو يوسف) سادس الأئمة
الرسميين ١٥١ .

محمد بن يوسف النجّاد ٤٩٨ .
محمد بن يوسف الوراق = التارنجي
الوراق

محمد بن أبي جليل ١٣٨ م .
محمد الغزنوي ٥٢٩ .
محمد بن كيداد ١٧٣ - ١٧٤، ٢٢٤ م ،
٢٤٦، ٢٢٧ م .

المخلص الذهبي = محمد بن عبد الرحمن
مدرك بن علي الشيباني ٤٠٥ .
المراكشي = ابن عبد الملك المراكشي
المراكشي = عبد الواحد

محمد بن عبدون الجبلي = ابن عبدون
الجبلي

محمد بن علقمة = ابن علقمة
محمد بن عيسى المعافري = المعافري
محمد بن الغازي = ابن غازي
محمد بن قادم = ابن قادم
محمد بن القاسم الأنباري = الأنباري
محمد بن القاسم بن حمود
محمد بن معاوية الفرشي ٢٣٠ .
محمد بن محمد بن وشاح = ابن اللباد
محمد بن مسعود الفرطبي الشاعر ٤٠٥ -
٤٠٦ .

محمد بن مطرف = ابن شخيص الفرطبي
محمد المظفر بن الأفطس = ابن
الأفطس - المظفر محمد

محمد والد المعتضد العبادي = ابن عباد
محمد بن المعتضد بن عباد = ابن عباد
محمد بن معمر = ابن أخت غانم
محمد بن مغيث الأنصاري = ابن مغيث
محمد بن مغيث المغربي = ابن مغيث
محمد بن مقاتل المكي ٦٠ م ، ٦٩ .
محمد (المقتول) بن عبد الله (والد عبد
الرحمن الناصر) ١٦٦ .

محمد المكتوم ١٧٠ .
محمد بن المنذر النيسابوري ٢٥٧ .
محمد بن مهدي البكري ١٤٢ م .

- المرتضى العباسي ١٦٦ .
 المرتضى الروائي = عبيد الرحمن
 (المرتضى) بن محمد
 مروان بن الحكم ٤٧ ح ، ٢٣٣ .
 مروان بن سمعون ٣٩٥ .
 مروان بن عبد الرحمن الجليقي ٢٣٨ .
 مروان بن عبد الرحمن بن مروان =
 الطليق الروائي
 مروان بن محمد ٥١ م .
 مروان بن موسى بن نصير ٣٨ .
 المروزي = أبو جعفر
 المروزي - محمد بن ابراهيم ٤٧٦ .
 مريم الثلجية (٣٥٠ - ٣٥١) .
 مزاحمة بنت مزاحم الثقفي ١٠٦ .
 المستظهر (عبيد الرحمن) الروائي
 (٣٥٧ - ٣٦٠) ، ١٦٩ ، ٣٦٧ -
 ٤٨٨ ، ٤٥٤ ، ٣٦٨ .
 المستعين = سليمان السمين
 المستكفي الروائي ١٦٩ ، ٤٩٧ ،
 ٥٩٠ م .
 المستنصر الروائي = الحكم بن عبد
 الرحمن الناصر
 المستنصر الفاطمي - معد بن علي
 ٥٣٢ م ، ٦٠٨ .
 مسعود بن بسطام ٢٤٧ ح .
 مسعود بن محمود الفزنوي ٥٢٩ م .
 مسلم بن أحمد القرطبي النحوي - أبو
 بكر ٥٨٩ - ٥٩٠ .
 مسلم بن الحجاج ٢٢٧ - ٢٢٨ .
 مسلم بن عقبة المري ٥٦ .
 مسلم بن الوليد ٢٥٤ - ٢٥٦ ، ٣٩٩ .
 مسلمة بن أحمد المرحيطي (المجريطي)
 ١٩٠ م ، ١٩١ ، ٣٧٢ ، ٥٠٥ .
 مسلمة بن عبد الرحمن الداخل ٨٩ ،
 ١٢٥ .
 مسلمة بن القاسم ٢٣٠ .
 مسلمة بن الأمير محمد ١٢٥ .
 المسيح = عيسى بن مريم
 مشف = شف
 المصحفي = جعفر بن عبد الرحمن
 المصحفي - محمد بن هشام ٧٠٢ .
 المصري - علي ٥٤٧ .
 المصطفى = محمد رسول الله
 المصعب بن عمران (القاضي) ٨٤ م .
 مطرف بن الأمير عبد الله بن محمد بن
 عبد الرحمن الأوسط ٥٩ ، ٧٤ -
 ٧٦ .
 المطرف بن محمد بن عبد الرحمن - أبو
 القاسم ٧٦ .
 مطرف بن قيس ٢٥١ .
 المظفر بن الأفطس = ابن الأفطس
 المظفر بن جهور = ابن جهور

المظفر - عبد الملك بن محمد بن أبي
عامر ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٥، ٣٦٥،
٣٦٧، ٣٧٢، ٣٧٧، ٤٧٦.
المظفر يحيى بن التندر التجيبي ٤٨٨ -
٤٨٩.
معاقر (جدّ النصور بن أبي عامر)
٣١٨.

المعافري = عبد الله بن محمد بن عامر
المعافري = أبو القاسم السبي
المعافري - عبد الملك ٣١٣.
المعافري - محمد بن بشير المعافري
(٨٤ - ٨٥)، ١٢٤.
المعافري - محمد بن عيسى ١٤٠.
معاوية بن أبي سفيان ٥٦، ١٧٧،
٢٢٩ ح، ٦٨٥ ح م، ٧٢٨.
معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي
٨٦، ٩٣.

معاوية بن يزيد بن معاوية ٥٦.
معبد (بن وهب) المغنّي ٦٩٤ م، ٧٤٠.
المعتدّ = هشام (المعتد) بن عبد الرحمن
المعتدّ بن المعتمد بن عباد
المعتمد بن صلاح (٦٦٦ - ٦٦٩)،
٢٨٥، ٣٨٧، ٤٠٤، ٤٣٩، ٤٤٠،
٤٩١ - ٤٩٣، ٥١٠ - ٥١١،
٦٥٥ م، ٦٦٤، ٦٧٠ - ٦٧١،
٦٨١ م، ٧٠٢، ٧٠٨، ٧٤٤،
٧٤٦.

المعتمد العبّاسي ١٥٢ م.
المعتمد بن عباد ٣٩٧ - ٤٠٠، ٤٧٢،
٤٩٤ م، ٥٠٧ م، ٥١٤ - ٥١٥،
٥٦٥، ٥٧٠ م، ٥٧١ م، ٥٨٥ -
٥٨٦، ٥٩٣ م، ٦٢٣، ٦٢٦ م،
٦٢٧ م، ٦٣٨ م، ٦٤٢ - ٦٤٥،
٧٠٢، ٧١٢ - ٧١٤، ٧١٦.

المعتمد العبّاسي ١٦٦، ٤٢٠.
المعتلي - يحيى بن علي بن حمّود ١٦٩ م،
٤٥٤، ٤٥٧ - ٤٥٩، ٤٦٩ م،
٤٧٠، ٦٢٣ م.

المعتمد بن عباد (٧١٣ وما بعد)،
٤٧٠ م، ٥٨١، ٥٩٣، ٦١٥،
٦٣٦، ٦٣٩ - ٦٤٠، ٦٤٢ -
٦٤٥، ٦٥٢ - ٦٥٤، ٦٥٩ م،
٦٦٣ - ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٦٩ -
٦٧١، ٦٧٦ - ٦٨٠، ٧٠٢،
٧٠٧ - ٧٠٨، ٧١٠، ٧١٢،
٧٢٥ - ٧٣١، ٧٤٤.

معدّ بن اسماعيل = المعزّ لدين الله
الفاطمي

معدّ بن علي = المستنصر الفاطمي
المعريّ = أبو العلام
المعزّ بن باديس الصنهاجي ١٧١ م،
١٩١، ٣٥٦ م، ٣٧٣، ٣٧٤ م،
٤٦٢ م، ٤٦٤، ٥٢٤ م، ٥٣٠ م،
٥٤٤، ٥٥١ م، ٥٥٤، ٥٦٤ م،

مكي بن أبي طالب (حوش) (٤٧٦) -

١٧٠، ٦٧٠، ٧٠٧، ٣٨٨، م

مكي - محمود علي ١٢٦ ح.

المنتجالي - أحمد بن سعيد الصدي

٣٠٤

المنتصر بن خزرون بن سعيد =

خزرون بن سعيد

المنجي الكمي ٣٥١ ح م.

المنذر (الأول: المنصور) بن يحيى التجيبي

٣٧٨، ٣٨٢، ٣٨٧، ٥٧٨، م

المنذر (الثاني: المظفر) بن يحيى

التجيبي ٤٨٨ ح.

منذر بن سعيد البلوطي (٢٥٧) -

٢٦١، ١٥٥، ١٨٤، ٢٠١، م

٤٨٠ م.

المنذر بن ماء السماء ٤٧٠، ٥٥٦ م.

منذر بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط

٥٩، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٤٣، م

١٤٦، ١٤٩، ١٥٩، ١٦٦، ٢١٠، م

المنصور بن أبي عامر ١٦٥، ١٦٧ -

١٦٨، ١٨٠، ١٩٤، ٢٦٨، م

٢٦٩، ٢٨٩، ٢٩٤ - ٢٩٦، م

٣٠٠، ٣١٢، ٣٢٢ - ٣٢٦، م

٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٤٠، م

٣٦٠ - ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٧٧، م

٣٧٩ - ٣٨١، ٣٨٦ - ٣٨٨، م

٤٤٧، ٤٥٤، ٤٨٧، ٤٨٩ - ٤٩٠، م

٦٣٥، ٦٧٠، ٧٠٧، م

المعز بن زيري بن عطية ٢٠٢ م، ٣٨٨، م

معز الدولة بن صالح - أبو جعفر

أحمد ٦٦٧ م.

المعز لدين الله الفاطمي ١٦٩، ١٧١ م،

٢٦٧ م، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٤ م،

٢٧٨، ٢٩٨، ٣٤٣، ٥٤٤، ٥٤٨، م

المعلى (مدحه امرؤ القيس) ٥٥٦ م.

مصر بن المثنى = أبو عبدة

ممن بن مجاهد العامري - أبو الأحوص

٥١٠، ٥٦١، م

المعوج (أديب بغداد) ٢٠٣ - ٢٠٤، م

المقتدر العباسي ١٦٦، م

المقتدر بن هود (صاحب سرقطة)

٥٢٦، ٦٣٢، ٦٥٥، ٦٥٩، ٧٠٨، م

٧١٤، م

مقدم بن معاذ القبري (مقدم بن معاذ

الفريدي، ٤٢٨ ح، خطأ في

الأصول) (١٥٥ - ١٥٦)، ٦٤ م،

١٤٥، ٤٢٣، ٤٣٩، م

المقري (جد صاحب نفع الطيب)

٣٥٥، م

المقري (صاحب نفع الطيب) ٢٨٣، م

٣٩٨، ٤٤٤، ٤٤٨، ٦٨١، م

المكتفي العباسي ٢٩٠ م.

مكرم بن سعيد (؟) ٤٢٩ م.

المكفوف النحوي = عبد الله بن محمد

موسى بن أبي العافية ١٧١ .
 موسى بن عيسى بن حجاج (حاج)
 الففجومي - أبو عمران
 موسى الكاظم ١٧٠ م .
 موسى بن محمد بن حدير = ابن حدير
 موسى بن محمد بن سعيد = ابن الحاجب
 أبو الأصم

موسى بن موسى (قائد) ١٣٨ .
 موسى بن نصير ٣٧ إلى ١٤١ ،
 ١٣١ ح م .
 الموفق (من ملوك الطوائف) ٥٠٨ م .
 مؤمن بن سعيد (١٢٢ - ١٢٤) ،
 ٨٥ ح ، ١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٥٦ .
 مؤنس - حسين ٧٦ ح ، ٤٩١ ح .
 المؤيد (النصور) المانع: عبد الرحمن
 الناصر
 ميخائيل الثاني الأتلي ١٧٧ .
 ميسرة المدغري (المضفري) ٤٢ ، ٦٢ ،
 ٤٧٠ .

الميلاد = عزّة الميلاد .
 ميمون العابد ٢٨٧ - ٢٨٨ .
 ميمون - أبو عمر (الإباضي) ١٨٢ .

ن

الناصفة الذبياني ٨٠ ، ١٨٧ ، ٥٥٢ ،
 ٥٥٦ .

٥٣٥ م ، ٥٨٤ ، ٦١٥ ، ٦١٧ ح ،
 ٦٥٥ ح ، ٦٨١ ، ٦٩٦ .
 المنصور بن الأفطس = ابن الأفطس
 المنصور بن بلقين (بلقين) ١٧١ ،
 ٣٤٣ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ .
 المنصور العباسي = أبو جعفر
 المنصور بن عبد العزيز = أبو بكر بن
 عبد العزيز
 المنصور الفاطمي - إسماعيل ١٧١ .
 المنصور بن الناصر بن علناس ٥٤٥ .
 المنمر = أبو الحسن المنمر
 المنذر الأسلمي اليافعي الإفريقي ٤١ م .
 المنشي - أبو القاسم ٤٤٠ ، ٤٤٢ ،
 ٤٤٦ .
 مهجة القرطبية ٤٠٢ .
 المهدي المباسي ٩٤ .
 المهدي المرواني ١٦٨ ، ١٦٩ م ، ٣٣٨ ،
 ٣٤٧ ، ٤٧٧ .
 المهدي المنتظر ١٧٠ .
 مهيّة الأغلبية (١٥٠ - ١٥١) .
 المهلهل ٥٩٨ .
 المهندس - أحمد بن محمد ٣٣٧ .
 المواز - محمد بن إبراهيم بن زياد
 المؤتمن (٢) من ملوك الطوائف ٥٠٨ م .
 المؤتمن بن هود ٦٣٩ - ٦٤٠ .
 مودود بن مسعود الفزنوي ٥٢٩ .
 موسى ١٤٧ م ، ٢٤٥ ح ، ٦١١ .

- ناجي - هلال ١٣٧ م .
 ناصح (والد عباس بن ناصح) ١٠٦ م .
 الناصر الحمادي ٥١١ .
 الناصر بن علفاس ٣٨٩ - ٣٩٠ ، ٥١٥ م .
 نافع بن الأزرق ٥٥ ح ، ٥٦ .
 نافع (مولى عمر بن الخطاب) ٧٣ .
 نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ٨٦ ، ٥٠٠ ، ٤٧٩ .

ه

- النباهي - محمد بن الحسن ٦٠٢ .
 النبي = محمد رسول الله
 النجاد = محمد بن عبد الله
 النجاد = محمد بن يوسف
 النجيرمي - أبو يعقوب ٤٦١ ، ٥١٨ .
 النحلي (شاعر) ٦٦٨ .
 النضر بن شميل ٢٤٨ .
 نظام الملك السلجوقي ٦٥٠ - ٦٥٢ .
 النعجة = حمدون النحوي
 النعمان بن المنذر - أبو قابوس ٤٧٠ ، ٥٥٦ ، ٦٨٦ ح ، ٦٩٢ ح ، ٦٩٣ .
 النعمان بن محمد بن منصور = أبو حنيفة
 النعمان المغربي
 نعيم (جد آل عبّاد) ٤٧٠ م .
 النغيلة (النغدة، النجدلة)
 النفس الزكية = محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن
 نبطويه ١٨٧ .
- هاجر (امراة ابراهيم) ٦٩٧ م .
 هارتمان - مارتن ١٢٧ .
 هاشم بن رجا - أبو خالد ٥٧٥ .
 هاشم بن عبد شمس ١٠٢ ح م .
 هاشم بن عبد العزيز (١٣١ - ١٣٥) ، ٧٩ - ٨٠ ، ١٢٢ م ، ١٢٣ م ، ١٢٧ ، ١٢٨ .
 هاني بن محمد بن سعدون ٢٦٦ ح .
 الهجفيف بن غيدقان ٣٦٣ .
 هرم بن سنان ٤٩ ، ٥٥٦ .
 هرويش ٣٠٥ م .
 هرون الرشيد ٦٠ م ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ١٥٢ ح ، ٢٥٥ ح ، ٣٦٨ ح م .
 هشام (؟) (قارىء) ٤٧٩ م .
 هشام بن أحمد الوقشي = ابن الوقشي

ورش - عثمان بن سعيد (قارىء)
م ٤٧٩.

ورّو (من آل خزرون - ليبيا) ٣٩٠.
الوقشي - أبو الحزم خلف بن عيسى
٢٨٦.

الوقشي - أبو الوليد هشام بن أحمد
٣٩٢ - ٣٩٤.

ولادة بنت المستكفي (٦٩٩ - ٧٠٢)،
١٦٩، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥ ح،
٥٩٤، ٥٩٠.

الوليد بن طريف الخارجي ٢٥٥ -
٢٥٦.

الوليد بن عبد الرحمن بن غانم (١٢٦) -
١٢٨، ١٣٢.

الوليد بن عبد الملك ٣٨ م، ١٣١ ح،
٢٣٢.

وليد بن عيسى الطبيخي = الطبيخي
الوليد بن هشام = أبو ركوة

الوليد بن هشام (من نسل بني أمية)
١٧٤.

الوهرافي = أبو القاسم

ي

اليازوري - الحسن بن عليّ ٦٠٨.
ياقوت الحموي ٢٤٨ ح، ٣٧٥،
٤٦٥ ح، ٥٦٥ ح.

هشام الرضيّ بن عبد الرحمن الداخل
٥٧ م، ٦٤، ٧٤ - ٧٦، ٨٧ م،
٨٩، ٩٣، ١٠٢، ٢١٠، ٢٣٥.

هشام بن عبد الملك ٤٢، ٤٣، ٤٦ ح،
٤٧، ٥١، ٥٢ م، ٦٦، ١٠٢ ح م،
٢٨٥ م، ٤٧٠.

هشام المعتدّ بن عبد الرحمن المرتضى
١٦٩، ٤٥٤، ٤٧٣ م، ٤٧٤،
٤٩٧، ٥٧٨.

هشام المؤيد بن الحكم المستنصر ١٦٧ -
١٦٩، ١٩٢، ٢٩٤ م، ٣٠٠ م،
٣٠٤، ٣٠٦ م، ٣١٤ - ٣١٥،
٣٦٦ م، ٣٧٧، ٥٣٥ م، ٦٦٦.

الهشامان = هشام بن عبد شمس ثم هشام
ابن عبد الملك

الهمداني = يوسف بن محمد
هند (وردت في شعر) ٤١٦ م.
الهوزني = أبو حفص

و

واجاج اللمطيّ ٥٤٣ م.
الواقدي ٧٣، ١٢٢.

الورّاق = التاريخي الورّاق
ورد النصرانية (تغزّل بها ديك الجنّ
الحمصي)

بجى (في شعر) ١٢٠.

بجى بن ابراهيم الكدالي ٥٤٣ م.

بجى بن الأفطس = ابن الأفطس

بجى بن جعفر التونسي ٢٢٦ - ٢٢٧.

بجى بن حريث ٤٥.

بجى بن حكم الفزال (١١٥ - ١٢١)،

٧٨ - ٧٩، ١٤٩، ١٩٧، ١٩٨ م.

بجى بن عبد العزيز = ابن الجزار

القرطبي

بجى بن علي بن حدود الأندلسي

(اقرأ: ابن الأندلسية) ٣٦٧،

٢٧٠ - ٢٧٢، ٢٧٤ وما بعد.

بجى بن علي بن حدود = المعتلي

بجى بن الفضل بن النعمان التميمي

٦٩.

بجى القادر بن ذي النون ٧٣٦ م.

بجى بن مالك = ابن عائد

بجى المأمون بن ذي النون ٣٨٧،

٤٨٨، ٥٢٦ - ٥٢٨، ٥٣٠،

٥٣١ م، ٥٦٥، ٥٨١، ٥٨٢،

٦٢٣، ٦٤٦ - ٦٤٧، ٦٥٠،

٧٣٧.

بجى بن مضر القيسي الأندلسي ٩٨.

بجى بن المعتمد = ابن عباد

بجى بن معمر الألهاني ٣٦٥ م.

بجى بن المنذر بن بجى التجيبي ٣٧٨،

٣٨٢، ٤١٤ - ٤١٥.

بجى بن هذيل القرطبي الكفيف

(٣٠٩ - ٣١١).

بجى بن بجى = ابن السمينة

بجى بن بجى الليثي (٩٨ - ٩٩)،

٨٩، ١٤٠.

بجى بن يزيد اللخمي ٨٦.

بخلف - عبد الله بن سليمان ٢٠٧ -

٢٠٨.

بذير بن حباة ٤٦٩ م.

بروتم الترجان ٣٠٥ م.

يزيد بن أبي مسلم ٤٢ م.

يزيد بن الياس العبدي ٩٤.

يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ٥١،

٦٦، ٢٦٦ م.

يزيد بن عبد الملك ٤٢ م.

يزيد الفصيح (١٦٣ - ١٦٤).

يزيد بن مزيد الشيباني ٢٥٥ م.

يعقوب ١٤٧ ح، ٢٥١.

يعقوب بن الأغلب = ابن الأغلب

يعقوب بن حبيب - أبو حاتم ٧٤.

يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط ٧٥.

يعقوب بن المضاء (الأغلي) ٧٢ م.

بليان ٣٧ م.

يهذا الأسخريوطي ٦٨٩ م.

يوسف بن أحمد بن الدخيل = ابن

الدخيل الصبدلاني

يوسف بن اسماعيل بن النفذلة ٥٧٢ -
٥٧٥ .

يوسف بن بجت ٤٧٣ .

يوسف بن تاشفين ٣٨٥ - ٣٨٦ ،
٥٤٤ - ٥٤٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ،
٦٧٦ ، ٧٠٨ ، ٧١٥ م ، ٧٢١ ،
٧٢٨ م ، ٧٣٠ ح .

يوسف بن عبد الرحمن الفهري ٤٥ م ،
٤٨ - ٤٩ .

يوسف بن محمد - أبو حاتم الرستمي
١٥٢ م .

يوسف بن محمد الحمداني ١٨٤ .
يوسف بن هرون = الرمادي

يوسف بن يعقوب ١٤٧ ، ٢٥١ ،
٥٣٨ م ، ٥٩٨ .

يوسف بن يعقوب البصري القاضي
١٨٦ .

يونس الحراني = الحراني

يونس بن عبد الأعلى الصديقي ١٤٩ .
يونس بن عبد الله الصفار ٧٣١ .

١٩٨١/٢/١١